سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٣٨٠)

قال بعض الحكماء

أكثر من 2000 حكمة من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"٦٥ - سمعت محمد بن طاهر الوزيري يقول: سمعت أبا علي البوشنجي يقول: **قال بعض الحكماء** من السلف: «عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم» ومن آدابها

٦٦ - ما: سئل أبو عثمان الحيري: كيف يصحب المؤمن على شرط السلامة؟ قال: يوسع على أخيه ماله، ولا يطمع في ماله، وينصفه ولا يطلب منه الإنصاف، ويستكثر قليل بره، ويكون إكرامه أكثر من إكرامه لنفسه

٦٧ - سئل أبو عثمان عن من يعاشر الناس ولا يكرمهم ولا يتكبر عليهم، فقال: ذلك لقلة رأيه وعقله، فإنه يعادي صديقه، ويكرم عدوه، فإن إخوانه -[٦٨]- في الله أصدقاؤه، ونفسه عدوه

٦٨ - قال: روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»". (١)

٢-"٧٣ - أنا إبراهيم بن علي بن معقل قال: أنا أبو الفضل المروزي قال: أنا عيسى بن يونس قال: أنا الشيباني قال: أنا الحسين بن واقد، عن ابن أبي بردة، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «استعينوا على حوائجكم بالكتمان؛ فإن كل ذي نعمة محسود»

٧٤ - ولذلك **قال بعض الحكماء**: قلوب الأحرار قبور الأسرار". (٢)

٣-"١٢٢ - وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يدخل الجنة قتات» ومن آدابها: الوفاء للإخوان في حياتهم وبعد وفاتهم.

١٢٣ - **قال بعض الحكماء**: من لم يكن عنده وفاء لإخوانه فقد غم على نفسه". (٣)

٤-"المخلص، قالا: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن السكري، حدثنا أبو يعلى المنقري، حدثنا الأصمعي، قال: سمعت أعرابيا، يقول:. . . . «كدك فيما نفعه لغيرك»
٣١٥ - أخبرنا أحمد بن عبد الواحد بن محمد الدمشقي، أنبأنا جدي، أنبأنا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل السامري، قال: سمعت أبا موسى عمران بن موسى المؤدب، يقول: وفد على أنوشروان حكيم للهند وفيلسوف للروم، فقال للهندي: تكلم.

---

(١) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي ص/٦٧

(٢) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي ص/٧٠

(٣) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي ص/٩٢

فقال: «خير الناس من ألفي سخيا، وعند الغضب وقورا، وفي القول متأنيا، وفي الرفعة متواضعا، وعلى كل ذي رحم مشفقا»
.

وقام الرومي، فقال: «من كان بخيلا ورث عدوه ماله، ومن قل شكره لم ينل النجح، وأهل الكذب مذمومون، وأهل النميمة يموتون فقراء، ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه»

٣١٦ – وقال محمد بن جعفر: سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرد، وغيره، يقول: **قال بعض الحكماء**: " غافص الفرص عند إمكانها، وكل الأمور إلى وليها، ولا تحمل على نفسك هم ما لم يأتك، ولا تعدن عدة ليس في يديك وفاؤها، ولا تبخل بالمال على نفسك، فكم من جامع لبعل حليلته؟ فنقل هذا الكلام الأخير محمد بن بشير، فقال، من البسيط:
كم مانع نفسه لذاتها حذرا ... للفقر ليس له من ماله ذخر". (١)

٥-"٩- حدثني محمد بن مزيد، قال:
قال بعض الحكماء: من بدل نصحه واجتهاده لمن لا شكر له، فهو بمنزلة من بذر بذره في سباخ.". (٢)

٦-"وأنشأ الثاني يقول
هذا الزمان الذي كنا نحذره ...
في قول كعب وفي قول ابن مسعود ... وأنشأ الثالث يقول
أعمى أصم من الأزمان ملتبس ...
وفيه للنفس تصويب [بتصعيد] ... وأنشأ الرابع يقول
فاطلب لنفسك منجاة ومدخلا ...
لا بد منه ولو في قعر ملحود ...
٢٤ – **وقال بعض الحكماء** الزمان لا عيب له ولا ذم لأن الله تعالى يصرف أقداره فيه
٢٥ – وأنشد
نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا ... وقد نهجو الزمان بغير جرم
ولو نطق الزمان به هجانا ... ديانتنا التخادع والترائي
فنحن له نخادع من يرانا
٢٦ – وأنشد أيضا

---

(١) البخلاء للخطيب البغدادي ص/٢٢٣
(٢) الديباج للختلي ص/٩٥

أرى حللا تصان على رجال

وأعراضا تذل فلا تصان ... يقولون الزمان به فساد

وهم فسدوا وما فسد الزمان". (١)

٧-"الحب، ثم المعرفة، ثم قال: بالتوبة تطهروا من الذنوب، وبالخوف جازوا قناطر النار، وبالزهد تخففوا من الدنيا وتركوها، وبالشوق استوجبوا المزيد، وبالرضا استعجلوا الراحة، وبالحب عقلوا النعيم، وبالمعرفة وصلوا إلى الأمل "

وصية أحد الحكماء لما ينبغي للعاقل

٧٦ - أخبرنا علي، وعبد الملك ابنا محمد بن عبد الله القندي، قالا: أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الكندي، بمكة، حدثنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال: **قال بعض الحكماء**: " ينبغي للعاقل أن ينظر كل يوم إلى وجهه في المرآة، فإن كان حسنا لم يشنه فعل قبيح، وإن كان قبيحا لم يجمع بين قبحين "

قول ذي النون في علامة المحبين لله تعالى

٧٧ - أخبرني سلامة بن عمر الكاتب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا العباس بن يوسف الشكلي، قال: حدثنا سعيد بن عثمان، قال: سمعت ذا النون، يقول: " من علامة المحب لله تركه كل ما يشغله عن الله، حتى يكون الشغل بالله وحده "". (٢)

٨-"بلعنبر قد لهج بالبكاء، فكان لا تكاد تراه إلا باكيا، قال: فعاتبه رجل من إخوانه يوما، فقال: مم تبكي رحمك الله هذا البكاء الطويل؟ قال: فبكى، ثم قال:

" بكيت على الذنوب لعظم جرمي ... وحق لكل من يعصي البكاء

فلو كان البكاء يرد همي ... لأسعرت الدموع معا دماء "

ثم بكى حتى غشي عليه فقام عنه الرجل وتركه

قول أحد الحكماء في عقوبة من عصى الله تعالى

---

(١) الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت ص/٤١

(٢) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي ص/١٠٥

٩٨ – وأخبرنا أبو سعيد، حدثنا محمد، حدثنا عبد الله، حدثنا إبراهيم بن عمرو، قال: **قال بعض الحكماء**: " من قضى من الأيام شهوته، وباع طاعة الله بمعصيته، فارض نقمة الله بلاغا في عقوبته "

قول الفضيل في صفة الذي يسأل الله عز وجل

٩٩ – وأخبرنا أبو سعيد، حدثنا محمد، حدثنا عبد الله، حدثنا". (١)

٩-"ومن الفتوة التواضع وترك التكبر مع الإخوان. سمعت علي بن محمد القزويني يقول: سمعت أبا الحسين المالكي يقول: **قال بعض الحكماء**: ليس عقوبات التكبر أن يستصغر الناس قدر صاحبه ويستثقلوا أمره.

ومن الفتوة إتمام الصنيعة إذا ابتدأت به. أنشدني سعيد المعداني لأبي الحسن بن أبي الفضل:

بدأت بفضل صار فرضا تمامه ... وأنت لمفروض العوائد عائد

فاخطر ببال منك أمري فإنه ... سيبقي لك الشكر الأيادي الخوالد

تلطف بما فيه صلاحي واتخذ ... يدا فإن الأيادي في الرقاب القلائد

ومن الفتوة أن لا يزدري بأحد من الخلق. سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد الرازي يقول: سمعت أخي، أبا عبد الله يقول: قام بنان الحمال إلى مخنث، فأمره بالمعروف. فقال له المخنث: ارجع، كفاك ما بك وما بي، ويلك. قال: إنك خرجت من بيتك، وعندك أنك خير مني، يكفيك هذا.

ومن الفتوة تصديق الصادقين في الإخبار عن أنفسهم ومشايخهم. وترك الإنكار عليهم. سمعت أبا القاسم المقرئ يقول: أوائل بركة الدخول في التصوف، تصديق الصادقين في الإخبار عن أنفسهم، ومشايخهم بنعم الله عليهم، وإظهار كراماته عليهم.

ومن الفتوة مقابلة جفوة الإخوان بالإحسان والعتب بالاعتذار. سمعت عبيد الله بن عثمان بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير بن مسروق". (٢)

١٠-"أنشدني أبو علي الجعفري البصري، قال: أنشدني إسماعيل بن عباد لنفسه:

وقائلة لم علتك الهموم ... وأمرك ممتثل في الأمم

فقلت: ذريني في غصتي ... فإن الهموم بقدر الهمم

سمعت أبا أحمد الحيري يقول: سمعت أبا علي الثقفي يقول: كن شريف الهمة، فإن الهم كحملة الأشياء لا النفوس، وأنشد:

حملتم القلب ما لا يحمل البدن ... والقلب يحمل ما لا يحمل البدن

---

(١) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي ص/١٢١

(٢) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي ص/٥٥

ومن الفتوة أن يحفظ العبد على نفسه هذه ستة الأشياء، ولا يخل بواحدة منها: الأمانة، والصيانة، والصدق، والصبر، والأخ الصالح، وإصلاح السريرة. فمن ضيع واحدة منها، فقد خرج عن حدود اليقين.

قال بعض الحكماء: من وجدت منه هذه ستة الأشياء، فاحكم له بالفتوة التامة، وهو أن يكون شاكرا بقليل النعمة، صابرا على كثير الشدة، يداري الجاهل بحلمه، ويؤدب البخيل بسخاوته، ولا يزيد فيما يعمله لمحمدة الناس، ولا ينقص مما كان يعمل من قبل مذمتهم. وقال يحيى بن معاذ رحمة الله: الفتوة الصفاء، ثم السخاء، ثم الوفاء، ثم الحياء.

وقال أبو الحسين بن سمعون رحمه الله: الفتوة أن لا تعمل عملا في السر تستحي منه في العلانية. وقال أبو الحسين المالكي رحمه الله: الفتوة كرم الأخلاق،". (١)

١١-"والأحوال إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم، قال في الدنيا: ((أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك)) . وقال: ((أعوذ بك منك)) . وأما حين كان في الحضرة فأخبر الله تعالى عنه: فحلاه ربه عز وجل إذ ذاك بأحسن حلية، وهو قوله مثنيا عليه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ .

ومن الفتوة أن يرى العبد الخير كله في إخوانه. ويبرئ نفسه منه لما يعلم من شرها. سمعت جدي رحمه الله يقول: سمعت أبا عبد الله السجزي يقول: لك فضل ما لم تر فضلك، وإذا رأيت فضلك فلا فضل لك. سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت أبا علي الأنصاري يقول: سمعت الشاه بن شجاع الكرماني رحمه الله يقول: لأهل الفضل فضل ما لم يروه، فإذا رأوه فلا فضل لهم. ولأهل الولاية ولاية. ما لم يروها، فإذا رأوها فلا ولاية لهم. وقال الشاه لأبي حفص رحمهما الله: ما الفتوة؟ قال: استعمال الأخلاق.

ومن الفتوة أن يخلص لإخوانه ظاهرا وباطنا ومغيبا ومشهدا. سمعت الحاكم أبا أحمد الحافظ يقول: **قال بعض الحكماء**: إن من مواجب الإخوة على الفتيان، مودة الأخ لأخيه بقلبه خالصا، وتزينه بلسانه، ورفده بماله، وتقويمه بأدبه، وحسن الذب عنه في غيبته.". (٢)

١٢-"١٦- حدثنا أبو بكر، ثنا أبو عثمان، ثنا أبو عمر الجرمي، عن الخليل، قال: **قال بعض الحكماء**: ما شيء احسن من عقل زانه علم، ومن علم زانه حلم، ومن حلم زانه صدق، ومن صدق زانه عمل، ومن عمل زانه رفق، ومن رفق زانه تقوى.

-[٢٧]-

قال: وأنشدني:

وأفضل قسم الله للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه

---

(١) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي ص/٧٠

(٢) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي ص/٧٤

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه وضرائبه". [1]

١٣-"٤٢- نبأني إسحاق بن إبراهيم قال: **قال بعض الحكماء**: من أيس من الله عز وجل لجأ إلى نفسه، ومن أيس من نفسه لجأ إلى الله تعالى، ومن لجأ إلى الله تعالى تم عزه وغناه.". [2]

١٤-"٢٠٢- قال إبراهيم: **قال بعض الحكماء**: أشكر لمن أنعم عليك، وأحسن لمن سترك، فإنه لا زوال للنعمة إذا شكرت ولا قوام لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.". [3]

١٥-"١٦٣ - (٣١) حدثنا محمد: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن عبد الله، عن شيخ من قريش، قال: **قال بعض الحكماء**: من كان الليل والنهار مطيتاه سارا به وإن لم يسر.

١٦٤ - (٣٢) حدثنا محمد، قال: قال ابن أبي الدنيا: وأنشدني محمود بن الحسن:

(يا أيها الشيخ المعلل نفسه ... والشيب شامل)

(اعلم بأنك نائم ... فوق الفراش وأنت راحل)

(والليل يطوي لا يفتر ... والنهار بك المنازل)

(يتعاقبان بك الردى ... لا يغفلان وأنت غافل)

(مجلس الخلدي)

حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ...". [4]

١٦-"وقال معاوية لرجل عتب عليه: كفانا في الشهادة عليك في حماقتك وسخافة عقلك، ما نراه من طول لحيتك. وقال عبد الملك بن مروان: من طالت لحيته فهو كوسج في عقله. وقال غيره: من قصرت قامته، وصغرت هامته، وطالت لحيته، فحقيقا على المسلمين أن يعزوه في عقله. وقال أصحاب الفراسة: إذا كان الرجل طويل القامة واللحية فاحكم عليه بالحمق، وإذا انضاف إلى ذلك أن يكون رأسه صغيرا فلا تشك فيه.

وقال بعض الحكماء: موضع العقل الدماغ، وطريق الروح الأنف، وموضع الرعونة طويل اللحية. وعن سعد بن منصور أنه قال: قلت لابن إدريس: أرأيت سلام بن أبي حفصة؟ قال: نعم، رأيته طويل اللحية وكان أحمق.

---

(١) الفوائد والأخبار لابن دريد ص/٢٦

(٢) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي ص/٢٨

(٣) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي ص/٨٤

(٤) مجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري ص/١٩٢

وعن ابن سيرين أنه قال: إذا رأيت الرجل طويل اللحية لم، فاعلم ذلك في عقله. قال زياد ابن أبيه: ما زادت لحية رجل على قبضته، إلا كان ما زاد فيها نقصا من عقله.

قال بعض الشعراء: متقارب:

إذا عرضت للفتى لحية ... وطالت فصارت إلى سرته". (١)

١٧-"حياك الله وبارك عليك، ثم سكت عنه، فلما أنس أقبل عليه الوليد فقال: يا خال هل جمعت القرآن؟ قال: لا، كانت شغلتنا عنه شواغل، قال: أحفظت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأحاديثه شيئا؟ قال: لا، كانت شغلتنا عن ذلك شواغل. قال: فأحاديث العرب وأشعارها؟ قال: لا، قال: فأحاديث أهل الحجاز ومضاحيكها؟ قال: لا، قال: فأحاديث العجم وآدابها؟ قال: ذاك شيء ما طلبته، فرفع الوليد المنديل وقال: شاهك، فقال عبد الله بن معاوية: سبحان الله، قال: لا، والله ما معنا في البيت أحد، فلما رأى ذلك الرجل خرج، وأقبلوا على لعبهم.

يفرح الأحمق بالمدح الكاذب

ومن خصال الأحمق فرحه بالكذب من مدحه، وتأثره بتعظيمه، وإن كان غير مستحق لذلك. عن الحسن أنه يقول: خفق النعال خلف الأحمق قلما يلبث. وقال زيد بن خالد: ليس أحد أحمق من غني قد أمن الفقر وفقير قد آيس من الغنى. وقال الأصمعي: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه بحديث لا أصل له، فإن رأيته أصغى إليه وقبله فاعلم أنه أحمق، وإن أنكره فهو عاقل.

بعض الحكماء يصف أخلاقه الحمق

وقال بعض الحكماء: من أخلاق الحمق، العجلة، والخفة، والجفاء، والغرور، والفجور، والسفه، والجهل والتواني، والخيانة، والظلم، والضياع، والتفريط، والغفلة، والسرور، والخيلاء، والفجر، والمكر، إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، وإن فرح أشر، وإن قال فحش، وإن سئل بخل، وإن سأل ألح، وإن". (٢)

١٨-"قال لم يحسن، وإن قيل له لم يفقه، وإن ضحك نهق، وإن بكى خار.

وقال بعض الحكماء: يعرف الأحمق بست خصال: الغضب من غير شيء، والإعطاء في غير حق، والكلام من غير منفعة، والثقة بكل أحد، وإفشاء السر، وأن لا يفرق بين عدوه وصديقه، ويتكلم ما يخطر على قلبه، ويتوهم أنه أعقل الناس.

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين ص/٣٢

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ص/٣٦

علامات الحمق

وقال أبو حاتم بن حيان الحافظ: علامة الحمق سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط في الضحك، وكثرة الإلتفات، والوقيعة في الأخيار، والإختلاط بالأشرار، والإحمق إن أعرضت عنه أعتم، وإن أقبلت عليه اغتر، وإن حلمت عنه جهل عليك، وإن جهلت عليه حلم عليك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإذا ظلمته أنصفت منه، ويظلمك إذا أنصفته، فمن ابتلى بصحبة الأحمق فليكثر من حمد الله على ما وهب له مما حرمه ذاك.

قال محمد الشامي: السريع:

لنا جليس تارك للأدب ... جليسه من قوله في تعب

يغضب جهلا عند حال الرضى ... ومنه يرضى عند حال الغضب". (١)

١٩-"**قال بعض الحكماء**: مؤنة العاقل على نفسه، ومؤنة الأحمق على الناس، ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة.

كيف يعامل الأحمق

قال حكيم آخر: ليس كل أحد يحسن يعامل الأحمق وأنا أحسن أعامله، قيل له كيف؟ قال: أبخسه حتى يطلب الحق بعينه، إذ متى أعطيته حقه طلب ما هو أكثر منه.

وأنشدوا المديد

إتق الأحمق أن تصحبه ... إنما الأحمق كالثوب الخلق

كلما رقعت منه جانبا ... خرقته الريح وهنا فانخرق

أو كصدع في زجاج فاحش ... هل ترى صدع زجاج يرتتق

كحمار السوق إن أقضمته ... رمح الناس وإن جاع نهق

أو غلام السوء إن أسغبته ... سرق الناس وإن يشبع فسق

وإذا عاتبته كي يرعوي ... أفسد المجلس منه بالخرق". (٢)

٢٠-"رأي الحكماء وغيرهم في المرأة

قال بعض الحكماء: لم تنه قط امرأة عن شيء إلا فعلته. للغنوي:

إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واقع لابد مفعول

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين ص/٣٧

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ص/٤٠

ولغيره:

لا تأمن الأنثى حبتك بودها ... إن النساء ودادهن مقسم

اليوم عندك دلها وحديثها ... وغدا لغيرك كفها والمعصم

رأي أعرابي في النساء

سئل أعرابي عن النساء، وكان ذا هم بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا ضحكت تبسمت، وإذا جودت؛ التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها؛ العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الولود، التي كل أمرها محمود.

الذنب يساوي الطلاق

طلق رجل امرأته، فقالت له: أبعد صحبة خمسين سنة قال: ما لك عندنا ذنب غيره؟.

رأي عبد الملك في الجواري

قال عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتخذ جارية للمتعة، فليتخذها بربرية ومن أراد للولد فليتخذها فارسية؛ ومن أرادها". (١)

٢١-"والشاعر قد فرغ من هذا المعنى وسيره في قريضه المشهور المتداول حيث يقول:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

على أن هذا الشاعر قد أثبت العيب وإن كان قد وصفه بكلول العين عنه، ودل على المساوي وإن كان السخط مبديها، وهذا لأن الهوى مقيم لابث والرأي مجتاز عارض، ولا بد للهوى من أن يعمل عمله، ويبلغ مبلغه، وله قرار لا يطمئن دونه، وحد هو أبدا يتعداه ويتجاوزه، وله غول تضل، وتمساح يبتلع، وثعبان - إذا نفخ - لا يبقي ولا يذر، والرأي عنده غريب خامل، وناصح مجهول.

وقال بعض الحكماء: فضل ما بين الرأي والهوى أن الهوى يخص والرأي يعم، والهوى في حيز العاجل، والرأي في حيز الآجل، والرأي يبقى على الدهر، والهوى سريع البيود كالزهر، والرأي". (٢)

٢٢-"وكنت هممت ببعض هذا منذ زمان، فكبح عناني عن ذلك بعض أشياخنا وقصر إرادتي دونه، وزعم أن الاختيار الحسن، والأدب المرضي ينهيان عنه، ولا يجوزان الخوض فيه؛ لأن الغيبة والقذع والعضيهة والتقيح والسب المؤلم

---

(١) أخبار النساء ص/١١

(٢) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين ص/١٧

والكلام القاشر، والمكاشفة بالملامة والشتيمة بلا مراقبة ليست من أخلاق أهل الحكمة، ولا من دأب ذوي الأخلاق الكريمة، وقد **قال بعض الحكماء**: لا تكونن الأرض أكتم منا للسر؛ ومن اعتاد الوقيعة في الأعراض، ومباداة الناس بالسفه، وثلبهم بكل ما جاش في الصدر، وتذرع به اللسان، فليس ممن يذكر بخير، أو يرجى له فلاح، أو يؤمن معه عيب؛ قال: وهل الحلم إلا في كظم الغيظ، وفي تجرع المضض، وفي الصبر على المرارة، وفي الإغضاء عن الهفوات؛ ومن لك بالمهذب الندب الذي لا يجد العيب إليه مختطى، والأول يقول:". [1]

٢٣-"بسم الله الرحمن الرحيم

قال الحسين بن علي: اللهم أنا نستوهبك التأمل، وما فيه من شفاء الجهل، ونستعيذ بك من التقليد وما فيه من إضاعة العقل، ونسألك ان تجعل لنا منك سلطانا، وتصل بين أفعالنا وبين رضوانك سببا، ولا يؤثر عنا قولنا إلا وله إلى أوامرك منزع ولطف، ولا ينفذ لنا عمل إلا وله في طاعتك نسب ولو ضعف، وأن تجعل بمفازة من الضلال والفساد، وعلى متن سبيل من الرشاد والصلاح، وأن تعيننا على مجاهدة العدو الخاص، ومكافحة القرن اللاصق، من نفس إلى السوء نزوع، ومن لسان بالقول طموح، ومن قول مجذوذ، فليس له فعل يصله، ومن نية غفل فليس لها موضع تظهر فيه، ومن التجاهل بفضيلة الصمت، والاحتجاج للغو المنطق بغريزة الطبع.

وقد عجب المتأملون من عقل لا يمضي سلطانه على نفسه، وهو يريغ نفاذ أمر من غيره، والإنسان يسفه القاصب له، ويثرب على المولع بسبه، ويزنه بالكذب، ويعزوه إلى قول ما لم يعلم وإلى المؤاخذة على الظنن، وإلى إرسال اليد واللسان قبل اليقين والثلج، ولا يحس أن الداء الذي أضرع خصمه للملامة، والحج عدوه في التغليظ والمذمة هو وهي سلطان العقل، وانتقاص الجلد عن صرف اللسان وقد اشرب للقول، وعن حبسه قد تهيأ للبث، وأنه هو قد كان يجب أن يكون من ذلك على أبعد البعد وفي المعرفة بعيبه على أبصر الرأي وأوضح الأمر، لا أن يتعقبه بمثله، ويصل إمداده من فعله، ويستمله من فاعله المذموم عنده، ويصير صدى فيه لخصمه المشنإ إليه، ويروون عن عبد الله بن العباس انه قال: من لم يملك نفسه فليس بأهل أن يملك غيره. **وقال بعض الحكماء**: العاجز من عجز عن سياسة نفسه. وقال الشاعر:

أبدأ بنفسك فأنهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم". [2]

٢٤-"رقيت المنبر تكلمت بكلام نزر، فقال: إني لأستحيي من ربي عز وجل إن آمرهم بما لا أفعل فلا جرم أن هذا القول من عبد العزيز صيره إلى أن يقول فيه المادح وهو نصيب مولاهم:

يقول فيحسن القول أبن ليلى ... ويفعل فوق أحسن ما يقول

فتى لا يرزأ الخلان إلا ... مودتهم، ويرزؤه الخليل

---

(١) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين ص/٣٨

(٢) أدب الخواص ص/٦١

وقال بعض الحكماء: من أطلق أمله فلا قنوع له، ومن أطلق لسانه أهدر دمه. وقال آخر منهم. من ضاق قلبه أتسع لسانه، وسب رجل عابدا فقال العابد: لولا أن الله يسمعك لأجبتك. وهذا قول حسن. وقال المجشر بن النعام أحد بني كعب بن مالك بن غياث بن تغلب:

أليس هبلتما ثلبا وزورا ... يعد عليكما لو تعقلان؟!

من الرفث الذي لا خير فيه ... يحش بكل آنسة حصان

وقال شداد بن أوس بن ثابت وهو ابن أخي حسان بن ثابت الشاعر: ما تكلمت بكلمة منذ كذا وكذا حتى أخطمها وأزمها.

وفي ارتهان القائل بقوله، ومحاذرته لعقبى الطغيان منطقه قال الشاعر العنقسي وأحسن:

ألم تر كعبا كعب غورين قد قلا ... معالي هذا الدهر غير ثمان

فمنهن تقوى الله بالغيب إنها ... رهينة ما تجني يدي ولساني

هذا البيت الذي يليق باستشهادنا:

ومنهن جري جحفلا لجب الوغا ... إلى جحفل يوما فيلتقيان

ومنهن تجريد الأوانس كالدمى ... للذاتها من كاعب وعوان". (١)

٢٥-"أنه يكتب. ألا ترى إلى حكاية الله عز وجل لقول الكفار: " اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا "، ما كذبهم عز وجل وجعل من أفضل صفاته عليه الصلاة والسلام قوله: " النبي الأمي "، فقال: " فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ". وقال: " الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ".

وليس هذا الكتاب والفوائد فيه معمولا لتابع دون متبوع، ولا خامل دون نبيه، ولا محروم دون محظوظ. ولا ينبغي لمن رفعته حال، وساعده جد، وهو يؤنس من نفسه تقصيرا في الأدب، وتخلقا عن صناعة الكتابة، أن يغتر بحظه، وإقبال الأيام عليه في وقت، فإنها دول منقلبة وأحوال متصرفة، وليتلاف ما ضيع، ويستدرك ما فرط، ولا يتكل على كفاءته، مشتغلا بلذته، ومريحا قلبه وجسمه، مستعيرا في كل وقت عليهم، ومتكلا على كفاءتهم، ينام ويسهرهم، ويفرغ ويشغلهم.

فإن هذا الفعل إنما يحسن بالرؤساء إذا أشرفوا على العلم، واستفلوا بالصناعة، وعرفوا ما يحتاجون إليه من أمر الكتبة وحفظوه. فعند ذلك تشرف عندهم أنفسهم، ويحسن بمن عندهم استقامتهم، حتى تحملوا عنه ما هو أعلم به منهم، ولا يكونوا أسراء في أيديهم، ولا مضطرين إلى ما عندهم. وقد قال بعض الحكماء: "كل شيء يمكن أن يستعار إلا اللسان " وقال: من خدم السلطان بلا علم واستقلال، وتجربة وكمال، كان بمنزلة راكب". (٢)

---

(١) أدب الخواص ص/٦٥

(٢) أدب الكتاب للصولي ص/٢٥

٢٦-"الكهان، ونادم القردة، وفعل وفعل.

" قال أبو القاسم ": قال بعض الحكماء: الدول محكمة على الناس والتأهب لها مطية الأكياس، فلا عدة لحلولها أفضل من اكتساب مودة أهل الوفاء والحفاظ " وقليل ما هم " فإذا ظفرت بمن يتخيل ذلك فيه فاجعله بين خلبك وقلبك.

" وقال بعض حكماء العجم ": مفاوضة أولي الألباب والآداب نزهة الأبصار، ومستراح القلوب، ومجتني الصواب، وفيها بعد ذلك زيادة لقدر الشريف، وتنبيه لحال الخامل. أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه:

أعن الشمس عشاء ... كشفت تلك السجوف

أم عن البدري تسري ... موهنا ذاك النصيف

أم على ليتي غزال ... علقت تلك الشنوف

أم أراك الحين ما لم ... يره القوم الوقوف". (١)

٢٧-"يوما بأطيب منها نشر رائحة ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

قال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل في وصف الرياض ولا في وصف جمال النساء وطيب نشرهن أبلغ من هذا الشعر ولا أحسن.

أخبرنا: علي بن سليمان قال أنبأنا محمد بن يزيد قال قال المدائني روي عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أنه قال: يجب على العاقل أن يكون عارفا بزمانه، مالكا للسانه، مقبلا على شأنه. وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، من قعد به أدبه لم يرفعه حسبه. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الحسب التقوى وقال بعض الحكماء: بالعلم يعرف قدر النعمة وبالمعرفة بها يبلغ كنه شكرها، والشكر عليها يستحق به المزيد منها. وقال آخرون مخالطة الأشرار دليل على شرارة من خالطهم، والكفر". (٢)

٢٨-"ومن أحسن ما شبه به العود ما أنشدناه بعض أصحابنا:

كأن تمثاله ساق إلى قدم نيطت ... إلى فخذ بانت عن الكفل

آذانه منه قد جمعن أربعة ... تجيب أربعة في كف معتمل

فذا أغن وهذا فيه زمزمة ... وذاك صاف وهذا فيه كالصحل

وللحمدوني:

وناطق بلسان لا ضمير له ... كأنه فخذ نيطت إلى قدم

يبدي ضمير سواه في الحديث كما ... يبدي ضمير سواه الخط بالقلم

---

(١) أمالي الزجاجي ص/٧٠

(٢) أمالي الزجاجي ص/١٣٦

ومن أحسن ما قيل في وصف مغنيات قول ابن الرومي،

وأنشدناه الناجم عنه:

وقيان كأنها أمهات عاطفات ... على بنيها حواني مطفلات

وما حملن جنينا مرضعات ... ولست ذات لبان ملقمات

أطفالهن ثديا ناهدات ... كأحسن الرمان مفعمات

كأنها حافلات وهي ... صفر من درة الألبان

كل طفل يدعى بأسماء شتى ... بين عود ومزهر وكران

أمه دهرها تترجم عنه ... وهو بادي الغنى عن الترجمان

وصية بعض الحكماء لابنه

وحدثنا أبو بكر بن دريد، رحمه الله، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: **قال بعض الحكماء** لابنه: يا بني، اقبل وصيتي وعهدي، عن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار، كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الأنهار، وبعد قلوب الفجار من الائتلاف، كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على أرى واحد، كن يا بني بصالح الوزراء أغنى منك بكثرة عددهم، فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها، والحجر فادح حمله قليل غناؤه

حكمة من حكم الأحنف بن قيس

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي زيد، قال: حدثنا هشام بن حسان الفردوسي، عن الحسن، قال: الأحنف بن قيس: الكذوب لا حيلة له، والحسود لا راحة له، والبخيل". (١)

٢٩-"وقرأت عليه للنمر بن تولب:

ثم استمرت تريد الريح مصعدة ... نحو الجنوب فعزتها على الريح

قوله: تريد الريح: يعني الطريدة تستقبل الريح أبدا، وإنما تفعل ذلك لتبرد أجوافها باستقبال الريح.

وعزتها: غلبتها، يعني فرسه غلبت الطريدة، والدليل على ذلك قوله قبل هذا البيت:

لقد غدوت بصهبي وهي ملهبة ... إلهابها كضرام النار في الشيح

وصهبي: اسم فرسه، ثم قال: جاءت لتسنحني يسرا فقلت لها على يمينك إني غير مسنوح جاءت، يعني الطريدة.

لتسنحني، أي لتمضي على يساري، ثم قال: ثم استمرت، تريد الريح.

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: **قال بعض الحكماء**: إن مما سخا بنفس العاقل عن الدنيا

---

(١) أمالي القالي ٢٣١/١

علمه بأن الأرزاق فيها لم تقسم على قدر الأخطار

وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى، قال: حدثنا عمر بن شبة أبو زيد، قال: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، قال: قال عروة لبنيه: يا بني، لا يهدين أحدكم إلى ربه ما يستحي أن يهديه إلى حريمه، فإن الله أكرم الكرماء، وأحق من اختير له.

قال: وكان يقول: يا بني، تعلموا العلم، فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبراءهم، واسوءتا! ماذا أقبح من شيخ جاهل؟ وكان يقول: إذا رأيتم خلة رائعة من شر من رجل فاحذروه، وإن كان عند الناس رجل صدق، فإن لها عنده أخوات، وإذا رأيتم خلة رائعة من خير من رجل فلا تقطعوا إناتكم منه وإن كان عند الناس رجل سوء، فإن لها عنده أخوات.

وقال: الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم

وحدثنا أبو بكر، رحمه الله، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبى عبيدة، قال: وجد في حكمة فارس: إني وجدت الكرماء والعقلاء يبتغون إلى كل صلة ومعروف سببا، ورأيت المودة بين الصالحين سريعا اتصالها، بطيئا انقطاعها، ككوب الذهب سريع الإعادة إن أصابه ثلم أو كسر، ورأيت المودة بين الأشرار بطيئا اتصالها، سريعا انقطاعها، ككوب الفخار، إن أصابه ثلم أو كسر فلا إعادة له، ورأيت الكريم يحفظ الكريم على اللقاءة الواحدة ومعرفة اليوم، ورأيت اللئيم لا يحفظ إلا رغبة أو رهبة". (١)

٣٠-"ندمت وما تغني الندامة بعد ما ... خرجن ثلاث ما لهن رجوع

ثلاث يحرمن الحلال على الفتي ... ويصد عن شعب الدار وهو ربيع

حدثني عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، مع وفد عليه حدثني أبو بكر، رحمه الله، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعى، قال: بلغني أن وافدا وفد على عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، فقال له: كيف تركت الناس قال: تركت غنيمهم موفورا، وفقيرهم محبورا، وظالمهم مقهورا، ومظلومهم منصورا، فقال: الحمد لله، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي لكان يسيرا

كلام بعض الحكماء

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعى، قال: **قال بعض الحكماء**: من كانت فيه سبع خصال لم يعدم سبعا: من كان جوادا لم يعدم الشرف، ومن كان ذا وفاء لم يعدم المقة، ومن كان صدوقا لم يعدم القبول، ومن كان شكورا لم يعدم الزيادة، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد، ومن كان منصفا لم يعدم العافية، ومن كان متواضعا لم يعدم الكرامة

حديث قس بن ساعدة مع قيصر

---

(١) أمالي القالي ٢٤٠/١

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن العباس هشام، عن أبيه، قال: كان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره فقال له قيصر يوما: ما أفضل العقل؟ قال: معرفة المرء نفسه، قال: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قال: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه، قال: فما أفضل المال؟ قال: ما قضي به الحقوق

ملاحاة الوليد بن عقبة وعمرو بن سعيد بن العاص في مجلس معاوية رضي الله عنه

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، رحمه الله، عن العتبي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني رجل من أهل الشام، عن الأبرش الكلبي، أنه سمع الوليد بن عقبة، وعمرو سعيد بن العاص، يتلاحيان في مجلس معاوية، رحمه الله، فتكلم الوليد، فقال له عمرو: كذبت أو كذبت، فقال له الوليد: اسكت يا طليق اللسان منزوع". (١)

٣١-"يقال: فلان ذب الرياد إذا كان لا يستقر في موضع، ومنه قيل للثور الوحشي، ذب الرياد، قال ابن مقبل:

أتى دونها الرياد كأنه فتى ... فارسي في سراويل رامح

وحدثني أبو عمر، عن أبي عباس، أن ابن الأعرابي، أنشدهم.

فتى مثل ضوء الماء ليس بباخل ... بخير ولا مهد ملاما لباخل

ولا قائل عوراء تؤذي جليسه ... ولا رافع رأسا بعوراء قائل

هذا عندي من المقلوب، أراد بقائل عوراء:

ولا مظهر أحدوثة السوء معجبا ... باعلانها في المجلس المتقابل

وليس إذا الحرب المهمة شمرت ... عن الساق بالواني ولا المتضائل

ترى أهله في نعمة وهو شاحب ... طوى البطن مخماص الضحى والأصائل

وحدثنا أبو بكر بن دريد، رحمه الله، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعى، قال: **قال بعض الحكماء**: لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ظهير كالمشاورة، ولا ميراث كالأدب

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعى، قال: قال جعفر بن سليمان: ما سمعت بأشعر من الذي يقول:

إذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحب ميعاد السلو المقابر

فقال له رجل: أشعر منه الذي يقول:

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ود يوم تبلى السرائر

وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: سمعت أعرابيا يقول: اللهم إني أعوذ بك أن أقول زورا، أو أغشى فجورا، أو أكون بك مغرورا.

---

(١) أمالي القالي ٣٧/٢

قال: وسمعت عمي يقول: كان يقال: الخط يعرب عن اللفظ.

قال وسمعته يقول: البلاغة أن تظهر المعنى صحيحا، واللفظ فصيحا

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، قال: بلغني أنه قيل لمعن بن زائدة: ما أحسن ما مدحت به؟ قال: قول سلم الخاسر:". (١)

٣٢-"فقر من كلام الحكماء

قال: وحدثنا أبو بكر، رحمه الله، قال: حدثنا أبو حاتم، عن العتبي، قال: قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: ما أقرن شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم، ومن عفو إلى مقدرة

قال وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، عن العتبى، قال: بلغني أن لقمان الحكيم كان يقول: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن: الحليم عند الغضب، والشجاع عند الحرب، وأخوك عند حاجتك إليه

قال: وحدثنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: **قال بعض الحكماء**: أحزم الملوك من ملك جده هزله، ورأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخدعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده

قال وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا العكلي، عن أبي خالد، عن الهيثم، قال: قدم حكيم من حكماء أهل فارس على المهلب، فقال: أصلح الله الأمير، ما أشخصتني الحاجة، وما قنعت بالمقام، ولا أرضى منك بالنصف إذ قمت هذا المقام، قال: ولم ذلك؟ قال: لأن الناس ثلاثة: غني وفقير ومستزيد، فالغني من أعطي ما يستحقه، والفقير من منع حقه، والمستزيد الذي يطلب الفضل بعد الغنى، وإني نظرت في أمرك فرأيت أنك قد أديت إلى حقي فتاقت نفسي إلى استزادتك، فإن منعتني فقد أنصفتني، وإن زدتني زادت نعمتك على، فأعجب المهلب كلامه وقضى حوائجه

سؤال بعض خلفاء بني أمية عن أشعر الناس

قال وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثني عمارة بن عقيل، قال: حدثني أبي يعني عقيل بن بلال، قال: سمعت أبي يعني بلال بن جرير، يقول: سمعت جريرا يقول: دخلت على بعض خلفاء بن أمية، فقال: ألا تحدثني عن الشعراء؟ فقلت: بلى، قال: فمن أشعر الناس؟ قلت: ابن العشرين، يعني طرفة، قال: فما تقول في ابن أبي سلمى والنابغة؟ قلت: كانا ينيران الشعر ويسديانه، قال: فما تقول في أمرئ القيس بن حجر؟ قلت: اتخذ الخبيث الشعر نعلين يطؤهما كيف شاء، قال: فما تقول في ذي الرمة؟ قلت: قدر من الشعر على ما لم يقدر عليه أحد، قال: فما تقول في الأخطل؟ قلت: ما باح بما في صدره من الشعر حتى مات، قال: فما تقول في الفرزدق؟". (٢)

---

(١) أمالي القالي ١٦٤/٢

(٢) أمالي القالي ١٧٩/٢

٣٣-"جعلها لا تفي بوعدها كالشمال لا تأتي بالغيث. قال زهير شعرا:

جرت سحا فقلت لها أجيزي ... نوى مشمولة فمتى اللقاء

وقال بعضهم: أراد جرت الطير بها من ناحية الشمال، ولذلك قيل: اليمن والشؤم، فاليمن من اليمن، والشؤم من اليد الشؤمى، قال: وقد يتشاءمون بها من جهة البرد، قيل لبعضهم: ما أشد البرد؟ فقال: ريح جربياء في أثر عماء، في غب سماء. والجربياء:

الشمال والعماء: السحاب يريد شمالا هبت بعد مطر، وقيل لآخر: أي الأيام أقر فقال:

الأحص الورد، والأزب الهلوف.

قال أبو عمرو: الأحص الورد: يوم تطلع شمسه، وتصفو شماله، ويحمر فيه الأفق، ولا يجد لشمسه مسا. والأحص: التي لا سحاب فيه كالرأس، والأحص: الذي لا شعر عليه، قال والهلوف: يوم تهب فيه النكباء تسوق الجهام والصراد لا تطلع شمسه، والأزب:

من الإبل الكثير الوبر.

يقال: لحية هلوفية إذا كانت كثيرة الشعر، واليوم إذا كان بهذه الصفة كان ذا زمهرير، وكانوا يقولون مع هذا: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإذا ذخرت الأودية بالماء كثرت الثمر، والمؤتفكات: الرياح البوارح وهي شمال حارة في الصيف، وذات عجاج، سميت لتقلبها العجاج، مؤتفكات ولا أحسبهم أن لها عملا في ذلك، وإنما يريدون أن عضوفها، إذا اشتد وكثر كان ذلك إمارة الزكاء، ويجوز أن يكونوا أرادوا بالمؤتفكات الرياح كلها إذا اشتدت.

قال بعض الحكماء: الرياح على ثلاثة أضرب: منها ما هي من الملائكة وصفتها أن تكسح من الأعلى إلى الأسفل، وتهب صافية ثم تنقطع، ومنها ما هي حركة الجو، وصفتها دوام هبوبها صافية، وكدرة سفلا وعلوا.

وروى طاوس في خبر يرفعه: لا تسبوا الرياح ولا المطر ولا الرعد ولا البرق، بعثن رحمة للمؤمنين وعذابا على الكافرين. وفي حديث آخر: لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن. وفي آخر: ما هلك قوم ولا عاش آخرون إلا بهبوب الرياح ودرور السحاب.

وذكر بعضهم أن الروم تسمي الأمطار والرياح نقالات الدول. وعن سفيان الثوري:

الدعاء عند هبوب الرياح وتحت المطر لا يرد.

وقال بعضهم: النسيم الطيب صديق الروح، قال: والرخاء: ريح سليمان وكانت تحمل عرشه، وقيل: النسيم بدو كل ريح، يقال: نسمت الريح.

ويروى عن عبد الله بن عباس أنه قال: الرياح في كتاب الله ثمان: أربع منها رحمة:". (١)

---

(١) الأزمنة والأمكنة ص/٥٢٦

٣٤-"في إيراده، هزيمته قبل هجومه. وإحجامه أظهر من إقدامه. وقال الصابي: هو مجتهد غير موفق، وفاضل غير منطق ولو خطا كان أسرع له، كما أنه لما عدا كان أبطأ عليه، وطباع الجبلي مخالف لطباع العراقي، يثب مقاربا فيقع بعيدا، ويتطاول صاعدا فيتقاعس قعيدا.

وقال علي بن جعفر: مم كانت الطبائع! هو يكذب نفسه بحسن الظن في البلاغة، وطباعه تصدق عنه بالتخلف، فهو يشين اللفظ ويحيل المعنى، فأما شينه اللفظ فبالجفوة والغلظة والإخلال والفجاجة، وأما إحالته فبالإبعاد عن حومة القصد والإرادة، والعجب أنه يحفظ الطم والرم «١» من النثر والنظم، ثم إذا ادعاهما يقع دونهما سقوطا، أو يتجاوزهما فروطا، هذا مع الكبر الممقوت والتشيع الظاهر، والدعوى العارية من البينة العادلة.

وأما أحسن ما كتب به أحمد بن إسماعيل بن الخطيب إلى آخر: الكبر- أعزك الله- معرض يستوي فيه النبيه ذكرا، والخامل قدرا، ليس أمامه حاجب يمنعه، ولا دونه حاجز يحظره، والناس أشد تحفظا على الرئيس المحظوظ، وأكثر اجتلاء لأفعاله، وتتبعا لمعايبه، وتصفحا لأخلاقه، وتنقيرا عن خصاله منهم عن خامل لا يعبأ به، وساقط لا يكترث له، فيسير عيب الجليل يقدح فيه، وصغير الذنب يكبر منه، وقليل الذم يسرع إليه، ولابن هند وفي هذا المعنى:

العيب في الرجل المذكور مذكور ... والعيب في الخامل المستور مستور

كفوفة الظفر تخفى من مهانتها ... ومثلها في سواد العين مشهور

وقال الزهيري: قد نجم بأصبهان ابن لعباد في غاية الرقاعة والوقاحة والخلاعة وإن كان له يوم، فسيشقى به قوم. سمعته يقول هذا سنة اثنتين وخمسين في مجلس من الفقهاء.

وقال ابن حبيب: **قال بعض الحكماء**: إن للنفس أمراضا كأمراض البدن إلا أن فضل أمراض النفس على أمراض البدن في الشر والضرر كفضل النفس على البدن في الخير، وصاحبنا- يعني ابن عباد- مريض عندنا، صحيح عند نفسه، زيف بنقدنا، جيد بنقده، ولو قامت السوق على ساقها، وتناصف المتعاملون فيها، ولم يقع إكراه في أخذ ولا إعطاء، عرف البهرج «٢» الذي ضرب خارج الدار والجيد الذي ضرب داخل الدار.

وقال أحمد بن محمد: إذا أنصفنا التزمنا مزية العراقيين علينا بالطبع اللطيف والمأخذ القريب، والسجع الملائم، واللفظ المونق، والتأليف الحلو، والسبوطة". (١)

٣٥-"الليلة التاسعة

وعدت ليلة أخرى فقال: فاتحة الحديث معك، فهات ما عندك.

فكان من الجواب: أن أخلاق أصناف الحيوان الكثيرة مؤتلفة في نوع الإنسان، وذلك أن الإنسان صفو الجنس الذي هو الحيوان، والحيوان كدر النوع الذي هو الإنسان والإنسان صفو الشخص الذي هو واحد من النوع، وما كان صفوا ومصاصا «١» بهذا النظر انتظم فيه من كل ضرب من الحيوان خلق وخلقان وأكثر، وظهر ذلك عليه وبطن أيضا بالأقل والأكثر

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/٦٥

والأغلب والأضعف، كالكمون الذي في طباع السبع والفأرة، والثبات الذي في طباع الذئب، والتحرز الذي في طباع الجاموس من بنات الليل، والحذر الذي في طباع الخنزير، والتقدم الذي في طباع الفيل أمام قطيعه تمثلا بصاحب المقدمة. وكذلك ضد ذلك في الخنزير تمثلا بصاحب الساقة، وكالحراسة التي في طباع الكلب، وكاوب الطير إلى أوكارها التي تراها كالمعاقل وغيرها بالدغل والأشب والغياض.

ولهذا **قال بعض الحكماء**: خذ من الخنزير بكوره في الحوائج، ومن الكلب نصحه لأهله، ومن الهرة لطف نفسها عند المسألة.

وقالت الترك: ينبغي للقائد العظيم أن يكون فيه عشر خصال من ضروب الحيوان: سخاء الديك، وتحنن الدجاجة، ونجدة الأسد، وحملة الخنزير وروغان الثعلب، وصبر الكلب، وحراسة الكركي، وحذر الغراب، وغارة الذئب، وسمن بعروا، وهي دابة بخراسان تسمن على التعب والشقاء.

ولما وهب الإنسان الفطرة، وأعين بالفكرة، ورفد بالعقل، جمع هذه الخصال وما هو أكثر منها لنفسه وفي نفسه، وبسبب هذه المزية الظاهرة فضل جميع الحيوان حتى صار يبلغ منها مراده بالتسخير والإعمال واستخراج المنافع منها وإدراك الحاجات بها، وهذه المزية التي له مستفادة بالعقل، لأن العقل ينبوع العلم، والطبيعة ينبوع الصناعات، والفكر بينهما مستمل منهما ومؤد بعضها إلى بعض بالفيض الإمكاني". (١)

٣٦-"حال أبناء الدنيا الذين يشهرون في طلبها السيوف الحداد، ويطيلون إلى نيلها السواعد الشداد فهم بالكيد والحيلة يسعون في طلب اللذة وفي طلب الراحة.

وصنف عقولهم مضيئة بما فاء عليها من عند الله تعالى باللطف الخفي، والاصطفاء السني، والاجتباء الزكي، فهم يحلمون بالدنيا ويستيقظون بالآخرة، فتراهم حضورا وهم غيب، وأشياعا وهم متباينون.

وكل صنف من هؤلاء مراتبهم مختلفة، وإن كان الوصف قد جمعهم باللفظ.

وهذا كما تقول: «الملوك ساسة، ولكل واحد منهم خاصة» ، وكما يقولون:

«هؤلاء شعراء ولكل واحد منهم بحر» ، «وهؤلاء بلغاء ولكل واحد منهم أسلوب» وكما تقول: «علماء ولكل واحد منهم مذهب» .

وعلى هذا أبو سليمان- حفظه الله- إذا أخذ في هذا الطريق أطرب، لسعة صدره بالحكمة، وفيض صوبه من المعرفة، وصحة طبيعته بالفطرة.

وقال: إنا بعد هذا المجلس تركنا صنفا لم نرسمه بالذكر، ولم نعرض له بالاستيفاء، وهم الهمج الرعاع الذين إن قلت: «لا عقول لهم» كنت صادقا، وإن قلت: «لهم أشياء شبيهة بالعقول» كنت صادقا، إلا أنهم في العدد، من جهة النسبة العنصرية والجبلة الطينية والفطرة الإنسية، وفي كونهم في هذه الدار عمارة لها ومصالح لأهلها، ولذلك **قال بعض الحكماء**:

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/١٠٩

«لا تسبوا الغوغاء فإنهم يخرجون الغريق ويطفئون الحريق ويؤنسون الطريق ويشهدون السوق» .

فضحك- أضحك الله ثغره، وأطال عمره، وأصلح شأنه وأمره- فقال: قد جرى في حديث النفس أكثر مما كان في النفس، وفيه بلاغ إلى وقت، وأظن الليل قد تمطى بصلبه، وناء بكلكله «١» . وانصرفت.". [١]

٣٧-"وعظ «١» رجل من (جهينة) (عمرو بن العاص) في قصة الحكومة، فقال عمرو له: ما أنت وذاك يا تيس جهينة؟ فو الله ما ينفعك الحق، ولا يضرك الباطل، فاسكت فإن الظلف لا يجري مع الخف.

وقال بعض الحكماء: إن المدن تبنى على الماء والمرعى والمحتطب والحصانة.

وقال الشاعر:

لاح سهيل في الظلام الدامس ... كأنه نار بكف القابس

قال ربيعة بن عامر بن مالك في عمرو بن الإطنابة- حين دفع أخته وأخذ أخاه وكان أسيرا في قومه، وجعل دفع أخيه إليه صداق أخته، وهو الذي تسميه العرب المساهاة-: فقد حزمي الذي هديت له، وعزمي الذي أرشدت إليه. وقال الشاعر:

وساهى بها عمرو وراعى إفاله ... فزبد وتمر بعد ذاك كثير

وكانت دية العربي مائة وسق، ودية الهجين خمسين وسقا، ودية المولى عشرة أوسق، وكانت العرب تجعل دية المعم المخول مائة بعير، ودية المولى خمسة وعشرين بعيرا.

وقال جرير:

رأيت بني نبهان أذناب طيئ ... وللناس أذناب ترى وصدور

ترى شرط «٢» المعزى مهور نسائهم ... وفي شرط المعزى لهن مهور

وقال خالد بن جعفر بن كلاب:

بل كيف تكفرني (هوازن) بعد ما ... أعتقتهم فتوالدوا أحرارا

وقتلت ربهم زهيرا بعدما ... جدع الأنوف وأكثر الأوتارا

وجعلت مهر نسائهم ودياتهم ... عقل الملوك هجائنا وبكارا

وقال جندل بن صخر، وكان عبدا:

وما فك رقي ذات دل خدلج ... ولا ساق ما لي صدقة وعقول

ولكن نماني كل أبيض خضرم ... فأصبحت أدري اليوم كيف أقول

وقتل الكلبي عبد الله بن الجوشن الغطفاني بقتله ابنه الجراح بن عبد الله (روادا) وكانوا عرضوا عليه الدية، فقال:

شفيت برواد غليلا وجدته ... على القلب منه مستسر وظاهر

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/١٤٣

ألا ليت قبرا بين أدمي ومطرق ... يحدثه عني الأحاديث خابر". (١)

٣٨-"والخوض في هذا الطرف قديم، وفضله في الحق شاق، والتنازع فيه قائم، والظن يعمل عمله، واليقين غير مظفور به، ولا موصول إليه، والطبيعة قد أولعت الناس بادعاء الغرائب، وبعثتهم على نصرتها بالرفق والخرق، والتسهيل واللجاج، والمواتاة والمحك، ولله في طي هذا العالم العلوي أسرار وخفايا وغيوب ومكامن لا قوة لأحد من البشر بالحس ولا بالعقل أن يحوم حولها، أو يبلغ عمقها، أو يدرك كنهها، ومن تصرف عرف، ومن عرف سلم، والسلام.

وحكى لنا أبو سليمان أن أرسطوطاليس كتب إلى رجل لم يشفعه في رجل سأله الكلام له في حاجة: إن كنت أردت ولم تقدر فمعذور، وإن كنت قدرت ولم ترد فسوف يجيء وقت تريد ولا تقدر.

وقال بعض الحكماء: لا ترفهوا السفلة فيعتادوا الكسل والراحة، ولا تجرئوهم فيطلبوا السرف والشغب، ولا تأذنوا لأولادهم في تعلم الأدب فيكونوا لرداءة أصولهم أذهن «١» وأغوص، وعلى التعلم أصبر، ولا جرم فإنهم إذا سادوا في آخر الأمر خربوا بيوت العلية أهل الفضائل.

وقال فيلسوف: للنفس خمس قوى: الحس والوهم والذهن والاختبار والفكر.

فأما الحس فلحاق الأشياء بلا فحص، ولا يحتاج في ذلك اللحاق إلى شيء آخر، إلا أن يكون ممنوعا بمانع، وذلك إذا وجد شيئا أبيض حكم بأنه أبيض بلا فكر ولا قياس.

وأما الوهم، فإنه يقع على الأشياء بتوسط الحس.

وأما الاختبار فيوافق الفكر، كقولك: النفس لا تموت، فهذا قول اختباري بعد الفكر، فإن كان هذا هكذا فالاختبار ليس بقياس، ولكنه أفق القياس.

وأما الذهن فإنه لا يهجم على أوائل الأشياء.

وقال آخر شبيها بهذا الكلام، ولا بأس أن يكون مضموما إليه، ليكون شمل الفائدة أكثر نظاما وأقرب مراما.

قال: ليس للحواس والحركات فعل دون أن تبعثها القوة المميزة، فلذلك لا يحس السكران ولا النائم، وكذلك أيضا البهائم فإنها لا تصيح إلا بعد أن يعرض في فكرها شيء، ولا تتحرك إلا بانبعاث القوة المميزة.

ولكل واحد من الحيوان ثلاثة أرواح في ثلاثة أعضاء رئيسة: نفسية في الدماغ، وحيوانية في القلب، وطبيعية في الكبد.". (٢)

٣٩-"نظر الحجاج يوما على المائدة إلى رجل وجأ عنق رجل آخر، فدعا بهما، فقال للواجئ: علام صنعت؟ فقال: غص بعظم فخفت أن يقتله، فوجأت عنقه فألقاه، فسأل الآخر فقال: صدق، فدعا بالطباخ فقال له: أتدع العظام في طعامك حتى يغص بها؟ فقال: إن الطعام كثير، وربما وقع العظم في المرق فلا يزال. قال: تصب المرق على المناخل. فكان

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/١٧٧

(٢) الإمتاع والمؤانسة ص/١٨٥

يفعل.

قال سلمة بن المحبق: شهدت فتح الأبلة، فوقع في سهمي قدر نحاس، فنظرت فإذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال، فكتبت في ذلك إلى عمر، فأجاب بأن يحلف سلمة بأنه أخذها يوم أخذها وهي عنده، فإن حلف سلمت إليه، وإلا قسمت بين المسلمين، قال: فحلفت فسلمت إلي، فأصول أموالنا اليوم منها.

قال بعض الحكماء: لا يصبر على المروءة إلا ذو طبيعة كريمة.

.... «١» .

أصاب عبد الرحمن بن مدين- وكان رجل صدق بخراسان- مالا عظيما فجهز سبعين مملوكا بدوابهم وأسلحتهم إلى هشام بن عبد الملك، ثم أصبحوا معه يوم الرحيل، فلما استوى بهم الطريق نظر إليهم فقال: ما ينبغي لرجل أن يتقرب بهؤلاء إلى غير الله. ثم قال: اذهبوا أنتم أحرار، وما معكم لكم.

وقال أعرابي: من قبل صلتك فقد باعك مروءته، وأذل لقدرك عزه.

كتب زياد بن عبد الله الحارثي إلى المهدي:

أنا ناديت عفوك من قريب ... كما ناديت سخطك من بعيد

وإن عاقبتني فلسوء فعلي ... وما ظلمت عقوبة مستقيد

وإن تصفح فإحسان جديد ... عطفت به على شكر جديد

وقال رجل لمحمد بن نحرير: أوصني، فقال: اسمع ولا تتكلم، واعرف ولا تعرف، واجلس إلى غيرك ولا تجلسه إليك.

وقال رجل لابن أسيد القاضي: إن أمي تريد أن توصي فتحضر وتكتب، فقال:

وهل بلغت مبلغ النساء؟

ودخل صاحب المظالم بالبصرة على رجل مبرسم وعنده طبيب يداويه، فأقبل على الطبيب وأهل المريض، وقال: ليس دواء المبرسم إلا الموت حتى تقل حرارة صدره، ثم حينئذ يعالج بالأدوية الباردة حتى يستبل.". (١)

٤٠-"الحدث حدثان، وحدث من فيك وحدث من فرجك وقال بعض العلماء لقوم: أعيدوا الوضوء فأن بعض ما تذكرون شر من الحدث.

باب الرجل يعرف بالكذب حتى يرد صدقه لذلك.

الأصمعي أو غيره قال: من هذا المثل قولهم: إذا سمعت بسرى القين فإنه مصبح.

قال: وأصله أن اليقين بالبادية ينتقل في مياههم، ويقيم بالموضع أياما فيكسد عليه عمله، ثم يقول لأهل الماء: إني راحل عنكم الليلة، وإن لم يرد ذلك، ولكنه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله فكثر ذلك من قوله حتى صار لا يصدق. يضرب

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ص/٢٠٠

به للرجل يعرفه الناس بالكذب فلا يقبل قوله وإن كان صادقا: قال نشهل بن حري الدارمي:

وعهد الغانيات كعهد قين ... ونت عنه الجعال مستذاق

وقال أبو عبيد: ومنه المثل السائر في العامة: من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه.

قال: أبو عبيد ومما يحقق هذا المثل حكم الله تبارك وتعالى في الشهادة إنها مردودة من أهل الفسوق، ولعلهم قد شهدوا بحق. **وقال بعض الحكماء:**". [1]

٤١-"الأمير حمل على الأدهم والكميت والأشقر، قال: إنه حديد، قال: لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا.

باب حفظ اللسان في كتمان السر وترك النطق به.

قال أبو عبيدة: من أمثالهم في الإصغاء بكتمان السر قولهم: صدرك أوسع لسرك.

أي فلا تفشه إلى أحد. ومنه قول أكثم بن صيفي: لا تفش سرك إلى أمة ولا تبل على أكمة.

قال أبو عبيد: وهذا مثل قد ابتذله الناس. ومن تحصينهم للسر مقالة الرجل لأخيه في الأمر يسره إليه: اجعل هذا في وعاء غير سرب.

قال: وأصله في السقاء السائل، وهو السرب يقول: فلا تبد سري كإبداء السقاء ماءه سائل. وقد **قال بعض الحكماء**: السر أمانة.

وفي الحديث المرفوع " إذا حدث الرجل الرجل بحديث فالتفت فهو". [2]

٤٢-"جري المذكي حسرت عنه الحمر أي يسبق الفرس القارح الحمير.

وقال زهير بن أبي سلمى:

فضل الجياد على خيل البطاء ولا ... يعطيك ذلك ممنونا ولا نزقا

وقال أبجر بن جابر العجلي لابنه حجار: يا بني، لا تكن لك همة دون الغاية القصوى، **وقال بعض الحكماء**: لا ينبغي للعاقل أن يرضى لنفسه إلا بإحدى منزلتين، أما أن يكون في الغاية القصوى من مطالب الدنيا أو يكون في الغاية القصوى من الترك لها. وقال قيس بن زهير لحذيفة بن بدر.

جري المذكيات غلاب.

وقال بعض الحكماء: لا ينبغي للعاقل الله تعالى يرضى لنفسه بمنزله دون الأمد الأقصى في طلب دنيا. قال الأصمعي:

---

(١) الأمثال لابن سلام ص/٤٧

(٢) الأمثال لابن سلام ص/٥٧

ومن أمثالهم قولهم: ما زال منها بعلياء.

وكذلك " ما زال بعدها ينظر في خير ". يضرب للرجل يفعل فعله يبلغ بها الشرف والسناء.". [١]

٤٣-"ما حللت بطن تبالة لتحرم الأضياف.

قال: ومعناه انك أم تبتدئ في أول أمرك بالتفضيل والنيل وأنت تريد تركه. قال: وتبالة: بلاد باليمن مخصبة، فجعلها مثلا لنواله. قال أبو عبيد: ومن عادة الخير قول الأعشى:

عودت كندة عادة فاصبر لها ... اغفر لجاهلها ورو سجلياها

وقد جاءنا في بعض الحديث: الخير عادة، والشر لجاجة.

وقال بعض الحكماء: انتزاع العادة من الناس ذنب محسوب.

وكان أشياخنا من أهل المعرفة يعلم الناس يحدثون أن المسلمين لما انهزموا يوم اليمامة، قالت الأنصار: بئسما عودتم أقرانكم، يعنون الفرار، ثم كروا عليهم حتى أظهرهم الله، وقتل عدوهم، فهذا من عادة الخير.

ومن أمثالهم المشهورة قولهم: العود أحمد.

باب الرجل تكون شيمته الكرم غير أنه معدم.

قال الأحمر: من أمثالهم في هذا:". [٢]

٤٤-"حبك الشيء يعمي ويصم.

وهذا المثل يروى عن أبي الدرداء. ومن حديث أبن عباس " ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه " وقول الشعبي: إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه. **وقال بعض الحكماء**: إذا أشكل عليك أمران فلم تدر أيهما أدنى إلى الصواب والسداد فأنظر أثقلهما عليك فاتبعه ودع الذي تهوى، فانك لا تدري لعل الهوى هو الذي زينه في قلبك، وحسنه عندك.

باب التحذير من المعايب والشين في صحبة من تكره

قال أبو زيد: من أمثالهم في التحذير قولهم: اتق الصبيان لا تصبك باعقائها.

يضرب للرجل تحذره ممن تكره له مصاحبته. وأصل الأعقاء أول ما يخرج من بطن المولود حين يولد، وأحدها عقي. وقال مؤرخ: ومن أمثالهم في هذا قولهم: نزو الفرار استجهل الفرارا.

قال: وهو ولد بقر الوحش يقال له: فرير وفرار، مثل: طويل وطوال، فإذا شب وجدل وقوي أخذ في النزوان فمتى رآه غيره نزا لنزوه. يضرب هذا لمن تتقى مصاحبته. يقول: انك إذا صحبته فعلت فعله. قال الأحمر: ومن أمثالهم في كراهة المعايب

(١) الأمثال لابن سلام ص/٩١

(٢) الأمثال لابن سلام ص/١٦٩

قولهم:". (١)

٤٥-"**وقال بعض الحكماء**: إني لأسعى في الحاجة وإني منها ليائس، وذلك للأعذار، لئلا أرجع على نفسي بلوم.
وقال أيضا: صيدك لا تحرمنه.
يضرب للذي يحض على انتهاز الحاجة إذا أمكنته

باب الجد في طلب الحاجة وترك التفريط فيها
قال أبو عبيد: يروى عن أبجر بن جابر العجلي أنه قال فيما أوصى به ابنه حجارا: يا بني، إياك والسآمة في طلب الأمور فتقذفك الرجال خلف أعقابها.
فص ومن أمثالهم في قولهم: ليس لهناء بالدس.
يضرب للرجل لا يبالغ في الطلب. واصله أن يجرب البعير في أرفاغه وآباطه، فإذا هنئت تلك المواضع منه قيل: قد دس دسا. يقول: فليس ذلك بشيء، وإنما الهناء أن تهنأ الجسد كله، فكذلك المبالغة في الحاجة والاستقصاء.
ومن أمثالهم إذا أمروا الرجل بالجد في الأمر قالوا: جمع له جراميزك.
قال أبو زيد: ويقال في مثل هذا: قد ضرب عليه جروته.
أي قد وطن عليه نفسه. قال الأصمعي: وكذلك قولهم: شد له حزيمه.
أي تشدد لذلك واستعد له. ومنه الحديث الذي يروى عن علي عليه السلام:". (٢)

٤٦-"من سأل صاحبه فوق طاقته استحق الحرمان.
وقال: بعض السلف: " عز الرجل استغناؤه عن الناس " وفي بعض الحديث " استغنوا عن الناس ولو قصمة السواك ".

باب الذم لمخالطة الناس وما يحب من اجتنابهم.
قال أبو زيد: من أمثالهم في هذا قولهم: خلاوك اقنى لحياتك.
أي انك إذا خلوت في منزلك كان أحرى أن تقتنى الحياء وتسلم من الناس. قال الأصمعي: ومن أمثالهم في نحو هذا: من يسمع يخل.
يقول: من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع في نفسه عليهم المكروه. ومعناه إن المجانبة للناس أسلم. قال أبو عبيد: وقد روينا عن طلحة بن عبد الله إنه قال: " إن أقل للعيب إن يجلس الرجل في منزله " وروينا عن أبي الدرداء إنه قال: " نعم صومعة المؤمن بيته يكف سمعه وبصره " وقال أبن سيرين: " العزلة عبادة ".

---

(١) الأمثال لابن سلام ص/٢٢٤
(٢) الأمثال لابن سلام ص/٢٣٠

باب الإفراط في مؤانسة الناس

قال أبو عبيد: من أمثال أكثم بن صيفي: الإفراط في الناس يكسب قرناء السوء.

وقال بعض الحكماء: الأنس يذهب المهابة.

وقال الأصمعي: ومن أمثالهم في هذا:". (١)

٤٧-"**وقال بعض الحكماء** لرجل اشتد جزعه من بكاء صبي له: لا تجزع، فإنه أفتح لجرمه، وأصح لبصره.

وضرب «عامر بن عبد قيس» «١» بيده على عينه، فقال: جامدة شاخصة «٢» ، لا تندى «٣» .

وقيل: «لصفوان بن محرز» «٤» ، عند طول بكائه، وتذكر أحزانه:

«إن طول البكاء يورث العمى» ؛ فقال: «ذلك لها شهادة» فبكى حتى عمي.

وقد مدح بالبكاء ناس كثير، منهم «يحيي البكاء» ، وهيثم البكاء» .

وكان «صفوان بن محرز» يسمى: «البكاء» . وإذا كان البكاء (وما دام صاحبه فيه فإنه في بلاء، وربما أعمى البصر، وأفسد الدماغ، ودل على السخف، وقضي على صاحبه بالهلع، وشبه بالأمة اللكعاء «٥» وبالحدث الضرع) «٦» كذلك، فما ظنك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور، الى أن ينقطع عنه سببه.

ولو كان الضحك قبيحا من الضاحك، وقبيحا من المضحك، لما قيل للزهرة والحبرة والحلي والقصر المبني: «كأنه يضحك ضحكا» .

وقد قال الله جل ذكره: «وأنه هو أضحك وأبكى وأنه قد أمات وأحيا» ، فوضع الضحك بحذاء الحياة «٧» ، ووضع البكاء بحذاء الموت؛". (٢)

٤٨-"وسرف البطنة. وقد **قال بعض الحكماء**: «إذا كنت بطينا فعد نفسك في الزمني «١» » وقال الأعشى:

«والبطنة مما تسفه الأحلاما»

واعلم أن الشبع داعية البشم «٢» ، وأن البشم داعية السقم، وأن السقم داعية الموت؛ ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة، وهو قاتل نفسه وقاتل نفسه ألوم من قاتل غيره. وأعجب إن أردت العجب. وقد قال الله جل ذكره: ولا تقتلوا أنفسكم

. وسواء. قتلنا أنفسنا أو قتل بعضنا بعضا كان ذلك للآية تأويلا.

أي بني! إن القاتل والمقتول في النار. لو سألت حذاق الأطباء لأخبروك أن عامة أهل القبور إنما ماتوا بالتخم. واعرف خطأ

---

(١) الأمثال لابن سلام ص/٢٩٠

(٢) البخلاء للجاحظ ص/٢٢

من قال:
«أكلة وموتة» ، وخذ بقول من قال: «رب أكلة تمنع أكلات» وقد قال الحسن «٣» : «يا ابن آدم كل في ثلث بطنك، ودع الثلث للتفكر والتنفس» . وقال بكر بن عبد الله المزني «٤» : «ما وجدت طعم العيش حتى استبدلت الخمص «٥» بالكظة، وحتى لم ألبس من ثيابي ما يستخدمني، وحتى لم آكل إلا ما لا اغسل يدي منه» .
يا بني! والله ما أدري حق الركوع ولا وظيفة السجود ذو كظة، ولا خشع لله ذو بطنة. والصوم مصحة، والوجبات عيش الطالحين.
ثم قال: لأمر ما طالت أعمال الهند، وصحت أبدان الأعراب. فلله". (١)

٤٩-"قال بعض الحكماء: توق الفاحش صديقا، والأحمق رفيقا، وأحذر أن تفعل فعلا يدع الرأي عاقرا، والعقل عقيما، والحس كليلا، والحد مفلولا.
قال محمد بن حجر: لي همة لو غرقت الدنيا فيها ما طلبت إلا بالغاصة، ولو كانت لليل ما تنفس له صبح.
وقيل لأرسطاطاليس: ما بال الحسدة يحزنون أبدا؟ قال: لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط، بل لما ينال الناس أيضا من الخير.
وكان بعض السلف يقول: اللهم أحفظني من أصدقائي، فسئل عن ذلك فقال: إني أحفظ نفسي من أعدائي.
وقال فيلسوف: حيث يكون الشراب لا تسكن الحكمة، ولا تلبث العفة.
وقال صاحب المنطق: الإقلال حصن للعاقل من الرذائل، وطريق إليها للجاهل.". (٢)

٥٠-"قال بعض الحكماء: إساءة المحسن أن يمنعك جداواه، وإحسان المسيء أن يكف عنك أذاه.
وقال فيلسوف: تأميل الناس خيرك، خير لك من خوفهم نكالك.
قال فيلسوف: كما يتوخى بالوديعة أهل الثقة والأمانة، فكذلك ينبغي أن يتوخى بالمعروف أهل الوفاء والشكر.
وقال أعرابي: الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة الطعام الموضوع على قبر.
كاتب: القلم صائغ الكلام، يسبك ما يفرغه القلب، ويصوغ ما يجمعه اللب.
قال سهل بن هارون: الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن.
كاتب: شددت بعنايتك ظهري، وسطوت بك على دهري، وحاربت بك الزمان بعد الأستسلام، وأرهبته بعد الرهبة منه، فلا زال معاديا، ولا زلت لي عليه معديا.". (٣)

---

(١) البخلاء للجاحظ ص/١٤٨
(٢) البصائر والذخائر ١/٩٥
(٣) البصائر والذخائر ٢/٣٨

٥١-"**قال بعض الحكماء**: لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان، وآفة الظرف الصلف، وآفة العبادة الفترة، وآفة الحديث الكذب، وآفة الشجاعة البغي، وآفة الحاجة الكبر، وآفة الحسب البطر، وآفة الحلم الذل، وآفة الجود السرف، وآفة القصد البخل، وآفة الحذق العجب، وآفة الجلد الفحش، وآفة المودة إخوان السوء، وآفة العقل الهوى، وآفة العفاف الضيق، وآفة الرأفة الجزع، وآفة الحياء البلادة، وآفة التواضع التصنع، وآفة اللطف الملق، وآفة الأنبساط عادة السوء، وآفة المداراة المداهنة، وآفة السرور البطر، وآفة الحزن التهالك، وآفة الغضب الغيظ، وآفة الإحسان التزكية، وآفة الأنتباه القنوط، وآفة الكسب الكد، وآفة الواعظ العنف، وآفة الموعوظ الملل، وآفة السائل الإلحاف، وآفة المسؤول الشح، وآفة الفقر الضراعة، وآفة الغنى الطغيان، وآفة الرأي الأستبداد، وآفة الأناة التفريط، وآفة السرعة العثرة، وآفة المشورة غش المستشار، وآفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترك العمل بهما.

قال أعرابي: العاجز هو الشاب القليل الحيلة، الملازم للحليلة.

قال المأمون لعبد العزيز المكي: أليس قال الله تعالى " ما فرطنا في". (١)

٥٢-"ولي مصر مثل ابن طاهر من نظراء طاهر قلت: نعم، فاستحسنه وولاني مصر.

وصف رجل صنعاء فقال: بلغ من طيب ترابها أن الرجل يسجد فلا يشتهي أن يرفع رأسه.

قال بعض الحكماء: الشيب علة لا يعاد منها وهي غليظة، ومصيبة لا يعزى عنها وهي جليلة.

قدم رجل من اليمامة فقيل له: ما أحسن ما رأيت بها؟ قال: خروجي منها.

مدح رجل البخل فقال: كفاك من كرم الملائكة أنه لم يبلهم بالنفقة وقول العيال: هات! هات! قال الفضل بن سهل: القرآن لا يبلغه عقل ولا يقصر عنه فهم.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: القرآن فيه خبر من". (٢)

٥٣-"أشبهه معنى وخالفه صورة وربما قاربه وداناه أو سامته وأشبهه مجازا لا حقيقة، فإذا اتفق لك في أشعار العرب التي يحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول، أو حكاية تستغربها، فابحث عنه ونقر عن معناه، فإنك لا تعدم أن تجد تحته خبيئة، إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها، وعلمت أنهم أرق طبعا من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته. وربما خفي عليك مذهبهم في سنن يستعملونها بينهم، وحالات يصفونها في أشعارهم ولا يمكنك استنباط ما تحت حكاياتهم، ولا يفهم مثلها إلا سماعا، فإذا وقفت على ما أرادوه، لطف موقع ما تسمعه من ذلك عند فهمك.

والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه؛ كما **قال بعض الحكماء**: للكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه، فأما ما وصفته العرب وشبهت بعضه ببعض مما أدركه عيانها فكثير لا يحصى عدده، وأنواعه كثيرة، وسنذكر بعض

---

(١) البصائر والذخائر ٨٢/٣

(٢) البصائر والذخائر ٤٦/٧

ذلك ونبين حالاته وطبقاته إن شاء الله.

وأما ما وجدته في أخلاقها، وتمدحت به، ومدحت به من سواها وذمت من كان على ضد حالها فيه، فخلال مشهورة، منها في الخلق: الجمال". [١]

٥٤-"لا تعرف الناس أعلاهم وأسفلهم ... وإن ظننت بهم خيرا وإن ظرفوا

حتى تكلفهم عند امتحانهم ... في الجاه والمال حاجات فينكشفوا

قيل لعمارة بن عقيل: ما أجود الشعر؟ قال: ما كان كثير العيون، أملس المتون، لا يمجه السمع، ولا يستأذن على القلب.

في قول الله تعالى " إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم " قال: زاد في طول الثياب شبرا.

قال بعض الحكماء: يحسن الامتنان إذا وقع الكفران، ولولا أن بني إسرائيل كفروا النعمة ما قال الله تعالى " اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ".

قال الحجاج على المنبر: يقول سليمان " رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي " إن كان لحسودا.

دخل على المهدي وفد من خراسان، فقام إليه رجل من أهل سمرقند فقال: أطال الله بقاء الأمير أمير المؤمنين، إنا قوم نأينا عن العرب، وشغلتنا الحروب عن الخطب، وأمير المؤمنين يعرف طاعتنا، وما فيه". [٢]

٥٥-"قال أعرابي: عليك بالأدب، فلأن يذم بيانك خير من أن يعاب عيك.

قال الباقر رضي الله عنه في قوله تعالى: " ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه " قال: يطع الله: فيوحده، ورسوله: فيصدقه، ويخشى الله: على ما سلف من ذنوبه، ويتقه: فيما بقي من عمره، فأولئك هم الفائزون غدا بالجنة.

قال سفيان بن عيينة: صحبت الناس خمسين سنة ما ستر أحد لي عورة، ولا رد عني غيبة، ولا عفا لي عن مظلمة، ولا قطعته فوصلني، وأخص إخواني لو خالفته في رمانة فقلت: حامضة، وقال: حلوة، لسعى في حتى يشيط دمي.

أصابت إسماعيل بن يسار خصاصة فطين على نفسه حتى مات هزلا، ولم يسأل الناس.

قال أعرابي: إن أطعت الغضب أضعت الأدب.

قال بعض الحكماء: أول صناعة الكاتب كتمان السر.

قال بعض المغفلين في الطواف: رب ارحم ترحم، واغفر ما تعلم وما لا تعلم.

قال عمر بن الخطاب: بئس الجار الغني، يأخذك ما لا يعطيك من نفسه، فإن أبيت لم يعذرك.". [٣]

---

(١) البصائر والذخائر ٧/٩٩

(٢) البصائر والذخائر ٧/١٣٨

(٣) البصائر والذخائر ٨/١٨٢

٥٦-"كاتب: الصبر ينجز لك الموعود، والجزع لا يرد عليك المفقود، فليسبق صبرك جزعك، تسلم من المصيبة بالأجر، وإلا رجعت إليه بعد الفوت حسيرا.

قال بعض الحكماء: العلوم ثلاثة: علم يرفع، وعلم ينفع، وعلم يزين، الرافع الفقه، والنافع الطب، والمزين الأدب.

كان بمرو قاص جيد الكلام، فكان إذا طال مجلسه بالبكاء يخرج من كمه طنبورا صغيرا وينقره ويقول: مع هذا الغم الطويل يحتاج إلى فرح ساعة.

سمعت بعض المشايخ يقول: فعيل يكون بمعنى فاعل، وربما اشتركا فيه وربما غلب فعيل؛ فمما يشتركان فيه: ضمن فهو ضامن وضمين، ورشد فهو راشد ورشيد، وعلم فهو عالم وعليم؛ وربما غلب عليه فقيل: كثر فهو كثير، وقل فهو قليل، وصح فهو صحيح، ومرض فهو مريض، وعتق فهو عتيق.

ويكون فعيل بمعنى مفعول: فهو خضيب ودهين وكحيل وقتيل ولديغ، فأما السليم فليس من هذا. وهذا الجنس إذا كان فيه نعت المؤنث لم تلحقه الهاء، وإنما لم يلحقوها به لأنهم عدلوه عن مكحولة ومدهونة. وقد كانت الهاء سبقت إلى فعيل الذي يشارك فاعلا، في مثل مريضة وضمنية، فحذفوها،". (١)

٥٧-"وقال قيصر لقس: ما أفضل الحكمة؟ قال: معرفة الإنسان بقدره، قال: فما أكمل العقل؟ قال: وقوف الإنسان عند حلمه، قال: فما أوفر الحلم؟ قال: حلم الإنسان عند استماع شتمه، قال: فما أصوت المروءة. قال: استبقاء الإنسان ماء وجهه، قال: فما أكل المال؟ قال: ما أعطي الحق منه، قال: فما أحسن السخاء؟ قال: البذل قبل المسألة، قال: فما أنفع الأشياء؟ قال: تقوى الله وإخلاص العمل له، قال: فأي الملوك خيرا؟ قال: أقربهم من الحلم عند المقدرة، وأبعدهم من الجهل عند الغضب، ومن يرى أنه لايضبط ملكه إلا بالعدل بين رعيته.

قال بعض الحكماء: أفضل الحكماء من وهب له علم بلا وعي فاختار الصمت على الكلام إلا في موضعه.

وروى أن قسا دخل على هرقل ملك الروم أيضا فقال: له أخبرني عما بلوت من الزمان وتصرفه، واختبرت من أخلاق أهله؟ قال: قد صحبنا الزمان فوجدناه صاحبا خوانا، ووجدنا الأنساب ليس بالآباء والأمهات ولكنها الأخلاق المحمودة، وفي ذلك أقول:

لقد حلبت الزمان أشطره ... ثم شربت الصريح من حلبي". (٢)

٥٨-"ومن هؤلاء علي بن هشام، وكان لا يسكت، ولا أدري كيف كان كلامه.

قال: وحدثني مهدي بن ميمون، قال: حدثنا غيلان بن جرير، قال:

كان مطرف بن عبد الله يقول: «لا تطعم طعامك من لا يشتهيه» . يقول: لا تقبل بحديثك على ما لا يقبل عليه بوجهه.

---

(١) البصائر والذخائر ٩/١٣٤

(٢) البصائر والذخائر ٩/١٩٨

وقال عبد الله بن مسعود: «حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك» .

[ابن السماك]

قال: وجعل ابن السماك «١» يوما يتكلم، وجارية له حيث تسمع كلامه، فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه، لولا أنك تكثر ترداده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه. قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد مله من فهمه.

عباد بن العوام، عن شعبة عن قتادة قال: مكتوب في التوراة: «لا يعاد الحديث مرتين» .

سفيان بن عيينة، عن الزهري قال: «إعادة الحديث أشد من نقل الصخر» .

وقال بعض الحكماء: «من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك» .

وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه. وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص.". (١)

٥٩-"وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكل على عذري، فإني قد اتكلت على كفايتك، وزد في تأديبهم أزرك في بري إن شاء الله.

محمد بن حرب الهلالي قال: كتب إبراهيم بن أبي يحي الاسلمي، إلى المهدي يعزيه على ابنته: أما بعد فإن أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه، من عظم حق الله عليه فيما أبقي له. واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك، وإن الباقي بعدك هو المأجور فيك، وإن أجر الصابرين فيما يصابون به، أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه.

قال: وقال سهل بن هارون: التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة.

وقال صالح بن عبد القدوس:

إن يكن ما به أصبت جليلا ... فذهاب العزاء فيه أجل

كل آت لا شك آت وذو الجه ... ل معنى والهم والحزن فضل

وقال لقمان لأبنه؛ يا بني إياك والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

قال: وكان يقال: أربع لا ينبغي لأحد أن يأنف منهن وإن كان شريفا أو أميرا: قيامه عن مجله لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه على فرسه، وخدمته للعالم.

وقال بعض الحكماء: إذا رغبت في المكارم، فاجتنب المحارم.

(١) البيان والتبيين ١/١٠٥

وكان يقال: لا تغتر بمودة الأمير، إذا غشك الوزير.". (١)

٦٠-"عقول أربابها: الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه، والرسول على مقدار عقل مرسله، والهدية على مقدار عقل مهديها.

وذكر أعرابي أميرا فقال: يقضي بالعشوة «١» ، ويطيل النشوة، ويقبل الرشوة.

وقال يزيد بن الوليد: إن النشوة تحل العقدة، وتطلق الحبوة. وقال:

إياكم والغناء، فإنه مفتاح الزناء.

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: إذا توجه أحدكم في وجه ثلاث مرات فلم يصب خيرا فليدعه.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهي ولا ينتهي، ويأمر الناس بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض المسيئين وهو منهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ولا يدعها في طول حياته.

وقال أعرابي: خرجت حين انحدرت أيدي النجوم وشالت أرجلها، فلم أزل أصدع الليل حتى أنصدع الفجر.

قال: وسألت أعرابيا عن مسافة ما بين بلدين فقال: عمر ليلة، وأديم يوم. وقال آخر: سواد ليلة، وبياض يوم.

وقال بعض الحكماء: لا يضرك حب إمرأة لا تعرفها.

وقال رجل لأبي الدرداء: فلان يقرئك السلام. فقال: هدية حسنة، ومحمل خفيف.

وسرق مزبد نافجة مسك فقيل له: إن كل من غل يأتي يوم القيامة بما غل، يحمله في عنقه، فقال: إذا والله أحملها طيبة الريح، خفيفة المحمل". (٢)

٦١-"الغنيمة حتى تحرز السلامة. وكن من إحتيالك على عدوك أشد خوفا من إحتيال عدوك عليك.

وقال بعض الحكماء: لا تصطنعوا إلى ثلاثة معروفا: اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبخة، والفاحش فإنه يرى أن الذي صنعت إليه إنما هو لمخافة فحشه، والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه. وإذا اصطنعت إلى الكرام فازدرع المعروف واحصد الشكر.

قال: وواضع المعروف في غير أهله كالمسرج في الشمس، والزارع في السبخ.

ومثله البيت السائر في الناس:

ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يلاق الذي لاقى مجير أم عامر

وقالوا: من لم يعرف سوء ما يولي لم يعرف حسن ما يولي.

---

(١) البيان والتبيين ٢/٤٩

(٢) البيان والتبيين ٢/٦٩

وقال الأبادي صاحب الصرح، الذي إتخذ سلما لمناجاة الرب، وهو الذي كان يقول: «مرضعة وفاطمة. القطيعة والفجيعة، وصلة الرحم وحسن الكلم.

زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا، وبالشر عقابا. وإن من في الأرض عبيد لمن في السماء. هلكت جرهم وربلت أياد «١» ، وكذلك الصلاح والفساد. من رشد فاتبعوه، ومن غوى فارفضوه. كل شاة برجلها معلقة» .

وإياه يعني الشاعر بقوله:

ونحن أياد عبيد الاله ... ورهط مناجيه في السلم

ونحن ولاة حجاب العتيق ... زمان الرعاف على جرهم". (١)

٦٢-"وقال عبد الرحمن بن أم الحكم: لولا ثلاث ما باليت متى مت: تزاحف الأحرار إلى طعامي، وبذل الأشراف وجوههم إلي في أمر أجد السبيل إليه، وقول المنادي الصلاة أيها الأمير.

وقال ابن الأشعث: لولا أربع خصال ما أعطيت بشريا طاعة: لو ماتت أم عمران- يعني امه- ولو شاب رأسي، ولو قرأت القرآن، ولو لم يكن رأسي صغيرا.

وقال معاوية: أعنت على علي بثلاث خصال: كان رجلا يظهر سره، وكنت كتوما لسري. وكان في أخبث جند وأشده خلافا، وكنت في أطوع جند وأقله خلافا. وخلا بأصحاب الجمل فقلت إن ظفر بهم اعتددت بهم عليه وهنا في دينه، وإن ظفروا به كانوا أهون علي شوكة منه. وكنت أحب إلى قريش منه. فكم شئت من جامع إلي ومفرق عنه.

جهم بن حسان السليطي قال: قال رجل للأحنف: دلني على حمد بلا مرزئة. قال: الخلق السجيح، والكف عن القبيح. ثم اعلموا إن أدوى الداء اللسان البذيء، والخلق الرديء.

وقال محمد بن حرب الهلالي: **قال بعض الحكماء**: لا يكونن منكم المحدث لا ينصت له، ولا الداخل في سر اثنين لم يدخلاه فيه، ولا الآتي الدعوة لم يدع إليها، ولا الجالس المجلس لا يستحقه. ولا الطالب الفضل من أيدي اللئام، ولا المتعرض للخير من عند عدوه، ولا المتحمق في الدالة.

قالوا: قل النبي صلى الله عليه وسلم في معاوية: «للهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب» .

وقال رجل من بني أسد: مات لشيخ منا ابن، فاشتد جزعه عليه، فقام إليه شيخ منا فقال: اصبر أبا إمامه، فإنه فرط افترطته، وخير قدمته، وذخر أحرزته. فقال مجيبا له ولد دفنته، وثكل تعجلته، وغيب وعدته. والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد.". (٢)

---

(١) البيان والتبيين ٢/٧٥

(٢) البيان والتبيين ٢/٧٩

٦٣-"ما فعل خالك؟ قلت لزم بيته. فقال: أما لئن فعل لقد لزم قوم من اهل بدر بيوتهم بعد مقتل عثمان رحمه الله، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم.

وقال الحسن: إن لله ترائك في خلقه، لولا ذلك لم ينتفع النبيون وأهل الإنقطاع إلى الله بشيء من أمر الدنيا: وهي الأمل، والآجل، والنسيان.

وقال مطرف بن عبد الله لأبنه: يا بني لا يلهينك الناس عن نفسك، فإن الأمر خالص إليك دونهم. إنك لم تر شيئا هو أشد طلبا ولا أسرع دركا من توبة حديثة لذنب قديم.

وفي الحديث أن أبا هريرة مر بمروان وهو يبني داره، فقال يا أبا عبد القدوس، ابن شديدا وأمل بعيدا، وعش قليلا وكل خضما، والموعد الله.

قال: كان عمرو بن خولة، أبو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص- وأمه خولة من المسامعة- وكان ناسكا يجتمع إليه القراء والعلماء يوم الخميس.

وقال الشاعر فيه:

وأصبح زورك زور الخميس ... إليك كمرعية وارده

وقال الآخر في ابن سيرين:

فأنت بالليل ذئب لا حريم له ... وبالنهار على سمت ابن سيرين

وقال ابن الأعرابي: **قال بعض الحكماء**: لا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك.

قال: وصلى محمد بن المنكدر «١» ، على عمران بقرة، فقيل له في ذلك، فقال: إني لأستحي من الله أن أرى أن رحمته تعجز عن عمران بقرة.

وقال محمد بن يسير:

كأنه قد قيل في مجلس ... قد كنت آتيه وأغشاه

محمد صار إلى ربه ... يرحمنا الله وإياه". (١)

٦٤-"عند امرىء- أن تقول إن ذكرت ... يوما من الدهر: لست أذكرها

فإن إحياءها إماتتها ... وإن منا بها يكدرها

وقال بعض الحكماء: «صاحب من ينسى معروفه عندك، ويتذكر حقوقك عليه» :

وقال منقر بن فروة المنقري:

وإن خفت من أمر فواتا فوله ... سواك وعن دار الأذى فتحول

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل

---

(١) البيان والتبيين ١١٩/٣

ونظر أبو الحارث جمين إلى برذون يستقي عليه الماء، فقال:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه

لو هملج هذا البرذون لم يجعل للرواية.

وأنشد:

لا خير في كل فتى نؤوم ... لا يعتريه طارق الهموم

وأنشد:

اجعل أبا حسن كمن لم تعرف ... واهجره معتزما وإن لم يخلف

آخ الكرام المنصفين وصلهم ... واقطع مودة كل من لم ينصف

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

ما زال عصياننا لله يسلمنا ... حتى دفعنا إلى يحيي ودينار

إلى عليجين لم تقطع ثمارهما ... قد طال ما سجدا للشمس والنار

وشاتم أعرابي أعرابيا فقال: «إنكم لتعتصرون العطاء، وتعيرون النساء، وتبيعون الماء» .". [1]

٦٥-"ومما يكتب في العصا قوله:

قالت إمامة يوم برقة واسط ... يا بن الغدير لقد جعلت تغير

أصبحت، بعد شبابك الماضي الذي ... ذهبت بشاشته وغصنك أخضر

شيخا دعامتك العصا ومشيعا ... لا تبتغي خيرا ولا تستخبر

ويضم البيت الأخير إلى قوله:

وهلك الفتى ألا يراح إلى الندى ... وألا يرى شيئا عجيبا فيعجبا

ومن يتتبع مني الظلع «١» يلقني ... إذا ما رآني أصلع الرأس أشيبا

وقال بعض الحكماء: «أعجب من العجب ترك التعجب من العجب» .

وقيل لشيخ هم: أي شيء تشتهي؟ قال: أسمع بالأعاجيب.

وأنشد:

عريض البطان جديب الخوان ... قريب المراث من المرتع «٢»

فنصف النهار لكرياسه «٣» ... ونصف لمأكله أجمع

وفي العصا قوله:

لعمري لئن حلئت عن منهل الصبا ... لقد كنت ورادا لمشربه العذب «٤»

---

(١) البيان والتبيين ٣/١٥٥

ليالي أغدو بين بردين لاهيا ... أميس كغصن البانة الناعم الرطب
سلام على سير القلاص «٥» مع الركب ... ووصل الغواني والمدامة والشرب
سلام امرىء لم تبق منه بقية ... سوى نظر العينين أو شهوة القلب". (١)

٦٦-"وقال أبان بن الوليد لأياس بن معاوية: أنا أغنى منك! فقال أياس: بل أنا أغنى منك! قال أبان: وكيف ولي كذا وكذا! وعدد أموالا. قال: لأن كسبك لا يفضل عن مؤونتك، وكسبي يفضل عن مؤونتي.

وكان يقال: حاجب الرجل عامله على عرضه.

وقال أبو الحسن: رأيت امرأة أعرابية غمضت ميتا وترحمت عليه ثم قالت: ما أحق من ألبس العافية، وأطيلت له النظرة أن لا يعجز عن النظر لنفسه، قبل الحلول بساحته، والحيالة «١» بينه وبين نفسه! وقال ابن الزبير لمعاوية حين أراد أن يبايع لأبنه يزيد: تقدم إبنك على من هو خير منه؟ قال: كأنك تريد نفسك؟ إن بيته بمكة فوق بيتك! قال ابن الزبير: إن الله رفع بالإسلام بيوتا، فبيتي مما رفع! قال معاوية: صدقت، وبيت حاطب بن أبي بلتعة «٢» ! وقال: عاتب أعرابي أباه فقال: إن عظيم حقك علي لا يذهب صغير حقي عليك، والذي تمت إلي أمت بمثله إليك، ولست أزعم أنا سواء، ولكن أقول: لا يحل لك الإعتداء.

قال: مدح رجل قوما فقال: أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم، فأحسنوا المقال، وشفعوه بالفعال **وقال بعض الحكماء**: التواضع مع السخافة والبخل، أحمد عند العلماء". (٢)

٦٧-"أن مريدي الصيد بالرمي يتمطى بيساره نحو الأرض مرات حتى يؤنس الطريدة، فتألف ذلك منه ولا تذعر له، ثم حينئذ يستغرق نزعه، ويمضي سهمه. ولا يزال امرؤ القيس في كثير من شعره يفخر بالصيد وأكل لحمه، كقوله مع عراقته في الملك:

تظل طهاة اللحم من بين منضج ... صفيف شواء أو قدير معجل

وسماه لذة واكتفى بذلك من أن يذكر الصيد لعلمهم بذلك واشتهاره فيهم وقدره عندهم فقال:

كأني لم أركب جوادا للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ومن فضائله ما فيه من التبرز على ركوب الخيل صعودا وحدورا وكرا وانكفاء وتعطفا وانثناء، وذلك كما قدمنا زائد في الفروسية، ملين من المعاطف، مسلس من المراود، محلل لكوامن الفضول، مثبت للركبة، منسيء للشهوة، مؤمن من العلل المزمنة.

---

(١) البيان والتبيين ٣/١٦٢

(٢) البيان والتبيين ٣/٣٠٥

وقال بعض الحكماء: قلما يعمش ناظر زهرة، أو يزمن مريغ طريدة، يعني بذلك من أدمن الحركة في الصيد، ونظر البساتين، فاستمتع طرفه بنضرتها، وأنيق منظرها، وليس يكبر الملك الرئيس العظيم الوقور إذا أثيرت الطريدة أن يستخف نفسه في ارغتها، ويستحضر فرسه في أثرها، ويترجل عنه في المواضع التي لا يقتحم الفرس مثلها.

وحكي عن عظماء الأكاسرة من ذلك ما هو مشهور في سيرهم، وعن الخلفاء الراشدين ما نذكره في باب من أغري به منهم، ومنها ما يسنح فيه من النشاط والأريحية، لا سيما مع الظفر، ودرك البغية، فأن المرء". (١)

٦٨-"المنذر إنا نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك.

[١٠٨٨]- وكان المأمون أفضل خلفاء بني العباس علما وحلما وبيانا وسياسة وجودا؛ قال سهل بن هارون: ما رأيت أنطق من المأمون، وقال سهل يوما، وهو عند المأمون: من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن يرغبوا فيه، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال، فقال المأمون: قد يسمي الناس الشيء علما وليس بعلم، فإن كنت هذا أردت فوجهه الذي ذكرناه، ولو قلت: إن العلم لا يدرك غوره، ولا يسبر قعره، ولا تبلغ غايته، ولا تستقصى أصنافه، ولا يضبط آخره، فإذا كان الأمر كذلك فابدأوا بالأهم فالأهم، وابدأوا بالفرض قبل النفل، كان ذلك عدلا وقولا قصدا. وقد قال بعض العلماء: اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسك وأخف على قلبك، فإن نفاذك فيه على قدر شهوتك له وسهولته عليك. **وقال بعض الحكماء**: لست أطلب العلم طمعا في بلوغ غايته والوقوف على نهايته، ولكن التماس ما لا يسع جهله. وقال آخرون: علم الملوك النسب والخبر وجمل الفقه، وعلم التجار الحساب والكتاب، وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازي وكتب السير. فأما أن تسمي الشيء علما ثم تنهى عنه من غير أن يكون يشغل عما هو أنفع منه، بل تنهى نهيا جزما وتأمر أمرا حتما، والعلم بصر وخلافه عمى، والاستبانة للشر ناهية عنه والاستبانة للخير آمرة به، فلا «١»

.

[١٠٨٩]- ولما دخل عليه المرتد الخراساني، وقد كان حمله معه من

[١٠٨٨] البيان والتبيين ٣: ٣٧٣- ٣٧٤ والعقد ٢: ٢٠٧ وقول بعض الحكماء في أمثال الماوردي: ٨٣ ب ولباب الآداب: ٤٥٦.

[١٠٨٩] البيان والتبيين ٣: ٣٧٥- ٣٧٦ وعيون الاخبار ٣: ١٥٤- ١٥٥ وكتاب بغداد ٣٧- ٣٨ والعقد ٢: ٣٨٤.". (٢)

---

(١) البيزرة ص/٢٤

(٢) التذكرة الحمدونية ٤٢٥/١

٦٩-"«٤٠٢» - **قال بعض الحكماء**: ليس من جهل الناس بقدر الفضل قصروا عنه، ولكن من استثقال فرائضه حادوا عن التمسك به، وهم على تبجيل أهله مجمعون؛ وإلى هذا المعنى نظر منصور النمري في قوله: [من البسيط]

الجود أخشن مسا يا بني مطر ... من أن تبزكموه كف مستلب

ما أعلم الناس أن الجود مكسبة ... للحمد لكنه يأتي على النشب

ونظر المتنبي إلى المعنى فقال: [من البسيط]

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والإقدام قتال

«٤٠٣» - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه كن عليه: المكر، قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

(فاطر: ٤٣) والبغي، قال الله سبحانه يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم

(يونس: ٢٣) ومن بغي عليه لينصرنه الله، والنكث، قال الله عز وجل فمن نكث فإنما ينكث على نفسه

(الفتح: ١٠) .

«٤٠٤» - وقال صلى الله عليه وسلم: أعجل الأشياء عقوبة البغي.

«٤٠٥» وقال صلى الله عليه وسلم: ما من ذنب أدنى [١] أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم.

---

[١] ر: أحرى.". (١)

٧٠-"«٥٠٠» - **قال بعض الحكماء**: آفة الملوك سوء السيرة، وآفة الوزراء سوء السريرة، وآفة الجند مخالفة القادة، وآفة الرعية مفارقة الطاعة، وآفة الزعماء ضعف السياسة، وآفة العلماء حب الرياسة، وآفة القضاة شدة الطمع، وآفة العدول قلة الورع، وآفة الملوك مضادة الأعوان، وآفة العدل ميل الولاة، وآفة الجريء إضاعة الحزم، وآفة القوي استضعاف الخصم، وآفة المنعم قبح المن، وآفة المذنب سوء الظن. من كثر ملقه لم يعرف بشره.

«٥٠١» - كان يوسف بن عمر الثقفي من الموصوفين بالقسوة والفظاظة، وكان في إمارته العراق يعظ الناس ويأمر بالخير، وينهى عن الأذى، ويزهد في الدنيا، ويرغب في المعاد، ويخالف فعله قوله- كان يتخد لهشام طنافس الخز في واسط، فامتحن طنفسة منها بأن جر عليها ظفر إبهامه فعلقت به غفرة من الطنفسة فأمر بيد الصانع فقطعت.

وأمر أن يضرب الدرهم لا ينقص حبة فما فوقها، ونادى من فعل ذلك ضربته ألف سوط، ووجد درهما ناقصا حبة فأحضر الضرابون فكانوا مائة، فضرب كل واحد ألف سوط، فقيل ضرب في حبة فضة مائة ألف سوط.

وقد أكثر الشعراء في ذكر حسد الأقارب:

---

(١) التذكرة الحمدونية ١٧٩/٢

٥٠٢- قال الأقرع بن معاذ: [من الطويل]

ومولى أمنا داءه تحت جنبه ... فلسنا نجازيه ولسنا نعاتبه

رأى الله أعطاني فأضمر صدره ... على حسد الإخوان وازور جانبه

فويل له منا وويل لأمه ... علينا إذا ما حركته حوازبه". (١)

٧١-"«٦٧٣» - وقال أيضا: البخل عار.

«٦٧٤» وقال أيضا: عجبت للبخيل الذي استعجل الفقر الذي منه هرب، وفاته الغنى الذي إياه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء.

«٦٧٥» - وقال علي بن عبد الله بن العباس: سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء.

٦٧٦- وقال يحيى بن معاذ الرازي: تأبى القلوب للأسخياء إلا حبا ولو كانوا فجارا، وللبخلاء إلا بغضا ولو كانوا أبرارا.

«٦٧٧» - **وقال بعض الحكماء**: الجواد من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره.

«٦٧٨» - وقيل لعمرو بن عبيد: ما الكرم؟ فقال: أن تكون بمالك متبرعا، وعن مال غيرك متورعا.

٦٧٩- نظر أعرابي إلى قوم ينصرفون من المسجد الجامع فقال: لو ورد هؤلاء على بخيل لقضى حوائجهم، فكيف على أجود الأجواد؟". (٢)

٧٢-"«٢٨٠» - **قال بعض الحكماء**: يا بني عليك بالترحيب والبشر، وإياك والتقطيب والكبر، فإن الإخوان يحبون أن يلقوا بما يحبون وإن منعوا ولا يحبون أن يلقوا بما لا يحبون وإن أعطوا [١] ، فانظر إلى خصلة غطت على مثل اللؤم فالزمها، وانظر إلى خصلة غطت على مثل الكرم فاجتنبها، ألم تسمع إلى قول حاتم: [من الطويل]

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمكان جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

[المذكورون بالكبر من قريش]

«٢٨١» - قال الجاحظ: المذكورون بالكبر من قريش: بنو مخزوم وبنو أمية، ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدس. وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا عبيدا، وأنفسهم إلا أربابا. والكبر في الأجناس الذليلة أرسخ، ولكن القلة والذلة مانعتان من ظهور كبرهم. والجملة أن من قدر من الوضعاء أدنى قدرة ظهر من كبره ما لا خفاء به، وشيء قد قتلته علما وهو أني لم أر ذا كبر قط على من دونه إلا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه.

وقال: أما بنو مخزوم وبنو أمية وبنو جعفر بن كلاب واختصاصهم بالتيه فإنهم أبطرهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة، ولو

---

(١) التذكرة الحمدونية ٢٠٨/٢

(٢) التذكرة الحمدونية ٢٦١/٢

كان في قوى عقولهم فضل على قوى دواعي الحمية فيهم لكانوا كبني هاشم في تواضعهم وإنصافهم لمن دونهم.

«٢٨٢» - أبو البيداء الأعرابي: [من الطويل]

---

[١] اضطربت هذه الجملة في ع بسقوط أحد شقيها.". (١)

٧٣-"أعرابية وهي توصي ولدا لها يريد سفرا وهي تقول: أي بني، اجلس أمنحك وصيتي، وبالله توفيقك، فان الوصية أجدى عليك من كثير عقلك. قال أبان:

فوقفت مستمعا لكلامها، مستحسنا لوصيتها، فاذا هي تقول: يا بني، إياك والنميمة فانها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين. وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضا إلا كلمته حتى يهي ما اشتد من قوته. وإياك والجود بدينك والبخل بمالك. وإذا هززت فاهزز كريما يلين لمهزتك، ولا تهزز اللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها. ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحته من غيرك فاجتنبه، فان المرء لا يرى عيب نفسه. ومن كانت مودته في بشره وخالف ذلك منه فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها.

ثم أمسكت، فدنوت منها فقلت: بالله عليك يا أعرابية إلا ما زدته في الوصية. قالت: أوقد أعجبك كلام العرب يا عراقي؟

قلت: نعم. قالت:

والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة:

ريطها وسربالها.

«٩٩٤» - **وقال بعض الحكماء** لابنه: يا بني، اقبل وصيتي وعهدي، فان سرعة ائتلاف قلوب الأبرار كسرعة ائتلاف قطر المطر بماء الأنهار، وبعد الفجار من الائتلاف كبعد البهائم من التعاطف، وإن طال اعتلافها على آري واحد. كن يا بني بصالح الوزراء أعنى منك بكثرة عددهم [١] ، فان اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها، والحجر فادح حمله قليل غناؤه.

---

[١] الأمالي: عدتهم.". (٢)

٧٤-"المبارك صلى الله عليه وسلم يقوله. قال معاوية: فألا صبرت؟ قال: إذن والله أصبر كما صبرت حين ضربت أنفك وأنف أبيك حتى دخلتما في الإسلام كارهين؛ ثم انصرف وهو يقول: [من الطويل]

إني لأختار البلاء على الغنى ... وأجزا بالماء القراح عن المحض

وأدرع الإملاق صبرا وقد أرى ... مكان الغنى أن لو أهين له عرضي

---

(١) التذكرة الحمدونية ١٠٨/٣

(٢) التذكرة الحمدونية ٣٣٨/٣

فناشده معاوية أن يأخذ صلته، وبعث في أثره يزيد بن معاوية، فقال: والله لا يجمعني وإياه بلد أبدا. فلما خرج لقي عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن سابط، فقال له ابن عباس: قد بلغني ما كان من ابن آكلة الأكباد، وكهف النفاق، ورأس الأحزاب. هلم إلي أشاطرك مالي كما قاسمتني مالك، ولك نصف داري كما أسكنتني دارك، فقال جابر: ثمر الله مالك، وبارك لك في دارك، فقد أثبت ما أنت أهله، وقال معاوية ما كان [١] يشبهه.

٧٣٢- **وقال بعض الحكماء**: امتحن صبر العباد بالعلة، وشكرهم بالعافية.

«٧٣٣» - وقال جهم بن مسعدة الفزاري متسليا عن انهدامه: [من الرجز]

إني وإن أفنى الزمان نحضي ... وابتزني بعضي وأبقى بعضي

وأسرعت أيامه في نقضي ... بمجحفات وأمور تمضي

حتى حنت طولي وضمت عرضي ... وقصرت رجلاي دون الأرض

---

[١] كان سقطت من م.". (١)

٧٥-"وهدانا لتصديقه والإيمان به، ووفقنا لاتباعه، وأباننا ممن عانده وجحده، وبغى عليه وحسده، وعصمنا من أن ننفس على رهطه وأسرته وأقربيه وعترته، بما آتاهم الله من فضله وكرامته، وحباهم به من شريف نعمته، وذلك بحسن توفيقه وجميل عصمته، وفضلناب على كثير من أنسبائه الراصدين لمحاربته، والجادين في مخالفته، فقد هلك كثير منهم بمشاقته؛ ألا تسمعون إلى ما أنزل الله في أبي لهب وإن كان أحد الهاشميين، وإلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم في سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو من العجم الأجنبيين إذ قال: سلمان منا أهل البيت؛ وقال الله تعالى: " إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين " آل عمران:٨٦ ".

نجا إبراهيم بن عبد الله بحيلة عجيبة

حدثنا أحمد بن أبي العلاء الأضاحي المعروف بحرمي قال حدثنا عبد الله يعني ابن شبيب قال أخبرني جعفر بن محمد قال حدثني إبراهيم بن رياح قال أخبرني محمد بن حيان أبو عبد الله الحراني قال: كان إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن قد صار إلى مدينة الموصل في تواريه، وصح ذلك عند أبي جعفر فكتب إلى الوالي هناك يعلمه أنه قد صح عنده أبن إبراهيم في مدينة الموصل، ويأمره إذا ورد عليه كتابه أن يتحفظ في بقية يومه فإذا هو أمسى غلقت أبواب المدينة فلم يخرج منها أحد ولم يدخل، ثم استقبل التفتيش لغد فإنك ستجده. وكان مع إبراهيم يومئذ من أهل الجزيرة ومن الزيدية قوم لهم بصائر وأموال وغناء عناية به، وكانت لهم عيون قد أذكوها على السلطان، فبلغهم خبر الكتاب وما عزم عليه الوالي فاشتروا بغلين وحذفوهما كما يعمل ببغال البريد، عملت لهما لجم وأداة على حسب ما يعمل بدواب البريد، وخرج أحدهم إلى بعض

---

(١) التذكرة الحمدونية ٤/٣٠٢

القرى التي تقرب من الموصل، فلما كان وقت العشاء الآخرة وأغلقت الأبواب ركب إبراهيم بن عبد الله أحد البغلين، وركب الآخر رجل بتشبه با لفرانق، وخرج الرجل على البغل يصيح كما يصيح الفرانق، ومعه خريطة، واتبعه إبراهيم حتى إذا صار إلى الباب صاح ففتح له الباب على أنه من قبل الوالي ثم مضيا فانتهيا إلى الرجل ومضيا. وصح الخبر على هذه الحكاية عند المنصور فكثر منه تعجبه واشتد عليه تأسفه.

وصية حكيم لابنه

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال، **قال بعض الحكماء** لابنه: يا بني أقبل عهدي ووصيتي: إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار حين يلتقون كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الأنهار، وبعد الفجار من الائتلاف وإن طال تعاشرهم كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على آري واحد. كن يا بني بصالح الوزراء أعنى منك بكثرة عددهم، فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها، والحجر فادح حمله قليل غناؤه عنك.". (١)

٧٦-"قال: فضحك أبو جعفر، ثم أخرج أبو دلامة خريطة من خرق فقال: ما هذه؟ قال: يا أمير المؤمنين أجعل فيها ما تحبوني به، فقال: املؤوها له دراهم فوسعت ألفي درهم.

إياس دخل الشام وهو غلام

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري قال حدثنا مسبح بن حاتم بالبصرة قال حدثنا عبد الله بن عائشة عن أبيه قال: دخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام، فقدم خصما له إلى قاض لعبد الملك بن مروان، وكان خصمه شيخا صديقا للقاضي، فقال له القاضي: يا غلام أما تستحي أن تقدم شيخا كبيرا؟! قال إياس: الحق أكبر منه، قال له: أسكت، قال له: فمن ينطق بحجتي إذا سكت؟ قال: ما أحسبك تقول حقا حتى تقوم، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: ما أظنك إلا ظالما، قال: ما على ظن القاضي خرجت من منزلي. فدخل القاضي على عبد الملك فاخبره الخبر فقال له: اقض حاجته واصرفه عن الشام لا يفسد الناس علينا.

كرم إبراهيم بن عاصم العقيلي

حدثنا محمد بن أحمد بن علي الإسكافي حدثني جدي قال وحدثني أبو محلم قال: كان هشام بن عبد الملك ولى سجستان إبراهيم بن عاصم العقيلي، وكان من كرماء الناس، فقال فيه علكم بن مهير العقيلي:

أما قبيحات النساء فإننا ... أبينا، وأما منجبات الكرائم

فيمنعني منهن أن ليس عندنا ... لهن مهور أو يزار ابن عاصم

قال: فحمل إليه من سجستان قبل أن ينزع إليه مائة ألف درهم.

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ص/٤١٢

أنواع المفاتيح

حدثنا محمد بن الحسن النقاش قال حدثنا السراج قال حدثنا داود بن رشيد قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثني خليد بن دعلج عن قتادة قال: مفاتيح البحر السفن، ومفاتيح الأرض الطرق، ومفاتيح السماء الدعاء.

ضوال الكلام وضوال الإبل

حدثنا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد قال، **قال بعض الحكماء**: ضوال الكلام أحب إلي من ضوال الإبل، قيل له: نحو ماذا؟ قال: نحو قول الشاعر:

وإني لأرجو الله حتى كأنما ... أرى بجميل الظن ما الله صانع

وصف دعوة مظلوم

حدثنا محمد بن يحي الصولي قال أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر قال أنشدني محمد بن عمر الجرجاني قال أنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال الصولي: وأنشدنا". (١)

٧٧-"لي صاحب ليس يخلو ... لسانه من جراحي

يجيد تمزيق عرضي ... على طريق المزاح

يجود بخير أو يهم به

أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس:

فتى لا تراه الدهر إلا ونفسه ... تجود بخير أوتهم بخير

تيه الغنى ومذلة الفقر

أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس:

خلقان لا أرضى فعالهما ... تيه الغني ومذلة الفقر

فإذا غنيت فلا تكن بطرا ... وإذا افتقرت فته على الدهر

واصبر فلست بواجد خلقا ... أدنى إلى فرج من الصبر

أربع ضائعة

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ص/٤٥٩

حدثنا أبو بكر قال سمعت الأصمعي يقول **قال بعض الحكماء**: لاشيء أضيع من أربع: مودة تمنحها من لا وفاء له، وبلاء تصطنعه عند من لا شكر له، وأدب تؤدب به من لا ينتفع به، وسر تستودعه من لا صيانه له.

قول لسلم الخاسر أحسن ما مدح به معن

أخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم قال سمعت أبا عبيدة يقول: بلغني أنه قيل لمعن بن زائدة ما أحسن ما مدحت به؟ قال: بقول سلم الخاسر:

أبلغ الفتيان مالكة ... أن خير الود ما نفعا

إن قرما من بني مطر ... أتلفت كفاه ما جمعا

كلما عدنا لنائله ... عاد في معروفه جذعا

عدم جواب اللئيم أشد عليه من الشتم

أنشدنا أبو بكر ابن الأنباري قال أنشدنا أحمد بن عبيد قال أنشدنا الأصمعي:

وما شيء أحب إلى لئيم ... إذا شتم الكريم من الجواب

متاركه اللئيم بلا جواب ... اشد على اللئيم من السباب

شديد عادة منتزعة

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدثني محمد بن المرزبان قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال: كانت لأبي الأسود الديلي من معاوية ناحية حسنة، فوعده وعدا فأبطأ عليه، فقال له أبو الأسود:

لا يكن برقك برقا خلبا ... إن خير البرق ما الغيث معه

لا تهني بعد إذ أكرمتني ... فشديد عادة منتزعه". (١)

٧٨-"رددت عليه وده وتركتها ... مطلقة لا يستطاع رجاعها

وإني امرؤ مني الحياء الذي ترى ... أعيش بأخلاق قليل خداعها

أواخي رجالا لست أطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جماعها

يظلون شتى في البلاد، وسرهم ... إلى صخرة أعيا الرجال انصداعها

وقال أبو محجن الثقفي [١] : [من البسيط]

وقد أجود وما مالي بذي فنع ... وأكتم السر فيه ضربة العنق [٢]

وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه [٣] : «من كتم سره كان الخيار في يده» .

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ص/٥٨٧

وقال بعض الحكماء: «لا تطلع واحدا من سرك، إلا بقدر ما لا تجد فيه بدا من معاونتك» .

وقال آخر [٤] : «إن سرك من دمك، فانظر أين تريقه!» .

وقال الشاعر [٥] : [من البسيط]

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت ... مني الضلوع من الأسرار والخبر

لكنت أول من بنسى سرائره ... إذ كنت من نشرها يوما على خطر

وقال الآخر: [من الرمل]

فإذا استودعت سرا أحدا ... فقد استودعت بالسر دمك

وقال قيس بن الخطيم [٦] : [من الطويل]

وإن ضيع الإخوان سرا فإنني ... كتوم لأسرار العشير أمين

يكون له عندي إذا ما ائتمنته ... مكان بسوداء الفؤاد مكين

---

[١] البيت لأبي محجن الثقفي في اللسان والتاج (فنأ، فجر، فنع) ، والمخصص ٢٨٠/١٢، وهو في ديوانه ١٩، ٢١، والرواية فيه:

وأكشف المأزق المكروب غمته ... وأكتم السر فيه ضربة العنق

وقد أجود وما مالي بذي فنع ... وقد أكر وراء المجحر البرق.

[٢] في ديوانه: «ذو فنع: ذو كثرة. وأصل الفنع: الحسن» .

[٣] نسبه البيهقي للرسول صلى الله عليه وسلم في المحاسن والمساوئ ٥٧/٢ ضمن حديث طويل، وورد القول لعتبة ابن أبي سفيان في عيون الأخبار ٤١/١، والعقد الفريد ٣٥/١، ولعنبسه بن أبي سفيان في الفاضل للمبرد ١٠١، ونهاية الأرب ٨٢/٦.

[٤] ورد القول منسوبا إلى المنصور في المحاسن والمساوئ ٥٦/٢، والعقد الفريد ٣٥/١.

[٥] البيتان بلا نسبة في لباب الآداب ٢٤١، وعيون الأخبار ٣٩/١، وأدب الدنيا والدين للماوردي ٢٨١.

[٦] ديوان قيس بن الخطيم ١٦٣، وأمالي القالي ٧٧/٢، والفاضل ١٠٢، والمقاصد النحوية ٥٦٦/٤.". (١)

٧٩-"فضلا عن ملابسته، إلى وقت عودة السبب الأول.

فإذا كانت الطبائع تتشابه، ولكل حاسة قوة، فإذا امتلأت تلك القوة من محسوسها لم تجد لها وراءه طعما ولا ريحا، وعاد عليها الضرر. فبعض النظر يعمى، والصوت الشديد يصم، والرائحة المنتنة تبطل المشم، والأطعمة الحارة المحرقة تبطل حاسة اللسان.

---

(١) الحيوان ١٠٢/٥

وتتطرف كل واحدة منها، فبين الطيب عند من بعد عهده [به] ؛، والجماع والسماع، وبين من هو مغموس فيه بون بعيد جدا، في الحلاوة وحسن الموقع. كل ذلك ما لم يأت المال والعلم، فإنه كلما كثر كان أشهى وأعجب، لأن قصد الناس له ليس لطلب مقدار الحاجة وسد الخلة كما يريده أهل القناعة والزهادة، وإنما يراد لقمع الحرص، والحرص لا حد له ولا نهاية، لأنه سعى لا لحاجة، وإيضاع لا لبغية.

وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن لا بن آدم واديين من ذهب لا بتغى إليهما ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» .

وقال بعض الحكماء:

من كان لا يغنى بما يغنيه ... فكل ما في الأرض لا يغنيه

قال الله عز وجل: وتحبون المال حبا جما

.. وقال: وإنه لحب الخير لشديد

. وقال الشاعر:

والناس إن شبعت بطونهم ... فعيونهم في ذاك لا تشبع

فأما الحديث الذي جاء: «لا يشبع أربع من أربعة: أرض من مطر، وعين من نظر، وأنثى من ذكر، وعالم من علم» .. فإن العين لا تشبع في الجملة كما لا يشبع الخيشوم من الاستنشاق. فأما من صنف مما يراه دون". (١)

٨٠-"ولسانه. وإما ناظر بعين البغضاء والعداوة فهو كثيرا ما يجد من العيوب في عدوه ما يعينه على التخرص عليه فيقويها ويزيد فيها. وإن عدم الحق تقول وقبح الحسن، وزاد في قبح القبيح.

والحديث كله- إلا ما لا بال به- ذكر الناس، ولغو وخطل، وهجر وهذاء، وغيبة وهمز ولمز.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، إنما الإنسان حديث، فإن استطعت ان تكون حديثا حسنا فافعل.

وكل سر في الأرض إنما هو خبر عن إنسان، أو طي عن إنسان، فله في الغيبة أكثر الحظ، وجلها كلفة لا ضرورة، يرى صاحبها أنه قد أهمل محاسبة نفسه، وغفر ذنوبها وألغى عيوبها، وقصد قصد غيره، فتشاغل عما يعينه بما لا يعنيه، فأنكر أقواله وأفعاله، وهجر تدبيره، وتعجب من مقابحه، وجهد نفسه في تفقد أموره. ليس ذلك عن عناية بصلاحه، ولا محبة لتقويمه وتهذيبه، ولا أنه مسيطر عليه ولا محمود عنده على ما عني به من شأنه، بل هو عنده عين المذموم.

وهذا جل حديث البشر وشغلهم في الليل والنهار.

قال بعض الحكماء: فضول النظر تدعو الى فضل القول، وفضول الخواطر تبعث على اللهو والخطل.

[٩- العدل]

ولو كان الرجل لا يتكلم إلا بما يعنيه،؛ ولا يتكلف ما قد كفيه، قل كلامه. ولو حكم العدل في أموره، وفيما بينه وبين

---

(١) الرسائل الأدبية ص/٩٩

خالقه، وبينه وبين إخوانه ومعامليه، لطاب عيشه وخفت مؤونته والمؤونة عليه، فإن الله تبارك وتعالى لم". (١)

٨١-"يخلق مذاقا أحلى من العدل، ولا أروح على القلوب من الإنصاف، ولا أمر من الظلم، ولا أبشع من الجور.
وقال بعض المتقدمين: «إنما يعرف الظلم من حكم به عليه» . ومن استعمل العدل دله على أن الناس يجدون من طعمه وطعم الظلم إذا فعله بهم مثل الذي يجد إذا ظلم، فكره لهم ما كره لنفسه، فأنصف ولم يظلم.
ويتظالم الناس فيما بينهم بالشره والحرص المركب في أخلاقهم، فلذلك احتاجوا الى الحكام- وقد أطلق لهم تصريف أخلاقهم وأماناتهم- التي ردت إليهم بالأحكام فيها، ما جنايته عليهم أكثر مما يطالبهم به الخصوم.
وقال بعض الحكماء: إن من أصعب الأعمال إنصافك في نفسك، ومواساتك أخاك في مالك، وذكر الله. أما إني لا أعني قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر- وإن ذلك لمن ذكر الله- ولكن ذكره عنده ما يعرض من الأمور، فإن كان طاعة لله فعلته، وإن كان معصية لله اجتنبته.
وروى عن بعضهم أنه قال: «ثلاثة في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله: رجل لم يعب أخاه بعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه، فإنه لا يصلحه حتى يهجم على آخر، فتشغله عيوبه عن عيوب الناس. ورجل لم يقدم يدا ولا رجلا حتى يعلم: أفي طاعة الله هو أم في معصيته؟ ورجل لم يلتمس من الناس إلا مثل ما يعطيهم من نفسه. أما تحبون أن تنصفوا» .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله عبدا أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، وشغله عيبه عن عيوب الناس» .
وقال عيسى بن مريم: «يا بني إسرائيل أيرى أحدكم القذاة في عين أخيه ويغبى عن الجذع المعترض في عينه» .". (٢)

٨٢-"[١٠- الفضول]
وقيل لعيسى بن مريم: ما أفضل أعمالك؟ قال: تركي ما لا يعنيني.
وقال عمرو بن عبيد: أعيتني ثلاث خلال: تركي ما لا يعنيني، ودرهم من حله، وأخ احتجت الى ما في يديه بذله لي.
وما أحق من أحصيت ألفاظه وليس من قول يبدر منه إلا لديه رقيب عتيد، ومن أحصيت عليه مثاقيل الذر واستشهد عليه جلده وجوارحه- أن يضبط لسانه.
وقد جاء في بعض الآثار: من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما لا يعنيه.
وكل امرء فحسيب نفسه، غير مأخوذ بغيره، وهو الوحيد دون الأهل والولد والقرابة. وقال الله جل ثناؤه- وقوله الحق- كل امرئ بما كسب رهين

(١) الرسائل الأدبية ص/١٠٢
(٢) الرسائل الأدبية ص/١٠٣

. وقال: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم.

وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا مع السيف والسوط.

وقال بعض الحكماء: شيئان لا صلاح لأحدهما الا بالآخر: اللسان والسيف.

وأنت إذا تأملت أكثر ما يتناجى به المتحدثون وجدت أكثر السائلين يسأل عما لا يعنيه، ويكترث لما لا يكرثه، ويعنى بما لا ينفعه ولا يضره، وأكثر المجيبين يجيب ولم يسأل، ويتكلف ما لا يعلم، ولو قال له قائل: من سألك لافتضح، ولو حاجه فيما ادعى ووقفه لا نقطع. قال الله عز وجل: قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين.". (١)

٨٣-"وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم» .

وقال عيسى عليه السلام: «أعمال البر ثلاثة: المنطق، والنظر، والصمت. فمن كان منطقه في غير ذكر الله فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير تفكر فقد لها» .

فانظر بأي الأمرين قطعت عمرك؟ أبا لحكمة أم باللغو؟ وانظر كيف وصف الله تعالى من أثنى عليه بخير من عباده فقال: والذين هم عن اللغو معرضون

، وقال: وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه

، وقال: وإذا مروا باللغو مروا كراما

. وصان عنه أسماع أهل الجنة وألسنتهم فقال:

لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما. إلا قيلا سلاما سلاما.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت» .

وقال علي بن أبي طالب: «أفضل العبادة الصبر وانتظار الفرج» .

وقال بعض الحكماء: لو لم يكن للصامت في صمته إلا الكفاية لأن يتكلم بكلام ويحكى عنه محرفا فيضطر الى ان يقول: ليس هكذا قلت، إنما قلت كذا وكذا. فيكون إنكاره إقرارا، واعترافه بما حكى عنه شاهدا لمن وشى به، وادعاء لتحريف غير مقبول منه إلا أن يأتي ببينة له- لكان ذلك من أكثر فضائل الصمت.

وربما ذكر رجل الله تبارك وتعالى، فكان ذلك الذكر إثما له، لأنه قد يدخله في باب تفخيم الذنب الحقير والإغراء والتحريض، فيسفك الدم الحرام، أو يعظم الجرح الصغير. بل ربما ضحك وتبسم، فأغرى وحرض، وأثم وأوبق. قال بعض الشعراء:". (٢)

---

(١) الرسائل الأدبية ص/١٠٤

(٢) الرسائل الأدبية ص/١٠٨

٨٤-"ودع ما كنت فيه من طلب الغلمان والانهماك فيهم، مع هذه السن التي قد بلغتها. قال: جزاكم الله خيرا؛ فقد علمت أن فرط العناية والمودة دعاكم إلى عظتي. ولكني اعتدت هذه الصناعة وأنا صغير، وقد علمتم ما **قال بعض الحكماء**: ما أشد فطام الكبير! قال الشاعر:

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه

فقاموا من عنده آيسين من فلاحه.

٢- قال: كان رجل من اللاطة وله بنون لهم أقدار ومروءات، فشانهم بمشيته مع الغلمان وطلبه لهم، فعاتبوه وقالوا: نحن نشتري لك من الوصائف على ما تشتهي، تشتغل بهن، فقد فضحتنا في الناس. فقال: هبكم تشترون لي ما ذكرتم فكيف لشيخكم بحرارة الجلجلتين! فتركوا عتابه وعلموا أنه لا حيلة فيه.

٣- وقال بعض اللوطيين: إنما خلق الأير للفقحة، مدور لمدورة؛ ولو كان للحر كان على صيغة الطبرزين.

وقال شاعرهم:

إذا وجدت صغيرا ... وكأت أصل الحماره

وإن أصبت كبيرا ... قصدت قصد الحراره

فما أبالي كبيرا ... قصدت أو ذا غراره

٤- وقيل لامرأة من الأشراف كانت من المتزوجات: ما بالك مع جمالك وشرفك لا تمكثين مع زوجك إلا يسيرا حتى يطلقك؟ قالت: يريدون الضيق، ضيق الله عليهم.". [1]

٨٥-"بالتجارات. فهذا هو السبب.

فانظر كم بين علتهم وعلة غيرهم! فيسرك بعد هذا أن يتحول ابنك في مسلاخ صالح الزرازريشي، أو في طباع ابن بادام، أو في عقل ابن سامري.

فإن زعموا أن أصحاب السلطان بعرض مكروه فليعلموا أن كل مسافر فبعرض مكروه، وقد **قال بعض الحكماء**: «المسافر ومتاعه على قلت إلا من حفظ الله» ، يعني على هلاك.

وراكب البحر أشد خطرا، ومشتري طعام الأهواز أشد تهورا، ورافع الشراع بعرض هلكة. والمتعرض للملاحة والمعرض نفسه للسباع أقل شفقة.

وسكان الجزائر والسواحل أحق بالتعرض، وأولى بالخوف. والمنهوم بالطعام الردي، والمدمن للشراب أشبه بأصحاب التغرير، والمتباري في ذلك والمتزيد منه أحق بتوقع الحدثان وحوادث الأزمان، قد جرت عليه عادة الدهر وسيرة الأيام. وهذا كله أحق بالاهتمام.

وإن كنت إلى الإشفاق تذهب، وإلى إعطاء الحزم أكثر من نصيبه، وكيف دار الأمر فإن التاجر قد استشعر الذل، وتغشى

---

(١) الرسائل الأدبية ص/١٨٦

ثوب المذلة.

وصاحب السلطان قد تجاوز حد العز والهيبة. وإنما عيبه سكر السلطان، وإفراط التعظيم. قد استبطن بالعز، وظاهر (بالبشر واستحكمت تجربته، وبعدت بصيرته حتى عرف مصلحة كل مصر، وإصلاح كل فاسد، وإقامة كل معوج، وعمارة كل خرب.

ولا أعلم في الأرض أعم إفلاسا ولا أشد نكبة، ولا أكثر تحولا من يسر إلى عسر، ولا رأينا الجوائح إلى أحد أهدى منها إلى أموال الصيارفة. فكيف يقاس شأن قوم تعمهم المعاطب بشأن قوم أهل السلامة فيهم أكثر، والنكبات فيهم أقل.". (١)

٨٦-"وقال خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا اللسان إلا ضالة. أو بهيمة مرسلة، أو صورة ممثلة.

وذكر الصمت والنطق عند الأحنف فقال رجل: الصمت أفضل وأحمد.

فقال: صاحب الصمت لا يتعداه نفعه، وصاحب المنطق ينتفع به غيره.

والمنطق الصواب أفضل.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رحم الله امرأ أصلح من لسانه» .

قال: وسمع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجلا يتكلم فأبلغ في حاجته، فقال عمر: هذا والله السحر الحلال.

وقال مسلمة بن عبد الملك: إن الرجل ليسألني الحاجة فتستجيب نفسي له بها، فإذا لحن انصرفت نفسي عنها.

وتقدم رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، إن أبينا هلك، وإن أخونا غصبنا ميراثه. فقال زياد: الذي ضيعت من لسانك أكثر مما ضيعت من مالك.

وقال بعض الحكماء لأولاده: يا بني أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجل لتنوبه النائبة فيستعير الدابة والثياب، ولا يقدر أن يستعير اللسان.

وقال شبيب بن شيبة ورأى رجلا يتكلم فأساء القول، فقال: يا ابن أخي، الأدب الصالح خير من المال المضاعف.

وقال الشاعر:

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم". (٢)

٨٧-"فإن ابتليت في بعض الأوقات بمن يضرب بحرمة ويمت بدالة، يطلب المكافأة بأكثر مما يستوجب، فدعاك الكرم والحيا إلى تفضيله على من [هو] أحق منه، إما تخوفا من لسانه، أو مداراة لغيره، فلا تدع الأعتذار إلى من فوقه من أهل البلاء والنصيحة وإظهار ما أردت من ذلك لهم، فإن أهل خاصتك والمؤمنين على أسرارك، هم شركاؤك في العيش،

---

(١) الرسائل الأدبية ص/٢١١

(٢) الرسائل الأدبية ص/٣١٤

فلا تستهينن بشيء من أمورهم، فإن الرجل قد يترك الشيء من ذلك اتكالا على حسن رأي أخيه، فلا يزال ذلك يجرح في القلب وينموه حتى يولد ضغنا ويحول عداوة.

فتحفظ من هذا الباب، واحمل إخوانك عليه بجهدك.

وستجد في من يتصل بك من يغلبه إفراط الحرص وحميا الشره، ولين جانبك له، على أن ينقم العافية، ويطلب اللحوق بمنازل من ليس هو مثله، ولا له مثل دالته، فتلقاه لما تصنع به مستقلا، ولمعروفك مستصغرا. وصلاح من كانت هذه حاله بخلاف ما فسد عليه أمره. فاعرف طرائقهم وشيمهم، وداو كل من لا بد لك من معاشرته بالدواء الذي هو أنجع فيه، إن لينا فلينا، وإن شدة فشدة، فقد قيل في المثل:

من لا يؤدبه الجميل ففي عقوبته صلاحه وقد **قال بعض الحكماء**:

«ليس بحكيم من لم يعاشر من لا يجد من معاشرته بدا، بالعدل والنصفة، حتى يجعل الله له من أمره فرجا ومخرجا» .

[٧- لائحة الاسباب والعواقب]

فاحفظ هذه الأبواب التي يوجب بعضها بعضا، وقد ضمنت لك أوائلها كون أواخرها. فاعرفها واقتبسها، واعلم أنه متى كان الأول منها وجب ما بعده لا بد منه. فاحذر المقدمات اللاتي يعقبها المكروه، واحرص على توطيد الأمور". [١]

٨٨-"وزعموا أن ذلك من إفراط الشره، وأن أصل الشره والحسد واحد وإن افترق فرعاهما.

وذموا الحسد كذمهم الجزع، لما يتعجل صاحبه من ثقل الاغتمام، وكلفة مقاساة الاهتمام، من غير أن يجدي عليه شيئا.

فالحسد اغتمام، والغدر لؤم.

وقال بعض الحكماء: «الحسد خلق دنيء، ومن دناءته أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب» . وزعموا أنه لم يغدر غادر قط إلا لصغر همته عن الوفاء، وخمول قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم.

وبقدر ما ذمت الحكماء هذه الأخلاق الأربعة، فكذلك حمدت أضدادها من الأخلاق، فأكثرت في تفضيلها الأقاويل، وضربت فيها الأمثال، وزعمت أنها أصل لكل كرم، وجماع لكل خير، وأن بها تنال جسام الأمور في الدنيا والدين.

فاجعل هذه الأخلاق إماما لك، ومثلا بين عينيك، ورض عليها نفسك، وحكمها في أمرك، تفز بالراحة في العاجل، والكرامة في الآجل.

والصبر صبران: فأعلاهما أن تصبر على ما ترجو فيه الغنم في العاقبة.

والحلم حلمان: فأشرفهما حلمك عمن هو دونك. والصدق صدقان: أعظمهما صدقك فيما يضرك. والوفاء وفاءان: أسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه.

فإن من عرف بالصدق صار الناس له أتباعا، ومن نسب إلى الحلم ألبس ثوب الوقار والهيبة وأبهة الجلالة، ومن عرف بالوفاء استنامت بالثقة به الجماعات ومن استعز بالصبر نال جسيمات الأمور.

---

(١) الرسائل السياسية ص/٧٦

ولعمري ما غلطت الحكماء حين سمتها أركان الدين والدنيا.
فالصدق والوفاء توأمان، والصبر والحلم توأمان، فهن تمام كل دين، وصلاح كل دنيا. وأضدادهن سبب كل فرقة، وأصل كل فساد.
واحذر خصلة رأيت الناس قد استهانوا بها، وضيعوا النظر فيها، مع". (١)

٨٩-"ممن يستنام إلى قوله، ويصدق خبره، وممن إن قال صدق، أو مدح اقتصد، يثني بقدر البلاء، فإن إشراف [٣] الثناء على قدر النعمة يولد في القلوب التكذيب، ويدل على طلب المزايد.
فأما ثناء المادحين لك في وجهك، فإنما تلك أسواق أقاموها للأرباح، وساهلوك في المبايعة، ولم يكن في الثناء عليهم كلفة، لكساد أقاويلهم عند الناس. أولئك الصادون عن طرق المكارم، والمثبطون عن ابتناء المعالي.
فارتد لنعمك مغرسا تنمو فيه فروعها، وتزكو ثمرتها، لا تذهب نفقتك ضياعا، إما لعاجل تقدمه، أو لآجل ثناء تنتفع به.
ولن تعدم أن يفجأك في بعض أحوالك حقوق تبهظك، وأحوال تفدحك، وأمور كلها تتقسم عنايتك، وفي التثبت في مثلها تعرف فضيلتك، فلا تستقبلها بالتضجع وتفتير الرأي، وابدأ منها بأعظمها منفعة، وأشدها خوف ضرر. وكل ما أعجزك إلى الكفاة، واعتذر من تقصير إن كان؛ فإن الاعتذار يكسر حميا اللائمة، ويردع شذاة الشرة.
ثم تلاف بعد انكشاف ذلك عنك ما فاتك، واجهد الجهد كله أن تكون مخارج الحقوق اللازمة لك من عندك سهلة، موصولة لأصحابها ببشرك وطلاقة وجهك؛ فقد زعمت الحكماء أن القليل مع طلاقة الوجه أوقع بقلوب ذوي المروءات من الكثير مع العبوس والانقباض.
وقد **قال بعض الحكماء**: «غاية الأحرار أن يلقوا ما يحبون ويحرموا، أحب إليهم من أن يلقوا ما يكرهون ويعطوا» .
[وما أبعدوا عن الحق] ولا يدعونك كفر كافر لبعض نعمك ممن آثر هواه على دينه ومروءته، أو غدرة غادر تصنع لك وختلك عن مالك، أن تزهد في الإنعام، وتسيء بثقاتك الظنون، فإن هذا موضع يجد الشيطان في مثله الذريع إلى استفساد الصنائع،". (٢)

٩٠-"وتعطيل المكارم.
واعلم أن استصغارك نعمك يكبرها عند ذوي العقول، وسترك لها نشر لها عندهم، فانشرها بسترها، وكبرها باستصغارها.
واعلم أن من الفعل أفاعيل وإن عظمت منافعها. ومنافع أضدادها فلإيثارها فضيلة على كل حال. فاجعل صمتك أكثر من كلامك؛ فإنه أدل على حكمتك. واجعل عفوك أكثر من عقوبتك، فإن ذلك أدل على كرمك. ولا تفرطن فيه كل الإفراط حتى تطرح الكلام في موضعه، والتأديب في أوانه.

---
(١) الرسائل السياسية ص/٨٦
(٢) الرسائل السياسية ص/٨٩

واعلم أن لكل امرىء سيدا من عمله، قد ساهلته فيه نفسه وسلس له فيه هواه، فتحفظ ذلك من نفسك، وتقاضها الزيادة فيه، ورضها على تثميره والمواظبة عليه.

واحذر الحذر كله الاغترار بأمور ثلاثة؛ فإن من عطب بها كثير، وتلافيها صعب شديد.

أحدها: ألا تولي جسائم تصرفك وتقلد مهم أمورك ووثائق تدبيرك إلا امرا صلاحه موصول بصلاحك، وبقاء النعمة عليك هو بقاء النعمة عليه.

أو أن تأنس أو تغتر بمن تعلم أن بصلاحك فساده، وبارتفاعك انحطاطه، وبسلامتك عطبه؛ فإن من كان هكذا فأنت ملك موته. فبحسب ذلك فليكن عندك.

أو أن تجعل مالك كله في عقدة واحدة، أو حيز واحد، [أو وجه منفرد] ، إن اجتاحته جائحة أو نابته نائبة بقيت حسيرا.

وقد **قال بعض الحكماء**: «فرقوا المنية» ، و «اطلبوا الأرباح بكل شعب» .

واعلم أنه ليس من الأخلاق التي ذمتها الحكماء خلق إلا وقد ينفع في بعض الحالات، ويرد به شكله، ويقام بإزاء مثله، ويدافع به نظيره.". (١)

٩١-"وستجد في من يتصل بك من يغلبه إفراط الحرص وحميا الشره، ولين جانبك له، على أن ينقم العافية، ويطلب اللحوق بمنازل من ليس هو مثله، ولا له مثل دالته، فتلقاه لما تصنع به مستقلا، ولمعرفتك مستصغرا. وصلاح من كانت هذه حاله بخلاف ما فسد عليه أمره. فاعرف طرائقهم وشيمهم، وداو كل من لا بد لك من معاشرته بالدواء الذي هو أنجع فيه، إن لينا فلينا، وإن شدة فشدة؛ فقد قيل في المثل:

من لا يؤدبه الجمي ... ل ففي عقوبته صلاحه

وقد **قال بعض الحكماء**: " ليس بحكيم من لم يعاشر من لا يجد من معاشرته بدا، بالعدل والنصفة، حتى يجعل الله له من أمره فرجا ومخرجا.

فاحفظ هذه الأبواب التي يوجب بعضها بعضا، وقد ضمنت لك أوائلها كون أواخرها. فاعرفها واقتبسها، واعلم أنه متى كان الأول منها وجب ما بعده لا بد منه. فاحذر المقدمات اللاتي يعقبها المكروه، واحرص على توطيد الأمور التي على أثرها السلامة، وألقح في البدي الأمور التي نتاجها العافية.". (٢)

٩٢-"الكذب فإنه جماع كل شر. وقد قالوا: لم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عنده.

والغضب فإنه لؤم وسوء مقدرة؛ وذاك أن الغضب ثمرة لخلاف ما تهوى النفس، فإن جاء الإنسان خلاف ما يهوى ممن فوقه أغضى وسمى ذلك حزنا، وإن جاءه ذلك ممن دونه حمله لؤم النفس وسوء الطباع على الاستطالة بالغضب، والمقدرة

---

(١) الرسائل السياسية ص/٩٠

(٢) الرسائل للجاحظ ١/١٠٩

والبسطة على البطش.

والجزع عند المصيبة التي لا ارتجاع لها؛ فإنهم لم يجعلوا لصاحب الجزع في مثل هذا عذرا، لما يتعجل من غم الجزع مع علمه بفوت المجزوع عليه. وزعموا أن ذلك من إفراط الشره، وأن أصل الشره والحسد واحد وإن افترق فرعاهما.

وذموا الحسد كذمهم الجزع، لما يتعجل صاحبه من ثقل الاغتمام، وكلفة مقاساة الاهتمام، من غير أن يجدي عليه شيئا. فالحسد اغتمام، والغدر لؤم. **وقال بعض الحكماء**: " الحسد خلق دنيء، ومن دناءته أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب ". وزعموا أنه لم يغدر غادر قط إلا لصغر همته عن الوفاء، وخمول قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم.". (١)

٩٣-"فلا تستقبلها بالتضجع وتفتير الرأى، وابدأ منها بأعظمها منفعة، وأشدها خوف ضرر. وكل ما أعجزك إلى الكفاة، واعتذر من تقصير إن كان؛ فإن الاعتذار يكسر حميا اللائمة، ويردع شذاة الشرة.

ثم تلاف بعد انكشاف ذلك عنك ما فاتك، واجهد الجهد كله أن تكون مخارج الحقوق اللازمة لك من عندك سهلة، موصولة لأصحابها ببشرك وطلاقة وجهك؛ فقد زعمت الحكماء أن القليل مع طلاقة الوجه أوقع بقلوب ذوى المروءات من الكثير مع العبوس والانقباض.

وقد **قال بعض الحكماء**: " غاية الأحرار أن يلقوا ما يحبون ويحرموا، أحب إليهم من أن يلقوا ما يكرهون ويعطوا ".

وما أبعدوا عن الحق.

ولا يدعونك كفر كافر لبعض نعمك ممن آثر هواه على دينه". (٢)

٩٤-"أحدها: ألا تولى جسائم تصرفك وتقلدمهم أمورك ووثائق تدبيرك إلا امرأ صلاحه موصول بصلاحك، وباء النعمة عليك هو بقاء النعمة عليه.

أو أن تأنس أو تغتر بمن تعلم أن بصلاحك فساده، وبارتفاعك انحطاطه، وبسلامتك عطبه؛ فإن من كان هكذا فأنت ملك موته. فبحسب ذلك فليكن عندك.

أو أن تجعل مالك كله في عقدة واحدة، أو حيز واحد، أو وجه منفرد، إن اجتاحته جائحة أو نابته نائبة بقيت حسيرا. وقد **قال بعض الحكماء**: " فرقوا المنية "، و " اطلبوا الأرباح بكل شعب ".

واعلم أنه ليس من الأخلاق التي ذمتها الحكماء خلق إلا وقد ينفع في بعض الحالات، ويرد به شكله، ويقام بإزاء مثله، ويدافع به نظيره.

إنك ستمنى بصحبة السلطان الحازم العادل، وبصحبة السلطان الأخرق الجهول الغشوم. فالحازم العادل يسوسه لك الأدب

---

(١) الرسائل للجاحظ ١/١٢٤

(٢) الرسائل للجاحظ ١/١٣٠

والنصح، والأخرق تسوسه لك الحلة والرفق. العادل يعضدك منه ثلاث، وتصبر نفسه لك على ثلاث:". (١)

٩٥-"هي ولا شيء مما فيها على حال واحدة، وإنما الثبوت الدائم لدار القرار. فالسآمة تلحقها في محبوبها، كما يصيب المنتهي من الطعام والشراب والباه، فإنه ليس شيء أبغض إلى من يتناهى فيه إلى غايته، من النظر إلى ناحيته، فضلا عن ملابسته، إلى وقت عودة السبب الأول.

فإذا كانت الطبائع تتشابه، ولكل حاسة قوة، فإذا امتلأت تلك القوة من محسوسها لم تجد لها وراءه طعما ولا ريحا، وعاد عليها الضرر. فبعض النظر يعمى، والصوت الشديد يصم، والرائحة المنتنة تبطل المشم، والأطعمة الحارة المحرقة تبطل حاسة اللسان.

وتتطرف كل واحدة منها؛ فبين الطيب عند من بعد عهده به، والجماع والسماع، وبين من هو مغموس فيه بون بعيد جدا، في الحلاوة وحسن الموقع. كل ذلك ما لم يأت المال والعلم؛ فإنه كلما كثر كان أشهى وأعجب؛ لأن قصد الناس له ليس لطلب مقدار الحاجة وسد الخلية كما يريده أهل القناعة والزهادة، وإنما يراد لقمع الحرص، والحرص لا حد له ولا نهاية؛ لأنه سعى لا لحاجة، وإيضاع لا لبغية.

وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ".

وقال بعض الحكماء:

من كان لا يغنى بما يغنيه ... فكل ما في الأرض لا يغنيه". (٢)

٩٦-"استحوذت على هذا العالم وغلبت على طبائعهم، وتوكدت لسوء العادة عندهم، ولعلو الشر على الخير، وكثرة الدغل والنغل والحسد في القلوب. فلست ترى منها ناجيا. إما ناظر بعين عدل وإنصاف، فهو يرى ما ينكر فيبدو في وجهه ولسانه. وإما ناظر بعين البغضاء والعداوة فهو كثيرا ما يجد من العيوب في عدوه ما يعينه على التخرص عليه فيقويها ويزيد فيها. وإن عدم الحق تقول وقبح الحسن، وزاد في قبح القبيح.

والحديث كله - إلا ما بال به - ذكر الناس، ولغو وخطل، وهجر وهذاء، وغيبة وهمز ولمز.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بنى، إنما الإنسان حديث، فإن استطعت أن تكون حديثا حسنا فافعل.

وكل سر في الأرض إنما هو خبر عن إنسان، أو طى عن إنسان، فله في الغيبة أكثر الحظ، وجلها كلفة لا ضرورة، يرى صاحبها أنه قد أهمل محاسبة نفسه، وغفر ذنوبها وألغى عيوبها، وقصد قصد غيره، فتشاغل عما يعنيه بما لا يعنيه، فأنكر أقواله وأفعاله، وهجر تدبيره، وتعجب من مقابحه، وجهد نفسه في تفقد أموره. ليس ذلك عن عناية بصلاحه، ولا محبة

---

(١) الرسائل للجاحظ ١/١٣٢

(٢) الرسائل للجاحظ ١/١٥٦

لتقويمه وتهذيبه، ولا أنه مسيطر عليه ولا محمود عنده على ما عنى به من شأنه، بل هو عنده عين المذموم.
وهذا جل حديث البشر وشغلهم في الليل والنهار.". (١)

٩٧-"**قال بعض الحكماء**: فضول النظر تدعو إلى فضل القول، وفضول الخواطر تبعث على اللهو والخطل.
ولو كان الرجل لا يتكلم إلا بما يعنيه، ولا يتكلف ما قد كفيه، قل كلامه. ولو حكم العدل في أموره، وفيما بينه وبين خالقه، وبينه وبين إخوانه ومعامليه، لطاب عيشه وخفت مؤونته والمؤونة عليه؛ فإن الله تبارك وتعالى لم يخلق مذاقا أحلى من العدل، ولا أروح على القلوب من الإنصاف، ولا أمر من الظلم، ولا أبشع من الجور.
وقال بعض المتقدمين: " إنما يعرف الظلم من حكم به عليه ". ومن استعمل العدل دله على أن الناس يجدون من طعمه وطعم الظلم إذا فعله بهم مثل الذي يجد إذا ظلم، فكره لهم ما لنفسه، فأنصف ولم يظلم.
ويتظالم الناس فيما بينهم بالشره والحرص المركب في أخلاقهم، فلذلك احتاجوا إلى الحكام - وقد أطلق لهم تصريف أخلاقهم وأماناتهم - التي ردت إليهم بالأحكام فيها، ما جنايته عليهم أكثر مما يطالبهم به الخصوم.". (٢)

٩٨-"**وقال بعض الحكماء**: إن من أصعب الأعمال إنصافك في نفسك، ومواساتك أخاك في مالك، وذكر الله.
أما إني لا أعني قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله - وإن ذلك لم ذكر الله - ولكن ذكره عند ما يعرض من الأمور، فإن كان طاعة لله فعلته، وإن كان معصية لله اجتنبته.
وروي عن بعضهم أنه قال: " ثلاثة في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله: رجل لم يعب أخاه بعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه؛ فإنه لا يصلحه حتى يهجم عاى آخر، فتشغله عيوبه عن عيوب الناس. ورجل لم يقدم يدا ولا رجلا حتى يعلم: أفي طاعة الله هو أم في معصيته؟ ورجل لم يلتمس من الناس إلا مثل ما يعطيهم من نفسه. أما تحبون أن تنصفوا ".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رحم الله عبدا أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، وشغله عيبه عن عيوب الناس ".
وقال عيسى بن مريم: " يا بني إسرائيل أيرى أحدكم القذاة في عين أخيه ويغبى عن الجذع المعترض في عينه ".
وقيل لعيسى بن مريم: ما أفضل أعمالك؟ قال: تركي ما لا يعنيني.
وقال عمرو بن عبيد: أعيتني ثلاث خلال: تركي ما لا يعنيني، ودرهم من حله، وأخ إذا احتجت إلى ما في يديه بذله لي.". (٣)

---

(١) الرسائل للجاحظ ١٦٠/١
(٢) الرسائل للجاحظ ١٦١/١
(٣) الرسائل للجاحظ ١٦٢/١

٩٩-"وما أحق من أحصيت ألفاظه وليس من قول يبدر منه إلا لديه رقيب عتيد، ومن أحصيت عليه مثاقيل الذر واستشهد عليه جلده وجوارحه أن يضبط لسانه.

وقد جاء في بعض الآثار: من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما لا يعنيه.

وكل امرئ فحسيب نفسه، غير مأخوذ بغيره، وهو الوحيد دون الأهل والولد والقرابة. وقال الله جل ثناؤه – وقوله الحق – " كل امرئ بما كسب رهين ". وقال: " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ".

وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا مع السيف والسوط.

وقال بعض الحكماء: شيئان لا صلاح لأحدهما إلا بالآخر: اللسان والسيف.

وأنت إذا تأملت أكثر ما يتناجى به المتحدثون وجدت أكثر السائلين يسأل عما لا يعنيه، ويكترث لما لا يكرثه، ويعنى بما لا ينفعه ولا يضره؛ وأكثر المجيبين يجيب ولم يسأل، ويتكلف ما لا يعلم، ولو قال له قائل: من سألك لافتضح، ولو حاجه فيما ادعى ووقفه لانقطع. قال الله عز وجل: " قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ".". (١)

١٠٠-"**وقال بعض الحكماء**: لو لم يكن للصامت في صمته إلا الكفاية لأن يتكلم بكلام ويحكى عنه محرفا فيضطر إلى أن يقول: ليس هكذا قلت، إنما قلت كذا وكذا. فيكون إنكاره إقرارا، واعترافه بما حكى عنه شاهدا لمن وشى به، وادعاء لتحريف غير مقبول منه إلا أن يأتي ببينة له لكان ذلك من أكثر فضائل الصمت.

وربما ذكر رجل الله تبارك وتعالى، فكان ذلك الذكر إثما له، لأنه قد يدخله في باب تفخيم الذنب الحقير والإغراء والتحريض، فيسفك الدم الحرام، أو يعظم الجرح الصغير. بل ربما ضحك وتبسم، فأغرى وحرض، وأثم وأوبق. قال بعض الشعراء:

فإن شئت أدلى فيكما غير واحد ... مجاهرة أو قال عندي في سر

فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما ... ضحكت له حتى يلج ويستشرى

وقالت العرب: " من كفي شر لقلقه وذبذبه وقبقبه فقد كفي الشر ".

وهذا باب لولا أن نشغل القارئ لهذا الكتاب بغير ما قصدنا إليه وعزمنا عليه لأتينا عليه. وهو كثير موجود لمن طلبه، وجملة واحدة فيها". (٢)

١٠١-"لا يكون كما وصفت وكما ذكرت، ولست بخطيب، ولا جار قريب، ولا ابن عم نسيب ".

وقال بعض الحكماء: لو لم تعرفوا من لؤم الحسد إلا أنه موكل بالأدنى فالأدنى. وليس يقع ذلك بين المتباينين، ولا يجوز في المتقاربين.

ولا يكون الطلب إلا بالطمع، ولا يكون الطمع إلا بالسبب. فإذا انقطع السبب انقطع الطمع، وفي عدم الطمع عدم

---

(١) الرسائل للجاحظ ١٦٣/١

(٢) الرسائل للجاحظ ١٦٩/١

الطلب. وكيف يتكلف الطيران من لا جناح له، وكيف يرجو صلاح أمر العامة وترتيب الخاصة من عجز عن تدبير بيته، وقصر عن تدبير عبده؟! وإنصاف اللسان قليل، وإنصاف القلب أقل منه.

ونحن نرغب إلى الله في صلاحهم؛ فإن في صلاحهم صلاح قلوبنا لهم.

وقد جعل الله الشكر موصولا بالمزيد، ومن الشكر على نعمة الله علينا بكم أن نعظم ما عظم الله من أمركم. ومن صغر ما عظم الله فقد عظم ما صغر الله. ولا يفعل ذلك إلا الصغير القدر، والخامل الذكر، والجاهل بالأمر.

وكيف لا تكونون على ما خبرت وكما وصفت، وقد أغنيتم من العيلة، وآنستم من الوحشة، وجمعتم الشمل، وأعدتم الألفة، ورددتم الظلامة، وأحييتم السنة، وأبرزتم التوحيد بعد اكتتامه، وأظهرتموه بعد استخفائه، واحتملتم عداوة الجميع، ووترتم المطاعنين في تقويتنا.

ونحن لا نطالب ما كنتم قياما، ولا نذكر ما كنتم شهودا. ونحن مع قلة علمنا لا نجد أبدا عملنا إلا مقصرا عن علمنا. وأنتم مع اتساع قلوبكم،". (١)

١٠٢-"**وقال بعض الحكماء لأولاده**: يا بني أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجل لتنوبه النائبة فيستعير الدابة والثياب، ولا يقدر أن يستعير اللسان.

وقال شبيب بن شيبة ورأى رجلا يتكلم فأساء القول، فقال: يا ابن أخي، الأدب الصالح خير من المال المضاعف.

وقال الشاعر:

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

فخذ يا أمير المؤمنين أولادك بأن يتعلموا من كل الأدب؛ فإنك إن أفردتهم بشيء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يحسنوه.

وذلك أني لقيت حزاما حين قدم أمير المؤمنين من بلاد الروم، فسألته عن الحرب كيف كانت هناك؟ فقال: لقيناهم في مقدار صحن الإصطبل، فما كان بقدر ما يحس الرجل دابته حتى تركناهم في أضيق من ممرغة. وقتلناهم فجعلناهم كأنهم أنابير سرجين،". (٢)

١٠٣-"ودخل بعض الملوك على أهله ومعه خصي فاستترت منه، فقال لها: تستترين منه وإنما هو بمنزلة المرأة! فقالت: ألموضع المثلة به يحل له ما حرم الله عليه.

مع أن في الخصي عيوبا يطول ذكرها.

ولولا خوف الملال والسآمة على الناظر في هذا الكتاب، لقلنا في الاحتجاج عليك بما لا يدفعه من كانت به مسكة عقل،

---

(١) الرسائل للجاحظ ٢٩٣/١

(٢) الرسائل للجاحظ ٣٨١/١

أو له معرفة. وفيما قلنا ما أقنع وكفى. وبالله الثقة.

وقد ذكرنا في آخر كتابنا هذا مقطعات من أحاديث البطالين والظرفاء، ليزيد القارئ لهذا الكتاب نشاطا، ويذهب عنه الفتور والكلال، ولا قوة إلا بالله.

١ – قال: مرض رجل من عتاة اللاطة مرضا شديدا، فأيسوا منه، فلما أفاق وأبل من مرضه، دخل عليه جيرانه فقالوا له: احمد الله الذي أقالك، ودع ما كنت فيه من طلب الغلمان والانهماك فيهم، مع هذه السن التي قد بلغتها. قال: جزاكم الله خيرا؛ فقد علمت أن فرط العناية والمدة دعاكم إلى عظتي. ولكني اعتدت هذه الصناعة وأنا صغير، وقد علمتم ما **قال بعض الحكماء**: ما أشد فطام الكبير!.". (١)

١٠٤-"فانظر كم بين علتهم وعلة غيرهم! فيسرك بعد هذا أن يتحول ابنك في مسلاخ صالح الزرازريشي، أو في طباع ابن بادام، أو في عقل ابن سامري.

فإن زعموا أن أصحاب السلطان يعرض مكروه فليعلموا أن كل مسافر فبعرض مكروه، وقد **قال بعض الحكماء**: " المسافر ومتاعه على قلت إلا من حفظ الله "، يعني على هلاك.

وراكب البحر أشد خطرا، ومشتري طعام الأهواز أشد تهورا، ورافع الشراع بعرض هلكة. والمتعرض للملاحة والمعرض نفسه للسباع أقل شفقة. وسكان الجزائر والسواحل أحق بالتعرض، وأولى بالخوف. والمنهوم بالطعام الردي، والمدمن للشراب أشبه بأصحاب التغرير، والمتباري في ذلك والمتزيد منه أحق بتوقع الحدثان وحوادث الأزمان، قد جرت عليه عادة الدهر وسيرة الأيام. وهذا كله أحق بالاهتمام.". (٢)

١٠٥-"وقول ابن الرومى فى مغن:

مجلسه مأتم اللذاذة وال ... قصف وعرس الهموم والسقم

ينشدنا اللهو عند طلعته ... «من أوحشته الديار لم يقم»

وكقول جحظة:

أصبحت بين معاشر هجروا الندى ... وتقبلوا الأخلاق عن أسلافهم

قوم أحاول نيلهم فكأنما ... حاولت نتف الشعر من آنافهم

هات اسقينها بالكبير وغنى ... «ذهب الذين يعاش فى أكنافهم»

وباقى كلامه يتضمن صفة المتكلم لا صفة الكلام. إلا قوله: ويكون تصفحه لموارده بقدر تصفحه لمصادره. وسنأتى على الكلام فى هذا ونستقصيه فى فصل المقاطع والمبادى.

---

(١) الرسائل للجاحظ ١٢٥/٢

(٢) الرسائل للجاحظ ٤٨/٣

وقال بعض الحكماء: البلاغة قول يسير، يشتمل على معنى خطير. وهذا مثل قول الآخر: البلاغة حكمة تحت قول وجيز. وقول الآخر: البلاغة علم كثير فى قول يسير.

ومثاله قول الأعرابى، وقد سئل عن مال يسوقه، لمن هو؟ فقال: لله فى يدى. فأى شيء لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة، والحكم البارعة الجسيمة.

وقال الله عز وجل اسمه: ومن يتوكل على الله فهو حسبه

. قد دخل تحت قوله: فهو حسبه من المعانى ما يطول شرحه من إيتاء ما يرجى، وكفاية ما يخشى.

وهذا مثل قوله عز وجل: وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين.

وسئل بعض الأوائل: ما كان سبب موت أخيك؟ قال: كونه. فأحسن ما شاء.". [١]

١٠٦-"وقد أحسن فى هذا المعنى جعفر بن محمد رضى الله عنهما، فقال: الأدب عند الأحمق كالماء العذب فى أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة.

وقال صاحب كليلة ودمنة: الدنيا كدودة القز لا تزداد بالإبريسم «١» على نفسها لفا إلا ازدادت من الخروج بعدا.

وقال: إذا عثر الكريم لم ينتعش إلا بكريم، كالفيل إذا توحل لم يقلعه إلا الفيلة.

وقال الشاعر فى هذا المعنى:

وإذا الكريم كبت به أيامه ... لم ينتعش إلا بعطف كريم

وقال صاحب كليلة أيضا: يبقى الصالح من الرجال صالحا حتى يصاحب فاسدا؛ فإذا صاحبه فسد، مثل مياه الأنهار تكون عذبة حتى تخالط ماء البحر، فإذا خالطته ملحت.

وقال بعض الحكماء: الدنيا كالمنجل استواؤها فى اعوجاجها.

والتشبيه بعد ذلك فى جميع الكلام يجرى على وجوه:

وجوه التشبيه

منها تشبيه الشيء بالشيء صورة؛ مثل قول الله عز وجل: والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون «٢» القديم

. أخذه ابن الرومى، فقال فى ذم الدهر «٣» :

تأتى على القمر السارى نوائبه ... حتى يرى ناحلا فى شخص عزجون

وأين يقع هذا من لفظ القرآن.

ومن ذلك قول امرىء القيس «٤» :

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر ص/٣٧

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالى «٥»". [1]

١٠٧-"تبدو الثريا وأمر الليل مجتمع ... كأنها عقرب مقطوعة الذنب

وقلت:

تلوح الثريا والظلام مقطب ... فيضحك منها عن أغر مفلج

تسير وراء والهلال أمامها ... كما أومأت كف إلى نصف دملج

وقال عبد الله بن المعتز:

أهلا وسهلا بالناى والعود ... وكأس ساق كالغصن مقدود

قد انقضت دولة الصيام وقد ... بشر سقم الهلال بالعيد

وقال آخر:

تبدو الثريا كفاغر شره ... يفتح فاه لأكل عنقود «١»

قال أبو الحرث: جميز فلان كالمشجب «٢» من حيث لقيته «لا» ، فقال أبو العبر:

لو كنت من شيء خلافك لم تكن ... لتكون إلا يشجبا فى مشجب

يا ليت لى من جلد وجهك رقعة ... فأقد منها حافرا للأشهب

وقال بعض الحكماء: العقل كالسيف والنظر كالمسن. ونظر عبادة إلى سوداء تبكى، فقال: كأنها تنور شنان يكف؛ فنظمته وقلت:

سوداء تذرف دمعها ... مثل الأتون إذا وكف

وقال ابن المعتز:

وكأن عقرب صدغه وقفت ... لما دنت من نار وجنته

وقلت:

كأن نهوض النجم والأفق أخضر ... تبلج ثغر تحت خضرة شارب". [2]

١٠٨-"لعمر بن الخطاب في ابن مقرن

: وللنعمان بن مقرن هذا؛ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ تكاملت [الخيل] وتطلع الصحابة إلى التقدم عليها: لأقلدن أعنتها رجلا يكون غدا لأول أسنة يلقاها، فقلدها النعمان بن مقرن.

لعلي في الفرصه

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر ص/٢٤٥

(٢) الصناعتين: الكتابة والشعر ص/٢٥٥

: وقال علي رضي الله عنه: انتهزوا الفرصة فإنها تمر مر السحاب، ولا تطلبوا أثرا بعد عين.

وقال بعض الحكماء: انتهز الفرصة فإنها خلسة: وثب عند رأس الأمر ولا تثب عند ذنبه؛ وإياك والعجز فإنه أذل مركب، والشفيع المهين فإنه أضعف وسيلة.

لابن مسلم في ابن أبي سود

وخرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمه ذلك، فقيل له: ما يهمك منهم؟ وجه إليهم وكيع بن أبي سود فإنه يكفيهم. فقال: لا، إن وكيعا رجل به كبر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلت مبالاته بأعدائه فلم يحترس منهم. فيجد عدوه غرة منه «١» .

لبعض الملوك في الحزم

: وسئل بعض الملوك عن وثائق الحزم في القتال فقال: مخاتلة العدو «٢» عدن الريف وإعدادا العيون «٣» على الرصد، وإعطاء المبلغين على الصدق، ومعاقبة المتوصلين بالكذب، وألا تخرج هاربا إلى قتال؛ ولا تضيق أمانا على مستأمن، ولا تشدهنك «٤» الغنيمة عن المحاذرة.". (١)

١٠٩-"من حمل العلم واستعماله؛ فقليل العلم يستعمله العقل خير من كثيره يحفظه القلب.

قيل للمهلب: بم أدركت ما أدركت؟ قال: بالعلم. قيل له: فإن غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت. قال: ذلك علم حمل وهذا علم استعمل.

وقد قالت الحكماء: العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود؛ فإذا كان قائد بلا سائق هلكت، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا، وإذا اجتمعا أنابت «١» طوعا أو كرها.

فنون العلم

قال سهل بن هارون وهو عند المأمون: من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن ينظروا فيه، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال.

فقال المأمون: قد يسمي بعض الناس الشيء علما وليس بعلم، فإن كان هذا أردت فوجهه الذي ذكرت.

ولو قلت أيضا إن العلم لا يدرك غوره، ولا يسبر قعره، ولا تبلغ غايته، ولا تستقصى أصوله، ولا تنضبط أجزاؤه، صدقت؛ فإن كان الأمر كذلك فابدأ بالأهم فالأهم، والأوكد فالأوكد، وبالفرض قبل النفل «٢» ، يكن ذلك عدلا قصدا ومذهبا جميلا.

وقد **قال بعض الحكماء**: لست أطلب العلم طمعا في غايته والوقوف على نهايته، ولكن التماس ما لا يسع جهله. فهذا وجه لما ذكرت.

وقال آخرون: علم الملوك النسب والخبر، وعلم أصحاب الحروب درس كتب الأيام والسير، وعلم التجار الكتاب والحساب.

---

(١) العقد الفريد ١/٩٠

فأما أن يسمى الشيء علما وينهى عنه". (١)

١١٠-"وقال آخر:

العلم يحيي قلوب الميتين كما ... تحيا البلاد إذا ما مسها المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما يجلي سواد الظلمة القمر

وقال بعض الحكماء: اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى لنفسك، وأخف على قلبك؛ فإن نفاذك فيه، على حسب شهوتك له وسهولته عليك.

فضيلة العلم

لعلي بن أبي طالب:

حدثنا أيوب بن سليمان قال: حدثنا عامر بن معاوية عن أحمد بن عمران الأخنس عن الوليد بن صالح الهاشمي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفي، عن أبي مخنف، عن كحيل النخعي، قال: أخذ بيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فخرج بي إلى ناحية الجبانة، فلما أصحر «١» تنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل، إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك:

الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، مع كل ريح يميلون، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

يا كميل، العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، ومنفعة المال تزول بزواله.

يا كميل، محبة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة ها إن ها هنا لعلما جما- وأشار بيده إلى صدره- لو وجدت له حملة، بلى أجد لقنا «٢» غير مأمون عليه، يستعمله آلة الدين". (٢)

١١١-"انتحال العلم

قال بعض الحكماء: لا ينبغي لأحد أن ينتحل العلم، فإن الله عز وجل يقول:

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا

«١» وقال عز وجل: وفوق كل ذي علم عليم

---

(١) العقد الفريد ٧٧/٢

(٢) العقد الفريد ٨١/٢

«٢» .

وقد ذكر عن موسى بن عمران عليه السلام، أنه لما كلمه الله تعالى تكليما، ودرس التوراة وحفظها، حدثته نفسه أن الله لم يخلق خلقا أعلم منه، فهون الله إليه نفسه بالخضر عليه السلام.

وقال مقاتل بن سليمان وقد دخلته أبهة العلم: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل من الثرى. فقام إليه رجل من القوم فقال: ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل من الثرى، ولكن نسألك عما كان في الأرض وذكره الله في كتابه: أخبرني عن كلب أهل الكهف، ما كان لونه؟ فأفحمه.

وقال قتادة: ما سمعت شيئا قط ولا حفظت شيئا قط فنسيته. ثم قال: يا غلام، هات نعلي. فقال: هما في رجليك. ففضحه الله.

وأنشد أبو عمرو بن العلاء في هذا المعنى:

من تحلى بغير ما هو فيه ... فضحته شواهد الإمتحان

وفي هذا المعنى:

من تحلى بغير ما هو فيه ... شان ما في يديه ما يدعيه

وإذا قلل الدعاوى لما في ... هـ أضافوا إليه ما ليس فيه

ومحل الفتى سيظهر للنا ... س وإن كان دائبا يخفيه

وبحسب الذي ادعى ما عداه ... أنه عالم بما يفتريه". (١)

١١٢-"**وقال بعض الحكماء**: ما عبد الله بشيء أحب إليه من العقل، وما عصي بشيء أحب إليه من الستر.

وقال مسلمة بن عبد الملك: ما قرأت كتابا قط لأحد إلا عرفت عقله منه.

وقال يحيى بن خالد: ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الكتاب يدل على عقل كاتبه، والرسول يدل على عقل مرسله، والهدية تدل على عقل مهديها.

بين عمر بن عبد العزيز ورجل من أعوانه:

واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا، فقيل له: إنه حديث السن ولا نراه يضبط عملك؛ فأخذ العهد منه وقال: ما أراك تضبط عملك لحداثتك؛ فقال الفتى:

وليس يزيد المرء جهلا ولا عمى ... إذا كان ذا عقل، حداثة سنه

فقال عمر: صدق، ورد عليه عهده.

وقال جثامة بن قيس يصف عاقلا:

بصير بأعقاب الأمور كأنما ... تخاطبه من كل أمر عواقبه

---

(١) العقد الفريد ٢/٨٦

ولغيره في المعنى:

بصير بأعقاب الأمور كأنما ... يرى بصواب الرأي ما هو واقع

وقال شبيب بن شيبة لخالد بن صفوان: إني لأعرف أمرا لا يتلاقى فيه اثنان إلا وجب النجح بينهما؛ قال له خالد: ما هو؟ قال العقل، فإن العاقل لا يسأل إلا ما يجوز، ولا يرد عما يمكن. فقال له خالد: نعيت الي نفسي، إنا أهل بيت لا يموت منا أحد حتى يرى خلفه.

وقال عبد الله بن الحسين لابنه محمد: يا بني، احذر الجاهل وإن كان لك ناصحا كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوا؛ ويوشك الجاهل أن تورطك مشورته في بعض". (١)

١١٣-"اغترارك «١» فيسبق إليك مكر العاقل؛ وإياك ومعاداة الرجال، فإنك لا تعدمن منها مكر حليم عاقل، أو معاندة جاهل.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: لا مال أعود من عقل، ولا فقر أضر من جهل.

ويقال: لا مروءة لمن لا عقل له.

وقال بعض الحكماء: لو استغنى أحد عن الأدب لاستغنى عنه العاقل، ولا ينتفع بالأدب من لا عقل له، كما لا ينتفع بالرياضة إلا النجيب.

وكان يقال: بالعقل تنال لذة الدنيا، لأن العاقل لا يسعى إلا في ثلاث: مزية لمعاش، أو منفعة لمعاد، أو لذة في غير محرم.

ولبعضهم:

إذا أحببت أقواما فلاصق ... بأهل العقل منهم والحياء

فإن العقل ليس له إذا ما ... تفاضلت الفضائل من كفاء «٢»

لمحمد بن يزيد:

وأفضل قسم الله للمرء عقله ... وليس من الخيرات شيء يقاربه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه ... على العقل يجري علمه وتجاربه

ومن كان غلابا بعقل ونجدة ... فذو الجد في أمر المعيشة غالبه

فزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محصورا عليه مكاسبه

وشين الفتى في الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه «٣»

---

(١) العقد الفريد ٢/١١٤

ولبعضهم:". (١)

١١٤-"فكن دافنا للجهل بالحلم تسترح ... من الجهل إن الحلم للجهل دافن

ولغيره:

ألا إن حلم المرء أكبر نسبة ... يسامي بها عند الفخار كريم

فيا رب هب لي منك حلما فإنني ... أرى الحلم لم يندم عليه حليم

وقال بعض الحكماء: ما حلا عندي أفضل من غيظ أتجرعه.

وقال بعضهم:

وفي الحلم روع للسفيه عن الأذى ... وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا «١»

فتندم إذ لا تنفعنك ندامة ... كما ندم المغبون لما تفرقا

وقال علي عليه السلام: أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل.

سئل كسرى أنو شروان: ما قدر الحلم؟ فقال: وكيف تعرف قدر ما لم ير كماله أحد.

وقال معاوية لخالد بن المعمر: كيف حبك لعلي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال:

أحبه لثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال، وعلى وفائه إذا وعد.

وكان يقال: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم والباطل، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطيء لها حتى تتخطاك.

وقال الحسن: إنما يعرف الحلم عند الغضب. فإذا لم تغضب لم تكن حليما. وقال الشاعر:". (٢)

١١٥-"وليس يتم الحلم للمرء راضيا ... إذا هو عند السخط لم يتحلم

كما لا يتم الجود للمرء موسرا ... إذا هو عند العسر لم يتجشم «١»

وقال بعض الحكماء: إن أفضل واد ترى به الحلم، فإذا لم تكن حليما فتحلم؛ فقلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم.

وقال بعضهم: الحلم عدة على السفيه، لأنك لا تقابل سفيها بالإعراض «٢» عنه والاستخفاف بفعله إلا أذللته.

ويقال: ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا.

وللأحنف، أو غيره:

ولربما ضحك الحليم من الأذى ... وفؤاده من حره يتأوه

---

(١) العقد الفريد ٢/١١٥

(٢) العقد الفريد ٢/١٤٠

ولربما شكل الحليم لسانه ... حذر الجواب وإنه لمفوه «٣»

وقيل: ما استسب اثنان إلا غلب ألأمهما.

وقال الأحنف: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال.

وقال بعضهم: إياك وعزة الغضب، فإنها تصيرك إلى ذل الاعتذار.

وقيل: من حلم ساد، ومن تفهم ازداد.

وقال الأحنف: ما نازعني أحد قط إلا أخذت أمري بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت قدره، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.

ولقد أحسن الذي أخذ هذا المعنى فنظمه فقال:". (١)

١١٦-"يا رب إن الناس لا ينصفونني ... وكيف ولو أنصفتهم ظلموني

وإن كان لي شيء تصدوا لأخذه ... وإن جئت أبغي سيبهم منعوني «١»

وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم ... وإن أنا لم أبذل لهم شتموني

وإن طرقتني نقمة فرحوا بها ... وإن صحبتني نعمة حسدوني

سأمنع قلبي أن يحن إليهم ... وأحجب عنهم ناظري وجفوني

قيس بن زهير وغطفان:

أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: مر قيس بن زهير ببلاد غطفان، فرأى ثروة وعددا، فكره ذلك، فقيل له: أيسوءك ما يسر الناس؟ قال: إنك لا تدري أن مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل، وأن مع القلة التحاشد والتناصر.

قال: وكان يقال: ما أثرى قوم قط إلا تحاسدوا وتجادلوا.

وقال بعض الحكماء: ألزم الناس كآبة أربعة: رجل حديد، ورجل حسود، وخليط الأدباء وهو غير أديب، وحكيم محقر لدى الأقوام.

علي بن بشر المروزي قال: كتب إلي ابن المبارك هذه الأبيات:

كل العداوة قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

فإن في القلب منها عقدة عقدت ... وليس يفتحها راق إلى الأبد «٢»

إلا الإله فإن يرحم تحل به ... وإن أباه فلا ترجوه من أحد

سئل بعض الحكماء: أي أعدائك لا تحب أن يعود لك صديقا؟ قال: الحاسد الذي لا يرده إلى مودتي إلا زوال نعمتي.

وقال سليمان التيمي: الحسد يضعف اليقين، ويسهر العين، ويكثر الهم.

---

(١) العقد الفريد ٢/١٤١

الأحنف بن قيس، صلى على حارثة بن قدامة السعدي، فقال: رحمك الله، كنت". [1]

١١٧-"لا تحسد غنيا، ولا تحقر فقيرا.

وكان يقال: لا يوجد الحر حريصا، ولا الكريم حسودا.

وقال بعض الحكماء: أجهد البلاء أن تظهر الخلة، وتطول المدة، وتعجز الحيلة، ثم لا تعدم صديقا موليا، وابن عم شامتا، وجارا حاسدا، ووليا قد تحول عدوا، وزوجة مختلعة «١» ، وجارية مستبيعة «٢» ، وعبدا يحقرك وولدا ينتهرك؛ فانظر أين موضع جهدك في الهرب.

لرجل من قريش:

حسدوا النعمة لما ظهرت ... فرموها بأباطيل الكلم

وإذا ما الله أسدى نعمة ... لم يضرها قول أعداء النعم

وقيل: إذا سرك أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمرك.

وكانت عائشة رضي الله عنها تتمثل بهذين البيتين:

إذا ما الدهر جر على أناس ... حوادثه أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

ولبعضهم:

إياك والحسد الذي هو آفة ... فتوقه وتوق غرة من حسد «٣»

إن الحسود إذا أراك مودة ... بالقول فهو لك العدو المجتهد

إبليس ونوح:

الليث بن سعد قال: بلغني أن إبليس لقى نوحا صلى الله عليه وسلم، فقال له إبليس: اتق الحسد والشح، فإني حسدت آدم فخرجت من الجنة، وشح آدم على شجرة واحدة". [2]

١١٨-"منع منها حتى خرج من الجنة.

وقال الحسن: أصول الشر وفروعه ستة: فالأصول الثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا، والفروع كذلك: حب الرياسة، وحب الثناء، وحب الفخر.

وقال الحسن: يحسد أحدهم أخاه حتى يقع في سريرته وما يعرف علانيته، ويلومه على ما لا يعلمه منه، ويتعلم منه في الصداقة ما يعيره به إذا كانت العداوة؛ والله ما أرى هذا بمسلم.

(١) العقد الفريد ٢/١٧١

(٢) العقد الفريد ٢/١٧٢

ابن أبي الدنيا قال: بلغني عن عمر بن ذر أنه قال: اللهم من أرادنا بشر فاكفناه بأي حكميك شئت، إما بتوبة وإما براحة.
قال بان عباس: ما حسدت أحدا ما حسدت على هاتين الكلمتين.
وقال ابن عباس: لا تحقرن كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر؛ فإنما مثله كما قال الأول: رب رمية من غير رام.
وقال بعض الحكماء: ما أمحق «١» للإيمان ولا أهتك للستر من الحسد، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله، باغ على عباده، عات على ربه، يعتد نعم الله نقما، ومزيده غيرا، وعدل قضائه حيفا، للناس حال وله حال، ليس يهدأ ليله، ولا ينام جشعه، ولا ينفعه عيشه، محتقر لنعم الله عليه، متسخط ما جرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله «٢» ، إن سالمته وترك «٣» ، وإن واصلته قطعك، وإن صرمته «٤» سبقك.
ذكر حاسد عند بعض الحكماء فقال: يا عجبا لرجل أسلكه الشيطان مهاوي الضلالة، وأورده قحم الهلكة «٥» ، فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد، إن أنالها من أحب". (١)

١١٩-"باب في الكبر

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تبارك وتعالى: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدا منهما قصمته وأهنته» .
وقال عليه السلام: «لا يدخل حضرة القدس متكبر» .
وقال: «فضل الإزار في النار. معناه: من سحب ذيله في الخيلاء قاده ذلك إلى النار» .
ونظر الحسن إلى عبد الله بن الأهتم يخطر «١» في المسجد، فقال: انظروا إلى هذا؛ ليس منه عضو إلا والله عليه نعمة وللشيطان فيه لعنة.
وقال سعد بن أبي وقاص لابنه: يا بني، إياك والكبر، وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذي منه كنت، والذي إليه تصير. وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت، والرحم التي منها قذفت، والغذاء الذي به غذيت.
وقال يحيى بن حيان: الشريف إذا تقوى تواضع، والوضيع إذا تقوى تكبر.
وقال بعض الحكماء: كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب، وطوي على القذر، وجرى مجرى البول! وقال الحسن: عجبا لابن آدم، كيف يتكبر وفيه تسع سموم كلها يقذر.
وذكر الحسن المتكبرين فقال: يلفى أحدهم ينص «٢» رقبته نصا، ينفض مذرويه «٣» ، ويضرب أصدريه، يملخ في الباطن ملخا «٤» ، يقول: ها أنا ذا فاعرفوني! قد عرفناك يا أحمق! مقتك الله ومقتك الصالحون.
ووقف عيينة بن حصن بباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: استأذنوا لي". (٢)

---

(١) العقد الفريد ٢/١٧٣
(٢) العقد الفريد ٢/١٩٧

١٢٠-"ورده عليهم، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما.

وكتابه إليه: إن خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين.

العتبي قال: رأيت محرزا مولى باهلة يطوف على بغلة بين الصفا والمروة، ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد راجلا، فقلت له: أراجل أنت في مثل هذا الموضع؟ قال:

نعم، إني ركبت في موضع يمشي الناس فيه، فكان حقيقا على الله أن يرجلني في موضع يركب الناس فيه.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، عليك بالترحيب والبشر، وإياك والتقطيب والكبر؛ فإن الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون ويحرموا من أن يلقوا بما يكرهون ويعطوا؛ فانظر إلى خصلة غطت على مثل اللؤوم فالزمها، وانظر إلى خصلة عفت على مثل الكرم فاجتنبها. ألم تسمع إلى قول حاتم الطائي:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال محمود الوراق:

التيه مفسدة للدين منقصة ... للعقل مجبلة للذم والسخط

منع العطاء وبسط الوجه أحسن من ... بذل العطاء بوجه غير منبسط

وقال أيضا:

بشر البخيل يكاد يصلح بخله ... والتيه مفسدة لكل جواد

ونقيصة تبقى على أيامه ... ومسبة في الأهل والأولاد

وقال آخر في الكبر:

مع الأرض يا ابن الأرض في الطيران ... أتأمل أن ترقى إلى الدبران «١»". (١)

١٢١-"ولابن أبي حازم:

ارض من المرء في مودته ... بما يؤدي إليك ظاهره

من يكشف الناس لم يجد أحدا ... تصح منه له سرائره

يوشك ألا تتم وصل أخ ... في كل زلاته تنافره

إن ساءني صاحبي احتملت وإن ... سر فإني أخوه شاكره

أصفح عن ذنبه وإن طلب ال ... عذر فإني عليه عاذره

ولغيره:

إني إذا أبطأت عنك فلم أزل ... لأحداث دهر لا يزال يعوق

---

(١) العقد الفريد ١٩٩/٢

لقد أصبحت نفسي عليك شفيقة ... ومثلي على أهل الوفاء شفيق

أسر بما فيه سرورك إنني ... جدير بمكنون الإخاء حقيق «١»

عدو لمن عاديت سلم مسالم ... لكل امريء يهوى هواك صديق

ولأبي عبد الله بن عرفة:

هموم رجال في أمور كثيرة ... وهمي من الدنيا صديق مساعد

يكون كروح بين جسمين فرقا ... فجسماهما جسمان والروح واحد

وقال بعض الحكماء: الإخاء جوهرة رقيقة، وهي ما لم توقها وتحرسها معرضة للآفات. فرض الإخاء بالحد له «٢» حتى تصل إلى قربه، وبالكظم «٣» حتى يعتذر إليك من ظلمك، وبالرضى حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير.

ولمحمود الوراق:

لا بر أعظم من مساعدة ... فاشكر أخاك على مساعدته". [١]

١٢٢-"ومن أبصر عيب نفسه عمي عن عيب غيره، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن نسي زلته استعظم زلة غيره، ومن هتك حجاب غيره انهتكت عورات بينه، ومن كابر في الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تجبر على الناس ذل، ومن تعمق في العمل مل، ومن صاحب الأنذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن حسن خلقه سهلت له طرقه. ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه، ومن خشي الله فاز؛ ومن استقاد الجهل ترك طريق العدل، ومن عرف أجله قصر أمله، ثم أنشأ يقول:

إلبس أخاك على عيوبه ... واستر وغط على ذنوبه

واصبر على بهت السفي ... هـ وللزمان على خطوبه «١»

ودع الجواب تفضلا ... وكل الظلوم إلى حسيبه «٢»

وقال شبيب بن شيبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل، ودليل على المروءة، وصاحب في الغربة، ومؤنس في الوحشة، وحلية في المجلس، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب؛ فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا.

وقال بعض الحكماء: اعلم أن جاها بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال، وجاها بالأدب غير زائل عنك.

وقال ابن المقفع: إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك: فإن الكرامة تزول بزوالها، ولكن ليعجبك إذا أكرموك

---

(١) العقد الفريد ٢/٢٣١

لدين أو أدب.". (١)

١٢٣-"مخدمون، كرام في مجالسهم ... وفي الرحال إذا رافقتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم ... إلا يزيدهم حبا إلي هم
الأدب في الحديث والاستماع
وقالت الحكماء: رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم، والإصغاء للمتكلم.
وذكر الشعبي قوما فقال: ما رأيت مثلهم أسد «١» تناوبا في مجلس، ولا أحسن فهما من محدث.
وقال الشعبي فيما يصف به عبد الملك بن مروان: والله ما علمته إلا آخذا بثلاث، تاركا لثلاث: آخذا بحسن الحديث إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المؤونة إذا خولف؛ تاركا لمجاوبة اللئيم، ومماراة «٢» السفيه، ومنازعة اللجوج.
وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث؛ وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول؛ فاحذر أن تسرع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل أقرب منك إلى قول ما لم تفعل.
قالوا: من حسن الأدب ألا تغالب أحدا على كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تره أنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به، وتعلم حسن الاستماع، كما تعلم حسن الكلام.
وقال الحسن البصري: حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوهكم.
وقال أبو عباد الكاتب: إذا أنكر المتكلم عين السامع فليسأله عن مقاطع حديثه،". (٢)

١٢٤-"**وقال بعض الحكماء**: حظي من الصمت لي، ونفعه مقصور علي وحظي من الكلام لغيره، ووباله راجع علي.
وقالوا: إذا أعجبك الكلام فاصمت.
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت أن تصمت. قال: فمتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت أن تتكلم.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أعطي العبد شرا من طلاقة اللسان.
وسمع عبد الله بن الأهتم رجلا يتكلم فيخطىء، فقال: بكلامك رزق الصمت المحبة.
باب في المنطق

(١) العقد الفريد ٢/٢٥٩
(٢) العقد الفريد ٢/٢٦٤

قال الذين فضلوا المنطق: إنما بعثت الأنبياء بالكلام ولم يبعثوا بالسكوت؛ وبالكلام وصف فضل الصمت ولم يوصف القول بالصمت؛ وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعظم الله ويسبح بحمده. والبيان من الكلام هو الذي من الله به على عباده فقال: خلق الإنسان علمه البيان

«١» والعلم كله لا يؤديه إلى أوعية القلوب الا اللسان؛ فنفع المنطق عام لقائله وسامعه، ونفع الصمت خاص لفاعله.

واعد شيء قيل في الصمت والمنطق، قولهم: الكلام في الخير كله أفضل من الصمت. ولصمت في الشر كله أفضل من الكلام.

قال عبد الله بن المبارك صاحب الرقائق يرثي مالك بن أنس المدني:

صموت إذا ما الصمت زين أهله ... وفتاق أبكار الكلام المختم «٢»

وعي ما وعى القرآن من كل حكمة ... ونيطت له الآداب باللحم والدم «٣»

وقال عمر بن الخطاب: ترك الحركة غفلة.". (١)

١٢٥-"بتمرة فلقطها فعوتب في ذلك، فقال: تمرة إلى تمرة تمرات، وجمل إلى جمل ذود «١» .

ثم أنشأ يقول:

إني مقيم على الزوراء أعمرها ... إن الكريم على الإخوان ذو المال

فلا يغرنك ذو قربى وذو نسب ... من ابن عم ومن عم ومن خال

كل النداء إذا ناديت يخذلني ... إلا ندائي إذا ناديت يا مالي

لابن عبد ربه:

ومن قولنا في هذا المعنى:

دعني أصن حر وجهي عن إذالته ... وإن تغربت عن أهلي وعن ولدي «٢»

قالوا نأيت عن الإخوان قلت لهم ... ما لي أخ غير ما تطوى عليه يدي

كان الرماحس بن حفصة بن قيس وابن عم له يدعى ربيعة بن الورد يسكنان الأردن. وكان ربيعة بن الورد موسرا، والرماحس معسرا كثيرا ما يشكو إليه الحاجة، ويعطف عليه ربيعة بعض العطف، فلما أكثر عليه كتب إليه:

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلا وأوشكت ... صلات ذوي القربى له أن تنكرا «٣»

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

فما طالب الحاجات من حيث تبتغى ... من المال إلا من أجد وشمرا «٤»

ولا ترض من عيش بدون ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا

---

(١) العقد الفريد ٣٠٤/٢

وقال بعض الحكماء: المال يوقر الدني، والفقر يذل السني. وأنشد:

أرى ذا الغنى في الناس يسعون حوله ... فإن قال قولا تابعوه وصدقوا". [1]

١٢٦-"وقال: الحسنة نور في القلب، وقوة في العمل؛ والسيئة ظلمة في القلب، وضعف في العمل.

وقال بعض الحكماء: يا أيها المشيخة الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم الذنوب، ثم ظنوا أن تركها لهم توبة؛ وليتهم إذا ذهبت عنهم لم يتمنوا عودها إليهم وكان مالك بن دينار يقول: ما أشد فطام الكبير. وينشد:

وتروض عرسك بعد ما هرمت ... ومن العناء رياضة الهرم «١»

ومن حديث محمد بن وضاح قال: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب، مسح إبليس بيده على وجهه وقال: بأبي وجه لا أفلح أبدا.

قال الشاعر:

فإذا أي إبليس غرة وجهه ... حيا وقال فديت من لا يفلح

وقال رجل للحسن: أبا سعيد، أردت البارحة أن أصلي فلم أستطع، قال: قيدتك ذنوبك.

قولهم في الموت

بين النبي صلى الله عليه وسلم وابن الخطاب:

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: «ما عندك من ذكر الموت أبا حفص؟» قال: أمسي فما أرى أني أصبح، وأصبح فما أرى أني أمسي! قال: «الأمر أوشك من ذلك أبا حفص، أما إنه يخرج عني نفسي فما أرى أنه يعود إلي!» وقال عبد الله بن شداد: أرى داعي الموت لا يقلع، ومن مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع «٢» .

وقال الحسن: ابن آدم، إنما أنت عدد، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضك.". [2]

١٢٧-"الحكيم يعزي سليمان بن عبد الملك في ابنه.

وقال بعض الحكماء لسليمان بن عبد الملك لما أصيب بابنه أيوب: يا أمير المؤمنين إن مثلك لا يوعظ إلا بدون علمه؛ فإن رأيت أن تقدم ما أخرت العجزة فترضي ربك وتريح بدنك من حسن العزاء والصبر على المصيبة، فافعل.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزيه في ابنه عبد الملك ببيت شعر: وهو:

وعوضت أجرا من فقيد فلم يكن ... فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

للاسكندر يعزي أمه عن فقده.

ولما حضرت الإسكندر الوفاة كتب إلى أمه أن اصنعي طعاما يحضره الناس ثم تقدمي إليهم أن لا يأكل منه محزون. ففعلت:

---

(١) العقد الفريد ٢/٣٤٧

(٢) العقد الفريد ٣/١٣٥

فلم يبسط أحد إليه يده؛ فقالت: ما لكم لا تأكلون؟ فقالوا: إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون، وليس منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب! فقالت: مات والله ابني! وما أوصى إلي بهذا إلا ليعزيني به!.

وكان سهل بن هارون يقول في تعزيته: إن أجر التهنئة بآجل الثواب! أوجب من التعزية على عاجل المصيبة.". (١)

١٢٨-"والطاء والظاء والكاف والعين والغين، ورأس كل مرسل برأس القلم؛ واكتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء، والمطة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين، بالسن السفلى من القلم وامطط بعرض القلم، والمط نصف الخط، ولا يقوى عليه إلا العاقل، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضا إلا بالنظر إلى اليد في استعمالها الحركة. والسلام.

وقال ابن طاهر لكاتبه: ألق دواتك، وأطل سن قلمك، وفرج بين السطور، وقرمط «١» بين الحروف.

وقال إبراهيم بن جبلة: مر بي عبد الحميد وأنا أخط خطا رديئا، فقال لي: أ [لا] تحب أن يجود خطك؟ قلت: بلى. قال: أطل جلفة القلم وأسمنها؛ وحرف قطتك وأيمنها. ففعلت فجاد خطي.

وقال العتابي: ببكاء القلم تبتسم الكتب.

وقال بعض الحكماء: أمر الدين والدنيا تحت سنان السيف والقلم.

وقال حبيب الطائي:

لولا مناشدة القربى لغادركم ... حصائد المرهفين: السيف والقلم

وقال أرسطا طاليس: عقول الرجال تحت سن أقلامهم.

وقال أبو حكيمة: كنت أكتب المصاحف، فمر بي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقال: أجلل قلمك. فقصمت من قلمي قصمة، فقال: هكذا نوره كما نوره الله.

وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقا «٢» ، وقال: أجود الخط أبينه.

وقال سليمان بن وهب: زينوا خطوطكم بإسبال ذوائبها.". (٢)

١٢٩-"والدماغ هو معدن العقل، وحاسة الحواس وبه قوام البدن، وفيه يقول الشاعر:

إذا نزعوا رأسي، وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقى ثم سائري ...

لاعرابي في الرأس

وقيل لاعرابي: اتحسن أن تأكل الرأس؟ قال: نعم؛ أعض العينين، وأفك لحييه، وأنقي خديه، وأرمي بالدماغ إلى من هو أحق مني، وكانوا يكرهون أكل الدماغ، ولذا يقول قائلهم.

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٦٤

(٢) العقد الفريد ٤/٢٧٨

ولا أبتغي المخ الذي في الجماجم

نصيحة ابي عبد الرحمن لابنه

وكان أبو عبد الرحمن يجلس مع ابنه يوم الرأس ويقول له: إياك ونهم الصبيان وبغر» السباع، واخلاق النوائح، ونهش الاعراب، وكل ما بين يديك، فإنما حظك منه ما قابلك، واعلم أنه إذا كان في الطعام شيء ظريف، من لقمة كريمة، او مضغة شهية، فانما ذلك للشيخ المعظم، والصبي المدلل، ولست بواحد منهما، وقد قالوا. مدمن اللحم كمد من الخمر؛ أي بني، لا تخضم خضم البراذين، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمال، ولا تنهش نهش السباع، وعود نفسك الأثرة «٢» ، ومجاهدة الهوى والشهوة؛ فإن الله جعلك إنسانا فلا تجعل نفسك بهيمة، واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة، فقد **قال بعض الحكماء**: إذا كنت نهما فعد نفسك من الزمني؛ واعلم أن الشبع داعية البشم، والبشم داعية السقم، والسقم داعية الموت. ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة؛ لانه قاتل نفسه، وقاتل نفسه الأم من قاتل غيره أي بني، والله ما أدى حق الركوع والسجود ذو كظة ولا خشع لله ذو بطنة، والصوم صحة؛ والوجبات عيش الصالحين أي بني، لأمر ما طالت أعمار الرهبان، وصحت". (١)

١٣٠-"بكر رضي الله عنه: إني لأبغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد، وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده: إذا بسط الله لك الرزق فابسط، وإذا قبض فاقبض.

وعبتموني حين قلت: [إن] فضل الغني على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت، إن احتيج إليها استعملت، وإن استغنى عنها كانت عدة، وقد قال الحضين بن المنذر: وددت أن لي مثل أحد ذهبا لا أنتفع منه بشيء! قيل له: فما كنت تصنع به؟ قال: لكثرة من كان يخدمني عليه، لأن المال مخدوم؛ وقد **قال بعض الحكماء**: عليك بطلب الغنى، فلو لم يكن [لك] فيه إلا أنه عز في قلبك، وذل في قلب عدوك، لكان الحظ فيه جسيما، والنفع فيه عظيما.

ولسنا ندع سيرة الأنبياء، وتعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو؛ ولستم علي تردون، ولا رأيي تفندون، فقدموا النظر قبل العزم، وادكروا ما عليكم قبل أن تدركوا ما لكم، والسلام عليكم.

ومن اللؤم: التطفيل، وهو التعرض للطعام من غير أن يدعى إليه.

أخبار الطفيليين

طفيل العرائس

: أولهم طفيل العرائس، وإليه نسب الطفيليون. وقال لأصحابه: إذا دخل أحدكم عرسا فلا يتلفت تلفت المريب، وليتخير المجالس؛ وإن كان العرس كثير الزحام فليمض ولا ينظر في عيون الناس، ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل؛ ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة؛ فإن كان البواب غليظا وقاحا فتبدأ به وتأمره وتنهاه، من غير أن تعنف عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال.

---

(١) العقد الفريد ٧/٢٠٥

قال: يقول الطفيليون: ليس في الأرض عود أكرم من ثلاثة أعواد: عصا موسى، وخشب منبر الخليفة، وخوان الطعام.". (١)

١٣١-"**وقال بعض الحكماء**: لا ينبغي للعاقل أن يخلي نفسه من ثلاث في غير إفراط:

الأكل، والمشي، والجماع؛ فأما الأكل، فإن الأمعاء تضيق لتركه؛ وأما المشي، فإن من لم يتعاهده أوشك أن يطلبه فلا يجده؛ وأما الجماع، فإنه كالبئر، إن نزحت جمت «١» ، وإن تركت يخثر «٢» ماؤها. وحق هذا كله القصد فيه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من استقل برأيه فلا يتداوى، فرب دواء يورث الداء» .

وقالت الحكماء: إياك وشرب الدواء ما حملتك الصحة.

وقالوا: مثل الدواء في البدن مثل الصابون في الثوب: ينقيه ويخلقه.

الأصمعي عن رجل عن عمه، قال: لقيت طبيب كسري شيخا كبيرا قد شد حاجبيه بخرقة، فسألته عن دواء المشي «٣» ، فقال: سهم يرمى به في جوفك أصاب أم أخطأ.

وفي كتاب التفصيل للهند: الدواء من فوق، والدواء من تحت، والدواء لا من فوق ولا من تحت.

تفسيره: من كان داؤه فوق سرته سقي الدواء، ومن كان داؤه تحت سرته حقن بالدواء، ومن لم يكن له داء لا من فوق ولا من تحت لم يسق الدواء ولم يحقن به.

للنبي صلى الله عليه وسلم في السنا

: وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس: بم كنت تستمشين في الجاهلية؟ قالت:

بالشبرم»

. قال: حار حار. ثم قالت: استمشيت بالسنا «٥» . قال: لو أن شيئا يرد القدر لرده السنا.

ومن حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يتذاكرون الكمأة ويقولون". (٢)

١٣٢-"عبد الملك ومدعو إلى غدائه:

ودعا عبد الملك بن مروان رجلا إلى الغداء، فقال. ما في فضل يا أمير المؤمنين.

قال: لا خير في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل! فقال: يا أمير المؤمنين، عندي مستزاد، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي استقبحها أمير المؤمنين.

وقال الأحنف بن قيس: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، فإني أبغض الرجل يكون وصافا لبطنه وفرجه.

وقيل لبعض الحكماء: أي الطعام أطيب؟

---

(١) العقد الفريد ٢٢٧/٧

(٢) العقد الفريد ٣٠٠/٧

قال: الجوع؛ ما ألقيت إليه من شيء قبله.

وقال رجل من أهل الشام لرجل من أهل المدينة: عجبت منكم أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا، ومجانينكم أظرف من مجانيننا! قال: أو تدري من أين ذلك؟

قال: لا أدري.

قال: من الجوع، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لما خلا جوفه!

الثوري في ابنه:

وقال الجاحظ: كان أبو عثمان الثوري يجلس ابنه معه ويقول له: إياك يا بني ونهم الصبيان، وأخلاق النوائح، ونهش الأعراب؛ وكل مما يليك، واعلم أنه إذا كان في الطعام لقمة كريمة، أو مضغة شهية، أو شيء مستطرف، فإنما ذلك للشيخ المعظم، أو للصبي المدلل، ولست بواحد منهما، وقد قالوا: مد من اللحم كمد من الخمر.

أي بني، عود نفسك الأثرة، ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تخضم خضم البراذين، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمال؛ فإن الله جعلك إنسانا فلا تجعل نفسك بهيمة، واحذر سرعة الكظة، وسرف البطنة؛ فقد **قال بعض الحكماء**: إذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى؛ واعلم أن الشبع داعية البشم «١» ، والبشم داعية السقم، والسقم داعية الموت؛ ومن مات هذه الميتة فقد مات". (١)

١٣٣-"رسول الله صلى الله عليه أن نفعل بعلمائنا، فقال له زيد: ادن منى، فدنا منه، فقبل يده ثم قال: كذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه أن نفعل بأهل بيته.

وإنما سلك زيد فى ذلك ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه قال: «لا يحل لأحد أن يقبل يد أحد إلا يد عالم أو يد رجل من أهل بيتى» . ويروى أنه قال:

إذا كان يوم القيامة قيل للعابد قم فادخل الجنة، ويقال للعالم: قم فاشفع» .

وقال عليه السلام: فضل العلم خير من فضل العمل.

وقال الله جل ثناؤه: إنما يخشى الله من عباده العلماء

. فجعل- عز اسمه- العالمين بحدوده هم الخائفين من عقابه، وأولياءه وأهل طاعته.

ثم أفضل العلم ما عمل به، وانتفع بثمرته، فإنه يقال: إن أبعدهم من الله عالم لا ينتفع بعلمه. **وقال بعض الحكماء**: فلان أحوج إلى كذا من علم إلى عمل، ومن قول إلى فعل، ومن قدرة إلى عفو، وعلى ذلك قول الشاعر:

لا خير فى القول إلا الفعل يتبعه ... والفعل للقول ما أتبعته أدم «١»

وقال سلمان: إنك لن تكون عالما حتى تكون به متعلما، ولن تكون بالعلم عالما حتى تكون به عاملا.

ولكن الله- جل ذكره- لم يؤت عباده من العلم إلا قليلا، فمن لم يكن نصيبه فى ذلك القليل كالمحتوى على أكثره، ولم يكن

---

(١) العقد الفريد ٨/١٧

أغلب الخصال عليه عقله، وأشرف ما يعتقده عليه تقواه لم يعد فاضلا. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: قيمة كل امرىء ما يحسن.". (١)

١٣٤-"رأى خلتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

إذا استقبلت منه المودة أقبلت ... وإن غمزت منه القناة اكفهرت

وقال آخر «١» :

شكرتك إن الشكر مني سجية ... وما كل من أوليته نعمة يقضى

ونبهت من ذكرى وما كان خاملا ... ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وقال آخر:

جلت أياديك عن الذكر ... فحار فى معقولها شكرى

ما تنقضى منك يد ثيب ... حتى تثنى بيد بكر

فالشكر فى عرفك مستهلك ... كقطرة فى لجة البحر

لم يعف معروفك عندى ولا ... يعفو إلى المبعث والحشر

وشكر أعرابى رجلا فقال: ذاك من شجر لا يخلف ثمره، ومن ماء لا يخاف كدره. وشكر آخر رجلا فقال: الحمد لله على توفيقه إياك فى إعطائى، وعلى توفيقه إياى فى مسألة مثلك، أعاشك الله صالحا. **وقال بعض الحكماء**: الشكر بالغ ما بلغ أدق من الصنيعة كائنة ما كانت، لأن الشكر فرع من فروع الصنيعة، ولها وعنها كان، ولولا الصنيعة لم يكن شكر.

قد أردنا أن نصل كتابنا بما شرطناه على أنفسنا من ذكر ما ينتفع به من يأخذه عنا، وينشره من ينسبه إلينا، وقد أتينا منه بعض ما أردنا وقصدنا، وكرهنا الإطالة، وخفنا على قارئه السآمة، وأشفقنا أن يبلغ به حد المجاوزة، فإن الإكثار سرف «٢» ، كما أن التقصير عجز. ويروى عن بعض الحكماء أنه قال: من أطال الحديث عرض أصحابه للسآمة وسوء الاستماع.". (٢)

١٣٥-"ونحن خاتمو كتابنا هذا بباب يشتمل على فنون من الآداب، ويتضمن بعض ما نستحسنه من الأخبار والأشعار التى يشاكل بعضها بعضا، ونضيف إلى ذلك من العظات الموجزة، والأمثال السائرة، والأشعار الموزونة. وبالله الحول والقوة.

باب يشتمل على فصول

فصل فى الحسد

حدثنى التوزى قال: قال معاوية بن أبى سفيان «١» : كل إنسان أقدر أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

---

(١) الفاضل ص/٢

(٢) الفاضل ص/٩٩

وقال عمر بن عبد العزيز:
ما رأيت «٢» ظالما أشبه بمظلوم من حاسد، غم دائم، ونفس متتابع. وكان يقال:
الحاسد إذا رأى نعمة بهت، وإذا رأى مصيبة شمت. وكان يقال: من علامات الحسود أن يتملق الرجل إذا حضر، ويغتابه إذا غاب، ويشمت بالمصيبة إذا نزلت.
وكان «٣» يقال: ستة لا تخطئهم الكآبة: فقير حديث عهد بغنى، ومكثر يخاف على ماله التلف، والحسود، والحقود، وطالب مرتبة فوق قدره، وخليط أهل أدب غير أديب. **وقال بعض الحكماء** لبنيه: إياكم والحسد فإنه يبين فيكم ما لا يبين على عدوكم. وقال معاوية: ليس فى خلال الشر خلة أعدل من الحسد فإنه يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.
وقال ابن المقفع: الحسد خلق دنيء، ومن دناءته أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب
حسدوا «٤» النعمة لما ظهرت ... فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمة ... لم يضره قول حساد النعم". (١)

١٣٦-"**قال بعض الحكماء**: عواقب الأمور، تتشابه في الغيوب، فرب محبوب في مكروه، ومكروه في محبوب، وكم مغبوط بنعمة هي داؤه، ومرحوم من داء هو شفاؤه.
وكان يقال: رب خير من شر، ونفع من ضر.
وروي أن أمير المؤمنين عليا، قال: يابن آدم، لا تحمل هم يومك الذي لم يأت، على يومك الذي أتى، فإنه إن يكن في عمرك، يأتك الله فيه بمحبتك، واعلم أنك لن تكسب شيئا سوى قوتك، إلا كنت فيه خازنا لغيرك بعد موتك.
وقال وداعة السهمي، في كلام له: اصبر على الشر إن قدحك، فربما أجلى عما يفرحك، وتحت الرغوة اللبن الصريح.

شريح القاضي يحمد الله على المصيبة أربع مرات
قال شريح: إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات، أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع، لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.". (٢)

١٣٧-"أقوال في تهوين المصائب
قال: بعض عقلاء التجار: ما أصغر المصيبة بالأرباح، إذا عادت بسلامة الأرواح.
وكأنه من قول العرب: إن تسلم الجلة فالسخل هدر.
ومن كلامهم: لا تيأس أرض من عمران، وإن جفاها الزمان.
والعامة تقول: نهر جرى فيه الماء، لابد أن يعود إليه.

(١) الفاضل ص/١٠٠
(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي ١٥٨/١

وقال تيمسطوس: لم يتفاضل أهل العقول والدين، إلا في استعمال الفضل في حال القدرة والنعمة، وابتذال الصبر في حال الشدة والمحنة.

وقال بعض الحكماء: العاقل يتعزى فيما نزل به من المكروه بأمرين، أحدهما السرور بما بقي له، والآخر رجاء الفرج مما نزل به، والجاهل يجزع في محنته بأمرين، أحدهما استكثار ما أدي إليه، والآخر تخوفه مما هو أشد منه.". (١)

١٣٨-"باب

نبذ من أقوال الحكماء

قال أبو العباس١ **قال بعض الحكماء**: من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا وكان يقال: من أدب ولده أرغم حاسده.

وقال رجل لعبد الملك بن مروان إني أريد آن أسر إليك شيئا، فقال عبد الملك لأصحابه: إذا شئتم، فنهضوا، فأراد الرجل الكلام، فقال له غبد الملك قف، لا تمدحني، فآنا أعلم بنفسي منك، ولا تكذبني، فإنه لا رأي لمكذوب ؟ ولا تغتب عندي احدا. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في الانصراف؟ قال له: إذا شئت.

وقال بعض الحكماء: ثلاث لا غربة معهن: مجانبة الريب، وحسن الأدب، وكف الأذى.

وقال عمرو بن العاص لدهقان٢ نهر تيرى٣: بم ينبل الرجل عندكم ؟ فقال: بترك الكذب، فإنه لا يشرف إلا من يوثق بقوله، وبقيامه بأمر أهله، فإنه لا ينبل من يحتاج أهله إلى غيره، وبمجانبة الريب، فإنه لا يعز من لا يؤمن ألا يصادف على سوأة، وبالقيام بحاجات الناس، فإنه من رجي الفرج لديه كثت غاشيته.

وقال بزر جمهر: من كثر أدبه كثر شرفه، وإن كان قبل وضيعا، وبعد صيته وإن كان حاملا، وسادا وإن كلن غريبا، وكثرت الحاجة إليه وإن كان مقترا.

وكان يقال: عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الوحدة، وجمال في المحفل، وسبب إلى طلب الحاجة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أفضل ما أعطيته العرب الأبيات. يقدمها الرجل أمام حاجته، فيستعطف بها الكريم، ويستنزل لها اللئيم.

---

١ ساقطة من ر.

٢ الدهقان: زعيم فلاحى العجم، ويطلق على رئيس الإقليم.

٣ نهر تيرى: موضع بناحية الأهواز.". (٢)

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ١٦٧/١

(٢) الكامل في اللغة والأدب ٦٥/١

١٣٩-"بالخير خيرات وإن شرا فا ... ولا أريد الشر إلا أن تا

يريد: وإن شرا فشر، ولا أريد الشر إلا أن تريد١.

وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء، فإنه يقال: إن اللسان إذا كثرت حركته، رقت عذبته.

وحدثني أبو عثمان الجاحظ قال: قال لي محمد الجهم: لما كانت أيام الزط أدمنت الفكر، وأمسكت عن القول، فأصابتني حبسة في لساني.

وقال رجل من الأعراب يذكر آخر منهم:

كأن فيه لففا إذا نطق ... من طول تحبيس وهم وأرق

وقال رجل لخالد بن صفوان: إنك لتكثر، فقال: أكثر لضربين: أحدهما فيما لاتغني فيه القلة، والآخر لتمرين اللسان، فإن حبسه يورث العقلة.

وكان خالد يقول: لا تكون بليغا حتى تكلم أمتك السوداء في الليلة الظلماء، في الحاجة المهمة، بما تكلم به في نادي قومك، فإنما اللسان عضو إذا مرنته، مرن، وإذا أهملته خار، كاليد التي تخشنها بالممارسة، والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبه، والرجل إذا عودته المشي مشت.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتم. فتزعم في القسي، نزوتم على طهور الخيل.

وقال بعض الحكماء: لا ينبغي للعاقل إن يخلي نفسه من ثلاث في غير إفراط الأكل، والمشي، والجماع. فأما الأكل فإن الأمعاء تضيق لتركه، وكان ابن الزبير رحمه الله يواصل فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة، ثم يفطر على سمن وصبر ليفتق أمعاءه. قال أبو العباس: قال الأول: والمشي، إن لم تتعهده أوشكت ان تطلبه فلا تجده، والجماع كالبئر إن نزحت جمت، وإن تركت تحير ماؤها، وحق هذا كله القصد.

وقوله:

كأن عليهم شروق الطفل

---

١ زيادات ر: قال ش: قول أبي العباس: "إلا أن تريد" إنما هو إلا أن تشاء، ولو كان كما قال أبو العباس: كانت التاء مضمومة".". (١)

١٤٠-"العاصمي

تسل فليس في الدنيا كريم ... يلوذ به صغير أو كبير

وربع المجد ليس له أنيس ... وحزب الفضل ليس لهم نصير

وقائلة أراك على حمار ... فقلت لأن سادتنا حمير

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١٧/٢

الشريف الرضي

ولقد وقفت على ديارهم ... وطلولها بيد البلى نهب

وبكيت حتى ضج من لغب ... نضوي وعج بعذلي الركب

وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عني الطلول تلفت القلب

ابن بسام

ولقد صبرت على المكروه أسمعه ... من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا

وفيك داريت قوما لا خلاق لهم ... لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

آخر

على هذه الأيام ما تستحقه ... فكم قد أضاعت منك حقا مؤكدا

فلو أنصفت شادت محلك بالسها ... علوا وصاغت نعل نعلك عسجدا

آخر

يا مقلتي أنت التي ... أوقعتني في حبه

غرتك رقة خده ... ونسيت قسوة قلبه

قال أفلاطون: العشق قوة غريزية متولدة من وساوس الطمع وأشباح التخيل للهيكل الطبيعي، تحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة وتكسو كل إنسان عكس طباعه.

وقال بعض الحكماء: الحسن مغناطيس روحاني لا يعلل جذبه للقلوب بعلة سوى الخاصية.

وقال بعضهم: العشق الهام شوقي أفاضه الله سبحانه على كل ذي روح ليتحصل له به ما لا يمكن حصوله له بغيره.

ذكر صاحب كتاب الأغاني في أخبار علوية المجنون: إنه دخل يوما على المأمون وهو يرقص ويصفق بيديه ويغني بهذين البيتين:". (١)

١٤١-"وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وأبو فراس أوحدهم بلاغة وبراغة، وفروسية وشجاعة، حتى قال الصاحب بن عباد: بدىء الشعر بملك، وختم بملك يعني امرىء القيس، وأبا فراس وقد أدركه حرفة الأدب وأصابته عين الكمال فأسرته الروم في بعض وقايعها فازدادت رومياته رقة ولطافة.

فمنها ما قال وقد سمع حمامة. بقربه تنوح على شجرة عالية:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة ... أيا جارتا هل تشعرين بحالي

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببالي

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ... تعالي أقاسمك الهموم تعالي

---

(١) الكشكول ١/١٠

أيضحك مأسور وتبكي طليقة ... ويسكت محزون ويندب سالي

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ... ولكن دمعي في الحوادث غالي

انتهى كلامه والغرض بالاستشهاد قوله: تعالي بكسر اللام وكان القياس تعالى بالفتح. في معرفة قدر الاجتماع مع الأحباب.

قال بعض الحكماء: إذا أردت أن تعرف ربك، فاجعل بينك وبين المعاصي حائطا من حديد.

سمنون المحب

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم ... وكان بذكر الخلق يلهو ويمزح". (١)

١٤٢-"لا يا ريح إن تمرر ... بأهل الحي من حرزي.

فبلغهم تحياتي ... ونبئهم بأشواقي.

وقل أنتم نقضتم عهدكم ... ظلما بلا سبب.

وإني ثابت أبدا ... على عهدي وميثاقي

من كلامهم:

إذا رأيت العالم يلازم السلطان فاعلم أنه لص وإياك أن تخدع بما يقال: إنه يرد مظلمة أو يدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس اتخذها فجار العلماء سلما.

قال بعض الحكماء: إذا أوتيت علما فلا تطفيء نور العلم بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال خيانة الرجل في العلم أشد من خيانته في المال.

ذكر عند مولانا جعفر بن محمد الصادق قول النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى وجه العالم عبادة، فقال: هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرك بالآخرة، ومن كان على خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوه وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه: تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم، وعن عيسى عليه السلام أنه قال: مثل العالم السوء مثل صخرة وقعت في فم النهر لا هي تشرب الماءولا هي تترك الماء ليخلص إلى الزرع. من الكلام المرموز للحكماء: إن زمن الربيع لا يعدم من العالم، معناه: إن تحصيل الكمالات ميسر في كل وقت سواء كان وقت الشباب أو وقت الكهولة أو وقت الشيخوخة، فلا ينبغي التقاعد عن اكتساب الفضايل في وقت من الأوقات وما أحسن ما قال ومن قال:

هذا زمن الربيع عالج كبدي ... يا صاح فلا تخل من الراح يدي". (٢)

---

(١) الكشكول ٥٥/١

(٢) الكشكول ١٤٣/١

١٤٣-"ولا ينعمن بالي بعلم أفيده ... ومعضلة فيها غموض وإشكال

أميط جلابيب الخفا عن رموزها ... لترفع أستار وتذهب أعضال

ويلمع نور الحق بعد خفائه ... فيهدى به قوم عن الحق ضلال

سأغسل رجس الذل عني بنهضة ... يقل بها حل ويكثر ترحال

وأركب متن البيد سيرا إلى العلى ... وما كل قوال إذا قال فعال

ءأقنع بالمر النقيع وأرتوي ... وبالقرب مني سلسبيل وسلسال

إذن لا تندت بالسماحة راحتي ... ولا ثار لي يوم الكريهة قسطال

ولا هم قلبي بالمعالي ونيلها ... ولا كان بي عن موقف الحتف إجفال

قيل لسقراط: أي السباع أحسن: فقال: المرأة، كتب بعض الحكماء على باب داره لا يدخل داري شر، فقال له بعض الحكماء: فمن أين تدخل امرأتك؟ ! **قال بعض الحكماء**: المرأة كلها شر وشر ما فيها أنه لابد منها.

من كلام أرسطو طاليس: إذا أردت أن تعرف هل تضبط الإنسان شهواته، فانظر إلى ضبطه منطقه منه، ليس النفس في البدن، بل البدن في النفس، لأنها أوسع منه.

القاضي نظام الدين من كتاب دوبيتاته.

أنتم لظلام قلبي الأضواء ... فيكم لفؤادي جمعت أهواء

يروي الظماء ادكاركم لا الماء ... داويت بغيركم فزاد الداء

أوصيتك بالجد فدع من ساخر ... فاخر بفضيلة التقى من فاخر

لا ترج سوى الرب لكشف البلوى ... لا تدع مع الله إلها آخر

مالي وحديث وصل من أهواه ... حسبي بشفاء علتي ذكراه

هذا وإذا قضيت نحبي أسفا ... يكفي أني أعد من قتلاه

وافى فجذبت عطفه الميادا ... شوقا فطلبت قبله فانقادا

حاولت ورآء ذاك منه نادى ... لا تطلب بعد بدعة إلحادا

قالوا انته عنه إنه ما صدقا ... ما أجهل من بوعده قد وثقا". (١)

١٤٤-"تعرجون؟ وماذا تنتظرون؟ فكأنكم والله بما أصبحتم فيه من الدنيا لم يكن وبما تصيرون إليه من الآخرة لم يزل فخذوا الأهبة لزوف النقلة وأعدو الزاد لقرب الرحلة، واعلموا أن كل امرىء على ما قدم قادم وعلى ما خلف نادم.

ومن خطبة له عليه الصلاة والسلام: الدنيا دار فناء ومنزل قلعة وعناء قد نزعت عنها نفوس السعداء وانتزعت بالكره من قيد أيدي الأشقياء فأسعد الناس فيها أرغبهم عنها وأشقاهم بها أرغبهم فيها، هي الغاشية لمن انتصحها والمغوية لمن أطاعها،

---

(١) الكشكول ١/١٤٥

والجائرة لمن انقاد لها والفايز من أعرض عنها، والهالك من هوى فيها، طوبى لعبد اتقى فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل أن يلفظه الدنيا إلى الآخرة، فيصبح في بطن غبراء مدلهمة ظلماء لا يستطيع أن يزيد في حسنة ولا أن ينقص من سيئة؛ ثم ينشر فيحشر إما إلى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفد عذابها.

ومن خطبة له عليه الصلاة والسلام: أيها الناس حلو أنفسكم بالطاعة والبسوا قناعة المخافة واجعلوا آخرتكم لأنفسكم وسعيكم لمستقركم، واعلموا: أنكم عن قليل راحلون وإلى الله صائرون ولا يغني عنكم هنالك إلا صالح عمل قدمتموه أو حسن ثواب أخرتموه إنكم إنما تقدمون على ما قدمتم وتجازون على ما أسلفتم فلا تخدعكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات علية، فكان قد كشف القناع وارتفع الارتياب ولاقى كل امرىء مستقره وعرف مثواه ومنقلبه.

قال بعض الحكماء: إذا أردت أن تعرف من أين حصل الرجل المال فانظر في أي شيء ينفقه.

كان بعض العلماء يبخل ببذل العلم، فقيل له: تموت وتدخل علمك معك القبر، فقال: ذاك أحب إلي أن أجعله في إناء سوء.

من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة.

كان الشيخ علي بن سهل الصوفي الأصفهاني ينفق على الفقراء والصوفية ويحسن إليهم وقد دخل عليه يوما جماعة منهم ولم يكن عنده شيء فذهب إلى بعض أصدقائه والتمس منه شيئا للفقراء فأعطاه شيئا من الدراهم واعتذر من قلتها وقال إني مشغول ببناء دار أحتاج إلى خرج كثير فأعذرني فقال له الشيخ علي بن سهل: وكم يصير خرج هذه الدار؟ فقال لعله يبلغ خمسمائة درهم، فقال الشيخ ادفعها إلي لأنفقها على الفقراء وأنا أسلمك دارا في الجنة وأعطيك خطي وعهدي فقال الرجل: يا أبا الحسن إني لم أسمع منك قط خلافا ولا كذبا فإن ضمنت ذلك فأنا أفعل فقال ضمنت وكتب". (١)

١٤٥-"أبو الحسن التهامي

عبسن من شعر في الرأس مبتسم ... ما نفر البيض مثل البيض في اللمم

ظننت شبيبته تبقى وما علمت ... أن الشبيبة مرقاة إلى الهرم

ما شاب عزمي ولا خلقي ولا حزمي ... ولا وفائي ولا ديني ولا كرمي

وإنما اعتاض رأسي غير صبغته ... والشيب في الرأس غير الشيب في الهمم

وصل الخيال ووصل الخود إن نحلت ... سيان ما أشبه الوجدان بالعدم

والطيف أفضل وصلا إن لذته ... تخلو من الإثم والتنغيص والندم

لا تحمد الدهر في ضرآء يصرفها ... فلو أردت دوام البؤس لم يدم

فالدهر كالطيف في بؤس وأنعمه ... من غير قصد فلا تحمد ولا تلم

لا تحسبن حسب الآباء مكرمة ... لمن يقصر عن غايات مجدهم

(١) الكشكول ١٤٧/١

حسن الرجال بحسناهم وفخرهم ... بطولهم في المعالي لا بطولهم

ما اغتابني حاسد إلا شرفت بها ... فحاسدي منهم في زي منتقم

فالله يكلؤ حسادي فأنعمهم ... عندي وإن وقعت من غير قصدهم

كتب رجل إلى شخص؛ تخلى للعبادة وانقطع عن الناس: بلغني أنك اعتزلت عن الخلق وتفرغت للعبادة، فما سبب معاشك؟ فكتب إليه يا أحمق يبلغك أني منقطع إلى الله سبحانه وتسألني عن المعاش؟ ﴿قال بعض العارفين: الوعد حق الخلق على الله تعالى، فهو أحق من وفى، والوعيد حقه سبحانه على الخلق فهو أحق من عفى، وقد كانت العرب تفتخر بإيفاء الوعد وخلف الوعيد، قال الشاعر:

وإني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي **قال بعض الحكماء**: الدنيا إنما تراد لثلاثة، العز والغنى والراحة؛ من زهد فيها عز؛ ومن قنع استغنى، ومن ترك السعي استراح، حكي عن بعض أصحاب الحقيقة أن البسطامي مر بكلب قد ترطب بالمطر فنحى عنه ثوبه ترفعا، فنطق الكلب بلسان فصيح وقال: إن نجاسة ثوبك مني يطهرها الماء ولكن تنحية ثوبك عني لا يطهرها الماء.

كلمات أب ج د

كلمات أبجد ثمانية، أربعة رباعية الحروف وأربعة ثلاثية، ولكل كلمة رقم هندي على الترتيب، ولكل حرف من كل كلمة رمز سندي: فللحرف الأول سا وللثاني ل وللثالث ما وللرابع﴾ لكنا نكتفي عن رقم الكلمة الأولى بصفر إن قصد حرف تاليها ويرمز حروفها إن قصد حرفها ونجعل رقم متلو كل كلمة دالا عليها متصلا رمز حرفها المطلوب بالرقم المذكور، فعلامة الألف سا،، وعلامة الدال ﴿وعلامة الواو وعلامة الكاف آيوصل رمز كل منهما برقم متلو كلمته وعلامة الفاء ع﴾ كما عرفت، فتكتب أحمد هكذا.

وتكتب علي هكذا". (١)

١٤٦-"وخادم لا يحتاج إلى الإنفاق، ومعلم لا يطلب أجرة على التعليم، ولا يتوقع التواضع والتسليم، لباسه من الجلود، ليس بمتكبر ولا حسود، باق في سن الشباب على توالي الأزمان، مقبول القول في جميع الملل والأديان اسمه واحدي المئات، ثنائي الآحاد والعشرات آخره نصف اوله ومنقوطه أكثر من مهمله أوله جبل عظيم وآخره في البحر مقيم خماسي الحروف، فإن نقصت منها حرفين، بقي حرف واحد وهذا عجيب وعدد بعضها يساوي مجموع حاشيتيه، وهذا أيضا غريب، إن سقط أوله بقي شكل اللحيان، وبزيادة خمسي أوله مع ثانيه يساوي عدد عظام الإنسان عدد علامات الامتلاء بحسب الأوعية يعلم من ضعف رابعه الاثانيه، وكون الامتلاء دمويا يظهر من أكثر مبانيه خمس أوله عدد المبردات، فإن نقصت منه ثانيه بقي عدد المسخنات رابعه ينبيء عن الست الضروريات وخمس آخره يخبر عن أجناس أدلة النبضات، وقد تولد من هذا الحكيم ولدان طبيبان لبيبان أحدهما أكبر والآخر أصغر أما الأكبر فنصفه الأعلى أيبس الأعضاء اليابسات

---

(١) الكشكول ١/١٥٥

ونصفه الأسفل بعدد القوى والأعضاء الرئيسة وأجناس الحميات شكله مع شكل نصرة الداخل متساويان والسرطان فيه متوسط بين العقرب والميزان وسطان بعدد ما للبحران الجيد من العلامات، وآخراه بعدد الأمور التي يجب مراعاتها في الاستفراغات، وأما الولد الأصغر فزايد على أبيه بعدد الغير المعتدل من المزاجات فإن زدت على آخريه أنواع الرسوب، حصل عدد كل من المرطبات والمجففات، وإن زدت على أحدهما مسطح آخره عادل بسايط مقادير النبض ومركباته الثنائيات، تم اللغز وتاريخ إتمامه لغز طبيبانه بي عديل وفيه صنعة المعمى، والمراد إذا سقط لفظ عديل من قولنا لغز طبيبانه يبقى التاريخ أعني ألف واثنان انتهى.

شرح: المرطبات هي السكون والنوم واحتباس ما يستفرغ استفراغ الخلط المجفف وكثرة الغذاء والغذاء المرطب والدواء المرطب وملاقات المرطبات وملاقات ما يبرد وملاقات ما يسخن تسخينا لطيفا والفرح المعتدل، والمجففات الجماع والحركة والسهر وكثرة الاستفراغ وقلة الأغذية وكونها يابسة والأدوية المجففة والحركات النفسانية وملاقات المجففات البرد المجمد منه ره وهي كونه بعد تمام النضج وفي يوم محمود كالسابع وإنذار يوم مناسبه كالرابع بالسابع وكونه باستفراغ لا بانتقال ولا بإخراج، وكون استفراغه من جهة مناسبة ويحمل الأعراض اللازمة وجريان النبض على ما ينبغي وكذا القوة وأعقاب الراحة منه رحمه الله، المزاجات ثمانية أربعة بسيطة وأربعة مركبة؛ حار - بارد - رطب - يابس - حار - رطب - حار - يابس - بارد يابس.

من كلام أفلاطون الإلهي: لا يكمل عقل الرجل حتى يرضى بأن يقال: إنه مجنون.

في سورة البرائة " انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم " الآية.

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم.

قال بعض الحكماء: ليس من احتجب بالخلق عن الله كمن احتجب بالله عنهم.

قيل لبعض الحكماء: قد شبت وأنت شاب فلم لا تغضب فقال إن الثكلى لا تحتاج إلى الماشطة.

بعضهم

آه يا ذلي ويا خجلي! ... إن يكن مني دنى أجلي

لو بذلت الروح مجتهدا ... ونفيت النوم عن مقلي

كنت بالتقصير معترفا ... خائفا من خيبة الأمل

فعلى الرحمن متكلي ... لا على علمي ولا عملي". (١)

١٤٧-"وبين التراقي والترائب حسرة ... مكان الشجى أعي الطبيب علاجها

إذا قلت ها قد يسر الله سوغها ... أبت شقوتي وازداد سد رتاجها.

الرتاج ككتاب: الباب العظيم وهو الباب المغلق، وعليه باب صغير.

---

(١) الكشكول ١/١٦٥

سلام عليكم من محب وداده ... لكل ذوي الألباب والفضل صادق.

ولكنه من نحو عشرين حجة ... تراءى له من عالم الغيب شارق.

وشام وميضا من نواحي تهامة ... ويا حبنا من جانب الغور بارق.

فصار له شغل عن الخلق شاغلا ... ورافقه الشوق الذي لا يفارق.

يبيت له حاد إلى السير سابق ... ويضحي له من كامن الوجد سائق.

وهذا هو العذر الذي قلت عنده ... لخلطه من لم أرضه أنت طالق.

وآثرت عنها عزلة في غصونها ... حقائق للمغزى بها ودقائق.

وماذا عسى أن تستفيق للائم ... أخو الوجد أو أن يسمع العذل عاشق.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم.

قال بعض الحكماء: ليس من احتجب بالخلق عن الله كمن احتجب بالله عنهم.

قيل لبعض الحكماء: قد شبت وأنت شاب فلم لا تخضب؟ فقال: إن الثكلى لا تحتاج إلى الماشطة.

سأل أمير المؤمنين عليه السلام بعض أصحابه فقلا: يا أمير المؤمنين، هل تسلم على مذنب هذه الأمة، فقال: يراه الله للتوحيد أهلا ولا نراه للسلام أهلا.

وقال: لا تبدين عن واضحة، وقد عملت الأعمال الفاضحة.

وقال عليه السلام: إن السبب الذي أدرك به العاجز مأمولة، هو الذي حال بين حال الحازم وطلبته.

وقالعليه السلام: إذا عظمت الذنب. فقد عظمت حق الله، وإذا صغرته فقد صغرت حق الله وما من ذنب عظمته إلا صغر عند الله؛ وما من ذنب صغرته إلا عظم عند الله، وقال رضي الله عنه: لو وجدت مؤمنا على فاحشة لسترته بثوبي، أو قال بثوبه هكذا، وقال رضي الله عنه: من اشترى ما لا يحتاج إليه با ع ما يحتاج إليه،". (١)

١٤٨-"وقال عليه السلام: قال رسول الله في قوله تعالى: " ويخلق ما لا تعلمون، إن الله خلق إحدى وثلاثين قبة أنتم لا تعلمون بها، فذلك قوله تعالى: " ويخلق ما لا تعلمون ".

قال واليس الحكيم: محبة المال وتد الشر، ومحبة الشر وتد العيوب، وسئل وهو في أيام شيخوخته ما حالك؟ فقال هوذا، أموت قليلا قليلا، وقيل له: أي الملوك أفضل، ملك اليونان أم ملك الفرس؟ فقال: من ملك غضبه وشهوته فهو أفضل وقال إذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته، وإذا أدركت الطالب لها قتلته، وقال: إعط حق نفسك، فإن الحق يخصمك إذا لم تعطها حقها.

قال بعض الحكماء: إن الرجل ينقطع إلى بعض ملوك الدنيا، فيرى عليه أثره، فكيف من انقطع إلى الله سبحانه، وقال: نحن نسأل أهل زماننا إلحافا وهم يعطوننا كرها فلا هم يثابون ولا نحن يبارك لنا، سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت، وغمها أن

---

(١) الكشكول ١٦٦/١

تغنم لما لم ترزق.

قال بعض الحكماء: الدليل على أن ما بيدك لغيرك، أن ما بيد غيرك صار بيدك، ومن كلامه: عيشة الفقر مع الأمن خير من عيشة الغنى مع الخوف.

قال الكاظم رضي الله عنه لابن يقطين: إضمن لي واحدة أضمن لك ثلاثا إضمن أن لا تلقى أحدا من موالينا في دار الخلافة إلا قمت بقضاء حاجته، أضمن لك أن لا يصبك حد السيف أبدا ولا يظللك سقف سجن أبدا ولا يدخل الفقر بيتك أبدا.

سئل رجل حكيما: كيف حال أخيك فلان؟ فقال مات، فقال وما سبب موته؟ قال حياته.

سمع أبو يزيد البسطامي شخصا يقرأ هذه الآية " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " فبكى، وقال: من باع نفسه كيف له نفس؟ ! **وقال بعض الحكماء** إن غضب الله أشد من النار ورضاه أكبر من الجنة.

قال بعض الأكابر: يقول ما أصنع بدينا إن بقيت لم تبق لي وإن بقيت لم أبق لها.

كان بشر الحافي يقول: لا يكره الموت إلا مريب وأنا أكرهه.

قال المسيح على نبينا وعليه السلام: ليحذر من يستبطي الله في الرزق أن يغضب عليه.". (١)

١٤٩-"ومن كلام بعض الحكماء أقرب ما يكون العبد من الله إذا سأله، وأقرب ما يكون من الخلق إذا لم يسألهم.

قال بعض العباد إني لأستحيي من الله سبحانه أن يراني مشغولا عنه وهو مقبل على شعر:

سلام عليكم من محب وداده ... لكل ذوي الألباب والفضل صادق

ولكنه من نحو عشرين حجة ... تراءى له من عالم الغيب شارق

وشام وميضا من نواحي تهامة ... ويا حبذا من جانب الطور بارق

فصار له شغل عن الخلق شاغل ... ورافقه الشوق الذي لا يفارق

يبيت له حاد إلى السير سائق ... ويضحى له من كامن الوجد شائق

وهذا هو العذر الذي قلت عنده ... لخلطة من لم أرضه أنت طالق

وأثرت عنها عزلة في غصونها ... حقايق للمغزى بها ودقايق

وماذا عسى أن يستفيق للائم ... أخو الوجد أو أن يسمع العذل عاشق

قال بعض الحكماء: لست منتفعا بما تعلم إذا لم تعمل بما تعلم، فإن زدت في علمك، فأنت مثل رجل حزم حزمة من حطب وأراد حملها فلم يطق فوضعها وزاد عليها.

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: " وأما السائل فلا تنهر " ليس هو سائل الطعام، ولكنه سائل العلم.

(١) الكشكول ١/١٦٧

قال بعض ولاة البصرة لبعض النساك: ادع لي، فقال: إن بالباب من يدعو عليك **قال بعض الحكماء**: إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هي؟ وقال حق على الرجل العاقل الفاضل أن يجتنب مجلسه ثلاثة أشياء الدعابة وذكر النساء، والكلام في المطاعم.

قيل لإبراهيم بن أدهم: لم لا تصحب الناس؟ فقال إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله وإن صحبت من هو فوقي تكبر علي، وإن صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملال، ولا في وصله انقطاع، ولا في الأنس به وحشة. دعاء: يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، أسألك بنبيك نبي الرحمة وعترته أئمة الأمة أن تصلي عليه وأن تجعل لي من أمري فرجا قريبا ومخرجا وحيا وخلاصا عاجلا إنك على كل شيء قدير.

في الحديث: إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن كلام بعض الأكابر: ليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن أمن من الوعيد.

سئل بعض الرهبان: متى عيدكم؟ فقال يوم لا نعصي فيه الله سبحانه فذلك عيدنا ليس العيد لمن لبس الفاخرة، إنما العيد لمن أمن عذاب الآخرة، ليس العيد لمن لبس الرقيق إنما العيد لمن عرف الطريق.". (١)

١٥٠-"المعنى اللغوي وأن إطلاق الموجود عليه حقيقة أو مجازا فإن ذلك ليس من المباحث العقلية في شيء.

فتلخص من هذا أن الوجود الذي هو مبدأ اشتقاق الموجود أمر واحد في نفسه وهو حقيقة خارجية، والموجود أعم من هذا الوجود القائم بنفسه وهو مما ينتسب إليه انتسابا خاصا وإذا حمل كلام الحكماء على ذلك لم يتوجه عليه أن المعقول من الموجود أمر اعتباري هو وصف للموجودات وهو الذي جعلوه أول الأوايل البديهية، فإطلاق الموجود على تلك الحقيقة القائمة بذاتها إنما يكون بالمجاز أو بوضع آخر، ولا يجدي ذلك في استغناء الواجب عن عروض الوجود والمفهوم المذكور أمر اعتباري، فلا يكون حقيقة الواجب تعالى.

بحث في القبلتين

قوله تعالى: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه " قد اتفق الكل على أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة مدة ثم أمر أهل البيت رضي الله عنهم، أنها كانت بيت المقدس، ثم لا يخفى أن الجعل في الآية الكريمة جعل مركب لا بسيط وقوله تعالى: كنت عليها ثاني مفعوليه كما نص عليه صاحب الكشاف واختلفوا في المراد بهذا الموصول؛ فأئمتنا سلام الله عليهم على أن المراد ببيت المقدس ما يجعل في الآية هو الجعل المنسوخ، وأما القائلون بأنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة إلى الكعبة فالجعل عندهم يحتمل أن يكون جعلا منسوخا باعتبار الصلاة في المدينة مدة إلى بيت المقدس، وأن يكون جعلا ناسخا باعتبار الصلاة بمكة.

أقول: وبهذا يظهر أن جعل البيضاوي رواية ابن عباس دليلا على جواز كون الجعل منسوخا كلام لا طايل تحته، وصاحب الكشاف لما قرر ما يستفاد منه جواز إرادة الجعل الناسخ والمنسوخ نقل الرواية عن ابن عباس، وغرضه بيان مذهبه في تفسير

---

(١) الكشكول ١٦٨/١

هذه الآية كما ينقل مذهبه في كثير من الآيات، فظن البيضاوي أن مراده الاستدلال على جواز إرادة الجعل المنسوخ.

قال بعض الحكماء لبنيه: لا تعادوا أحدا وإن ظننتم أنه لا يضركم ولا تزهدا في صداقة أحد وإن ظننتم أنه لا ينفعكم، فإنكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو، ولا متى ترجون صداقة الصديق.

وقيل للمهلب: ما الحزم؟ فقال: تجرع الغصص إلى أن تنال الفرص. ومن كلامهم ما تزاحمت الظنون على شيء مستور إلا كشفته.

لما تقدم الحلاج إلى القتل قطعت يده اليمنى، ثم اليسرى، ثم رجله فخاف أن يصفر وجهه من نزف الدم فأدنى يده المقطوعة من وجهه فلطخه بالدم ليخفي اصفراره.

وأنشد

لم أسلم النفس للأسقام تبلغها ... إلا لعلمي بأن الوصل يحييها

نفس المحب عل الآلام صابرة ... لعل مسقمها يوما يداويها

فلما صلب إلى الجذع قال:

يا معين الضنى علي ... أعني على الضنى

ثم جعل يقول: مالي جفيت وكنت لا أجفى ... ودلايل الهجران لا تخفى

وأراك تمزجني وتشربني ... ولقد عهدتك شاربي صرفا

فلما بلغ به الحال أنشأ يقول:

لبيك يا عالما سري ونجوائي ... لبيك لبيك يا قصدي ومعنائي

أدعوك بل أنت تدعوني إليك فهل ... ناجيت إياك أم ناجيت إيائي

حبي لمولاي أضناني وأسقمني ... فكيف أشكو إلى مولاي مولائي

يا ويح روحي من روحي ويا أسفي ... علي مني فإني أصل بلوائي

قيل لعمر بن عبد العزيز: ما كان بدء توبتك؟ فقال: أردت ضرب غلام لي، فقال لي: يا عمر اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة.

من المستطهري للغزالي: حكى عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الخراساني، قال: حججت مع أبي سنة حج الرشيد، فإذا نحن بالرشيد، واقف حاسر حاف على الحصباء وقد رفع يديه وهو يرتعد ويبكي ويقول: يا رب أنت أنت، وأنا أنا، أنا العواد بالذنوب وأنت العواد بالمغفرة، اغفر لي فقال لي أبي: انظر إلى جبار الأرض كيف يتضرع إلى جبار السماء؟ ! ومنه أيضا: شتم رجل أبا ذر، فقال له أبو ذر: يا هذا إن بيني وبين الجنة عقبة، فإن أنا جزتها فوالله ما أبالي بقولك، وإن هو صدني دونها فإني أهل لأشد مما قلت لي.

ثم أقول: إن في كلام الإمام الرازي في تفسيره الكبير في هذه الآية نظرا أيضا فإنه فسر الجعل بالشرع والحكم أي: وما شرعنا القبلة التي كنت عليها وما حكمنا عليك بأن تستقبلها إلا لنعلم؛ ثم قال إن قوله تعالى: " التي كنت عليها ليس نعتا للقبلة

وإنما هو ثاني مفعولي جعلنا، وأنت خبير بأن أول كلامه مناف لآخره فتأمل به.". [1]

١٥١-"من كتاب قرب الإسناد، عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه: كان فراش علي وفاطمة رضي الله عنهما حين دخلت عليه إهاب كبش إذا أرادا أن يناما عليه، قلباه، وكانت وسادتهما أدما حشوها ليف وكان صداقها درعا من حديد.

ومن الكتاب المذكور عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " قال: من ماء السماء ومن ماء البحر، فإذا أمطرت فتحت الأصداف أفواهها، فيقع فيها من ماء المطر فيخلق اللؤلؤ الصغيرة من القطرة الصغيرة واللؤلؤ الكبيرة من القطرة الكبيرة.

صورة كتاب يعقوب إلى يوسف على نبينا وعليهما السلام بعد إمساكه أخاه الصغير باتهام أنه سرق نقلتها من الكشاف: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر: أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت عليه النار بردا وسلاما، وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم آتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه، وكنت أتسلى به فذهبوا به، ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وأنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا، فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام.

قال في الكشاف: فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وبكى وكتب في الجواب: إصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا.

لبعض الأكابر

ما وهب الله لامرىء هبة ... أحسن من عقله ومن أدبه

هما جمال الفتى فإن فقدا ... ففقده للحياة أجمل به

قال بعض الحكماء لبنيه: لا تعادوا أحدا وإن ظننتم أنه لا يضركم، ولا تزهدوا في صداقة أحد وإن ظننتم أنه لا ينفعكم، فإنكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو، ولا متى ترجون صداقة الصديق.". [2]

١٥٢-"يختمون فيه، فكانت جماعة يختمون في كل عشر ليال ختمة، وآخرون في كل ثلاث ليال ختمة، وجماعة في كل يوم وليلة ختمة، وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين، وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات: أربعة في الليل، وأربع في النهار، وروى أن محمدا كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء. وأما الذين ختموا القرآن في ركعتين فلا يحصون لكثرتهم، فمنهم عثمان بن عفان وتميم الداري، وسعيد بن جبير.

---

(١) الكشكول ١/١٨٥

(٢) الكشكول ١/١٨٦

اعترض الشيخ عبد القادر على بعض التعاريف المتداولة للمفعول به، ينقض قوله خلق الله العالم لنا، فإنهم قالوا: إن العالم ها هنا وقع مفعول به، وليس كذلك، فإن المفعول به ما كان أولا ووقع الفعل عليه ثانيا، وما كان العالم قبل الخلق شيئا.
وأجيب عنه في بعض الكتب وإيراده لا يخلو عن تطويل.

قال بعض الحكماء: الظلم من طبع النفس، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين: إما علة دينية كخوف معاد. وإما سياسية كخوف السيف، أخذه أبو الطيب فقال:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم

مثل: فلان رجع رجوع المفلس إلى بقايا الدفاتر الموروثة.

لأبي نواس

عجبت من إبليس في تيهه ... وما الذي أضمر من نيته

تاه على آدم في سجدة ... وصار قوادا لذريته

ابن نباتة

صلوا مغرما قد واصل السقم جسمه ... ومن أجلكم طيب الرقاد فقد فقد

بأحشائه نار يهب يشب لهيبها ... ومن لي بإطفاء اللهيب وقد وقد

في مليح له خال على عذاره

على لام العذار رأيت خالا ... كنقطة عنبر بالمسك أفرط

فقلت لصاحبي هذا عجيب ... متى قالوا بأن اللام تنقط

للصفدي

ضممت خيالك لما أتى ... وقبلته قبلة المغرم

وقمت ومن فرحتي باللقا ... حلاوة ذاك اللمى في فمي". (١)

١٥٣-"عمل ويبالغ إذا سئل، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية، وسوف التوبة وإن عرته محنة، انفرج عن شرايط الملة، يصف العبر ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مدل ومن العمل مقل؛ معل ينافس فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى، يرى الغنم مغرما، والغرم مغنما يخشى الموت ولا يبادر الفوت، يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، يرشد غيره ويغوي نفسه، فهو يطاع ويعصي، ويستوفي ولا يوفي، ويخشى الخلق في غير ربه، ولا يخشى ربه في خلقه.
قال جامع النهج كفى بهذا الكلام موعظة ناجعة، وحكمة بالغة، وبصيرة لمبصر، وعبرة لناظر مفكر.

(١) الكشكول ٣١٢/١

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شره بالإنعام عليه.

قال يونس النحوي: الأيدي ثلاث: يد بيضاء، ويد خضراء، ويد سوداء، فاليد البيضاء هي الإبتداء بالمعروف، واليد الخضراء هي المكافآت على المعروف، واليد السوداء هي المن مع المعروف.

قال بعض الحكماء: أحق من كان للكبر مجانبا وللإعجاب مباينا من جل في الدنيا قدره، وعظم فيها خطره، لأنه يستقل بعالي همته كل كثير، ويستصغر معها كل كبير.

وقال بعضهم: إسمان متضادان بمعنى واحد، التواضع والشرفإذا ضربت مخارج الكسور التي فيها حرف العين بعضها في بعض حصل المخرج المشترك للكسور التسعة، وهو ألفان وخمسمائة وعشرون.

ويقال إنه سئل علي رضي الله عنه عن مخرج الكسور التسعة: فقال: إضرب أيام سنتك في أيام أسبوعك.

كل مربع، فهو يزيد على حاصل ضرب جذر كل من المربعين الذين هما حاشيتاه في جذر الآخر بواحد. أزجر المسيء بثواب المحسنين: إن للقلوب شهوة، وإقبالا، إدبارا فأتوها من قبل شهوتها، فإن القلب إذا أكره عمي، على كل داخل في باطل إثمان إثم العمل به، وإثم الرضا به.

من كتم سره كان الخير بيده، لم يذهب من مالك ما وعظك.". (١)

١٥٤-"به الركب إما أومض البرق يمموا ... وإن لم يلح فالقوم بالسير جهل

برهان التخليص: أورده ابن كمونة في شرح التلويحات يفرض خطين غي متناهيين متقاطعين قد خرج أحدهما من مركز كرة، فإذا فرض تحرك الكرة بحيث يخرج القطر من المقاطعة إلى الموازاة فلابد أن يتخلص عن الخط الآخر وهو إنما يكون عند نقطة ينتهي بها الخط مع كونه غير متناه.

بعض الأعراب يصف حماري وحش كانا يثيران في غدوهما غبارا يهيج مرة ويسكن أخرى.

يتعاوران من الغبار ملاءة ... بيضاءكم محكمة هما نسجاها

تطوى إذا ورد إمكانا محزنا ... وإذا السنابك أسهلت نشراها

لبعض أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من أبيات:

ولست براء عيب ذي الود كله ... ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

جواب الشرط الجازم لم يحل محل المفرد مع أنه في محل جزم.

المئاتم النساء المجتمعات في خير أو شر لا في المصيبة فقط كما يقوله العامة بل هي المناحة لتناوحهن أي تقابلهن.

قال بعض الحكماء: الظلم من طبع النفس وإنما يصدها عن ذلك أحدى علتين إما علة دينية كخوف معاد وإما سياسية كخوف السيف أخذه أبو الطيب فقال:

---

(١) الكشكول ٧/٢

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم
قيل لبعض الصوفية: لا تبيع مرقعتك هذه؟ فقال: إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصطاد.
قولهم فلان لا يعرف هره من بره أي من يكرهه ممن يبره.
وقولهم فلان معربد في سكره مأخوذ من العربد وهي حية تنفخ ولا تؤذي.
من المستظهري: قصد الرشيد زيارة الفضيل بن عياض ليلا مع العباس، فلما وصلا إلى بابه سمعاه يقرأ: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون فقال الرشيد للعباس: إن انتفعنا بشيء فبهذا فناداه العباس أجب أمير المؤمنين فقال: وما يعمل عندي أمير المؤمنين ثم فتح الباب وأطفأ السراج، فجعل هارون يطوف حتى وقعت يده عليه فقال: آه من يد ما ألينها إن نجت من عذا يوم القيامة. ثم قال: استعد لجواب يوم القيامة إنك تحتاج أن تتقدم مع كل مسلم ومسلمة، فاشتد بكاء الشيد فقال العباس اسكت يا فضيل فإنك قتلت أمير المؤمنين، فقال: يا هامان إنما قتلته أنت وأصحابك، فقال الرشيد: ما سماك هامان إلا وقد". [١]

١٥٥-"مساوية لفضل البعض على البعض أو سكونا إن لم يكن فضل، وإن كانت في جهات مختلفة أحدثت حركة مركبة إلى جهة توسط تلك الجهات على نسبتها، وذلك على قياس ساير الممتزجات، فإذن الجسم الواحد لا يتحرك من حيث هو واحد إلا حركة واحدة إلى جهة واحدة، إلا أن الحركة الواحدة كما تكون متشابهة قد تكون مختلفة، وكما تكون بسيطة فقد تكون مركبة وكل مختلفة مركبة وكل بسيطة متشابهة، ولا يتعاكسان، والحركة المختلفة تكون بالقياس إلى متحركاتها الأول بالذات وإلى غيرها بالعرض، ولا تكون جميعها بالقياس إلى غيرها متحرك واحد بالذات، بل لو كان فيها ما هي بالقياس إليه بالذات لكانت إحداهما فقط، وإذا ظهر ذلك فقد ظهر أنه لا يلزم من كون الجسم متحركا بحركتين حصوله دفعة في جهتين ولم يحوج ذلك إلى ارتكاب شيء مستبعد فضلا عن محال.
من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إذا ملأ البطن من المباح عمي القلب عن الصلاح إذا أتتك المحن فاقعد لها فإن قيامك زيادة لها، إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك البلاء فقد أيقظك، إذا أردت أن تطاع سل ما يستطاع، إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون، إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه، استشر أعداءك تعرف من رأيهم مقدار عدواتهم ومواضع مقاصدهم.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا عدوى، ولا هامة، ولا طيرة، ولا صفرة، فالعدوى ما يظنه الناس من تعدي العلل، والهامة ما كان يعتقده العرب في الجاهلية من أن القتيل إذا طل دمه ولم يدرك بثاره صاحت هامته في القبر اسقوني، والطيرة التشاؤم من صوت غراب ونحو ذلك، وأما الصفر فهو كالحية تكون في الجوف تصيب الماشية وهو عندهم أعدى من الجرب.
قال بعض الملوك: من والانا أخذنا ماله ومن عادانا أخذنا رأسه وقيل في الملوك هم جماعة يستكثرون من الكلام رد السلام؛ ويستقلون من العقاب ضرب الرقاب.

(١) الكشكول ١١/٢

قال بعض العارفين: الدين والسلطان والجند والرعية كالفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني خذ العلم من أفواه الرجال فإنهم يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويقولون أحسن ما يحفظون.

قال أبو ذر رضي الله عنه: يومك جملك إذا قدت رأسه اتبعك ساير جسده، يريد إذا عملت في أول نهرك خيرا كان ذلك متصلا إلى آخره.". [1]

١٥٦-"**قال بعض الحكماء**: ينبغي للعاقل أن يعلم أن الناس لا خير فيهم وأن يعلم أنه لابد منهم وإذا عرف ذلك عاملهم على قدر ما تقتضيه هذه المعرفة.

شتم رجل بعض الحكماء فتغافل عن جوابه، فقال: إياك أعني فقال الحكيم وعنك أغمض.

ومن درة الغواص قولهم: هاون غلط إذ ليس في كلام العرب فاعل والعين فيه واو والصواب أن يقال هاوون على وزن فاعول.

لسان العاقل من وراء قلبه وقلب الأحمق من وراء لسانه.

السكاكي يستهجن قول أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صب قد استعذبت ماء بكائي

لأن الاستعارة التخييلية فيه منفكة عن الإستعارة بالكناية، وصاحب الإيضاح يمنع الإنفكاك فيه مستندا بأنه يجوز أن يكون قد شبه الملام بظرف شراب مكروه فيكون استعارة بالكناية، وإضافة الماء تخييلية، وأنه تشبيه من قبيل لجين الماء لا استعارة، قال ووجه الشبه أن اللوم يسكن حرارة الغرام كما أن الماء يسكن غليل الأوام.

وقال الفاضل الجلبي في حاشية المطول: فيه نظر، لأن المناسب للعاشق أن يدعي أن حرارة غرامه لا تسكن لا بالملام، ولا بشيء آخر، فكيف يجعل ذلك وجه شبه؟ ! إنتهى كلامه هذا.

ونقل ابن الأثير في كتاب المثل السائر أن بعض الظرفاء من أصحاب أبي تمام لما بلغه البيت المذكور أرسل إليه قارورة وقال: إبعث إلينا شيئا من ماء الملام، فأرسل إليه أبو تمام إبعث علي بريشة من جناح الذل لأبعث إليك بشيء من ماء الملام.

ثم إن ابن الأثير استضعف هذا النقل وقال: ما كان أبو تمام بحيث يخفى عليه الفرق بين التشبيه في الآية والبيت، فن جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام، فإن الجناح مناسب للذل، وذلك أن الطائر عند إشفاقه وتعطفه على أولاده يخفض جناحه ويلقيه على الأرض، وهكذا عند تعبه ووهنه، والإنسان عند تواضعه وانكساره يطأطيء رأسه ويخفض يديه اللذين هما جناحاه، فشبه ذلك وتواضعه لحالة الطائر على طريق الاستعارة بالكناية وجعل الجناح قرينة لها وهو من الأمور الملائمة للحالة المشبه بها، وأما ماء الملام فليس من هذا القبيل كما لا يخفى انتهى كلام ابن الأثير مع زيادة وتنقيح هذا.

ويقول كاتب هذه الأحرف إن للبيت محملا آخر كنت أظن أني لم أسبق إلى هذا الوجه حتى رأيته في التبيان وهو أن يكون

---

(١) الكشكول ١٣/٢

ماء الملام من قبيل المشاكلة لذكر ماء البكاء ولا يظن أن". [1]

١٥٧-"هكذا قلت، فقال: لو سكرت ونمت، وقام إليك غلامك، وأولج فيك مثل ذراع البكر فقل لي: هذه نعمة يجب الشكر عليها أو بلية يجب الصبر لديها، قال ثمامة: فتحيرت ولم أدر ما أقول له.

فقال: وهنا مسألة أخرى أسألك عنها، فقلت: هات قال: متى يجد النائم لذة النوم؟ إن قلت إذا استيقظ فالمعدوم لا يوجد له لذة، وإن قلت قبل النوم فهو كذلك، وإن قلت حال النوم فلا شعور له، قال ثمامة: فبهت ولم أستطع له جواباز فقال: مسألة أخرى قلت: وما هي؟ قال: إنك تزعم أن لكل أمة نذير فمن نذير الكلاب؟ قلت: لا أدري الجواب، فقال: أما الجواب عن السؤال الأول فيجب أن تقول الأقسام ثلاثة: نعمة يجب الشكر عليها، وبلية يجب الصبر لديها، وبلية يمكن التحرز منها كيلا ينضم العار إليها وهي هذه.

وأما المسألة الثانية فالجواب عنها أنها محال لأن النوم داء، ولا لذة مع وجود الداء.

وأما المسألة الثالثة وأخرج من كمه حجرا وقال: إذا عوى عليك كلب فهذا نذيره ورماني بالحجر فأخطأني، فلما رآه قد أخطأني قال: فاتك النذير أيها الكلب الحقير. فعلمت أنه مصاب في عقله فتركته وانصرفت ولم أر مجنونا بعدها.

كان البهلول جالسا والصبيان يؤذونه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ويكررها فلما طال أذاهم له حمل عصاة، وكر عليهم وهو يقول:

أمر على الكتيبة لا أبالي ... أفيها كان حتفي أم سواها؟

فتساقط الصبيان بعضهم على بعض فقال: هزم القوم وولوا الدبر أمرنا أمير المؤمنين أن لا نتبع موليا ولا ندفف على جريح ثم جلس وطرح عصاه وقال:

وألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

لا تضجرن ولا يدخلك معجزة ... فالنجح يهلك بين العجز والضجر

قال بعض الحكماء: إنكاء ما يكون لعدوك أن لا تريه أنك تتخذه عدوا.

لبعضهم

الدهر خداعة خلوب ... وصفوه بالقذا مشوب

فلا تغرنك الليالي ... فبرقها الخلب الكذوب

---

(١) الكشكول ٢١/٢

وأكثر الناس فاعتزلهم ... قوالب ما لها قلوب إسماعيل المفري". [١]

١٥٨-"حيلة جار السوء وقرين السوء أن تكرم أبناءهم فيندفع عنك شرور آبائهم.
من أتاك راجيا فلا ترده كما لا تحب أن ترد إذا جئت راجيا من استعان بظالم خذله الله.
قال بعض الحكماء: مثل أصحاب السلطان كقوم راقوا جبلا ثم وقعوا منه، فكان أبعدهم في المرقى أقربهم من التلف.
قيل لبعضهم: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت والدنيا غمي، والآخرة همي.
قيل لصوفي ما صناعتكم؟ فقال: حسن الظن بالله، وسوء الظن بالناس.
قال بعض الحكماء: إنما حض بالمشاورة لأن رأي المشير صرف ورأي المستشير مشوب بالهوى.
ومن كلامهم إن سلمت من الأسد فلا تطمع في صيده. لا تمرر بمن يبغضك وإن مررت فسلم. قال صاحب الكشاف في قوله تعالى: " إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا " إن عنه في موضع رفع بمسؤول كقوله تعالى: " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " اعترض عليه أكثر المفسرين بأن هذا خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم على الفعل.
سهم قطعة الدائرة الصغرى أطول من سهم قطعة الدائرة الكبرى إذا كان وتراهما متساويين وكانت القطعة الكبرى أصغر من النصف، وعلى هذا تبتني المسألة المشهورة من أن الإناء كالطاس مثلا يسع من الماء وهو في قعر البئر أكثر مما يسعه وهو على رأس المنارة، فنقول في بيانه: ليكن قوسا اه ب، ار ب من محيطي الدائرتين مختلفتين في المقدار وعلى وتر اب، وليكن قوس ار ب من الدائرة الكبرى أصغر من النصف ثم يخرج من منتصف اب وهو نقطة ح عموج ح ر ه على اب فهذا العمود يمر بمركزي الدائرتين وهما نقطتا ح م لكونه عمودا على الوتر ومنصفا له فنصل خطي اح ام وتقول نقطة ح التي هي أقرب إلى وتر اب مركز لدائرة اه ب الصغرى لكون خط اح أصغر من خط ام فنقطة ح داخلة في سطح دائرة ار ب العظمى وقد خرج خطا ح اح ر إلى محيطها وح ر على سمت المركز فهو أصغر من ح الكن خطا ح اح ه لكون كل منهما نصف قطر الدائرة الصغرى متساويان فخط ح ه أطول من خط ح ر فبعد إسقاط خط ح المشترك يكون خط ح ه الذي هو سهم لقوس اه ر التي هي قطعة من محيط الدائرة الصغرى أطول من خط ح د الذي هو سهم لقوس ار ب التي هي قطعة من محيط الدائرة العظمى، وذلك ما أردنا بيانه.
قال ابن عباس: ما اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب كتب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أما بعد فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا، ولا بما فاتك منها ترحا، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويرجو التوبة بطول الأمل فكان وقد والسلام.
عباد الله الحذر، الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر وأمهل، حتى كأنه قد أهمل الله المستعان على ألسنة تصف وقلوب تعرف، وأعمال تخالف.
قال بعض الحكماء: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل فانظر إلى حنينه إلى إخوانه وشوقه إلى أوطانه، وبكائه على ما مضى

---

(١) الكشكول ٣٩/٢

من زمانه.". (١)

١٥٩-"رأى أفلاطون شخصا ورث من أبيه ضياعا فباعها وأتلف ثمنهاة في مدة قليلة، فقال: الأراضي تبتلع الرجال، وهذا الفتى يبتلع الأرضين.

في تاريخ الحكماء للشهر زوري: إن رجلا انكسرت به السفينة في البحر فوقع إلى جزيرة فعمل شكلا هندسيا على الأرض فرآه بعض أهل تلك الجزيرة، فذهبوا به إلى الملك فأحسن مثواه، وأنعم عليه، وكتب الملك إلى ساير ممالكه أيها الناس اقتنوا ما إذا كسرتم في البحر صار معكم.

جاء رجل إلى إبراهيم بعشرة آلاف درهم. والتمس منه أن يقبلها فأبى عليه، فألح الرجل فقال إبراهيم: يا هذا تريد أن تمحو إسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا.

كان عمر الخيامي مع تبحره في فنون الحكمة سيء الخلق، له ضنة بالتعليم والإفادة وربما طول الكلام في جواب ما يسأل عنه بذكر المقومات البعيدة، وإيراد ما لا يتوقف المطلوب على إيراده ضنة منه بالإسراع إلى الجواب، دخل عليه حجة الإسلام الغزالي يوما وسأله عن المرجح لتعيين جزء من أجزاء الفلك للقطبية دون غيره مع أنه متشابه الأجزاء فطول الخيامي الكلام، وابتدأ بأن الحركة من أي مقول وضن بالخوض في محل النزاع كما هو دأبه وامتد كلامه إلى أن أذن للظهر، فقال الغزالي: جاء الحق، وزهق الباطل وقام وخرج

ما أثقل الدهر على من ركبه ... حدثني عنه لسان التجربة

لا تشكر الدهر بخير سببه ... فإنه لم يتعمد بالهبة

وإنما أخطأ فيك مذهبه ... كالسيل إذ يسقي مكانا خربه

والسم يستسقي به من شربه

قال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا، ولو رغب في الجنة كما رغب في الدنيا لفاز بهما جميعا، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر، لسعد في الدارين جميعا.

أبو الطيب

أهم بشيء والليالي كأنها ... تطاردني عن كونه وأطارد

وحيدا من الخلان في كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قل المساعد

كشاجم

يا كامل الأدوات منفرد العلى ... والمكرمات ويا كثير الحاسد

شخص الأنام إلى جمالك فاستعذ ... من شر أعينهم بعيب واحد

الخوارزمي

---

(١) الكشكول ٢/٥٩

أي خير يرجو بنو الدهر في الدهر ... وما زال قاتلا لبنيه

من يعمر يفجع بفقد الأخلاء ... ومن مات فالمصيبة فيه". [1]

١٦٠-"تعريف الإخلاص

ومن كلامهم في الإخلاص قال سهل: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله خاصة.

وقال: الإخلاص أشد شيء على النفس، لأنه ليس له فيها نصيب.

وقال الآخر: الإخلاص في العمل أن لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين.

وقال المحاسبي: الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب تعالى.

وقال آخر: الإخلاص دوام المراقبة المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وقال الجنيد: الإخلاص تصفية العمل من الكدورات.

قال يحيي بن معاذ: الطاعة خزانة من خزائن الله مفتاحها الدعاء وأسنانها لقمة الحلال.

وقيل لبشر الحافي: من أين تأكل؟ قال من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك.

من كلام بعض العارفين: إذا صحت المحبة لم يبق من المحب ولا حبه.

مر رجل ببعض العارفين وهو يأكل بقلا، وملحا، فقال: يا عبد الله أرضيت من الدينا بهذا؟ فقال العارف: ألا أدلك على من رضي بشر من هذا، فقال: نعم قال: من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة.

مر ديوجانس بشرطي يضرب لصا، فقال: انظروا إلى لص العلانية يؤدب لص السر.

من كتاب سر العربية في أنواع الخياطة: يقال خاط الثوب وخرز الخف والنعل وكتب القربةوكلب المزادة وسرد الدرع وخاص عين البازي.

قال أنوشيروان لبوذرجمهر: أي الأشياء خير للمرء؟ فقال عقل يعيش به، قال، فإن لم يكن، قال: إخوان يشيرون عليه قال: فإن لم يكن، قال: فمال يتحبب به إلى الناس قال: فإن لم يكن، قال فعي صامت، قال: فإن لم يكن قال: فوت جارف.

للمحقق التفتازاني ذكرهما في العكس من البديع في المطول:

طويت لاحراز الفنون ونيلها ... رداء ثباتي والجنون فنون

فمنذ تعاطيت الفنون وخقنتها ... تبيه لي أن الفنون جنون

للشيخ كمال الدين ابن ميثم البحراني:

جمعت فنون العلم أبغي بها الغنى ... فقصر بي عما سموت به القل

فقد بان لي أن المعالي بأسرها ... فروع وأن المال فيها هو الأصل

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني ليكن عقلك دون دينك، وقولك دون فعلك ولباسك دون قدرك.

(١) الكشكول ٦٣/٢

وقال: صحائف أعمالك، فجلدها بأجمل أفعالك. وقال آخر: اعملوا لآخرتكم في هذه الأيام التي تسير كأنها تطير.". [1]

١٦١-"قال بعض الحكماء: لبعض الوزراء تواضعك في شرفك، أشرف لك من شرفك.

قال بعض الحكماء: من قنع كان غنيا وإن كان فقيرا، ومن لم يقنع كان فقيرا وإن كان غنيا. وقال آخر: إذا طلبت العزة فاطلبها في الطاعة، وإن طلبت الغنى فاطلبه في القناعة.

قال بعض الأدباء القناعة عز المعسر، والصدقة حرز الموسر. قال الجزار:

لا تلمني مولاي في سوء حالي ... عندما قد رأيتني قصابا

كيف لا أرتضي الجزارة ما عشت ... قديما وأترك الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجيني ... وبالشعر كنت أرجو الكلابا

أبو نواس

لست أدري أطال ليلي أم لا ... كيف يدري بذاك من يتقلى؟

لو تفرغت لاستطالة ليلى ... ولرعي النجوم كنت مخلى

فراغ الرضي من شرح الكافية سنة ستمائة وأربع وثمانون.

لما تقلد عبد الله بن سليمان وزارة المعتضد بالله، كتب إليه عبد الله بن طاهر يهنيه ويظهر الشكوى من الدهر:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها ... ودع أمرنا إن المهم المقدم

آخر

ما وهب الله لامرىء هبة ... أحسن من عقله ومن أدبه

هما جمال الفتى فإن عدما ... ففقده للحياة أجمل به

آخر

قدمات كل نبيل ... ومات كل فقيه

ومات كل شريف ... وفاضل ونبيه

لا يوحشنك طريق ... كل الخلايق فيه

وفيات بعض العلماء

مات الجوهري سنة ٣٣٩. أبو نصر الفارابي سنة ٣٣٩. والوزير بن العميد سنة ٣٦٥. الصاحب ابن عباد سنة ٣٨٥. ابن سينا سنة ٤٢٨. السيد المرتضى سنة ٤٣٦. أخوه السيد الرضي سنة ٢٣٠. أبو العلاء المعري سنة ٤٤٩. إمام الحرمين سنة ٤٧٧. الشيخ أبو حامد الغزالي سنة ٥٠٥ أخوه أبةو الفتح سنة ٥٢٠. جار الله الزمخشري سنة ٥٣٨. محمد

---

(١) الكشكول ٦٥/٢

الشهرستاني سنة ٥٤٨. الشيخ المقتول سنة ٥٨٧. الإمام الرازي سنة ٦٠٦. الشيخ عمر بن الفارض سنة ٦٣٦. الشيخ محيي الدين بن عربي سنة ٤٣٨. ابن الحاجب سنة ٦٤٦. ابن البيطار سنة ٦٤٦. البيضاوي سنة ٦٩٣. المحقق الطوسي سنة ٧٠٦. العلامة الشيرازي سنة ٧١٠. الشيخ عبد الرحمن الكاشالي سنة ٧٣٥. الجار بردي سنة ٦٤٦. المحقق التفتازاني سنة ٧٩١. العلامة الحلي سنة ٧٢٦ ابن هيثم البحراني سنة ٦٧٩ الشاطبي سنة ٨٩٠. ابن". (١)

١٦٢-"فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن ... عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا

وإياك والسكنى بدار مذلة ... يعد مسيئا فيه من كان محسنا

آخر

شخوص الفتى عن منزل الضيم واجب ... وإن كان فيه أهله والأقارب

وللحر أهل إن نأى عنه أهله ... وجانب عز إن نأى عنه جانب

ومن يرض دار الضيم دارا لنفسه ... فذلك في دعوى التوكل كاذب

آخر

إذا ظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

أبيا بنفسك عن باخل ... تراه بما في يديه أبيا

فإن إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيا

آخر

بلاد الله واسعة فضاها ... ورزق الله في الدنيا فسيح

فقل للقاعدين على هوان ... إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

آخر

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد

أقوال الحكماء

قال بعض الحكماء: من أظهر شكرك فيما لم تأته فاحذر أن يكفر نعمتك فيما أتيته ومن أتيته كلامهم أجعل كتابك عالما تختلف إليه.

وقال المأمون لو وصفت الدنيا نفسها، لم تصف كما وصفها أبو نؤاس بقوله:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

---

(١) الكشكول ٦٦/٢

قال بعض الحكماء: العدو عدوان، عدو ظلمته، فجنيت بظلمك إياه عداوته، وآخر ظلمك فجنى بظلامتك إياك عداوتك، فإن نابتك نائبة تضطرك إلى أحدهما فكن بمن ظلمك أوثق منك بمن ظلمته.

ومن كلامهم حلمك عمن دونك ساتر عليك عيب الذل لمن هو فوقك.". (١)

١٦٣-"قال بعض العارفين: قد قطعت اليد وهي اعز جوارحك في الدنيا لربع دينالر ن فلا يامن ان يكون عقابه في الآخر على هذا النحو من الشدة

ما قيل في أدب النفس: **قال بعض الحكماء**: إن النفس مهمولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة لا يستغنى بمحمودها عن التأديب، ولا يكتفي بالمرضى منها عن التهذيب لأن لمحمودها أضدادا مقابلة، يسعدها هوى مطاع، وشهوة غالبة، وإن أغفل تأديبها تفويضا إلى العقل، أو توكلا على أن ينقاد إلى الأحسن بالطبع، أعدمه التفويض درك المجتهدين، وأعقبه التوكل ندم الخائبين، فصار من الأدب عاطلا، وفي سور الجهل داخلا.

قال بعض الحكماء الأدب أحد المنصبين. وقال: الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب لأن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قل عقله ضل أصله.

وقال: حسن الأدب يستر قبح النسب وهو وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل شريعة.

قال الأعرابي لابنه: يا بني الأدب دعامة أيد الله تعالى بها الألباب، وحلية زين بها عواطل الأحساب، والعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته على الأدب المخرج زهرته، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها.

في الحديث إذا آخى أحدكم رجلا فليسأله عن اسمه، واسم أبيه، وقبيلته، ومنزله، فإنه من واجب الحق، وصافي الإخاء، وإلا فهي مودة الحمقاء.

نريد عددا إذا ضوعف وزيد على الحاصل واحد، وضرب الكل في ثلاثة وزيد على الحاصل اثنان، ثم ضرب ما بلغ في أربعة، وزيد على الحاصل ثلاث بلغ خمسة وتسعين فالبجبر فرضناه شيئا وعملناه ما قاله السائل، فانتهى العمل إلى أربع وعشرين شيئا وثلاثة وعشرين عددا يعدل خمسة وتسعين، أسقطنا المشترك بقي أربعة وعشرين شيئا، معادلا لاثنين وسبعين، وهي الأولى من المفردات، قسمنا العدد على عدد الأشياء وهو المجهول، وبالعمل بالعكس نقصنا من الخمسة والتسعين ثلاثة، وقسمنا الباقي على أربعة، ونقصنا من الخارج اثنين وقسمنا الباقي على ثلاثة ونقصنا من الخارج وهو البعة واحدا ونصفنا الباقي وبالخطائين الفرض الأول اثنان، الخطاء الأول أربعة وعشرون ناقصة الفرض الثاني خمسة، الخطاء الثاني ثمانية وأربعون زائد المحفوظ الأول ستة وتسعون المحفوظ الثاني مائة وعشرون، والخطاآن مختلفان فقسمنا مجموع المحفوظين وهو مأتان وستة عشر على مجموع الخطائن، وهو اثنان وسبعون خرج ثلاثة وهي المطلوب.". (٢)

---

(١) الكشكول ٢/٩٢

(٢) الكشكول ٢/٩٨

١٦٤-"لفطري بن الفجاة

أقول لها وقد هاجت وماجت ... من الأعداء ويحك لا تراعيا

فإنك لو سئلت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي

فصبرا من سبيل الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع

سبيل الموت غاية كل حي ... وداعية لأهل الأرض داعي

ومن لا يغتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون إلى انقطاع

وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع

في الفقه ليس فيما ينفع البدن إسراف، إنما الإسراف فيما أتلف المال وأضر البدن.

قوله تعالى " ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ": قال في الكشاف عن ابن عباس: الصغيرة التبسم، والكبيرة القهقهة، وعن الفضيل إنه كان إذا قرأها قال: ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر.

قال بعض الحكماء: لا سرف في الخير كما لا خير في السرف.

روى قيس بن حازم أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما حضر أصابته دهشة ورعدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد، وإنما قال ذلك: حسما لمواد الكبر، وقطعا لذرائع الإعجاب، وكسرا لأشر الأنفس، وتذليل لسطوات الاستعلاء.

ودخل عليه عمر بن الخطاب فوجده على حصير قد أثر في جنبه فكلمه في ذلك فقال صلوات الله عليه وآله: مهلا يا عمر أتظنها كسروية؟ يريد صلى الله عليه وسلم أنها نبوة لا ملك.

وفي الحديث إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح إبليس على وجهه وقال بأبي وجه لا يفلح.

في بعض التفاسير في قوله: " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " أنها أعمال كانوا يرونها حسنات فبدت لهم يوم القيامة سيئات.

تجالس اثنان من أهل القلوب، فتذاكرا وتحادثا ساعة وبكيا، فلما عزمت على الافتراق قال أحدهما للآخر: إني لأرجو أن لا نكونت جلسنا مجلسا أعظم بركة من هذا المجلس، فقال الآخر: لكني أخاف أن لا نكون جلسنا مجلسا أضر علينا منه، قال ولم؟ قال". (١)

١٦٥-"ذكاء عربي

حكى الأصمعي قال: كنت أقرأ السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم وبجنبي أعرابي، فقال: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله قال: أعد، فأعدت، فقال: ليس هذا كلام الله فانتبهت فقرأت والله عزيز حكيم، فقال أصبت هذا كلام الله فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، فقلت: فمن أين علمت؟ فقال: يا هذا عز فحكم فقطع

---

(١) الكشكول ٢/٩٩

فلو غفر ورحم لما قطع.

قال بعض الحكماء: من شرف الفقر أنك لا تجد أحدا يعصي الله ليفتقر، وأكثر ما يعصي المرء ليستغني. أخذ هذا المعنى المحمود الوراق فقال:

يا عايب الفقر ألا تنزجر ... عيب الغنى أكثر لو تعتبر

إنك تعصي لتنال الغنى ... ولست تعصي الله كي تفتقر

قال بعض الحكماء: من ضاق قلبه اتسع لسانه.

ومن كلامهم ينبغي للعاقل أن يجمع عقله عقل العقلاء، وإلى رأيه رأي الحكماء فإن الرأي الفذ ربما زل، وأن العقل الفرد ربما ضل.

قال الحسن البصري، يا من يطلب من الدنيا ما لا يلحقه أترجو أن تلحق من الآخرة ما لا تطلبه؟ .

البرهان الترسي

: نفرض جسما مستديرا كالترس ونقسمه بثلاث خطوط متقاطعة على المركز إلى ستة أقسام متساوية، فكل من الزوايا الست الواقعة حول المركز ثلثا قائمة، والانفراج بين ضلعي كل بقدر امتداده، إذ لو وصل بين طرفيهما بمستقيم لصار مثلثا متساوي الأضلاع، لأن زوايا كل مثلث كقائمتين، والساقان متساويان فالزوايا متساوية فالأضلاع كذلك فلو امتد الضلعان إلى غير النهاية، لكان الانفراج كذلك مع أنه محصور بين حاصرين.

من كلام أبي الفتح البستي: من أصلح فاسده أرغم حاسده. عادات السادات سادات العادات: من سعادة جدك وقوفك عند حدك. الرشوة رشاء الحاجة. اشتغل عن لذاتك بعمارة ذاتك.". (١)

١٦٦-"من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون " فإن الرسول مهتد لا محالة، لكن فيه زيادة حث على الاتباع كذا قالوا، وقوله تعالى: وما كانوا مهتدون ليس من هذا القبيل كما لا يخفى، فالحق أنه ترشيح ليس إلا وأن كلامي الطيبي المتعارضين ساقطان فليتأمل إن شاء الله تعالى.

قال الأحنف بن قيس سهرت ليلة في طلب كلمة أرضي بها سلطاني، ولا أسخط بها ربي، فما وجدتها.

الصفدي

كيف يزور الخيال طرفا ... يراه منكم جفا وبين

والنوم قد غاب منذ غبتم ... ولم يقع لي عليه عين

وله:

أفدي حبيبا إن أقل لك إنه ... بدر فصدقني عليه ولا تسل

وجه حلا إذا أثر الجدري في ... وجناته فكأنه قرص العسل

---

(١) الكشكول ١١٢/٢

قال في التحفة: لو جعل للأفق دائرة يرسمها الخط الخارج من البصر، مماسا للأرض، منهيا إلى السماء، يكون الظاهر من الفلك أكثر من الخفي بأربع دقائق وست وعشرين ثانية إن كانت قامة الشخص الخارج الخط من بصره ثلاثة أذرع ونصفا على ما بينه ابن الهيثم يفي رسالته، في أن الظاهر من السنماء أكثر من نصفها:

وقال بعض الحكماء: إن الله لم يجمع منافع الدارين في أرض، بل فرقها.

آخر

ليس ارتحالك تزداد الغلا سفرا ... بل المقام على خسف هو السفر

بعضه

أشد من فاقة الزمان ... مقام حر على هوان

فاسترزق الله واستغنه ... فإنه خير مستعان

وإن بنا منزل بحر ... فمن مكان إلى مكان

مما كتبه والدي إلي:". (١)

١٦٧-"ربما يتغير حسن الخلق والوطاء إلى الشراسة والبذاء لأسباب عارضة وأمور طارية تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة والطلاقة عبوسا، وهذه الأسباب تنحصر بالاستقراء في سبعة: الأول الولاية التي تحدث في الأخلاق تغيرا وعلى الخلطاء تنكرا، أما للوم طبع أو من ضيق صدر، الثاني العزل.

الثالث الغنى فقد يتغير به أخلاق اللئيم بطرا وتسوء طرايقه أشرا قال الشاعر:

لقد كشف الإثراء عنك خلائقا ... من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

الرابع الفقر فقد يتغير الخلق به إما أنفة من ذل الإستكانة أو أسفا من فائت الغنى، ولذلك قال صاحب الشرع رضي الله عنه: كاد الفقر أن يكون كفرا، وبعضهم يسلي هذه الحالة بالأماني، قال أبو العتاهية:

حرك مناك إذا ... اغتممت فإنهن مراوح

وقال آخر

إذا تمنيت بت الليل مغتبطا ... إن المنى رأس أموال المفاليس

الخامس الهموم التي تذهل اللب وتشغل القلب، فلا يتسع لاحتمال ولا يقوى على صبر.

فقد قال بعض الأدباء: الهم هو الداء المخزون في فؤاد المحزون.

السادس الأمراض التي يتغير به الطبع، كما يتغير بها الجسم، فلا يبقى الأخلاق على اعتدال، ولا يقدر معها على احتمال.

السابع علو السن وحدوث الهرم، فكما يضعف بها الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من الأثقال، كذلك تعجز النفس عن احتمال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق ومضض الشقاق.

---

(١) الكشكول ١١٤/٢

قال أبو الطيب

آلة العيش صحة وشباب ... فإذا وليا عن المرء ولى

قال بعض الحكماء: احتمال السفيه ايسر من التحلي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته

قال بعض السفهاء لبعض الحكماء: والله إن قلت واحدة سمعت عشرا، فقال الحكيم: والله قلت عشرا لم تسمع واحدة

وقال بعض الحكماء: غضب الأحمق في قوله، وغضب العاقل في فعله وقال آخر: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات.". (١)

١٦٨-"تعالى ببعض التفاسير هو هذا التفسير، فإنه مقدم على عصره، وهو كثيرا ما يأخذ من كلامه كما لا يخفى على من تتبع ذلك والله أعلم بحقايق الأمور.

من كتاب التحصين وصفات العارفين: أن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله: ليأتين على الناس زمان لايسلم لذي دين دينه إلا من يفر من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر كالثعلب بأشباله، قالوا ومتى ذلك الزمان؟ قال: إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله عز وجل فعند ذلك حلت العزوبة قالوا: يا رسول الله أما أمرتنا بالتزويج قال: بلى ولكن إذا كان ذلك الزمان فهلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فهلاكه على يد زوجته وولده فإن لم يكن له زوجة وولد فهلاكه على يد قرابته وجيرانه قالوا وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يعيرونه بضيق المعيشة، ويكلفونه ما لا يطيق حتى يوردونه موارد الهلكة.

ولله در قائله

لله در النائبات فإنها ... صدء اللئام وصيقل الأحرار

قال بعض الحكماء: إذا قيل نعم الرجل أنت وكان أحب إليك من ان يقال بئس الرجل فأنت بئس الرجل. ومن وصية لقمان لابنه: يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها.

من خط والدي طاب ثراه:

لقد شمت بقلبي ... لا فرج الله عنه

كم لمته في هواه ... فقال لابد منه

لبعضهم

أنا والله هالك ... آيس من سلامتي

أو أرى القامة التي ... قد أقامت قيامتي

لبعضهم

---

(١) الكشكول ٢/١٢٦

قهوة في الكأس تجلى ... ذوب تبر في لجين

فإذا الديك رآها ... قال أفديك بعيني

لبعضهم". (١)

١٦٩-"حكم

من كلام بعض العارفين: سيئة تسؤوك خير من حسنة تعجبك. من غاب نفسه فقد ذكاها.

مما أوحى الله إلى بعض أنبياءه: هب لي من قلبك الخشوع، ومن نفسك الخضوع ومن عينك الدموع، وسلني فإنه قريب مجيب.

كن في الدنيا وحيدا فريدا مهموما حزينا، كالطائر الواحد الذي يظل بأرض الفلاة، يروى من ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر فإذا جن عليه الليل آوى وحده استيحاشا من الطير واستيناسا بربه.

من كلام أمير المؤمنين رضي الله عنه من أراد الغنى بغير مال، والكثرة بغير عشيرة، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة.

من أصلح ما بينه وبين الله تعالى، أصلح الله ما بينه وبين الناس.

قال بعض الحكماء: لا تكرهوا أولادكم على أخلاقكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

أبو إسحاق الصابي: هو إبراهيم بن هلال أوحد الزمن في البلاغة وفريد الدهر في الكتابة بلغ التسعين في خدمة الخلفاء، وتقلد الأعمال الجلائل ومع ديوان الرسائل وذاق حلو الدهر ومره ولابس خيره وشره ومدحه شعراء العراق وسار ذكره في الآفاق،". (٢)

١٧٠-"(فلا تتفقد منهما غير ما جرت ... به لهما الأرزاق حيث تفرق)

(فحيث يكون الجهل فالرزق واسع ... وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق)

وجدت في بعض الكتب المعتمد عليها: أن أفلاطون كان يقول في صلاته هذه الكلمات: يا روحانيتي المتصلة بالروح الإعلى تضرعي إلى العلة التي أنت معلولة من جهتها لتتضرع إلى العقل الفعال ليحفظ علي صحتي النفسانية، ما دمت في عالم التركيب ودار التكليف. ابن الفارض:

(يا محيي مهجتي ويا متلفها ... شكوى كلفي عسك أن تكشفها)

(عين نظرت إليك ما أشرفها ... روح عرفت هواك ما ألطفها)

سئل اسطرخس الصامت عن علة لزومه الصمت فقال: إني لن أندم عليه قط، وكم ندمت على الكلام. **قال بعض الحكماء**: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد. كان الحارث بن عبد الله منفاقا، فقيل له في ولده، فقال إني لأستحيي

(١) الكشكول ٢/١٤١

(٢) الكشكول ٢/١٦٠

من الله أن أدع لهم ثقة غيره. قال بزرجمهر: من أعيب عيوب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحقه، إما أن تزيده وأما أن تنقصه. أعجز الناس من عجز عن اكتساب اتلإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقع بين الحسن عليه السلام وأخيه محمد بن الحنفية لحاء، ومشى الناس بينهما، تفضلي ولا أفضلك، وأمي امرأة من بني حنيفة، وأمك فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو ملئت الأرض بمثل أمي لكانت أمك خيرا منها، فإذا قرأت كتابي هذا فأقدم حتى تترضاني، فإنك أحق بالفضل مني. والسلام. قد يرضى الرب على العبد بما يغضب به على غيره إذا اختلف مقامهما. وفي الذكر الحكيم تنبيه على ذلك، ألا ترى إلى قصة إبليس وىدم كيف تراهما اشتراكا في اسم المعصية والمخالفة عند من يقول به، ثم تباينا في الاجتباء والعصمة، أما إبليس فأبلس عن رحمة الله، وقيل إنه من المبعدين، وأما آدم فقيل فيه " ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ".". (١)

١٧١-"قال بوزرجمهر: من لم يكن له أخ يرجع إليه في أموره، ويبذل نفسه وما له في شدته فلا يعدن نفسه من الأحياء.

وقال بعض الحكماء: لا تساغ مرارة الحياة، إلا بحلاوة الإخوان الثقات. وقال بعضهم: من لقي الصديق الذي يفضي إليه بسره، فقد لقي السرور بأسره وخرج من عقال لهم بعمره.

وقيل: لقاء الخليل يفرج الكروب، وفراقه يقرح القلوب.

من كتاب أدب الكاتب يذهب الناس إلى أن الظل والفيء واحد، وليس كذلك: لأن الظل يكون من أول النهار إلى آخره ومعنى الظل الستر، والفيء لا يكون إلا بعد الزوال ولا يقال لما كان قبل الزوال فيء، وإنما سمي فيئا: لأن الظل فاء من جانب إلى جانب: أي رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفيء الرجوع قال الله تعالى: " حتى تفيء إلى أمر الله " أي ترجع.

قيل لأعرابي: كيف حالك؟ فقال: بخير أمزق ديني بالذنوب وأرقعه بالإستغفار وإليه ينظر قول الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

لبعضهم

ولما توافينا بمنعرج اللوى بكيت إلى أن كدت بالدمع أشرق

فقالت أتبكي؟ ﴿والتواصل بيننا فقلت ألسنا بعده نتفرق؟﴾

قال بعضهم: عشيرتك من أحسن عشرتك، وعمك من عمك خيره، وقريبك من قرب منك نفعه.

قال ابن السكين: الشرف والمجد يكونان بالآباء، يقال رجل شريف ماجد أي له آباء متقدمون في النبالة والشأن، وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء ذو نبل وشرف.

---

(١) الكشكول ٢/١٦٥

لبعض الأعراب:

تسبق أموالنا مؤملنا ... لا يعترينا مطل ولا بخل

تسمح قبل السؤال أنفسنا ... بخلا على ماء وجه من يسل". (١)

١٧٢-"لبعضهم:

إذا قال مال المرء قل بهاؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازما ... أقدامه خير له أم وراؤه

وإن غاب لم يشتق إليه خليله ... وإن عاش لم يسرر صديقا بقاؤه

وللموت خير لأمرئ خصاصة ... من العيش في ذل كثير عناؤه

ولبعضهم:

إنما الدنيا فناء ... ليس للدنيا ثبوت

إنما الدنيا كبيت ... نسجته العنكبوت

كل ما فيها لعمري ... عن قليل سيفوت

ولقد يكفيك منها ... أيها الطالب قوت

الابل اسم جمع لا واحد له من لفظه وهو مؤنث لأن اسم الجمع لغير العاقل يلزم التأنيث وإذا صغرت الإبل قلت أبيله بالهاء.

سئل بعض العارفين امرأة في البادية؛ ما الحب عندكم؟ فقال: جل فلا يخفى أو دق فلا يرى وهو كامن في الحشاكمون النار في الصفا، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى.

من كتاب أنيس العقلاء اعلم أن النصر مع الصبر والفرج من الكرب واليسر مع العسر.

قال بعض الحكماء بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور؛ وقال بعضهم عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرح.

ولله در من قال

الصبر مفتاح ما يرجى ... وكل صعب به يهون

فاصبروا إن طالت الليالي ... فربما أمكن الحزون

وربما نيل باصطبار ... ما قيل هيهات لا يكون

جار الله الزمخشري

وقائلة ما هذه الدرر التي ... تساقطها عيناك سمطين سمطين

---

(١) الكشكول ٢/١٧٥

فقلت هي الدرر التي قد حشى بها ... أبو مضر اذني تساقط من عيني". (١)

١٧٣-"أخرى عدد لا يعده عدد فرد، وهذا مبني على أن الواحد ليس بعدد كالاثنين في المثال المذكور، ويضعف حتى يصير أربعة، ويسقط منه واحد حتى يصير ثلاثة، وهو فرد أول لأنه لا يعده سوى الواحد فرد آخر، وهو المراد بالفرد الأول؛ فيضرب الثلاثة في الاثنين الذي هو زوج الزوج، فيصير ستة، وهو عدد التام وقس عليه، مثلا نأخذ الأربعة وهو زوج الزوج ونضعفه حتى يصير ثمانية، واسقطنا منه واحدا صار سبعة، وهو فرد أول فنضربه في الأربعة فيصير ثمانية وعشرين، وهو أيضا عدد تام، ومن خواص العدد التام أنه لايوجد في كل مرتبة من الأحاد والعشرات وما فوقها إلا واحدا، مثلا لا يوجد في مرتبة الآحاد إلا الستة، وفي العشرات الا الثمانية والعشرين، فقس عليه واستخرج البواقي كما عرفت.

المعلول أن اعتبر من حيث نسبته إلى العلة على الوجه الذي انتسب إليها كان له تحقق وان اعتبر ذاتا مستقلة كان معدوما بل ممتنعا كالسوادان اعتبر على النحو الذي هو في الجسم كان موجودا، وان اعتبر على أنه ذات مستقلة كان معدوما بل ممتنعا انتهى

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو يجود بنفسه فقال: كيف تجدك؟ قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " الرجاء والخوف لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا بلغه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف ".

قال بعض الحكماء: الصبر صبران، صبر على ما يكره، وصبر على ما يحب، والثاني أشدهما على النفوس.

لبعضهم.

دهر علا قدر الوضيع به ... وترى الشريف يحطه شرفه

كالبحر يرسب فيه لؤلؤة ... سفلا ويعلو فوقه جيفه

لا غرو ان فاق الدني أخا العلا ... في ذا الزمان وهل لذلك جاحد

فالدهر كالميزان يرفع كلما ... هو ناقص ويحط ما هو زائد

من كتاب أنيس العقلاء

، قال: أنه قد يحدث الولاية لاقوام اخلاقا مذمومة، يظهرها سوء طباعتهم ولآخرين". (٢)

١٧٤-"فضايل محمودة ينشرها زكي شيمهم لأن لتقلب الأحوال سكرة يظهر من الأخلاق مكنونها ويبرز من السرائر مخزونها، لا سيما اذهبت من دون تأهب وهجمت من غير تدرج.

قال الفضل بن سهل من كانت ولايته فوق قدره تكبر لها، ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها، وأخذ هذا المضمون

---

(١) الكشكول ١٧٦/٢

(٢) الكشكول ١٨٧/٢

بعض البلغاء، وزاد عليه، فقال الناس في الولاية اثنان: رجل يجل عن العمل بفضله ومروته، ورجل يجل بالعمل لنقصه ودنائته، فمن جل عن عمله ازداد به تواضعا وبشرا، ومن جل عنه عمله تلبس به تجبرا وكبرا.

من صفات الدنيا

قال بعض الحكماء: الموت كسهم مرسل عليك وعمرك بقدر مسيره إليك.

من كلام بعض البلغاء الدنيا إن أقبلت بلت وإن أدبرت برت أو أطنبت بنت أو أركبت كبت أو بهجت هجت أو أسعفت عفت أو أينعت نعت أو أكرمت رمت أو عاونت ونت. أو ما جنت جنت، أو سامحت محت أو صالحت لحت أو واصلت صلت أو بالغت لغت، أو وفرت فرت أو زوجت وجت أو نوهت وهت أو ولهت لهت أو بسطت سطت.

الذي في أكثر التفاسير المحدث عنه بقوله تعالى: " عبس وتولى " هو النبي صلى الله عليه وسلم لما أتاه ابن أم مكتوم، وعنده صناديد قريش، والقصة مشهورة وذهب بعضهم إلى أن المحدث عنه رجل من بني أمية كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي عبس لما دخل ابن أم مكتوم وهو يذهب الشريف المرتضي، قال ان العبوس ليس من صفاته صلى الله عليه وسلم، مع الأعداء المباينين فضلا عن المؤمنين المسترشدين، وكذا التصدي للأنبياء، والتلهي عن الفقراء ليسا من سماته كيف وهو القائل: الفقر فخري والوارد في شأنه وأنك لعلي خلق عظيم.

وقد روى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ان الذي عبس كان رجلا من بني أمية لا النبي صلى الله عليه وسلم.

قال بعض الحكماء: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحياءك من ربك وقال بعضهم. من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر، ودعا قوم رجلا كان يألفهم في المداعبات، فلم يجبهم، وقال: إني دخلت البارحة الأربعين وأنا استحي من سني.". (١)

١٧٥-"كان أبو الحسن النوري مع جماعة في دعوة، فجرى بينهم مسألة في العلم، وطال البحث وهو ساكت، فقالوا: لم لا تتكلم؟ فرفع رأسه وأنشد: رب ورقاء هتوف بالضحى ... ذات شجو صدحت في فنن

ذكرت الفا ودهرا صالحا ... فبكت حزنا فهاجت حزني

فبكائي ربما أرقها ... وبكاها ربما أرقني

ولقد أشكو فما تفهمه ... ولقد تشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال بعض الحكماء

أحق الناس بالهوان المحدث لمن لا يصغى إلى حديثه.

ومن كلامهم: من البسة الليل ثوب ظلمائه، نزعه عنه النهار بضيائه.

لغويات

---

(١) الكشكول ١٨٨/٢

من كتاب أدب الكتاب

، يقال لولد كل سبع: جرو، ولولد كل ذي ريش فرخ ولولد كل وحشية طفل، وولد الفرس مهر وفلو، وولد الحمار جحش وعفو، وولد البقرة عجل والأنثى عجلة، وولد الضأن ذكرا أو أنثى سخلة وبهمة، فإذا بلغ أربعة أشهر فهو حمل وخروف، والأنثى خروفة، وولد الماعز سخلة وبهمة إلى أربعة أشهر، فهو جفر والأنثى جفرة، ثم جدي، والأنثى عناق، وولد الأسد شبل، وولد الضبع فرعل، وولد الدب ديسم ولولد الفيل دغفل، ولولد الناقة حوار، ولولد الأروبة غفر، ولولد الأرنب خرنق، ولولد الحية حربش، ولولد النعام دال، ولولد الفار درص، ولولد الضب حسل، ولولد الغزال خشف، ولولد الخنزير خنوص، وولد الذئبة والكلبة والهرة والجرد درص، وولد الثعلب هجرس.

الحزن والعضب

سبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن هو فوقها وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن هو دونها، والغضب، حركة إلى الخارج والحزن حركة إلى الداخل فيحدث عن الغضب السطوة والإنتقام لبروزه، ويحدث عن الحزن المرض والسقم لكمونه ولهذا يعرض الموت من الحزن ولا يعرض من الغضب.

من التحفة للعلامة قطب الدين الشيرازي: ليست رؤية الكوكب في الأفق أعظم لكونه أقرب إلينا فينافي الاستدارة، بل لأن البخار يرى ما وراءه أعظم مما هو عليه، لأن رؤية الكوكب في البخار إنما يكون بأشعة مستقيمة تخرج من البصر إلى سطح البخار الواقع بين". (١)

١٧٦-"فيما يتعلق بغرايب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة وما يتعلق به من الإختصار والحذف والإضمار، والتقديم والتأخير والمجاز، فمن لم يحكم ظاهر التفسير، وبارد إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، مثاله قوله تعالى: " وآتينا ثمود الناقة مبصرة، فظلموا بها " والناظر إلى ظاهر العربية ربما يظن أن المراد الناقة كانت مبصرة، ولم يكن عميا، والمعنى أية مبصرة أنهم اذا ظلموا غيرهم انتهى.

وفد حاجب بن زرارة على أنوشيروان، فأستأذن عليه، فقال للحاجب: سله من هو؟ فقال: رجل من العرب، فلما مثل بين يديه قال له أنوشيروان: من أنت؟ قال: سيد العرب. قال: أليس زعمت أنك أحدهم؟ فقال: إني كنت كذلك، ولكن لما أكرمني الملك بمكالمته صرت سيدهم، فأمر بحشو فيه درا.

استماح أعرابي خالد بن عبيد الله، وألح في سؤاله، وأطنب في الإبرام، فقال خالد: أعطوه بدرة يضعها في حرامه، فقال الأعرابي: واخرى لاستها يا سيدي لئلا تبقى فارغة، فضحك وأمر له بأخرى أيضا.

قال بعض الخلفاء: إني لأبغض فلان له إلي ذنب، فقال بعض الحاضرين: أوله خيرا تحبه، فأنعم عليه، فما لبث أن صار من خواصه.

سئل بعض الجند عن نسبه، فقال: أنا ابن أخت فلان، فسمع ذلك أعرابي، فقال: الناس ينتسبون طولا، وهذا الفتى ينتسب

---

(١) الكشكول ١٩٩/٢

عرضا.

لبعضهم:

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم ... نفسي الفداء له من كل محذور

فليت علته بي غير أن له ... أجر العليل وأني غير مأجور

قال بعض الحكماء: إصنع المعروف إلى من يشكره، واطلبه ممن ينساه. وقال: النعم وحشية فأشكلوها بالشكر. أثنى بعضهم على زاهد، فقال الزاهد: يا هذا لو عرفت مني ما أعرفه من نفسي لأبغضتني.

شعر:

إذا كان ربي عالما بسريرتي ... فما الناس في عيني بأعظم من ربي

خطب معاوية خطبة عجيبة فقال: أيها الناس هل من خلل؟ فقال: رجل من عرض الناس: نعم خلل كخلل المنخل، فقال: وما هو؟ فقال: إعجابك بها ومدحك إياها.". (١)

١٧٧-"تولوا فثم وجه الله ... وهو معكم أينما كنتم ... ونحن أقرب إليه منكم ... ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ."

قال أرسطو في كتابه الموسوم باثولوجيا، إن من وراء هذا العالم سماء وأرض وبحر، وحيوانات ونبات وناس سماويون، وكل من في ذلك العالم سماوي وليس هناك شيء أرضي، والروحانيون الذين هناك يلائمون للإنس الذين هناك، لا ينفر بعضهم عن بعض، وكل واحد لا ينافي صاحبه، ولا يضاره بل يستريح إليه. بعض الحكماء، على أن الفلزات المتطرقة أنواع مختلفة مندرجة تحت جنس وصيرورة نوع نوعا آخر محال عنده، وأصحاب الكيمياء وبعض الحكماء على أن الأجساد المذكورة إنما هي أصناف مندرجة تحت نوع واحد، والذهب كالإنسان الصحيح وبقية الأجساد اناس مرضى دواؤهم الإكسير.

قال بعض المحققين: وعلى تقدير تسليم كونها نوعا لا يلزم استحالة الإنقلاب، فإنا كثيرا ما نشاهد صيرورة النواة عقربا، والشيخ الرئيس بعد ما تصدى لإبطال الكيميا في كتاب الشفا، ألف في صحتها رسالة سماها حقايق الأشهاد.

شكى رجل من علته، فقال له بعض العارفين: أتشكو ممن يرحمك إلى من لا يرحمك؟ ! دخل الإمام الحسن بن علي عليهما السلام على عليل، فقال له: ان الله تعالى قد أنالك فاشكره، وذكرك فاذكره.

إعتل الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقال: اللهم اجعله أدبا ولا تجعله غضبا.

قيل: العلة تحمل على الجمال، والعافية على المنال.

عن ابن عباس، قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قوم فقالوا: إن فلانا صائم الدهر قائم الليل كثير الذكر، فقال النبي: أيكم يكفيه طعامه وشرابه؟ فقالوا: كلنا، قال: فكلكم خير منه.

قال بعض الحكماء: لا ينبغي لعاقل أن يجهد إلا في إحدى خصال ثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير

---

(١) الكشكول ٢/٢١٥

محرم.
ذكر الزهد عند الفضيل بن عياض، فقال هو حر فإن في كتاب الله تعالى، لا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم.". (١)

١٧٨-"تظلم أهل الكوفة عند المأمون من وال كان عليهم، فقال المأمون: كفوا فلا أعلم أعدل منه في عمالي ولا أقوم، فقال المتظلم: إذا كان هذا الوصف، فاجعل لكل بلد فيه نصيبا ليستووا في العدل، فضحك المأمون وعزله.

(إذا أنت لم تطرب ولم تدر ما الهوى ... فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا)

بعض الشعراء في عامل يقال له أبو علي طالت مدة ولايته:

(وقالوا العدل للعمال حيض ... لحاه الله من حيض بغيض)

(فإن يك هكذا فأبو علي ... من اللائي يئسن من المحيض)

قال بعض الحكماء: إذا وليت ولاية، فإياك أن تستعين في ولايتك بأقاربك، فتبتلى بما ابتلى به عثمان بن عفان، واقض حقوقهم بالمال لا بالولاية.

قال المنصور العباسي لجنده: صدق القائل: أجع كلبك يتبعك، فقال بعض الجند: نعم ولكن ربما يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك.

زعمت العرب أن من ضل في مفازة فنزع ثوبه ولبسه مقلوبا اهتدى إلى الطريق.

من كلام أنوشروان:

حصن البلد بالعدل، فهو سرير لا يغرقه ماء، ولا تحرقه نار، ولا يهدمه منجنيق.

لبعضهم:

(ألا يا دولة السفل ... أطلت المكث فانتقلي)

(ويا ريب الزمان أفق ... نقضت الشرط في الدول)

كتب بعض العمال إلى وال ولاه ولاية يقال له الشيز، يستعفي منها ويطلب العزل:

(ولاية الشيز عزل ... والعزل فيها ولاية)

(فولني العزل عنها ... إن كنت بي ذا عناية)

كان عبد الملك قبل ولايته ملازما للمسجد الحرام، مواظبا على الصلاة وتلاوة القرآن، حتى سموه حمامة المسجد. فلما جاء خبر ولايته كان المصحف في حجره، فوضعه وقال: هذا فراق بيني وبينك.

ابن عبد الجليل الأندلسي:

---

(١) الكشكول ٢/٢٤١

(أتراه يترك العذلا ... وعليه شب واكتهلا)". [١]

١٧٩-"(إذا أظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعا وريا)

(فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا)

(أبيا بوجهك عن باخل ... تراه بما في يديه أبيا)

(فإن إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيا)

ومنه:

(وفي قبض كف الطفل عند ولاده ... دليل على الحرص المركب في الحي)

(وفي بسطها عند الممات مواعظ ... ألا فانظروني قد خرجت بلا شي)

حركة النبض عند الحكماء من مقولة الأين، وعند بعضهم من مقولة الوضع، وعند بعضهم من مقولة الكم، والقول الأوسط أوسط الأقوال.

ولله در أبو نواس:

(حامل الهوى تعب ... يستخفه الطرب)

(لا تلمه في وله ... ليس ما به لعب)

(كلما انقضى سبب ... منك جاءه سبب)

(تعجبين من سقمي ... صحتي هي العجب)

قيل لبعض الحكماء: أتدخر المال وأنت ابن سبعين سنة، قال: يموت الرجل فيخلف مالا لعدوه خير من أن يحتاج في حياته لصديقه.

من كلامهم: إذا أثريت فكل رجل رجلك، وإذا افتقرت أنكرك أهلك.

قيل لأفلاطون: لم لا يجتمع العلم والمال؟ فقال: لعز الكمال.

كان سقراط فقيرا، فقال له بعض الملوك: ما أفقرك؟ فقال أيها الملك، لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي.

عن محمد بن الحنفية قال: من كرمت نفسه عليه هانت الدنيا في عينيه.

قال بعض الحكماء: لا تصحب من هو أغنى منك، فإنك إن ساويته في الإنفاق أضر بك، وإن زاد عليك استذلك.

لما مات حاتم أراد أخوه أن يتشبه به، فقالت أمه: لا تتعبن، فلن تناله، قال: وما". [٢]

(١) الكشكول ٢/٢٦٠

(٢) الكشكول ٢/٢٦٨

١٨٠-"تركت ولا أبقيت شيئا، جعلت كل أنواع المحامد لله عز وجل، فما من حمد إلا وهو داخل فيما قلت.

مر بعض الصوفية ببغداد، وإذا بسوقي ينادي: الخيار عشرة بدرهم، فلطم الصوفي وجه نفسه وقال: إذا كان الخيار عشرة بدرهم فكيف بالشرار ﴿﴾

قال بعض الحكماء:

المروءة ألا تفعل سرا ما تستحي منه علانية.

(تعريف القضاء والقدر)

القضاء: هو وجود جميع الوجودات في اللوح المحفوظ إجمالا، والقدر تفصيل ذلك الإجمال بإيجاد المواد الخارجية، واحدا بعد واحد، في وقت تعلق العلم الأزلي به،.

القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني:

(ليس عندي شيء ألذ من العلم ... فلا أبتغي سواه أنيسا)

(ما تطعمت لذة العيش حتى ... صرت للبيت والكتاب جليسا)

(إنما الذل في مخالطة الناس ... فدعهم وعش عزيزا رئيسا)

كان الفراء النحوي معلما لولدي المأمون، وكان إذا قام من مجلسه بادرا إلى نعليه فقدم كل واحد منهما فردة، وذلك بأمر أبيهما المأمون.

(لغويات)

نبذ من الكنى: يقال للأسد أبو الحارث، وللضبع أم عامر، وللثعلب أبو الحصين، وللنمر أبو عون، وللذئب أبو زياد. ويقال للديك أبو نبهان، وللهرة أم خداش، وللدجاجة أم حفص، وللفأرة أم فساد، وللخنفساء أم سالم. ويقال للدينار أبو الحسن، وللدرهم أبو صالح، وللخبز أبو جابر، وللملح أبو صابر، وللبغل أبو جميل، وللحم أبو الخصيب، وللأرز أبو لؤلؤة، وللجبن أبو مسافر، وللجوز أبو مقابل، وللبن أبو الأبيض، وللبيض أبو الأصفر، وللهريسة أم جابر، وللثريد أبو راجع، وللماء أبو حيان، وللأشنان أبو البقاء.

قال بعض التابعين: كانت فاكهة أصحاب النبي [- صلى الله عليه وسلم -] خبز البر.

سئل بعضهم عن أعظم الصبر فقال: الصبر عن صحبة من لا توافقك أخلاقه، ولا يمكنك فراقه.". (١)

١٨١-"بعضهم:

(نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعا)

(واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا)

قال محمد بن منصور النيسابوري:

---

(١) الكشكول ٢/٢٨٠

(وقالوا يصير الشعر في الماء حية ... إذا الشمس لافته فما خلته حقا)

(فلما التوى صدغاه في ماء وجهه ... وقد لسعا قلبي تيقنته صدقا)

قال ابن المنجم:

(تحصن بأفعالك الصالحات ... ولا تبخلن بحسن جليل)

(فحسن النساء جمال الوجوه ... وحسن الرجال وجوه الجميل)

من كلامهم: الغيبة جهد العاجز.

روى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعمى، أبرص مقعدا، مضروب الجنبين بالفالج، وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه، فقال له عيسى: يا هذا، وأي شيء من البلاء أراه مصروفا عنك؟ ﴿فقال: يا روح الله، أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته، فقال: صدقت، هات يدك، فناوله يده، فإذا هو من أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة، قد أذهب الله عنه ما كان. فصحب عيسى عليه السلام ولم يزل معه.

قال بعض الحكماء: لا تجعلوا قلوبكم التي هي منابر الملائكة قبورا للحيوانات الهالكة.

قال حكيم لرجل يستكثر من العلم ولا يعمل به: يا هذا، إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح فمتى تقاتل؟﴾

بعضهم:

(إن الليالي للأنام مناهل ... تطوى وتنشر بينها الأعمار)

(فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار)". (١)

١٨٢-"(قامت تودعني والدمع يغلبها ... كما يميل نسيم الريح بالغصن)

(وأعرضت ثم قالت وهي باكية ... يا ليت معرفتي إياك لم تكن)

لبعضهم:

(أيها الدائب الحريص المعنى ... لك رزق وسوف تستوفيه)

(فاسأل الله وحده ودع الناس ... وأسخطهم بما يرضيه)

(لن ترى معطيا لما منه الله ... ولا مانعا لما يعطيه)

أشار بعض وجوه العرب على أبي قيس المجنون أن يأخذه إلى مكة ليطوف بالبيت، ويسأل الله أن يعافيه مما ابتلاه به، فبينما هم في منى، إذ سمع امرأة تنادي أختا لها: يا سلمى، فأغمى على المجنون حتى ظن أبوه أنه قد مات، فلما أفاق بعد ساعة أنشأ يقول:

(وداع دعا إذ نحن بالخيف من مني ... فهيج أشواق الفؤاد وما يدري)

(دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائر كان في صدري)

(١) الكشكول ٢/٢٨١

قال بعض الحكماء:

أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وعفا عن قدرة، وأنصف عن قوة.

بعضهم:

(حججي عليك إذا خلوت كثيرة ... وإذا حضرت فإنني مخصوم)

(مالي لسان أن أقول ظلمتني ... والله يعلم أنني مظلوم)

قال بعض الأدباء:

من حكى لك أنه رأى مكاريا حسن الخلق، أو قوادا سيئ الخلق، أو سائسا لا يسرق الشعير، أو خياطا لا يسرق ما يخيطه، أو أعمى لا يكون ثقيلا، أو معلم أطفال ليس قليل العقل، أو قصيرا غير متكبر، أو طويلا غير أهوج فلا تصدقه فيما ادعاه أبدا.

بعضهم:

(ليلي وليلى نفى نومي اختلافهما ... بالطول والطول يا طوبي لو اعتدلا)

(يجود بالطول ليلي كلما بخلت ... بالطول ليلى وإن جادت به بخلا)

قال سعيد الدين الطيبي: تنازعت أنا وأبو غالب في أمر محمد بن سليمان بن قطرش". (١)

١٨٣-"**قال بعض الحكماء**: احفظ عشرا من عشر: أناتك من التواني. وإسراعك من العجلة. وسخاءك من التبذير. واقتصادك من التقتير. وإقدامك من الهرج. وتحرزك من الجبن. ونزاهتك من الكبر. وتواضعك من الدناءة. ولسانك من الاعتذار. وكتمانك من النسيان.

في كتاب الاستيعاب لابن عبد ربه، عن سفيان بن عيينة قال: قال لي جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: توفي علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين. وقتل حسين بن علي عليهما السلام وهو ابن ثمان وخمسين. وتوفي علي بن الحسين عليهما السلام وهو ابن ثمان وخمسين، وتوفي محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام وهو ابن ثمان وخمسين. . قال سفيان: وقال لي جعفر عليه السلام: وأنا بهذه السنة في ثمان وخمسين، فتوفي بها.

(محاورة بين الحجاج وسعيد بن جبير)

لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج قال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، قال: بل شقي ابن كسير، فقال: أمي سمتني سعيدا، قال: سعت. قال: الغيب يعلمه غيرك؟ قال الحجاج: والله لأبدلنك من دنياك نارا تلظي. قال لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلها غيرك. قال الحجاج: لأقطعنك قطعا قطعا، ولأفرقن أعضاءك عضوا عضوا. قال: إذا تفسد علي دنياي وأفسد عليك آخرتك. فقال: الويل لك. قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. فقال: اضربوا عنقه. فقال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، أستحفظهما حتى ألقاك يوم القيامة. فقال الحجاج: أضجعوه للذبح.

---

(١) الكشكول ٢/٢٨٣

فقال: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض. فقال الحجاج: اقلبوا ظهره إلى القبلة. فقرأ سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله. فقال كبوه على وجهه. فقرأ سعيد: منها خلقناكم وفيه نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى. فذبح من قفاه، فما بقي الحجاج بعده إلا ثلاثة أيام.

(عدد من قتلهم الحجاج)

في تاريخ ابن الجوزي، عن هشام بن حسان قال: أحصينا من قتلهم الحجاج صبرا، فبلغوا مائة ألف وعشرين ألفا. وقال: ووجد في سجنه ثلاثة وثلاثون ألفا ما يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ولا قتل.

وكان سجنه حائطا محوطا لا سقف له، فإذا أوذي المسجونون من حر الشمس وأتوا". (١)

١٨٤-"من كان وجهه شديد الاستدارة فهو جاهل حقير النفس.

من كان عالي الضحك فهو وقح.

من كان عظيم الأذنين فهو طويل العمر جاهل.

من كان دقيق الخصر فهو قوي صبور على المؤلمات.

من قصر ذراعاه جدا فهو جبان محب للشر.

دقة الكف جدا دليل على السلاطة والرعونة.

(ما جاء في الثياب:)

قال بعض الحكماء: البس من الثياب ما يخدمك لا ما يستخدمك.

اشترى النبي [- صلى الله عليه وسلم -] حلة بثمانين ناقة.

اشترى بعض الأكابر حلة بألف ودخل المسجد، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أجالس ربي.

كان بعض الأكابر من قريش إذا اتسع لبس أرث ثيابه، وإذا افتقر لبس أفخرها. فقيل له في ذلك، فقال: إذا اتسعنا لبسنا بالهيئة، وإذا افتقرنا تزينا بالهيئة.

(من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام:)

والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من رقعها، ولقد قال قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى.

من كلامهم: كل ما تشتهيه، والبس ما يشتهيه الناس.

(أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت ... والبس لباسا يشتهيه الناس)

قيل للأحنف في شهر رمضان: إنك شيخ كبير، وإن الصوم يهدك، فقال: إن الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله.

---

(١) الكشكول ٢/٢٩٦

ولبعضهم في الصبر:

(ويوم كيوم البعث ما فيه حاكم ... ولا عاصم إلا فتى ودروع)

(حبست به نفسي على موقف الردى ... حفاظا وأطراف الرماح شروع)

(وما يستوي يوم الملمات إن عرت ... صبور على مكروهها وجزوع)". (١)

١٨٥-"اعتبر بما ترى، واتعظ بما تسمع، قبل أن تصير عبرة للرائي، وعظة للسامع.

قال أرسطوطاليس: اعص الهوى وأطع من شئت.

اترك ما تريد لتستغني عن العلاج بما تكره.

الحزن مرض الروح، كما أن الألم مرض البدن.

قال بعض الحكماء: ثلاث من كن فيه استكمل العقل: أن يكون ماسكا للسانه، عارفا بزمانه، مقبلا على شأنه.

(من أمثال العرب)

عاقني المطر عن الوطر ... يوم السرور قصير يكاد يطير ... من جعل نفسه عظيما أكلته الكلاب ... كلب جوال خير من أسد رابض ... ترك الحيلة.

(الوزارة)

اختلف اللغويون في اشتقاق اسم الوزارة على أقوال، فقيل إنه مأخوذ من الوزر الذي هو الملجأ، ومنه قوله تعالى: ﴿كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر﴾ . وقيل من الأزر، وهو الظهر، لأن الملك يقوى بوزيره. وقيل من الوزر وهو العناد والثقل. ومنه قوله تعالى: ﴿ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك﴾ وقيل من الوزر الذي هو الإثم؛ لشدة ما في الوزارة من ارتكاب المآثم، فكأن وزير الملك يتحمل أوزاره.

لما أتى إخوة يوسف بقميصه ملطخا بالدم، ألقاه يعقوب على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال: تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزق قميصه.

قال بعض الحكماء: برد اليأس خير من حر الطمع.

قال بعضهم: روحوا الأذهان كما تروحوا الأبدان، وإذا نطق لسان الدعوى أخرسته يد الامتحان.

قال السراج الوراق.

(وقالت يا سراج علاك شيب ... فخذ لجديده خلع العذار)

(فقلت لها نهار بعد ليل ... فما يدعوك أنت إلى النفار)

---

(١) الكشكول ٢/٢٩٩

(فقالت قد صدقت وما سمعنا ... بأضيع من سراج في نهار)". [1]

١٨٦-"لبعضهم:

(قل لمن مل هوانا ... وتولى وجفانا)

(قل لنا أي قبيح ... قد جرى منا وبانا)

(كم تتبعنا مراضيك ... ولم تتبع رضانا)

(كم أمرناك وخالفت ... هوانا في هوانا)

(هكذا الحر الوفي ... هكذا كان جزانا)

لبعضهم:

(ظالمي ما منه منتصر ... أبدا يجني وأعتذر)

(وجهه في كل ناحية ... أينما أبصرته قمر)

(حل من قلبي بمنزلة ... لم ينلها قبله بشر)

من أمثال العرب: إذا سرقت فاسرق درة، وإذا زنيت فازن بحرة.

قال بعض الحكماء: دع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك، وعليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك.

الكذاب شر من اللص؛ لأن اللص يسرق مالك، وهذا يسرق عقلك.

علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف.

لآخر:

(سألت القلب سلوتكم ... فقال سألت ممتنعا)

(فلا والله ما أسلو ... ولو قطعتني قطعا)

(فلو قد ذاب من حرق ... وأقبل يشتكي الوجعا)

(شمت به وأعجبني ... تضرعه وقد وقعا)

من أوهام الخواص:

يقولون: أبدأ به أولا، فينونون، والصواب أبدأ به أول بالضم، كما قال:

(لعمرك ما أدري وإني لأوجل ... على أينا تعدو المنية أول)

وإنما بني أول هنا لأن الإضافة مراده فيه، وتقدير الكلام أول الناس، فلما انقطع عن". [2]

---

(١) الكشكول ٣٠٢/٢

(٢) الكشكول ٣٠٣/٢

١٨٧-"(ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا)

فقال له النبي [- صلى الله عليه وسلم -] : لا يفضض الله فاك، فكان من أحسن الناس ثغرا.

قال بعض ال

حكماء: العمر اقصر من أن تصرفه فيما لا يعنيك.

لبعضهم:

(من بأسياف هجرهم كلمونا ... ما عليهم لو أنهم كلمونا)

(أغلقوا باب نصحهم فتح الله ... لهم بالهناء فتحا مبينا)

(ملكوا رقنا فصرنا عبيدا ... ليتهم بعد رقنا كاتبونا)

(وغدونا لهم أرقا ولكن ... قد تغالوا في الهجر مذ فارقونا)

سئل اسطرخس الصامت عن سبب صمته فقال: لأني لم أندم عليه قط، وكم ندمت على الكلام.

ابن حجر:

(مزاج خمرة فيه جاء معتدلا ... فراح منه مزاج الراح منحرفا)

(ومذ غدا جسمه ماء برقته ... علمت والله أن القلب منه صفا)

سأل بعض الأنبياء ربه أن يكف عنه ألسنة الناس، فأوحى الله إليه: إن هذه خصلة لم أجعلها لنفسي، فكيف أجعلها لك؟

مثل نفس الإنسان في بدنه كمثل وال في بلده، وقواه وجوارحه أعوانه، والعقل له وزير ناصح، والشهوة فيه كعبد سوء جالب للشر.

لبعضهم:

(لقد قال الرسول وقال حقا ... وخير القول ما قال الرسول)

(إذا بدت الحوائج فاطلبوها ... إلى من وجهه حسن جميل)

قال بعض الحكماء: إن الله تعالى خلق الملائكة من عقل بلا شهوة، وخلق البهائم من شهوة بلا عقل، وخلق الإنسان من عقل وشهوة، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم.

(حكم)

من دام كسله خاب أمله. من ركب جده غلب ضده. من أعمل اجتهاده حصل مراده.". [١]

١٨٨-"ولكنها قط ما جمشت ... من الملهيات بمثل النبيذ

وقلت في كتاب المبهج «١» : الدنيا معشوقة ريقها الراح.

باب ذم الدنيا

---

(١) الكشكول ٢/٣١٦

قال بعض الحكماء: الدنيا غدارة غرارة إن بقيت لها لم تبق لك.

وقال آخر: واجد الدنيا سكران، وفاقدها حيران.

وقال آخر: أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت، ومن حسراتها إذا أدبرت.

وقال آخر: إن الدنيا ليست تعطيك لتسرك، ولكن لتغمك وتغرك.

وقال آخر: الدنيا أشبه شيء بظل الغمام وحلم النيام.

وقال الحسن «٢» : حلالها حساب، وحرامها عقاب.

وقال يحيى بن معاذ «٣» : الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها سكر فلم يفق إلا في عسكر الموتى نادما خاسرا، وقال أيضا: الدنيا جارية زانية ولو كانت عفيفة لم يقربها أحد.". [١]

١٨٩-"باب مدح الدهر

قال بعض الحكماء: الدهر أنصح المؤدبين. وقال آخر: قد وعظنا الدهر لو اتعظنا، ونصحنا لو انتصحنا.

قال الشاعر:

عمري لقد نصح الزمان وصرفه ... ومن العجائب ناصح لا يشفق

وقال العتابي «١» : من لم يؤدبه والده أدبه الليل والنهار.

وقال بشار:

إن دهرا يضم شملي بسلمى ... لزمان قد هم بالإحسان

وقال البحتري:

هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها ... وشيكا وإلا ضيقة وانفرادها «٢»

وقال الأخطل:

وإن أمير المؤمنين وفعله ... لكالدهر لا عار بما فعل الدهر «٣»". [٢]

١٩٠-"وللوزير المهلبي «١» :

رق الزمان لفاقتي ... ورثى لطول تحرقي

وأنالني ما أرتجي ... وأفاتني ما أتقي

فلأصفحن عما جنا ... ه من الذنوب السبق

حتى جنايته بما ... فعل المشيب بمفرقي

---

(١) اللطائف والظرائف ص/١٤

(٢) اللطائف والظرائف ص/١٩

باب ذم الدهر

قال بعض الحكماء: أف للدهر ما أكدر صافيه، وأخيب راجيه، وأعدى أيامه ولياليه. وقال آخر: من له يدان بغوائل الزمان. وقيل: يسار الدهر في الأخذ أسرع من يمينه في البذل لا يعطي بهذه إلا ارتجع بتلك. وقال آخر: الدهر لا يؤمن يومه، ويخاف غده، ويرضع ثديه، وتجرح يده. وقيل: الدهر يغر ويضر، ويسوء من حيث يسر. وقال آخر: الدهر لا تتهنى فيه المواهب حتى تتخللها المصائب، ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها الشوائب.

وفي فصل لابن المعتز: هذا زمان متلون الأخلاق، متداعي البنيان، موقظ الشر، منيم الخير، مطلق أعنة الظلم، حابس روح العدل، قريب الأخذ من الإعطاء، والكآبة من البهجة، والقطوب". (١)

١٩١-"النصب واللغوب وليس ما يصل إلى الآحاد والشواذ من مكروه الأمور العامة النفع مزيلا لها عن طريق الحمد، وكذلك المضار إذا اتفقت بأن تتضمن نفعا للقليل من الناس مع إجحافها بالكثير لم تزل عن طريق الذم «١» .

باب ذم السلطان

قال بعض الحكماء: إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبي، ويأخذ أخذ السبع.

ومن الأمثال: الملك عقيم، أي لا أرحام بين الملوك وبين أحد.

وفيها ما من ملك إلا استأثر.

وقال المأمون: إن فينا معشر الملوك حسدا واستئثارا ومحكا ولجاجا. وكان أبو علي الصغاني «٢» يقول: من والانا أخذنا ماله، ومن عادانا أخذنا رأسه. وفي كتاب كليلة ودمنة: من سكر السلطان أنه يرضى عمن استوجب السخط، ويسخط على من استوجب الرضا من غير سبب معلوم. وكذلك قالت العلماء: خاطر من ولج في البحر، وأشد مخاطرة منه خادم السلطان. وقيل: أسرع الأشياء تقلبا قلوب الملوك. ويقال: إذا تغير السلطان تغير الزمان. وقيل: سكر". (٢)

١٩٢-"أسرك أني نلت ما نال جعفر ... من المال أو ما نال يحيى بن خالد

وأن أمير المؤمنين أعضني «١» ... معضهما بالمرهفات البوارد

ذريني تجئني ميتتي مطمئنة ... ولم أتجشم هول تلك الموارد

فإن عليات الأمور مشوبة ... بمستودعات في بطون الأساود «٢»

وقال بعض الحكماء: أكثر الناس حاسدا وعدوا ومنابذا وزير السلطان. وكان في كتاب مروان: أخوف ما تكون الوزارة عند سكون الدهماء. وقيل: مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافي العذب النمير الذي فيه التماسيح لا يستطيع الإنسان وروده وإن كان عائما وإلى الماء حائما. وللبستي في معناه:

---

(١) اللطائف والظرائف ص/٢١

(٢) اللطائف والظرائف ص/٢٩

حرضوني على وزارة بست ... ورأوها من أعظم الدرجات

قلت لا أشتهي وزارة بست ... إنني لم أمل بعض حياتي

وله:". (١)

١٩٣-"فريضة على كل مسلم» «١» ، وقال عليه السلام: «أطلبوا العلم ولو بالصين» «٢» ، وقال صلوات الله وسلامه عليه: «لا خير فيمن لا يكون عالما أو متعلما» «٣» . ومن فضائل العلوم أن شهادة أهلها مقرونة بشهادة الله تعالى جده، وملائكته في قوله عز اسمه: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم

«٤» . وقال علي رضي الله عنه:

«كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه» «٥» . ويقال: العلماء في الأرض كالنجوم في السماء، لولا العلم لكان الناس كالبهائم. **وقال بعض الحكماء**: العلم حياة القلوب ومصباح الأبصار. وقال ابن المعتز في فصوله: علم الرجل ولده المخلد. وقال أيضا: الجاهل صغير وإن كان شيخا، والعالم كبير وإن كان حدثا. وقال أيضا: ما مات من أحيا علما. وقلت في الكتاب المبهج: العلم أشرف ما وعيت، والخير أفضل ما أوعيت.

وفيه: العلماء أعلام الإسلام، وأمان الإيمان. قال الشاعر:

العلم خير أداة أنت جامعها ... تلقى الرجال به في الحفل إن حفلوا

وآفة العلم أن ينسى وأفضله ... ما وافق العلم ممن يكمل العمل

وقال أيضا:". (٢)

١٩٤-"باب ذم الخط والقلم

قال ابن المعتز:

وأجوف مشقوق كأن سنانه ... إذا استعجلته الكف منقار لاقط

وتاه به قوم فقلت رويدكم ... فما كاتب بالكف إلا كشارط

وقال أبو العلاء المعري: لو كان في الخط فضيلة لما حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقال بعض أولاد الأمراء: الخط صناعة، ولا تحسن الصناعة بالملوك؛ وقال كشاجم:

سل بي عن الأيام تعرف ... أني ابن دهر ليس ينصف

وبلاغتي معروفة ... سهل وأخطاها التكلف

وسطور خط مونق ... كالروض والبرد المفوف

---

(١) اللطائف والظرائف ص/٣٩

(٢) اللطائف والظرائف ص/٤٨

والخط ليس بنافع ... ما لم يكن في خط مصحف

وقال بعض الحكماء: ماذا لقينا من الكتاب في الدنيا والآخرة؟ أما في الدنيا فقد بلينا به وأخذنا بحفظ فرائضه وإقامة شرائطه، وأما في الآخرة فإنا نلقاه منشورا بسرائرنا وخفايا ضمائرنا؛ وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال: أخلاق حلوة وشمائل معسولة، وثياب مغسولة، وتظرف أهل الفهم، ووقار أهل العلم، فإذا صلوا بنا الامتحان والاختبار، وعرضوا على محك الاعتبار، كانوا كالزبد يذهب جفاء، أو كنبات الربيع في الصيف تحركه هيفاء الرياح، لا يستندون إلى وثيقة، ولا يدينون بحقيقة، أخفر الخلق لأماناتهم، وأشراهم بالثمن". (١)

١٩٥-"باب ذم الغنى

قال الله تعالى: كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى

«١» ، وقال عز ذكره: أنما أموالكم وأولادكم فتنة*

«٢» ، وقال تعالى:

وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض

«٣» . وقال بعض المفسرين في قوله تعالى:

سنستدرجهم من حيث لا يعلمون*

«٤» ، ما جدد والله معصية إلا جدد لهم نعمة ليستدرجهم بها.

وقال بعض الحكماء: الغنى يورث البطر. ويقال: غنى النفس أفضل من غنى المال. وقال الشاعر:

غني النفس ما عمرت غنى ... وفقر النفس ما عمرت شقاء

وقال محمود بن الوراق:

لا تشعرن قلبك حب الغنى ... إن من العصمة أن لا تجد

كم واجد أطلق وجدانه ... عنانه في بعض ما لم يرد

ومدمن للخمر غاد إلى ... سماع عود وغناء غرد

لو لم يجد خمرا ولا مسمعا ... برد بالماء غليل الكبد

وكم يد للفقر عند امرىء ... طأطأ منه الفقر حتى اقتصد". (٢)

١٩٦-"باب مدح القناعة

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: فلنحيينه حياة طيبة

---

(١) اللطائف والظرائف ص/٥٥

(٢) اللطائف والظرائف ص/٩١

«١» . هي القناعة. وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، العبد حر إذا قنع، والحر عبد إذا طمع. وكان يقال: أنت العزيز ما التحفت بالقناعة. وقيل: القانع بما قسم الله في حدائق النعيم.

ويقال: أخفض الخفض رضا المرء بحظه. وقال بعضهم: من لم يقنع بالقليل، لم يكتف بالكثير. ومن فصول ابن المعتز: أعرف الناس بالله من رضي بما قسم له. وقال غيره: من قنع بما له استراح وأراح. وقال أبو العتاهية:

إن كان لا يغنيك ما يكفيكا ... فكل ما في الأرض لا يغنيكا

وقال أيضا:

قنع النفس بالكفاف وإلا ... طلبت منك فوق ما يكفيها

ولغيره:

إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن ... على حالة إلا رضيت بدونها". (١)

١٩٧-"باب مدح اللسان

كان يقال: ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أو ضالة، أو بهيمة مرسلة.

وقال بعض الحكماء: المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن نطق نطق ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان. وقال الجاحظ: اللسان أداة يظهر به البيان، وشاهد يعبر عن الضمير، وحاكم يفصل بين الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ ينهي عن القبيح، ومبشر ترد به الأحزان، ومعتذر تذهب به الأضغان، ومله يونق الأسماع، وزارع يحرث المودة، وحاصد يستأصل العداوة، وشاكر يستوجب المزيد، ومؤنس يسلي الوحشة. ويقال: المرء مخبوء تحت طي لسانه، لا تحت طيلسانه.

وقال بعض العلماء البلغاء: للسان فضائل معدومة في الجوارح، ودرجته عالية على درجاتها، لما خصه الله به من النطق والبيان وأنطقه بالذكر والقرآن، وأنشد «١» :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

فكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم". (٢)

١٩٨-"ويقال: من سكت فسلم، كان كمن تكلم فغنم. ويقال: من علامات العاقل حسن سمته وطول صمته.

وقال بعض الحكماء:

أول العلم الصمت، والثاني حسن الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل به، والخامس نشره. وقيل: من حفظ لسانه نجا من الشر كله.

---

(١) اللطائف والظرائف ص/٩٥

(٢) اللطائف والظرائف ص/١٠٢

نظم:

ولو يكون القول في القياس ... من فضة بيضاء عند الناس

إذا لكان الصمت من خير الذهب ... فاسمع هداك الله تلخيص الأدب

وقال آخر:

والصمت عند القبيح تسمعه ... صاحب صدق لكل مصطحب

فآثر الصمت ما استطعت فقد يؤثر قول الحكيم في الكتب

لو كان بعض الكلام من ورق ... لكان جل السكوت من ذهب

وقال آخر:

مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

إنما العاقل من أل ... جم فاه بلجام

وفي كتاب عيون الآداب بيت:

كلام راعي الكلام قوت ... قد أفلح الصامت السكوت

وقال ابن مسعود: ما شيء أحق بطول السجن من اللسان «١» .". (١)

١٩٩-"وقال آخر: أخزى الله المساكتة فما أسوأ أثرها على اللسان وأجلبها للعي والحصر إلى الإنسان. **وقال بعض الحكماء**: إنك تمدح الصمت بالمنطق، ولا تمدح المنطق بالصمت، وما عبر به عن شيء فهو أفضل. ويقال: اللسان عضو فان مرنته مرن، وإن تركته حرن.". (٢)

٢٠٠-"وكان الحسن البصري يقول: إني لأعجب ممن خف كيف خف بعد هذه الآية: وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا

«١» .

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فنزعها عنه فصبر، إلا كان ما أعاضه أفضل مما انتزعه عنه، ثم قرأ: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب

«٢» . **وقال بعض الحكماء:**

الصبر صبران: صبر عما تحب، وصبر على ما تكره «٣» ، والرجل من جمع بينهما «٤» . وقلت في المبهج: الصبر أحجى بذي الحجج.

---

(١) اللطائف والظرائف ص/١٠٧

(٢) اللطائف والظرائف ص/١٠٩

وقال حكيم: تابع الصبر متبوع النصر. وقال الشاعر:

ما أحسن الصبر في مواطنه ... والصبر في كل موطن حسن

وقال ابن الجهم:

وعاقبة الصبر الجميل جميلة ... وأفضل أخلاق الرجال التفضل

ويقال: الصبر كاسمه، وعاقبته العسل.". (١)

٢٠١-"النجاح، واستنارة المرء برأي أخيه، من عزم الأمور وحزم التدبير، وقد أمر الله تعالى أكمل الخلق لبا، وأولاهم بالإصابة عزما، فقال لرسوله الكريم عليه السلام في كتابه الكريم: وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله «١» .

وقال حكيم: إذا شاورت العاقل صار عقله لك «٢» . ويقال:

أول الحزم المشورة. وقال العتابي: المشورة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه «٣» .

وقال ابن المعتز: المشورة راحة لك، وتعب لغيرك. وقال أيضا: من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا، وعند الخطأ عاذرا. وقلت في المبهج: ثمرة رأي الأديب المشير، أحلى من رأي المشور. ولبعضهم: لا تشاور الجائع حتى يشبع، ولا الغضبان حتى يهجع، ولا الأسير حتى يطلق، ولا المضل حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح. **وقال بعض الحكماء**: ما خاب من استشار ولا ندم من استخار «٤» . وقال صالح بن عبد القدوس:

ومن الرجال من استوت أحلامهم ... من يستشار إذا استشير فيطلق

حتى يجول بكل واد قلبه ... فيرى الصواب بها يشير فينطق". (٢)

٢٠٢-"وقلت في المبهج: من لزم الخلوة بربه، حصل في العيش الأمتع والحي الأمنع. وقال أبو العتاهية:

وحدة الإنسان خير ... من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير ... من جلوس المرء وحده

باب ذم الوحدة

قيل: الوحدة وحشة، والوحدة قبر الحي. وفي الخبر:

الشيطان مع الواحد وهو عن الإثنين أبعد، ويد الله مع الجماعة «١» .

ولحاتم الطائي وهو مما يتمثل به:

إذا لزم الناس البيوت رأيتهم ... عماة عن الأخبار خرق المكاسب «٢»

---

(١) اللطائف والظرائف ص/١١٣

(٢) اللطائف والظرائف ص/١١٩

ويقال: إياكم والعزلة فإن لقاء الناس معتبرا نافعا ومتعظا واسعا، ومجالسة الناس تجلو البصر وتطرد الفكر.

ويقال: الانقباض من الناس مكسبة للعداوة. **وقال بعض الحكماء**: إياكم والخلوات فإنها تفسد العقول، وتحل المعقود، وتعقد المحلول. وقال آخر: البيت رمس ما لزمته، والهم زمانة ما سلطته.

ولأبي تمام في معناه بعينه:

وراكد الهم كالزمانة ... والبيت إذا لزمته رمس". (١)

٢٠٣-"باب مدح الشجاعة

في الخبر: إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب» . وكتب أنوشروان إلى وكلائه: عليكم بأهل الشجاعة والسخاء، فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى. وكان يقال: الشجاع موقى، والجبان ملقى. ويقال: الشجاع محبب حتى إلى عدوه، والجبان مبغض حتى إلى أمه، **وقال بعض الحكماء**: قوة النفس أبلغ من قوة الجسد، وقال الشاعر:

يفر الجبان من أبيه وأمه ... ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

ولما قال أبو الطيب المتنبي:

يرى الجبناء أن العجز عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكل شجاعة في المرء تغني ... ولا مثل الشجاعة في الحكيم «١»

قيل له: أني يكون الشجاع حكيما وهما على طرفي نقيض؟

قال: هذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان يقال: خيفة العاقبة تورث جبنا والشجاعة حسن الظن. وكان خالد بن الوليد رضي الله". (٢)

٢٠٤-"قال: فاسق سخي، قال: كيف ذلك؟ قال: لأني لا أرجو أن يقبل الله عبادته لبخله، ولا آمن من أن يطلع الله على العبد الفاسق فيرى بعض سخائه فينجيه ويرحمه.

باب ذم الجود

قال بعض الحكماء: من جاد بماله جاد بنفسه، لأنه جاد بما لا قوام له إلا به، وكان أبو الأسود الدؤلي يقول: لا تجاودوا الله فإنه أجود وأمجد، ولو شاء أن يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل. وكان يقول: لوجدنا على المساكين بإعطائهم ما يسألوننا لكنا أسوأ حالا منهم. وكان علي بن الجهم «١» يقول: من وهب المال في عمله فهو أحمق، ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون، ومن وهبه من جوائز سلطانه أو ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول، ومن وهبه من كسب وما استعاده بحيلة فهو المطبوع على قلبه.

---

(١) اللطائف والظرائف ص/١٢٧

(٢) اللطائف والظرائف ص/١٢٨

وقال محمد بن الجهم «٢» : أتركوا الجود للملوك، فإنه لا يليق إلا بهم، ولا يصلح إلا لهم ومن عارضهم في ذلك وافتقر وافتضح فلا يلومن إلا نفسه. وكان ابن المقفع يقول: إن مالك لا يعم الناس فاخصص به ذوي الحق. ومن أحسن ما قيل في تحسين البخل قول". [١]

٢٠٥-"وقال بعض الحكماء: وجدت أول الأشياء منفعة، وأضر لها في العاقبة: الحاجة، ووجدت أنكر العيش عيش الحسود.

وقال الشاعر:

لا يحزننك فقر إن عراك ولا ... تتبع أخا لك في مال له حسدا

فإنه في رخاء في معيشته ... وأنت تلقى بذاك الهم والنكدا

وقال آخر:

إذا ما المرء كان لنا حسودا ... فأف لذاك من با غ حسود". [٢]

٢٠٦-"باب ذم العتاب

قال بعضهم: كثرة العتاب تورث الضغينة وتولد البغضة. وقال بعض الحكماء والبلغاء: مثل العتاب، مثل الدواء ينقي به عارض الصدود، ويشفي بمكانه مرض الصدور، فإذا استعمل لغير علة عارضة، وتنوقل بلا حاجة ظاهرة، تحول داء المحبة دويا وصار موتا بيد القطيعة وحيا.

وقال آخر: كثرة العتاب داعية الاجتناب. وقال الشاعر:

إن بعض العتاب يدعو إلى حقد ... ويؤذي به المحب الحبيبا

فإذا ما القلوب لم تضمر الود ... فلن يعطف العتاب القلوبا

وقال آخر:

فدع العتاب فرب شر ... هاج أوله العتاب

وقال آخر:

إذا ما كنت منكر كل ذنب ... ولم تجلل أخاك عن العتاب

تباعد من تعاتب بعد قرب ... وصار به الزمان إلى اجتناب

وقال ابن المعتز: لا تعاتب صديقك لأدنى سبب وأخفى شيء يتعلق به الظن، فإن ذلك يدل على ضعف ثقتك به، ووهن

---

(١) اللطائف والظرائف ص/١٣٤

(٢) اللطائف والظرائف ص/١٤١

مودتك له، وكفى بما قاله بشار بن برد واعظا من العتاب:". (١)

٢٠٧-"هي الضلع العوجاء لست تقيمها ... ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

وتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى ... وهذا عجيب ضعفها واقتدارها

وقيل: إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، لأن الله تعالى يقول: إن كيد الشيطان كان ضعيفا

«١» . وقال الله: إن كيدكن عظيم

«٢» . **وقال بعض الحكماء**: لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأته إلا بعد موتها.

وقال بعضهم:

إن النساء شياطين خلقن لنا ... نعوذ بالله من شر الشياطين

فهن أصل البليات التي ظهرت ... بين البرية في الدنيا وفي الدين

وكان المأمون يقول: النساء شر كلهن، ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن «٣» .

وقال بعضهم: المرأة الصالحة غل قمل يضعه الله في عنق من يشاء من عباده، ويفكه عمن يشاء «٤» . وكان يقال: من القواتل امرأة إن". (٢)

٢٠٨-"حضرتها سبتك، وإن غبت عنها لم تأمنها. **وقال بعض الحكماء**: أضر الأشياء بالدين والعقل والجسم والمال: الغرام بالنساء، ومن لؤم من يبتلي بهن: أنه لا يقتصر على ما عنده ويطمح إلى ما ليس له.

وقال بعضهم: من يحصي مساوىء النساء وقد اجتمعت فيهن نجاسة البطن والفرج، وما فيهن إلا ناقصة العقل والدين لا تصلي ولا تصوم أيام حيضها، ولا يسلم عليها، وليست عليهن جمعة ولا جماعة، ولا يكون فيهن نبي ولا قاض، ولا يسافرن إلا بولي «١» .

ويقال: ما نهيت امرأة عن شيء قط إلا أتته. وفي معناه يقول طفيل الغنوي:

إن النساء كأشجار نبتن لنا ... منهن مر وبعض المر مأكول

إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واجب لا بد مفعول

وقال رجاء بن حيوة، قال معاذ بن جبل: إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وإني أخاف عليكم فتنة السراء، وإن أشدها لكم عندي النساء؛ إذا تحلين الذهب والفضة ولبسن ريط الشام وعصب اليمن، أتعبن الغني، وكلفن الفقير ما لا يقدر عليه.". (٣)

---

(١) اللطائف والظرائف ص/١٥٥

(٢) اللطائف والظرائف ص/١٦٦

(٣) اللطائف والظرائف ص/١٦٧

٢٠٩-"إياكم يا ثقاتي من مخالفتي ... فلا يصدكم عن الأحراء أحجار

وقال بعض الرؤساء: استراح من اقتصر على النساء.

وقال بعض الحكماء الظرفاء: اللواط ليس من الاحتياط.". (١)

٢١٠-"باب مدح الغربة

من أحسن ما قيل في ذلك قول البرقعي:

إذا النار ضاق بها زندها ... ففسحتها في فراق الزناد

إذا صارم قر في غمده ... حوى غيره الفضل يوم الجلاد

وفي الاضطراب وفي الاغتراب ... منال المنى وبلوغ المراد

وكان يقال: ليس بينك وبين بلدك نسب، فخير البلاد ما حملك وجملك.

وقال بعض الحكماء: اهجر وطنك إذا نبت عنه نفسك، وأوحش أهلك إذا كان في إيحاشهم أسك.

وقال آخر:

فلان تشرق أو تغرب طالبا ... وتكون في الإقبال والإدبار

خير وأكرم بالفتى من عيشة ... ضنك يقوم بها على إقتار

وكان سهل بن مروان يقول: لست ممن يقطع نفسه بصلة وطنه.". (٢)

٢١١-"وللبستي:

لئن تنقلت من دار إلى دار ... وصرت بعد ثواء رهن أسفار

فالحر حر عزيز النفس حيث أتى ... والشمس في كل برج ذات أنوار

باب ذم الغربة

كان يقال: النقلة مثلة، والغربة كربة، والفرقة حرقة.

وقال بعض الحكماء: الغريب كالغرس الذي زايل أرضه وفقد شربه، فهو ذاو لا يزهر وذابل لا يثمر.

ويقال: الغريب كالوحش النائي عن وطنه، فهو لكل رام رمية ولكل سبع فريسة.

وقال آخر: الغريب كاليتيم العظيم الذي ثكل أبويه، فلا أم ترأمه ولا أب يرأف عليه.

ويقال: عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك. ونظمه من قال:

لقرب الدار في الإقتار خير ... من العيش الموسع في اغتراب

---

(١) اللطائف والظرائف ص/١٨٦

(٢) اللطائف والظرائف ص/٢٢٨

وكان يقال: إذا كنت في بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل.

ولبعضهم:". (١)

٢١٢-"باب مدح الفراق

قال بعض الحكماء: في الفراق مصافحة التسليم ورجاء الأوبة، والسلامة من السآمة وعمارة القلب بالشوق والأنس بالمكاتبة.

قال أبو تمام:

وليست فرحة الأوبات إلا ... بموقوف على ترح الوداع

وكتب بعض الكتاب: جزى الله الفراق خيرا، فما هو إلا زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكل ثم تأميل وتوقع، وقبح الله التلاقي، فإنما هو مسرة لحظة ومساءة أيام، وابتهاج ساعة واكتئاب زمان. وقال:

إني لأكره الاجتماع ولا أكره الفراق، لأن مع الفراق غمة يخفيها توقع إسعاف بتأميل الأوبة والرجعى. ومع الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور: قال الشاعر:

ليس عندي سخط النوى بعظيم ... فيه غم وفيه كشف غموم

من يكن يكره الفراق فإني ... اشتهيه للذة التسليم

إن فيه اعتناقه لوداع ... وانتظار اعتناق لقدوم

وقال بعض الظرفاء من الكتاب: إن قلت: إني لم أجد للرحيل ألما وللبين حرقة، لقلت: حقا، لأني نلت به العناق وأنس اللقاء ما". (٢)

٢١٣-"وهو إذا أنت تأملته ... حزن على الخدين محلول

فصل لأبي الحسن بن أبي القاسم القاشاني: قد شفيت غليلي بما استدررته من أسراب الدموع المتجبرة، وخففت عني بعض البرحاء بما امتريته من أخلافها المتحدرة.

باب ذم البكاء

قال بعض الحكماء لبعض الملوك وقد رآه في مصيبة يبكي: ليس يليق بالسلطان ما هو عادة الصبيان والنسوان.

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يقول: إن البكاء من خور الطبيعة وضعف النحيزة، وترك البكاء في الخطوب النزل من أخلاق القوم البزل، ولذلك قال الشاعر:

يبكى علينا ولا نبكي على أحد ... لنحن أغلظ أكبادا من الإبل

---

(١) اللطائف والظرائف ص/٢٣٠

(٢) اللطائف والظرائف ص/٢٣٣

وقال أبو تمام في التجلد وترك البكاء عند المصيبة، وقد أحسن:

خلقنا رجالا للتجلد والأسى ... وتلك الغواني للبكاء والمآتم

وللبحتري:

ولعمري ما العجز عندي إلا ... أن تبيت الرجال تبكي النساء

وقال ابن الرومي في الرزايا وترك البكاء:". (١)

٢١٤-"[بعض الحكماء]

قال بعض الحكماء: ليس أحد أنصفه زمانه فتصرفت به الحال حسب استحقاقه، ولن نجد الناس إلا أحد رجلين؛ إما متأخر في نفسه قدمه حظه، أو متقدم في نفسه أخره دهره، فارض بالحال التي أنت فيها، وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختيارا، وإلا رضيت بها اضطرارا.

[أبو العيناء]

قال أبو العيناء: [١] رأيت صيادا معه بومتان [٢] فساومته بهما، قال:

الكبرى بدرهمين، والصغرى بثلاثة، قلت: وكيف صارت الصغرى أغلى من الكبرى؟ قال: لأن شؤمها في إقبال.

[مختارات شعرية]

أنشد: [الطويل]

كتمت الهوى الأعداء حتى تبينت ... لهم بالبكاء عين مريع سجومها

كشمة ممتاح إذا الماء بلها ... أرش بما فيها عليه هزومها

على كبدي منكم صدوع قديمة ... وحادثة لما تجف كلومها

الحارث بن المصرف العقيلي: [٥ ظ] [الطويل]

ألا ليت شعري هل أسوقن بالحمى ... وبالهضب أنقاضا مبينا كلاهما

وقد زودتني الوالبية نظرة ... طويلا على مر الليالي مطالها

بمكحولة بالسحر وسنان طرفها ... شديد على لب الحليم استمالها

ومن يبتذل عينيه في الناس لا يزل ... يرى حاجة محجوبة لا ينالها

قيل لبعض الشيعة: معاوية خالك؟ قال أمي نصرانية، والأمر إليه. لابن

---

[١] أبو العيناء: محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي بالولاء، أديب فصيح من الظرفاء، اشتهر بنوادره ولطائفه، وكان ذكيا جدا، كف بصره بعد الأربعين، توفي سنة ٢٨٣ هـ.

---

(١) اللطائف والظرائف ص/٢٣٩

(نكت الهيمان ص ٢٦٥، وفيات الأعيان ١/٥٠٤، تاريخ بغداد ٣/١٧٠) .

[٢] لم أجد هذا الخبر في كتاب (أبو العيناء) لأنور سويلم، ط- دار عمار، عمان ١٩٩٠ م.". (١)

٢١٥-"طالوت [١] : (وما يخدعون إلا أنفسهم) [٢] ، ويروي بيت توبة بن الحمير [٣] :

[الطويل]

حمامة بطن الواديين ترنمي ... سقيت من الغر الغوادي مطيرها [٤]

بمعنى سقيت من الغوادي سقاك مطيرها.

[حكيم يوصي بنيه]

الأصمعي عن أبيه قال: قال بعض الحكماء لبنيه: يا بني، تجنبوا ثماني خصال، فمن تعرض لواحدة منهن فلا يلومن إلا نفسه، لا يكونن منكم الحدث من لا يسمع منه، ولا داخل بين اثنين لم يدخلاه بينهما، ولا من يأتي دعوة لم يدع إليها، ولا من يجلس في مجلس لا يستحقه، ولا طالب للفضل من أيدي اللئام، ولا متعرض للخير من يد عدوه، ولا المتحمق بالدالة، ولا المتكلف ما لا يعنيه.

[مقتل أبي مسلم الخراساني]

الفضل بن الربيع [٥] عن أبيه قال: لما هم أبو جعفر المنصور بقتل أبي

---

[١] أبو طالوت الشامي: في طبقات ابن سعد: أخبرنا قتيبة بن سعد اللخمي، أخبرنا ليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن أبي طالوت قال: دخلت على أنس بن مالك وهو يأكل القرع، وهو يقول: يا لك شجيرة ما أحبك إلي لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك.

(طبقات ابن سعد ١/٢٩٩، وفي التهذيب ١٢/١٣٦: أبو طالوت الشامي عن أنس في أكل القرع، وعن معاوية بن صالح الحضرمي، قلت: قال الذهبي (لا يدرى من هو) .

[٢] البقرة ٩.

[٣] البيت من قصيدة لتوبة بن الحمير في ديوانه ص ٣٦ تحقيق خليل العطية، ط- بغداد ١٩٦٨.

[٤] في الديوان:

(الواديين ألا انعمي ... سقاك من الغر) .

الغوادي: ما أمطر في الغداة، والروائح بالعشي، والسواري بالليل.

[٥] الفضل بن الربيع بن يونس: أبو العباس، وزير أديب حازم، كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي، استحجبه المنصور، وفي

---

(١) المجموع اللفيف ص/٣٨

زمن الرشيد كان من كبار خصوم البرامكة، فلما-". (١)

٢١٦-"وأهدى بعض الكتاب إلى صديق له دفترا وكتب معه: «هديتي هذه، أعزك الله، تزكو على الإنفاق، وتربو على الكد، لا تفسدها العواري، ولا تخلقها كثرة التقليب، وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة، مسامر مساعد، ومحدث مطواع، ونديم صدق.

وقال بعض الحكماء: «الكتب بساتين العلماء» وقال آخر: «ذهبت المكارم إلا من الكتب» .

قال الجاحظ: وأنا أحفظ وأقول: «الكتاب نعم الذخر والعقدة، والجليس والعمدة، ونعم النشرة ونعم النزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل والزميل، ونعم الوزير والنزيل. والكتاب وعاء مليء علما، وظرف حشي ظرفا، وإناء شحن مزاحا، إن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل، وإن شئت سرتك نوادره، وشجتك مواعظه، ومن لك بواعظ مله، وبناسك فاتك، وناطق أخرس؛ ومن لك بطبيب أعرابي، ورومي هندي، وفارسي يوناني، ونديم مولد، ونجيب ممتع؛ ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر، والناقص والوافر، والشاهد والغائب، والرفيع والوضيع، والغص والسمين، والشكل وخلافه، والجنس وضده؛ وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن، وروضة تنقل في حجر، ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن من الأرض وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة؛ ولا أعلم جارا آمن، ولا خليطا أنصف، ولا رفيقا أطوع، ولا معلما أخضع، ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية، ولا أقل املالا ولا إبراما، ولا أبعد من مراء، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف في قتال من كتاب، ولا أعم بيانا، ولا أحسن مؤاتاة، ولا اعجل مكافأة، ولا شجرة أطول عمرا، ولا أطيب ثمرا، ولا أقرب مجتنى، ولا أسرع إدراكا، ولا أوجد في كل إبان من كتاب. ولا أأعلم نتاجا في حداثة سنه، وقرب ميلاده، ورخص ثمنه وإمكان وجوده، يجمع من السير العجيبة، والعلوم". (٢)

٢١٧-"وقال غيره:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلي ... إن البلاء موكل بالمنطق

وقال غيره:

لعمرك ما شيء علمت مكانه ... أحق بسجن من لسان مذلل

على فيك مما ليس يعنيك قوله ... بقفل شديد حيث ما كنت فاقفل

قيل: تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحد: قال كسرى: «أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت» ، وقال ملك الهند: «إذا تكلمت بكلمة ملكتني، وإن كنت أملكها» ؛ وقال قيصر: «لا أندم على ما لم أقل،

---

(١) المجموع اللفيف ص/١٦٥

(٢) المحاسن والأضداد ص/٢١

وقد ندمت على ما قلت» ، وقال ملك الصين: «عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول» .
وقال بعضهم: «من حصافة الإنسان أن يكون الاستماع أحب إليه من النطق، إذا وجد من يكفيه، فإنه لن يعدم الصمت. والاستماع سلامة، وزيادة في العلم» ، **وقال بعض الحكماء**: «من قدر على أن يقول فيحسن، فإنه قادر على أن يصمت فيحسن» . وقال بعضهم: كان ابن عبيدة الريحاني المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول: «الصمت أمان من تحريف اللفظ، وعصمة من زيغ المنطق، وسلامة من فضول القول» . وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي: «كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام» . وكان يقال: «من سكت فسلم كان كمن قال فغنم» .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يكره الانبعاق في الكلام. ويرحم الله امرأ اوجز في كلامه، واقتصر على حاجته» . قيل: وكلم رجل سقراط «١» عند قتله بكلام أطاله، فقال: «أنساني أول كلامك طول عهده، وفارق آخره فهمي لتفاوته» . ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال لها: «ما يبكيك» ؟". (١)

٢١٨-"قالت: «تقتل ظلما» قال: «وكنت تحبين أن أقتل حقا أو أقتل ظلما» .
وشتم رجل المهلب، فلم يجبه فقيل له: «حلمت عنه» ، فقال: «ما أعرف مساويه، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه» . وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال: حملت إلى المتوكل وأدخلت عليه فقال: «يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله- يعني المعتز- حتى تعلمه من فقه المدنيين» ، فأدخلت حجرة، فإذا أنا بالمعتز قد أتى، في رجله نعل من ذهب، وقد عثر به، فسال دمه، فجعل يغسل الدم، ويقول:
يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمي برأسه ... وعثرته بالرجل تبرا على مهل
فقلت في نفسي: «ضممت إلى من أريد أن أتعلم منه» .
وضده، سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال: «إنك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت، وما عبر به عن شيء فهو أفضل منه» .
وسئل آخر عنهما فقال: «أخزى الله المساكتة ما أفسدها للسان، وأجلبها للعي، وو الله للمهاراة في استخراج حق أهدم للعي من النار في يابس العرفج» . فقيل له: «قد عرفت ما في المماراة من الذم» . فقال: «ما فيها أقل ضررا من السكتة التي تورث عللا، وتولد داء أيسره العي» . **وقال بعض الحكماء**: «اللسان عضو فإن مرنته مرن، وإن تركته حرن، وممن أفرط في قوله فاستقيل بالحلم، ما حكي عن شهرام المروزي، فإنه جرى بينه وبين أبي مسلم «١» صاحب الدولة كلام، فما زال أبو مسلم يحاوره إلى أن قال له شهرام: «يا لقطة» - فصمت أبو مسلم، وندم شهرام على ما سبق به لسانه، وأقبل

---

(١) المحاسن والأضداد ص/٤٢

معتذرا خاضعا ومتنصلا؛ فلما رأى ذلك أبو مسلم، قال:". (١)

٢١٩-"محاسن الشكر

قال بعض الحكماء: «صن شكرك عمن لا يستحقه، واستر ماء وجهك بالقناعة» . وقال الفضل بن سهل: «من أحب الازدياد من النعم فليشكر، ومن أحب المنزلة فليكف، ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره» . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف:

لقد ثبتت في القلب منك مودة ... كما ثبتت في الراحتين الأصابع

قال: واصطنع رجل رجلا فسأله يوما: «أتحبني يا فلان» قال: «نعم احبك حبا لو كان فوقك لأظللك، أو كان تحتك لأقللك» . وقال كسرى أنوشروان: «المنعم أفضل من الشاكر، لأنه جعل له السبيل إلى الشكر» .

واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال:

لهان علينا أن نقول وتفعلا

قال الباهلي عن أبي فروة: مكتوب في التوراة: «أشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعم إذا شكرت، ولا إقامة لها إذا كفرت. والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير» . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة: (البغي، والغدر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، ومعروف لا يشكر) ، وأنشد الحطيئة عمر، وكعب الأحبار «١» عنده:". (٢)

٢٢٠-"من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال كعب: «يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا؟ هو مكتوب في التوراة» ؟ فقال عمر: «كيف ذلك» ؟ قال في التوراة مكتوب: «من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدي» .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فما هذا الاجتهاد» ؟ فقال: «أفلا أكون عبدا شكورا» . وفي الحديث «أن رجلا قال في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم ربنا لك الحمد حمدا مباركا طيبا زكيا» ، فلما انصرف صلى الله عليه وسلم، قال: «أيكم صاحب الكلمة» ؟ قال أحدهم: «أنا يا رسول الله» . فقال: «لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يتبدرون أيهم يكتبها أولا» وقيل: «نسيان النعمة أول درجات الكفر» . وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «المعروف يكفر من كفره لأنه يشكرك عليه أشكر الشاكرين» ، وقد قيل في ذلك:

يد المعروف غنم حيث كانت ... تحملها كفور أم شكور

فعند الشاكرين لها جزاء ... وعند الله ما كفر الكفور

---

(١) المحاسن والأضداد ص/٤٣

(٢) المحاسن والأضداد ص/٥٣

وقال بعض الحكماء: «ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها» . **وقال بعض الحكماء**: «عند التراخي عن شكر النعم تحل عظائم النقم» . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده:

يجزيك أو يثني عليك وإن من ... أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فيقول صلى الله عليه وسلم: «صدق القائل، يا عائشة، إن الله إذا أجرى على يد رجل خيرا فلم يشركه، فليس لله بشاكر» . وقيل لذي الرمة: «لم خصصت بلال بن أبي بردة بمدحك» ؟ قال: «لأنه وطأ مضجعي، وأكرم مجلسي، وأحسن صلتي، فحق لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكري» . ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر وينسبه إلى مكارم الأخلاق، من ذلك ما قال بزرجمهر: «من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافأة» ، وقال بعض". (١)

٢٢١-"الحكماء: «إن الكفر يقطع مادة الإنعام، فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الأجر» . وقال علي بن عبيدة: «من المكارم الظاهرة، وسنن النفس الشريفة، ترك طلب الشكر على الإحسان، ورفع الهمة عن طلب المكافأة، واستكثار القليل من الشكر، واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه ... وفصل من كتاب ولست أقابل أياديك، ولا أستديم إحسانك إلا بالشكر الذي جعله الله للنعم حارسا، وللحق مؤديا، وللمزيد سببا» .

وضده، **قال بعض الحكماء**: «المعروف إلى الكرام يعقب خيرا، وإلى اللئام يعقب شرا، ومثل ذلك مثل المطر، يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا، وتشرب منه الأفاعي فيعقب سما» . وقال سفيان «١» : «وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام» . وقال: «أثار جماعة من الأعراب ضبعا، فدخلت خباء شيخ منهم، فقالوا: «أخرجها» ، فقال: «ما كنت لأفعل، وقد استجارت بي» فانصرفوا وقد كانت هزيلا، فأحضر لها لقاحا، وجعل يسقيها حتى عاشت، فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته. فقال شاعرهم في ذلك:

ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

أقام لها لما أناخت ببابه ... لتسمن ألبان اللقاح الدرائر

فأسمنها حتى إذا ما تمكنت ... فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... يجود بإحسان إلى غير شاكر

قيل: وأصاب إعرابي جرو ذئب فاحتمله إلى خبائه وقرب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها. فقال الأعرابي يذكر ذلك:

غذتك شويهتي ونشأت عندي ... فمن أدراك أن أباك ذيب". (٢)

---

(١) المحاسن والأضداد ص/٥٤

(٢) المحاسن والأضداد ص/٥٥

٢٢٢-"محاسن الصدق

قال بعض الحكماء: «عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق؛ والصدق عز وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب؛ ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق» . وقيل: «الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور» . وقال ابن السماك: «ما أحسبني أوجر على ترك الكذب لأني أتركه أنفة» . وقال آخر: «لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان بذلك حقيقا، فكيف وفيه المأثم والعار» ؟ وقال الشعبي: «عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك» . وقال بعضهم: «الصدق عز والكذب خضوع» . ومدح قوم بالصدق، منهم أبو ذر رضي الله عنه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، ولا طلعت الشمس على ذي لهجة أصدق من أبي ذر» . ومنهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فإنه روى أنه أطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده جبريل، فقال له جبريل: «هذا عمك العباس» قال: «نعم» ، قال: «إن الله تعالى يأمرك أن تقرأ عليه السلام، وتعلمه أن اسمه عند الله «الصادق» ، وإن له شفاعة يوم القيامة» . فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فتبسم فقال: «إن شئت أخبرتك مما به تبسمت، وإن شئت أن تقول فقل» ، فقال: «بل تعلمني يا رسول الله» ، فقال: «لأنك لم تحلف يمينا في جاهلية ولا إسلام برة ولا فاجرة، ولم تقل لسائل: لا» ، قال:

«والذي بعثك بالحق نبيا، ما تبسمت إلا لذلك» .

ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني أستسر بخلال: الزنا". (١)

٢٢٣-"محاسن المودة

قال بعض الحكماء: ليس للإنسان تنعم إلا بمودات الاخوان وقال آخر: الازدياد من الاخوان زيادة في الآجال وتوفير لحسن الحال، وقيل:

عاشر الناس معاشرة إن عشتم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم، وقال:

قد يمكث الناس حينا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم واللطف

يسلي الشقيقين طول النأي بينهما ... وتلتقي شعب شتى فتأتلف

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسين: ابذل لصديقك كل مودة ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة وأعطه كل المواساة ولا تفش إليه كل الأسرار. وقال العباس بن جرير: المودة تعاطف القلوب وائتلاف الأرواح وانس النفوس ووحشة الأشخاص عند تنائي اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الإنفاق في الخصال. وقال بعضهم: من لم يواخ من الأخوان إلا من لا عيب فيه قل صديقه، ومن لم يرض من صديقه إلا بإيثاره إياه على نفسه دام سخطه، ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه. وكان يقال: أعجز الناس من فرط في طلب الأخوان. وقال الشاعر في مثله:

---

(١) المحاسن والأضداد ص/٥٩

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ... ولكن إخوان الثقاب الذخائر

وضده، قال المأمون: الأخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يستغني عنه، وطبقة كالدواء يحتاج إليه أحيانا، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه.

وكتب بعض الكتاب أن فلانا أولاني جميلا من البشر مقرونا بلطيف من الخطاب في بسط وجه ولين كنف، فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان". (١)

٢٢٤-"محاسن السخاء

روي عن نافع قال: لقي يحيى بن زكريا عليه السلام إبليس لعنه الله فقال: أخبرني بأحب الناس إليك وأبغضهم إليك. قال: أحبهم إلي كل مؤمن بخيل وأبغضهم إلي كل منافق سخي. قال: ولم ذاك؟ قال: لأن السخاء خلق الله الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله من الجنة قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل، وأدوأ الداء البخل» . وقال صلى الله عليه وسلم: «ما أشرقت شمس إلا ومعها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الجن والأنس وهما الثقلان: اللهم عجل المنفق خلفا والممسك تلفاز والملكان يناديان: أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» . وعن الشعبي قال: قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحب الوليد بن عبد الملك: لو كان البخل قميصا ما لبسته أو طريقا ما سلكتها، وكانت تعتق كل يوم رقبة، وتحمل على قريش في سبيل الله وكانت تقول: البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة.

وقيل اعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة.

وقال بعض الحكماء: ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة، وثواب البخل حرمان وإتلاف ومذمة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي، كن شجاعا فإن الله يحب الشجاع، وكن سخيا فإن الله يحب السخي وكن غيورا فإن الله يحب الغيور. يا علي: وإن إنسان سألك الحاجة ليس لها بأهل فكن أنت أهلا لها» . وقال الني صلى الله عليه وسلم: «السخاء شجرة في الجنة من". (٢)

٢٢٥-"أخذ منها بغصن مد به إلى الجنة» . وقال عبد العزيز بن مروان: لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم إلا سوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيما. وقال صلى الله عليه وسلم:

«تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر» . وقال بهرام جور:

---

(١) المحاسن والأضداد ص/٧٣

(٢) المحاسن والأضداد ص/٨٧

من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الأشياء فلينظر إلى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله بالجنان فإنه لولا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه. وقال الموبذان لأبرويز:

أكنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه بالمكافأة؟ قال:

لا، ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفي كتاب ديننا من فعل معروفا خفيا وأظهره ليتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الأبرار ولا نذكره في الأتقياء والصالحين؟ قيل:

وسئل الإسكندر: ما أكبر ما شيدت به ملكك؟ قال: ابتداري إلى اصطناع الرجال والإحسان إليهم. قال: وكتب ارسطاطاليس في رسالته إلى الإسكندر:

وأعلم أن الأيام تأتي على كل شيء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الأفعال إلا ما رسخ في قلوب الناس. فأودع قلوبهم محبة آبدة «١» تبقي بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك. قال: ولما قدم بزرجمهر إلى القتل قيل له: إنك في آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الآخر فتكلم بكلام تذكر به.

فقال: أي شيء أقول؟ الكلام كثير ولكن إن أمكنك أن يكون حديثا حسنا فافعل. قيل: وتنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر إعرابي من الضيافة. فقال الإعرابي: نحن أقرى للضيف. قال: وكيف ذلك؟ قال:

لأن أحدنا ربما لا يملك إلا بعيرا فإذا حل به ضيف نحره له، فقال له الأعجمي: فنحن أحسن مذهبا في القرى منكم، قال: وما ذاك؟ قال:

نحن نسمي الضيف مهمان ومعناه أنه أكبر من في المنزل وأملكنا به، **وقال بعض الحكماء**: بلغ الجود من قام بالمجهود. وقيل الجواد من لم يضن". (١)

٢٢٦-"«يا ابن آدم، لم تفتخر، وإنما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار» . وقال بعضهم لرجل: «أتفتخر؟ ويحك وأولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بينهما وعاء عذرة، فما هذا الافتخار» ؟ وروي عن ابن عباس، أنه قال: «الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والإمارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق، ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين، وأتقاهم أحسنهم يقينا، وأزكاهم عملا، وأرفعهم درجة» . وقيل في ذلك:

يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محظورا عليه مكاسبه

وشين الفتى في الناس قيلة عقله ... وإن كرمت آباؤه ومناسبه

وقيل لعامر بن قيس: «ما تقول في الإنسان» ؟ قال: وما أقول فيمن إن جاع ضرع وإن شبع بغى وطغى» . **وقال بعض الحكماء**: «لا يكون الشرف بالنسب. ألا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر، ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحد منهم على الآخر فضل، لأن نسبهما واحد، ولكن ذلك من قبل الأفعال، لأن الشرف إنما هو بالفضل لا بالنسب» . قال الشاعر:

---

(١) المحاسن والأضداد ص/٨٨

أبوك أبي والجد لا شك واحد ... ولكننا عودان آس وخروع

وبلغنا عن المدائني قال: ليس السؤدد بالشرف، وقد ساد الأحنف بن قيس بحلمه، وحصين بن المنذر برأيه، ومالك بن مسمع بمحبته في العامة، وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه، وساد المهلب بن أبي صفرة بجميع هذه الخصال. وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتاه أعرابي، فقال: «بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، من أكرم الناس حسنا» ؟ قال: «أحسنهم خلقا وأفضلهم تقوى» ، فانصرف الأعرابي، فقال: «ردوه» ، ثم قال: «يا أعرابي، لعلك أردت أكرم الناس نسبا» ، قال: «نعم يا رسول الله» ، قال: «يوسف الصديق، صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله فأين مثل". (١)

٢٢٧-"محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة: «من لم يقدمه الحزم أخره العجز» ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: «يابن آدم أحدث لي سفرا أحدث لك رزقا» ، وفي بعض الحديث «سافروا تغنموا» . وقال الكميت بن زيد الأسدي:

ولن يزيح هموم النفس إن حضرت ... حاجات مثلك إلا الرحل والجمل

وقال أبو تمام الطائي:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه، فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال بعض الحكماء: «لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان، فإن الكريم محتال والدنيء عيال وأنشد يقول:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ولا ترض من عيش بدون ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا

وتقول العامة: «كلب جوال خير من أسد رابض» ، وتقول: «من غلى دماغه صائفا، غلت قدره شاتيا» . ووقع عبد الله بن طاهر: «من سعى رعى، ومن لزم المنام رأى الأحلام» . هذا المعنى سرقه من توقيعات أنوشروان فإنه يقول: «هرك روز جرد هرك خسبد خراب ببند» . وأنشد:

كفى حزنا أن النوى قذفت بنا ... بعيدا وأن الرزق أعيت مذاهبه

ولو أننا إذ فرق الدهر بيننا ... غنى واحد منا تمول صاحبه". (٢)

٢٢٨-"لا رعاه الله من برم ... عادل عن مذهب الكرم

خلقت مقبوضة يده ... كالمنادى المفرد العلم [١]

---

(١) المحاسن والأضداد ص/١٤٩

(٢) المحاسن والأضداد ص/١٥٥

قالت الحكماء: من استعمل هذه الأبواب العشرة، لم يعتل مدة حياته، لا يأكل طعاما وفي معدته طعام، ولا يأكل ما تضعف أسنانه عن مضغه، فتضعف معدته عن هضمه، ولا يشرب الدواء ما لم تكن له إليه حاجة داعية، ولا تخرج الدم فانه في البدن يحرس النفس، ويستعمل في كل أسبوع قيه [٢] ، ولا يحبس البول إذا حضره، ولو على سرجه، لكي لا يعقره، ويعرض نفسه على الخلاء قبل النوم، ويدخل الحمام في كل يومين مرة، فانه يخرج من الجسد ما لا يدخل إليه الدواء، ولا يستعمل الجماع كثيرا، فانه يقتبس/ نور الحياة، ولا يجامع العجوز فانه يورث الموت فجأة.

وقال بعض الحكماء: ثلاث لا يحفظهن إلا حازم، ولا يضيعهن إلا عاجز؛ إياك أن تبلغ بطعامك حد الامتلاء، أو تشرب الماء على غير ظمأ، أو تجامع من غير فضل شهوة. وقال جالينوس [٣] : ما دخل الرمان جوفا فاسدة إلا أصلحها، ولا دخل التمر جوفا صالحة إلا أفسدها [٤] .

وقال بقراط [٥] : المريض الذي يشتهي أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي [٦] . قال فيلسوف: الكرام أصبر نفوسا، واللئام أصبر أبدانا. قال هارون الرشيد للفضيل بن عياض [٧] :

ما أزهدك؟ قال: أنت أزهد مني، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأني أزهد في الدنيا، وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية، والآخرة باقية.

---

[١] يريد بالمفرد المنادى العلم: أنه يكون مبنيا على الضم، فيد المهجو مضمومة.

[٢] قيه: كذا وردت في جميع النسخ، ولعلعا: قيئه، ولا معنى لها.

[٣] جالينوس: طبيب يوناني، وهو خاتم الأطباء اليونانيين الكبار المعلمين، وهو الثامن منهم، توفي حوالي سنة ٢٠٠ قبل الميلاد، وقيل ٢١٨. (طبقات الأطباء والحكماء ص ٤١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١/ ٧١) .

[٤] قلت: أول العبارة فيما يخص الرمان صحيحجة، وآخرها غير صحيح، لأن التمر له فوائد كثيرة، وكان العرب وما زالوا طعامهم الأساس المفضل هو التمر، وصحتهم جيدة. ولعل كلمة التمر محرفة عن كلمة أخرى.

[٥] بقراط: ويكتب أيضا بالألف (أبقراط) ويطلق عليه بقراط الكبير والحكيم، وهو السابع من الأطباء اليرنانيين الكبار المذكورين، وهو من أشرف أهل بيته وأعلاهم نسبا تعلم الطب من أبيه إيرا قليدس، عاش خمسا وتسعين سنة وتوفي عام ٣٥٧ قبل الميلاد. (عيون الأطباء ١/ ٢٤، طبقات الأطباء ص ٢١) .

[٦] العبارة في طبقات الأطباء ١/ ٢٤ بلفظ: العليل الذي يشتهي.

[٧] الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي: أبو علي، شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء، كان ثقة في الحديث، أخذ منه خلق منهم الإمام الشافعي، ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها، ثم سكن مكة، من كلامه: من عرف الناس استراح، توفي بمكة سنة ١٨٧ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٥، طبقات الصوفية ص ٦- ١٤،

التهذيب ٨/٢٩٤، وفيات الأعيان ٤٨٤) .". (١)

٢٢٩-"محمد بن الحنفية، عن عروة بن عمرو الثقفي، قال: سمعت أبا طالب، قال: سمعت ابن أخي الأمين يقول: (اشكر ترزق، ولا تكفر فتعذب) [١] .

في مساوىء الأخلاق للخرائطي، قال بعض الحكماء: «الصدق يزين كل إنسان، إلا الساعي، فانه أخبث ما يكون إذا صدق» .

وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق، عن أبي موسى الأشعري، قال: «إن لكل شيء سيدا، حتى إن للنحل سيدا» .

وأخرج عن ابن عباس، قال: «خذ الحكمة ممن سمعتها، فان الرجل ينطق بالحكمة/ وليس من أهلها، فتكون كالرمية خرجت من غير رام» .

قال أبو العتاهية [٢] : [المتقارب]

رأيت ابن آدم من جهله ... ينافس في الكبر والمعلوه

يريد يقال له إنه ... ومن هو هل هو إلا هوه

إذا ما احتشى كل ما يشتهي ... من الأكل قام إلى المخروه

وقال آخر: [السريع]

يا أيها المختال في عطفه ... هل لك أن تنظر في القبر

حتى تراه وترى حاله ... ثم ترى رأيك في الكبر

قال الإمام أحمد [٣] ، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن قتادة، عن نصر بن عاصم عن رجل منهم: أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم [٤] ، على أنه لا يصلي إلا صلاتين فقبل ذلك منه [٥] .

---

[١] في ش: تعذب السنن الكبرى للبيهقي ٦/١٨٢، المعجم الكبير للطبراني ١/١٣٥، جمع الجوامع للسيوطي ٣٢٩٥.

[٢] ليست الأبيات في ديوا أبي العتاهية.

[٣] في ش: قال أحمد.

[٤] قوله: (فأسلم) ساقطة من ش.

[٥] في ش: فقبل منه. والحديث مع خلاف في اللفظ في: الكامل في الضعفاء لابن عدي ٣/١٦٩٢، ٣/١٢٤٤.". (٢)

---

(١) المحاضرات والمحاورات ص/١٦٢

(٢) المحاضرات والمحاورات ص/٣٦١

٢٣٠-"وقيل: العاقل المحروم خير من الأحمق المرزوق «١» .

وقيل: لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت، ولا طعاما حتى يستمرئه، ولا يثق بخليل حتى يستقرضه «٢» .

وقيل: طول اللحية أمان من العقل. وسئل بعضهم:

أيما أحمد في الصبا الحياء أم الخوف؟ قال: الحياء لأن الحياء يدل على العقل، والخوف يدل على الخبن. وقيل:

غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله.

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا» قلت: بأبي وأمي ومن لي بالعقل؟ قال: «اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا، ثم تنقل إلى صالح الأعمال تزدد في الدنيا عقلا، وتزدد من الله قربا وعزا» .

وحكى بعض أهل المعرفة قال: حياة النفس بالروح، وحياة الروح بالذكر، وحياة القلب بالعقل، وحياة العقل بالعلم. ويروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه كان ينشد هذه الأبيات ويترنم بها:

إن المكارم أخلاق مطهرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والعرف ساديها «٣»

والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين عاشيها «٤»

والعين تعلم من عيني محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها

والنفس تعلم أني لا أصدقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها

وقال بعض الحكماء: العاقل من عقله في إرشاد، ورأيه في إمداد، فقوله سديد، وفعله حميد. والجاهل من جهله في إغراء، فقوله سقيم، وفعله ذميم. ولا يكتفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفته ونظافة بزته، إذ كم من كنيف مبيض، وجلد مفضض. وقد قال الأصمعي: رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة، وحوله حاشية وهرج، وعنده دخل وخرج، فأردت أن أختبر عقله، فسلمت عليه وقلت: ما كنية سيدنا؟ فقال: أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، قال الأصمعي:

فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله، ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله. وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل، فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله.

وقيل: إن إياس بن معاوية القاضي كان من أكابر العقلاء، وكان عقله يهديه إلى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد إليها، فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجع والفكر القادح أنه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالأمانة، فاتفق أن رجلا أراد أن يحج. فأودع عند ذلك الرجل الأمين كيسا فيه جملة من الذهب، ثم حج فلما عاد من حجه جاء إلى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وجحده، فجاء إلى القاضي إياس وقص عليه القصة، فقال القاضي: هل أخبرت بذلك أحدا غيري؟ قال: لا. قال: فهل علم الرجل أنك أتيت إلي؟ قال: لا. قال: انصرف وأكتم أمرك، ثم عد إلي بعد غد. فانصرف. ثم إن القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال: قد حصل عندي أموال كثيرة ورأيت أن أودعها

عندك فاذهب وهيىء لها موضعا حصينا. فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل، فقال له القاضي إياس: امض إلى خصمك واطلب منه وديعتك، فإن جحدك فقل له امض معي إلى القاضي إياس أتحاكم أنا وأنت عنده، فلما جاء إليه دفع إليه وديعته فجاء إلى القاضي وأعلمه بذلك. ثم إن ذلك الرجل المستودع جاء إلى القاضي طامعا في تسليم المال، فسبه القاضي وطرده. وكانت هذه الواقعة مما تدل على عقله وصحة فكره.

ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها. فقال: الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض، فتمكننا الغرة منهم «٥» والوثبة عليهم، وعقدوا لذلك المشورات، وتراجعوا فيه بالمناظرات، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر. وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة". (١)

٢٣١-"وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا، العلم نور وهدى، والجهل غي وردى.

وقال بعضهم: العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم، لأن العالم كان جاهلا، والجاهل لم يكن عالما.

وقيل: أربعة يسودون العبد «١» : العلم والأدب والصدق والأمانة.

وقيل: أهل العراق أطلب الناس للعلم.

وقال حماد بن سلمة: مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها.

ولإبراهيم بن خلف المهراني:

النحو يصلح من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها منها مقيم الألسن

وقال علي بن بشار:

رأيت لسان المرء آية عقله ... وعنوانه فانظر بماذا تعنون

ولا تعد إصلاح اللسان فإنه ... يخبر عما عنده ويبين

ويعجبني زي الفتى وجماله ... فيسقط من عيني ساعة يلحن

ودخل أعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال: سبحان الله يلحنون ويربحون.

وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن، فقال: لم لا تنظر في العربية؟ فقال: بلغني أن من نظر فيها قل كلامه، فقال: ويحك لأن يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطأ. وكان يقال: مجالسة الجاهل مرض للعاقل. وقال أبو الأسود الدؤلي: إذا أردت أن تعذب عالما فأرفق به جاهلا «٢» .

وقال الشاعر:

جهلت ولا تدري بأنك جاهل ... ومن لي بأن تدري بأنك لا تدري

وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس. قال: لا تقل هذا، قال: فخذ علي كلمة واحدة، قال: هذه واحدة، أبو جهل كناه

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٢٢

المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم، فقال حسان رضي الله تعالى عنه:

الناس كنوه أبا حكم ... والله كناه أبا جهل

وأما ما جاء في الأدب: فقد **قال بعض الحكماء** العقل يحتاج إلى مادة من الأدب كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الطعام.

وقال علي كرم الله وجهه: الأدب كنز عند الحاجة، عون على المروءة، صاحب في المجلس، أنيس في الوحدة، تعمر به القلوب الواهية، وتحيا به الألباب الميتة، وينال به الطالبون ما حاولوا.

وقيل: عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح.

وحكي أن رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن، فقال:

ابن من أنت؟ قال: ابن الأدب يا أمير المؤمنين، قال: نعم النسب انتسبت إليه، ولهذا قيل: المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت، ومن حيث يوجد لا من حيث يولد.

قال الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال بعض الحكماء: من كثر أدبه كثر شرفه، وإن كان وضيعا، وبعد صيته، وإن كان خاملا، وساد وإن كان غريبا وكثرت حوائج الناس إليه، وإن كان فقيرا.

قال بعض الشعراء:

لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدب

قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع الأب

وقال بعض الأعاجم مفتخرا:

مالي عقلي وهمتي حسبي ... ما أنا مولى وما أنا عربي

إذا انتمى منتم إلى أحد ... فإنني منتم إلى أدبي

وقيل: الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب، وقيل: المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله". (١)

٢٣٢-"وبآدابه لا بثيابه. وقيل لرجل: من أدبك؟ قال: رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت، ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا، من عرف الأدب اكتسب به المال والجاه.. خير الخلال الأدب، وشر المقال الكذب.. وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له؟ قال: كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق.. ودخل أبو العالية على ابن عباس رضي الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته، فرأى سوء نظرهم إليه وحموضة

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٣١

وجوههم «١» ، فقال: ما لكم تنظرون إلي نظر الشحيح إلى الغريم المفلس، هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى، ويقعد العبيد على الأسرة.

وقال جالينوس: إن ابن الوضيع إذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا في منزلته، وابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا في سقوطه.. وقيل: أحسن الأدب أن لا يفتخر المرء بأدبه.

وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال: كلا، الغريب من لا أدب له.

ويقال: إذا فاتك الأدب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب.

ولعبد الملك بن صالح:

في الناس قوم أضاعوا مجد أولهم ... ما في المكارم والتقوى لهم أرب

سوء التأدب أرداهم وأرذلهم ... وقد يزين صحيح المنصب الأدب «٢»

- وقيل: أربعة تسود العبد: الأدب والعلم والصدق والأمانة.

- **وقال بعض الحكماء**: خمسة لا تتم إلا بخمسة:

لا يتم الحسب إلا بالأدب، ولا يتم الجمال إلا بالحلاوة، ولا يتم الغنى إلا بالجود، ولا يتم البطش إلا بالجرأة، ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق.

والله تعالى أعلم.

الباب الخامس في الآداب والحكم وما أشبه ذلك

قال الحكماء:

- إذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أراد به شرا حبب إليه المال، وبسط منه الآمال، وشغله بدنياه ووكله إلى هواه، فركب الفساد وظلم العباد.- الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل،- من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ،- من سره الفساد ساءه المعاد،- كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع.- لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك، فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة.- من أطاع هواه باع دينه بدنياه،- ثمرة العلوم العمل بالمعلوم- من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد- أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه- خير الناس من أخرج الحرص من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه.- نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف.- البخيل حارس نعمته وخازن لورثته.- من لزم الطمع عدم الورع،- إذا ذهب الحياء حل البلاء.- علم لا ينفع كدواء لا ينجع- من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة هواه، ويهين نفسه في إكرام دنياه.- أيام الدهر ثلاثة: يوم مضى لا يعود إليك، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك، ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ولا تعرف من أهله.- من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب.- لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة، ومن عمرك في فسحة.- عظ المسيء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك.- إياك وفضول الكلام «٣» فإنه يظهر من عيوبك ما بطن «٤» ، ويحرك من عدوك ما سكن «٥» .-

لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا.- حسن النية من العبادة.- حسن الجلوس من السياسة.- من زاد في خلقه نقص في حظه.- من ائتمن". (١)

٢٣٣-"فإنك عند سماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه

وكم أزعج الحرص من طالب ... فوافى المنية في مطلبه

الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنميمة

قال الله تعالى: ولا تطع كل حلاف مهين ١٠ هماز مشاء بنميم ١١

«١» الآية. وحسبك بالنمام خسة ورذيلة، سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس، الطاعن فيهم.

وقال الحسن البصري، هو الذي يغمز بأخيه في المجلس وهو الهمزة اللمزة. وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما: العتل الفاحش السيىء الخلق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: العتل: الفاتك الشديد المنافق، وقال عبيد بن عمير: العتل: الأكول الشروب القوي الشديد، يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة. وقال الكلبي:

هو الشديد في كفره. وقيل: العتل: الشديد الخصومة بالباطل، والزنيم هو الذي لا يعرف من أبوه. قال الشاعر:

زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغي الأم ذو حسب لئيم

وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة نمام»

.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله» .

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمة الله تعالى عليه:

«النميمة إنما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا، فينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية، وينبغي لمن حملت إليه النميمة وقيل له قال فيك فلان كذا أن لا يصدق من نم إليه لأن النمام فاسق، وهو مردود الخبر، وأن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه في الله تعالى، فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب، وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء، لقول الله تعالى: اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض

الظن إثم

«٢» . وسعى رجل إلى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة، فقال له انصرف حتى أكشف عنك، فكشف عنه فإذا هو ابن بغي يعني ولد زنا. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «لا ينم على الناس إلا ولد بغي» .

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بشراركم، قالوا:

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٣٢

بلى يا رسول الله، قال: شراركم المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة والباغون العيوب» .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز، ملعون كل قتات، ملعون كل نمام، ملعون كل منان» .

والشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة، والقتات: النمام، والمنان: الذي يعمل الخير ويمن به.

وأما السعاية إلى السلطان وإلى كل ذي قدرة فهي المهلكة والحالقة التي تجمع الخصال الذميمة، من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والأموال في النوازل والأحوال، وتسلب العزيز عزه وتحط المسكين عن مكانته والسيد عن مرتبته، فكم دم أراقه سعي ساع، وكم حريم استبيح بنميمة نمام، وكم من صفيين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا، وكم من محبين افترقا، وكم من إلفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا. ليتق الله ربه عز وجل، رجل ساعدته الأيام وتراخت عنه الأقدار أن يصغي لساع أو يستمع لنمام.

ووجد في حكم القدماء أبغض الناس إلى الله المثلث.

قال الأصمعي: «هو الرجل يسعى بأخيه إلى الأمام فيهلك نفسه وأخاه وإمامه» .

وقال بعض الحكماء: «احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون، إذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات.

وفي المثل السائر «من أطاع الواشي ضيع الصديق» ، وقد تقطع الشجرة فتنبت، ويقطع اللحم السيف فيندمل، واللسان لا يندمل جرحه. ودفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا، فكتب إليه على ظهرها: النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله» .

وروينا في كتاب أبي داود والترمذي عن ابن مسعود". (١)

٢٣٤-"محمد صلى الله عليه وسلم، وإني أوصيك بخلال ثلاث: لا تفشين له سرا، ولا تجرين عليه كذبا، ولا تغتابن عنده أحدا، قال الشعبي رحمه الله تعالى: قلت لابن عباس كل واحدة منهن «١» خير من ألف، فقال: أي والله، ومن عشرة آلاف.

وقال بعض الحكماء: إذا زادك السلطان تأنيسا فزده إجلالا، وإذا جعلك أخا، فاجعله أبا، وإذا زادك إحسانا، فزده فعل العبد مع سيده، وإذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس، فأخذوا في الثناء عليه، فعليك بالدعاء له ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة، فإن ذلك تنبيه بالوحشة والغربة.

وقال مسلم بن عمر لمن خدم السلطان: لا تغتر بالسلطان إذا أدناك ولا تتغير منه إذا أقصاك.

وروي أن بعض الملوك استصحب حكيما، فقال له:

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٩٦

أصحبك على ثلاث خصال، قال: وما هن؟ قال:

لا تهتك لي سترا، ولا تشتم لي عرضا، ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني، قال: هذا لك. فماذا لي عليك؟

قال: لا أفشي لك سرا، ولا أدخر عنك نصيحة، ولا أوثر عليك أحدا، قال: نعم الصاحب للمستصحب أنت.

وقال بزرجمهر: إذا خدمت ملكا من الملوك، فلا تطعه في معصية خالقك، فإن إحسانه إليك فوق إحسان الملك، وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه.

وقالوا: إصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لأنهم إنما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة وإن طال أنسك بهم تزدد غما.

وقالوا: علم السلطان وكأنك تتعلم منه، وأشر عليه وكأنك تستشيره، وإذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك، ويثق بك، فإياك والدخول بينه وبين بطانته «٢» ، فإنك لا تدري متى يتغير منك، فيكونون عونا عليك، وإياك أن تعادي من إذا شاء أن يطرح ثيابه، ويدخل مع الملك في ثيابه فعل.

وفي الأمثال القديمة: احذروا زمارة المخدة «٣» وفيه قيل:

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا ... مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد: إذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الأحمق.

وأما ما جاء في التحذير من صحبة السلطان:

فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهي عن صحبة السلطان، قال في كتاب كليلة ودمنة: ثلاثة لا يسلم عليها إلا القليل: صحبة السلطان وإئتمان النساء على الأسرار، وشرب السم على التجربة.

وكان يقال: قد خاطر بنفسه من ركب البحر، وأعظم منه خطرا من صحب السلطان.

وكان بعض الحكماء يقول: أحق الأمور بالتثبت فيها أمور السلطان، فإن من صحب السلطان بغير عقل، فقد لبس الشعار «٤» الغرور. وفي حكم الهند: صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر.

وقيل للعتابي: لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الأدب، قال: لأني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء، ويرمي من السور في غير شيء، ولا أدري أي الرجلين أكون.

وقال معاوية لرجل من قريش: إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبي، ويبطش بطش الأسد. وقال ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز: يا ميمون احفظ عني أربعا: لا تصحبن السلطان، وإن أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر، ولا تخلون بامرأة، وإن أقرأتها القرآن، ولا تصل من قطع رحمه، فإنه لك أقطع، ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا.

وكم رأينا، وبلغنا ممن صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به، فكان كما قيل:

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه، مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا، فاعتمد عليه ليقيمه، فخر الحائط عليه فأهلكه.

قال الشاعر:". (١)

٢٣٥-"وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي له بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل، ويسأل عن دينه فإن قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه، وإن قيل ليس عليه دين صلى عليه، فأتي بجنازة، فلما قام ليكبر صلى الله عليه وسلم قال: هل على صاحبكم من دين؟ فقالوا: ديناران يا رسول الله، فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال: صلوا على صاحبكم، فقال علي كرم الله وجهه:

هما علي يا رسول الله وهو بريء منهما، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه، ثم قال لعلي رضي الله عنه: جزاك الله عنه خيرا، فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك، إنه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتهن بدينه، ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة.

وقال بعض الحكماء: الدين هم بالليل وذل بالنهار، وهو غل «١» جعله الله في أرضه، فإذا أراد الله أن يذل عبدا جعله طوقا في عنقه.

وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينا له على رجل، فقالوا: خرج إلى الغزو، فقال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو أن رجلا قتل في سبيل الله، ثم أحيي، ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضي دينه.

وعن الزهري قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على أحد عليه دين، ثم قال بعد: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلي قضاؤه» ثم صلى عليهم.

وعن جابر: لا هم إلا هم الدين ولا وجع إلا وجع العين. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من تزوج امرأة بصداق ينوي أن لا يؤديه إليها، فهو زان، ومن استدان دينا ينوي أن لا يقضيه فهو سارق، وقال حبيب بن ثابت: ما احتجت إلى شيء أستقرضه إلا استقرضته من نفسي، أراد أنه يصبر إلى أن تمكن الميسرة، ونظيره قول القائل:

وإذا غلا شيء علي تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وقال بعضهم أيضا:

لقد كان القريض سمير قلبي ... فألهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي:

وإني لأقضي الدين بالدين بعدما ... يرى طالبي بالدين أن لست قاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمير:

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن ... قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

واستقرض من الأصمعي خليل له فقال: حبا وكرامة، ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تطلبه، فقال: يا أبا سعيد أما تثق بي؟ قال: بلى، وإن خليل الله كان واثقا بربه، وقد قال له: ولكن ليطمئن قلبي

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/١٠١

«٢» ، اللهم أوف عنا دين الدنيا بالميسرة، ودين الآخرة بالمغفرة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك

أما ما جاء في ذكر القصاص والمتصوفة:

فقد روي عن خباب بن الأرت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني إسرائيل لما قصوا هلكوا. وروي أن كعبا كان يقص، فلما سمع الحديث ترك القصص.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وإنما كان القصص حين كانت الفتنة.

وقال ابن المبارك: سألت الثوري، من الناس؟ قال العلماء، قلت: فمن الأشراف؟ قال: المتقون، قلت:

فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قلت: فمن الغوغاء؟ قال:

القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام، قلت:

فمن السفهاء؟ قال: الظلمة. قيل: وهب رجل لقاص خاتما بلا فص، فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف. وقال قيس بن جبير النهشلي، الصعقة التي عند القصاص من الشيطان. وقيل لعائشة رضي الله عنها: إن أقواما إذا سمعوا القرآن صعقوا، فقالت: القرآن أكرم وأعظم من أن تذهب منه عقول الرجال. وسئل ابن سيرين عن أقوام يصعقون عند سماع القرآن، فقال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط، فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن صعقوا، فهو كما قالوا. وكان بمرو قاص يبكي بمواعظه، فإذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول: مع هذا الغم الطويل يحتاج إلى فرح ساعة.

وقال بعضهم: قلت لصوفي بعني جبتك، فقال: إذا با ع". (١)

٢٣٦-"حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين، فنام تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين وإذا مناد ينادي حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين.

وقيل: من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره. وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم إلى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك «١» .

ويقال: من طال عدوانه زال سلطانه، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم، ورئي لوح في أفق السماء مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت:

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا ... ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر:

كنت الصحيح وكنا منك في سقم ... فإن سقمت فإنا السالمون غدا

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/١١١

دعت عليك أكف طالما ظلمت ... ولن ترد يد مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرا إلا الله، وقال أبو العيناء كان لي خصوم ظلمة فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دؤاد وقلت: قد تضافروا علي وصاروا يدا واحدة، فقال: يد الله فوق أيديهم

«٢» فقلت له: إن لهم مكرا، فقال: ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

«٣» ، قلت: هم فئة كثيرة فقال: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله

«٤» .

وقال يوسف بن أسباط: من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه» ، وقال مجاهد: يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكوم أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم: هل يؤذيكم هذا فيقولون: إي والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لما كشف الله العذاب عن قوم يوسف عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه.

وقال أبو ثور بن يزيد: الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه. وقال غيره: لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لأوشك أن تخرب.

وقال بعض الحكماء: اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك، لا يعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فإن له قاتلا لا يموت.

وقال سحنون بن سعيد: كان يزيد بن حاتم يقول: ما هبت شيئا قط هيبتي من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله فيقول حسبك الله، الله بيني وبينك.

وقال بلاد بن مسعود: اتق الله فيمن لا ناصر له إلا الله.

وبكى علي بن الفضل يوما فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري» . ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: يا سليمان اذكر يوم الأذان، فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الأذان؟ فقال: قال الله تعالى: فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين

«٥» قال: فما ظلامتك؟

قال: أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك، فكتب إلى وكيله: ادفع إليه أرضه وأرضا مع أرضه.

وروي أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه، فلما ولي الملك قال للمعلم: ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما؟ فقال له: لما رأيتك ترغب في

العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم، فقال أنوشروان: زه زه «٦» .

وقال محمد سويد وزير المأمون:

فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته ... فما ليل حر إن ظلمت بنائم

وروي أن بعض الملوك رقم على بساطه:". (١)

٢٣٧-"إذا مازحته، والفاجر إذا عاشرته.

وقالوا: إصحب من الإخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة، فنسي جمائله وبقي شاكرا ناشرا ذاكرا لجميلتك، يوليك عليها الإحسان الكثير الجزيل ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل.

وقال ابن عائشة: لقاء الخليل شفاء الغليل. **وقال بعض الحكماء**: إذا وقع بصرك على شخص فكرهته، فاحذره جهدك.

قال عبد الله بن طاهر:

خليلي للبغضاء حال مبينة ... وللحب آثار ترى ومعارف

فما تنكر العينان فالقلب منكر ... وما تعرف العينان فالقلب عارف

وقال آخر:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي ... وشرقني على ظمإ بريقي «١»

غفرت ذنوبه وكظمت غيظي ... مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال آخر:

وليس فتى الفتيان من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق «٢»

ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا ... لضر عدو أو لنفع صديق

وأما آداب المعاشرة: فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والأدب، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة إذا تراءوا والمصافحة إذا تلاقوا وكان القعقاع بن ثور الهذلي إذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه، ودخل يوما على معاوية، فأمر له بألف دينار وكان هناك رجل قد فسح له في المجلس، فدفعها للذي فسح له، فقال:

وكنت جليس قعقاع بن ثور ... وما يشقى بقعقاع جليس

ضحوك السن إن نطقوا بخير ... وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لجليسي علي ثلاث:

أن أرمقه بطرفي إذا أقبل، وأوسع له إذا جلس، وأصغي له إذا حدث. ويقال: لكل شيء محل، ومحل العقل مجالسته الناس، ومثل الجليس الحسن كالعطار إن لم يصبك من عطره أصابك من رائحته. ومثل الجليس السوء، مثل الكبريت إن لم يحرق

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/١١٦

ثوبك بناره آذاك بدخانه.

وكانت تحية العرب: «صبحتك الأنعمة وطيب الأطعمة» وتقول أيضا: «صبحتك الأفالح وكل طير صالح» . ووصف المأمون ثمامة بحسن المعاشرة، فقال:

إنه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب «٣» .

وقيل: أول ما يتعين على الجليس الإنصاف في المجالسة بأن يلحظ بعين الأدب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما في محله. وقال صلى الله عليه وسلم: ذو العلم والسلطان أحق بشرف المنزل.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه، إذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس في الصدور وينبغي للإنسان أن لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه، فقد قيل إن نشاط المتكلم بقدر إقبال السامع، ويتعين عليه أن يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس، فقد قيل لكل مقام مقال، وخير القول ما وافق الحال. وأوجبوا على المستمع أنه إذا ورد عليه من المتكلم ما كان مر بسمعه أولا أن لا يقطع عليه ما يقوله، بل يسكت إلى أن يستوعب منه القول، وعدوا ذلك من باب الأدب، ولعله إذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن في حفظه.

وقيل: ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الجالس في مجلس ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخلاه فيه، والمتعرض لما لا يعنيه، والمتأمر على رب البيت في بيته، والآتي إلى مائدة بلا دعوة، وطالب الخير من أعدائه، والمستخف بقدر السلطان.

ويتعين على الجليس أن يراعي ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا إذا كان جليسه ذا هيبة، فقد قيل: رب كلمة سلبت نعمة.

وقال أبو العباس السفاح: ما رأيت أغزر من فكر أبي". (١)

٢٣٨-"تواضع كل شيء لعز جبروت عظمته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك

إعلم أن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل، وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب، والكبر يكسب المقت، ويمنع من التألف.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر» ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه» .

وقال الأحنف بن قيس: ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه. ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه.

ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب بنفسه فقال:

وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/١٣٢

ورأى رجل رجلا يختال في مشيه، فقال: جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي.

وقال الأحنف: عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر. ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر في مشيه، فقال له مالك: يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك، فقال: أو ما تعرفني «١» ؟ قال: أعرفك معرفة أكيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة، فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه.

وقالوا: لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة، وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين، فقال تعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا

«٢» ، فقرن الكبر بالفساد. وقال تعالى: سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق

«٣» . **قال بعض الحكماء:**

ما رأيت متكبرا إلا ما تحول ما به بي، يعني أتكبر عليه.

واعلم أن الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله، والعرب تجعل جذيمة الأبرش غاية في الكبر، يقال إنه كان لا ينادم أحدا لتكبره ويقول: إنما ينادمني الفرقدان.

وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا. روي أنه قال لغلامه: اسقني ماء، فقال: نعم، فقال: إنما يقول نعم من يقدر أن يقول: لا، اصفعوه، فصفع. ودعا أكارا فكلمه، فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته.

ويقال: فلان وضع نفسه في درجة لو سقط منها لتكسر.

قال الجاحظ: المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم، وبنو أمية. ومن العرب: بنو جعفر بن كلاب، وبنو زرارة بن عدي، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا عبيدا وأنفسهم إلا أربابا، وقيل لرجل من بني عبد الدار: ألا تأتي الخليفة، فقال: أخاف أن لا يحمل الجسر شرفي.

وقيل للحجاج بن أرطأة: ما لك لا تحضر الجماعة «٤» ؟ قال: أخشى أن يزاحمني البقالون. وقيل:

أتى وائل بن حجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأقطعه أرضا، وقال لمعاوية: أعرض عن هذه الأرض عليه وأكتبها له، فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة، ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس، فقال له: أردفني خلفك على ناقتك، قال: لست من أرداف الملوك، قال: فأعطني نعليك. قال: ما بخل يمنعني يا ابن أبي سفيان، ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن «٥» أنك لبست نعلي. ولكن أمش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفا، وقيل: أنه لحق زمن معاوية ودخل عليه، فأقعده معه على السرير وحدثه.

وقال المسرور بن هند لرجل: أتعرفني؟ قال: لا، قال:

أنا المسرور بن هند، قال: ما أعرفك. قال: فتعسا ونكسا لمن لم يعرف القمر.

قال الشاعر:

قولا لأحمق يلوي التيه أخدعه ... لو كنت تعلم ما في التيه لم تته «٦»

التيه مفسدة للدين منقصة ... للعقل مهلكة للعرض فانتبه". (١)

٢٣٩-"أعطيتمونا ثمن قرانا «١» ، ثم إنه لحقنا، وقال: خذوها وإلا طعنتكم برمحي هذا، فأخذناها وانصرفنا.

وقال بعض الحكماء: أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير من فروعه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر» .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط، فقال لا. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل» . وقال بعض السلف: منع الموجود سوء ظن بالمعبود. تلا قوله تعالى: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين

«٢» . وقال الفضيل: ما كانوا يعدون القرض معروفا. وقال أكثم بن صيفي:

صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد له متكأ. وقيل للحسن بن سهل: لا خير في السرف «٣» ، فقال: لا سرف في الخير، فقلب اللفظ واستوفى المعنى.

ووجد مكتوبا على حجر: «انتهز الفرص عند إمكانها ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك، واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك، فكم من جامع لبعل حليلته» «٤» .

وقال علي رضي الله تعالى عنه: ما جمعت من المال فوق قوتك فإنما أنت فيه خازن لغيرك. وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه: من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا، وأجلهم في النفوس قدرا؟ فسكت القوم، فقام فتى فقال: أبيت اللعن، أفضل الناس من عاش الناس من فضله. فقال: صدقت.

وكان أسماء بن خارجة يقول: ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة، لأنه إن كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضي.

وكان مورق العجلي يتلطف في إدخال السرور والرفق على إخوانه، فيضع عند أحدهم البدرة، ويقول له أمسكها حتى أعود إليك، ثم يرسل يقول له أنت منها في حل.

وقال الحسن رضي الله عنه: باع طلحة بن عثمان رضي الله تعالى عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم، فلما جاء المال قال: إن رجلا يبيت هذا عنده لا يدري ما يطرقه لغرير بالله تعالى ثم قسمه في المسلمين.

ولما دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها:

يا أم المؤمنين أصابتني فاقة «٥» فقالت: ما عندي شيء، فلو كان عندي عشرة آلاف درهم لبعثت بها إليك. فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها إليه في أثره، فأخذها ودخل بها السوق، فاشترى

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/١٤٠

جارية بألف درهم، فولدت له ثلاثة أولاد، فكانوا عباد المدينة، وهم: محمد وأبو بكر، وعمر بنو المنكدر.
وأكرم العرب في الإسلام طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه، جاء إليه رجل، فسأله برحم بينه وبينه، فقال هذا حائطي بمكان كذا وكذا، وقد أعطيت فيه مائة ألف درهم، يراح إلي المال بالعشية، فإن شئت فالمال، وإن شئت فالحائط. وقال زياد بن جرير: رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف في مجلس وإنه ليخيط إزاره بيده.
وذكر الإمام أبو علي القالي في كتاب الأمالي أن رجلا جاء إلى معاوية رضي الله تعالى عنه فقال له: سألتك بالرحم التي بيني وبينك إلا ما قضيت حاجتي، فقال له معاوية: أمن قريش أنت؟ قال: لا، قال: فأي رحم بيني وبينك؟ قال: رحم آدم عليه السلام. قال: رحم مجفوة «٦» والله لأكونن أول من وصلها، ثم قضى حاجته.
وروي أن الأشعث بن قيس أرسل إلى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لأبيه حاتم، فملأها مالا وبعث بها إليه، وقال: إنا لا نعيرها فارغة. وكان الأستاذ أبو سهل الصعلوكي من الأجواد، ولم يناول أحدا شيئا وإنما كان يطرحه في الأرض، فيتناوله الآخذ من الأرض، وكان يقول: الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اليد العليا خير من اليد السفلى» .
وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم، عن الكرم فقال: هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والرأفة". (١)

٢٤٠-"وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه، فقيل له:
يا رسول الله: أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا لله شكورا.
وقال أبو هارون: دخلت على أبي حازم، فقلت له:
يرحمك الله ما شكر العينين: قال: إذا رأيت بهما خيرا ذكرته، وإذا رأيت بهما شرا سترته، قلت: فما شكر الأذنين؟ قال: إذا سمعت بهما خيرا حفظته، وإذا سمعت بهما شرا نسيته.
وفي حكمة إدريس عليه الصلاة والسلام: لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمة بمثل الإنعام على خلقه ليكون صانعا إلى الخلق مثل ما صنع الخالق إليه، فإذا أردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك، فأدم مواساة الفقراء. وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر، فقال تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم
«١» . وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر، فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا أنه لم يشكر، فإذا رأينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه، وماله في نقصان علمنا أنه قد أخل بالشكر، إما أنه لا يزكي ماله أو يزكيه لغير أهله، أو يؤخره عن وقته، أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان، أو إطعام جائع أو شبه ذلك، فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو صدق السائل ما أفلح من رده» .
قال الله تعالى: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
«٢» . وإذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الإحسان.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/١٦٨

وقال بعض الحكماء من أعطي أربعا لم يمنع من أربع، من أعطي الشكر لا يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لا يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب.

وقال المغيرة بن شعبة: أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لا بقاء للنعم إذا كفرت، ولا زوال لها إذا شكرت.

وكان الحسن يقول: ابن آدم متى تنفك «٣» من شكر النعمة وأنت مرتهن بها «٤» ، كلما شكرت نعمة تجد ذلك بالشكر أعظم منها عليك، فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها «٥» .

وروي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعي إلى أقوام ليأخذهم على ريبة، فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان، فأعتق رقبة شكرا لله تعالى إذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم.

ويروى أن نملة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام:

يا نبي الله أنا على قدري أشكر لله منك، وكان راكبا على فرس ذلول «٦» فخر ساجدا لله تعالى، ثم قال: لولا أني أبجلك لسألتك عن أن تنزع مني ما أعطيتني.

وقال صدقة بن يسار: بينما داود عليه السلام في محرابه إذ مرت به دودة، فتفكر في خلقها، وقال: ما يعبأ الله بخلق هذه، فأنطقها الله تعالى له، فقال له: يا داود تعجبك نفسك، وأنا على قدر ما آتاني الله تعالى أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك.

وقال علي رضي الله عنه: احذروا إنفار النعم «٧» فما كل شارد مردود. وعنه عليه السلام: إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا اتصالها بقلة الشكر. وقيل: إذا قصرت يداك عن المكافأة، فليطل لسانك بالشكر. وقال حكيم:

الشكر ثلاث منازل: ضمير القلب، ونشر اللسان «٨» ومكافأة اليد. قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة: كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة، فظلم بها إلا كان له حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه، وأنشد أبو العباس بن عمارة في المعنى:

أعارك ماله لتقوم فيه ... بواجبه وتقضي بعض حقه

فلم تقصد لطاعته ولكن ... قويت على معاصيه برزقه

وقال آخر:

ولو أن لي في كل منبت شعرة ... لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا". (١)

٢٤١-"خطف منك، ولا تدري أنه مثل البازي إن أرسلته أكل وأطعمك، وإن أمسكته لم يصد شيئا واحتجت إلى أن تطعمه، وإلا مات، وأنا والله لو كان عندي علم أنك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان إلا هكذا، وما كان لا كلام فيه والعمل في المستأنف، فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه، فيزداد فيه رغبة إلى

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٢٤٤

أن يسلمه إليه. فيكون حاله كحال المطمع إذا صار المال تحت يده.

وأما المتنسمون: فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام، ثم يلقون ذوي الأموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال، ويمشون إلى أبواب الملوك على صفة التهاني بالأعياد، وربما يأتي معه بأحد من الأولاد، ويظهرون النزاهة والغنى، ويجعلون الدين سلما إلى الدنيا، وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الأموال وتفوض إليهم الوصايا، ويجلهم العوام، وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك إلى الوصايا والأموال، وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع، وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو إلى الاحتراز منهم، وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم.

قال الشاعر:

صلى وصام لأمر كان أمله ... حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل: لا فقير أفقر من غني يأمن الفقر.

قال الشاعر:

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى ... وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له: يا بني عليك بطلب العلم، وجمع المال، فإن الناس طائفتان خاصة وعامة، فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال.

وقال بعض الحكماء: إذا افتقر الرجل اتهمه من كان به موثقا، وأساء به الظن من كان ظنه حسنا. ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء، ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه، وما من خلة هي للغنى مدح إلا وهي للفقير عيب، فإن كان شجاعا سمي أهوج، وإن كان مؤثرا سمي مفسدا، وإن كان حليما سمي ضعيفا، وإن كان وقورا سمي بليدا، وإن كان لسنا سمي مهذارا، وإن كان صموتا سمي عييا. قال ابن كثير:

الناس أتباع من دامت له نعم ... والويل للمرء إن زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه ... حي كمن مات إلا أنه صنم

لما رأيت إخلائي وخالصتي ... والكل مستتر عني ومحتشم

أبدوا جفاء وإعراضا فقلت لهم ... أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم «١»

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء، فزور عنه يهودي كتابا إلى بلاد الكفار وضمنه أمورا من أسرار الدولة، ثم تحيل اليهودي إلى أن وصل الكتاب إلى الخليفة فوقف عليه، وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودي، فأعطته درجا بخطه، فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي كان في الدرج، فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة، وكان ذلك يوم عرفة، وقد لبس خلعة العيد ومضى إلى داره وفي موكبه كل من في الدولة، فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد إليه ولا توجع له. ثم اتضحت القضية في أثناء النهار للخليفة أنها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما أشر قتلة ثم أرسل إلى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم من فعله واعتذر إليه، فكتب ابن مقلة على باب داره يقول:

تحالف الناس والزمان ... فحيث كان الزمان كانوا

عاداني الدهر نصف يوم ... فانكشف الناس لي وبانوا

يا أيها المعرضون عني ... عودوا فقد عاد لي الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى. قال بعضهم:

إنما قوة الظهور النقود ... وبها يكمل الفتى ويسود

كم كريم أزرى به الدهر يوما ... ولئيم تسعى إليه الوفود

والأطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الأدوية والمساليق التي يغلى فيها الذهب.". [(١)]

٢٤٢-"قليل مدام عليه خير من كثير مملول. وفي التوراة: حرك يدك افتح لك باب الرزق.

وكان إبراهيم بن أدهم «١» يسقي ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلي بالليل.

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: ما ينفي عني حجة العلم؟ قال: العمل. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الكيس «٢» من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» .

وقال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم سوءا أعطاهم الجدل ومنعهم العمل. وأنشد يقول:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء: لا شيء أحسن من عقل زانه حلم، ومن عمل زانه علم، ومن حلم زانه صدق. ودخل بعض الخواص على إبراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له: عظني. فقال له الولي: بلغني رحمك الله أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى، فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك. فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه.

وقيل: من جد وجد، وأنشدوا في المعنى:

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وتقول العرب: فلان وثاب على الفرص.

وقال بعضهم:

وإني إذا باشرت أمرا أريده ... تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: يتبع الميت ثلاث.

فيرجع إثنان، ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله. وقال بعضهم: العمل سعي الأركان إلى الله، والنية سعي القلوب إلى الله، والقلب ملك والأركان جنود ولا يحارب الملك إلا بالجنود، ولا الجنود إلا بالملك. وقيل:

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٢٩٦

الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم، والعلم كله هباء إلا موضع العمل، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص، هذا هو العمل.

وأما الكسب:

فقد جاء في تفسير قوله تعالى: وعلمناه صنعة لبوس لكم

«٣» أي دروع من الحديد، وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور في الصحاري فإذا رأى من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود، فإذا سمعه عابه بشيء يصلحه من نفسه، فسمع يوما من يقول: إني لا أجد في داود عيبا إلا أنه يأكل من غير كسبه، فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام في محرابه وتضرع بين يدي الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته، فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله في يده كالشمع، فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جعل رزقي تحت ظل رمحي فكانت حرفته الجهاد» . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب العبد المحترف» . وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ» . وقال عليه الصلاة والسلام: «من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة» . ولو تعلمون ما أعلم من المسألة لما سأل رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت يومه، وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده إن الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من بات كالا في طلب الحلال أصبح مغفورا له» . وعن الحسن رحمه الله: كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف.

وقيل لمحمد بن مهران: إن ههنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا، فقال: هؤلاء قوم حمقى إن كان لهم مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن فليفعلوا.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة. وقال أيضا: إني لأرى". (١)

٢٤٣-"الرجل فيعجبني، فأقول: أله حرفة، فإن قالوا لا. سقط من عيني.

واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال: إن النفس إذا أحرزت رزقها أطمأنت.

قال بعضهم في السعي:

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ... إن الجلوس مع العيال قبيح

وقيل: إن أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر، وكان الناس إنما يزنون بالشاهيني. وعن أنس رضي الله عنه قال: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا يا رسول الله: سعر لنا، فقال: إن الله الخالق القابض المسعر الرازق، وإن لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبني بمظلمة ظلمته بها في أهل ولا مال.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٣٠٧

وأما ما جاء في العجز والتواني:

فقد روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال:

من أطاع التواني ضيع الحقوق، ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه.

قال الشاعر:

على المرء أن يسعى ويبذل جهده ... ويقضي إله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله:

على المرء أن يسعى ويبذل نفعه ... وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل: احذر مجالسة العاجز، فإنه من سكن إلى عاجز أعداه من عجزه، وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر، ونساه ما في العواقب، وليس للعجز ضد إلا الحزم.

وقال بعض العلماء: من الخذلان مسامرة الأماني ومن التوفيق بغض التواني. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«باكروا في طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح» .

وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: احرص على ما ينفعك، ودع كلام الناس فإنه لا سبيل إلى السلامة من ألسنة الناس. وقال علي رضي الله تعالى عنه: التواني مفتاح البؤس، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة، ومن لم يطلب لم يجد وأفضى إلى الفساد.

وقال حكيم: من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير. **وقال بعض الحكماء**: الحركة بركة والتواني هلكة والكسل شؤم، وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف. وقيل: من العجز والتواني تنتج الفاقة. قال هلال بن العلاء الرفاء هذين البيتين من جملة أبيات:

كأن التواني أنكح العجز بنته ... وساق إليها حين زوجها مهرا

فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي ... فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا

وقال آخر:

توكل على الرحمن في الأمر كله ... ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب

ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه ... جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضي الله عنه سعيد بن العاص عن المروءة فقال: العفة والحرفة. وكان أيوب السختياني يقول: يا فتيان احترفوا فإني لا آمن عليكم أن تحتاجوا إلى القوم، يعني الأمراء. وقال رجل للحسن: إني أنشر مصحفي فاقرأه بالنهار كله، فقال: اقرأه بالغداة والعشي ويكون يومك في صنعتك وما لا بد منه. ومر رحمه الله تعالى بإسكاف، فقال يا هذا: اعمل وكل، فإن الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل.

وقال أبو تمام:

أعاذلتي ما أحسن الليل مركبا ... وأحسن منه في الملمات راكبه

ذريني وأهوال الزمان أقاسها ... فأهواله العظمى تليها رغائبه

أرى عاجزا يدعى جليدا لقسمه ... ولو كلف المقوى لكلت مضاربه «١»

وعفا يسمى عاجزا بعفافه ... ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه

وليس بعجز المرء أخطأه الغنى ... ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر:

فلا تركن إلى كسل وعجز ... يحيل على المقادر والقضاء «٢»". (١)

٢٤٤-"وقال أعرابي: العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للأماني المستحيلة. ويقال: فلان يخدعه الشيطان عن الحزم، فيمثل له التواني في صورة التوكل، ويريه الهوينا بإحالته على القدر. وقال لقمان لابنه: يا بني إياك والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

وقال أبو العتاهية:

إذا وضع الراعي على الأرض صدره ... فحق على المعزى بأن تتبددا

فالتواني: هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والإحالة على المقادير، وهذا من أقبح الأفعال.

وأما التأني:

فطنه خلاف التواني، وهو الرفق ورفض العجلة والنظر في العواقب. وقد قيل: من نظر في عواقب الأمور سلم من آفات الدهور. ومما جاء في ذلك قوله تعالى: ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه

. «١»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الدنيا والآخرة» . وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة: «عليك بالرفق فإن الرفق لا يخالط شيئا إلا زانه ولا يفارق شيئا إلا شانه» . وفي التوراة: الرفق رأس الحكمة. وقالوا: العقل أصله التثبت وثمرته السلامة.

ووجد على سيف مكتوبا: التأني فيما لا يخاف فوته أفضل من العجلة في إدراك الأمل.

وقال بعض الحكماء: إذا شككت فاجزم وإذا استوضحت فاعزم. وقالوا: يد الرفق تجني ثمرة السلامة، ويد العجلة تغرس شجرة الندامة.

وأنشدوا في ذلك:

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٣٠٨

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا: التأني حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة.

وقالوا: إذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأني، فبماذا يدرك؟

وقال المهلب: أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت. وقالوا: من تأني نال ما تمنى. والرفق مفتاح النجاح.

وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا إلا صحب الندامة وجانب السلامة.

وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها:

فقد روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمل الأبرار من الرجال الخياطة، وعمل الأبرار من النساء الغزل» وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله «٢» ويحلب شاته، ويعلف ناضحه «٣» .

وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان الحكيم خياطا، وقيل: كان إدريس عليه السلام خياطا، ووقف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على خياط، فقال له: يا خياط ثكلتك الثواكل، صلب الخيط ودقق الدروز، وقارب الغروز، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه، واحذر السقاطات، فإن صاحب الثوب أحق بها، ولا تتخذ بها الأيادي وتطلب المكافأة» .

وقال فيلسوف: إن من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع. وفي الحديث: «أكذب أمتي الصواغون الصباغون وكذب الدلال مثل» . وقالوا: لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب «٤» .

وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «التجار هم الفجار، فقيل: أليس الله تعالى قد أحل البيع: قال: نعم. ولكن يحدثون فيكذبون، ويحلفون فيحنثون» .

وقال الفضيل: بخس الموازين سواد في الوجه يوم القيامة، وإنما أهلكت القرون الأولى لأنهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان.

وقال مجاهد في قوله تعالى: واتبعك الأرذلون

» .

قيل هم الحاكة والأساكفة. وقيل: إن حائكا سأل إبراهيم الحربي: ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا «٦» ما الذي يجب عليه؟ فتبسم إبراهيم، ثم قال: يتصدق بدرهمين، فلما مضى قال: ما علينا أن نفرح المساكين من مال هذا الأحمق.".
(١)

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٣٠٩

٢٤٥-"مهتوكة القناع، صبيها مهزول وبيتها مزبول، إذا حدثت تشير بالأصابع وتبكي في المجامع، بادية من حجابها، نباحة عند بابها، تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة قد دلي لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور، ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور. ويقال: إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها فإن علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر إلى إنسان غيره من ورائه، وإن كانت محبة له لا تقلع عن النظر إليه.

قال بعضهم:

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي ... ولكن قرين السوء يلقى معمر

فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلا ... وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال زيد بن عمير:

أعاتبها حتى إذا قلت أقلعت «١» ... أبى الله إلا خزيها فتعود «٢»

فإن طمثت قادت وإن طهرت زنت ... فهاتيك تزني دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام: المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير، والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم.

الفصل الرابع في مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن

في حكمة داود عليه الصلاة والسلام: وجدت في الرجال واحدا في ألف ولم أجد واحدة في جميع النساء.

وقيل: إن عيسى عليه الصلاة والسلام لقي إبليس يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله، فقال: أحمل تجارة وأطلب مشترين، فقال: ما أحدها؟ قال: الغرور. قال:

من يشتريه؟ قال: السلاطين. قال: فما الثاني؟ قال:

الحسد. قال: فمن يشتريه؟ قال: العلماء، قال: فما الثالث؟ قال: الخيانة. قال: فمن يشتريه؟ قال: التجار.

قال: فما الرابع؟ قال: الكيد. قال: فمن يشتريه؟ قال:

النساء.

وقال حكيم: النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن.

وقالت الحكماء: لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال، وإن كثر.

وقال: النساء حبائل الشيطان.

قال الشاعر:

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن ... جزوعا إذا بانت فسوف تبين

وخنها وإن كانت تفي لك إنها ... على قدم الأيام سوف تخون

وإن هي أعطتك الليان فإنها ... لغيرك من طلابها ستلين

وإن حلفت أن ليس تنقض عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

وإن سكبت يوم الفراق دموعها ... فليس لعمر الله ذاك يقين

وقال ابن بشار:

رأيت مواعيد النساء كأنها ... سراب لمرتاد المناهل حافل

ومنتظر الموعود منهن كالذي ... يؤمل يوما أن تلين الجنادل «٣»

قال بعض الحكماء: لم تنه عن شيء قط إلا فعلته.

وقال الغنوي:

إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واقع لا بد مفعول

وقال النخعي: من اقتراب الساعة طاعة النساء، ويقال:

من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه. وقال علي رضي الله تعالى عنه: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن، اكفف أبصارهن بالحجاب، فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب، وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن، فإن استطعت أن لا يعرفهن غيرك فافعل.

قال السمعاني:

لا تأمنن على النساء ولو أخا ... ما في الرجال على النساء أمين". [(١)]

٢٤٦-"الباب الخامس والسبعون في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم

وفيه فصول

الفصل الأول في النهي عن المزاح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى» . وعن علي: ما مزح أحد مزحة إلا مج الله من عقله مجة وعنه: إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا، وإن حكيت ذلك عن غيرك.

وكتب عمر رضي الله تعالى عنه إلى عماله: إمنعوا الناس من المزاح، فإنه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور، **وقال بعض الحكماء**: تجنب سوء المزاح ونكد الهزل، فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد غم.

وقال آخر: لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح. وعن محمد بن المنكدر قال: قالت لي أمي: لا تمازح الصبيان تهن عندهم، وخرج أعرابي بالليل، فإذا بجارية جميلة فراودها، فقالت: أما لك زاجر من عقلك إذا لم يكن لك واعظ من دينك، فقال: والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت له: يا هذا. وأين مكوكبها؟ فأخجله كلامها، فقال لها:

إنما كنت مازحا، فقالت:

فإياك إياك المزاح فإنه يجري «١» ... عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورث بعد العز صاحبه ذلا

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٤٦٤

وقال الأحنف: كثرة الضحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومن لزم شيئا عرف به. ومما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الأشعار، فإذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا.

الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعم

لا بأس بالمزاح ما لم يكن سفها، والله تعالى وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم

«٢» .

وقيل: إن يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه الصلاة والسلام فقال: مالي أراك لاهيا كأنك آمن، فقال له عيسى: مالي أراك عابسا كأنك آيس، فقال: لا تبرح حتى ينزل علينا الوحي، فأوحى الله إليهما أن أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي. ويروى إن أحبكما إلي الطلق البسام.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لجارية:

خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر، فبكت الجارية.

فقال عمر: لا بأس عليك، فإن الله خالق الخير والشر.

قال الشاعر:

إن الصديق يريد بسطك مازحا ... فإذا رأى منك الملالة يقصر

وترى العدو إذا تيقن أنه ... يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقا، فمن مزحه صلى الله عليه وسلم أنه جاء رجل، فقال: يا رسول الله احملني على جمل، فقال عليه الصلاة والسلام: لا أحملك إلا على ولد الناقة، فقال: يا رسول الله، إنه لا يطيقني. فقال له الناس: ويحك. وهل الجمل إلا ولد الناقة؟

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار: إلحقي زوجك ففي عينيه بياض، فسعت إلى زوجها مرعوبة، فقال لها:

ما دهاك؟ قالت إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي إن في عينيك بياضا، فقال: نعم والله وسوادا. وأتته أيضا عجوز أنصارية، فقالت: يا رسول الله، أدع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال لها: يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز، فولت المرأة تبكي، فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها: أما قرأت قوله تعالى: إنا أنشأناهن إنشاء ٣٥ فجعلناهن أبكارا ٣٦ عربا أترابا ٣٧

«٣» .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته، فلما كثر لحمي سابقته، فسبقني،".

(١)

٢٤٧-"قضاء الرب بطل حذر المربوب. ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات مطببات وهن من أجل الناس، فأحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا: هذا جريح مريض فهل من طبيب؟ فخرجت صغراهن وهي كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت: ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فإذا طلعت الشمس مات، فكان الأمر كما قالت.

وقيل: دواء كل مريض بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تتطلع لهوائها. وقالوا: من قدم إلى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله في مائها وشربه، لم يمرض فيها وعوفي من وبائها. واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرىء؛ فقال: الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض، ولأهل الآخرة تبرئهم من النار.

وقيل: إن الأبدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط، والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية، لأن الحكماء تقول:

عودوا كل جسد بما اعتاد.

وكان كسرى أنو شروان يمسك عما تميل إليه شهوته ولا ينهمك عليه، ويقول: تركنا ما نحبه لنستغني عن العلاج بما نكرهه.

وقال لقمان: لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فإنه يورث الباسور. وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أي الكنف. وقيل: كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقتيل أنامله.

فكم أكلة أكلت نفس حر ... وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل: من غرس الطعام أثمره الأسقام. وعن بعض أهل البيت النبوي عليهم السلام، أنه كان إذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيئا، وكان يقول: قال الله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا

«١» .

وقال تعالى: فيه شفاء للناس

«٢» . وقال عليه الصلاة والسلام: ماء زمزم لما شرب له. وقال تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

«٣» من جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهني المريء يوشك أن يلقى العافية.

وقيل: خمسة من المهلكات: دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز. وقال: لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن إخراجه. وقال الإمام رضي الله عنه:

توق مدى الأيام إدخال مطعم ... على مطعم من قبل هضم المطاعم

وكل طعام يعجز السن مضغه ... فلا تقربنه فهو شر لطاعم

ووفر على الجسم الدماء فإنها ... لقوة جسم المرء خير الدعائم

وإياك أن تنكح طواعن سنهم ... فإن لها سما كسم الأراقم «٤»

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٤٦٩

وفي كل أسبوع عليك بقيئة ... تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال. النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت. وقال النظام رحمه الله تعالى: ثلاثة تخرب العقل: طول النظر في المرآة وكثرة الضحك والنظر إلى النجوم.

وفي الحديث: احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أم مغيث وهي وسط الرأس، وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين، ونهى عن الحجامة في نقرة القفا فإنها تورث النسيان، وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فإنه أمان من الباسور.

وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكون السعال، فقال في آخر خطبته: من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل، ففعلوا فعافاهم الله.

وقال بعض الحكماء: إياك أن تطيل النظر في عين أرمد، وإياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك، فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة.

وقيل: كانت الأدوية تنبت في محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء: يا نبي الله أنا دواء لكذا وكذا.

وقال جالينوس: البطنة «٥» تقتل الرجال وتورث الفالج والإسهال الذريع والإقعاد وصنفا من الجذام يقال له". (١)

٢٤٨-"وكلمته رأس الزاهدين، وإمام السائحين، أين محمد خاتم النبيين، أين أصحابه الأبرار، أين الأمم الماضية، أين الملوك السالفة، أين القرون الخالية، أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان، أين الذين قهروا الأبطال والشجعان، أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب، أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب، أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا، أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا، أين الذين اغتروا بالأجناد، أين أصحاب الوزراء، والقواد، أين أصحاب السطوة والأعوان، أين أصحاب الإمرة والسلطان، أين أصحاب الأعمال والولايات، أين الذين خفقت على رؤوسهم الألوية والرايات، أين الذين قادوا الجيوش والعساكر، أين الذين عمروا القصور والدساكر، أين الذين أعطوا النصر في موطن الحروب، والمواقف، أين الذين آمنوا بسطوتهم كل خائف، أين الذين ملأوا ما بين الخافقين فخرا وعزا، أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا، أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد، أو تسمع لهم ذكرا، أفناهم الله مفني الأمم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا، أسلمهم الأحباء والأولياء، وهجرهم الإخوان الأصفياء، ونسيهم الأقرباء والبعداء، لو نطقوا لأنشدوا:

مقيم بالحجون رهين رمس ... وأهلي راحلون بكل واد «١»

كأني لم أكن لهمو حبيبا ... ولا كانوا الأحبة في السواد

فعوجوا بالسلام فإن أبيتم ... فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا: لا فخر فيما يزول، ولا غنى فيما لا يبقى، وهل الدنيا إلا كما **قال بعض الحكماء** المتقدمين: قدر يغلى وكنيف

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٤٩٧

يملى.
وفي هذا المعنى قال الشاعر:
ولقد سألت الدار عن أخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مررت على الكنيف فقال لي ... أموالهم ونوالهم عندي
ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظني، وكان بيده شربة ماء فقال له: يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك، قال:
نعم، قال: يا أمير المؤمنين، لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم، فقال له:
لا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة.
وقال ابن شبرمة: إذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام، وإذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة.
وروي أن أبا العتاهية مر بدكان وراق وإذا بكتاب فيه:
لا ترجع الأنفس عن غيها ... ما لم يكن منها لها زاجر «٢»
فقال: لمن هذا البيت؟ فقيل: لأبي نواس قاله للخليفة هارون الرشيد حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح، فقال: وددت أنه لي بنصف شعري.
وممن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها، إبراهيم أدهم بن منصور، كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ، لما زهد الدنيا زهد في ثمانين سريرا. قال ابن بشار: سألت ابراهيم بن أدهم:
كيف كان بدء أمرك حتى صرت إلى هذا؟ فقال: كان أبي من ملوك خراسان وكان قد حبب إلي الصيد، فبينا أنا راكب فرسي وكلبي معي إذ رأيت ثعلبا أو أرنبا، فحركت فرسي نحوه، فسمعت نداء من ورائي: يا إبراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت، فوقفت أنظر يمنة ويسرة، فلم أر أحدا، فقلت: لعن الله الشيطان. ثم حركت فرسي، فسمعت نداء أعلى من الأول: يا إبراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت. فوقفت أنظر يمنة ويسرة، فلم أر شيئا، فقلت: لعن الله الشيطان، ثم حركت فرسي، فسمعت النداء من قربوس سرجي: يا إبراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت، فوقفت وقلت: هيهات جاءني النذير من رب العالمين، والله لا عصيت ربي ما عصمني بعد يومي هذا.
فتوجهت إلى أهلي وخلفت فرسي وجئت إلى بعض رعاة أبي، فأخذت جبته وكساءه وألقيت إليه ثيابي، فلم أزل أرض تقلني وأرض تضعني حتى صرت إلى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال، فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال: عليك بالشام، قال: فانصرفت إلى بلد يقال لها المنصورية «٣» ، فعلمت بها أياما، فلم". (١)

٢٤٩-"يصف لي شيء من الحلال، فسألت بعض المشايخ فقال:
إن أردت الحلال، فعليك بطرسوس. فإن المباحات بها والعمل فيها كثير، فانصرفت إليها. قال: فبينا أنا قاعد على باب

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٥١٤

البحر إذ جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانا، فتوجهت معه، فأقمت في البستان أياما كثيرة، فإذا خادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت أن البستان بخادم ما نظرته، فقعد في مجلسه ثم قال: يا ناظورنا، فأجبته.

قال: اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه. فأتيته برمان، فكسر الخادم واحدة، فوجدها حامضة، فقال:

يا ناظورنا أنت منذ كذا وكذا في بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض؟ فقلت: والله ما أكلت من فاكهتكم شيئا، ولا أعرف الحلو من الحامض، قال: فغمز الخادم أصحابه، وقال: ألا تعجبون من هذا، ثم قال لي: لو كنت إبراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة، قال: ثم تحدث الناس بذلك، وجاءوا إلى البستان، فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون، وأنا هارب منهم. وكان يأكل من كسب يده، وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل في الطين، فبينما هو يوما يحرس كرما إذ مر به جندي فقال: أعطنا من هذا العنب، فقال له:

إن صاحبه لم يأذن لي، فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال:

اضرب رأسا طالما عصى الله يا سيدي الجندي، فاستحى الرجل وتركه ومضى.

وروي أن داود عليه الصلاة والسلام بينما هو في الجبال إذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه: أنا دوسم الملك، تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة. وهزمت ألف جيش، وافتضيت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت إلى ما ترى التراب فراشي والحجر وسادي فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني.

وقال وهب بن منبه: خرج عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه، فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك. فقالوا: يا نبي الله إنا جياع فأوحى الله تعالى إليه أن ائذن لهم في قوتهم. فأذن لهم، فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون، فبينما هم كذلك إذ جاء صاحب الزرع يقول:

زرعي وأرضي ورثتها من أبي وجدي، فبإذن من تأكلون يا هؤلاء؟ قال: فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم إلى تلك الساعة، فإذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل، وامرأة يقولون: أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا، ففر الرجل منهم، وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه، فلما عرفه قال: معذرة إليك يا نبي الله لم أعرفك، زرعي ومالي حلال لك، فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال: ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها، ثم ارتحلوا عنها، وأنت مرتحل عنها ولا حق بهم، ليس لك أرض ولا مال «١» .

ولما مات الإسكندر قال أرسطاطاليس: أيها الملك لقد حركتنا بسكوتك، **وقال بعض الحكماء من** أصحابه: لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس. أخذه أبو العتاهية فقال:

كفى حزنا بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز:

نسير إلى الآجال في كل ساعة ... فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حتى كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الرأس شاعل

ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام تعد قلائل

وقال عبد الله بن المعلم: خرجنا من المدينة حجاجا فإذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا، وأقبل على الآخرة، فجمعتني وإياه الطريق، فأنست به وقلت له: هل لك أن تعادلني، فإن معي فضلا من راحلتي، فجزاني خيرا وقال:

لو أردت هذا لكان سهلا، ثم أنس إلي فجعل يحدثني فقال: أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد، فأمرت يوما خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل، فإني لنائم إذا بقمع وردة قد نسيه الخادم، فقمت إليه فأوجعته ضربا، ثم عدت إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة، فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال: أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك، ثم أنشأ يقول:". (١)

٢٥٠-"هذه المدينة؟ فقالوا: سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان. فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت إليها، فإذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد، فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة؟ قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذا المكان هكذا منذ كان.

فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي. فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووراث الأرض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده إليها.

ولبعضهم:

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بها أسائل أهلها ... عن حالها مترحما أو مشفقا

فأجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى وعز الملتقى

ولبعضهم:

أيها الربع الذي قد دثرا ... وكان عينا ثم أضحى أثرا «١»

أين سكانك ماذا فعلوا ... خبرن عنهم سقيت المطرا

فلقد نادى منادي دارهم ... رحلوا واستودعوني عبرا «٢»

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام: أوحى الله إلى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه، يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم.

وقال بعض الحكماء: الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شرابا ازداد عطشا، أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت، أو كحلم النائم يفرح في منامه فإذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٥١٥

ثم يذهب. ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول:

أتبني بناء الخالدين وإنما ... بقاؤك فيها إن عقلت قليل

لقد كان في ظل الأراك كفاية ... لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال، فلم يلبث بعدها إلا قليلا ومات وقال:

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض ... على الماء خانته فروج الأصابع «٣»

ووجد مكتوب على قصر باد أهله:

هذي منازل أقوام عهدتهم ... في خفض عيش نفيس ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله:

وما الناس إلا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال: قبر من هذا؟ فقالوا: قبر خباب بن الأرت، فوقف عليه وقال: رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا، وابتلي في جسمه آخرا ألا وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ثم مشى فإذا هو بقبور، فجاء حتى وقف عليها، وقال:

السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم. طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف، ورضي عن الله تعالى ثم قال: يا أهل القبور أما الأزواج فقد نكحت، وأما الديار فقد سكنت وأما الأموال فقد قسمت وهذا ما عندنا، فما عندكم، ثم التفت إلى أصحابه وقال: أما أنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى، والله سبحانه وتعالى أعلم.". (١)

٢٥١-"ولا أعرف شيئا دعا الناس إلى محبة الشراب إلا ما يعلمه من إنفاق العقل الذي إن ذهب الليلة عاد غدا وقد أوجد ريحا من السرور ينتهز فرصته وتحلو لذته فقد كره أبو الطيب ما أحبه الناس هذا مع فضائل يكثر عددها وتتواتر مددها منها ما يفعله الفرح في الجسم مع زيادة اللحم والدم وقد **قال بعض الحكماء**) الأرواح تحتاج إلى أقواتها من الفرح كما تحتاج الأجسام إلى أقواتها من الطعام ولن يفعل الفرح من الشراب الجزء اليسير إنما يفعله الشراب الكثير (.

وقد قال بعض الظرفاء لآخر: أتشرب النبيذ، قال: القدح والقدحين فقال: ما شربته فتوة ولا تركته مروة ولم يوجد طريق إلى الشرور كالشراب أخصر مسافة ولا أسهل مأخذا من غيره معونة من الدهر لما يحدث للقلب سرورا حتى تتغطى عيوبه وتغفر جنايته وذنوبه ويحسن الظن بالله عز وجل فيتسع بذلك ضنك المكان ويرضى عن الزمان هذا إلى ما يحدثه من السماحة في البخلاء والشجاعة في الجبناء وهذه فضائل لا يبعثها إلا أريحية الشراب ومعاقرة الأحباب عند تغير العقل، فكيف كره إنفاق

(١) المستطرف في كل فن مستطرف ص/٥١٨

العقل أبو الطيب ولولا ما يخاف من الإثم في الشراب بما يحدثه السكر لوجب غفران ذنبه في جنب محاسنه، ولو قال أبو الطيب:) وأنفس ما للفتى ذنبه (لما أعترض كلامه ولا جاز أن ينكر، ولكنه جعل سبب ترك الشراب الخوف من تغير العقل الذي من أجله شربته العقلاء هربا من عدم اللذات واشتعال النفس بالفكر من العواقب والحوادث الممضات فمن بالغ في الرغبة والحرص على الشراب أبو نواس.

فقال:

اسقني حتى تراني ... حسنا عندي القبيح

والقبيح لا يصير حسنا إلا عند التغير بالسكر، وقد قال أبو نواس:

فما الغبن إلا أن تراني صاحيا ... وما الغنم إلا أن يتعتعني السكر

وقال آخر:". (١)

٢٥٢-"قال أبو الطيب قوله: شذاته، أي حده، **وقال بعض الحكماء**: الزم الصمت تعد حكيما كنت أم عليما؛

وقال الهيثم بن الأسود النخعي:

من يستعن بالصمت يوما فإنه ... يقال له لب نهاه أصيل

وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة، على عوراته، لدليل

وكان يقال: الصمت صون اللسان وستر العي. أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب للخطفى بن بدر:

عجبت لإزراء العيي بنفسه، ... وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر للعيي، وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

والعرب تقول: عي صامت خير من عي ناطق. وكان ربيعة الرأي كثير الكلام، فتكلم يوما، وأكثر ثم قال لأعرابي عنده: أتعرف ما العي؟ قال: نعم، ما أنت فيه منذ اليوم. وقال أكثم بن صيفي: حتف الرجل بين لحييه؛ وأنشدني أحمد بن عبيد لأبي محمد اليزيدي:

حتف امرئ لسانه ... في جده، أو لعبه

بين اللها مقتله، ... ركب في مركبه

ورب ذي مزح أمي ... تت نفسه في سببه

ليس الفتى كل الفتى ... إلا الفتى في أدبه

وبعض أخلاق الفتى ... أولى به من نسبه". (٢)

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه ص/٦٧٤

(٢) الموشى = الظرف والظرفاء ص/٩

٢٥٣-"وكان يقال: لسانك عبدك، فإذا تكلمت صرت عبده. **وقال بعض الحكماء**: أنا بالخيار ما لم أتكلم، فإذا تكلمت صار الكلام علي بالخيار. وقال آخر: لساني في حبس بدني ما لم أطلقه على نفسي، فإذا أطلقته صار بدني في حبس لساني. وقال آخر: الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإذا تكلم بها صار في وثاقها. وقال الشعبي: أنا على اتباع ما لم أوقع أقدر مني على رد ما أوقعت. وتكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات، خرجن كلهن بمعنى. فقال كسرى: أنا على قول ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت. وقال قيصر: لا أندم على ما لم أقل، فإنما أندم على ما قلت. وقال ملك الصين: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، ولم أملكها. وقال ملك الهند: عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن حكيت عنه ضرته، وإن لم تذكر لم تنفعه. وقال امرؤ القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه، ... فليس على شيء سواه بخزان

وقالت الفلاسفة: اللسان خادم القلب. وقالت العلماء: اللسان كاتب القلب، إذا أملى عليه شيئا أتى به. وأنشدني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

رأيت لسان المرء راعي نفسه، ... وعاذره إن ليم، أو زل سائره

فمن لزمته حجة من لسانه، ... فقد مات راعيه وأفحم عاذره

ولئن كان السكوت جميلا، لقد جعل الكلام جليلا، ما لم يتعد المتكلم في". (١)

٢٥٤-"يذهب المروءة، ويوغر الصدر.

وقال بعض الشعراء:

مازح أخاك إذا أردت مزاحا، ... وتوق منه المزاح جماحا

فلربما مزح الصديق بمزحة ... كانت لباب عداوة مفتاحا

وقال عمر بن عبد العزيز: امتنعوا من المزاح تسلم لكم الأعراض. قال خلف بن صفوان: المزاح سباب النوكى.

وقال محمود الوراق:

تلقى الفتى أخاه وخدنه ... في لحن منطقه بما لا يغفر

ويقول: كنت ممازحا وملاعبا ... هيهات نارك في الحشا تستسعر

ألهبتها وطفقت تضحك لاهيا، ... عما به، وفؤاده يتفطر

أو ما علمت، ومثل جهلك غالب، ... أن المزاح هو السباب الأصغر؟

وقال بعض الحكماء: الخصومة تمرض القلوب وتثبت فيها النفاق. والمزاح يذهب ببهاء العز.

وحدثني الباغندي قال: حدثنا الحميدي عن سفيان عن ابن المنكدر قال: قالت لي أمي: يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عليهم. وقد كانت أدركت النبي، صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء ص/١٠

وأوصى يعلى بن منبه بنيه فقال: يا بني، إياكم والمزاح فإنه يذهب بالبهاء، ويعقب الندامة، ويزري بالمروءة.". [١]

٢٥٥-"المزور، ويعدم السرور، ويوقع البدل، ويبدي الملل. وقد شرحنا في ذلك بابا، فاعرفه وقف عليه، إن شاء الله تعالى.

الأمر بإغباب زيارة الأحباب

والنهي عن مداومة غشيان الأصحاب

روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: زر غبا تزدد حبا. **وقال بعض الحكماء**: من كثرت زيارته قلت بشاشته.

وقال آخر: من أدمن زيارة الأصدقاء عدم الاحتشاد عند اللقاء. وقال آخر:

أقلل زيارتك الصدي ... ق تكون كالثوب استجده

إن الصديق يمله ... أن لا يزال يراك عنده

وقال آخر:

عليك بإقلال الزيارة إنها ... تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا

فإني رأيت القطر يسأم دائبا، ... ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

وأنشدت لأبي تمام حبيب بن أوس:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه، فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وأنشدني لإبراهيم بن المهدي:

إني كثرت عليه في زيارته، ... والشيء مستثقل جدا إذا كثرا

ورابني منه أني لا أزال أرى ... في طرفه قصرا عني إذا نظرا

وقال عمر بن أبي ربيعة:". [٢]

٢٥٦-"فقال له: لله أبوك أحسنت، خذ بيدها فهي لك! وأمر له بألف درهم.

واعلم أن كل ما رسمناه في هذه الأبواب، وذكرناه، وشرطناه على الأدباء، ووجدناه داخلا في باب حدود الأدب، على ما أصبناه، غير خارج منه، ولا منفصل عنه، وأن يكون الأديب عاقلا واللبيب كاملا، حتى تكون له مودة قد قرنها بأدبه، وثابر عليها في طلبه، فإذا جمع ذلك رهب منه الأعداء، ورغب فيه الأولياء. وسنذكر من أنشأته المروة، فيكون فيه بلاغ وهداية، إن شاء الله تعالى.

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء ص/١٤

(٢) الموشى = الظرف والظرفاء ص/٣٤

شرائع المروة وصفتها

اعلم أن المروة هي عماد الأدباء، وعتاد العقلاء، يرئس بها صاحبها، ويشرف بها كاسبها، ولا شيء أزين بالمرء من المروة، فهي رأس الظرف والفتوة. وقد **قال بعض الحكماء**: الأدب يحتاج معه إلى المروة والمروة لا يحتاج معها إلى الأدب. وربما رأيت ذا المروة الخامل، وذا السخاء الجاهل، قد غطت مروته على عيوبه، وستره سخاؤه من معيبه. وأهل المروءات محسودة أفعالهم، متبعة أحوالهم. وقل ما رأيت حاسدا على أدب، وراغبا في أرب. من ذلك ما حكي عن محمد بن حرب أنه قال: كنت على شرطة جعفر بالمدينة، فأتيت بأعرابي من بني أسد يستعدى عليه، فرأيت رجلا له بيان يحتمل الصنيعة، فرغبت في اتخاذها عنده فتخلصته ثم لم يلبث أن رد". (١)

٢٥٧-"ويقال: إذا وعدت الرجل نائلا ثم مطلته به، فقد أوفاك ثمن معروفك عنده. وأنشدونا لدعبل بن علي الخزاعي:

إياك والمطل أن تفارقه، ... فإنه آفة لكل يد

إذا مطلت امرأ بحاجته، ... فامض على مطله ولا تجد

فلست تلقاه شاكرا ليد، ... قد كدها المطل، آخر الأبد

وللفقيمي أيضا في مثله:

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها، ... ولا تجود يد إلا بما تجد

فلا تعد عدة إلا وفيت بها، ... ولا تكونن مخلافا لما تعد

ولدعبل أيضا في مثله:

وأرى النوال يزينه تعجيله، ... والمطل آفة نائل الوهاب

وكان يقال: بذل جاه السائل ثمن معروف المساءل. وقال أكثم بن صيفي: السؤال وإن قل ثمن لكل معروف وإن جل.

أنشدني محمد بن إبراهيم الهمداني لعلي بن ثابت الكاتب:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... بذلا، ولو نال الغنى بسؤال

وإذا السؤال مع النوال وزنته، ... رجح السؤال، وخف كل نوال

وقال بعض الحكماء: أحي معروفك بإماتة ذكره، وعظمه بتصغيرك له. أنشدني أبو العباس ثعلب لأبي يعقوب الخريمي:

زاد معروفك عندي عظما، ... أنه عندك مستور حقير

وتناساه كأن لم تأته، ... وهو عند الناس مشهور كبير". (٢)

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء ص/٣٧

(٢) الموشى = الظرف والظرفاء ص/٤٥

٢٥٨-"التي عهد عليها واظهر الصباغ ما صبغه على غير الذي عهد قبل، التبس الأمر في المصوغ وفي المصبوغ.. " (١) .

صورة العلاقة بين اللفظ والمعنى

وقد يقف النقد المعاصر موقف المخالفة الصريحة والمباينة التامة لرأي ابن طباطبا هذا، ولكنه لابد ان يكبر فيه – من هذه الناحية – شيئين: أولهما هذا التصور الذي لا يختل أبدا لصورة القصيدة في نفسه، وثانيهما هذا الإلحاح الشديد على نوع من الوحدة لا نجده كثيرا عند غيره من النقاد. وحين قلنا إنها وحدة لا تنبعث فيها حركة من نمو كنا نشير إلى هذا المجاز " المعدني " أو " الصباغي " الذي قد استولى على خياله، حتى اضعف لديه صورة مجاز آخر قائم على الحياة النابضة. وذلك هو تصوره للعلاقة بين المعنى واللفظ في القصيدة على نحو العلاقة بين الروح والجسد، وهو ينسب هذا الرأي لبعض الحكماء: " والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه كما **قال بعض الحكماء**: الكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه " (٢) وذلك تصور يجعل الصلة بين اللفظ والمعنى عند ابن طباطبا أوضح مما رسمه ابن قتيبة، على أنه ربما لم يقتصر في العلاقة بينهما على الوجوه الأربعة التي عدها القتبي، لأنه لا يريد ان يلتزم بقسمة منطقية. فهناك أشعار مستوفاة المعاني سلسلة الألفاظ، وأشعار غثة الألفاظ باردة المعنى، وأشعار حسنة الألفاظ واهية تحصيلا ومعنى، وأشعار صحيحة المعنى رثة الصياغة، وأشعار بارعة المعنى قد أبرزت في أحسن معرض وأبهى كسوة وارق لفظ، وأشعار مستكرهة الألفاظ قلقة القوافي رديئة النسج (دون إشارة ما تتضمنه من المعاني) ، مما يشير إلى أن ابن طباطبا يصدر في حديثه عن مستويات مختلفة، وعن تذوق خالص لا علاقة له بالتقسيم المنطقي.

---

(١) عيار الشعر: ٧٨.

(٢) نفسه: ١١، ١٢١.". [1]

٢٥٩-"عبد الله السلامي المخزومي أشعر شعراء أهل العراق بعد ابن نباتة السعدي. وأمير شعره، وغرة كلامه قوله من تشبيب قصيدة له في ابن عباد: ونحن أولاك نطلب من بعيد ... لعزتنا، وندرك من قريب تجرأنا على الآثام لما ... رأينا العفو من ثمر الذنوب قال: وكان ابن عباد يقول إذا أنشد هذا البيت الأخير: هذا المعنى كان يدور في خواطر الناس، فيحومون حوله، ويرفرفون عليه، ولا يتوصلون إليه، حتى جاء السلامي فأفصح عنه، وأحسن ما شاء، ولم يدر ما رمى به.

تحسين الفقر

كان يقال: الفقر شعار الأنبياء والصالحين، وكذلك قال البحتري: فقر كفقر الأنبياء وغربة ... وصبابة، ليس البلاء بواحد **وقال بعض الحكماء**: الفقير مخف آمن ولا عدو له، والغني مثقل خائف ولا تحصى أعداؤه. ومن أحسن ما قيل في هذا

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص/١٤٠

الباب قول أبي العتاهية: ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى ... وأن الغنى يخشى عليه من الفقر". (١)

٢٦٠-"تقبيح الولد

قال أكثم بن صيفي: من سره بنوه ساءته نفسه. وقال يحيى بن خالد: ما أحد رأى في ولده ما يحب، إلا رأى في نفسه ما يكره. وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومي: كم من سرور لي ... بمولود أؤمله لغد وبأن يهدني الزما ... ن، رأيت منته أشد ومن العجائب أن أسر بمن يسر بأن أهد وقلت في كتاب المبهج: إذا ترعرع الولد تزعزع الوالد. وقال ابن المعتز في فصوله القصار: أفقرك الولد وعاداك. وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام: هل لك في الولد، فقال: ما حاجتي إلى من عاش كدني، وإن مات هدني. وقيل لبعض النساك: ما لك لا تبغي ما كتب الله لك. فقال: سمعا لأمر الله سبحانه، ولا مرحبا بمن إن عاش فتنني، وإن مات أحزنني. يريد قوله سبحانه وتعالى: " إنما أموالكم وأولادكم فتنة ". **وقال بعض الحكماء في** ذم الأولاد: ملوك صغارا، وأعداء كبارا. يريد قوله تعالى: " إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ". وقال لي أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي: إنما صار ولد الولد أحب إلى الرجل من ولده لصلبه لأن الولد عدوه كما قال الله عز وجل: " إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم "، وولد الولد عدو العدو، وعدو عدوك صديقك في أغلب الحالات. وفي الحديث المرفوع: الولد مبخلة، مجبنة، مجهلة. وكان يقال: من أراد أن يذوق الحلاوة والمرارة في شيء واحد فليتخذ ولدا.". (٢)

٢٦١-"لما قدم سيف بن ذي يزن الحميري على كسرى أجلسه معه ثم دعا بالشراب، فسقاه كأسا، فأخذها فصبها على رأسه، فأنكر كسرى ذلك، فقال: أيها الملك، إني نذرت ألا أشرب شرابا حتى أدرك بثأري، ولم أر موضعا مني اكرم علي من رأسي.

(١٠) وأنشد الأصمعي:

رويدك يا قمري لست بمضمر ... من الشوق إلا دون ما أنا مضمر

ليكفك ان القلب مذ ان تنكرت ... أسيماء عن معروفه متنكر

سقى الله أياما خلت ولياليا ... فلم يبق إلا عهدها المتذكر

لئن كانت الدنيا أغبت إساءة ... لما أحسنت في سالف الدهر أكثر

(١١) وعن الأصمعي قال: **قال بعض الحكماء**: اصطناع المعروف في الدنيا يقي مصارع السوء.

(١٢) قال: وكان عبد الملك بن مروان يقول: لأن أخطئ وقد استشرت أحب إلى من أن أصيب برأي، وقد وثقت برأيي

---

(١) تحسين القبيح وتقبيح الحسن ص/٢٤

(٢) تحسين القبيح وتقبيح الحسن ص/٦٤

وقد اصبت من غير مشورة، فإن الممضي رأيه يزري". (١)

٢٦٢-"(١٧٤) أنشدنا عبد الرحمن، عن عمه لاعرأبية مات ابنها:

قل للمنايا اذ فجعن به ... ما بعد من افقدت مفتقد

لا عاش بعد معجل احد ... لا والد ولا ولد

فاليوم ليس لحادث جزع ... عندي ولا للمفرحات يد

(١٧٥) اخبرنا عبد الرحمن عن عمه، قال: اخبرني رجل من قريش قال: قال بعض الحكماء: اطلب الرزق من حيث كفل لك به، ولا تطلبه من طالب مثلك، لا ضمان عليه لك، ان وعدك اخلفك، وان ضمن لك خاس بك.

(١٧٦) عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن يونس، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: قدم اعرأبي المدينة فصلى الجمعة، فسمع الخطبة فأعجبه ما سمع، فلما صلى نظر إلى قوم يدخلون إلى دار عامل المدينة، فدخل معهم، فأتى بالطعام، فرأى الوانا لم تشبه ما تكلم به الخطيب، فقال:

لقد رابني من اهل يثرب انهم ... يهمهم تقويمنا وهم عصل

العصل: اعوجاج الباب، ويقال للرجل المعوج الساق اعصل.". (٢)

٢٦٣-"٢٤ - (سبيل الله) قال الله تعالى ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دم في سبيله أو قطرة دمع في جوف الليل من خشيته)

٢٥ - (باب الله) قلت في كتابي المبهج سبحان من بابه غير مرتج لمرتج وقال على بن الجهم

(وأفنيه الملوك محجبات ... وباب الله مبذول الفناء)

٢٦ - (نور الله) قال النبي صلى الله عليه وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)

٢٧ - (حراس الله) عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن لله تعالى حراسا في السماء وفى الأرض فحراسه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الديوان)

٢٨ - (أمان الله) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا تطرقوا الطير في أوكارها فإن الليل أمان الله)

وفى بعض الأخبار أنه نهى عن البيات وقال (الليل أمان الله عز وجل)

٢٩ - (ميزان الله) قال بعض الحكماء العدل ميزان الله فلذلك هو مبرأ من كل ميل وزيل". (٣)

---

(١) تعليق من أمالي ابن دريد ص/٧٨

(٢) تعليق من أمالي ابن دريد ص/١٧٢

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٣٤

٢٦٤-"(رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطانى من الشعر راقيا)

وأما قول الشاعر

(ماذا يضر سليمى أن يلم بها ... مرجل الرأس ذو بردين وضاح)

(خز عمامته حلو فكاهته ... فى كفه من رقى إبليس مفتاح)

فإنه عنى ب رقى إبليس كلمات التغزل والخلابة والتجميش وما يجرى مجراها فى معاشرة النساء

١٠٠ - (مكيال الشيطان) **قال بعض الحكماء** العدل ميزان البارىء والجور مكيال الشيطان كأنه أراد ما يجرى فى الكيل من المجازفة عند الأخذ ومن التطفيف لدى الأداء فنسب ذلك إلى الشيطان

١٠ - (ظل الشيطان) العرب تقول للمتكبر الضخم ظل الشيطان قال الحجاج لمحمد بن سعد بن أبى وقاص بينا أنت ياظل الشيطان أشد الناس كبرا إذ صرت مؤذنا لفلان

١٠ - (لطيم الشيطان) يقال لمن به لقوة أوشتر يالطيم الشيطان وكان عمرو بن سعيد بن العاص يلقب بذلك ولما بلغ عبد الله بن الزبير خبر فتك عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد قال فى خطبته بلغنا أن أبا الذبان قتل لطيم الشيطان ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾ وكان عبد الملك يكنى أبا الذبان لشدة بخره وموت الذبان إذا دنت من فمه". [1]

٢٦٥-"ولا قول أبي تمام

(لنا أيام لم تدم الليالى ... بذكر البين عرنين الصفاء)

بل يعجبنى قول أبى الحسن الموسوى النقيب فى الطائع

(ملك سماحتى تحلق فى العلا ... وأذل عرنين الزمان السامى)

٤٩٨ - (فم الفتنة) **قال بعض الحكماء** من سد فم الفتنة كفى شرها ومن أضرم نارها صار طعاما لها

وفى الكتاب المبهج إذا كانت البلدة شاغرة كانت أفواه الفتن فاغرة واستعارات الفم أكثر من أن تحصى

ووصف أعرابى قوما فقال كانوا إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام وإذا تصافحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهها

وقال بعض شعراء الرشيد يرثيه

(ياسا كنا جدثا فى غير منزله ... ويافريسة دهر غير مفروس)

(لا يوم أولى بتخريق الجيوب ولا ... لطم الخدود ولا جدع المعاطيس)

(من يوم طوس الذى نادت بمصرعه ... على المنابر أفواه القراطيس)

وقال ابن المعتز

(حلوت بأفواه النوائب بعده ... فما تشبع الأيام والدهر من أكلى)

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٧٥

وقال أيضا

(وألسنة من العذبات حمر ... تخاطبنا بأفواه الرماح)

(فجادت ليلها سحا وهطلا ... وتسكابا كأفواه الجراح)". [١]

٢٦٦-"وكان يقال لأبن العميد لسان المشرق

ولابن المعتز من رسالة يعز على أن يكثر دون تلاقينا عدد الأيام وتعبر عن ضمائرنا السن الأقلام

وللصاحب وقفت الشمس للغبار وشافه الليل لسان النهار ولأبى نصر العتبى لسان التقصير قصير

وقال بعض الشعراء فى وصف الميزان

(ولقد نظرت إلى حكومة حاكم ... بلسانه يقضى ولا يتكلم)

وقال آخر

(لسان الدمع أفصح من لسانى ... فلا تسأل سواه بعلم شانى)

وقال آخر فى وصف شمعة

(إذا غازلتها الصبا حركت ... لسان من الذهب الأملس)

وقال السرى فى وصف ليلة باردة

(وقد سفر البرق عن شدة ... لسان السماء بها ناطق)

وقال بعضهم فى وصف الفقاع

(شيخ يسيل له لسان طارد ... بالبرد حر حماره المتوهج)

٥٠٠ - (جرح اللسان) قال امرؤ القيس

(وجرح اللسان كجرح اليد)

وقال بعض الحكماء جرح اليد يجبر وجرح اللسان لا يبقى ولا يذر". [٢]

٢٦٧-"وفيها إن الثعالب لا تجسر على أخياس الأسود والأرانب لا تحوم حول عيال الأسود

٥٩٥ - (زأر الأسد) يضرب مثلا لوعيد السلطان وهو قول النابغة للنعمان

(نبئت أن أبا قابوس يوعدنى ... ولا قرار على زأر من الأسد)

٥٩٦ - (خاصى الأسد) يضرب مثلا لمن يقدم على الأمر العظيم ويمد يده إلى الرجل الكبير فيقال أجرأ من خاصى الأسد

وهكذا قال محمد بن حبيب وعن أبي عمرو أجرأ من خاصى الأسد وهو الذى يقول للأسد اخسأ من قوله تعالى ﴿اخسؤوا

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٣٣١

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٣٣٣

فيها ولا تكلمون﴾

٥٩٧ – (راكب الأسد) يضرب مثلا لمن يهاب قال بعض الحكماء صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب

٥٩٨ – (داء الأسد) هى الحمى لأنها كثيرا ما تغزو الأسد حتى إنه قلما يخلو منها ساعة قال أبو تمام

(فإن يك قد نالتك أطراف وعكة ... فلا عجب أن يوعك الأسد الورد)

وكتبت إلى عمر بن على المطوعى رقعة فيها انصرفت البارحة بقلب مهموم وجسم محموم فما الظن بعلة الحسد فإن منها علة الجسد وداء الذئب خالطه داء الأسد

وهذا سجع تطفل على من غير بدون قصد وقد كفانى الله داء الذئب وسيكفيني داء الأسد". (١)

٢٦٨–"كل سنة أربعمائة وعشرون ألف دينار ومن خراج أجناد الشام ثلاثون ألف تفاحة

٨٧ – (زجاج الشام) يضرب به المثل فى الرقة والصفاء قال بعض الحكماء ارفق بالعدو كما يرفق بزجاج الشام إلى أن تجد الفرصة فإما أن يضربه الحجر فيقضه وإما أن تضر به بالحجر فترضه

٨٧٣ – (زيت الشام) يضرب به المثل فى الجودة والنظافة وإنما قيل له الزيت الركابى لأنه كان يحمل على الإبل من الشام وهى أكثر بلاد الله زيتونا وفيه ما فيه من البركة والمنفعة قال الأصمعى حدثنى شيخان من أهل البصرة أحدهما هارون الأعور أن قتيبة بن مسلم قال أرسلنى أبى إلى هزار بن القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال قل له أرسلنى إليك أبى فى أنه قد صارت فى قومك دماء وجراح وأحبوا أن تحضر الجامع فيمن يحضر قال فأبلغته الرسالة فقال يا جارية غنينا فجاءت بأرغفة خشن فثردهن فى تمر ممروس وماء ثم صب عليها زيتا وعرض على الغداء معه فتذكرت ما فى منزلى مما أعد لنا من الدجاج فقلت مالى حاجة بهذا وصغر فى عينى وأنا يومئذ حدث قال فأكل ثم قال يا جارية اسقينى فجاءت بماء فشرب ومسح بفضله وجهه ثم قال الحمد لله حنطة الأهواز وماء الفرات وزيت هجر وتمر الشام ومتى نؤدى شكر هذه النعمة ثم قال على بردائى فارتدى وانتعل ثم أتى المسجد فصلى ركعتين ثم اجتبى فما بقيت حلقة إلا تقوضت إليه واختصموا فتحمل جميع ما كان عليهم وانصرف وتفرق الناس". (٢)

٢٦٩–"وفى الكتاب المبهج إقبال الدنيا كإلمامة طيف أو زيارة ضيف أو سحابة صيف

١١٠٥ – (مر السحاب) يتمثل به فى السرعة قال بعض الحكماء الفرص تمر مر السحاب قال الشاعر

(الدهر أقصر مدة ... من أن يمحق بالعتاب)

(فتغنم الساعات منه ... فمرها مر السحاب)

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٣٨٣

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٥٣٢

وقد شبه به الأعشى مشى المرأة حيث قال

(كأن مشيتها من بيت جارتها ... مر السحابة لا ريث ولا عجل)

١١٠٦ - (ظل الغمام) يضرب مثلا لما لا يدوم بل يسرع انقضاؤه قال كثير

(وإنى وتهيامى بعزة بعد ما ... تخليت عما بيننا وتخلت)

(لكا لمرتجى ظل الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت)

وقال ابن المعتز

(إلا إنما الدنيا كظل غمامة ... إذا ما رجاها المستظل اضمحلت)

(فلا تك مفراحا إذا هى أقبلت ... ولا تك مجزاعا إذا هى ولت)

١١٠٧ - (برق خلب) يقال له برق خلب وبرق خلب قال الشاعر". [1]

٢٧٠-"(ويكتم أسرار إخوانه ... ولكن ينم بسر الملك)

١١٧٦ - (سوط عذاب) من استعارات القرآن قول الله تعالى ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ اقتبس منه كشاجم فقال

(يا رحمة الله التى قد أصبحت ... دون الأنام على سوط عذاب)

١١٧٧ - (سلم الشرف) **قال بعض الحكماء** التواضع سلم الشرف وقال آخر التواضع من مصايد الشرف

١١٧٨ - (سوس المال) قال بعضهم العيال سوس المال ومن أبلغ ما قيل فى التمثل بالسوس قول خالد بن صفوان وبالله لثلاثون فى مالى أسرع من السوس فى الصوف فى الصيف

وقال أبو نصر العتبى فى فصوله القصار للهم فى وخز النفوس أثر السوس فى خز السوس

١١٧٩ - (سفاتج الأحزان) قال بعض الأدباء كتب الوكلاء سفاتج الأحزان فنظمه من قال

(طلب الثناء مجاهدا ليعزه ... فغدا بدار مذلة وهوان)

(ورأى رقاع وكيله فزهى بها ... فإذا الرقاع سفاتج الأحزان)

وفى الكتاب المبهج الضياع مدارج الغموم وكتب وكلائها سفاتج الهموم". [2]

٢٧١-"(لا دقة الخصر الرقيق غذتهم ... وتباعدوا عن فطنة الأعراب)

١٢٠ - (فتح الفتوح) فتح مكة يسمى فتح الفتوح ويشبه به كل فتح جليل القدر كما قال أبو تمام فى فتح عمورية

(فتح الفتوح تعالى أن يحيط به ... نظم من الشعر أو نظم من الخطب)

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٦٥٤

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٦٧٩

(فتح تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض فى أثوابها القشب)

١٢٠٣ - (قبور الأحياء) يروى أن يوسف عليه السلام كتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء

١٢٠٤ - (قبلة الحمى) هى ما يثور بشفة المحموم من البثور وتسميها أهل اللغة العقابيل قال الشاعر

(يا ليت حماك بى أو كنت حماك ... إنى أغار عليها حين تغشاكا)

(حماك حاسدة حماك عاشقة ... لو لم تكن هكذا ما قبلت فاكا)

١٢٠٥ - (قمع الفؤاد) قال بعض الحكماء الأذن قمع الفؤاد

ومن فصل للصاحب زوج بنات صدرك من بنى علمى وأفرغ صوب عقلك فى قمع أذنى

١٢٠٦ - (قرن الكركدن) الكركدن حيوان لا يكون". (١)

٢٧٢-"اخرج بالعفو عنك أو لأدخلن العقوبة عليك والله لئن أدع قيسا لتملأ الفضاء خيلا ورجلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ثم فتح الباب فخرج كلب فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانا حربا

١٢١٤ - (لزوم الدبق) وصف الحسين الجمل البصرى ابن الخراسانى فقال يلزم لزوم الدبق إلى أن يأخذ شيئا ثم ينسل انسلال الزئبق

١٢١٥ - (لذة الخلسة) قال الجاحظ قيل لرجل يعشق قينة لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها فقال كيف لى إذ ذاك بلذة الخلسة ونيل المسارقة وانتظار الوعد على الرقبة وإيقاع الكشح على مولاها

١٢١٦ - (مجالس الكرام) كان ابو مسلم الخولانى يكثر الجلوس فى المساجد ويقول المساجد مجالس الكر ام

١٢١٧ - (ميزان القوم) كانت العرب تقول السفر ميزان القوم كأنه يزنهم بأوزانهم ويفصح عن مقاديرهم فى الكرم واللؤم قال الشاعر

(ولا تكن كلئام أظهروا ضجرا ... إن اللئام إذا ما سافروا ضجروا)

١٢١٨ - (مصباح السرور) فى الكتاب المبهج الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور

١٢١٩ - (مفتاح النجاح) قال بعض الحكماء مفتاح النجاح الصبر على طول مدته". (٢)

٢٧٣-"قال الزجاج قوله فهن بضم الهاء خطأ إنما هو فهن بكسر الهاء قال وهن بالضم من الهوان وليس له ها هنا موضع وليس كما قال إنما هو من الهون وهو الرفق واللين وفي القرآن ﴿على الارض هونا﴾

٤٢ - قولهم إذا لم تغلب فاخلب

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٦٨٥

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص/٦٨٨

معناه إذا لم تدرك الحاجة بالغلبة والاستعلاء فاطلبها بالرفق والمداراة وأصل الخلابة الخداع ومنه قيل برق خلب إذا ومض من غير مطر كأنه يخدع الشائم وبه سميت المرأة خلوبا

وله وجه آخر وهو أنه يريد إذا لم تغلب عدوك بجلدك وقوتك فاخدعه وامكر به فإن المماكرة في الحرب أبلغ من المكاثرة والجلد وهو على حسب قول النبي صلى الله عليه وسلم (الحرب خدعة) أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا ابن أخي أبي زرعة قال حدثنا عمر قال حدثنا الحوضي قال حدثنا الحسن بن أبي جعفر قال حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قلما أراد سفرا أو غزوا إلا ورى بغيره وكان يقول (الحرب خدعة) أو (خدعة) والوجه (الخدعة) بالفتح

وقال بعض الحكماء نفاذ الرأي في الحرب أنفع من الطعن والضرب". (١)

٢٧٤-"فيكسبها المنفعة في ثواب الصبر وحسن الأحدوثة في ملك النفس

وقال بعض الحكماء المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان وإن شرا من المصيبة سوء الخلف عليها يعني الجزع وقال غيره

(وهل جزع يجدي علي فأجزع ...)

وقال آخر

(صبرنا لها حتى تبوخ وإنما ... تفرج أيام الكريهة بالصبر)

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله قال عم ابى الصبر شرية تثمر أرية والأرية العسل والشرية الحنظل

وقال آخر الصبر مطية لا تكبو وإن عنف عليه الزمان

وفي هذا المعنى قيل

(أرى الصبر محمودا عنه مذاهب ... فكيف إذاما لم يكن عنه مذهب)

(هو المهرب المنجي لمن أحدقت به ... نوائب دهر ليس عنهن مهرب)

وقيل

(فالوا صبرت وما صبرت جلادة ... لكن لقلة حيلتي أتصبر)

(لا تنهني عنهم فتغريني بهم ... فلربما ينهى العذول فيأمر)". (٢)

٢٧٥-"والفرس تقول من فعل الشر فقد أقام الكفيل يعنون أنه أقام كفيلا بنفسه أي ليس يفوت الجزاء

وقال بعض الحكماء الغالب بالشر مغلوب ومن أمثالهم في الخير والشر قول الشاعر

(الخير لا يأتيك متصلا ... والشر يبدر سيله مطره)

---

(١) جمهرة الأمثال ٦٦/١

(٢) جمهرة الأمثال ٣٥٣/١

وقولهم

(الخير والشر مقرونان في قرن ... بكل ذلك يأتيك الجديدان)

وقول الآخر

(وللخير وللشر ... بكف الله ميزان)

٩٩٧ - قولهم شغلت شعابي جدواي

يقول إن شغلي بأمري يمنعني عن الإفضال على الناس

والشعاب النواحي هاهنا الواحد شعب معناه ليس يفضل عني شيء أصرفه إلى غيري ومثل هذا المثل قولهم

(شغل الحلي أهله أن يعارا ...)

وهو من أبيات أنشدناها أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب

(حي طيفا من الأحبة زارا ... بعد ما صرع الكرى السمارا)

(مفشيا للسلام تحت دجى الليل ... ضنينا بأن يزور نهارا)

(قلت ما بالنا جفينا وكنا ... قبل ذاك الأسماع والأبصارا)

(قال إنا كما عهدت ولكن ... شغل الحلي أهله ان يعارا)". [١]

٢٧٦-"١٤١٧ - قولهم كل امرئ في بيته صبي

يضرب مثلا لحسن عشرة الرجل لأهله وقال معاوية إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام وفي الحديث (خيركم خيركم لأهله)

وقال بعض الحكماء لا ترج المعروف عند من لا يصطنع إلى أقاربه واللئيم من يحتاج أهله إلى غيره

١٤١٨ - قولهم كانت وقرة في حجر

يضرب مثلا في حسن احتمال المصيبة والوقرة الهزمة تكون في الحجر ومعناه أن المصيبة لم تهدمه ولم تهده كالهزمة في الحجر لا تذهب بقوته الهزمة حفر يكون في الحجر وغيره

ومن عجيب ما جاء في الصبر عند المصيبة أن رجلا دفن ثلاثة من ولده في يوم واحد ثم احتبى في نادى قومه وتحدث وكأن لم يفقد أحدا

فلاموه فقال ليسوا في الموت ببديع ولا أنا في المصيبة بأوحد ولا جدوى للجزع فعلام تلومونني

١٤١٩ - قولهم كل لائم مليم

يقول إن كل من أتى أمرا حسنا فلسبب دعاه إليه أو قبيحا فلعذر له فيه فلائمه إذا كان كذلك مليم والمليم المذنب الذى

---

(١) جمهرة الأمثال ٥٤٣/١

أتى ما يلام عليه". (١)

٢٧٧-"٦- وصية لبعض الحكماء:

وقال بعض الحكماء:

"لا يكونن منكم المحدث ولا ينصت له، والداخل في سر اثنين لم يدخلاه، ولا آتي الدعوة لم يدع إليها، ولا الجالس المجلس لا يستحقه، ولا الطالب الفضل من أيدي اللئام، ولا المتعرض للخير من عند عدوه، ولا المتحمق في الدالة١".

"البيان والتبيين ٢: ٥٨".

---

١ الدالة: ما تدل به على حميمك.". (٢)

٢٧٨-"٧- وصية أخرى:

وقال بعض الحكماء:

"وإياك والعجلة، فإن العرب كانت تكنيها: أم الندامة؛ لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة، واعتزل السلامة".

"زهر الآداب ٣: ١٩٧".". (٣)

٢٧٩-"١١- كلمات شتى لبعض الحكماء:

عن الأصمعي قال: **قال بعض الحكماء:**

"من كانت فيه سبع خصال لم يعدم سبعا: من كان جوادا لم يعدم الشرف، ومن كان ذا وفاء لم يعدم المقة، ومن كان صدوقا لم يعدم القبول، ومن كان شكورا لم يعدم الزيادة، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد، ومن كان منصفا لم يعدم العافية، ومن كان متواضعا لم يعدم الكرامة".

"الأمالي ٢: ٣٩".

وقيل لبعض الحكماء: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان، ويجدد الآمال، يقرب الآجال، قيل له: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به نصب، ومن فاته حزن، قيل: فأي الأصحاب أبر؟ قال: العمل الصالح، قيل: فأيهم أضر؟ قال: النفس والهوى،

---

(١) جمهرة الأمثال ١٤٥/٢

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ٢٣٢/٣

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ٢٣٢/٣

قيل: ففيم المخرج، قال: في قطع الراحة وبذل المجهود
"الأمالي ٢: ٥٩"." (١)

٢٨٠-"الإسكندرية فعقل بها، ولم يزل بها إلى أن استقرطظ «١» في المملكة، فأرسل في إطلاقه وأذن له في المجيء إلى القاهرة فاختار الإقامة في الاسكندرية، لأنها لاقت بحاله، واستطابها وحصل له بها مال جزيل، من التجارة فاستمر إلى أن مات فيها شهيدا بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

فصل: فيما يجب على من يصحب الخلفاء الراشدين، وأمراء المؤمنين، والملوك والسلاطين.

قال الشعبي: قال لي عبد الله بن عباس، قال لي العباس: اي بني إني أرى هذا الرجل، يعني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، يقدمك على كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني أوصيك بكلمات أربع لا تفشين لهم سرا، ولا تحدثنهم كذبا، ولا تطرين عندهم نصيحة، ولا تغتابن لديهم أحدا. قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدة منهن خير من ألف، قال: إي والله، ومن عشرة آلاف. **قال بعض الحكماء**: إذا زادك السلطان إكراما، فزده إعظاما وإذا جعلك ولدا فاجعله سيدا، وإذا جعلك أخا فاجعله والدا، ولا تديمن النظر إليه، ولا تكاسر من الدعاء له، ولا تتغير منه إذا سخط، ولا تغتر به إذا رضي ولا تلح في مسألته وقد قيل في المعنى:

قرب الملوك يا أخا البدر السني ... حظ جزيل بين شدقي ضيغم

قال الفضل بن الربيع «٢» : من كلم الملوك في حاجة في غير وقتها، جهل مقامه وضاع كلامه، وما أشبه ذلك إلا بأوقات الصلاة، التي لا تقبل إلا في وقتها. قال خالد بن صفوان «٣» : من صحب السلطان بالنصيحة والأمانة، كان أكبر عدو له، ممن صحبه بالفسق والخيانة، لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه، بالعداوة والحسد، فعدو السلطان يبغضه لنصيحته، وصديقه ينافسه في مرتبته. قال أفلاطون «٤» الحكيم: إذا خدمت ملكا، فلا تطعه في معصية ربك، فإن إحسانه إليك أفضل من إحسانه إليك، وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه بك. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من تواضع لغني لأجل غناه، ذهب ثلثا دينه» . رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود وأنس بلفظ: «من أصبح حزينا على الدنيا، أصبح ساخطا على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبته فإنما يشكو ربه، ومن دخل لغني فتضعضع له، ذهب ثلث دينه» .

وأخرج الديلمي، من حديث أبي ذر: «لعن الله فقيرا يتواضع لغني من أجل ماله. من فعل ذلك فقد ذهب ثلثا دينه» .

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه» .

وروى «٥» أحمد عن بعض الصحابة مرفوعا «إنك لا تدع شيئا اتقاء الله إلا أعطاك الله خيرا منه» ." (٢)

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ٣/٢٣٤

(٢) حياة الحيوان الكبرى ١/١٤٧

٢٨١-"وقال افلاطون الحكيم: من لم يعتبر بالتجارب، أوقعه الله في المهالك. وقال: كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الأيام عظة. وقال: الملك كالنهر الأعظم تستمد منه الأنهار الصغار، فإن كان عذبا عذبت، وإن كان مالحا ملحت. وسئل عن الرجل العاقل فقال: من اجتمعت فيه خصال الأدب، ولا يقهره الغضب، لأن العقل أصله التثبت في الأمور، وثمرته السلامة. وقال:

السلطان كالسوق ما راج فيه حمل إليه، وصاحب الملك كراكب الأسد تهابه الناس، وهو لمركوبه أهيب. وقال: من عرف ما يطلب، هان عليه ما يبذل. ومن أطلق بصره، طال أسفه، ومن طال أمله ساء عمله. ومن أطلق لسانه، قيد نفسه. ومن أصلح فاسده أرغم حاسده. ومن قاسى الأمور، فهم المستور. ومن أحب المكارم اجتنب المحارم. ومن حسنت به الظنون، رمقته الرجال بالعيون. وقال الأدب ينوب عن الحسب. العفو يفسد اللئيم، بقدر ما يصلح الكريم. من شاور ذوي الألباب، دل على الصواب. من أمل إنسانا هابه، ومن قصر عن شيء عابه. من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر عنها ظلم. ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم. من فرط في الأمانة ضدها عمل. من عرض نفسه لما قصر عنه فعله، فقد نقص في عين غيره. من جاد ساد، ومن ساد قاد، ومن قاد بلغ المراد. ظلم الأيامى واليتامى مفتاح العقر. لا يصلح للصدر إلا من يكون واسع الصدر. ما تاه إلا وضيع، ولا فاخر إلا لقيط، ولا تعصب إلا بخيل، ولا أنصف إلا كريم. الحاجة إلى الأخ المعين، كالحاجة إلى الماء المعين. الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا لوطف. أقرب الناس إلى الله، أكثرهم عفوا عند القدرة. وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه. من لم يكن له من نفسه واعظ، لم تنفعه المواعظ. من رضي بالقضاء، صبر على البلاء.

من عمر دنياه ضيع ماله. ومن عمر آخرته بلغ آماله. القناعة عز المعسر، والصدقة كنز الموسر.

من سره فساده ساء معاده. الشقي من جمع لغيره، وبخل على نفسه. الخير أجل بضاعة، والإحسان أفضل صناعة. من استغنى عن الناس، أمن من عوارض الإفلاس. من رفع حاجة إلى الله، استظهر في أمره. ومن رفعها إلى الناس وضع من قدره. من أبدى سر أخيه أبدى الله أسرار مساويه. أعص الجاهل تسلم، وأطع العاقل تغنم. ازدياد الأدب عند الأحمق، كازدياد الماء العذب في أصول الحنظلة، لا يزيدها إلا مرارة. مكتوب في الإنجيل: كما تدين تدان، بالكيل الذي تكيل تكال.

وكان بعض الخلفاء يتلطف في ادخال السرور على إخوانه، فيضع عندهم الصرة فيها ألف درهم، ويقول لبعضهم: امسكها حتى أعود إليك، ثم يرسل إليه بعض غلمانه فيقول له: أنت في حل من ذلك. **وقال بعض الحكماء**: أحزم الناس: من وقي نفسه بماله، ووفي دينه بنفسه، وأجود الناس: من عاش الناس في فضله. وأفضل اللذات التفضل على الإخوان. وقال: المعروف ذخيرة الأدب، والبر غنيمة الحازم، والخير عطر الأخيار من بذل ماله، استعبد أمثاله. ومن أذل فلسه، أعز نفسه. وإن صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكأ. وقال: إمام عادل خير من مطر وإبل.

وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم. وقال: فضل الملوك في الإعطاء، وشرفهم في العفو، وعزهم في العدل. والعدل هو نظام

العالم.". (١)

٢٨٢-"وكان بين شرف الدين بن عنين «١» والملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق مؤانسة ومصاحبة، وكان يجري بينهما أمور تدل على حسن إدراك الملك المعظم منها أن ابن عنين حصل له توعك فكتب إليه:

انظر إلي بعين مولى لم يزل ... يولي الندى وتلاف قبل تلافي «٢»

أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه ... فاغنم ثنائي والثواب الوافي «٣»

فجاء إليه بنفسه ومعه ثلاثمائة دينار، فقال: هذه الصلة وأنا العائد، وهذه لو وقعت من أكابر النحاة لاستعظمت منه، فضلا عن ملك. قوله هذه الصلة أنا العائد، لأن الذي اسم موصول يحتاج إلى صلة وعائد فالصلة ما وصله به من المال، والعائد يحتمل معنيين: أحدهما: وأنا العائد لك بالصلة مرة بعد أخرى فطب نفسا، والآخر من عاد يعود عيادة وهي عيادة المريض.

وكان الملك المعظم فاضلا حازما شجاعا حنفي المذهب وكانت له رغبة في فن الأدب حتى إنه شرط لكل من حفظ مفصل الزمخشري مائة دينار وخلعة. فحفظه خلق كثير لهذا السبب. توفي سنة أربع وعشرين وستمائة وتوفي الإمام فخر الدين الرازي المتقدم ذكره يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة بهراة رحمهما الله تعالى.

فائدة:

قال بعض الحكماء: كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه، وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق إثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر، فإن أشكال الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان منه في طيران إلا لمناسبة بينهما، فرأى يوما حمامة مع غراب، فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد فلما مشيا إذا هما أعرجان، فقال: من ههنا اتفقا. وكل إنسان يأنس إلى شكله، كما أن كل طير يأنس إلى جنسه، فإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان وليس بينهما مناسبة ما، فلا بد أن يتفرقا كما قال بعض الشعراء:

وقائل كيف تفرقتما ... فقلت قولا فيه إنصاف

لم يك من شكلي ففارقته ... والناس أشكال وألاف

وسيأتي عنه في الصعوة شيء من هذا. روى أحمد في الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه: إن استطعتم أن تكونوا بلها في الله تعالى مثل الحمام فافعلوا قال: وكان يقال إنه ليس شيء أبله من الحمام وذلك أنك تأخذ فراخه من تحته فتذبحها، ثم يعود إلى مكانه ذلك فيفرخ فيه.

الحكم:

يحل أكله بالإجماع بجميع أنواعه لأنه من الطيبات، ولأن الشارع أوجب فيه على المحرم، إذا قتله، شاة. وفي مستند ذلك

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ١/ ١٤٨

وجهان: أحدهما أن ذلك لما بينهما من الشبه، فإن كلا". [(١)]

٢٨٣-"على أعدائه وأغناه ورزقه من حيث لا يحتسب، ويسر عليه معيشته، وقضى عنه دينه ولو كان عليه مثل الجبال دينا، أداه الله تعالى عنه بمنه وكرمه.

وروى ابن عدي عن عبد الرحمن القرشي، قال: حدثنا محمد بن زياد بن معروف حدثنا جعفر بن حسن عن أبيه قال: حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سألت الله تعالى الإسم الأعظم فجاءني جبريل عليه السلام به مخزونا مختوما، وهو: اللهم إني أسألك باسمك الأعظم المكنون الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحي القيوم» «١» . فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: بأبي أنت وأمي يا نبي الله علمنيه. فقال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء.

فائدة أخرى

: روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه قال: بينما عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام، سائران إذ رأيا شاة وحشية ماخضا، فقال عيسى ليحيى: قل تلك الكلمات: حنة ولدت يحيى، ومريم ولدت عيسى، الأرض تدعوك يا ولد، أخرج يا ولد. قال حماد بن زيد: فما يكون في الحي امرأة ماخض، فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع بإذن الله تعالى. ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكانا ابني خالة، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليه السلام.

وعن يونس بن عبيد أنه قال: ما قال العبد: اللهم أنت عدتي في كربتي، وأنت صاحبي في غربتي، وأنت حفيظي عند شدتي، وأنت ولي نعمتي، عند النفساء أو البهيمة الماخض، إلا يسر الله عليها وضع الولد.

قال بعض الحكماء: من خصائص الزبد البحري، أنه إذا علق على ذات طلق، سهل الله عليها الولادة. وكذلك قشر البيض إذا سحق ناعما، وشرب بماء فإنه يسهل الولادة، وقد جرب مرارا عديدة فصح. وقد ورد في الحديث «مثل المؤمن كالشاة المأبورة» ، أي التي أكلت الإبرة في علفها فنشبت في جوفها، فهي لا تأكل شيئا وإن أكلت لم ينجع فيها. وفيه أيضا «مثل المنافق كالشاة الرابضة بين غنمين» أراد أنها مذبذبة بين قطيعين من الغنم، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.

والرابضة أيضا ملائكة أهبطوا مع آدم عليه الصلاة والسلام يهدون الضال ولعله من الإقامة وقال الجوهري: الرابضة حملة الحجة لا تخلو منهم الأرض.

الحكم

: يحل أكلها بالإجماع، وإن أوصى بشاة تناول صغيرة الجثة وكبيرتها، سليمة ومعيبة، ضأنا ومعزا، لصدق الاسم على الجميع.

فرع

: ومن أحكامها في الأضحية، أن الأضحية سنة غير واجبة ولا تصح إلا من النعم، ولا يجزىء من الضأن إلا الجذعة وهي

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ٣٦٩/١

ما لها سنة تامة وشرعت في الثانية على الأصح عند أصحابنا كما تقدم، في باب الجيم، في الجذعة. ومن المعز إلا الثنية، وهي التي شرعت في السنة الثالثة. ويشترط أن تكون سليمة من كل عيب يضر باللحم، فلا تجزىء العجفاء، ولا العوراء،". (١)

٢٨٤-"مقتولا في بلدة، مات ملكها، أو يقتل رجل مذكور. ومن قتل فيلا قهر رجلا أعجميا، ومن ألقاه الفيل تحته ولم يفارقه، فإنه يموت، وإذا رؤي الفيل في غير بلاد النوبة، فإنه يدل على فتنة، وذلك لقبح لونه وسماجته. وإن رؤي في البلاد التي يوجد فيها فهو رجل من أشراف الناس. والمرأة إذا رأت الفيل فلا يحمد لها ذلك، على أي صفة رأته. وتعبر الفيلة بالسنين كالبقر، وخروج الفيل من بلد فيه طاعون دليل خير لهم وزوال الطاعون عنهم، وإذا ركب الفيل في بلد فيه بحيرة فهو ركوب سفينة، والله تعالى أعلم.

فصل في فضل العقل وزينه، وقبح الجهل وشينه:

قال بعض الحكماء: العقل ما عقل به عن السيئات، وحض القلب على الحسنات، والعقل معقل عن الدنيات، ونجاة من المهلكات، والنظر في العواقب قبل حلول المصائب، والوقوف عند مقادير الأشياء، قولا وفعلا، لقوله «١» صلى الله عليه وسلم: «أعقلها وتوكل» . وقد أجمع الحكماء والعلماء والفقهاء، أن جميع الأمور كلها، قليلها وجليلها، محتاجة إلى العقل، والعقل محتاج إلى التجربة، وقالوا: العقل سلطان وله جنود، فرأس جنوده التجربة، ثم التمييز ثم الفكر ثم الفهم ثم الحفظ ثم سرور الروح، لأن به ثبات الجسم والروح سراج نوره العقل.

وفي الحديث: «ما قسم الله لعباده خيرا من العقل» وروي أن جبريل عليه الصلاة والسلام، أتى آدم عليه السلام فقال: إني أتيتك بثلاث: فاختر واحدة منها، فقال: وما هي؟

فقال: الحياء والعقل والدين. فقال آدم عليه السلام: قد اخترت العقل. فخرج جبريل عليه الصلاة والسلام إلى الحياء والدين، فقال: ارجعا فقد اختار العقل عليكما. فقالا: إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان. وقال بعضهم: من استرشد إلى طريق الحزم بغير دليل العقل فقد أخطأ منهاج الصواب. والعقل مصباح يكشف به عن الجهالة، ويبصر به الفضل من الضلالة، ولو صور العقل لأظلمت معه الشمس، ولو صور الجهل لأضاء معه الليل، وما شيء أحسن من عقل زانه أدب، ومن علم زانه ورع، ومن حلم زانه رفق، ومن رفق زانه تقوى.

وروي أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أتيتك بمكارم الأخلاق كلها في الدنيا والآخرة. فقال: «وما هي» ؟ فقال «٢» : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين

، وهو يا محمد عفوك عمن ظلمك، واعطاء من حرمك، وصلة من قطعك، وإحسانك إلى من أساء إليك، واستغفارك لمن اغتابك، ونصحك لمن غشك، وحلمك عمن أغضبك. فهذه الخصال قد تضمنت مكارم الأخلاق، في الدنيا والآخرة.

وأنشد بعضهم في معنى ذلك فقال:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ٢/ ٦٣

خذ العفو وأمر بعرف كما ... أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الأنام ... فمستحسن من ذوي الجاه لين «٣»". (١)

٢٨٥-"الزرقاء فقالت: إني أرى الشجر قد أقبلت إليكم! فقال لها قومها: قد خرفت، وذهب عقلك، ورق بصرك، كيف تأتي الشجر؟ قالت: هو ما أقول لكم. فكذبوها فصبحتهم الخيل، وأغاروا عليهم، وقتلوا الزرقاء، وقوروا عينيها، فوجدوا عروق عينيها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما تكتحل به.

وأما البسوس فيقال: «أشأم من البسوس» «١» ، وهي خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان، ولها كانت الناقة التي قتل من أجلها كليب بن وائل، وبها ثارت حرب بكر وتغلب التي يقال لها حرب البسوس.

وأما دغة فيقال: «أحمق من دغة» «٢» وهي امرأة من بني عجل تزوجت من بني العنبر.

وأما ظلمة فيقال: «أزنى من ظلمة» وهي امرأة من هذيل زنت أربعين سنة، وقادت أربعين عاما، فلما عجزت عن الزنا والقيادة، اتخذت تيسا وعنزا، فكانت تنزي التيس على العنزة، فقيل لها: لم تفعلين ذلك؟ قالت: لأسمع أنفاس الجماع بينهما.

وأما أم قرفة، فيقال: «أمنع من أم قرفة» «٣» ، وهي امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكانت تعلق في بيتها خمسين سيفا، كل سيف منها لذي محرم لها.

وقد سئل ابن سيرين عن النساء فقال: مفاتيح أبواب الفتن ومخازن الحزن، إن أحسنت المرأة إليك منت عليك، تفشي سرك وتهمل أمرك، وتميل إلى غيرك. وقيل: النساء ريحان بالليل شوك بالنهار. وقيل لبعض الحكماء: مات عدوك! فقال: وودت أنكم قلتم تزوج. وقيل: العجز في ثلاث خصال: قلة اكتراثه في مصلحته، وقلة مخالفته لشهوته، وقبوله من امرأته فيما لا يعلمه.

وقال بعض الحكماء: لا تأمنن قارئا على صحيفة، ولا شابا على امرأة. وقال غيره: لا مصيبة أعظم من الجهل، ولا شر أشر من النساء انتهى.

الحكم

: يحل أكل اليمام وبيضه بالاتفاق، وقد تقدم في باب الحاء المهملة في الحمام.

الأمثال

: قالوا: «كن مع الناس يمامة» يعني ارفق بهم ولا تنفرهم. وخواصه وتعبيره كالحمام.

اليهودي:

حوت في البحر، وقد تقدم الكلام عليه في باب الشين المعجمة.

اليوصي:

بفتح الياء والواو وكسر الصاد المهملة المشددة، طائر بالعراق أطول جناحا من الباشق، وأخبث صيدا وهو الحر.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ٢/٣٢٠

وحكمه

: الحرمة كما تقدم، في باب الحاء المهملة.". (١)

٢٨٦-"وقول العيني: أو هو الذي حملت به أمه وهي مكرمة فاسد فتأمل.

وقال التبريزي: ذكر بعضهم أن المهبل: المعتوه الذي لا يتماسك. فإن صح ذلك فكأنه من الإسراع يقال: حمل هبل. ومعنى البيت: إنه من الفتيان الذين حملتهم أمهم وهن غير)

مستعدات للفراش فنشأ محمودا مرضيا لم يدع عليه بالهبل والثكل.

وحكي عن بعضهم: إذا أردت أن تنجب المرأة فأغضبها عند الجماع. ولذلك يقال في ولد المذعورة: إنه لا يطاق.

قال: الطويل

(تسنمتها غضبى فجاء مسهدا ... وأنفع أولاد الرجال المسهد)

وقال المبرد في الكامل: يقال: أنجب الأولاد ولد الفارك وذلك لأنها تبغض زوجها فيسبقها بمائة فيخرج الشبه إليه فيخرج الولد ذكرا.

وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن تنجب المرأة فأغضبها ثم قع عليها فإنك تسبقها بالماء.

وقوله: حملت به في ليلة مزؤودة هي مفعولة من زأدته أزأده زأدا أي: أفزعته وزئد فهو مزؤود أي: مذعور وهو بالزاي والهمزة والدال.

قال المبرد في الكامل: مزؤودة ذات زؤد وهو الفزع. فمن نصب مزؤودة". (٢)

٢٨٧-"وأجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما

أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال **قال بعض الحكماء** لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعز يرد الأحزان وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضغين ومله يوقف الأسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شئ من الجوارح ينطق به غيره. ومن أجود ما أحتج به للكلام ما

أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر إنك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شئ فهو أكبر منه. ومثله ما

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ٥٦٢/٢

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ٢٠١/٨

أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن. ومن أجود ما أحتج به للصمت ما

أخبرنا به أبو أحمد

أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا بباب الأوزاعي وفينا أعرابي من بني عليم بن جناب لا يتكلم فقيل له بحق ما سميتم خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وإن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه. قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن. وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن إسماعيل الأموي حدثني إسماعيل". [1]

٢٨٨-"(الفصل الثاني من الباب التاسع)

في ذكر البلاغة **قال بعض الحكماء**: البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه، قال الشيخ أبو هلال يعني قولا واضح المعنى غير مشكل المغزى. وسأل معاوية عمرو بن العاص من أبلغ الناس؟ قال من اقتصر على الإيجاز وترك الفضول. وليس يصلح الإيجاز في كل مكان كما لا تصلح الإطالة في كل أوان بل لكل واحد منهما حين يحسن فيه ومقام يليق به إن أزلته عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طرقه. وقال محمد الأمين عليكم بالأيجاز فإن للإيجاز إفهاما وللإطالة استبهاما. أي عليكم بالإيجاز فيما كان الإيجاز فيه أحسن وأنجع فأما إذا كانت الإطالة أرد وأنفع فليس للإيجاز موقع يحمد ولا حال تعتمد. والإيجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخطب وقد يكون من الرسائل والخطب ما يكون الإيجاز فيه عيا ولا أعرفه إلا بلاغة في جميع الشعر لأن سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحي ومعانيه كالسحر مع قربها من الفهم والذي لا بد منه حسن المعرض ووضوح الغرض كقول النابغة الذبياني

(فإنك كالليل الذي هو مدركي ...)

وقال الفرزدق:

(والشيب ينهض بالشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار)

وقال أعرابي: أبلغ الناس أسهلهم لفظا وأحسنهم بديهة. وهذا حسن جدا لأن سهولة اللفظ وحسن البديهة يدلان على جودة القريحة والبلاغة الغريزية، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولا شئ أذهب بماء الكلام وطلاوته ورونقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلا وإن كان لطيف المعنى نبيل الصنعة. وقد أجاد ابن الرومي في وقوله: البلاغة حسن الاقتضاب

---

(١) ديوان المعاني ١٤٩/١

عند البديهة والغزارة يوم الإطالة. فجعل البلاغة في الغزارة كما حملها غيره في الإيجاز.". (١)

٢٨٩-"ما تضمر في جنانك. وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الإنسان عما يشتهي قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي. وقال أرسطاطاليس: إنك إن لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل ما بقيت يخاطب جاهلا. (محاسن كلام العرب والأعراب والخطباء والكتاب) قال بعض حكمائهم: الصبر يناضل الحدثان. وقال آخر: الحلم فدام السفيه. وقال آخر: خاطر من استغنى برأيه. وقال غيره: الجزع من أعوان الزمان والمودة قرابة مستفادة. وفضل بعضهم المودة والمودة على القرابة فقال: القرابة محتاجة إلى المودة مستغنية عن القرابة. وقال غيره وسوى بين المودة والقرابة: الصاحب مناسب. وقالوا عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله. ومن موجز الكلام قول بعضهم: من نال استطال والفاحشة كاسمها. وقولهم أصاب متأمل أو كاد. وقولهم العفو زكاة الجاه. وقولهم راحي البخيل مكد. وقول بعضهم قلما تصدقك الأمنية. وقيل الصيانة مألف المروءة. **وقال بعض الحكماء** البلاء رديف الرخاء. وقيل خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم. وهذا خلاف ما سمعنا سمعت رجلا يقول لأن أكون رأسا في الضلالة أحب إلي من أن أكون ذنبا في الهداية. وكانت قريش تستحسن من الخاطل الإطالة ومن المخطوب الإيجاز فخطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذي الكبرياء وصلى الله على محمد خير الأنبياء أما بعد فإن الرغبة منك دعتك إلينا والرغبة فيك اجابتك منا وقد أحسن بك ظنا من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على كتاب الله". (٢)

٢٩٠-"ووقع جعفر بن يحيى إلى بعض إخوانه: إذا وضح العذر لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجني. وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال:

(عثيثة تقرم جلدا أملسا ...)

وقال بعض الحكماء حصاد المنى الأسف وعاقبتها الندامة وليس لذي لب بها مستمتع. ومن فصيح أمثال العرب قولهم: الفرار بقراب أكيس. وعزى أعرابي رجلا فقال لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما ينسيكها. وعزى شبيب بن شيبة ذميا فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل ملتك. وقال عبد العزيز بن زرارة أول المعرفة الاختبار. وقال رجل للأحنف ممن أنت قال ممن ودني. وقال البلاغة البلوغ عند الكفاية. وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ما سافر فيه البصر واتدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكثرت فيه الفائدة. وكتب المهلب إلى عبد الملك حين هزم الأزارقة أما بعد فإنا لقينا المارقة ببلاد الأهواز وكانت في الناس جولة ثم ثاب أهل الدين والمروءة ونصرنا الله عليهم فنزل القضاء بأمر جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا درئية رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حماتهم وذوي الثبات منهم وأجلى الباقون ليلا عن

---

(١) ديوان المعاني ٢/٨٧

(٢) ديوان المعاني ٢/٩٤

معسكرهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها إن شاء الله تعالى. كتب إلى الحجاج: الحمد لله الكافي بالاسلام ما وراءه الذي لا تنقطع ومواد نعمه حتى تنقطع من خلقه مواد الشكر عليها وإنا كنا وعدونا على حاليتن يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.". (١)

٢٩١-"فقال: هذا ألأم بيت قالته العرب. قال أبو هلال رحمه الله: النزوع ههنا ردئ والجيد النزاع، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت الأم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل. وقالت الحكماء: حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد. وقال بزرجمهر: من أمارات العاقل بره بإخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه. وقال أعرابي: لا تشك بلدا فيه قبائلك ولا تجف أرضا فيها قوابلك. وقالت العرب: أكرم الخيل أشدها خوفا من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضا للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنينا إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس. وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأتفسهم ومنه قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ وقول تعالى: ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا﴾ فجعل إخراجه إياهم من ديارهم بدلا من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم. **وقال بعض الحكماء**: الخروج من الوطن أحد السبابين والجلاء أحد القتلين. وقال يحيى بن طالب:

(إذا إرتحلت نحو اليمامة رفقة ... دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر)

(يقولون إن الهجر يشفي من الهوى ... وما ازددت إلا ضعف ما بي على الهجر)

وكان كثير من العرب ممن يعتزي إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك كانت قريش. وقال الحارث بن ظالم:

(رفعت الرمح إذ قالوا قريش ... وشبهت الشمائل والقبابا)". (٢)

٢٩٢-"١٨- كتب جحظة إلى ابن المعتز: كنت على المصير إلى الأمير، فانقطع شريان الغمام، فقطعني عن الإلمام. فكتب إليه: لئن قطعني السرور بك، لم يفتني بكلام والسلام.

١٩- يقول الدهاقين «١» : مطر الربيع ماء كله. يريدون نفع كله، وذلك أن الماء حياة كل شيء، فمطر الربيع تحيا به الأرض، ولا يضيع منه شيء كما تضيع أمطار سائر الفصول.

٢٠- أنشد الجاحظ:

---

(١) ديوان المعاني ٩٦/٢

(٢) ديوان المعاني ١٨٧/٢

خليلي لا تستلما العام وادعوا ... به كل يوم أن يصوب ربيع «٢»

حيا لبلاد أقحل المحل عودها ... وجبرا لعظم في شظاه صدوع «٣»

بمستنضد غر النشاص كأنها ... جبال عليهن النسور وقوع «٤»

عسى أن يحل الحي جرعاء وابل ... وعل النوى بالظاعنين تريع «٥»

أفي كل عام زفرة مستجدة ... تضمنها مني حشا وضلوع

٢١- قال بعض الحكماء الذين وقفوا على تابوت إسكندر: انظر إلى حلم النائم كيف انقضى، وإلى سحاب الصيف كيف انجلى؟.

٢٢- وللصاحب «٦» : سحابة الصيف أثبت من قولك، والخط في". [(١)]

٢٩٣-"١٢- شاعر:

مسرة من الزمان بدعة ... ما خطرت أمثالها بفكرة «١»

أرخت أفراحي بها كمثل ما ... يؤرخ الناس بعام الهجرة «٢»

١٣- تباشروا به تباشر المحرومين بلين الأسعار، وتحدثوا به تحدث البدو بتابع الأمطار.

١٤- لكل غمرة محنة معبر، ولكل مورد غمة مصدر.

١٥- خبر سار كتب في الألواح، وامتزج بالأرواح، في جملة البشائر العظام، وجرى في العروق وتمشى في العظام.

١٦- شاعر:

تغلغل حيث لن يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور

١٧- قيل لمالك بن الريب «٣» : قال بعض الحكماء: أسر الأشياء في القلوب توبة بعد خطيئة، فقال: لكن أسر الأشياء عندي في القلوب قفلة على غفلة، قيل له: قد أبعدت بين السرورين، قال: كل يقول على قدر عقله.

١٨- أنشد ابن أبي عمرة «٤» :

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب". [(٢)]

٢٩٤-"وضراء، يوضئون أطرافهم، ويأتزرون في أوساطهم، يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديهم في جو السماء» «١» .

وقال بعض الحكماء لتلامذته: «كونوا كالنحل في الخلايا» قالوا: «وكيف النحل في الخلايا؟» قال: «إنها لا تترك عندها بطالا إلا نفته، وأقصته عن الخلية؛ لأنه يضيق المكان، ويفني العسل، ويعلم النشيط الكسل» «٢» .

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ١/١١٨

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٤/٢٤٤

وقال الشيخ أبو حامد الغزالى في كتاب «الإحياء» «٣» : انظر إلى النحل كيف أوحى الله إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا، وكيف استخرجت من لعابها الشمع والعسل، وجعل أحدهما ضياء، والآخر شفاء؛ ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار، واحترازها من النجاسات والأقذار، وطاعتها لواحد من جملتها، وهو أكبرها شخصيا، وهو أميرها؛ ثم ما سخر الله تعالى لأميرها من العدل والإنصاف بينها حتى أنه ليقتل منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة، لقضيت من ذلك العجب إن كنت بصيرا في نفسك، وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك، فى معاداة أقرانك، وموالاة إخوانك.

ثم دع عنك جميع ذلك، وانظر إلى بنيانها من الشمع، واختيارها من جميع الأشكال الشكل المسدس، فلا تبنى منها مستديرا، ولا مربعا، ولا مخمسا، إلا مسدسا، لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن درك ذلك، وهو أن أوسع الأشكال وأحواها: المستدير وما يقرب منه. فإن المربع تخرج منه زوايا ضائعة، وشكل النحل مستدير ومستطيل، فترك المربع حتى لا تبقى الزوايا فارغة، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة، فإن الأشكال المستديرة إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة، ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في". (١)

٢٩٥-"الاحتواء من المستدير، ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس، وهذه خاصية هذا الشكل.

فانظر كيف ألهم الله تعالى هذا النحل- على صغر جرمه- اتخاذ هذه الأشكال المتساوية الأضلاع بحيث لا يزيد ضلع عن ضلع ولا ينقص؛ لطفا به، وعناية بوجود ما هو محتاج إليه ليتهنى عيشه، فسبحانه ما أعظم شأنه، وأوسع فضله وامتنانه!.

وقال بعض الحكماء: «وبيوت النحل من أعجب الأشياء؛ لأنها مبنية على الشكل الذى لا ينحرف، كأنه استنبط بقياس هندسى، ثم هو من دائرة مسدسة لا يوجد فيها اختلاف، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة؛ وذلك أن الأشكال من الثلاثة إلى العشرة إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل، وجاءت بينها فروج إلا الشكل المسدس، فإنه إذا اجتمع إلى أمثاله اتصل كأنه قطعة واحدة، كل هذا بغير قياس ولا آلة، ولا بركاز، بل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير، وإلهامه أياها» .

وقال آخر: «جمع الله تعالى في النحلة السم والعسل، ليكون دليلا على كمال قدرته، وأخرج منها العسل، ممزوجا بالشمع، وكذلك عمل المؤمن ممزوج بالخوف والرجاء» .

وفي «تاريخ أصبهان» «١» فى ترجمة أحمد بن الحسن، عن عمر يرفعه:

«أول نعمة تقع في الأرض العسل» «٢» .

---

(١) رسائل المقريزي ص/٣١٧

ويقال في المثل: «أنحل من نحلة، وأهدى من نحلة» ويقال: «كلام كالعسل، وفعل كالأسل» .". (١)

٢٩٦-"ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن

القرآن حبل الله الممدود، وعهده المعهود، وظله العميم، وصراطه المستقيم، وحجته الكبرى، ومحجته الوسطى، وهو الواضح سبيله، الراشد دليله، الذى من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنه ضل وهوى؛ فضائل القرآن لا تستقصى في ألف قرن، حجة الله وعهده، ووعيده ووعده، به يعلم الجاهل، ويعمل العامل، ويتنبه الساهى، ويتذكر اللاهى، بشير الثواب، ونذير العقاب، وشفاء الصدور، وجلاء الأمور؛ من فضائله أنه يقرأ دائما، ويكتب، ويملى، ولا يمل. ما أهون الدنيا على من جعل القرآن [إمامه، وتصور الموت أمامه، طوبى لمن جعل القرآن] مصباح قلبه، ومفتاح لبه.

من حق القرآن حفظ ترتيبه، وحسن ترتيله.

قال بعض الحكماء: الحكمة موقظة للقلوب من سنة «١» الغفلة، ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة، ومحيية لها من موت الجهالة، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة؛ والعلم دواء للقلوب العليلة، ومشحذ للأذهان الكليلة «٢» ، ونور في الظلمة، وأنس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسمير في الخلوة، ووصلة في المجلس، ومادة للعقل، وتلقيح للفهم، وناف للعى المزرى بأهل الأحساب، المقصر بذوى الألباب؛ أنطق الله سبحانه أهله بالبيان الذى جعله صفة لكلامه في تنزيله، وأيد به رسله إيضاحا للمشكلات، وفصلا بين الشبهات؛ شرف به الوضيع، وأعز به الذليل، وسود به المسود، من تحلى بغيره فهو معطل، ومن تعطل منه فهو مغفل، لا تبليه الأيام، ولا تخترمه الدهور، يتجدد على الابتذال، ويزكو على الإنفاق؛ لله على ما من به على عباده الحمد والشكر.". (٢)

٢٩٧-"وقال سعيد بن مسلم للمأمون: لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن ما أبلانى من أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه، وإشارته إلى بطرفه؛ لقد كان فى ذلك أعظم الرفعة، وأرفع ما توجبه الحرمة. فقال: يفعل أمير المؤمنين ذلك؛ لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت وحسن الفهم إذا حدثت ما لا يجده عند أحد ممن مضى، ولا يظن أنه يجده عند أحد ممن بقى، فإنك لتستقصى حديثى، وتقف عند مقاطع كلامى، وتخبر بما كنت أغفلته منه.

وقال المتوكل لأبي العيناء: ما تحسن؟ قال: أفهم وأفهم.

وقال بعض الحكماء لتلميده، وقد ضرب الموسيقى: أفهمت؟ قال: نعم، قال: بل لم تفهم؛ لأنى لا أرى عليك سرور الفهم! وقد قيل: من نظر إلى الربيع وأنواره، والروض وأصباغه، ولم يبتهج كان عديم حس، أوسقيم نفس.

ومر أبو تمام بايرشهر من أرض فارس، فسمع جارية تغنى بالفارسية، فشاقه شجى الصوت، فقال:

ومسمعة تروق السمع حسنا ... ولم تصممه، لا يصمم صداها!

---

(١) رسائل المقريزي ص/٣١٨

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ١٤٢/١

لوت أوتارها فشجت وشاقت ... فلو يسطيع حاسدها فداها

ولم أفهم معانيها، ولكن ... ورت كبدى فلم أجهل شداها

فكنت كأنني أعمى معنى ... يحب الغانيات ولا يراها

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: قلت لأبي تمام: أخذت هذا المعنى من أحد؟ قال: نعم، أخذته من قول بشار بن برد:

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا: بمن لا ترى تهذى؟ فقلت لهم: ... الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وقال بشار أيضا في هذا المعنى:

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها ... قلبى فأضحى به من حبها أثر:". (١)

٢٩٨-"ما فيه من سوء المغبة سلط على نفسه لسان العذل، وضيع الحزم. فقالت المعذولة؛ ليس أمر الهوى إلى الرأى فيملكه، ولا إلى العقل فيدبره، وهو أغلب قدرة، وأمنع جانبا من أن تنفذ فيه حيلة الحازم، أو ما سمعت قول الشاعر:

ليس خطب الهوى بخطب يسير ... لا ينبيك عنه مثل خبير

ليس أمر الهوى يدبر بالرأ ... ى ولا بالقياس والتفكير

إنما الأمر فى الهوى خطرات ... محدثات الأمور بعد الأمور

قال المرزبانى: أخبرنى الصولى أن هذه الأبيات لعلية بنت المهدى، ولها فيها لحن.

وقيل لعبد الله بن المقفع: ما بال العاقل المميز الذهن، واللبيب الفطن، يتعرض للحب وقد رأى منه مواضع الهلكة، ومصارع التلف، وعلم ما يؤول «١» إليه عقباه، وترجع به أخراه على أولاه؟ فقال: زخرف «٢» ظاهر العشق بجمال زينة يستدعى القلوب إلى ملامسته، وملى بعاجل حلاوة يطبى «٣» النفوس إلى ملابسته، كظاهر زخرف الدنيا، وبهاء رونقها، ولذيذ جنى ثمرها، وقد سكرت أبصار قلوب أبنائها عن النظر إلى قبيح عيوب أفعالها، فهم فى بلائها منغمسون، وفى هلكة فتنتها متورطون، مع علمهم بسوء عواقب خطبها، وتجرع مرارة شربها، وسرعة استرجاعها ما وهبت، وإخراجها مما ملكت، فليس ينجو منها إلا من حذرها، ولا يهلك فيها إلا من أمنها، وكذلك صورة الهوى؛ هما فى الفتنة سواء.

[بعض ما جاء فى العفاف]

وقال ابن دريد: **قال بعض الحكماء**: أغلق أبواب الشبهات بأفعال الزهادة، [وافتح أبواب البر بمفاتيح العبادة] فإن ذلك يدنيك من السعادة،". (٢)

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٩٣/١

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ٧٨١/٣

٢٩٩-"وقال خافان بن صبيح: لوحشة الشك التمسنا أنس اليقين، ومن ذل الجهل هر بنا إلى عز المعرفة، ولخوف الضلالة لزمنا الجادة.

وقال بعض الحكماء: كمون المصائب وسكون النوائب وبغتات المنايا مطويات فى الساعات، متحركات فى الأوقات، ورب مغتبط بساعة فيها انقضاء أجله، ومتمتع بوقت صار فيه إلى قبره، ومنتظر ورود يوم فيه منيته.

ووعظ أعرابى ابنا له أفسد ماله فى الشراب، فقال: لا الدهر يعظك، ولا الأيام تنذرك، والساعات تعد عليك، والأنفاس تعد منك، وأحب أمريك إليك، أردهما للمضرة لديك.

[من مقامات بديع الزمان الهمذانى]

ومن إنشاء بديع الزمان فى المقامات: حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت فى الأهواز فى رفقة متى ما ترق العين فيهم تسهل، ليس منا إلا أمرد بكر الآمال، بض الجمال، أو مختط حسن الإقبال، مرجو الأيام والليال؛ فأفضنا فى العشرة كيف [نضع قواعدها، والأخوة كيف] نحكم معاقدها، والسرور فى أى وقت نتعاطاه، والأنس كيف نتهاداه، وفائت الحظ كيف نتلافاه، والشراب [من أين نخلصه، والمجلس كيف نرتبه؟ فقال أحدنا: على البيت والمنزل، وقال آخر:

على الشراب والنقل] ، وقال بعضنا: إلى السماع والجماع، وقمنا نجر أذيال الفسوق، حتى انسلخنا من السوق، واستقبلنا رجل فى طمرين، فى يمناه عكازة، وعلى كتفه جنازة «١» ؛ فتطيرنا لما رأينا الجنازة، وأعرضنا عنها صفحا، وطوينا دونها كشحا، فصاح بناصيحة كادت الأرض لها تنفطر، والنجوم تنكدر، وقال:

لتروها صغرا، ولتركبنها قسرا. مالكم تكرهون مطية ركبها أسلافكم، وسيركبها أخلافكم، وتتقذرون سريرا وطئه آباؤكم، وسيطؤه أبناؤكم؟ أما والله لتحملن على". (١)

٣٠٠-"فلا تصرفن الطرف فى كل منظر ... فإن معاريض البلاء كثير

ولم أر مثل الحب أسقم ذا هوى ... ولا مثل حكم الحب كيف يجور

لقد صنت ما بى فى الضمير لو أنه ... يصان لدى الطرف النموم ضمير

غيره:

اليوم أيقنت أن الحب متلفة ... وأن صاحبه منه على خطر

كيف الحياة لمن أمسى على شرف ... من المنية بين الخوف والحذر

يلوم عينيه أحيانا بذنبهما ... ويحمل الذنب أحيانا على القدر

إذا نأى أو دنا فالقلب عندكم ... وقلبه أبدا منه على سفر

ونظر محمد بن أسباط الصوفى إلى أبى المثنى الشيبانى وقد نظر فى وجه غلام مليح، فقال: [إياك و] إدمان النظر [فإنه] يكشف الخبر، ويفضح البشر، ويطول به المكث فى سقر.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٣/٨٦٠

وقال المعلى الصوفى: شكوت إلى بعض الزهاد فسادا أجده فى قلبى، فقال: هل نظرت إلى شيء فتاقت إليه نفسك؟ قلت: نعم، قال: احفظ عينيك؛ فإنك إن أطلقتهما أوقعتاك فى مكروه، وإن ملكتهما ملكت سائر جوارحك.

وقال مسلم الخواص لمحمد بن على الصوفى: أوصنى، فقال: أوصيك بتقوى الله فى أمرك كله، وإيثار ما يحب على محبتك، وإياك والنظر إلى كل ما دعاك إليه طرفك، وشوقك إليه قلبك؛ فإنهما إن ملكاك لم تملك شيئا من جوارحك، حتى تبلغ لهما ما يطالعانك به «١» ، وإن ملكتهما كنت الداعى إلى ما أردت، فلم يعصيا لك أمرا ولم يردا لك قولا.

قال بعض الحكماء: إن الله عز وجل جعل القلب أمير الجسد، وملك الأعضاء؛ فجميع الجوارح تنقاد له، وكل الحواس تطيعه، وهو مديرها «٢»". (١)

٣٠١-"الرأى والهوى

وقال بعض الفلاسفة اليونانيين: فضل ما بين الرأى والهوى أن الهوى يخص والرأى يعم، وأن الهوى فى حيز العاجل، والرأى فى حيز الآجل، والرأى يبقى على طول الزمان، والهوى سريع الدثور «١» والاضمحلال، والهوى فى حير الحس، والرأى فى حيز العقل.

وقال بعض الحكماء: من انقاد لهواه عرضته الشهوات.

وقال آخر: من جرى مع هواه طلقا «٢» ، جعل عليه للذل طرقا.

وقال ابن دريد: أوصى بعض الحكماء رجلا فقال: آمرك بمجاهدة هواك؛ فإنه يقال: إن الهوى مفتاح السيئات، وخصيم الحسنات، وكل أهوائك لك عدو، وأعداها هوى يكتمك نفسه، وأعدى منه هوى يمثل لك الإثم فى صورة التقوى، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهن «٣» ، وصدق لا يطمع فيه تكذيب، ومضاء لا يقاربه التثبيط، وصبر لا يغتاله الجزع، وهمة لا يتقسمها التضييع وقال أبو العتاهية:

لا تأمن الموت فى طرف وفى نفس ... ولو تمنعت بالحجاب والحرس

فما تزال سهام الموت نافذة ... فى جنب مدرع منا ومترس «٤»

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على يبس

[من البد بدائه فى مجالس الخلفاء]

خرج شبيب بن شيبة من دار المهدى، فقيل له: كيف رأيت الناس؟ قال:". (٢)

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٣/٨٦٧

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ٣/٨٧١

٣٠٢-"[العجلة أم الندامة]

قال بعض الحكماء: إياك والعجلة فإن العرب كانت تكنيها ام الندامة؛ لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة، واعتزل السلامة.

[تأميل ورجاء]

ولما ولى المهتدى «١» سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجل من ذوى حرمته، فقال: أعز الله الوزير؛ أنا خادمك المؤمل لدولتك، السعيد بأيامك، المنطوى القلب على ودك، المنشور اللسان بمدحك، المرتهن بشكر نعمتك، وقد قال الشاعر:

وفيت كل صديق ودنى ثمنا ... إلا المؤمل دولاتى وأيامى

فإننى ضامن ألا أكافئه ... إلا بتسويغه فضلى وإنعامى

وإنى لكما قال القيسى: ما زلت أمتطى النهار إليك، وأستدل بفضلك عليك، حق إذا جنى الليل فغض البصر، ومحا الأثر، أقام بدنى، وسافر أملى، والاجتهاد عذر، فإذا بلغتك فقد «٢» . قال سليمان: لا عليك؛ فإنى عارف بوسيلتك، محتاج إلى كفايتك واصطناعك، ولست أؤخر عن يومى هذا توليتك ما يحسن عليك أثره، ويطيب لك خبره، إن شاء الله. وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافى وزير المعتز بالله وكان المعتز يختص به، ويتقرب إليه قبل الوزارة: ما زلت- أيدك الله تعالى- أذم الدهر بذمك إياه، وأنتظر لنفسى ولك عقباه، وأتمنى زوال حال من لا ذنب له". (١)

٣٠٣-"فذهبت مثلا. وهو يحسن أن يضرب عند الأمر بالاحتراز والاستعداد للمحذور قبل وقوعه وقبل فوات محل الحذر. وذلك ظاهر.

أحذر من ضب حرشته.

الحذر مر والضب الحيوان المعروف والحرش صيادته. يقال: حرش الضب يحرشه حرشا فهو حارش وذلك أن يحرك يده في فم جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضرب بها فيقبض على ذنبه ويمتلخه من الجحر قال الشاعر:

وأخدع من ضب إذا جاء حارش ... أعد له عند الذنابة عقربا

ومن هذا المثل الآتي: هذا اجل من الحرش.

أحذر من غراب.

الحذر تقدم والغراب معروف وتقدم أيضا ويضرب به المثل في شدة الحذر وذلك معروف مشهور.

وقد **قال بعض الحكماء**: أخذت من كل شيء أحسنه حتى انتهى بي الأمر إلى الكلب والهرة والخنزير والغراب. فقيل له:

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٤/ ٩٤٢

ما أخذت من الكلب؟ قال: إلفه لأهله وذبه عن صاحبه. فقيل له: ما أخذت من الهرة؟ قال: حسن تأنيها وتملقاها عن المسألة. فقيل: ما أخذت من الخنزير؟ قال: بكوره من حوائجه. فقيل: ما أخذت من الغراب؟ قال: شدة حذره.

حذو النعل بالنعل.

تقول: حذوت النعل أحذوها حذوا إذا قطعتها وقدرتها وحذوت النعل بالنعل إذا قدرتها وقطعتها عليها. والنعل معروفة. والمثل يضرب في التساوي والتشابه. تقول في الشيئين يستويان: هما حذو النعل وذلك لأن كلا من النعلين تقدر بالأخرى وتقاس بقالبها. ومن ذلك قول الهذلي:". (١)

٣٠٤-"صلى الله عليه وسلم: " الليل والنهار مطيتان يقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود ". هذا كلام النبوة المشرق بنور المعرفة.

١٩ - **وقال بعض الحكماء**: الليل والنهار فرسان يركضان بالبشر إلى إنقضاء الأعمار وقال آخر: الليل والنهار رحيان (١) لطحن الأعمار.

٢٠ - وللشيخ المصنف في ذلك:

يا سائلي في شيب رأسي شيبه ... اسمع جوابي فيه غير معرض

طحنت رحى الملوين عمري فانثنى ... في مفرقي أثر الغبار الأبيض ٢١ - وللشريف ابن دفتر خوان (٢) :

جيشان مختلفان جيش دجنة ... يتغالبان معا وجيش نهار

والليل يكسو الجو مسحا أسودا ... متحرقا عند الشروق بنار

والصبح مد على النجوم ملاءة ... بيضاء يمنعها عن الإبصار ٢٢ - وفي كتاب كليلة ودمنة (٣) تمثل أيام العمر بغصنين نابتين على فم بئر، وإنسان قائم عليها، والليل والنهار كجرذين أبيض وأسود مجدين في قطع الغصنين، وهو لاه عنهما.

٢٣ - شاعر في الأيام (٤) :

ما سبعة كلهم إخوان ... ليس يموتون وهم شبان لم يرهم في موضع إنسان ...

---

(١) ص: رحاتان.

(٢) هو الأمير علي بن محمد بن الرضى الحسيني الموسوي الطوسي الشريف دفتر خوان (- ٦٥٤) انظر تاريخ بروكلمان ١: ٣٥٢ وله ترجمة في حرف العين من الوافي. ومن الضروري أن يميز المرء بينه وبين دفتر خوان آخر واسمه المنتجب أحمد بن عبد الكريم كان يقرأ الدفاتر للملك العادل ابن أيوب وتوفي ٦١٥ (راجع الوافي ٧: ٧٨ ونفح الطيب ٢: ٣٠٠) وللأول منهما يشير التيفاشي باسم الشريف الموسوي والشريف الطوسي في ما يلي.

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم ١٠٥/٢

(٣) كليلة ودمنة: ٤١.

(٤) انظر محاضرات الراغب ٤: ٥٣٦ (٢: ٢٤٠) وربيع الأبرار، الورقة: ٣/أوالبصائر ٣: ٤٧٢.". [1]

٣٠٥-"٩ - وإذا (١) سكن لهب النار وانقطع قيل: خبت النار تخبو خبوا، وخمدت تخمد خمودا، قال عز وجل: (كلما خبت زدناهم سعيرا) .

فإذا ذهب الجمر إلا بقايا منه في الرماد تتبينها إذا حركت الرماد، والرماد حارمن أجل تلك البقية، فذلك الرماد يقال له المهل ويسمى أيضا الملة، ولذلك سمى الناس الخبز الملة، إنما هي المليل ولكن سميت باسم الملة، ومنه أخذت المليلة في الحمى. ويقال للمليلة (٢) من الخبز أيضا الفئيد، والموضع الذي يفتأد فيه هو المفتأد. فإذا برد الرماد فلم يبق فيه من الجمر شيء قيل همدت النار تهمد همودا فهي هامدة، وقد طفئت انار تطفأ طفوءا، وأنطفأت وأطفأتها أنا، وماتت النار تموت موتا فهي ميتة، وحيت تحيا حياة فهي حية. وإذا صارت رمادا فهي آسة.

١٠ - ومن أحسن ما قيل في النار بعد انطفائها وبقاء رمادها حارا ما قال عبد الله بن محمد الأزدي من شعراء إفريقية (٣) :

تظنن امرءا أغضبه ... سبب ثم انقضى ذاك السبب

سالم الصدر من الحقد وإن ... أظهر الود ولم يبد الغضب

فمكان النار يبقى حرها ... كامنا فيه وإن زال اللهب ١٠٤٥ - أوصاف النار:

١ - قالت العلماء: ليس في العالم جسم صرف غير ممزوج، ومرسل غير مركب، ومطلق القوى غير محبوس، أحسن من النار، ويقال: شراب كأنه النار، وامرأة حسناء كأن لون وجهها لون النار. وقالت أعرابية (٤) : هذا والله وأنا أحسن من النار. ويقال لمن يوصف بالذكاء هو إلا نار موقدة.

٢ - وقال بعض الحكماء (٥) : النيران أربع نار تأكل وتشرب وهى نار المعدة،

---

(١) حد: ١٥١ - ١٥٢.

(٢) حد: للمليل.

(٣) هو من شعراء الانموذج، ذكرت ترجمته في مسالك الأبصار ١١: ٢٣٥ وأورد الأبيات؛ وانظر الفقرة رقم: ٢٩٩ في ما تقدم.

(٤) محاضرات الراغب (٢: ٢٧٧) .

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ص/١٦

(٥) محاضرات الراغب (٢: ٢٧٨) .". (١)

٣٠٦-"استعمالها، أو حذا حذو رسوم المبرزين الذين ينتحلون الكلام ويوقعونه مواقعه، مع مراعاة رشاقة اللفظ، وحلاوة المعنى، وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع المعاني الأبكار للأمور الحادثة التي لم يقع مثلها، ولا سبق سابق إلى كتابتها، لأن الحوادث والوقائع لا تتناهى ولا تقف عند حد.

ومن هنا تنقص الوزير ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر المقامات الحريرية وازدراها جانحا إلى أنها صور موضوعة في قوالب حكايات مبنية على مبدإ ومقطع، بخلاف الكتابة فإن أهوالها غير متناهية؛ ولو روعي حال ما يكتبه الكاتب في أدنى مدة لكان مثل المقامات مرات.

ومنها اختصاص كاتب الإنشاء بالسلطان وقربه منه وإعظام خواصه واعتمادهم في المهمات عليه، مع كونه أحرز «١» بالسلامة من أرباب الأقلام المتصرفين في الأموال. وقد **قال بعض الحكماء**: الكتاب كالجوارح كل جارحة منها ترفد الأخرى في عملها بما به يكون فعلها، وكاتب الإنشاء بمنزلة الروح الممازجة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواسه.

قال في مواد البيان «ولا شك في صحة هذا التمثيل، لأن كاتب الإنشاء هو الذي يمثل لكل عامل في تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه بالأمر والنهي على ما يؤدي إلى استقامة ما عدق به «٢» ، وهو حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذي يرفع قدرها، ويعلي ذكرها، ويعظم خطرها، ويدل على فضل ملكها، وهو المتصرف عن السلطان في الوعيد، والترغيب، والإحماد والإذمام، واقتضاب المعاني التي تقر الوالي على ولايته وطاعته، وتعطف العدو العاصي عن عداوته ومعصيته. على أن بعض". (٢)

٣٠٧-"المجازاة. والشكر من أكبر أبواب الأمانة، وأبعده من أسباب الخيانة؛ ولن يبلغ أحد في ذلك غاية المجد إلا بمعونة الطمع، وإلا الحرب سجال بينهما، والظفر مقسوم عليهما. كذلك حكم الأشياء إذا تساوت في القوة، وتقاربت في بلوغ المدة. وقد زعم ناس أن الشاكر والمنعم لا يستويان، كما أن البادىء بالظلم والمنتصر لا يعتدلان، لأن البادىء أخذ ما ليس له، والمنتصر لم يتجاوز حقه الذي هو له، ولأن البادىء لم يكن مهيجا على الظلم بعلة جناها المنتصر، والمنتصر مهيج على المكافأة بعلة جناها البادىء، والمثور للطباع المغضب، والمستخف المهيج أعذر من الساكن الوادع المطمئن.

فلذلك قالوا: إن البادىء أظلم، والمنتصر أعذر. وزعموا أن المنعم هو الذي أودع صدر الشاكر المحبة بإنعامه عليه، وهيجه بذلك على مكافأته لإحسانه إليه، فقد صار المنعم شريك الشاكر في إحسانه، وتفرد بفضل إنعامه دون مشاركة غيره؛ والمنعم هو الذي دفع للشاكر أداة الشكر، وأعاره آلة الوفاء، فهو من ههنا أحق بالتقديم، وأولى بالتفضيل.

هذا، وقد **قال بعض الحكماء والأدباء** والعلماء: من تمام كرم المنعم التغافل عن حجته، والإقرار بالفضيلة لشاكر نعمته،

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ص/٣٦٠

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ١/ ٨٦

لأن المحاجة مغالبة، ولا تتم مودة إلا مع المسامحة. ولذلك قال الربعي لناس من العرب يختصمون:
هل لكم في الحق أو خير منه؟ قالوا: قد عرفنا الحق، فما الذي هو خير منه؟
قال: التغافل فإن الحق مر. ألا ترى إلى بنت هرم بن سنان لما قالت لابنة زهير بن أبي سلمى في بعض المناحات، أو في بعض المزاورات: إنه ليعجبني ما أرى من حسن شارتكم، ونقاء نفحتكم. قالت ابنة زهير: أما والله لئن قلت ما قلت، فما ذلك إلا من فضول ما وهبتم، ومن بقايا ما أنعمتم. قالت بنت هرم: لا بل لكم الفضل، وعلينا الشكر؛ أعطيناكم ما يفنى، وأعطيتمونا ما يبقى. وقيل لعبد الله بن جعفر حين أجزل لنصيب الشاعر في الهبة، وكثر له في العطية: أتنيل هذا العبد الأسود كل هذا النيل، وتحبوه بمثل هذا الحباء؟ فقال عبد الله بن جعفر: أما والله لئن كان أسود الجلد إنه". (١)

٣٠٨-"وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا صاحب، شهادة تزجر طير الإشراك بهذه الأشراك من كل جانب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي قربه فكان قاب قوسين أو أدنى وهذه أعلى المراتب، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين رقوا في العلياء لمراق لم يسم إليها طير مراقب، صلاة يسبق بها المصلي إلى بقاع شرف يشرق سناه في المشارق والمغارب، ويرجع طائرا بالسرور ولا رجوع الطائر الشارد إلى المشارب.
وبعد، فإن الصيد من أحل الأشياء وأحلاها، وأجلها وأجلاها، وأبهرها وأبهاها، وأشهرها وأشهاها، وأفخرها قيمة، وأغزرها ديمة؛ بورود الطير فيه إلى المناهل تنشرح الصدور، وبوقوعه في شرور الشرك يتم السرور؛ يحصل عند متعاطيه نشاطا، ويزيده انبساطا، ويشرح خاطره، ويسرح ناظره، ويملأ عينه قرة، وقلبه مسرة؛ يشجع الجبان، ويثبت الجنان، ويقوي الشهوة، ويسوي الخطوة، ويسوق الظفر، ويشوق النظر، ويروق منه الورد والصدر، ويفوق فيه الخبر على الخبر. قال بعض الحكماء: «قلما يغمش ناظر زهرة، أو يزمن مريع طريدة» ؛ يعني بذلك من أدمن الحركة في الصيد ونظر إلى البساتين، فاستمتع طرفه بنضرتها، وأنيق منظرها.
ومن ذا الذي ينكر لذة الاصطياد، والطرب بالقنص على الإطراد؟
ولله در القائل:
لولا طراد الصيد لم تك لذة ... فتطاردي لي بالوصال قليلا.
هذا الشراب أخو الحياة وما له ... من لذة حتى يصيب عليلا!
يا حسنه من فعل اعتلت بالنسيم موارده ومصادره، وفاقت أوائله في اللذاذة أواخره؛ ولله القائل:
إنما الصيد همة ونشاط ... يعقب الجسم صحة وصلاحا
ورجاء ينال فيه سرور ... حين يلقى إصابة ونجاحا!". (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ١٤/١٩٧
(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ١٤/٣٢٢

٣٠٩-"الصافي من كل شيء، قال ابن أحمر «١» يذكر امرأة:

تتيه بفاحم جعد ... وأبيض ناصع الحبر

يريد سواد شعرها، وبياض لونها؛ وفي الخبر «يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره» بكسر الحاء المهملة والسين فيهما.

قال ابن الأعرابي: حبره:

حسنه، وسبره هيئته، وقال المبرد: قال التوزي: سألت الفراء عن المداد لم سمي حبرا، فقال: يقال للمعلم حبر وحبر يعني بفتح الحاء وكسرها، فأرادوا مداد حبر أي مداد عالم، فحذفوا مداد وجعلوا مكانه حبرا. قال: فذكرت ذلك للأصمعي فقال: ليس هذا بشيء إنما هو لتأثيره، يقال: على أسنانه حبر إذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب إلى السواد، والحبر: الأثر يبقى في الجلد، وأنشد:

لقد أشمتت بي آل فيد وغادرت ... بجلدي حبرا بنت مصان باديا

أراد بالحبر الأثر، يعني أثر الكتابة في القرطاس، قال المبرد: وأنا أحسب أنه سمي بذلك لأن الكتاب يحبر به أي يحسن، أخذا من قولهم: حبرت الشيء تحبيرا إذا حسنته.

الوجه الثاني في شرف المداد والحبر، واختيار السواد لذلك

في الخبر «يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة فيوضع أحدهما في كفة الميزان والآخر في الكفة الأخرى فلا يرجح أحدهما على الآخر» **قال بعض الحكماء**: صورة المداد في الأبصار سوداء، وفي البصائر بيضاء. وقد قيل:

كواكب الحكم في ظلم المداد. ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر المداد، وهو يستره منه، فقال له: يا هذا، إن المداد من المروءة. وأنشد أبو زيد:". (١)

٣١٠-"وفي الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (١) ، وقديما قيل: "من لم يتعلم في صغره غالبا ما يتقدم في كبره".

أما مرحلة الكبر فقد دل التتبع والاستقراء من قبل العلماء والباحثين أنها مرحلة تفهم لحقائق الأشياء أكثر منها مرحلة تلقين، والعاقل يحرص على تعلم العلم وتفهمه والعمل به كبيرا وصغيرا، فالعلم أفضل خلف، والعمل به أكمل شرف، وفي المثل: "لا سمير كالعلم ولا ظهير كالحلم".

فتعلم أخي العلم فإنه يصلح فاسدك، ويرغم حاسدك، ويقيم ميلك، ويصلح أملك، ويقرب عليك ما بعد، وعلمه الصغير ليكون في الكبر أميرا، وقد **قال بعض الحكماء**: "تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرا، ويقدمك ويسودك كبيرا" وقيل: "تعلم العلم فإنه عز لا يبلى جديده، وكنز لا يفنى مديده، فمن لمن يعلم لم يسلم، فالفضل بالعقل والعلم والأدب لا بالأصل والحسب". (٢)

ومما يرغب فيه جني ثمار العلم ممن تحب وممن لا يعجب، وقد قيل: لا يمنعك ضعة القائل عن الاستماع إليه، فرب فم كريه

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ٢/٥٠١

مج علما ذكيا، وتبر صاف في صخر جاس، والجوهرة النفيسة لا يشينها سخافة غائصها، ولا دناءة بائعها، فاستكثر أخي العلم فإنه خفيف حمله، قال أبو نواس: ما رأيت شيئا إلا قليله أخف من كثيره إلا العلم فإنه كلما كان أكثر كان أخف محمل،

---

(١) – أخرجه البخاري في صحيحه باب ما قيل في أولاد المشركين حديث (١٣١٩) ، ومسلم في صحيحه باب معنى كل مولود يولد على الفطرة حديث (٢٦٥٨) ، واللفظ للبخاري.

(٢) – انظر الفرائد والقلائد ص١١.". [1]

٣١١-"وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عليك بالصدق وان قتلك، ولأن يضعني الصدق – وقلما يضع- أحب الي من ان يرفعني الكذب- وقلما يفعل- **وقال بعض الحكماء**: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن امنته. وقال الشاعر:

عليك بالصدق في كل الأمور ولا ... تكذب فأقبح ما يزري بك الكذب

وقال الجاحظ رحمة الله: الصدق والوفاء توأمان، والحلم والصبر توأمان فيهن تمام كل دين، وصلاح كل دنياء، وأضدادهما سبب كل فرقة، وأصل كل فساد. قال الشاعر:

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله ... وأقبح الكذب عند الله والناس

أما احمد شوقي فهو يرى أن الإنسان لا يكون صادقا في قوله حتى يصدقه فعله وذلك حيث يقول:

والمرء ليس بصادق في قوله ... حتى يؤيد قوله بفعاله

وفي السنة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) (١) .

---

(١) – أخرجه مسلم في صحيحه باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله حديث (٢٦٠٧) .". [2]

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٣٢/١

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٦٥٠/١

٣١٢-"وقيل: "لا تؤاخ الفاجر فإنه يزين لك فعله، ويحب لو أنك مثله، ويزين لك أسوء خصاله، ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار. ... ولا الأحمق فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك، وربما أراد أن ينفعك فيضرك، فسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وموته خير من حياته. ... ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه عيش، ينقل حديثك، وينقل الحديث إليك، حتى كأنه ليحدث بالصدق فيصدق. (١)

وقال بعض الحكماء: "من أخلاق الحمق: العجلة والخفة والجفاء والغرور والفجور والسفه والجهل والتواني والخيانة والظلم والضياع والتفريط والغفلة والسرور والخيلاء والفجر والمكر، وإن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، وإن فرح أشر، وإن قال فحش، وإن سأل ألح، وإن قال لم يحسن، وإن قيل له لم يفقه، وإن ضحك نهق، وإن بكى خار".

وقيل: "يعرف الأحمق بست خصال: الغضب من غير شيء، والإعطاء في غير حق، والكلام من غير منفعة، والثقة بكل أحد، وإفشاء السر، وأن لا يفرق بين عدوه وصديقه، ويتكلم ما يخطر على قلبه، ويتوهم أنه أعقل الناس".

وقال أبو حاتم بن حيان الحافظ: من علامات الحمق سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط في الضحك، وكثرة الالتفات، والوقيعة في الأخيار، والاختلاط بالأشرار. فمن ابتلي بصحبة الأحمق فليكثر من حمد الله على ما وهب له مما حرمه ذاك.

قال محمد الشامي:

---

(١) - روي هذا الكلام عن الإمام علي رضي والله عنه.". (١)

٣١٣-"قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بأمره لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا.

وقال عمر بن عبد العزيز: إن المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة لا يضل معهما رأي ولا يفقد معهما حزم.

وقال سيف بن ذي يزن: من أعجب برأيه لم يشاور، ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيدا.

وقال عبد الحميد: المشاور في رأيه ناظر من ورائه.

وقيل في منثور الحكم: المشاورة راحة لك وتعب على غيرك.

وقال بعض الحكماء: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه (١) .قلت: وقد وصف الله المؤمنين الموحدين بأن أمرهم شورى بينهم، ليدل على أن نظام الشورى أرقى النظم وأسماها، وأن الاستبداد في الحكومات وفي كل الأمور التي ينبغي التشاور فيها ليس من نظام الدين ولا من شأن المؤمنين، وأن الأمة التي تتخذ الشورى منهجا وسلوكا هي الأحرى بالإكبار والتقدير، ولله در القائل:

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر ... فالحق لا يخفى على اثنين

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٦٧٩/١

للمرئ مرآة تريه وجهه.....ويرى قفاه بجمع مرآتين

---

(١) – ادب الدنيا والدين تأليف الامام على بن محمد بن حبيب الماوردي ص ٣٠١ الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م الناشر الشركة الجزائرية اللبنانية.". (١)

٣١٤–"ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة. روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿من أراد أمرا فشاور فيه امرأ مسلما وفقه الله لأرشد أموره﴾ .

والخصلة الثالثة: أن يكون ناصحا ودودا، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأي.

وقال بعض الحكماء: لا تشاور إلا الحازم غير الحسود، واللبيب غير الحقود، وقال بعض الأدباء: مشورة المشفق الحازم ظفر، ومشورة غير الحازم خطر.

وقال بعض الشعراء:

أصف ضميرا لمن تعاشره ... واسكن إلى ناصح تشاوره

وارض من المرء في مودته ... بما يؤدي إليك ظاهره

من يكشف الناس لم يجد أحدا ... تصح منهم له سرائره

أوشك أن لا يدوم وصل أخ ... في كل زلاته تنافره

والخصلة الرابعة: أن يكون سليم الفكر من هم قاطع، وغم شاغل، فإن من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأي ولا يستقيم له خاطر.

وقد قيل في منثور الحكم: كل شيء يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج إلى التجارب.

وكان كسرى إذا دهمه أمر بعث إلى مرازبته فاستشارهم فإن قصروا في الرأي ضرب قهارمته وقال: أبطأتم بأرزاقهم فأخطئوا في آرائهم.". (٢)

٣١٥–"اخي انك لاتحمل الكرة الارضية على راسك فلا تتضجر وتظهر السخط والهم والجزع والحزن، فاعف عمن ظلمك، وتسامح عمن خاصمك، فقد تجد من بعض الناس مايؤذيك، فلا تقابل السيئة بمثلها، فقد نسب الى الحسن بن وهب انه قال من حقوق المودة اخذ العفو من الاخوان والاعفاء عن التقصير: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ (١) وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في تفسير هذه الاية اي: الرضا بغير عتاب: العفو عاقبته الرضا والشعور بالسعادة والطمأنية (٢) . وقد قال بعض الحكماء: "ان طلب الانصاف من قلة الانصاف" فالانسان اذا لم يكن متسامحا فانه لابد ان يجر

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٤١/٢

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٤٤/٢

نفسه الى ما يغضب، وانما التقي الرضي الذي يعفو ويصفح، في غير مايغضب ربه، واذا كان الانسان في بعض الاحيان لايرضي نفسه او لايرضا في بعض امور يقع فيها فكيف يرضى سجايا الناس كلها، قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه (٣)

فابدأ رحلتك مع اهلك مع زوجتك واطفالك مع مجتمعك بالرضا والابتهاج والابتسامة، ولا تبدأ رحلة حياتك مع مجتمعك ومع اهلك ومع اطفالك بالصراخ والشتم وتقطيب الوجه والتسخط والغضب، وكن لبيبا متسامحا،

---

(١) - سورة الحجر الاية (٨٥) .

(٢) - دع الحزن وابدأ الحياة، ص ١٢٣.

(٣) - ينسب هذا البيت لعلي بن الجهم، وينسب ايضا ليزي المهلبي، والله اعلم.". [١]

٣١٦-"بالدون ولا يقنع بما دون الغاية ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلى ما يراد وأرفع ما يستفاد فإن النفوس الأبية والهمم العلية لا ترضى بدون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه أو مال أو رئاسة أو صناعة أو حرفة حتى قال قائلهم:

إذا غامرت في شرف مدوم ... فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

وقال آخر مشيرا إلى هذا المعنى

إذا لم تكن ملكا مطاعا ... فكن عبدا لخالقه مطيعا

وإن لم تملك الدنيا جميعا ... كما تهواه فاتركها جميعا

هما شيئان من ملك ونسك ... ينيلان الفتى شرفا رفيعا

وقال آخر:

فإما مكانا يضرب النجم دونه ... سرادقه أو باكيا لحمام

وقد ورد هذا المعنى كثيرا في النظم والنثر وهو المطلب الذي تنشط إليه الهمم الشريفة وتقبله النفوس العلية (١)

الهمة المضيئة والارادة القوية

ان كثيرا من الناس تكمن فيه الهمة كمون النار في الزند، فهذه الهمة بحاجة الى من يوريها ويقدح زندها، فمهما حفظ

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٢/٢٩٤

الإنسان من الحكم وكانت رغباته صالحة فلن يكون منتجا الا اذا شحذ همته وقويت ارادته، وانتهز فرصته، فلاتصغرن همتهك، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال: "لاتصغرن همتكم، فاني لم ار اقعد عن المكرمات من صغر الهمم" (٢) وقال الامام مالك رحمه الله: "عليك بمعالي الامور وكرائمها واتق رذائلها وما سف منها فان الله تعالى يحب معالي الامور ويكره سفاسفها" **وقال بعض الحكماء**: "الهمة راية الجد" وقال بعض البلغاء: "علو الهمم بذر النعم" (٣)

وقال الامام علي رضي الله عنه:

إذا أظمأتك أكف الرجال ... كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

وقال اخر:

إن لي همة أشد من الصخ ... ر وأقوى من راسيات الجبال (٤)

وقال احمد شوقي: "الطير يطير بجناحيه، والمرء يطير بهمته"، وقال ابن القيم رحمه الله: "انما تفاوت القوم بالهمم لابالصور" (٥) فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصل بكل جميل، ومن دنت همته وطغت نفسه اتصف بكل خلق رذيل (٦) وقال الفت عجز العدة؛ فلو علت بك همتك ربا

---

(١) – ادب الطلب ومنتهى الادب، للامام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله، ص١٢٧، الناشر دار ابن حزم بيروت لبنان سنة النشر ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٢) – ادب الدنيا والدين للماوردي، ص٣١٩.

(٣) – ادب الدنيا والدين للماوردي، ٣١٩.

(٤) – هذا البيت لعنتر بن شداد.

(٥) – الفوائد لابن القيم، ص٧٧.

(٦) – الفوائد لابن القيم ، ص٢١١.". [١]

٣١٧–"وما في جميع الناس شر من الوشاة، وهم النمامون، وإن النميمة لطبع يدل على نتن الأصل، ورداءة الفرع، وفساد الطبع، وخبث النشأة، ولابد لصاحبه من الكذب؛ والنميمة فرع من فروع الكذب ونوع من أنواعه، وكل نمام كذاب، وما أحببت كذابا قط، وإني لأسامح في إخاء كل ذي عيب وإن كان عظيما، واكل أمره إلى خالقه عز وجل، وآخذ ما ظهر من أخلاقه حاشا من أعلمه يكذب، فهو عندي ماح لكل محاسنه، وذلك لان كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه وكل

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٢/٣٣٠

ذام فقد يمكن الاستتار به والتوبة منه، حاشا الكذب فلا سبيل إلى الرجعة عنه ولا إلى كتمانه حيث كان.
وما رأيت قط ولا أخبرني من رأى كذابا ترك الكذب ولم يعد إليه، ولا بدأت قط بقطيعة ذي معرفة إلا أن أطلع له على الكذب، فحينئذ أكون أنا القاصد إلى مجانبته والمتعرض لمتاركته، وهي سمة ما رأيتها قط في أحد إلا وهو مزنون إليه بشر في نفسه، مغموز عليه لعاهة سوء في ذاته، نعوذ بالله من الخذلان.
وقد **قال بعض الحكماء**: آخ من شئت واجتنب ثلاثة: الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، والملوك فإنه أوثق ما تكون به لطول الصحبة وتأكدها بخذلك، والكذاب فإنه يجني عليك آمن ما كنت فيه من حيث لا تشعر.
وحديث عن الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " حسن العهد من الإيمان "؛ وعنه عليه السلام: " لا يؤمن الرجل بالإيمان كله حتى يدع الكذب في المزاح ".
حدثنا". (١)

٣١٨-"وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات «١» وفي شن الغارات. ولا تغلوا عند الغنائم ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا وابشروا بالرباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم.
استشار قوم أكثم «٢» بن صيفي في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال: أقلوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة. تثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين «٣» ، ورب عجلة تعقب ريثا «٤» ، واتزروا للحرب وادرعوا الليل فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف عليه.
وقال بعض الحكماء: قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا". (٢)

٣١٩-"فإن العدو قد نهد إليك وحث، وغاية أصحابك أن يسرجوا ويلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل، فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يعاين غبارا، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير، لا تتشاغل بي وناد في الناس. أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس؟ إن وراءها لجمعا كثيفا. قال: فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد اصطلم.
وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: آمرك بالتقدم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد من قبل دخولك في غد كما تعد السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عتاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت تدري لعلها لا تصيبه، بل كما تعد الطعام لعدد الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته.
وقرأت في كتاب سير العجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطلة

(١) طوق الحمامة لابن حزم ص/١٧٣
(٢) عيون الأخبار ١/١٨٦

ببلخ، فلما انتهى إلى بلاده اشتد رعب اخشنوار منه وحذره له، فناظر أصحابه ووزراءه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موثقا وعهدا تطمئن إليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتحسن إليهم وتخلفني فيهم، ثم اقطع يدي ورجلي وألقني على طريق فيروز حتى يمر بي هو وأصحابه فأكفيك مؤونتهم وشوكتهم وأورطهم مورطا تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار: وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت ولم تشركنا في ذلك؟ قال: إني قد بلغت ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا موقن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أياما قلائل، فأحب أن أختم عمري بأفضل ما تختم به الأعمار من النصيحة لإخواني والنكاية في عدوي فيشرف بذلك عقبي وأصيب سعادة ووحظوة فيما". (١)

٣٢٠-"ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكنه الذي يعرف خير الشرين، وليس الواصل الذي يصل من يصله ولكنه الذي يصل من قطعه. وقال زياد: ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع ولكنه الذي يحتال للأمر ألا يقع فيه. قال معاوية لعمرو: ما بلغ من دهائك يا عمرو؟ قال عمرو: لم أدخل في أمر قط فكرهته إلا خرجت منه. قال معاوية: لكني لم أدخل في أمر قط فأردت الخروج منه. وقرأت في كتاب للهند: الناس حازمان وعاجز، فأحد الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم ينظر به وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحزم منه العارف بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه، والعاجز في تردد وتثن حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا. وقال أعرابي: لو صور العقل لأظلمت معه الشمس، ولو صور الحمق لأضاء معه الليل. **قال بعض الحكماء**: ما عبد الله بشيء أحب إليه من العقل وما عصي الله بشيء أحب إليه من الستر.
أبو روق عن الضحاك في قول الله عز وجل: لينذر من كان حيا
«١» قال: من كان عاقلا. ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب فقال: كان أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع.
حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب بن الشهيد قال: قال إياس: لست بخب والخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين ويخدع أبي ويخدع الحسن. قال غيره: وكان كثيرا ما ينشد: [متقارب]
أبى لي البلاء وأني امرؤ ... إذا ما تثبت لم أرتب
وفي كتاب كليلة ودمنة: الأدب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سكرا، كما أن النهار يزيد كل ذي بصر بصرا ويزيد الخفافيش سوء بصر.". (٢)

٣٢١-"لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للعواقب لم تزل ... للحاسد النعمى على المحسود
وقال عبد الملك للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فعب نفسك قال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال: لتفعلن. قال: أنا لجوج حقود حسود، قال عبد الملك: ما في الشيطان شر مما ذكرت. **قال بعض الحكماء**: الحسد من

(١) عيون الأخبار ١/١٩٧

(٢) عيون الأخبار ١/٣٩٤

تعادي الطبائع واختلاف التركيب وفساد مزاج البنية وضعف عقد العقل والحاسد طويل الحسرات.

قال ابن المقفع: أقل ما لتارك الحسد في تركه أن يصرف عن نفسه عذابا ليس بمدرك به حظا ولا غائظ به عدوا، فإنا لم نر ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد، طول أسف ومحالفة كآبة وشدة تحرق، ولا يبرح زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزالا ويكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعما ولا يزال ساخطا على من لا يترضاه ومتسخطا لما لن ينال فوقه، فهو منغص المعيشة دائم السخطة محروم الطلبة، لا بما قسم له يقنع ولا على ما لم يقسم له يغلب، والمحسود يتقلب في فضل الله مباشرا للسرور منتفعا به ممهلا فيه إلى مدة ولا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص.

قيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن أخاه؟ قال: لا أبا لك «١» ، أنسيت إخوة يوسف؟ وكان يقال: إذا أردت أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمورك.

ويقال: إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسدا.

وقال العتبي «٢» - وذكر ولده الذين ماتوا-[متقارب]". (١)

٣٢٢-"نوفل قال: بكر البكرين شيطان مخلد لا يموت إلى يوم القيامة؛ يعني من الشياطين. قالوا: وابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أمه. والعرب تذكر أن الغيرى لا تنجب. قال عمرو «١» بن معد يكرب: [متقارب]

ألست تصير إذا ما نسب ... ت بين المغارة «٢» والأحمق

وقال بعض الحكماء: كل امرأة أو دابة تبطىء عن الحبل، إذا واقعها الفحل في الأيام التي يجري الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله. قال عبيد الله بن الحسن: إذا أردت أن تذكر المرأة فأغضبها ثم قع عليها. وقال الحارث ابن كلدة: إذا أردت أن تحبل المرأة، فمشها في عرضة الدار عشرة أشواط فإن رحمها ينزل فلا تكاد تخلف. والعرب تقول: إن المرأة إذا لقحت في قبل الطهر «٣» في أول الشهر عند تبلج الفجر ثم أذكرت «٤» جاءت به لا يطاق. قال الشاعر وجمع هذه المعاني: [خفيف]

لقحت في الهلال عن قبل الطه ... ر وقد لاح للصباح بشير

ويقولون: إذا أكره الرجل المرأة وهي مذعورة ثم أذكرت أنجبت. قال أبو كبير الهذلي: [كامل]

حملت به في ليلة مزؤودة «٥» ... كرها وعقد نطاقها لم يحلل". (٢)

٣٢٣-"البيض

قالوا: والبيض يكون من أربعة أشياء: منه ما يكون من السفاد؛ ومنه ما يكون من التراب؛ ومنه ما يكون من نسيم الريح

---

(١) عيون الأخبار ٢/١٢

(٢) عيون الأخبار ٢/٧٧

يصل إلى أرحامها؛ ومنه شيء يعتري الحجل «١» وما شاكله في الطبيعة، فإن الأنثى منه ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق الذكر في بعض الزمان فتحتشي من ذلك بيضا، وكذلك النخلة تكون بجنب الفحال «٢» وتحت ريحه فتلقح بتلك الريحة وتكتفي بذلك، والدجاجة إذا هرمت لم يكن لبيضها مح، وإذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق فيها فرخ، لأنه لا يكون له طعم يغذوه؛ والفرخ والفروج يخلقان من البياض وغذاؤهما الصفرة، وإذا باضت الدجاجة بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها؛ والطائر إذا نتف ريشه احتبس بيضه وإذا سمع صوت الرعد الشديد.

الخفاش «٣»

قالوا: عجائب الخفاش أنه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتحبل وتلد وتحيض وترضع وتطير بلا ريش، وتحمل الأنثى ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه بفيها خوفا عليه، وربما ولدت وهي تطير.

ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها، وأبصارها تصح على طول العمر، وإنما يظهر في القمر منها المسنات؛ **وقال بعض الحكماء**: الخفاش فأر يطير.". (١)

٣٢٤-"في شبيبته لقاه الله الحكمة في سنه، وذلك قوله: ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين

«١» **قال بعض الحكماء** من الصحابة: تقول الحكمة: من التمسني فلم يجدني فليفعل بأحسن ما يعلم، وليترك أقبح ما يعلم، فإذا فعل ذلك فأنا معه وإن لم يعرفني. وكان يقال: لا يكون الرجل عالما حتى يكون فيه ثلاث: لا يحقر من دونه في العلم، ولا يحسد من فوقه، ولا يأخذ على علمه ثمنا. وقال ابن عيينة: يستحب للعالم إذا علم ألا يعنف، وإذا علم ألا يأنف. وفي كلام لغيلان، لا تكن كعلماء زمن الهرج «٢» إن علموا أنفوا وإن علموا عنفوا. وفي حكمة لقمان: إن العالم الحكيم يدعو الناس إلى علمه بالصمت والوقار، وإن العالم الأخرق يطرد الناس عن علمه بالهذر والإكثار. قال إبراهيم بن المنصور: سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس. وأنشد ابن الأعرابي: [كامل]

ما أقرب الأشياء حين يسوقها ... قدر وأبعدها إذا لم تقدر

فسل الفقيه تكن فقيها مثله ... من يسع في عمل بفقه يمهر

وتدبر الأمر الذي تعنى به ... لا خير في عمل بغير تدبر

فلقد يجد المرء وهو مقصر ... ويخيب جد المرء غير مقصر

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضا ليدفع معور «٣» عن معور". (٢)

---

(١) عيون الأخبار ١٠٨/٢

(٢) عيون الأخبار ١٣٨/٢

٣٢٥-"اعمل بعلمي ولا تنظر إلى عملي ... ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري

كتب رجل إلى أخ له: إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم.

وقال بعض الحكماء: لولا العلم لم يطلب العمل، ولولا العمل لم يطلب العلم، ولأن أدع الحق جهلا به أحب إلي من أن أدعه زهدا فيه. وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا. «١» ونحوه قول زياد: إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان.

ويقال: العلماء إذا علموا كملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا. قال الحسن: ما أحسن الرجل ناطقا عالما ومستمعا واعيا وواعيا عاملا. وقال ابن مسعود: إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها.

وقال ابن عباس: إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله. وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك: [متقارب]

إذا ما تحدثت في مجلس ... تناهى حديثي إلى ما علمت

ولم أعد علمي إلى غيره ... وكان إذا ما تناهى قصرت

وقال آخر «٢» : [طويل]

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده ... أطال فأملى أم تناهى فأقصرا

ويخبرني عن غائب المرء فعله ... كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

قال عمر بن الخطاب: لا أدركت لا أنا ولا أنت زمانا يتغاير الناس فيه". (١)

٣٢٦-"قال أبو الدرداء: أنصف أذنيك من فيك، فإنما جعل لك أذنان اثنتان وفم واحد، تسمع أكثر مما تقول.

حضر قشيري مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمت، فقال له بعضهم: بحق سميتم خرس العرب؛ فقال القشيري: يا أخي، إن حظ الرجل في أذنه لنفسه، وحظه في لسانه لغيره.

وقال بعض الحكماء: أكثر الصمت ما لم تكن مسؤولا فإن فوت الصواب أيسر من خطل القول: وإذا نازعتك نفسك إلى مراتب القائلين المصيبين، فاذكر ما دون الصواب من وجل الخطأ وفضائح المقصرين.

تكلم رجل في مجلس الهيثم بن صالح بخطأ، فقال له الهيثم: يا هذا، بكلام مثلك رزق أهل الصمت المحبة. وقال أبو نواس: [مجزوء الرمل]

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

إنما السالم من أل ... جم فاه بلجام

وقال آخر: [متقارب]

---

(١) عيون الأخبار ١٤١/٢

رأيت اللسان على أهله ... إذا ساسه الجهل ليثا مغيرا «١»

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدثنا صاحب لنا عن مالك بن دينار أنه قال: لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام.". (١)

٣٢٧-"أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء «اتخذ الدنيا ظئرا «١» والآخرة أما» .

قال الشعبي: «٢» ما أعلم لنا وللدنيا مثلا إلا ما قال كثير. [طويل]

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت «٣»

قال بكر بن عبد الله: المستغني عن الدنيا بالدنيا كالمطفىء النار بالتبن.

قال ابن مسعود: الدنيا كلها غموم، فما كان فيها من سرور فهو ربح.

قال محمد بن الحنفية: من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا.

وقال بعض الحكماء: مثل الدنيا والآخرة مثل رجل له ضرتان إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى.

قال سفيان: ترك لكم الملوك الحكمة فاتركوا لهم الدنيا.

وقال آخر: إن الدنيا قد استودقت وأنعظ الناس «٤» .

قال وهيب بن الورد: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل.

قيل لمحمد بن واسع: إنك لترضى بالدون؛ فقال: إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا.

قيل لعلي بن الحسين: من أعظم الناس خطرا؟ فقال: من لم ير الدنيا خطرا لنفسه.

كان يقال: لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب به الدنيا أحسن من أن تطلب بأحسن ما تطلب به الآخرة.". (٢)

٣٢٨-"حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: كان يقال: الثناء يضاعف كما تضاعف الحسنات؛ يكون الرجل سخيا فيزيد الله في سخائه، ويكون شجاعا فيزيد الله في شجاعته.

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن العمري قال: قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن فلانا رجل صدق؛ قال: سافرت معه؟ قال لا.

قال: فكانت بينك وبينه خصومة؟ قال لا. قال: فهل ائتمنته على شيء؟ قال لا. قال: فأنت الذي لا علم لك به، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد!.

قال بعض الحكماء: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر.

وقال آخر: حق النعمة أن تحسن لباسها، وتنسبها إلى وليها، وتذكر ما تناسى عندك منها.

---

(١) عيون الأخبار ١٩٣/٢

(٢) عيون الأخبار ٣٥٦/٢

وقال بعض الحارثيين: [بسيط]

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن ... لكنه يشتهي حمدا بمجان «١»

والناس أكيس من أن يحمدوا أحدا ... حتى يروا قبله آثار إحسان

وقال حماد عجرد: [بسيط]

قد ينقضي كل ما أوليت من حسن ... إذا أتى دون ما أوليت يومان

تنأى بودك ما استغنيت عن أحد ... وإن طمعت فأنت الواصل الداني

الشهد أنت إذا ما حاجة عرضت ... وحنظل كلما استغنيت خطبان «٢»". (١)

٣٢٩-"المعظم والصبي المدلل، ولست واحدا منهما. وأنت قد تأتي الدعوات، وتجيب الولائم، وتدخل منازل الإخوان، وعهدك باللحم قريب، وإخوانك أشد قرما «١» إليه منك، وإنما هو رأس واحد فلا عليك أن تتجافى عن بعض وتصيب بعضا. وأنا بعد أكره لك الموالاة بين اللحم؛ فإن الله يبغض أهل البيت اللحمين «٢» .

وكان يقال: مدمن اللحم كمدمن الخمر.

ورأى رجل رجلا يأكل لحما، فقال: لحم يأكل لحما، أف لهذا عملا!.

وكان عمر يقول: إياكم وهذه المجازر، فإن لها ضرواة كضراوة الخمر «٣» .

يا بني عود نفسك الأثرة «٤» ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تخضم خضم البراذين «٥» ، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمال؛ فإن الله تعالى جعلك إنسانا وفضلك، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعا. واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة «٦» .

قال بعض الحكماء: إذا كنت بطينا فعد نفسك من الزمني «٧» . وقال الأعشى: [خفيف]". (٢)

٣٣٠-"الأصمعي قال: بلغني أن أقواما لبسوا المطارف «١» العتاق، والعمائم الرقاق؛ وأوسعوا دورهم، وضيقوا قبورهم؛ وأسمنوا دوابهم، وهزلوا دينهم؛ طعام أحدهم غصب، وخادمه سخرة، يتكىء على شماله، ويأكل من غير ماله؛ حتى إذا أدركته الكظة قال: يا جارية هاتي حاطوما «٢» ؛ ويلك! وهل تحطم إلا دينك! أين مساكينك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين!.

قال بعض الحكماء: مدار صلاح الأمور في أربع: الطعام لا يؤكل إلا على شهوة، والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها، والملك لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «من أكل من سقط المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وولد ولده

---

(١) عيون الأخبار ١٧٨/٣

(٢) عيون الأخبار ٢٣٩/٣

من الحمق» .

وقيل لأعرابي: أتحسن أن تأكل الرأى؟ قال: نعم، أبخص عينيه «٣» ، وأسحي «٤» ، خديه، وأفك لحييه، وأرمي بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه.

وكانوا يكرهون أكل الدماغ؛ ولذلك يقول قائلهم: أنا من قبيلة تبقى المخ في الجماجم.

دعبل قال: يا بني، لا تأكل ألية الشاة لأنها طبق الاست وقريب من الجواعر «٥» .

قال بعض الشعراء: [طويل]

إذا لم أرى إلا لآكل أكلة ... فلا رفعت يمنى يدي طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنيمة ... ولا جوعة إن جعتها بغرام «٦»". [١]

٣٣١-"وقال الغطمش الضبي «١» : [طويل]

ولو وجدوا نعل الغطمش لاحتذوا ... لأرجلهم منها ثماني أنعل

كان جرير بن عبد الله يثفل «٢» إلى ذروة البعير من طوله، وكانت نعله ذراعا.

الأصمعي قال: دخل المغيرة بن شعبة على معاوية، فقال معاوية:

[طويل]

إذا راح في قوهية متلبسا ... تقل جعل يستن في لبن مخض «٣»

وأقسم لو خرت من استك بيضة ... لما انكسرت من قرب بعضك من بعض «٤»

اللحى

قال بعض الحكماء: لا تصافين من لا شعر على عارضيه وإن كانت الدنيا خرابا إلا منه.

كانت عائشة ربما قالت: والذي زين الرجال باللحى.

وقال بعض المحدثين: [سريع]

يا لحية طالت على نوكها ... كأنها لحية جبريل «٥»

لو كان ما يقطر من دهنها ... ليلا لوفى ألف قنديل". [٢]

٣٣٢-"وقال آخر

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه ... يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وأما الذي يجمع الفضائل والرذائل فهو والذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم وقد تكتسب الأخلاق

---

(١) عيون الأخبار ٢٤٣/٣

(٢) عيون الأخبار ٥٥/٤

من معاشرة الاخلاء فإن صلاحها من معاشرة الكرام وفسادها من مخالطة اللئام ورب طبع كريم أفسدته معاشرة الأشرار وطبع لئيم أصلحته مصاحبة الأخيار وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال علي رضي الله عنه لولده الحسن الأخ رقعة في ثوبك فانظر بم ترقعه **وقال بعض الحكماء** في وصية لولده يا بني احذر مقارنة ذوي الطباع المرذولة لئلا يسرق طباعك من طباعهم وأنت لا تشعر ثم أنشد

واصحب الأخيار وارغب فيهم ... رب من صاحبته مثل الجرب

فإذا كان الخليل كريم الأخلاق حسن السيرة طاهر السريرة فبه في محاسن الشيم يقتدي وبنجم رشده في طرق المكارم يهتدي. وإذا كان سيء الأعمال خبيث الأقوال كان المعتبط به كذلك ومع ذلك فواجب على العاقل اللبيب والفطن الأريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله وحميد طرائقه ويكد في الهواجر ويسهر الليالي إلى أن يرتقي شرفات المجد والمعالي فقد قيل من شمر عن ساق الجد وجد مفتاح الجد ومن كلام الثعالبي لا يحصل برد العيش الأبحر النصب ولله در الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي حيث قال

سأعرض كل منزلة ... يعرض دونها العطب". (١)

٣٣٣-"فإن أسلم رجعت وقد ... ظفرت وأنجح الطلب

وإن أعطب فلا عجب ... لكل منية سبب

وقال عمرو بن العاصي المرء حيث يجعل نفسه إن رفعها ارتفعت وإن وضعها اتضعت وقال الشاعر

وما الحر إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء النفس عروف غروف ونفور ألوف متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها حملت وإن أهملتها فسدت وقال الشاعر

صبرت على اللذات حتى تولت ... وألزمت نفسي هجرها فاستمرت

وجرعتها المكروه حتى تجردت ... ولو حملته جملة لاشمأزت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أطمعت تاقت وإلا تسلت

وكانت على الآمال نفسي عزيزة ... فلما رأت عزمي على الترك ولت

وقال آخر

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقالوا الفخر بالنفس والأفعال لا بالأعمام والأخوال وقالوا الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وقال عامر بن الطفيل

وإني وإن كنت ابن فارس عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب

فما سودتني عامر عن وراثه ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١١

ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمقنب". (١)

٣٣٤-"مما يدل على شرف الأبوة إلزام النفس بأنواع المروة

قال بهرام بن بهرام المروأة اسم جامع للمحاسن كلها وقال بعض البلغاء المروأة جامعة لأشتات المبرات جالبة لأسباب المسرات دالة على كرم الأعراق باعثة على مكارم الأخلاق ناظمة لقلائد الفوائد عاقلة لشوارد المحامد **وقال بعض الحكماء** المروأة سجية جبلت عليها النفوس الزكية وشيمة طبعت عليها الطباع الكريمة وقالوا أولى الناس بالمروة من له نبوة النبوة وقد جمع الله تعالى متفرقاتها في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي وجمعها النبي عليه الصلاة والسلام على نوع آخر فقال من عامل الناس فلم يظلمهم ووعدهم فلم يخلفهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروأته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته وجمعها بعضهم على نوع آخر فقال باب مفتوح وخير ممنوح وستر مرفوع وطعام موضوع ونائل مبذول وكلام معسول وعفاف معروف وأذى مكفوف وجمعها آخر فقال مروأة الرجل صدق لسانه واحتمال عثرات إخوانه وبذل المعروف لأهل زمانه وكف الأذى عن جيرانه وقال أعرابي والله لولا أن المروأة ثقيل محملها شديدة مؤنتها ما ترك اللئام للكرام منها شيأ وقالوا المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة كما قال يزيد بن المهلب لولده كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا أقل ما تكون في الباطن مآلا وقال عليه الصلاة والسلام إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما إن الله جميل يحب الجمال وقالوا مروأة الرجل أن لا يلبس ثوب شهرة كما قال بعض الظرفاء كل ما اشتهت نفسك والبس ما يلبسه أبناء جنسك ولقد أحسن بعض الشعراء حيث نظم هذه الكلمات يخاطب بها إنسانا لبس ثوب شهرة فقال". (٢)

٣٣٥-"باطنه وقال زهير بن أبي سلمى

ومهما تكن عند امرء من خليقة ... وإن خالها تخفي على الناس تعلم

وقال آخر

كل أمرئ راجع يوما لشيمته ... وإن تخلق أخلاقا إلى حين

وقال بعض الحكماء لتلميذ له يا من باطنه منظور الحق وظاهره منظور الخلق حسن ما شئت لما شئت وقالوا ما أقبح بالانسان أن يقول ما لا يفعل وما أحسس الفعل ابتداء قبل القول فإن من مات محمودا أحسن حالا ممن عاش مذموما وقال أكثم بن صيفي فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل على القول مكرمة ويقال أحسن المقال ما صدق بحسن الفعال وكان رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بلسان لا يوافقه القلب فقال له رضي الله عنه يوما وقد ألح عليه في الثناء أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك فانظر إلى هذه الفراسة المفترسة لحبات القلوب المكشوف لها الغطاء

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٢

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٤

عن خفيات الغيوب **وقال بعض الحكماء** لأن يكون لي نصف لسان ونصف وجه على ما فيهما من قبح المنظر وسوء المخبر أحب إلي من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين وقال أرسطو طاليس وجهك مرآة قلبك فإنه يظهر على الوجوه ما تضمره القلوب وقالوا العيون طلائع القلوب وقد أولع الشعراء بنظم هذا المعنى كثيرا فمن ذلك قول بعضهم

إن العيون لتبدي في نواظرها ... ما في القلوب من البغضاء والأحن

وقال آخر

تريك أعينهم ما في صدورهم ... إن الصدور يؤدي سرها النظر". (١)

٣٣٦-"الايمان وقالوا فلان له خلق خلق وشأن شائن وشيمة مشؤمة وخيم وخيم وطبع طبيع

من مساوئ أخلاقهم الذميمة

نقل الأقدام بالسعاية والنميمة

قالوا النميمة الخصال الذميمة تدل على نفس سقيمة وطبيعة لئيمة مشغوفة بهتك الأستار وإفشاء الأسرار **وقال بعض الحكماء** الأشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الألمة من الجسد ويترك الصحيحة وقالوا لم يمش ماش شر من واش والساعي بالنميمة يهلك نفسه ومن سعى به ومن سعى إليه كما حكى أن عمرو بن معاوية ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العتبي رأى رجلا يسعى برجل عند صديق له فقال له نزه سمعك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن التكلم به فإن السامع شريك القائل وإنما نظر شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك ولوردت كلمة ساع إلى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها والنمام شر من الساحر فإن النمام يفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسد الساحر في المدة الطويلة أتى رجل عبد الله بن عباس وهو والي البصرة من قبل علي رضي الله عنه بنميمة فقال له إن شئت سألنا عما جئت به فإن كنت صادقا مقتناك وإن كنت كاذبا عاقبناك وإن شئت أقلناك فقال إن شئت أن تفعل فافعل شاعر

توخ من الطرق أوساطها ... وعد عن الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع الحديث ... شريك لقائله فانتبه

وقال أبو الأسود الدؤلي

لا تقبلن نميمة بلغتها ... وتحفظن من الذي أنباكها

إن الذي ألقى إليك نميمة ... سينم عنك بمثلها قد حاكها". (٢)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٧

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/٦٦

٣٣٧-"جماع ما يتخلق به الأنذال ... من الشيم والخلال

قال بعض الحكماء أربعة من علامات اللؤم أفشا السر واعتقاد الغدر وغيبة الأحرار وإساءة الجوار وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه فتلكأ وأبى أن يخبره فأقسم عليه أن لا بد فقال حسود كنود لجوج حقود فقال عبد الملك ما في إبليس شر من هذه الخصال فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال لقد انتحل الشر بحذافيره ومرق من جميع خلال الخير بأسره وتأنق في ذم نفسه وتجرد في الدلالة على لؤم طبعه وأفرط في إقامة الحجة على كفره وخرج من الخلال الموجبة لرضا ربه وقال أبو تمام

مسا ولو قسمن على الغواني ... لما أمهرن إلا بالطلاق

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من كن فيه فهو منافق من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا ائتمن خان وقالوا اللئيم كذوب الوعد خؤن العهد قليل الرفد وقالوا اللئيم إذا استغنى بطر وإذا افتقر قنط وإن قال أفحش وإن سئل بخل وإن سال ألحف وإن أسدى إليه صنيع أخفاه وإن استكتم سرا أفشاد فصديقه منه على حذر وعدوه منه على غرر

ومما اخترناه في غدر اللئام ... من درر الأهاجي والمذام

ذم أحمد بن يوسف الكاتب بني سعيد بن مسلم بن قتيبة فقال محاسنهم مساوئ السفل ومساويهم فضائح الأمم ألسنتهم معقودة بالعي وأيديهم معقولة بالبخل وأعراضهم أغراض الذم فهم كما قيل

لا يكثرون وإن طالت حياتهم ... ولا تبيد مخازيهم وإن بادوا". (١)

٣٣٨-"**وقال بعض الحكماء** العقل غريزة لا يقدر أحد أن يصفها في نفسه ولا في غيره ولا يعرف إلا بالأقوال والأفعال الدالة عليه وعلى كل حال فلا سبيل أن يوصف بجسم ولا لون ولا عرض ولا طول وقال العتبي واسمه عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفزع فإذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة البصر أخذه من هذه الأبيات وتنسب إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ورضي عنه

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع ... إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

ويفهم من فحوى ما ذكرناه أن العقل في القلب وهذا القول هو الموجود بصحة النظر والمعلوم من جهة الأثر قال الله تعالى أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العقل في القلب به يفرق بين الحق والباطل وقال بعضهم هو في

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٧٢

الدماغ وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه وقال عمرو بن العاصي يثغر الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة وينتهي طوله لإحدى وعشرين وينتهي عقله لثمان وعشرين ويبلغ أشده لخمس وثلاثين وما بعد ذلك تجارب وقال بعضهم كل شيء مفتقر إلى العقل والعقل مفتقر إلى التجارب وقال بعضهم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله **وقال بعض الحكماء** أربعة تحتاج إلى أربع الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقرابة إلى المودة والعقل إلى التجربة ويقال هرم السن شباب العقل وقال البستي

ما استقامت قناة رأيي إلا ... بعد ما عوج المشيب قناتي". (١)

٣٣٩-"ما أثبتناه من الكلام الرائع الرائق ... فيما يمتاز به العاقل من المائق

قال بعض أهل العلم إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض أتاه جبريل عليه السلام بثلاثة أشياء بالدين والعقل وحسن الخلق وقال إن الله يخيرك واحدا من هذه الثلاثة فقال يا جبريل ما رأيت أحسن من هؤلاء في الجنة ثم مديده إلى العقل وقال لذينك اصعدا قالا لا نصعد قال أتعصياني قالا لا نعصيك ولكنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعاقل عشر خصال يعرف بها يحلم عمن ظلمه ويتواضع لمن دونه ويسابق إلى بر من هو فوقه وينتهز الفرصة إذا أمكنته لا يفارقه الخوف ولا يصحبه العنف يتدبر ثم يتكلم فإذا تكلم غنم وإذا سكت سلم وإذا اعترضت له فتنة اعتصم بالله وقال أبو عبادة مادحا

غريب السجايا ما تزال عقولنا ... مدلهمة في خلة من خلاله

عداه الحجى في عنفوان شبابه ... وأقبل كهلا قبل حين اكتهاله

وقالوا من علامة العاقل ثلاثة تقوى الله وصدق الحديث وترك ما لا يعني وفي حكمة داود على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه مالكا للسانه مقبلا على شأنه **وقال بعض الحكماء** أربعة تدل على صحة العقل حب العلم وحسن الحلم وصحة الجواب وكثرة الصواب وقالوا إن أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون فإن أنكر فهو عاقل وإن صدق فهو أحمق وقالوا لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد بما لا يستطاع انجازه وقال لقمان لابنه لا يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال يكون الكبر منه مأمونا والرشد فيه مأمولا وفضل ما لديه مبذولا لا يصيب من الدنيا إلا القوت التواضع أحب إليه من الشرف والذل أحب إليه من العز لا يسأم من طلب المعالي ولا يتبرم بطلب الحوائج إليه يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثيره من نفسه وأن يرى جميع أهل الدنيا خيرا منه وإنه شرا منهم وهذه الخصلة تشيد مجده". (٢)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٠٩

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/١١٣

٣٤٠-"له إلى الله وتدبيره ... ثم إلى الدهر وتجريبه

فإنما الأقدار لا بد أن ... تأتي بما خط وتجري به

فليس كما قال فإنما الهمل في الامهال ولا عذر له في الاهمال وعود الصبا أبدا آمنا إن يحتاج إلى الشفيف وطيش الشباب سريع الحراك فلا غناء له عن التوقيف ويحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان له ولد فترك الصلاة يوما ومضى يلعب بالكلاب مع الصبيان فكتب إلى مؤدبه رقعة وأرسلها معه مختومة يقول فيها

ترك الصلاة لا كلب يسعى بها ... نحو الفراش مع الغواة الأرجس

فليأتينك غاديا بصحيفة ... كتبت كمثل صحيفة المتلمس

فإذا أتاك معذرا بملامة ... فعظنه موعظة اللبيب الأكيس

وإذا هممت بضربه فبدرة ... وإذا بلغت به ثلاثا فاحبس

واعلم بأنك ما فعلت فنفسه ... مع ما تجرعني أعز الأنفس

وأما العلم فقدره كبير وفضله كثير ويكفي في شرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير سليمان بين الملك والمال والعلم فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم **قال بعض الحكماء إذا** اجتمع العقل والعلم في رجل فقد استطاب المحيا وسما إلى الدرجة العليا وجمع الآخرة والدنيا وقالوا العلم أفضل مكتسب وأكرم منتسب وأشرف ذخيرة تقتنى وأطيب ثمرة تجتنى وبه يتوصل إلى معرفة الحقائق ويتوصل إلى رضا الخالق وهو أفضل نتائج العقل وأعلاها وأكرم فروعه وأزكاها لا يضيع أبدا صاحبه ولا فتقر كاسبه ولا يخيب طالبه ولا تنحط مراتبه وقال معاذ بن جبل تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو النيس في الوحشة والصاحب في الغربة والوزير عند الخلاء". (١)

٣٤١-"شاعر

العلم من شرطه لمن خدمه ... أن يجعل الناس كلهم خدمه

وواجب حفظه عليه كما ... يحفظ ما عاش ماله ودمه

ومن حوى العلم ثم أودعه ... غير محب له فقد ظلمه

وكان كالمبتنى البناء إذا ... تم له ما أراده هدمه

الفصل الثاني من الباب الثالث

في ذكر الفعل الرشيد

في ذكر الفعل الرشيد ... الدال على العقل المشيد

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١١٥

قالوا العقل أصل لكل محمود من الأخلاق فإذا عدم الأصل فلا بقاء للفرع مع عدم الأصل وقيل للحسن بن علي رضي الله عنهما متى يكون العاقل عاقلا قال إذا عقله عقله عما لا ينبغي فهو عاقل وقال علي بن عبيدة الزنجاني العقل ملك والخصال الحسنة رعيته فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها **وقال بعض الحكماء** الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والإنسان يجمع الكل ابتلاء فإن غلب الروح والعقل على النفس والهوى فضل الملائكة وإن غلبت النفس والهوى على الروح والعقل فضلت البهائم فالعاقل من ذاد عن مراتع الهوى نفسه وكفها عن شهوات تقرب إليه رمسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمى ويصم وقالوا الهوى خادع للألباب صارف عن الصواب صاحبه أعمى مبصر أصم سميع وقالوا الهوى أشأم دليل وألأم خليل وأغشم وال وأغش موال يكذب العيان ويقلب الأعيان ويجلب الهوان

وقال أبو بكر بن دريد

وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا". [١]

٣٤٢-"الفرس كان يختار المال وقيصر رئيس الروم كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار النسب ومحمدا نبيكم كان يختار الدين فانظر بمن تقتدي وقالوا لا تشاور بخيلا في صلة ولا جبانا في حرب ولا شابا في جارية **وقال بعض الحكماء عليكم** بمشورة من حلب ضرع دهره ومرت عليه صروف خيره وشره وبلغ من العمر أشده ومن التجربة أورى زنده ولذلك كانت العرب تقتدي برأي الشيوخ وتعتمد في النوازل على مشورة الكهول لما يوجد فيهم من أصالة الرأي واصابة الحدس وصحة النظر مع ما منحوا من حسن الاختبار وسمت الوقار، وقد عدل قوم عن هذا المرتع ونزعوا غير هذا المنزع فجعلوا للشباب أيسر الأقسام من توقد الفطنة وأوفر السهام من نشاط النفس وقوة المنة فربما قصرت عن مقاومتهم الكهول ولجأت إليهم في كثير من تنقيح الفروع والأصول لتوفر غريزة العقل فيهم وحدة الخاطر التي ترشدهم إلى الصواب وتهديهم ولهذا قال الشاعر

رأيت العقل لم يكن انتهابا ... ولا يقسم على عدد السنينا

ولو أن السنين تقسمته ... حوى الآباء أنصبة البنينا

وكان بعض الحكماء يقول عليكم بآراء الأحداث ومشورة الشبان لان لهم اذهانا تقد القواصل وتحطم الذوابل وقالوا آراء الشبان خضرة نضرة لم يهصر غصنها هرم ولا أذوى زهرها قدم ولا خبا من ذكائها بطول المدة ضرم وقال الشاعر

عليكم بآراء الشباب فانها ... نتائج ما لم يبله قدم العهد

فروع ذكاء تستمد من النهى ... بأنور في الآراء من قمر السعد

ومن أحسن ما قيل في مدح شاب غزير العقل كثير الفضل طاهر الفعل قول الشاعر

أدركت ما فات الكهول من الحجا ... في عنفوان شبابك المستقبل

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١١٧

وإذا أمرت فلا يقال لك اتئد ... وإذا قضيت فلا يقال لك اعدل". (١)

٣٤٣-"آخر

ويشتمني النذل اللئيم فلا أرى ... كفؤا لعرضي عرضه فأجامله

أجر له ذيلي كأني غافل ... أضاحكه طورا وطورا أخاتله

وقيل لبعضهم من العاقل قال الفطن المتغافل قال الشاعر

أعرض عن العوراء إن أسمعتها ... وأسكت كأنك غافل لم تسمع

ولبعضهم معربا بكرمه ومعرفا بشيمه

وإني لأغضى عن أمور كثيره ... ومن دونها قطع الحبيب المواصل

وأعرض حتى يحسب الناس أنني ... جهلت الذي آتى ولست بجاهل

آخر

وأغضى عن العوراء حتى يقال لي ... بأذنيه وقر عندها حين ينطق

حياء وإكراما لعرض أصونه ... ولا خير في عرض يظل يمزق

آخر

دعى ملاحاة من هجاني ... يا نفس إن تغفلي تصاني

إذا حكيت البذا عليه ... فما هجاني سوى لساني

وأما ما قبل في التغاضي والاحتمال ... والكف عن جواب قبيح المقال

قالوا أعقل الناس من لم يتجاوز الصمت في عقوبة السفيه **وقال بعض الحكماء** السكوت عن السفيه جواب والاعراض عنه عقاب قال الشاعر". (٢)

٣٤٤-"له وقال الشعبي إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمته فإن أول ما يغير منه عقله وقالوا الحمق داء دواؤه الموت وقال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها

وقال بعض الحكماء لو جاز لوم الأحمق على أن يعقل جاز لوم الأعمى على أن يبصر وروى أن عيسى عليه السلام أتى بأحمق ليداويه فقال أعياني دواء الأحمق ولم يعيني مداواة الأكمه والأبرص وقال الشاعر

وعلاج الأبدان أيسر خطبا ... حين تعتل من علاج العقول

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٢٥

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/١٣٦

وقال معلم موسى الهادي له في معرض التقريع له يا أحمق فهشم أنفه فسأله أبوه المهدي عن السبب فقال قال لي يا أحمق ولو قال لي يا مجنون لاحتملته وقال الشعبي خطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقام إليه رجل أعرابي وقال إن الوقت لا ينتظرك وإن الرب لا يعذرك فأمر به فحبس فأتاه أهله وقالوا إنه مجنون فقال الحجاج إن أقر بالجنون خليت سبيله فجاء إلى الرجل أهله وسألوه أن يقر لهم بالجنون فقال لا والله ولا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ الحجاج كلامه فعظم في نفسه وأطلقه وقال الأصمعي قلت لغلام من أبناء العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب مالي ويبقى حمقي وقال سعيد بن عمار مكتوب في التوراة إن من صنع لأحمق معروفا فهو خطيئة مكتوبة عليه وقيل إذا قيل لك إن فقيرا استغنى أو غنيا افتقر أو حيا مات أو ميتا عاش فصدق وإذا بلغك أن أحمق استفاد عقلا فلا تصدق وقالوا الأحمق تتمنى أمه لو ثكلته وتتمنى زوجته أنها عدمته ويتمنى جاره منه الوحدة ويريد جليسه منه الوحشة

ومما اخترناه من حكم أولي التجارب ... في ذم التعرف بمن هو للنهي محارب

قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه مجامعة العاقل في الغل والوثاق خير من مجامعة الجاهل على السندس والاستبرق وقال الأحنف بن قيس إني". (١)

٣٤٥-"ذبح غيره شاعر يهجو جاهلا

ليس يدري من الجهالة من ذا ... دور البعر في بطون الجمال

آخر

يظن بأن الخمل في القطف نابت ... وأن الذي في باطن التين خردل

وقالوا فلان لا يعرف اليمين من الشمال ولا الجنوب من الشمال ولا السماء من الأرض ولا الطول من العرض ينظر إلى العلم نظر المغشي عليه من الموت إن أصاب أحجم وإن أخطأ صمم وقالوا فلان خطؤه بعد اجتهاد وصوابه عن غير اعتماد وقال الشاعر

يصيب ولا يدري ويخطي وما درى ... وكيف يكون النوك إلا كذلكا

وقالوا الجهل رأس الفضائح ومعدن القبائح ومضمار العثار وهو الدليل على غلظ الطبع وجمود الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكذب النفيل وخبث الطوية ويقال أشد حوادث الدنيا عالم يجري عليه حكم جاهل وكانت ملوك الفرس إذا غضبت على عالم وأرادت عقوبته حبسته مع جاهل شاعر

وإذا بليت بجاهل متهكم ... يجد المحال من الأمور صوابا

أوليته مني السكوت وربما ... كان السكوت عن الجواب جوابا

وفي منثور الحكم من عرف بالجهل فهو لكل قبيحة أهل وقالوا لا يرى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا يسئ عمدا ويحسن غلطا

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٥٤

وقيل لبزرجمهر مالكم لا تعاقبون الجهال على أن يعقلوا فقال إنا لا نكلف العمي بأن يبصروا ولا الصم بأن يسمعوا **وقال بعض الحكماء** عمي الجهل أشد من عمي العين لأن الأعمى يتوقع أن يعثر فيما ارتفع من الأرض أو يسقط فيما انخفض منها". (١)

٣٤٦-"ومن أمثالهم ما سر عاقل قط وقولهم الهم والعقل لا يفترقان وقولهم استراح من لا عقل له **وقال بعض الحكماء** العاقل في ربقة من عقله تحجبه عن اللذات وتصده عن الشهوات فمتى جرى على حكم البشرية فأطاع هواه واتبع غرضه ومناه قيل زلة عاقل وهفوة ذاكر فنعوذ بالله من شرها ونرغب إلى الله في الكفاية منها وقال الشاعر

أرى العقل بؤسا في المعيشة للفتى ... ولا عيش إلا ما حباك به الجهل

وقالوا الجاهل ينال أغراضه ويظفر بآرابه ويطيع قلبه ويجري في عنان هواه وهو برئ من اللوم سليم من العيب تغفر زلاته وتتعمد هفواته وقال آخر الجاهل رخي الذرع خالي البال عازب الهم حسن الظن لا يخطر خوف الموت بفكره ولا يجري ألم الاشفاق على ذكره وقالوا الجهل مطية المسرة والمراح ومسرح الفكاهة والمزاح وحليف الهوى والتصابي صاحبه في زمام من عهدة اللوم والعتب وأمان من قوارص الذم والسب وقال الشاعر

ورأيت الهموم في صحة العق ... ل فداويتها بأمراض عقلي

وقال المغيرة بن شعبة ما العيش إلا في القاء الحشمة

ومن احتجاج من أطلق نفسه من عقال العقل

وألقى عصاه عامدا في بيداء الجهل

قول بعضهم لما كان العقل في المعنى ذائدا عن الآراب وحائلا دون الاعراض جعل اسمه مأخوذا من لفظة العقال فكم بين الطليق والعاني ولين المعقود من الشارد وهل من يتصرف على اختياره ويجيب داعي أهوائه كمن يقسر ويحصر ويكره ويجبر وقالوا لو لم تكن فضيلة الجهل غير الاقدام وورود الحمام إذ هما عين الشجاعة والبسالة وسببان لتحصيل الرفعة والجلالة وقال". (٢)

٣٤٧-"عروة ما أحدث الناس مروأة أعجب إلي من الفصاحة وقال بعض البلغاء الفصاحة أوثق شاهد عدل على اجتماع شمل الفضل وأقوى دليل على استكمال الذكاء والنبل لم تزل تشيد لأهلها في ربوع المجد فخرا وترفع لهم في مراتب العلوم ذكرا وربما سودت غير مسود ورفعت من الحضيض الأوهد إلى محل النسر والفرقد ويقال بالفصاحة والبيان استولى يوسف عليه السلام على مصر وملك زمام الأمور وأطلعه ملكها على الجلي من أمره والمستور فإن العزيز لما رأى فصاحة

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٦١

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/١٧٣

لسانه وحسن بيانه أعلى مكانه وأعظم شأنه

ومما يتميز به نوع الانسان ... فصاحة المنطق وذلاقة اللسان

قال بعض الحكماء الكلام حد الانسان الحي الناطق وقالوا الصمت منام والكلام يقظة وقال عبد الملك بن مروان إن الكلام قاض يحكم بين الخصوم وضياء يجلو الظلم حاجة الناس إلى مواده كحاجتهم إلى مواد الأغذية ويقال حد الانسان إنه ناطق فمن كانت رتبته في النطق أبلغ كان بالانسانية أخلق وقال أبو الفرج الببغا في رسالة له مدح فيها الكلام الحيوان كله متساو بنعت الحركة والنمو فالانسان والبهيمة باشتمال هذا الوصف عليهما سيان وإنما فضل العالم الأنسي بالنطق المترجم عن مراد العقل المظهر للحكمة من القلب إلى العقل فإذا صحت بهذه القاعدة أن الانسان بفضيلة النطق أشرف مصنوع وأفضل مطبوع فقد وجب أن يكون أكمل هذا الجنس فضلا وأحمد هذا العالم فعلا ومن كان قسطه بفضيلة النطق موفورا فمحله من ربع البلاغة معمورا وقال أيضا من زعم أن الصمت أشرف مرتبة وأرفع منزلة من الكلام فقد حكم على الكلام بالنقصان وأحل العي محل البيان ولو كان الصمت أفضل من الكلام لتعبدنا الله به فيما انتدبنا له بالالهام وكان توحيد الله بحجج العقول في غنى عن واسطة أو رسول **وقيل لبعض الحكماء أيما** أفضل الصمت أو النطق فقال إن الله تعالى بعث أنبياءه بالنطق لبيان الحجة وإنك تمدح الصمت بالنطق ولا تمدح النطق بالصمت وما عبرت به عن شيء فهو أفضل منه ويقال من فضل الناطق على الصامت إن الناطق يهدي ضالا ويرشد غاويا ويعلم جاهلا وقيل لزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم الصمت خير أم الكلام فقال لعن الله المساكتة فما أفسدها للسان وأجلبها للعي والله للماراة أسرع في". (١)

٣٤٨-"الفصل الثالث من الباب السادس

في أن اللسن المكثار لا يأمن آفة الزلل والعثار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله إذا قلت فأوجز فإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف **وقال بعض الحكماء** الاكثار يزل اللسان ويزيل الاحسان وقيل لعدي بن حاتم أي شيء أوضع للانسان قال كثرة الكلام وقال جعفر بن يحي إذا كثر الكلام اختل وإذا اختل اعتل وقال خير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيمل وقال معاوية لعمرو بن العاص من أبلغ الناس قال من ترك الفضول واقتصر على الايجاز وقال خالد بن صفوان قيس البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة وقال خير الكلام ما كان عن الحصر بعيدا وللأسماع مفيدا وهو أن يكون لا مائلا إلى الحصر فتضعف الحجة ولا إلى الهدر فتنلف المهجة قال الشاعر

للقول مستمع يزرى بصاحبه ... منه الغلو وقد يزرى به الحصر

وخير حال الفتى في القول أقصدها ... بين الطريقين لا عي ولا هدر

وقال عي يذرى بك خير من هدر يأتي عليك قال شاعر

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٨٤

وصمتك من غير عي اللسا ... ن أزين من هدر المنطق

وقال عمرو بن العاص الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع وإن أكثرت منه صرع وقال لولده عبد الله قصر إذا قلت واقتصر إذا طلت وإياك والاكثار فإنه شين العاقل وحين الجاهل وقالوا العثار مع الاكثار وقال بزرجمهر من ملكه طول لسانه أهلكه فضل بيانه ويقال من طال لسانه بطل احسانه قال الفقيه منصور

لا تكثرن فخير الكلام ... قليل الحروف كثير المعاني". [١]

٣٤٩-"احتجاج من أمسك عن الكلام من غير خرس

وخاف من الملام فحذر واحترس قال الأحنف بن قيس اللسان قيمة الانسان فمن قومه زادت قيمته وقال أكثم بن صيفي هلك الانسان في طول اللسان وقال سفيان الثوري لأن أرمى عدوي بسهمي خير له من أن أرميه بلساني لأن رمي اللسان لا يخطئ ورمى السهم يصيب ويخطئ قال الشاعر

ورب كلام قد جرى من ممازح ... فساق إليه سهم حتف معجل

وقال ابن مسعود لسانك سيف قاطع يبدأ بك وكلامك سهم نافذ يرجع عليك فاقتصد في المقال وإياك وما يوغر صدور الرجال وقال أعرابي الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فإذا تكلم عاد أسيرا في وثاقها اجتمع أربعة من الملوك على أربع كلمات تواردوا فيها موارد النصائح وأخرجوا درر معانيها من بحار القرائح قال كسرى أنا على ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني وإذا لم أتكلم بها ملكتها وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن ذكرت عنه ضرت وإن لم تذكر عنه لم تنفعه وقال قيصر لأن أندم على ما لم أقل أحب إلي من أن أندم على ما قلت فهذه كلمات صدرت عن صدور صافية من كدر الغل وغشه ليتحذر بها العاقل من لدغ الكلام ونهشه وقالوا من أطلق لسانه بما يحب كان أكثر مقامه حيث لا يحب وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطى العبد شرا من طلاقة اللسان وقال لقمان لابنه يا بني إن من الكلام ما هو أشد من الحجر وأنفذ من الأبر وأمر من الصبر وأحر من الجمر وإن من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة فإن لم تنبت كلها نبت بعضها وقال زياد إن الرجل ليتكلم بالكلمة يقطع بها ربقة عنز فتبلغ امامه فيسفك دمه ويقال حفظ اللسان راحة الانسان وقال صعصعة بن صوحان طول اللسان يقصر الأجل وخطأ القول يصيب المقتل ويقال من خزن لسانه حقن دمه ومن ملك كلامه أمن ندمه فاللسان سيف مرهف لا ينبو حده والكلام سهم مرسل لا يمكن رده **وقال بعض الحكماء** الجاهل يستعجل باظهار المعاني قبل". [٢]

٣٥٠-"من اطلاق كلمة في غير حقها وقال الشاعر

احفظ لسانك واحتفظ من شره ... إن اللسان هو العدو الكاشح

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٢٣٠

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/٢٣١

وزن الكلام إذا نطقت بمجلس ... فيه يلوح لك الصواب اللائح

والصمت من سعد السعود بمطلع ... تحيا به والنطق سعد الذابح

وقال بعض الحكماء عليك بالصمت وإن أصبت في القول وبرزت في الفضل فإنه زينة العاقل وحلية الفاضل شاعر

احفظ لسانك أن تقول فتبتلي ... إن البلاء موكل بالمنطق

آخر

وزن الكلام إذا نطقت فإنما ... يبدي الرجال من الستور المنطق

وقالوا

رب كلمة جلبت مقدورا ... وخربت دورا وعمرت قبورا شاعر

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخازن

آخر

احفظ لسانك أيها الانسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تخاف لقاءه الأقران

وقالوا كلام الرجل بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل وإياك وما يسخط سلطانك ويوحش اخوانك فمن أسخط سلطانه تعرض للمنية ومن أوحش اخوانه تبرأ من الحرية شاعر

يدل على جهل الفتى فضل نطقه ... ونطق أخي العقل الرصين قليل

وإن لسان المرء ما لم يكن له ... حصاة على عوراته لذليل". (١)

٣٥١-"عمرو بن العاص الصدور خزائن الأسرار والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره وقالوا إذا ضاق صدرك عن نجواك فكيف تستكتمه سواك **وقال بعض الحكماء** سرك من دمك فلا تجره في غير أوداجك فإنك متى تكلمت به أرقته وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير في لسان لا يملك سره وقال آخر كن على سرك أحرص منك على حقن دمك وقالوا سرك أسيرك فإن بذلته كنت أسيره ابن نباتة السعدي

صن السر عن كل مستخبر ... وحاذر فما الحزم إلا الحذر

أسيرك سرك إن صنته ... وأنت أسير له إن ظهر

آخر

ولا تخبر بسرك بل أمته ... وصير في حشاك له حجابا

فما أودعت مثل القلب سرا ... ولا أغلقت مثل الصدر بابا

وقال عمرو بن العاص ما وضعت سري عند أحد وأفشاه فلمته لأني كنت أضيق صدرا منه حين استودعته إياه وقال الشاعر

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٢٣٣

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

وقال معاوية الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة أن تنتقل صداقته فيذيع سره شاعر

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصدي ... ق فكان أعلم بالمضمرة". (١)

٣٥٢-"الباب الثامن

في التغفل

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول من هذا الباب

في ذم البلادة والتغفل من ذوي التعالي والتنزل

ومعنى التغفل الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة القصد فالمغفل مقصده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد ورميته في الوصول إلى الغرض غير صحيحة كما **قال بعض الحكماء إذا** فقد العالم الذهن قل على الأضداد احتجاجه وكثر إليهم احتياجه وتعاورته أسنة الشكوك واشتبهت عليه مناهج السلوك وقالوا التغفل تحريف الشيء عن مواضعه مع تيقن إن ذلك صواب كما ذكر إن أحمد بن أبي خالد عرض القصص يوما على المأمون وهو بين يديه فمر بصة مكتوب عليها فلان اليزيدي فصحفه وقال الثريدي فضحك المأمون وقال يا غلام ثريدة ضخمة لأبي العباس فإنه أصبح جائعا فحجل أحمد وقال ما أنا جائع يا أمير المؤمنين ولكن صاحب هذه الرقعة أحمق وضع على يائه ثلاث نقط كأثافي القدر فقال المأمون عد عن هذا فإن النقط شهود الزور والجوع اضطرك إلى ذكر الثريد فلما أتى بالثريد احتشم أحمد من أكله فقال له المأمون بحقي عليك إلا ما أكلت فترك القصص ومال إلى الصحفة وأكل قليلا ثم دعا بالماء فغسل يديه ورجع إلى القصص فمر بقصة عليها مكتوب فلان الحمصي فقرأها الخبيصي فضحك المأمون وقال يا غلام جام خبيص فإن غذاء أبي العباس كان أبتر فخجل وقال يا أمير المؤمنين صاحب هذه الرقعة أحمق من الأول فتح الميم فصارت كأنها سنتان قال دع عنك هذا فلولا حمق هذا وصاحبه مت أنت جوعا فأتى بجام خبيص فأبى أن يأكل من كثرة الاستحياء فقال له المأمون بحقي عليك إلا ما ملت نحوه وأكلت فانحرف إليه وأكل منه". (٢)

٣٥٣-"أصدق من قال

إذا لم يكن للمرء فضل ولم يكن ... يدافع عن اخوانه لم يسود

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٢٣٥

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/٢٧٦

وكيف يسود القوم من هو مثلهم ... بلا منة منه عليهم ولا يد

وقال بعض الحكماء ثواب الجود خل ومكافأة ومحبة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن للنعمة أجنحة فإن أمسكت بالاحسان قرت وإلا فرت وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه إن أفضل المال ما أفاد شكرا وأورث ذكرا وأوجب أجرا ولو رأيتم المعروف لرأيتموه حسنا جميلا وقال المأمون لان أخطئ معطيا أحب إلي من أن أصيب مانعا

العرف زينة ذي النهى وذخيرة ... يلقى جوائزها بكل مكان

ما ضاع معروف أتيت إلى امرئ ... فغدا وراح يذيعه بلسان

ذكر الأجواد المعروفين ببذل الأموال

والموصوفين باصلاح فساد الأحوال أسخاهم وأجودهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إنه ما سئل شيأ قط فقال لا فإن يكن عنده أعطى وإن لم يكن عنده استدان أعطى عيينة بن حصن مائة من الابل وأعطى الأقرع بن حابس مثلها وأعطى أعرابيا غنما بين جبلين فانطلق الأعرابي وقال لقومه اسلموا فإن محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وقال أنس ابن ملك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين لم يؤت قبله بمثله فوضع في المسجد ثم خرج فصلى فلما فرغ من صلاته جلس ثم دعا بالما فما رأى أحدا إلا أعطاه منه فجاءه عمه العباس فقال يا رسول الله إني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب ليقوم فلم يستطع فقال يا رسول الله مر من يرفعه علي قال لا قال فارفعه أنت قال لا فنثر منه ثم احتمله على كاهله وذهب فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم". (١)

٣٥٤-"العرش اقلالا ولقد أجاد على ابن ذكوان في قوله

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت ... بين العباد مع الآجال أرزاق

لا ينفع البخل مع دنيا مولية ... ولا يضر مع الاقبال انفاق

وحكى إن علي بن موسى الرضا رضي الله عنه وعن آبائه الكرام فرق في يوم عرفة وكان بخراسان ماله كله فقال له الفضل بن سهل ما هذا المغرم قال بل هو المغنم لا تعدن ما ابتغيت به أجرا أو كرما مغرما وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد **وقال بعض الحكماء** أنفق في الحقوق ولا تكن خازنا لغيرك فإن اغتممت على ما نقص من مالك فابك على ما نقص من عمرك فإنه من لم يعمل في ماله وهو موجود عمل في ماله وهو مفقود وقال بزرجمهر إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى طاهر بن الحسين ناظما لهذا المعنى

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس يذهبها التبذير والسرف

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٣٠٨

فإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

ويقال أنفق وأسرف فإن الشرف في السرف وقيل للحسن بن سهل وكان معطاء لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وهذا من بديع الكلام وذلك إنه عكس على المنكر كلامه فكان جوابا له وردا عليه من غير أن يزيد فيه ولا ينقص منه

وقال الراضي بالله يخاطب لائما لأمه على السرف

لا تكثرن عذلي على الاسراف ... ربح المحامد متجر الأشراف

أجرى كآبائي الخلائف سابقا ... وأشيد ما قد أسست أسلافي

إني من القوم الذين أكفهم ... معتادة الاتلاف والاخلاف". (١)

٣٥٥-"جبلت على سفك الدماء نفوسهم ... وأكفهم جبلت على الاتلاف

فإذا هم صدموا العدو بصارم ... خضبوا الأسنة من دم الأطراف

فنفوسهم تفني نفوس عداتهم ... وعطاؤهم يغني سؤال العافي

الفصل الثاني من الباب الحادي عشر

في ذكر ما وقع في الحروب

من شدائد الأزمات والكروب

قال بعض الحكماء جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير ولسانها المكيدة وجناحاها الطاعة وقائدها الرفق وسائقها النصر وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن معد يكرب رضي الله عنهما صف لنا الحرب فقال مرة المذاق صعبة لا تطاق إذا شمرت عن ساق من صبر لها عرف ومن نكل عنها تلف ثم أنشد

الحرب أول ما نكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا حميت وشد ضرامها ... عادت عجوزا غير ذات حليل

شمطات جدت رأسها وتنكرت ... مكروهة للشم والتقبيل

وقيل لبعضهم صف لنا الحرب فقال أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى تذاكروا الحروب عند معاوية فقال بدرا على واحد لطلحة والخندق للزبير حنين للعباس بن مرداس وأنا ذاكر من الحروب الواقعة في صدر الاسلام بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام أربعة وهي الجمل وصفين ويوم الحرة ويوم كربلا إذ هذه الحروب أشد الوقائع طعانا وضرابا وأعظمها في الدين فجيعة ومصابا لما قتل فيها من كبار آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وعظماء أهل بيته وقرابته الجمل مبتدؤها أن طلحة والزبير خرجا مغاضبين لعلي رضي الله عنه بعد أن بايعاه لما هجس في نفوسهما من أن عليا رضي الله عنه هو الذي ألب على قتل عثمان رضي الله عنه حتى قتل وإن قتله كان عن رضا منه فقد ما مكة على عائشة رضي".

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٣٥٩

(١)

٣٥٦-"وأنشدت لطاهر بن الحسين

ركوبك الأمر ما لم تبد فرصته ... جهل ورأيك في الاقحام تغرير

فاعمل صوابا وخذ بالحزم مأثرة ... فلن يذم لأهل الحزم تدبير

ويقال أهوت إلى يزيد بن المهلب حية فلم يتوقها فقال له أبوه ضيعت الحزم من حيث حفظت الشجاعة الشريف الرضي

العزم في غير وقت العزم معجزة ... والازدياد بغير العقل نقصان

ويقال من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر **وقال بعض الحكماء** من أعرض عن الحذر والاحتراس وبنى أمره على غير أساس زال عنه العز واستولى عليه العجز فصار من يومه في نحس ومن غده في لبس وفي كتاب للهند الحازم يحذر عدوه على كل حال يحذر مواثبته إن قرب وغارته إن بعد وكمينه إن تبع ومكره إن انفرد واستطراده إذا ولي وقال أبو بكر الصديق يحذر خالد بن الوليد رضي الله عنهما إذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فإني لا آمن عليك الجولة واستظر بالزاد وسر بالادلال ولا تقاتل مجروحا فإن بعضه ليس منه واحترس من الثبات فإن في القرب غمرة واقلل الكلام فإن مالك إلا ما وعى عنك وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سريرتهم واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه وقال الشاعر

ومن يأمن الأعداء لا بد أنه ... سيلقى بهم في موقف الموت مصرعا

وقالوا الاقدام على الهلكة تضييع كما أن الاحجام عن الفرصة عجز وقيل لعنترة العبسي أأنت أشجع العرب وأشدها قال لا قيل فبم شاع هذا في الناس قال كنت أقدم إذا كان الاقدام عزما وأحجم إذا كان الاحجام حزما". (٢)

٣٥٧-"ولا أدخل موضعا لا أرى لي فيه مخرجا وسئل بعض الشجعان هل شيء أضر من التواني قال الاجتهاد في غير وقته وقال جعفر بن ميسرة من مكن أسباب الهلكة من نفسه طائعا لم يكد يتخلص منها وإن كان جاهدا **وقال بعض الحكماء** لصديق له اعلم إن الفطنة اظهار الغفلة مع شدة الحذر فبات مباثة الآمن وتحفظ منه تحفظ الخائف ولا تظهر له المخافة فيرى ان قد حذرت فيهون عليه ما يستهو له منك ويقال إذا أخذ المرء بالحذر والاحتراس في موضع الشدة وعمل على الجراءة والاقدام عند انتهاز الفرصة فقد أخذ بالحزم في شدته وعمل بالحزم عند فرصته وقال بعض الفلاسفة كن حذرا كأنك غر فطنا كأنك غافل وذاكرا كأنك ناس وقال بعضهم

من أخذ الحذر من المحذور ... قل تجنيه على الدهور

فليحزم الحازم في الأمور ... فإن كبا فالعذر للمعذور

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٤١٦

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/٤٣٦

آخر

على كل حال فاجعل الحزم عدة ... تقدمها عند النوائب في الدهر

فإن نلت حظا نلته بعزيمة ... وإن قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

ومما يكون عمدة عند لقاء الأبطال ... التفكر في أعمال الاحتيال وإن طال

قالت الحكماء الحازم يحتال للأمر الذي يخافه لعله أن لا يقع فيه فليس من القوة التورط في الهوة ومن لم يتأمل العواقب بعين عقله لم يقع سيف حيلته إلا على مقاتله وأنشد لتأبط شرا

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده ... أضاع وقاسى الصعب وهو مقصر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الأمر ألا وهو للقصد مبصر". (١)

٣٥٨-"الشاعر

الرفق يمن والأناة سعادة ... ليس النجاح لمن يطيش ويخرق

آخر

وفي الأناة إذا ما جد صاحبها ... حزم ويعقبها التفريط والخرق

وفي التورية الرفق رأس الحكمة وقالوا فعل اللبيب ثمرته السلامة وجد على سيف مكتوب التأني فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل **وقال بعض الحكماء** تأن تحزم وإذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجني ثمر السلامة ويد العجله تغرس شجر الندامة أبو الفتح البستي

تأن في الشيء إذا رمته ... لتعرف الرشد من الغي

لا تتبعن كل دخان ترى ... فالنار قد توقد للكي

وقس على الشيء بأشكاله ... يدلك الشيء على الشي

وقال بشر بن مروان لأهله إذا التبست عليك الخطوب وغاب عنك المورود وأشكل عليك المصدر فيه فالأناة الأناة وليكن أمرك حزما وإذا استبان لك فعزما وقال محمد بن هانئ الأندلسي

وكل أناة في المواطن سودد ... ولا كأناة من قدير محكم

وما الرأي إلا بعد طول تثبت ... ولا الحزم إلا بعد طول تلوم

القطامي

قد يدرك المتأني نجح حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل". (٢)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٤٣٧

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/٤٤١

٣٥٩-"آخر

وربما فات قوما جل أمرهم ... من التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقالوا الأناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالأناة فبماذا يدرك وقال المهلب بن أبي صفرة واسم أبي صفرة ظالم ابن سراق أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت ومن أمثالهم اتئد تصب أو تكد وقولهم من تأنى أدرك ما تمنى وقولهم الرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ويحمد قبل أن يجرب ويذم قبل أن يخبر ولن تصحب هذه الصفة أحدا الأصحب الندامة وجانب السلامة وهذه نبذة يسيرة في الصبر فمما ينسب لعلي رضي الله عنه

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

آخر

ما أحسن الصبر في مواطنه ... والصبر في كل موطن حسن

حسبك من حسنه عواقبه ... عواقب الصبر ما لها ثمن

آخر

الصبر مفتاح ما يرخى ... وكل صعب به يكون

فاصبر وإن طالت الليالي ... فربما أمكن الحزون

وربما نيل باصطبار ... ما قيل هيهات لا يكون". (١)

٣٦٠-"محمد الصادق دخل على المهدي وقد امتلأ غضبا على إنسان فقال يا أمير المؤمنين إنك لا تغضب إلا لله فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه وقد قال بعض الحكماء إياكم والغضب فرب غضب استحق به الغضبان غضب الله عز وجل عليه ويقال إن في التوراة يا ابن آدم لا تغضب فاغضب عليك يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وقالوا إياك وغرة الغضب فإنها تفضي بك إلى ذلة الاعتذار وقالوا الغضب على من لا تملك لؤم وعلى من تملك شؤم وقال بعض الأعراب الغضب عد والعقل فإنه يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم فيستولي عليه سلطان الهوى فيصرفه عن الحسن وهو الاحتمال إلى القبيح وهو الغضب ومن عصى الحق غمره الباطل وقال ابن المعتز الغضب يصدئ القلب حتى لا يرى صاحبه شيأ حسنا فيفعله ولا قبيحا فيجتنبه ويقال ما ترك شيأ من الأحوال الذميمة ولا تأخر عن سبب من الأسباب اللئيمة من أنفذ غضبه وأساء في الانتقام أدبه واستطاب فعله واستعذبه وقالوا ليس من عادات الكرام سرعة الغضب والانتقام وقالوا ثلاثة يعدون في المجانين وإن كانوا عقلاء الغضبان والسكران والغيران وقال عمر

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٤٤٢

بن عبد العزيز ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الايمان من إذا غضب لم يخرجه غضبه إلى الباطل وإذا رضي لم يخرجه رضاه عن الحق وإذا قام جدال لا يأخذ ما ليس له وإذا تمكن منه الغضب على أحد حبسه ثلاثة أيام حتى يسكن غضبه ثم يحضره فإن وجب عليه العقوبة عاقبه وإلا أطلقه

ما اخترناه من كلام الحكماء وأقوال الكرام الأماجد

في ذم التشفي من العدو والمعاند قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة من حرمات الله تعالى فينتقم لله بها وقالوا أقبح المكافأة المكافأة بالاساءة وقال معاوية إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وقالوا الاقتدار يمنع الحر من الانتصار وقال علي رضي الله عنه أنا إلى العفو والرحمة أقرب مني إلى العقوبة والنقمة وقال جعفر الصادق لان أندم على العفو". (١)

٣٦١-"**وقال بعض الحكماء** التزين بالعفو خير من التقبح بالانتقام وقال علي رضي الله عنه ليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه وكل شيء في الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء في الاخرة عيانه أعظم من سماعه ويقال التشفي طرف من العجز ومن رضي به لا يكون بينه وبين الظالم الأستر رقيق وحجاب ضعيف ولان يثني عليك بسعة الصدر خير من أن تذم بضيقه وقال ابن المعتز مبالغة المقتدر في العقوبة تقربه من غضب الله وتبعده من انتساب الكرم إليه وقال كفى بالظفر شفيعا للمذنب إلى القادر **وقال بعض الحكماء** لا يحملنك الحنق على اقتراف اثم يشفي غيظك ويسقم دينك ويقال لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام وقالوا عقوبة المقتدر تبدأ به تقبح صورته وتثلم حسبه وتعجل ندمه شاعر

إذا أنت لم تصبر على الحقد لم تفز ... بمجد ولم تسعد بتقريظ مادح

آخر

رأيت انتقام المرء يزري بعقله ... وإن لم يقع إلا بأهل الجرائم

وقال الفضيل بن عياض لا يكون العبد من المتقين حتى يأمن عدوه بوائقه وقلت إذم مسرفا في الانتقام فلان منزوع الرحمة من قلبه مصروف الوجه عن المعترف بذنبه يرى العفو مغرما والعقوبة مغنما إن ضحكت في وجهه عبس وإن تخاضعت له شمس لا يرقب في المسئ إلا ولا ذمة ولو شفع فيه سواد الأمة ومن رسالة للبديع الهمداني يصف ملكا عظيم الشان يحسبه المتأمل إنسانا وهو شيطان وفلان سماء إذا تغيم لم يرج صحوه وإذا تغير لم يشرب صفوه وإذا سخط لم ينتظر غيره ليس بين رضاه والسخط عوجة كما ليس بين غضبه والسيف فرجة وليس من سخطه مجاز كما ليس بين الموت والحياة معه حجاز". (٢)

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٠٢

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٠٤

٣٦٢-"كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن ارطاة إذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم أن لك عند الله ما لرعيتك عندك **وقال بعض الحكماء** اذكر عند القدرة قدرة الله عليك وعند الظلم عدل الله فيك وفي المثل كما تدين تدان وقالوا لا يندمل من المظلوم جراحه حتى ينكسر من الظالم جناحه وقال أعرابي لمن جار عليه لئن هملجت إلى الباطل إنك لعطوف عن الحق وقال عبيدة بن أبي لبابة من طلب عزا بباطل وجور أورثه الله ذلا بانصاف وعدل وقال الشاعر

لا تعالج ذا الذنب بالانتقام ... واحترس من تباعة الآثام

فكرام الأنام سيماهم العف ... وقديما عن الذنوب العظام

أتى سليمان بن عبد الملك برجل جنى جناية يجب عليه فيها التعزير لا غير فأمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الآذان قال وما يوم الآذان قال اليوم الذي قال الله فيه فأذن مؤذن بينهم إن لعنة الله على الظالمين فبكى سليمان وأمر باطلاقه أتى الرشيد ببعض من خرج عليه فلما مثل بين يديه قال ما تريد ان أصنع بك قال الذي تريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه أذل مني بين يديك فاطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وقال اذهب حيث شئت فلما خرج قال بعض من حضر يا أمير المؤمنين تفنى مالك وتقتل رجالك حتى تظفر بمثل هذا الباغي وتطلقه بكلمة واحدة انا لا نأمن أن تتسلط عليك الأشرار بالاحسان إليهم فأمر برده فلما مثل بين يديه علم إنه قد أغرى به فقال يا أمير المؤمنين لا تطعهم في فلو أطاع الله فيك خلقه ما استخلفك عليهم ساعة واحدة فأمر باطلاقه أخذ الحجاج محمد بن الحنفية بعد ما قتل عبد الله بن الزبير فقال بايع أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال إذا اجتمع الناس عليه كنت كأحدهم قال والله لاقتلنك قال لعلك لا تدري قال مالي لا أدري قال محمد حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله في كل يوم ثلثمائة وستين لحظة يقضي في كل لحظة ثلثمائة وستين قضية فلعله أن يكفيك في قضية من قضاياه". [١]

٣٦٣-"البعيد والقريب ولا تبالوا في الله لومة لائم وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حد يقام في الأرض خير لأهلها من مطر أربعين صباحا وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى إن الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش وأنزل القصاص حياة لعباده فاقتصوا وحدوا ولا تخافوا في الله لومة لائم ولا يحل لأحد أن يشفع في اسقاط حد من حدود الله تعالى ولا يجوز للمشفوع إليه أن يشفع فيه لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله تعالى فمما ورد عن ذوي البصائر والأحلام في كنه مشروع الايقاع والايلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله عز وجل وقال عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوقفوا الحدود ما وجدتم موقفا ولأن يخطئ الامام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة فإذا وجدتم مخرجا للمسلم فادرؤا عنه الحدود **وقال بعض الحكماء** رب ذنب مقدار العقوبة فيه اعلام المذنب بما جنى لا يتجاوز حد الارتفاع إلى

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٢٣

حد الايقاع وقيل لحممة بن رافع الدوسي من أعدل الناس قال من عفا إذا قدر وأجمل إذا انتصر ولم يطفه غير الظفر ويحكى أن جعفر بن محمد الصادق قال لأبي جعفر المنصور وقد غضب على رجل فاسرف في عقوبته أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تغضب لله سبحانه بأكثر مما غضب به لنفسه إن الله تعالى يقول يوم القيامة للمنتقم فوق حقه لم عاقبت عبدي بأكثر مما حددته فيقول يا رب إنما غضبت لك فيقول الله سبحانه أكان غضبك أن يكون فوق غضبي وقال أبو الدرداء لرجل اسمع كلاما يا هذا لا تغرقن في سبنا ودع للصلح". (١)

٣٦٤-"موضعا فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه **وقال بعض الحكماء** أن الحق ثقيل فمن قصر فيه عجز ومن جاوزه ظلم ومن انتهى إليه اكتفى أتى المأمون برجل وجب عليه حد فأمر بضربه فقال يا أمير المؤمنين قتلتني قال الحق قتلك قال ارحمني قال ما أنا بأرحم من الذي أوجب الحد عليك وقالوا جماع الخير كله في القيام بحدود الله تقدمت امرأة إلى ابن الزيات وكان قد حبس ابنها في دم فاستغاثت فنهرها وزوى وجهه عنها فقال بعض من حضر ارحمها أيها الوزير إنها أمه قال أفلا أرحم أم المقتول شاعر

إذا عفا لم يك في عفوه ... من به كدر نعماه

وإن سطا عاقب ذا زلة ... بقدره لا يتعداه

وقال أكثم بن صيفي لا تعاقب على الذنوب فوق عقوبتها فإن الله تعالى أقدر منك على عدوك وقال سرى السفطي خصلة من أعلام الاسلام وقواعد الايمان من إذا قدر لم يتناول ما ليس له وقالوا العفو احتمال الذنب الذي لا يكون عن عمد ولا يفضي إلى حد ولا ينقض سنة ولا يولد جرأة فأما الذي يرتكب عمدا ويوجب حدا فالاحتمال له ترخص في الذنوب والتجاوز عنه أبطال للحدود وذلك ما لا تحتمله السياسة ولا تطلقه الشريعة فمن عفا عمن يستوجب الحد كان كمن عاقب من يستحق المثوبة ذكر الحدود التي أوجبها الله تعالى على من أفرط في ارتكاب الفواحش وتغالى الحدود وضعها الله سبحانه للردع عن ارتكاب ما خطر وترك ما أمر فلا تقام إلا بعد سماع بينة أو اقرار فإن لم تكن بينة أحلف الخصم وذلك في حقوق الآدميين وهي نوعان حد وتعزير والحد أنواع حد زنا وحد سكر وحد سرقة وحد قذف فحد الزنا وهو أكبر الكبائر يثبت بأحد أمرين أما باقرار أو بينة والبينة أربعة شهداء يشترط في قبول شهادتهم رأى العين للمباضعة وفي جواز تعمد النظر". (٢)

٣٦٥-"الباب السادس عشر

في العزلة

فيه ثلاثة فصول

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٢٦

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٢٧

الفصل الأول من هذا الباب

في ذم الاستئناس بالناس

لتلون الطباع وتنافي الأجناس

قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وقال عليه الصلاة والسلام أحب العباد إلى الله الأتقياء الأحفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يقربوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم وقيل لبعض العباد ما أصبرك على الوحدة قال أنا جليس الرب إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت له وقال ذو النون المصري الأنس بالله نور ساطع والأنس بالخلق غم قاطع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيها نفسه وبصره ولسانه وفرجه وقال الجنيد للسري السقطي أوصني فقال لا تكن مصاحبا للأشرار ولا تشتغل باللاهي عن الأخيار وفي كتاب كليلة ودمنة ينبغي لذي المروءة أن يكون إما مع الملوك مبجلا أو مع النساك متبتلا كالفيل إما أن يكون مركبا نبيلا أو في البرية مهيبا جليلا وقال علي رضي الله عنه من وجد في نفسه وحشة من الناس فليعلم أن الله أحب أن يؤنسه به وقالوا ما استغنى أحد بالله إلا وافتقر الناس إليه **وقال بعض الحكماء الأنس** بالله من حبه لك فإن الله إذا أحب عبدا أوحشه من خلقه وقد قيل من خلق التوحيد حب الوحدة وقال الجنيد أطيب ساعاتي خلواتي وألذ طاعاتي في". (١)

٣٦٦-"آخر

إذا ما طلبت أخا مخلصا ... فهيهات منك الذي تطلب

فكن بانفرادك ذا غبطة ... فما في زمانك من تصحب

آخر

بلوت الأناس وأهل الزمان ... وكل بهجر ولؤم خليق

وأوحشني من عدوي الزمان ... وآنسني بالعدو الصديق

آخر

بلوت الناس من غرب وشرق ... فلم تظفر يدي بصديق صدق

فقلت مجانبا للخلق طرا ... يبيت منادمي قدحي وزقي

وفي الآداب لي ألف وأنس ... وفضل الله يأتيني برزقي

آخر

ما أعجب الناس في تقلبهم ... ذا شهد طعمه وذا صبر

ترضى على الشخص حين تبصره ... ويسخط العقل حين يختبر

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٨٣

وقال بعض الحكماء الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم منه قول علي رضي الله عنه أخبر تقله وقال المأمون لولا أن كلام علي فرع من كلام النبوة لعكسته وقلت أقله تخبر وقال وهيب بن الورد صحبت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا أزاح لي علة ولا أقالني عثرة ولا ستر لي عورة وقال علي رضي الله عنه إذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز شاعر

أما الوفاء فشيء قد سمعت به ... وما وجدت له عينا ولا أثرا

فمن توهم في الدنيا أخا ثقة ... فإنه بشر لا يعرف البشرا". (١)

٣٦٧-"ولآخر

وما ظفرت يدي بصديق صدق ... أخاف عليه إلا خفت منه

ولم تدع التجارب لي صديقا ... أميل إليه إلا ملت عنه

أنست بوحدتي حتى لو أني ... رأيت الأنس لأستوحشت منه

أبو فراس

بمن يثق الانسان فيما ينوبه ... ومن أين للحر الكريم صحاب

ومما اخترت من كلام الحكماء الأجلاء في التحذير من اتخاذ الأصدقاء والأخلاء قال بعض الزهاد لو أن الدنيا ملئت سباعا ما خفتها ولو بقي واحد من الناس لخفته وقالوا استعذ من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر وقال آخر ما بقي في الناس إلا حمار رامح أو كلب نابح أو أخ فاضح وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال سلمان الناس أربعة أصناف آساد وذئاب وثعالب وضأن فالآساد الملوك والذئاب التجار والثعالب القراء المخادعون والضأن المؤمن ينهشه كل من يراه شاعر

الناس أخلاقهم شتى وإن جبلوا ... على تشابه أفراد وأزواج

وقال بعض الحكماء احذروا الناس فما ركبوا سنام بعير إلا أدبروه ولا ظهر جواد إلا عقروه ولا قلب مؤمن إلا أخربوه وقال خالد بن صفوان الناس أجياف فمنهم كالكلب لا تراه الدهر إلا هرارا على الناس ومنهم كالقرد يضحك من نفسه وقال عبد الحميد الكاتب الناس أجياف مختلفون وأطوار متباينون فمنهم من علق مظنة لا تباع ومنهم من غل مظنة لا تبتاع وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه اقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وإن كان لك مائة". (٢)

٣٦٨-"إليه: «لم أهزل في أمر ولا نهي ولا وعيد، واستكفيت للكفاية، وأثبت على الغناء لا على الهوى، واودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت، وودا لم يشبه كذب، وعممت بالقوت، ومنعت الفضول» «١» .

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٨٦

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص/٥٨٩

قيل: لما أراد الإسكندر الخروج إلى أقاصي الأرض قال لأرسطا طاليس:
أخرج معي؛ قال: قد نحل بدني، وضعفت عن الحركة، فلا تزعجني. قال:
فأوصني في عمالي خاصة. قال: أنظر من كان منهم له عبيد فاحسن سياستهم.
فوله الجند، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله الخراج.
عن عوانة قال: قال زياد بن أبيه: ما غلبني معاوية في شيء من أمر السياسة إلا في شيء واحد، وذاك: أنني استعملت رجلا على دست ميسان، فكسر الخراج ولحق بمعاوية، فكتبت إليه أسأله أن يبعثه إلي، فكتب إلي:
«بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإنه ليس ينبغي لمثلي ومثلك أن نسوس الناس جميعا بسياسة واحدة: أن نشتد جميعا فنخرجهم «٢» ، أو نلين جميعا فنمزجهم؛ ولكن تكون أنت تلي الفظاظة والغلظة، وأكون أنا ألي الرأفة والرحمة؛ فإذا هرب هارب من باب، وجد بابا فدخل فيه. والسلام» .
قال بعض الحكماء: منازل الرأي أربعة: التقدم في الأمر قبل حلوله، فإن قصر فيه فالجد عند وقوعه، فإن قصر عن ذلك فالسعي في التخلص منه، فإن قضر فيه فليس إلا بذهاب الزمان الذي يذهب بنفع صواب الرأي.
روي أن بعض ملوك الفرس سأل حكيما من حكمائهم: ما شيء يعز به". (١)

٣٦٩-"السلطان؟ قال: الطاعة. قال: فما سبب الطاعة؟ قال: التودد إلى الخاصة، والعدل على العامة. قال: فما صلاح الملك؟ قبل: الرفق بالرعية، وأخذ الحق منهم في غير مشقة، وأداؤه إليهم عند أو انه، وسد الفروج، وأمن السبل، وإنصاف المظلوم من الظالم، وأن لا يفرط القوي على الضعيف. قال: فما صلاح الملك؟ قال: وزراؤه أصوله؛ فإن هم فسدوا فسد وإن صلحوا صلح.
قال: فأية خصلة تكون في الملك أنفع؟ قال: صدق النية.
وقال بعض الحكماء: لا تصغر أمر عدو تحاربه؛ فإنك إن ظفرت به لم تحمد، وإن عجزت عنه لم تعذر.
وقال الحكيم: يجب على السلطان أن يعمل بثلاث خصال: تأخير العقوبة في سلطان الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن، والعمل بالأناة فيما يحدث؛ فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة في الطاعة من الرعبة، وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب.
وقال أنو شروان: الناس ثلاث طبقات، تسوسهم ثلاث سياسات:
طبقة من خاصة الأبرار، وتسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقة من خاصة الأشرار، تسوسهم بالغلظة والشدة، وطبقة- وهم العامة- تسوسهم باللين والشدة، لئلا تحرجهم «١» الشدة ولا يبطرهم اللين.
روي ان ملكا من ملوك اليمن أوصى من يخلفه من بعده، فقال: أوصيك بتقوى الله، فإنك إن تتقه يهدك ويكفك ويرض

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٥٢

عنك، ومتى يرضى رب". (١)

٣٧٠-"هو أولى منك بذلك المجلس. فاستلقى عمر رضي الله عنه وقال: ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون [٧: ١٥٩] .

وقال الحكيم: الأدب يحرز الحظ، ويؤنس الوحشة، وينفي الفاقة، ويعرف النكرة، ويثمر المكسبة، ويكمد «١» العدو ويكسب الصديق.

وقال بعض السلف: ناهيك من شرف الأدب أن أهله متبوعون والناس تحت راياتهم «٢» ، فيعطف ربك تعالى عليهم قلوبا لا تعطفها الأرحام، وتجتمع بهم كلمة لا تأتلف بالغلبة، وتبذل دونهم مهج النفوس.

وقال بعض الفلاسفة: الأدب زيادة في العقول، ولقاحها وغذاؤها الذي لا يحييها غيره ولا تنمي على شيء بعده.

وقال آخر: الأدب حياة القلوب، ولا مصيبة أعظم من الجهل.

وقال بعض الحكماء: أحسن الحلية الأدب، ولا حسب لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا أدب له. ومن تأدب من غير أهل الحسب ألحقه الأدب بهم.

وقال آخر: يتشعب من الأدب التشرف وإن كان صاحبه دنيا، والعز وإن كان صاحبه مهينا، والقرب وإن كان صاحبه قصيا، والغني وإن كان فقيرا، والنبل وإن كان حقيرا، والمهابة وإن كان وضيعا، والسلامة وإن كان سفيها.

وسمع بعض الحكماء رجلا يقول: أنا غريب، فقال: الغريب من لا أدب له.". (٢)

٣٧١-"ما له طيب النفس بها- وكان يقول: وأيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن- وصام شهر رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا، وأدى الأمانة» .

قالوا: يأبا الدرداء، ما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة، فإن الله تعالى لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها «١» .

وعن ميمون بن مهران «٢» قال: ثلاثة تؤدى إلى البر والفاجر: الرحم، توصل، برة كانت أو فاجرة، والأمانة، تؤدى إلى البر والفاجر، والعهد، يوفى «٣» به للبر والفاجر.

وقال السري بن المغلس «٤» رحمه الله: أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وعفاف الطعمة، وحسن الخليقة.

وقال بعض الحكماء: من كان وفاؤه سجية، وطباعه كريمة، ورأى المكافأة بالإحسان تقصيرا حتى يتفضل، ولم يقصر عن معروف يمكنه وإن لم يشكر، ويبذل جهده لمن امتحن وده-: فذلك الكامل.

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٥٣

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٢٣٤

وقال الحكيم: أربع يسودن العبد: الأدب، والصدق، وأداء الأمانة، والمروءة.". (١)

٣٧٢-"وإن رأى شرا أذاعه. وتعوذوا بالله من زوجة السوء، إن دخلت عليها لسنتك «١» ، وإن غبت عنها خانتك. وتعوذوا بالله من إمام السوء، إن أحسنت لم يقبل منك، وإن أسأت لم يغفر لك «٢» » .

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما تقولون* ٩٧ في السرقة؟ قلنا: حرام حرمها الله تعالى. فقال: لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره. قال: فما تقولون في الزنا؟ قلنا: حرام حرمه الله تعالى ورسوله. قال: لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره «٣» » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ميت* ٩٨ يموت فيشهد له رجلان من جيرانه الأذنين فيقولان: لا نعلم إلا خيرا-:

إلا قال الله تعالى لملائكته: أشهدكم أني قد قبلت شهادتهما وغفرت له ما لا يعلمان «٤» » .

وقال بعض الحكماء: عجبا من المسيء الجوار، المؤذي لجاره، وهو مطلع". (٢)

٣٧٣-"وقال بعض الحكماء: أعد للمكروه عدتين: الصبر على ما لا يدفع مثله إلا بالصبر، والصبر عما لا يجدي الجزع فيه.

وقال الحكيم: الصبر يفني كل شيء.

وقال آخر: بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوظ.

وقال عبيد بن الأبرص:

صبر النفس عند كل ملم ... إن في الصبر حيلة المحتال

لا تضيقن بالأمور فقد ... تكشف غماؤها بغير احتيال

ربما تجزع النفوس من الأم ... ر له «١» فرجة كحل العقال

قلت وبالله التوفيق: قد أوردت في كتابي المترجم بكتاب (التأسي والتسلي) من ذكر الصبر ما ورد فيه في الكتاب العزيز، والأحاديث المرفوعة، وشيئا من أقوال الحكماء، ومن الأشعار والأخبار. فغنيت عن الإطالة فيه في كتابي هذا، فأوردت فيه هذا الفصل مختصرا، وإن كان الصبر الأدب الذي يبدأ به العاقل، وإليه يضطر الجاهل، وهو كمال في الدنيا، أجر في الآخرة، حجاب عن الشمات، عون في النائبات، ولو لم يكن من فضله إلا أن الله سبحانه أوصى به رسوله صلى الله عليه وسلم [وعلى آله وصحبه رضوان الله أجمعين] . «٢»

فصل في النهي عن الرياء

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٢٤٩

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٢٦٣

[مما ورد فى الكتاب العزيز]

قال الله عز وجل في سورة البقرة: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر

،". (١)

٣٧٤-"قد يوثق المرء امرؤ وهو يحقره ... والقول تحقره وقد ينمي

فصل من كلام الحكماء في معان شتى

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني، إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار حين يلتقون كائتلاف قطر المطر بماء الأنهار، وبعد قلوب الفجار من الائتلاف- وإن طال تعاشرهم- كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على آري واحد «١» .

وقال بعض الحكماء: ما يمر يوم إلا وتضحك ثلثة من ثلاثة: الأجل من الأمل، والتقدير من التدبير، والقسم من الحرص.

وروي: أن ذا الرياستين ركب ركبة لم يركب مثلها بخراسان، وبين يديه أربعة آلاف سائف وألفا حامل قوس، فلما صار بقرب الماخور برز إليه رجل كأن الأرض انشقت عنه، فقال: أيها الأمير، اسمع تنتفع وتنفع.

قال: قل، قال: الأجل آفة الأمل «٢» ، والمعروف ذخيرة الأبرار، والبر غنيمة الحازم، والتفريط مصيبة أخي القدرة. فدعا الفضل كاتبه وهب بن سعيد بن سليمان بن الحسن «٣» ، فقال: اكتب هذه الكلمات الأربع، وأعطه أربعة آلاف درهم.". (٢)

٣٧٥-"[وقال:] «١» ما أهدم الامتنان في الصنائع.

أوجب الصيانات على الانسان صيانة نفسه.

[وقال:] «٢» مع إقامة الحدود ترك الجنون.

[وقال:] «٣» ليس بحكيم من اشتغل بعمل عما هو أهم منه.

[وقال:] «٤» ما عجز الصدق عن إصلاحه فالكذب أعجز منه.

[وقال:] «٥» ما أشد ما تظهر المشورة حد عقل الستشار.

[وقال:] «٦» من فضيلة العقل أن كل إنسان يحب أن يرى بصورته، ومن رذيلة الجهل أن ليس أحد يحب أن ينظر إليه بصورته أو بسماته.

وقال: علة وقوع الحزن فقد المقتنيات.

وقال: ما أبين فعل العدل في قوام العالم.

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٢٩٤

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٤٢٨

وقال: ما أقوى في تكثير الأعداء الاستطالة على الأكفاء.

نظر بعض الملوك إلى سقراط في بعض الأعياد وعليه كساء صوف خلق «٧» ، فقال له: يا سقراط، لو تزينت في مثل هذا اليوم؟! فقال: لا زينة أزين من العدل، فإنه من أفضل قوى العقل.

وقال: القوة على الامتناع عن اتباع الشهوات أحد أشفية «٨» أسقام النفس.

نظر فوتاغورس ملكا قد مات، فقال: ما أكثر من أمات هذا الرجل لأن لا يموت، وقد مات.

وقال بعض الحكماء: ما أعجب من يطلب العفو ممن هو فوقه، ويمنعه من هو دونه.". [1]

٣٧٦-"ما لا تبالي «١» عليه الانتشار.

وقال: الخرس خير من قول يحوجك إلى اعتذار أو شفيع.

وقال: العمل بالفضائل ملذة، والعمل بالرذائل مدلة.

وقال: لا إخاء لملول، ولا صداقة «٢» لقبول.

وقال: أشد من التلف سوء الخلف.

وقال سقراط: أردى الكلام ما صرت به عبدا.

وقال أفلاطون: لا حيلة في الاقبال والادبار حتى ينتهيا.

وقال ذيوجانس: ترك الكلام- وإن كان في غاية الصواب- حيث لا ينبغي حكمة.

وقال بعض الحكماء: من الخذلان الدولة على السلطان «٣» .

وقال سقراط في كتابه في (وضع النواميس) : ما أقبح فعل الشر بمن هو موكل يمنع مثله.

وقال: السعيد هو من علم وعمل بما علم.

وقال أفلاطون لتلميذ له: لا يكن أحسن أفعالك قولك.

سئل سقراط: ما الإقدام؟ فقال: استعمال إفراط القوة الغضبية. فقيل له:

ما الحامل عليها؟ قال: ترك النفس النظر في العواقب والتهيب لها، فإن من تهيب شيئا توقاه «٤» .

قلت: سقراط بالحكمة أعلم منه بالحرب، فإن الرجل المقدام يعرض". [2]

٣٧٧-"لا تعطين سلاحك لغيرك فيحاربك به.

لا تجعل للماء مساغا إليك فيغمرك، ولا للمرأة دالة عليك فتركبك «١» .

ثلاثة تعيبهن نفسي: الفقير المختال، والغني الكذاب، والشيخ الجهول.

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٤٣٢

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٤٣٨

وقال: بين الحجر والحجر يدخل الوتد «٢» ، وبين الشرى والبيع يدخل الإثم.

إنفاقك المال في حقه خير من دفنك إياه تحت الجدران.

سوء العيش النقلة من منزل إلى منزل.

مع الغربة الذلة.

لا غنى يعدل صحة البدن، ولا سرور يعدل سعة الصدر.

الرزق الواسع لمن لا يتمتع «٣» به بمنزلة طعام موضع على قبر.

المال للجاهل وبال عليه.

كد عبدك لئلا يتمرد عليك، فإن البطالة تنتج ضروبا من الشرور «٤» .

من ملك لسانه نجا من العطب.

ما كتمته عدوك فلا تخبرن به صديقك.

طاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة.

وقال بعض الحكماء: البلاء رديف الرخاء، والأمن حليف الخوف، وبعد العسر اليسر، وليس صفو إلا وله كدر «٥» .

وقال بعض الحكماء: الفاقة خير من غني البخيل، والمجهول عند السلطان". (١)

٣٧٨-"الباب الثاني في الحكم

٢٢ ما اكتسب أحد أفضل من عقل يهديه إلى هدى. ويرده عن ردى (للمستعصمي) ٢٣ المهلب بن أبي صفرة قال: عجبت لمن يشتري العبيد بماله ولا يشتري الأحرار بفعاله. قيل: السخي قريب من الله قريب من الناس. قريب من الجنة. والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار (للمستعصمي) ٢٤ من ظريف كلام نصر بن سيار: كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر. وكل شيء يرخص إذا كثر إلا الأدب فإذا كثر غلا (من لطائف الملوك) ٢٥ قال أنو شروان: المروة أن لا تعمل عملا في السر تستحي منه في العلانية (للشريشي) ٢٦ قال بعض السلف: العلوم أربعة: الفقه للأديان. والطب للأبدان. والنجوم للأزمان. والبلاغة للسان (للابشيهي)

٢٧ **قال بعض الحكماء**: إن العلماء سرج الأزمنة. كل عالم سراج زمانه يستضيء به أهل عصره (وله) ٢٨ قال علي بن أبي طالب: ما آتى الله تعالى عالما علما إلا أخذ". (٢)

٣٧٩-"الصدق والكذب

١١٢ إن الصدق عمود الدين وركن الأدب وأصل المروءة. فلا تتم هذه الثلاثة إلا به. وقال أرسطاطاليس: أحسن الكلام

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص/٤٤٥

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ١/ ١٤

ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه. وإن الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب. ومما جاء في هذا الباب قول محمود الوراق:

الصدق منجاة لأربابه ... وقربة تدني من الرب

(للابشيهي) ١١٣ وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال: الصلاة. فإن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك. فأمر بحبسه. فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله. فقال: إن أقر بالجنون خليته. فقال: معاذ الله لا أزعم أن ابتلاني وقد عافاني.

فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه (للثعالبي) ١١٤ قال بعض الحكماء: إن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار. وإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة. وما أحسن ما قال الشاعر:

إذا عرف الإنسان بالكذب لم يزل ... لدى الناس كذابا ولو كان صادقا

فإن قال لا تصغي له جلساؤه ... ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقا". (١)

٣٨٠-"قال أحمد بن الفضل:

تركت النبيذ وشرابه ... وصرت صديقا لمن عابه

شارب يضل طريق الهدى ... ويفتح للشر أبوابه

قال أبو علي:

تركت النبيذ لأهل النبيذ ... وأصبحت أشرب عذبا قراحا

قال ابن الوردي:

أترك الخمرة إن كنت فتى ... كيف يسعى بجنون من عقل

(للشريشي)

مدح الكرم

١٢٨ قال بعض الحكماء: أصل المحاسن كلها الكرم. وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام. وإن الجاهل السخي أحب إلى الله من العابد البخيل.

قال أكثم بن صيفي: صاحب المعروف لا يقع وإن وقع يجد له متكأ. وقيل للحسن بن سهل: لا خير في السرف. فقال: لا سرف في الخير. فقلب اللفظ واستوفى المعنى ١٢٩ سأل معاوية الأحنف بن قيس. فقال: يا أبا يحيى كيف الزمان. قال: الزمان أنت يا أمير المؤمنين. إن صلحت صلح الزمان. وإن فسدت فسد (للغزالي)". (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ٤٥/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ٥٠/١

٣٨١-"ذلة الدنيا

٢٢ **قال بعض الحكماء**: الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا. وكالكأس من العسل في أسفله السم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت الذعاف. وكأحلام النائم التي تفرحه في منامه فإذا استيقظ انقطع الفرح. وكالبرق الذي يضيء قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه في الظلام مقيما. وكدودة الإبريسم التي لا يزداد الإبريسم على نفسها لفا إلا ازدادت من الخروج بعدا وفيه قيل:

كدود كدود القز ينسج دائما ... ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

الراهب والمسافر

٢٣ قال وهب بن منبه: صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيئا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر. فالتفت إليه في اليوم السابع فقال: يا هذا قد علمت ما تريد. حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد في الدنيا رأس كل خير. فاحذر رأس كل خطية وارغب في رأس كل خير. وتضرع إلى ربك أن يهب لك تاج كل خير. قال: فكيف أعرف ذلك. قال: كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء فشبهها بالماء الملح يغر ولا يروي. ويضر ولا ينفع. وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع. وبسحاب الصيف يمر ولا ينفع. وبظل الغمام يغر ويخذل.". (١)

٣٨٢-"أحلام نوم أو كظل زائل ... إن اللبيب بمثلها لا يخدع

٣٤ إن سليمان بن عبد الملك لبس أفخر ثيابه ومس أطيب طيبه ونظر في مرآة فأعجبته نفسه وقال: أنا الملك الشاب. وخرج إلى الجمعة وقال لجاريته: كيف ترين. فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب ... عابه الناس غير أنك فان

فأعرض بوجهه ثم خرج وصعد النبر وصوته يسمع آخر المسجد. ثم ركبته الحمى فلم يزل صوته ينقص حتى لم يسمعه من حوله. فصلى ورجع فلم تدر عليه الجمعة الأخرى إلا وهو في قبره.

أنشد القاضي أبو العباس الجرجاني هذه الأبيات:

بالله ربك كم قصر مررت به ... قد كان يعمر باللذات والطرب

طارت عقاب المنايا في جوانبه ... فصاح من بعده بالويل والحرب

اعمل وكن طالبا للرزق في دعة ... فلا وربك ما الأرزاق بالطلب

وأنشد أيضا:

أيها الرابع البناء رويدا ... لن تذود المنون عنك المباني

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٨/٢

إن هذا البناء يبقى وتفنى ... كل شيء أبقى من الإنسان

قال بعض الحكماء: أيها الناس إن الأيام تطوى. والأعمار تفنى. والأبدان في الثرى تبلى. وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد. يقربان كل بعيد. ويخلقان كل جديد. (للطرطوشي)". [(١)]

٣٨٣-"ويتشاغل عنك بشأنه. ويوسعك من كذبه وأيمانه.

٧٥ قال بعض الحكماء لابنه: يا بني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث. وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول. فأحذر أن تسرع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل. حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل أقرب منك إلى قول ما لم تفعل. (لابن عبد ربه) ٧٦ أنشد بعض الشعراء:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم

ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبدا وأنت من الرشاد عديم

فأبدأ بنفسك وأنهما عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويهتدي ... بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

٧٧ قال أرسطاطا ليس للإسكندر: إن الناس إذا قدروا أن يقولوا قدروا أن يفعلوا. فاحترس من أن يقولوا تسلم من أن يفعلوا.

٧٨ قال العتي: اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات. قالوا: لا تحملن على قلبك ما لا تطيق. ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة. ولا تثق بامرأة. ولا تغتر بمال وإن كثر.". [(٢)]

٣٨٤-"والعالم والصديق. فمن استخف بالسلطان ذهبت دنياه. ومن أستخف بالعالم ذهب دينه. ومن أستخف بالصديق ذهبت مودته. (لبهاء الدين) ٩٥ أنشد بعض الشعراء:

ثلاثة يجهل مقدارها ... ألأمن والصحة والقوت

فلا تثق بالمال من غيرها ... لو أنه در وياقوت

قيل: لا ينبغي للعاقل أن يسكن بلدا ليس فيه خمسة أشياء. سلطان حازم. وقاض عادل. وطبيب عالم. ونهر جار. وسوق قائم قال بعض الحكماء: ثلاث مهلكات وثلاث منجيات. فأما المهلكات. فشح مطاع. وهوى متبع. وإعجاب المرء بنفسه. وأما المنجيات. فخشية الله في السر والعلانية. والقصد في الغنى والفقر. والعدل في الرضاء والغضب. (لطائف

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ٢/ ٢٨

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ٢/ ٥٠

العرب) ٩٦ قيل: إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعارته محاسن غيره. وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه. (رسالة آداب للمستعصمي) ٩٧ قيل: ما من خصلة تكون للغني مدحا إلا وتكون للفقير ذما. فإن كان حليما قيل ذليل. وإن كان شجاعا قيل: أهوج. وإن كان لسنا قيل: مهذار.

قال بعضهم:

إذا كنت لا ترجى لدفع ملمة ... ولم يك في المعروف عنك مطمع". [1]

٣٨٥-"١٣٦ **قال بعض الحكماء**: الصبر صبران. صبر على ما تكره وصبر عما تحب. والثاني أشدهما على النفس.

(لبهاء الدين) من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين:

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

لا تضجرن ولا يدخلك معجزة ... فالنجح يهلك بين العجز والضجر

لامرأة من العرب

أيها الإنسان صبرا ... إن بعد العسر يسرا

إشرب الصبر وإن كا ... ن من الصبر أمرا

١٣٧ شكا رجل إلى جعفر الصادق أذية جاره. فقال له: اصبر عليه. قال: ينسبني إلى الذل. قال: إنما الذليل من ظلم.

(للمستعصمي) قال علي بن أبي طالب:

إصبر قليلا فبعد العسر تيسير ... وكل أمر له وقت وتدبير

وللمهيمن في حالاتنا نظر ... وفوق تدبيرنا الله تدبير

قال بعضهم:

إذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة ... فأفرغ لها صبرا وأوسع لها صدرا

فإن تصاريف الزمان عجيبة ... فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

قال آخر:

وكم غمرة هاجت بأمواج غمرة ... تلقيتها بالصبر حتى تجلت". [2]

٣٨٦-"وظل يريني الخطب كيف اعتداؤه ... وبت أريه الصبر كيف يكونه

١٣٩ قال علي بن أبي طالب: اعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد. إذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد. وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور. ولله من قال:

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ٢/٥٤

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ٢/٩٧

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ... ويحمد منه الصبر مما يصيبه

فمن قل فيما يلتقيه اصطباره ... فقد قل فيما يلتقيه نصيبه

قال الشبراوي:

وإذا مسك الزمان بضر ... عظمت دونه الخطوب وجلت

وأتت بعده نوائب أخرى ... سئمت نفسك الحياة وملت

فاصطبر وانتظر بلوغ الأماني ... فالرزايا إذا تواليت تولت

قال محمود الوراق:

ألدهر لا يبقى على حالة ... لكنه يقبل أو يدبر

فإن تلقاك بمكروهه ... فاصبر فإن الدهر لا يصبر

١٤٠ (من كتاب أنيس العقلاء) . اعلم أن النصر مع الصبر. والفرج مع الكرب. واليسر مع العسر. قال بعض الحكماء: بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور. وقال بعضهم: عند انسداد الفرج. تبدو مطالع الفرج. (لبهاء الدين) ولله در من قال:

ألصبر مفتاح ما يرجى ... وكل صعب به يهون". [١]

٣٨٧-"١٦٧ قال بعض الحكماء لبعض الوزراء: إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك. قال بعضهم:

ومن البولى التي لي ... س لها في الناس كنه

أن من يعرف شيئا ... يدعي أكثر منه

(لبهاء الدين) قال أبو العتاهية:

عجبت للإنسان في فخره ... وهو غدا في قبره يقبر

أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير ما يحذر

حكى أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره. فقال: انظروا من بالباب من العلماء. فقالوا: مقاتل بن سليمان. فدعا به ثم قال له: هل تعلم لأي حكمة خلق الله الذباب. قال: ليذل به الجبابرة. قال: صدقت. ثم أجازه. (للابشيهي) ١٦٨ قال بعض الحكماء: أحق من كان للكبر مجانبا. وللإعجاب مباينا. من جل في الدنيا قدره. وعظم فيها خطره. لأنه يستقل بعالي همته كل كثير. ويستصغر معها كل كبير ورد في بعض الكتب السماوية: عجبا لمن قيل فيه من الخير ما ليس فيه ففرح. وقيل فيه من الشر ما هو فيه فغضب. (للعاملي)". [٢]

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ٢/٩٩

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ٢/١١٦

٣٨٨-"١٨٢ ألقناعة الاكتفاء بالموجود. وترك التشوق إلى المفقود **قال بعض الحكماء** لابنه: يا بني العبد حر إذا قنع. والحر عبد إذا طمع. وقال بعضهم: من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير ومن فصول ابن المعتز: أعرف الناس بالله من رضي بما قسم له. وقال أبو العتاهية:

إن كان لا يغنيك ما يكفيكا ... فكل ما في الأرض لا يغنيكا

قال غيره:

إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن ... على حالة إلا رضيت بدونها

ومن طلب العليا من العيش لم يزل ... حقيرا وفي الدنيا أسير غبونها

١٨٣ (قالوا) الغني من استغنى بالله. والفقير من أفتقر إلى الناس (وقالوا) لا غني إلا غني النفس. (لابن عبد ربه) قال النووي:

وجدت القناعة أصل الغنى ... فصرت بأذيالها ممتسك

فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني به منهمك

وعشت غنيا بلا درهم ... أمر على الناس شبه الملك

نظر عبد الملك بن مروان عند موته وهو في قصره إلى قصار يضرب بالثوب المغسلة. فقال: يا ليتني كنت قصارا ولم أتقلد الخلافة. فبلغ كلامه أبا حاتم. فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا". [1]

٣٨٩-"١٩٣ قال أنوشروان: إن العاقل أقرب إلى الله تعالى عز وجل. والعقل كالشمس في الدنيا. وهو قلب الحسنات. والعقل حسن في كل أحد وهو في الأكابر والزعماء أحسن. والعقل في جسد الإنسان كالرطوبة في الشجرة. لأن الشجرة ما دامت رطبة طرية كان الخلق من رائحتها ونشر أزهارها وطيب ثمارها ونضارتها وطراءتها فلا تصلح حينئذ لسوى القطع والإحراق والقلع. قال أيضا: ليس لملك ولا لرعية خير من العقل. فإن بضيائه يفرق بين القبيح والمليح. والجيد والرديء. والحق والباطل. والصدق والكذب. (التبر المسبوك للغزالي)

العلم وشرفه

١٩٤ قيل: العلماء في الأرض كالنجوم في السماء. لولا العلم لكان الناس كالبهائم. **وقال بعض الحكماء**: العلم حياة القلوب ومصباح الأبصار. وقال ابن المعتز في فصوله: الجاهل صغير وإن كان شيخا. والعالم كبير وإن كان حدثا. وقال أيضا: ما مات من أحياء العلوم. **قال بعض الحكماء** لابنه: يا بني خذ العلم من أفواه الرجال فإنهم يكتبون أحسن ما يسمعون. ويحفظون أحسن ما يكتبون. ويقولون أحسن ما يحفظون. (لأبي نصر المقدسي) ١٩٥ لما ولي عمر بن عبد العزيز

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٢٣/٢

وفد عليه الوفود من كل بلد.". [(١)]

٣٩٠-"يحتقر من دونه. ولا يحسد من فوقه. ولا يأخذ على العلم ثمنا. ومدح خالد بن صفوان رجلا فقال: كان بديع المنطق. جزل الألفاظ. عربي اللسان. قليل الحركات. حسن الإشارات. حلو الشمائل. كثير الطلاوة وصموتا وقورا. قال الشافعي:

أخي لا تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطول زمان

٢٠٠ كان حمزة من خطباء العرب ومن علماء زمانه. ضرب به المثل في الفصاحة وطول العمر. سأله معاوية يوما عن أشياء فأجابه عنها. فقال له: بم نلت العلم. قال: بلسان سؤول. وقلب عقول. ثم قال يا أمير المؤمنين: إن للعلم آفة وإضاعة ونكدا واستجاعة. فآفته النسيان. وإضاعته أن تحدث به غير أهله. ونكده الكذب فيه واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع أبدا. (للدميري)

آفات العلم

٢٠١ من كلام بعض الأعلام: من ازداد في العلم رشدا. ولم يزدد في الدنيا زهدا. فقد ازداد من الله بعدا. ومن كلام بعض الأكابر: إذا لم يكن العالم زاهدا في الدنيا فهو عقوبة لأهل زمانه. **قال بعض الحكماء**: إذا أوتيت علما فلا تطفئ نور العلم بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور عليهم. في بعض الحكماء: لست منتفعا بما تعلم ما لم تعمل بما تعلم. فإن". [(٢)]

٣٩١-"وأكثر إعظامه. فقيل له: من هذا يا أمير المؤمنين. قال: هذا أول من فتق لساني بذكر الله. وأدناني من رحمة الله

تأديب الصغير

٢٠٦ قالت الحكماء: من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا. وقالوا: أطبع الطين ما كان رطبا. وأعدل العود ما كان لدنا.

وقال صالح ابن عبد القدوس:

وإن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا ... بعد الذي أبصرت من يبسه

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٢٨/٢

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٣١/٢

إذا ارعوى عاد له جهله ... كذي الضنى عاد إلى نكسه

ما تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

قال بعضهم في سوء تربية صغير:

فيا عجبا لمن ربيت طفلا ... ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما أشتد ساعده رماني

أعلمه الفتوة كل وقت ... فلما طر شاربه جفاني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

قال بعض الحكماء: الحياء في الصبي خير من الخوف. لأن الحياء يدل على العقل. والخوف يدل على الجبن. (لابن عبد ربه)". [١]

٣٩٢-"والإصغاء للمتكلم. **قال بعض الحكماء** لابنه: يا بني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث. وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول. فاحذر أن تسرع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل. قالوا: من حسن الأدب أن لا تغالب أحدا على كلامه. وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه. وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه. ولا تقتحم عليه فيه. ولا تره أنك تعلمه.

يقال إن هشاما كتب إلى ملك الروم: من هشام أمير المؤمنين إلى الملك الطاغية. فكتب إليه: ما ظننت أن الملوك تسب. وما الذي يؤمنك أن أجيبك: من ملك الروم إلى الملك المذموم.

الأدب في المجالسة

٢١٢ قال إبراهيم النخعي: إذا دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه أهله. قال سعيد بن العاص: ما مددت رجلي قط بين يدي جليسي. ولا قمت حتى يقوم. وقال أيضا: لجليسي على ثلاث. إذا دنا رحبت به. وإذا جلس وسعت له. وإذا حدث أقبلت عليه. قال زياد: إياك وصدور المجالس وإن صدرك صاحبها فإنها مجلس قلعة. ولأن أدعى من بعد إلى قرب أحب إلي من أن أقصى من قرب إلى بعد. قال ابن المعتز: لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس فالموضع الذي تحط إليه خير من الموضع الذي تحط منه. (لابن عبد ربه)". [٢]

٣٩٣-"الكتاب والقلم

٢١٧ **قال بعض الحكماء**: القلم صائغ الكلام مفرغ ما يجمعه القلب. ويصوغ ما يسكبه اللب. (الكنز المدفون) قال

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٣٥/٢

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٣٨/٢

بعضهم ملغزا في قلم:

وساكن رمس طعمه عند رأسه ... إذا ذاق من ذاك الطعام تكلما

يقوم ويمشي صامتا متكلما ... ويرجع من في القبر منه مقوما

وليس بحي يستحق كرامة ... وليس بميت يستحق الترحما

قال بالعتابي: ببكاء القلم تبتسم الكتب. والأقلام مطايا الفطن. قال أرسطاطا ليس: عقول الرجال تحت سن أقلامهم. قال ثمامة ابن أشرس: ما أثرته الأقلام. لم تطمع في دراسته الأيام.

٢١٨ قيل في الكتاب: إنه الجليس الذي لا ينافق ولا يمل. ولا يعاتبك إذا جفوته ولا يفشي سرك. قال بعضهم في فضيلته:

جليس الأنيس يأمن الناس شره ... ويذكر أنواع المكارم والنهى

ويأمر بالإحسان والبر والتقى ... وينهى عن الطغيان والشر والأذى

الشعر

٢١٩ قال عمر بن الخطاب: رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم. فإن أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر. يقدمها في حاجته يستعطف بها قلب الكريم. ويستميل بها قلت اللئيم. وقال أيضا: الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ. وتطفأ به النائرة.". (١)

٣٩٤-"والعود في أرضه نوع من الحطب

فإن تغرب هذا عز مطلبه ... وإن أقام فلا يعلو إلى الرتب

٣٩٠ أوصى بعض الحكماء صديقا له وقد أراد سفرا فقال: إنك تدخل بلدا لا تعرفه ولا يعرفك أهله فتمسك بوصيتي تنفق بها فيه. عليك بنظافة البزة فإنها تنبئ عن النشء في النعمة. والأدب الجميل فإنه يكسب المحبة. وليكن عقلك دون دينك وقولك دون فعلك ولباسك دون قدرك. والزم الحياء والأنفة فإنك إن استحيت من الفظاظة اجتنبت الخساسة. وإن أنفت عن الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة. قال أو الفتح البستي:

لئن تنقلت من دار إلى دار ... وصرت بعد ثواء رهن أسفار

فالحر حر عزيز النفس حيث ثوى ... والشمس في كل برج ذات أنوار

٣٩١ أوصت أعرابية ابنها في سفر فقالت: يا بني إنك تجاور الغرباء، وترحل عن الأصدقاء. ولعلك لا تلقى غير الأعداء. فخالط الناس بجميل البشر. واتق الله في العلانية والسر. مثل بنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به. وما استقبحت من غيرك فاجتنبه. فإن المرء لا يرى عيب نفسه. (للقيرواني) ٣٩٢ **قال بعض الحكماء**: الغريب كالغرس الذي

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٤١/٢

زايل أرضه". (١)

٣٩٥-"الباب الثالث عشر في عجائب المخلوقات

في سكان السماوات وهم الملائكة

٣٩٩ اعلم أن الملائكة جواهر مقدسة عن ظلمة الشهوة وكدورة الغضب. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس. وأنسهم بذكر الله تعالى. وفرحه بعبادته. **وقال بعض الحكماء**: إن لم يكن في فضاء الأفلاك وسعة السماوات خلائق فكيف يليق بحكمة الباري تعالى تركها فارغة خاوية مع شرف جوهرها. وإنه لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغا حتى خلق فيه أجناس الحيوانات وغيرها. ولم يترك جو الهواء الرقيق حتى خلق له أنواع الطير تسبح فيه كما تسبح السمك في الماء. ولم يترك البراري اليابسة والآجام الوحلة والجبال الراسية الصلبة حتى خلق فيها أجناس السباع والوحوش. ولم يترك ظلمات التراب حتى خلق فيه أجناس الهوام والحشرات.

الملائكة أصناف منهم الكروبيون وهم العاكفون في حضرة القدس لا التفات لهم إلى نمير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية وجلالها يسبحون الليل والنهار لا يفترون. ومنهم ملائكة السماوات السبع مداومون على التسبيح والتهليل في القيام والقعود". (٢)

٣٩٦-"ما بال قصرك وحشا لا أنيس به ... يغشاك من كنفيه الروع والوهل

ما بال ذكرك منسيا ومطرحا ... وكلهم باقتسام المال قد شغلوا

لا تنكرن فما دامت على ملك ... ولا أناخ عليه الموت والوجل

وكيف يرجو دوام العيش متصلا ... وروحه بحبال الموت متصل

وجسمه للبانات الردى غرض ... وملكه زائل عنه ومنتقل

(وتروى هذه القصيدة في ديوان علي بن أبي طالب)

حفظ الحواس

٣١ قال المعلى الصوفي: شكوت إلى بعض الزهاد فسادا أجده في قلبي. فقال: هل نظرت إلى شيء فتاقت إليه نفسك. قلت: نعم. قال: احفظ عينيك فإنك إن أطلقتهما أوقعتاك في مكروه. وإن ملكتهما ملكت سائر جوارحك. (قال) مسلم الخواص لمحمد بن علي الصوفي: أوصيني. فقال: أوصيك بتقوى الله في أمرك كله. وإيثار ما يجب على محبتك. وإياك والنظر إلى كل ما دعاك إليه طرفك وشوقك إليه قلبك. فإنهم إن ملكاك لم تملك شيئا من جوارحك حتى تبلغ بهما ما يطالبانك به. وإن ملكتهما كنت الداعي لهما إلى ما أردت. فلم يعصيا لك أمرا ولا يردا لك قولا. (**قال بعض الحكماء**) : إن الله

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ٢/ ٢٥٠

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ٢/ ٢٦٤

عز وجل جعل القلب أمير الجسد وملك الأعضاء. فجميع الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو مدبرها ومصرفها وقائدها وسائقها وبإرادته تنبعث وفي طاعته تتقلب. ووزيره العقل. وعاضده". (١)

٣٩٧-"الفهم. ورائده العينان. وطليعته الأذنان. وهما في النقل سواء لا يكتمانه أمرا ولا يطويان دونه سرا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لقي رجل حكيما فقال: كيف ترى الدهر قال يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية. ويباعد الأمنية قال: فما حال أهله. قال: من ظفر منهم لغب. ومن فاته نصب. قال: فما يغني عنه. قال: قطع الرجاء منه. قال: فأي الأصحاب أبر وأوقى. قال: العمل الصالح والتقوى. قال أيهم أضر وأردى. قال: النفس والهوى. قال: فأين المخرج. قال: سلوك المنهج. (زهر الآداب للقيرواني) ٣٣ **قال بعض الحكماء**: أف للدهر ما أكدر صافيه وأخيب راجيه. وأعدى أيامه ولياليه. وقيل: يسار الدهر في الأخذ أسرع من يمينه في البذل. لا يعطى بهذه إلا ارتجع بتلك. وقال آخر: الدهر لا يؤمن يومه. ويخاف غده. يرضع ثديه وتجرح يده. وقيل: الدهر يغر ويمر. ويسوء من حيث يسر. وقال آخر الدهر لا تنتهي فيه المواهب. حتى تتخللها المصائب. ولا تصفو فيه المشارب. حتى تكدرها الشوائب. (وفي فصل ابن المعتز) : هذا زمان متلون الأخلاق متداعي البنيان. موقظ الشر منيم الخير. مطلق أعنة الظلم. حابس روح العدل. قريب الأخذ من الإعطاء والكآبة من البهج والقطوب من الشر. مر الثمرة بعيد المجتنى. قابض على النفوس". (٢)

٣٩٨-"حرام أو مكروه. بل هذا كثير وغالب في العادة. والسلامة لا يعادلها شيء. قال وهيب بن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس. ومن كلام الحكماء: من نطق من غير خير فقد لغا. ومن نظر في غير اعتبار فقد سها. ومن سكت في غير فكر فقد لها. وقيل: لو قرأت صحيفتك. لأغمدت صفيحتك. ولو رأيت ما في ميزانك. لختمت عن لسانك. وقيل: الكلمة أسيرة في وثاق الرجل. فإذا تكلم بها صار في وثاقها. يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح: كيف أنتن. فيقلن بخير إن تركتنا (للابشيهي) قال علي بن أبي طالب:

إن القليل من الكلام بأهله ... حسن وإن كثيره ممقوت

ما زل ذو صمت وما من مكثر ... إلا يزل وما يعاب صموت

إن كان ينطق ناطق من فضله ... فالصمت در زانه ياقوت

١١٠ **قال بعض الحكماء**: إذا قلت فأوجز. فإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف. وقال أيضا: أنت سالم ما سكت. فإذا

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ٢٩/٣

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ٣٠/٣

تكلمت فلك أو عليك. وقال عمرو بن العاص: الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع. وإن أكثرت منه صدع. وقال لقمان لابنه: يا بني إن من الكلام ما هو أشد من الحجر. وأنفذ من وخز الإبر. وأمر من الصبر. وأحر من الجمر. وإن القلوب مزارع فازرع فيها طيب". (١)

٣٩٩-"واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

(لابن عبد ربه) قال ابن الحاج الدلفقي:

إن الكريم الذي تبقى مودته ... ويحفظ السر إن صافى وإن صرما

ليس الكريم الذي إن غاب صاحبه ... بث الذي كان من أسراره علما

وقال أيضا:

إذا ما كتمت السر عمن أوده ... توهم أن الود غير حقيق

ولم أخف عنه السر من ضنة به ... ولكنني أخشى صديق صديقي

قال بعض الحكماء: لا تطع كل حلاف مهين هماز غياب مشاء بنميم. وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته (والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم) . قال حكيم: ألا أخبركم بشراركم. قالوا: بلى. قال: شراركم المشاؤن بالنميمات المفسدون بين الأحبة بالعون العيوب. وقيل ملعون ذو الوجهين. ملعون ذو اللسانين. ملعون كل شغاز. ملعون كل قتات. ملعون كل نمام. ملعون كل منان (والشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة. والقتات النمام. والمنان الذي يعمل الخير ويمن به) . قال آخر: احذروا أعداء العقول ولصوص المودات. وهم السعاة والنمامون. وإذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات. وفي المثل السائر: من أطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت". (٢)

٤٠٠-"وأصل متصل بفرعه. وفرع ليس له أصل. فأما الفرع البائن من أصله فإخاء بني على مودة ثم انقطعت على زمام الصحبة. وأما الأصل المتصل بفرعه فإخاء أصله الكرم وأعصابه التقوى. وأما الفرع الذي لا أصل له فالمموه الظاهر الذي ليس له باطن (لابن عبد ربه) ١٢٤ قال البكري:

وخليل لم أخنه ساعة ... في دمي كفيه ظلما قد غمس

كان في سري وجهري ثقتي ... لست عنه في مهم أحترس

ستر البغض بألفاظ الهوى ... وادعى الود بغش ودلس

إن رآني قال لي خيرا وإن ... غبت عنه قال شرا ودحس

ثم لما أمكنته فرصة ... حمل السيف على مجرى النفس

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ١١٥/٣

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب ١١٨/٣

وأراد الروح لكن خانه ... قدر أيقظ من كان نعس

وقال ابن أبي حازم:

وصاحب كان لي وكنت له ... أشفق من والد على ولد

كنا كساق تسعى بها قدم ... أو كذراع نيطت إلى عضد

حتى إذا دبت الحوادث في ... عظمي وحل الزمان من عقدي

إحول عني وكان ينظر من ... طرفي ويرمي بساعدي ويدي

١٢٥ **قال بعض الحكماء**: الإخاء جوهرة رقيقة. وهي ما لم ترقها وتحرسها معرضة للآفات فرض الأبي بالجداء له حتى تصل إلى قربه. وبالكظم حتى يعتذر إليك من ظلمك. والرضا حتى لا". (١)

٤٠١-"قال الخضراوي:

وأفضل قسم الله للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه

يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محظورا عليه مكاسبه

وشين الفتى في الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه

إذا أكمل الرحمان للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

وقال آخر:

العقل حلة فخر من تسربلها ... كانت له نسبا تغني عن النسب

والعقل أفضل ما في الناس كلهم ... بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

١٣٧ قيل: إن العميان أذكى من غيرهم. وقيل لقتادة: ما بال العميان نجدهم أذكى من البصراء. فقال: لأن القوة الباصرة منهم انقلبت إلى باطنهم قال ابن عباس لما كف بصره:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

(لابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ **قال بعض الحكماء**: العلم خليل والحلم وزيره. والعقل دليله. والعمل قائده والوفق والده. والبر أخوه والصبر أمير

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٢٥/٣

جنوده. **وقال بعض الحكماء**: لمثقال ذرة من العلم أفضل من جهاد الجاهل". [1]

٤٠٢-"٢٣١٠- طرف الفتي يخبر عن لسانه.

ويروى "عن ضميره" **وقال بعض الحكماء**: لا شاهد على غائب أعدل من طرف على قلب.". [2]

٤٠٣-"٢٧٨٨- افعل كذا وخلاك ذم

قال ابن السكيت: ولا تقل" وخلاك ذنب" وقال الفراء، كلاهما من كلام العرب، وهو من قول قصير اللخمي، قاله لعمرو بن عدى، وقد ذكرته في قصة الزباء في باب الخاء.

وقوله" وخلاك" الواو للحال، وخلا: معناه عدا، أي افعل كذا وقد جاوزك الذم فلا تستحقه، قال ابن رواحة: -[٨١]-

فشأنك فانعمى وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلى ومالى

يضرب في عذر من طلب الحاجة ولم يتوان.

وينشد لعروة بن الورد:

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أويصيب رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال بعض الحكماء: إني لأسعى في الحاجة وإني منها لآيس، وذلك للاعذار، ولئلا أرجع على نفسي بلوم". [3]

٤٠٤-"ما رأيت يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت وغفلتهم عنه

قيل له: من شر الناس؟ قال: الذي يرى إنه خيرهم -[٤٥٧]-

حدث بحديث، فقال له رجل: عمن؟ فقال له: وما تصنع بعمن؟ أما أنت فقد نالتك عظته، وقامت عليك حجته

وقيل له: كثر الوباء، فقال: أنفق ممسك، وأقلع مذنب، ولم يغلط بأحد قال رجل لابن سيرين: إني وقعت فيك، فاجعلنى في حل، فقال: ما أحب أن أحلك ما حرم الله عليك

وسمع الشعبي رجلا وقع فيه، فما ترك شيئا، فلما فرغ قال الشعبي: إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك

قال ابن السماك: خف الله حتى كأنك لم تطعه، وارج الله حتى كأنك لم تعصه

قال منصور بن عمار: من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن تعرى من لباس التقوى لم يستر بشيء من الدنيا

قيل للخليل بن أحمد: من الزاهد في الدنيا؟ قال: الذي لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب ١٣٣/٣

(٢) مجمع الأمثال ٤٣٦/١

(٣) مجمع الأمثال ٨٠/٢

وقال بعض السلف: الإيادي ثلاثة: يد بيضاء وهي الابتداء، ويد خضراء وهي المكافأة، ويد سوداء وهي المن

وقيل لبعضهم: ما العقل؟ قال: الإصابة بالظنون، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان

تم الكتاب بحمد الله وعونه والحمد لله وحده.

وهذه زيادة قد تقدم بعضها

أتى عمر بن عبد العزيز برجل كان واجدا عليه، فأمر بضربه، ثم قال: لولا أني غضبان عليك لضربتك، ثم خلى سبيله ولم يضربه.

عن بعض الصحابة: إن من مكارم أخلاق أهل الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عن ظلمك

قال صعصعة بن صوحان ليزيد: أنا كنت أكرم على أبيك منك، وأنت أكرم على من أبي، إذا لقيت المؤمن فخالصه، وإذا لقيت الكافر فخالفه، ودينك فلا تكلمنه

وقال صالح المرى لرجل يعزيه: إن لم تكن مصيبتك أحدثت لك في نفسك موعظة فمصيبتك بنفسك أعظم

وقال: صومعة المؤمن بيته يكف سمعه وبصره، قال: قاله أبو الدرداء

وقال الحسن: ما رأيت يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت وغفلتهم عنه

وقال منصور بن عمار: من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن تعرى -[٤٥٨]- من لباس التقوى لم يستتر بشيء من الدنيا، ومن رضى برزق الله لم يحزن على ما فاته، ومن نسى زلله استعظم زلل غيره، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن أعجب برأيه زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن تهاون بالدين ضل، ومن اغتنم أموال الناس افتقر، ومن انتظر العاقبة صبر، ومن صارع الحق صرع، ومن أبصر أجله قصر عمله

وقال عمر بن عبد العزيز: ما الجزع مما لا بد منه؟ وما الطمع فيما لا يرجى؟ وما الحيلة فيما سيزول؟

وقال الأحنف لأصحاب علي عليه السلام: أغبوا الرأي فإن إغبابه يكشف لكم عن محضه

علامة الأحمق ثلاث: سرعة الجواب، وكثرة الالتفاف، والثقة بكل أحد

سأل معاوية الأحنف عن الزمان، فقال: أنت الزمان؛ فإن صلحت صلح، وإن فسدت فسد

قال رجل من أهل الحجاز لابن شبرمة: من عندنا خرج العلم، قال: نعم ولكن لم يعد إليكم

قال محمد بن الباقر لجعفر عليهما السلام: يا بني إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة، خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن شيئا من الطاعة فلعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن شيئا من المعاصي فلعل سخطه فيه، وخبأ أولياءه في خلقه فلا تحقرن أحدا من خلقه فلعله في ذلك

سمع الحسن رجلا يشكو علة به إلى آخر، قال: إنك تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك

قال بعض الأكاسرة لبعض مرازبته: ما أطيب الملك لو دام، قال: لو دام لم يصل إليك

قيل لحكيم: ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشباب؟ قال: لأنهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب

قال عبد الملك للهيثم بن الأسود: ما بالك؟ فقال: القوام من العيش والغنى عن الناس، فقيل له: لم اخترته؟ قال: إن كان كثيرا حسدوني، وإن كان قليلا ازدروني

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: جزاك الله عن الإسلام خيرا، فقال: بل جزى الله الإسلام عني خيرا

تكلم رجل في مجلس ابن عباس فخلط، فقال ابن عباس: بكلام مثلك رزق الصمت والمحبة

سئل الأحنف عن مسيلمة، فقال: ما هو بنبي صادق ولا بمتنب حاذق

قيل لإبراهيم النخعي: أي رجل أنت لولا حدة فيك؟ فقال: أستغفر الله مما أملك وأستصلحه لما لا أملك. -[٤٥٩]-

كتب واصل بن عطاء عن رجل يختلف إليه حديثا، فقيل له: تكتب عن هذا الحديث؟ قال: أما إني غني عما كتبه عنه، ولكني أردت أذيقه حلاوة الرياسة ليدعوه ذلك إلى الازدياد من العلم.

قيل: استأذن العقل على الحظ، فلم يأذن له، فقال له: لم لا تأذن لي؟ فقال: لأنك تحتاج إلى ولا أحتاج إليك.

قال ابن ميدة لأبي العيناء وقد شاخ: كيف أصبحت يا أبا العيناء؟ قال: في داء يتمناه الناس

قيل للمغيرة: من أحسن الناس؟ قال: من حسن في عيشه عيش غيره.

قال عمر لكعب الأحبار: ما يفسد الدين ويصلحه؟ قال: يفسده الطمع، ويصلحه الورع.

رأي رجل على أبي الأسود ثوبين، فقال له: أما حان لهذين أن يملا، فقال أبو الأسود: رب مملول لا يستطاع فراقه، فبعث إليه الرجل بعشرة أثواب، فقال أبو الأسود:

كساك ولم تستكسه فحمدته ... أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وإن أحق الناس إن كنت شاكرا ... بشكرك من أعطاك والعرض وافر

دخل عبد الملك بن عبد العزيز على أبيه وهو نائم نومة الضحى، فقال: أتنام وأصحاب الحوائج راكدون ببابك؟ فقال: يا بني إن نفسي مطيتي وإن حملت عليها قطعتها.

قال بعض المتقدمين: قلما أطلب حاجة إلا إدركتها، وذلك أني لم أطلبها إلى غيرها، وأطلبها في حينها، ولا أطلب إلا ما أستحق

قال لقمان لابنه: إذا احتجت إلى السلطان فلا تلح عليه، ولا تطلبها إلا عند الرضا وطيب النفس، ولا تستعن بمن يغشك، ولا تطلب إلى لئيم؛ فإنه إن ردك كان رده عليك عيبا، وإن قضى حاجتك كان قضاؤه عليك منة.

الشح وسوء الخلق وكثرة طلب الحوائج إلى الناس من علامات السفهاء

لا تعتذر إلى من لا يحب أن يرى لك عذرا، ولا تستعن بمن لا يحب أن تظفر بحاجتك

من صبر على احتمال مؤن الناس سادهم

أحسن الناس مروءة وأدبا من إذا احتاج نأي، وإذا احتيج إليه دنا

ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك. -[٤٦٠]-

من كتم سره كان الخيار بيده

اعتزل عدوك، واحذر صديقك، ولا تعترض بما لا يعنيك

لا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ولا بالباطل عند الحكماء فيمقتوك.

من حدث لمن لا يستمع لحديثه كان كمن قدم طعامه إلى أهل القبور

لا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث غير أهله فتجهل.

قال بعضهم: لا تمار جاهلا ولا عالما، فإن العالم يحاجك فيغلبك، والجاهل يلاحيك فيغضبك.

وقال: المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل، والمنافق بضده.

الصمت عون للفهم، ودين للعالم، وستر للجاهل

ثلاثة تبغضهم الناس، من غير ذنب إليهم: الشحيح، والمتكبر، والأكول.

قال بعض الحكماء: لا ينبغي للعاقل أن يرضى لنفسه إلا بإحدى منزلتين: إما بأن يكون في الغاية القصوى من طلب الدنيا، أو يكون في الغاية القصوى من الترك لها.

قيل لبعضهم: ما العقل؟ قال: الإصابة بالظنون، ومعرفة مالم يكن بما قد كان

قال أكثم بن صيفي: الأمور تتشابه مقبلة، فلا يعرفها إلا ذو الرأي، فإذا أدبرت عرفها الجاهل كما يعرفها العاقل.

قال رجل لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين متى أعلم إني مسيء؟ قالت: إذا علمت أنك محسن.

وقال حكيم: وددت أن أكون عند الله من أرفع الناس، وعند الناس من أوسطهم، وعند نفسي من أسفلهم.

قيل لحكيم: أيسرك أنك جاهل ولك مائة ألف درهم؟ قال: لا، قيل: لم؟ قال: لان يسر الجاهل شين، وعسر العاقل زين، وما افتقر رجل صح عقله.

قيل للفضيل بن عياض: ما أزهدك؟ قال: فأنتم أزهد مني، قيل: كيف؟ قال: لأني أزهد في الدنيا وهي فانية، وأنتم تزهدون في الآخرة وهي باقية.

أصيب في حكمة لداود عليه السلام: لا ينبغي للعاقل أن يخلى نفسه مرة واحدة من أربع: عدة إلى غد، أو إصلاح لمعاش، أو فكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده، أو لذة في غير محرم يستعين بها على الحالات

من لم يهده قليل الإشارة لم ينفعه كثير العبارة.

العفو عن المجرم من موجبات الكرم، وقبول المعذرة من محاسن الشيم -[٤٦١]-

غاية كل متحرك سكون، ونهاية كل متكون لا يكون.

اقتناء المناقب باحتمال المتاعب

اكفف عن لحم يكسبك بشما وفعل يعقبك ندما

من طالت يده بالمواهب، امتدت إليه ألسنة المطالب

الشمس قد تغيب ثم تشرق، والروض قد يذبل ثم يورق

قد يبلغ الكلام، حيث تقصر عنه السهام

الشكول أقارب، إن بعدت المناسب

التقوى أقوى ظهير، وأوفى معير، وخير عتاد، وأكرم زاد لأمر المعاد.

المحبة ثمن كل شيء وإن غلا، وسلم إلى كل شيء وإن علا.

الدهر غريم ربما يفي بما يعد، وحبلى ربما تعقم بما تلد.

ثمرة الأدب العقل الراجح، وثمرة العلم العمل الصالح.

جهد المقل خير من عذر المخل

الانقياد لأوامر الهمم المنيفة، من نتائج الأخلاق الشريفة". (١)

٤٠٥-"وقيل: الهوى شريك العمى واتباع الهوى أوكد أسباب الردى. قال منصور الفقيه:

إن المرآة لا تريك ... خدوش وجهك في صداها

وكذاك نفسك لا تريك ... عيوب نفسك في هواها

النهي عن اتباع الهوى

قال الله تعالى: ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

«١» .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: اعص هواك والنساء، وأطع من شئت.

وقيل للناس: في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام آيات أعظمها قوله تعالى: إن النفس لأمارة بالسوء

«٢» **وقال بعض الحكماء**: إذا اشتبه عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك فالصواب في مخالفة الهوى.

قال:

من أجاب الهوى إلى كل ما يد ... عو إليه داعيه ضل وتاها

النهي عن اتباع هوى غيرك

قال الله تعالى: ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

«٣» .

وقال: ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون

«٤» . وقال: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

«٥» . وقال بعضهم لرجل: أني أهوى أن تقتل فلانا، فقال له: إني لا أدخل النار في هوى غيري وإن كنت أدخلها في هواي.

ذم من اتبع هواه

قال الله تعالى: إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس

«٦» .

---

(١) مجمع الأمثال ٢/٤٥٦

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه.

وقيل: اتباع الهوى أوكد أسباب الردى.

ووقع «٧» عبد الله بن طاهر إلى عامل له:

نفسك قد أعطيتها مناها ... فاغرة نحو مناها فاها «٨»". [١]

٤٠٦-"الرغبة في الاستبداد بالرأي

قال بعض الحكماء: ما استشرت أحدا قط إلا تكبر علي وتصاغرت «١» له ودخلته العزة وأدركتني الذلة. وإياك والمشورة وإن ضاقت بك المذاهب.

وكانت الفرس والروم مختلفين في الإستشارة.

فقالت الروم: نحن لا نملك من يحتاج أن يستشير، وقالت الفرس نحن لا نملك من يستغني عن المشاورة وفضل الفرس لقوله تعالى: وشاورهم في الأمر

«٢» وما زال المنصور يستشير أهل بيته حتى مدحه ابن هرمة بقوله:

يزرن امرأ لا يصلح القوم أمره ... ولا ينتحي الأدنين فيما يحاول

فاستوى جالسا وقال: أصبت والله. فما استشار بعد ذلك.

وقال بعض جلساء هارون «٣» : أنا قتلت جعفر بن يحيى، وذلك أني رأيت الرشيد يوما وقد تنفس تنفسا، مفكرا فانشدت في أثره:

واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد «٤»

فاصغى إليه واستعاده «٥» ، فقتل جعفرا بعد عن لبث.

وقال المهلب: لو لم يكن في الاستبداد بالرأي إلا صون السر، وتوفير العقل لوجب التمسك بفضله.

المتفادي من أن يستشار

استشار عبد الله بن علي عبد الله بن المقفع، فيما كان بينه وبين المنصور، فقال:

لست أقود جيشا ولا أتقلد حربا ولا أشير بسفك دم وعثرة الحرب لا تستقال، وغيري أولى بالمشورة في هذا المكان.

واستشار زياد رجلا فقال: حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر ولا أراني هناك.

واجتمع رؤساء بني سعد إلى أكثم بن صيفي «٦» يستشيرونه فيما دهمهم من يوم". [٢]

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٣١/١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٤٧/١

٤٠٧-"وقيل: لا تستطيع أن تعي العلوم السنية، حتى تمحو من ذهنك الأمور الدنية.

الأوقات المرتضاة للدرس

قيل: انظروا في العلم بالليل، فالقلب بالنهار طائر وبالليل ساكر، أي ساكن.

وقيل لبعضهم: لم اخترت الغدوة للدرس؟ فقال: لأن العقل أجم «١» لقرب عهده بالصمت، وبعد جوارحه من المعاصي.

من سهل عليه التعلم

قيل: إذا كانت الطبيعة نقية، اكتفت بالأذكار، وغنيت عن التكرار.

وقيل: فلان يكتفي باللحظ ويستغني عن اللفظ.

من عسر عليه التعلم

قال الله تعالى: لا يكادون يفقهون قولا

«٢» .

وقال بعض الحكماء: صقلك سيفا ليس له جوهر من سنخه خطأ، وحملك الصعب المسن على الرياضة عناء، وبثك الحب في أرض سبخة ترجو نباتها جهل.

وقال أبو تمام:

السيف ما لم يلف منه صيقل ... من سنخه لم ينتفع بصقال «٣»

وقال الخليل (رحمه الله) لبليد: ما أجد لقفل بلادتك مفتاحا.

تعسر تعلم الكبار

نظر رجل إلى فيلسوف يؤدب شيخا فقال: ما تصنع؟ قال: اغسل مسبحا لعله يبيض.

قال:

ومن العناء رياضة الهرم «٤»

وقال آخر:

أدب الكبير من التعب ... كبر الكبير عن الأدب

وقال آخر:

إن الرياضة لا تجدي لدى الشيب

وأسلم بعض الولاة هرما إلى كتاب ليتعلم شيئا من القرآن، وكان إذا تعلم شيئا نسي ما قبله، فوجه إليه أن ابعث إلي من يتسلم مني ما أحفظه، أولا فأولا.". (١)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٦٩/١

٤٠٨-"وقال بعض الحكماء: من أوجرك «١» المر لتبرأ، أشفق عليك ممن أوجرك الحلو لتسقم، وقيل: النصيحة أمن الفضيحة.

معاتبة من لم يقبله

من لم يقبل رأي أصحابه، وإن حزنوه عاد ضرره عليه، كالمريض الذي يترك ما يصف له الطبيب، ويعمد لما يشتهيه فيهلك.

قال الله تعالى حكاية عن صالح: لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، ولكن لا تحبون الناصحين.

وقال أبو ساسان:

أمرتك أمرا جازما فعصيتني ... فأصبحت مسلوب العبارة نادما

وقال آخر:

لو كنت تقبل نصحي غير متهم ... ملأت سمعك من وعظ وإنذار

وقال العرجي:

عرضت نصيحة مني ليحيي ... فقال غششتني والنصح مر

ضياع النصح لمن لا يقبله

قال الشاعر:

وما خير نصح قيل لا يتقبل

وقال الخبزارزي:

إن كان حمدي ضاع في نصحكم ... فإن أجري ليس بالضائع

وقيل: أخذ رجل ذئبا فجعل يعظه، ويقول: إياك وأخذ أغنام الناس فيعاقبك الله، والذئب يقول خفف، واختصر فقدامي قطيع من الغنم لئلا يفوتني. وقال الشاعر:

لددتهم النصيحة أي لد ... فمجوا النصح ثم ثنوا وفاؤا «٢»

معاتبة من يستنصح الناس ويستغش الناصح

وقال عبد الله بن همام:

ألا رب من تغتشه لك ناصح ... ومؤتمن بالغيب غير أمين

وله:

وقد يستغش المرء من لا يغشه ... ويأمن بالغيب امرأ غير ناصح". (١)

٤٠٩-"ما يسكن به الغضب

قيل: من غضب قائما فقعد سكن غضبه وإن كان قاعدا فاضطجع سكن والعجم تقول: من غضب فليستلق.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/١٦٥

قال أبو بكر بن عبد الله: أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم، وقيل: أذكر قدرة الله إذا غضبت. قال الله تعالى: إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون

«١» فقيل: الطيف من الشيطان حر الغضب.

من أغضب من الكبار فصبر

قام رجل إلى عمر بن عبد العزيز فكلمه بكلام أغضبه، فقال: أردت أن يستفزني الشيطان، فإياك ومعاودة مثله، عافاك الله.

أمر محمد بن سليمان برجل أن يطرح من القصر كان قد غضب عليه، فقال الرجل:

اتق الله. فقال: خلوا سبيله فإني كرهت أن أكون من الذين قال الله تعالى فيهم: وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم «٢» .

ذم الغضب

قيل لحكيم: أي الأحمال اثقل؟ فقال: الغضب. وروى أن إبليس لعنه الله. قال: مهما أعجزني ابن آدم فلن يعجزني إذا غضب لأنه ينقاد لي فيما أبتغيه ويعمل ما أريده وأرتضيه.

وقيل لأبي عباد: أيما أبعد من الرشاد السكران أم الغضبان؟ فقال: الغضبان: لا يعذر أحد في طلاق ولا ماثم يجترمه وما أكثر ما يعذر السكران. وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن الغضب والحزن أيهما أشد؟ فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضبا ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنا، ومن هنا أخذ المتنبي قوله:

وحزن كل أخي حزن أخو الغضب

من غضب في غير مغضب

قال بعض الحكماء: إذا كانت الموجدة «٣» من علة كان الرضا مفقودا. وقيل: من غضب من غير ذنب رضي من غير عذر. وقيل: من فاته الدين والمروءة فرأس ماله الغضب.

عذر من كان منه غضب

قال الشافعي «٤» رضي الله عنه: من استغضب ولم يغضب فهو حمار، ومن استرضي". [1]

٤١٠-"ورجل باع حرا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى عمله ولم يوفه أجره. وكان أبو بكر رضي الله عنه لما استخلف، قال للناس: إنكم شغلتموني عن تجارتي، فافرضوا لي ففرضوا له كل يوم درهمين. استأجر رجل حمالا ليحمل قفصا فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها، فحمل الحمال القفص فلما بلغ ثلث الطرق، قال: هات الخصلة الأولى فقال: من قال لك أن الجوع خير من الشبع فلا تصدقه، فقال: نعم. فلما بلغ ثلثي الطريق، قال: هات الثانية، فقال له: من قال لك أن المشي خير من الركوب فلا تصدقه.

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/٢٧٨

فقال: نعم، فلما انتهى إلى باب الدار قال هات الثالثة، فقال: من قال لك أنه وجد حمالا أرخص منك فلا تصدقه، فرمى الحمال القفص على الأرض، وقال: من قال لك في هذا القفص قارورة صحيحة فلا تصدقه.

(٣) ومما جاء في الدين ومتعلقاته

ذم الدين والنهي عنه

قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى رجل من اليهود يستسلفه إلى الميسرة، فقال: ليس لمحمد زرع ولا ضرع فأي ميسرة له، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كذب عدو الله لو أعطانا لأدينا إليه، ولأن يلبس أحدكم ألوانا شتى خير له من أن يستدين ما ليس عنده قضاؤه.

وقال معاذ بن جبل: الدين شين. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أعوذ بالله من الكفر والدين. **وقال بعض الحكماء**: الدين رقك فلا تبذل رقك لمن لا يعرف حقك. وقيل: الدين هدم الدين، وقيل: ما استرق الكريم مالك أفظ عليه من الدين، وقيل: الدين غل الله في أرضه فإذا أراد أن يذل عبدا جعله في عنقه. وسأل فيلسوف رجلا أن يقرضه مالا فرده وذمه.

وقال بعض الناس إلى الفيلسوف إنه جبهك بالرد، فقال: ما زاد على أن حمر وجهي بالخجل مرة واحدة ولو أقرضنيه لصفر وجهي مرات كثيرة.

من مات وعليه دين

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من داين الناس بدين في نفسه وفاؤه ثم مات وليس عنده وفاؤه، تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء. ومن داين الناس بدين ليس في نفسه وفاؤه ثم مات وليس عنده وفاؤه اقتص الله لغريمه منه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه وقال أبو هريرة رضي الله عنه: جيء بجنازة يوما فوضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقام ليصلي عليه، فقيل: إن عليه دينا، فقال صلوا على صاحبكم، فقال أبو قتادة رضي الله عنه، على دينه يا رسول الله، ثم خطب فقال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من مات وعليه دين أو ضياع فعلي ومن ترك مالا فلورثته.". (١)

٤١١-"(٥) ومما جاء في الاكتساب والإنفاق

الحث على تثمير المال في الصغر والكبر

حكي أن كسرى مر بشيخ كبير يغرس فسيلا «١» ، فقال له يا هذا: كم أتى عليك من العمر؟ قال: ثمانون سنة، قال أفتغرس فسيلا بعد الثمانين. فقال: أيها الملك لو اتكل الآباء على هذا لضاع الأبناء. قال كسرى: زه «٢» يأخذ أربعة آلاف درهم. فقال: أيها الملك:

الفسيل يطعم بعد سنين من غرسه وهذا قد أطعمني في سنته فقال: زه يأخذ أربعة آلاف درهم فقال: أيها الملك: الفسيل

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/٥٥٦

يطعم في السنة مرة وهذا قد أطعمني في أول السنة مرتين، فقال:

زه يأخذ أربعة آلاف درهم، فقال الوزير: إن لم ينهض الملك أردى هذا بحكمته بيت المال.

تثمير ذي مال كثير لمال حقير

قال سعيد: ولاني عتبة بن أبي سفيان ماله بالحجاز، فقال: تعهد صغير مالي يكبر ولا تجف كبيره فيصغر، فإنه ليس يمنعني كثير ما في يدي من إصلاح قليل مالي، ولا يشغلني قليل ما في يدي عن الصبر على كثير ما ينوبني. وأتى قوم قيس بن عبادة يسألونه حمالة، فصادفوه في حائط له يتبع مما يسقط من الثمر فيعزل جيده ورديئه، فقاموا حتى فرغ، فكلموه في ذلك، فبذل لهم ما أرادوا، فقال بعضهم: صنيعك هذا مناف لترقيح «٣» عيشك، فقال: بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضي حاجتكم. وقال زياد: لو أن لي ألف ألف درهم ولي بعير أجرب لقمت به قيام من لا يملك غيره، ولو أن عندي درهما واحدا فلزمني حق لوضعته فيه. قال الوليد بن يزيد:

لأجمعن جمع من يعيش أبدا ولأنفقنه إنفاق من يموت غدا.

التمدح بالتكسب والحث على ذلك

قال الله تعالى: وابتغوا من فضل الله

«٤» ، فدل على وجوب الطلب أو فضيلته. قال الموصلي: عليكم بالتكسب فأول ما يبدأ به الفقر دين الإنسان. ولما أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك استقبله معاذ فصافحه، فقال: كبنت يداك، قال: نعم أحترث بالمسحاة وأنفقه على عيالي فقبله، وقال لا تمسها النار. **وقال بعض الحكماء**: لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فالكريم محتال والدنيء عيال.

قال عروة بن الورد:

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ... شكى الفقر أو لام الصديق فأكثرا". (١)

٤١٢-"وقال رجل من بني قريع:

وكائن رأينا من غني مذمم ... وصعلوك قوم مات وهو حميد

وقال أبو تمام:

لا يحسب الإقلال عدما بل يرى ... أن المقل من المروءة معدم «١»

طيب عيش مؤثر الفقر وعزته وفضله

كان سقراط فقيرا، فقال له بعض الملوك: ما أفقرك؟ فقال: لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي، فالفقر ملك ليس عليه محاسبة. وقيل له: لم لا يرى أثر الحزن عليك؟ فقال: لأني لم أتخذ ما إن فقدته أحزنني. **وقال بعض الحكماء**: من أحب أن تقل مصائبه فليقل قنيته للخارجات من يده، لأن أسباب الهم فوت المطلوب وفقد المحبوب، ولا

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٥٧٢/١

يسلم منهما إنسان، لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد.

وبهذا ألم ابن الرومي، فقال:

ومن سره أن لا يرى ما يسوؤه ... فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

حكي أنه لما غرقت البصرة أخذ الناس يستغيثون، فخرج الحسن رضي الله عنه ومعه قصعة وعصا، فقال: نجا المخفون.

وقال بعض الزهاد، وقد قيل له أترضى من الدنيا بهذا؟

فقال: ألا أدلك على من رضي بدون هذا؟ قال: نعم، قال: من رضي بالدنيا بدلا من الآخرة.

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله: أترضى بالدون، فقال: إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا وترك الآخرة.

طيب عيش من قنع بما رزق

سئل الفرغاني عن الفتوة، فقال: هو أن يكون في كل وقت بشرطه. وقيل لبزرجمهر أي الناس أقل هما، فقال: ليس في الدنيا إلا مهموم، ولكن أقلهم هما أفضلهم رضا وأقنعهم بما قسم.

وقيل لبعضهم: من أنعم الناس عيشا؟ فقال: من رضي بحاله ما كانت. وقيل: من رضي بما قسم له كان دهره مسرورا. وقيل لابن عوف ما تتمنى؟ فقال: أستحي أن أتمنى على الله ما ضمنه لي، قال بعض النقاد:

دنيا تخادعني كأني ... لست أعرف حالها

حظر الإله حرامها ... وأنا احتميت حلالها «٢»". (١)

٤١٣-"تؤديه مذموما إلى غير حامد ... فيأكله عفوا وأنت دفين

وقال النمر بن تولب:

وذي إبل يسعى ويحسبها له ... أخي نصب في سقيها ودؤوب «١»

غدت وغدا رب سواه يسوقها ... وبدل أحجارا وجال قليب «٢»

وقال أبو العتاهية:

ومن الحزم أن أكون لنفسي ... قبل موتي فيما ملكت وصيا

أوصى رجل أكتب: ترك فلان ما يسؤوه وينوؤه مالا يأكله وارثه ويبقى عليه وزره.

وقيل لرجل: أشرف، وكان قد جمع مالا ولم يكن له ولد، فقال: حصلت لغير الولد حسرة الأبد.

وكان هشام بن عبد الملك حبس عياض بن مسلم كاتب الوليد بن يزيد وضربه وألبسه المسوح، فلم يزل محبوسا مدة ولاية هشام فلما ثقل هشام، وصار في حد من لا يرجى، أرسل عياض إلى الخزان أن احفظوا ما في أيديكم، فأفاق هشام وطلب شيئا، فلم يؤت به، فقال: ترانا كنا خزانا لغيرنا. فخرج عياض من الحبس فختم الباب وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ومنع أن يكفن من الخزانة، فاستعير قمقم أغلى الماء فيه له، فقال الناس:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/ ٦٠٠

إن في هذا العبرة لمن اعتبر.

قال الموسوي:

وما جمعي الأموال إلا غنيمة ... لمن عاش بعدي واتهام لرازقي

وفي الحديث: ما أعطى عبد شيئا من عرض الدنيا إلا قيل له خذه وضعفيه حرصا.

وقال بعض الحكماء: الدنيا كالماء المالح كلما ازداد الإنسان منه شربا ازداد عطشا.

قال محمود الوراق:

أراك يزيدك الإثراء حرصا ... على الدنيا كأنك لا تموت

فهل لك غاية إن صرت يوما ... إليها قلت حسبي قد غنيت

وقيل: مريد الدنيا كشارب الخمر قليلها يدعو إلى كثيرها. المستغني بالدنيا عن الدنيا كمطفيء النار بالتبن وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو أن لابن آدم واديين من ذهب لا بتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب. وقال أيضا: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا. وقال بعضهم:

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة ... فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا". (١)

٤١٤-"**قال بعض الحكماء**: قبيح للرجل أن يركب الفرس فيكون الفرس هو الذي يدبر الفارس، وأقبح من ذلك أن تكون هذه النفس التي ألبسناها هي التي تدبرنا لا نحن ندبرها.

قال شاعر:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى بعض ما فيه عليك مقال

وقال أبو العتاهية:

إذا طاوعت نفسك كنت عبدا ... لكل دنيئة تدعو إليها

وقال عبيد العنبري:

يعد الفتى أعداءه وصديقه ... ونفس الفتى أعدى عدو يحاوله

وقال آخر:

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ... ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما «١»

قضى وطرا منه وغادر سبة ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقال آخر:

وأنت إذا أعطيت فرجك سؤله ... وبطنك نالا منتهى الذم أجمعا

وقد مضى بعض ذلك في موضع آخر.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٦١١/١

النفس تنبسط إذا بسطت وتنقدع إذا قدعت

قال منصور بن عمار: عود نفسك الخير فإن النفس عروف ألوف، واعتبر أنك إذا أصبحت مفطرا طمعت في الغداء وإذا أصبحت صائما يئست منه. قال أبو ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقال بعضهم: لا تحدث نفسك بالفقر وطول البقاء ولكن حدثها بالكفاف والفناء، قال أبو العتاهية:

إقنع لنفسك ترضها ... واملك هواك وأنت حر

وقال آخر:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعت تاقت وإلا تسلت «٢»

مدح قادع نفسه عن الشهوات

قد مدح الله قادع نفسه عن الشهوات، فقال: وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن". (١)

٤١٥-"تذكرا الحرب فاختارا لها شبها ... من غير أن عفيا فيها بسفك دم

أنظر إلى فطن جاشت بكرهما ... في عسكرين بلا طبل ولا علم

هذا يغير على هذا فيغلبه ... وذا يغير وعين الحزم لم تنم

وقال السري الرفاء:

وكتيبتا زنج وروم أذكيا ... حربا يظل بها الذكاء مناضلا

في معرك قسم الزمان بقاعه ... بين الكماة المعلمين منازلا

لم يسفحا فيه دما وكأنما ... رشح الدماء أعاليا وأسافلا

وكان ذا صاح يسير مقوما ... وكان ذا نشوان يخطر مائلا

أعجب بها حربا تثير إذا التظت ... فضل الرجال ولا تثير قساطلا «١»

الماهر بالشطرنج والرديء اللعب

ليس لإجادة اللعب بالشطرنج نهاية ولا غاية، ومن معجزاته أنه لا يكاد يتفق فيه دستان، ومن مجيديهم الصولي، ولبعضهم:

ولربما مهر السخيف بها ... وتراه يمضغ لفظه حمقا

مر بعضهم بقوم يلعبون بالشطرنج وكان وسخا، فقال: ما أوسخ شطرنجهم، فقال بعضهم: اللعب أوسخ.

النوادر في الشطرنج

قيل: النوادر في الشطرنج عدة للاعب كالحداء للاغب. وقال شاعر:

نوادر الشطرنج في وقتها ... أحر من ملتهب الجمر

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٦١٤/١

كم من ضعيف اللعب كانت له ... عونا على مستحسن القمر

وروي أن أبا مسلم كان يلعب بالشطرنج، فوقع له شاه مات، فتمثل بقول الشاعر:

ذروني ذروني ما كففت فإنني ... إذا ما تهيجوني تميد بكم أرضي

وأنهض في رد الحديث إليكم ... كتائب سودا طال ما انتظرت نهضي

كان المأمون عند قدومه من خراسان اشتهى الشطرنج، فاستحضر كبار أهله زيرب وجابر الكوفي وعبد الغفار الأنصاري، وكانوا يتوقرون بين يديه، فقال: إن الشطرنج لا يطيب مع الهيبة قولوا ما تقولون إذا خلوتم.

النرد

قال بعض الحكماء: شبهت رقعة النرد بالأرض الممهدة لساكنها، ومنازل الرقعة". (١)

٤١٦-"وقال:

يا شعرة طلعت في الرأس طالعة ... كأنما طلعت في ناظر البصر

لئن قصصتك بالمقراض عن بصري ... فما قصصتك عن همي وعن فكري

فما تلبثت إن قهقهت ضاحكة ... تحت الخضاب كفعل الشامت الأشر

ظهور الشيب واختلاط البياض بالسواد

قال الفرزدق:

والشيب ينهض في السواد كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

قال مروان:

كالصبح أحدث للظلام أفولا

وقال:

ليل تلفع مدبرا بنهار

وقال البحتري:

مشيب كبث السرعي بحمله ... محدثه أوصاف صدر مذيعه

وقال دعبل:

لا تعجبي يا هند من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

وقال تميم بن مقبل:

يا حر أمسى سواد الرأس خالطه ... شيب القذال اختلاط الصفو بالكدر

وقال:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٨٢٨/١

زمان على غراب غداف ... فطيره القدر السابق «١»

وصار على وكره عقعق ... من البلق ذو شية باعق»

وقال ابن الرومي:

شعرات في الرأس بيض ودعج ... حل رأسي خيلان روم وزنج «٣»

طار على هامتي غراب شباب ... وعلاه كأنه شاه مرج

حل في صحن هامتي منه لونا ... ن كما حل رقعة شطرنج

مبدأ ظهور الشيب

قال بعض الحكماء ظهور الشيب في الناصية كرم، وفي القفا لؤم، وفي الهامة وفاء، وفي الفودين شرف، وفي الصدغين شح وفي الشارب فحش.". (١)

٤١٧-"الحد الثامن عشر في الملابس والطيب

(١) الرخصة في إجادة الملبس وعذر فاعله دينا ودنيا

قال الله تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث

«١» وقال تعالى: خذوا زينتكم عند كل مسجد

«٢» وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس.

وبعث ملك الروم إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان واشترى صلى الله عليه وسلم جبة بثمانين ناقة. وكان الحسن يلبس ثوبا بأربعمائة درهم وفرقد السنجي كان يلبس المسوح، فلقيه الحسن فقال: يا أبا سعيد ما ألين ثوبك، فقال الحسن: يا فريقد ليس لين ثيابي يباعدني من الله ولا خشونتها تقربك منه، إن الله جميل يحب الجمال.

وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد ويقول: أجالس ربي. ودخل الوليد بن يزيد على هشام وعليه عمامة وشي، فقال: بكم أخذتها؟ قال:

بألف درهم. قال: عمامة بألف درهم؟ قال: إني أخذتها لأشرف أعضائي، وأنت أخذت جارية بألف دينار لأخس أعضائك.

وقال ابن عباس: كل ما شئت وألبس ما شئت ما أخطأك اثنتان: إسراف ومخيلة. وقيل:

مروءتان ظاهرتان: الرياش والفصاحة. وقيل: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وأنشد:

إذا النفر السود اليمانون حاولوا ... له نسج برديه أدقوا وأوسعوا

الحث على تغطية سوء الحال بإجادة الثياب

قال بعض الحكماء: كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا أقل ما تكون في الباطن مآلا فالكريم من كرمت عند الخصاصة

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٣٤٤

«٣» خلته، واللئيم من لؤمت عند الحاجة طعمته.
وكان بعض القرشيين إذا اتسع لبس أرث ثيابه وإذا افتقر لبس أحسنها ويقول: إذا اتسعت تزينت بالهبة، وإذا افتقرت تزينت بالهيئة.". (١)

٤١٨-"ومر أمير المؤمنين بمقابر الكوفة فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع. أما الأزواج فقد نكحت، وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خير ما عندنا فما خير ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما أنهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى.
ونظر الحسن إلى صبية بين جنازة أبيها تقول: يا أبت مثل يومك لم أره. فضمها الحسن وقال: أي بنية وأبوك مثل هذا اليوم لم يره، فبكى الخلق.
حث الإنسان على الإستدلال على موته بمن مات من أقاربه
قال بعض الحكماء: ذهب أبوك وهو أصلك، وابنك وهو فرعك فما حال الباقي بعد ذهاب أصله وفرعه! وقال محمود في معناه:
وغادروك بلا أصل ولا طرف ... فما بقاؤك بعد الأصل والطرف
وقال أبو نواس:
ألا يا ابن الذين فنوا وماتوا ... أما والله ما ماتوا لتبقى
قال أبو حازم: إن امرأ ما بينه وبين آدم أب إلا ميت لمعرق في الموت.
قال لبيد:
فإن أنت لم ينفعك علمك فانتبه ... لعلك تهديك القرون الأوائل
فإن لم تجد من دون عدنان باقيا ... ودون معد فلترعك العواذل «١»
وقال امرؤ القيس:
فبعض اللوم عاذلتي فإني ... سيكفيني التجارب وانتسابي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابي «٢»
وقال أبو تمام:
تأمل رويدا هل تعدن سالما ... إلى آدم أو هل تعد ابن سالم
متى يرع هذا الموت عينا بصيرة ... تجد عادلا منه شبيها بظالم
وقال عمارة:
وما نحن إلا رفقة قد ترحلت ... لقصد وأخرى قد أنيخت ركابها

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٣٧٥

وقال البحتري:

وما أهل المنازل غير ركب ... مناياهم رواح وابتكار «٣»". [١]

٤١٩-"وقال آخر:

وإذا خشيت من الأمور مقدرا ... وفررت منه فنحوه تتوجه

وقال حجر العبسي:

فقل للملتقي عرض المنايا ... توق فليس ينفعك اتقاء

وقال ثعلبة العبدي:

أمن حذر آتي المتالف سادرا ... وأية أرض ليس فيها متالف «١»

وقال آخر:

لا تأمنن وإن أصبحت في حرم ... إن المنايا بجنبي كل إنسان

وقال أبو ذؤيب:

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت ... نشيبة والطراق يكذب قبولها «٢»

ولو أنني استودعته الشمس لارتقت ... إليه المنايا عينها ورسولها

وقال آخر:

كل يدور على البقاء مجاهدا ... وعلى العناء تديره الأيام «٣»

كل إنسان يفقد أو يفقد أقاربه

قال بعض الحكماء: من طال عمره رأى المصائب في إخوانه وجيرانه، ومن قصر عمره كانت مصيبته في نفسه.

قال شاعر:

كل امرئ ستئيم من ... هـ العرس أو منها يئيم «٤»

وقال الموسوي:

فمؤجل يلقى الردى في أهله ... ومعجل يلقى الردى في نفسه

وقال المتنبي:

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها ... منعنا بها من جيئة وذهوب

تملكها الآتي تملك سالب ... وفارقها الماضي فراق سليب". [٢]

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٥٠٣

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٥٠٨

٤٢٠-"واعتل الشبلي ثم برأ فقال له بعض أصحابه: كيف أنت؟ فقال:

كلما قلت قد دنا حل قيدي ... قدموني وأوثقوا المسمارا

الحياة لا تمل

قال بعض الحكماء: الحياة وإن طالت لا تمل وإنما يمل المرء تكاليف الحياة ولهذا فضل قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

على قول لبيد:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

وقيل: إن الحياة لا تسأم وإنما تسأم تكاليفها، قال المتنبي:

ولذيذ الحياة أنفس في النفس ... وأشهى من أن يمل وأحلى

وإذا الشيخ قال أف فما م ... ل حياة وإنما الضعف ملا

آلة العيش صحة وشباب ... فإذا وليا عن المرء ولى

ودخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق فرأى شيخا. فقال: يا شيخ أيسرك أن تموت؟ فقال: لا والله. قال: لم؟ وقد بلغت من السن ما أرى؟ قال: نفى الشباب وشره وبقي الشيب وخيره، فأنا إذا قعدت ذكرت الله وإذا قمت حمدت الله فأحب أن تدوم لي هاتان الحالتان.

المستنكف أن يموت حتف أنفه

قال الشنفرى:

فلا تقبروني إن قبري محرم ... عليكم ولكن أبشري أم عامر «١»

وقال بكر بن عبد العزيز:

إن موت الفراش ذل وعار ... وهو تحت السيوف فضل شريف

وإني لأستحسن قول أبي فراس بن حمدان:

متى ما يدن من أجلي كتابي ... أمت بين الأسنة والأعنة «٢»

وقال آخر:

فيا رب لا تجعل حياتي دنيئة ... ولا ميتتي يا رب بين النوائح

ولكن صريعا بين أرماح فتية ... طوال القنا من فوق أدهم قادح «٣»". [١]

٤٢١-"ومنها النار التي يوقدونها ليحيروا بها الظباء بالليل ويهولوا على الأسد إذا حدق إليها.

ما يتراءى من النيران ولا حقيقة لها

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/ ٥١٨

يحكى أن السعالي «١» توقد نارا حوالي الإنسان تخوفهم بها.

قال عبيد الأبرص:

لله در الغول أي رفيقة ... لصاحب قف خائف متقتر

أرفت بلحن فوق لحن وأبعدت ... حوالي نيرانا تبوخ وتزهر

ونار حباحب وقيل أبي حباحب، وهو ما يكون من الأكسية ونحوها مما لا حقيقة له من النيران. ونار البرق وكل نار تحرق العود إلا نار البرق فإنها تجيء بالمطر. وتحدث حدة الشجر ونار اليراعة، وهي طائر كبعض الطيور بالنهار وإذا طار بالليل فهو كشهاب قبس، ويلمح لها لمع ينض «٢» ويلمع من بعيد، فإذا دنوت منها لم ترها شيئا. والعرب تقول أكذب من يلمع.

أنواع مختلفة من ذلك

قال بعضهم:

كأن نيراننا في جنب قلعتهم ... مصقلات على أرسان قصار

وقال البحتري في حريق وقع في دار المعتز:

ما كان قدر حريق إن بنيت له ... وكلنا قلق الأحشاء حران

تفاءل الناس واشتدت ظنونهم ... والفأل منه لبعض الناس تبيان

وأيقنوا أن تنوير الحريق هو الدن ... يا تملكها والنار سلطان

وقال بعض الحكماء: النيران أربع: نار تأكل وتشرب وهي نار المعدة، ونار تأكل ولا تشرب النار الموقدة، ونار تشرب ولا تأكل، وهي نار الشجر، ونار لا تأكل ولا تشرب، وهي نار الحجر.

مدح السراج

قال النبي صلى الله عليه وسلم: المصباح مطردة للشيطان، مذبة»

للهوام مدفعة «٤» للصوص.

وقال النابغة:

ولا يضل على مصباحها الساري". [١]

٤٢٢-"فتنفر كفاه ويسقط سوطه ... وتبرد ساقاه فلا يتحرك

وما يستوي المرآن هذا ابن حرة ... وهذا هجين ظهره مشترك

فقال مسلمة: قد قال حاتم خيرا من هذا:

وكائن ترى فينا من ابن سبية ... إذا لقي الأبطال يطعنها شزرا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٦٥٨

(الأبيات) فسر عبد الملك به وقبله بين عينيه.

مفاضلة ألوانها

قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو جمعت خيول العرب في صعيد واحد لجاءت وسابقها أشقر.

وقال: خير الخيل الأدهم الأرثم «١» المحجل ثلاثا، المطلق اليمين فإن لم يكن أدهم فكميت على هذه الهيئة واستشار أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم في شراء فرس، فقال: اشتره أغر محجلا مطلق اليمين تغنم وتسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: اليمن في شقر الخيل. **وقال بعض الحكماء**: إن طلبك صاحب أشقر فعليك بالحزن «٢» ، فإن الأشقر رقيق الحافر. وإن طلبك صاحب أدهم، فعليك بالوحل فإنه رديء القوائم. وإن طلبك صاحب كميت، فعليك بالجدد «٣» فعسى أن تنجو.

قال محمد بن سلام لم يسبق الحلبة أبلق «٤» قط ولا بلقاء وزعموا أن الشيات «٥» كلها نقص وضعف، والشية كل لون دخل على لون.

قال الله تعالى: لا شية فيها

«٦» وكل حيوان إذا اسود شعره أو صوفه كان أقوى لبدنه، ولا خير في البقع. وكذلك البلق من الخيل والبرق من الحمل والتيس.

أحوال ألوانها

قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يستحب الشقر من الخيل، وقال صلى الله عليه وسلم إذا اعتددت فرسا فاعتده أقرح أرثم ومحجل الثلاث مطلق اليمين، فإنها ميامين فإن لم يكن أدهم فكميت ثم أغر تغنم وتسلم، إن شاء الله تعالى. وقال سلمة:

كميت غير مخلفة ولكن ... كلون الصف حل به الأديم

وقال المرار:

فهو ورد اللون تزأره ... وكميت اللون ما لم يزأر

وقال السلامي في أغر أرثم:

نظن نجما منيرا فوق غرته ... وأنه بهلال ظل يلتثم". (١)

٤٢٣-"وعلاج العمل أن يعتزل عن الناس فإن السلامة في العزلة، أو يمسك حجرا تحت لسانه، واستشهد شاب من الصحابة رضي الله عنهم فنظروا فإذا بحجر مربوط في وسطه من الجوع فجاءت والدته تنقض التراب عن وجهه وتقول: هنيئا لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم: ما يدريك لعله بخل بشيء ولا حاجة له إليه أو تكلم بما لا يعنيه؛ ومعنى الحديث انه يطلب منه حساب ذلك، ومن علم ان كل ما يقول ويفعل يكتب عليه، يراقب ألفاظه؛ وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/٦٧٨

كفارة كل لجاجة مع أحد أن يصلي ركعتين وكل من عادته الفحش فإنه يحشر يوم القيامة في صورة كلب، والفرق بين الفحش والشتم ان الفحش أن يعبر عن المباشرة بعبارة قبيحة والشتم أن ينسب واحدا إلى ذلك.

(الباب السابع في علاج الكذب)

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ان الكذب باب من أبواب النفاق، وقال: ان الكذب ينقص في الرزق، وقال عبد الله: يا رسول الله أيسرق المؤمن؟ قال: نعم، قال: أيزني المؤمن؟ قال: نعم، قال: أيكذب المؤمن؟ قال: لا إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله

وقال بعض الحكماء: ان لم يكن الكذب حراما أو قبيحا لكانت الحرية تقضي أن لا يكذب أحد.". (١)

٤٢٤-"الباب السابع في سياسة السلطان وأدب الرعية

قال بعض الحكماء: إن قلوب الرعية خزائن واليها فما أودعه وجده فيها. قالوا: صنفان متباينان إن صلح أحدهما صلح الآخر: السلطان والرعية. **قال بعض الحكماء**: إذا صحبت السلطان فلتكن مداراتك له مدارة المرأة القبيحة لزوجها؛ فإنها لا تدع التصنع له في كل حال. قال الأعمش: إذا رأيت العالم يأتي باب السلطان فاعلم أنه لص. ٤٣٥ **قال بعض الحكماء**: ليغلق السلطان باب الأنس بينه وبين كفاته الذين تنفذ أمورهم في ملكه؛ فإن مؤانسته إياهم تبعث عليه بهم الجرأة وعلى الرعية الغشم. قالوا: صنفان لو صلحا صلح جميع الناس الفقهاء والأمراء. قيل: من داخل السلطان يحتاج أن يدخل أعمى ويخرج أخرس. قيل للعتابي: لم لا تقصد الأمير؟ قال: لأني أراه يعطي واحدا لغير حسنة ولا يد، ويقتل آخر بلا سيئة ولا ذنب. ولست أدري أي الرجلين أكون أنا، ولست أرجو منه مقدار ما أخاطر به. قيل: العاقل من طلب السلامة من عمل السلطان، فإنه إن عف جنى عليه العفاف عداوة الخاصة، وإن بسط جنى عليه البسط ألسنة العامة. قال سعيد بن حميد: مجلس السلطان كالحمام؛ من فيه يريد الخروج ومن هو خارج يريد الدخول فيه. ابن المقفع: إقبال السلطان تعب، وإعراضه مذلة.". (٢)

٤٢٥-"فيدعو عليه الناس قالت امرأة من بني هاشم: فإن تهلك فلم تعرف عقوقا ... ولم توقد لنا بالغدر نارا **وقال بعض الحكماء**: النيران أربعة: نار تأكل وتشرب، وهي نار المعدة، ونار لا تأكل ولا تشرب وهي نار الحجر، ونار تشرب ولا تأكل وهي نار البرق، ونار تأكل ولا تشرب وهي نار الحطب. ويقال أيضا: النيران أربعة: فنار تشرب ولا تأكل، ونار تأكل ولا تشرب، ونار تأكل وتشرب، ونار لا تأكل ولا تشرب؛ فأما النار التي تشرب ولا تأكل فهي النار التي هي من الشجر، والنار التي تأكل ولا تشرب فناركم هذه، والنار التي لا تأكل ولا تشرب فالنار التي في الحجر، والنار التي تأكل

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم ص/٢٢٥

(٢) نثر الدر في المحاضرات ٤/١٦٩

وتشرب فنار جهنم.". [(١)]

٤٢٦-"يستحسن في المرأة طول أربعة، هي: أطرافها، وقامتها، وشعرها، وعنقها. وقصر أربعة، هي: يديها، ورجليها، ولسانها، وعينيها، والمراد بهذا القصر المعنوي، فلا تبذر ما في بيت زوجها، ولا تخرج من بيتها، ولا تستطيل بلسانها، ولا تطمع بعينيها، وبياض أربعة: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينيها. وسواد أربعة: أهدابها، وحاجبها، وعينيها، وشعرها، وحمرة أربعة: لسانها، وخدها، وشفتيها مع لعس، وإشراب بياضها بحمرة. وغلظ أربعة: ساقها، ومعصمها، وعجيزتها، وما هنالك. وسعة أربعة: جبهتها، وجبينها، وعينها، وصدرها. وضيق أربعة: فمها، ومنخرها، ومنفذ أذنيها، وما هنالك، وهو المقصود الأعظم من المرأة. قيل: وجدت جارية في زمن بني ساسان بهذه الصفات المذكورة جميعها. وحكي أن يعصور أحد ملوك الصين أهدى إلى كسرى أنو شر وان ملك فارس هدية، من جملتها جارية طولها سبعة أذرع تضرب أهداب عينيها خديها، كأن بين أجفانها لمعان البرق، مقرونة الحاجبين، لها ضفائر تجرهن إذا مشت. وهذه أوصاف بها جماع الحسن، وإنما العبارات الكثيرة تفنن في الأوصاف، وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج. **وقال بعض الحكماء**: من نعم الله على العبد تحسين خلقه وخلقه واسمه، قيل: وصوته. وقال سقراط: إذا حسن الله وجهك فلا تضف إليه قبيح المعاصي، أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين. ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس،". [(٢)]

٤٢٧-"معظما في القلوب، لم يبعث الله نبيا إلا جميل الوجه، كريم الحسب، شريف النسب، حسن الصوت، وأوتي يوسف عليه السلام شطر الحسن، وفي صفته صلى الله عليه وسلم: كأن الشمس تجري في وجهه، وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم من الحسن في الذروة العليا، ومن الجمال في المرتبة القصوى، كما يفصح عنه كتاب "الشمائل" للترمذي وغيره، وكان يدعو الناس إلى جمال الباطن والظاهر، ويقول: "إن الله جميل يحب الجمال". فكل جمال بالنسبة إلى بحره بلالة، وإلى نوره ذبالة، وهذا هو المطلب الذي تكل عنه البصائر، ويقصر عنه كل ذي حد جائر. وقال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) [التين: ٤] أي تعديل لقامته وصورته كله. وجاء في تفسير قوله تعالى: (يزيد في الخلق ما يشاء) [فاطر: ١] إنه الوجه الحسن، والصوت الحسن. **قال بعض الحكماء**: قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس ردية، والحسن أول سعادة الإنسان، وقلما تجد الخلق إلا تبعا للخلقة، تناسبا مطردا، وأصلا لا ينعكس، وإجماعا لا ينفرد، لكنه إن كان أمرا مرغوبا فيه، فأن حسن السيرة أفضل منه، وتدل عليه وجوه ذكرها الرازي في "أسرار التنزيل". ثم الشعراء أكثروا في تشبيه الأعضاء بالحروف، فشبهوا الحاجب بالنون، والعين بالعين، والصدغ بالواو، والفم بالميم،
والطرف بالصاد، والثنايا بالسين، والطرة المضفورة بالشين، والقامة بالألف. وأورد في "ديوان الصبابة" لذلك أمثلة كثيرة من

(١) نثر الدر في المحاضرات ٢٤٥/٦

(٢) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان ص/٢٢

الأشعار، وشبهوا بالفواكه أيضا، كالخدود بالتفاح، والشفة". (١)

٤٢٨-"ما تحته، وأن الباعث إليه الأخلاط، هو الحرارة، فهي كالنار إذا اشتدت صعدت ما لاقته، وموضعها القلب، ومحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها، إما إلى داخل دفعة أو تدريجيا، أو إلى خارج كذلك، أو إليهما، وموضع بسطه الحكمة، والذي يخصنا من ذلك هنا أن نقول: إن استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطاني، حتى قال بعض الحكماء: لكل مرتبة من مراتب المحبة حد إلا محبة العشق فلا حد لها. وقال بعضهم: إن تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة، إلا أنه لا يطفئها كل هواء. إذا تقرر هذا، وجمع إلى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة، ظهر علة اصفرار لون العاشق، وارتعاد مفاصله، وخفقان قلبه، لأن الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح، المنتج لحركة الحرارة إلى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون، يعارضه لشدة الشفقة والخوف من نحو واش وسرعة تفريق، وإلباس الموجب لإطفاء الحرارة أو جذبها إلى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة، ومن ثم إذا أمن من ذلك لم يقع تغير، وأما حمرة المعشوق، فهي إما حياء أو خجل، وكل منهما باعث للحرارة إلى خارج، ونتيجة احمرار الألوان وصفاؤها. فأفضل الألوان الأحمر الصافي المشرق مطلقا، حتى في الثياب، كالحلل، والمشروب والمشموم، كالورد والشقيق، والحيوان، كالخيل،". (٢)

٤٢٩-"نوراني وهذا جسم ظلماني، وبينهما فاصلة من الغبراء إلى السماء، فلا ندري أي نسبة خلقها الله تعالى بينهما منشأ للسيلان ومصدرا للهيمان، مع وجود عدم المناسبة بينهما في الظاهر، ومن ههنا يظهر أن واحدا منا إن عشق ذا شكل قبيح، فهو معذور، ينبغي ألا يلومه لائم لأن الله تعالى خلق بينهما نسبة خفية هي علة للمحبة، والعقل قاصر عن إدراكها، ومن ثم قال بعض الحكماء: الحسن مغناطيس روحاني لا يعلل جذبه للعقول بعلة سوى الخاصة. وما أحسن ما قال الزاهي البغدادي:

وكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك لشقوتي وقع اختياري

ذكره أزاد: ثالثتهن: المعلنة، هي التي تعلن فسقها، كقول بعضهم:

وددتك لما كان ودك خالصا ... وأعرضت لما صرت نهبا مقسما

ولن يلبث الحوض العتيق بناؤه ... إذا كثر الوراد أن يتهدما

وقول الصاحب عطا ملك في امرأة اسمها شجر موريا:

يا حبذا شجر وطيب نسيمها ... لو أنها تسقى بماء واحد

وقول ابن الخازن في مليح:

---

(١) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان ص/٢٣

(٢) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان ص/٢٥

تسل يا قلب عن سمح بمهجته ... مبذل كل من يلقاه يعرفه

كالماء أي صد وافاه ينهله ... والغصن أي نسيم هب يعطفه

وقول العباس بن الأحنف:

كتبت تلوم وتستريث زيارتي ... وتقول لست لعهدنا بالعاهد". (١)

٤٣٠-"الرشيد: ما هذا؟ ضعي الإبريق من يدك، ففعلت، فقال: والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك، فقالت: يا سيدي، أشار إلي [عبد الله] كأنه يقبلني، فأنكرت ذلك عليه، فالتفت إلى المأمون فنظر إليه كأنه ميت لما داخله من الجزع والخجل، فرحمه وضمه إليه، وقال: يا عبد الله، أتحبها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: هي لك فاخل بها في تلك القبة، ففعل، ثم قال له: هل قلت في هذا الأمر شيئا؟ فقال: نعم يا سيدي، ثم أنشد:

ظبي كتبت بطرفي ... من الضمير إليه

قبلته من بعيد ... فاعتل من شفتيه

ورد أخبث رد ... بالكسر من حاجبيه

فما برحت مكاني ... حتى قدرت عليه وفي هذا المعنى يقول بعض البلغاء: اللحظ، يعرب عن اللفظ، وقال آخر: رب كناية تغني عن إيضاح، ورب لفظ يدل على ضمير، ونظمه الشاعر فقال:

جعلنا علامات المودة بيننا ... دقائق لحظ هن أمضى من السحر

فأعرف منها الوصل في لين لحظها ... وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر وفي هذا **قال بعض الحكماء**: العين باب القلب، فما في القلب ظهر في العين، وقال الشاعر:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغض إذا كانا

فالعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا". (٢)

٤٣١-"وقال بعضهم: أول مراتب العشق الميل إلى المحبوب، ثم العلاقة، ثم الحب، ثم يستحكم الهوى فيصير مودة تزيد بالمؤانسة، وتدرس بالجفاء والأذى، ثم الخلة، ثم الصبابة (وهى رقة الشوق) تولدها الألفة، ويبعثها الإشفاق، ويهيجها الذكر، ثم تصير عشقا. وهو على أضرب. فمبدؤه يصفى الذهن، ويهذب العقل. كما قال ذو الرياستين لأصحابه: «اعشقوا، ولا تعشقوا حراما! فإن عشق الحرام يطلق اللسان ويرفع التبلد ويطلق كف البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء، فإذا زاد؛ مرض الجسد، فإذا زاد؛ أخرج العقل وأزال الرأى فاستهلك، ثم يترقى فيصير ولها، ويسمى ذو الوله مدلها، ومستهاما، ومستهترا، وحيران؛ ثم بعدها التتيم فيدعى متيما، والتتيم نهاية الهوى، وآخر العشق؛ ومن التتيم يكون

---

(١) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان ص/٤٤

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس ٦١٩/١

الداء الدوى، والجنون الشاغل» .

وقال بعض الحكماء: أول الحب العلاقة (وهو شيء يحدثه النظر أو السمع فيخطر للبال، ويعرض للفكر، ويرتاح له القلب، ثم ينمى بالطمع، واللجاج، وإدمان الذكر) ، ثم يقوى فيصير حبا، ثم يصير هوى، ثم يصير خلة، ثم عشقا، ثم ولها، فيسمى صاحبه مدلها، ومستهاما، وهائما، وحيران، ثم يصير متيما، وهو أرفع منازل الحب، لأن التتيم التعبد؛ والوجد ألم الحب، والهيمان الذهاب في طلب غرض لا غاية له؛ والكلف والشغف اللهج بطلب الغرض.

وقال الفراء: اللوعة، حرقة القلب من الحب.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: العلاقة الحب اللازم للقلب؛ والجوى الهوى الباطن؛ واللوعة حرقة الهوى؛ واللاعج الهوى المحرق؛ والشغف أن يبلغ الحب شغاف القلب (وهو جلد دونه) ؛ والتتيم أن يستعبده الهوى؛ والتبل أن يسقمه الهوى،". (١)

٤٣٢-"ككواكب الظلماء لحن لناظر ... من فوق أغصان على كثبان.

هذى الهلال، وتلك بنت المشترى ... حسنا، وهذى أخت غصن البان!

حاكمت فيهن السلو إلى الصبا ... فقضى لسلطان على سلطان.

فأبحن من قلبي الحمى وثنينني ... عن عز ملكى كالأسير العاني.

لا تعذلوا ملكا تذلل في الهوى! ... ذل الهوى عز وملك ثاني!

إن لم أطع فيهن سلطان الهوى ... كلفا بهن، فلست من مروان!

وإذا الكريم أحب، أمن إلفه ... خطب القلى وحوادث السلوان!

وقال العباس:

لا عار في الحب إن الحب؛ مكرمة ... لكنه ربما أزرى بذى الخطر!

وأما القسم المذموم منه، وهو الذى ثنينا بذكره في صدر هذا الفصل فقد أكثر الناس القول في ذمه، وبينوا أسبابه.

فقال ابن الجوزى: بيان ذمه أن الشيء إنما يعرف مذموما أو ممدوحا بتأمل ذاته وفوائده وعواقبه، وذات العشق لهج بصورة، وهذا ليس فيه فضيلة فتمدح، ولا فائدة في العشق للنفس الناطقة، إنما هو أثر غلبة النفس الشهوانية.

وقال بعض الحكماء: ليس العشق من أدواء الحصفاء الحكماء، إنما هو من امراض الخلعاء الذين جعلوا دأبهم ولهجهم متابعة النفس وإرخاء عنان الشهوة وإمراح النظر في المستحسنات من الصور. فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس، ثم تألف، ثم تتوق، ثم تلهج، فيقال «عشق» . وليس هذا من صفة الحكماء:". (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٢٩/٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٤٥/٢

٤٣٣-"ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

حقيقة الجود بذل المال، قال الله عزوجل: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)

وقال تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما» وقال صلى الله عليه وسلم: «تجاوزوا عن ذنب السخى فإن الله عزوجل آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر» وقال صلى الله عليه وسلم: «الجود من جود الله تعالى فجودوا يجود الله عليكم» . «ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدلية فى الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة» . «ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة» . وقال على بن عبد الله بن عباس: سادة الناس في الدنيا الأسخياء. **وقال بعض الحكماء**: الجواد من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره.

وقيل لعمرو بن عبيد: ما الكرم؟ فقال: أن تكون بمالك متبرعا، وعن مال غيرك متورعا. ويقال: مراتب السخاء ثلاثة: سخاء وجود وإيثار، فالسخاء إعطاء الأقل وإمساك الأكثر، والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل، والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك بشيء، وهو أشرف درجات الكرم، وبه استحقوا ثناء الله عزوجل عليهم في قوله: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)

. ومن كلام ينسب الى جعفر بن محمد: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره، وستره. الجود زكاة السعادة، والإيثار على النفس موجب لاسم الكرم، وقال:

لا يستحى من بذل القليل فإن الحرمان أقل منه. قال بعض الشعراء

أعط القليل ولا يمنعك قلته ... فكل ما سد فقرا فهو محمود". [١]

٤٣٤-"وقال حبيب الطائى

لئن جحدتك ما أوليت من كرم ... إنى لفى اللؤم أمضى منك في الكرم

أنسى ابتسامك- والألوان كاسفة- ... تبسم الصبح، فى داج من الظلم

رددت رونق وجهى في صفيحته ... رد الصقال صفاء الصارم الخذم

وما أبالى- وخير القول أصدقه- ... حقنت لى ماء وجهى أم حقنت دمى

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده، إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية» .

وقالوا: حد الشجاعة سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٢٠٤

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال: جبلة نفس أبية، قيل له: فما النجدة؟ قال:
ثقة النفس عند استرسالها الى الموت، حتى تحمد بفعلها دون خوف.
وقيل لبعضهم: ما الشجاعة؟ فقال: صبر ساعة. وقال بعض أهل التجارب:
الرجال ثلاثة: فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس: الذى يشد اذا شدوا، والشجاع:
الداعى الى البراز والمجيب داعيه، والبطل: الحامى لظهور القوم اذا ولوا.
قال يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ: العرب تجعل الشجاعة في أربع طبقات، تقول: رجل شجاع، فاذا كان فوق ذلك، قالوا: بطل، فاذا كان فوق ذلك، قالوا: بهمة، فاذا كان فوق ذلك، قالوا: اليس.
وقال بعض الحكماء: جسم الحرب: الشجاعة، وقلبها: التدبير، ولسانها:
المكيدة، وجناحها: الطاعة، وقائدها: الرفق، وسائقها: النصر.". (١)

٤٣٥-"وورد في الأثر: «أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياء، فاختار العقل، فقيل للدين والحياء: ارتفعا، قالا: لا، قال: أفعصيتما أمر ربكما؟
قالا: ما عصينا أمر ربنا، ولكنا أمرنا أن نتبع العقل حيث كان» .
وقال لقمان لابنه: إن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة، حسن العقل، لأن العبد إذا حسن عقله، غطى ذلك عيوبه، وأصلح مساويه، ورضى عنه خالقه، وكفى بالمرء عقلا أن يسلم الناس من شره.
وقيل: مكتوب في حكمة آل داود عليه السلام: على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه، مالكا للسانه، مقبلا على شأنه.
وقال بعض الحكماء: كل شيء يعز اذا قل، والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأغلى، ولو بيع، لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله، وأول شرف العقل أنه لا يشترى بالمال.
قال أبو عطاء السندى
فإن العقل ليس له اذا ما ... تذكرت الفضائل من كفاء
وقالوا: العلم قائد، والعقل سائق، والنفس بينهما حرون، فاذا كان قائد بلا سائق هلكت، وان كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا، فاذا اجتمعا أجابت طوعا أوكرها.". (٢)

٤٣٦-"وقال سعيد بن جبير: لم تر عيناى أجل من فضل عقل يتردى به الرجل إن انكسر جبره، وإن تصدع أنعشه، وإن ذل أعزه، وإن أعوج أقامه، وإن عثر اقاله، وإن افتقر أغناه، وإن عرى كساه، وإن غوى أرشده، وإن خاف أمنه، وإن حزن أفرحه، وإن تكلم صدقه، وإن أقام بين أظهر قوم اغتبطوا به، وإن غاب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يده قالوا: جواد،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٢٠/٣
(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٣٢/٣

وإن قبضها قالوا: مقتصد، وإن أشار قالوا: عالم، وإن صام قالوا: مجتهد، وإن أفطر قالوا: معذور.

قال بعض الشعراء

يعد رفيع القوم من كان عاقلا ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

وإن حل أرضا عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب

وقال بعض الحكماء: إذا غلب العقل الهوى، صرف المساوىء الى المحاسن، فجعل البلادة حلما، والحدة ذكاء، والمكر فطنة، والهذر بلاغة، والعي صمتا، والعقوبة أدبا، والجبن حذرا، والإسراف جودا.

وقيل: لو صور العقل، لأضاء معه الليل، ولو صور الجهل، لأظلم معه النهار.

قال المتنبي

لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى الى شرف من الإنسان

وقد ندب الى صحبة العقلاء.

قال الزهري: اذا أنكرت عقلك، فاقدحه بعاقل. قال ابن زرارة: جالس العقلاء أعداء كانوا أم أصدقاء، فإن العقل يقع على العقل.

قال بعض الشعراء

عدوك ذو العقل أبقى عليك ... وأبقى من الوامق الأحمق". (١)

٤٣٧-"وقال آخر

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى ... ولم أر مثل المال أرفع للنذل

ولم أر من عدم أضر على الفتى ... اذا عاش بين الناس من عدم العقل

ذكر ما قيل في الصدق

قال الله عزوجل مبشرا للصادقين: (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحروا الصدق، فإن الصدق يهدى الى البر، والبر يهدى الى الجنة، وإن المرء ليتحرى الصدق، حتى يكتب صديقا» .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، ما عمل أهل الجنة؟ قال: الصدق، اذا صدق العبد بر، واذا بر أمن، واذا أمن دخل الجنة. قال: يا رسول الله ما عمل أهل النار؟ قال: الكذب، إذا كذب العبد فجر، واذا فجر كفر، واذا كفر دخل النار.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بم يعرف المؤمن؟ قال: بوقاره، ولين كلامه،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٢٣٥

وصدق حديثه. ومن كلام على رضى الله عنه:

الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك.

وقال بعض الحكماء: الصدق أزين حلية، والمعروف أربح تجارة، والشكر أدوم نعمة. وقال بعضهم: رأيت أرسطا طاليس في المنام، فقلت: أى الكلام أحسن؟". (١)

٤٣٨-"ذكر ما قيل في القناعة والنزاهة

جاء في تفسير قوله تعالى: من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)

أن المراد بالحياة الطيبة: القناعة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القناعة مال لا ينفد» . وقال عليه السلام:

«ما عال من اقتصد» . ومن كلام على رضى الله عنه: كفى بالقناعة ملكا، وبحسن الخلق نعيما.

وقال جعفر بن محمد: ثمرة القناعة الراحة.

وقال على بن موسى: القناعة تجمع الى صيانة النفس، وعز القدرة طرح مؤونة الاستكثار والتعبد لأهل الدنيا، ولا ملك طريق القناعة إلا رجلان، إما متقلل يريد أجر الآخرة، أو كريم يتنزه عن آثام الدنيا.

وقال الراضى: القانع يعيش آمنا مطمئنا مستريحا مريحا، والشره لا يعيش إلا تعبا نصبا في خوف وأذى.

وقال بعض الحكماء: عز النزاهة أحب الى من فرح الفائدة، والصبر على العسرة أحب الى من احتمال المنة. وقال أبو ذؤيب الهذلى

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد الى قليل تقنع

وقال سالم بن وامضة

غنى النفس ما يكفيك في سد فاقة ... فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

وقال أبو هلال العسكرى

ألا إن القناعة خير مال ... لذى كرم يروح بغير مال". (٢)

٤٣٩-"لنا في كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء

لسانى صارم لا عيب فيه ... وبحرى لا تكدره الدلاء

فإن أبي ووالدتى وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء

ويستحق الهجاء من اتصف بسوء الخصال، واتسم بأخلاق الأرذال والأنذال، وجعل اللؤم جلبابه وشعاره، والبخل وطاءه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٢٣٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٢٤٧

ودثاره، وسأذكر جماع ما اتصفوا به من سوء الفعال، وأسسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال.

قال بعض الحكماء: أربعة من علامات اللؤم: إفشاء السر، واعتقاد الغدر، وغيبة الأحرار، وإساءة الجوار.

وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه، فتلكأ عليه وأبى أن يخبره فأقسم عليه فقال: حسود، كنود، حقود، فقال عبد الملك: ما في إبليس شر من هذه الخلال؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال: لقد انتحل الشر بحذافيره، ومرق من جميع خلال الخير، وتأنق في ذم نفسه، وتجرد في الدلالة على لؤم طبعه، وأفرط في إقامة الحجة على كفره، وخرج من الخلال الموجبة رضى ربه.

قال أبو تمام

تأنست بذميم الفعل طلعته ... تأنس المقلة الرمداء بالظلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أربعة، من كن فيه فهو منافق، من اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا عاهد غدر، واذا أؤتمن خان» .

وقالوا: اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الرفد، وقالوا: اللئيم اذا استغنى بطر، واذا افتقر قنط، واذا قال أفحش، واذا سئل بخل، وإن سأل ألح، وإن". [1]

٤٤٠-"قال بعض الشعراء

لعمرك ما سب الأمير عدوه ... ولكنما سب الأمير المبلغ

وقال ابن المعتز: الساعى كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه.

وقالوا: النمام، شر من الساحر، فإن النمام، يفسد في الساعة الواحدة، ما لا يفسد الساحر في المدة الطويلة.

وقالوا: النميمة، من الخلال الذميمة، تذل على نفس سقيمة، وطبيعة لئيمة، مشغوفة بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار.

وقال بعض الحكماء: الأشرار يتتبعون مساوىء الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتتبع الذباب المواضع الألمة من الجسد، ويترك الصحيحة.

وقالوا: لم يمش ماش، شر من واش. والساعى بالنميمة، كشاهد الزور، يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى اليه.

وقالوا: حسبك من شر سماعه. وقد لهج الشعراء بذم النمام، وجعلوه من أهاجيهم.

قال بعض الشعراء

من نم في الناس لم تؤمن عقاربه ... على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

كالسيل بالليل لا يدرى به أحد ... من أين جاء ولا من أين يأتيه

وقال السرى الرفاء

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٢٦٧

أنم بما استودعته من زجاجة ... ترى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن". [1]

٤٤١-"لأبغض أهل البيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد، وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده: إذا بسط الله لك في الرزق فابسط، وإذا قبض فاقبض، وعبتمونى حين قلت: إن فضل الغنى عن القوت، إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت، إن احتيج إليها استعملت، وإن استغنى عنها كانت عدة، وقد قال الحصين بن المنذر:

وددت أن لى مثل أحد ذهبا لا أنتفع منه بشيء، قيل له: فما كنت تصنع به؟

قال: لكثرة من كان يخدمنى عليه، لأن المال مخدوم، **وقال بعض الحكماء**: عليك بطلب الغنى، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك، وذل في قلب عدوك، لكان الحظ فيه جسيما، والنفع عظيما، ولسنا ندع سيرة الأنبياء، وتأدب الخلفاء، وتعليم الحكماء، لأصحاب الهوى، فلستم على تردون، ولا رأبي تفندون، فقدموا النظر قبل العزم، وأدركوا ما عليكم من قبل أن تدركوا مالكم، والسلام.

ومن نوادر البخلاء، قال رجل لبعض البخلاء: لم لا تدعونى إلى طعامك؟

قال: لأنك جيد المضغ سريع البلع، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى، قال: يا أخى أتريد إذا أكلت عندك أن أصلى ركعتين بين كل لقمتين؟.

وقال آخر لبخيل: لم لا تدعونى إلى طعامك؟ قال: لأنك تعلق، وتشدق، وتحدق، أى تحمل واحدة في يدك، وأخرى في شدقك، وتنظر إلى الأخرى بعينك.

وقال بعض البخلاء: أنا لا آكل إلا نصف الليل، قيل له: ولم؟ قال يبرد الماء، وينقمع الذباب، وآمن فجأة الداخل، وصرخة السائل.". [2]

٤٤٢-"الإيمان» . وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» . وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يجوز الكذب في جد ولا هزل» وقال:

«لا يكون المؤمن كذابا» .

وقالت الحكماء: ليس لكاذب مروءة.

وقالوا: من عرف بالكذب لم يحسن صدقه.

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: خلف الوعد ثلث النفاق.

وقال بعض الحكماء: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٢٩٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٣٢٢

قال عمرو بن العلاء القارىء: ساد عتبة بن ربيعة وكان مملقا، وساد أبو جهل وكان حدثا، وساد أبو سفيان وكان بخالا، وساد عامر بن الطفيل وكان عاهرا، وساد كليب بن وائل وكان ظلوما، وساد عيينة وكان محمقا، ولم يسد قط كذاب، فصلح السؤدد مع الفقر والحداثة والبخل والعهر والظلم والحمق، ولم يصلح مع الكذب، لأن الكذب يعم الأخلاق كلها بالفساد.

وقال يحيى بن خالد: رأيت شريب خمر نزع، ولصا أقلع، وصاحب فواحش رجع، ولم أر كذابا رجع.

ويقال: الكذب مفتاح كل كبيرة، والخمر جماع كل شر.

وقيل: لا تأمنن من يكذب لك أن يكذب عليك.

وقيل: الكذب والنفاق والحسد أثافى الذل.". (١)

٤٤٣-"وقال ابن عباس: حقيق على الله أن لا يرفع للكاذب درجة، ولا يثبت له حجة.

وقال سليمان بن سعد: لو صحبنى رجل وقال: لا تشترط على إلا شرطا واحدا لقلت: لا تكذبنى.

وقال أبو حيان التوحيدى: الكذب شعار خلق، ومورد رنق، وأدب سيىء، وعادة فاحشة، وقل من استرسل فيه إلا ألفه، وقل من ألفه إلا أتلفه.

وقال غيره: الكذب أوضع الرذائل خطة، وأجمعها للمذمة والمحطة، وأكبرها ذلا فى الدنيا، وأكثرها خزيا في الآخرة، وهو من أعظم علامات النفاق، وأقوى الدلائل على دناءة الأخلاق والأعراق، لا يؤتمن حامله على حال، ولا يصدق إذا قال.

وقيل: لكل شيء آفة، والكذب آفة النطق.

وقال بعض الكرماء: لو لم أدع الكذب تأثما، لتركته تكرما.

وقال أرسطا طاليس: فضل الناطق على الأخرس بالنطق، وزين النطق الصدق، فإذا كان الناطق كاذبا، فالأخرس خير منه.

وقال بعض الحكماء لولده: يا بنى إياك والكذب، فأنه يزرى بقائله، وإن كان شريفا في أصله، ويذله وإن كان عزيزا في أهله.

وقال الأحنف بن قيس: اثنان لا يجتمعان: الكذب والمروءة.

وقال بزرجمهر: الكاذب والميت سواء، لأن فضيلة النطق الصدق، فإذا لم يوثق بكلامه بطلت حياته.

وقال معاوية يوما للأحنف: أتكذب؟ فقال: والله ما كذبت مذ علمت أن الكذب شين.". (٢)

٤٤٤-"وقال لقمان لابنه: يا بنى، إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجيا.

وقال بعض الحكماء: إنك لن تصبح فى شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل بعدك؛ وليس لك من

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٣٦٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٣٦١

الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم، فلا تهلك فى أكلة، وصم [عن [١]] الدنيا وأفطر على الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار.

وقيل لبعضهم: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان، ويجدد الآمال، ويقرب المنية، ويبعد الأمنية. قيل: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تعب، ومن فاته نصب. وفى ذلك قيل:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... فسوف لعمرى عن قريب يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها، فلا أسكن إليها، فإن عيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو منية قاضية.

وقال أبو حازم: إياكم والدنيا، فإنه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال: هذا عظم ما حقره الله.

وقال ابن مسعود: ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية، فالضيف يرتحل والعارية مردودة. وفى ذلك قيل:

وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولا بد يوما أن ترد الودائع

---

[١] الزيادة عن الإحياء.". (١)

٤٤٥-"قد تزخرفت لكم بغرورها، وفتنتكم بأمانيها، وتزينت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلوة؛ العيون اليها ناظرة، والقلوب عليها عاكفة، والنفوس لها عاشقة. فكم من عاشق لها قتلت، ومطمئن إليها خذلت. فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثرت بوائقها، وذمها خالقها؛ جديدها يبلى، وملكها يفنى؛ وعزيزها يذل، وكثيرها يقل؛ وحيها يموت، وخيرها يفوت. فاستيقظوا من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم؛ قبل أن يقال: فلان عليل، أو مدنف ثقيل، فهل على الدواء من دليل، أو على الطبيب من سبيل؛ فيدعى لك الأطباء، ولا يرجى لك الشفاء؛ ثم يقال: فلان أوصى، ولماله أحصى؛ ثم يقال: قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه، ولا يعرف جيرانه؛ وعرق عند ذلك جبينك، وتتابع أنينك، وثبت يقينك [١] ، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك؛ وتلجلج لسانك، وبكى إخوانك؛ وقيل لك: هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان، ومنعت الكلام فلا تنطق؛ ثم حل بك القضاء، وانتزعت نفسك من الأعضاء، ثم عرج بها الى السماء؛ فاجتمع عند ذلك إخوانك، وأحضرت أكفانك؛ فغسلوك وكفنوك؛ فانقطع عوادك، واستراح حسادك؛ وانصرف أهلك إلى مالك، وبقيت مرتهنا بأعمالك.

وقال بعض الحكماء: الأيام سهام، والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه، ويتخرمك بلياليه وأيامه، حتى يستغرق جميع أجزائك؛ فكم بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك، وسرعة الليالى فى بدنك! لو كشف لك [٢] عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك، واستثقلت ممر الساعات بك؛ ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار؛

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٥/٢٤٧

وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها، وإنها

---

[١] كذا فى الإحياء. وفى الأصلين: «وثبت نفسك ... » .

[٢] كذا فى الإحياء. وفى الأصل: «لو كشفت عما ... » .". (١)

٤٤٦-"فقدته حين تريده للحق، وما عدلت به من كرامتك إلى أهل النقص أضر بك فى العجز عن أهل الفضل.

وكتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن على لما ولاه الناس أمرهم بعد على رضى الله عنهما: أن شمر للحرب، وجاهد عدوك، واشتر من الضنين [١] دينه بما لا يثلم دينك، ووال [٢] أهل البيوتات تستصلح به عشائرهم.

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: يجب على الوالى أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء، وفسد الأمر وضاع العمل.

وقال بعض الحكماء: الملك المنعم إذا أفاض المكارم [٣] واغتفر الجرائم ارتبط بذلك خلوص نية من قرب منه وهم الأقل، وانفساح الأمل ممن بعد عنه وهم الأكثر، فيستخلص حينئذ ضمائر الكل من حيث لم يصل معروفه إلا إلى البعض.

ولم أر فيما طالعته من هذا المعنى أجمع للوصايا ولا أشمل من عهد كتبه على ابن أبى طالب رضى الله عنه إلى مالك بن الحارث الأشتر حين ولاه مصر، فأحببت أن أورده على طوله وآتى على جملته وتفصيله، لأن مثل هذا العهد لا يهمل، وسبيل فضله لا يجهل؛ وهو:

هذا ما أمر [به [٤]] عبد الله على أمير المؤمنين إلى مالك بن الحارث الأشتر فى عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها، أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به فى كتابه من فرائضه وسننه التى

---

[١] فى الأصل هكذا: «واستر الصين» وهو محرف عما أثبتناه عن عيون الأخبار والعقد الفريد.

[٢] وال: ناصر وصادق.

[٣] فى الأصل «المكاره» وسياق الكلام يقتضى ما وضعنا.

[٤] زيادة عن نهج البلاغة (طبع بيروت ج ٢ ص ٥٠- ٦٨) ، وكذلك كل ما وضع بين هذين القوسين [] فى ثنايا هذا الكتاب.". (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٥٥/٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٩/٦

٤٤٧-"مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»

قال بعض الشعراء:

فكلكم راع ونحن رعية ... وكل سيلقى ربه فيحاسبه

وقالت الحكماء: إمام عادل خير من مطر وابل، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم.

يقال: إن جمشيد [١] أحد ملوك الفرس الأول، لما ملك الأقاليم عمل أربعة خواتيم: خاتما للحرب والشرطة وكتب عليه الأناة، وخاتما للخراج وكتب عليه العمارة، وخاتما للبريد وكتب عليه الوحا [٢] ، وخاتما للمظالم وكتب عليه العدل، فبقيت هذه الرسوم فى ملوك الفرس إلى أن جاء الإسلام.

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: إذا كان الإمام عادلا فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائرا فله الوزر وعليك الصبر.

وقال أردشير لابنه: يا بنى إن الملك والعدل أخوان لا غنى لأحدهما عن صاحبه، فالملك أس والعدل حارس، فما لم يكن له أس فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع، يا بنى اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وبرك لمن عناه ما عناك من ذوى العقول.

وقال بعض الحكماء: يجب على السلطان أن يلتزم العدل فى ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفى باطن ضميره لإقامة أمر دينه، فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان؛ ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، فلا يقوم السلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما، ولا يدور إلا عليهما.

[١] فى الأصل: «حمشيد» بالحاء المهملة، وصوابه جمشيد بالجيم المعجمة، ومعناه: شعاع القمر.

[٢] الوحا: العجلة والإسراع، ويمد.". (١)

٤٤٨-"الاستخارة. وقيل: لما همت ثقيف بالارتداد بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، استشاروا عثمان بن [أبى [١]] العاصى وكان مطاعا فيهم؛ فقال: لا تكونوا آخر العرب إسلاما وأولهم ارتدادا؛ فنفعهم الله تعالى برأيه.

وقال العتبى لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم [٢] ! فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره فكأنا ألف حازم. وسئل بعض الحكماء: أى الأمور أشد تأييدا للعقل، وأيها أشد إضرارا به؟ فقال: أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت. وأشدها إضرارا به ثلاثة أشياء:

الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

وقال بعض الحكماء: إذا استبد الرجل برأيه عميت عليه المراشد.

وقال الفضل بن سهل: الرأى يسد ثلم السيف، والسيف لا يسد ثلم الرأى.

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣٤/٦

وقالوا: من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه. وقال بعض البلغاء: إذا أشكلت عليك [الأمور [٣]] ، وتغير لك الجمهور؛ فارجع إلى رأى العقلاء، وافزع إلى استشارة العلماء؛ ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستمداد [٤] ؛ فلأن تسأل وتسلم خير من أن تستبد وتندم.

وقال حكيم لابنه: يا بنى، إن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائما ووجدت هواك يقظان، فإياك أن تستبد برأيك، فإنه حينئذ هواك. ويقال: تعوذ من سكرات الاستبداد بصحوات الاستشارة، ومن عثرات البغى باستقالة الاستخارة.

---

[١] الزيادة عن الكامل لابن الأثير، والطبرى، ومعجم ياقوت.

[٢] كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥) وأدب الدنيا والدين (ص ٣٠٤) وفى الأصل «صوابك» .

[٣] زيادة عن «أدب الدنيا والدين» ص ٣٠٦.

[٤] فى الأصل «ولا تستنكف من الاستبداد ... الخ» والتصويب عن أدب الدنيا والدين ص ٣٠٦.". (١)

٤٤٩-"ذكر ما قيل فيمن يعتمد على مشورته وبديهته، ويعتضد بفكرته ورويته

قال بعض الحكماء: عليك بمشورة من حلب أشطر دهره، ومرت عليه ضروب خيره وشره؛ وبلغ من العمر أشده، وأورت التجربة زنده. وقيل: استشار زياد رجلا؛ فقال الرجل: حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر، واختبار متظاهر، ولا أرانى كذلك. قال إبراهيم بن العباس:

يمضى الأمور على بديهته ... وتريه فكرته عواقبها

فيظل يصدرها ويوردها ... فيعم حاضرها وغائبها

وإذا الحروب علت بعثت لها ... رأيا تفل به كتائبها

رأيا إذا نبت السيوف مضى ... قدما بها فسقى مضاربها

وقال آخر:

ألمعى يرى بأول رأى [١] ... آخر الأمر من وراء المغيب

لا يروى ولا يقلب كفا ... وأكف الرجال فى تقليب

وقال آخر [٢] .

الألمعى الذى يظن بك الظ ... ن كأن قد رأى وقد سمعا

وكانت العرب تحمد آراء الشيوخ لتقدمها فى السن، ولأنها لا تتبع حسناتها بالأذى [٣] والمن، ولما مر عليها من التجارب التى عرفت بها عواقب الأمور، حتى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٧٠/٦

[١] فى ديوان ابن الرومى: بأول ظن.

[٢] القائل هو أوس بن حجر؛ وهذا البيت من قصيدة له فى الرثاء ذكرها القالى فى أماليه (ج ٣ ص ٣٥) مطلعها:

أيتها النفس أجملى جزعا ... إن الذى تحذرين قد وقعا

[٣] فى الأصل: «إلا بالأذى ... » والسياق يقتضى حذف «إلا» .". (١)

٤٥٠-"إرغابه وإرهابه وفق أسبابهما من غير سرف ولا تقصير؛ فلسانه ميزانه، فليحفظه من رجحان أو نقصان. وعدله فى الأفعال ألا يعاقب إلا على ذنب، ولا يعفو إلا عن إنابة، ولا يبعثه السخط على اطراح المحاسن، ولا يحمله الرضا على العفو عن المساوئ.

وليكن وفاؤه بالوعد حتما [١] ، وبالوعيد حزما؛ لأن الوعد حق عليه لغيره يسقط فيه اختياره، والوعيد حق له على غيره فهو فيه على خياره. فمن أجل ذلك لم يجز إخلاف الوعد وإن جاز إخلاف الوعيد. قال بعض الشعراء:

وإنى إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

لكن ينبغى أن يقرن بخلف الوعيد عذرا حتى لا يهون وعيده؛ ليكون نظام الهيبة محفوظا، وقانون السياسة فيه مضبوطا؛ وليظهره إن خفى ليكون بإخلاف وعيده معذورا، وبعفوه عنه مشكورا. ولتكن أفعاله أكثر من أقواله؛ فإن زيادة القول على الفعل دناءة وشين، وزيادة الفعل على القول مكرمة وزين. ولا يجعل لغضبه سلطانا على نفسه يخرجه عن الاعتدال الى الاختلال؛ فلن يسلم بالغضب رأى من زلل، ولا كلام من خطل؛ لأن ثورته طيش معر، ونفرته بطش مضر؛ لأنه يخرج عن التأديب الى الانتقام، وعن التقويم الى الاصطلام [٢] .

قال ابن عباس: لم يمل إلى الغضب إلا من أعياه سلطان الحجة. وقال بعض السلف: إياك وعزة الغضب، فإنها تفضى بك الى ذل الاعتذار. **وقال بعض الحكماء**: من كثر شططه، كثر غلطه. قال بعض الشعراء:

ولم أر فى الأعداء حين اختبرتهم ... عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب

---

[١] كذا فى قوانين الوزارة، وفى الأصل: «جسيما» .

[٢] الاصطلام: القطع والاستئصال.". (٢)

٤٥١-"وليكن غضبه تغاضبا يملك به عزمه، ويقوم به خصمه، فيسلم من جور غضبه ويقف على اعتدال تغاضبه. فقد قيل فى بعض صحف بنى إسرائيل: إذا كان الرجل ذا غضب تواترت عليه الوضائع [١] ، فكلما اشتد غضبه ازداد بلاء. وقد يقترن بالغضب لجاج يساويه فى معرته، ويشاركه فى مضرته؛ لأن فى اللجاج التزام الخطأ واطراح الصواب. فليدع

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٧٤/٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ٩٥/٦

عنه لجاج الخصم الألد، وليتجنب عواقب المدل الفدم [٢] .

وليتابع الرأى فيما اقتضاه؛ فلأن ينتفع بالرأى خير من أن يستضر باللجاج. فقد **قال بعض الحكماء**: من استعان بالرأى ملك، ومن كابر الأمور هلك. وقال ابن المقفع:

دع اللجاج فإنه يكسر عزائم العقول. وقيل: الظفر لمن احتج، لا لمن لج.

وليأخذ الوزير أموره بالجد دون الهزل. فالجد والهزل ضدان متنافران؛ لأن الجد من قواعد الحق الباعث على الصلاح، والهزل من مرح الباطل الداعى إلى الفساد؛ فصار فرق ما بين الجد والهزل هو فرق ما بين الحق والباطل. وتنافر الأضداد يمنع من الجمع بينهما [٣] ؛ فمتى انفرد بأحدهما كان للآخر تاركا.

وقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: العقل حسام قاطع، والحلم غطاء ساتر، فقابل هواك [٤] بعقلك، واستر خلل خلقك بحلمك، واستعمل الجد ينقد إليك الحق ويفارقك الباطل. ولا تعدل إلى الهزل فيتبعك الباطل وينافرك الحق. وقلما انثلمت هيبة الجد أو تكاملت هيبة الهزل. والهيبة أس السلطنة.

---

[١] الوضائع: الأثقال.

[٢] الفدم: الغليظ الأحمق الجافى وفى الأصل «المدل الندم» وفى قوانين الوزارة: «النذل الفدم» . وما أثبتناه مختارا من الأصل ومن قوانين الوزارة هو المناسب للسياق.

[٣] كان الظاهر أن تكون الجملة: وتنافر الضدين يمنع من الجمع بينهما، أو: وتنافر الأضداد يمنع من الجمع بينها، ليوافق الضمير مرجعه.

[٤] فى قوانين الوزارة: «فقاتل هواك ... »

وكلتا الكلمتين يستقيم بها المعنى.". (١)

٤٥٢-"الكف عنهم ويقطعهم العسف بهم. وأما الإقدام على دفع المضار فضربان: أحدهما.

دفع ما اختل من الملك. وله سببان: إهمال أو عجز. والثانى دفع ما نقص من المواد.

وله سببان: نفور أو جور. فيحتاج الوزير أن يدفع ضرر كل واحد منهما بالضد [من سببه، فإن علاج كل داء بضده [١]] من الدواء. فإن كان اختلال الملك من الإهمال أيقظ له عزمه، وإن كان من العجز استعمل فيه حزمه. وإن كان نقص المواد من النفور استنجد فيه رهبته، وإن كان من الجور أظهر فيه معدلته. فإن كان حدوث ذلك فى الملك صدر عن الوزير كان مؤاخذا بتفريطه فى الابتداء، ومستدركا لتقصيره فى الانتهاء؛ فيجبر إساءته بإحسانه، ويمحو قبيحه بجميله. وإن كان حدوثه من غيره كانت جريرة الإساءة على من أحدثه، وكان حمد الإحسان للوزير.

وأما الشرط الرابع من شروط وزارة التفويض وهو الحذر- فيتعين على الوزير أن يكون حذرا، لأن الدهر ثائر بطوارقه، ومنافر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٩٦/٦

بنوائبه، يغدر إن وفى، ويفتك إن هفا. قال عبد الحميد: أصاب الدنيا من حذرها، وأصابت الدنيا من أمنها. وقال عبد الملك بن مروان: احذروا الجديدين، فللأقدار أوقات تغضى عنها الأبصار. فإذا صادفت طوارق الدهر غرا مسترسلا صار هدفا لسهامه الصوائب، وغرضا لمنافرة الحوادث والنوائب. وقد **قال بعض الحكماء**: من أعرض عن الحذر والاحتراس، وبنى أمره على غير أساس، زال عنه العز واستولى عليه العجز؛ وإن قدم لطوارقه حذر المتيقظ، وتلقاها بعدة المتحفظ، رد بادرتها بعزم ذى حزم قد حلب أشطر دهره، وقام بواضح عذره. قال بعض الشعراء:

إن للدهر صولة فاحذرنها ... لا تبيتن قد أمنت الدهورا

---

[١] التكملة عن «قوانين الوزارة» .". (١)

٤٥٣-"ثم هو بعد حذره مستسلم لقضاء لا يرد؛ وقدر لا يصد.

وقد روى عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت» . وقيل لبعض الحكماء: من السعيد؟ قال: من اعتبر بأمسه، واستظهر لنفسه. قال بعض الشعراء:

وحذرت من أمر فمر بجانبي ... لم يبكنى ولقيت ما لم أحذر

وللحذر حد يقف عنده إن زاد [عليه [١]] صار خورا، كما أن للإقدام حدا إن زاد عليه صار تهورا. والزيادة على الحدود، نقص فى المحدود. ولهما زمان إن خرجا عنه صار الحذر فشلا، والإقدام خرقا. وعيارهما معتبر بحزم العاقل ويقظة الفطن.

قال بعض الحكماء: ليعرفك السلطان عند افتتاح التدبير بالحذر، وعند وقوع الأمر بالجد.

والحذر يلزم من أربعة أوجه: أحدها الحذر من الله تعالى فيما فرض. والثانى [الحذر [٢]] من السلطان فيما فوض. والثالث الحذر من الزمان فيما اعترض. والرابع الحذر من [غلبة [٣]] الأعداء ومكر الدهاة.

فأما الحذر من الله تعالى- فهو عماد الدين الباعث على الطاعة. والحذر منه هو الوقوف عند أوامره، والانتهاء عن زواجره؛ فيعمل بطاعته فيما أمر، وينتهى عن معصيته فيما حظر. فلن يرى قليل الحذر إلا متجوزا فى دينه طائحا فى غلوائه، لا يرى رشدا فى العاجل، وهو على وعيد فى الآجل؛ مع نفور النفوس منه وسراية الذم فيه.

وقد قيل فى بعض الصحف الأولى: العزة والقوة يعظمان القلب، وأفضل منهما خوف الله تعالى؛ لأن من لزم خشية الله لم يخف الوضيعة ولم يحتج إلى ناصر.

وقال على رضى الله عنه: من حاول أمرا بمعصية الله كان أبعد لما رجا، وأقرب لمجىء ما اتقى.

---

[١] زيادة عن «قوانين الوزارة» .

[٢] زيادة عن «قوانين الوزارة» .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٦/١٠٦

[٣] زيادة عن «قوانين الوزارة» .". (١)

٤٥٤–"وأما الحذر من السلطان، فهو وثاب بقدرته، متحكم بسطوته، يميل به الهوى فيقطع بالظن ويؤاخذ بالارتياب؛ فالثقة به عجز، والاسترسال معه خطر. والحذر منه فى حالتى السخط والرضا أسلم؛ لأنه يستذنب إذا مل حتى يصير المحسن عنده كالمسيء. فليستخلص [١] رأيه بالنصح، ويستدفع تنكره بالحذر. **وقال بعض الحكماء:**
اصحب السلطان بثلاث: الحذر، ورفض الدولة، والاجتهاد فى النصح. والحذر منه يكون بثلاثة أمور: أحدها ألا يعول على الثقة به فى الإدلال والاسترسال، فما جرت الثقة إلا ندما. وقد قيل: الخرق الدالة على السلطان، والوثبة قبل الإمكان. [فاقبض نفسك إذا قدمك، وتواضع له إذا عظمك، واحتشمه [٢] إذا آنسك، ولن له إذا خاشنك، واصبر على تجنيه [إذا غالظك [٣]] ؛ فهو على التجنى أقدر، فكن على احتماله أصبر؛ فربما كانت مجاملته لك مكرا، وتجنيه عليك غدرا [٤]] . فقد قيل فى بعض الصحف الأولى: حب الملك وهواه يشبه الطل على العشب. فلا تجعل له فى إظهار تنكره عذرا؛ فربما اعترف بالحق فوفى، ورق بالصبر فكف. وقد قيل فى أمثال كليلة ودمنة: صاحب السلطان كراكب الأسد يخافه الناس وهو لمركوبه أشد خوفا.
والثانى من حذره منه أن يساعده على مطالبه، ويوافقه على محابه [ومآربه [٥]] ، ولا يصده عن غرض إذا لم يقدح فى دين ولا عرض، ولا يتوقف عن إجابته

---

[١] فى الأصل: «فيستخلص ... » والسياق يقتضى الأمر كما فى «قوانين الوزارة» .
[٢] ورد فى الأساس: «أنا أحتشمك منك أى أستحيي» وفى اللسان وشرح القاموس أحتشم منه وعنه ولا يقال: احتشمه. فعبارة الأصل هاهنا صحيحة على ما فى الأساس.
[٣] زيادة عن «قوانين الوزارة» .
[٤]– هذه الجملة التى بين القوسين المربعين نقلها صاحب الأصل عن قوانين الوزارة من غير تغيير فى الضمائر، وعادته فى النقل عنه أن يغير الضمير من الخطاب الى الغيبة، لأن قوانين الوزارة يوجه الكلام لمخاطب، والأصل هنا يوجهه لغائب، كما هو واضح.
[٥] زيادة عن «قوانين الوزارة» .". (٢)

٤٥٥–"يلجئه أن يباشر دفع الخوف والحذر، فيلجئه إلى ما هو أخوف وأحذر؛ لأن الوزير يخاف الملك ويخاف ما يخافه، فيتوالى عليه خوفان، ويتمالأ عليه خطران.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٠٧/٦
(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٠٨/٦

قال شاعر:

إن البلاء يطاق غير مضاعف ... فإذا تضاعف صار غير مطاق

وأما حذره من زمانه، فلأنه يتقلب بألوانه، ويخشن بعد ليانه، فيسلب ما أعطى ويفرق ما جمع.

وقد روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنظروا دور من تسكنون وأرض من تزرعون وفى طرق من تمشون»

. وقال بعض الحكماء: الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها. وقال بعض البلغاء: إن الدنيا تقبل إقبال الطالب، وتدبر إدبار الهارب؛ لا تبقى على حالة، ولا تخلو من استحالة؛ تصلح جانبا بإفساد جانب، وتسر صاحبا بمساءة صاحب؛ فالكون فيها على خطر، والثقة بها على غرر. وقال قيس بن الخطيم:

ومن عادة الأيام أن خطوبها ... إذا سر منها جانب ساء جانب

[والحذر [١]] من الزمان يكون من أربعة أوجه:

أحدها: ألا يثق بمساعدته، ولا يركن إلى مياسرته، فيغفل عن الحذر والاستعداد، فربما انعكس فافترس، وغافص [٢] فاختلس. وقد قيل: للدهر صروف، لست عنها بمصروف. قال أبو العتاهية:

إن الزمان وإن ألا ... ن لأهله لمخاشن

فخطوبه [٣] المتحركا ... ت كأنهن سواكن

---

[١] فى الأصل بياض، والتكملة عن «قوانين الوزارة» .

[٢] غافصه: فاجأه وأخذه على غرة منه.

[٣] كذا فى «قوانين الوزارة» . وفى الأصل: «بخطوبه» .". (١)

٤٥٦-"فيها، كان تقصيرا منه إن جل، ومعذورا فيه إن قل. ولم يكن لمن قلده تنفيذ تقريره إلا عن إذنه، وإلا كان عزلا خفيا؛ لأنه يصير ملتزما وقد كان ملزما، ومحكما [١] وقد كان حاكما.

والثانى: أن يكون التقليد فيما بعد عنه ويمكن استئماره [٢] فيه، فيجوز أن يستنيب فى تقريره، ويكون موقوفا على إمضاء الوزير وتنفيذه. ولا يجمع المستناب بين الأمرين، ليكون التقليد مقصورا على التقرير، والوزير مختصا بالتنفيذ. فإن جمع المستناب بين التقرير والتنفيذ كان فيه متجوزا، إلا أن يؤمر به فيصير الآمر متجوزا، إلا أن يكون اضطرارا يزول معه حكم الاختيار.

والثالث: أن يكون التقليد [٣] فيما بعد عنه ويتعذر استئماره فيه، فيجوز أن [يستنيب [٤] فيه من] يجمع بين تقريره وتنفيذه إذا تكاملت فى المستناب ثلاثة شروط: أحدها الكفاية التى ينهض بها فى التقرير. والثانى الهيبة التى يطاع بها فى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ١١٠/٦

التنفيذ. والثالث الأمانة التى يكف بها عن الاسترشاء والخيانة، بعد تكامل الشروط المعتبرة فى جميع الولايات، وهى ثلاثة: العقل، والديانة، والمروءة. فلا فسحة فى تقليد من أخل ببعضها، لقصوره عن حقها، وخروجه من أهلها؛ وإنما يختلف ما سواها باختلاف الولايات، وإن كانت هذه مستحقة فى جميعها. وقد قال كسرى أبرويز: من اعتمد على كفاة السوء لم يخل من رأى فاسد وظن كاذب وعدو غالب. وقد **قال بعض الحكماء:**

---

[١] كذا فى قوانين الوزارة، وفى الأصل: «لأنه ملزم وقد كان ملزما، ومحكم ... الخ» .

[٢] الاستثمار: المشاورة.

[٣] كذا فى قوانين الوزارة، والتقليد هو موضوع الكلام، وفى الأصل: «التنفيذ ... » .

[٤] التكلمة عن «قوانين الوزارة» ." (١)

٤٥٧-"فيه فتقويه وتجعله مثالا تحتذيه، أو نالك فيها زلل فتستدرك منه ما أمكن، وتنتهى عن مثله فى المستقبل. فقد قيل: من فكر أبصر. وقال بعض البلغاء: من لم يكن له من نفسه واعظ، لم تنفعه المواعظ.

اخفض جناحك لمن علا، ووطئ كنفك لمن دنا، وتجاف [عن [١]] الكبر تملك من القلوب مودتها، ومن النفوس مساعدتها. فقد قيل لحكيم الروم: من أضيق الناس طريقا، وأقلهم صديقا؟ قال: من عاشر الناس بعبوس وجهه، واستطال عليهم بنفسه. ولذلك قيل: التواضع فى الشرف، أشرف من الشرف.

كن شكورا فى النعمة، صبورا فى الشدة، لا تبطرك السراء، ولا تدهشك الضراء؛ لنتكافأ أحوالك، وتعتدل خصالك؛ فتسلم من طيش البطر وحيرة الدهش. فقد **قال بعض الحكماء**: اشتغل بشكر النعمة عن البطر بها. وقيل فى أمثال الهند: العاقل لا يبطر بمنزلة أصابها ولا شرف وإن عظم، كالجبل الذى لا يتزلزل وإن اشتدت الرياح، والسخيف تبطره أدنى منزلة كالحشيش الذى تحركه أدنى ريح.

استدم مودة وليك بالإحسان [إليه [٢]] ، واستسل سخيمة عدوك بعد الاحتراز منه، وداهن من يجاهرك بعداوتك. فقد قيل لبعض الحكماء: ما الحزم؟ قال: مداجاة الأعداء، ومؤاخاة الأكفاء. ولا تعول على التهم والظنون [واطرح الشك باليقين [٣]] .

فقد قيل: لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له. قال شاعر:

إذا أنت لم تبرح تظن وتقتضى ... على الظن أردتك الظنون الكواذب

واختبر من اشتبهت حاله عليك، لتعلم معتقده فيك، فتدرى أين تضعه منك؛ فإن الألسن لا تصدق عن القلوب؛ لما يتصنعه المداجى ويتكلفه المداهن. وشهادات

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٦/١١٤

[١] زيادة عن «قوانين الوزارة» .

[٢] زيادة عن «قوانين الوزارة» .

[٣] زيادة عن «قوانين الوزارة» .". (١)

٤٥٨-"إن زل، فما عليه إلا الاجتهاد وإن حجزته الأقدار عن الظفر. فقد قيل فى منثور الحكم: من كثر صوابه لم يطرح لقليل الخطأ.

اختر لأسرارك من تثق بدينه وكتمانه، وتسلم من إذاعته وإدلاله، ولو قدرت ألا تودع سرك غيرك، كان أولى بك وأسلم لك؛ لأنك فيها بين خطر أو حذر.

وقد قيل فى منثور الحكم: انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل، ولا جاهلا فيخون.

تثبت فيما لا تقدر على استدراكه؛ فقلما تعقب العجلة إلا ندما.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من تأنى أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد»

. وقيل فى حكمة آل داود: من كان ذا تؤدة وصف بالحكمة.

وقدم ما قدرت عليه من المعروف، فقلما يعقب الريث إلا فواتا؛ فإن للقدرة غاية، ولنفوذ الأمر نهاية [١] ، فاغتنمها فى مكنتك تسعد بما قدمته، ويسعد بك من أعنته.

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: انتهزوا الفرصة فإنها تمر مر السحاب.

وقال بعض الحكماء: من أخر الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوتها.

واحذر قبول المدح من المتملقين، فإن النفاق مركوز فى طباعهم، ويداجونك بهين عليهم [٢] ؛ فإن نفقوا عليك غششت نفسك، وداهنت حسك؛ وأنت أعرف بنفسك من غيرك فيما تستحق به حمدا أو ذما. فناصح نفسك بما فيها، فإنك أعلم بمحاسنها ومساويها. فقد قيل فيما أنزل الله تعالى من الكتب السالفة: «عجب لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح! وعجب لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف

---

[١] كذا فى قوانين الوزارة، وفى الأصل: «ولنفوذ القدر ... » .

[٢] كذا فى قوانين الوزارة. ولعل المراد بالهين عليهم: المدح الذى لا يكلفهم شيئا. وفى الأصل:

«ويد اخوتك تهون عليهم» وهو ظاهر التحريف.". (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٣٥/٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ١٣٧/٦

٤٥٩-"ولم يزل الله بالعائدات ... على من يعود [١] بها عائدا

أيا جامع المال وفرته ... لغيرك إذ لم تكن خالدا!

فإن قلت أجمعه للبنين ... فقد يسبق الولد الوالدا

وإن قلت أخشى صروف الزمان ... فكن فى تصاريفه واحدا

فاجعل يومك أسعد من أمسك، وصلاح الناس عندك كصلاح نفسك. ومل إلى اجتذاب القلوب بالاستعطاف، وإلى استمالة النفوس بالإنصاف، تجدهم كنزا فى شدائدك، وحرزا فى نوائبك.

احذر دعوة المظلوم وتوقها، ورق لها إن واجهك بها، ولا تبعثك العزة على البطش فتزداد ببطشك ظلما، وبعزتك بغيا. وحسبك بمنصور عليك الله ناصره منك.

كن عن الشهوات [٢] عزوفا تنفك من أسرها، فإن من قهرته الشهوة كان لها عبدا، ومن استعبدته ذل بها.

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات»

. وقيل لبعض حكماء الروم: ما الملك الأعظم؟ قال: أن يغلب الإنسان شهوته.

وكن بالزمان خبيرا تسلم من عثرته؛ فإن الاغترار به مرد. وقدم لمعادك ليبقى عليك ما ذخرته، فلن تجد إلا ما قدمته؛ وإنك لتجازى بما صنعت. واستقل الدنيا تجد فى نفسك عزا، فترضى اذا سخطت، وتسر اذا حزنت؛ فلن يذل إلا طالبها، ولن يحزن إلا صاحبها. فقد **قال بعض الحكماء**: ليكن طلبك الدنيا اضطرارا،

---

[١] فى قوانين الوزارة: «على من يجود بها عائدا» .

[٢] فى الأصل وقوانين الوزارة: «كن للشهوات عزوفا» وعزف وما اشتق منه يتعدى الى المعمول بالحرف «عن» .". (١)

٤٦٠-""القتل أنفى للقتل" ليست جاهلية:

وبعد كلمتنا تلك عن الترجمة نشر أديب في البلاغ أن الكلمة جاهلية، فتعقبناه بهذا التعليق:

أثبت الأستاذ عبد العزيز الأزهري فيما نشره في "البلاغ" أن هذه الكلمة عربية في دعواه، واحتج لذلك بحجج، أقواها زعمه: "أنها وردت بين ثنايا عهد القضاء الذي بعث به سيدنا عمر إلى أبي موسى الأشعري؛ ولا ندري أين وجد الكاتب كلمة: "القتل"، فضلا عن: "القتل أنفى للقتل" -في ذلك العهد المشهور المحفوظ، وقد رواه الجاحظ في "البيان والتبيين"، وجاء به المبرد في "الكامل"؛ ونقله ابن قتيبة في "عيون الأخبار". وأورده ابن عبد ربه في "العقد الفريد"، وساقه القاضي الباقلاني في "الإعجاز"؛ وفي كل هذه الروايات الموثقة لم تأت الكلمة في قول عمر، بل لا محل لها في سياقه، وإنما جاء قوله: "فإن أحضر بينة أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء، فإن ذلك أنفى للشك".

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٦/١٤٠

أما سائر حجج الكاتب فلا وزن لها في باب الرواية التاريخية وقد أصبح عاليها سافلها كما رأيت.

والذي أنا واثق منه أن الكلمة لم تعرف في العربية إلى أواخر القرن الثالث من الهجرة، وهذا الإمام الجاحظ يقول في موضع من كتابه "البيان والتبيين"، في شرح قول علي -كرم الله وجهه-: "بقية السيف أنمى عددا وأكثر ولدا، ما نصه: "ووجد الناس ذلك بالعيان للذي صار إليه ولده من نهك السيف وكثرة الذرء وكرم النجل؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ [البقرة: ١٧٩] **وقال بعض الحكماء**: "قتل البعض إحياء للجميع"." [١]

٤٦١-"**وقال بعض الحكماء**: إذا شاب العاقل سرى في طريق الرشد بمصباح.

فصل للبديع الهمداني في مدح الشيب (و) ذم الشباب: جزى الله المشيب خيرا فإنه أناة ولا رد الشباب فإنه هناة. وأظن الشباب والمشيب لو مثلا لمثل الأول كلبا عقورا، والآخر شيخا وقورا، ولاشتعل الأول نارا، واشتهر الثاني نورا. فالحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد. إن السعيد من شابت لمته، ولم تخص بالبياض لحيته.

وقال دعبل:

أهلا وسهلا بالمشيب فإنه ... سمة العفيف وهيبة المتحرج

ضيف أحل بك النهى فقريته ... رفض الغواية واقتصاد المنهج

لا شيء أحسن من مشيب وافد ... بالحلم مخترم الشباب الأهوج

فكأن شعري نظم در زاهر ... في تاج ذي ملك أغر متوج

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي:

والشيب أن يحلل فإن وراءه ... عمرا يكون خلاله متنفس

لم ينتقص مني المشيب قلامة ... الآن حين بدا ألب وأكيس

وقال أبو تمام:

ولا يروعك إيماض القتير به ... فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب

وقال أبو السمط:

إن المشيب رداء العقل والأدب ... كما الشباب رداء اللهو والطرب

هذا مختار اليواقيت في مدح الشيب.

وقال الشريف الرضي:

مسيري في ليل الشباب ضلال ... وشيبي ضياء في الورى وجمال

سواد ولكن البياض سيادة ... وليل ولكن النهار جلال

---

(١) وحي القلم ٣/٣٦٩

وما المرء قبل الشيب إلا مهند ... صدي وشيب العارضين صقال
وأطرب لقول شيخنا العلامة محمد بن علي الشامي أبقاه الله تعالى:
وإن في الشعرات البيض لو عملوا ... نورا لعيني ونوارا على عودي
بيض وسود إذا ماستجمعا حسنا ... حسن البياض على أحداقها السود
ذم الشيب – ومن أحسن ما قيل فيه على كثرته قول أبي تمام:
غدا الشيب مختطا بفودي خطة ... طريق الردى منها إلى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى ... وذو الإلف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسقع
ونحن نزجيه على الكره والرضى ... وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع
وقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:
تضاحكت لما رأت ... شيبا تلالا غرره
قلت لها لا تضحكي ... أنبيك عندي خبره
هذا غمام للردى ... ودمع عيني مطره
وقول الآخر:
من شاب قد مات وهو حي ... يمشي على الأرض مثل هالك
لو كان عمر الفتى حسابا ... لكان في شيبه فذالك
هذا ما أورده الثعالبي من الشعر في ذم الشيب.
ويعجبني إلى الغاية قول مهيار بن مرزويه الكاتب رحمه الله:
قالوا المشيب لبسة جديدة ... خذوا الجديد واستردوا لي الخلق
وقال القاضي شمس الدين بن خلكان: أنشدني الأديب أبو عبد الله شهاب الدين محمد بن يوسف بن سالم المعروف بالتلعفري في بعض ليالي شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة، وهو من شعراء العصر المجيدين:
يا شيب كيف وما انقضى زمن الصبا ... عاجلت مني اللمة السوداء
لا تعجلن فو الذي جعل الدجى ... من ليل طرتي البهيم ضياء
لو أنها يوم الحساب صحيفتي ... ما سر قلبي كونها بيضاء
فقلت له: قد أغرت على بيت نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي حتى أنك قد أخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروي، وهو قوله:
لو أن لحية من يشيب صحيفة ... لمعاده ما اختارها بيضاء
فحلف أنه لم يسمع هذا البيت إلا بعد عمله الأبيات، والله أعلم بذلك.
وهذا البيت لابن صابر من جملة أبيات وهي:

قالوا بياض الشيب نور ساطع ... يكسو الوجوه مهابة وضياء

حتى سرت وخطاته في مفرقي ... فوددت أن تنفذ الظلماء

وغدوت أستبقي الشباب تعللا ... بخضابها فخضبتها سوداء

لو أن لحية من يشيب صحيفة ... لمعاده ما اختارها بيضاء

وهنا انتهى ما أردنا إيراده من كتاب يواقيت المواقيت للثعالبي في نوع المغايرة، مع زيادات فيه نبهنا على بعضها، وأغفلنا البعض.

ومن مشهور أمثلة المغايرة قول ابن الرومي في هجو الود، وهو الذي يقول فيه ابن سكرة الهاشمي:

للود عندي محل ... لأنه لا يمل". (١)

٤٦٢-"كلاهما موت ولكن ذا ... أشد من ذاك لذل السؤال

ولبعض الكتاب.

الكتاب وقاية للمسؤل، وصيانة للسائل، ومبلغ ما الحياء مانع منه. وقال لقمان لابنه: أوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل شيء، واحفظ عني ما أقول: اعلم أنه لا يطأ بساطك في فنائك إلا راهبا منك أو راغبا إليك، فابدأ بالنوال قبل السؤال فإنك متى لألجأته إلى مسألة أخذت من عرضه، وحر وجهه أكثر مما تعطيه من مالك.

العتبي قال: قال سعيد بن العاص: ما في الأرض أحد سألني حاجة وكلفته أن ينتصب فيها انتصاب العود فرأيت شيئا مما أعطيته عوضا مما كلفته. أبو سعيد قال: أخبرني رجل قال: قال القسري لرجل: ما يمنعك أن تسألني؟ قال: إذا سألتك أخذت مني ثمن ما أعطتني.

دخل عبد الله بن عباس على معاوية رحمهما الله، فقال معاوية: والله يا ابن عباس إن بابي لكم لمفتوح، وإن خيري لممنوح، ولا يغلق بابي عنكم قلة ولا يمنع خيري عنكم علة. ولقد نظرت أمري وأمركم فرأيت أمورا مختلفة: ترون أنكم أحق بما في يدي مني وأنا أحق به منكم. وأعطيكم العطية فتأخذونها متكارهين عليها.

تقولون أخذنا دون حقنا وقصر بنا عن واجبنا، فبئس المنزلة نزلت بها منكم، أعطيكم فلا أشكر وأمنع فلا أعذر، ونعم المنزلة نزلت مني أنصف قائلكم وأعطى سائلكم؟ فحسر ابن عباس عن ذراعيه فقال: يا معاوية فتحت لنا بابك حين قرعناه، ومنحتنا حين سألناه، ولئن أغلقت عنا بابك لنكفن أنفسنا عنك. وهذا المال فليس لك فيه إلا ما لرجل من المسلمين فعلى أي جهة أعطيتناه. ولولا حقنا فيه ما أتلك آت منا بحمله خف ولا حافر. كفاك يا معاوية أم أزيدك؟ قال: لا. بل كفاني.

مر أبو الأسود الدؤلي بالأحنف بن قيس وعليه ثياب رثة.

فقال: يا أبا الأسود لو استبدلت بمكانه؟ فقال: رب مملول لا يستطاع فراقه. فبعث اليه بتخوت فيها من ألوان الثياب.

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ص/١٧٠

فأنشأ أبو الأسود يقول:

كساني ولم أستكسه فحمدته ... أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

أليس أحق الناس إن كنت شاكرا ... لشكرك من أعطاك والوجه وافر

أنشدني عاصم بن محمد الكاتب لأبي الأسود الدولي:

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلة من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

آخر:

لسانك بالموعود باب مفتح ... وكفك بالمعروف أضيق من قفل

تمني الذي يأتيك حتى إذا انتهى ... إلى أمد ناولته طرف الحبل

باب راحة اليأس وعزه

أنشدني محمد بن عيسى:

ويوم منى أعرضت عنها ولم ... أقل لحاجة نفس عند ليلى نوالها

وفي اليأس للنفس المريضة راحة ... إذا النفس زلفت خطة لا تنالها

وكان يقال: اليأس أحد النجحين. ويقال: السراح من النجاح.

قال الشاعر:

أرحني بالذي تضمر إن المطل تكدير ... وإن اليأس كالنجح إذا لم يك تحرير

آخر:

لعمرك لليأس قبل المطال ... أروح من أمل كاذب

اليأس أروح من تأميل مغرور. **وقال بعض الحكماء**: كل فائتة إذا وقع اليأس منها رزقت السلوة عنها. ومما يشبه هذا قول المجنون:

وإن أك عن ليلى سلوت فانما ... تسليت عن يأس ولم أسل عن صبر

ولبعض الكتاب. شغلت قلبا فارغا بوعدك، وأتعبت بدنا وادعا بضمانك، فإن أعدمتني لذة النجح من مطلبي فلا تعدمني اليأس بصدقي. أنشدني أبو النضر.

وعدت أبا العباس وعدا فإن يكن ... له منك إنجاز فمني له الشكر

وإن تكن الخرى فيأس معجل ... تراح به نفسي وينبسط العذر

وقال الفارسي: يكي به هزارها آسانية. معناه: مرة واحدة تعقب ألف راحة. شاعر:

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العز في الياس

من يعمل اليأس يبدي اليأس بهجته ... حتى يرى جبلا في أعين الناس

آخر:

واليأس مما فات يعقب راحة ... ولرب مطمعة تعود ذباحا

وقيل: اليأس عز والطمع ذل. وللباهلي:

وسوى اليأس بين الناس عندي ... ولن يشقى بي الرجل الوضيع

آخر:". (١)

٤٦٣-"قال سعيد بن العاص: ما رددت أحدا عن حاجة فخرج عني إلا تبينت عز اليأس في قفاه. وقال عمر بن الخطاب: من يئس من شيء استغنى عنه.

آخر:

وما نال مثل اليأس طالب حاجة ... إذا لم يكن فيها نجاح للطالب

آخر:

ويئست مما قد لهجت به ... منها ولا يسليك مثل اليأس

باب إحماد التؤدة والرفق

قال بعض الحكماء: التؤدة يمن وفي اليمن نجح.

القطامي.

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال النبي صلى الله عليه: من حرم الرفق فقد حرم الخير.

وقال صلى الله عليه لعائشة: عليك بالرفق فإن الرفق لا يخالط شيئا إلا زانه ولا يفارق شيئا إلا شانه. ولعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

إصبر على مضض الإدلاج في السحر ... وللرواح على الحاجات والبكر

لا تعجزن ولا يضجرك مطلبة ... فالنجح يتلف بين العجز والضجر

إني وجدت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في شيء يطالبه ... فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

خلق الله عز وجل السموات والأرض في ستة أيام ولو شاء قال لهما: كونا. فكانتا. وقال عز وجل. (فقولا له قولا لينا) ولو شاء أن يأمرها بالعنف لأمرها، ثم لم يكن يصيبهما من مكروه فرعون ما قد تكفل لهما بصرفه عنهما ربهما. وقال الشاعر:

تأمل ولا تعجل بأمر تريده ... فإن الفتى من أمره ما تأملا

---

(١) الآمل والمأمول ص/٥

يقول: الإنسان على رأس أمره ما دام يتأمل ويترفق في استعمال الحزم. فاذا عجل فرط وخرج الأمر عن يده. وقال هدبة:

ولا أركب الأمر المدوي غمة ... بعميائه حتى أزور فأنظرا

كما تعمل العشواء تركب راسها ... وتترك جنبا للمعاذير معورا

المدوي: الملتبس المغطى كاللبن الذي عليه دواية. وهي جلدة تركبه. غمة: لبسة. العشواء: التي تبصر في الليل. يقول: إذا لم تحزم في أمرها ذهبت حيث أرادت على غير بصيرة وتركت جنبها معورا للمعاذير، أي لم يكن لها عذر في خطابها. وهذا مثل، يقول فلست أنا كهذه.

باب ذم الحرص

قال علي بن عبيدة: الحرص فضول الشهوات، واشتطاط الأماني، وأذى الطبائع، ومهانة النفس، وشك في المقدور، وسخف في الرأي، وزهد دائم. وقد نهى الله عن الحرص. فقال عز وجل: (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) . وقال الحسن بن سهل: ما رأيت رجلا قط مقصرا في مطالبة الظفر إلا وسعت عليه العذر وإن كان عظيم التفريط، إذا كانت النفس مطبوعة على حسب السعي في حواية الفضل. وذلك دليل على أن اقتصار هذا على ما قل منه دون ما كثر لما وقف عليه من القسم.

تقول العرب: جاءنا فلان تضب لثته ويدمى فوه ويرذم أنفه. إذا جاء طعاما حريصا. فقولهم تضب لثته أي يسيل من لثته الماء لا يحبس من حرصه لعابه. وقال عنترة في مصداقه:

أبينا أبينا أن تضب لثاتكم ... على مرشقات كالظباء عواطيا

قوله: يدمى فوه من الدم أي يسيل منه الدم. وأصله من أكل اللحم أن يحرص الرجل عليه فيسرع أكله حتى يأكل العظم فيدميه.

ويرذم أنفه أي يسيل منه المخاط من حرصه لا يمسحه. والرذم القطر. وقال فيه كعب بن زهير يصف الغنم.

من لي منها إذا ما أزمة أزمت ... ومن أويس إذا ما أنفه ردما

ليس حرصك على مطلوبك بزائد في مقسومك، ولا توانيك فيه بناقص ما قدر لك منه. وبين ذلك سعة الاستبصار وتفصير الاقتصار، فأجمل في الطلب وأقلل من التعب. فحسبك تكلفا حملك نفسك على متالفها مع علمك بقول الله في قصة لقمن: يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير.

الحرص يزري لصاحبه وترك السعي يدعوه إلى سوء الظن بخالقه، فلا تكابر القدر مكابرة المغالب ولا تتكل عليه اتكال المستسلم. قال عدي بن زيد:

قد يدرك العاجز من حظه ... والرزق قد يسبق حرص الحريص

باب ما يعرض للطالب من المكاره". (١)

٤٦٤-"في كتاب كليلة ودمة: ينبغي للعاقل أن يقرن رجاء النجح والسلامة بخوف الإكداء والنكبة، ولا خير في الشيء الذي في عاجله مال وجاه وفي آجله الجائحة والتلف. وفي الأمثال: رب طلب قد جر إلى حرب، ورب مطمعة تعود ذباحا. وسقط العشاء به على سرحان. قيل ذلك لرجل خرج في طلب ما يتعشى به فأكله الذئب. وفي الأمثال كالباحث عن المدية.

وأصل ذلك أن تيسا بحث عن شيء يأكله فوقع على مدية ذبح بها. قال صالح بن عبد القدوس:

وكم من ملح على بغية ... وفيها منيته لو شعر

وكم تارك حظه بعدما ... أزيد من حظه واقتدر

قال بعض الحكماء: خل عما تهوى تنج مما تخشى. وفي كلام لبعض الأعراب: ربما أثمر الأمل أجلا ونتجت الأمنية منية

وأنشدني الليث:

ورب سلامة تدعو ... إلى الآفات والعلل

ومطمعة بها حقا ... تكون بديهة الأجل

وقال بعض الأعراب: طالب الفلاح كالضارب بالقداح سهم له وسهم عليه. وللفارسي: نه هر جاكه دوذ آيد دير برتك توكداني نهند. يقول: ليس كل دخان طبيخ ربما كان دخان كي.

المعنى: لا تطمع في كل شيء حتى تختبره. وللعرب في هذا: لا تطمع في كل ما تسمع. قال عبيد الله: من حاول أمرا بمعصية كان أفوت لما رجي وأقرب لمجيء ما اتقي. إن الحوائج جمة منها اليسيرة والمنيعة، فاحذر تنجز حاجة توفي على شرف القطيعة. انشدني هشام بن محمد للعتابي.

فإن جسيمات الأمور مشوبة ... بمستودعات في بطون الأساود

عبيد الله: أما بعد فإن الجد في الطلب يعرض صاحبه للعطب فتبصر في العواقب، فقد قيل: من لم ينظر في العواقب فليس للأمور بصاحب.

باب الإجمال في الطلب

قيل لبزر جمهر: متى يكون الإكداء خيرا من النجح؟. قال: إذا أكدى بك الإجمال وأنجح بك سوء الطلب. قال الحسن البصري: لا تجاهد الطلب جهاد المغالب واتكل على القدر اتكال المستسلم، فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفة. وليست العفة بدافعة رزقا ولا الحرص بجالب فضلا، لكن الرزق مقدور واستعمال الحرص اكتساب المأثم. وفي كتاب كليلة ودمة: ينبغي للعاقل أن يكون إدخاله يده في فم التنين وابتلاعه سمه أهون عليه من مسألة اللئيم. قال إبراهيم بن حفصة لابنه: يا بني صن شكرك عمن لا يستحقه واطلب المعروف ممن يحسن طلبك إليه واستر ماء وجهك

---

(١) الآمل والمأمول ص/٦

بقناعتك وتسل عن الدنيا كتجافيها عن الكرام.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: مسألة الرجل السلطان كمسألة والده لا يشينه ولا ينقصه. قال بزرجمهر: أشد من الحاجة أن تكون إلى غير أهلها. قال آخر: فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها.

قال أكثم بن صيفي: خير ما فاتك ما توقي بفوته عرضك. ومن هنا أخذ الباهلي قوله:

ما سؤتني اذا وضعت الثقل عن عنقي ... بمنع رفدك اذا أخطأت في طلبي

اعتضت من ذاك عزا باقيا وحميا ... للعرض مني وإبقاء على حسبي

قال بعض الحكماء: لا تسأل من لا يشفع لك عنده رغبة في الشكر أو يعينك عليه نية في المعروف. وقيل: مكتوب في التوراة: ابن آدم لا تسأل الناس، فإن كنت لا بد فاعلا فسل معادن الخير ترجع مغبوطا محسودا.

للباهلي وقيل للعلوي البصري:

ولست بنظار الى جانب الغنى ... اذا كانت العلياء من جانب الفقر

آخر:

وأعسر أحيانا فتشتد عسرتي ... وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

قال: وأتنشدني ابن أبي الأشعث:

سل الخير أهل الخير قدما ولا تسل ... فتى ذاق طعم العيش منذ قريب

قال بعض الحكماء: من أمل فاجرا كان ادنى عقوبته الحرمان.

قال أبو سعيد: سمعت أعرابيا يقول لأخيه: قد كنت نهيتك عن مسألة قوم أرزاقهم من ألسنة الموازين وأفواه المكاييل.

وأنشدني محمد بن إسحق:

لئن أخطأت في مدح ... ك ما أخطأت في منعي

فقد أحللت حاجاتي ... بواد غير ذي زرع

عربي:

أملي فيك غربي فأقلني ... مدحي فيك يا أبا عدنان

إن من ضيع الرجاء حقيق ... أن يجازى عليه بالحرمان

قال زيد بن نشيط لوهب الشاعر: ما الاجمال؟ قال: أن لا تسأل مثلك. وأنشدني وهب:

ولست بسائل الأعراب شيئا ... حمدت الله ان لم يأكلوني". (١)

٤٦٥-"تعرض بعض طلاب المعروف لبخيل ذي سلطان فتوعده بضرب خمس مئة سوط. قال: وددت أنك قد عجلتها. قال: ولم تستحب تعجيل المكروه؟ قال: لأصير عظة ونكالا لمن سأل مثلك. إني تكلفت من هراقة ماء وجهي

---

(١) الآمل والمأمول ص/٧

لك وإعمال فكري اليك وجولان قلبي في ليلي لاختيارك موضعا لحاجتي شقة وتعبا.

فكما لم أصن وجهي عن ابتذاله فلا تصن رفدك عن اختصاصي به. فانه إن لم يكن لي مجازة بذات اليد فالاجتهاد في الشكر أحد الجزائين، وعلى الله المكافاة في الآخرة اذ قصرت عنها طاقتي، وكل دونها وسعي.

آخر:

يجزيك أو يثني عليك وإن من ... أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

ومن أحسن ما بلغني في شبيه هذا المعنى:

فعاجو فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال بعضهم: ما أحد أعظم علي يدا من رجل بات طول ليلته يتململ على فراشه، فلما أصبح رآني موضع اختياره فذاك لو وهبت له الدنيا لما كان لماء وجهه عوضا:

ما ماء كفك إن جادت أو بخلت ... من ماء وجهي وان أفنيته عوضا

باب ذم الفقر

قال أكثم بن صيفي: الفاقة تمنه الشرف وتخمل الذكر، وتوجب المذلة:

كم من كريم سيد ماجد ... شيمته خلف واجمال

أخمله الفقر فأزرى به ... وناقص سوده المال

لا تحمد الناس وإن عظموا ... فانما تكرمك الحال

ذو المال معبود وإن لم يكن ... له على الإخوان إفضال

وما عال الفقر على أحد ولا عدل عليه الارد عن الحجة وقورن بالخيبة، وانتكثت دونه الحيل، وضاق عليه الزين، واتسع فيه الشين، وسيم خسفا وجشم افراطا وحمل هضيمة وألزم في كل أحواله عارا ومذمة، وكان ضرعا مستجديا. روي في بعض الأحاديث: كاد الفقر يكون كفرا. وأنشد:

المال فيه مجلة ومهابة ... والفقر فيه مذلة وقبوح

آخر:

سميت الدهر حين رأيت دهرا ... يكلفني التنصف للرجال

آخر:

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى ... سنيا وان الفقر بالمرء قد يرزى

آخر:

ذريني للغنى أسعى فاني ... رأيت الناس شرهم الفقير

وأصغرهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له كرم وخير

يباعد في الندي وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير

ولتلقى ذا الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير

له فضل عليهم غير عرف ... سوى أن ماله مال كثير

قليل عيبه والعيب جم ... ولكن الغنى رب غفور

وقال بعض الحكماء: المال يسود غير السيد ويقوي غير الأيد.

الفقر يرزي بأقوام ذوي حسب ... وقد يسود غير السيد المال

آخر:

كم سود المال قوما لا قديم لهم ... وأخمل الفقر سادات من العرب

وفي كتاب كليلة ودمنة: الفقر داعية الى أصحابه مقت الناس، وهو مسلبة للعقل وللمروءة، ومذهبة للعلم والأدب، ومعدن للتهمة ومجمعة للبلايا. من نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره مقت وأوذي، ومن أوذي حزن، ومن حزن فقد عقله واستنكر حفظه وفهمه، ومن أصيب بفهمه وعقله وحفظه كان أكثر قوله وعمله قيمة عليه لا له. فإذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظنبه حسنا، وإن أذنب غيره ظنوه وكان للتهمة وسوء الظن موضعا، وليس من خلة هي للغني مدح إلا هي للفقير عيب، فإن كانه شجاعا سمي أهوج، وإن كان جوادا سمي مفسدا، وإن كان حليما سمي ضعيفا، وإن كان وقورا سمي بليدا. فالموت أهون من الفاقة التي يضطر صاحبها الى المسألة لا سيما من البخيل.

قال: وكان احيحة بن الجلاح ينزل بالمدينة، فافتقر فجفاه اخوانه وأحباؤه وجفته زوجته، ثم أنه اثرى فاستفاد نيفا وتسعين ببرا للنخل بالمدينة وكان له نخلة على ثلاث منها. فكان يأتيها بنفسه ويسقيها ويتعهدها. فقال في ذلك:

استغن أو مت ولا يغررك ذو حسب ... من ابن عم ولا عم ولا خال

إني اكب على الزوراء اعمرها ... ان الكريم على الإخوان ذو المال

والمال يغشى أناسا لا طباخ بهم ... كالسيل يغشى أصول الدندن البالي". (١)

٤٦٦-"لعمري لئن ساءتك مني بديهة ... من الحال ينبو عن رثاثتها البصر

لقد ضمن الأحشاء مني عزيمة ... إذا امتحنت زكى موردها الصدر

وان امرأ لم يثلم الدهر عرضه ... على طول تعنيف لموضع مدخر

كفا بالغني عارا أو نقصا اذا بدا ... له منظر زاك وليس له خبر

وكان يقال: من أصبح آما في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما خيرت له الدنيا. قال الحسن: يا ابن آدم ان كنت تطلب ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك. وغن لم يقنعك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك.

باب الحث على الطلب

قال بعض الحكماء: عليكم بالرحل والإرتحال ونصب البدن واحتياض الغمرات واستهال الوعور، واجتراء أودية الرغبة

---

(١) الآمل والمأمول ص/٨

لارتياد المنفعة وطلب المعيشة، فان الحازم لا يدع لدعة نفسه ومصلحة شأنه مصعدا الا صعده، ولا موطأ الا ألتمسه، ولا مرجما الا رجمه، ولا مضيقا الا سلكه. وأنشدني بعضهم:

زحزح همومك بالمهرية النجب ... واقذف بنفسك في الآفاق واغترب

حتى تنال غنى من وجه مطلبه ... وتستريح من الترداد والطلب

وقال بعض الحكماء: لا تدع الحيلة في التماس المال بكل مكان. فان الكريم محتال والدني عيال. وكان يقال: اتعب يومك لراحة غدك. قال الله تعالى حثا على الطلب: فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله. ومدح قوما بالطلب. فقال: وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله. وقال عمر بن الخطاب: اقبلوا على ما يصلحكم من أمر دنياكم فإنه قوام وجوهكم وبلاغ إلى آخرتكم.

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ولا ترض من عيش بدون ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا

وفي الأمثال: أطلب تظفر. وفيها قال شاعر:

ولا تقعدن بمضيعة ذلولا ... ولكن ألق دلوا في الدلاء

تجيء بملئها ماء وطورا ... تجيء بحمأة وقليل ماء

وفيها: كلب جوال خير من أسد رابض. وكان يقال: من غلا دماغه صائفا غلت قدره شاتيا. ولبعض الأعراب:

ألا خلني أمضي لشأني ولا أكن ... على الدهر كلا إن ذا لشديد

أرى السير في البلدان يغني معاشرا ... ولم أر من يجدي عليه قعود

إذ ما الفتى لم يبغ إلا لباسه ... ومطعمه فالخير منه بعيد

آخر:

الوكر من آلة الفراخ ولا ... يوكر سبط الجناح هدار

أجدل ذو مخلبين مندمج ... يدمى له منسر وأظفار

فبالسرى والدجى وهاجرة ... والعيس تحت الظلام أوطار

ومهمه لا يرام جانبه ... عسكره بالمنون جرار

إذا تجاوزت منه مسبعة ... لاقتك مجهولة وأوعار

لا يألف الدهر وهو آيته ... حر أبي نمته أحرار

آخر:

رأتني قليل النوم غير مسهد ... أخا أمل عال وهم مخالف

وقد سمعت لي منطقا ذا أصالة ... وقد حمدتني في الأمور العواسف

وقد راعها مني جمال وبهجة ... وعلم بأنباء القرون السوالف

وقد عجبت أن لا تراني مومرا ... ولا ذي تلاد مستهل الطرائف

لأكسب مالا أو يقال: ابن حرة ... سقته صروف الدهر كأس المتالف

وقع عبد الله بن طاهر: من سعى رعى ومن نام رأى الأحلام. قال الكسروي: أخذه من توقيع لأنوشروان:

ليس للحاجات إلا ... من له وجه وقاح

ولسان ذا فضول ... وغدو ورواح

قال بعض الحكماء: إني لأسعى في الحاجات، وإني لا أيأس منها. وذلك الإعذار لئلا أرجع على نفسي بلوم. قال عمرو بن عتبة: من لم يقدمه الحزم أخره العجز. **وقال بعض الحكماء**: الروح في الحركة وهي مفتاح الدرك، وداعية النجح. والكسل مغلاق الدرك وداعية الحرمان. وقيل لبزرجمهر: بم ادركت ما أدركت؟ قال: ببكور كبكور الغراب، وصبر كصبر الحمار وحرص كحرص الخنزير. وقيل لد غفل: بم بلغت ما بلغت؟ قال: بقلب عقول ولسان سؤول. عروة بن الورد:". (١)

٤٦٧-"ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو يصيب غنيمة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه عن ربه عز وجل: (يا ابن آدم احدث سفرا أحدث لك رزقا. عبيد الله في الحديث: سافروا تصحوا وتغنموا:

ولن يريح هموم النفس إذ حضرت ... حاجات مثلك إلا الرحل والجمل

وقيل لأبي الأسود: مالك كثير الجولان وأنت كبينر السن؟ قال: لئلا أكون جليس المرأة وجليس البيت: لا تشاء العنز تبول علي إلا بالت.

فصل لعبيد الله: ليس فضل السعي بزائد في مقسوم الرزق ولكن الله جعل له سبيلا إلى إزالة العتب عن النفس ودركا في الاستسلام لغلبة القضاء والقدر، إذ كان على المرء ألا يقبل على نفسه ذلا.

وليس عليه أن يزيل عنها قدرا حتما. وهذا شبيه بقول الشاعر:

على المرء ألا يرام الضيم أنفه ... وليس عليه أن يساعده القدر

باب ذم التواني والتسويف

كان يقال: العجز وطيء أي لا تكره صعوبة الحزم وتختار وطأة العجز. ولبعضهم: نكح العجز التواني فولدت بينهما الندامة. وقال أكثم: لا أحب أن أكفى أمري كله.

قيل: ولم ذلك؟ قال: أخاف عادة العجز. وقال حكيم لولده: اياك والعجز والتواني في الأمور فتقذفك الرجال خلف أعقابها. وكان الغريض مترفا منعما لنفسه. فسأله بعض إخوانه أن يمشي معه في حاجة فقال له: لولا أن يراني عدوتي - ولم ترني منذ حين لمشيت معك. قال: ومن عدوتك؟ اقل: الشمس. لا وحياتك ما وقعت علي منذ سنة. وكما أن الإبطاء عند القدرة

---

(١) الآمل والمأمول ص/١٠

مذموم فكذلك العجلة قبل الفكرة مذمومة.

وقد مدح رجل من العرب رجلا سئل عنه، فقال: إنه والله ما يكفكف من عجلة ولا يدفع في ظهره من بطء. وكان يقال للحاجة آفتان الاستعجال بها قبل وقتها والتأني فيها حتى تموت. وفي عهود بعض القضاة: وأمره أن يتجنب خصلتين هما آفتا القضاء وسبب تودير الحقوق: العجلة قبل إثبات الحجة، والانتظار بالفصل بعد وضوح الدلالة وقيام البينة. وانشدني محمد بن عيسى:

فلا تطمع لأمر إن تدانى ... ولا تيأس من الأمر السحيق

ولا تعجل فتسبق ما يرجى ... ولا تنظر فتقصر عن حقوق

وكان إياس بن معاوية يتمثل:

وأوقف عند الأمر ما لم يبن له ... وأمضي إذا ما شك من كان ماضيا

وقيل لبزرجمهر: أمن الاجتهاد ما هو شر من التواني؟ قال: نعم. ما كان في غير حينه. **قال بعض الحكماء**: آفة الطلب في تيمم أوقاته. بلغنا أن رجلا من العرب طلب الأدب حينا فأعياه فتركه، فبينا هو في بعض الطريق يسير إذ مر بصخرة ملساء فتأملها فإذا الذر يدب عليها فمن كثرة دبيبه كان أثر في الصخرة. ففكر فقال في تفكره: مع صلابة هذا الصخر وخفة هذا الذر أثر فيه هذا الأثر فأنا حري أن أدوم على الطلب وأجد في الأدب فلعلي أصير فيه رأسا. فراجع الإكباب على الأدب فلم يلبث أن خرج فيه مبرزا. ولأبي العتاهية في ذمسوف وما أشبهها:

لا يشغلنك لو وليت عن الذي ... أفنى القرون ولا لعل ولا عسى

وفي الحديث: أن رجلا دخل المسجد والنبي صلى الله عليه جالس. قال له: يا فلان أما جمعت؟ قال: أما رأيتني يا رسول الله جمعت معك. قال صلى الله عليه: رأيتك آذيت وآنيت أي أخرت المجيء.

لم تزل تسوق حاجتي حتى خرجت من آوانها إلى آواني لو أسعفتني بها فيه ما كان لها علي كثير أثر ولا من نفع، ولو أسعفتني بها في أول طلبتها لكان في ذلك صون لوجهي عن سؤال أحد سواك. وسبق منك إلي بارع عرف وجميل اصطناع قل ما سبق السابقون إلى أفضل منه. فقد قطعت الآن لساني عن الاحتجاج عنك فجعلت ذنبك وقاية له عن الاحتجاج عنك. وبحسبي ما لحقني من إساءتط بعد إحسانك. وزال عني عن معروفك ما قد كنت أعده لي عتادا ومن محذوري حرزا حريزا.

باب ذم العجلة

وفي الأمثال: رب عجلة تهب ريثا، يقول: رب عجلة يراد بها صلاح الأمر فتفسده حتى لا يصلح إلا بعد مدةطويلة فكأنها كانت ريثا. وهذا قريب من قول بزر جمهر: إن شرا من التواني الإجتهاد في غير حينه.

الخرق شؤم والأناة سعادة ... فاستأن حلمك في أمورك تسلم

والرفق يمن والأناة سعادة ... فتأن في رفق تلاق نجاحا". (١)

---

(١) الآمل والمأمول ص/١١

٤٦٨-"وفي الأمثال: الرفق يمن والخرق شؤم. أنشدني عبد السلام:

ولا تعجل بأمر الشك حتى ... تبين والظهور لها بطون

ولا تعجل بأمرك قبل حين ... فعند الحين تنقطع الظنون

قال بعض الحكماء: إياك والعجلة فإنها خرق والخرق شؤم. وعليك بالأناة فإن يمن. وكان يقال: الزلل من العجل.

وإذا هممت بأمر شر فاتئد ... وإذا هممت بأمر خير فاعجل

وليس من هذا الباب ولكنه ظريف.

قد يدرك المبطئ من حقه ... والنجح قد يسبق جهد الحريص

وهذا المعنى من باب المقادير وقد ذكرناه فيه. وكان يقال فيه: إن من الحزم والأناة التثبت، وإن العجلة لا تزال تورث أهلها حسرة وندامة. قال: وأنشدت:

اصبر على مضض الإدلاج بالسحر ... وبالرواح على الحاجات والبكر

السائر في هذا المعنى قول الشاعر:

تأمل ولا تعجل بأمر تريده ... فإن للفتى من أمره ما تأملا

ولعبيد الله: من عجلت إلى مدحه فلما كشفته اضطررت إلى مقته. ابن جدعان:

ربما عاجل يخالف نجحا ... وبطيء يصيب يوما نجاحا

قال بعض البلغاء: العجول مخطئ وإن أصاب. فكيف إذا أخفق؟ وقال: العجلة من الشيطان. لا تغرنك إصابتك مع العجلة، ولا يسوءنك إخطاؤك من التأني والرفق. فإنك إذا عجلت فأصبت وافقت إصابتك قدرا لا محيص عنه. ولو لم تعجل لبلغت المراد كما بلغته لما عجلت، وغن كان ما أردت متعذرا في حال الرفق فهو مع العجلة اشد تعذرا، لأن العجلة رهق والتؤدة تأمل وبصيرة.

باب اختيار المأمول

قال النبي صلى الله عليه: (إذا طلبتم الحوائج فعليكم بحسان الوجوه. فأخذ معناه شاعر فقال:

لوجه المرء ذي الخلق المصفى ... على ما ثم من خير دليل

كما قال الرسول رسول ربي ... وقد صدق الإله والرسول

عليكم بالحوائج فاطلبوها ... إلى من وجهه حسن جميل

آخر:

حسن ظني إليك أسعدك الله ... دعاني فلا عدمت صلاحا

ودعاني إليك قول رسول الله ... إذ قال مفصحا إفصاحا

إن طلبتم حوائجا عند ثوم ... فتنقوا لها الوجوه الصباحا

ولعمري لقد تنقيت وجها ... ما به خاب من أراد النجاحا

وقال ابن عباس: لا تطلبن إلى أعمى حاجة ولا تطلبنها بالليل من البصير. فإذا طلبتها فاستقبلها بوجهك. فإن الحياء في العينين. عطاء بن ميسرة قال: الحوائج من عند الشبان أسهل منها عند المشايخ. ثم تلا هذه الآية من قول يوسف: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) . وقول يعقوب: (سوف أستغفر لكم ربي) . وكان ياقل: لا تنزل حوائجك بالجيد اللسان ولا بالمتسرع إلى الضمان فإن العجز مقصور على التسرع ومن وثق بجودة لسانه ظن أن في فصل بيانه ما ينوب عن عذره وأن وعده يقوم مقام حجته. قال وهب نب منبه: مكتوب في التوراة: يا ابن آدم لا تسأل الناس، وغن كنت لا بد فاعلا فسل معادن الخير ترجع مغبوطا؟ ومحسودا. ولا تسأل معادن الشر فترجع مغلوبا محسورا. ابن حازم:

لا تسألن المال عند امرئ ... أصاب اليسارة من كده

ولكن سل المال عند امرىء ... إذا أورث المال عن جده

كان يقال: أبو كبسة أقوم مسنان. يقول: لا تستقرض رجلا حديث عهد بالنعمة. إنه سيء الاقتضاء قليل النظيرة مستكثر للقليل يخشى من الفقر الذي جرب وعرف. وتقول العامة في كلامها: لا يلتمس الحوائج عند من لا يأكل من مائدة أبيه. وفي شبيه بهذا المعنى قول العجاج في رجل مدحه:

في معدن الملك القديم الكرس ... ليس بمقلوع ولا منحس

أي في معدن الملك الذي قد توارثه آخر عن اول.

ولو كنت إذ أفنيت أيامي في التردد إلى فلان ووقفت أملي عليه قدمت للروية في الاتياد وأصبت مطية النجح ما أكدى مطلبي، ولا أخطأت فراستي. ولكني وردت عليه بغير بصيرة فكانت عاقبة أمري خسرا، أو أكسبني ذلك نقيصة وذما. فتبارك الله رب العالمين.

باب الإهداء إلى من يلتمس فضله". (١)

٤٦٩-"يسبح سامعها معجبا ... فأصواتها سبحة السامع

وقال آخر:

إذا ما حن مزهرها إليها ... وحنت نحوه أذن الكرام

وأصغوا نحوها الآذان حتى ... كأنهم وما ناموا نيام

وقال آخر يصف عودا في حجر مغنية:

وكأنه في حجرها ولد لها ... ضمته بين ترائب وليان

أبدا تدغدغ بطنه فإذا هفا ... عركت له أذنا من الآذان

وقال ابن المعتز:

ونداماي فتية وكهول ... أتلفت ما لهم نفوس كرام

---

(١) الآمل والمأمول ص/١٢

بين أقداحهم حديث قصير ... هو سحر وما عداه كلام

وغناء يستعجل الراح بالرا ... ح كما ناح في الغصون الحمام

وكأن السقاة بين الندامى ... ألفات على سطور قيام

وقال آخر:

شدو ألذ من ابتدا ... ء العين في إغفائها

أحلى وأشهى من منى ... نفسي وصدق رجائها

وقال:

إذا احتضنت عودها عاتب ... وناغته أحسن أن يعربا

تدغدغ في مهل بطنه ... فيسمعنا ضحكا معجبا

وقال:

إذا نوت الضرب قبل الغناء ... أنشدنا شعرها عودها

وقال كشاجم:

وترى لها عودا تحركه ... وكلامه وكلامها وفقا

لو لم تحركه أناملها ... كان الهواء يفيده نطقا

جسته عالمة بحالته ... جس الطبيب لمدنف عرقا

فحسبت يمناها تحركها ... رعدا وخلت يسارها برقا

وقال:

أشتهي في الغناء بحة حلق ... ناعم الصوت متعب مكدود

كأنين المحب أضعفه الشو ... ق فضاهى به أنين العود

كهبوب الصبا توسط حالا ... بين حالين شدة وركود

ابن الرومي:

تتغنى كأنها لا تغني ... من سكون الأوصال وهي تجيد

مد في شأو صوتها نفس ... كاف كأنفاس عاشقيها مديد

قيل لرجل: أي المغنين أحذق؟ فقال: ابن سريج كأنه خلق من كل قلب، فهو يغني لكل إنسان ما يشتهيه، نظمه ابن الرومي فقال:

كأنه قالب لكل هوى ... فكله والمنى على قدر

قال بعض الملوك لجليس له: صف لي هاتين المغنيتين، فقال: هما كالعينين أيهما فتحت أبصرت بها.

وقال بعض الحكماء: إذا وقع في يدك يوم السرور فلا تخله فإنك إذا وقعت في يوم الغم لم يخلك.

ومن النادر في هذا:

جاءت بوجه كأنه قمر ... على قوام كأنه غصن

غنت فلم تبق في جارحة ... إلا تمنت أنها أذن

وقال آخر:

ومطرب صوته وفوه ... قد جمعا الطيبات طرا

لو لم يكن صوته بديعا ... ما ملأ الله فاه درا

ومما قيل في الرقص:

إذا اختلس الخطا واهتز لينا ... رأيت لرقصه سحرا مبينا

يمس الأرض من قدميه وهن ... كرجع الطرف يخفى أن يبينا

ترى الحركات منه بلا سكون ... فتحسبها لخفتها سكونا

روي أن أبا مليكة بينا يؤذن إذ سمع الأخضر الجدي يغني من دار العاص بن وائل:

تعلقت ليلى وهي ذات ذوائب ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فأراد أن يقول حي على الصلاة، فقال: حي على البهم حتى سمعها أهل مكة فغدا معتذرا إليهم.

قال إبراهيم الموصلي: كان عندنا مغن يغني بنصف درهم ولا يسكت إلا بدرهم.

وقال رجل لآخر: غنني صوت كذا وبعده صوت كذا، فقال: أراك لا تقترح صوتا إلا بولي عهد.

وقال الناجم:

تأتي أغاني عاتب ... أبدا بأفراح النفوس

تشدو فنرقص بالرؤوس ... لها ونزمر بالكؤوس

قال أبو عثمان الناجم: بحوحة الحلق الطيب تشبه مرض الأجفان الفاترة.". (١)

٤٧٠-"قال صاحب كليلة الدنيا كالماء الملح الذي متى يزدد شاربه شربا يزدد عطشا وظمأ، قال أحمد بن المعذل لأخيه عبد الصمد أنت كالإصبع الزائد إن قطعت ألمت وإن تركت شانت. وكان الجماز لا يدخل بيته أكثر من ثلثة لضيقه فدعا ثلثة فجاءه ستة قاموا على رجل رجل وراء الباب فعد أرجهم من خلف الباب وأدخلهم فلما حصلوا في بيته تذمر فقالوا ما شأنك فقال دعوت ناسا ولم أدع كراكي يقومون على رجل رجل فقال صاحب كليلة الأدب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سكرا كالنهار يزيد البصير بصرا ويزيد الخفاش سوء بصره. وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد رضي الله عنه الأدب عند الأحمق كالماء العذب في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة. قال الجاحظ دخل مخنث الحمام فرأى

(١) التذكرة الفخرية ص/٧٨

رجلا كبير الذكر كثير الشعر فقال انظروا إلى الخليفة في قطيفة. وقال رجل لبعض الرؤساء كتبت لي إلى فلان فكأنما كتبت منك إليك. قيل لمخنث كان يشب لبن الأتن كيف أصبحت قال لا تسئل عمن أصبح أخا الحمارة. وقال صاحب كليلة لا تبطر العاقل منزلة أصابها كالجبل الذي لا يزلزله الرياح العواصف والسخيف تبطره أدنى منزلة كالحشيش الذي يحركه أدنى الرياح. قال آخر كان ابن عباس يتبختر في كلامه كما يتبختر الرجل في مشيته، قال صاحب كليلة صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا وإذا مرت على الطيب حملت طيبا. وقال رجل لبعض الظرفاء صف لي وليمة فلان فقال كانت كأنها زمن البرامكة من حسنها. وقال رجل لرجل صف لي الزلزلة فقال كأنها فرس انتفض ثم رجع. وقال صاحب كليلة من نصح لمن لا يشكر له كان كمن ينثر بذره في السباخ ومن أشار على معجب كان كمن أشار على الأصم، وقال أيضا لا يخفى فضل ذي الأدب وإن أخفاه بجهده كالمسك الذي يخبأ ويستر ثم لا يمنع ذلك ريحه من التذكي وذكر الجماز رجلا فقال كأن قيامه عندنا سقوط جمرة من الشتاء لبرده. وقال صاحب كليلة الرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال كالأسد الذي يهاب وإن كان رابضا والغنى الذي لا مروءة له لا يهاب وإن كان غنيا كالكلب الذي يهون على الناس وإن طوق وخلخل. **وقال بعض الحكماء من** لا يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له فيه لم يحمد غب أمره وكان كالمريض الذي يترك ما يصف له الطبيب ويعمد إلى ما يشتهي. وقالت عجوز وقد رأت طلحة يوم الجمل من هذا الذي كأن وجهه دينار هرقلي قالوا هذا طلحة ثم رأت الزبير فقالت من هذا الذي كأنه أرقم يتلمظ قيل الزبير ثم رأت عليا عليه السلام فقالت من هذا الذي كأنه كسرى ثم جبر قالوا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وقال صاحب كليلة المودة بين الصالحين بطيء انقطاعها سريع اتصالها كآنية الذهب التي هي بطيئة الانكسار هينة الإعادة والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كآنية الفخار يكسرها أدنى شيء ثم لا وصل لها. تكلم وفد بين يدي سليمان بن عبد الملك فلم يعلموا شيئا وتكلم بعدهم رجل زري المنظر فأبلغ فقال سليمان كأن كلامه بعد كلامهم سحابة لبدت عجاجا ووصف المعلى بن الزيات رجلا فقال كان كأنه لسان حية من ذكائه. وقال ابن الرومي شهر رمضان بين شعبان وشوال مخشلبة بين درتين. وقال أبو سليمان الطنبوري شعبان درب لا ينفذ وقال آخر الصاحب كالرقعة في الثوب فالتمسه مشاكلا. قال صاحب كليلة لا يرد بأس العدو القوي بمثل التذلل والخضوع كما أن الحشيش إنما يسلم من الريح العاصف بلينه لها وانثنائه معها حيثما مالته. وقال أيضا ليس العدو بموثوق له ولا مفتر وإن أظهر جميلا فإن الماء وإن أطيل إسخانه لا يمنعه ذلك من إطفاء النار إذا صب عليها. دخل لص على ملاح فوصفه لجيرانه فقال طويل مثل الدقل أسود مثل قير السفينة وفخذه مثل السكان وكل ذي صناعة يتكلم من صناعته كما قيل لملاح مرة كم بقي من النهار فقال مقدرا مردي شمس. وسمع النحوي المازني قرقرة من بطن رجل فقال هذه ضرطة مضمرة. وقال سعيد بن حميد عمل السلطان كالحمام من فيه يريد الخروج منه ومن خارجه يريد الدخول فيه. وقال صاحب كليلة الدنيا كدودة القز لا تزداد للإبريسم على نفسها لفا إلا ازدادت من الخروج منه بعدا. وصف رجل ابن محرز المغني فقال كأنه خلق من كل قلب فهو يغني كل

إنسان بما يشتهي. **وقال بعض الحكماء العقل** كالسيف والنظر كالمسن نظر". [١]

٤٧١-"الباب الأول

من كثرت لحظاته دامت حسراته

قال بعض الحكماء رب حرب جنيت من لفظة ورب عشق غرس من لحظة وقال العتبي أبو الغصن الأعرابي قال: خرجت حاجا فلما مررت بقباء تداعى الناس ألما وقالوا قد أقبلت الصقيل فنظرت وإذا جارية كأن وجهها سيف صقيل فلما رميناها بالحدق ألقت البرقع على وجهها فقلت يرحمك الله إنا سفر وفينا أجر فأمتعينا بوجهك فانصاعت وأنا أرى الضحك في عينيها وهي تقول:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتبعتك المناظر

رأيت الذي لا تأكله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي لامرأة من الأعراب:

أرى الحر لا يفنى ولم يفنه الألى ... أحينوا وقد كانوا على سالف الدهر

وكلهم قد خاله في فؤاده ... بأجمعه يحكون ذلك في الشعر

وما الحب إلا سمع أذن ونظرة ... ووجبة قلب عن حديث وعن ذكر

ولو كان شيء غيره فني الهوى ... وأبلاه من يهوى ولو كان من صخر

وقال آخر:

تعرضن مرمى الصيد ثم رمينا ... من النبل لا بالطائشات الخواطف

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم ... فيا عجبا للقاتلات الضعائف

وللعين ملهى في التلاد ولم يقد ... هوى النفس شيئا كاقتياد الطرائف

وقال آخر:

وكم من فتى جلد يقاد لحينه ... بطرف مريض الناظرين كحيل

إذا ما الهوى منه تعزز جانب ... فما شئت من مقتولة وقتيل

وقال جرير بن عطية:

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانا

وقال جميل بن معمر العذري:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ... وفي الغر من أنيابها بالقوادح

---

(١) التشبيهات لابن أبي عون ص/٦٨

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ... ظواهر جلدي فهو في القلب جارحي

أما معنى البيت الأول فقبيح أن يجعل في الغزل إن كان قصد في باطنه ما يتبين في ظاهره وقد زعم بعض أهل الأدب أن قوله رمى الله في عيني بثينة بالقذى إنما عنى به الرقيب وقوله. وفي الغر من أنيابها إنما عنى به سروات قومها والقوادح الحجارة وقد عرضت هذا القول على أبي العباس أحمد بن يحيى فأنكره وقال لم يعن ولم ير به بأسا العرب تقول قاتله الله فما أشجعه ولا تريد بذلك سوءا.

وقال العديل بن الفرج العجلي:

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى ... فإذا عطلن فهن غير عواطل

وإذا جلين خدودهن أريننا ... حدق المها وأخذن نبل القاتل

فرمينا لا يستترن بجنة ... إلا الصبى وعلمن أين مقاتلي

يلبسن أردية الوقار لأهلها ... ويجر باطلهن حبل الباطل

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي:

سمعي وطرفي حليفا أعلى جسدي ... فكيف أصبر عن سمعي وعن بصري

لو طاوعاني على أن لا أطاوعها ... إذا لقضيت من أوطارها وطري

وقال يزيد بن سويد الضبعي:

بيض أوانس يلتاط العبير بها ... كف الفواحش عنها الأنس والخفر

ميل السوالف غيد لا يزال لها ... من القلوب إذا لاقينها جزر

وأنشدني بعض الكلابيين:

يا من بدائع حسن صورته ... تثني إليه أعنة الحدق

لي منك ما للناس كلهم ... نظر وتسليم على الطرق

لكنهم سعدوا بأمنهم ... وشقيت حين أراك بالفرق

وقال آخر:

دعا قلبه يوما هوى فأجابه ... فؤاد إذا يلقى المراض مريض

بمستأنسات بالحديث كأنها ... تهلل مزن برقهن وميض

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر:

طربت إلى حوراء آلفة الخدر ... هي البدر أو إن قلت أكمل من بدر

تراسلني باللحظ عند لقائها ... فتخلس قلبي عند ذلك من صدري

وقال عمرو بن الأيهم:". (١)

٤٧٢-"قال: فدخلت بالأبيات على أبيها فقال: ما أريد بذلك صداق غيرها فزوجه إياها.

وفي الباب الستين ما جاء في ذم المزاح وكثرة الكلام، أخبرني أحمد بن عبيد ورجل من العرب قال: خرجت في بعض ليالي الظلم فإذا أنا بجارية كأنها صنم، فراودتها عن نفسها، فقالت: يا هذا ما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناه من دين. فقلت: والله ما ترانا إلا الكواكب. قالت: وأين مكوكبها؟ فأخجلني كلامها فقلت: إنما كنت أمزح. فأنشأت تقول:

فإياك إياك المزاح فإنه ... يجري عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورث بعد العز صاحبه الذلا

وقال بعض الحكماء: لكل شيء بدء، وبدء العداوة المزاح. وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عماله: امنعوا الناس من المزاح فإنه يذهب المروءة ويوغر الصدر. وقال بعض الشعراء:

مازح أخاك إذا أراد مزاحا ... وتوق منه في المزاح جماحا

فلربما مزح الصديق بمزحة ... كانت لباب عداوة مفتاحا

وقال بعض الشعراء:

إمحض مودتك الكريم فإنما ... مرعى ذوي الأحساب كل كريم

فأخا الشراف من الرجال مروءة ... والموت خير من إخاء لئيم

وقال يحيى بن أكثم القاضي:

وقارن إذا قارنت حرا فإنما ... يزين ويزري بالفتى قرناؤه

إذا المرء لم يختر صديقا لنفسه ... فناد في السوق هذا جزاؤه

وأنشدني منشد:

طلبت امرءا محضا صحيحا مسلما ... نقيا من الآفات في كل موسم

لأمنحه ودي فلم أدرك الذي ... طلبت ومن لي بالصحيح المسلم

فلما بدا لي أنني لست مدركا ... من الناس إلا بالمريض المسقم

صبرت ومن يصبر يجد غب صبره ... ألذ وأحلا من جنا النحل في الفم

ومن لا يطب نفسا ويستبق صاحبا ... ويغفر لأهل الود يصرم ويصرم

وأنشدني الحسن بن عليل الغنوي:

الق بالبشر من لقيت من الن ... اس جميعا ولاقهم بالطلاقة

تجن منهم به ثمار عجيب ... طيب طعمه لذيذ المذاقة

---

(١) الزهرة ص/١

ودع التيه والعبوس عن الن ... اس فإن العبوس رأس الحماقة

وكان يقال: لا تهذر في منطقك ولا تخبر بذات نفسك ولا تغتر بعدوك ولا تفرط في حب صديقك، واعلم أن شر الأخلاق ملالة الصاحب وتقريب المتباعد. وأنشدني أحمد بن يحي الكندي:

وكن معدنا للحلم واصفح عن الأذى ... فإنك راء ما عملت وسامع

وبلغني أن أبا نواس قال هذه الأبيات على البديهة في الوقت الذي كان فيه محمد الأمين أمير المؤمنين، وذلك أنه ركب الحراقات إلى الشماسية فاصطفت له الخيل والرجال على شاطئ دجلة وحملت معه المطابخ والخزائن، وكان ركوبه حراقة تمثال أسد فما رأى الناس منظرا كان أحسن من ذلك المنظر والسير، وركب أبو نواس معه وكان يومئذ ينادمه فقال:

سخر الله للأمين مطايا ... لم تسخر لصاحب المحراب

وإذا ما ركابه سرن برا ... سار في الماء راكبا ليث غاب

أسد باسط ذراعيه يعدو ... وافر الشدق كالح الأنياب

عجب الناس إذ رأوك على ص ... ورة ليث تمر مر السحاب

سبحوا إذ رأوك سرت عليه ... كيف لو أبصروك فوق العقاب

بارك الله للأمين وأبقا ... ه وأبقى له رداء الشباب

ملك تقصر المدائح عنه ... هاشمي موفق للصواب

قال: وبلغني أن أبا نواس حضر يوما مجلس محمد فورد على محمد كتاب العمال يخبر أن رجلا من الشراة، ويصف شدة شوكته وقوة أمره فقال لبشر خادمه وكان يحبه: ينبغي أن توجه أبا نواس إلى هناك يريد الشاري. وأظهر لأبي نواس جدا وكان مزاحا، وأمر أن تراح علته فيما يحتاج إليه من المال والسلاح وقال لبشر: انظر ما يرد عليك من أبي نواس في هذا الباب فاعرضه علي. فلما انصرف أبو نواس كتب إلى بشر الخادم بهذه الأبيات:

يا بشر ما لي وللسلاح ولل ... حرب ونجمي في اللهو والطرب

لا تنفرني فإنني رجل ... أكع عند اللقاء والطلب". (١)

٤٧٣-"ويقال في المثل: حسب الحليم أن الناس أنصاره.

وقال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: رب كلمة يخترعها حليم مخافة ما هو شر منها، وكفى بالحلم ناصرا.

وقال عليه السلام: لن واحلم تنبل، ولا تعجب فتمقت وتمتهن.

وقيل: من مناقب المرء الحلم من غير ضعف، والجود بغير طلب ثواب الدنيا.

وقال بعض الحكماء: من اتخذ الحلم لجاما إتخذه الناس إماما، ومن لم يكن حليما لم يزل سقيما.

وقيل لمعاوية: من أصبر الناس؟ قال: أردهم لجهله بحلمه.

---

(١) الزهرة ص/١٧١

وكان يقال: دل على عقل المرء إختياره.

قال بعض الشعراء:

قد عرفناك باختيارك إذ كا ... ن دليلا على اللبيب اختياره

وقال علي عليه السلام: العقل إصابة الظن ومعرفة ما لم يكن بما كان.

وقال عليه السلام: ذم العقلاء أشد من عقوبة السلطان.

وقال عليه السلام: من زاد عقله نقص حظه، وما جعل الله لأحد عقلا وافرا إلا احتسب به من زرقه.

وقال عليه السلام: الروح حياة البدن، والعقل حياة الروح.

وقال عليه السلام: ليس شيء أحسن من عقل زانه علم، ومن علم زانه حلم، ومن حلم زانه صدق، ومن صدق زانه رفق، ومن رفق زانه تقوى، إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض والجزاء بالقرض والأخذ بالفضل والوفاء بالعهد والإنجاز للوعد، ومن حاول أمرا بالمعصية كان أقرب إلى ما يخاف وأبعد مما يرجو.

ويقال: العقل منهاة فمن لم تنه تجاربه عد من البهائم.

وقال الثعالبي: العقل أحسن معقل.

وقال: العاقل من يروى له ثم يروي، ويخبر ثم يخبر، ويشاهد ثم يشهد، ويعلم ثم يعمل.

وقال أيضا: العاقل من يستدل بأسارير الوجوه على أسرار القلوب.

وقال: العاقل من يرى بأول رأيه أواخر الامور، ويهتك عن أسبابها ظلم الستور.

وقال: العاقل من يشتهي فينتهي، ويبصر فيقصر.

ومن جيد الشعر في هذا الفصل قول بعضهم:

الحلم يعقب راحة ومحبة ... والصفح عن ذنب المسيء جميل

وقال الآخر:

من خير ما رزق العباد وألهموا ... علم يعاش به وحلم راجح

وقول الرضي:

وأحلم خلق الله حتى إذا دنا ... إليها الأذى طارت بها جهلاتها

ينظر فيه إلى قول النابغة الجعدي:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وهذا هو الغاية في بابه. ومن جيد ما قيل في الحلم والوقال قول ابن دريد في مقصورته:

يعتصم الحلم بجنبي حبوتي ... إذا رياح الطيش طارت بالحبى

وقول البحتري:

ووقور تحت السكينة ما ير ... فع من طرفه ضجاج الخصوم

وقول المتنبي:

وبقايا وقاره عاقت الناس ... فكانت ركانة في الجبال

فصل في تجاربه وذكائه

أقول: إنه هو الذي سبر غور الأيام بتجاربه، واستشف له النظر فيها أستار عواقبها، ولو تقدم في الأعصر الأول لضرب بذكائه المثل، ورآه الناس أذكى من أياس.

حازم يسلس من بعد الشماس ... كل أمر راضه صعب المراس

ذو ذكاء لو أياس رامه ... لدعاه الفخر عد عنه بياس

قتل الأيام خبرا وله ... قبس التجريب أسنى الإقتباس

لو سيوفا طبعت آرائه ... لبرت ما أدركت حتى الرواسي

قال علي عليه السلام: العقل غريزة تربيها التجارب.

وقال عليه السلام: عليك بمجالسة أصحاب التجارب فإنها تقوم عليهم بأغلا الغلا، وتأخذها منهم بأرخص الرخص.

وقال عليه السلام: في التجارب علم مستأنف، والإعتبار يفيدك الرشاد، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك، وعليك لأخيك مثل الذي عليه لك.

أقول: وبهذا يعلم أن العقل نوعان: غريزة ومكتسب بالتجارب، كما أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام، ولم يحكم الأمور محكم كالتجربة.

وقيل: التجارب لا غاية لها.

والذكاء حدة الفؤاد.

قال علي عليه السلام: ذك قلبك بالأدب كما تذكي النار الحطب.

والحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة.

قال علي عليه السلام: أحزم الناس من ملك جده هزله، وقهر رأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يختدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده.

وقال عليه السلام: الرأي يريك غاية الامور مبدؤه.". (١)

٤٧٤-"**وقال بعض الحكماء**: ذهبت المكارم إلا من الكتب. وقال الله عز وجل: " اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم "، فوصف نفسه تعالى جده بأنه علم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم واعتد بذلك في نعمه العظام وأياديه الجسام ووضع القلم في المكان الرفيع ونوه بذكره وأقسم به كما أقسم بما يخط به فقال: " ن والقلم وما يسطرون، والقلم أرجح من

---

(١) العقد المفصل ص/١٤

اللسان لأن كتابته تقرأ بكل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان ويوجد مع كل زمان، ومناقلة اللسان وهديته لا تجاوزان مجلس صاحبه ومبلغ صوته، والكتاب يخاطبك من بعيد، وقد قالوا: القلم أحد اللسانين، وقالوا: كل من عرف النعمة في بيان اللسان كان أعرف لفضل النعمة في بيان القلم. وقد يعتري القلم ما يعتري المؤدب عند ضربه وعقابه، فما أكثر من يعزم على عشرة أسواط فيضرب مائة لأنه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب في الإقلال فلما ضرب تحرك دمه فأشاع الحرارة فيه وزاد في غضبه فأراه الغضب أن الرأي في الإكثار، وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يبتديء الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة. وقد قيل: القلم الشاهد والغائب يقرأ بكل لسان وفي كل زمان. وقالوا: ظاهر عقول الرجال في اختيارها ومدون في أطراف أقلامها، ومصباح الكلام حسن الاختيار. وقالوا: القلم مجهز جيوش الكلام، يخدم الإرادة ولا يمل الاستزادة، ويسكت واقفا وينطق سائرا على الأرض، بياضه مظلم وسواده مضيء، وقال الشاعر:

قوم إذا خافوا عداوة معشر ... سفكوا الدما بأسنة الأقلام
ولمشقة من كاتب بمداده ... أمضى وأقطع من صنيع حسام

وقال آخر أيضا:

ما السيف والسيف سيف الكمي ... بأخوف من قلم الكاتب
له غاية إن تأملتها ... ظهرت على سوءة الغائب
أداة المنية في جانبيه ... فمن مثله رهبة الراهب
سنان المنية في جانب ... وسيف المنية في جانب
ألم تر في صدره كالسنان ... وفي الردف كالمرهف القاضب
فيجري به الكف في حالة ... على هيئة الطاعن الضارب

وقال آخر أيضا ملغزا:

وأعجف رجلاه في رأسه ... يطير حثيثا على الأملس
مطاياه من تحته الإصبعان ... ولولا مطاياه لم يلمس

وقال آخر، سامحه الله:

وأعجف منشق الشباة مقلم ... موشى القرا طاوي الحشا أسود الفم
إذا هو أضحى في الدواة فأعجم ... ويضحي فصيحا في يدي غير أعجم
يناجي مناجاة أغر مرزأ ... متى ما استمع معروفه يتبسم

وقال آخر، رحمه الله:

لك القلم الذي لم يجر لؤما ... بغاية منطق فكبا بعي
ومبتسم عن القرطاس يأسو ... ويجرح وهو ذو بال رخي
فما المقداد أعضب من شباه ... ولا الصمصام سيف المذحجي

وقال وأجاد:

أحسن من غفلة الرقيب ... ولحظة الوعد من حبيب

والنغم والنقر من كعاب ... مصيبة العود والقضيب

ومن بنات الكروم راحا ... في راحتي شادن ربيب

كتب أديب إلى أديب ... طالت به مدة المغيب

فنمقت كفه سطورا ... تنمق الصبر في القلوب

تترك من سطرت إليه ... أطرب من عاشق طروب

وقال آخر:

إذا استمدت صرفت الطرف عن يدها ... خوفا عليها لما أخشى من التهم

كأنما قابل القرطاس إذ مشقت ... منها ثلاثة أقلام على قلم

وقال أشجع في جعفر البرمكي:

إذا أخذت أنامله ... تبين فضله القلما

تطأطأ كل مرتفع ... لفضل الكتب مذ نجما

يقدم ويؤخر، أراد: إذا أخذت أنامله القلم تبين فضله. وفي الخط قال: نظر المأمون إلى مؤامرة بخط حسن فقال: لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة! وقال يحي بن خالد البرمكي: الخط صورة روحها البيان ويدها السرعة وقدماها التسوية وجوارحها معرفة الفصول، وقال في مثله، رحمه الله تعالى:". (١)

٤٧٥-"وافتتحنا كتابنا هذا بذكر النبي، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الأبرار الأخيار، لما رجونا فيه من الفضل والبركة واليمن والتوفيق، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وإخوته من النبيين وآله الطيبين أجمعين، اختار الله من خير أرومات العرب عنصرا ومن أعلى ذوائب قريش فرعا من أكرم عيدان قصي مجدا تم لم يزل بلطفه لنبيه، صلى الله عليه وسلم وآله، واختياره إياه بالآباء الأخائر والأمهات الطواهر حتى أخرجه في خير زمان وأفضل أوان، تفرع من شجرة باسقة الندى، شامخة العلى، عربية الأصل، قرشية الأهل، منافية الأعطان، هاشمية الأغصان، ثمرتها القرآن، تندى بماء ينابيع العلم في رياض الحلم، لا يذوي عودها ولا تجف ثمرتها ولا يضل أهلها، أصلها ثابت وفرعها نابت، فيا لها من شجرة ناضرة خضراء ناعمة غرست في جبل قفر وبلد وعر محل ضرع غير ذي زرع عند بيتك المحرم وبلدك المكرم فهو، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأخيار، كما **قال بعض الحكماء**: لئن كان سليمان، عليه السلام، أعطي الريح غدوها شهر ورواحها شهر لقد أعطي نبينا، صلى الله عليه وسلم، البراق الذي هو أسرع من الريح، ولئن كان موسى، عليه السلام، أعطي حجرا تتفجر منه اثنتا عشرة عينا لقد وضع أصابعه، عليه وعلى آله السلام، في الإناء والماء ينبع من

(١) المحاسن والمساوئ ص/٥

بين أصابعه حتى ارتوى أصحابه، رضي الله عنهم، وما لهم من الخيل، ولقد كان رديف عمه أبي طالب بذي المجاز فقال: يا ابن أخي قد عطشت، فقال: عطشت يا عم؟ قال: نعم، فثنى وركه فنزل وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال: اشرب، فشرب حتى روي، ولئن كان عيسى، عليه السلام، أحيا النفس بإذن الله لقد رفع، صلى الله عليه وسلم، ذراعا إلى فيه فأخبرته أنها مسمومة، وكان، صلى الله عليه وسلم، يخبر بما في الضمائر وما يأكلون فما يدخرون، ثم دعاؤه المستجاب الذي لا تأخير فيه، وذلك أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما لقي من قريش والعرب من شدة أذاهم له وتكذيبهم إياه واستعانتهم عليه بالأموال دعا أن تجدب بلادهم وأن يدخل الفقر بيوتهم، فقال: اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف! اللهم اشدد وطأتك على مضر! فأمسك الله عز وجل عنهم القطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وقلت المراعي فماتت المواشي حتى اشتووا القد وأكلوا العلهز، فعند ذلك وفد حاجب بن زرارة إلى كسرى يشكو إليه الجهد والأزل ويستأذنه في رعي السواد وهو حين ضمن عن قومه وأرهنه قوسه، فلما أصاب مضر خاصة الجهد ونهكهم الأزل وبلغت الحجة مبلغها وانتهت الموعظة منتهاها دعا بفضله، صلى الله عليه وسلم، الذي كان نداهم به فسأل ربه عز وجل الخصب وإدرار الغيث فأتاهم منه ما هدم بيوتهم ومنعهم حوائجهم، فكلموه في ذلك فقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فأمطر الله ما حولهم ودعا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، على المستهزئين بكتاب الله عز وجل، وكانوا اثني عشر رجلا، فكفاه الله جل اسمه أمرهم، فقال: " إنا كفيناك المستهزئين "، وقصة عامر بن الطفيل ودعائه عليه، وناطقه، صلى الله عليه وسلم، ذئب، وأظلته غمامة، وحن إليه عود المنبر، وأطعم عسكرا من ثريدة في جسم قطاة، وسقى عاما ووضأهم من ميضأة جسم صاع، ورسوخ قوائم فرس سراقة بن جشعم في الأرض وإطلاقه له بعد إذ أخذ موثقه، ومريه ضرع شاة حائل فعادت كالحامل، والتزاق الصخرة بيد أربد، وما أراه الله عز وجل أبا جهل حين أهوى بالصخرة نحو رأس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو ساجد فظهر له فحل ليلقم رأسه فرمى بالصخرة ورجع يشد إلى أصحابه قد انتقع لونه، فقالوا له: ما بالك؟ فقال: رأيت فحلا لم أر مثله يريد هامتي.". (١)

٤٧٦-"عصيت الهوى وهجرت النساء ... وكنت دواء فأصبحت داء
وما أنس لا أنس حتى الممات ... نزيب الظباء تجيب الظباء
دعيني وصبري على نائبات ... فبالصبر نلت الثرى والثواء
وإن يك دهري لوى رأسه ... فقد لقي الدهر مني التواء
ليالي أروي صدور القنا ... وأروي بهن الصدور الظماء
ونحن إذا كان شرب المدام ... شربنا على الصافنات الدماء
بلغنا السماء بأنسابنا ... ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سودد أننا ... بحسن البلاء كشفنا البلاء

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/٨

يطيب الثناء لآبائنا ... وذكر علي يزين الثناء

إذا ذكر الناس كنا ملوكا ... وكانوا عبيدا وكانوا إماء

هجاني قوم ولم أهجهم ... أبى الله لي أن أقول الهجاء

وقال غيره:

وإني من القوم الذين عرفتهم ... إذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم السماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فلا توعدني يا شريح فإنني ... كليث عرين فر عنه ثعالبه

يمشي بأوصال الرجال إذا ستا ... قد احمر من نضخ الدماء مخالبه

وقال آخر:

حلماء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه مقاول لسن

لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جواره فطن

وأحسن من ذلك كله قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد أتاه أعرابي فقال: بأبي أنت وأمي أكرم الناس حسبا! فقال: أحسنهم خلقا وأفضلهم تقوى، فانصرف الأعرابي. فقال: ردوه، ثم قال: يا أعرابي لعلك أردت نسبا؟ قال: نعم. قال: يوسف صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله فأين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا! ما كان فيها مثلهم أبدا. وقال الشاعر:

ولم أر كالأسباط أبناء والد ... ولا كأبيهم والدا حين ينسب

ودخل عيينة بن حصن الفزاري على النبي، صلى الله عليه وسلم، فانتسب ثم قال: أنا ابن الأشياخ الأكارم، فقال، صلى الله عليه وسلم: أنت إذا يوسف صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، وقال، صلى الله عليه وسلم: خير البشر آدم، عليه السلام، وخير العرب محمد، صلى الله عليه وسلم، وخير الفرس سلمان، وخير الروم صهيب، وخير الحبشة بلال، رحمهم الله أجمعين.

مساوئ الافتخار

روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لا تفخروا بآبائكم في الجاهلية، فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية.

قيل: وكان الحسن البصري يقول: ابن آدم لم تفتخر وإنما خرجت من مسيل بولين نطفة مشجت بأقذار؟ وقال بعضهم لرجل يتبختر: يا هذا إن أولك نطفة قذرة وآخرك جيفة منتنة وأنت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذه المشية؟ قال: وقيل لعامر بن قيس: ما تقول في الإنسان؟ قال: ما أقول فيمن إن جاع ضرع وإن شبع طغى.

وروي عن ابن عباس أنه قال: يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والإمارات والعتاق والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين، فأتقاهم أحسنهم يقينا وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة أعقلهم، وقيل في ذلك:

يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محظورا عليه مكاسبه

يشين الفتى في الناس قلة عقله ... وإن كرمت آباؤه ومناسبه

وقال بعض الحكماء: لا يكون الشرف بالحسب والنسب، ألا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر؟ ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحد منهم على الآخر فضل لأن نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الأفعال لأن الشرف إنما هو فيه لا في النسب، وقال الشاعر في ذلك:

أبوك أبي والجد لا شك واحد ... ولكننا عودان آس وخروع". (١)

٤٧٧-"قال: وقال المأمون لولده: يا بني نزهوا أقداركم وطهروا أحسابكم عن دنس الوشاة وتمويه سعايتهم فكل جان يده في فيه وليس يشي إليكم إلا أحد الرجلين ثقة وظنين، أما الثقة فقد قيل إنه لا يبلغ ولا يشين بالوشاية قدره، وأما الظنين فأهل أن يتهم صدقه ويكذب ظنه ويرد باطله، وما سعى رجل برجل إلي قط إلا انحط من قدره عندي ما لا يتلافاه أبدا، فلا تعطوا الوشاة أمانيهم فيمن يشون بهم، فقد قال بعض الملوك لرجل سعى بآخر: لو كنت أنت أنا ما كنت صانعا به؟ قال: كنت أقتله. فقال: أما إذ لم تكن أنت أنا فإني غير قاتله ومع ذلك فلا تدعوا الفحص عما يلقى إليكم مما تحذرون رجوع ضرره عليكم.

عوانة قال: قام رجل إلى سليمان بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين عندي نصحية. قال: وما نصيحتك هذه؟ قال: كان فلان عاملا ليزيد والوليد وعبد الملك فخانهم فيما تولاه واقتطع أموالا جليلة فمر باستخرجها منه. فقال: أنت شر منه وأخون حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا أني أنفر أصحاب النصائح لعاقبتكم ولكن اختر مني خصلة من ثلاث. قال: اعرضهن يا أمير المؤمنين. قال: إن شئت فتشت عما ذكرت فإن كنت صادقا مقتناك، وإن كنت كاذبا عاقبناك، وإن شئت أقلناك. قال: بل تقيلني يا أمير المؤمنين. قال: قد فعلت فلا تعودن بعدها إلى أن تظهر من ذي مروءة ما كتمه الله وستره.

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء: صن شكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالقناعة.

وقال الفضل بن سهل: من أحب الازدياد من النعم فليشكر، ومن أحب المنزلة عند سلطانه فليكفه، ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره. ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف:

لقد ثبتت في القلب منك محبة ... كما ثبتت في الراحتين الأصابع

قال: واصطنع رجل رجلا فسأله يوما: أتحبني يا فلان؟ قال: نعم أحبك حبا لو كان فوقك لأظلك ولو كان تحتك لأقلك.

وقال كسرى أنوشروان: المنعم أفضل من الشاكر لأنه جعل له السبيل إلى الشكر.

واختصر حبيب بن أوس من هذا شيئا في مصراع واحد فقال:

لهان علينا أن نقول وتفعلا

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/٤٧

وقال بشار:

أثني عليك ولي حال تكذبني ... فيما أقول وأستحيي من الناس

قد قلت إن أبا حفص لأكرم من ... يمشي فخاصمني في ذاك إفلاسي

ولأبي الهول في مثله:

فإني إذ مدحتك يا ابن معن ... رآني الناس في رمضان أزني

فإن أك أبت عنك بغير شيء ... فلا تفرح كذلك كان ظني

ولآخر في مثله:

لحى الله قوما أعجبتهم مدائحي ... فقالوا خفاتا في ملام وفي عتب:

أبا حازم تمدح، فقلت معذرا: ... هبوني امرأ جربت سيفي على كلب

ولبعض المحدثين:

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن ... لكنه يشتهي حمدا بمجان

والناس أكيس من أن يحمدوا أحدا ... حتى يروا قبله آثار إحسان

وقال آخر:

فلو كان يستغني عن الشكر سيد ... لعزة ملك أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره ... فقال اشكروني أيها الثقلان

الباهلي عن أبي فروة قال: أخبرني الحلبي قال: مكتوب في التوراة: اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعم إذا شكرت ولا إقامة لها إذا كفرت والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.

قيل وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: خمس يعاجل صاحبهن بالعقوبة: البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر.

وفي حديث مرفوع: دعاء المنعم على المنعم عليه مستجاب.

وقيل: أنشد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الحطيئة هذا البيت وعنده كعب الأحبار:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال كعب: يا أمير المؤمنين هذا البيت الذي قال مكتوب في التوراة! قال عمر: وكيف ذاك؟ قال: في التوراة مكتوب: من يصنع المعروف لا يضيع عندي، لا يذهب العرف بيني وبين عبدي.

قيل: ودخل أبو مسلم صاحب الدولة على أبي العباس وأبو جعفر المنصور عنده، فقال أبو العباس لأبي مسلم: يا عبد الرحمن هذا أبو جعفر عبد الله بن محمد مولاك! قال: قد رأيت مجلسه يا أمير المؤمنين ولكن هذا مجلس لا يقضى فيه حق

غيرك.". (١)

٤٧٨-"فصل لكاتبه في مثله: ولست أقابل أياديك ولا أستديم إحسانك إلا بالشكر الذي جعله الله جل وعز للنعم حارسا وللحق مؤديا وللمزيد سببا.

وقيل لرسول الله، صلى الله عليه وسلم: أليس قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا! وفي الحديث أن رجلا قال في الصلاة خلف رسول الله، صلى الله عليه وسلم: اللهم ربنا لك الحمد حمدا زاكيا طيبا مباركا فيه. فلما انصرف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: أيكم صاحب الكلمة؟ قال أحدهم: أنا يا رسول الله. فقال: لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا، وقيل: نسيان النعمة أول درجات الكفر، ولابن المقفع:

مننت على قومي فأبدوا عداوة ... فقلت لهم كفؤ العداوة والشكر

وقال آخر:

ألا في سبيل الله ود بذلته ... لمن لم يكن عندي لمعشاره أهلا

ولكن إذا فكرت فيه وجدتني ... بحسني إليه قد أفدت به عقلا

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: لا تدع المعروف لكفر من كفره فإنه يشكرك عليه أشكر الشاكرين، وقد قيل في ذلك:

يد المعروف غنم حيث كانت ... تحملها شكور أم كفور

فعند الشاكرين لها جزاء ... وعند الله ما كفر الكفور

قال بعضهم: ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر ذلك إلا لم يحاسبه على تلك النعمة، **وقال بعض الحكماء**: عند التراخي عن شكر المنعم تحل عظائم النقم.

قيل: وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كثيرا ما يقول لعائشة، رضي الله عنها: ما فعل بيتك أو بيت اليهودي؟ فتقول:

يجزيك أو يثني عليك وإن من ... أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فيقول، عليه وعلى آله السلام: قد صدق يا عائشة، إن الله جل وعز إذا أجرى لرجل على يدي رجل خيرا فلم يشكره فليس لله بشاكر.

قيل وقيل لذي الرمة: لم خصصت بلال بن أبي بردة بمدحك؟ فقال: لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي فحق لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكري.

ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر وينسبه إلى مكارم الأخلاق، من ذلك ما قاله بزرجمهر: من انتظر بمعروفه شكرا فقد استدعى عاجل المكافأة.

وقال بعض الحكماء: كما أن الكفر يقطع مادة الإنعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الأجر.

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/٥٧

وقال علي بن عبيدة: من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الإحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه.

مساوئ الشكر

قال بعض الحكماء: المعروف إلى الكرام يعقب خيرا والمعروف إلى اللئام يعقب شرا، ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصداف فيعقب لؤلؤا وتشرب منه الأفاعي فتعقب سما.

وقال سفيان: وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام.

قيل: وأثار جماعة من الأعراب ضبعا فدخلت خباء شيخ منهم.

فقالوا: اخرجها. فقال: ما كنت لأفعل وقد استجارت بي. فانصرفوا، وكانت هزيلة فأحضر لها لقاحا فجعل يسقيها حتى عاشت، فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته، فقال شاعرهم في ذلك:

ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يلاقي الذي لاقى مجير ام عامر

أعد لها لما استجارت بقربه ... غداء من البان اللقاح الغزائر

وأسمنها حتى إذا ما تملأت ... فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... يجود بمعروف إلى غير شاكر

قيل: وأصاب أعرابي جرو ذئب فاحتمله إلى خبائه وقرب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها، فقال الأعرابي:

غذتك شويهتي ونشأت عندي ... فما أدراك أن أباك ذيب

فجعت نسية وصغار قوم ... بشاتهم وأنت لهم ربيب

إذا غلبت طباع الشر فيه ... فليس لغيرها فيه نصيب

ويروى: نشأت مع السخال وأنت جرو.

ويضرب المثل بسنمار، وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فأعجبه فكره أن يبني لغيره مثله فأمر به فرمي من أعلاه حتى مات، فقيل فيه:

جزتنا بنو سعد بحسن بلائنا ... جزاء سنمار ولم يك ذا ذنب

ويروى: وما كان ذا ذنب، وفي المثل: سمن كلبك يأكلك. وقال بعضهم:". (١)

٤٧٩-"قال: ودخل قوم من حاشية المنصور وخدمه عليه فرأى منهم رجلا عليه سواد خلق فقال له: يا فلان ما لي أرى سوادك منقطعا، أما تقبض رزقك؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين ولكن أبي توفي وترك دينا فبعت تركته في قضاء دينه وصرفت أكثر رزقي إلى حرمته وولده من بعده، فقال: أعد علي ما قلت، فأعاده، فقال: ما أحسن ما فعلت! اغد علي

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/٥٨

في غد، فغدا عليه فوجد الربيع جالسا على الكرسي، فقال: قد سأل عنك أمير المؤمنين فادخل، فدخل فوجده قائما يصلي، فقضى صلاته وقال: ألم آمرك أن تغدو؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما قصرت في الغدو عند نفسي، قال: خذ ما تحت تلك المضربة، وإذا السراج يزهر وسرير صغير في ناحية المجلس ينام عليه، فرفعت المضربة فإذا دنانير، فجعلت أحثوها في كمي ثم دعوت له هو وخرجت، فبصر بصفرة دينار في ضوء السراج، فدعا لي فقال لي: انظر ما على السرير، فإذا دينار فأخذته، فقال: ادن مني، فدنوت منه فعرك أذني تعريكا شديدا فقال: تترك دينارا وفيه نفقة يومك؟ قال: فأخذت الدينار، ووزنت الدنانير وإذا هي ألف دينار عددها تسعمائة وتسعة وتسعون دينارا في عافية وأخذت واحدا بعرك الأذن.

قيل: وقال علقمة بن لبيد لابنه: يا بني إن نازعتك نفسك يوما إلى صحبة الرجال لحاجتك إليهم فاصحب من إن صحبته زانك، وإن تخففت له صانك، وإذا نزلت بك نازلة مانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت به شدد صولك. اصحب من إذا مددت يدك لفضل مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن بدت منك ثلمة سدها. اصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق.

وقال بعض الحكماء: إذا رأيت كلبا ترك صاحبه وتبعك فارجمه بالحجارة فإنه تاركك كما ترك صاحبه.

وقال آخر: اصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه، وكان يقال من قبل: صلتك، فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه.

وقال بعضهم: أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل.

وقال بعضهم: أنا أطوع لك من الرداء وأذل من الحذاء.

قيل: وقال ابن أبي دؤاد لرجل انقطع إلى محمد بن عبد الملك الزيات: ما خبرك مع صاحبك؟ قال: لا يقصر في الإحسان إلي، قال: يا هذا إن لسان حالك يكذب لسان مقالك.

مساوئ الصحبة قال: كان يوسف بن عمر يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك، وكان مذموما في عمله فحدث المدائني قال: وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب إلى دور الضرب بالعراق فضرب أهلها مائة سوط.

قيل: وخطب في مسجد الكوفة فتكلم إنسان مجنون فقال: يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن يدخل مجانينكم المسجد؟ اضربوا عنقه! فضربت عنقه.

قال: وقال لهمام بن يحيى وكان عامله: يا فاسق أخربت مهرجانقذق! قال: إني لم أكن عليها إنما كنت على ماه دينار وتقول أخربت مهرجانقذق! فلم يزل يوسف يعذبه حتى قتله.

قال وقال لكاتبه: ما حبسك عني؟ قال: اشتكيت ضرسي، قال: تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان؟ ودعا له بالحجام وأمره بقلع ضرسين من أضراسه.". (١)

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/٨٩

٤٨٠-"وعن المدائني قال: حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال: كنت لا أحجب عنه وعن حرمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصي أسود يقال له حديج فقرب إليه واحدة فقال لها: إني أريد الشخوص أفأخلفك أم أشخصك معي؟ فقالت: صحبة الأمير أحب إلي ولكني أحسب أن مقامي وتخلفي أعفى وأخف علي، قال: أحببت التخلف للفجور! اضرب يا حديج، فضربها حتى أوجعها، ثم أمره أن يأتيه بأخرى قد رأت ما لقيت صاحبتها، فقال لها: إني أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك؟ قالت: ما أعدل بصحبة الأمير شيئا بل يخرجني، قال: أحببت الجماع ما تريدين أن يفوتك! اضرب يا حديج، فضربها حتى أوجعها، ثم أمر بالثالثة أن يأتيه بها وقد رأت ما لقيت المقدمتان، فقال لها: أريد الخروج أفأخلفك أم أشخصك؟ قالت: الأمير أعرف أي الأمرين أخف عليه، قال: اختاري لنفسك، قالت: ما عندي لهذا اختيار فليختر الأمير، قال: قد فرغت أنا الآن من كل شيء ومن كل عمل ولم يبق علي إلا أن أختار لك! أوجع يا حديج، فضربها حتى أوجعها. قال الرجل: وكأنما يضربني من شدة غيظي عليه، فولت الجارية وتبعها الخادم، فلما بعدت قالت: الخيرة والله في فراقك، ما تقر والله عين أحد بصحبتك! فلم يفهم يوسف كلامها، فقال: ما تقول يا حديج؟ قال: قالت كذا وكذا، قال: يا ابن الخبيثة من أمرك أن تخبرني؟ يا غلام خذ السوط من يده وأوجع به رأسه! فما زال يضرب حتى اشتفيت.

محاسن السخاء

روي عن نافع قال: لقي يحيى بن زكرياء، عليه السلام، إبليس فقال له: أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك، قال: أحب الناس إلي كل مؤمن بخيل وأبغض الناس إلي كل منافق سخي، قال: ولم ذاك؟ قال: لأن السخاء خلق الله الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له. وقال، صلى الله عليه وسلم: السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل، وأدوى الداء البخل.

وعن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: ما أشرقت شمس إلا وبجنبتيها ملكان يناديان وإنهما ليعرفان الخلائق إلا الثقلين الجن والإنس: اللهم عجل لمنفق خلفا، اللهم عجل لممسك تلفا، وملكان يناديان: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

وعن الشعبي قال: قالت أم البنين بنت عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز: لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته، وكانت تعتق كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله، وكانت تقول: البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة.

قيل: وأعتقت هند بنت المهلب في يوم واحد أربعين رقبة.

وروي عن أم ذر قالت: أرسل ابن الزبير إلى عائشة بثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فقسمته بين الناس حتى أمست وما عندها من جميع ذلك درهم واحد، فقالت: يا جارية هلمي فطريني، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها: يا عائشة أما استطعت مما قسمت أن تشتري لحما بدرهم؟ فقالت: لا تغضبي فلو ذكرتني لفعلت، وقيل: إنها تصدقت بسبعين ألف درهم وإن درعها لمرقع.

وقال بعض الحكماء: ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة، وثواب البخل حرمان وإتلاف ومذمة.

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: يا علي كن شجاعا فإن الله جل وعز يحب الشجاع، يا علي كن سخيا فإن الله عز وجل يحب السخاء، يا علي كن غيورا فإن الله عز وجل يحب الغيور، يا علي وإن سائل سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت لها أهلا.

وقال، صلى الله عليه وسلم: السخاء شجرة في الجنة، أغصانها في الدنيا من أخذ منها بغصن قاده ذلك الغصن إلى الجنة.

قيل: وقال عبد العزيز بن مروان: لو لم يدخل على البخلاء في بخلهم إلا سوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيما.

وقال، صلى الله عليه وسلم: تجافوا عن ذنب السخي فإن الله جل وعز يأخذ بيده كلما عثر.

وقال بهرام جور: من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الأشياء فلينظر إلى ما جاد الله عز وجل به من المواهب الجليلة النفيسة والنسيم والريح وما وعدهم في الجنان فإنه لولا رضاه الجود لم يصطنعه لنفسه.". (١)

٤٨١-"قال: وقال الموبذ لأبرويز: أكنتم أنتم وآباؤكم تمنون بالمعروف وتترصدون عليه المكافأة؟ قال: لا، ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك لأنفسنا؟ وفي كتاب ديننا: إن من أظهر معروفا خفيا ليتطاول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا يعد في الأبرار ولا يذكر في الأتقياء والصالحين.

قال: وسئل الإسكندر: ما أكثر ما سررت به من ملكك؟ قال: اقتداري على اصطناع الرجال والإحسان إليهم.

قال: وقال أرسطاطاليس في رسالة له إلى الإسكندر: اعلم أن الأيام تأتي على كل شيء فتخلق الآثار وتميت الأفعال إلا ما رسخ في قلوب الناس وأودع قلوبهم محبة بمآثره يبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشريف آثارك.

قيل: ولما قدم بزرجمهر إلى القتل قيل له: أنت في آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به، فقال: أي شيء أقول؟ الكلام كثير ولكن إن أمكنك أن تكون حديثا حسنا فافعل.

قيل: وتنازع رجل من أبناء الأعاجم وأعرابي في الضيافة فقال الأعرابي: نحن أقرى للضيف، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأن أحدنا ربما لم يملك إلا بعيرا فإذا حل به ضيف نحر له، قال العجمي: فنحن أحسن مذهبا في القرى منكم، قال: وما ذاك؟ قال: نسمي الضيف مهمان، ومعناه أنه أكبر من في المنزل وأملكنا به.

قال بعض الحكماء: قام بالجود من قام بالمجهود.

وقيل: من لم يضن بالموجود هو الجواد.

وقال المأمون: الجود بذل الموجود، والبخل سوء الظن بالمعبود.

قيل: وشكا رجل إلى إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل وينفق، فقال: إن النفقة داعية إلى الرزق، وكان جالسا بين بابين فقال للرجل: اغلق هذا الباب، فأغلقه، فقال: هل تدخل الريح البيت؟ قال: لا، قال: فافتحه، ففتحه، فجعلت الرياح تخترق في البيت، فقال: هكذا الرزق إنك إذا غلقت الباب لم تدخل الريح وكذلك إذا أمسكت لم يأتك.

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/٩٠

قيل: ووصل المأمون محمد بن عباد المهلبي بمائة ألف دينار ففرقها على إخوانه، فبلغ ذلك المأمون فقال: يا أبا عبد الله إن بيوت المال لا تقوم لهذا! فقال: يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود.

وعن أمية بن يزيد الأموي قال: كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج، فقال له قولا ضعيفا فيه وعد وقلة طمع، فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته وقال: أعطه أربعمائة دينار، فاستكثرناها وقلنا: كنت رددت عليه ردا ظننا أنك تعطيه شيئا قليلا فإذا أنت قد أعطيته أكثر مما أمل! فقال: إني أحب أن يكون فعلي أحسن من قولي.

وبحاتم يضرب المثل في السخاء، فحدثنا عن بعض رجالات طيء قال: كان حاتم جوادا شاعرا، وكان حيثما نزل عرف منزله، وكان مظفرا إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقدح سبق، وإذا أسر أطلق، وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه، ولما بلغ حاتما قول التلمس:

وأعلم علم حق غير ظن ... وتقوى الله من خير العتاد

لحفظ المال خير من بغاه ... وطوف في البلاد بغير زاد

قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير على الفساد

قال: ما له، قطع الله لسانه، حرض الناس على البخل؟ أفلا قال:

فلا الجود يفني المال قبل فنائه ... ولا البخل في مال الشحيح يزيد

فلا تلتمس رزقا بعيش مقتر ... لكل غد رزق يعود جديد

ألم تر أن الرزق غاد ورائح ... وأن الذي يعطيك غير بعيد

قيل: ولما مات حاتم خرج رجل من بني أسد يعرف بالخيبري في نفر من قومه وذلك قبل أن يعلم كثير من العرب بموته فأناخوا بقبره، فقال: والله لأحلفن للعرب أني نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل، وجعل يضرب برجله قبره وهو يقول:

أعجل أبا سفانة قراكا ... فسوف أنبي سائلي ثناكا

فقال بعضهم: ما تنادي رمة! وباتوا مكانهم، فقام صاحب القول من نومه فزعا فقال: يا قوم عليكم مطاياكم فإن حاتما أنشدني:

أبا الخيبري وأنت امرؤ ... ظلوم العشيرة شتامها

أتيت بصحبك تبغي القرى ... لدى حفرة صخب هامها

تبغي لي الذم عند المبيت ... وحولك غوث وأنعامها". (١)

٤٨٢-"**وقال بعض الحكماء**: لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فإن الكريم محتال والدني عيال، وقال:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/٩١

ولا ترض من عيش بدون ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا
وتقول العرب: كلب جوال خير من أسد رابض. وتقول أيضا: من غلى دماغه صائفا غلت قدره شاتيا.
ووقع عبد الله بن طاهر: من سعى رعى، ومن لزم المنام رأى الأحلام.
وقال الكسروي: أخذ من توقيع أنوشروان بالفارسية هرك روذ خرذ هرك خسيذ خاف وينذ، وأنشد:
كفى حزنا أن النوى قذفت بنا ... بعيدا وأن الرزق أعيت مذاهبه
ولو أننا إذ فرق الدهر بيننا ... غني واحد منا تمول صاحبه
ولكننا من دهرنا في مؤونة ... يكالبنا طورا وطورا نكالبه
ولآخر:
إذا المرء لم يبغ المعاش لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأذنين كلا وأوشكت ... صلات ذوي القربى له أن تنكرا
ولآخر:
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال غنيمة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
ولآخر:
وليس الرزق عن طلب حثيث ... ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجيء بمثلها يوما ويوما ... تجيء بحمأة وقليل ماء
ولآخر:
وقد علمت وعلم المرء ينفعه ... أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعنيني تطلبه ... ولو قعدت أتاني لا يعنيني
ولآخر:
لعمرك ما كل التبطل ضائر ... ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى ... عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
وإن ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ... ألا كل ضيق في عواقبه سعه
ولآخر:
سهل عليك فإن الأمر مقدور ... وكل مستأنف في اللوح مسطور
يأتي القضاء بما فيه لمدته ... وكل ما لم يكن فيه فمحظور
لا تكذبن وخير القول أصدقه ... إن الحريص على الدنيا لمغرور
ولآخر:
لا يتعبنك شيء أنت تطلبه ... وقد تقدمك المقدور والقلم

ولآخر:
لا تعتبن على العباد فإنما ... يأتيك رزقك حين يؤذن فيه
ولآخر:
هي المقادير تجري في أعنتها ... فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس القوم ترفعه ... دون السماء ويوما تخفض العالي
ولآخر:
اصبر على زمن جم تلونه ... فليس من شدة إلا لها فرج
تلقاه بالأمس في عمياء مظلمة ... ويصبح اليوم قد لاحت له السرج
ولآخر:
ألا رب راجي حاجة لا ينالها ... وآخر قد تقضى له وهو آيس
يجول لها هذا وتقضى لغيره ... فتأتي التي تقضى له وهو جالس
ولآخر:
أتطلب رزق الله من عند غيره ... وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضى بصراف وإن كان مشركا ... ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا
كأنك لم تقنع بما في كتابه ... فأصبحت مدخول اليقين مباينا
ولآخر:
إني لأكرم نفسي أن أدنسها ... بشين عرضي وبذل الوجه للناس
والله ضامن رزقي ما حييت وما ... في ضمن ذي العرش من شك ولا باس
إني رأيت سؤال الله مكرمة ... وفي سؤال سواه أعظم الياس
قيل: ووجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة فيه مكتوب: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى، عليه السلام، خرج يقتبس نارا فنودي بالنبوة. وأنشد:
ولما أن عييت بما ألاقي ... وأعيتني المسائل والقروض
ذكرت الله لا أرجو سواه ... ورب العرش ذو فرج عريض
ولآخر:
يا صاحب الغم إن الغم منقطع ... أبشر بخير كأن قد فرج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ... لا تيأسن فإن الصانع الله". (١)

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/١٣٣

٤٨٣-"ولا تصر من حبل امريء في رضى امريء ... فيتصلا يوما وحبلك أبتر

محاسن الصدق

قال بعض الحكماء: عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق، والصدق عز وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب، ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق.

وقيل: الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور.

وقال ابن السماك: ما أحسبني أؤجر على ترك الكذب لأني أتركه أنفة.

وقال الشعبي: عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك.

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: كذب الرجل لأهله ليرضيها، وإصلاح بين الناس، وكذب في حرب.

وقال بعض الحكماء: الصدق عز والكذب خضوع.

وقال آخر: لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لقد كان حقيقا بذلك فكيف وفيه المأثم والعار! ومن المعروفين بالصدق أبو ذر الغفاري، قال النبي، صلى الله عليه وسلم: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على أصدق ذي لهجة من أبي ذر.

ومنهم العباس بن عبد المطلب، حدثنا الحكم بن عيسى عن الأعمش عن الشعبي قال: اطلع العباس على النبي، صلى الله عليه وسلم، وعنده جبريل، عليه السلام، فقال له جبريل، عليه السلام: هذا عمك العباس؟ قال: نعم. قال: إن الله جل وعز يأمرك أن تقرأ عليه السلام، وتعلمه أن اسمه عبد الله الصادق وأن له شفاعة يوم القيامة. فأخبره، صلى الله عليه وسلم، بذلك، فتبسم العباس. فقال له النبي، صلى الله عليه وسلم: إن شئت أخبرتك مما تبسمت وإن شئت أن تقول فقل. قال: بل تعلمني يا رسول الله. قال: لأنك لم تحلف يمينا في جاهلية ولا إسلام برة ولا فاجرة ولم تقل لسائل لا. قال: والذي بعثك بالحق ما تبسمت إلا لذلك.

ومنهم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال يوم النهروان لأصحابه: شدوا عليهم فوالله لا يقتلون عشرة ولا ينجو منهم عشرة.

فشدوا عليهم فوالله ما قتل من أصحابه تمام عشرة ولا نجا منهم تمام عشرة.

ثم قال: اطلبوا ذا الثدية. فطلبوه فقالوا: لم نجده. فقال: والله ما كذبت قط ولا كذبت، والله لقد أخبرني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه يقتل مع شر جيل يقتلهم خير جيل. ثم دعا ببغلة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فركبها فسار حتى وقفت على قليب فيه قتلى فقال: اقلبوا القتلى واطلبوه بينهم. فإذا هو سابع سبعة، فلما أخرجه قال: الله أكبر! لولا أن تنكلوا فتتركوا العمل لأخبرتكم بما جعل الله جل وعز لمن قتلهم على لسان نبيه، صلى الله عليه وسلم.

ومن الأخبار في مثله قيل: دخل هشام بن عروة على المنصور فقال له: يا أبا المنذر أتذكر حيث دخلت عليك أنا وأخي مع أبي الخلائف وأنت تشرب سويقا بقصبة يراع فلما خرجنا من عندك قال أبي: استوصوا بالشيخ خيرا واعرفوا حقه فلا يزال في قومكم بقية ما بقي؟ قال: ما أثبت ذاك يا أمير المؤمنين. فلامه بعض أهله وقالوا: يذكرك أمير المؤمنين ما يمت به

إليك وتقول له لا أذكره؟ فقال: لم أذكره ولم يعودني الله في الصدق إلا خيرا.
قال: قدم زياد على معاوية، فلما طال بهم المجلس حدثه زياد بحديث، فقال له معاوية: كذبت. فقال: مهلا يا أمير المؤمنين فوالله ما حللت للكلام حبوة إلا على بيعة الصدق ولم أكذب، وحياة الكذب عندي موت المروءة، فاستحياه معاوية وقال: يغفر الله لك يا أخي، فكأني أرى بك حرب بن أمية في جميل شيمه وكرم أخلاقه.
قال: وكان الفضلبن الربيع يخاطب الرشيد فقال له الرشيد: كذبت. فقال: يا أمير المؤمنين وجه الكذب لا يقابل وجهك ولسانه لا يقابل جوابك.
محاسن الكذب
روي عن المغيرة بن إبراهيم قال: لم يرخص لأحد في الكذب إلا للحجاج بن علاط، فإنه لما فتحت خيبر قال لرسول الله: إن لي عند امرأة من قريش وديعة فإن أذن لي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن أكذب كذبة فلعلي أن أستل وديعتي. قال: فرخص له. فقدم مكة فأخبرهم أنه ترك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أسيرا في أيديهم يأتمرون فيه، قائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث إلى قومه فيكون ذلك منة.". (١)

٤٨٤-"قال الأصمعي: قال الخليل بن سهل: يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مصمت في غلظ الراقود؟ قال: فقلت ها هنا أعرابي له معرفة فاذهب بنا إليه نحدثه بهذا. فذهبت به إلى الأعرابي فقال له ذلك فقال الأعرابي: قد سمعنا بهذا وقد بلغنا أن رستم هذا واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما ورأسه في حجر أمه فقالت لهما: ما شأنكما؟ فقالا: بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه، فانتبه فزعا من كلامهما فنفخهما فألقاهما إلى أصفهان فقبورهما اليوم بها. فقال الخليل: قبحك الله ما أكذبك! فقال: يا ابن أخي ما بيننا شيء إلا وهو دون الراقود.
قيل: وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوما إلى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم: نحن كما قال الله عز وجل: سماعون للكذب أكالون للسحت.
وممن ذم الكذب
قيل: إنه وجد في كتب الهند: ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق.
وقال قتيبة بن مسلم لبنيه: لا تطلبوا الحوائج من كذوب فإنه يقربها وإن كانت بعيدة ويبعدها وإن كانت قريبة، ولا من رجل قد جعل المسألة مأكلة فإنه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها، ولا من أحمق فإنه يريد نفعك فيضرك.
وقيل: أمران لا ينفكان من كذب: كثرة المواعيد وشدة الاعتذار.
وقال: كفاك موبخا على الكذب علمك بأنك كاذب.
وقال رجل لأبي حنيفة: ما كذبت قط. فقال: أما هذه فواحدة.
وفي المثل: هو أكذب من أسير السند، وذلك أنه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم أنه ابن الملك. ويقال: هو أكذب من الشيخ

(١) المحاسن والمساوئ ص/١٦٩

الغريب، وذلك أنه يتزوج في الغربة وهو ابن سبعين سنة فيظن أنه ابن أربعين سنة. وقيل: هو أكذب من مسيلمة.

ومما قيل في ذلك من الشعر:

حسب الكذوب من البل ... ية بعض ما يحكى عليه

ما إن سمعت بكذبة ... من غيره نسبت إليه

ولآخر:

لقد أخلفتني وحلفت حتى ... إخالك قد كذبت وإن صدقتا

ألا لا تحلفن على يمين ... فأكذب ما تكون إذا حلفتا

ولآخر:

كلام أبي خلف كله ... نداء الفواخت جاء الرطب

وليس وإن كن يشبهنه ... يقاربنه أبدا في الكذب

ولآخر:

قد كنت أنجز دهرا ما وعدت إلى ... أن أتلف الوعد ما جمعت من نشب

فإن أكن صرت في وعدي أخا كذب ... فنصرة الصدق أفضت بي إلى الكذب

محاسن فضل المنطق

سئل بعض الحكماء عن المنطق والصمت فقال: إنك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر عن شيء فهو أفضل منه.

وسئل آخر عنها فقال: أخزى الله المساكنة فما أفسدها للسان وأجلبها للعي والحصر، والله للمماراة في استخراج حق أسرع في هدم العي من النار في يابس العرفج. فقيل له: قد عرفت ما في المماراة من الذم. فقال: إن ما فيها أقل ضررا من السكتة التي تورث عللا وتولد أدواء أيسرها العي.

وقال بعض الحكماء: اللسان عضو فإن مرنته مرن وإن تركته حزن.

محاسن الصمت

الهيثم بن عدي **قال بعض الحكماء**: تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات رميت عن قوس واحدة فقال كسرى: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قد قلت. وقال ملك الهند: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني وإن كنت أملكها. وقال قيصر: لا أندم على ما لم أقل وقد أندم على ما قد قلت. وقال ملك الصين: عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول.

وقال بعضهم: من حصافة الإنسان أن يكون الاستماع أحب إليه من المنطق إذا وجد من يكفيه، فإنه لن يعدم في الاستماع والصمت سلامة وزيادة في العلم.

وقال بعض الحكماء: من قدر أن يقول فيحسن قادر أن يصمت فيحسن، وليس كل من صمت فأحسن قادر أن يقول

فيحسن.

وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي: كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام.

وكان يقال: من سكت فسلم كان كمن قال فغنم.

وقال علي بن عبيدة: الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول.

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إن الله جل وعز يكره الانبعاق في الكلام، فرحم الله امرأ أوجز في كلامه واقتصر على حاجته.". (١)

٤٨٥-"قال: وسمع بعض الحكماء رجلا يقول: إني غريب. فقال: الغريب من لا أدب له.

وكان يقال: من قعد به حسبه نهض به أدبه.

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: العلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال يبيده الإنفاق، والعلم يزكو على الإنفاق، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

وقيل لبزرجمهر: الأدب أفضل أم المال؟ قال: بل الأدب. قيل له: فما بال الأدباء بباب الأغنياء ولا نرى الأغنياء بباب الأدباء؟ فقال: لعلم الأدباء بمقدار فضل المال وجهل الأغنياء بمقدار الأدب.

وقال بعض الحكماء: إن كان الرزق لا بد مطلوبا بسبب فأفضل أسبابه ما افتتح بالأدب، ونظرنا فلم نره اجتمع لشيء من أصناف الصناعات كما اجتمع للكتبة لأنها لا تكمل لأحد حتى يبتدئها برياضة نفسه في الأدب فينفذ في الخط والبلاغة في الكتب والفصاحة في المنطق والبصر بصواب الكلام من خطابه والعلم بالشريعة وأحكامها والمعرفة بالسياسة والتدبير.

المناظرات في الأدب

حدثنا أبو ناظرة البصري عن المازني قال: بينا أنا قاعد في المسجد إذا صاحب بريد قد دخل وهو يسأل عني ويقول: أيكم المازني؟ فأشار الناس إلي، فقال: أجب، قلت: من ومن أجيب؟ قال: الخليفة، فذعرت منه وكنت رجلا فاطميا فظننت أن اسمي رفع فيهم فقلت: أصلحك الله! تأذن لي أن أدخل منزلي فأودع أهلي وأتأهب لسفري؟ فقال: افعل. فعلمت أنه لو كان شرا لما أذن لي فسكنت إلى قوله ودخلت المنزل فودعتهم وخرجت إليه، فحملني على دابة من دواب البريد حتى وافى بي باب الواثق، فما كان إلا قليلا حتى أذن لي فدخلت إلى بهو وإذا رجل قاعد وعلى رأسه سبعون وصيفا. فذهبت أسلم عليه بالخلافة. فقيل لي: هذا بغا. ثم تقدمت إلى بهو آخر فإذا رجل قاعد على كرسي وبين يديه سبعون وصيفا. فذهبت أسلم عليه بالخلافة فقيل: هذا وصيف. حتى دفعت إلى الستر فما زال يقول: اذهب ادن ادن، حتى حاذاني بسريره، ثم قال: ما اسمك؟ قلت: بكر بن محمد. قال: ممن سمعتها؟ يعني اللغة. قلت: من مزاحم العقيلي، فقال حدثني. فلم أدر بما أحدثه وقلت: لعل حديثي على البديهة يعجبه، قلت: يا أمير المؤمنين قال رؤبة بن العجاج:

لا تعلواها وادلواها دلوا ... إن مع اليوم أخاه غدوا

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/١٧٣

فكأنه فطن لما أردت فقال: أجل أتدري لم دعوناك؟ قلت: لا. قال: وقع بيني وبين جارية لي شجار في بيت أردت لها إعرابه فامتنعت علي وقالت: سل المازني. قلت: فأسمعني يا أمير المؤمنين. قال: نعم. وأومأ إلى خادم بين يديه فضرب ستارة كادت عيني تلتمع من كثرة ذهبها ثم سمعت وراءها نقرا لولا جلالة أمير المؤمنين لرقصت عليه، ثم غنت:

أظليم إن مصابكم رجلا ... أهدى السلام تحية ظلم

فقال: كيف ما سمعت؟ قلت: صواب. قال: فقد أخطأنا إذا، قلت: وكيف؟ قال أمير المؤمنين قلت:

أظليم إن مصابكم رجل ... أهدى السلام تحية ظلم

فقلت: وأصاب أمير المؤمنين. قال: فكاد يقوم إلي فرحا، ثم أدخل رأسه في الستارة فأومأ إلي الخادم في الخروج فخرجت فناولني صرة فيها خمسمائة دينار وحملت على البريد حتى رددت إلى منزلي بالبصرة. والشعر لأبي دهبل الجمحي يقول فيه:

عقم النساء فلا يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عقم

فلا يلدن شبيهه أجود.

وحدثنا علي بن يزيد عن إسحاق بن المسيب بن زهير قال: حدثني المفضل قال: كنت يوما عند الصراة ببغداد وكنت في الصحابة فأتاني رسول المهدي فقال لي: أجب. فخفت أن يكون ساع سعى بي، فدخلت منزلي ولبست ثيابي وهممت أن أخبر أهلي ثم قلت: لم أعجل لهم الهم؟ إن كان خير سيأتيهم وإن كان غير ذلك فلا أكون عجلته لهم. فمضيت حتى دخلت عليه وأنا مرعوب فسلمت عليه ورد السلام، وإذا عنده الفضل بن الربيع وعلي بن يقطين وغيرهما، فقال: إن هؤلاء زعموا أنك أعلم الناس بالشعر فأخبرني ما أشعر بيت قالته العرب؟ فوقعت في شيء لم أدر كيف هو فجهدت والله أن أنشده بيتا من شعر فما قدرت عليه. فقال لي: ما لك لا تتكلم؟ فجرى على لساني ذكر الخنساء فقلت: لقد أحسنت الخنساء في قولها:

وإن صخرا لمولانا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتوا لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار". (١)

٤٨٦-"قيل: وقال عبد الملك للحجاج: كيف تسير في الناس؟ قال: أنظر إلى عجوز أدركت زيادا فأسألها عن سيرته ثم أعمل بها. قال عوف الأعرابي: فأخذ والله بسيء أخلاقه وترك أحسنها.

قال: واختصم إلى زياد رجلان فقال أحدهما: أصلح الله الأمير! هذا يدل علي بخاصة زعم أنها له منك. فقال: صدق وسأخبرك، إن كان الحق لك عليه قضيت عليه وقضيت عنه، وإن كان الحق له عليك أخذتك به أخذا عنيفا.

محاسن التأني

قال بعض الحكماء: التؤدة يمن وفي اليمن النجح. وأنشد في ذلك القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/١٧٥

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: من حرم الرفق فقد حرم الخير.

ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه:

اصبر على مضض الإدلاج بالسحر ... وفي الرواح على الحاجات والبكر

لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها ... فالنجح يتلف بين العجز والضجر

إني وجدت، وفي الأيام تجربة، ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يحاوله ... فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، لعائشة، رضي الله عنها: عليك بالرفق فإن الرفق لا يخالط شيئا إلا زانه ولا يفارق شيئا إلا شانه، وخلق الله جل وعز السموات والأرض في ستة أيام ولو شاء جل وعز قال لها كوني فكانت، وفي المثل: رب عجلة تهب ريثا، يقول: رب عجلة يراد بها صلاح الأمر فتفسده حتى لا يصلح إلا بعد مدة طويلة، فكأنها كانت ريثا. وهذا قريب من قول بزرجمهر: إن شرا من التواني الاجتهاد في غير حينه. وأنشدنا ابن حمزة:

الخرق شؤم والأناة سعادة ... فاستأن حلمك في أمورك تسلم

وكان يقال: إن من الحزم الأناة والتثبيت فإن العجلة لا تزال تورث أهلها حسرة وندامة. وأنشد:

الرفق يمن والأناة سعادة ... فاستأن في رفق تلاق نجاحا

مساوئ العجلة والحدة

قيل: سأل المأمون أحمد بن أبي خالد عن أخلاق أبي عباد ثابت الكاتب فقال: هو يا أمير المؤمنين أحد من سيف سعيد بن العاص وأنزق من مجنون البكرات، قال: ما أتبين ذلك فيه. قال: لموضع الخلافة وعلى ذاك فإن حركته تحرك. فأراد المأمون أن يمتحنه فدخل عليه فعرض ما معه من الحوائج فأمره أن يوقع فيها ثم خرج. فلما صار بالباب قال: ردوه. فرجع. فقال: افعل في الأهوازيين ما قلت لك ولا تعرض فيه رقعة. قال: نعم. ثم خرج. فلما صار بالباب قال: ردوه. فأتاه الرسول فقال: ارجع. فرجع. فقال: قل لعمرو بن مسعدة أخر أمر أبي دلف حتى آمرك بما أريد. ثم خرج. فلما صار بالباب قال: ردوه. فأتاه الرسول فقال: ارجع. فتناول الدواة وقال: الساعة والله أضرب بها وجهك القبيح يا ابن الخبيثة! قال الغلام: ما ذنبي؟ قال: ينبغي أن تقول قد ذهب إلى النار. ورجع فقال: ارفع في غد فيما تعرض قصة الهاشميين. قال: نعم. ثم قال: والله لا أرجع بعدها! فضحك المأمون حتى أمسك بطنه وقال: انطلق راشدا.

قال: وقعد المأمون ذات يوم وأبو عباد يكتب بين يديه إذ دخلت شعرة بين سني القلم فأهوى لإخراجها بأسنانه ثم كتب فإذا هي على حالها، فأهوى إليها ثانية فقطع طرفها وبقي أصلها ثم كتب فإذا هي قد أعمت حروفه، فأخذ القلم فاتكى عليه بأسنانه وكسره وقال: لعنك الله ولعن من يراك ولعن من أنت له! فضحك المأمون وقال: بحق قيل فيك ما قيل.

محاسن المكافأة

قال بعض الحكماء: لا يكونن سلاحك على عدوك أن تكثر سبه وشتمه فإنك إنما تخبر عن خبره فيك وعجزك عنه، ولكن عامله بالكظم وساتره بالحيلة، فإن أقدمت أقدمت مع الفرصة وإن غلبت على الظفر لم تغلب على ستر العجز.

وقيل: الأدب الصبر على كظم الغيظ حتى تملك الفرصة.". (١)

٤٨٧-"قال: وعاش يزيد بن زبيبة الشيباني دهرا طويلا حتى لحق زمن الحجاج وسعى مع ابن الأشعث، فظفر به الحجاج وورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان يأمره بقتله. فلما دعا به قال له: أيها الأمير اتق الله بسبع عشرة نسوة أو تسع عشرة نسوة ليس لهن قيم غيري! قال: أحضرهن. فلما أحضرهن سألهن الحجاج عن شأنهن فما منهن امرأة إلا وهي تقول: اقتلني ودعه. فقامت بنية له صغيرة فبكت بكاء حارا موجعا محرقا وأنشأت تقول:

أحجاج إما أن تجود بنعمة ... علينا وإما أن تقتلنا معا

أحجاج كم تفجع به إن قتلته ... ثلاثا وعشرا واثنتين وأربعا

فمن رجل دان يقوم مقامه ... علينا فمهلا لا تزدنا تضعضعا

فرحمه الحجاج وكتب إلى عبد الملك يسأله العفو عنه، فأجابه إلى ذلك، وأطلقه.

مساوئ من كره البنات

قيل: وبشر الأحنف بجارية فبكى. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لم لا أبكي وهي عورة، وبكاؤها عبرة، وهديتها سرقة، ونصرتها البكاء، ومهنأها لغيري! ومما قيل فيها من الشعر:

لولا البنية لم أجزع من العدم ... ولم أجب في الليالي حندس الظلم

وزادني رغبة في العيش معرفتي ... ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم

تهوى بقاي وأهوى موتها شفقا ... والموت أكرم نزال على الحرم

مخافة الفقر يوما أن يلم بها ... فيكشف الدهر عن لحم على وضم

إذا تذكرت بنتي حين تندبني ... فاضت لرحمة بنتي عبرتي بدم

ولآخر:

أحب بنيتي ووددت أني ... دفنت بنيتي في جوف لحد

وما لي بغضها غرضا ولكن ... مخافة ميتتي فتضيع بعدي

مخافة أن تصير إلى لئيم ... فيفضح والدي ويشين جدي

فليت الله أكرمها بقبر ... وإن كانت أعز الناس عندي

فتستر عورتي وتكون أجرا ... إذا قدمتها وكتمت وجدي

وتتبع بعد ذاك بأم صدق ... فتؤنس بنتها وأعيش وحدي

ولآخر:

فكل أبي بنت يرجي ببعلها ... ثلاثة أصهار إذا عدد الصهر

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/٢٠٤

فزوج يراعيها وحدن يصونها ... وقبر يواريها وخيرهم القبر

مساوئ البنات

ذكروا أن الضيزن الغساني ملك الحيرة سار إليه سابور ذو الأكتاف، فتحصن الضيزن وحاصره شهرا، وأن مليكة بنت الضيزن نظرت من ناحية السور إلى سابور فهويته وأرسلت إليه: إني قد هويتك وسأدلك على فتح هذه المدينة. فقال: افعلي وأنا لك وبين يديك. فأسكرت حفاظ السور وفتحت الأبواب، فدخل سابور فقتل من قدر عليه وأخذ أباها أسيرا. فلما أصبح سابور أمر فأدخل إليه الضيزن وهو قاعد على سرير من ذهب والجارية إلى جنبه، فلما رآها ضرب بيده ورجله وغشي عليه، وقال لها حين أفاق: ما لك سود الله وجهك كما سودت وجهي وسلطه عليك؟ فأمر به سابور فضربت عنقه وغنم هو وأصحابه غنائم كثيرة وانصرف إلى دار ملكه وأمر للجارية بمقصورة فبنيت لها فأسكنها فيها وأعجب بها إعجابا شديدا، فمكثت عنده حولا ثم إنه دعاها ذات ليلة فباتت معه على فراش حشوه ريش فقلقت قلقا شديدا. فقال لها: ما لك يا حبيبتي؟ قالت: إن في الفراش شيئا خشنا قد أقلقني. ففتش الفراش فوجد تحت الريش ورقة آس وإذا هي قد أثرت في جنبها بمقدار الورقة لرطوبة جسدها ولين بشرتها. فقال لها: ما الذي كان أبوك يغذوك به؟ قالت: بالمخ ولباب الدرمك، وهو الحوارى، بالسكر الطبرزد. فقال: والله لأكافينك! فأمر بها فشدت ضفائرها إلى أذناب فرسين فركضا فتقطعت.

محاسن الإخوان

قال بعض الحكماء: ليس للعقلاء تنعم إلا بمودات الإخوان.

وقال آخر: الازدياد من الإخوان زيادة في الآجال وتوفير لحسن الحال.

وقال المأمون: الإخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه، وطبقة كالدواء يحتاج إليه أحيانا، وطبقة كالداء الذي لا يحتاج إليه.

وقيل: أبعد الناس سفرا من كان سفره في ابتغاء صالح.

وكان يقال: أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان. وأنشد:

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ... ولكن إخوان الثقات الذخائر". (١)

٤٨٨-"تبدى في قميص اللاذ يمشي ... عدو لي يلقب بالحبيب

فقلت له: بم استحسنت هذا؛ ... لقد أقبلت في زي عجيب

فقال: الشمس أهدت لي قميصا ... بديع اللون من شفق الغروب

فثوبي والمدام ولون خدي ... قريب من قريب من قريب

وديك الجن هو الذي أبدع هذا الفن ونهجه للشعراء فقال:

أيا قمرا تبسم عن أقاح ... ويا غصنا يميس مع الرياح

---

(١) المحاسن والمساوئ ص/٢٤٠

جبينك والمقلد والثنايا ... صباح في صباح في صباح

وقال أيضا:

ومزر بالقضيب اذا تثنى ... ومزهاة على القمر التمام

سقاني ثم قبلني وأوما ... بطرف سقمه يشفي سقامي

فبت له، خلا الندمان، أسقى ... مداما في مدام في مدام

وقال الصنوبري في الأخضر وأحسن فيه:

وشاطرة أدبتها الشطاره ... حلى الروض من حسنها مستعاره

أميرة حسن إذا ما بدت ... أقر الأمير لها بالأماره

بدت في لباس لها أخضر ... كما تلبس الورق الجلناره

فقلنا لها: ماسم هذا اللباس ... فردت جوابا ظريف العباره

شققنا مرائر قوم به ... فنحن نسميه شق المراره

وقال بشار في الأحمر:

وخذي ملابس زينة ... ومعصفرات هن أنور

وإذا دخلنا فادخلي ... في الحسن إن الحسن أحمر

قال بعض الحكماء: الحسن أحمر، أي من أراد صبر على مضرته وشدائده.

من قولهم: موت أحمر، أي يراق فيه الدم.

قال أبو زبيد:

إذا علقت قرنا خطاطيف كفه ... رأى الموت بالعينين أسود أحمرا

آخر:

طلعت في مصبغ جلناري ... طلعة البدر في انقضاء النهار

طاف من حولها الجواري فقلنا ال ... بدر حفت به النجوم الدراري

خيزرانية المعاطف قصري ... ية قصر الطراز والأكوار

كتب الحسن فوق عارضها قا ... فا من الليل في أديم النهار

علي بن الجهم:

طلعت وهي في ثياب حداد ... طلعة البدر من خلال السحاب

بت في اللهو واللذاذة ليلي ... أرشف الخمر من ثنايا عذاب

نتجنى وساعة نتراضى ... عبثا، والقلوب غير غضاب

وشربنا من العتاب كؤوسا ... وجعلنا التقبيل نقل الشراب

وقال الحسين بن الضحاك، وقد أقبل شفيع الخادم بشراب أحمر وعليه قباء أحمر:
وكالوردة الحمراء جاء بحمرة ... من الورد يسعى في القراطق كالورد
له عبثات عند كل تحية ... بكفيه تستدعي الخلي إلى الوجد
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة ... تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله عصرا لم أبت فيه ليلة ... من الدهر إلا من حبيب على وعد
وله فيه:
وأبيض في حمر الثياب كأنه ... إذا ما بدا نسرينه في شقائق
سقاني بكفيه رحيقا وسامني ... فسوقا بعينيه ولست بفاسق
ولو كنت شكلا للهوى لاتبعته ... ولكن شيبي بالصبا غير لائق
وقال العلوي في الغلالة البالية، ولم يسبق إلى معناه:
يا قمرا ثوبه ورامقه ... منه حذار البلى على خطر
يا من حكى الماء فرط رقته ... وقلبه في قساوة الحجر
ياليت حظي كحظ ثوبك من ... جسمك ياواحدي من البشر
لا تعجبا من بلى غلالته ... إذ زر كتانه على القمر
وقال ابن المعتز في اللباس الخلق، وأحسن فيه:
ما بين باب الوزير والمسجد الجامع ظبي كالظبي في غيده
أثوابه رثة فقد ضاع، لا ... ضاع، وضاع التمييز في بلده
ليس له ناقد فيعرفه ... وآفة التبر ضعف منتقده
وقال المهلبي في الأحمر:
ويح نفسي من لوعة الإشتياق ... ورسيس الهوى ووشك الفراق". (١)

٤٨٩-"تصيخ من الإصاخة وهو الإستماع والإصغاء، يقال: أصاخ وأساخ بمنعى واحد ذكره في (معالم السنن) ولم يذكره الجوهري في السين، والصماخ بالكسر خرق الأذن ويطلق على الأذن نفسها، كذا في القاموس، قال في (النهاية) وقد يقال بالسين أيضا وهو آلة السمع الذي هو القوة المركبة في العصب المفروش على طاهر الصماخين يدرك بها الأصوات، والمراد أنها تميل مستمعة بأذنها إلى ما ألقي في صماخها من الكلمات المسموعة لتفرغه إلى خزانة الحس المشترك لأن الحواس الخمس الظاهرة خدم وأعوان له يرفع كل منها ما جعل آلة له آلية، والإصاخة بالأذن وغن كان حقها في الظاهر أن يكون إلى الكلمات لكنها لما كان الإدراك بواسطة السماخ الذي هو محل القوة، علق الإصاخة به، وقوله: ويخرج البيضة إلى آخره،

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ص/٣٧

الفرخ ولد الطائر، ومعنى إخراجها سلبها عن الفراخ وتجردها منه إذ هو أمر نسبي، فكما يقال: خرج الفرخ من البيضة، يصرح أن يقال: خرجت البيضة من الفرخ إذا خلت من الفرخ، ويحتمل أيضا أن الفرخ إذا قوي وبلغ إمكان أن يبيض صح إخراج البيضة منه وتسميته فراخا حينئذ مجازا مرسلا علاقته الكون، ويعود الضمير إلى البيضة باعتبار جنسها ويحتمل أيضا أن يكون المعنى على القلب لغرض المبالغة في حصول الأثر والأصل ويخرج الفراخ من البيضة مثل عرضت الناقة على الحوض، والوجه الأول أقرب والمعنى أن الفرخة البيضة إذا بلغ حالة الإستعداد لقبول الروح تأثر عنه الأفعال التي منها الخروج والحركة.

؟ فائدة: **قال بعض الحكماء**: البيضة صارت رطبة لغلبة الماء ونقصان والهواء والنار الطبيعة للأرض، فصفرة البيض تشبه طبيعة الهواء، وبياضها تشبه طبيعة الماء، ولذلك يطير الطائر، والمادة الترابية أقل ولذلك لم يخلق له الأسنان والأضراس والفرخ من البياض والصفرة غذائه.

يحول في الخال ما استقبل ... وينثني منخفضا إذا اعتلى

قد علمت أن الروح هو الجوهر المجرد عن المادة، فإذا استقبل أمرا يحول إليه في حالته تلك بلا عائق يعوقه عن مراده من مكان ولا زمان، إذ لا يفتقر إلى ذلك كما في الأجسام الكثيفة المحتاجة في حركتها إلى مسافة تقطعها، وزمان تتمهل فيه، وشاهد ذلك أن الإنسان في نومه تجول نفسه بعالم الملكوت حتى تشاهد عجائبه، ويضرب لها الأمثال التي هي عبارة عن أمور تصادفها في اليقظة من خير أو شر وهي الرؤيا التي ورد بها صحيح الأخبار، ووضع لها علم التعبير، فإذا استيقظ عادت إليه كلمح البصر، وهو معنى قوله: وينثني منخفضا إذا اعتلى، ومن ذلك خروج روح المؤمن عند الموت وصعودها إلى سدرة المنتهى، ثم تعود إلى الميت فتدرج في أكفانه، وفي بعض الأخبار، ترفرف عليه وتشاهد من حضرها وتسمع كلامه حتى يدفن الميت، فيجيء بها لسؤال منكر ونكير كما حقق ذلك مبسوطا في تذكرة القرطبي، ومن ذلك النفوس المقدسة المصفاة عن شوائب الكدورة قد يحصل لها هذا المقام في اليقظة. قال الغزالي في (مشكاة الأنوار) : العقل الذي هو عبارة عن الروح يستوي عنده القريب والبعيد، بل يعرج في طرفة عين إلى أعلى السموات رقيا وينزل في لحظة إلى تخوم الأرض هويا، بل إذا حقت الحقائق انكشف أنه منزه عن أن يحوم بجنبان قدسه معاني القرب والبعد فإنه أنموذج من نور الله

سكونه تحرك للفعل ... ففعله الشيء بغير شغل

يريد أن سكونه في البدن سبب لتحركه وظهور آثاره على الوجه الذي نقلناه آنفا عن تفسير أبي السعود فراجعه، ففعله الشيء إذا رام بلا تجشم مشقة، ولا مزاولة شغل، إذ هو يلقيه إلى ما في القلب من الروح الحيواني وهو يلقيه إلى الدماغ بالوسائط وعند ذلك تتحرك الأعضاء لفعل ذلك المراد كما مر بيانه، وقوله: سكونه مبني على ما ذهب إليه جمهور المتكلمين من أهل السنة ومنهم الإمام يحيى وابن الخطيب في مفاتيح الغيب كما مر تحقيقه في المقدمات ويصح أن يراد به التعلق كما ذهب إليه الغزالي ومن معه فسمي سكونا على طريقة الإستعارة المصرحة.

الجسم منه الروح من سواه ... لطافة ولفظه معناه". [١]

٤٩٠-"فلو لم يكن الحسن في نفس الأمر كذلك، ولكل ذي نظر دقيق مالك ما اختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات، ولا بالغ كل في تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده، والخلاف إنما هو بالألفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأي أهل التحقيق من سائر الموارد، ومن ثم قال بعضهم:

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... وكل إلى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده، واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه في أحسن مبنى بقوله:

فكم بين حذاق الجدال تنازع ... وما بين عشاق الجمال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة، فقالوا الحلاوة في العين والملاحة في الفم والجمال في الأنف، والظرف في اللسان. وقالوا إذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم فتمامه الفلج يعني في الثغر وطلاوة الجبين البلج، وبريق الوجنة الضرج. وأحسن ما تكون المرأة إذا طال منها الأطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين واللسان واليد والرجل، والمراد بالقصر القصر المعنوي كعدم الطموح بالعين وأخذ شيء فوق الحاجة والخروج من بيتها وأبيض منها اللون والفرق والثغر وبياض العين، والمراد بالثغر الاسنان، أما اللثة فقد مدحت العرب سوادها، وإلى ذلك أشار طرفة بقوله:

سقته أيات الشمس إلا لثاته ... أسف ولم تكدم عليه باثمد

واسود منها الهدب والعين والحاجب والشعر، واحمر منها اللسان والشفة مع اللعس يعني يسير السواد والخد وتشريب البياض بيسيرها، ودق منها الحاجب والأنف والسنان والخصر، وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق، واتسع منها الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج، فهذه أوصاف بها جماع الحسن إذ كل ما خرج عن ذلك كجعودة الشعر واستدارة الوجه ونعومة البدن راجع إليها، وإنما العبارات الكثيرة تفنن في الأوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج.

وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه، وخلقه واسمه. قيل وصوته. حكى بعض المفسرين في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت.

وقال سقراط إذا حسن الله وجهك فلا تصف إليه قبيح المعاصي أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين.

وقال عليه الصلاة والسلام إن الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبا لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الأنبياء عليهم السلام أكمل الناس لأن غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتقاء موجبهما فيهم. وأوتي يوسف شطر الحسن، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم محاسن الأخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذي تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذي حد جائر وإذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالأولى الأول فإنه من مطالب الحكمة التي غايتها

(١) تحفة المشتاق إلى شرح أبيات المولى إسحق ص/١٦

السعادة وهي من الاعراض اللازمة، والثاني من مطالب الشهوة وقد توقع في المحنة ولا بد وأن تفارق.
تنبيه قد وقع لهم تشبيه بعض الأعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة بالشين والقامة بالألف وربما شبهوا العين بالصاد أيضا وبالفواكه كالخدود بالتفاح والشفة بالعناب والثدي بالرمان وبالمشومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ، وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضا وبأشياء مختلفة كالوجه بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحيه والصدع بالعقرب والوجنة بالماء والنار والرق بالخمر والثدي والسرة بحق العاج إلى غير ذلك.
وللشعراء في ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن أبدع ما رأيت في التشبيه بالحروف وبعض الأشياء كلام الأديب الحاذق علاء الدين الشاهيني من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها:
فم العذار بعارضيه وسللا ... وتضمنت تلك المراشف سلسلا
ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قوله:
صبحا مع الجوزاء لاح لناظري ... متبلجا فأزاح ليلا اليلا
من لي بغصن نقا تبدي فوقه ... قمر تغشى جنح ليل فانجلى
ومنها:
كتب الجمال على صحيفة خده ... بيراع معناه البهيج ومثلا". (١)

٤٩١-"فبدا بنوني حاجبيه معرفا ... من فوق صادي مقلتيه واقفلا
ثم استمد فمد أسفل صدعه ... ألفا ألفت به العذاب الاطولا
فأعجب له إذ هم ينقط نقطة ... من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
فتحققت في حاء حمرة خده ... خالا فعم هواه قلبي المبتلى
قسما بفاء فتور جيم جفونه ... لأخالفن على هواه العذلا
وللشعراء من الأسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف بقوله:
أرسل فرعا ولوى هاجري ... صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية ... تسعى وهذا عقربا واقفه
ذى ألف ليست بوصل وذى ... واو ولكن ليست العاطفة
وقال آخر:
لا تقولي لا فمكتوب على ... وجهك المشرق بالنور نعم
بحروف خلقت من قدرة ... ما جرى قط عليها من قلم

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق ص/١٥٢

نونها الحاجب والعين بها ... طرفك الفتان ثم الميم فم

نكتة.

اعلم أن الأساليب في هذا الباب دائرة التشبيه المجرد وبين جعل الحرف ونحوها من المشبه في العادة مشبها ومقابله في المحبوب مشبها به وفي كل ذلك أما أن تبقى الاداة أو تحذف وفي كل أما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسنا أولا وأرفع الكل جعل الممدوح مسبها به محذوف الاداة مرشحا بلطائف الأوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم ولي من الفن الثاني.

بروحي أقي من خلتها حين أقبلت ... على أثر حزن تنثر الدمع في الخد

قضينا من الكافور يمطر لؤلؤا ... من النرجس الوضاح في فرش الورد

ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين الرد على أهل الأسلوب الأول.

شمس الضحى كجبينك الوضاح ... أف لمن جعلوه كالمصباح

يا قدها ما الغصن لولا الميل مع ... داعي الهوى كالغصن بالأرياح

أنا فيك سكران الفؤاد معذب ... أبدا وإن أظهرت فعل الصاحي

فدع الملام وعذل من لم يستمع ... قول النصيح وخلني يا صاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل أشعر فيه باجتباح المشبه به في العادة إلى المشبه ما قلت:

يهناك يا قلب من زارتك في السحر ... ولم تخف ثم من واش ولا ضرر

حسناء لو لم تعاين نور طلعتها ... شمس الضحى ما بدت يوما على بشر

ووجهها لو رآه البدر واحتجبت ... عنه ذكا لم تخف نقصا على القمر

فصل

في خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين

أعلم أن مدار تلون البدن أما على الخلط أو شدة الحرارة أو ما تركب منهما والأول يلزم حالة واحدة أما البياض في البلغم أو الحمرة في الدم أو الصفرة في الصفراء أو السواد في السواد وما تركب بحسبه مع مراعاة الطواريء كقرب الشمس أو جبل أو سد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الأطباء بالألوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثاني يلزم السمرة وإن أغلب البلغم وأما الثالث فهو الذي تناط به أمثال هذه الأحكام وحاصل القول فيه أن الجلد شفاف يحكى ما تحته وأن الباعث إليه الاخلاط هو الحرارة فهي كالنار إن اشتدت صعدت ما لاقته وموضعها القلب ومحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها أما إلى داخل دفعة أو تدريجيا أو إلى خارج كذلك أو إليهما وموضع بسطه الحكمة والذي يخصنا من ذلك هنا أن نقول أن استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطاني حتى **قال بعض الحكماء** لكل مرتبة من مراتب المحبة حد إلا محبة العشق فلا حد لها وقال بعضهم إن تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة إلا أنه لا يطفئها كل هواء إذا تقرر هذا وجمع إلى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لأن الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح

المنتج لحركة الحرارة إلى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لاخماد الحرارة أو جذبها إلى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم إذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل.". (١)

٤٩٢-"فوالله ما سمعت بأحسن منه ولقد خلت أن العود والجدار ينطلقان معه ثم غاب فخرجت مغضبا وسألت عن الشيخ فقالوا نعيذك بالله لم يدخل أحد فرجعت وإذا بهاتف من جانب البيت يقول لا بأس عليك ما كان ضيفك إلا إبليس فركبت إلى الرشيد فحدثته بالقصة وأخبرته أن الشيخ أخبرني أني أحكمت الغناء وغنيته كما سمعت فأحسن صلتي وحكي عنه في الأصل أيضا وفي غيره عن ولده إسحق قال أصبحت في يوم مطير أيقنت فيه أن لا يأتيني أحد فصنعت لنفسي ما شئت من طعام وشراب وجلست في سرور حتى ولي النهار فذكرت جارية أهواها فقلت لو كانت عندي لكمل سروري فما أكملت القول حتى جاءني غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم أملك نفسي فإذا بغرس التمني قد أثمر فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها وألبستها بدلة تليق بها وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدي وقلت ما الذي جاء بك في هذا الوقت قالت جاءني رسولك مرتين يخبرني أنك تشكو الحرقة فكرهت أن أقول ما أرسلت أحدا فجلست وأخذت العود فغنيت:

توسدها كفى وبت ضجيعها ... وقلت لليلى طل فقد رقد الفجر

بوجه إذا ما عاب عني حكاه لي ... وإن لم يكن في حسن صورته البدر

فلما أضاء الصبح فرق بيننا ... وأي نعيم لا يكدره الدهر

فبينما نحن كذلك دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا فقالت هذا رسولك إلي فأنكرت إذ لم أعرفه وعجبت من دخوله لأن المفاتيح عندي هكذا في الأصل وفي غيره أن الجارية حين استقر بها الجلوس قالت أريد أن يغني قال إسحق أنا قالت لا أنت ولا أنا ولكن اخرج فالتمس لنا أحدا فخرجت لنا طاعة لها فإذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول لا جزي الله من كنت عندهم خيرا إن غنيت لم يسمعوني وإن سكت استخفوا بي فقلت له: هل تكون عندنا ليلتك فقال: خذ بيدي إن شئت. فلما دخلنا وجلس قال لي: غن فحين غنيت قال: قاربت أن تكون مغنيا فكدت أن أموت ثم سأل الجارية فغنت. فقال: ما جئت بشيء. فقالت: هذا ما عندنا فهات ما عندك فطلب عودا جديدا فأصلحه وكانت الجارية حين طرق الباب قالت:

أيدخل محبوب على الباب واقف

فأنشد الشيخ:

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف ... حبيب بأوقات الزيارة عارف

وما راعني إلا السلام وقولها ... أيدخل محبوب على الباب واقف

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق ص/١٥٣

فحين سمعت ذلك الجارية قالت: قد ضاق صدرك بكلمة فلم أزل أترضاها وأحلف أني لم أقل وأتقرب إليها بالتقبيل ودعدعة الثديين حتى ضحكت فغنى الشيخ:

ألا ربما زرت الملاح وطالما ... لمسكت بكفي البنان المخضبا

ودغدغت رمان الصدور ولم أزل ... أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها أنا أعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام إلى الخلاء وأبطأ فطلبناه فلم نجده فعلمت أنه أبو مرة فتمثلت بقول أبي نواس:

عجبت من إبليس في كبره ... وخبث ما أظهر من نيته

أبى على آدم في سجدة ... وصار قوادا لذريته

قال بعض الأدباء:

كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على إبليس فكثرت فيه الأقوال من الشعراء:

لطيفة ووصية

قال بعض الحكماء لولده ونقله في الأحياء لا تتزوج حنانة يعني إلى ولدها الذي من الزوج السابق ولا منانة يعني ذات المال التي تعطي الزوج شيئا ثم تمن به عليه ولا أنانة يعني زوجها الأول وعليها نقل في تحفة العروس أن الغدور بنت قيس بن خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيط بن زراره لم تزل تظهر الأسف على لقيط فحنق عمرو وقال لهاك ويلك إنه لم يجيء من بعض عبيدي فصفى لي بعض ما رأيت من حسنه. قالت تطيب يوما وجلس يتناول الشراب ولم يوقظني شفقة حتى انتبهت فأركبني وخرج إلى الصيد والزهو فلاحت غابة فيها أسدان فشد حتى قتل واحدا ورجع إلي فضمني ضمة وددت لو مت فيها ففعل عمرو ذلك وضمها. قال: أين أنا من لقيط. فقالت: ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وهو مثل سبق تقريره.

وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب وإلا احتقرتك ولتكن هي فوقك بالصبر والجمال والآداب وإلا احتقرتها. عجيبة". (١)

٤٩٣-"قيل أعظم الولائم الإسلامية اثنتان: إحداهما وليمة زفاف الرشيد على زبيدة كانت الهبات فيها غير محصورة حتى أنهم كانوا يهبون أواني الذهب مملوءة بالفضة وأواني الفضة مملوءة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت في درع من الدر لم يقدر أحد على تقويمه وضبط ما خرج فكان خمسا وخمسين ألف ألف وثانيتهما وليمة بوران على المأمون فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللالي ما أغنى خلقا كثيرا قال شارح المقامات تقرر ما خرج من بيت المال فكان أربعين ألف ألف وقال غيره عن زبيدة سبعة وثلاثين وأوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلا وكتب رقاعا بأسماء ضيع ورساتيق وصلات وجعلها في بنادق المسك في النثار فكان الذي يلتقط شيئا منها يحبس عليه وقيل كان الحطب الذي أوقد فيها قد نقل بأربعة آلاف بغل أربعة أشهر فلم يكف حتى أوقد المكان.

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق ص/١٩٤

فائدة

في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه وأن يكرمه أخوه فيرده عليه كرامته وأن يقارب المرأة فيصيبها قبل أن يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فإن أبقراط يقول أكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع في المحاق وأول الشهر ما عدا رمضان قل وليلة النصف.

لطيفة ووصية

قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير وأكثرت التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذي لم يكل المرأة إلى طلب شيء ولم يعصها في الخلوة ولم يطعها في شهوة قال بعض من شرح هذا الكلام المراد بعفت يعني حصنت الزوج من حسنها أن يطمح إلى غيرها وكفت لسانها عن الأذى وبالتزين مطلق التلطف ولو بالكلام المضحك المطفيء للغضب فإن غاية النساء السكون إليهن من الوصب وبقوله لم يطعها في الشهوة يعني المفضية إلى تبذلها كالخروج ورفع الصوت لا فيما تشتهيه من مأكل وملبس فإن قطع ذلك عنها إعانة لها على الفساد وزاد بعضهم أن لا يذكر الرجل محاسن المرأة لأحد فإن ذلك يؤول إلى نزعها منه وعلى ذكر التحبب ولو بالكلام نقل ابن الجوزي عن بعضهم. قال: قلت لجاريتي ألا تلبسين الحلى قال: لا لأنه يستر المحاسن كما يستر القبائح وقلت لها اجلسي بنا في القمر فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت الشمس يوما فقالت: ما كسفت الاحياء مني.

لطيفة

اللذات أربع: لذة ساعة وهي الجماع، ولذة يوم وهي الحمام، ولذة جمعة وهي النورة، ولذة حول وهي تزويج البكر.

نادرة

جاءت امرأة إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقول الليل وكررت ذلك وعمر يقول كل مرة جزاك الله خيرا من مثنية على بعلها فقال: كعب إنها يا أمير المؤمنين تطلبه بحق الفراش فقال: حيث فهمت ذلك فاقض بينهما فأحضر الزوج وقال: إن امرأتك تشكو فقال: لم أقصر في شيء فأنشدت:

يا أيها القاضي الحكيم رشده ... ألهى خليلي عن فراشي مسجده

نهاره وليله ما يريده ... فلست في حكم النساء أحمده

زهده في مضجعي تعبده ... فاقض القضايا كعب لا تردده

فقال زوجها:

زهدني في فرشها وفي الحجل ... إني امرؤ أذهلني ما قد نزل

في سورة النمل وفي السبع الطول ... وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها حقا عليك يا رجل ... تصيبها في أربع لمن عقل

قضية من ربنا عز وجل ... فأعطها ذاك ودع عنك العلل

فإن خير القاضيين من عدل ... وقد قضى بالحق جهرأ وفصل

ثم قال له الله قد أحل لك أربع نساء فاجعل لها ليلة من أربع. فقال عمر رضي الله عنه: لا أدري من حلمك أم من فهمك وولاه البصرة.

وصية

قيل كانت العرب توصي بناتها بما يوجب الألفة فتقول للواحدة: كوني له أرضا يكن لك سماء وكوني مهادا يكن عمادا وأمة يكن عبدا وفراشا يكن معاشا ولا تقربي فيملك ولا تبعدي فينساك ولا تعاصيه شهوته وعليك بالنظافة ولا يرى منك إلا حسنا ولا يشم إلا طيبا ولا يسمع إلا ما يرضى ولا تفشي سره فتسقطي من عينه ولا تفرحي إذا غضب ولا تغضبي إذا فرح.

لطيفة". (١)

٤٩٤-"وقال عدي بن أرطأة لإياس بن معاوية: دلني على قوم من القراء؛ أولهم، فقال له: القراء ضربان، ضرب يعملون للأخوة، لا يعملون لك، وضرب يعملون للدنيا، فما ظنك بهم، إذا أمكنتهم منها؟ ولكن عليك بذوي البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم، فولهم.

وقال معاوية: إني لا أضع سيفي، حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها.

وقال عليه السلام: من تواضع لله رفعه.

وقال بعض الحكماء: كل ذي نعمة محسود عليها، إلا التواضع.

وقال عبد الملك بن مروان: أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة.

وسئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييدا للعقل، وأيها أشد إضرارا له؟ فقال: أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت، وأشدها إضرارا به: الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

وقال بعض الحكماء: ما كنت كاتمه عن عدوك، فلا تظهر عليه صديقك.

وقال عمرو بن العاص: ما استودعت رجلا سرا، فلمته عليه إذا أفشاه؛ لأني كنت أضيق صدرا حين استودعته منه حين أفشاه.

وحكى أسامة بن زيد قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم، إذا غزا أخذ طريقا، وهو يريد أخرى، ويقول: الحرب خدعة.

وعن مالك بن أنس قال: كان مالك بن عبد الله الخثعمي، وهو على الطائفة، يقوم في الناس، كلما أراد أن يرحل، فيحمد الله ويثني عليه، ثم يقول: إني آخذ بكم غدا، إن شاء الله، على موضع كذا وكذا فتفترق الجواسيس عنه بذلك، فإذا أصبح

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق ص/١٩٥

الناس سلك بهم طريقا أخرى، وكانت الروم تسميه الثعلب.

وقال عمرو بن معدي كرب: الفزعات ثلاث، فمن كانت فزعته في رجليه، فذاك الذي لا تقله رجلاه، ومن كانت فزعته في رأسه، فذاك الذي يفر من أمه، ومن كانت فزعته في قلبه، فذاك الذي يقاتل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.

وقال عليه السلام: اصطناع المعروف يقي مصارع السوء.

وقال أبو ذر: إن لك شريكين في مالك، الحدثان والوارث، فإذا استطعت ألا تكون أبخس الشركاء حظا، فافعل.

وقال بعضهم: إذا أقبلت الدنيا عليك، فأنفق منها؛ فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك، فأنفق منها؛ فإنها لا تبلى، أخذ الشاعر هذا المعنى فقال:

لا تبخلن بدنيا، وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف

وإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فالشكر منها إذا ما أدبرت خلف

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه، فانظروا إلى ما يتبعه من حسن الثناء.

وقال بعض أهل التفسير، في قوله تعالى فيما حكى عن إبراهيم عليه السلام: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أنه أراد حسن الثناء من بعد.

وقال عليه السلام: استعينوا على حوائجكم بالكتمان؛ فإن كل ذي نعمة محسود.

وفي الحديث: من نشر معروف فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: لو أن فرعون مصر أسدى إلي يدا صالحة، شكرته عليها.

وقال بعضهم: إذا قصرت يداك عن المكافآت، فليطل لسانك بالشكر.

وقيل: ما نحل الله عباده أقل من الشكر، واعتبر ذلك بقول الله سبحانه: (وقليل من عبادي الشكور) .

وقال سهل بن هارون: العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم.

وقيل: الروح عماد البدن، والعقل عماد الروح، والعلم عقاد العقل، والبيان عماد العلم.

وقال عليه السلام: إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة.

وقال الأحنف بن قيس: أحق الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة.

وقال ابن سيرين: العلم أكثر من أن يحاط به؛ فخذوا من كل شيء أحسنه.

وقيل لأبي عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش، فيحسن به أن يتعلم.

وقال عروة لبنيه: اطلبوا العلم، فإن تكونوا صغار قوم لا يحتاج إليكم، فعسى أن تكونوا كبار قوم، لا يستغنى عنكم.

وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: أريد أن أطلب العلم، وأضاف أن أضيعه، قال: فكفاك بترك العلم إضاعة له.

وقال بعض الحكماء: اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى لنفسك، وأخف على فلبك؛ فإن نفاذك فيه على قدر

شهوتك له، وسهولته عليك.". (١)

٤٩٥-"وقال رؤبة بن العجاج: قال لي النسابة البكري: يا رؤبة، لعلك من قوم إن سكت عنهم لم يسألوني، وإن حدثتهم لم يفهموني، قلت: أنا أرجو ألا أكون كذلك، قال: فما آفة العلم ونكده وهجنته؟ قلت: تخبرني؟ قال: آفته النسيان، ونكده الكذب، وهجنته نشره عند غير أهله.

وقال عبد الله بن مسعود: إن العبد لا يولد عالما، وإنما العلم بالتعلم، أخذه الشاعر فقال:

تعلم؛ فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم، لا علم عنده ... صغير إذا احتفت عليه المحافل

وإن صغير القوم، والعلم عنده ... كبير، إذا ردت إليه المسائل

وقال بعض الحكماء: علم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم؛ فإنك إذا فعلت ذلك حفظت ما علمت، وعلمت ما جهلت.

وقال مالك بن أنس رحمه الله: إذا ترك العالم: لا أدري، فقد أصيبت مقاتله.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: من سئل عما لا يدري، فقال: لا أدري فقد أحرز نصف العلم.

وقالوا: العلم ثلاثة: حديث مسند، وآية محكمة، ولا أدري، فجعلوا لا أدري من العلم، إذا كان صوابا من القول.

وقالوا: الحكمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان، لم تجاوز الآذان.

وقال الحسن البصري: لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، قلب الأحمق من وراء لسانه، فإذا أراد أن يقول قال.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: العقل في الدماغ، والضحك في الكبد، والرأفة في الطحال، والصوت في الرئة.

وقال عمر رضي الله عنه: من لم ينفعه ظنه، لم ينفعه يقينه.

وسئل بعضهم: من أحب بنيك إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يرجع، والمريض حتى يفيق.

وقال صلى الله عليه وسلم: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها؛ فتظلموها، ولا تمنعوها من أهلها؛ فتظلموهم.

وفي الحديث: خذ الحكمة ولو من ألسنة المشركين.

وقال عليه السلام: الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها ممن سمعها، ولا يبالي من أي وعاء خرجت.

وقال زياد: أيها الناس، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا، أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا؛ فإن الشاعر يقول:

اعمل بقولي، وإن قصرت في عملي ... ينفعك قولي، ولا يضررك تقصيري

وقيل لقيس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه، قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.

---

(١) حدائق الأزاهر ص/٧٧

وقال الحسن: التقدير نصف العيش، والتوزر نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم.

وقيل: ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة: الغنى في النفس، والشرف في التواضع، والكرم في التقوى.

وقيل: ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة، ذو البأس لا يعرف إلا عند اللقاء، وذو الأمانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء، والإخوان لا يعرفون إلا عند التوائب.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخوف ما أخاف عليكم شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

ومر أعرابي برجل صلبه السلطان، فقال: من طلق الدنيا، فالآخرة صاحبته، ومن فارق الحق، فالجذع راحلته.

وقال قس بن ساعدة: من فاته حسب نفسه، لا ينفعه حسب أبيه.

وقال عليه السلام: لا دين إلا بمروءة.

وقال ربيعة: المروءة ست خصال، ثلاث في السفر، وثلاث في الحضر، فأما التي في السفر، فبذل الزاد، وحسن الخلق، ومداعبة الرفيق، وأما التي في الحضر، فتلاوة القرآن، وملازمة المساجد، وعفاف الفرج.

وقيل: من أخذ من الديك ثلاثة أشياء، ومن الغراب ثلاثة أشياء، تم بها أدبه، من أخذ من الديك سخاءه وغيرته وشجاعته، ومن الغراب بكوره في طلب الرزق، وشدة حذره، وسترة سعاده.

وقال المأمون: الرجال ثلاثة، فرجل كالغذاء لا يستغنى عنه، ورجل كالدواء يحتاج إليه حينا، ورجل كالداء لا يحتاج إليه أبدا.

وقال الخليل رحمه الله: الرجال أربعة، رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك العالم فاسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه، ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري فذلك الجاهل فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك الأحمق فارفضوه.

وفي الحديث: إذا أحب الله عبدا حببه إلى الناس، أخذ المعنى ابن عبد ربه، فقال:

وجه عليه من الحياء سكينة ... ومحبة تجري مع الأنفاس". (١)

٤٩٦-"وإذا أحب الله يوما عبده ... ألقى عليه محبة للناس

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا راحة لحسود، ولا إخاء لملول، ولا محب لسيء الخلق.

وقال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله، قيل: من يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

وقال عليه السلام: شر الناس من اتقاه الناس لشره.

وعرض على أبي مسلم فرس جواد، فقال لأصحابه: لماذا يصلح مثل هذا الفرس؟ قالوا: أن يغزى عليه العدو، قال: لا، ولكنه يركبه الرجل، فيهرب منه من الجار السوء.

وقالت الحكماء: لا شيء أضيع من مودة من لا وفاء له، واصطناع من لا شكر عنده، والكريم يود الكريم عن لقية واحدة،

---

(١) حدائق الأزاهر ص/٧٨

واللئيم لا يصل أحدا إلا عن رغبة أو رهبة.

وقال صلى الله عليه وسلم: من أوتي حظه من الرفق، فقد أوتي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة.

وقال بعض الحكماء: العين باب القلب، فما كان في القلب ظهر في العين.

وقيل لبعض الحكماء: علام أسست عبادتك؟ قال: على أربعة أشياء، علمت أن لي رزقا لا يفوتني، فلم أشغل قلبي به، ولم أطلبه، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فأنا أبادره، وعلمت أن لي فرضا لا يقيمه غيري، فأنا مشتغل به، وعلمت أني لا أغيب عن نظر ربي، فأنا مستح منه.

وقال بعضهم: عشرة من مكارم الأخلاق، صدق الحديث، وصلة الرحم، وحفظ الجار، وأداء الأمانة، وبذل المعروف، ومكافآت الأيادي، ورعاية ذمام الصاحب، وقرى الضيف، وكتمان السر، ورأسهن الحياء.

وكان يقال: أربعة من كن فيه فقد حيزت له الدنيا والآخرة، صدق الحديث، وأداء الأمانة، وعفاف الطعمة، وحسن الخلق.

وقال بعض الحكماء: ستة إن أهينوا، فلا يلوموا إلا أنفسهم، المستخف بالسلطان، واللاعب مع الصبيان، ومعترض السكران، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، ومن قعد مقعدا ليس بأهل له، ومن تقدم إلى طعام لم يدع إليه.

وقال بعض الحكماء: من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والإخوان بثه، فقد أخل بنفسه.

وقالت الحكماء: إمام عادل خير من مطر وابل.

وقال الشعبي: قال لي ابن عباس، قال لي أبي: إني أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - يستفتيك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني موصيك بخلال أربع، لا تفش له سرا، ولا يجرين عليك كذبا، ولا تطوعنه نصيحة، ولا تغتابن عنده أحدا، قال: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف، قال: إي والله، ومن عشرة آلاف.

وقال بقراط الحكيم: العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم.

ومن حكم البخلاء ووصاياهم، قال أبو الأسود الدؤلي: إمساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك.

وقال: لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم.

وقال لهم: لا تجادوا الله؛ فإنه أجود وأكرم، ولو شاء أن يغني الناس كلهم لفعل، ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم، ولا يصلح لهم إلا الغنى، وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر.

وقال رجل من تغلب: أتيت رجلا من كندة أسأله، فقال: يا أخا بني تغلب، إني، والله، لو مكنت الناس من داري لنقضوها طوبة طوبة، والله ما بقي بيدي من مالي وعرضي إلا ما منعه من الناس.

وقيل لخالد بن صفوان: مالك لا تنفق؛ فإ، مالك عريض؟ فقال: الدهر أعرض منه، فقيل له: كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله، قال: لا، ولكني أخاف ألا أموت في أوله.

وقال الجاحظ: قلت لرجل: أترضى أن يقال لك بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم؛ لأنه لا يقال لي: بخيل، إلا وأنا ذو

مال، فسلم لي المال، وسمني بأي اسم شئت.
وقال شبيب: اطلبوا الأدب؛ فإن مادة العقل، دليل على المروءة، صاحب في الغربة، مؤنس في الوحشة، صلة في المجلس.
وقال الخليل – رحمه الله –: من لم يكتسب بالأدب مالا، اكتسب به جمالا.
وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بالأدب؛ فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا.
وقال عبد الملك بن مروان: سمعت بعض الأعراب يقول: الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن.
وقال الخليل بن أحمد رحمه الله: ثلاثة أحبها لنفسي، ولمن أريد رشده، أحب أن يكون بيني وبين ربي من أفضل عباده، وأكون بيني وبين الخلق من أوسطهم، وأكون بيني وبين نفسي من شرهم.". (١)

٤٩٧-"وقيل: ثلاثة ينسين المصائب، مر الليالي، والمرأة الحسناء، ومحادثة الرجل وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ثلاثة تجلو البصر، النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن.
وقال ابن عباس رضي الله عنه: من لم يجلس في الصغر حيث يكره، لم يجلس في الكبر حيث يحب.
ومر ابن الخطاب رضي الله عنه ببنيان يبنى بآجر وحصى، فقال: لمن هذا؟ فقيل: لعامل من عمالك، فقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها، وأرسل إليه من يشاطره ماله.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمجاشعي: إن كان لك مال فلك حسب، وإن كان لك خلق فلك مروءة، وإن كان لك دين فلك كرم.
وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول: اللهم ارزقني حمدا ومجدا؛ فإنه لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال.
وقال حكيم لابنه: يا بني، أوصيك، عليك بطلب المال، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك، وذل في قلب غيرك [؟] .
وقال آخر لابنه: أوصيك باثنين، لن تزال بخير ما تمسكت بهما، درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك.
وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلقان يحبهما الله، وهما السخاء والسماحة، وخلقان يبغضهما الله، وهما البخل وسوء الظن، وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس.
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: إنا – معشر قريش – نعد الحلم والجود سؤودا، ونعد العفاف، وإصلاح المال مروءة.
وقدم وفد على معاوية، فقال لهم: ما تعدون المروءة؟ فقالوا: العفاف، وإصلاح المعيشة، قال: اسمع يا يزيد.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من العرب: من سيدكم؟ فقالوا: فلان على بخل فيه، فقال صلى الله عليه وسلم: وأي داء أدوى من البخل؟ وقال كسرى: عليكم بأهل السخاء والشجاعة؛ فإنهم أهل حسن الظن بالله.
وقال صلى الله عليه وسلم: اصنع المعروف مع من هو أهله، ومع من ليس من أهله، فإن أصبت أهله فهو من أهله، وإن لم تصب أهله، فأنت من أهله.
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: القرابة قد تقطع، والمعروف قد يكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.

---

(١) حدائق الأزاهر ص/٧٩

وقال أكثم بن صيفي: القرابة تحتاج إلى مودة، والمروءة لا تحتاج إلى قرابة.

وقيل لبعضهم: من أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال: ما أحب أخي إلا إذا كان صديقي.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الناس إلى الله أكثرهم تحببا إلى الناس.

وقال بعض الحكماء: إذا أيسر الرحل ابتلى بثلاثة، صديقه القديم فيجفوه، وامرأته يتزوج عليها، وداره يهدمها ويبنيها.

وقال رجل لبكر بن عبد الله: علمني التواضع، فقال: إذا رأيت من هو أكبر سنا منك، فقل: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح، فهو خير بني، وإذا رأيت من هو أصغر سنا منك، فقل: سبقته إلى الذنوب فهو خير مني.

وقال الشافعي رضي الله عنه: أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه.

وقال أيضا: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن تعلم اللغة رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقال بعض الحكماء: أقل الدنيا يكفي، وأكثرها لا يكفي، أخذه أبو فراس فقال:

ما كل ما فوق البسيطة كافيا ... وإذا قنعت فكل شيء كافي

وقال صلى الله عليه وسلم: سافروا تغنموا، وصوموا تصحوا.

وقال موسى بن عمران عليه السلام: لا تذموا السفر؛ فإني أدركت فيه ما لم يدرك أحد، يريد أن الله تعالى كله.

وقال رجل لمعروف الكرخي: يا أبا محفوظ، أتحرك لطلب الرزق أم أجلس؟ قال: لا، بل تحرك؛ فإنه أصلح لك، فقال له: أتقول هذا؟ فقال: ما أنا قلته، ولكن الله تعالى قاله وأمر به، قال لمريم: (وهزي إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطبا جنيا) ، ولو شاء أن ينزله عليها لأنزله، أخذه الشاعر فقال:

ألم تر أن الله أوحى لمريم ... وهزي إليك النخل تساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها ... جنته، ولكن كل شيء له سبب

قيل لأعشى بكر: إلى كم ذا الاغتراب، أما ترضى بالدعة؟ فقال: لو دامت عليكم الشمس لمللتموها، أخذ المعنى حبيب فقال:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه، فاغترب تتجدد". (١)

٤٩٨-"فصل: قال روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الأمة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنت امرؤ حسن الله خلقك " **وقال بعض الحكماء** ينبغي للعبد أن ينظر كل يوم في المرآة فإن رأى صورته حسنة فلا يشنها بقبيح فعله وإن رآها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل. وقد نظم بعضهم هذا فقال:

يا حسن الوجه توق الخنا ... لا تفسدن الزين بالشين

---

(١) حدائق الأزاهر ص/٨٠

ويا قبيح الوجه كن محسنا ... لا تجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما في القلوب لم يبعث الله نبيا لا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال علي بن أبي طالب وقد سئل أكان وجه الرسول صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال: لا بل مثل القمر وفي صفته صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه فكان كما قال شاعرة حسان بن ثابت:

متى يبدو في الدجي البهيم جبينه ... يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

فمن كان أو من قد يكون كأحمد ... نظام لحق أو نكال لمعتدي

وقال أيضا:

فأجمل منه لم تر قط عيني ... وأكمل منه لم تلد النساء

خلقت مبراء من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا رآه يقول:

أمين مصطفى بالخير يدعو ... كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رآه ينشد قول زهير:

لو كنت من شيء سوى بشر ... كنت المضيء لليلة البدر

ونظرت إليه عائشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت: كأن أبا كثير الهذلي إما عناك بقوله:

وإذا نظرت إلى اسرة وجبه ... برقت كبرق العارض المتهلل

وفي الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن في الذروة العليا وروى بعض الصحابة لقي راهبا فقال: صف لي محمدا كأني أنظر إليه فإني رأيت صفته في التوراة والإنجيل. فقال: لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصر فوق الربعة أبيض اللون مشربا بالجمرة جعد الشعر ليس بالقطط جمته إلى شحمة أذنه صلب الجبين واضح الحد أدعج العينين أقنى الأنف مفلج الثنايا كأن عنقه إبريق فضة وجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا الحسن قد ألقيت عليه المحبة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنا فكان أحسن خلق الله خلقا وخلقا وصورة ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام. قال ربيعة: قسم الحسين نصفين فبين سارة ويوسف نصف الحسن ونصف الحسن بين سائر الناس وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى يوسف ليلة الإسراء وقد أعطى شطر الحسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحسن أن يكون الرسول حسن الوجه حسن الاسم وكان يقول إذا أبرد تم بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن أبي مليكة يرفعه من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه. وقال وهب: قال داود يا رب أي عبادك أحب إليك. قال: مؤمن حسن الصورة. فقال أي عبادك أبغض إليك قال: كافر قبيح الصورة ويذكر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظره نفر من أصحابه على الباب فجعل ينظر في المرآة ويسوي شعره ولحيته ثم خرج إليهم فقالت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا. فقال نعم: " إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليجملن نفسه فإن الله جميل يحب الجمال " وقال معاوية لرجل دخل عليه فرى في وجه ما يكرهه مما يمكن إزالته ما يمنع أحدكم إذا خرج

من منزله أن يتعاهد أديم وجهه.". (١)

٤٩٩-"فصل: قوله تعالى: " ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " أي في أحسن تعديل لقامته وصورته وحسن شارته منتصبا يتناول مأكوله بيده مزينا بالعقل لا كالبهائم وعلى هذا حكاية الرشيد لما خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها: إن لم تكوني أحسم من هذا القمر فأنت طالق فأفتى علماء زمانه بالحنث إلا يحيى بن أكثم فإنه قال: لا يقع عليه الطلاق فقيل له: خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد أفتى به من هو أعلم منا وهو الله سبحانه وتعالى حيث قال: " لقد خلقت الإنسان في أحسن تقويم ".

وجاء تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء أنه الصوت الحسن والوجه الحسن ولهذا قال أبو فراس:

قد فاق بدر السماء حسنا ... والناس في حبه سواء

فزاده ربه عذارا ... تم به الحسن والبهاء

لا تعجبوا ربنا قدير ... يزيد في الخلق ما يشاء

وحكي عن بعض النساء أنها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت أنها تحسن الوجه وأنا أحب أن يحسن ٣ وجهي.

وحكي أن المأمون استعرض جيشا فمر رجل قبيح فاستنطقه فرآه ألكن فأمر بإسقاطه. وقال: إن الروح إذا وقع أثرها في الظاهر كانت صباحة وإذا وقع أثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن ولكن شخص له حكمان: أحدهما من جهة جسمه وهو منظره والآخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فرغ أصحابه الفراسة من معرفة أحوال النفس الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله يدل على أن الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى: " وزاده بسطة في العلم والجسم " والحسن أول سعادة الإنسان لأن الله تعالى بلطف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات إلا وأضاف إليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما تجد الخلق إلا تبعا للخلقة تناسبا مطردا وأصلا لا ينعكس وإجماعا لا ينفرد وما خلق الله نبيا قط إلا وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه فإذا نظرته أول مرة رأيته أحسنهم صورة وأتقنهم بنية فهو أولاهم مرتبة وأعلاهم منقبة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: " لا يعذب الله حسان الوجوه سود الحدق ". قال الإمام فخر الدين الرازي في أسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وإن كان أمرا مرغوبا فيه فإن حسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك أن الحكمة أفضل من الشهوة فكان حسن السيرة أفضل من حسن الصورة لا محالة، ومنها أن يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم أنه بسبب حسن الصورة وقع في أنواع من البلايا منها أن أباه كان يحبه أزيد من أخوته بدليل قوله تعالى " إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا " فهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم " اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم " ومنها أنه وقع بسب الحسن في

---

(١) ديوان الصبابة ص/١٦

أسر الرق ومراودة امرأة العزيز وإدخاله السجن بسبب ذلك فلما علم الملك بعد ذلك حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال له إنك اليوم لدينا مكين أمين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على أن حسن السيرة أفضل من حسن الصورة ومعلوم أن حسن الصورة لا يبقى إلا أياما قلائل وأما حسن السيرة فإنه لا يزول أثره ولا تبطل نتيجته قلت وممن حصل له الأذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر ليلا فسمع امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فدعا نصر بن حجاج وهو من بني سليم فرآه أحسن الناس وجها وله شعر حسن فحلق شعره فكان أحسن منه بشعر فقال: لا تساكني في بلد فتشفع نصر إليه أن لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضي الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا أمير المؤمنين لقد سمتني قتل نفسي فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى: " ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم " فقرن هذا بهذا. فقال عمر: ما أبعدت لكن أقول ما قال شعيب عليه السلام: إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله ولقد أضعفت لك يا نصر عطاءك ليكون ذلك عوضا لك أقول ذكرت بحلقة شعره فكان أحسن منه بشعر قول بعضهم في ذلك:

حلقوا رأسه ليزداد قبحا ... غيرة منهم عليه وشحا". (١)

٥٠٠-"فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي

أخذه القاضي الفاضل فقال ... عللوني عن الشآم بذكر

أن قلبي عليه بالأشواق

مثلته الذكرى لسمعي كأني ... أتمشى هناك بالأحداق

وقال بعض الحكماء أن الله عز وجل جعل القلب أمير الجسد وملك الأعضاء فجميع الجوارح تنقاد له كل الحواس تطيعه وهو مديرها وبإرادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده العينان وطليعته الأذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمانه شيئا ولا يطويان عنه سرا يعني العين والأذن وقيل لأفلاطون: أيهما أشد ضررا السمع أم البصر فقال: هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض إلا بهما ولا يستقل إلا بقوتهما وربما قص أحدهما فتحامل بالآخر على تعب ومشقة قيل فما بال الأعمى يحب وما رأى والأصم يحب وما سمع فقال له: لذلك قلت: أن الطائر قد ينهض بإحدى جناحيه ولا يستقل طيرانا فإذا اجتمعا كان ذهابه أمضى وطيرانه قوي وكان يقال الحب أوله السماع ثم النظر كما أن أول الحريق الدخان ثم الشرر.

حكي إن أبي تمام أنه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال:

ولم أفهم معانيها ولكن ... شجت قلبي فلم أحمل شجاها

فكنت كأنني أعمى معنى ... يحب الغانيات ولا يراها

---

(١) ديوان الصبابة ص/١٧

قال ابن طاهر قلت لأبي تمام: أخذت هذا المعنى من أحد فقال: نعم من قول بشار:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم ... الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر أن بشار أخذ قوله هذا من كلام الحكم المتقدم ذكره وتبعه أبو يعقوب الخزيمي فقال:

قالت وتهزأ بي غداة لقيتها ... يا للرجال لصبوة العميان

فأجبتها نفسي فداؤك إنما ... عيني وأذني في الهوى سيان

وقال بشار أيضا الحب إنما يتولد بالقلب والفكر وأنشد في ذلك.

يزهد في حب عبدة معشر ... قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب

وما تبصر العينان في موضع الهوى ... لا تسمع الأذنان إلا من القلب

وقال الحصري وقد صدق فيما نطق إنما أحست الحواس الخمس بواسطة توسطتها النفس وقد قال الخليل بن أحمد.

إن كنت لست معي فالذكر منك معي ... يرعاك قلبي وإن غيبك عن بصري

العين تبصر من تهوى وتعشقه ... وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن إبراهيم الأعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى:

قالوا عشقت وإنك أعمى ... ظبيا كحيل الطرف ألمى

وحلاه ما عاينتها ... فتقول قد شغفتك وهما

وخياله بك في المنا ... م فما أطاف ولا ألما

من أين أرسل للفؤاد ... وأنت لم تنظره سهما

ومتى رأيت جماله ... حتى كساك هواه سقما

وبأي جارحة وصلت ... لوصفه نثرا ونظما

والعين داعية الهوى ... وبه تنم إذا استتما

فأجبت أني موسمي ... العشق انصاتا وفهما

أهوى بجارحة السما ... ع ولا أرى ذات المسمى

وقال المدني:

أيا من لامني في حب ... من لم يره طرفي

لقد أفرطت في وصفك ... لي في الحب بالضعف

فقل هل تعرف الجنة ... يوما بسوى الوصف

وما أحسن قول المهذب ابن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين أيوب مطلعها:

وإني امرؤ أحببتكم لمارم ... سمعت بها والأذن كالعين تعشق

وقالت لي الآمال إن كنت لاحقا ... بأبناء أيوب أنت الموفق
وقلت أنا من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن وفيه زيادة حسنة مطلعها:
وحياة وجهك وهو بدر مشرق ... قلبي عليك كما عملت واشفق
يا من إذا لاح آس عذاره ... أمسي ولي بالعيش غصن مورق
ما لاح خدك بالعذار مكاتبا ... إلا ظننت بأنه معتق
ومنها". (١)

٥٠١-"قال المأمون: إساءة المحسن أن يمنعك جدواه، وإحسان المسيء أن يكف عنك أذاه. قال: جلس قوم من سروات أهل الكوفة بكباسة الكوفة فتذاكروا السؤدد بينهم، فقال عبد العزيز بن مروان: أما أنا فمحدثكم عن نفسي من غير تزكية لها، إذا الرجل أمكنني من نفسه، حتى أصنع معروفي عنده فيده عندي قبل يدي عنده، وإذا الرجل ضافني من خوف، فلم أبذل دمي دون دمه، فقد قصرت بحسبي، ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من بخلهم إلا سوء ظنهم بربهم، في الخلف لكان عظيما.
ذكر أن طاهر بن الحسين كتب إلى المأمون يسأله من المال وغيره، مما يحتاج إليه أشياء جليلة القدر، فكتب إليه أحمد بن يوسف، عن الحسين بن منهل، وكان كاتبه: أما بعد، فإن أمير المؤمنين يكره لك أن تنتهي من السؤال لأحد لا يليه إلا الرد، والسلم.
دخل شبة بن عقال على المنصور، فقال له: مالي أراك؟، فقال شبة: والله يا أمير المؤمنين لأغيب عنك بشوق، وألقاك بشوق. فقال: لم تسألنا حوائجك، وقد عرفت مكانك، فقال: والله لا أرهب محلك، ولا أغتنم مالك، وإن عطاءك لشرف، وإن سؤالك لزين، وما بامرئ بذل وجهه لك من نقص، ولا شين، فالتفت المنصور إلى ولده المهدي وغيره، فقال: التقطوا هذا الدر، والله لهو أحسن منه.
يقال إن أول من اتخذ الخيش المنصور، عمله له أبو أيوب الخوزي، فقال له المنصور: لو عملت الثياب لحملت من لماء أكثر، وكانت أبرد، فاتخذ الخيش واتخذ الناس بعده، كتب إبراهيم ابن العباس إلى محمد بن عبد الملك ابن الزيات، وقد حبسه كتابا قال في آخره: [الطويل]

أبا جعفر جف حفظه بعد رفعة ... وقصر قليلا عن مدى غلوائكا
لئن كان هذا الدهر يوما حويته ... فإن رجائي في غد كرجائكا
ثم كتب في آخره أيها الوزير: كان لي فيك أملان هما لك، والآخر بك، فأما الذي لك، فقد بلغته، وأما الأمل بك فأرجو أن يحققه الله، ويوشك به البقاء، كان يقال من أمل رجلا هابه، ومن قصر عن شيء عابه، قيل لخالد بن صفوان: أي

(١) ديوان الصبابة ص/٢٣

الإخوان أوجب عليك؟ قال: من سدد خللي، وغفر زللي، وقبل عللي.
قيل للعتابي: ما يمنعك من النساء؟ فقال: مكابدة العفة أيسر من الاحتيال لمصلحة العيال، يقال: أول المروءة طلاقة الوجه، والثانية التودد، والثالثة قضاء الحوائج لبعضهم: [البسيط]

أليت أجلس إلا دون مرتبتي ... وأن أزاحم، حتى يفتح الباب

كي لا يباعد إن قربت منزلتي ... ولا يواجهني بالرد بواب

قال المأمون لليزيدي عن ابنه العباس: فقال: لا يفلح أبدا، فقال: من أين عرفت ذلك، وقد أمرتك بتأديبه؟ فقال: ناوله الغلام أشنانا، ليغسل يده فاستكثره ورده إلى الأشنندانه، ولم يلقه في الطشت فعلمت أنه بخيل لا يسود، فلا يصلح للملك.
قال بعض الحكماء الصبر على مرارة الأمر إبقاء الحلاوة عاقبته.
يقال شيئان لا يفترقان الحرص، والشر، وشيئان لا يجتمعان القناعة، والحسد، قيل لقيس بن عاصم: بم سدت قومك؟ قال: ببذل القرى، وترك المراء واحتمال الأذى ونصرة المولى، قيل لبعض الحكماء: متى يكون الأدب شرا من عدمه، فقال إذا أكثرت الأدب ونقص العقل، وغني لأكره زيادة منطق على عقلي، قال أبو العتاهية: [الطويل]

إذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزا ... فأنت عن الإبلاغ بالقول أعجز

يخوض أناس في الحديث ليوجزوا ... وللصمت في بعض الأحايين أوجز

ولقد أحسن بعضهم في قوله: [الوافر]

بداهته وفكرته سواء ... إذا ما نابه الخطب الكبير

وأحزم ما يكون الدهر رأيا ... إذا عمي المشاور، والمشير

قال المنصور: عقوبة الحكماء التلويح، وعقوبة السفهاء التصريح، يقال: إنه جرى بين شهرام المروزي وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام، فمازال يترقى بينهما إلى أن، قال له شهرام: يا لقيط، فصمت أبو مسلم وندم شهرام، فأقبل عليه معتذرا إليه، فلما رأى أبو مسلم ذلك قال: لسان سبق، ووهم أخطأ.". (١)

٥٠٢-"قال رجل لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهو يخطب: يا أمير المؤمنين صف الدنيا لنا، فقال: ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من صح فيها أثم، ومن مرض فيها ندم، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن.
وقف بعض الزهاد على رجل يضحك الناس، فقال: يا هذا أما علمت أن لله يوما يحشر فيه المبطلون، فلم تزل تعزف

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/١٠

الكلمة في قلب الرجل، حتى مات.

قال بعض الحكماء: من كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينه، روي أن دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته، فقال له: إنه عظم شانك، أن يستعان بك، أو يستعان عليك، ولست تصنع شيئا من المعروف إلا، وأنت أكبر منه، وليس العجب من أن تفعل، ولكن العجب من أن لا تفعل.

وسأل بعضهم إنسانا في حاجة، فقال: إني مشغول عنك بكثرة الأشغال، فقال: لولا أنك مشغول بأشغالك هذه لما جئتك في شغل، ثم أنشده: [الطويل]

فلا تعتذر بالشغل عنا فإنما ... تناط بك الأشغال ما اتصل الشغل

وسئل رجل لأسد بن عبد الله فاعتل عليه، فقال: أيها الأمير إني سألتك من غير حاجة، فقال: وما حملك على ذلك؟ فقال: رأيتك تحت من لك عنده حسن بلاء، فأحببت أن أتعلق منك بحبل مودة، واحتجت بعض الأمراء عن وافد إليه فكتب الوافد: الضرورة، والأمل أقدماني عليك ومع العدم لا يكون صبر عن المطالبة، والانصراف بغير فائدة شماتة الأعداء، فإنما نعم مثمرة، أو فلاة مريحة، والسلام.

روى أبو هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (ثلاث من كن فيه أدخله الله في رحمته وآواه الجنة، وكان في كنفه: من إذا أعطي شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر) .

قال ابن الزبير جاء رجل إلى الأحنف بن قيس، وهو جالس في المسجد، فلطم عينه، فأخذ الأحنف عينه بيمينه، وقال بسم الله ما شأنك؟.

فقال لا، والله، إلا أن رجلا من بني تميم لطمني، فحلفت بالله لأقتص من سيد بني تميم فقال: ويحك فهلا ذهبت إلى جارية ابن قدامة، فقد تضمن هذا حلم الأحنف، وتواضعه، وكيف أعتقد أن غيرة السيد ونصحه للرجل؟ كيف حلف ليقتصن من سيدهم؟ فأرشده إلى جارية ابن قدامة ليبر قسمه وإلا، فما كان قصده أن يؤذي جاره ابن قدامة، لأن هذا مما لا يليق بحلمه وعقله، ووقاره. كان ابن عطا يقول: الاحتيال في دفع البلاء زيادة في البلاء لبعضهم: [الطويل]

وكنت سعيد الجد، إذ كنت حاضرا ... ومن يقترب منكم فذاك سعيد

سأستعتب الأيام فيك لعلها ... ببعض الذي كنا عليه نعود

أخبرنا شيخنا الإمام ناصح الإسلام أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني رحمه الله قال: أخبرنا أبو علي الحسن الحادذي قال: حدثنا المعافى بن زكريا الحريري قال حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثنا ابن المرزبان قال: حدثنا أبو عبد الرحمن الجوهري قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك، قال: حدثنا الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) وفد الشعراء إليه.

فأقاموا ببابه أياما لم يؤذن لهم، فبيناهم كذلك يوما، وقد أزمعوا على الرحيل، أمر بهم رجاء بن حيوة، وكان من خطباء أهل الشام، فلما رآه جرير واقفا على باب عمر، أنشأ يقول:

يا أيها الرجل المرخي عمامته ... هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

قال: فدخل، ولم يذكر من أمرهم شيئا، ثم مر بهم عدي بن أرطاه فقام إليه وقال: [البسيط]

يا أيها الرجل المرخي مطيته ... هذا زمانك قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيته ... إني لدى الباب كالمصفود في قرن

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة ... قد طال مكثني عن أهلي وعن وطني

قال: فدخل عدي على عمر رحمه الله، فقال: يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم، وأقوالهم نافذة، فقال: ويحك يا عدي مالي وللشعراء، قال أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم قد امتدح فأعطى، ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي، فأعطاه حلة قطع بها لسانه، قال: أتروي من شعره شيئا؟ قال نعم، فأنشده: [الطويل]

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتابا جاء بالحق معلما". (١)

٥٠٣-"ما كانت لي دنيا، ولا خلافة، وليست في ملكي أن أهب لها، فكأنه خف في عيني، ثم عرفته خير بابك فاسترجع، وقال أستعين عليه بالله وبقرابتي من رسول الله، وبدولة الحق، ويمن تدبيرك يا فضل فتقل، والله في عيني وجل. قيل لمحمد بن المنذر ما تشتهي؟ فقال محادثه محبوب، وتنفيس عن مكروب. قيل إن عتبة بن أبي سفيان، قال لمؤدب ولده: بك يا عبد الكريم أول ما تبدأ به من إصلاح ولدي إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبح ما تركت.

ثم علمهم كتاب الله (عز وجل) ، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروهم سير الحكماء، ولا تنقلهم من علم إلى علم، حتى يتقنوه، فإن ازدحام العلم في السمع مفضلة الفهم، وكن كالطبيب الأديب الذي لا يعجل بالدواء قيل: معرفة الداء، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، ولا تتكل على عذر مني، فقد اتكلت على كفاءة منك، واستزدني بزيادتك إياهم، أزدك إن شاء الله تعالى.

ذكر هشام بن عبد الملك أنه كان عند الأبرش الكلبي جالسا، فخرجت جارية له عليها حلة، فقال له هشام: مازحها يا أبرش، فقال لها ما أحسن حلتك لو بعتها، أو وهبتها لي. فقالت، والله لأنت أطمع من أشعب، فقال هشام، ومن أشعب؟ قالت رجل من المدينة يضحك الناس، وحدثته من أحاديثه، وأضحكته، فقال هشام: اكتب إلى إبراهيم بن هشام يحمله إلينا، فكتب الكتاب وختمه هشام، ثم مكث ساعة صامت، ثم مرت شفتيه بشيء، ثم قال يا أبرش أمير المؤمنين هشام يكتب إلى بلد رسول الله (صلى الله عليه وسلم يحمل إليك مضحك، ثم قال شعر: [الطويل]

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/١٣

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى ما فيه عليك مقال

قال خالد بن صفوان: دخلت على هشام بن عبد الملك، وهو جالس على كرسي إلى جانب بركة له، وفيها رجال من أصحابه في مآزر، فقال لي: كن في مثل حالهم، ففعلت، ثم خرجت فجلست، فتنفس.

ثم قال: يا خالد رب خالد كان يجلس مجلسك هذا، كان أحب إلي منك، فعلمت أنه يعني خالدا ما سألني شيئا قط، ابتدأ به، وما ازدادني على عظيمة قط، فقلت ذلك أحرى أن تعيده، فقال: إن خالدا أدل فأمل، وأخف فأعجف، ثم أنشد: [الطويل]

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل

قال سعيد بن العاص: موطنان لا اعتذار فيهما من العي، إذا كلمت سفيها، أو أحمق، وإذا سألت حاجة لنفسي، وأنشد: [الخفيف]

رب، قول يهيج منه جوابا ... تتمنى أن لا تكون سمعته

كلما خفت من سفيه جوابا ... فأطلت عنه عممته

كتب الحسن بن سهل لرجل كتاب شفاعة، فقام الرجل يدعو، له، ويشكره، فقال الحسن علام تشكرني، ونحن نرى كتب الشفاعات زكاة مروآتنا وجاهنا، ثم أنشد: [الوافر]

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين، وأشفعا

فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع ... فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

قال رجل لعمر بن عبد العزيز لما أفضي إليه الأمر: والله يا أمير المؤمنين، لأنت أزين للخلافة منها لك، والخلافة إليك أحوج منك إليها، وما مثلك ومثلها إلا، كما قال الشاعر: [الخفيف]

وإذا الله زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيد بن أطيب الطيب طيبا ... إن تمسيه أين مثلك أينا

قيل لأفلاطون: أي شيء من أفعال الناس يفعل كفعل الله سبحانه، وتعالى؟ قال: الإحسان إلى الناس. يقال لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة. قال الأحوص: بلغني أن بعض الملوك قال لوزرائه: اجمعوا لي علما فجمعوا له قدر وقر بعير، فقال من يحفظ هذا تخيروا منه كلمات، وهي لا تحملن بطنك ما لا تطيق، ولا تعملن عملا لست لك فيه منفعة، ولا تتغن بامرأة، ولا تغترن بمال، وإن كثر.

وقال بعض الحكماء: ثلاث خصال يسود بها المرء: العلم، والعقل، والأمانة. وخصلتان ليست لصاحبها راحة إلا مفارقتهما: الطعام المخوف، والصاحب الخائن. من كلام الفقهاء وحسن استنشادهم وافتخارهم في وقت مناظراتهم. كان

العنبري، وهو عبيد الله بن الحسن، ينشد في مجلس نظره:

إذا أفلج على خصمه يهتز حين ... عن حجة خصمه خوف الهضيمة كاهتاز
وأنشد أبو بكر بن داود لشريح في آخر كلامه: [البسيط]". [(١)]

٥٠٤-"ثم قال جرير: أكرم الخيل الأشهب الأقب الأغلب، والمتن الأحلق، والكفل المزحلق، والجوف الأجوف، العامض العضب المدرك لما طلب، العاري الظنبوب، العجلز السرحوب، الذي كأن في جوفه شؤبوبا تخال، مشيته تقربا، ثم قال للأخطل: هات يا أبا مالك. فقال: اسقني قعبا من خمر، يعين على اختراع الوصف، فسقاه، فلما شربه قال هات قال يا أمير المؤمنين: تركته وحيدا لا تقدر على ابتداع، ولا يتسع لاختراع، فاجعل له شريكا.
قال له: طاسة مملوءة، فلما شربه، قال عبد الملك كيف ترى؟ قال اثنان يتشاحنان الخطابة، ويتنافسان الإجابة، فاجعل بينهما حكما فسقي ثالثا ورابعا، حتى استوفى سبعة، فغضب بنو أمية، وقالوا الأخطل أحللته محلا يتجرأ فيه عليك مع كفره، قال الأخطل، والمسيح ما أتكلم وغواة بني أمية حضور فنحاهم.
ثم قال: قال هات الآن. قال أكرم الخيل الكميت البهيم، من نسل كريم، منتصب الأذنين، القادح العينين، السائل الخدين، الرحب المنخرين، الجواد العلوة الطويل الفتى، المندمج الظهر، الأقب البطن، الصحيح القصب، التام العصب، المريح إذا أقبل، المتنابع إذا أدبر، أديمة صاف، ومحزمه واف، وسبيبه ضاف، وعقره داق قصير ظهره، هادية شطره، طالبه مشكوك، وطريدة مخذول، يعجبك خلقه إذا استقبلته، ويمرح تحتك إذا ركبته كأن مشيته زيفان.
وكأن جريه طيران، يعنق بيديه، ويهلج برجليه، ويشكر بطرفيه، وقلبه بين عينيه، فقال له عبد الملك: أحسنت، ثم قال: من يلومني على أبي مالك، وأحسن جائزته. تفسير قولهم الطهطاه الفرس الفتى، وقوله هامته علاه العلا السندات، وعاط من عطا يعطو هاط، مجتمع الأحلق الأملس المزحلق المدور الظنبوب عظم الساق. العجلز الشديد الحلق، السرحوب الخفيف، العتيق: [البسيط]

يا أهل ودي أما في الأرض ذو كرم ... يرثي لذي كرم زلت به القدم
أفي عيونكم عن منظري عمه ... أم في مسامعكم عن منطقي صمم
من نعمة الله فقل إني لأنعمكم ... لأنها نعم من دونها نقم
ألست أنسى لكم عن أحرف عرضت ... في القلب قد كاد منها القلب ينقصم
ما بال دوركم حل لطارقها ... في كل أوقاتها، والمطبخ الحرم
وله أيضا: [الوافر]

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/١٦

سألت الله تعميرا طويلا ... ليبهجني بخطب يعتريكم

أخاف بأن أموت وما أرتني ... صروف الدهر من أرجوه فيكم

قال بعض الحكماء: تفرعت الذنوب من سبعة أشياء: الكبر، والحرص، والغضب، والحسد، والشح، والعجلة، والجميل.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لابنيه: عليكما باصطناع المعروف واكتسابه، وتلذذا بروح نسيمه، وارضيا بمودات الرجال ثمنا منه، فكم من رجل صير ماله معروفا فعاش به بنوه بعده. قال الأحنف بن قيس: ما رددت من حاجة قط، قيل له: ومن ذا الذي يردك يا أبا بحر؟ قال ليس، كما ظننتم، ولكني ما سألت قط إلا ما يجوز، ويسهل.

سمع بلال بن جرير رجلا يقول: الشحيح أغدر من الظالم، فقال لعن الله خلين خيرهما الشح. تحادث قوم عند عبيد الله بن عبد الله ذكر السخاء، فقال لا يتحدث أحد في السخاء، ولا في أهله إلا ولحاتم الطائي، ولكعب بن مامة عليه الفضل، أما حاتم فإنه كان لا يسأل عن شيء إلا سمح به، حتى أنه كان في سفر، فخرج عليه فارس ليأخذ ما معه، فلم يزل حاتم يجاريه، حتى انكسر الرمح الذي في يد الرجل، فكاد أن يقتله حاتم، فقال الرجل لحاتم أعطني رمحك، ومد يده إليه فأعطاه إياه، فسد عليه الرجل، فكاد أن يقتل حاتما، فركض حاتم، وكان فرسه جوادا فلحقه فحدثهم: فقالوا، ولم أعطيته رمحك؟ قال ما كنت لأسأل شيئا، فلا أجود به سيما، وقد مد يده إلي، ثم كروا على الرجل فأخذوا الرمح منه، وأسروه، وأما كعب بن مامه، فإن رجلا صحبه في فلاة، ومع كعب إداوة فيها شربة واحدة وليس مع رفيقه جرعة، ولا في الموضع ماء، ولا يطمعون في بلوغ الماء، فعطشا واشتد عطشهما فاستحيا كعب أن يشرب ورفيقه عطشان، فلا يواسيه، ولم يحتمل الماء سريعا، فلم يبلغا الماء، حتى مات كعب بن مامه. قال محمد بن سليمان لابن السماك: بلغني عنك شيء كرهته. قال إذن لا أبالي، قال: كيف ذاك؟ قال لأنه إن كان حقا غفرته لي، فإن كان باطلا لم يبله عني وكذبته.". (١)

٥٠٥-"إذ عطس عطسة ضئيلة، فلحظه عبد الملك بن صالح لحظة منكرة لم يدر العاطس ما سببها، فلما انصرف الوفد: قال له: الرجل رأيت عينيك تلحظاني لحظا منكرا، فما سببه؟، فقال له: فهلا إذا كان منخراك ضيقين وخيشومك في كرارتها خيشوم الأرنب، اتبعت عطستك اتبعت عطستك بصيحة تخلع به قلب العلج، ثم أنشد، قول العتابي في الرشيد: [المتقارب]

جهير العطاس شديد النياط ... جهير الرواء جهير البعسم

ويخطو على الأين خطو الظليم ... ونمى السماط بجسم عميم

وأنشد أبو عمرو بن العلاء لرجل من الخوارج، في وصف شبيب بن يزيد الخارجي، المعروف بابن الديلمية، وكان شبيب يصيح في الخيل إذا أتته، فلا يلوي أحد إلى أحد: [البسيط]

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٢٢

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا ... والريح عاصفة والبحر ملتطما

شكا بعض الناس إلى صديق له رجلا ما يلقاه من شره، فقال له: اصبر عليه واحتمله، وأنشد: [الطويل]

فلو كان منه الخير أو كان شره ... عتيدا جعلت الخير منه مع الشر

ولكنه شر ولا خير عنده ... وليس على شر إذا دام من صبر

مر رجل ببعض الولاة، وهو يعذب قوما في الخراج، ويصل قوما بدراهم، فقال له: إن كنت تصل من ترحم فارحم من تعذب، قال رجل لعمر بن [٥٥] الخطاب (رضي الله عنه) يا أمير المؤمنين: أعطي الشعراء، فقال خير المال ما وقى العرض.

قيل إنه أبطأ ابن عبدل الأسدي أياما عن عبد الملك بن بشر بن مروان، وهو والي العراق.

فقال يا ابن عبد الله لم أرك منذ أيام، فقال أصلح الله أمير، كنت خطبت امرأة من أهلي فحلفت لا تتزوج بي، حتى أخرج حقها، وأقضي دينها، وأقتصي مالها، فخرجت إلى البادية فمدحت هذا، وهجوت هذا، وحمدت هذا، وذممت ذا، فلما فرغت أتيتها تنجز الوعد فملت لي رفعة فيها مكتوب أما والله لو كرهت يميني شمالي، ما وصلت بها شمالي. [الوافر] .

سيعييك الذي حاولت مني ... إذا انتقصت عليك فقوي خبالي

كما أعياك معروف بن يشر ... وكنت تعده رأس مالي

فقال له عبد الملك: قاتلك الله ما أحسن ما ألطفت المسألة، وأمر له بمال وصرفه.

لما التاث عبد الله بن علي عم المنصور عليه، كتب إله: [الطويل]

وخدراء لو أطلقتها من عقالها ... تضايق عنها الأفق، والأفق واسع

فأين علي ما بيننا من قرابة ... وراجع فخير المذنبين المراجع

فإنك إن وليت ذمة بيننا ... خلافا تولتك السيوف القواطع

قيل لعيسى عليه السلام، لو تزوجت يا روح الله، فيكون لك ولد، فقال الولد إن عاش كدني، وإن مات هدني، قال أمير المؤمنين على عليه السلام، لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن إلا لتدبير العيال، إن تركن، وما يردن أو ردن المهالك، وأذكن الممالك، لا دين لهن عند لذتهن، ولا ورع لهن عند شهوتهن، ينسين الخير، ويحفظن الشر، يتهاوين بالبهتان، ويتمادين في الطغيان، ويتصدين للشيطان.

بعض الحكماء قال: ما أطاع عرسه لم يرفع نفسه. وقال آخر اعص هواك، والنساء، واعمل ما شئت، وقال آخر: النساء شر كلهن، ومن شرورهن قلة الاستغناء عنهن، وقال أرسطاطاليس: القينة ينبوع الأحزان. نظمه أبو الفتح البستي: [المتقارب]

يقولون مالك لا تقتني ... من الذخر مالا يفيد الغنى

فقلت وأفحمتهم في الجواب ... لئلا أخاف ولا أحزنا

يقال إن جمال الرجل في طي لسانه لا في طيلسانه. وقال عليه السلام: ما أكل من قدر على المعروف، وكانت له فيه نية، إذن له فين فإذا اجتمعت النية، والقدرة فهناك تمت السعادة، وله عليه السلام: من عاش أبصر في الأعداء بغيته، وإن يمت فله الأيام تنتصر.

قال بعض الحكماء: لو صور العقل لأظلم معه الشمس، ولو صور الحق لأمنا معه الليل، قيل لريض: ما تشتهي؟ أشتهي أن أشتهي.

مر بعض ملوك الفرس على شيخ كبير يغرس شجرة جوز، فقال له: يا هذا أتطمع أن تعيش لتأكل منها، فقال: لا، ولكن الدنيا سلمت إلينا عامرة. فندفعها إليهم عامرة. فقال الملك هذا حكيم أعطوه أربعة آلاف درهم، فقال الشيخ ما أسرع ما أدركت خير هذه الجوزة، فقال الملك أعطوه أربعة آلاف درهم أخرى، وأمسكوا لسانه، لئلا يتكلم بما يستحق به العطاء.". (١)

٥٠٦-"قيل لسعيد بن المسيب: مات إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: كيف مات؟ قيل سقط قصره، فقال هيهات لا يموت مثله هكذا، فلما أخرج من الهدم وجدوه حيا ما برجله كسر، فقيل لسعيد كيف قلت ما قلت؟ فقال: لأنه واصل للرحم، وواصل الرحم يوقى سيئه السوء.

يقال: إن القرابة تحتاج إلى المودة، والموجة لا تحتاج إلى القرابة، والود أعطف من الرحم. ذكر بعض الحكماء: أن غسل الوجه بالماء البارد عقب الخروج من الحمام يبقي طراوته مع كبر السن، أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عيه السلام:_تدري لم اتخذتك خليلا) . قال الحسن البصري: ما لا، (لأني رأيتك تحب أن تعطي، ولا تحب أن تأخذ وهذه صفتي، فاتخذتك خليلا) . قال الحسن البصري: ما أنصفك من كلفك لحلاله ومنعك ماله؟ [الطويل]

إذا لم تكن نفس الشريف شريفة ... وإن كان ذا قدر فليس له شرف

قال أكثم بن صيفي: السخاء حسن الفظنة، واللؤم سوء التغافل، ومن [٧٥] حسن الفطنة تبليغ التعريض. مت حكى عن بعض الأمراء أن رجلا سايره، فقال له: ما أهزل برذونك، فقال له: أيها الأمير يده مع أيدينا فوصله بصلة سنية، اكتفى بهذه الإشارة، ومن ذلك ما حكى عبيد الله بن سليمان أنه لما تقلد الوزارة للمعتضد، كتب إليه عبد الله بت عبد الله بن طاهر. [الطويل]

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا، فمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها ... ودع أمرنا إن المهم المقدم

فقال الوزير: ما أحسن ما شكا حاله من إضعاف مدحه، وقضى حاجته. **قال بعض الحكماء**: الضرورة توقح الضرورة

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٢٨

يعني العاجز، وفي معناه: [الطويل]

ألا قبح الله الضرورة إنها ... تكلف أعلا الخلق أدنى الخلائق
ولله در الاختيار فإنه ... يبين حد السبق من غير سابق

قال الفضل بن سعيد لرجل سأله حاجة: أعدك اليوم، وأحبوك غدا بالإنجاز، فتذوق حلاوة الأمل، وأتزين بثوب الوفاء.

وروى النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال "لكل شيء ثمرة، وثمرة المعروف تعجيل السراح".

وقيل لأنوشروان: ما أعظم المصائب عندكم؟ فقال: أن تقدر على المعروف، فلا تصطنعه، حتى لا يفوت. وقال أبو عبد الحميد: من أضاع الفرصة وعن وقتها فليكن على ثقة من فوتها. روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه ذكر عنده رجل فذكر فيه خير، وقالوا: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم: خرج معنا حاجا فإذا نزلنا منزلا لم يزل يصلي، حتى نرحل، فإذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله سبحانه، حتى ننزل، قال: "فمن كان يكفيه علف ناقته وصنيع طعامه" قالوا: كلنا قال: "فكلكم خير منه".

كتب بعض ذوي الحاجات إلى عامل بلد في رعاية حرمته: [الكامل]

أعلى الصراط تريد تظهر حرمتي ... أن في الحساب تمن بالأنعام
للنفع في الدنيا أريدك فانتبه ... الحي أنجى من رقدة النوام

وكتب أبو علي البصير إلى بعض الوزراء، وقد اعتذر إليه بكثرة الأشغال:

لنا كل توبة قد نتوبها ... وليس لنا رزق، ولا عندنا شغل
فلا تعتذر بالشغل عنا فإنما ... تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

قال بعض البلغاء المقادير الغالية لا تنال بالمغالبة، والأرزاق، لا تنال بالشدة، والمكالبة، فذلك للمقادير نفسك، واعلم بأنك غير نائل بالحرص إلا حظك، وقد قيل رب حظ أدركه غير طالبه، ودر أحرزه غير جالبه ودر حصله غير طالبه، لبعض الأدباء، وهو محمد بن حازم: [مجزوء الكامل]

يا أسير الطمع الكا ... ذب في أسر الهوان
إن عز الناس خير ... لك من ذلك الأماني
سامح الدهر إذا أعز ... وخذ صفو الزمان
ربما أعدم ذو الحر ... ص وأثرى ذو الثواني

قال بعض الحكماء: في تقلب الأحوال نتعرف جواهر الرجال، الكره يسهل بالمرون، قال في تأويل قوله تعالى: حياة طيبة، قال القناعة. وقال أكثم بن صيفي من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة وقال بعض الشعراء: [الطويل]

إذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندى ... فأنت إذن والمقترون سواء

على أن في الأموال يوما تباعة ... على أهلها والمقترون براء

(وقال آخر) : [الطويل]

إذا أسود وجه المرء وأبيض شعره ... تنغص من أيامه مستطابها". (١)

٥٠٧-"وغره عمر المرء قبل مشيبه ... وقد فنيت نفس تولى شبابها

فدع عنك فضلات الأمور فإنه ... حرام على نفس الكريم ارتكابها

ومن يدق الدنيا فأني طعمتها ... وسيق إلى عذبها وعذابها

وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها

قال بعض الحكماء إن من قنع كان غنيا، وإن كان مقترا، ومن لم يقنع كان فقيرا، وإن كان مكثرا، وقال بعض السلف من البلغاء، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، وإذا طلبت العز، فاطلبه بالطاعة، فمن أطاع الله (عز جلاله) نصره، ومن لزم القناعة زال فقره. قيل لبعضهم: صف لنا حال الأخ الصالح، فقال: يلقاني بوجه لا غني به عني، وأما إليه محتاج، وإن أذنبت غفر وكأنه المذنب، وإن أسأت أحسن وكأنه المسيء له بشر مقبول، ونائل مبذول، وعفاف معروف وأذى مكفوف لبعضهم: [الطويل]

خبت نار نفسي إذا أضاءت مفارقي ... وبان شبابي حين لاح شبابها

فيا بومة قد عششت فوق هامتي ... على الرغم مني حين طار غرابها

عرفت طراب العمر مني فررتني ... ومأواك من كل الديار خرابها

قال عمر لابن عباس (رضي الله عنه) : من ترى أوليه مصر؟ قال: رجلا صحيحا منك صحيحا لك، قال: فكن أنت ذلك الرجل، قال لا ينتفع بي مع سوء ظنك بي، ولا أنتفع بك مع ظني بك. **قال بعض الحكماء** من يرى من ثلاث نال ثلاثا من يرى: [الطويل]

فطوبا لنفس لا رمت باب دارها ... مغلقة الأبواب مرخى حجابها

وأدي زكاة الجاه واعلم بأنه ... كمثل زكاة المال ثم نصابها

وأحسن إلى الأحرار تلمك رقابهم ... فخير الخيارات الكرام اكتسابها

وما تخرب الدنيا بموت شرارها=ولكن يموت الأكرمين خرابها من يرى من الشر نال العز، ومن يرى من البخل نال الشرف، ومن يرى من الكبر نال الكرامة، قال معصب بن الزبير: التواضع مصائد الشرف، وفي منثور الحكم، من دام كتواضعه كثر

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٢٩

صديقه. قال بعض الناس في الولاية رجلان، رجل يجل العمل ليفضله ومروءته، ورجل يجل بالعمل لنقصه ودنائته، فمن جل عن عمل ازداد تواضعا وبشرا، ومن جل عنه عمله لبس به تجبرا وكبرا، يروي النبي (صبى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن الله اختار لكم الإسلام دينا فأكرموه بحسن الخلق، والسخاء فإنه لا يكمل إلا بهما" قال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدواء الداء؟ قالوا بلى، قال: الخلق الرديء، واللسان البذيء.

قال بعض الحكماء الحسن الخلق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، والسيء الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء، قال بعض الأدباء: عاشر أهلك بالمعروف، وبأحسن أخلاقك، فان الثواء فيهم قليل.

يروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال:"حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار" **قال بعض الحكماء** في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق، يقال إن ذلك العزل ثمرة نية الولاية. حكى حميد الطويل، وكان من الصلحاء، والتابعين عن عمار بن ياسر أنه عزل عن ولاية فاشتد عليه ذلك وقال: إني وجدتها حلوة الرضاع، مرة الفطام، ولبعض الشعراء: [الطويل] .

فإن تكن الدنيا أنالتك ثروة ... فأصبحت ذا يسر، وقد كنت ذا عسر

لقد كشف الإثراء منك خلائقا ... من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

في معنى هذا أن قتيبة بن مسلم كتب إلى الحجاج: إن أهل الشام قد التاثوا علي فكتب إليه اقطع عنهم الأرزاق ففعل، فساءت أحوالهم، فاجتمعوا إليه وقالوا: أقلنا، فكتب إلى الحجاج بذلك الأكبر يذل به كل جبار تكبر، وقد روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إنكم لن تسعوا بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجوه، وحسن الخلق" في معناه الشاعر: [المنسرح]

بني إن البشر شيء هين ... وجه طليق وكلام لين

قال عبد الله بن جعفر لا تستحي من القليل فإن البخل أقل منه، ولا تجبن عن الكثير فإنك أكثر منه، قال الشاعر:

اعمل الخير ما استطعت ... وإن كان يسيرا فلن تحيط بكله

ومتى تفعل الكثير من الخير ... إذا كنت تاركا لأقله

روي عن النبي (صلى الله عيه وسلم) أنه قال:"إذا أراد الله بعبد خيرا جعل ضايعه في أهل الحفاظ"." [١]

٥٠٨-"وفي منثور الحكم: لا خير في معروف، إلى غير عروق. وقال حسان بن ثابت: [الكامل]

إن الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٣٠

فإذا صنعت صنيعة فاعمل بها ... لله أو لذي القاربة أودع

قال بعض الحكماء: على قدر المغارس يكون اختبار الفارس، وقد نظمه بعض الشعراء: [الطويل]

لعمرك ما المعروف في غير أهله ... وفي أهله إلا كبعض الودائع

فمستودع ضاع الذي كان عنده=ومستودع ما عنده غير ضائع

وما الناس في شكر الصنيعة ... عندهم وفي كفرها إلا كبعض المزارع

روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "من أودع معروفا فلينشره، وإن نشره، فقد شكره، وإن كتمه، فقد كفره".

روي عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنا أتمثل بهذين البيتين: [البسيط]

ارفع ضعيفك لا يجزيك ضيعته ... يوما فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثني عليك وإن من ... أثنى عليك بما فعلت فقد جزا

فقال النبي (صلى الله عبيه وسلم) : "ردي علي، قول اليهودي قاتله الله لقد أتاني جبريل برسالة من ربي: أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة، فلم يجد لها جزاء إلى الدعاء، والثناء، فقد كافأنا".

وقال عبد الحميد من لم يشكر الأنعام فأعدده من الأنعام. قال بعض البلغاء شكر الإله بطول الثناء وشكر الولاة بصدق الدعاء، وشكر النظير بحسن الجزاء، وشكر من دونك بسبب العطاء. وقال الشاعر:

فلو كان يشغلني عن الشكر منعم ... لعزة ملك، أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره ... فقال اشكروا لي أيها الثقلان

ولآخر [البسيط]

لأشكرنك معروفا هممت به ... إن اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك إن لم يمضه قدر ... فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

قال بعض الحكماء: من شكرك على معروف لم تسده إليه فعاجله بالبر وإلا انعكس فصار ذما، وقد قال ابن الرومي: [الطويل]

وما الشكر إلا توائم الشكر في الفتى ... وبعض السجايا تنشئن إلى بعض

فحيث ترى حقدا على ذي إساءة ... فثم ترى شكرا على حسن القرض

إذا الأرض أدت ربع ما أنت زارع ... من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : "لا يشكر الله من لا يشكر الناس".

قال بعض الأدباء: من لم يشكر لمنعمه استحق قطع النعمة. قال المأمون: الناس على أربعة أقسام: زراعة فصناعة، وتجارة وإمارة، فمن خرج عنها كان كلا عليها، قال النبي (صلى الله عيه وسلم) : "خير المال عين ساهرة لعين راقدة".

وقال بعض السلف: خير المال عين خرارة في أرض خوارة في جفجرها القارة، تسهر إذا نمت، وتشهد إذ قمت، وتكون عمياء إذا مت. وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : "التمسوا الرزق في خبايا الأرضي لجني الزرع".

حكي عن المعتضد بالله أنه قال: رأيت عليا عليه السلام في المنام، فناولني مسحاة وقال خذها فإنها مفاتيح خزائن الأرض.

قال كسرى للموبد ما قيمة تاجي هذا؟ فأطرق الموبد ساعة، ثم قال: مطرة في نيسان تصلح من معايش الرعية، ما يكون قيمته مقدار تاج الملك. يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خير المال مأمورة، أو سكة مأثورة".

يعني بالمهرة المأمورة الكثيرة النسل.

ومن قوله تعالى: (أمرنا مترفيها) [الإسراء: ١٦] أي أكثرنا عددهم المأثورة النخلة المؤثرة للحمل. في التوراة مكتوب يا ابن آدم حدث سفرا أحدث لك رزقا. حكى أن الإسكندر لما أراد الخروج إلى أقاصي الأرض، قال لأرسطاطاليس أخرج معي، قال قد نحل جسمي وضعفت قواي عن الحركة، فلا تزعجني، قال: فما اصنع في عمال خاصة؟ قال من كان له عبيد فأحسن سياستهم فوله الجند، ومن كانت له ضيعة فأجاد تدبيرها فوله الخراج. قال النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أوحى الله إلي [٦٢] كلمات قد دخلن أذني، ووقرن في قلبي: من أعطى فضل ماله فهو خير له، ومن أمسك فهو شر له، ولا تلم الله على كفاف".

وقال حميد بن معاوية بن جيدة للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما يكفيني من الدنيا"؟". (١)

٥٠٩-"قال: ما سد جوعتك، وستر عورتك، فإن كان دارا غذاك، وإن كان فبخ بخ فلق من خبز وجرة من ماء، وأنت مسؤول عما فوق ذلك".

يقال من قل توقيه، كثرت مساوئه، أنشدنا الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الدهان المرتب بجامع المنصور، قال: أنشدنا الشيخ أبو علي محمد بن الحسين بن شبل لنفسه: [مجزوء الكامل]

ليس المصر سعيدا ... بل التقي سعيد
طلاب ما لم تقدر ... على النفوس شديد
والعجز كثره فكر ... في فايت لا يعود
وراحة القلب ملك ... عند الملوك رقود
في كل يوم جديد ... رزق يجيء ويعود

وروي أن أعرابيا جاء إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: [الرجز]

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٣١

يا عمر الخير جزيت الجنة ... أكس بنياتي وأمهنه

وكن لنا من الزمان جنة ... أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر إن لم أفعل تكن ماذا؟ فقال: [مخلع البسيط]

يكون عن حالي لتسألن ... يوم تكون الأعصيات هنه

وموقف المسؤول بينهن ... إما إلى نار وإما جنه

فبكى عمر، حتى اخضلت لحيته وقال: يا غلام أعطه قميص لذاك اليوم لا لشعره، أما والله لا أملك غيره. كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله الحكمي: إن استطعت أن تدع مما أحل الله له ما تكون حاجزا نفسه إلى الحرام.

قال بزرجمهر: إن كان شيء فوق الحياة فالصحة، وإن كان شيء مثلها فالغني، وإن كان شيء فوق الموت فالمرض، وإن كان شيء مثله فالفقر بعض الشعراء [الطويل]

أعوذ بك اللهم من بطر الغنى ... ومن نهكة البلوى ومن ذلة الفقر

ومن أمل يرتد بي كل شارق ... ويرجعني منه بحظ يد صفر

إذا لم تدنسني الذنوب بعارها ... فلست أبالي ما تشعث من أمري

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : من نبل الفقر أنك لا تجد أحدا يعصي الله ليفتقر فنظمه ابن المقفع. شعر: [الطويل]

دليلك إن الفقر خير من الغنى ... وإن القليل المال خير من المثري

لقاؤك مخلوقا عصى الله بالغنى ... ولم ترى مخلوقا عصى الله بالفقر

قال بعض الحكماء هيهات منك بالغنى إن لم ينفعك ما حويت. قيل لأبي الزناد: لم تحب الدنانير، والدراهم، وهي تدنيك ن النار: قال: وإن ادعني منها، فقد صانتني عنها. عن بعض الحكماء: من اصلح ماله، فق صان الأكرمين: الدين، والعرض، وفي منثور الحكم من استغنى كرم على أهله. قال عبد الحميد: كيف تبقى على حالتك، والدهر في إحالتك؟، ويقال: إن الدهر حسود لا يأتي على شيء إلا غمره. وقال آخر: الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها، لشاعر: [الطويل]

ومن كلفته النفس فوق كفافها ... فما ينقضي حتى الممات عناؤه

يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا شئت أن تحيا غنيا، فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها"، وعنه عليه السلام: "ما من عبد إلا بينه وبين رزقه حجاب، فإن قنع واقتصد أتاه رزقه، وإن هتك الحجاب لم يزده في رزقه". وقال المتدير:

إن القناعة والعفاف ليغنيان عن الغنى ... وإذا صبرت عن المنى فأشكر فقد نلت

قال مهنوز الشريف: العديم الأدب كالبنيان الخراب، الذي كلما كان أشد لغورته كان أشد لوجسته، وكالنهر اليابس، الذي كلما كان أعرض، وأعمق كان أشد لغورته، وكالأرض الجدية المعطلة، التي كلما طال خرابها ازداد نباتها غير المنتفع به، وصارت للهوام مسكنا، حكى [٦٤] الأصمعي أن أعرابيا قال لابنه: يا بني الأدب دعامة أيد الله بها أولى الألباب وحلية زين ها عواطل الأحساب، لشاعر: [المتقارب]

فما خلق الله مثل العقول ... ولا اكتسب الناس مثل الأدب

وما كرم المرء إلا التقى ... ولا حسب المرء إلا النسب

وفي الحلم زين لأهل الحجى ... وآفة ذي الحلم طيش الغضب". (١)

٥١٠-"قال بعض الحكماء ذك قلبك بالأدب، كما تذكى النار بالحطب، وقد قيل إن الأدب أحد المنصبين، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) العاجز من عجز عن سياسة نفسه، بعض الحكماء قال: من ساس نفسه ساد نفسه، وقال الأحنف بن قيس من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم مجده كان لمجد غيره أهدم، قال بعض الحكماء: من رضى عن نفسه أسخط عليه الناس، وقال كشاجم: [الكامل]

لم أرض عن نفسي مخافة سخطها ... ورضي الفتى عن نفسه إغضابها

ولو أنني عنها رضيت لقصرت ... عما تزيد بمثله آدابها

وتبينت آثار ذاك فأكثرت ... عذلي عليه وطال فيه عتابها

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس: "أنهاك عن الشرك بالله، والكبر فإن الله (عز وجل) يحتجب منها".

نظر مطرف بن عبد الله السخير إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها، ويمشي الخيلاء، فقال له: يا عبد الله ما هذه المشية، التي يبغضها الله ورسوله؟، فقال ته المهلب: أو ما تعرفني؟ قال: بلى أنت الذي أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وحشوك بين ذلك بول وعذرة، قال ابن المعتز، لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال، استعانوا بالكبير ليعظم صغيرا. ويرفع حقيرا وليس بفاعل، وقال بزرجمهر: النعمة، التي لا يحسد عليها صاحبها هي التواضع، والبلاء الذي لا يرحم منه صاحبه العجب، ذكر عمر بن حصن أنه قيل للحجاج، كيف وجدت منزلك بالعراق؟ فقال: خير منزل لو كان الله سبحانه ملكني فيه أربعة نفر أتقرب إليه بدمائهم، قيل، ته، ومن هم؟ قال: مقاتل بن مسمع، والي سجستان، فأتاه الناس فأعطاهم الأموال، فلما غزل دخل مسجدا بالبصرة، فبسط له الناس أرديتهم، فمش! ى عليها وقال لرحل يماشيه: لمثل هذا فليعمل العاملون، وعبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي جرى لأهل ١٦٥١ البصرة أقر، فخطب خطبة أوجز فيها

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٣٢

فتنادى الناس من أعراض المسجد، كثر الله فينا أمثال فقال: لقد كلفتم الله شططا، ومعبد بن زرارة كان ذات يوم جالسا في الطريق فمرت به امرأة فقالت يا عبد الله كيف الطريق؟.

فقال لها: يا هذه مثلي يكون عبد الله، وأبو سماك الأسدي أضل راحلته فالتمسها الناس، فلم يجدوها فقال: والله لئن لم تردنا فتى لا صليت له أبدا، فالتمسها الناس فوجدوها، فقالوا قد ردها الله فضل فقال: إن يميني يمين مصر.

قال ابن السماك لعيسى بن موسى: تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك، قال ابن المقفع: قابل المدح، كما دح نفسه، **وقال بعض الحكماء** من رضي أن يمدح بما ليس فيه، فقد أمكن الساخر من نفسه لبعضهم: [البسيط]

يا جاهلا غره إفراط مادحه ... لا يغلبن جهل من أطراك علمك بك

أثنى وقال بلا علم أحاط به ... وأنت أعلم بالمحصول من قبلك

وما شرف أن يمدح المرء نفسه ... ولكن أعمالا تذم، وتمدح

وما كل خير يصدق المرء ظنه ... ولا كل أصحاب التجارة تمدح

ولا كل من ترجو لغيبك حافظا ... ولا كل من ضم الوديعة يصلح

قال بعض البلغاء: حياة الوجه بحائه، كما أن حياة بمائه، وقال آخر: من كساه الحياء ثوبه لم يرى الناس عيبه. للشاعر: [الوافر]

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فافعل ما تشاء

فلا، والله مافي العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من ألقى جلبابالحياء فالغيبة له".

وقال بشار بن برد: [الخفيف]

ولقد أصرف الفؤاد عن الشيء ... حياء وحيه في الفؤاد

أمسك الناس بالعفاف وأمسي=ذاكرا في غد حديث الأعادي آخر: [الوافر]

ورب قبيحة ما حال بيني ... وبين ركوبها إلا الحياء

إذا رزق الفتى وجها وقاحا=تصرف في الأمور، كما يشاء قال بعض الأدباء: من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أول عوض الحليم عن حلمه [٦٦] أن الناس أنصاره على عدوه، واغتاضت عائشة (رضي الله عنه) على خادم لها، ثم رجعت إلى نفسها فقالت: لله در التقوى ما ترك لذي غيض نفسا، وقال بعض البلغاء: أحسن المكارم عفو المقتدر وجود المفتقر، وقد أحسن الشاعر حيث قال: [البسيط]".

(١)

٥١١-"لن يبلغ المجد أقوام، وإن كرموا ... حتى يذلوا، وإن عزوا لأقوام

ويشتموا فترى الألوان مسفرة ... لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

حكي عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق، نادى مناديه أين عمرو بن جرموز، وهو الذي قتل أباه، فقيل له: أيها الأمير إنه قد باعد في الأرض فقال: أفظن الجاهل أنني أقيده بأبي عبد الله؟ فليظهر آمنا وليأخذ عطاءه مسلما، فعد الناس ذلك من مستحسن الكبر، لبعض الشعراء: [الكامل]

أو كما طن الذباب طردته ... إن الذباب إذن علي كريم

ولآخر في معناه: [المتقارب]

فكن كيف شئت وقل ما تشاء ... وارعد يمينا وابرق شمالا

نجا لؤمك منجا الذباب ... حمته مقاديره أن ينالا

آخر في المعنى: [الكامل]

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه ... عرض غررت به وأنت ذليل

وقال بعض الحكماء: احتمال السفيه أيسر من التحلي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته، وقال لقيط بن زرارة: [الطويل]

وقل لبني سعد فما لي وما لكم ... ترقون مني ما استطعتم وأعتق

أعدكم أني بأحسن شيمة ... تصير وأني بالفواحش أحدق

وإنك قد سابتني فقهرتني=هنيئا مريئا أنت بالفحش أحدق فيل للإسكندر: إن فلانا وفلانا ينتقصانك، ويسبانك، فلو عاقبتهما فقال: هما بعد العقوبة أعذر في تنقيصي وسبي، فكان ذلك سبب تآلفهما، قال علي عليه السلام لعامر بن مرة الزهري: من أحمق الناس؟ قال: من ظن أنه أعقلهم، قال: صدقت، فمن أعقلهم؟ قال: من لم يتجاوز الصمت في عقوبة. وقد **قال بعض الحكماء**: من لم يغضب عندما يغضب الجاهل كان ذلك من ذل نفسه وقلة حميته، وإنما المحمود من لا ينفد غضبه، ولا يسترسل معه لأن حد الحلم ضبط [٦٧] النفس عن هيجان الغضب، ولهذا قالت **الحكماء**: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن لا يعرف الجواد إلا في العسرة، ولا الشجاع إلا في الحرب، ولا الحليم إلا في الغضب، لشاعر في المعنى: [البسيط]

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٣٣

من يدعي الحلم أغضبه لتعرفه ... لايعرف الحلم إلا ساعة الغضب

وقد أنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الطويل]

فلا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوة أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

ولم يذكر قوله، بل صوته، ومن فقد الغضب من نفسه، فقد فقد من فضائلها الشجاعة، والحمية، والغيرة، والألفة، والدفاع، والأخذ بالثأر، والانتصار، وقد قال المنصور: إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة، يقال من رد غضبه، فقد هد من أغضه فسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن ما تكرهه ممن فوقها.

فالغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه لح والحزن بخلاف ذلك، ولهذا يقتل الحزن، ولا يقتل الغضب لكمون الحزن وبروز الغضب، وصار الحادث عن الغضب السطوة، والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن السقم، والمرض لكمونه. لابن دريد: [الطويل]

إذا أمن الجهال أمرك مرة ... فعرضك للجهال غنم من الغنم

فعم عليه الحلم والجهل، والقه ... بمنزلة بين العداوة والسلم

إذا أنت جازيت السفيه، كما جزى ... فأنت سفيه مثله غير ذي حلم

ولا تغصبن عرض الشفيه وداره ... بحلم فإن أعيا عليك فالصرم

فيرجوك تارات ويخشاك تارة ... وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم

فإن لم تجد عليه فاستعن ... عليه بجهال فذاك من العزم

في التوراة مكتوب: "يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق" وقيل: من ذكر قدرة الله عليه لم يستعمل قدرته في ظلم العباد، قال عبد الله بن مسلم بن محارب للرشيد: يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وهو على عقابك أقدرك منك على عقابي، لما عفوت عني فتركه وعفى عنه، بعض الأدباء قال: إياك وعزة [٦٨] الغضب، فإلها تق! ى بك إلى ذل العذر، أجمع رجل لعمر بن عبد العزيز كلاما.". (١)

٥١٢-"فقال عمر: أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما نال مض غدا انصرف رحمك الله. قال رجاء بن حيوة لعبد الله بن مروان في أسره ابن الأشعث، إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعط الله من ما يحب من العفو. قال المأمون لإبراهيم بن المهدي: إني شاورت في أمرك فأشاروا علي بقتلك، إلا أني وجدت قدرك فوق ذنبك، فكرهت القتل للازم حرمتك.

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٣٤

فقال يا أمير المؤمنين: إن المشار أشار. مما جرت به العادة في السياسة، إلا أنك أبيت أن تطلب النصر إلا من حيث عودته من العفو، فإن قتلت فلك نظير، وإن عفوت، فلا نظير لك، وأنشأ يقول: [البسيط]

البر بي منك وطا العذر عندك لي ... فما فعلت فم تعدل ولم تلم

وقام عذرك لي فاحتج عندك لي ... مقام شاهد عدل غير متهم

لئن جحدتك ما أوليت من نعم ... إني لفي اللوم أولى منك بالكرم

تعفو بعدل وتسطو إن سطوت به ... فلا عدمناك من عاف ومنتقم

قال بعض البلغاء: الوجوه مرايا تريك أسرار البرايا قال حكيم: العينان أنم من اللسان. وقال بعض الشعراء في ذلك المعنى:

تريك أعينهم ما في صدورهم ... إن العيون يؤدي سرها النظرا

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "في المعاريض مندوحة عن الكذب".

وسأله رجل كن أنت؟ فقال: "من ماء وطين".

الرجل إنه من القبيلة المنسوبة إلى ماء، ولم يكن يعرفه، وهو عليه السلام، أراد من الماء الذي يخلق منه الحياة. **قال بعض الحكماء**: الناس في الدنيا كصور في صحيفة، كلما نشر، بعضها طوي بعضها، أسر معن بن زئدة ثلاثمائة رجل، وأمر بضرب أعناقهم، فقام إليه غلام منهم.

فقال: يا معن لا تقتل أسراك عطاشا، فقال اسقوهم، فلما اسقوهم، قال له: يا معن لا تقتل أضيافك، فقال خلوا عنهم، وأطلقهم، حكى أن مجنون ليلى لما طردوه عن الحي، قيل إنه آيس من لقائها، واستأنس يبعدها ونأيها فأنشد: [الوافر]

أليس الليل يجمعني وليلى ... كفاك به وذاك لنا تداني

ترى وضح الهلال كما أراه ... ويعلوها النهار كما علاني

وفي معناه: [الطويل]

أقلب طرفي في السماء لعله ... يصادف منها نظرة حين ينظر

قال بعض الحكماء: إياك، والعجلة فإن العرب تسميها أم الندامات، لأن صاحبها يقول: قبل أن يعلم، ويجيب قبل أنأ يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويحمد قبل أن يجرب، ومن صحب هذه الأخلاق صحب الندامة، واعتزل السلامة، قيل إن الله (!) لم يخلق شيئا، والمعروف أحسن منه إلا الشكر، فإنه أحسن من المعروف.

قال عبد الله بن العباس المعروف أوثق الحصون، وأفضل الكنوز، وأزكى الزروع، غير أنه لا يصلح إلا بثلاث: هي تعجيله، وتصغيره وستره فإنك إذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته تممته. لما حبس الرشيد يزيد بن جرير أمر إحضاره لتأديبه، فلما مثل بين يديه، قال: يا أمير المؤمنين، كذي نعمتك وسليل منتك وخريج دولتك، فجزاك الله قي وقت الغضب

جزاء الكاظمين وعند الرضاء أمر المنعمين، فاستحسن قوله، وأمر بإطلاقه لبعضهم: [الكامل]

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي، حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقه الأحباب
للمعري: [الخفيف]

حي من أجل أهلهن الديارا ... وابك هندا لا للنؤى والآثارا
فهي قالت لما رأت شيب رأسي ... وأرادت تعتبا وازورارا
أنت بدر وقد بدا الصبح في رأسك ... والصبح يطرد الأقمار
حكى الأصمعي قال: أتى عبد الملك بن مروان برجل قامت عليه البينة بسرقة فأمر بقطعه، فقال الرجل: يدي يا أمير المؤمنين أعندها يعفوك أن تلقى مكانا يشينها:

فلا خير في الدنيا ولا نعيمها ... إذا ما شمال فارقتها يمينها
فقال عبد الملك: هذا حد من حدود الله أقامه عليه، فقال: يا أمير المؤمنين فاجعله من بعض ذنوبك، إلى تستغفر الله فيها فأطلقه. قبل: أنه كان لمحمد بن حميد بنت فتوفيت، فدخل عليه أبو تمام الطائي، فقال ما أقدمك يا أبا تمام؟ فقال: تعزية الأمير، فقال: أو ما علمت أني لا أقبل العزاء؟ قال: فأنشدك بيتين من الشعر، فقال: وما هما". [١]

٥١٣-"أسائل عن حالي، يرعوي بمنظري حبيبي، هذا في هواك قليل سأصبر، حتى يرعوي، ويرق لي وينهج من طرق الوصال سبيل.
لما ورد الوزير المهلبي البصرة وجد على حائط البيت الذي فيه مكتوبا: [الطويل]

أحن إلى بغداد شوقا وإنما ... أحن إلى ألف بهالي شائق
مقيم بأرض سرت عنها وبدعة ... إقامة معشوق ورحلة عاشق
يقال إن عبد الشهوة أذل من عبد الرق، وجد على قصر معز الدولة الذي بناه بالشماسية من بغداد، واليوم يسمى آثار القصر مسناه الدار الغربة على شاطئ دجلة، مقابل جامع القطيعة، مكتوبا حضر فلان بن فلان الجروي في سماط الملك معز الدولة، والدنيا عليه مقبلة، وهيئة الملك عليه مشتملة، ثم عدت في سنة اثنين وستين وثلاثمائة فرأيت ما يعتبر به اللبيب، ويفتكر فيه الأريب وقلت هذه الأبيات: [الخفيف]

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٣٥

عين بكى للقصر قصر معز الدولة ... المؤنق العجيب البناء

قد خلا بعد عز ة وجمال ... وعفا بعد رونق وبهاء

لو تبقى على الحوادث شيء ... ليقي ملكه من الأشياء

كل أمر وإن تطاول أو دام ... إلى نقلة وحال انقضاء

عبر أبي فإنه ليس يغني ... ذو الأيادي والطول والآلاء

قال الأصمعي قال لبعض العرب خرجي في بعض الليالي المظلمة، وإذا بجارية كأنها صنم فراودتها عن نفسها، فقلت يا هذا أمالك زاجر من عقل، غذ لم يكن واعظ من دين؟ فقلت، والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت، ويحك فأين أنت من مكوكبها؟ فأخجلني كلامها فقلت لها غني كنت أمزح، فقالت.

إياك المزاح فإنه يجرئ ... عليك الطفل، والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد وضائه ... ويورث بعد العز صاحبه ذلا

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله، امنعوا الناس من المزاح تسلم لكم الأعراض، وقد قال بعض الشعراء: [الكامل]

مازح أخالك إذا أردت مزاحا ... وثوق منه في المزاح جماحا

ولربما مزح الصديق بمزحة ... كانت لباب عداوة مفتاحا

وقد أحسن محمود الوراق: [الكامل]

تلقى الفتى يلقى أخاه وخذنه ... في لحن منطقة بما لا يغفر

ويقول كنت ممازحا وملاعبا ... هيهات نارك في الحشا تتسعر

ألهبتها وطفقت تضحك لاهيا ... عما به وفؤاده يتفطر

أو ما علمت ومثل جهلك غالب ... إن المزاح هو السباب الأصغر

قال المنكدر، قالت لي أمي، وكانت أدركت النبي صلى الله عليه وسلم: لا تمازح الصبيان فتهون عليهم، وقال سعيد بن العاص لا تمازح الشريف فيحقد عليك، وقال بعضهم، ولا الدنيء فيجترئ عليك، **وقال بعض الحكماء** إياكم، والمزاح فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الندامة، ويذوي بالمروءة قال مسعر بن كدام لابنه: [الكامل]

ولقد نصحتك يا كدام نصيحة ... فاسمع لقول أب عليك شفيق

إن المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق

إني بلوتهما فلم أحمدهما ... كمجاور جارا ولا لرفيق

اجتمع عبد الله بن طاهر مع ندمائه على رياض في أيام الربيع، فقال ليقل كل واحد منكم في هذا شيئا، فقال أحدهم:

[الطويل]

شموس وأقمار من الزهر طلع ... لدى اللهو في أكتافها متمتع

فقال الآخر: [الطويل]

نشاوى تثنيها الرياح فتثني ... فيلثم بعض بعضها حين ترجع

فقال الثالث: [الطويل]

كأن عليها من مجاجة ريقها ... لآلىء إلا أنها هي ألمع

يقال إن ثلاثة يفسدون المروءة المنية، والحرص، والغضب.

تذكرة من التاريخ

ولد نبينا صلى الله عليه وسلم بمكة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول، بعد قدوم الفيل بخمسين يوما، وذلك لعشرين يوما مضت من نيسان، سنة اثنين وثمانين وثمانمائة لدى القرنين، وبعثه الله سبحانه يوم الاثنين، لثلاث بقين من رجب، وقد مضى من عمره أربعون سنة، وكانت هجرته من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، مستهل شهر ربيع الأول، فأقام في الطريق ثمانية أيام، ودخل المدينة يوم الاثنين، وذلك لعشرين يوما مضت من أيلول.". (١)

٥١٤-"فلما خرج منها انقطع ذلك، إلا الكسوة فإنها دامت مدة ما عاش أبو العباس عبد الله نن ظاهر رحمه الله، والمكان الذي كان ينزل به ببغداد بالجانب الغربي على شاطئ دجلة، وهو إلى الآن يعرف به، وينسب إليه، وهو الحريم الطاهرى: [الخفيف]

ألق بالبشر من لقيت من الناس ... جميعا ولاقهم بالطلاقة

نحن منهم حبا ثار كريم ... طيب طعمه لذيذ مذاقه

ودع التيه، والعبوس عن الناس ... فإن العبوس رأس الحماقة

كلما شئت أن تعادي عاديت ... صديقا، وقد تعزا لصداقة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة زر غبا تزدد حبا".

وقال بعض الحكماء. من كثرت زيارته قلت بشاشته، وقال أخر: من داوم زيارة الأصدقاء عدم الاستبشار عند اللقاء: [مجزوء الكامل]

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٤٠

أقلل زيارتك الصديق ... تكن كالثوب استجده
إن الكريم يمله من ... لا يزال يراه عنده
آخر: [الطويل]

عليك بإقلال الزيارة إنها ... تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت القطر يسأم دائما ... ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا
آخر: [البسيط]

إني كثرت عليه في زيارته ... والشيء مستثقل جدا وإن كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى ... في طرفه قصرا عني إذا نظرا
قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : لكل شيء راس وراس المعروف تعجيله، وقال عبد الملك في وصيته لبنيه: يا بني معروفك عنده ولكل شيء آفة وآفة المعروف المطل، ولبعضهم: [الكامل]

صل من أردت وصاله وأخاه ... إن الأخوة خيرها موصولها
وإذا ضمنت لصاحب لك حاجة ... فاعلم بأن تمامها تعجيلها
وكان يقال إن بذل جاه السائل أعظم من معروف المسؤول، وقال أثم بن صيفي السؤال، وإن قل ثمن النوال، وإن جل، قال علي بن أبي طالب الكاتب: [الكامل]

ما اعتاص باذل وجهه بسؤاله ... يوما ولا نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزيه ... رجح السؤال وخف كل نوال
وإذا بليت ببذل وجهك سائلا ... فابذل له المتكرم المفضال
قال معاوية بن أبي سفيان الحازم من كتم سره من صديقه، مخافة أن تنتقل صداقته عداوة، فيذيع سره ولبعضهم: [الطويل]

لو أن امرءا يخفي الهوة عن ضميره ... لمت ولم يعلم بذاك ضمير
ولكن سألقى الله والقلب لم يبح ... بسرك والمستخبرون كثير
آخر: [البسيط]

لا يكتم السر إلا كل ذي خطر ... والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق ... قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

قال بعض العلماء: إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمة فأول ما يغير منها عقله، قال أبو عبد الله وزير المهلبي: إنصاف الرعية مع شكر المقدرة بالولاية أشد من بذل المال مع شح النفس.

ذكر الجاحظ في (كتاب) : المعلمين عن ابن عمران: الأنبياء عيهم السلام لا يتثاءبون، وما تثاءب نجي قط، روي أن مروان بن محمد قال عبد الحميد بن يحيى، صاحب الرسائل بعد أن تفرق الناس عنه وانهزموا: قد احتجت إلى أن يصير مع عدوي، وتظهر الانقلاب، فإن عجبهم بأدبك وفصاحتك وحاجتهم إلى مثلك، يستجريهم علي تمكينك، وحسن الظن بك، فإن قدرت أن تنفعني في حياتي فإني فداك، وإن عجزت عنه رجوت أن لا تعجز عن حفظ حرمتي بعد موتي، وأنشد عبد الحميد متمثلا: [الطويل]

أسروقا ثم أظهر عذره ... فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهر

ثم أنشد: [الوافر]

فلومي ظاهر لا شك فيه ... للأيميه وعذري بالمغيب

وكم من موقف حسن أحيلت ... محاسنه فعد من الذنوب

فلما سمع ذلك منه علم أنه لا يفعل، ثم، قال له: عبد الحميد الذي أمرين به انفع الأمرين لك، وأقبحهما لي وليس لك على. الصبر معك إلا أن يفتح الله عليك، وأقتل معك، سئل شريح عن العشاق فقال: أشدهم حياء أعظمهم أجرا [٩٠] ولبعضهم: [الطويل]

فوالله ما أدري وإني لسائل ... بمكة هل في الهوى أجر

وهل في اكتحال العين بالعين زينة ... إذا ما لقي الألوان لإبل به أجر". (١)

٥١٥-"قيل إنه مر جرير الشاعر بسعيد بن المسيب، فقال من هذا فقيل له الذي يقول: [الطويل]

سألت سعيدا يا فتى المدينة ... هل في حب دهماء من وزر

فقال سعيد بن المسيب إنما ... يلام على ما يستطيع من الأمر

قال سعيد بن المسيب: يا فتى المدينة ما سألني أحد، ولو سألني لأحبت، وحكي عن مالك بن أنس أن شاعرا جاءه فقال: إنني قلت أبياتا ذكرتك فيها فاجمعها، فقال لا حاجة لي منها، قال أحب أن تفعل، فقال هات فأنشده: [الطويل]

سلوا مالك المفتي عن اللهو، والصبي ... وحب الحسان المعجبات الفوارك

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٤٨

يخبركم عني مصيب وإنما ... أسلي هموم القلب عني بذلك

فهل لمحب يكتم الحب والهوى ... آثام وهل ضمه المتهالك

فسري عن مالك، وكان ظنه أنه هجاه، يقال إن المال قي الأنف، والحسن في العين، والملاحة ني الفم، ظ ل رجل للفضيل بن عياض: بعني رجلا أتخذه لسري وآمنه على أمرى، فقال له ة تلك ضالة لا توجد. وقيل لبعض الحكماء: من أبعد الناس سفرا؟ قال: من كان في طلب طريق يرضاه، قال ابن السماك في بعض كلامه: لق أمهل، حتى كأنه أهمل، ولقد ستر، حتى كأنه غفر، قيل لبعض الحكماء: أي الكنوز خير؟ فقال: أما بعد تقوى الله سبحانه، والأخ الصاع، قال جابر بن عبد الله البجلي، ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي. أنشد المبرد: [الطويل]

تود عدوي ثم تزعم أنني ... أودك إن الرأي عنك لعازب

وليس أخي من ود في رأي عينه ... ولكن أخي من ودني في العواقب

قال بعض الحكماء: إياك ومعاداة الرجال فإنها لن تعدمك مكر حليم، أو مفاجأة لئيم، قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : إذا رزقك الله مودة امرئ مسلم فتشبث بها، أنشد المبردة: [الوافر]

وكنت إذا الصديق أراد غيظي ... وأشرقني على ختو بريقي

غفرت ذنوبه ولطمت غيظي ... مخافة أن أكون بلا صديق

قال رجل من عبد القيس لابنه: يا بي لا تؤاخ أحدا، حتى تعرف موارد أموره ومصادرها، فإذا استنبطت منه الخير ورضيت منه العشرة فآخه على إقالة العثرة، والمواساة عند العشرة، روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "رأس العقل بعد الإيمان المودة للناس".

وقال المنصور: إذا أحببت المحمدة من الناس بلا مؤونة فألقاهم ببشر حسن.

قال كعب الأحبار: لين وجهك للناس تكن أحب إليهم كن يعطيهم الذهب، والفضة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنكم لم تسعوا بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحمسن الخلق".

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تمام محبتكم المصحافة".

وقال عليه الصلاة، والسلام: حين جاءه أعرابي، فقال يا رسول الله: إنا من أهل البادية، يجب أن تعلمنا علما وعملا لعل الله أن ينفعنا به قال: "لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي، وإن تكلم أخاك، ووجهك إليه منبسط".

وقال الحسن يزيد في المحبة، وقال مجاهد عن معاذ إن المسلمين إذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبها، كما تحاتت ورق الشجر، يقال إن المودة قرابة مستفادة، وهى أشد الأحساب، وأقرب الأسباب. وقال بعض الشعراء: [البسيط]

قد يمكث الناس حينا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم واللطف
يسلي الخليلين طول النأي بينهما ... ويلتقي شعب شتى فيأتلف
وقال بشر بن السري: ليس من البر أن تحب من أبغضه حبيبك، قال ابن عباس: من أحب أخواني إلي أخ إن غبت عذرني، وإن جئته قبلني، قال الأصمعي ليس للروم صاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسريان دال. لبعضهم [الوافر]

تولت دولة الحسن بن سهل ... ولم أبلل لهاتي من نداها
فإن ذهبت فلا تبكي عليها ... فإن بكى عيني من بكاها
لابن أبي الدنيا: [مجزوء الوافر]

تولت بهجة الدنيا ... فكل جديدها خلق
وخان الناس كلهموا ... فلا أدري بمن أثق
كأن مكارم الأخلاق ... سدت دونها الطرق
فلا حسب ولا كرم ... ولا دين ولا خلق
لابن الرومي في البطيخ: [مجزوء الوافر]". (١)

٥١٦-"قال طاووس اليمامي، رأيت عليا كرم الله وجهه على المنبر بالكوفة، وقد خطب خطبة بليغة، قال فيها: معاشر الناس عشر خصال تقبح، قيل ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: الغدر بالأشراف، والخدعة بالعلماء، والكبر في الأبرار، والشح بالملوك، والبخل بالأغنياء، والإزراء بالفقراء، والسفاهة بالشيوخ، والفجور بالقراء، والكذب بالقضاة، والعجلة في الأمراء.
قال الأمير عمر بن هبيرة لبعض عماله: اتخذ كاتبا، ولا تكونا نارين فتحرقا، ولا مائين فتغرقا، ولا تنفتحا، وكن نارا وليكن ماء، وول عملك أهل البيوتات فإن عدلوا، فذاك الظن بهم، وإن لم يفعلوا كان لك عذر في توليتهم، ويكن حاجبك طلق الوجه، ينزل الناس منازلهم.
فإن حاجب الرجل وجهه قيل أن يرى فليكن وجهك حسنا، ومره أن يتلقى بالبشر، ومره أن يستقبل مصافيك ومخالصيك جذلا مسرورا، وأن يقضي حوائجهم، ويقرب مجالسهم، بل يوجه من يكون ذلك طبعا فيه، ولا يكون عليه مؤونة له من نفسه.
يحكى أن رجلا وقف بين يدي الوزير مسعدة، وقد ركب في موكبه، وأظهر من الكبرياء، والجبروت ما يخرج عن حد العادة فأنشد: [الوافر]

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٤٩

لا تناها فوق حالك حال ... كمل الوزن وامتلأ المكيال

مثل شمس النهار لما استقلت ... في ذراها فليس إلا الزوال

وحكي عن بعض الكتاب أنه وقع إلى قاضي قم: أيها القاضي بقم قد عزلناك فقم، فقال القاضي: والله ما أراد عزلي وإنما التطابق بالسجع حمله على ذلك، فما مضت أيام عدة حتى أعاده.

يقال: من استطال عليك بصورته، وبخل عليك بفضله، ففي التصاوير مثله كثير أنشد ابن الأعرابي: [الطويل]

حملت جبال الحب منك، وإنني ... لأعجز عن حمل القميص وأضعف

وما الحب من حسن ولا من ملاحة ... ولكنه شيء به الروح تتلف

قال بعض الحكماء: من فعل ما شاء لقي ما لا يشاء.

وقال بعض الأدباء: أوسع ما يكون الكريم مغفرة. إذا ضاقت بالمذنب المقدرة.

ويقال: إن الاستطالة نذالة.

قيل للأحنف بن قيس: هل رأيت أحدا أحكم بيانا منك؟ قال: أي والله من تعلمت منه الحلم، قيل من هو؟ قال: قيس بن عاصم المنقري بينما هو محتب بفناء بيته، أدني بابن له، قيل قتله ابن عم له. فوالله ما تغير له وجه، ولا حل حبوته، ولكنه أمر، بأن يغسل ويوارى، ثم أرسل إلى قاتله لا يجوز أن تجري في الانتقام مجراك في الاعتداء، فأقبل إلينا آمنا، وأخبرونا بالسبب الذي هيجك على ما أحييت، ثم قال: يا غلام اذهب إلى أم القتيل بمائة من الإبل، ليسكن عنها ما تداخلها من اللوعة، ثم أنشأ يقول: [الكامل]

إني امرؤ لا بطئ حسبي ... دنس يخالطه، ولا أفق

من منفر في بيت مكرمة ... والفرع بيت حوله الغصن

لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لعين عيوبه فطن

خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفه لسن

قيل لأمير المؤمنين، عمر بن الخطاب رضي الله عنه من سيد قومك؟ قال: من أحوجهم الدهر إلي.

يقال: من رغب في المكارم فليتجنب المحارم.

ويقال: أنعم الناس عيشا من عاش غيره في ظله.

وقد روي أن كعب بن مالك، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا لما جاء البشير بنزول توبته سجد، وألقى رداءه على البشير.

قال عمران بن محمد اليقطيني: رأيت يونس بن المختار، في دار المأمون، ومرتبته أعلى المراتب، قاعدا على الأرض، فقال له الحاجب: ارتفع ي أبا المعلي إلى مرتبتك. فقال: قد رفعني أمير المؤمنين إليها وليس لي عمل بقي لها، فلم لا أكرمها عن القعود عليها إلى أن يتهيأ لي الشكر عليها، فبلغ ذلك المأمون، فقال هذا غاية الشكر وزاد في إكرامه، لمحمود الوراق: [السريع]

يا أيها الظالم في فعله ... والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى ... تشكو المصيبات وتنسى النعم

أخذ هذا من تفسير الحسن لقوله تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ [العاديات:٦] قال: يعود المصائب، وينسى النعم.

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أنظر معسرا إلى ميسرة كان في ظل الله عز وجل".

وروي عنه عليه السلام أنه قال من شد على أخيه في التقاضي، إذا كان معسرا شد الله عليه في قبره.". (١)

٥١٧-"قال إبراهيم المدبر اختصم رجلان إلى القاضي قد قدم أحدهما هدية، وأراد أن يقضي عليه بحق وجب، فدنا منه، فساره، وقال له، قد وجهت إلى دارك شبابيط دجليبه وفراريج كسرويه وجبنة دينورية وحنطة بلدية وشهدة رومية، فقال له: قم، وصاح عليه ما هذا تشاورني فيه، وتسارربي به يا جاهل، إن كانت لك بينة، انتظرناها، وأخرنا الحكم، وصيرنا لك أجلا، فقال الخصم: [الوافر]

إذا ما صب في القنديل زيت ... تحولت القضية للمقندل

وعند قضاتنا حكم وعلم ... وزرع حين ترشوهم يسنبل

قيل للاسكندر ما بلغ من شجاعة أصحابك؟ قال: رأيت تسألون أين العدو، ولا تسألون كم العدو.

وقال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أن يظهر من نعمة الله، ما لا يحتقر معه، ويستر منها ما يخاف أن يعاد بسببه.

ذكر أبو عبيدة أنه لما ولى أبو بكر يزيد بن سفيان الشام، أوصاه بتقوى الله ثم قال له: إنك نشأت بخير، وذكرلات بخير، وذلك الشيء خلوت به من نفسك، وقد أردت أستخرجك من قومك، وأنظر كيف خبرتك وعملك، فإن أحسنت زدتك، وإن أسأت رفضتك، عليك بتقوى الله، فإنه يرى من باطنك ما يرى في ظاهرك، فإن أطوع الناس لله أشدهم بغضا لمعصيته، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد، فإياك وغيبة الجاهلية، فإن الله أبغضها.

وأخرج الناس منها، فإذا أنت قدمت على أهل عملك فابدأهم بالخير وعدهم، وإذا وعدتهم فأنجز لهم، ولا تكثر عليهم، فإن كثير القول ينسى بعضه، وإنما لك ما وعي عنك، وأصلح نفسك يصلح الناس، فإن الوالي قدوة يعمل أهل عملة بعمله، وإذا قدم رسل عدوك، فأكرم منزلتهم، وأقلل حبسهم.

حتى يخرجوا من عندك جاهلين بعسكرك، ولا تريهم جيشك، فيروا خللك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك محادثهم، وكن أنت الذي تلي كلامهم، ولا تجعل سرك مع علانيتك، فيمزج أمرك، وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدقك المشورة، ولا تكتم المستشار خبرا فتونا من قبل نفسك، وإذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها، حتى تواتيها.

واستمر في عسكرك تأتك الأخبار، وأكثر مفاجأة حرسك بغير علمهم، فمن أغفل محرسه فعاقبه واجعله نوبا بالليل،

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٥٥

والنهار، ولا تتخذ حشما دون غيرهم فيطعن الناس عليك، ويستحلوا معصيتك، ولا تلجن في عقوبة أدناها وجع، ولا تسرع إليها، وأنت مكتفي بغيرها وأصدق الله تعالى إذا لقيت، ولا تجبن فيجبن الناس، ولا تقدم في الغلول فإنه تورث وسطي النصر.

قال بعض الحكماء: وجدت لذيذ العيش في ثلاث: صديق تأمن منه في صداقته ما يرصدك به في عداوته، وامرأة تسرك إذا دخلت إليها، وتحفظك إذا غبت عنها، ومملوك باقي على ما في نفسك من خدمتك كأنه مطلع على غيبك عالما بإرادتك.

كان مقاتل بن سليمان يقسم أنه من دعا بهذا الدعاء لم يرد، هو أن يقول بعد أن يصلي الغداة (بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة، ثم يقول بعد ذلك يا قديم يا دايم يا فرد يا وتر يا أحد يا صمد يا سند يا من إليه المستند يا من لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد صلى على محمد على آل محمد) ثم يسأل حاجته من دنياه، وأخراه إلا أجاب الله دعاءه، ولم يرده، وكان مقاتل يقول: من دعا بهذا الدعاء، فلم يستجب له فليلعن مقاتل.

قال بعض الحكماء لرجل: أعلمك بيتين خير لك من ألف درهم، فقال: وما هما فقال: [الخفيف]

اخفض الصوت إن نطقت بليل ... والتفت بالنهار قبل المقال
ليس المقول رحمة حين يبدو ... بقبيح يكون أو بجمال

أنشدني الشيخ أبو زكريا التبريزي اللغوي: [مخلع البسيط]

لما رأيت الزمان نكسا ... وليس في الخدمة انتفاع
كل رئيس به ملال ... وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضا ... به عن البذلة امتناع
أشرب مما اقتنيت براحا ... بها إلى راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى ... ومن قراقيرها سماع
وأجتني من عقول قوم ... قد أقفرت منهم البقاع". (١)

٥١٨-"يلقى السيوف بوجهه، وينحره ... ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرق اصطبر لشبا القنا ... فعفرت ركن المجد إن لم يعفر
وإذا تأمل شخص ضيف مقبل ... متسربلا بسربال محل أغبر
أومى إلى الكرماء هذا طارق ... نحرتني الأعداء إن لم ينحر

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٦٦

قال عطاء بن مسلم شهد رجل عند ابن ابي ليلى، وأنا عنده، فقال اكتبوا شهادته، ثم رفع رأسه فتأملته، فإذا جبينه مصففا على جبينه، قال: تصفف شعرك، ردوا شهادته، فقال: أصلحك الله، إن لي عذرا، قال: وما عذرك؟ قال بجبيني آثار، وأنا أواريها لقبح منظرها، فقال نعم، اكتبوا شهادته، ثم هم الرجل بالقيام فرأى في يده، وأظفاره آثار الحناء، فقال تخضب يدك بالحناء، ردوا شهادته، فقال إن لي عذرا، قال: وما عذرك؟ قال لي أب شيخ كبير فأنا أخضبه، قال نعم اكتبوا شهادته، ثم قام الرجل لنصرفي، فرآه يجر ثوبه، فقال تجر ثوبك، فقال لي عذر، قال: وما عذرك؟ إنا ثلاثة أخوة، وفي حالنا بعض الضعف، فقطعنا هذا القميص على قدر أوسطنا نتجمل به إذا خرجنا، وأنا أصغرهم، وأقصرهم، قال نعم اكتبوا شهادته.

قال الأصمعي: خرجت حاجا فحل محملي محمل أعرابي. فشتمته وضربته فاحتملني، فلما وصلت البيت، إذا به متعلقا باستار الكعبة يقول: إلهي إن كنت غفرت فاغفر لمن شتمني وضربني فقلت يا أعرابي، ضربناك وشتمناك، وتدعوا لنا، قال فنظر إلي نظرة، ثم أنشأ يقول: [السريع]

لا يغضب الحر على سفلة ... والحر لا يغضبه النذل

إذا لئيم سبني جهده ... أقول زدني فلي الفضل

قيل لأعرابي ممن أنت؟ فقال من قوم إن عشقوا ماتوا، قيل، ومما ذاك؟ قال في نسائنا صباحة، وفي رجالنا عفة.

قال بعض الحكماء: أول العشق النظر، وأول الحريق الشرر، قيل لأعرابي صف الناس، وأوجز، فقال: الناس رجلان بخيل يجد، ولا يجود، وجواد يزيد، ولا يجد. فنظم المعنى محمود الوراق: [المنسرح]

والناس اثنان في زمانك ذا ... لو تلتمس غير هذين رمتا لم تجد

هذا بخيل وعنده سعة ... وذا جواد بغير ذات يد

قال حميد بن وهب، كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي، وكان من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة، تغشاه الناس بغير إذن، فخلا ذلك البيت يوما، فاضطجع فيه الفاكه وزوجته وقت القائلة.

ثم خرج الفاكه لبعض حاجته، فاقبل رجل تغشاه، فولج البيت، فلما رأى المرأة ولى هاربا، فأبصره الفاكه حين خرج، فأقبل الفاكه فضربها برجله، من الذي كان عندك؟ فقالت: ما رأيت أحدا، ولا انتبهت، حتى انبهتني، فقال الحقي بأهلك، وأبيك، وتكلم الناس فيها، فقال أبوها: يا بنية إن الناس قد أكثروا.

فيك القول، فأبيتي بناءك، فإن يك صادقا، عليك دسست عليه من يقتله، فتنقطع القالة عنك، وإن يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن، فحلفت له بما كانوا يحلفون به في الجاهلية، إنه لكاذب عليها، فقال عتبة للفاكه، إنك رميت ابنتي لأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن، فخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف، وخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم، وخرجت هند ونسوة معها، فلما شارفوا البلاد.

وقالوا غدا نرد على الكاهن، تنكرت هند، وتغير وجهها، فقال أبوها إني أرى ما بك من تغير الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك. فهلا كان ذلك قبل أن تشهد الناس مسيرنا، فقالت، والله يا أباه ما لهذا أثر ولكن أنتم تأتوا بشر الخطى، ويصيب،

ولا آمنه أن يسمني ميسما يكون علي وعليكم مسبته بين العرب، قال إني اختبره قبل أن ينظر في أمرك، فصفر لفرسه، حتى أدلى، ثم أخذ حبة حنطة فأدخلها في احليل الفرس، وأوكأ عليها يسير، فلما أصبحوا ودخلوا علي فأكرمهم ونحر لهم.". (١)

٥١٩-"قال سهل بن هرون: ثلاثة من المجانين: الغضبان والسكران والغيران، فقال رجل: والمنعظ، فضحك وقال:

وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا

وقال المنخل اليشكري:

ولقد شربت من المدامة بالصغير ولالكبير

ولقد شربت الخمر بالخيل الإناث وبالذكور

فإذا سكرت فإنني ... رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فإنني ... رب الشويهة والبعير

يا رب يوم، للمنخل قد لهى فيه، قصير

وفي السكر يقول الآخر:

ولقد شربت الخمر حتى خلتني ... لما خرجت أجر فضل المئزر

قابوس أو عمرو بن هند قاعدا بحاليه ما دون دارة قيصر وقال الفلاسفة: ينبغي لشارب النبيذ ألا يتجاوز فيه مقدار طاقته، وأن يتفقد نفسه تفقدا شديدا فمتى أنكر رأيه وفكره وحركات بدنه وقوته أمسك عن شربه ولم يمعن فيه حتى يختلط لأن السكر إنما يكون مع بخارات غليظة نية غير نضيجة ترتفع إلى الدماغ فتستره كما يستر السحاب الشمس فيحول ذلك البخار بين العقل وبين ما يشرق عليه من قوة النفس والطبيعة فتسترخي لذلك الأعضاء والأعصاب كلها، وتضعف الحواس ويفسد الفكر ويغشى النعاس.

وروي الواقدي أن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا وأخي عبد الرحمن وعقبة بن الحارث غزاة، ونحن نريد الإسكندرية، فلما قدمنا مصر، شرب أخي وعقبة فسكرا فلما أصبحنا انطلقنا إلى عمرو بن العاص وهو يليها لعمر فقالا له: طهرنا، فإنا قد سكرنا من شراب شربناه؛ فجلدهما الحد في صحن داره، وبلغ ذلك عمر فكتب إلى عمرو بن العاص: أن أبعث إلي عبد الرحمن بن عوف، وقال: يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد، وما لك أن نقيمه عليه ثانية، فلم يلتفت عمر إلى قوله وجعل عبد الرحمن يصيح: إني مريض، وأنت قاتلي، فضربه الحد ثانية، فما زال مريضا حتى مات، وقال له في مرضه هذا: يا أبت، قتلتني، فقال له: يا بني، إذا لقيت ربك فقال لك: فيم قتلك أبوك، فقل: أي رب فيك.

قال بعض الحكماء: لا فضيلة في السكر سوى فقدان الهموم وذلك عندنا لا يفي بفقدان العقول. وقالت الفلاسفة: في السكر الشديد أنواع من العلل أقلها أنه يورث الارتعاش في اليدين حتى لا يمسك بهما شيئا، وقد أكثروا ذلك في أشعارهم،

(١) سفط الملح وزوح الترح ص/٨٥

وربما أورث السكتة والفالج واللقوة، وقد حمد قوم السكر من الشراب، وقالوا: إنما اللذة كلها فيه لأنه يستطيب من السماع ما لم يكن يستطيبه صاحيا، ويستحسن حديث ندمائه ويخفون على قلبه ويهون عليه ما أنفقه وإن كان جليلا وتسخو نفسه عنه وإن كان بخيلا وتنبسط آماله وتذهب غمومه وهمومه وتكثر أفراحه وسروره، وذلك كله قبل الاختلاط وعدم الحس.

وكان السرادق الدهلي مولعا بالشراب فمر بمجلس من مجلس الأزد وهو سكران ورجلاه تضطربان من السكر فتغامزوا عليه، وقال شاب منهم: سكران، سكران، فأقبل عليه السرادق وقال:

معاذ إلهي، لست سكران يا فتى ... وما اختلفت رجلاي إلا من الكبر

ومن يك نهبا لليالي ومرها ... تدعه قليل القلب والسمع والبصر

وكان الأقيشر الأسدي مولعا بالشراب، فأخذه الأهوان بالكوفة وقالوا: سكران شارب خمر، فأنشأ يقول:

يقولون لي أن قد شربت مدامة ... فقلت لهم: لا بل أكلت سفرجلا

وسأل بعض الملوك حكيما عن السكر وما يحدثه، فقال: أيها الملك، مسكن العقل في الدماغ، وهو للإنسان كالمرآة يريه محاسنه ومساويه، فإذا شرب الرجل الخمر صعد من بخارها إلى الدماغ ما يحول بينه وبين عقله كما تحول الغمامة بين العيون وبين الشمس المضيئة فيكون مقدار ما يغشى مرآة العقل من الصدأ بقدر إكثاره من الشراب وإقلاله منه، فإذا نام على ذلك ذهب الصدأ شيئا فشيئا حتى يصحو، قال: فهل يعود العقل بكماله، قال: وما أنكر نقصانه، لأنا ما رأينا شيئا ذهب جملة فعاد جملة.

ولم يصف أحد السكران كما وصف الأخطل فإنه قال:

صريع مدام يرفع الشرب رأسه ... ليحيى وقد ماتت عظام ومفصل

تهاديه أحيانا، وحينا تجره ... وما كان إلا بالحشاشة يعقل

إذا رفعوا عظما، تحامل صدره ... وآخر مما نال منها مخبل". (١)

٥٢٠-"وروى مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص) كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، مع أحاديث كثيرة، هذا أشدها إفصاحا وأبعدها من حيلة التناول. والشاهد على ذلك من النظر، أن الخمر إنما حرمت لإسكارها وجرائرها على شاربها، وسائر هذه الأنبذة تفعل كما تفعل. ويوروى عن رسول الله (ص) أنه قال: أكبر الكبائر قتل النفس التي حرم الله، وشرب الخمر وعقوق الوالدين وقذف المحصنات، والرار من الزحف، وترك الصلاة متعمدا، فمن فعل منها شيئا فهو بريء من الإيمان. وعن أبي موسى الأشعري أنه قال: والله ما كنت أبالي شربت قدح خمر أو عبدت هذه السارية من دون الله، سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يشرب خمرا أو يهرق دما. وعن عائشة رضي الله عنها: سئل عن البتع، وهو نبيذ العسل فقا: كل شراب أسكر فهو حرام، [و] قال: ما أسكر كثيره

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور ص/٩٤

فقليله حرام. وقال (ص) من شرب شرابا حتى يذهب بعقله الذي أعطاه الله فقد أتى بابا من أبواب الكبائر. وعن مسروق بن الأجدع قال: شارب الخمر كعابد وثن. ومدمن الخمر كعابد الات والعزى. وعن شعيب بن حرب قال: قال الله عز وجل: لأن يسرق أحب إلي من أن يسكر لأنهإذا سكر لم يعرفني. وعن أبي سعيد الخدري أن النبي (ص) قال: إن المؤمن إذا تناول الخمر ليشربها قال الله تعالى، عبدي راقبني في شربها، فوعزتي وجلالي لئن شربتها لأسقينك من طينة الخبال. فمن شربها صباحا أمسى وهوكافر بالله، ومن شربها مساء أصبح كعابد اللات والعزى وإنه لبريء من الإيمان والإيمان بريء منه، وإن مات على ذلك مات ميتة جاهلية وحشر يوم القيامة مع عبدة الأوثان والأصنام إلى النار.

وعن جعفر بن محمد قال: قا رسول الله (ص) : من أدخل عرقا من عروقه قليل ما أسكر كثيره، عذب الله ذلك العرق بثلاثمائة وستين لونا من العذاب. وعنه أن رسول الله (ص) قال: لا أشفع لمن تهاون بطلاء ولا أشفع لمن شرب مسكرا. وقال (ص) : من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما فإن عاد لم يقبل [له] الله صلاة ثمانين يوما، فإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: صديد أهل النار وقيحهم. قال: وسمعت رسول الله (ص) يقول: لعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها وبائعها وشاريها وحاملها والمحمولة إله وآكل ثمنها. وقال سمعته (ص) يقول: من قعد على مائدة فيها شراب فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. قال: وسمعته (ص) يقول: من مات والخمر في جوفه قبض ملك الموت روحه وهو سكران، ودلي في قبر ه وهو سكران وأمر لبه إلى النار وهو سكران. قال، وسمعته يقول: من شرب من الخمر شربة لم يشربها وإن دخل الجنة، يسلبه الله ذكرها وشهوتها ولا يدعو بها في الجنة. وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ص) : من شرب الخمر فاجلدوه، وإن عاد فاجلدوه، وإن عاد فاجلدوه، وإن عاد الرابعة فاقتلوه، قال، فأتي رسول الله (ص) برجل من الأنصار يقال له نعيمان، شرب الخمر فجلده، ثم عاد فجلده ثم عاد فجلده، ثم عاد الرابعة جلده، فرأى المسلمون أن الحد قد ثبت وأن القتل قد رفع، وكان لا يزال يؤتى به شاربا فيقول: اضربوه فيضربونه بالجريد والنعال، فقال رجل من القوم، إلعنه، ما أكثر ما ؤتى به، فقال رسول الله (ص) لا تسبه فإنه يحب الله ورسوله.

وقيل لعدي بن حاتم: ما لك لا تشرب النبيذ؟ قال: لئلا أصبح حليم قومي وامسي سفيههم. وقيل لعثمان بن عفان (رض) ما منعك من شرب الخمر، ولا حرج عليك في شربها؟ قال: لأني رأيتها تذهب العقل جملة، وما رأيت شيئا ذهب جملة فعاد جملة. وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب: هل لك فيما يحسن المجالسة وينتج المؤانسة، فقال: أصلح الله الأمير، الشعر مفلفل، واللون مرمد ولم أقرب إليك بكلام عنصر ولا حسن منظر وإنما هو عقلي ولساني، فإن رأيت ألا تفرق بيني وبينهما فأفعل. وقال النعمان العبدي لابنه ساعدة: يا بني إن كثرة الشراب تفسد القلب وتغير اللب، واعلم أن الظمأ الذابح خير من الري الفاضح؛ **وقال بعض الحكماء**: الشراب أول الخراب ومفتاح كل باب، يمحق الأموال ويذهب الجمال ويهدم المروءة ويوهن القوة ويضع الشريف ويهين الظريف ويذل العزيز ويبيح الخريز ويفلس التجارة ويهتك الأستار، وقال الشاعر:".

(١)

٥٢١-"تركت الخمور لأربابها ... وأقبلت أرشب ماء قراحا

ود كنت حينا بها معجبا ... كحب الغلام الفتاة الرداحا

وما كان تركي لها أنني ... يخاف نديمي علي افتضاحا

ولكن قولي له مرحبا ... وأهلا مع السهل وانعم صباحا

وكان رجل من الأزد يكنى أبا شملة قد تتابع في الخمر وغلبت عليه، فأتي به رسول الله (ص) وهو سكران فخلى سبيله، ثم أتي به وهو سكران، فأخذ رسول الله (ص) قبضة من تراب فضربه بها، وقال: اضربوا الخبيث فضربه الناس بأيديهم وبالنعال وأطراف النخل، فلما ولي أبو بكر، أتي بسكران فسأل: كم ضرب رسول الله (ص) أبا شملة، قالوا: ما ندري، قال: كم كنتم؟ قالوا: عشرين رجلا، قال: فكم ضربه كل واحد منكم؟ قالوا: الضربة والضربتين، فضربه أربعين، فلما ولي عمر كتب إليه أبو عبيدة بن الجراح من الشام، إن الناس قد تتابعوا في شرب الخمرة، وقد ضربت فيها الأربعين فلم تغن شيئا، فجمع عمر رجالا من أصحاب رسول الله (ص) فشاورهم، فقال علي: إني لا أرى أحدا أشبه بحد الفرية منه لأن الرجل إذا سكر هذىوإذا هدى افترى، فقال عمر للرسول: قد سمعت ما قال، فمر رأبا عبيدة أن يضربها فإنا ضاربوها، فضرب أبو عبيدة ثمانين، وضربها عمر بالمدينة.

وقال الضحاك بن مزاحم لبعض أصحابه: مالك ولشرب النبيذ؟ قال: يهضم طعامي، قال: والله لما يهضم من عقلك ودينك أكثر. وسئل شريك بن عبد الله عن النبيذ قال: إشرب منه ما لا يشرب عقلك. ويروى أن عثمان بن عفان (رض) خطب الناس يوما فقال: أيها الناس، اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، ومفتاح كل شر، وإني سمعت رسول الله (ص) يقول: من شرب الخمر في الدنيا حرمها الله عليه في الآخرة، أيها الناس اتقوا الخمر فإنها من أجل الذنوب وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر وقع على أمه وأخته وهو لا يعلم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ولا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر فإن اللعنة تنزل عليهم ما داموا في مجلسهم ذلك.

ومن عيوب الشراب أن صاحبه يتكرهه عند شربه ويكلح عند شمه ويغتم أن يفضل منه شيء في قدحه، ويكثر عتاب ساقيه ويمزجه ليغير طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويستعين بالنقل من بعده ليغير طعمه ويلقى من الدوار والخمارما لا قوام له، مما يكدر كل لذة وينغص كل طيبة، كما **قال بعض الحكماء**: اولا أن المخمور يعلم علته لأوصى وصيته، وقد رأيت كثيرا من الناس خدعوا أنفسهم بقول الأعشى:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وقولهم الخمر علاج الخمار، فأتبعوا السكر سكرا فعرضت لهم أمراض صعبة منها الفالج والسكتة. وإن فعل ذلك قوم وسلموا من الأمراض لصحة أبدانهم وقوة أعضائهم فإن ذلك ليس بمخرجهم من الخطأ في فعلهم ولا يحتج بهم على غيرهم.

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور ص/١١٤

وذكروا أن رجلا شرب عند خمار نصراني أياما فأصبح ميتا فاجتمع الناس عليه وقالوا: قتلته، فقال: لا والله ما قتله إلا استعماله ما كان يغني فيه من هذا الشعر:

داو الخمار بخمرة الكأس المعتقة العقار

لو خامرت عقل العزير لزل عن ظهر الحمار

وقوله:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وإكثاره منها على قلة الطعام فصار إلى ما ترون.

وقال عبد الملك بن مروان وذكر الخمر: إن أولها لمر، وآخرها لسكر وإنها لتذهب العقل وتكسب الجهل وتسقط المروءة وتفسد الفتوة، وتدعو إلى عشرة الوضيع وتحط درجة الرفيع، ولهي أسرع في عرض الرجل وماله من النار في يبس العرفج.

قال الزبير بن بكار، ذكر أبو الزناد، أن رجلا من ثقيف جلد في الشراب في خلافة عثمان بن عفان (رض) وكان لذلك الرجل مكان من عثمان ومجلس في خلوته فلما جلد أراد ذلك المجلس فمنعه عثمان إياه وقال له: لا تعود إلى مجلسك أبدا إلا ومعنا ثالث. وعمل محمد بن عبد الملك الزيات أبياتا، وكتبها في كتاب وعنونه إلى إبراهيم بن رياح وختمه ودس رجلا فدفعه إليه وهو متولي ديوان الضياع، فلما فضه إبراهيم تغير لونه وأمر فطلب الرجل فلم يوجد، وإذا في الكتاب أبيات منها:

يا أبا إسحق إن الراح ضد للفلاح

؟ خدمة الواثق والطاسات في أيدي الملاح". (١)

٥٢٢-"**وقال بعض الحكماء لبعض** الملوك: لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فإن أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية.

وقال آخر كثرة الأذن مجلبة الابتذال وهيبة الملوك في الاحتجاب وكان يقال المبذول مملوك والممنوع متبوع.

ولله در ابن المعتز وما أحسن قوله:

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله ... كذا يخلق المرء العيون اللوافح

وقيل لبعض الحجاب متى تفرغ ولايتك فقال متى حضر طعام مخدومي وأين هذا من قول القائل:

جزت على باب صديق لنا ... وبابه من دونه مقفل

وحول تلك الدار غلمانه ... قد أحدقوا بالباب واستكملوا

فقلت ما يصنع مولاكم ... قالوا سمعنا أنه يأكل

قلت فلما يفتح مولاكم ... قالوا بلى رأس الذي يدخل

وقيل لبعضهم: هل تغديت عند فلان؟ قال لا ولكنني مررت ببابه وهو يتغدى، قال فكيف علمت؟ قال رأيت غلمانه

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور ص/١١٥

بأيديهم قسى البندق يرمون الطير في الهوى.

وقال بعضهم:

رأيت أبا زرارة قال يوما ... لحاجبه وفي يده الحسام

لئن وضع الخوان ولاح شخص ... لأختطفن رأسك والسلام

فقال سوى أبيك فذاك شيخ ... بغيض ليس يردعه الكلام

فقال وقام من حنق إليه ... بقد لام يزد فيه القيام

أبي وأبو أبي والكلب عندي ... بمنزلة إذا حضر الطعام

فما في الأرض أقبح من خوان ... عليه الخبز يحضره الزحام

وما أحسن قولا القاضي الفاضل:

بتنا علبى حال يسر الهوى ... وربما لا يمكن الشرح

بوابنا الليل فقلنا له ... إن غبت عنا هجم الصبح

وله في بواب يلقب بالبحري:

وهب أن هذا الباب للرزق قبلة ... فها أنا وقد وليته دونكم ظهري

وهب أنه البحر الذي يخرج الغنى ... فكل خرافي الشط في لحية البحري

وقال كمال الدين بن النبيه (توفي سنة تسع عشرة وستمائة) لما سمع قول الفاضل:

قلت لليل إذا حباني حبيبا ... بغناء يسبي النهى وعقارا

أنت يا ليل حاجبي فامنع الص؟ ... ؟بح وكن أنت يا دجى برد دارا

وقال ناصر الدين بن النقيب:

ماذا على بواب دراكم الذي ... لا إذن يعطينا ولا يستأذن

لو ردنا ردا جميلا عنكم ... أو كان يدفع بالتي هي أحسن

وللشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في غير المعنى:

يا رب إن النيل زاد زيادة ... أدت إلىهدم وفرط تشتت

ما ضره لو جاء على عاداته ... في دفعة أو كان يدفع بالتي وأنشدني الشيخ العلامة عز الدين الموصلي لنفسه (المتوفي سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وأخبرني أن مولده أربع وعشرين وسبعمائة) :

قد سلونا عن الحبيب بخود ... ذات وجه به الجمال تفنن

ورجعنا عن التهتك فيه ... ودفعنا بالتي هي أحسن

رجع إلى ما كنا فيه: قال الناشئ الأصغر (المتوفي سنة ست وستين وثلاثمائة) :

ليس الحجاب بآلة الأشراف ... إن الحجاب مجانب الإنصاف

ولقل ما يأتي فيحجب مرة ... فتعود ثانية بقلب صاف

وقال أبو الحسين الجزار (مولده سنة إحدى وستين وستمائة، ووفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة) :
أمولاي ما من طباعي الخروج ... ولكن تعلمته من خمولي
وصرت لديك أروم الغنى ... فيخرجني الضرب عند الدخول
وألم بهذا الأديب شمس الدين الضفدع فقال:
وافا إلى خدمته العبد كي ... يحظى بتقبيل يد أو قبول
واستأذن الخادم في قربه ... منكم لأن البعد ستر يحول
فكاد أن يخرجه الضرب عن ... غناك بالإيقاع قبل الدخول
٣أوحى إليه منه قولا فما ... بلغ عنه ما يقول الرسول ونقلت من خط فخر الدين بن مكانس للجمال ابن عبد الغني:
أتيت إلى بابك يا سيدي ... أهنيك بالعيد مع من يهني
فأخرجت من بعد ذاك الدخول ... وقد جئت يعني مدلا بأني
مغن ويخرج بعد الدخول ... وتأبى الطباع خروج المغني
حكي عن أبي الحسين الجزار أنه جاء إلى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فأذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب في ورقة:
الناس قد دخلوا كالأير أجمعهم ... والعبد مثل الخصي ملقى على الباب". (١)

٥٢٣-"واعلم أنه لا يتناهي فيحسدك إلا الأصدقاء والندماء فإنهم متى رأوك بحال وهم بأنقص منه انغرس في قلوبهم حسدك فلو خولتهم أضعاف نعمتك لم يزالوا يحسدونك حتى تفتقر ويستغنون والحسد داء الأبد، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال" قال معاوية بن قرة نظرت في المودة والإخاء فلم أجد اثبت مودة من ذي أصل.
قال أبو الحسن بن جبير الأندلسي البلنسي:
تغير إخوان هذا الزما ... ن فكل خليل عراه الخلل
وكانوا قديما على صحة ... فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم ... فصرت أطالع باب البدل
ولله در ناصر الدين بن النقيب:
فأين الصديق الصدوق الذي ... مودته من قرى صافيه
ما لي صديق سوى درهمي ... ولا لي حبيب سوى العافية
وقال أبو العلاء المعري:
جربت دهري وأهليه فما تركت ... لي التجارب في ود أمره غرضا

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور ص/٩

وقال القاضي ناصح الدين الأرجاي والثاني يقرأ معكوسا وهو غاية:

أحب المرء ظاهره جميل ... لصاحبه وباطنه سليم

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم

وقال صلاح الدين الصفدي:

عذيري في الليالي من صديق ... على مالي وعرضي قد تسلط

تأول إذ تأخر عنه خيري ... فهل ألقاه يوما قد توسط

وقال الشريف العبقيلي وأجاد:

ألذ مودات الرجال مذاقة ... مودة من أن ضيق الدهر وسعا

فلا يلبس الود الذي هو سادجا ... إذ لم يكن بالمكرمات مرصعا

وقال مخارق أنشدت المأمون قول أبي العتاهية (مولد أبي العتاهية سنة ثلاثية ومائة وتوفي سنة إحدى عشر ومائتين) :

وإني لمحتاج إلى أظل صاحب ... يروق ويصفو إن كدرت عليه

قال لي أعد فأعدت سبع مرات فقال لي يا مخارق خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب الله در أبي العتاهية ما أحسن ما قال.

وأحسن من قال:

بروحي من صاحبته فوجدته ... أرق من الشكوى وأصفى من الدمع

يوافقني في الهزل والجد طائعا ... فينظر من عيني ويسمع من سمعي

وقال الجاحظ كان أبو داؤد إذ رأى صديقه مع عدوه قلا صديقه وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق قال ابن عائشة قال هشام بن عد الملك ما بقي على شيء من لذات الدنيا إلا وقد نلته وما اشتهى إلا شيئا واحدا أخا أرفع مؤنة التحفظ بيني وبينه، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: صحبة العاقل في المفاوز والأسفار خير من صحبة الجاهل بين الرياض والأنهار.

ولله در القاضي الفاضل.

وما برح الإخوان إخوان الزمان فإذا أحسن كانوا من التابعين له بإحسان وإذ أساء كانوا من المهاجرين ولا من الهجرة ولكن من الهجران.

وقال جعفر بن محمد لولده: يا بني من غضب عليك من أخواتك ثلاث مرات ولم يقل فيك سوءا فاتخذه خليلا.

ويجب على الصديق إذا رأى صديقه معسرا وهو موسر أن يواسيه ببعض ماله، فقد حكى عن بعض الحكماء أه رأى رجلين لا يفترقان فسأل عنهما فقيل هما صديقان فقال ما هما بصديقين لأني أرى أحدهما موسرا والآخر معسرا ول كانا صديقين لتواسيا، وقال المأمون لندمائه: أفيكم من يقدر يدخل يده في كم صديقه فيأخذ منه نفقة يومه فقالوا لا فقال ما أنتم بأصدقاء والصديق الصديق معدوم وأما من تصادقه مجاز فيمثل بقول القائل: ؟أرض من المرء في مودته ... بما يؤدي إليك ظاهره

من يكشف الناس لا يجد أحدا ... تصح منهم له سرائره

الهند غياك والاغترار بمصادقة العدو ما أوجبها إلا أمر وعلة فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء يسخن فإذا رفع عن النار عاد باردا وصفة الصديق أن يعادي من تعاديه ويهوى من تهوى **وقال بعض الحكماء** صديق عدوى عدوى، وقال الشاعر:

تود عدوى ثم تزعم أنني ... صديقك إن الرأي منك لعازب

إذا نحن أظهرنا لقوم عداوة ... ولان لهم منكم جناح وجانب

فلا أنتم منا ولا نحن منكم ... إذا أنتم سالمتم من نحارب

وليس أخي من ودني رأى تعينه ... ولكن أخي من ودني وهو غائب". (١)

٥٢٤-"واعلم أن الخصال المحمودة والكمال لا يوجدان في شخص أبدا ولا بد من عيب يشوبه فإن اخترت صديق ورضيته وكاشفته فبدت منه هفوة أو زلة فاغفرها فالسيف ينبو والجواد يكبو وإذا صفى الصديق فلا تناقشه في دينه ولا مذهبه فإن ذاك يوجب القطيعة والعداوة وأجرا معه في هواه من دينه إذا جرى هو في هواك من صداقتك.

قال أبو العلاء المعري رحمه الله تعالى:

إذا ما الخل أصفاني ودادا ... فسقيا في الحياة له ورعيا

ليقرأ إن أراد كتاب موسى ... ويقرأ إن أراد شعيا واصلح ما صادقت حكيما أو أديبا عاقلا عالما فإن عداوة هذا خير من صداقة الجاهل **قال بعض الحكماء**: الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه.

ومتي تغير الصديق عليك فاستيقظ ذلك بقريحة حسن منك كما قال الشاعر:

وإذا استعجمت مودة خل ... فاعتبرها من أعين الغلمان

إن عين الغلام تنبيك عما ... في ضمير المولى من الكتمان

القول على النديم: النديم فعيل بمعنى مفاعل منادم والندمان وأكثر منادمة وملازمة من النديم لأن زيادة اللفظ توجب زيادة المعنى، ويقل رجل رحيم ولا يقال رحمان لأنه ثناء المبالغة وفي الدعاء يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأن رحمته في الدنيا عمت الكافر والمؤمن والفاسق والناسك ففي الآخرة يخص برحمته المؤمنين والمسلمين دونهم واشتقاق اسم النديم من المنادمة كأنه يندم على مفارقته لوجود الراحة به والأنس إليه، وينبغي له أن يكون حسن المبرة نبيل الهمة مستوى الذيول وأطراف الأكمام نظيف المخفى من الملبس كالقلنسوة والسراويل والتكة والجورب ومنديل الكم، فإذا كملت لفيه هذه الخصال كان محبوبا إلى القلوب سهلا على الأرواح، وإذا لم يكمل كان بالضد ومستثقلا معيبا في العيون بغيضا على القلوب كما قيل في أبي يعلى الكاتب القرشي:

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور ص/٨٤

نعمة الله لا تعاب ولكن ... ربما استثقلت على أقوامي
لا يليق الغناء بوجه أبي يعلى ... ولا نور بهجة الإسلام
دنس الثوب والعمامة والبرذو ... ن والنقل والقفا والغلام

وينبغي له إذا جلس للشراب مع الملك أن يجلس في المرتبة التي لا يتجاوزها إلى ما هو أعلى منها عنده ولا يحط نفسه عنها ولا يكثر الاتكاء بين يديه وليكن منتصب الجلوس خفيف الوطأة إن قام قام لقيامه وليحذر التبسيط والتمديد والتمطي والتثاؤب التنخع والبصاق وتفريك اليدين وفرقعة الأصابع واللعب بالخاتم والعبث باللحية والعمامة ولا يكون من شأنه التعزية والتهنئة ولا التشميت عند العطسة ولا أسرع بالتحية ولا العبث بالفاكهة والرياحين والأزهار ولا التناول وللشمامات ولا الإكثار من التنقل بعد الشراب ولا يرمي ثفل ما يمتصه بحيث يرى ولا يعض الفاكهة نهشا بل يقطع منها حاجته بالسكين قطعا ولا يكثر شم الريحان ولا إدارة اليد فيه لا يقطع رؤوسه ولا ينفضه عند أخذه ولا يفركه فيزول عقله وليصب لنفسه ما يعلم أنه يقوم به ولا يرفع القدح قبل الملك ولا يصب فيه نبيذا من قبل صبه أو معه ولا يقترح صوتا ولا يظهر الطرب وزلا يوقع على تلحين ولا يبد منه هزل وإن ناوله الساقي قدحا أخذه بلا ازدياد ولا نقصان ولا مماسكة ولا مماراة فإذا أحسن بنفسه سكر أسرع القيام والانصراف وهو يملك نفسه ولا يلمس كف الغلام عن مناولة كأس ولا يكثر ملاحظته عند معاطاته الراح ولا يشير إليه ولا يغمزه ويستحب منه أن يكون مفننا فيجري مجرى إبان اللاحقى بما وصف نفسه للفضل بن يحيى البرمكي وذلك أنه ورد إلى بابه ليعرض نفسه وأجبه عليه فأتى إلى محمد بن زيدان الثقفي فقال له: إن رأيت أصلحك الله أن تعرض قصتي على الأمير فقل وما فيها قال أعرض نفسي وأدبي عليه فقال وما فيها فقال له: أعرض نفسي وأدبي عليه فقال فهل لك فيمن دون الأمير ليشاطرك الضياع والأموال والرقيق ما خلا الأهل والوالد قد نازعتني نفسي إلى شيء لا بد لي من أن أعطيا شهوتها منه فأخذ قصته فأدخلها إلى الفضل بن يحيى فإذا فيها:

أما من بغية الأمير وكنز ... من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب أديب خطيب ... ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الري ... شة مما يكون تحت الجناح
لي في النحو فطنة واتقاد ... أنا فيه قلادة بوشاح". (١)

٥٢٥-"النار أهون من ركوب العار ... والعار يدخل أهله في النار
والعار في رجل يبيت وجاره ... طاوي الحشا متمزق الأطمار
والعار في هضم الضعيف وظلمه ... وإمارة الأشرار في الأخيار
جاهد على طلب الحلال ولاتكن ... تفنيه بالإسراف والتبذار
إلا لأهلك أو لضيفك أو لمن ... يشكو إليك مضاضة الإعسار

---
(١) مطالع البدور ومنازل السرور ص/٨٥

غيره:

إذا أعوزتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

فإن إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيا

الفخر بالأنساب والأحساب

قال أبو تمام:

نسب كأن عليه من شمس الضحى ... نورا ومن فلق الصباح عمودا

البحتري:

نسب كما اطردت كعوب مثقف ... لدن يزيدك بسطه في الطول

الرضي:

لهم نسب كاشتباك النجوم ... يرى للمناقب فيه ازدحاما

مهيار:

أعجب بي بين نادي قومها ... أم سعد فمضت تسأل بي

سرها ما علمت من خلقي ... فأرادت علمها ما حسبي

لا تخالي نسبا يخفضني ... أنا من يرضيك عند النسب

قومي استولو على الدهر فتى ... ومضوا فوق رؤوس الحقب

عمموا بالشمس هاماتهم ... وبنوا أبياتهم في الشهب

وأبي كسرى على إيوانه ... أين في الناس أب مثل أبي؟

سودة الملك القدامى وعلى ... شرف الإسلام لي والأدب

قد قبست المجد من خير أب ... وقبست الدين من خر نبي

وضممت الفخر من أطراه ... سؤدد الفرس ودين العرب

وللسلامي في الشريف الرضي:

متناسبين وأنت كنت مرادهم ... ترددين إليك في الأصلاب

حتى ولدت فأغفلوا أنسابهم ... وغدا وجودك أشرف الأنساب

غيره:

حسب لو لبست شمس الضحى ... نوره ما لبست ثوب الغروب

برد فخر وعلى خير الورى ... بيد السؤدد مزرور الجيوب

والحسب: هو ما يعد من مفاخر الآباء والمال والدين والكرم أو الشرف في الفعل، والشرف الثابت في الآباء، وقد يكون احسب والكرم لمن لا آباء له شرفا بخلاف المجد، والذي أراه أنه لا يكمل للمرء فخره بحسبه إلا إذا كان له من المآثر ما

كان لآبائه.

وإلى ذلك يشير قول الشاعر:

إنا وإن أحسابنا كرمت ... لسنا على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

أخذ قول الشاعر (أضاءت لهم أحسابهم إلى آخره) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن المعروف بالحصري القيرواني، فنقله من الافتخار إلى الغزل فقال:

حتى إذا طاح منها المرط من دهش ... وأنحل بالضم نظم العقد في الظلم

تبسمت فأضاء الليل فالتقطت ... حبات منتثر في ضوء منتظم

قال أفلاطون الحكيم: من جمع إلى شرف أصله شرف نفسه، فقد قضى الحق الذي عليه، واستدعى التفضيل بالحجة، ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه، فقد عقهم، واستحق بأن لا يقدم بهم على غيره، كما أن من كان له سلف في الشجاعة والسخاء لا يستحق أن يكرم لسلفه إذا كان جبانا بخيلا، وكذلك أنواع الشرف لا يستحق من انتس إليها التقديم إلا إذا حوى ما يذكر به اسلافه. وقال أيضا: السعيد من تمت به رياسة آبائه، والشقي منهم من انقطعت عنده. قال بعض الحكماء: المرء بحسبه أكمل في الفخر إذا زاد بشرف نفسه ذكر آبائه نباهة، وقد أحسن مهيار في زيادة الابن على آبائه شرفا، فقال:

وجئت بمعنى زائد فكأنهم ... وما صروا عن غاية المجد قصروا.

وقوله:

وجئت بمعنى زائد فكأنهم ... وما قصروا عن غاية المجد قصروا

وقوله:

زيدهم شرفا وبعضهم ... لأبيه مثل الواو في عمرو

وقوله أيضا وهو من بدائعه ونوادره، وهو بالسحر أشبه بالشعر وذلك حيث يقول:

أن كنت ممن طواه الدهر ممتريا ... منهم فعندك من منشورهم خبر

هذا الحسين حياة خلدت لهم ... ما هم أول موتى بابنهم نثروا

صلى فزادت على الساق حلبته ... محلق العرف جار خطوه حضر

كالسهم أحرز ذكرا يوم ترسله ... لم يعطه أبوه القوس والوتر

صارة فضلت في الطيب طينتها ... والخمر أطيب شيء منه يعتصر". (١)

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ص/٢٤٨

٥٢٦-"بسم الله الرحمن الرحيم

عفوك اللهم

الحمد لله الذي فطر عقول البشر متغايرة، وجعل النفوس برأيها عل نقطة الرضى دائرة، وزين لها أعمالها حتى توهمت أنها في الأمثال السائرة.

أحمده على نعمه التي أوضحت ما أبهم وألبس، وأبدت نار الهدى التي لم تكن بسوى أنامل الذوق تقبس، وراضت جواد الانتقاد الذي إذا أم غاية لم يثن عنانه ولم يحبس. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يسجع بها حمام اللسان من اليقين على أراكه، وتنجي قائلها من الوقوع في حبائل الشرك وأشراكه، وتكون له ذخيرة إذا عدم سكونه بعد حراكه. وأشهد أن محمدا سيدنا وعبده الذي عصمه الله من الخطأ في القول والعمل، وحرس به سرح الفصاحة ولولاه لاختلط المرعى بالهمل، وآتاه من جوامع الكلم ما لم تطمح إليه عين أمنية ولم تطمع فيه يد أمل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هابتهم الأساود وخافتهم الأسود، وتجانست أفعالهم فما منهم إلا من يجول ويجود، ويسوس ويسود، وتبرأت شيمهم من النقائص فلم يكن فيهم مختال ولا متكبر ولا حسود، صلاة تتبسم عن ثغرها شفة الفجر في لعس الظلام، ويتلثم بنورها وجه البدر في عرس التمام.

وبعد: فإن كتاب المثل السائر للصاحب ضياء الدين بن أثير الجزيرة، عامله الله بلطفه، وسامحه بما هزت به نسمات الخيلاء من غصن عطفه، من الكتب التي خفقت له في الاشتهار عذبات أوراقه، وسعى القلم في خدمته على رأسه إذا سعى الخادم على ساقه. واشتهر بين أهل الإنشاء اشتهار الليل بالكتمان والنهار بالإفشاء، لا بل اشتهار بني عذرة في الحب بتحرق الأحشاء، وأولع به أهل الأدب في الآفاق ولع الكريم بالإنفاق، لا بل ولع الرقباء بالعشاق.

إلا أن واضعه رحمه الله، وان جمع فيه العلم والعمل، وسجع فيه بين الثقيل والرمل، وتوهم أن بدر فضله قد تم وكمل، وتخيل أن جيد الإنشاء بعده قد عطل، وفنه قد خمل، قد أذهب حسناته النادرة، بتوالي سيئاته البادرة، وأضاع تلك الزهرات الفذة، في قفار الدعاوى التي لا يجد فيها السالك لذة، وطال على الناس بعد هلاله سواد ليله، ورفضوا مواقع طله لغثاء سيله. ونعم فإنه:

ما الجزع أهل أن تردد نظرة ... فيه وتثنى نحوه الأعناق

لأنه أفنى ذلك البسط في الإعجاب بنفسه والإطراء، وأطال في الغض من أبناء جنسه والازدراء، وظن أن الله قد حرم الفصاحة على من يأتي من بعده، وأن الذين من قبله إما شيخ قد خرف في هرمه، وإما طفل يعبث في مهده. وجر رداء الكبر والخيلاء مخيطا بإبر الحمد، وبالغ في ذلك مبالغة أبي زبيد الطائي في وصف الأسد. ووصف نفسه ولا وصف امرىء القيس لأفراسه، ومدحها ولا مدح أبي نواس سلافة كاسه، وكرر ذلك فغثى النفوس بذلك الغث، وزاد حتى رثى القلق ثوب الصبر لمارث.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احذروا ثلاثا: الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة، والكبر فإنه حط إبليس عن مرتبته، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ويقال: إنه أول ذنب عصي الله به في السماء

والأرض. وقال النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل: الكبرياء ردائي فمن نازعنيه أدخلته النار. وقال جعفر بن محمد: علم الله أن الذنب للمؤمن خير من العجب، ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب.

وقال بعض الحكماء: البلية التي لا يؤجر المرء عليها العجب، والنعمة التي لا يحسد عليها التواضع.

ومما قيل: لا شيء أكتم للمحاسن من التيه والعجب.

هذا إلى ما في الكتاب من فلتات عديدة، واختيارات غير موفقة ولا سديدة، ونصر باطل، وتحلية عاطل، وترجيح ما ضعف ووهى، وتوهين ما تحرر وانتهى.

مساو لو قسمن على الغواني ... لما أمهرن إلا بالطلاق

وكنت أقف على أطلالها عند المراجعة ناديا، وأعثر في أذيالها حين المطالعة غالبا، وأتأوه لانفراد تلك اللآلىء في سلوك السبج، وأستطيل سواد لياليه والصبح من محاسنه ما أسفر ولا انبلج.

وبلغني ما وضعه عز الدين بن أبي الحديد رحمه الله على الكتاب من المؤاخذة، وأنه استصرخت به تلك الظلامات عائذة. فلما وقفت على الفلك الدائر وجدته قد أغفل كثيرا، وأخذ قليلا وترك أثيرا. فأحببت بعد ذلك أن ألتقط ما غادره، وأتتبع شاذه ونادره.". (١)

٥٢٧-"قد أتممت هذا الكتاب عن طريق اختصار، وسبيل اختيار، ولو أردت لمددت إلى ما يربي على الغاية، ويوفي على النهاية، إذا ذاك متيسر غير متعذر، ومتسع غير ممتنع، وإنما أغريت أن أجري إلى رضاك، حسب مبتغاك، فكان كتابي باكورة حلت، غير أنها قلت، وفي هذا الكتاب أكثر المعونة بأيسر المؤونة على تنبيه نائم الخواطر، وتحريك ساكن السرائر لمن يجول في ميدان المخاطبة والمكاتبة، ويأخذ بعنان المذاكرة والمحاورة، إذا طرز به ديباج كلامه وحلى عاطل نثره ونظامه، فمن سهلت بحفظ البلاغات حواشي لسانه، تصورت صورها في جنانه، فمتى حاول كتابا أو زاول خطابا قامت إلى لفظه من شعاب حفظه خدام الإصابة على أقدام الإجابة، تسايره بالنصر فيما يممه من أمر، فللبلاغات أدوات يقتفى أمثالها، ويحتذى مثالها، فأولاها بعد إقامة اللسان وحفظ كلام أمراء البيان وبخاصة أهل هذا الزمان، إذ النفس أقرب إلى ما قرب منها مما بعد عنها، وهي أحق وأحجى أن تكون لإدراكه أرجى، ولا سيما إذا رأى العربي الصريح نطق العجم باللسان الفصيح، في ألفاظ لو اجتلين جواهرها، واجتنيت زواهرها، لكسدت صناعة الحلى والحلي، وبارت بضائع الوسمي والولي.

[شعر] :

ولم تتشوق للربيع نفوسنا ... ويضح على الدنيا بها منشد يشدو

سقى الله وردا صار خد ربيعنا ... فقد كان قبل اليوم ليس له خد

فعلم أنهم شغلوا أسرارهم واستعملوا أفكارهم، من نقس تلك الرقوم ووشي تلك الرسوم، بما استقرأه وتتبعه لصار معهم كما

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر ص/١

صاروا معه، في حقه الذي عليه غصب، وفيه غلب، فكثير ممن أوردت عليك روائع حكمهم، وبدائع كلمهم، أعاجم درت لهم الفصاحة بغير عصاب، وسبقت إليهم الرجاحة بغير اغتصاب إذ علموا ما آية معانيها، وكيفية مبانيها، وقد قالت الفلاسفة: "حد الإنسان الحي الناطق، فكلما كان رتبة المنطق أعلى، كان بالإنسانية أولى".

وأمر المأمون بإسقاط رجل من الجند، فقال: يا أمير المؤمنين لم أسقطتني؟ قال: لأن روح الحياة إذا ظهر كان جمالا، وإذا بطن كان بيانا، وأنت لا ظاهر لك ولا باطن.

فحق كل ذي فضل وعقل أن يكون كما **قال بعض الحكماء**: "يجب على العاقل أن ينظر في المرآة، فإن كان وجهه حسنا لم يشته بقبيح، وإن كان قبيحا لم يجمع بين قبيحين".

فالحمد لله الذي جعل جمال منظرك موازيا لجمال مخبرك، وشامخ فرعك مقارنا لراسخ عنصرك:

فلو كنت ماء كنت غمامة ... ولو كنت درا كنت من درة بكر
ولو كنت لهوا كنت تعليل ساعة ... ولو كنت نوما كنت إغفاءة الفجر
ولو كنت ليلا كنت قمرا جنبت ... نحوس ليالي الشهر أو ليلة القدر

وأقول:

والله حسبي فيك من كل ما ... يعوذ العبد به المولى
فاسم وعش ولا زلت في نعمة ... أنت بها من غيرك الأولى

كمل الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه، ووافق الفراغ من نساخته في ضحى يوم الأربعاء المبارك السادس من شهر رجب الفرد من شهور سنة اثنتين وثلاثين وألف، على يد أفقر العباد إلى عفو الكريم الجليل، الخليل بن خليفة العزيز المكي الرومي الحنفي، عامله الله بلطفه الخفي، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.". (١)

٥٢٨-"الظلم من يفعله ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي فليتق الله سيدنا وليتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب وليجهد في العدل فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا قال تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ الآية وقال تعالى ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ الحج ٤٠ ثم ذكر تعالى المنصورين وشروط النصر فقال ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ الحج ٤١ فضمن تعالى للملوك النصر وشرط عليهم هذه الأمور الأربعة فمتى اختل عليهم أمر الرعية وتسلط عليهم من يفسد عليهم الدولة فليعلموا أن ذلك من إخلالهم بهذه الأمور فكان عليهم الرجوع إلى الله تعالى وتفقد ما أمرهم به ورعاية ما استرعاهم إياه وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على أن الجور

---

(١) نور الطرف ونور الظرف ص/٥٥

لا يثبت معه الملك ولا يستقيم وأن العدل يستقيم معه الملك ولو مع الكفر وقد عاش الملوك من الكفرة المئين من السنين في الملك المنتظم والكلمة المسموعة والراحة من كل منغص لما كانوا عليه من العدل في الرعية استصلاحا لدنياهم فكيف بمن يرجو صلاح الدنيا والدين **قال بعض الحكماء** الملك بناء والجند أساسه وإذا ضعف الأساس سقط البناء فلا سلطان إلا بجند ولا جند إلا بمال ولا مال إلا بجباية ولا جباية إلا بعمارة ولا عمارة إلا بالعدل فالعدل أساس الجميع وقد صنع أرسطوطاليس الحكيم للملك الإسكندر الشكل المستند عنه وكتب عليه العالم بستان سياجه الدولة الدولة سلطان تعضده السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك راع يعضده الجيش الجيش أعوان يكفلهم المال المال رزق يجمعه الرعية الرعية عبيد يقودهم العدل العدل مألوف وبه صلاح العالم العالم بستان إلى آخره وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وقال". (١)

٥٢٩-"في الطيب والغذاء، وذلك أن أطيب خيرات الدنيا بعد الأمن والعافية والعز والرئاسة، صلاح الماء والهواء، ثم أفضل أنهار العالم دجلة والفرات، وان نازع في ذلك أهل مصر وفضلوا نيلهم، وأطيب مواضع العالم في كل الازمنة عند قياس بعضها إلى بعض وقياس بعض البلدان إلى بعض موضع اجتماع دجلة والفرات، وذلك أن بعض المواضع يطيب صيفه ويفسد شتاؤه فسادا يمتنع فيه من المكاسب المهنية والمطالب الصناعية لشدة برده ودوام سقوط ثلجه، ومنها ما يطيب شتاؤه ويفسد صيفه حتى يشغل الحر والومد والبق والهوام عن تخشين الزي باللباس والتصرف في المهن والصناعات ويعز علينا بما دفعنا إليه من مفارقة ها المصر الذي به مولدنا وفيه منشؤنا، فنأت الأيام بيننا وبينه وساحقت مسافاتنا عنه فبعدت الدار، وتراخى المزار. لكنه الزمن الذي من شأنه التشتيت والدهر الذي من شرطه الافاتة، ولقد أحسن أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي حيث يقول في هذا المعنى في كلمة له

أيا نكبة الدهر التي طوحت بنا ... أيادي سبا في شرقها والمغارب

قفى بالتي نهوى فقد طرت بالتي ... اليها تناهت فاجعات المصائب

وقال آخر

بلاد بها أنسى وأهلي وجيرتي ... وقد يتناسى الشيء وهو حبيب

ولولا الشوق إلى الوطن والحنين الى المنشأ لم نذكر ما ذكرناه من هذه المعاني **قال بعض الحكماء**: إن من علامة وفاء المرء وحسن دوام عهده، حنينه الى إخوانه وشوقه الى أوطانه، وإن من علامة ارشد أن تكون النفس الى مولدها مشتاقة، والى مسقط رأسها تواقة وقال آخر: عمر الله الأبدان، بحب الأوطان. فمن علامة كرم المحتد، الحنين الى المولد". (٢)

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٨٥/٧

(٢) التنبيه والإشراف ص/٣٨

٥٣٠-"وتمرن هناك، وطب بأرض فارس، وعالج وحصل له بذلك مال، وعرف الداء والدواء. وكان صاحب حس مرهف، وموسيقيا يضرب بالعود. تعلم ذلك بفارس واليمن.

قيل: إن سعد بن أبي وقاص مرض بمكة، فعاده رسول الله، فقال له: "ادع الحارث، فإنه يتطبب". فعاده الحارث وداواه فشفاه. ونسبوا له كلاما مع كسرى أنوشروان. وقيل: إنه هو القائل: "الطب: الأزم، والبطنة بيت الدواء، والحمية رأس الدواء، وعودوا كل بدن ما اعتاد"، وأشياء أخرى تنسب إلى فلاسفة متقدمين، ولحكماء من العرب غير الحارث١.

وقيل: إن من حكمه: "خير الدواء الأزم، وشر الدواء إدخال الطعام على الطعام". وقيل: إنه وصى ولده بقوله: "يا بني عود نفسك الأثرة ومجاهدة الشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تخضم خضم البراذين، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمال. إن الله جعلك إنسانا فلا تجعل نفسك بهيمة، واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة، فقد قال بعض الحكماء: إذا كنت بطينا فعد نفسك مع الزمنى"٢. ومن حكمه قوله: "لا تنكحوا من النساء إلا الشابة، ولا تأكلوا من الحيوان إلا الفتى، ولا من الفاكهة إلا النضيج"٣.

وقد نسبوا إلى الحارث كتابا، هو كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان٤، ولم يشيروا إلى مضمونه ومحتوياته وحجمه. والظاهر أنه هذه المحاورة التي دبجوها في ترجمته، ونسبوها إليه، وزعموا أن كسرى أمر بتدوين ما نطق به٥.

---

١ عيون الأنباء لابن أبي اصيبعة "١/ ١٠٩ وما بعدها"، أخبار الحكماء "ص١١١ وما بعدها"، ابن صاعد "ص٤٧"، ابن جلجل "ص٥٤ وما بعدها"، ابن القفطي تاريخ الحكماء "ص١٦١ وما بعدها"، ابن العبري "ص١٥٦ وما بعدها"، ابن حجر، الإصابة "١/ ٢٨٨"، بلوغ الأرب "٣/ ٣٢٨ وما بعدها"، شرح ديوان لبيد "ص١٠٢".

٢ الجمان في تشبيهات القرآن "٢٥٦".

٣ المحاسن والأضداد "١١٠".

٤ عيون الأنباء "١/ ١١٠ وما بعدها".

٥ ابن أبي أصيبعة "١/ ١١٢"، بلوغ الأرب "٣/ ٣٢٨ وما بعدها"، العقد الفريد "٦/ ٣٧٣"." (١)

٥٣١-"محصور، هي متروكة في عصرنا هذ، ي النادر عند ولاية ملك عظيم الشأ، وحدث أمر جليل، وإن كان ذلك فلعله يكون مقدار ساعة أو نحو ذلك، بحسب مستمر العادة ومتروكه، إن للعادة سلطان١٩ تقهر به ما كان بخلافها كنا قال بعض الحكماء كادت العادة إن تكون طبعا. وقال بعضهم: العدة طبع ثان لها على كل شيء سلطان. فلذلك لا يتتوج في عصرنا هذ، ن قد تتوج في الزمان الخال، وم من أتباعه وأجناده من هو أكبر منهم وأمثل، وكانت الأكاسرة يتوجون ومرازبتهم وغيرهم من وفود الناس، ويلبسونهم التيجان مع الحلل التي كانوا يكسونهم.

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦/١٦

هوذ الحنفي

فما روي في مثل ذلك أن هوذة بن علي بن ثمامة بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزى بن سحيم بن مرة بن الدول، ال أبن دريد: هو الدول بالضم بن حنيفة أثال بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائ، كان ذا شرف ومكانة في قومه مر به رسل لكسرى بلطائم له فكتب لهم على سهم هوذة وجاء رسل". (١)

٥٣٢-"ووضع الندى في موضع السيف بالعلى ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

وفي هذا وأمثاله نقص للسياسة التي بها قوام الملك ولو كان هذا البطش منه بمن٠٠٠٠تقدم ذكره من الجنايات في أهله وماله وولده لكان ذلك أحوط لملكه وأحفظ لقانون سياسته وأحسن في التدبير منه وأنفى للعار عنه، فان للأنوف الحمية والنفوس الإبل تنازعا الدولة الفتك بأهل العداوة والمغاورة وتميل الدولة العفو والحلم إذا حضرت القدرة كما **قال بعض الحكماء** القدرة تذهب الحفيظة. ووصف بعض الشعراء رجلا مدحه بهذا الوصف فقال:

أسد ضار إذا أم هجته ... وأب بر إذا ما قدرا

فعكس النعمان ذلك وأخذ بضد الأحسن الأجمل، وعجز عمن أقدم بالمعروف عليه وفتك بمن وفد برجائه ألي فكانت صفته في ذلك كما قيل:

جهلا علينا وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن

وروي إنه عوتب في هذا فقال: " تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها". (٢)

٥٣٣-"عليه السلام! إني لأجد في كتاب الله عز وجل أن الله يوحي إليه في كل عام مرتين:

يوحي إليه عند جريه: إن الله يأمرك أن تجري، فيجري ما كتب الله؛ ثم يوحي إليه بعد ذلك: يا نيل عد حميدا.

وروى ابن يونس من طريق حفص بن عاصم عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة» .

وعن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله عز وجل في الدنيا، فالنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة.

وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: نيل مصر سيد الأنهار، وسخر الله له كل نهر من المشرق إلى المغرب، فإذا أراد الله تعالى أن يجري نيل مصر أمر الله كل نهر أن يمده فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله له الأرض عيونا، فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله عز وجل أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره. وقد ورد أن مصر كنانة الله في أرضه.

وعن أبي جنادة الضبي: أنه سمع عليا يقول: النيل في الآخرة عسل أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل؛ ودجلة

---

(١) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ص/٥٣

(٢) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ص/٤٦٨

(يعني جيحان) في الآخرة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل؛ والفرات خمر أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل؛ وسيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل.

وقال بعض الحكماء: مصر ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، فإن في شهر أبيب (وهو تموز) ومسرى (وهو آب) وتوت (وهو أيلول) يركبها الماء فيها فترى الدنيا بيضاء". (١)

٥٣٤-"وقال غيره: هي مسافة شهر طولا في شهر عرضا. وطولها من الشجرتين اللتين ما بين رفح والعريش إلى مدينة أسوان من صعيد مصر الأعلى؛ وعرضها من آيلة إلى برقة، ويكتنفها جبلان متقاربان من مدينة أسوان المذكورة إلى أن ينتهيا إلى الفسطاط (يعني إلى مصر) ، ثم يتسع بعد ذلك ما بينهما وينفرج قليلا، ويأخذ الجبل المقطم منهما مشرقا والآخر مغربا على وراب متسع من مصر إلى ساحل البحر الرومي، وهناك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة ما بين أوغلها فى الجنوب وأوغلها في الشمال.

وقال بعض الحكماء: ليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين والهند غير النيل. وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال غير النيل. وليس فى الدنيا نهر يزيد فى أشد ما يكون من الحر غير النيل. وليس في الدنيا نهر يزيد وينقص على ترتيب فيهما غير النيل. وليس في الدنيا نهر يزيد إذا نقص مياه الدنيا غير النيل.

وبهذا النيل أشياء لم تكن في غيره من الأنهار، من ذلك: السمكة الرعادة التي إذا وضع الشخص يده عليها اضطرب جسمه جميعه حتى يرفع يده عنها، ومنها التمساح ولم يكن في غيره من المياه؛ وفي مصر أعاجيب كثيرة.

وقال الكندي في حق مصر وأعمالها: جبلها مقدس، ونيلها مبارك، وبها الطور حيث كلم الله تعالى نبيه موسى، وبها الوادي المقدس، وبها ألقى موسى عصاه وبها فلق الله البحر لموسى، وبها ولد موسى وهارون عليهما السلام ويوشع بن نون ودانيال وأرميا ولقمان وعيسى بن مريم، ولدته أمه بأهناس، وبها النخلة التي ذكرها الله تعالى لمريم؛ ولما سار عيسى إلى الشأم وأخذ على سفح المقطم ماشيا، عليه جبة صوف مربوط الوسط بشريط وأمه تمشي خلفه، فالتفت إليها وقال: يا أماه،". (٢)

٥٣٥-"الأمر في ذلك حسن القابلية وإن تكون مرآة غير صدية كما قيل:

إذا كان الطباع طباع سوء ... فليس بنافع أدب الأديب

وقيل أن الأخلاق وإن كانت غريزية فإنه يمكن تطبعها بالرياضة والتدريب والعادة والفرق بين الطبع والتطبع أن الطبع جاذب مفتعل والتطبع مجذوب منفعل تتفق نتايجهما مع التكلف ويفترق تأثيرهما مع الأسترسال. وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الاخلاق الجميلة ونفسه مع ذلك تتشوق إلى المنقبة وتتأنف من المثلبة. لكن سلطان طبعه يأبى عليه ويستعصي عن تكليف ما ندب إليه يختار العطل منها على التحلي ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلي فلا ينفعه التأنيب

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١/ ٣٤

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١/ ٣٧

ولا يردعه التأديب وسبب ذلك ما قرره المتكلمون في الاخلاق من أن الطبع المطبوع أملك للنفس التي هي محله لاستيطانه إياها وكثرة اعانته لها.

وأما الذي يجمع الفضائل والرذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم وقد تكتسب الاخلاق من معاشرة الاخلاء أما بالصلاح أو بالفساد فرب طبع كريم افسدته معاشرة الأشرار وطبع لئيم اصلحته مصاحبة الاخيار. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". وقال علي رضي الله عنه لولده الحسن: الأخ رقعة في ثوبك فانظر بمن ترقعه. **وقال بعض الحكماء في** وصيته لولده: يا بني احذر مقارنة ذوي الطباع المزدولة لئلا تسرق طباعهم وأنت لا تشعر وأما إذا كان الخليل كريم الاخلاق شريف الأعراق حسن السيرة طاهر السريرة فبه في محاسن الشيم يقتدي وبنجم رشده في طريق المكارم يهتدي وإذا كان سيء الأعمال خبيث الاقوال كان المغتبط به كذلك ومع هذا فواجب على العاقل اللبيب والفطن الاريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسي حلل.". (١)

٥٣٦-"الأمر في ذلك حسن القابلية وإن تكون مرآة غير صدية كما قيل:

إذا كان الطباع طباع سوء ... فليس بنافع أدب الأديب

وقيل أن الأخلاق وإن كانت غريزية فإنه يمكن تطبعها بالرياضة والتدريب والعادة والفرق بين الطبع والتطبع أن الطبع جاذب مفتعل والتطبع مجذوب منفعل تتفق نتايجهما مع التكلف ويفترق تأثيرهما مع الأسترسال. وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الاخلاق الجميلة ونفسه مع ذلك تتشوق إلى المنقبة وتتأنف من المثلبة. لكن سلطان طبعه يأبى عليه ويستعصي عن تكليف ما ندب إليه يختار العطل منها على التحلي ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلي فلا ينفعه التأنيب
ولا يردعه التأديب وسبب ذلك ما قرره المتكلمون في الاخلاق من أن الطبع المطبوع أملك للنفس التي هي محله لاستيطانه إياها وكثرة اعانته لها.

وأما الذي يجمع الفضائل والرذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم وقد تكتسب الاخلاق من معاشرة الاخلاء أما بالصلاح أو بالفساد فرب طبع كريم افسدته معاشرة الأشرار وطبع لئيم اصلحته مصاحبة الاخيار. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". وقال علي رضي الله عنه لولده الحسن: الأخ رقعة في ثوبك فانظر بمن ترقعه. **وقال بعض الحكماء في** وصيته لولده: يا بني احذر مقارنة ذوي الطباع المزدولة لئلا تسرق طباعهم وأنت لا تشعر وأما إذا كان الخليل كريم الاخلاق شريف الأعراق حسن السيرة طاهر السريرة فبه في محاسن الشيم يقتدي وبنجم رشده في طريق المكارم يهتدي وإذا كان سيء الأعمال خبيث الاقوال كان المغتبط به كذلك ومع هذا فواجب على العاقل اللبيب والفطن الاريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢٣/١

ويكتسي حلل.". (١)

٥٣٧-"الجمال بدماثة شمائله وحميد طرائقه. وقال عمرو بن العاص: المرء حيث يجعل نفسه أن رفعها ارتفعت وإن وضعها اتضعت. **وقال بعض الحكماء**: النفس عزوف ونفور الوف متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها حملت وإن أصلحتها صلحت وإن افسدتها فسدت وقال الشاعر:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أطعمت تاقت وإلا تسلت

وقالوا من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه والمنهج القويم الموصل إلى الثناء الجميل أن يستعمل الإنسان فكرة وتميزه فيما ينتج عن الاخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره فيأخذ نفسه بما استحسن منها واستملح ويصرفها عما استهجن منها واستقبح فقد قيل: كفاك تأديبا ترك ما كرهه الناس من غيرك.

اللهم بحرمة سيد الأنام يسر لنا حسن الختام واصرف عنا سوء القضاء وانظر لنا بعين الرضاء وهذا أوان انشقاق كمائم طلع الشماريخ عن زهر مجمل التاريخ.

أول خليفة في الأرض.

اول خليفة جعل في الأرض آدم عليه الصلاة والسلام بمصداق قوله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ثم توالت الرسل بعده لكنها لم تكن عامة الرسالة بل كل رسول أرسل إلى فرقة فهؤلاء الرسل عليهم السلام مقررون شرائع الله بين عباده وملزموهم بتوحيد وامتثال أوامره ونواهيه ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم في الدنيا وفوزهم بالنعيم السرمدي إذا امتثلوا في الأخرى إلى أن جاء ختامهم الرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أرسله الله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله وأمره بالصدع والأعلان والتطهير من عبادة الأوثان. وآمن به من أمن من الصحابة رضوان الله عليهم وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزي معه أولئك هم المفلحون. ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ويتع إلى ويسمو حتى تم ميقاته وقربت من.". (٢)

٥٣٨-"الجمال بدماثة شمائله وحميد طرائقه. وقال عمرو بن العاص: المرء حيث يجعل نفسه أن رفعها ارتفعت وإن وضعها اتضعت. **وقال بعض الحكماء**: النفس عزوف ونفور الوف متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها حملت وإن أصلحتها صلحت وإن افسدتها فسدت وقال الشاعر:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أطعمت تاقت وإلا تسلت

وقالوا من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه والمنهج القويم الموصل إلى الثناء الجميل أن يستعمل الإنسان فكرة وتميزه فيما ينتج عن الاخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره فيأخذ نفسه بما استحسن منها واستملح ويصرفها عما استهجن

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢٣/١

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢٤/١

منها واستقبح فقد قيل: كفاك تأديبا ترك ما كرهه الناس من غيرك.

اللهم بحرمة سيد الأنام يسر لنا حسن الختام واصرف عنا سوء القضاء وانظر لنا بعين الرضاء وهذا أوان انشقاق كمائم طلع الشماريخ عن زهر مجمل التاريخ.

أول خليفة في الأرض.

اول خليفة جعل في الأرض آدم عليه الصلاة والسلام بمصداق قوله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ثم توالت الرسل بعده لكنها لم تكن عامة الرسالة بل كل رسول أرسل إلى فرقة فهؤلاء الرسل عليهم السلام مقررون شرائع الله بين عباده وملزموهم بتوحيد وامتثال أوامره ونواهيه ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم في الدنيا وفوزهم بالنعيم السرمدي إذا امتثلوا في الأخرى إلى أن جاء ختامهم الرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أرسله الله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله وأمره بالصدع والأعلان والتطهير من عبادة الأوثان. وآمن به من أمن من الصحابة رضوان الله عليهم وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزي معه أولئك هم المفلحون. ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ويتع إلى ويسمو حتى تم ميقاته وقربت من.". (١)

٥٣٩-"وقلب الإنسان للآفات قابل. مشيت يوما إلى سوق الرقيق، لأخذ حق فؤاد عتيق، فرأيت بها جارية عسجدية اللون، حديثة عهد بالصون، متمايلة القد، قائمة النهد، بلحظ قد أوتي من السحر أوفر حظ، وفم كشرطة رشحت بدم، داخله سمطان لولا هما ما عرف النظم، ولا حكم على الدر للعظم، في صدغها لامان ما خط شكلهما قلم، ولا قص مثلهما حلم. لها جيد تتمناه الغيد، وخصر هو قبضة الكف في الحصر، وردف يظلمه من يشبه به بالحقف، ويدان خلقا للوشي، وقدمان أهلتا للثم لا للمشي، فتطاولت إليه الأعناق، وبذلت فيها الأعلاق، والمياسير عليها مغرم في القوم، وتسوم أهل السوم، وكل فيها يزيد، ليبلغ ما يريد، إلى أن جاء فتى صادق في حبه، لا يبالي بفساد ماله في صلاح قلبه، فعد المال عدا، ولم يجد غيره من التسليم بدا. فلما فاتتني، تركت الأشواق وأتتني، وانتقضت عزائم صبري فما أتتني، فالله الله، تدارك أخاك سريعا، قبل أن تلفيه من الوجد صريعا، واستنزله خادما، قبل أن تصبح عليه نادما، ولن أحتاج أن أصفها إليك، مع ما قصصته عليك، وقد أهديتها دررا، فخذها على جهة الفكاهة والدعابة: [الوافر]

ولا تطلع أخا جهل عليها ... فمن لم يدر قدر الشيء عابه

فأجبته: نعم نعم، أنعم الله بالك، وسنى آمالك، أنا بحول الله أرتاد لك من نحو هاتيك، ما يسليك ويؤاتيك، وإلا فبيضا كاللجين، هل القلب والعين، زهرة غصن في روضة حسن، ذات ذوائب، كأنها الليل على نهار، أو بنفسج في بهار.

لها وجه أبهى من الغنا، وأشهى من نيل المنى، فيه حاجبان كأنهما قوس صنعت من السبح، ورصعت بعاج من البلح، على عينين ساحرتين، بالعقل ساخرتين، بهما تصاب الكبود، وتشق القلوب قبل الجلود، إلى فم كأنه ختام مسك، على نظام سلك، سقاه الحسن رحيقه، فأنبتت درره وعقيقه، وجيد في الحسن وحيد على صدر كأنه من مرمر، فيه حقتا عاج طوقتا

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢٤/١

بعنبر، قد خلقتا للعض، في جسم غض، له خصر مدمج، وردفه يتموج، وأطراف كالعنم، رقمت رقم القلم، من اللائي شهدن ابن المؤمل، وقال في مثلها الأول، إن هي تاهت فمثلها تاها، أو هي باهت فمثلها باها، من أين للغصن مثل قامتها أو أين للبدر مثل مرآها، ما فعلت في العقول صابية ما فعلت في العقول عيناها، تملكني بالهوى وأملكها، فهأنا عبدها ومولاها، فأيهما لست بذلت فيه الجهد، وأرقيت للمجد والود إن شاء الله تعالى.

وأنا فيما عرض لسيدي، حفظه الله، على ما يحب، أعذره ولا أعذله، وأنصره ولا أخذله، لكني أقول كما **قال بعض الحكماء**: لا ينبغي لمن قلبه رقيق، أن يدخل سوق الرقيق، إلا أن يكون قد جمع بين المال، والجمال يتنافس في العالي،".

(١)

٥٤٠-"برأسه: لا، فلم اقنع منه فقلت: فهمت عني: له صحبة؟ قال: هو تابعي.

قلت فكان سيد عمله معرفة الحديث وناقلة الآثار فان في عمره يقتبس منه ذلك فأراد الله أن يظهر عند وفاته ما كان عليه في حياته - ١] .

ما أنشد في أبي وأبي زرعة رحمهما الله من الشعر

حدثنا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول **قال بعض الحكماء** هذه الأبيات: ليس في الدين مراء * ليس بالحق خفا وعلى الحق لذي الفهم من النور هدى ليس ذوالعرش بمعبو * د برأي وهوى إن يكن هذا كذا * فإذا ليس يرى ديننا في كل يوم * رأى هذا ثم ذا ليس ذو الآثار في الدين وذو الرأي سوا ليس تباع رسول الله * قصا واقتفتا مثل من يتبع نعما * ن على رأى رأي

(١٩٧ م) ولو أن الدين رأى * فيه أصبحنا سوا ويهود ونصارى * فيه كانوا شركا ولقد قال بنصح * جاء فيما عنه جا عامر الشعبي قولا *كان فيه ما كفى بل على ما كان رأيا * فكفا كم منه ذا إنما الدين اتباع * لا ابتداع وابتدا (٢)

---

(١) من م (٢) د " وهوى " (*)".(٢)

٥٤١-"والكراهة في نفوسهم ويتلو ذلك المكر والرياء أو العصيان والتمرد كما لا يخفى إذا القسوة والعنف في المتسلط يجعلانه مهيبا ولكن مكروها ومطاعا، ولكن مستثقلا والنفوس الأبية لا تذل إلا إلى حين ولا تصبر على الضيم إلا ريثما تجدبا بالدفعة.

فيجب على الوالدين والوالدات خصوصا أن يعاملوا أولادهم في التربية بالرفق وأن يقابلوهم بوجوه باشة إلا حيث لا تقبل البشاشة وأن يكون كلامهم في الإنذار والتوبيخ مقرونا بالتأني والهدو حتى يفهم الولد مؤداه ويقبله عن اقتناع لا عن خوف ورعدة كما يكون إذا أدبته أمه عن غضب وحنق إطفاء لنار غيظها والحزم والهدو والتأني في تربية الطفل وتأديبه تلقى لمربيته

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ٢٨٦/٣

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٦٨/١

هيبة في فؤاده ليس فوقها هيبة فتبقى مقرونة بالطاعة له طول أيامه، ولاسيما لأنها تكون ممزوجة في نفسه بالحب والمودة.
والخلاصة أنه يجب على الأم أن تجعل لها في نفس ولدها طاعة مؤسسة على الحب تدوم إلى طويل لا طاعة مؤسسة على الخوف تدوم إلى قصير وكما يطلب من الوالدة أن تكون حاكمة متسلطة عل عقل ولدها وعواطفه يطلب منها أن تكون بمنزلة الصديق والرفيق له تخصص جانبا من وقتها لملاعبتها بالملاعب المختلفة وتسليه تارة بقص القصص المفيدة عليه وطورا بتعليمه ما ينير ذهنه وحثه على ما يميل إليه من طبعه حتى تتعلق نفسه بها تعلقا شديدا، ويفضل مجالستها واستماع أقوالها على مجالسة كل واحد سواها فيكتسب منها في أثناء ذلك ما تريد أن تلقيه في ذهنه من الأفكار والمبادئ، وينمو على ما تحب أن ينمو عليه وههنا مندوحة واسعة للكلام على الأتعاب التي يجب على الوالدة أن تهبها لأولادها حتى تدفع عنهم الملل والضجر، وما ينشأ عنهما من المساوئ الكثيرة التي تفسد التربية والأخلاق. وههنا محل الكلام على تدبير ما يلزم لتحسين ذوق الولد وتعويده على حسب ما هو جميل واعتبار ما هو نافع ومفيد وتربيته على مراقبة الأمور، وملاحظة ما حواليه من الكائنات وعجائب طبائعها، وغرائب أفعالها. وههنا محل الكلام أيضا على ترويضه وتقوية جسده ولكني لا أتعرض لشيء من ذلك كله لئلا يضيق المقام واعتمادا على ما هو شائع منه في كتبنا وجرائدنا.
وصدق الوالدة مع ولدها في كل مواعيدها أمر لا بد منه في التربية وكذبها عليه يربيه على الكذب لا محالة والدعاء عليه يحط قيمتها في عينه ويفسد آدابه. وتكثير الأوامر عليه والطلبات منه تلقيه في الحيرة والارتباك فيصير يطلب الابتعاد عنها ولا يصدق أن يتيسر له الفرار من وجهها حتى يغافلها ويسرع إلى أصدقائه وملاعبه.
قال بعض الحكماء: الصدق أهم ما يجب إتباعه في تربية الصغار وتهذيبهم، فمن كذب على ولده كذبة علمه الكذب.
وقال أيضا: إن تهذيب الولد يبتدئ بنظرة أمه والتفات أبيه وتبسم أخته أو أخيها أو أخيه.
ومن أغلاط التربية عندنا أنه إذا قامت الأم لتأديب ولدها فكثيرا ما يعارضها الأب ويحمى من التأديب كأن أمه عدو له تقصد الانتقام منه وإذا قام الأب لتأديب ولده عارضته الأم وكل ذلك مما يمنع فوائد التربية عن الولد ويحمله على الظن بأنها صادرة عن الغضب والانتقام لا عن حب الواجب وحسن". (١)

٥٤٢-"ويتعلق بذيل هذا الخبر الآخر: سل الأرض من غرس أشجارك وشق أنهارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا. **وقال بعض الحكماء**: أشهد أن في السموات والأرض آيات ودلالات، وشواهد قائمات، كل تؤدي عنه الحجة، وتشهد له بالربوبية.
وجلس أبو العتاهية بحانوت وراق فأخذ كتابا وكتب على ظهره:
أيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده جاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد فلما انصرف اجتاز بالموضع أبو نواس فقال: لمن هذه - لودتها لي بجميع شعري، قيل له: لأبي العتاهية: فكتب تحتها:

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص/٥٠٧

سبحان من خلق الخل ... ق من ضعيف مهين

فصاغه في قرار ... إلى قرار مكين

يجول شيئا فشيئا ... في الحجب دون العيون

حتى بدت حركات ... مخلوقة من سكون وإلى هذا المعنى ذهب أبو الطيب بقوله:". (١)

٥٤٣-"ابن اسماعيل قال: حدثنا أحمد بن مروان قال: حدثنا ابراهيم بن دازيل «١» قال:

حدثنا الربيع بن نافع قال: **قال بعض الحكماء**: من أخطأته سهام المنايا قيدته الليالي والسنون «٢» (٤٦- و) .

أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن عمر بن باز- في كتابه الينا- قال: أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال: أخبرنا أبو الغنائم محمد بن علي النرسي قال: أخبرنا أبو أحمد الغندجاني قال: أخبرنا أحمد بن عبدان قال: أخبرنا محمد بن سهل قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل قال: ربيع بن نافع أبو توبة سكن طرسوس، حلبي الاصل، سمع معاوية بن سلام، وعطاء بن مسلم «٣» (٤٧- ظ) .

أنبأنا أبو العباس أحمد بن عبد الله بن علوان عن مسعود بن الحسن بن القاسم الثقفي قال: أخبرنا أبو عمرو عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن مندة- اذنا ان لم يكن سماعا- قال: أخبرنا حمد بن عبد الله قال: أخبرنا أبو محمد بن أبي حاتم قال: ربيع بن نافع أبو توبة، روى عن معاوية بن سلام، ومحمد بن المهاجر، وعطاء بن مسلم، روى عنه أبي سمعت أبي يقول ذلك.

قال أبو محمد: أخبرنا علي بن أبي طاهر- في كتابه إلي- قال: حدثنا الأثرم قال: سمعت أبا عبد الله، وذكر أبا توبة فأثنى عليه، وقال: لا أعلم إلا خيرا.

سئل أبي عنه فقال: ثقة صدوق حجة «٤» (٤٧- ظ) .

ذكر أبو حاتم محمد بن حبان البستي في الطبقة الرابعة من تاريخ الثقات قال:

الربيع بن نافع، أبو توبة الحلبي، سكن طرسوس، يروي عن معاوية بن سلام، وعطاء بن مسلم الحلبي، روى عنه ابراهيم بن سعيد الجوهري، مات بعد سنة ثلاث وعشرين ومائتين «٥» .". (٢)

٥٤٤-"٦٤٦٧- علي بن محمد بن عبد الله بن سعيد أبو الحسن العسكري قدم بغداد، وحدث بها عن إسماعيل بن محمد الصفار، ومحمد بن عمرو الرزاز، ويزيد بن إسماعيل الخلال، ومحمد بن أحمد الأثرم، وعلي بن إسحاق المادرائي، وعبد الله بن جعفر بن درستويه، وأبي عمرو ابن السماك، وأحمد بن كامل، وغيرهم.

حدثنا عنه العتيقي.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٦٠/٣

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ٣٦٠٥/٨

أخبرنا العتيقي، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن سعيد العسكري قدم علينا، قال: حدثنا أحمد بن زكريا بن يحيى الساجي، ومحمد بن أحمد بن حمدان القشيري، وعلي بن محمد بن جعفر مولى بني هاشم، قالوا: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا ابن عائشة، قال: **قال بعض الحكماء**: من أخذ من العلوم نتفها، ومن الحكم طرفها، فقد أحرز عيونها، وحاز مكنونها". (١)

٥٤٥-"٢٣- محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله أبو العباس السراج مولى ثقيف وهو أخو إبراهيم وإسماعيل ابني إسحاق من أهل نيسابور.

سمع قتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، والحسن بن عيسى الماسرجسي، وعمرو بن زرارة، ومحمد بن أبان البلخي، ومحمد بن عمرو زنيجا، ومحمد بن بكار بن الريان، ومحمد بن حميد الرازي، وهناد بن السري، ومحمد بن أبي عمر العدني، وخلقا كثيرا من أهل خراسان، وبغداد، والكوفة، والبصرة، والحجاز.

روى عنه: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبو حاتم الرازي.

وورد السراج بغداد قديما وحديثا، وأقام بها دهرا طويلا، ثم رجع إلى نيسابور فاستقر بها إلى حين وفاته.

وكان قد حدث ببغداد شيئا يسيرا، فسمع منه بها وروى عنه من أهلها: أبو بكر بن أبي الدنيا، ومحمد بن مخلد العطار، ومحمد بن العباس بن نجيح، وأبو عمرو ابن السماك.

وحديثه عند الخراسانيين منتشر، وكان من المكثرين الثقات الصادقين الأثبات، عني بالحديث، وصنف كتبا كثيرة وهي معروفة مشهورة.

(١٥٣) أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عمر بن برهان الغزال، قال: حدثنا عثمان....

بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا محمد بن إسحاق السراج، قال: حدثنا عمرو بن زرارة النيسابوري ويعقوب بن ماهان، قالا: حدثنا القاسم بن مالك المزني، عن عاصم الأحول، عن ابن سيرين، عن ابن عباس، قال: قال لي عمر: ما حبسك عن الصلاة؟ قلت: لما أن سمعت الأذان توضأت، ثم أقبلت.

قال عمر: الوضوء أيضا ما بهذا أمرنا.

قال: فما تركت الغسل يوم الجمعة بعد أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن جعفر الأصبهاني بالري، قال: أخبرنا إسحاق بن أحمد القايني، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق السراج، قال: حدثنا أبو همام السكوني، قال: حدثنا مبشر، يعني: ابن إسماعيل، قال: حدثنا عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه، عن جده، قال: أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن خمسين سنة، ومات اللجلاج وهو ابن عشرين ومائة سنة.

قال: ما ملأت بطني من طعام منذ أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل حسبي واشرب حسبي.

قال السراج: كتب عني هذا الحديث محمد بن إسماعيل البخاري.

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار ٥٧٤/١٣

(١٥٤) -[٢: ٥٨] أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل الماليني، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن أبي عمران موسى النجار، قال: حدثنا علي بن الحسن بن خالد المروزي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: حدثنا محمد بن إسحاق السراج، قال: حدثنا أخي إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا محمد بن أبان، قال: حدثنا جرير بن حازم، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أتى الجمعة فليغتسل " قال لنا أبو سعد: سمع مني أحمد بن منصور الحافظ هذا الحديث واستغربه، وقال: للبخاري عن السراج أحاديث ولكن هذا غريب.

أخبرنا علي بن أحمد بن محمد الرزاز، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، قال: سمعت أحمد بن سعيد الدارمي، يقول: عادني محمد بن كثير الصنعاني، فقال: لي أقالك الله عثرتك، ورفع جثتك وفرغك لعبادة ربك.

قال أبو العباس السراج: كتب عني هذه الحكاية أبو حاتم الرازي.

وأخبرنا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: حدثنا العباس بن أحمد الأردستاني، قال: حدثنا أبو حاتم الرازي، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي، فذكر مثله سواء غير أنه قال: ورفع جنبك.

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان البرذعي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، قال: حدثني محمد بن إسحاق الثقفي، قال: **قال بعض الحكماء**: المؤمن الكيس شديد الحذر على نفسه، يخاف على عقله الآفات، من الغضب، والهوى والشهوة، والحرص، والكبر، والغفلة، وذلك أن العقل إذا كان هو القاهر الغالب ملك هذه الأخلاق الردية، وإذا غلب على العقل واحدة من هذه الأخلاق أورثته المهالك، وأحلت به النقمة وعدم من الله حسن المعرفة.

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن نعيم النيسابوري، قال: سمعت أبا بكر محمد بن جعفر المزكي، يقول: سمعت أبا العباس السراج، يقول: نظر محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب التاريخ تصنيفي، وكتب منه بخطه أطباقا وقرأها عليه.

وقال أبو نعيم: سمعت أبا حامد أحمد بن محمد المقرى الواعظ، يقول: سمعت أبا تراب محمد بن سهل الحافظ، يقول: كتبنا عن أبي العباس السراج في مجلس محمد بن يحيى، ثم خرجت أنا إلى العراق ومصر وانصرفت بعد سنين كثيرة إلى بغداد، وأبو العباس السراج بها يكتب عن يحيى بن أبي طالب، وأبي قلابة وطبقتهما، فقلت له يا أبا العباس، كتبنا عنك في مجلس محمد بن يحيى وأنت إلى الآن تكتب؟ فقال: يا هذا أما علمت أن صاحب الحديث لا يصبر؟ حدثت عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي، قال: سمعت أبا عبد الله العبدوي، يقول: سمعت أبا العباس السراج، يقول: في سنة ثلاث وثلاث مائة كتبوا عني في مجلس محمد بن يحيى منذ نيف وستين سنة.

أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي بن أحمد الواسطي، قال: أخبرنا محمد بن جعفر التميمي الكوفي، قال: سمعت أبا

حامد أحمد بن محمد الفقيه، يقول: سمعت أبا العباس السراج يوما يقول لبعض من حضر وأشار إلى كتب منضدة عنده، فقال: هذه سبعون ألف مسألة لمالك، ما نفضت التراب عنها منذ كتبتها.

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن نعيم، قال: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه، يقول: دخل أبو العباس السراج على أبي عمرو الخفاف، فقال له: يا أبا العباس من أين جمعت هذا المال؟ فقال: يا أبا عمرو بغيبة عن نيسابور مائة وعشرين سنة.

قال: وكيف ذاك؟ قال: غاب أخي إبراهيم أربعين سنة، وغاب أخي إسماعيل أربعين سنة، وغبت أنا مقيما ببغداد أربعين سنة، أكلنا الجشب، ولبسنا الخشن، حتى جمعنا هذا المال، ولكن أنت يا أبا عمرو، من أين جمعت هذا المال؟

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

فسبحان الذي أعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير

إنما أخذ أبو العباس هذا الشعر من حكاية ذكرها الأصمعي عن بعض الأعراب.

وأخبرناها الحسن بن أبي بكر، قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان، قال: حدثنا محمد بن يونس، قال: حدثنا الأصمعي، قال: كان أعرابيان متواخيين بالبادية، غير أن أحدهما استوطن الريف، واختلف إلى باب الحجاج بن يوسف، واستعمله على أصبهان فسمع أخوه الذي بالبادية فضرب إليه، فأقام ببابه حينا لا يصل إليه، ثم أذن له بالدخول، فأخذه الحاجب فمشى به وهو يقول: سلم على الأمير.

فلم يلتفت إلى قوله ثم أنشأ يقول:

فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الأمير

قال زيد لا أبالي، فقال الأعرابي:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال: نعم، فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير

أخبرنا أبو زرعة روح بن محمد بن أحمد الرازي إجازة، شافهني بها بالكرج، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن بشر، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: محمد بن إسحاق السراج النيسابوري صدوق ثقة.

أخبرني أبو طالب مكي بن علي بن عبد الرزاق الحريري، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي، قال: كان أبو العباس محمد بن إسحاق السراج مجاب الدعوة.

سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي، يقول: سمعت أبا العباس بن حمدان، يقول: سمعت محمد بن إسحاق السراج، يقول: رأيت في المنام كأني أرقى في سلم طويل، فصعدت تسعا وتسعين مرقاة، وكل من قصصت عليه ذلك المنام يقول لي: تعيش تسعا وتسعين سنة.

قال ابن حمدان: فكان كذلك عمر السراج تسعا وتسعين سنة ثم مات.

قرأت في كتاب أبي الحسن الدارقطني بخطه، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال: قال أبو العباس السراج: ولدت في سنة

ثمان عشرة ومائتين.

قرأت على قبر السراج بنيسابور في لوح عند رأسه مكتوبا: هذا قبر أبي العباس محمد بن إسحاق السراج، مات في سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة.". (١)

٥٤٦-"الله صلى الله عليه وسلم، آكل حسبي واشرب حسبي. قال السراج: كتب عني هذا الحديث محمد ابن إسماعيل البخاري.

أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل الماليني قال أنبأنا أبو الحسن أحمد بن أبي عمران موسى النجار قال نبأنا علي بن الحسن بن خالد المروزي قال نبأنا محمد بن إسماعيل البخاري قال نبأنا محمد بن إسحاق السراج قال نبأنا إبراهيم بن إسحاق قال نبأنا محمد بن أبان قال نبأنا جرير بن حازم عن نافع عن ابن عمر. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتى الجمعة فليغتسل» [١] .

قال الشيخ أبو بكر: قال لنا أبو سعد: سمع مني أحمد بن منصور الحافظ هذا الحديث واستغربه.

وقال: للبخاري عن السراج أحاديث ولكن هذا غريب.

أخبرنا علي بن أحمد بن إسحاق السراج قال سمعت أحمد بن سعيد الدارمي يقول عادني محمد بن كثير الصنعاني فقال لي: أقالك الله عثرتك. ورفع جثتك، وفرغك لعبادة ربك. قال أبو العباس السراج: كتب عني هذه الحكاية أبو حاتم الرازي.

فأخبرنا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري قال أنبأنا أحمد بن عبد الله الأصبهاني قال نبأنا العباس بن أحمد الأردستاني قال نبأنا أبو حاتم الرازي قال نبأنا أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي. فذكر مثله سواء غير أنه قال: ورفع جنبك.

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل قال أنبأنا الحسين بن صفوان البرذعي قال نبأنا عبد الله محمد بن أبي الدنيا قال حدثني محمد بن إسحاق الثقفي قال **قال بعض الحكماء**: المؤمن الكيس شديد الحذر على نفسه، يخاف على عقله الآفات من الغضب والهوى والشهرة والحرص والكبر والغفلة؛ وذلك أن العقل إذا كان هو القاهر الغالب ملك هذه الأخلاق الردية، وإذا غلب على العقل واحدة من هذه الأخلاق أورثته المهالك، وأحلت به النقمة وعدم من الله حسن المعرفة.

---

[١] انظر الحديث في: سنن الترمذي ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٥. وسنن ابن ماجة ١٠٨٨. ومسند أحمد ٢/٤١، ٤٢، ٥٣، ٧٥، ١٠١، ١١٥، ١٤١، ١٤٥. وصحيح ابن حبان ٥٦٤. وصحيح ابن خزيمة ١٧٠٢.". (٢)

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار ٢/٥٦

(٢) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية ١/٢٦٥

٥٤٧-"٦٥١٣- علي بن محمد بن القاسم، أبو الحسن الوراق يعرف بابن تنج:

حدث عن أبي العباس بن عقدة. حدثني عنه أحمد بن علي التوزي.

أخبرني ابن التوزي، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن القاسم المعروف بابن تنج الوراق، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، حدثنا عبد الرحمن بن شريك، حدثني أبي، حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي وائل عن أبي موسى أنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفكاك العاني، وإطعام المسكين، وعيادة المريض.

قال: قلت: ما العاني؟ قال: أسير المسلمين يفادى. قال لي ابن التوزي: كان ابن تنج وراقا بباب الطاق يبيع الكتب، ولم يكن عنده إلا شيء يسير عن ابن عقدة.

ومات يوم الثلاثاء الحادي عشر من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

٦٥١٤- علي بن محمد بن عبد الله بن سعيد، أبو الحسن العسكري:

قدم بغداد وحدث بها عن إسماعيل بن محمد الصفار، ومحمد بن عمرو الرزاز، ويزيد بن إسماعيل الخلال، ومحمد بن أحمد الأثرم، وعلي بن إسحاق المادراني، وعبد الله بن جعفر بن درستويه، وأبي عمرو بن السماك، وأحمد بن كامل، وغيرهم. حدثنا عنه العتيقي.

أخبرنا العتيقي، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن سعيد العسكري- قدم علينا- حدثنا أحمد بن زكريا بن يحيى الساجي ومحمد بن أحمد بن حمدان القشيري وعلي بن محمد بن جعفر مولى بني هاشم. قالوا: حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا ابن عائشة قال: **قال بعض الحكماء**: من أخذ من العلوم نتفها، ومن الحكم طرفها، فقد أحرز عيونها، وحاز مكنونها.

٦٥١٥- علي بن محمد بن الفضل بن ميمون، أبو القاسم المعدل:

حدث عن أبيه، وأبوه يروى عن أحمد بن أبي خيثمة، وعبد الله بن روح المدايني، وغيرهما.

حدثني عنه ابن التوزي وسألته عنه فقال لا بأس به. وقال: كتبت عنه شيئا يسيرا، وكان ينزل بسوق العطش.

قرأت بخط القاضي أبي العلاء الواسطي: مات ابن ميمون الشاهد في شعبان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.". (١)

٥٤٨-"علي بن مهدي الكسروي [١] ، حدثني أبي، عن سلمة بن هرمزذان قال سمعت [٢] ابن المقفع كاتب الحكماء يقول: ليس للعاقل أن يجيب عما يسئل عنه غيره.

وبالإسناد قال: وأنبأنا علي بن مهدي الكسروي [٣] ، حدثني أبي قال: كانت الروم تقول: نحن لا نملك من يحتاج أن نشاوره، قالت الفرس: نحن لا نملك من يستغني عن المشورة.

قال قال علي بن مهدي: مر طبيب بأبي الواسع [٤] المازني، فشكى إليه ريحا في بطنه فقال له خذ الصعتر [٥] ، فقال: يا غلام دواة وقرطاس، قال: قلت ماذا؟

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية ٩٣/١٢

أصلحك الله؛ قال: كف صعتر ومكوك شعير، قال: لم تذكر الشعير أولا؟ قال: ولا علمت أنك حمار أيضا إلى الساعة.

أنبأنا ذاكر بن كامل الحذاء، عن ثعلب بن جعفر السراج: أن أبا محمد بالجوهري أخبره، عن المعافى بن زكريا النهرواني، حدثنا أبو علي الكوكبي، حدثنا أبو الحسن علي بن مهدي الكسروي [٦] ، عن أبيه قال: قال حكيم الفرس لابنه: يا بني! إذا طلبك صاحب أشقر فعليك بالجرن، فإن الأشقر دقيق الحافر، وإن طلبك صاحب أدهم فعليك بالوحل فإن الأدهم رديء القوائم، وإن طلبك صاحب كميت فعليك بالجدد، وحقيق ألا ينجو.

قال: وحدثني علي بن مهدي، عن أبيه قال: كانوا يقولون: اعتفر من الدابة كل شيء إلا البلادة والغلظ، فإن راكبهما مركوب.

قال: حدثني علي بن مهدي، عن أبيه قال: قال بعض الحكماء لرابض له: ما تقول في هذا البرذون؟ قال: من أفره الدواب إلا أنه يجذب لجامه، فقال: لا خير فيه إنما أركب لأودع بدني وما أبالي أيدي أعيت أم رجلي.

قرأت على أبي الكرم العباسي، عن أبي بكر الحنبلي، أنبأنا أبو منصور النديم إذنا، عن أبي عبيد الله المرزباني قال: حدثني يحي بن الحسين، عن علي بن مهدي

---

[١] في الأصل: «الكردي» .

[٢] في الأصل: «قال: قال ابن المقفع» .

[٣] في الأصل: «الكرولي» .

[٤] في الأصل: «من طبيب يأتي» .

[٥] في الأصل: «الصغير» في الموضعين.

[٦] في الأصل: «الكرولي» ." (١)

٥٤٩-"ابن مطرف حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا أبو يعلى المنقري حدثنا الأصمعي حدثنا روح بن قبيصة عن أبيه قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اتق الجواب وزلة اللسان فإني رأيت الرجل تزل قدمه فيقوم من عثرته سويا ويزل لسانه فيوبقه فيكون هلاكه فيه وأنشدني: لسانك لا يلقيك في الغي غيره * فإنك مأخوذ بما أنت لافظ ولا يملك الإنسان رجعا لما مضى * ولو جهدت فيه النفوس اللوافظ ولن يهلك الإنسان إلا لسانه * فهل أنت مما ليس يعنيك حافظ ٥٨٥١ - لقيط بن عبد القيس بن بجرة الفزاري (١) حليف بني ظفر أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) وشهد اليرموك وكان أميرا على بعض الكراديس أخبرناه أبو القاسم إسماعيل بن أحمد أنبأنا أبو الحسين بن النقور أنبأنا أبو طاهر المخلص أنبأنا أحمد بن عبد الله بن سعيد حدثنا السري بن يحيي حدثنا شعيب بن إبراهيم حدثنا سيف بن عمر قال (٢) وكان لقيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبني ظفر من فزارة على كردوس يعني باليرموك " ذكر من اسمه (٣) لقيم " ٥٨٥٢ -

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية ١٤٦/١٩

لقيم سأل سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد له ذكر في حديث رواه خصيف الجزري (٤) أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأنا أحمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني أنبانا أبو علي بن شاذان أنبانا دعلج بن أحمد أنبأنا محمد بن علي بن زيد الصايغ حدثنا سعيد بن

---

(١) الإصابة ٣ / ٣٣٠ وتاريخ الطبري ٣ / ٣٩٧

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٣٩٧

(٣) زيادة ما للإيضاح

(٤) هو خصيف بن عبد الرحمن أبو عون الحراني الجزري ترجمته في تهذيب الكمال ٥ / ٤٦٢". [١]

٥٥٠-"تابعه ابن وهب، ورواه حبيب بن صالح، وأبو سلمة سليمان الحمصيان، عن يحيى بن جابر، حسنه الترمذي، أخرجه هو والنسائي، ويقع لي عاليا بإجازتين

علي بن أحمد بن الفهم بن ناصر بن سالم الأنصاري الدمشقي الأجل المعمر علاء الدين أبو الحسن ابن البقال كان له ملك يقوم به ولد في حدود سنة أربع وعشرين وست مائة.

وسمع من إبراهيم بن الخشوعي، وعتيق السلماني، والسخاوي، وسافر تاجرا إلى بغداد فأخذتها التتار فذهب ماله ونجا هو، وكان لأبيه حانوت بقيسارية الشرب، وكان شيخنا يشهد على القضاة ثم أسقطه ابن الحريري، ثم عجز، ولزم المنزل، وضعف وبقي كالفرخ.

مات في شوال سنة اثنتي عشرة وسبع مائة.

أخبرنا علي بن أحمد، أنا عتيق السلماني، أنا أبو القاسم الحافظ.

ح قال: وأخبرنا إبراهيم بن الخشوعي، أنا أبو المعالي بن صابر.

وأخبرنا أبو القاسم، وأنبأنا أخوه الصائن هبة الله، قال: أنا أبو القاسم النسيب، أنا رشا بن نظيف، أنا الحسن بن إسماعيل الضراب.

ح قال: وأخبرنا السخاوي، وابن الحاجب، قالا: أنا الأرتاحي، أنبأنا علي بن الحسين الفراء، أنا عبد العزيز بن الحسن الضراب، أنا أبي، ثنا أحمد بن مروان الدينوري، ثنا أحمد بن محمد النيسابوري، نا الحسين بن عيسى، سمعت ابن المبارك يقول: **قال بعض الحكماء**: من كان منطقه في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها.". [٢]

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩٨/٥٠

(٢) معجم الشيوخ الكبير للذهبي ١٨/٢

٥٥١-"قاله القضاعي في " الخطط "، رحمه الله تعالى.

والأزدي: قد تقدم الكلام فيه.

والجيزي (١) - بكسير الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي - هذه النسبة إلى الجيزة، وهي بليدة في قبالة مصر يفصل بينهما عرض الغيل، والأهرام في عملها وبالقرب منها، وهي من عجائب الأبنية **قال بعض الحكماء**: ما على وجه الأرض بنية إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار، إلا الهرمين فأنا أرثي لليل والنهار منهما.

ولأبي الطيب المتنبي فيهما:

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم في حياتهم، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور. ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر ينقب الهرمين، فنقب أحدهما بعد جهد شديد وعناء طويل، فوجدوا داخله مراقي ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها، ووجدوا في أعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فيه رمة بالية، وقد أتت عليها العصور، فكف عن نقب ما سواه، وكانت النفقة على نقبه عظيمة، والمؤونة شديدة.

ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهي الذي يسميه العبرانيون خنوخ - وهو إدريس عليه السلام - استدل من أحوال الكواكب على الطوفان، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها ما يشفق عليه من الذهاب؛ وقيل بانيها سورند لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان؛ ويقال: إنه بناها في مدة ستة أشهر، وغشاها بالديباج الملون،

---

(١) من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في م.". (١)

٥٥٢-"وعظتك أجداث صمت ... ونعتك ساكتة خفت

وتكلمت عن أعظم ... تبلى، وعن صور سبت

وأرتك قبرك في القبور ... ر، وأنت حي لم تمت

والدهر كم من غيرة ... لك في نوائبه الثبت

غير مقلعة لأو ... تاد وأطناب ثبت

لا تغفلن، فأنه ... من تمض ساعته تفت

ولربما انتقل الشما ... ت، فحل بالقوم الشمت

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٢٩٣

وهذه أبيات ما وجد لمحدث مثلها.

وله ايضا:

لكم من رجاء، ومن شدة ... إلى غاية، وإلى مدة

وكم عقد الدهر من عقدة ... فرقت، وكم حل من عقدة

على سرعة الشمس في سيرها ... دبيب الخلوقة في الجدة

وأنشدهم أيضا:

يا عجبي للبلى وجدته ... يدب في الخلق ساكنا حركا

ثم انصرفوا، ولم يستنشد مسلما، ولا أبا نواس شيئا، فعادوا إليه بعد أيام، فاستنشد مسلما، فأنشده قصيدته التي منها:

أجررت حبل خليع في الصبا، غزل

حتى إذا بلغ إلى قوله:

ينال بالرفق ما تعيا الرجال له ... كالموت مستعجلا يأتي على مهل

قال له أبو عمرو: أحسنت يا أبا الوليد، إلا أنك أخذت قول أبي إسحاق، حيث يقول:

وحكت لك الساعات سا ... عات أتيات بغت

ثم استنشد أبا نواس، فأنشده:

يا شقيق النفس من حكم

حتى بلغ إلى قوله:

فتمشت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم

قال له أبو عمرو: احسنت يا ابا علي، غلا أنك أخذت معنى قول أبي إسحاق:

على سرعة الشمس في مرها ... دبيب الخلوقة في الجدة

ولأبي عتاهية:

كل على الدنيا له حرص ... والحادثات أناتها غفص

وكأن من واروه في جدث ... لم يبد منه لناظر شخص

ليد المنية في تلمسها ... عن ذخر كل شقيقة فحص

نبغي من الدنيا زيادتها ... وزيادة الدنيا هي النقص

وأخذ هذا المعنى مؤلف هذا الكتاب فقال:

زيادة عمر المرء نقص حياته ... فكيف غدت تلك الزيادة نقصانا

وللمتنبي:

لا يكثر الأموات كثرة قلة ... إلا إذا شقيت بك الأحياء

وأما قول أبي عتاهية:

لم يبد منه لناظر شخص

فمأخوذ من قول الأول:

وكأن أقواما مضوا لم يخلقوا

وأما قوله:

ليد المنية في تلمسها ... عن ذخر كل شقيقة فحص

وقوله:

نبغي من الدنيا زيادتها ... وزيادة الدنيا هي النقص

فقد تردد هذا في كثير من شعره. فمن ذلك:

إذا ازددت من عمري قربت من البلى ... وألفيت نقصي بينا في زيادتي

وقوله:

وكل زيادة فليوم نقص ... وكل جماعة فليوم بين

وقوله:

وأسرع في نقضه امرئ تمامه ... يا لك أمرا نقصه إبرامه

وقوله:

وأسرع ما يكون المرء نقصا ... وأقرب ما يكون من الزيادة

ومعانيه قريبة بعضها من بعض. وللنمر بن تولب مما يلم بهذا المعنى قوله:

يحب الفتى طول السلامة جاهدا ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

ويروى عن النبي، صلى الله عليه وسلم: "كفى بالسلامة داء ".

وقال حميد بن ثور:

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وهذا من كلام الحكماء. **قال بعض الحكماء**، وقد سئل كيف أنت، فقال: كيف حال من يفنى ببقائه، ويسقم بصحته، ويؤتى من مأمنه. وقال بعض الشعراء:

وما ازداد شيء قط إلا لنقصه ... وما اجتمع الالفان إلا تفرقا

وقال آخر:

كانت قناتي لا تلين لغامز ... فألانها الاصباح والإمساء

ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ... ليصحني، فإذا السلامة داء

وقال آخر:

يحب الفتى طول البقاء، وإنه ... على ثقة أن البقاء فناء

زيادته في الجسم نقص حياته ... ليس عى طول البقاء بقاء

ولأبي عتاهية في الشيب ما قد أكثر فيه، فمن ذلك:

إنما الشيب لابن آدم نا ع ... قام في عارضيه، ثم نعاه

وهذا المعنى قس اتسع فيه الشعر، وقالته الخطباء والوعاظ. وقد قال عدي بن زيد:". (١)

٥٥٣-"عباس: خافه عند ما هم بالمعصية فانتهى عنها. ونهى النفس عن الهوى: أي عن شهوات النفس، وأكثر استعمال الهوى فيما ليس بمحمود. قال سهل: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين. **وقال بعض الحكماء**: إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه. وقال عمران الميرتلي:

فخالف هواها واعصها إن من يطع ... هوى نفسه تنزع به كل منزع

ومن يطع النفس اللجوجة ترده ... وترم به في مصرع أي مصرع

وقال الفضيل: أفضل الأعمال خلاف الهوى، وهذا التفضيل هو عام في أهل الجنة وأهل النار. وعن ابن عباس: نزل ذلك في أبي جهل ومصعب بن عمير العبدري، رضي الله تعالى عنه.

وعنه أيضا: فأما من طغى، فهو أخ لمصعب بن عمير، أسر فلم يشدوا وثاقه، وأكرموه وبيتوه عندهم فلما أصبحوا حدثوا مصعبا، فقال: ما هو لي بأخ، شدوا أسيركم، فإن أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا فأوثقوه. وأما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير، وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه، وهي السهام. فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال: «عند الله أحتسبك» ، وقال لأصحابه: «لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما، وإن شراك نعله من ذهب» . قيل: واسم أخيه عامر.

وفي الكشاف،

وقيل: الآيتان نزلتا في أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير، وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد، ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه.

انتهى.

يسئلونك: أي قريش، وكانوا يلحون في البحث عن وقت الساعة، إذ كان يتوعدهم بها ويكثر من ذلك، فنزلت هذه الآية. أيان مرساها: متى إقامتها؟ أي متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها؟ وقيل: أيان منتهاها ومستقرها؟ كما أن مرسى السفينة ومستقرها حيث تنتهي إليه. فيم أنت من ذكراها،

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيرا، فلما نزلت هذه الآية. انتهى. والمعنى: في أي شيء أنت من ذكر تحديدها ووقتها؟ أي لست من ذلك في شيء، إنما أنت منذر.

إلى ربك منتهاها: أي انتهاء علم وقتها، لم يؤت علم ذلك أحدا من خلقه. وقيل:

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء ص/٢٤

فيم إنكار لسؤالهم، أي فيم هذا السؤال؟ ثم قال: أنت من ذكراها، وعلامة من علاماتها، فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها، ولا معنى لسؤالهم عنها.". (١)

٥٥٤-"والظاهر أنه أفعل التفضيل، والمفضل عليه محذوف لدلالة المعنى عليه وهو الإبداء، والتقدير: فهو خير لكم من إبدائها.

وظاهر الآية: أن إخفاء الصدقات على الإطلاق أفضل، سواء كانت فرضا أو نفلا، وإنما كان ذلك أفضل لبعد المتصدق فيها عن الرياء والمن والأذى، ولو لم يعلم الفقير بنفسه، وأخفى عنه الصدقة أن يعرف، كان أحسن وأجمل بخلوص النية في ذلك.

قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره.

وقال العباس بن عبد المطلب: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله، وتصغيره في نفسك، وستره. فإذا عجلته هنيته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته. وقال سهل بن هارون:

يخفي صنائعه والله يظهرها ... إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

وفي الإبداء والإخفاء طباق لفظي، وفي قوله: وتؤتوها الفقراء طباق معنوي، لأنه لا يؤتي الصدقات إلا الأغنياء، فكأنه قيل: إن يبد الصدقات الأغنياء. وفي هذه الآية دلالة على أن الصدقة حق للفقير، وفيها دلالة على أنه يجوز لرب المال أن يفرق الصدق بنفسه.

ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ بالواو الجمهور في: ويكفر، وبإسقاطها وبالياء والتاء والنون، وبكسر الفاء وفتحها، وبرفع الراء وجزمها ونصبها، فإسقاط الواو رواه أبو حاتم عن الأعمش، ونقل عنه أنه قرأ بالياء وجزم الراء، ووجهه أنه بدل على الموضع من قوله: فهو خير لكم لأنه في موضع جزم، وكأن المعنى: يكن لكم الإخفاء خيرا من الإبداء، أو على إضمار حرف العطف: أي ويكفر.

وقرأ ابن عامر بالياء ورفع الراء. وقرأ الحسن بالياء وجزم الراء، وروي عن الأعمش بالياء ونصب الراء. وقرأ ابن عباس بالتاء وجزم الراء، وكذلك قرأ عكرمة إلا أنه فتح الفاء وبنى الفعل للمفعول الذي لم يسم فاعله. وقرأ ابن هرمز، فيما حكى عنه المهدوي بالتاء ورفع الراء، وحكي عن عكرمة، وشهر بن حوشب: بالتاء ونصب الراء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر: بالنون ورفع الراء. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: بالنون والجزم، وروي الخفض عن الأعمش بالنون ونصب الراء فيمن قرأ بالياء.

فالأظهر أن الفعل مسند إلى الله تعالى، كقراءة من قرأ: ونكفر، بالنون فإنه ضمير لله". (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٤٠٢/١٠

(٢) البحر المحيط في التفسير ٦٩١/٢

٥٥٥-"شهواتكم وحظوظكم، (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) . قال تعالى: وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن.... وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

[سورة البقرة (٢) : آية ٥٠]

وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون (٥٠)

ثم ذكرهم الحق تعالى نعمة أخرى وهي فلق البحر وإغراق العدو، فقال:

يقول الحق جل جلاله: واذكروا أيضا حين فرقنا بسببكم البحر، حين فررتم من عدوكم، فسلكتم فيه اثني عشر مسلكا يابسا، حتى خلصتم إلى الشام، فلما أدرككم عدوكم، واستتم دخوله فيه، أطبقنا عليهم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تعاينون غرقهم وهلاكهم، فاشكروا هذه النعم التي أنعمت بها على أسلافكم، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم على نبي أمي، لم يكن له علم بهذا، حتى علمه بالوحي من ربكم.

الإشارة: **قال بعض الحكماء**: (الهوى بحر لا ساحل له إلا الموت) . فلا يقطع بحر الحظوظ والعوائد، إلا الخواص، الذين من الله عليهم بسلوك الطريقة، والغرق في بحر الحقيقة، على يد رجال جمعوا بين الشريعة والحقيقة، فيقول الحق- جل جلاله- لمن تخلص من بحر هواه، وأفضى إلى مشاهدة مولاه: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم حيث خلصتكم من بحر الشهوات والعوائد، وأطلعتكم على أسرار العلوم وذخائر الفوائد، وأغرقنا فيه من تكبر وطغى، وأنت تنظرون ما فيه الناس من غم الحجاب وسوء الحساب، في بحر لجي يغشاه موج الذنوب، من فوقه موج الحظوظ، من فوقه سحاب الأثر، إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور. وبالله التوفيق.

ثم ذكرهم نعمة التوراة التي أنزلها على موسى، وفى ضمنه التوبيخ على عبادة العجل، فقال جل جلاله:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٥١ الى ٥٣]

وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٥١) ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون (٥٢) وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون (٥٣)

قلت: (أربعين) : مفعول لواعدنا، لا ظرف، و (العجل) : مفعول أول، والثاني محذوف، أي: اتخذتموه إلها، و (الفرقان) : معطوف على (الكتاب) ." (١)

٥٥٦-"ألا إنما الدنيا كأحلام نائم ... وكل نعيم ليس فيها بدائم

تذكر إذا ما نلت بالأمس لذة ... فأفنيتها هل أنت إلا كحالم

وتتفكرون في (الآخرة) ودوام نعيمها، وسعة فضائها، وبهجة منظرها فترغبون في الوصول إليها، وتتأهبون للقائها، فتؤثرونها

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١/١٠٥

على هذه الدار الفانية. **قال بعض الحكماء**: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من طين يبقى، لكان ينبغي للعاقل أن يختار ما يبقى على ما يفنى، لا سيما والأمر بالعكس، الدنيا من طين يفنى، والآخرة من ذهب يبقى، فلا يختار هذه الدار إلا أحمق خسيس الهمة، وبالله التوفيق.

الإشارة: كما نهى الحق جل جلاله عن السرف فى الأموال، ونهى عن السرف في الأحوال، فالسرف، من حيث هو، يؤدي إلى الملل والانقطاع، «أحب العمل إلى الله ما دام عليه صاحبه، وإن قل» كما في الحديث، والله ما رأينا أحدا أسرف في الأحوال إلا مل، وضعف حاله، وفي الحديث: «لا يكن أحدكم كالمنبت- أي: المنقطع- لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى» .

وقال في المباحث:

فاحتل على النفس فرب حيله ... أنفع في النصرة من قبيله

فلا يزال يسايس نفسه شيئا فشيئا حتى يملكها، ويظفر بها، فإذا ظفر بها كانت له شبكة يصطاد بها العلوم والمعارف، فتتفكر في الدنيا فتراها فانية فترحل عنها، ثم تتفكر في الآخرة فتراها باقية، فإذا رامت السكنى فيها رأتها كونا مخلوقا فرحلت إلى خالقها، فكشف الحق عنها الحجاب، وأدخلها مع الأحباب، فغابت عن الكونين في شهود المكون، فلم يبق لها دنيا ولا آخرة، بل هي الآن في بهجة ونضرة (إلى ربها ناظرة) ، حققنا الله بهذا المقام العلي. آمين.

ثم سألوا أيضا عن مخالطة اليتامى، فأجابهم الحق تعالى بقوله:

ويسئلونك عن اليتامى ...

قلت: العنت: التعب والمشقة، أعنتكم: أتعبكم.

يقول الحق جل جلاله: ويسئلونك عن مخالطة اليتامى أي: خلط مال اليتامى بمال الوصي، أو القائم به، فيأكلون جميعا، قل لهم: يفعلون ما هو إصلاح لليتيم وأحفظ لماله، فإن كان خلط مال اليتيم مع". (١)

٥٥٧-"قلت: قال في القاموس: غرف الماء يغرفه: أخذه بيده، كاغترفه، والغرفة للمرة، وبالكسر: هيئة الغرف وبالضم: اسم للمفعول، كالغرافة، لأنك ما لم تغرفه لا تسميه غرفة، ثم قال: والغرفة، بالضم: العلية «١» .

يقول الحق جل جلاله: ولما اتفقوا على ملك طالوت تجهز للخروج، وقال: لا يخرج معه إلا الشباب النشيط الفارغ ليس وراءه علقة «٢» ، فاجتمع ممن اختار ثمانون ألفا، وقيل: ثلاثون، فلما انفصل عن بلده بالجنود وساروا في البيداء، - وكان وقت الحر والقيظ- عطشوا، وسألوا طالوت أن يجري لهم نهرا، فقال لهم بوحي، أو بإلهام، أو بأمر نبيهم: إن الله مبتليكم أي: مختبركم بنهر بسبب اقتراحكم، فمن شرب منه كرعا بلا واسطة فليس مني أي: من جيشي، ومن لم يطعمه أي: يذقه، فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فإنها تكفيه لنفسه ولفرسه، فالاستثناء من الجملة الأولى.

فشربوا منه أي: كرعوا، وسقطوا على وجوههم، إلا قليلا منهم ثلاثمائة وأربعة عشر، على عدد أهل بدر، وقيل: ألفا. روي أن من اقتصر على الغرفة كفته لشربه ودوابه، ومن لم يقتصر غلب عطشه، واسودت شفته ولم يقدر أن يمضي. وعن ابن

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢٤٩/١

عباس: أن القوم شربوا على قدر يقينهم: فالكفار شربوا شرب الهيم، وشرب العاصي دون ذلك، وانصرف من القوم ستة وسبعون ألفا، وبقي بعض المؤمنين لم يشرب شيئا، وأخذ بعضهم الغرفة، فأما من شرب فاشتد به العطش وسقط، وأما من ترك الماء فحسن حاله، وكان أجلد ممن أخذ الغرفة. هـ.

وحكمة هذا الامتحان: ليتخلص للجهاد المطيعون المخلصون، إذ لا يقع النصر إلا بهم، فلما جاوز النهر طالوت ومن بقي معه ممن لم يشرب قال بعضهم لبعض: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقلة عددنا، قال الذين يظنون أي: يتيقنون أنهم ملاقوا الله ويتوقعون ثواب الشهادة وهم الخلص من أهل البصيرة: لا تفزعوا من كثرة عددهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وإرادته ومعونته، و «كم» للتكثير، والله مع الصابرين بالنصر والمعونة.

الإشارة: **قال بعض الحكماء**: الدنيا كنهر طالوت، لا ينجو منها إلا من لم يشرب أو اغترف غرفة بيده، فمن أخذ منها قدر الضرورة كفته، ونشط لعبادة مولاه، ومن أخذ فوق الحاجة حبس في سجنها، وكان أسيرا في يدها.

---

(١) العلية بضم العين وكسرها- هى الغرفة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها، وجمعها (علالى)

(٢) أي: ما يتعلق به وجمعها علق. وذلك كتجارة، وزوجة لم يدخل بها، وغير ذلك.". [1]

٥٥٨-"الإشارة: **قال بعض الحكماء**: للنفس سر، ظهر على فرعون والنمرود، حتى صرحا بدعوى الربوبية. قلت: وهذا السر هو ثابت للروح في أصل نشأتها لأنها جاءت من عالم العز والكبرياء. انظر قوله تعالى: ونفخت فيه من روحي، وقال أيضا: قل الروح من أمر ربي أي: سر من أسراره، فلما ركبت في هذا القالب الذي هو قالب العبودية- طلبت الرجوع إلى أصلها. فجعل لها الحق جل جلاله بابا تدخل منه فترجع إلى أصلها وهو الذل والخضوع والانكسار والافتقار، فمن دخل من هذا الباب، واتصل بمن يعرفه ربه، رجعت روحه إلى ذلك الأصل، وأدركت ذلك السر، فمنها من تتسع لذلك السر وتطيقه، ومنها من تضيق عن حمله وتبوح به، فتقتلها الشريعة، كالحلاج وأمثاله، ومن طلب الرجوع إلى ذلك الأصل من غير بابه، ورام إدراكه بالعز والتكبر، طرد وأبعد، وهو الذي صدر من النمرود وفرعون وغيرهما ممن ادعى الربوبية جهلا. والله تعالى أعلم.

ثم ذكر الحق تعالى من أدركته العناية، وفي قصته برهان على إحياء الموتى الذي احتج به إبراهيم- عليه السلام- فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٥٩]

أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (٢٥٩)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢٧٧/١

قلت: (أو) : عاطفة، و (كالذي) : معطوف على الموصول المجرور بإلى، أي: ألم تر إلى الذي حآج إبراهيم فى ربه، وإلى مثل الذي مر على قرية. وإنما أدخل حرف التشبيه لأن المنكر للإحياء كثير، والجاهل بكيفيته أكثر، بخلاف مدعي الربوبية فإنه قليل. وقيل: الكاف مزيدة، والتقدير: ألم تر إلى الذي حاج وإلى الذي مر، (أنى) :
ظرف ليحيي، بمعنى: متى، أو حال بمعنى كيف، و (يتسنه) بمعنى يتغير، وأصله: يتسنن، فأبدلت النون الثالثة حرف علة.
قال في الكافية:
وثالث الأمثال أبدلنه يا ... نحو (تظنى خالد تظنيا)". [١]

٥٥٩-"والجار ذي القربى الذي قرب جواره أو نسبه، والجار الجنب الذي بعد مكانه أو نسبه، وحدد بعضهم الجوار بأربعين دارا من كل ناحية. وقال ابن عباس: الجار ذي القربى: الجار الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب: الجار من قوم آخرين. هـ.
قيل يا رسول الله: ما حق الجار على الجار قال: «إن دعاك أجبته، وإن أصابته فاقة عدت عليه، وإن استقرضك أقرضته، وإن أصابه خير هنأته، وإن مرض عدته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن توفي شهدت جنازته، ولا تستعل عليه بالبنيان لتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار قدرك- أي: بخارها- إلا أن تغرف له منها، وإن ابتعت فاكهة فأهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج ولدك منها بشيء فيغيظ ولده» ثم قال: «الجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام، وجار له حقان: حق الجوار، وحق الإسلام، وجار له حق واحد: وهو المشرك من أهل الكتاب» .
والصاحب بالجنب، وهو الرفيق في أمر حسن، كتعلم وتصرف وصناعة وسفر، فإنه صحبك بجنبك، وعن علي- كرم الله وجهه- (أنها الزوجة) ، فيتأكد في حقها الإحسان زيادة على المعاشرة بالمعروف، قال بعضهم: أول قدم في الولاية كف الأذى وحمل الجفا، ومعيار ذلك حسن معاشرة الأهل والولد، وقال- عليه الصلاة السلام-: «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي» . وابن السبيل، وهو الضيف أو المسافر لغرابته، وما ملكت أيمانكم، من الإماء والعبيد، وكان آخر كلام النبي- عليه الصلاة والسلام-: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» .
إن الله لا يحب من كان مختالا أي: متكبرا، يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم، فخورا يتفاخر عليهم بماله وجاهه، وما خوله الله من نعمه، فهو جدير أن تسلب منه.
الإشارة: واعبدوا الله، أي: بالقيام بوظائف العبودية، ومشاهدة عظمة الربوبية، **وقال بعض الحكماء:**
العبودية: ترك الاختيار، وملازمة الذل والافتقار. وقيل: العبودية أربعة أشياء: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود، وعنوان ذلك صفاء التوحيد، ولذلك قال: ولا تشركوا به شيئا أي:
لا تروا معه غيره، كما قال القائل:

---
(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١/٢٩١

مذ عرفت الإله لم أر غيرا ... وكذا الغير عندنا ممنوع

وقال آخر: (لو كلفت أن أرى غيره، لم أستطع، فإنه لا غير معه حتى أشهده) . فإذا حصلت العبودية في الظاهر، وتحقق التوحيد في الباطن، ظهرت عليه مكارم الأخلاق فيحسن إلى الأقارب والأجانب، ويجود عليهم". (١)

٥٦٠-"ثم إن الحسود لا تزول عداواته، ولا تنفع مداواته، وهو ظالم يشتكي كأنه مظلوم. ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء:

وأظلم خلق الله من بات حاسدا ... لمن بات في نعمائه يتقلب

وقال آخر:

أني لأرحم حاسدي لفرط ما ... ضمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله في فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

قال بعض الحكماء: (الحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات: إحداها: اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام. الثانية: سوء الأدب مع الله- تعالى- فإن حقيقة الحسد: كراهية إنعام الله على غيره، واعتراض على الله في فعله. الثالثة: تألم قلبه وكثرة همه وغمه) . عافانا الله من ذلك كله، فالحاسد لا ينفك عن نار الحجاب وغم الحساب، والمتطهر منه يدخل جنة الرضى والتسليم في جوار الحبيب، وهو محل الراحة والأمن في الدارين، وهو الظل الظليل. والله تعالى أعلم.

ولما كان حفظ نظام الدين لا يقوم إلا بالجهاد، ولا ينتظم الجهاد إلا بنصب الإمام، تكلم الحق- جل جلاله- على ما يتعلق بالأمراء، ثم بعد ذلك يتكلم على الجهاد، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ٥٨]

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا (٥٨)

قلت: «ما» في (نعما) تمييز أو فاعل، والمخصوص محذوف، أي نعم شيئا شيء يعظكم به، أو نعم الذي يعظكم به ذلك الأمر، وهو رد الأمانات والعدل في الحكومات.

قال زيد بن أسلم وشهر بن حوشب: نزلت الآية في شأن الأمراء. هـ قلت: وأن نزلت في شأن عثمان بن طلحة- سادن الكعبة فهي عامة. والمخاطب بذلك أولا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأمراء، أمره الحق- تعالى- أن يرد المفاتح إلى عثمان، وذلك أن عثمان أغلق باب الكعبة يوم فتح مكة، وأبى أن يدفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخل".

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٥٠٢/١

(١)

٥٦١-"الإشارة: إذا حصل المريد على أسرار التوحيد، وخاض بحار التفريد، وذاق حلاوة أسرار المعاني، وغاب عن شهود حس الأواني، وحصل له الرسوخ والتمكين في ذلك، أيس منه الشيطان وسائر القواطع، فلا يخشى أحدا إلا الله، ولا يركن إلى شيء سواه، وأمن من الرجوع في الغالب، إلا لأمر غالب، والله غالب على أمره. ولذلك قال بعضهم: (والله ما رجع من رجع إلا من الطريق، وأما من وصل فلا يرجع) .

والوصول هو التمكين فيما ذكرنا، فإذا حصل على كمال المعرفة، ووقف على عرفة المعارف، فقد كمل دينه واستقام أمره، وظهرت أنواره، وتحققت أسراره، وما بقي إلا الترقي في الأسرار أبدا سرمدا، والسير في المقامات كسير الشمس في المنازل، ينتقل فيها من مقام إلى مقام، بحسب ما يبرز من عنصر القدرة، فتارة يبرز معه ما يوجب الخوف، وتارة ما يوجب الرجاء، وتارة ما يوجب الرضا والتسليم، وتارة ما يوجب التوكل، وهكذا يتلون مع كل مقام ويقوم بحقة، ولا يقف مع مقام ولا مع حال، لأنه خليفة الله في أرضه، وقد قال تعالى: كل يوم هو في شأن «١» ، وهذا هو التلوين بعد التمكين. والله تعالى أعلم.

ثم استثنى من تلك المحرمات حالة المضطر، فقال:

... فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم قال البيضاوي: هو متصل بذكر المحرمات، وما بينهما اعتراض مما يوجب التجنب عنها، وهو أن تناولها فسوق، وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي. هـ.

يقول الحق جل جلاله: فمن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة أي: مجاعة، حال كونه غير متجانف أي: مائل للإثم وقاصد له، بأن يأكلها تلذذا أو متجاوزا حد الرخصة، قيل: هو سد الرمق، وقال ابن أبي زيد: يأكل منها ويتزود، فإن استغنى عنها طرحها. هـ. فإن تناولها للضرورة فإن الله غفور له رحيم به حيث أباحها له في تلك الحالة.

الإشارة: **قال بعض الحكماء**: الدنيا كلها كالميتة، لا يحل منها للذاكر إلا قدر الضرورة أكلا وشربا، وملبسا ومركبا، حتى يتحقق له الوصول، فما بقي لأحد حينئذ ما يقول، وعلامة الوصول: هو الاكتفاء بالله دون الاحتياج لشيء سواه، إن افتقر اغتنى في فقره، وإن ذل عز في ذله، وإن فقد وجد في فقده، وهكذا في تقلبات الأحوال لا يتضعضع ولا يتزلزل، ولو سقطت السماء على الأرض. والله تعالى أعلم.

ولما ذكر ما حرم عليهم ذكر ما أحل لهم، فقال:

---

(١) من الآية/ ٢٩ من سورة الرحمن.". (٢)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٥١٧/١

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٨/٢

٥٦٢-"الإشارة: لا عبرة بالأحوال الظلمانية وإن كثرت، وإنما العبرة بالأحوال الصافية ولو قلت، صاحب الأحوال الصافية موصول، وصاحب الأحوال الظلمانية مقطوع، ما لم يتب عنها، **قال بعض الحكماء**: (كما لا يصح دفن الزرع في أرض ردية، لا يجوز الخمول بحال غير مرضية) .

والمراد بالأحوال الصافية: هي التي توافق مراسم الشريعة بحيث لا يكون عليها من الشارع اعتراض، بأن تكون مباحة في أصل الشريعة، ولو أخلت بالمروءة عند العوام، إذ المروءة إنما هي التقوى عند الخواص، والمراد بالأحوال، كل ما يثقل على النفس وتموت به سريعا، كالمشي بالحفا وتعرية الرأس، والأكل في السوق، والسؤال، وغير ذلك من خرق عوائدها، التي هي شرط في حصول خصوصيتها، وفي الحكم: «كيف تخرق لك العوائد؟

وأنت لم تخرق من نفسك العوائد» . وبالله التوفيق ومن جملة الأحوال الرديئة: كثرة الخوض فيما لا يعنى، التي أشار إليه بقوله:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١٠١ الى ١٠٢]

يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم (١٠١) قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١٠٢)

قلت: الجملة الشرطية صفة لأشياء، وأشياء اسم جمع لشيء، أصله عند سيبويه: شيئاء، مثل فعلاء، قلبت إلى لفعاء، أي: قلبت لامه إلى فائه، لثقل اجتماع الهمزتين، وقال أبو حاتم: أشياء وزنها أفعال، وهو جمع شيء، وترك العرف فيه سماع، وقال الكسائي: لم ينصرف أشياء، لشبه آخره بآخر حمراء، انظر ابن عطية. وجملة (عفا الله عنها) : صفة أخرى لأشياء، أي: عن أشياء عفا الله عنها، ولم يكلف بها.

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ليس لكم فيها نفع، إن تبد لكم تسؤكم أي: إن تظهر لكم وتجابوا عنها تسؤكم بالأخبار بما لا يعجبكم وبما يشق عليكم، قيل: سبب نزول الآية:

كثرة سؤال الناس له صلى الله عليه وسلم من الأعراب والمنافقين والجهال، فكان الرجل يقول للنبي- عليه الصلاة السلام- ؟ أين ناقتي؟ وآخر يقول: ماذا ألقى في سفري؟ ونحو هذا من التعنيت، حتى صعد المنبر صلى الله عليه وسلم مغضبا، فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا أخبرتكم به» . فقام رجل فقال: أين أنا؟ فقال: في النار، وقام عبد الله بن حذافة- وكان يطعن في نسبه فقال: من أبي؟ فقال: «أبوك حذافة» ، وقال آخر: من أبي؟ قال: «أبوك سالم مولى شيبة» ، فقام عمر بن الخطاب، فجثا على ركبتيه، فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا نعوذ بالله من الفتن.

فنزلت هذه الآية «١» .

---

(١) أخرج بعضه البخاري فى: (مواقيت الصلاة، باب وقت الظهر عند الزوال) عن أنس، وأخرجه مختصرا فى (التفسير-

سورة المائدة) عن ابن عباس، وانظر فتح الباري (ح ٢٦٢١) والفتح السماوي (٢/ ٥٩٤- ٥٩٥)". [١]

٥٦٣-"وسبب هذا: الركون إلى دار الغرور، ونسيان دار الخلود، ولذلك قال تعالى بإثره: وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو أي: وما أعمالها إلا لعب ولهو، تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية، وما مدة بقائها مع ما يعقبها من الفناء إلا كمدة اللعب واللهو، إذ لا طائل تحته لمن لم يعمر أوقاتها بطاعة ربه، وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص نعيمها وصفاء لذاتها، أفلا تعقلون أي الأمرين خير، هل دار الخراب والفناء، أو دار النعيم والبقاء، وفي قوله: للذين يتقون: تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين كله لعب ولهو.

الإشارة: إذا كمل نور العقل حصل لصاحبه التمييز بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، فنظر بعين اعتباره إلى الدنيا، فوجدها ذاهبة فانية، ونظر إلى الآخرة، فرآها مقبلة باقية دائمة، فصدف عن الدنيا موليا، وأعرض عن زهرتها مدبرا، وأقبل بكليته إلى مولاه، غائبا عن كل ما سواه، فجعل الموت وما بعده نصب عينيه، وخلف الدنيا وراء ظهره أو تحت قدميه. وفي الحكم: «لو أشرق نور اليقين في قلبك، لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل إليها، ولرأيت الدنيا، وكسفة الفناء ظاهرة عليها» **وقال بعض الحكماء**: (لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من طين يبقى، لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى. ولا سيما والأمر بالعكس، الدنيا من طين يفنى والآخرة من ذهب يبقى) . فلا يختار هذه الدار إلا من لا عقل له أصلا. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، لها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادى من لا علم عنده» «١» . أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما لقي من قومه، فقال:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٣٣ الى ٣٥]

قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (٣٣) ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين (٣٤) وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين (٣٥)

قلت: «قد» للتحقيق، وإنه ضمير الشأن، وقرأ نافع: «يحزن» ، بضم الياء حيث وقع، إلا قوله: لا يحزنهم الفزع الأكبر «٢» والباقون: بفتح الياء، وفيه لغتان: حزن يحزن، كنصر ينصر، وأحزن يحزن. والأول أشهر.

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد فى المسند ١٦/ ٧١ من حديث السيدة عائشة- رضى الله عنها.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٨١/٢

(٢) من الآية ١٠٣ من سورة الأنبياء.". [1]

٥٦٤-"ولما استقر بنو إسرائيل بالشام طلبوا من نبيهم نزول الكتاب وتقرير الشرائع، كما أشار إلى ذلك الحق تعالى بقوله:

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٤٢]

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢)

يقول الحق جل جلاله: وواعدنا موسى لإنزال الكتاب ثلاثين ليلة من ذي القعدة، وأتممناها بعشر من ذي الحجة، فتم ميقات ربه بالغا أربعين ليلة، روي أنه عليه السلام وعد بني إسرائيل، بمصر، أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالى، فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون سأل ربه فأمره بصوم ثلاثين، فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك، فقالت الملائكة: كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرا، ثم أنزل عليه التوراة.

وقال موسى لأخيه هارون، عند ذهابه إلى الطور للمناجاة: اخلفني في قومي أي: كن خليفتي فيهم وأصلح ما يجب أن يصلح من أمورهم، أو كن مصلحا، ولا تتبع سبيل المفسدين أي: لا تتبع سبيل من يسلك الإفساد، ولا تطع من دعاك إليه.

الإشارة: كل من انقطع إلى الله تعالى بكليته واعتزل عن الخلق، وأخلى قلبه عما سوى الحق، حصلت له المناجاة والمكالمة، كما وقعت للكليم عليه السلام، وكل ما منحه الله للأنبياء يكون منه نصيب للأولياء من هذه الأمة، والله تعالى أعلم. وفي الحديث: «من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» «١» .

قال بعض الحكماء: والسر في ذلك أن الله تعالى أمر بطينة آدم فخمرت في الماء أربعين يوما، فتربى فيها أربعون حجابا، فلولا تلك الحجب ما استطاع المقام في الأرض، فمن أيده الله على زوالها تشبه بالملأ الأعلى، وخرقت له العوائد، وأشرق النور من قلبه. ولهذا المعنى بقي داود عليه السلام ساجدا أربعين يوما، فقبلت توبته، ومكث إبراهيم عليه السلام في نار النمرود أربعين يوما، فاتخذه الله خليلا، وكان بعد ذلك يقول: ما رأيت أحلى من تلك الأيام، فمن أخلص في عبادته وأزال تلك الحجب عن قلبه كان ربانيا. قال تعالى: ولكن كونوا ربانيين «٢» . انظر الشطيبي.

ويوخذ من الآية أن الشيخ إذا أراد أن يسافر من زاويته ينبغي له أن يخلف خليفة عنه ليقوم له بنظام الزاوية، إذ لا خير في قوم ليس فيهم من يعظهم في الله. وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية، بسند ضعيف عن أبى أيوب. ورواه أحمد بنحوه عن مكحول مرسلا. راجع كشف الخفاء

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢/١١٢

(٢/ ٢٢٤) .

(٢) من الآية ٧٩ من سورة آل عمران.". [١]

٥٦٥-"يقول الحق جل جلاله: فلا تك يا محمد في مرية. في شك مما يعبد هؤلاء المشركون، أي: لا تشك في فساد ما هم فيه، بعد ما أنزل عليك من حال الناس، وتبيين ما لأهل السعادة الموحدين، مما لأهل الشقاء المشركين، ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل، وهو تعليل للنهي، أي: ما يعبدون عبادة إلا كعبادة آبائهم. أو ما يعبدون شيئا إلا مثل ما عبد آباؤهم من الأوثان تقليدا من غير برهان، وقد بلغك ما لحق آباءهم من العذاب فسيلحقهم مثل ذلك لاتفاقهم في سبب الهلاك. وإنا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب، كآبائهم، غير منقوص من نصيبهم شيء. فالتوفية لا تقتضي التمام. تقول: وفيته حقه، وتريد وفاء بعضه.

والله تعالى أعلم.

الإشارة: فلا تكن أيها العارف في مرية مما يعبد هؤلاء العوام، من جمع الدنيا، والتكاثر منها، وصرف الهمة إلى تحصيلها، واستعمال الفكر في أسباب جمعها، وانهماك النفس في حظوظها وشهواتها. ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل، ممن سلك هذا المسلك الذميم، وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص، بانحطاط درجتهم عن درجة المقربين. **قال بعض الحكماء**: دار الدنيا كأحلام المنام، وسرورها كظل الغمام، وأحداثها كصوائب السهام، وشهواتها: كمشرب الشمام، وفتنتها كأمواج الطوام. هـ.

ولما ذكر رسالة موسى عليه السلام، وشأن فرعون ووبال من تبعه، ذكر نزول التوراة عليه، فقال:

[سورة هود (١١) : الآيات ١١٠ الى ١١١]

ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب (١١٠) وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير (١١١)

قلت: (وإن كلا لما ليوفينهم) : إن: مخففة عاملة، والتنوين في (كلا) عوض عن المضاف. و «ما» : موصولة، واللام: لام الابتداء، و (ليوفينهم) : جواب لقسم محذوف، وجملة القسم وجوابه: صلة «ما» ، أي: وإن كان الفريقين للذين، والله، ليوفينهم ربك أعمالهم. ومن قرأ: «لما» بالتشديد، فعلى أن (إن) نافية، و «لما» بمعنى إلا، وقيل: غير هذا.

يقول الحق جل جلاله: ولقد آتينا موسى الكتاب: التوراة، فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم، كما اختلف هؤلاء في القرآن، ولولا كلمة سبقت من ربك وهي: كلمة الإنظار إلى يوم القيامة، لقضي بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل من الهلاك، ونجاة المحق. وإنهم أي: قوم موسى، أو كفار قومك، لفي شك منه أي: التوراة، أو من القرآن، مريب: موقع في الريبة. وإن

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢/٢٥٥

كلا من". (١)

٥٦٦-"الإشارة: كل من اعتزل عن الخلق وانفرد بالملك الحق، طلبا في الوصول إلى مشاهدة الحق، لا بد أن تفيض عليه المواهب القدسية والأسرار الوهبية والعلوم اللدنية، وهي نتائج فكرة القلوب الصافية، وفي الحكم: «ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة» . قال الجنيد رضي الله عنه: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه: (ثمار العزلة: الظفر بمواهب المنة، وهي أربعة: كشف الغطاء، وتنزل الرحمة، وتحقق المحبة، ولسان الصدق في الكلمة، قال الله تعالى: فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له ... الآية) . **وقال بعض الحكماء**: من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم، ومن راءاهم وقع فيما وقعوا، فهلك كما هلكوا.

وقال بعض الصوفية: قلت لبعض الأبدال المنقطعين إلى الله: كيف الطريق إلى التحقيق؟ قال: لا تنظر إلى الخلق، فإن النظر إليهم ظلمة، قلت: لا بد لي، قال: لا تسمع كلامهم، فإن كلامهم قسوة، قلت: لا بد لي، قال: لا تعاملهم، فإن معاملتهم خسران ووحشة، قلت: أنا بين أظهرهم، لا بد لي من معاملتهم، قال: لا تسكن إليهم، فإن السكون إليهم هلكة، قلت: هذا لعله يكون، قال: يا هذا أتنظر إلى اللاعبين، وتسمع كلام الجاهلين، وتعامل البطالين، وتسكن إلى الهلكى، وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع الله؟! هيهات.. هذا لا يكون أبدا، ثم غاب عني.

وقال القشيري رضي الله عنه: فأرباب المجاهدات، إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية لم ينظروا إلى المستحسنات- أي: من الدنيا-. قال: وهذا أصل كبير لهم في المجاهدات في أحوال الرياضة. هـ. وقال في «القوت» : ولا يكون المريد صادقا حتى يجد في الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية، وحتى يكون أنسه فى الواحدة، وروحه في الخلوة، وأحسن أعماله في السر. هـ.

قلت: العزلة عن الخلق والفرار منهم شرط في بداية المريد، فإذا تمكن من الشهود، وأنس قلبه بالملك الودود، واتصل بحلاوة المعاني، ينبغي له أن يختلط بالخلق ويربي فكرته لأنهم حينئذ يزيدون في معرفته ويتسع بهم لأنه يراهم حينئذ أنوارا من تجليات الحق، ونوارا يرعى فيهم، فيجتني حلاوة الشهود، وفي ذلك يقول شيخ شيوخنا المجذوب:

الخلق نوار وأنا رعيت فيهم ... هم الحجاب الأكبر والمدخل فيهم.

وفي مقطعات الششتري:

عين الزحام ... هم الوصول لحينا.

وبالله التوفيق.". (٢)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٥٦١/٢

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣٤٠/٣

٥٦٧-"الإشارة: ولقد عهدنا إلى آدم ألا ينسانا، وألا يغيب عن شهودنا بمتعة جنتنا، فنسي شهودنا، ومال إلى زخارف جنتنا، فأنزلناه إلى أرض العبودية، حتى يتطهر من البقايا، وتكمل فيه المزايا، فحينئذ نسكنه في جوارنا، ونكشف له عن حضرة جمالنا، على سبيل الخلود في دارنا.

قال جعفر الصادق: عهدنا إلى آدم ألا ينسانا، فنسي واشتغل بالجنة، فابتلى بارتكاب النهي، وذلك أنه ألهاه النعيم عن المنعم، فوقع من النعمة في البلية، فأخرج من النعيم والجنة ليعلم أن النعيم هو مجاورة المنعم، لا الالتذاذ بالأكل والشرب. فلا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ما سواه، نسأل الله تعالى أن يمدنا وإياك بالتوفيق والعناية. هـ. **قال بعض الحكماء**: إنما نسي آدم العهد لأنه لما خلقت له زوجته أوقع الله في قلبه الأنس بها، وابتلاه بشهوات النفس فيها، فرأى في وجهها شجرة الحسن بادية، وشهوة الوقاع عليه غالبة. هـ. أي: فترك النظر إلى جمال المعاني، واشتغل بحس الأواني، فأفضى به إلى ترك الأدب، ولزمه التعب، فليحذر المريد جهده من الميل إلى الحظوظ، وليكن على حذر من الغفلة حين تناولها، والعصمة من الله.

وقوله تعالى: ولم نجد له عزما، قال الحاتمي: أي: على انتهاك الحرمة، بل وقع بمطالعة قدر سابق، أنساه ما توجه على التركيب من خطاب الحجر. هـ. قال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن الفاسي: وبما أشار إليه من مطالعة القدر يتضح لك قوله عليه السلام: «فحج آدم موسى» «١» ، وليس ذلك لغيره إن لم يكن مجبورا ومأخوذا عنه، وهذا القدر هو الفارق بين ما يجري من المخالفة على الولي وغيره. وقد نبه على ذلك الجنيد بقوله: (وكان أمر الله قدرا مقدورا) ، فأشار لغلبة القدر وقهره، من غير وجود عزم من العبد. هـ. قلت: احتجاج آدم وموسى- عليهما السلام- لم يكن في عالم الأشباح، الذي هو محل التشريع، إنما كان في عالم الأرواح، الذي هو محل التحقيق، فالنظر في ذلك العالم الروحاني، إنما هو لسر الحقيقة، وهو ألا نسبة لأحد في فعل ولا ترك، فمن احتج بهذا غلب، بخلاف عالم الأشباح، لا يصح الاحتجاج بالقدر لأن فيه خرق رداء الشريعة. فتأمله.

وقال في التنوير: اعلم أن أكل آدم من الشجرة لم يكن عنادا ولا خلافا، فإما أن يكون نسي الأمر، فتعاطى الأكل وهو غير ذاكر، وهو قول بعضهم، ونحمل عليه قوله سبحانه: (فنسي) ، وإن كان تناوله، ذاكرا للأمر، فهو إنما تناول لأنه قيل له: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ... «٢» الآية، فلحبه في الله، وشغفه به، أحب ما يؤديه إلى الخلود في جواره والبقاء عنده، أو ما يؤديه إلى الملكية لأن آدم عليه السلام عاين قرب الملائكة من الله،

---

(١) أخرجه البخاري فى (القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله) ، ومسلم فى (القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) عن أبى هريرة. واللفظ: «حاج موسى آدم، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقنى؟ فحج آدم موسى» .

(٢) من الآية ٢٠ من سورة الأعراف.". (١)

٥٦٨-"يقول الحق جل جلاله: واتخذوا أي: الكفار المدرجون تحت العالمين المنذرين، اتخذوا لأنفسهم من دونه تعالى آلهة أصناما، يعبدونها ويستعينون بها، وهم لا يخلقون شيئا أي: لا يقدرون على خلق شيء من الأشياء، وهم يخلقون كسائر المخلوقات. والمعنى: أنهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالألوهية والخلق، والملك والتقدير، عبادا عجزة، لا يقدرون على خلق شيء، وهم مخلوقون ومصورون. ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا أي: لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضر عنها، ولا جلب نفع لها. وهذا بيان لغاية عجزهم وضعفهم فإن بعض المخلوقين ربما يملك دفع ضر وجلب نفع في الجملة، وهؤلاء لا يقدرون على شيء البتة، فكيف يملكون نفع من عبدهم، أو ضرر من لم يعبدهم؟! ولا يملكون موتا أي: إماتة ولا حياة أي: إحياء ولا نشورا بعثا بعد الموت، أي: لا يقدرون على إماتة حي، ولا نفخ الروح في ميت، ولا بعث للحساب والعقاب. والإله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك.

وفيه إيذان بغاية جهلهم، وسخافة عقولهم، كأنهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم مما ذكر، مفتقرون إلى التصريح لهم بها. والله تعالى أعلم.

الإشارة: كل من ركن إلى غير الله، أو مال بمحبته إلى شيء سواه، فقد اتخذ من دونه إلها يعبده من دون الله. وكل من رفع حاجته إلى غير مولاه، فقد خاب مطلبه ومسعاه لأنه تعلق بعاجز ضعيف، لا يقدر على نفع نفسه، فكيف ينفع غيره؟ وفي الحكم: «لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك، فكيف ترفع إلى غيره ما كان هو له واضعا؟! من لا يستطيع أن يرفع حاجته عن نفسه، فكيف يكون لها عن غيره رافعا؟» .

قال بعض الحكماء: من اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن الغرور ما لا يدوم، ولا يدوم شيء سواه، وهو الدائم القديم، لم يزل ولا يزال، وعطاؤه وفضله دائمان، فلا تعتمد إلا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء، في كل نفس وحين وأوان وزمان. هـ. وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود أما وعزتي وجلالي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي، أعلم ذلك من نيته، فتكيده السموات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلا جعلت له منهن فرجا ومخرجا. أما وعزتي وجلالي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني، أعلم ذلك من نيته، إلا قطعت أسباب السموات من يده، وأسخت الأرض من تحته، ولا أبالي في أي واد هلك. هـ. وبالله التوفيق.

ولما ذكر شأن الفرقان، ذكر من طعن فيه وفيمن نزل عليه، فقال:

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤ الى ٩]

وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤ ظلما وزورا (٤) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (٥) قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما (٦) وقالوا مال

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤٢٧/٣

هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا (٧) أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا (٨)
انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا (٩)". [١]

٥٦٩-"وهذه صفة عبيد الدنيا، وعبيد أهوائهم. وهي صفة من أسكرته الغفلة، وخرجت عظمة الله عز وجل من قلبه، وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى: قال الذين يريدون الحياة الدنيا.. الآية. فكل محب للدنيا، مستغرق في حبها، فهو لا حق بالذين تمنوا زينة قارون. واعلم أن الدنيا إذا رسخت في القلب، واستوطنت، ظهر ذلك على جوارح العبد، بتكالبه عليها، وشدة رغبته فيها، فيسلبه الله تعالى لذة القناعة، ويمنعه سياسة الزاهدين، ويبعده عن روح العارفين فإن القلب إذا لم يقنع- لو ملك الدنيا بحذافيرها- لم يشبع. **وقال بعض الحكماء**: القناعة هي الغنى الأكبر، ولن تخفى صفة القانعين. هـ.
ومآل الراغبين في الدنيا هو مآل قارون، من الفناء والذهاب تحت التراب، وأنشدوا:
إن كنت تسموا إلى الدنيا وزينتها ... فانظر إلى مالك الأملاك قارون
رم الأمور فأعطته مقادتها ... وسخر الناس بالتشديد واللين
حتى إذا ظن ألا شيء غالبه ... ومكنت قدماه أي تمكين
راحت عليه المنايا روحة تركت ... ذا الملك والعز تحت الماء والطين
ثم ذكر عاقبة المتواضعين، فقال:

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٨٣ الى ٨٤]
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (٨٣) من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون (٨٤)
قلت: (تلك) : مبتدأ، و (نجعلها) : خبر.
يقول الحق جل جلاله: تلك الدار الآخرة أي: تلك الدار التي سمعت بذكرها، وبلغك خبرها.
ومعنى البعد في الإشارة، لبعد منزلتها وعلو قدرها، نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض أي: تكبرا وقهرا كحال فرعون، ولا فسادا عملا بالمعاصي، أو: ظلما على الناس، كحال قارون، أو: قتل النفس، أو:
دعاء إلى عبادة غير الله، ولم يعلق الوعد بترك العلو والفساد، ولكن بترك إرادتهما وميل القلب إليهما، أدرك ذلك". [٢]

٥٧٠-"وقيل: نصر الله: هو إظهار صدق المؤمنين، بما أخبروا به المشركين من غلبة الروم. ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى، وهو العزيز: الغالب على أعدائه الرحيم: العاطف على أوليائه.

---
(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤/٧٧
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤/٢٨٠

وعد الله أي: وعد ذلك وعدا، فسينجزه لا محالة، فهو مصدر مؤكد لما قبله لأن قوله: سيغلبون وعد، لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه تعالى، فلا بد من نصر الروم على فارس. ولكن أكثر الناس لا يعلمون صحة وعده، وأنه لا يخلف، أو: لا يعلمون أن الأمور كلها بيد الله لجهلهم وعدم تفكرهم. وإنما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ما يشاهدونه منها ومن التمتع بزخارفها. وفيه دليل أن للدنيا ظاهرا وباطنا، فظاهرها: ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها. قال بعض الحكماء: إن كنت من أهل الاستبصار فألق ناظرك عن زخارف هذه الدار، فإنها مجمع الأكدار، ومنبع المضار، وسجن الإبرار، ومجلس الأشرار، الدنيا كالحية، تجمع سموم نوائبها، وتفرغه في صميم قلوب أبنائها. هـ. وباطنها: أنها مجاز إلى الآخرة، يتزودون منها إليها بالأعمال الصالحة وتحقيق المعرفة. وتنكير (ظاهرا) : مفيد أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها. وهم عن الآخرة هم غافلون لا تخطر ببالهم، ولا يتفكرون في أهوالها وتوائبها. فهم، الثانية: مبتدأ، و (غافلون) : خبره، والجملة: خبر الأولى، وفيه تنبيه أنهم معدن الغفلة ومقرها. والله تعالى أعلم.

الإشارة: كما تقع الدولة بين الأشباح، تقع بين النفوس والأرواح. فتارة تغلب النفوس بظلماتها على الأرواح، فتحجبها عن الله، وتارة تغلب الأرواح بأنوارها على النفوس، فتستر ظلمة حظوظها، ويرتفع الحجاب بين الله وعبده. آلم، غلبت أنوار الأرواح بظلمة كثائف النفوس، في أدنى أرض العبودية، وهم من بعد غلبهم سيغلبون، فتغلب أنوار الأرواح المطهرة، على ظلمة النفوس الظلمانية، وذلك في بضع سنين، مدة المجاهدة، والبضع: من ثلاث إلى عشر، على قدر الجد والاجتهاد، وعلى قدر تفاوت النفوس والطبع، فمنهم من يظفر بنفسه في مدة يسيره، ومنهم من يظفر بعد مدة طويلة. لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون السائرون بنصر الله، حيث نصرهم على نفوسهم، فظفروا بها. ينصر من شاء حيث يشاء، وهو العزيز الرحيم. قال بعضهم: انتهى سير السائرين إلى الظفر بنفوسهم، فإن ظفروا بها وصلوا. هـ.

وقال الورتجبي: قوله: غلبت الروم.. الآية، إشارة إلى أن الأرواح، وإن كانت مغلوبة من النفوس الأمارة، والشياطين الكافرة امتحانا من الله، وتربية لها بمباشرة القهريات، فإنها تغلب على النفوس، من حين تخرج من مقام الاختيار. انظر تمامه. وقال القشيري: قوله تعالى: يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا: استغراقهم في الاشتغال بالدنيا، وانهماكهم بما منعهم عن العلم بالآخرة. وقيمة كل امرئ علمه كما في الأثر عن علي رضي الله عنه. قال:

وقيمة كل امرئ ما كان يتقنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء". (١)

٥٧١-"حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة، وهو عام في المفروض والمندوب، ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ بأن يشاهد دلائله، ويعاين أمارته ومخايله. وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما قدم، والتشويق لما أخر، ﴿فيقول﴾ حين تيقنه بحلوله: ﴿لولا أخرتني﴾ ؛ أمهلتني ﴿إلى أجل قريب﴾ ؛ أمد قصير، ﴿فأصدق﴾ بالنصب، جواب التمني، ﴿وأكن من الصالحين﴾ بالجزم، عطفا على محل ﴿فأصدق﴾ أو: على توهم إسقاط الفاء، كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن، وقرأ أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤/٣٢٥

﴿ولن يؤخر الله نفسا﴾ ؛ لن يمهلها ﴿إذا جاء أجلها﴾ ؛ آخر عمرها المكتوب في اللوح. ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فيجازيكم عليه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فسارعوا إلى الخيرات، واستعدوا لما هو آت. قال ابن عباس: ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت. هـ. والظاهر: أن كل من قصر في الاجتهاد، وتعمير الأوقات، كله يطلب الرجعة، وكل من أدركته المنية قبل الوصول إلى الله مغبون، ولذلك ذكر التغابن بعدها، وفي الحديث: " ما من أحد إلا سيندم عند الموت، إن كان عاصيا أن لو تاب، وإن كان طائعا أن لو زاد " أو كما قال صلى الله عليه وسلم. قال في غريب المنتقى: إن العبد يقول عند كشف الغطاء: يا ملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه إلى ربي، وأتوب وأتزود صالحا لنفسي، فيقول الملك: فنيت الأيام، فلا يوم، فيقول: أخرني ساعة، فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة. هـ.

قيل: لما كانت سورة المنافقين رأس ثلاث وستين سورة، أشير فيها إلى وفاته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها﴾ فإنه صلى الله عليه وسلم مات على رأس ثلاث وستين سنة، وعقبها بالتغابن، ليظهر التغابن في فقده صلى الله عليه وسلم. هـ.

الإشارة: قد نهى الله تعالى عن الاشتغال عن ذكره بالأموال والأولاد، ويقاس عليه سائر القواطع، فلا عذر للعبد في تركه في وقت من الأوقات، فما من وقت من الأوقات إلا وله حق جديد، وأمر أكيد، لا يقضى في غيره، فحقوق الأوقات لا تقضى، بخلاف الحقوق التي لها أوقات محدودة، فإنها تقضى في غيرها، ولما كان الذكر يطهر القلب، ويخرج ما فيه من حب الدنيا وغيرها، أمر بالإنفاق بعد الأمر به؛ ليسهل الإنفاق على العبد. **قال بعض الحكماء** في مدح الذكر والترغيب فيه: الذكر منشور الولاية، ولا بد منه في البداية والنهاية، وهو يثمر أحوالا شريفة، وماقامات عالية منيفة، وعلوما لطيفة، ويحيي عوالم طالما كانت قبل مواتا، ويلبس النفس وجنودها ذلة وسباتا، ونظيره إذا وصل للقلب: كدخول الماء في الأسراب، فإنه يخرج ما فيها من الحشرات والدواب، فكذلك الذكر، إذا صدم القلب، ودخل سويداءه، فإنه يخلصه من مساكنة صلصال النفس، ويزيل". (١)

٥٧٢-"أنفس العلماء الجهابذة، فالسابقات إلى الله بأنواع المجاهدات والسير في المقامات، حتى أفضت إلى شهود الحق عيانا، سبقا، وهي أنفس الأولياء العارفين، فالمدبرات أمر الخلائق بقسم أرزاقها وأقواتها ورتبها، وهي أنفس الأقطاب والغوث. وقال البيضاوي: هذه صفات النفوس، وحال سلوكها، فإنها تنزع من الشهوات، وتنشط إلى عالم القدس، فتسبح في مراتب الارتقاء، فتسبق إلى الكمالات، حتى تصير من المكملات، زاد الإمام: فتدبر أمر الدعوة إلى الله. وقال الورتجبي: إشارة النازعات إلى صولات صدمات تجلي العظمة، فتنزع الأرواح العاشقة عن معادن الحدوثية. ثم قال: والناشطات: الأرواح الشائقة تخرج من أشباحها بالنشاط، حين عاينت جمال الحق بالبديهة وقت الكشف. ثم قال: والسابحات تسبح في بحار ملكوته وقاموس كبرياء جبروته، تطلب فيها أسرار الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، فالسابقات في مصاعدها

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٧/٥٣

عالم الملكوت، وجنات الجبروت، تسابق كل همة، فالمدبرات هي العقول القدسية تدبر أمور العبودية بشرائط إلهام الحقيقة. هـ.

والمقسم عليه: ليبعثن الله الأرواح الميتة بالجهل والغفلة، حين تنتبه إلى السير بالذكر والمجاهدة، فإذا حييت بمعرفة الله كانت حياة أبدية. وذلك يوم ترجف النفس الراجفة، وذلك حين تتقدم لخرق عوائدها ومخالفة هواها، تتبعها الرادفة، وهي ظهور أنوار المشاهدة، فحينئذ تبعث من موتها، وتحيا حياة لا موت بعدها، وأما الموت الحسي فإنما هو انتقال من مقام إلى مقام. قلوب يومئذ ـ أي: يوم المجاهدة والمكابدة ـ واجفة، لا تسكن حتى تشاهد الحبيب، أبصارها في حال السير خاشعة، لا يخلع عليها خلع العز حتى تصل. يقول أهل الإنكار لهذه الطريق: أئنا لمردودون إلى الحالة الأولى، التي كانت الأرواح عليها في الأزل، بعد أن كنا ميتين بالجهالة، مرمى بنا في مزابل الغفلة، كعظام الموتى، قالوا: تلك كرة خاسرة، لزعمهم أنهم إذا صاروا إلى هذا المقام لم يبق لهم تمتع بشيء أصلا، مع أن العارف إذا تحقق وصوله تمتع بالنعيمين؛ نعيم الأشباح ونعيم الأرواح. قال تعالى في رد ما استحالوه: فإنما هي زجرة واحدة من همة عارف، أو نظرة ولي كامل، فإذا هم في أرض الحضرة القدسية. قال الشيخ أو العباس: والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه وقد أغنيته. قلت: والله لقد بقي في زماننا هذا من يفوق أبا العباس والشاذلي وأضرابهما في الإغناء بالنظرة والملاحظة، والحمد لله.

يقول الحق جل جلاله: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ ، تشويقا لما يلقى إليه من خبره، أي: هل أتاك حديثه، أنا أخبرك به، إن كان هذا أول ما أتاه من حديثه. وإن كان تقدم قبل هذا حديثه، وهو المتبادر، فالمعنى: أليس قد آتاك حديثه. وقوله: ﴿إذ ناداه ربه﴾ : ظرف للحديث لا للإتيان، لاختلاف وقتهما، أي: هل وصلك حديثه ناداه ربه ﴿بالواد المقدس﴾ ؛ المبارك المطهر، اسمه: ﴿طوى﴾ بالصرف وعدمه. فقال في ندائه له: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ ؛ تجاوز الحد في الكفر والطغيان، ﴿فقل﴾ له بعد أن تأتيه: ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾ أي: هل لك رغبة وتوجه إلى التزكية والتطهير من دنس الكفر والطغيان بالطاعة والإيمان. قال ابن عطية: " هل " هو استدعاء حسن. قال الكواشي: يقال: هل لك في كذا؟ وهل لك إلى كذا؟ كقولك: هل ترغب في كذا، وهل ترغب إلى كذا. قال: وأخبر تعالى أنه أمر موسى بإبلا غ الرسالة إلى فرعون بصيغة الاستفهام والعرض، ليكون أصغى لأذنه، وأوعى لقلبه، لما له عليه من حق التربية. هـ. وأصله: " تتزكى "، فحذف إحدى التاءين، أو: أدغمت، فيمن شدد الزاي.

﴿وأهديك إلى ربك﴾ ؛ وأهديك إلى معرفته، بذكر دلائل توحيده وصفات ذاته، ﴿فتخشى﴾ ، لأن الخشية لا تكون إلا مع المعرفة، قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماؤا﴾ [فاطر: ٢٨] أي: العلماء بالله. **وقال بعض الحكماء**: اعرفوا الله، فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين. فالخشية ملاك الأمر، فمن خشي الله أتى منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شر. ومنه الحديث: " من خشي أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل " قال النسفي: بدأ مخاطبته بالاستفهام، الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا؟ وأردفه الكلام الرقيق، ليستدعيه باللطف في القول، ويستنزله بالمداراة من عتوه، كما أمر بذلك في قوله: ﴿فقولا له قولا لينا﴾ [طه: ٤٤] هـ.



فأراه الآية الكبرى﴾ ، الفاء: فصيحة تفصح عن جملة قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الأخرى، فإنه عليه السلام ما أراه إياها عقب هذا الأمر، بل بعدما جرى بينه وبينه من المحاورات إلى أن قال: ﴿إن كنت جئت بئاية فأت﴾ [الأعراف: ١٠٦] . والآية الكبرى: العصا، أو: هي واليد، لأنهما في حكم آية واحدة. ونسبتها إليه عليه السلام بالنسبة إلى الظاهر، كما أن نسبتها إلى نون العظمة في قوله تعالى: ﴿ولقد أريناهءاياتنا كلها﴾ [طه: ٥٦] بالنظر إلى الحقيقة ﴿فكذب وعصى﴾ أي: كذب موسى عليه السلام. وسمى معجزته سحرا، وعصى الله عز وجل بالتمرد، بعدما علم صحة". (١)

٥٧٣-"عليه منها خافية، فلا بد من رجعه وحسابه عليها حتما.

الإشارة: يا أيها الإنسان الطالب الوصول، إنك كادح إلى ربك كدحا بالمجاهدة والمكابدة فملاقيه بالمشاهدة المعاينة في مقام الفناء والبقاء، فأما من أوتي كتابه السابق له في الأزل " بيمينه " بكونه من أهل اليمين والسعادة " فسوف يحاسب حسابا يسيرا " فيؤدب في الدنيا إن وقع منه سوء أدب، " وينقلب إلى أهله " إخوانه في الله " مسرورا " بوصوله إلى مولاه. قال الورتجبي: مسرورا بلقاء ربه، وما نال من قربه ووصاله، وهذا للمتوسطين، ومن بلغ إلى حقيقة الوصال وصار أهلا له لا ينقلب عنه إلى غيره. هـ. وأما من أوتي كتابه السابق بخذلانه في الأزل، وراء ظهره، بحيث غفل عن التوجه إلى الله، واتخذه وراء ظهره، فسوف يدعو ثبورا، فيتمنى يوم القيامة أن لم يكن شيئا، ويصلى سعير القطيعة والبعد إنه كان في أهله مسرورا منبسطا في الدنيا، مواجها بالجمال من أهله وعشيرته، ليس له من يؤذيه، وهذا من علامة الاستدراج، ولذلك لا تجد وليا إلا وله من يؤذيه، يحركه إلى ربه، قال بعض الصوفية: قل أن تجد وليا إلا وتحته امرأة تؤذيه. هـ. " إنه " أي: الجاهل ظن أن لن يحور إلى ربه في الدنيا ولا في الآخرة، بل يرده الله ويحاسبه على النقير والقطمير، إنه كان به بصيرا بظاهره وباطنه.

يقول الحق جل جلاله: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ وهي الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب، أو: البياض الذي يليها، سمي به لرقته، ومنه: الشفقة التي هي رقة القلب. ﴿والليل وما وسق﴾ ؛ وما جمع وضم، يقال: وسقه فاتسق، أي: جمعه فاجتمع، أي: وما جمعه من الدواب وغيرها، أو: ما جمعه من الظلمة والكواكب، وما عمل فيه من التهجد، ﴿والقمر إذا اتسق﴾ أي: اجتمع ضوؤه وتم نوره ليلة أربع عشرة.

﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾ ؛ لتلاقن حالا بعد حال، كل واحدة منها مطابقة لأختها في الشدة والفظاعة، كأحوال شدائد الموت، ثم القبر، ثم البعث، ثم الحشر، ثم الحساب، ثم الميزان، ثم الصراط. أو: حالا بعد حال، النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم الجنين، ثم الخروج إلى الدنيا، ثم الطفولة، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، ثم الهرم، ثم الموت.. وما ذكر بعده آنفا إلى دخول الجنة أو النار. **وقال بعض الحكماء**: يشتمل الإنسان من كونه نطفة إلى أن يهرم على نيف وثلاثين اسما: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة،". (٢)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢٢٩/٧

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢٧١/٧

٥٧٤-"يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ [الرعد: ١١] ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: " وكل بالمؤمن ستون ومائة ملك، يذبون عنه ما لم يقدر عليه، كما يذب عن قصعة العسل الذباب، ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين " ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: ﴿إن كل نفس..﴾ الخ. و " ما ": صلة في قراءة من خفف، أي: إنه، أي: الأمر والشأن كل نفس لعليها حافظ.

﴾

فلينظر الإنسان مم خلق﴾ ، لما ذكر أن على كل نفس حافظا، أمره بالنظر في أول نشأته، وبالتفكر فيها حق التفكر، حتى يتضح له أن من قدر على إنشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط، فهو قادر على إعادته، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجزى به، ولا يملي على حافظه ما يرديه، فالفاء فصيحة تنبيء عن هذه الجمل، أي: إذا علم أن على كل إنسان حفظة يحفظونه من الآفات، أو يكتبون أعماله، خيره وشرها، دقيقها وجليلها، وأنه لم يخلق عبثا، ولم يترك سدى، فلينظر في أول نشأته حتى يتحقق أن له صانعا، فيعبده ولا يشرك به شيئا، ثم فسر أصل نشأته فقال: ﴿خلق من ماء دافق﴾ ، فهو استئناف بياني، كأنه قيل: مم خلق؟ فقال: خلق من ماء دافق، والدفق: صب فيه دفع وسرعة، والدفق في الحقيقة لصاحبه، والاستناد إلى الماء مجاز، ولم يقل: من ماءين؛ لامتزاجهما في الرحم واتحادهما. ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ أي: صلب الرجل وترائب المرأة، وهي عظام صدرها، حيث تكون القلادة، وقيل: العظم والعصب من الرجل، واللحم والدم من المرأة، **وقال بعض الحكماء**: إن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع، وتنفصل عن جميع الأعضاء، حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها على بعض عند البيضتين، فالدماغ أعظم معونة في توليدها، ولذلك كان الإفراط في الجماع يورث الضعف فيه، وله خليفة هو النخاع، وهو في الصلب، وفيه شعب كثيرة نازلة إلى الترائب، وهما أقرب إلى أوعية المني، فلذا خصا بالذكر، فالمعنى على هذا: يخرج من بين صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها، وهو الأحسن، وبه صدر ابن جزي.

﴿إنه﴾ أي: الخالق، لدلالة " خلق " عليه، أي: إن الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة، ﴿على رجعه﴾ ؛ على إعادته بعد موته ﴿لقادر﴾ بين القدرة. وجيء بـ " إن " واللام وتنكير الخبر ليدل على رد بليغ على من يدعي أنه لا حشر ولا بعث، حتى كأنه لا تتعلق القدرة بشيء إلا بإعادة الأرواح إلى الأجساد، ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أي: تكشف ويتصفح ما فيها من العقائد والنيات وغيرها، وما أخفي من الأعمال، ويتبين ما طاب منها وما خبث. والسرائر: القلوب، هو ظرف لـ " رجعه "، أي: إنه لقادر على رده بالبعث في هذا". [1]

٥٧٥-"دون النار فانها تحت الأرضين السبع كما نطقت به الأحاديث وعلى ما قلت من التأويل ان الخطاب مختص بالمحسنين يصح القول بان ما توعدون من الثواب والجنة كاين فى السماء وقيل وما توعدون كلام مستانف وما موصولة او مصدرية مبتداء خبره.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٧/٢٨٢

فو رب السماء والأرض إنه لحق وعلى هذا فالضمير المنصوب لما وعلى الاول يحتمل له ولما ذكر سابقا من البعث والجزاء والرزق والوعد والوعيد مثل ما أنكم تنطقون قرأ ابو بكر وحمزة والكسائي مثل بالرفع على انه صفة لحق والباقون بالنصب على انه حال من المستكن فى لحق او وصف لمصدر محذوف يعنى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافة الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان مع جملتها ان كانت ما زائدة ومحله الرفع شبه الله سبحانه الرزق وغيره مما وعد واخبر به ينطق الإنسان قال البغوي ما انكم تنطقون فتقولون لا اله الا الله يعنى المراد بالنطق المنطوق والخطاب ان كان للمحسنين فمنطوقه غالبا لا اله الا الله وان كان الخطاب عاما فشبه تحقق ما اخبر عنه يتحقق نطق الآدمي كما يقال انه لحق كما أنت هاهنا وانه لحق كما أنت تتكلم والمعنى انه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة **وقال بعض الحكماء يعنى** ان كل انسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكنه ان يأكل رزق غيره حكى فى المدارك عن الأصمعي انه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع على أعرابي فقال ممن الرجل قلت من بنى اصمع قال من اين أقبلت أقلت من موضع يتلى فيه كلام الله الرحمن قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله فى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقة فنحرها ووزعها على من اقبل وأدبر وعمد الى قوسه وسيفه فكسرهما وولى فلما حججت مع امر الرشيد طفقت أطوف فاذا انا بمن يستهنف بصوت رفيق فالتفت فاذا انا بالأعرابي فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الاية صاح قال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والأرض انه لحق فصاح فقال سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى إلجاؤه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت معها نفسه يعنى مقتضى البلاغة ان يؤكد الكلام على حسب انكار المخاطب فالله سبحانه أورد الكلام بكمال المبالغة فى التأكيد حيث اقسم عليه وأكد بكلمة ان ولام التأكيد والاخبار بانه حق والتشبيه بما هو اجلى البديهيات وليس هذه الاشارة الى ان الناس كانهم فى غاية الإنكار فى تقدير الرزق الموعود كاد حين فى اكتساب ما التزم الله سبحانه على نفسه بقوله وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها غافلين عما كلفهم الله به وعلق به الثواب والعقاب الأيدي". (١)

٥٧٦-"إلى هداية العقل، فقد هدي إلى خيري الدنيا والآخرة، وأدرك الأمور على حقيقتها.
ولا يتعظ بالعلم ويتأثر بالموعظة وينتفع بالتذكار إلا كل ذي عقل سليم يفهم به الخطاب الشرعي ومعنى الكلام الإلهي.

فقه الحياة أو الأحكام:

هذه الآية متصلة بما قبلها، فهي تحث المؤمن على الإنفاق في سبيل الله:

سبيل الخير لأن الله وعد بالمغفرة جزاء الإنفاق، وبالإخلاف والتعويض والإمداد بالفضل الإلهي من المال والرزق، والله تعالى يعطي من سعة، فلا تنفد خزائنه، ويعلم حيث يضع ذلك، ويعلم الغيب والشهادة.

وتحذر الآية من وساوس الشياطين، فإن للشيطان مدخلا في تثبيط الإنسان عن الإنفاق في سبيل الله، وهو مع ذلك يأمر

---

(١) التفسير المظهري ٨٥/٩

بالبخل والفحشاء وهي المعاصي، والإنفاق فيها.
ومن أعطي الحكمة (العلم النافع الصحيح) وفهم القرآن، فقد أعطي أفضل ما أعطي من جمع كتب علم الأولين من الصحف وغيرها. والآية تحض على العلم وترفع شأن الحكمة، وتهدي إلى استعمال العقل في أشرف ما خلق له. قال بعض الحكماء: من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم: فإنما أعطي أفضل ما أعطي أصحاب الدنيا لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعا قليلا، فقال: قل: متاع الدنيا قليل [النساء ٤/ ٧٧] وسمى العلم والقرآن خيرا كثيرا.". (١)

٥٧٧-"والمعنى: قول معروف بأن تقول للسائل كلاما جميلا طيبا تجبر به خاطره، ويحفظ له كرامته «ومغفرة» لما وقع منه من إلحاف في السؤال، وستر لحاله وصفح عنه، خير من صدقة يتبعها أذى أى خير من صدقة يتبعها المتصدق أذى للمتصدق عليه.
لأن الكلمة الطيبة للسائل، والستر عليه، والعفو عنه فيما صدر منه، كل ذلك يؤدى إلى رفع الدرجات عند الله، وإلى تهذيب النفوس، وتأليف القلوب وحفظ كرامة أولئك الذين مدوا أيديهم بالسؤال. أما الصدقة التي يتبعها الأذى فإن إيتاءها بتلك الطريقة يؤدى إلى ذهاب ثوابها، وإلى زيادة الآلام عند السائلين ولا سيما الذين يحرصون على حفظ كرامتهم، وعلى صيانة ماء وجوههم، فإن ألم الحرمان عند بعض الناس أقل أثرا في نفوسهم من آلام الصدقة المصحوبة بالأذى، لأن ألم الحرمان يخففه الصبر الذي وراءه الفرج، أما آلام الصدقة المصحوبة بالأذى لهم فإنها تصيب النفوس الكريمة بالجراح التي من العسير التئامها وشفاؤها.
قال القرطبي: روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الكلمة الطيبة صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق» . فعلى المسئول أن يتلقى السائل بالبشر والترحيب، ويقابله بالطلاقة والتقريب ليكون مشكورا إن أعطى ومعذورا إن منع. وقد قال بعض الحكماء: الق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره» «١» .
وقوله: قول معروف مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لوصفها وللعطف عليها. وقوله:
ومغفرة عطف عليه وسوغ الابتداء بها العطف أو الصفة المقدرة إذ التقدير ومغفرة للسائل أو من الله وقوله: خير خبر عنهما وقوله يتبعها أذى في محل جر صفة لصدقة.
ثم ختم الله- تعالى- الآية بقوله: والله غني حليم أى والله- تعالى- غنى عن إنفاق المنفقين وصدقات المتصدقين. وإنما أمرهم بهما لمصلحة تعود عليهم. أو غنى عن الصدقة

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ٦٥/٣

(١) تفسير القرطبي ج ٣ ص ٣٠٩.". (١)

٥٧٨-"وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر. وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان.

والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه، لأن الله- تعالى- قدر ذلك عليه وعلمه منه، ولا يجوز أن يوجد من كل واحد منهما، غير الذي قدر عليه، وعلمه منه.. «١» .

وقوله: والله بما تعملون بصير أى: والله- تعالى- لا تخفى عليه خافية من أعمالكم، وسيحاسبكم عليها يوم القيامة، وسيجازى الذين أساءوا بما عملوا، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى.

خلق السماوات والأرض بالحق أى: خلقهن خلقا ملتبسا بالحق الذي لا يحوم حوله باطل، وبالحكمة التي لا يشوبها اضطراب أو عبث، فالباء في قوله «بالحق» للملابسة.

والمراد بالسموات والأرض: ذواتهن وأجرامهن التي هي أكبر من خلق الناس.

والمراد بالحق: المقصد الصحيح، والغرض السليم، الواقع على أتم الوجوه وأفضلها وأحكمها.

ثم بين- سبحانه- بعض مظاهر نعمه على الناس فقال: وصوركم فأحسن صوركم.

وقوله: وصوركم من التصوير، وهو جعل الشيء على صورة لم يكن عليها، وهو مأخوذ من مادة صار الشيء إلى كذا، بمعنى تحول إليه، أو من صاره إلى كذا، بمعنى أماله وحوله.

أى: وأوجدكم- سبحانه- يا بنى آدم على أحسن الصور وأكملها وأبدعها وأجملها، بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن يكون على غير صورته التي خلقه الله عليها، كأن يكون على صورة حيوان أو غيره.

وصدق الله إذ يقول: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.

قال الآلوسى: ولعمري إن الإنسان أعجب نسخة في هذا العالم، قد اشتملت على دقائق وأسرار شهدت ببعضها الآثار، وعلم ما علم منها أولو الأبصار، وكل ما يشاهد من الصور الإنسانية حسن، لكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب.. كما قال بعض الحكماء: شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان.

---

(١) تفسير القرطبي ج ١٨ ص ١٣٢.". (٢)

٥٧٩-"«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» «١» .

وقوله يحببكم الله جواب الأمر، وهو قوله فاتبعوني. وهذا رأى الخليل.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٦٠٦/١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي ٤٢٣/١٤

ويرى أكثر المتأخرين من النحاة أن قوله «يحببكم الله» جواب لشرط مقدر دل عليه المقام والتقدير: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني، وإن اتبعتموني يحببكم الله، أى يمنحكم الثواب الجزيل، والأجر العظيم، والرضا الكبير.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد بينت أن أول علامات محبة العبد لربه، هي اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وأن هذا الاتباع يؤدى إلى محبة الله- تعالى- لهذا العبد وإلى مغفرة ذنوبه.

ومحبة الله لعبده هي منتهى الأماني، وغاية الآمال، ولذا **قال بعض الحكماء**: «ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب» .

ومحبة الله إنما تتأتى بإخلاص العبادة والوقوف عند حدوده والاستجابة لتعاليم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكل من يدعى أنه محب الله وهو معرض عن أوامره ونواهيه فهو كاذب في دعواه كما قال الشاعر الصوفي:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ثم ختم- سبحانه- الآية بوصفين جليلين فقال: والله غفور رحيم أى أنه- سبحانه- كثير الغفران والرحمة لمن تقرب إليه بالطاعة، واتبع رسوله فيما جاء به من عنده.

ثم كرر- سبحانه- الأمر لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يحض الناس على اتباع ما يسعدهم فقال له:

قل أطيعوا الله والرسول.

أى قل لهم يا محمد أطيعوا الله وأطيعوا رسوله في جميع الأوامر والنواهي، وإن من يدعى أنه مطيع الله دون أن يتبع رسوله فإنه يكون كاذبا في دعواه، ولذا لم يقل- سبحانه- أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، للإشعار بأن الطاعة واحدة وأن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى، كما قال سبحانه: من يطع الرسول فقد أطاع الله «٢» .

ثم ذكر- سبحانه- عاقبة العصاة المعاندين فقال: فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين أى: فإن أعرضوا عما تأمرهم به يا محمد ولم يستجيبوا لك واستمروا على كفرهم، فإنهم لا ينالون محبة الله، لأنهم كافرون.

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٥٨.

(٢) سورة النساء من الآية ٨٠". [1]

٥٨٠-"وظلمت الأرض إذا حفرتها ولم تكن موضعا للحفر.

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة أنواع:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله- تعالى- وأعظمه الكفر والشرك والنفاق وإياه قصد- سبحانه- بقوله: إن الشرك لظلم عظيم.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٢/٨٢

والثاني: ظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله: إنما السبيل على الذين يظلمون الناس.
والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله: فمنهم ظالم لنفسه «١» والظلم الذي نفى إرادته- سبحانه- عن ذاته عام لا يخص نوعا دون نوع، إذ من المعروف عند علماء اللغة أن النكرة في سياق النفي تعم، وهنا جاء لفظ الظلم منكرا في سياق النفي وهو ما.
قال الجمل واللام في قوله للعالمين زائدة لا تعلق لها بشيء زيدت في مفعول المصدر وهو «ظلم» والفاعلي محذوف. وهو في التقدير ضمير البارئ- سبحانه- والمعنى ما الله يريد أن يظلم العالمين، فزيدت اللام تقوية للعامل كقوله فعال لما يريد «٢» .
ثم بين- سبحانه- بعد ذلك أنه هو المالك لكل شيء وأنه هو وحده الذي إليه تصير الأمور فقال: ولله ما في السماوات وما في الأرض أى له- سبحانه- وحده ما فيهما من المخلوقات ملكا وخلقا وتدبيرا وتصرفا وإحياء وإماتة وإثابة وتعذيبا.
وإلى الله ترجع الأمور أى إلى حكمه وقضائه تعود أمور الناس وشئونهم فيجازى الذين أساؤوا بما عملوا ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى، لأنه- سبحانه- منه المبدأ وإليه المآب فيجازى كل إنسان على حسب اعتقاده وعمله بدون ظلم أو محاباة.
وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد حذرت الناس من أهوال يوم القيامة الذي تبيض فيه وجوه وتسود وجوه وبينت الأسباب التي أدت إلى فوز من فاز وإلى شقاء من شقي، ونوهت بشأن الآيات التي أنزلها الله- تعالى- على نبيه صلى الله عليه وسلم لتكون هداية للناس وصرحت بأن الله- تعالى- هو الخالق لكل شيء وإليه مرجع الأمور ومصيرها فيجازى كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب.
وبعد أن أمر الله- تعالى- المؤمنين بالدعوة إلى الخير ونهاهم عن التفرق والاختلاف المفضى إلى العذاب العظيم يوم القيامة، وبين لهم أن مصير الأمور إليه بعد كل ذلك ساق لهم ما يقوى إيمانهم ويثبت يقينهم، بأن بشرهم بحسن العقبى متى استقاموا على أمره، وأمروا بالمعروف

---

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣١٦. [.....]
(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٣٠٣.". [1]

٥٨١-"دخول الجنة لا يحصل لهم إذا لم يبذلوا مهجهم وأرواحهم في سبيل الله، فإذا ظنوا غير ذلك فقد أخطئوا.
والمعنى: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة، وتنالوا كرامة ربكم، وشرف المنازل عنده مع أنكم لم تجاهدوا في سبيل الله جهاد الصابرين على شدائده ومتاعبه ومطالبه، إن كنتم تحسبون هذا الحسبان فهو ظن باطل يجب عليكم الإقلاع عنه.
ويحتمل أن تكون أم هنا للمعادلة بمعنى أنها متصلة لا منقطعة «ويكون المعنى عليه:
أعلمتم أن الله- تعالى- سننا في النصر والهزيمة، وأن الأيام دول. وأن الوصول إلى السنة يحتاج إلى إيمان وجهاد وصبر، أم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٢/٢١١

حسبتم وظننتم أنكم تدخلون الجنة من غير مجاهدة واستشهاد؟.

وقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم معناه: ولم تجاهدوا جهاد الصابرين فيعلم الله ذلك منكم.

قال صاحب الكشاف: وقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم بمعنى ولما تجاهدوا. لأن العلم متعلق بالمعلوم، فنزل نفى العلم منزلة نفى متعلقه، لأنه منتف بانتفائه. يقول الرجل:

ما علم الله من فلان خيرا، يريد ما فيه خير حتى يعلمه، و «لما» بمعنى ولم إلا أن فيها ضربا من التوقع، فدل على نفى الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل. وتقول: وعدني أن يفعل كذا ولما يفعل، تريد: وأنا أتوقع فعله» «١» .

وجملة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حالية من ضمير تدخلوا مؤكدة للإنكار، فإن رجاء الأجر من غير علم مستبعد عند ذوى العقول السليمة، ولذا قال بعضهم:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقال بعض الحكماء «طلب الجنة من غير عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور. وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة» .

وقوله ويعلم الصابرين أى ويتميز الصابرون في جهادهم عن غيرهم فالآية الكريمة تشير إلى أن الشدائد من شأنها أن تميز المجاهدين الصادقين في جهادهم، الثابتين في البأساء والضراء من غيرهم، وأن تميز الصابرين الذين يتحملون مشاق القتال وتبعاته بقلب راسخ، ونفس مطمئنة من الذين يجاهدون ولكنهم تطيش أحلامهم عند الشدائد والأهوال.

فالجهاد في سبيل الله يستلزم الصبر، لأن الصبر هو عدة المجاهد وأساس نجاحه، ولقد سئل بعضهم عن الشجاعة فقال: الشجاعة صبر ساعة.

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٢٠.". [(١)]

٥٨٢-"الأعمش

وقال ابن عباس في رواية عطاء: قالت اليهود لقريش: سلوا محمدا عن ثلاث، فإن أخبركم باثنين وأمسك عن الثالثة فهو نبي: سلوه عن فتيه فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح.

فسألوه عنها، ففسر لهم أمر الفتية في ﴿ [الكهف وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، وذلك أنه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره إلا ذكر اسم الروح، وأنزل قوله:] ويسألونك عن الروح﴾ [سورة الإسراء: ٨٥] .

واختلف العلماء في ماهية الروح، فقال قوم: إن الروح هو الدم، ألا ترى أن من نزف دمه مات؟ والميت لا يفقد من جسمه إلا الدم.

وزعمت طائفة أن الروح هو استنشاق الهواء، ألا ترى أن المخنوق ومن منع من نسيم الهواء يموت.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٢٧٨/٢

وقال عامة المعتزلة، والنجارية: الروح عرض.

إلا ابن الراوندي، فإنه قال: الروح جسم لطيف أسكن البدن.

وقال بعض الحكماء: إن الله تعالى خلق الأرواح من ستة أشياء: من جوهر النور، والطيب، والبقاء، والحياة، والعلم، والعلو ألا ترى أنه ما دام في الجسم كان الجسد نورانيا، تبصر العينان، وتسمع الأذنان، ويكون طيبا، فإذا خرج أنتن الجسد ويكون باقيا، فإذا زايله الروح صار فانيا، ويكون حيا وبخروجه يصير ميتا، ويكون عالما فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا، ويكون الجسد علويا لطيفا ما دام فيه الروح، فإذا خرج صار سفليا كثيفا، والاختيار من هذه الأقوال أنه جسم لطيف توجد به الحياة، يدل على هذا قوله تعالى في صفة الشهداء: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴿١٦٩﴾ فرحين﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] والارتزاق والفرح من صفات الأجسام، والمراد بهذا أرواحهم، لأن أجسامهم بليت في التراب، وكذلك ما روي أن أرواح الشهداء تعلق من شجر الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، وهذا الفعل لا يتأتى من العرض.

٥٥٥ - أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الفضل، أنا عبد المؤمن بن خلف، أنا أبي بن خلف بن طفيل، أخبرني أبي طفيل بن زيد، نا أبو عمير، نا أبو عبد الله أحمد بن محمد الجعاب، نا نعيم بن عمرو، نا سليمان بن رافع البصري، عن أبي أمية، عن ابن عباس، قال: إن الروح إذا خرج من الإنسان؛ مات الجسد، وصار الروح صورة أخرى، فلا يطيق الكلام؛ لأن الجسد جرم، والروح يصوت من جوفه ويتكلم، فإذا فارق الروح الجسد؛ صار الجسد صفرا، وصار الروح صورة أخرى، ينظر إلى الناس، يبكونه، ويغسلونه ويدفنونه، ولا يستطيع أن يتكلم، كما أن الريح إذا دخل في مكان ضيق سمعت له دويا، فإذا خرج منه لم تسمع له صوتا، وكذلك المزامير، فأرواح المؤمنين ينظرون إلى الجنة ويجدون". (١)

٥٨٣-"قبل الهاء زائدة، فأصل الجلالة الكريمة: الإله، كقول الشاعر:

٢٦ - معاذ الإله أن تكون كظبية ... ولا دمية ولا عقيلة ربرب

ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال كما حذفت في ناس، والأصل أناس كقوله:

٢٧ - إن المنايا يطلع ... ن على الأناس الآمنينا

فالتقى حرف التعريف مع اللام فأدغم فيها وفخم. أو نقول: إن الهمزة من الإله حذفت للنقل، بمعنى أنا نقلنا حركتها إلى لام التعريف وحذفناها بعد نقل حركتها كما هو المعروف في النقل، ثم أدغم لام التعريف كما تقدم، إلا أن النقل هنا لازم لكثرة الاستعمال.

ومنهم من قال: هو مشتق من وله لكون كل مخلوق والها نحوه، وعلى ذلك **قال بعض الحكماء**: «الله محبوب للأشياء كلها، وعلى ذلك دل قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] ، فأصله: ولاه ثم أبدلت الواو همزة كما أبدلت في إشاح وإعاء، والأصل: وشاح ووعاء، فصار الفظ به: إلاها، ثم فعل به ما تقدم من حذف همزته والإدغام، ويعزى هذا القول للخليل، فعلى هذين القولين وزن إلاه: فعال، وهو بمعنى مفعول أي: معبود أو متحير فيه كالكتاب بمعنى

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي ١٢٥/٣

مكتوب.". (١)

٥٨٤-"وهو ﴿فسوف يعلمون﴾ أي: عاقبة أمرهم في الدارين. ولما ذكر سبحانه وتعالى أن قومه يسفهون عليه ولا سيما أولئك المقتسمون قال له تعالى:

﴿ولقد نعلم﴾ أي: نحقق وقوع علمنا ﴿أنك﴾ أي: على ما لم من الحلم وسعة البطان ﴿يضيق صدرك﴾ أي: يوجد ضيقه ويتجدد ﴿بما يقولون﴾ أي: من الاستهزاء والتكذيب بك وبالقرآن لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك فعند هذا قال تعالى:

﴿فسبح﴾ ملتبسا ﴿بحمد ربك﴾ أي: نزهه عن صفات النقص. وقال الضحاك: قل سبحان الله وبحمده. وقال ابن عباس: فصل بأمر ربك. ﴿وكن من الساجدين﴾ أي: من المصلين. روي أنه صلى الله عليه وسلم «كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة» . وقدمت معناه في سورة البقرة. تنبيه: اختلف الناس كيف صار الإقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فقال العارفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات يتنور باطنه ويشرق عليه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت إليها. **وقال بعض الحكماء**: إذا نزل بالإنسان بعض المكاره ففزع إلى الطاعات فكأنه يقول: يا رب يجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات فأنا عبدك بين يديك فافعل بي ما تشاء ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ قال ابن عباس: يريد الموت، وسمى الموت يقينا لأنه أمر متيقن وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾ (مريم، ٣١)

. وروى البغوي بسنده عن ابن جبير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أوحى الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلي أن ﴿سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ » . فإن قيل: أي: فائدة لهذا التوقيت مع أن كل أحد يعلم أنه إذا مات سقطت عنه العبادات؟ أجيب: بأن المراد منه واعبد ربك في جميع زمان حياتك فلا تخل لحظة من لحظات الدنيا بهذه العبادات. وعن عمر رضي الله عنه قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون» . وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم. حديث موضوع.

سورة النحل

مكية

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٦/١

إلا قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم﴾ إلى آخر السورة وحكى الأصم عن بعضهم أنها كلها مدنية وقال آخرون: من أولها إلى قوله: ﴿كن فيكون﴾ مدني وما سواه مكي. وعن قتادة بالعكس، وتسمى سورة النعم والمقصود من هذه السورة الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار منزه عن شوائب النقص وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحل، لما ذكر من شأنها في دقة الفهم في ترتيب". (١)

٥٨٥-"ما في النار بقوله تعالى: ﴿لهم فيها﴾ أي: النار ﴿دار الخلد﴾ أي: فإنها دار إقامة، قال الزمخشري: فإن قلت ما معنى قوله: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ قال: قلت: إن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب: ٢١)

أي: الرسول هو نفس الأسوة.

وقال البيضاوي: هو كقولك في هذه الدار دار سرور يعني بالدار عينها على أن المقصود هو الصفة قال ابن عادل: في هذا نظر إذ الظاهر وهو معنى صحيح منقول أن في النار دارا تسمى دار الخلد والنار محيطة بها وهذا أولى، وقوله تعالى: ﴿جزاء﴾ منصوب بالمصدر الذي قبله وهو ﴿جزاء أعداء الله﴾ والمصدر ينصب بمثله كقوله تعالى: ﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا﴾ (الإسراء: ٦٣)

﴿بما كانوا بآياتنا﴾ أي: على ما لنا من العظمة ﴿يجحدون﴾ أي: يلغون في القراءة وسماه جحدا لأنهم لما علموا أن القرآن بالغ إلى حد الإعجاز خافوا من أنه لو سمعه الناس لآمنوا فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة، وذلك يدل على أنهم علموا كونه معجزا وأنهم جحدوا حسدا.

ولما بين تعالى أن الذي حملهم على الكفر الموجب للعذاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين ما يقولون في النار بقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: غطوا أنوار عقولهم داعين بما لا يسمع لهم فهو زيادة في عقوبتهم وحكايته لها وعظ وتحذير ﴿ربنا﴾ أي: يا أيها الذي لم يقطع قط إحسانه عنا ﴿أرنا﴾ الصنفين ﴿اللذين أضلانا﴾ أي: عن المنهج الموصل إلى محل الرضوان ﴿من الجن والإنس﴾ لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي، قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن﴾ (الأنعام: ١١٢)

وقال تعالى: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾ (الناس: ٥ . ٦)

وقيل: هما إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه، لأن الكفر سنه إبليس، والقتل بغير حق سنه قابيل، فهما سنا المعصية، وقرأ ابن كثير والسوسي، وابن عامر وشعبة بسكون الراء من أرنا، واختلس الدوري كسر الراء، وكسرها الباقون، وشدد ابن كثير النون من اللذين ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ في النار إذلالا لهما كما جعلانا تحت أمرهما ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ قال مقاتل: أسفل منافي النار، وقال الزجاج: ليكونا في الدرك الأسفل من النار أي: من أهل الدرك الأسفل وممن هودوننا كما

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٢/٢١٤

جعلانا كذلك في الدنيا في حقيقة الحال باتباعنا لهما، **وقال بعض الحكماء**: المراد باللذين أضلانا: الشهوة والغضب، والمراد بجعلهما تحت أقدامهم: كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها وأن لا يكونا مستوليين عليها ظاهرين عليها.

ولما ذكر تعالى الوعيد أردفه بذكر الوعد كما هو الغالب فقال تعالى:
﴿إن الذين قالوا﴾ أي: قولا حقيقيا مذعنين به بالجنان وناطقين باللسان تصديقا لداعي الله تعالى في الدنيا ﴿ربنا﴾ أي: المحسن إلينا ﴿الله﴾ أي: المختص بالجلال والإكرام وحده لا شريك له، وثم في قوله تعالى: ﴿ثم استقاموا﴾ لتراخي الرتبة في الفضيلة فإن الثبات على التوحيد ومصححاته إلى الممات أمر في علو رتبته لا يرام إلا بتوفيق ذي الجلال والإكرام.
سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئا، وقال عمر رضي الله عنه، الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان رضي الله عنه: أخلصوا العمل لله، وقال علي رضي الله عنه: أدوا الفرائض، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: استقاموا على أمر الله تعالى بطاعته". [١]

٥٨٦-"المتعفف الذي لا يسأل الناس وقال زيد بن أسلم: المحروم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال: المحروم صاحب الجائحة ثم قرأ ﴿إنا لمغرومون بل نحن محرومون﴾ (الواقعة: ٦٦ . ٦٧)

﴿وفي الأرض﴾ أي من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيات﴾ أي دلالات على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿للموقنين﴾ أي الذين صار الإيقان لهم غريزة ثابتة فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها قال القشيري: من الآيات فيها أنها تحمل كل شيء، فكذلك العارف يحمل كل أحد ومن استثقل أحدا أو تبرم برؤية أحد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة، وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة، ومن الآيات فيها أنه يلقي عليها كل قذر وقمامة فتنبت كل زهر ونور فكذلك العارف بتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق حسن علي وشيمة زكية.
﴿وفي أنفسكم﴾ آيات أيضا من مبدإ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أفلا تبصرون﴾ أي: بأبصاركم وبصائركم فتتأملوا ما في ذلك من الآيات فمن تأملها علم أنه عبد، ومتى علم ذلك علم أن له ربا غير محتاج إلى أحد.
﴿وفي السماء﴾ أي: جهة العلو ﴿رزقكم﴾ بما يأتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتبه سبحانه وتعالى لمنافع العباد، وقال ابن عباس يعني بالرزق المطر لأنه سبب الأرزاق، وقيل: في السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير الأرزاق كلها من السماء ولولاه لما حصل في الأرض حبة قوت ﴿وما توعدون﴾ قال عطاء: من الثواب والعقاب وقال مجاهد: من الخير والشر وقال الضحاك: من الجنة والنار.
ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال عز من قائل:

---
(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٣/٥١٦

﴿فورب﴾ أي: مبدع ومدبر ﴿السماء والأرض﴾ أي: وما أودع فيهما مما علمتموه وما لم تعلموه ﴿إنه﴾ أي: الذي توعدونه من الخير والشر والجنة والنار وما ذكر من أمر الرزق وما تقدم الإقسام عليه ﴿لحق﴾ أي ثبات يطابقه الواقع ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي مثل نطقكم كما أنه لا شك في أنكم تنطقون ينبغي لكم أن لا تشكوا في تحقيق ذلك **وقال بعض الحكماء**: معناه أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن أن ينطق بلسان غيره، كذلك كل أحد يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره وأنشدوا في المعنى:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبدا وما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن في وقته ... وأخو الجهالة مكمد مغبون

وقيل: معناه إن القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة برفع اللام على أنه نعت لحق، وما مزيدة وأنكم مضاف إليه أي لحق مثل نطقكم ولا يضر تقدير إضافتها لمعرفة لأنها لا تتعرف بذلك لإبهامها، والباقون بالنصب على أنه نعت لحق أيضا كما في القراءة الأولى: وإنما بنى الاسم لإضافته إلى غير ممكن كما بناه القائل في قوله:

فتداعى منخراه بدم ... مثل ما أثمر حماض الجبل

يفتح مثل مع أنها نعت لدم وقيل أنها نعت لمصدر محذوف أي لحق حقا مثل نطقكم. وقوله". (١)

٥٨٧-"وسلم فقالوا: هل فيكم من راق؟ قالوا: لا حتى تجعلوا لنا شيئا، فجعلوا لهم قطيعا من الغنم، فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برئ، فأخذوه، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: وما يدريك أنها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم» . وأنكر جماعة النفث والتفل في الرقي، وأجازوا النفخ بلا ريق. وقال عكرمة: لا ينبغي للراقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد. وقيل: إن النفث في العقد إنما يكون مذموما إذا كان سحرا مضرا بالأرواح والأبدان، وإذا كان النفث لإصلاح الأرواح والأبدان فلا يضر، وليس بمذموم ولا مكروه بل هو مندوب إليه.

ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد، وهو تمني زوال نعمة المحسود للحاسد، أو غيره قال تعالى: ﴿ومن شر حاسد﴾ ، أي: ثابت الاتصاف بالحسد معروف فيه، وأعظم الحساد الشيطان الذي ليس له دأب إلا السعي في إزالة نعم العبادات عن الإنسان بالغفلات، ثم قيد ذلك بقوله تعالى: ﴿إذا حسد﴾ ، أي: إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمر فلا ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره.

وعن عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد، وفي إشعار الآية إدعاء بما يحسد عليه من نعم الدارين لأن

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٤/٩٨

خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا. فإن قيل: لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ أجيب: بأن النفاثات عرفت لأنه كل نفاثة شريرة، ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر.

ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «لا حسد إلا في اثنتين» الحديث. وقال أبو تمام: وما حاسد في المكرمات بحاسد. وقال آخر: إن العلا حسن في مثلها الحسد.

فائدة: قال بعض الحكماء: الحاسد بارز ربه من خمسة أوجه: أولها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. ثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول: لم قسمت هذه القسمة. ثالثها: إنه ضاد فعل الله تعالى إن فضل ببره من شاء، وهو يبخل بفضل الله تعالى. رابعها: أنه خذل أولياء الله تعالى، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم. خامسها: أنه أعان عدو الله إبليس، والحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة، ولا ينال في الدنيا إلا جزعا وغما، ولا ينال في الآخرة إلا حزنا واحتراقا، ولا ينال من الله تعالى إلا بعدا ومقتا.

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم آكل الحرام، ومكثر الغيبة، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين» . وقيل: المراد بالحاسد في الآية اليهود، فإنهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم فإن قيل: قوله تعالى: ﴿من شر ما خلق﴾ تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ أجيب: بأنه قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمرهم، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به، وقالوا: شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر وأخرج الإمام أحمد عن الزبير بن العوام أنه صلى الله عليه وسلم قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، ألا والبغضاء هي الحالقة» . فنسأل الله تعالى أن يحفظنا ومحبينا منه إنه كريم جواد.

وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما» . وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «وإنك إن تقرأ سورتين". (١)

٥٨٨-"(٢٩ - معاذ [الإله] أن تكون كظبية ... ولا دمية ولا عقيلة ربرب)

فالتقى حرف التعريف مع اللام، فأدغم فيها وفخم.

أو تقول: إن الهمزة من " الإله " حذفت للنقل بمعنى: أنا نقلنا حركتها إلى لام التعريف، وحذفناها بعد نقل حركتها، كما هو المعروف في النقل، ثم أدغم لام التعريف؛ لما تقدم، إلا أن النقل - هنا - لازم؛ لكثرة الاستعمال.

ومنهم من قال: هو مشتق من " وله "؛ لكون كل مخلوق واله نحوه، ولهذا قال بعض الحكماء: الله محبوب للأشياء كلها وعلى هذا دل قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] .

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٤/٦١٤

فأصله: " ولاه " ثم أبدلت الواو همزة، كما أبدلت في " إشاح، وإعاء " والأصل: " وشاح، ووعاء ".

فصار اللفظ به: " إلها " ثم فعل به ما تقدم من حذف همزته، والإدغام، ويعزى هذا القول للخليل - رحمه الله تعالى -.

فعلى هذين القولين وزن " إلاه ": " فعال " وهو بمعنى مفعول، أي: معبود أو متحير فيه؛ كالكتاب بمعنى مكتوب، ورد قول الخليل بوجهين:

أحدهما: أنه لو كانت الهمزة بدلا من واو، لجاز النطق بالأصل، ولم يقله أحد، ويقولون: " إشاح " و " وشاح "، و " إعاء " و " وعاء ".

والثاني: أنه لو كان كذلك لجمع على " أولهة " ك " أوعية "، و " أوشحة "، فترد الهمزة إلى أصلها، ولم يجمع " إله " إلا على آلهة ".

وللخليل أن ينفصل عن هذين الاعتراضين؛ بأن البدل لزم [في] هذا الاسم؛ لأنه". (١)

٥٨٩-"وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم؛ فهو منهم؛ لأنهم إنما تولدوا من ولد إسماعيل، وقيل: سموا عربا؛ لأن ألسنتهم معربة عما في ضمائرهم، وهذه الأقوال ليست بشيء من الأول، فلأن إسماعيل حين ولدته هاجر نزلت عندهم» جرهم «فربي بينهم، وكانوا عربا قبل إسماعيل، ولأن» يعرب «من ولد إسماعيل، وكان حميلا عربيا.

وأما الثاني لأن إسماعيل تعلم العربية في» جرهم «حين نزلوا عند هاجر بمكة.

والصحيح أن العرب العاربة قبل إسماعيل منهم: عاد وثمود، وطسم، وجديس، وجرهم، والعماليق، وآدم يقال: إنه كان ملكا، وأنه أول من سقف البيوت بالخشب المنشور، وكانت الفرس تسميه آدم الأصغر، وبنوه قبيلة يقال لها» وبار «هلكوا بالرما. انثال عليهم؛ فأهلكهم وطم منازلهم، وفي ذلك يقول بعض الشعراء: [الرجز]

٢٨٣٥ - وكر دهر على وبار ... فهلكت جهرة وبار

وأما الثالث، فكل لسان معرب عما في ضمير صاحبه، وإنما يظهر ما قاله النسابون، أن سام بن نوح أبو العرب، وفارس، والروم، فدل على أن العرب موجودون من زمن سام بن نوح.

قال بعضهم: والصحيح إن شاء الله تعالى - أن آدم نطق بالعربية، وغيرها من الألسنة، لقوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسمآء كلها﴾ [البقرة: ٣١] .

ولا شك أن اللسان العربي مختص بأنواع الفصاحة والجزالة، لا توجد في سائر الألسنة.

قال بعض الحكماء: حكمة الروم في أدمغتهم؛ لأنهم يقدرون على التركيبات العجيبة، وحكمة الهند في أوهامهم، وحكمة اليونان في أفئدتهم لكثرة ما لهم من المباحث العقلية، وحكمة العرب في ألسنتهم بحلاوة ألفاظهم، وعذوبة عباراتهم.

فصل

اعلم أن الله تعالى حكم على الأعراب بحكمين:

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٤٠/١

الأول: أنهم أشد كفرا ونفاقا، والسبب فيه وجوه:

أحدها: أن أهل البدو يشبهون الوحوش.

وثانيها: استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم، وذلك يزيد في التيه، والتكبر، والفخر، والطيش عليهم.". (١)

٥٩٠-"فصل

قال بعض الحكماء: الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه إنما حصلت بفعل الشيطان، وقيل: إنما حصلت بفعل الله تعالى. والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة وإلقاء الخواطر الفاسدة أما تقرير القول الأول فهو ما روي أن إبليس سأل فيه ربه فقال: هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني؟ فقال الله تعالى: نعم عبدي أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى إبليس عيانا ولا يلتفت إليه فقال: رب إنه قد امتنع علي فسلطني على ماله فكان يجيئه ويقول له: هلك من مالك كذا وكذا فيقول: الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله تعالى فقال: يا رب إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاءه وأخبره به فلم يلتفت إليه فقال: يا رب إنه لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد أيوب فحدث أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى استقدره أهل بلده فخرج إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان إلى امرأته، وقال: إن زوجك إن استغاث إلي خلصته من هذه البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدها مائة جلده وعند هذه الواقعة قال: ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ فأجاب الله دعاءه وأوحى إليه أن: «اركض برجلك» وأظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه، ورد عليه أهله وماله.

وأما القول الثاني أن الشيطان لا قدرة له البتة على إيقاع الناس في الأمراض والأسقام ويدل عليه وجوه:

الأول: أنا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل ما عندما من الخيرات والسعادات قد حصل بفعل الشيطان وحينئذ لاسبيل (لنا) إلى معرفة معطي الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى أم الشيطان.

الثاني: أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الأنبياء والأولياء، ولم (لا) يخرب دورهم ولم يقتل أولادهم.

الثالث: أن الله حكى عن الشيطان أنه قال: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ [إبراهيم: ٢٢] فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر، إلا إلقاء الوساو والخواطر الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بأن الشيطان هو الذي ألقاه في تلك الأمراض.". (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٨٠/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٤٢٨/١٦

٥٩١-"فصل
لما بين أن الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السو بين أن الكفار (عند الوقوع في العذاب الشديد) في النار يقولون: ﴿ربنآ أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس﴾ ومعناه أن الشيطان على نوعين جني وإنسي.
قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن﴾ [الأنعام: ١١٢] وقال: ﴿الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾ [الناس: ٥٦] وقيل: هما إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه؛ لأن الكفر سنة إبليس والقتل بغير حق سنة قابيل فهما سنة المعصية. ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ في النار ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ قال مقاتل: يكونون أسفل منا في النار. وقال الزجاج: ليكونا في الدرك الأسفل. **وقال بعض الحكماء**: المراد باللذين يضلان الشهو والغضب والمراد بجعلهما تحت أقدامهم كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها، وأن لا يكونا مستوليين عليها قاهرين لها.
قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ الآية. لما ذكر الوعيد أردفه بذكر الوعد كما هو الغالب. واعلم أن «ثم» لتراخي الرتبة في الفضيلة سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئا. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغات الثعلب. وقال عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل. وقال علي رضي الله عنه أدوا الفرائض. وقال ابن عباس رضي الله عنه استقاموا على أداء الفرائض. وقال الحسن (رضي الله عنه) استقاموا على أمر الله بطاعته واجتنبوا معصيته. وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله. وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال: «اللهم فارزقنا الاستقامة.
قوله: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ قال ابن عباس (رضي الله عنهما) عند الموت. وقال مقاتل وقتادة: إذا قاموا من قبورهم. وقال وكيع بن الجراح: البشرى". (١)

٥٩٢-"فإذا جعلت «مثل» معربة كانت «ما» مزيدة و «أنكم» في محل خفض بالإضافة كما تقدم. وإذا جعلتها مبنية إما للتركيب، وإما لإضافتها إلى غير متمكن جاز في «ما» هذه وجهان: الزيادة وأن تكون نكرة موصوفة، (كذا) قال أبو البقاء.
وفيه نظر، لعدم الوصف هنا، فإن قال: هو محذوف فالأصل عدمه، وأيضا فنصوا على أن هذه الصفة لا تحذف، لإبهام موصوفها. وأما «أنكم تنطقون» فيجوز أن يكون مجرورا بالإضافة إن كانت («ما») مزيدة، وإن كان نكرة كان في موضع نصب بإضمار أعني، أو رفع بإضمار مبتدأ.
فصل
المعنى: ﴿فورب السمآء والأرض إنه لحق﴾ أي ما ذكرت من أمر الرزق لحق كمثل ما أنكم تنطقون فتقولون: لا إله إلا الله. وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي كقولك: إنه لحق كما أنت ههنا وإنه لحق كما أنك تتكلم والمعنى أنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة. **قال بعض الحكماء**: كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق

---
(١) اللباب في علوم الكتاب ١٣٦/١٧

بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.
وقيل: معناه إن القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون.". (١)

٥٩٣-"قال ابن الخطيب: ويجوز أن يكون من السعة أي أوسعناها بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إلى سعتها داخل فيها والبناء الواسع الفضاء عجيب، فإن القبة الواسعة لا يقدر عليها البناؤون، لأنهم محتاجون إلى إقامة آلة يصح بها استدارتها، ويثبت بها تماسك أجزائها إلى أن يتصل بعضها ببعض. فقوله: «وإنا لموسعون» بيان للإعراب (في الفعل) .

فصل

والحكمة في كثرة ذكر البناء في السموات كقوله تعالى: ﴿والسمآء وما بناها﴾ [الشمس: ٥] ، وقوله: ﴿أم السمآء بناها﴾ [النازعات: ٢٧] أن بناء السماء باق إلى قيام الساعة، لم يسقط منها شيء، ولم يعدم منها جزء. وأما الأرض فهي في التبدل والتغير كالفراش الذي يبسط ويطوى وينقل، والسماء كالبناء المبني الثابت كما أشار إليه بقوله: ﴿سبعا شدادا﴾ [النبأ: ١٢] وأما الأرض فكم صارت بحرا، وعادت أرضا من وقت حدوثها، وأيضا فالسماء ترى كالقبة المبنية فوق الرؤوس، والأرض مبسوطة مدحوة، وذكر البناء بالمرفوع أليق كقوله تعالى: ﴿رفع سمكها﴾ [النازعات: ٢٨] .

وقال بعض الحكماء: السماء مسكن الأرواح، والأرض موضع الأعمال والمسكن أليق بكونه بناء. والله أعلم.

فإن قيل: ما الحكمة في تقديم المفعول على الفعل ولو قال: وبنينا السماء بأيد كان أوجز؟! .

فالجواب: قال ابن الخطيب: لأن الصنع قبل الصانع عند الناظر في المعرفة، فلما كان المقصود إثبات العلم بالصانع قدم الدليل وقال: والسماء المبنية التي لا تشكون في بنيانها، فاعرفوا بها إن كنتم لا تعرفوننا.

فإن قيل: إذا كان إثبات التوحيد فكيف قال: بنيناها، ولم يقل: بنيتها؟ ولا بناها الله؟!

فالجواب: أن قوله: بنيناها أدل على عدم الشريك، لأن الشركة ضعيفة؛ فإن الشريك يمنع شريكه عن التصرف والاستبداد، وقوله: «بنيناها» يدل على العظمة، وبين العظمة والضعف تنافر فبين قوله: «بنيناها» وبين أن يكون شريك منافاة. وتقريره أن قوله تعالى: ﴿بنيناها﴾ لا يورث إيهاما بأن الآلهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع إليها". (٢)

٥٩٤-"فصل في أن الله خلق الخير والشر

هذه السورة دالة على أن الله خلق كل شر، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ من جميع الشرور، فقال - عز وجل -: ﴿من شر ما خلق﴾ وذلك خاتمة ذلك الحسد تنبيها على عظمته، وكثرة ضرره، والحاسد عدو نعمة الله تعالى.

قال بعض الحكماء: الحاسد بارز ربه من خمسة أوجه:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٨٠/١٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٠١/١٨

أحدها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.

وثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت إلي هذه القسمة.

وثالثها: أنه ضاد الله، أي: أن فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله.

ورابعها: أنه خذل أولياء الله، أو يريد خذلانهم، وزوال النعمة عنهم.

وخامسها: أنه أعان عدوه إبليس.

وقيل: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال في الخلوة إلا جزعا، وغما، ولا ينال في الآخرة إلا حزنا، واحتراقا، ولا ينال من الله إلا بعدا ومقتا.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم: آكل الحرام، ومكثر الغيبة، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين» .

روى [الثعلبي عن أبي]- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها» وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون» ؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ «والله أعلم.". (١)

٥٩٥-"كالجمادات والحيوانات وإما بالتسخير والإرادة معا كبعض الناس ومن هذا الوجه **قال بعض الحكماء**: الله محبوب الأشياء كلها وعلهى دل قوله تعالى: وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل أصله من لاه يلوه لياها أي احتجب قالوا وذلك إشارة إلى ما قال تعالى: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار والمشار إليه بالباطن فى قوله تعالى: والظاهر والباطن وإله حقه أن لا يجمع إذ لا معبود سواه لكن العرب لاعتقادهم أن هاهنا معبودات جمعوه فقالوا الآلهة قال تعالى: أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا وقال: ويذرك وآلهتك وقرىء وإلا هتك أي عبادتك. ولاه أنت أي لله وحذف إحدى اللامين. اللهم قيل معناه يا الله فأبدل من الياء فى أوله الميمان فى آخره وخص بدعاء الله، وقيل تقديره يا الله أمنا بخير، مركب تركيب حيهلا.

(إلى) : إلى حرف يحد به النهاية من الجوانب الست، وألوت فى الأمر قصرت فيه، هو منه كأنه رأى فيه الانتهاء وألوت فلانا أي أوليته تقصيرا نحو كسبته أي أوليته كسبا، وما ألوته جهدا أي ما أوليته تقصيرا بحسب الجهد فقولك جهدا تمييز، وكذلك ما ألوته نصحا وقوله تعالى: لا يألونكم خبالا منه.

أي لا يقصرون فى جلب الخبال وقال تعالى: ولا يأتل أولوا الفضل منكم قيل هو يفتعل من ألوت وقيل هو من آليت حلفت وقيل نزل ذلك فى أبى بكر وكان قد حلف على مسطح أن يزوى عنه فضله ورد هذا بعضهم بأن افتعل قلما يبنى من أفعل إنما يبنى من فعل وذلك مثل كسبت واكتسبت وصنعت واصطنعت ورأيت وارتأيت. وروى لا دريت ولا ائتليت وذلك افتعلت من قولك ما ألوته شيئا كأنه قيل ولا استطعت وحقيقة الإيلاء والألية الحلف المقتضى لتقصير فى الأمر

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢٠/٥٧٥

الذي يحلف عليه وجعل الإيلاء فى الشرع للحلف المانع من جماع المرأة وكيفيته وأحكامه مختصة يكتب الفقه فاذكروا آلاء الله أي نعمه، الواحد ألا وإلى نحو أنا وإنى لواحد الآناء. وقال بعضهم فى قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة إن معناه إلى نعمة ربها منتظرة وفى هذا تعسف من حيث البلاغة، وألا للاستفتاح، وإلا للاستثناء، وأولاء في قوله تعالى: ها أنتم أولاء تحبونهم وقوله أولئك اسم مبهم موضوع للإشارة إلى جمع المذكر والمؤنث ولا واحد له من لفظه، وقد يقصر نحو قول الأعشى:". (١)

٥٩٦-"الفطرة تقضى فى كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى موجود كما قال: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ولذلك قال بعض الحكماء: مثل طالب معرفته مثل من طوف فى الآفاق فى طلب ما هو معه. والباطن إشارة إلى معرفته الحقيقية وهى التي أشار إليها أبو بكر رضى الله عنه بقوله: يا من غاية معرفته القصور عن معرفته، وقيل ظاهر بآياته باطن بذاته، وقيل ظاهر بأنه محيط بالأشياء مدرك لها باطن من أن يحاط به كما قال عز وجل: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار

وقد روى عن أمير المؤمنين رضى الله عنه ما دل على تفسير اللفظتين حيث قال: تجلى لعباده من غير أن رأوه، وأراهم نفسه من غير أن تجلى لهم ومعرفة ذلك تحتاج إلى فهم ثاقب وعقل وافر

وقوله تعالى: وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل الظاهرة بالنبوة والباطنة بالعقل، وقيل الظاهرة المحسوسات والباطنة المعقولات، وقيل الظهرة النصرة على الأعداء بالناس، والباطنة النصرة بالملائكة، وكل ذلك يدخل فى عموم الآية.

(بطؤ) : البطء تأخر الانبعاث فى السير يقال بطؤ وتباطأ واستبطأ وأبطأ فبطؤ إذا تخصص بالبطء وتباطأ تحرى وتكلف ذلك واستبطأ طلبه وأبطأ صار ذا بطء ويقال بطأه وأبطأه وقوله تعالى: وإن منكم لمن ليبطئن أي يثبط غيره وقيل يكثر هو التثبط فى نفسه، والمقصد من ذلك أن منكم من يتأخر ويؤخر غيره.

(بظر) : قرىء فى بعض القراءات: (والله أخرجكم من بظور أمهاتكم) وذلك جمع البظارة وهى اللحمة المتدلية من ضرع الشاة والهنة الناتئة من الشفة العليا فعبر بها عن الهن كما عبر عنه بالبضع.

(بعث) : أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه يقال بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به فبعثت البعير أثرته وسيرته، وقوله عز وجل:

والموتى يبعثهم الله أي يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة يوم يبعثهم الله جميعا- زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن- ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة فالبعث ضربان: بشرى كبعث البعير وبعث الإنسان فى حاجة، وإلهى وذلك ضربان: أحدهما إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس وذلك يختص به الباري تعالى ولم يقدر عليه أحدا. والثاني

---

(١) الموسوعة القرآنية ٢٣/٨

إحياء". (١)

٥٩٧-"من دبر وألفيا سيدها لدى الباب

وقال تعالى: لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ومنه يقال فى العلم باب كذا وهذا العلم باب إلى علم كذا أي به يتوصل إليه

وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»

أي به يتوصل قال الشاعر:

أتيت المروءة من بابها

قال تعالى: فتحنا عليهم أبواب كل شيء وقال عز وجل: باب باطنه فيه الرحمة وقد يقال أبواب الجنة وأبواب جهنم للأشياء التي بها يتوصل إليهما، قال تعالى: فادخلوا أبواب جهنم وقال تعالى: حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم وربما قيل هذا من باب كذا أي مما يصلح له وجمعه بابات وقال الخليل بابة فى الحدود وبوبت بابا، أي عملت وأبواب مبوبة. والبواب حافظ البيت وتبوبت بابا اتخذته، أصل باب بوب.

(بيت) : أصل البيت مأوى الإنسان بالليل لأنه يقال بات أقام بالليل كما يقال ظل بالنهار ثم قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه وجمعه أبيات وبيوت لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر قال عز وجل: فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقال تعالى: واجعلوا بيوتكم قبلة- لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر وصوف ووبر وبه شبه بيت الشعر وعبر عن مكان الشيء بأنه بيته وصار أهل البيت متعارفا فى آل النبي صلى الله عليه وسلم ونبه النبي

بقوله: «سلمان منا أهل البيت»

أن مولى القوم يصح نسبته إليهم، كما

قال: «مولى القوم منهم وابنه من أنفسهم» .

وبيت الله والبيت العتيق مكة قال الله عز وجل: وليطوفوا بالبيت العتيق- إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة- وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت يعنى بيت الله وقوله عز وجل: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى إنما نزل فى قوم كانوا يتحاشون أن يستقبلوا بيوتهم بعد إحرامهم فنبه تعالى أن ذلك مناف للبر، وقوله عز وجل: والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام معناه بكل نوع من المسار، وقوله تعالى: في بيوت أذن الله أن ترفع قيل بيوت النبي نحو: لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم وقيل أشير بقوله في بيوت إلى أهل بيته وقومه، وقيل أشير به إلى القلب. **وقال**

(١) الموسوعة القرآنية ٥٩/٨

بعض الحكماء". (١)

٥٩٨-"نفسه للهلكة إذا عمل عملا يكون علامة للهلاك أو يكون فيه شرط الهلاك.

(شرع) : الشرع نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقا والشرع مصدر ثم جعل اسما للطريق النهج فقيل له شرع وشرع وشريعة واستعير ذلك للطريقة الإلهية، قال: شرعة ومنهاجا فذلك إشارة إلى أمرين:

أحدهما: ما سخر الله تعالى عليه كل إنسان من طريق يتحراه مما يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد، وذلك المشار إليه بقوله: ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا.

الثاني: ما قيض له من الدين وأمره به ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ ودل عليه قوله: ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها قال ابن عباس: الشرعة ما ورد به القرآن، والمنهاج ما ورد به السنة، وقوله: شرع لكم من الدين فإشارة إلى الأصول التي تتساوى فيها الملل فلا يصح عليها النسخ كمعرفة الله تعالى ونحو ذلك من نحو ما دل عليه قوله: ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قال بعضهم: سميت الشريعة شريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روى وتطهر، قال وأعنى بالري ما قال بعض الحكماء: كنت أشرب فلا أروى فلما عرفت الله تعالى رويت بلا شرب وبالتطهر ما قال تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقوله تعالى: إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا جمع شارع. وشارعة الطريق جمعها شوارع، وأشرعت الرمح قبله وقيل شرعته فهو مشروع وشرعت السفينة جعلت لها شراعا ينقذها وهم فى هذا الأمر شرع أي سواء أي يشرعون فيه شروعا واحدا. وشرعك من رجل زيد كقولك حسبك أي هو الذي تشرع فى أمره، أو تشرع به فى أمرك، والشرع خص بما يشرع من الأوتار على العود.

(شرق) : شرقت الشمس شروقا طلعت وقيل لا أفعل ذلك ما ذر شارق وأشرقت أضاءت، قال: بالعشي والإشراق أي وقت الإشراق والمشرق والمغرب إذا قيلا بالإفراد فإشارة إلى ناحيتى الشرق والغرب وإذا قيلا بلفظ التثنية فإشارة إلى مطلعى ومغربى الشتاء والصيف، وإذا قيلا بلفظ الجمع فاعتبار بمطلع كل يوم ومغربه أو بمطلع كل فصل ومغربه، قال: رب المشرق والمغرب-". (٢)

٥٩٩-"من جانب الاجتماع أخذت فى وهمك اثنين اجتمعا فلذلك قيل شعبت إذا جمعت وشعبت إذا فرقت، وشعيب تصغير شعب الذي هو مصدر أو الذي هو اسم أو تصغير شعب، والشعيب المزادة الخلق التي قد أصلحت وجمعت. وقوله: إلى ظل ذي ثلاث شعب يختص بما بعد هذا الكتاب.

(شعر) : الشعر معروف وجمعه أشعار، قال: ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وشعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت

---

(١) الموسوعة القرآنية ٧٣/٨

(٢) الموسوعة القرآنية ٢٩١/٨

كذا أي علمت علما فى الدقة كإصابة الشعر، وسمى الشاعر شاعرا لفطنته ودقة معرفته، فالشعر فى الأصل اسم للعلم الدقيق فى قولهم ليت شعرى وصار فى المتعارف اسما للموزون المقفى من الكلام، والشاعر للمختص بصناعته، وقوله تعالى حكاية عن الكفار: بل افتراه بل هو شاعر وقوله: لشاعر مجنون- شاعر نتربص به وكثير من المفسرين حملوه على أنهم رموه بكونه آتيا بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا ما جاء فى القرآن من كل لفظ يشبه الموزون من نحو: وجفان كالجواب وقدور راسيات وقوله: تبت يدا أبي لهب. وقال بعض المحصلين: لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك أنه ظاهر من الكلام أنه ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الأغتام من العجم فضلا عن بلغاء العرب، وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سمى قوم الأدلة الكاذبة الشعرية، ولهذا قال تعالى فى وصف عامة الشعراء: والشعراء يتبعهم الغاوون إلى آخر السورة، ولكون الشعر مقر الكذب قيل أحسن الشعر أكذبه. **وقال بعض الحكماء**: لم ير متدين صادق اللهجة مغلقا فى شعره. والمشاعر الحواس وقوله: وأنتم لا تشعرون ونحو ذلك معناه: لا تدركونه بالحواس ولو قال فى كثير مما جاء فيه (لا يشعرون) : (لا يعقلون) لم يكن يجوز إذ كان كثير مما لا يكون محسوسا قد يكون معقولا. ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس والواحد مشعر ويقال شعائر الحج الواحد شعيرة ذلك ومن يعظم شعائر الله قال: عند المشعر الحرام- لا تحلوا شعائر الله أي ما يهدى إلى بيت الله، وسمى بذلك لأنها تشعر أي تعلم بأن تدمى بشعيرة أي حديدة يشعر بها. والشعار الثوب الذي يلى الجسد للماسته الشعر، والشعار أيضا ما يشعر به الإنسان نفسه فى الحرب أي يعلم. وأشعره الحب نحو ألبسه والأشعر الطويل الشعر وما استدار بالحافر من الشعر وداهية شعراء كقولهم داهية". (١)

٦٠٠-"وقوله: وما شهدنا إلا بما علمنا أي ما أخبرنا وقال تعالى: شاهدين على أنفسهم بالكفر أي مقرين لم شهدتم علينا وقوله: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم فشهادة الله تعالى بوحدانيته هى إيجاد ما يدل على وحدانيته فى العالم، وفى نفوسنا كما قال الشاعر:

ففى كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

قال بعض الحكماء إن الله تعالى لما شهد لنفسه كان شهادته أن أنطق كل شيء كما نطق بالشهادة له، وشهادة الملائكة بذلك هو إظهارهم أفعالا يؤمرون بها وهى المدلول عليها بقوله: فالمدبرات أمرا وشهادة أولى العلم اطلاعهم على تلك الحكم وإقرارهم بذلك وهذه الشهادة تختص بأهل العلم فأما الجهال فمبعدون منها ولذلك قال فى الكفار: ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وعلى هذا نبه بقوله: إنما يخشى الله من عباده العلماء وهؤلاء هم المعنيون بقوله: والصديقين والشهداء والصالحين وأما الشهيد فقد يقال للشاهد والمشاهد للشيء وقوله: سائق وشهيد أي من شهد له وعليه وكذا قوله: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله: أو ألقى السمع وهو شهيد أي يشهدون ما يسمعونه بقلوبهم على ضد من قيل فيهم: أولئك ينادون من مكان بعيد وقوله: أقم الصلاة إلى قوله مشهودا

---

(١) الموسوعة القرآنية ٨/٢٩٥

أي يشهد صاحبه الشفاء والرحمة والتوفيق والسكينات والأرواح المذكورة فى قوله: وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقوله: وادعوا شهداءكم فقد فسر بكل ما يقتضيه معنى الشهادة، قال ابن عباس: معناه أعوانكم، وقال مجاهد: الذين يشهدون لكم، وقال بعضهم الذين يعتد بحضورهم ولم يكونوا كمن قيل فيهم شعر:

مخلفون ويقضى الله أمرهمو ... وهم بغيب وفى عمياء ما شعروا

وقد حمل على هذه الوجوه قوله: ونزعنا من كل أمة شهيدا وقوله: وإنه على ذلك لشهيد- أنه على كل شيء شهيد- وكفى بالله شهيدا فإشارة إلى قوله: لا يخفى على الله منهم شيء وقوله: يعلم السر وأخفى ونحو ذلك مما نبه على هذا النحو، والشهيد هو المحتضر فتسميته بذلك لحضور الملائكة إياه إشارة إلى ما قال: تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا الآية قال:". (١)

٦٠١-"للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف، والتصحيف قراءة المصحف وروايته على غير ما هو لاشتباه حروفه، والصحفة مثل قصعة عريضة.

(صخ) : الصاخة شدة صوت ذى المنطق، يقال صخ يصخ صخا فهو صاخ، قال: فإذا جاءت الصاخة وهى عبارة عن القيامة حسب المشار إليه بقوله: يوم ينفخ في الصور وقد قلب عنه أصاخ يصيخ.

(صخر) : الصخر الحجر الصلب، قال: فتكن في صخرة وقال: وثمود الذين جابوا الصخر بالواد.

(صدد) : الصدود والصد قد يكون انصرافا عن الشيء وامتناعا نحو:

يصدون عنك صدودا وقد يكون صرفا ومنعا نحو: وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل- الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله- ويصدون عن سبيل الله- قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله- ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك إلى غير ذلك من الآيات. وقيل صد يصد صدودا وصد يصد صدا، والصد من الجبل ما يحول، والصديد ما حال بين اللحم والجلد من القيح وضرب مثلا لمطعم أهل النار، قال: ويسقى من ماء صديد.

(صدر) : الصدر الجارحه، قال: رب اشرح لي صدري وجمعه صدور، قال: وحصل ما في الصدور- ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ثم استعير لمقدم الشيء كصدر القناة وصدر المجلس والكتاب والكلام، وصدره أصاب صدره أو قصد قصده نحو ظهره وكتفه ومنه قيل رجل مصدور يشكو صدره، وإذا عدى صدر بعن اقتضى الانصراف تقول صدرت الإبل عن الماء صدرا، وقيل الصدر، قال: يومئذ يصدر الناس أشتاتا والمصدر فى الحقيقة صدر عن الماء ولموضع المصدر ولزمانه، وقد يقال فى تعارف النحويين للفظ الذي روعى فيه صدور الفعل الماضي والمستقبل عنه.

والصدار ثوب يغطى به الصدر على بناء دثار ولباس ويقال له: الصدرة، ويقال ذلك لسمة على صدر البعير. وصدر

---

(١) الموسوعة القرآنية ٣٠٣/٨

الفرس جاء سابقا بصدره، **قال بعض الحكماء**: حيثما ذكر الله تعالى القلب، فإشارة إلى العقل والعلم نحو: إن في". [(١)]

٦٠٢-"صنيع أحسن القيام عليه، وعبر عن الأمكنة الشريفة بالمصانع، قال:

وتتخذون مصانع وكنى بالرشوة عن المصانعة والاصطناع المبالغة فى إصلاح الشيء وقوله: واصطنعتك لنفسي- ولتصنع على عيني إشارة إلى نحو ما **قال بعض الحكماء**: «إن الله تعالى إذا أحب عبدا تفقده كما يتفقد الصديق صديقه» .

(صنم) : الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين به إلى الله تعالى، وجمعه أصنام قال تعالى: أتتخذ أصناما آلهة- لأكيدن أصنامكم **قال بعض الحكماء**: كل ما عبد من دون الله بل كل ما يشغل عن الله تعالى يقال له صنم، وعلى هذا الوجه قال إبراهيم صلوات الله عليه اجنبني وبني أن نعبد الأصنام فمعلوم أن إبراهيم مع تحققه بمعرفة الله تعالى واطلاعه على حكمته لم يكن ممن يخاف أن يعود إلى عبادة تلك الجثث التي كانوا يعبدونها فكأنه قال اجنبنى عن الاشتغال بما يصرفنى عنك.

(صنو) : الصنو الغصن الخارج عن أصل الشجرة، يقال هما صنوا نخلة وفلان صنو أبيه، والتثنية صنوان وجمعه صنوان قال: صنوان وغير صنوان.

(صهر) : الصهر الختن وأهل بيت المرأة يقال لهم الأصهار كذا قال الخليل. قال ابن الأعرابى: الاصهار التحرم بجوار أو نسب أو تزوج، يقال رجل مصهر إذا كان له تحرم من ذلك قال: فجعله نسبا وصهرا والصهر إذابة الشحم قال: يصهر به ما في بطونهم والصهارة ما ذاب منه وقال أعرابى:

لأصهرنك بيميني مرة، أي لأذيبنك.

(صوب) : الصواب: يقال على وجهين، أحدهما. باعتبار الشيء فى نفسه فيقال هذا صواب إذا كان فى نفسه محمودا ومرضيا بحسب مقتضى العقل والشرع نحو قولك: تحرى العدل صواب والكرم صواب. والثاني: يقال باعتبار القاصد إذا أدرك المقصود بحسب ما يقصده فيقال أصاب كذا أي وجد ما طلب كقولك أصابه السهم وذلك على أضرب الأول: أن يقصد ما يحسن قصده فيفعلة وذلك هو الصواب التام المحمود به الإنسان. والثاني أن يقصد ما يحسن فعله فيتأتى منه غيره لتقديره بعد اجتهاده أنه صواب وذلك هو المراد

بقوله عليه". [(٢)]

٦٠٣-"قال: وخذ بيدك ضغثا وبه شبه الأحلام المختلطة التي لا يتبين حقائقها.

قالوا أضغاث أحلام حزم أخلاط من الأحلام.

(ضغن) : الضغن والضغن الحقد الشديد، وجمعه أضغان، قال:

---

(١) الموسوعة القرآنية ٨/٣١١

(٢) الموسوعة القرآنية ٨/٣٢٤

أن لن يخرج الله أضغانهم وبه شبه الناقة فقالوا ذات ضغن، وقناة ضغنة عوجاء والاضغان الاشتمال بالثوب وبالسلاح ونحوهما.

(ضل) : الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية، قال تعالى: فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا، فإن الطريق المستقيم الذي هو المرتضى صعب جدا،

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «استقيموا ولن تحصلوا»

وقال بعض الحكماء: كوننا مصيبين من وجه وكوننا ضالين من وجوه كثيرة، فإن الاستقامة والصواب يجرى مجرى المقرطس من المرمى وما عداه من الجوانب كلها ضلال. ولما قلنا روى عن بعض الصالحين أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه فقال: يا رسول الله يروى لنا إنك قلت: «شيبتنى سورة هود وأخواتها فما الذي شيبك منها؟ فقال: قوله: فاستقم كما أمرت» وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمدا كان أو سهوا، قليلا كان أو كثيرا، صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال فى النبي صلى الله عليه وسلم:

ووجدك ضالا فهدى أي غير مهتد لما سيق إليك من النبوة. وقال فى يعقوب: إنك لفي ضلالك القديم وقال أولاده: إن أبانا لفي ضلال مبين إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه وكذلك: قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين وقال عن موسى عليه السلام: وأنا من الضالين تنبيه أن ذلك منه سهو، وقوله: أن تضل إحداهما أي تنسى وذلك من النسيان الموضوع عن الإنسان. والضلال من وجه آخر ضربان: ضلال فى العلوم النظرية كالضلال فى معرفة الله ووحدانيته ومعرفة النبوة ونحوهما المشار إليهما بقوله: ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا وضلال فى العلوم العملية كمعرفة الأحكام الشرعية التي هى العبادات، والضلال البعيد إشارة إلى ما هو كفر كقوله على ما تقدم من قوله: ومن يكفر بالله وقوله: إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا". (١)

٦٠٤-"يقال لها المظلومة والتراب الذي يخرج منها ظليم والظلم يقال فى مجاوزة الحق الذي يجرى مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز ولهذا يستعمل فى الذنب الكبير وفى الذنب الصغير ولذلك قيل لآدم فى تعديه ظالم وفى إبليس ظالم وإن كان بين الظلمين بون بعيد. **قال بعض الحكماء**: الظلم ثلاثة:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال: إن الشرك لظلم عظيم وإياه قصد بقوله: ألا لعنة الله على الظالمين- والظالمين أعد لهم عذابا أليما فى أي كثيرة. وقال:

فمن أظلم ممن كذب على الله- ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا.

والثاني: ظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله: وجزاء سيئة سيئة إلى قوله: إنه لا يحب الظالمين وبقوله: إنما السبيل على

---

(١) الموسوعة القرآنية ٣٣٥/٨

الذين يظلمون الناس وبقوله: ومن قتل مظلوما.

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله: فمنهم ظالم لنفسه وقوله: لمت نفسي

- إذ ظلموا أنفسهم- فتكونا من الظالمين أي من الظالمين أنفسهم: ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه، فإذا الظالم أبدا مبتدىء في الظلم ولهذا قال تعالى في غير موضع: ما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

- وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقوله:

ولم يلبسوا إيمانهم بظلم فقد قيل هو الشرك بدلالة أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي عليه السلام وقال لهم ألم تروا إلى قوله: إن الشرك لظلم عظيم وقوله: ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص وقوله:

ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا فإنه يتناول الأنواع الثلاثة من الظلم، فما أحد كان منه ظلم ما في الدنيا إلا ولو حصل له ما في الأرض ومثله معه لكان يفتدى به، وقوله: هم أظلم وأطغى تنبيها أن الظلم لا يغني ولا يجدى ولا يخلص بل يردى بدلالة قوم نوح. وقوله: وما الله يريد ظلما للعباد وفي موضع وما أنا بظلام للعبيد وتخصيص أحدهما بالإرادة مع لفظ العباد والآخر بلفظ الظلام للعبيد يختص بما بعد هذا الكتاب. والظليم ذكر النعام، وقيل إنما سمى بذلك لاعتقادهم أنه مظلوم للمعنى الذي أشار إليه الشاعر:

فصرت كالهيق عدا يبتغى ... قرنا فلم يرجع بأذنين". (١)

٦٠٥-"الشيء ولهذا قال بعض الحكماء: العجب مالا يعرف سببه ولهذا قيل لا يصح على الله التعجب إذ هو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية. يقال عجبت عجبا، ويقال للشيء الذي يتعجب منه عجب، ولما لم يعهد مثله عجيب، قال: أكان للناس عجبا أن أوحينا تنبيها أنهم قد عهدوا مثل ذلك قبله، وقوله: بل عجبوا أن جاءهم- وإن تعجب فعجب قولهم- كانوا من آياتنا عجبا أي ليس ذلك في نهاية العجب بل في أمورنا ما هو أعظم وأعجب منه قرآنا عجبا أي لم يعهد مثله ولم يعرف سببه ويستعار مرة للموفق فيقال: أعجبنى كذا أي راقنى، قال: ومن الناس من يعجبك قوله- ولا تعجبك أموالهم- ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم- أعجب الكفار نباته وقال: بل عجبت ويسخرون أي عجبت من إنكارهم للبعث لشدة تحقق معرفته ويسخرون لجهلهم، وقيل عجبت من إنكارهم الوحى وقرأ بعضهم بل عجبت بضم التاء وليس ذلك إضافة المتعجب إلى نفسه في الحقيقة بل معناه أنه مما يقال عنده عجبت، أو يكون عجبت مستعارا بمعنى أنكرت نحو أتعجبين من أمر الله- إن هذا لشيء عجاب، ويقال لمن يروقه نفسه فلان معجب بنفسه، والعجب من كل دابة، ما ضمر وركه.

(عجز) : عجز الإنسان مؤخره. وبه شبه مؤخر غيره، قال: كأنهم أعجاز نخل منقعر والعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره كما ذكر في الدبر، وصار في المتعارف اسما للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة،

---

(١) الموسوعة القرآنية ٣٥٥/٨

قال: أعجزت أن أكون وأعجزت فلانا وعجزته وعاجزته جعلته عاجزا قال: واعلموا أنكم غير معجزي الله- وما أنتم بمعجزين في الأرض- والذين سعوا في آياتنا معاجزين وقرىء معجزين، فمعاجزين قيل معناه ظانين.

ومقدرين أنهم يعجزوننا لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب، وهذا فى المعنى كقوله: أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ومعجزين ينسبون إلى العجز من تبع النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك نحو جهلته وفسقته أي نسبته إلى ذلك، وقيل معناه مثبطين أي يثبطون الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله:

الذين يصدون عن سبيل الله والعجوز سميت لعجزها فى كثير من الأمور قال: إلا عجوزا في الغابرين وقال: أألد وأنا عجوز.

(عجف) : قال: سبع عجاف جمع أعجف وعجفاء أي الدقيق من الهزال من قولهم نصل أعجف دقيق، وأعجف الرجل صارت مواشيه عجافا، وعجفت نفسى عن الطعام وعن فلان أي نبت عنهما.". (١)

٦٠٦-"موشى. وقال بعضهم: المسيح هو الذي مسحت إحدى عينيه، وقد روى إن الدجال ممسوح اليمنى وعيسى ممسوح اليسرى. قال: ويعنى بأن الدجال قد مسحت عنه القوة المحمودة من العلم والعقل والحلم والأخلاق الجميلة، وأن عيسى مسحت عنه القوة الذميمة من الجهل والشره والحرص وسائر الأخلاق الذميمة. وكنى عن الجماع بالمسح كما كنى عنه بالمس واللمس، وسمى العرق القليل مسيحا، والمسح البلاس جمعه مسوح وأمساح، والتمساح معروف، وبه شبه المارد من الإنسان.

(مسخ) : المسخ تشويه الخلق والخلق وتحويلهما من صورة إلى صورة.

قال بعض الحكماء: المسخ ضربان: مسخ خاص يحصل فى العينة وهو مسخ الخلق، ومسخ قد يحصل فى كل زمان وهو مسخ الخلق، وذلك أن يصير الإنسان متخلفا بخلق ذميم من أخلاق بعض الحيوانات نحو أن يصير فى شدة الحرص كالكلب، وفى الشره كالخنزير، وفى الغمارة كالثور، قال وعلى هذا أحد الوجهين فى قوله تعالى: وجعل منهم القردة والخنازير، وقوله:

لمسخناهم على مكانتهم يتضمن الأمرين وإن كان فى الأول أظهر، والمسيخ من الطعام مالا طعم له، قال الشاعر:

وأنت مسيخ كلحم الحوار

ومسخت الناقة أنضيتها وأزلتها حتى أزلت خلقتها عن حالها والماسخى القواس وأصله كان قواس منسوبا إلى ماسخة وهى قبيلة فسمى كل قواس به كما سمى كل حداد بالهالكي.

(مسد) : المسد ليف يتخذ من جريد النخل أي من غصنه فيمسد أي يفتل، قال تعالى: حبل من مسد وامرأة ممسودة مطوية الخلق كالجبل الممسود.

(مسك) : إمساك الشيء التعلق به وحفظه، قال تعالى: فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقال: يمسك السماء أن تقع على الأرض أي يحفظها، واستمسكت بالشيء إذا تحريت الإمساك، قال تعالى:

---

(١) الموسوعة القرآنية ٣٦٣/٨

فاستمسك بالذي أوحي إليك وقال: أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ويقال تمسكت به ومسكت به، قال: ولا تمسكوا بعصم". [1]

٦٠٧-"وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – فى خطبته: "اصحاب الجنه ثلاثة: ذو سلطان مقسط ،ومصدق مؤمن ، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذى قربى ومسلم ، ورجل عفيف فقير.

قال ابن مسعود، إذا كان الإمام عادلا فله الأجر ، وعليكم الشكر وإذا كان جائرا فعليه الوزر وعليكم الصبر.

وقال بعض الحكماء انفع من خصب الزمان.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله. . .﴾ الآية.

أي: دوموا على طاعته ﴿وأطيعوا الرسول﴾ في سنته، وما أتاكم به ﴿وأولي الأمر منكم﴾ أي: ولاة أموركم، وهم الأمراء، قال ذلك أبو هريرة، وابن عباس وغيرهما.

وقيل: هم أصحاب السرايا على عهد رسول الله A.

وقال زيد بن زيد أسلم: هم السلاطين.

وقال جابر بن عبد الله " هم أهل العلم والفقه والخير، قاله مجاهد وقتادة، وأبو العالية، وروي عن ابن عباس مثله وقاله عطاء، ولذلك قيل، إن الأمر في هذا: القرآن: فمعناه: وأولي القرآن، وأولي العلم بالقرآن، ودل على أن الأمر: القرآن". [2]

٦٠٨-"أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب أن هذه الجملة في موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشري والجبال أرساها أي أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض متاعا لكم تقديره: فعل ذلك كله تمتيعا لكم منه ولأنعامكم لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر.

الطامة هي القيامة وقيل: النفخة الثانية واشتقاقها من قولك: طم الأمر إذا علا وغلب وبرزت الجحيم لمن يرى أي أظهرت لكل من يرى، فهي لا تخفى على أحد مقام ربه ذكر في سورة الرحمن [٤٦] ونهى النفس عن الهوى أي ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة **قال بعض الحكماء**: إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه. وقال سهل التستري: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين أيان مرساها ذكر في الأعراف: ١٨٧ فيم أنت من ذكراها أي من ذكر زمانها فالمعنى لست في شيء من ذكر ذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الآية انتهى «١» إلى ربك منتهاها أي منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده إنما أنت منذر من يخشاها أي: إنما بعثت لتنذر بها، وليس عليك الإخبار بوقتها، وخص الإنذار بمن يخشاها لأنه هو الذي ينفعه الإنذار لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم، وأضاف الضحى

---

(١) الموسوعة القرآنية ٥٢٩/٨

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية ١٣٦٩/٢

كذلك إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما في يوم واحد.

---

(١) . رواه الإمام الطبري في تفسيره للآية.". (١)

٦٠٩-"وفي سنده ضعف، فأمر بالمبادرة بالتوبة قبل الموت، وكل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكون ساعة موته، بل كل نفس، كما قيل:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس. . . ولو تمنعت بالحجاب والحرس

قال لقمان لابنه: يا بني، لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة.

وقال بعض الحكماء: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل.

إلى الله تب قبل انقضاء من العمر. . . أخي ولا تأمن مفاجأة الأمر

ولا تستصمن عن دعائي فإنما. . . دعوتك إشفاقا عليك من الوزر

فقد حذرتك الحادثات نزولها. . . ونادتك إلا أن سمعك ذو وقر

تنوح وتبكي للأحبة إن مضوا.. ونفسك لا تبكي وأنت على الإثر

قال بعض السلف: أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين، يشير إلى أن المؤمن لا ينبغي أن يصبح ويمسي إلا على توبة، فإنه لا يدري متى يفجأه الموت صباحا أو مساء، فمن أصبح أو أمسى على غير توبة، فهو على خطر، لأنه يخشى أن يلقى الله غير تائب، فيحشر في زمرة الظالمين، قال الله تعالى:

(ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) .

تب من خطاياك وابك خشية. . . ما أثبت منها عليك في الكتب

أية حال تكون حال فتى. . . صار إلى ربه ولم يتب

تأخير التوبة في حال الشباب قبيح، ففي حال المشيب أقبح وأقبح.

نعى لك ظل الشباب المشيب. . . ونادتك باسم سواك الخطوب". (٢)

٦١٠-"قوله عز وجل:

[سورة النازعات (٧٩) : الآيات ٣٧ الى ٤٦]

فأما من طغى (٣٧) وآثر الحياة الدنيا (٣٨) فإن الجحيم هي المأوى (٣٩) وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٤٥١

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي ١/٣١٤

(٤٠) فإن الجنة هي المأوى (٤١)
يسئلونك عن الساعة أيان مرساها (٤٢) فيم أنت من ذكراها (٤٣) إلى ربك منتهاها (٤٤) إنما أنت منذر من يخشاها (٤٥) كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها (٤٦)
طغى معناه: تجاوز الحدود التي ينبغي للإنسان أن يقف عندها بأن كفر وآثر الحياة الدنيا على الآخرة لتكذيبه بالآخرة. والمأوى والمسكن حيث يأوي المرء ويلازم، ومقام ربه هو القيامة، وإنما المراد مقامه بين يدي ربه، فأضاف المقام إلى الله عز وجل من حيث بين يديه وفي ذلك تفخيم للمقام وتعظيم لهوله وموقعه من النفوس، قال ابن عباس: المعنى خافه عند المعصية فانتهى عنها، والهوى:
هو شهوات النفس وما جرى مجراها، وأكثر استعماله إنما هو في غير المحمود، قال سهل التستري: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين، **وقال بعض الحكماء**: إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه، وقال الفضيل: أفضل الأعمال خلاف الهوى، وقوله تعالى: يسئلونك عن الساعة الآية نزلت بسبب أن قريشا كانت تلح في البحث عن وقت الساعة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بها ويتوعدهم بها ويكثر من ذلك، و: أيان مرساها معناه: متى ثبوتها ووقت رسوها أي ثبوتها كأنه يسر إلى غاية ما ثم يقف كما تفعل السفينة التي ترسو. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «إيان» بكسر الألف. ثم قال لنبيه عليه السلام على جهة التوقيف فيم أنت من ذكراها أي من ذكر تحديدها ووقتها أي لست من ذلك في شيء إنما أنت منذر، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيرا، فلما نزلت هذه الآية انتهى. وقرأ أبو جعفر وعمر بن عبد العزيز وأبو عمرو بخلاف، وابن محيصن والأعرج وطلحة وعيسى: «منذر» بتنوين الراء، وقرأ جمهور القراء: «منذر» بإضافة «منذر» إلى من، ثم قرب تعالى أمر الساعة بإخباره أن الإنسان عند رؤيته إياها لم يلبث إلا عشية يوم أو بكرته، فأضاف الضحى إلى العشية من حيث هما طرفان للنهار، وقد بدأ بذكر أحدهما فأضاف الآخر إليه تجوزا وإيجازا.
نجز تفسير النازعات والحمد لله كثيرا.". (١)

٦١١-"قال الحسن البصري: من رأفته بهم حذرهم نفسه. وقال غيره: أي: رحيم بخلقه، يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم، وأن يتبعوا رسوله الكريم.
﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٢)﴾
هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" ولهذا قال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ أي: يحصل

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٤٣٥

لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما **قال بعض الحكماء العلماء**: ليس الشأن أن تحب، إنما الشأن أن تحب وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا عبيد الله بن موسى عن عبد الأعلى بن أعين، عن يحيى بن أبي كثير، عن عروة، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ قال أبو زرعة: عبد الأعلى هذا منكر الحديث (١) .

ثم قال: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ أي: باتباعكم للرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته.

ثم قال آمرا لكل أحد من خاص وعام: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا﴾ أي: خالفوا عن أمره ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب لله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس (٢) الذي لو كان الأنبياء -بل المرسلون، بل أولو العزم منهم- في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته، واتباع شريعته، كما سيأتي تقريره عند قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ الآية [آل عمران: ٣١] [إن شاء الله تعالى] (٣) .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٠٢/١) ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٦٨/٨) والحاكم في المستدرك (٢٩١/٢) من طريق عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير به.

قال الحاكم: صحيح على شرطهما، وتعقبه الذهبي بقوله: "فيه عبد الأعلى بن أعين، قال الدارقطني: ليس بثقة".

وقال ابن حبان: "يروي عن يحيى بن أبي كثير ما ليس من حديثه، لا يجوز الاحتجاج به بحال".

وقال العقيلي: "جاء بأحاديث منكرة ليس منها شيء محفوظ".

(٢) في جـ: "الإنس والجن".

(٣) زيادة من و.". (١)

٦١٢-"وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله، عز وجل، حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة.

وقال مغيث الأسود: زوروا القبور كل يوم تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها، وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه، قد ذهب عقله.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ٣٢/٢

وقال عبد الله بن المبارك: مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة، فناداه فقال: يا راهب، إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر، كنز الرجال وكنز الأموال.

وعن ابن عمر: أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه، يأتي الخربة فيقف على بابها، فينادي بصوت حزين فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص:٨٨] .

وعن ابن عباس أنه قال: ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه (١) .

وقال الحسن: يا ابن آدم، كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه، ودع ثلثه الآخر تتنفس للفكرة.

وقال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة.

وقال بشر بن الحارث الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه.

وقال الحسن، عن عامر بن عبد قيس قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: إن ضياء الإيمان، أو نور الإيمان، التفكر.

وعن عيسى، عليه السلام، أنه قال: يا ابن آدم الضعيف، اتق الله حيثما كنت، وكن في الدنيا ضيفا، واتخذ المساجد بيتا، وعلم عينيك البكاء، وجسدك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تهتم برزق غد.

وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، أنه بكى يوما بين أصحابه، فسئل عن ذلك، فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر.

وقال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن: نزهة المؤمن الفكر ... لذة المؤمن العبر ...

نحمد الله وحده ... نحن كل على خطر ...

رب لاه وعمره ... قد تقضى وما شعر ...

رب عيش قد كان فو ... ق المنى مونق الزهر ...

في خرير (٢) من العيو ... ن وظل من الشجر ...

وسرور من النبا ... ت وطيب من الثمر ...

غيرته وأهله (٣) سرعة الدهر بالغير

---

(١) في ر: "ساهي".

(٢) في ر: "جرير".

(٣) في ر: "وغيرت أهله"." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ١٨٥/٢

٦١٣-"ثم قال تعالى: ﴿فكأين (١) من قرية أهلكناها﴾ أي: كم من قرية أهلكتها ﴿وهي ظالمة﴾] (٢) أي: مكذبة لرسولها، ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ قال الضحاك: سقوفها، أي: قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها.

﴿وبئر معطلة﴾ أي: لا يستقى منها، ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها.

﴿وقصر مشيد﴾ قال عكرمة: يعني المبيض بالجص.

وروي عن علي بن أبي طالب، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، وأبي المليح، والضحاك، نحو ذلك.

وقال آخرون: هو المنيف المرتفع.

وقال آخرون: الشديد المنيع الحصين.

وكل هذه الأقوال متقاربة، ولا منافاة بينها، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه، ولا إحكامه ولا حصانته، عن حلول بأس الله بهم، كما قال تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ [النساء: ٧٨] .

وقوله: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي: بأبدانهم وبفكرهم أيضا، وذلك كاف، كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب "التفكر والاعتبار":

حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا (٣) جعفر، حدثنا مالك بن دينار قال: أوحى الله تعالى إلى موسى، عليه السلام، أن يا موسى، اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سح في الأرض، واطلب الآثار والعبر، حتى تتخرق النعلان (٤) وتكسر العصا.

وقال ابن أبي الدنيا: قال بعض الحكماء: أحي قلبك بالمواعظ، ونوره بالفكر، وموته بالزهد، وقوه باليقين، وذلله بالموت (٥) ، وقرره بالفناء (٦) ، وبصره فجائع (٧) الدنيا، وحذره صولة (٨) الدهر وفحش تقلب الأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب (٩) من كان قبله، وسر في ديارهم وآثارهم، وانظر ما فعلوا، وأين حلوا، وعم انقلبوا.

أي: فانظروا (١٠) ما حل بالأمم المكذبة من النقم والنكال (١١) ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾ أي: فيعتبرون بها، ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أي: ليس العمى عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر، ولا تدري ما الخبر. وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنى -وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة (١٢) الأندلسي الشنتريني، وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة:

---

(١) في ت، ف: "وكأين".

(٢) زيادة من ف، أ.

(٣) في ت، ف: "ابن".

(٤) في ت، ف: "تخرق النعال".

(٥) في ت، ف: "بالقرب".

(٦) في ت، ف: "وتدبره بالثناء".

(٧) في ت، ف، أ: "بمجامع".

(٨) في ف: "بصولة".

(٩) في ت، أ: "وذكره بأم كتاب".

(١٠) في ت، ف: "فينظروا".

(١١) زيادة من ت، ف، أ.

(١٢) في ت، ف، أ: "ابن حبان".". [(١)]

٦١٤-"النار ومقامعها وأطباقها. وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه قد ذهب عقله. وقال عبد الله بن المبارك: مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة، فناداه فقال: يا راهب، إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر: كنز الرجال، وكنز الأموال. وعن ابن عمر:

أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين، فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: كل شيء هالك إلا وجهه [القصص: ٨٨] وعن ابن عباس أنه قال: ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه. وقال الحسن البصري: يا ابن آدم، كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه، ودع ثلثه الآخر تتنفس للفكرة.

وقال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة، انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة.

وقال بشر بن الحارث الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه. وقال الحسن عن عامر بن عبد قيس، قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون:

إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر. وعن عيسى عليه السلام أنه قال: يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت، وكن في الدنيا ضيفا، واتخذ المساجد بيتا، وعلم عينيك البكاء، وجسدك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تهتم برزق غد. وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أنه بكى يوما بين أصحابه، فسئل عن ذلك، فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها بها ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر. وقال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن: [مجزوء الخفيف]

نزهة المؤمن الفكر ... لذة المؤمن العبر

نحمد الله وحده ... نحن كل على خطر

رب لاه وعمره ... قد تقضى وما شعر

رب عيش قد كان فوق ... المنى مونق الزهر

في خرير من العيون ... وظل من الشجر

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ٤٣٨/٥

وسرور من النبات ... وطيب من الثمر

غيرته وأهله ... سرعة الدهر بالغير

نحمد الله وحده ... إن في ذا لمعتبر

إن في ذا لعبرة ... للبيب إن اعتبر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته، فقال وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون [يوسف: ١٠٥- ١٠٦] ومدح عباده المؤمنين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض قائلين ربنا ما خلقت هذا". (١)

٦١٥-"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٤٢ الى ٤٦]

وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (٤٤) فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥) أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦)

يقول تعالى مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من خالفه من قومه: وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح- إلى أن قال- وكذب موسى أي مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات فأمليت للكافرين أي أنظرتهم وأخرتهم، ثم أخذتهم فكيف كان نكير أي فيكف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟! وذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه: أنا ربكم الأعلى، وبين إهلاك الله له أربعون سنة.

وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد «١» ثم قال تعالى: فكأين من قرية أهلكناها أي كم من قرية أهلكتها وهي ظالمة أي مكذبة لرسلها فهي خاوية على عروشها قال الضحاك: سقوفها، أي قد خربت وتعطلت حواضرها وبئر معطلة أي لا يستقى منها، ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها وقصر مشيد قال عكرمة يعني المبيض بالجص، وروي عن علي بن أبي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي المليح والضحاك نحو ذلك. وقال آخرون: هو المنيف المرتفع. وقال آخرون:

المشيد المنيع الحصين، وكل هذه الأقوال متقاربة ولا منافاة بينها، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى: أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة [هود: ١٠٢] .

وقوله: أفلم يسيروا في الأرض أي بأبدانهم وبفكرهم أيضا، وذلك كاف كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار:

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ١٦٣/٢

حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار قال: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سح في الأرض، ثم اطلب الآثار والعبر، حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا. وقال ابن أبي الدنيا: **قال بعض الحكماء**: أحي قلبك بالمواعظ، ونوره بالتفكر، وموته بالزهد، وقوه باليقين، وذلله بالموت، وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ١١، باب ٥، ومسلم في البر حديث ٦٢، والترمذي في تفسير سورة ١١، باب ٢.".
(١)

٦١٦-"محمد بن إسماعيل ثنا صدقة أنا الوليد عن الأوزاعي حدثني عمير بن هانئ حدثني جنادة بن أبي أمية حدثني عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال:
اللهم [١] اغفر لي، أو [٢] دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى [٣] قبلت صلاته» .

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ١٩ الى ٢٤]
وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩) وفي الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣)
هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤)
قوله عز وجل: وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩) ، السائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي ليس له في الغنائم [٤] سهم، ولا يجري عليه من الفيء سهم [٥] ، هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب، قال: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي منع الخير والعطاء. وقال قتادة والزهري: المحروم المتعفف الذي لا يسأل.
وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته. وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: إنا لمغرمون (٦٦) بل نحن محرومون (٦٧) [الواقعة: ٦٦- ٦٧] .
وفي الأرض آيات، عبر، للموقنين، إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات. وفي أنفسكم، آيات إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن نفخ [٦] فيها الروح وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع. وقال ابن الزبير: يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من السبيلين.
أفلا تبصرون، قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.
وفي السماء رزقكم، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، وما توعدون، قال عطاء: من

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ٣٨٤/٥

الثواب والعقاب. وقال مجاهد: من الخير والشر. وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال: فو رب السماء والأرض إنه لحق، أي ما ذكرت من أمر الرزق لحق، مثل، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: مثل برفع اللام بدلا من الحق، وقرأ الآخرون بالنصب أي كمثل، ما أنكم تنطقون، فتقولون: لا إله إلا الله. وقيل: شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت هاهنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة:

قال بعض الحكماء: يعني كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له. ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

---

(١) في المطبوع «رب» المثبت عن «المخطوط» و «شرح السنة» .

(٢) زيد في المطبوع «قال» والمثبت عن «صحيح البخاري» و «شرح السنة» .

(٣) زيد في المطبوع «وصلى» وليست هذه الزيادة في «صحيح البخاري» ولا في المخطوط و «شرح السنة» .

(٤) في المطبوع «الغنيمة» والمثبت عن المخطوط.

(٥) في المطبوع «شيء» والمثبت عن المخطوط. [.....]

(٦) في المخطوط «ينفخ» ." . [1]

٦١٧-"نطق الآدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت ها هنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة. **قال بعض الحكماء**: يعني: كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩) ﴾

قوله عز وجل: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم﴾ ، ذكرنا عددهم في سورة هود (١) ﴿المكرمين﴾ ، [قيل: سماهم مكرمين] (٢) لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم: "بل عباد مكرمون" (الأنبياء -٢٦) وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليقة، وضيف الكرام مكرمون.

وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم ١٤٠/أبتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: خدمته إياهم بنفسه.

وروي عن ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم جاؤوا غير مدعوين. وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من كان

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث ٢٨٤/٤

يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه" (٣) .

﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون﴾ ، أي: غرباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم. وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

﴿فراغ﴾ ، فعدل ومال، ﴿إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ ، مشوي.

﴿فقربه إليهم﴾ ، ليأكلوا فلم يأكلوا، ﴿قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة﴾ ، أي: صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالا من مكان

(١) انظر فيما سبق: ٤ / ١٨٧.

(٢) ما بين القوسين ساقط من "أ".

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان: ١١ / ٣٠٨، ومسلم من الإيمان، باب الحث على إكرام الجار برقم: (٤٧) : ١ / ٦٨ والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٣١٢.". [١]

٦١٨-"وقال سهل: المتقي من تبرأ من حوله وقوته.

وقال: التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك من حيث أمرك.

وقيل: هو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وقيل: هو أن تتقي بقلبك عن الغفلات، وبنفسك من الشهوات، وبحلقك من اللذات، وبجوارحك من السيئات، فحينئذ يرجى لك الوصول لما ملك الأرض والسموات.

أبو القاسم (حكيم) : هو حسن الخلق.

وقال بعضهم: يستدل على تقوى الرجل بثلاث: بحسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما فات.

وقيل: المتقي من اتقى متابعة هواه.

وقال مالك: حدثنا وهب بن كيسان أن بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبد الله بن الزبير أن لأهل التقى علامات يعرفون بها: الصبر عند البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر عند النعمة، والتذلل لأحكام القرآن.

وقال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقيا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر.

وقال أبو تراب: بين يدي التقوى عقبات، من لا يجاوزها لا ينالها، اختيار الشدة على النعمة، واختيار القول على الفضول، واختيار الذل على العز، واختيار الجهد على الراحة، واختيار الموت على الحياة.

(١) تفسير البغوي - طيبة ٣٧٦/٧

وقال بعض الحكماء: لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا إذا كان بحيث لو جعل ما في قلبه على طبق، فيطاف به في السوق لم يستحي من شيء عليها.

وقيل: التقوى أن تزين سرك للحق، كما تزين علانيتك للخلق.

وقال أبو الدرداء:

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول «١» المرء فائدتي وذخري ... وتقوى الله أفضل ما استفادا «٢»

---

(١) في المخطوط: ويقول.

(٢) الدر المنثور: ١/ ٢٥.". [1]

٦١٩-"لما رأيت نبطا أنصارا ... شمرت عن ركبتي الإزارا

كنت لهم من النصارى جارا «١»

أي فكنت لهم.

وقال أكثر المفسرين: أرادوا كما فعل بنو الجان قاسوا بالشاهد على الغائب، وقال بعض أهل المعاني: فيه إضمار واختصار معناه: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ أم تجعل فيها من لا يفسد ولا يسفك الدماء؟ لقوله تعالى: أمن هو قانت آناء الليل «٢» يعني كمن هو غير قانت، وهو اختيار الحسن بن الفضل.

ونحن نسبح بحمدك.

قال الحسن: يقولون: سبحان الله وبحمده، وهو صلاة الخلق وتسبيحهم وعليها يرزقون.

يدل عليه

الحديث المروي عن أبي ذر إنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفاه الله تعالى لملائكته: سبحان الله وبحمده» [٧٩] «٣» .

وقيل: معناه: ونحن نصلي لك بأمرك، والتسبيح يكون بمعنى التنزيه ويكون بمعنى الصلاة، ومنه قيل: للصلاة سبحة، وقيل: معناه: نصلي، ونقرأ فيها فاتحة الكتاب.

ونقدس لك وننزهك واللام صلة، وقيل: هي لام الأجل، أي ونطهر لأجلك قلوبنا من الشرك بك [وأبداننا] من معصيتك.

وقال بعض العلماء: في الآية تقديم وتأخير مجازها: ونحن نسبح ونقدس لك بحمدك لأنه إذا حملت الآية على التأويل الأول تنافي قول الملائكة المتزكية بالإدلال بالعمل، وإذا حملت على هذا التأويل ضاهى قولهم التحدث بنعمة الله واضافة [.....] «٤» إلى الله فكأنهم قالوا: وأن سبحنا وقدسنا وأطعنا وعبدنا فذلك كله بحمدك لا بأنفسنا، قال الله:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١/ ١٤٤

إني أعلم ما لا تعلمون من استخلافي في الأرض ووجه المصلحة فيه، فلا تعترضوا علي في حكمي وتدبيري، وقيل: أراد أني أعلم أن في من استخلفه في الأرض: أنبياء وأولياء وعلماء وصلحاء، وقيل: أني أعلم إنهم يذنبون وأغفر لهم.

قال بعض الحكماء: إن الله تعالى أخرج [أدم] من الجنة قبل أن يدخله فيها «٥» . لقوله

---

(١) جامع البيان للطبري: ١/ ٤٥٤.

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) مسند أحمد: ٥/ ١٤٨.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٥) الدر المنثور: ١/ ٤٤.". [1]

٦٢٠-"كان حقا علينا نصر المؤمنين

«١» ،

جعفر الصادق: هو نهر في الجنة «٢» .

والقلم وهو الذي كتب به الذكر، وهو قلم من نور ما بين السماء والأرض ويقال: لما خلق الله تعالى القلم وهو أول ما خلقه نظر إليه فانشق نصفين، ثم قال: اجر، فقال: يا رب بم أجري، فقال: بما هو كائن إلى يوم القيامة، فجرى على اللوح المحفوظ بذلك.

قال عطا: سألت الوليد بن عبادة بن الصامت، كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت؟ قال: دعاني فقال: أي بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده والقدر خيره وشره، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ فقال: اكتب العلم «٣» وقال: فجرى القلم في تلك الساعة وما هو كائن إلى الأبد» [٢] «٤» .

وحكي أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموما، وقال له: روح عني يا ابن الزيات، فأنشأ يقول:

اللهم فضل والقضاء غالب ... وكان الخط في اللوح

انتظر الروح وأسبابه ... أيئس ما كنت في الروح «٥»

وهل أراد بالقلم الخط والكتابة الذي امتن الله تعالى على عباده بتعليمه إياهم؟ ذلك كما قال: علم بالقلم.

وقد أكثر الحكماء والبلغاء في وصف القلم ونفعه فلم أراد إخلال هذا الكتاب عن تدبر فصوصه؟

فقال ابن هيثم: من جلالة القلم أنه لم يكتب لله تعالى كتاب إلا به لذلك أقسم الله تعالى به. وقيل: الأقلام مطايا الفطن ورسل الكرام.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١/١٧٦

وقيل: القلم الظلم الأكبر. وقيل: البيان اثنان: بيان لسان وبيان بنان، وفضل بيان البنان أن ما تثبته الأقلام باق على الأيام، وبيان اللسان تدرسه الأعوام.

وقال بعض الحكماء: قوام أمور الدين والدنيا شيئان: القلم والسيف، والسيف تحت العلم وفيه يقول شاعرهم:

---

(١) سورة الروم: ٤٧.

(٢) زاد المسير: ٨/ ٦٥.

(٣) في المصدر: القدر.

(٤) السنن الكبرى: ٩/ ٣.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ١٦٥.". (١)

٦٢١-"**قال بعض الحكماء**: المعصية تورث الكبرة، قال الله تعالى: فعرفهم وهم له منكرون فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم؟ وما أمركم؟ فإني أنظر شأنكم، قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار، قال: لعلكم عيون تنظرون عورة بلادي، قالوا: والله ما نحن جواسيس وإنما نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق يقال له: يعقوب، نبي من أنبياء الله، قال: وكم أنتم؟.

قالوا: كنا اثني عشر فذهب أخ لنا إلى البرية فهلك فيها، وكان أحبنا إلى أبينا، فقال: فكم أنتم ها هنا، قالوا: عشرة، قال: فأين الآخر؟ قالوا: عند أبينا لأنه أخ الذي هلك من أمه، وأبونا يتسلى به، قال: فمن يعلم أن الذي تقولون حق؟ قالوا: أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا أحد، قال يوسف: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، فأنا أرضى بذلك.

قالوا: إن أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه وإنا لفاعلون، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف وأبرهم به فخلفوه عنده، فذلك قوله تعالى: ولما جهزهم بجهازهم يعني حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم، قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم يعني بنيامين، ألا ترون أني أوفي الكيل أي لا أبخس الناس شيئا وأتم لهم كيلهم فأزيد لكم حمل بعير في خراجكم، وأكرم مثواكم، وأحسن إليكم، وأنا خير المنزلين المضيفين.

فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ليس لكم عندي طعام أكيله لكم ولا تقربون ولا تقربوا بلادي بعد ذلك، وهو جزم يدل على النهي.

قالوا سنراود عنه أباه نطلبه ونسأله أن يرسله معنا، قال ابن عباس: سنخدعه حتى نخرجه معنا، وإنا لفاعلون ما أمرت به.

وقال يوسف لفتيانه أي لغلمانه الذين يعملون بالطعام، قرأ الحسن وحميد ويحي والأعمش وحمزة والكسائي وحفص، لفتيانه بالألف والنون وهو اختيار أبي عبيدة، وقال: هي في مصحف عبد الله كذلك، وقرأ الباقون لفتيته بالتاء من غير ألف وهما لغتان مثل الصبيان والصبية.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠/ ٧

اجعلوا بضاعتهم أي طعامهم، قال قتادة: أوراقهم، الضحاك عن ابن عباس قال:

كانت النعل والأدم، في رحالهم في أوعيتهم وهي جمع رحل، والجمع القليل منه الرحيل، قال ابن الأنباري: يقال للوعاء: رحل وللمسكن رحل.

لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا انصرفوا، إلى أهلهم لعلهم يرجعون إلي واختلف العلماء في السبب الذي فعل يوسف من أجله، فقال الكلبي: تخوف يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق فلا يرجعون مرة أخرى، وقيل: خشي أن يضر أخذه ذلك منهم بأبيه إذ كانت السنة سنة". (١)

٦٢٢-"في جذوع النخل «١» ، وذكر الرب مختصرا، كقوله: وسئل القرية «٢» ، ونظيره قوله: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها «٣» .

وأخبرني عقيل أن أبا الفرج أخبرهم عن ابن جرير، قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون بن المعتز من أهل الري عن سفيان الثوري قال: قرأ واصل الأحدب هذه الآية: وفي السماء رزقكم وما توعدون فقال: ألا أرى رزقي في السماء، وأنا أطلبه في الأرض؟ فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا، فلما أن كان اليوم الثالث إذا هو يرى جلة من رطب، وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه [فصارتا جلتين] «٤» ، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا ابن خميس قال: حدثنا ابن مجاهد قال: حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي قال: حدثنا ابن أبي بزة، قال: حدثنا حسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد عن شبل بن عباد عن ابن [أبي نجيح] «٥» أنه قرأ (وفي السماء رازقكم وما توعدون) بالألف يعني الله.

قال مجاهد: وما توعدون من خير أو شر، وقال الضحاك وما توعدون من الجنة والنار، وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا موسى بن محمد قال: حدثنا الحسن بن علوية قال:

حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا المسيب بن شريك قال: قال أبو بكر بن عبد الله: سمعت ابن سيرين يقول: وما توعدون: الساعة.

فو رب السماء والأرض إنه يعني أن الذي ذكرت من أمر الرزق لحق مثل بالرفع قرأه أهل الكوفة بدلا من (الحق) ، وغيرهم بالنصب أي كمثل.

ما أنكم تنطقون فتقولون: لا إله إلا الله، وقيل: كما أنكم ذوو نطق خصصتم بالقوة الناطقة العاقلة فتتكلمون، هذا حق كما حق أن الآدمي ناطق، **وقال بعض الحكماء**: كما أن كل انسان ينطق بلسان نفسه، ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره،

وقال الحسن في هذه الآية: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه» [٩٦] «٦» .

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢٣٥/٥

حدثنا أبو القاسم بن حبيب قال: أخبرنا أبو الحسن الكائيني وأبو الطيب الخياط وأبو

---

(١) سورة طه: ٧١.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) سورة هود: ٦.

(٤) في المخطوط: فصارتا ذو.

(٥) في المخطوط: يحص، والظاهر ما أثبتناه

(٦) جامع البيان للطبري: ٢٦/ ٢٦٧.". [(١)]

٦٢٣-"حتى لا يبقى منهم أحد عندك فاعف عنهم أي تجاوز عن زلاتهم وما أتوا يوم أحد واستغفر لهم أي واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم وشاورهم في الأمر أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم. واختلف العلماء في المعنى الذي من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته وعلى كافة الخلق فيما أحبوا أو كرهوا. فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه. وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم فإن سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمور شق ذلك عليهم. وقال الحسن قد علم الله تعالى أن ما به إلى مشاورتهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده من أمته، وقيل إنما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة أنها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على أن كل ما نزل فيه وحي من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم. أن يشاور فيه الأمة وإنما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم في أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شيء لأن النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في أسارى بدر وهو من أمر الدين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم. **وقال بعض الحكماء ما** استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة أنه قد يعزم الإنسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح ومنها أنه إذا لم ينجح أمره علم أن امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة:

وشاور إذا شاورت كل مهذب ... لبيب أخي حزم لترشد في الأمر

ولا تك ممن يستبد برأيه ... فتعجز أو لا تستريح من الفكر

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٩/ ١١٤

ألم تر أن الله قال لعبده ... وشاورهم في الأمر حتما بلا نكر
قوله تعالى: فإذا عزمت يعني على المشاورة فتوكل على الله أي فاستعن بالله في أمورك كلها وثق به ولا تعتمد إلا عليه فإنه ولي الإعانة والعصمة والتسديد والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماد على شيء إلا على الله تعالى في جميع أموره وأن المشاورة لا تنافي التوكل إن الله يحب المتوكلين يعني المتوكلين عليه في جميع أمورهم. قوله عز وجل:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٦٠ الى ١٦١]
إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٦٠) وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (١٦١)
إن ينصركم الله يعني إن يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر فلا غالب لكم يعني من الناس لأن الله تعالى هو المتولي نصركم وإن يخذلكم كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ووكلكم إلى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي ينصركم من بعده أي من بعد خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره لأن الأمر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد في كل الأمور على الله تعالى لا على غيره. وقيل التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير". [١]

٦٢٤-"المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه. وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمني أهل الكتاب وهذا القول أولى لأنه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى الجنة فقال تعالى: وإن من أهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما أنزل إليكم يعني ويؤمن بما أنزل إليكم أيها المؤمنون يعني القرآن وما أنزل إليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والزبور خاشعين لله يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الرياسة والمأكل والرشى كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود أولئك إشارة إلى أن من هذه صفته من أهل الكتاب لهم أجرهم عند ربهم يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه إليهم يوم القيامة إن الله سريع الحساب يعني إنه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لأنه سريع الحساب قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اصبروا يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ٣١٢/١

ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل. والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني قال بعض الحكماء: الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا. وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة وصابروا يعني الكفار والأعداء وجاهدوهم. ورابطوا يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه. وأصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم. وهؤلاء خيولهم، بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال الآخر. ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط، وإن لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها» . (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه وأمن الفتان» وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة. فذلكم الرباط فذلكم الرباط» أخرجه مسلم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال محمد بن كعب

القرظي يقول الله عز وجل: واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا إذا لقيتموني وقال أهل المعاني في معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة أعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.". (١)

٦٢٥-"[سورة يونس (١٠) : الآيات ٢ الى ٤]

أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين (٢) إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون (٣) إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (٤)

قوله سبحانه وتعالى: أكان للناس عجبا قال ابن عباس: سبب نزول هذه الآية أن الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قال: الله أعظم من أن يكون له رسول بشر مثل محمد فقال الله

---

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ٣٣٦/١

سبحانه وتعالى: أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا الآية والهمزة في أكان همزة استفهام ومعناه الإنكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم والعجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة. وقيل: العجب حالة تعتري الإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا **قال بعض الحكماء**: العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من أهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وأمانته أن أنذر الناس يعني خوفهم بعقاب الله تعالى إن أصروا على الكفر والمخالفة والإنذار إخبار مع تخويف كما أن البشارة إخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى: وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم اختلفت عبارات المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق. فقال ابن عباس: أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم. وقال الضحاك: ثواب صدق. وقال مجاهد: الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم. وقال الحسن: عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال: سبقت لهم السعادة في الذكر الأول يعني في اللوح المحفوظ. وقال زيد بن اسلم: هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة. وقيل: لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الأولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الإضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق، وقال أبو عبيدة: كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم. يقال: لفلان قدم في الإسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء. قال حسان بن ثابت:

لنا القدم العليا إليك وخلفنا ... لأولنا في طاعة الله تابع

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة:

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة ... لهم قدم معروفة ومفاخر

والسبب في إطلاق لفظ القدم على هذه المعاني أن السعي والسبق لا يحصل إلا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد. وقال ذو الرمة:

لكم قدم لا ينكر الناس أنها ... مع الحسب العادي طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر:

صل لذي العرش واتخذ قدما ... تنجيك يوم العثار والزلل

وقوله سبحانه وتعالى: قال الكافرون إن هذا لساحر مبين وقرئ: لساحر مبين وفيه حذف تقديره أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وأنذرهم قال الكافرون: إن هذا لساحر، يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم، وإنما نسبوه إلى السحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر أحد من البشر أن يحصل مثلها، ومن قرأ السحر فإنهم عنوا به القرآن المنزل عليه وإنما نسبوه إلى السحر لأن فيه الإخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك.". [١]

---

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ٢/٤٢٧

٦٢٦-"كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض وأنهارا، يعني وجعل في الأرض أنهارا جارية لمنافع الخلق ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا يغشي الليل النهار، يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار إن في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته لآيات أي دلالات لقوم يتفكرون يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع، وبالسبب على المسبب، والفكر هو تصرف القلب في طلب الأشياء، وقال صاحب المفردات: الفكر قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روي «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله» إذ كان الله منزها أن يوصف بصورة. وقال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفرك لأنه يستعمل في طلب المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها. قوله عز وجل وفي الأرض قطع متجاورات يعني متقاربات بعضها من بعض، وهي مختلفة في الطبائع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت، وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع وجنات يعني بساتين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك، سمي جنة لأنه يستر بأشجاره الأرض وإليه الإشارة بقوله من أعناب وزرع ونخيل صنوان جمع صنو وهي النخلات يجتمعن من أصل واحد، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس «عم الرجل صنو أبيه» يعني أنهما من أصل واحد وغير صنوان هي النخلة المنفردة بأصلها فالصنوان المجتمع، وغير الصنوان المتفرق يسقى بماء واحد يعني أشجار الجنات وزروعها، والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام، وقيل: في حده جوهر سيال به قوام الأرواح ونفضل بعضها على بعض في الأكل يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «في قوله تعالى: ونفضل بعضها على بعض في الأكل قال: الدقل والنرسيان والحلو والحامض» أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. قال مجاهد: هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد، وقال الحسن: هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات، وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها، وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا. قيل: إنما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو، ولا تسمع. وقال الحسن: والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وقوله تعالى إن في ذلك يعني الذي ذكر لآيات لقوم يعقلون يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته. قوله تعالى وإن تعجب فعجب قولهم العجب تبعيد النفس رؤية المستبعد في العادة، وقيل: العجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب ولهذا **قال بعض الحكماء**: العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل: العجب في حق الله محال لأنه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية، والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وإنك يا محمد إن تعجب من تكذيبهم إياك بعد أن كنت عندهم تعرف بالصادق الأمين فعجب أمرهم، وقيل: معناه وإن تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع إقرارهم بأن الله تعالى خالق السموات والأرض، وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة

الله وما ضرب لهم به الأمثال ما رأوا فعجب قولهم. وقيل وإنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم، وذلك أن المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله، وقد تقرر في النفوس أن الإعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم أإذا كنا ترابا يعني بعد الموت أإنا لفي خلق جديد يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ثم إن الله تعالى قال في حقهم أولئك الذين كفروا بربهم وفيه دليل على". (١)

٦٢٧-"العظيم» (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي، أو قال دعا أستجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته» قوله تعار من الليل يقال: تعار الرجل من نومه إذا انتبه وله صوت وقوله عز وجل:

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ١٩ الى ٢٤]
وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩) وفي الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣)
هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤)
وفي أموالهم حق أي نصيب قيل إنه ما يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس. وقيل: إنه الزكاة المفروضة للسائل أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم والمحروم قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما: المحروم الذي ليس له في فيء الإسلام سهم. وقيل: معناه الذي حرم الخير والعطاء، وقيل: المحروم، المتعفف الذي لا يسأل. وقيل: هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه وثمره أو نسل ماشيته وقيل: هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل: هو المملوك وقيل: هو المكاتب، وأظهر الأقوال، أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل إنما يفطن له متيقظ وفي الأرض آيات أي عبر من البحار والجبال والأشجار والثمار وأنواع النبات للموقنين أي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه وفي أنفسكم أي آيات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن تنفخ الروح.
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع وقيل: يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل: يعني تقويم الأدوات السمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم أفلا تبصرون يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث وفي السماء رزقكم قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الأرزاق وما توعدون يعني من الثواب والعقاب. وقيل: من الخير والشر. وقيل: الجنة والنار ثم أقسم

---

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ٣/٥

سبحانه وتعالى بنفسه فقال: فو رب السماء والأرض إنه لحق أي ما ذكر من الرزق وغيره مثل ما أنكم تنطقون أي بلا إله إلا الله.

وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ومعناه إنه لحق كما أنك تتكلم. وقيل: إن معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة **وقال بعض الحكماء** معناه كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره.

قوله تعالى: هل أتاك حديث ضيف إبراهيم يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاءوا إبراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود المكرمين قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله. وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون.

وقيل: لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سماهم مكرمين لأنهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبي شريح العدوي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.". (١)

٦٢٨-"يكن الذين كفروا من أهل الكتاب

[البينة: ١] صريح في كونهم كفارا، وطريق التوفيق بينهما أن كفر المشركين أعظم وأغلظ، فنحن لهذا السبب نخصصهم باسم الكفر. والله أعلم المسألة الرابعة: معنى تلاعبهم بالدين واستهزائهم إظهارهم ذلك باللسان مع الإصرار على الكفر في القلب، ونظيره قوله تعالى في سورة البقرة وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن [البقرة: ١٤] والمعنى أن القوم لما اتخذوا دينكم هزوا وسخرية فلا تتخذوهم أولياء وأنصارا وأحبابا، فإن ذلك الأمر الخارج عن العقل والمروءة.

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٨]

وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨)

لما حكى في الآية الأولى عنهم أنهم اتخذوا دين المسلمين هزوا ولعبا ذكر هاهنا بعض ما يتخذونه من هذا الدين هزوا ولعبا فقال: وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الضمير في قوله اتخذوها للصلاة أو المناداة.

قيل: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن بالمدينة يقول: أشهد أن محمدا رسول الله يقول:

أحرق الكاذب، فدخلت خادمته بنار ذات ليلة فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله.

وقيل: كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي للصلاة وقام المسلمون إليها، فقالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا

---

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ١٩٤/٤

لا صلوا على طريق الاستهزاء، فنزلت الآية.

وقيل: كان المنافقون يتضاحكون عند القيام إلى الصلاة تنفيرا للناس عنها.

وقيل: قالوا يا محمد لقد أبدعت شيئا لم يسمع فيما مضى، فإن كنت نبيا فقد خالفت فيما أحدثت جميع الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح العير، فأنزل الله هذه الآية.

المسألة الثانية: قالوا: دلت الآية على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده.

المسألة الثالثة: قوله هزوا ولعبا أمران، وذلك لأنهم عند إقامة الصلاة يقولون: هذه الأعمال التي أتينا بها استهزاء بالمسلمين وسخرية منهم، فإنهم يظنون أنا على دينهم مع أنا لسنا كذلك. ولما اعتقدوا أنه ليس فيها فائدة ومنفعة في الدين والدنيا قالوا إنها لعب.

ثم قال تعالى: ذلك بأنهم قوم لا يعقلون أي لو كان لهم عقل كامل لعلموا أن تعظيم الخالق المنعم وخدمته مقرونة بغاية التعظيم لا يكون هزوا ولعبا، بل هو أحسن أعمال العباد وأشرف أفعالهم، ولذلك **قال بعض الحكماء**: أشرف الحركات الصلاة، وأنفع السكنات الصيام.

[سورة المائدة (٥) : آية ٥٩]

قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩)

[في قوله تعالى قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل] اعلم أن وجه النظم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم اتخذوا دين الإسلام هزوا ولعبا قال لهم: ما الذي تنقمون من هذا الدين، وما الذي تجدون فيه مما يوجب اتخاذه هزوا ولعبا وفي الآية مسائل:". (١)

٦٢٩-"بالاختلاط، وأيضا فلينتفع بذلك الحاجز، وأيضا المؤمن في قلبه بحران بحر الإيمان والحكمة وبحر الطغيان والشهوة وهو بتوفيقه جعل بينهما حاجزا لكي لا يفسد أحدهما بالآخر، **وقال بعض الحكماء في** قوله: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان [الرحمن: ١٩، ٢٠] قال عند عدم البغي يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان [الرحمن: ٢٢] فعند عدم البغي في القلب يخرج الدين والإيمان بالشكر، فإن قيل ولم جعل البحر ملحا؟ قلنا لولا ملوحته لأجن «١» وانتشر فساد أجونته في الأرض وأحدث الوباء العام، واعلم أن اختصاص البحر بجانب من الأرض دون جانب أمر غير واجب بل الحق أن البحر ينتقل في مدد لا تضبطها التواريخ المنقولة من قرن إلى قرن لأن استمداد البحر في الأكثر من الأنهار، والأنهار تستمد في الأكثر من العيون، وأما مياه السماء فإن حدوثها في فصل بعينه دون فصل، ثم لا العيون ولا مياه السماء يجب أن تتشابه أحوالها في بقاع واحدة بأعيانها تشابها مستمرا فإن كثيرا من العيون يغور، وكثيرا ما تقحط السماء فلا بد حينئذ من نضوب الأودية والأنهار فيعرض بسبب ذلك نضوب البحار، وإذا حدثت العيون من جانب آخر حدثت الأنهار

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣٨٨/١٢

هناك فحصلت البحار من ذلك الجانب، ثم إنه سبحانه لما بين أنه هو المختص بالقدرة على خلق الأرض التي فيها هذه المنافع الجليلة وجب أن يكون هو المختص بالإلهية، ونبه بقوله تعالى: بل أكثرهم لا يعقلون على عظيم جهلهم بالذهاب عن هذا التفكر.

[سورة النمل (٢٧) : آية ٦٢]

أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون (٦٢)

النوع الثالث- ما يتعلق باحتياج الخلق إليه سبحانه اعلم أنه سبحانه نبه في هذه الآية على أمرين: أحدهما: قوله: أمن يجيب المضطر إذا دعاه قال صاحب «الكشاف» : الضرورة الحالة المحوجة إلى الالتجاء والاضطرار افتعال منها: يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر، واعلم أن المضطر هو الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى التضرع إلى الله تعالى، وعن السدي: الذي لا حول له ولا قوة، وقيل المذنب إذا استغفر، فإن قيل قد عم المضطرين بقوله: أمن يجيب المضطر إذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب؟ جوابه: قد بينا في أصول الفقه أن المفرد المعرف لا يفيد/ العموم وإنما يفيد الماهية فقط، والحكم المثبت للماهية يكفي في صدقه ثبوته في فرد واحد من أفراد الماهية، وأيضا فإنه تعالى وعد بالاستجابة ولم يذكر أنه يستجيب في الحال وتمام القول في شرائط الدعاء والإجابة مذكور في قوله تعالى: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم [غافر: ٦٠] فأما قوله تعالى: ويكشف السوء فهو كالتفسير للاستجابة، فإنه لا يقدر أحد على كشف ما دفع إليه من فقر إلى غنى ومرض إلى صحة وضيق إلى سعة إلا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا ينازع وثانيهما: قوله:

ويجعلكم خلفاء الأرض فالمراد توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وأراد بالخلافة الملك والتسلط، وقرئ يذكرون بالياء مع الإدغام وبالتاء مع الإدغام وبالحذف وما مزيدة أي يذكرون تذكرا قليلا، والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي.

---

(١) أجن الماء: صار آجنا أي تغير لونه أو طعمه أو ريحه وفسد. [.....]".(١)

٦٣٠-"في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى

[الإسراء: ٧٢] ثم إنهم لم يعلموا أن العود إلى الدنيا بعيد محال بحكم الإخبار.

وعلى هذا قالوا: نعمل صالحا جازمين من غير استعانة بالله ولا مثنوية فيه، ولم يقولوا إن الأمر بيد الله، فقال الله لهم إذا كان اعتمادكم على أنفسكم فقد عمرناكم مقدارا يمكن التذكر فيه والإتيان بالإيمان والإقبال على الأعمال.

وقولهم: غير الذي كنا نعمل إشارة إلى ظهور فساد عملهم لهم وكأن الله تعالى كما لم يهدهم في الدنيا لم يهدهم في الآخرة،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٥٦٥/٢٤

فما قالوا ربنا زدت للمحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم ونحن أحوج إلى تخفيف العذاب منهم إلى تضعيف الثواب فافعل بنا ما أنت أهله نظرا إلى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن أهله نظرا إلى عدلك وانظر إلى مغفرتك الهاطلة ولا تنظر إلى معذرتنا الباطلة، وكما هدى الله المؤمن في الدنيا هداه في العقبى حتى دعاه بأقرب دعاء إلى الإجابة وأثنى عليه بأطيب ثناء عند الإنابة فقالوا الحمد لله وقالوا ربنا غفور اعترافا بتقصيرهم شكور إقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم إليهم وقالوا: أحلنا دار المقامة من فضله [فاطر:

٣٥] أي لا عمل لنا بالنسبة إلى نعم الله وهم قالوا: أخرجنا نعمل صالحا/ إغماضا في حق تعظيمه وإعراضا عن الاعتراف بعجزهم عن الإتيان بما يناسب عظمته، ثم إنه تعالى بين أنه آتاهم ما يتعلق بقبول المحل من العمر الطويل وما يتعلق بالفاعل في المحل، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفاعل الخير فيهم ومظهر السعادات.

فقال تعالى: أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير.

فإن المانع إما أن يكون فيهم حيث لم يتمكنوا من النظر فيما أنزل الله، وإما أن يكون في مرشدهم حيث لم يتل عليهم ما يرشدهم.

ثم قال تعالى: فذوقوا فما للظالمين من نصير وقوله: فذوقوا إشارة إلى الدوام وهو أمر إهانة، فما للظالمين الذين وضعوا أعمالهم وأقوالهم في غير موضعها وأتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير في وقت الحاجة ينصرهم، **قال بعض الحكماء** قوله: فما للظالمين من نصير وقوله: وما للظالمين من أنصار [البقرة: ٢٧٠] يحتمل أن يكون المراد من الظالم الجاهل جهلا مركبا، وهو الذي يعتقد الباطل حقا في الدنيا وما له من نصير أي من علم ينفعه في الآخرة، والذي يدل عليه هو أن الله تعالى سمى البرهان سلطانا، كما قال تعالى: فأتونا بسلطان [إبراهيم: ١٠] والسلطان أقوى ناصر إذ هو القوة أو الولاية وكلاهما ينصر والحق التعميم، لأن الله لا ينصره وليس غيره نصيرا فما لهم من نصير أصلا، ويمكن أن يقال إن الله تعالى قال في آل عمران وما للظالمين من أنصار [آل عمران: ١٩٢] وقال: فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين [الروم: ٢٩] وقال هاهنا: فما للظالمين من نصير أي هذا وقت كونهم واقعين في النار، فقد أيس كل منهم من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصرة ولم يبق إلا توقعهم من الله فقال: ما لكم من نصير أصلا، وهناك كان الأمر محكيا في الدنيا أو في أوائل الحشر، فنفى ما كانوا يتوقعون منهم النصرة وهم آلهتهم. ثم قال تعالى:

[سورة فاطر (٣٥) : آية ٣٨]

إن الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور (٣٨)

تقريرا لدوامهم في العذاب، وذلك من حيث إن الله تعالى لما قال: وجزاء سيئة سيئة مثلها [الشورى:". [١]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢٤٣/٢٦

٦٣١-"المسألة الثانية: كرر ذكر البناء في السموات، قال تعالى: والسماء وما بناها [الشمس: ٥] وقال تعالى: [النازعات: ٢٧] أم السماء بناها وقال تعالى: جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء [غافر: ٦٤] فما الحكمة فيه؟ نقول فيه وجوه أحدها: أن البناء باق إلى قيام القيامة لم يسقط منه شيء ولم يعدم منه جزء، وأما الأرض فهي في التبدل والتغير فهي كالفرش الذي يبسط ويطوى وينقل، والسماء كالبناء المبني الثابت، وإليه الإشارة بقوله تعالى: سبعا شدادا [النبأ: ١٢] وأما الأراضي فكم منها ما صار بحرا وعاد أرضا من وقت/ حدوثها ثانيها:
أن السماء ترى كالقبة المبنية فوق الرؤوس، والأرض مبسوطة مدحوة والبناء بالمرفوع أليق، كما قال تعالى:
رفع سمكها [النازعات: ٢٨] ثالثها: **قال بعض الحكماء**: السماء مسكن الأرواح والأرض موضع الأعمال والمسكن أليق بكونه بناء والله أعلم.
المسألة الثالثة: الأصل تقديم العامل على المعمول والفعل هو العامل فقوله بنينا عامل في السماء، فما الحكمة في تقديم المفعول على الفعل ولو قال: وبنينا السماء بأيد، كان أوجز؟ نقول الصانع قبل الصنع عند الناظر في المعرفة، فلما كان المقصود إثبات العلم بالصانع، قدم الدليل فقال والسماء المزينة التي لا تشكون فيها بنيناها فاعرفونا بها إن كنتم لا تعرفوننا.
المسألة الرابعة: إذا كان المقصود إثبات التوحيد، فكيف قال: بنيناها ولم يقل بنيتها أو بناها الله؟
نقول قوله بنينا أدل على عدم الشريك في التصرف والاستبداد وقوله بنيتها يمكن أن يكون فيه تشريك، وتمام التقرير هو أن قوله تعالى: بنيناها لا يورث إيهاما بأن الآلهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع إليها الضمير في بنيناها لأن تلك إما أصنام منحوتة وإما كواكب جعلوا الأصنام على صورها وطبائعها، فأما الأصنام المنحوتة فلا يشكون أنها ما بنت من السماء شيئا، وأما الكواكب فهي في السماء محتاجة إليها فلا تكون هي بانيتها، وإنما يمكن أن يقال إنما بنيت لها وجعلت أماكنها، فلما لم يتوهم ما قالوا قال بنينا نحن ونحن غير ما يقولون ويدعونه فلا يصلحون لنا شركاء لأن كل ما هو غير السماء ودون السماء في المرتبة فلا يكون خالق السماء وبانيها فإذن علم أن المراد جمع التعظيم وأفاد النص عظمته، فالعظمة أنفى للشريك فثبت أن قوله بنيناها أدل على نفي الشريك من بنيتها وبناها الله.
فإن قيل: لم قلت إن الجمع يدل على التعظيم؟ قلنا الجواب من الوجهين الأول: أن الكلام على قدر فهم السامع، والسامع هو الإنسان، والإنسان يقيس الشاهد على الغائب، فإن الكبير عندهم من يفعل الشيء بجنده وخدمه ولا يباشر بنفسه، فيقول الملك فعلنا أي فعله عبادنا بأمرنا ويكون في ذلك تعظيم، فكذلك في حق الغائب الوجه الآخر: هو أن القول إذا وقع من واحد وكان الغير به راضيا يقول القائل فعلنا كلنا كذا وإذا اجتمع جمع على فعل لا يقع إلا بالبعض، كما إذا خرج جم غفير وجمع كثير لقتل سبع وقتلوه يقال قتله أهل بلدة كذا لرضا الكل به وقصد الكل إليه، إذا عرفت هذا فالله تعالى كيفما أمر بفعل شيء لا يكون لأحد رده وكان كل واحد منقادا له، يقول بدل فعلت فعلنا، ولهذا الملك العظيم أجمعنا بحيث لا ينكره أحد ولا يرده نفس، وقوله تعالى: بأيد أي قوة والأيد القوة هذا هو المشهور وبه فسر قوله تعالى: ذا الأيد إنه أواب [ص: ١٧] يحتمل أن يقال إن المراد جمع اليد، ودليله أنه قال تعالى: لما خلقت بيدي [ص: ٧٥] وقال تعالى:

مما عملت أيدينا أنعاما [يس: ٧١] وهو راجع في الحقيقة إلى المعنى الأول وعلى هذا فحيث قال: خلقت". (١)

٦٣٢-"نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد السندان والكلبتان/ والمقمعة والمطرقة والإبرة، والمعمقة ما يحدد به، ويدل على صحة هذا ما

روى ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد والنار والماء والملح» .

والقول الثاني: أن معنى هذا الإنزال الإنشاء والتهيئة، كقوله تعالى: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج [الزمر: ٦] قال قطرب: أنزلناها [النور: ١] أي هيأناها من النزل، يقال: أنزل الأمير على فلان نزلا حسنا، ومنهم من قال هذا من جنس قوله: علفتها تبنا وماء باردا، وأكلت خبزا ولبنا.

المسألة الثالثة: ذكر في منافع الميزان أن يقوم الناس بالقسط، والقسط والإقساط هو الإنصاف وهو أن تعطي قسط غيرك كما تأخذ قسط نفسك، والعادل مقسط قال الله تعالى: إن الله يحب المقسطين [الحجرات: ٩] والقاسط الجائر قال تعالى: أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا

[الجن: ١٥] وأما الحديد ففيه البأس الشديد فإن آلات الحروب متخذة منه، وفيه أيضا منافع كثيرة منها قوله تعالى: وعلمناه صنعة لبوس لكم [الأنبياء: ٨٠] ومنها أن مصالح العالم، إما أصول، وإما فروع، أما الأصول فأربعة: الزراعة والحياكة وبناء البيوت والسلطنة، وذلك لأن الإنسان مضطر إلى طعام يأكله وثوب يلبسه وبناء يجلس فيه، والإنسان مدني بالطبع فلا تتم مصلحته إلا عند اجتماع جمع من أبناء جنسه يشتغل كل واحد منهم بمهم خاص، فحينئذ ينتظم من الكل مصالح الكل، وذلك الانتظام لا بد وأن يفضي إلى المزاحمة، ولا بد من شخص يدفع ضرر البعض عن البعض، وذلك هو السلطان، فثبت أنه لا تنتظم مصلحة العالم إلا بهذه الحروف الأربعة، أما الزراعة فمحتاجة إلى الحديد، وذلك في كرب الأراضي وحفرها، ثم عند تكون هذه الحبوب وتولدها لا بد من خبزها وتنقيتها، وذلك لا يتم إلا بالحديد، ثم الحبوب لا بد من طحنها وذلك لا يتم إلا بالحديد، ثم لا بد من خبزها ولا يتم إلا بالنار، ولا بد من المقدحة الحديدية، وأما الفواكه فلا بد من تنظيفها عن قشورها، وقطعها على الوجوه الموافقة للأكل ولا يتم ذلك إلا بالحديد، وأما الحياكة فمعلوم أنه يحتاج في آلات الحياكة إلى الحديد ثم يحتاج في قطع الثياب وخياطتها إلى الحديد، وأما البناء فمعلوم أن كمال الحال فيه لا يحصل إلا بالحديد، وأما أسباب السلطنة فمعلوم أنها لا تتم ولا تكمل إلا بالحديد، وعند هذا يظهر أن أكثر مصالح العالم لا تتم إلا بالحديد، ويظهر أيضا أن الذهب لا يقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح فلو لم يوجد الذهب في الدنيا ما كان يختل شيء من مصالح الدنيا، ولو لم يوجد الحديد لاختل جميع مصالح الدنيا، ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة، جعله سهل الوجدان، كثير الوجود، والذهب لما قلت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود، وعند هذا يظهر أثر وجود الله تعالى ورحمته على عبيده، فإن كل ما كانت حاجتهم إليه أكثر، جعل وجدانه أسهل، ولهذا **قال بعض الحكماء** إن أعظم الأمور حاجة إليه هو

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ١٨٧/٢٨

الهواء، فإنه لو انقطع وصوله إلى القلب لحظة لمات الإنسان في الحال، فلا جرم جعله الله أسهل الأشياء وجدانا، وهيأ أسباب التنفس وآلاته، حتى إن الإنسان يتنفس دائما بمقتضى طبعه من غير/ حاجة فيه إلى تكلف عمل، وبعد الهواء الماء، إلا أنه لما كانت الحاجة إلى الماء أقل من الحاجة إلى الهواء جعل تحصيل الماء أشق قليلا من تحصيل الهواء، وبعد الماء الطعام، ولما كانت الحاجة إلى الطعام أقل من الحاجة إلى الماء، جعل تحصيل الطعام أشق من تحصيل الماء، ثم تتفاوت الأطعمة في درجات الحاجة والعزة فكل ما كانت الحاجة إليه أشد، كان وجدانه أسهل، وكل ما كان". (١)

٦٣٣-"الكفر في الشهر الحرام أعظم من ذلك وثانيها: أن الفتنة أصلها عرض الذهب على النار لاستخلاصه من الغش، ثم صار اسما لكل ما كان سببا للامتحان تشبيها بهذا الأصل، والمعنى: أن إقدام الكفار على الكفر وعلى تخويف المؤمنين، وعلى تشديد الأمر عليهم بحيث صاروا ملجئين إلى ترك الأهل والوطن هربا من إضلالهم في الدين، وتخليصا للنفس مما يخافون ويحذرون، فتنة شديدة بل هي أشد من القتل الذي يقتضي التخليص من غموم الدنيا وآفاتها، **وقال بعض الحكماء**: ما أشد من هذا القتل الذي أوجبه عليكم جزاء غير تلك الفتنة.

الوجه الثالث: أن يكون المراد من الفتنة العذاب الدائم الذي يلزمهم بسبب كفرهم، / فكأنه قيل: اقتلوهم من حيث ثقفتموهم، واعلم أن وراء ذلك من عذاب الله ما هو أشد منه كقوله: ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده [التوبة: ٥٢] وإطلاق اسم الفتنة على العذاب جائز، وذلك من باب إطلاق اسم السبب على المسبب، قال تعالى: يوم هم على النار يفتنون [الذاريات: ١٣] ثم قال عقيبه: ذوقوا فتنتكم [الذاريات: ١٤] أي عذابكم، وقال: إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات [البروج: ١٠] أي عذبوهم، وقال: فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله [العنكبوت: ١٠] أي عذابهم كعذابه.

الوجه الرابع: أن يكون المراد فتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام، أشد من قتلكم إياهم في الحرم، لأنهم يسعون في المنع من العبودية والطاعة التي ما خلقت الجن والإنس إلا لها.

الوجه الخامس: أن ارتداد المؤمن أشد عليه من أن يقتل محقا والمعنى: وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ولو أتى ذلك على أنفسكم فإنكم إن قتلتم وأنتم على الحق كان ذلك أولى بكم وأسهل عليكم من أن ترتدوا عن دينكم أو تتكاسلوا في طاعة ربكم.

أما قوله: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ففيه مسائل:

المسألة الأولى: هذا بيان لبقاء هذا الشرط في قتالهم في هذه البقعة خاصة، وقد كان من قبل شرطا في كل القتال وفي الأشهر الحرم.

المسألة الثانية: قرأ حمزة والكسائي: ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كله بغير ألف، والباقون جميع ذلك بالألف، وهو في المصحف بغير ألف، وإنما كتبت كذلك للإيجاز، كما كتب: الرحمن بغير ألف، وكذلك: صالح، وما أشبه ذلك من

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢٩/٤٧١

حروف المد واللين، قال القاضي رحمه الله: القراءتان المشهورتان إذا لم يتناف العمل وجب العمل بهما، كما يعمل بالآيتين إذا لم يتناف العمل بهما، وما يقتضيه هاتان القراءتان المشهورتان لا تنافي فيه، فيجب العمل بهما ما لم يقع النسخ فيه، يروى أن الأعمش قال لحمزة: أرأيت قراءتك إذا صار الرجل مقتولا فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره؟ فقال حمزة: إن العرب إذا قتل رجل منهم قالوا قتلنا، وإذا ضرب رجل منهم قالوا ضربنا.

المسألة الثالثة: الحنفية تمسكوا بهذه الآية في مسألة الملتجئ إلى الحرم، وقالوا: لما لم يجز القتل عند المسجد الحرام بسبب جناية الكفر فلأن لا يجوز القتل في المسجد الحرام بسبب الذنب الذي هو دون الكفر كان أولى، وتمام الكلام فيه في كتب الخلاف.

أما قوله تعالى: فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم فاعلم أنه تعالى أوجب عليهم القتال على ما تقدم". (١)

٦٣٤-"عنه وتتوكلوا في أموركم على الله لا يضركم كيدهم شيئا وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو لا يضركم بفتح الياء وكسر الضاد وسكون الراء، وهو من ضاره يضيره، ويضوره ضورا إذا ضره، والباقون لا يضركم بضم الضاد والراء المشددة وهو من الضر، وأصله يضرركم جزما، فأدغمت الراء في الراء ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمت الراء الآخرة، اتباعا لأقرب الحركات وهي ضمة الضاد، وقال بعضهم: هو على التقديم والتأخير تقديره: ولا يضركم كيدهم شيئا إن تصبروا وتتقوا، قال صاحب «الكشاف» : وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء.

المسألة الثانية: الكيد هو أن يحتال الإنسان ليوقع غيره في مكروه، وابن عباس فسر الكيد هاهنا بالعداوة.

المسألة الثالثة: شيئا نصب على المصدر أي شيئا من الضر.

المسألة الرابعة: معنى الآية: أن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى واتقى كل ما نهى الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين.

وتحقيق الكلام في ذلك هو أنه سبحانه إنما خلق الخلق للعبودية كما قال: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [الذاريات: ٥٦] فمن وفى بعهد العبودية في ذلك فالله سبحانه أكرم من أن لا يفي بعهد الربوبية في حفظه عن الآفات والمخافات، وإليه الإشارة بقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب [الطلاق: ٢، ٣] إشارة إلى أنه يوصل إليه كل ما يسره، **وقال بعض الحكماء**: إذا أردت أن تكبت من يحسد فاجتهد في اكتساب الفضائل.

ثم قال تعالى: إن الله بما يعملون محيط وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرئ بما يعملون بالياء على سبيل المغايبة بمعنى أنه عالم بما يعملون في معاداتكم فيعاقبهم عليه، ومن قرأ بالتاء على سبيل المخاطبة، فالمعنى أنه عالم محيط بما تعملون من الصبر والتقوى فيفعل بكم ما أنتم أهله.

المسألة الثانية: إطلاق لفظ المحيط على الله مجاز، لأن المحيط بالشيء هو الذي يحيط به من كل جوانبه، وذلك من صفات

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٥/٢٩٠

الأجسام، لكنه تعالى لما كان عالما بكل الأشياء قادرا على كل الممكنات، جاز في مجاز اللغة أنه محيط بها، ومنه قوله والله من ورائهم محيط [البروج: ٢٠] وقال: والله محيط بالكافرين [البقرة: ١٩] وقال: ولا يحيطون به علما [طه: ١١٠] وقال: وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا [الجن: ٢٨] .

المسألة الثالثة: إنما قال: إن الله بما يعملون محيط ولم يقل إن الله محيط بما يعملون لأنهم يقدمون الأهم والذي هم بشأنه، أعني وليس المقصود هاهنا بيان كونه تعالى عالما، بينا أن/ جميع أعمالهم معلومة لله تعالى ومجازيهم عليها فلا جرم قد ذكر العمل والله أعلم.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٢١ الى ١٢٢]

وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم (١٢١) إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٢٢)

[في قوله تعالى وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال]". (١)

٦٣٥-"فشبه الناقة بالوحشية ثم ذكر أنها مسبوعة مخذولة، ولا اختصاص للناقة بهذا الوصف.

والثاني: أنه شبه ما أتى الله الإنسان من المعاون التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي فيه خياة كل ذي حياة، وما فيه من المشاق المبهمة والعوارض المشكلة بظلمات، وجمع الظلمات تنبيها على كثرة العوارض، وشبه ما فيه من الوعيد بالرعد، وما فيه من الآيات الباهرة بالبرق، ثم ذكر كل واحد من هذه الأشياء فقال: إذا سمعوا وعيدا تصاموا عنه كحال من تهوله الرعد فيخاف من صواعقه، فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهذا معنى قوله: " الله محيط بالكافرين "، ثم ذكر أنه إذا رأوا لامعا لهم إما راشد تدركه بصائرهم وإما رفدا ينفعهم اهتزوا له، فمضوا بنوره وذلك قوله "كلما أضاء لهم مشوا فيه "، ثم بين أنه إن اعترض لهم شبهة أو عن لهم مصيبة تحيروا، فوقفوا، وذلك معنى قوله ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ وقوله ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ تنبيها على أنهم يصرفون أسماعهم وأبصارهم عما فيه نجاتهم وتأمل ما فيه صلاحهم وإنما جعل الله لهم السمع والأبصار لينفعهم ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي أنفسهم عليها يسدهما وتعطيلهما، وذلك تنبيه على أنه إنما أعطاهم هذه الآلات لينتفعوا بها.

قوله - عز وجل - ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ الآية (٢١) - سورة البقرة. قد تقدم أن " الناس " يستعمل على وجهين أحدهما المشار به إلى الصورة المخصوصة، وذلك عام في الصغير والكبير، والعاقل وغير العاقل، والثاني المشار به إلى المختص بقوى العلم والعمل المحكم وهو المستعمل على طريق المدح، ولذلك يقال: فلان أكثر إنسانية من فلان، لاختصاص هذا المعنى بقبول الزيادة والنقصان، وهذا المعنى هو المراد في هذا الموضع، والعبادة نهاية التذلل في الخدمة وبذل الطاعة وذلك في مقابلة أعظم النعم، ولا يستحقها غير الله تعالى، فهو الذي له أعظم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣٤٤/٨

النهم، و " العبادة " تقال في ثلاثة أشياء: اعتقاد الحق، وتحري الصدق، وعمل الخير، وعبادة الله قد يكون في فعل المباحات كما يكون في أداء الواجبات وذلك إذا قصد بالفعل وجه الله وتحرى به مرضاته.

وقد **قال بعض الحكماء**: " مباحات أولياء الله كلها واجبات " وواجباتهم نوافل " فقيل كيف يكون ذلك؟ قال: لأنهم لا يقومون على تناول مباح لهم كالأكل والشرب حتى يضطروا إليه، فيصير تناولها متحتما ويلتزمون من الفرائض فوق ما يلزمهم حتى يصير فرضهم متنفلا، وبهذا النظر قيل". (١)

٦٣٦-"(ولا تكونوا أول كافر به وتشتروا بآياتي ثمنا قليلا وتكتموت الحق) ، ونحو ذلك في احتمال الجواب والعطف..

قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾ ، وقوله: ﴿وأنتم تعلمون﴾ تعظيم لارتكاب الذنب، فإنه مع العلم بقبحة لأعظم عقوبة، ولهذا **قال بعض الحكماء:**

(لأن أدع الحق جهلا به، أحب إلي من أن أدعه زهدا فيه، ولأن أترك جميع الخير جهلا به أحب إلي من أفعل أقل الشر، بعد المعرفة بقبحه) .

وقد تقدم الكلام في الحق، فأما الباطل: فالإثبات له عند الفحص عنه، والحق يناقضه، وذلك عام في الاعتقاد والمقال والفعال.

ولذلك قال الشاعر:

لقد نظقت بطلا على الأقارع.

فاستعمله في القول، وفي الآية حث على تجنب الشر والنهي عن كل تلبيس وتمويه وإن كانت الآية واردة فيمن آمنوا ببعض الكتاب، وكفروا بالبعض، وجحدوا صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقول ابن عباس - رضي الله عنهما: [لا تخلطوا الصدق بالكذب وقول بن زيد] لا تخلطوا الحق الذي هو التوارة بالباطل الذي كتبتموه بأيديكم، فإشارة إلى بعض ما يقتضيه عموم الآية.". (٢)

٦٣٧-"التذليل وإزالة السورة، يقال: قتلت الدابة، أي: ذللتها، وقتلت الخمر: أزلت سورتها بالمزج، قال الشاعر:

إن التي ناولتني فرددتها....

قتلت قتلت فهاتها لم يقتل

وفلان قتل فلانا، أي: مثله، فأصله مقاتلة، فتصور منه معنى المماثلة، لكون المقاتلين متماثلين في فعليهما المختص بهما، وإذ قيل: فلان قتل نفسه، فقد يقال: إذا فعل بنفسه فعلا أزال به الروح، وقد يقال إذ سلم نفسه للقتل، وإن كان أكثر ما يقال في ذلك المستقتل وقد يقال: إذ قيل من يختص به اختصاص نفسه نحو: فلم أقطع بهم إلا بنائي، وقوله: وإذا رميت

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ١٠٩/١

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ١٧٢/١

وقد يقال: قتل فلان نفسه، إذا ضيع حظها في طلب الآخرة، فأدى به ذلك إلى زوال حياته الأبدية، وذلك مذموم، وقد يقال في ضد ذلك وهو إذا أفنى شهوته وذلك هواه في الدنيا طلبا للآخرة، وذلك محمود، وعلى الاول قال جعفر بن محمد في قوله: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ أي: اطلبوا لها الحياة الأبدية، وعلى هذا قيل: " قتل النفس إحياءها، وإحياءها قتلها، يعني في حالة وحالة، وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى (أن من أحبني قتلته، فقال يارب: إذا انتهيت في الخلة لم أبال بقتل الدنيا) **وقال بعض الحكماء**: " من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحبها (فاقتلوا أنفسكم) حملوه على أكثر هذه الوجوه، قال بعضهن: أمروا أن يجبا كل واحد نفسه بالسكين، وقيل: أمروا أن يسلم كل أحد للقتل، وقال أكثرهم: " أمروا أن يقتل بعضهم بعضا فكان الرجل يقتل أباه وأخاه غير متحاش من ذلك قال بعضهم: أمروا أن يزيلوا شهواتهم ويفنوا نفوسهم الشهوية في الوصول إلى رضاء الرب ويبلغوا إلى الحياة الأبدية وقد طعن في هذه الآية بعض الملحدة، وزعم أن قتل". (١)

٦٣٨-"﴿واستعمركم فيها﴾ ، وما دل عليه قول النبي- عليه السلام- لما خلق الله المعيشة جعل البركة في الحرث والنسل، ولجأ أن من فعل ذلك فإن الله لا يحبه، أي لا يرضى فعله..

إن قيل: كيف حكم تعالى بأنه لا يحب الفساد وهو مفسد للأشياء؟

قيل: الإفساد في الحقيقة إخراج الشيء من حالة محمودة لا لغرض صحيح، وذلك غير موجود في فعل الله تعالى، ولا هو أمر به ولا محب له، وما يراه من فعله، [ويظهر بظاهره] فسادا فهو بالإضافة إلينا ولاعتبار ما، فأما بالنظر الإلهي فكله صلاح، ولهذا **قال بعض الحكماء**: " يا من إفساده إصلاح "، أي ما نظنه إفسادا لقصور نظرنا ومعرفتنا فهو في الحقيقة إصلاح وجملة الأمر أن

الإنسان هو زبدة هذا العالم، وما عداه مخلوق لأجله، ولهذا قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ ، والمقصد من الإنسان سوقه إلى كماله الذي رشح له، فإذن إهلاك ما أمر بإهلاكه فلإصلاح الإنسان، وأما أمانته، فأحد أسباب حياته الأبدية، ولشرح هذه الجملة موضع أخر من التفسير..

قوله - عز وجل -:

﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾

الآية (٢٠٦) - سورة البقرة.

المهد معروف، وتصور منه التوطئة، فقيل لكل وطيء مهد، والمهاد جعل تارة جميعا للمهد، وتارة اسمه للآلة، نحو فراش، وجعل جهنم مهادا لهم كما جعل العذاب مبشرا به في قوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ وقوله: بالإثم أي سبب الإثم وقيل:

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ١٩٣/١

دعته العزة إلى أن يأثم، كقوله: أخذني بفعل". (١)

٦٣٩-"﴿لما آمنوا كشفنا عنهم﴾ فجعل صيانتهم من العذاب كشفنا عنهم، وروي عن مجاهد أن ذلك في قوم ارتدوا عن الإسلام، وقيل إن ذلك نزل في قوم كفروا بعيسى ثم آمنوا بمحمد- عليهما الصلاة والسلام- فأخرجهم الله من الظلمات إلى النور، وقوم آمنوا بعيسى- عليه الصلاة والسلام-، ثم كفروا بمحمد- عليه الصلاة والسلام-، فأخرجهم الطاغوت من النور إلى الظلمة ...

إن قيل: لم قال: يخرجونهم بلفظ الجمع؟

قيل: قد قال بعضهم: الطاغوت يقع على الواحد والجمع كالفلك، ووجه ذلك من حيث المعنى أن الطاغوت إشارة إلى المضلات من الشيطان والهوى وسائر ما يضل، وقد **قال بعض الحكماء ما** هو كالتفسير، لذلك إنه متى يخالف العقل والهوى شيئا ما، أعني: مؤلما- جميلا وملذا فضيحا، يبادر الملك إلى نصرة العقل، فيصير من حزبه، والشيطان إلى نصرة الهوى، فيصير من جنده وإن استشار صالحا من عباد الله، أشار عليه بمقتضى العقل، وإن استشار شريرا أشار عليه بمقتضى الهوى، ولذلك قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ وقوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾". (٢)

٦٤٠-"لذلك قال: "مثل الجليس الصالح كمثل الداري إن لا يحذك
من عطره تعلقك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل القين إن
لا يحرقك بشرره يؤذك بدخانه "، **وقال بعض الحكماء:"**. (٣)

٦٤١-"التنكيل: مصدر نكلت به، والنكال العقوبة التي تنكل المعاقب
وغير المعاقب عن إتيان مثله، وأصله من النكل، وهو ضرب من
القيد، ومنه نكل عن الشيء.

إن قيل: كيف قال: (لا تكلف إلا نفسك) وقد بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ليكلف الناس؟

قيل: لم يعن التكليف الاستدعاء الذي رشح له، ألا ترى أنه قال (وحرض المؤمنين) الآية تقتضي أن على الإنسان أن لا يني في نصرة الحق وإن تفرد، يعد أن لا يني في فعله.

وروي أن أبا بكر رضي الله عنه قال: "لو خالفتني يميني جاهدتها بشمالي" وتلا هذه الآية.

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ٤٢٩/١

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ٥٣٥/١

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ٥٠٨/٢

وقال بعض الحكماء: من". [1]

٦٤٢-"ذكر هنا من عمل ذلك ولم يستغفر، وعظم تعالى من يشاقق

الرسول بعد ما تبين الحق له، وعلى هذا **قال بعض الحكماء**: صغائر الأولياء

أعظم من كبائر العامة، وذاك أنه لا يعذر العالم فيما يرتكبه كما يعذر الجاهل.

فإن قيل ولم كان العالم أكبر جرما؟

قيل: لأن من لا يعرف الحق يستحق العقوبة بترك المعرفة، لأن العمل لا يلزمه حتى يعرفه أو يعرف من يصدقه، والعالم يستحق بترك معرفته وترك استعماله، فإذن هو أعظم جرما.

وقصد تعالى بقوله: (نوله ما تولى ونصله جهنم) أن من لم يتبين له

الهدى فقد جعل الله له نورا يهديه، ومن صار معاندا قطع عنه التوفيق وتركه

هو وهواه، وانقطاع التوفيق هو المعني باللعن والطرد وإليه أشار الشاعر

بقوله: -

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

وبين بقوله: (وساءت مصيرا) عظم حالها في العقاب، واستدل". [2]

٦٤٣-"(وأوحى ربك إلى النحل) وقيل: هو على سبيل الابتلاء لهم من آياته

الباهرة.

وقيل: على لسان نبيهم، فالوحي قد يقال في كل ذلك نحو:

(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) أي على لسان نبي.

وقوله: (وأوحى ربك إلى النحل) يعى بالإلهام.

وقوله: (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا)

قال بعض الحكماء: كما أن كل ساكت ناطق من جهة الدلالة،

فكل دال على معنى من الله فهو وحي منه وعلى هذا قال:

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦) .

وهذا معطوف على ما ذكر تعالى.

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ١٣٥٦/٣

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ١٥٣/٤

ومن نعمه عليه فهمه، وأشهد خطاب فهم لعيسى على سبيل الاستشهاد
منهم، والإسلام هاهنا أبلغ من الكتاب فإنه يقتضي الاستسلام المذكور في قوله: (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين (١٣١) .". [١]

٦٤٤-"[سورة البقرة (٢) : الآيات ٧٤ الى ٧٥]

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (٧٤) أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (٧٥)

قوله: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك، قال الزجاج: تأويل قست في اللغة أي غلظت ويبست، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع. وقوله: من بعد ذلك، قد قيل: من بعد إحياء الميت، ويحتمل بعد الآيات التي ذكرت، نحو مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وتفجير الأنهار من الحجر وغير ذلك. **وقال بعض الحكماء**: معنى قوله: ثم قست قلوبكم، أي يبست. ويبس القلب أن ييبس عن ماءين أحدهما: ماء خشية الله والثاني: ماء شفقة الخلق.

ثم قال تعالى: فهي كالحجارة، وكل قلب لا يكون فيه خشية الله تعالى فهو كالحجارة. أو أشد قسوة، قال بعضهم: بل أشد قسوة مثل قوله تعالى: إلى مائة ألف أو يزيدون [الصافات: ١٤٧] بمعنى بل يزيدون، وكقوله: كلمح البصر أو هو أقرب [النحل: ٧٧] ، أي بل هو أدنى. وقال بعضهم: معناه وأشد قسوة الألف زائدة. وقال الزجاج:

أو للتخيير يعني إن شئتم شبهتم قسوتها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة فأنتم مصيبون كقوله تعالى: كصيب من السماء [البقرة: ١٩] ثم قال تعالى: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار فأعذر الحجارة وعاب قلوبهم، حين لم تلن بذكر الله ولا بالموعظة فقال: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، يعني الحجر الذي منه العيون في الجبل. ويقال أراد به حجر موسى- عليه السلام- الذي كان يخرج منه العيون. وإن منها لما يشقق، أي من الحجارة ما يتصدع فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله. ويقال: كل حجر يتردى من رأس الجبل إلى الأرض فهو من خشية الله. ويقال: أراد به الجبل الذي صار دكا حين كلم الله موسى- عليه السلام-. ويقال: هو جميع الجبال، وما يزول الحجر من مكانه إلا من خشية الله تعالى. وقال بعضهم: هو على وجه المثال، يعني لو كان له عقل لهبط من خشية الله تعالى، وهو قول المعتزلة وهو خلاف أقاويل أهل التفسير.

قوله تعالى: وما الله بغافل عما تعملون، قرأ ابن كثير وابن عامر يعملون بالياء والباقون بالتاء. واختلفوا في مواضع أخرى. قرأ حمزة والكسائي في كل موضع وما الله بغافل عما تعملون بالياء. وفي كل موضع وما ربك بغافل عما تعملون [هود:

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ٤٩٣/٥

١٢٣] بالتاء. واختلفت الروايات عن غيرهما. وهذا كلام التهديد، يعني أن الله تعالى يجازيكم بما". [1]

٦٤٥-"النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ثم خرج من عنده، فمر بزرع للمسلمين فأحرقه، ومر بحمار للمسلمين فعقره، فنزلت هذه الآية: ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، أي يعجبك كلامه وحديثه. ويشهد الله على ما في قلبه من الضمير أنه يحبه وهو يريد الإسلام وهو ألد الخصام، أي شديد الخصومة. قال القتبي: أي أشدهم خصومة. يقال: رجل ألد بين اللد واللدد، وقوم لد. كما قال في آية أخرى: وتنذر به قوما لدا [مريم: ٩٧] .

ثم قال: وإذا تولى سعى في الأرض، يقول: إذا فارقك رجع عنك، سعى في الأرض، أي مضى في الأرض بالمعاصي. ليفسد فيها، أي يعصي الله في الأرض ويهلك الحرث والنسل، أي يحرق الكدس ويعقر الدواب. والله لا يحب الفساد، أي لا يرضى بعمل المعاصي.

وإذا قيل له اتق الله في صنعك، أخذته العزة، أي الحمية بالإثم، يعني الحمية في الإثم، يعني تكبرا. يقول الله تعالى: فحسبه جهنم ولبئس المهاد، أي ولبئس الفراش ولبئس القرار. فهذه الآية نزلت في شأن أخنس بن شريق، ولكنها صارت عامة لجميع الناس فمن عمل مثل عمله، استوجب تلك العقوبة. **وقال بعض الحكماء**، إن من يقتل حمارا ويحرق كدسا، استوجب الملامة ولحقه الشين إلى يوم القيامة فالذي يسعى بقتل مسلم كيف يكون حاله؟ وذكر أن يهوديا كانت له حاجة إلى هارون الرشيد، فاختلف إلى بابه سنة، فلم تنقض حاجته فوقف يوما على الباب، فلما خرج هارون الرشيد سعى ووقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين. فنزل هارون عن دابته وخر ساجدا لله تعالى، فلما رفع رأسه أمر به، فقضيت حاجته. فلما رجع قيل: يا أمير المؤمنين نزلت عن دابتك بقول يهودي؟ قال: لا ولكن تذكرت قول الله تعالى: وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم إلى آخره. وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دعيتم إلى الله فأجيبوا، وإذا سئلتم بالله فأعطوا فإن المؤمنين كانوا كذلك» .

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٠٧]

ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد (٢٠٧)

ثم قال تعالى: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في شأن صهيب بن سنان الرومي، مولى عبد الله بن جدعان، وفي نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ياسر أبو عمار بن ياسر، وسمية أم عمار، وخباب بن الأرت وغيرهم أخذهم المشركون فعذبوهم. فأما صهيب فإنه كان شيخا كبيرا وله مال ومتاع، فقال لأهل مكة: إني شيخ كبير، وإني لا أضركم إن كنت معكم أو مع عدوكم، فأنا أعطيكم مالي ومتاعي وذروني وديني، أشتريه منكم بمالي. ففعلوا ذلك، فأعطاهم ماله إلا مقدار راحلته، وتوجه إلى". [2]

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٦٥/١

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ١٣٦/١

٦٤٦-"ويأمركم بالفحشاء قال الكلبي: يعني يمنع الزكاة. ويقال: جميع الفواحش مثل الزنى وقول الزور وغير ذلك والله يعدكم مغفرة منه لذنوبكم يعني المغفرة من الله. وفضلا يعني خلفا في الدنيا والله واسع الفضل عليم بما تنفقون. ويقال: عليم بمواضع الصدقات.

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٦٩]

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩)

يؤتي الحكمة من يشاء قال ابن عباس: يعني النبوة. وقال الكلبي: يعني الفقه. وقال مقاتل: يعني علم القرآن. ويقال: الإصابة في القول. ويقال: المعرفة بمكائد الشيطان ووساوسه. وقال مجاهد: الإصابة في القوم والفهم والفقه. ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا يقول من يعط علم القرآن، فقد أعطي خيرا كثيرا. وما يذكر أي ما يتفكر. ويقال:

ما يتعظ بما في القرآن إلا أولوا الألباب يعني ذوو العقول. ويقال: إن من أعطي الحكمة والقرآن، فقد أعطي أفضل مما أعطي من جميع كتب الأولين من الصحف وغيرها، لأنه تعالى قال لأولئك وما أوتيتم من العلم إلا قليلا، وسمي لهذا خيرا كثيرا، لأن هذا جوامع الكلم.

وقال بعض الحكماء: من أعطي العلم والقرآن، ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لأجل دنياهم، لأن ما أعطي أفضل مما أعطوا أصحاب الدنيا، لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعا قليلا. وقال: قل متاع الدنيا قليل، وسمى العلم خيرا كثيرا.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٧٠ الى ٢٧١]

وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار (٢٧٠) إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير (٢٧١)

لقوله وما أنفقتم من نفقة يقول ما تصدقتم من صدقة. أو نذرتم من نذر فوفيتم بنذوركم فإن الله يعلمه أي يحصيه ويقبله منكم، وهذا وعد من الله تعالى، فكأنه يقول: إنه لا ينسى بل يعطي ثوابكم. وما للظالمين من أنصار يعني ليس للمشركين من مانع في الآخرة يمنعهم من العذاب إن تبدوا الصدقات وذلك أن الله تعالى لما حثهم على الصدقة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟ فنزل قوله: إن تبدوا الصدقات، يعني إن تعلنوا الصدقات المفروضة. فنعما هي قرأ حمزة والكسائي وابن عامر، فنعما هي بنصب النون وكسر العين، وقرأ عاصم في رواية حفص ونافع في رواية". (١)

٦٤٧-"**وقال بعض الحكماء**: أولادنا فتنة إن عاشوا فتنونا، وإن ماتوا أحزنونا.

ثم قال تعالى والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة روي عن الفراء أنه قال: القناطير جمع قنطار، والمقنطرة جمع الجمع،

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ١٧٩/١

فيكون تسع قناطير.
وروي عن أبي عبيدة أنه قال: المقنطرة مفعلة من الورق. كما يقال: ألف مؤلفة، وبذر مبذرة. ويقال: المقنطرة هي المكيلة، ثم اختلفوا في مقدار القنطار، فروي عن مجاهد أنه قال: القنطار سبعون ألف دينار. وقال أبو هريرة: القنطار اثني عشر ألف أوقية. وقال معاذ بن جبل: ألف ومائتا أوقية. وقال بعضهم: ملء مسك ثور من ذهب. حكاه الكلبي، وقال: هو لغة رومية.
وروي عن الحسن البصري أنه سئل عن القنطار ما هو؟ فقال: هو مثل دية أحدكم.
ثم قال تعالى: والخيل المسومة يعني الراعية كما قال في آية أخرى فيه تسيمون أي ترعون. وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل. وقال يحيى بن كثير: هي السمينة المصورة. وقال أبو عبيدة المعلمة. والأنعام يعني الإبل والبقر والغنم والحرث يعني الزرع، ذكر أربعة أصناف كل نوع من المال يتمول به صنف من الناس، أما الذهب والفضة، فيتمول به التجار، وأما الخيل المسومة، فيتمول بها الملوك، وأما الأنعام، فيتمول بها أهل البوادي وأما الحرث فيتمول به أهل الرساتيق، فيكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتمول به، وأما النساء والبنين فهي فتنة للجميع.
ثم زهد في ذلك كله، ورغب في الآخرة فقال تعالى: ذلك متاع الحياة الدنيا أي منفعة الحياة الدنيا تذهب، ولا تبقى والله عنده حسن المآب أي المرجع في الآخرة الجنة، لا تزول. ولا تفنى. ثم بين أن الذي وعد المؤمنين في الآخرة، خير مما زين للكفار فقال تعالى: قل أأنبئكم بخير من ذلكم أي من الذي زين للناس في الدنيا للذين اتقوا الشرك والفواحش والكبائر. ويقال للذين اتقوا الزينة، فلا تشغلهم عن طاعة الله عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار يعني البساتين تجري من تحت شجرها، ومساكنها الأنهار، فهو خير من الزينة الدنيوية وما فيها.
وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها» . قال: خالدين فيها يعني مقيمين فيها أبدا وأزواج مطهرة معناه في الخلق والخلق، فأما الخلق فإنهن لا يحضن ولا يتمخطن، ولا يأتين الخلاء، وأما الخلق، فإنهن لا يغرن ولا يحسدن، ولا ينظرن إلى غير أزواجهن ورضوان من الله أي مع هذه النعم لهم رضوان من الله، وهو من أعظم النعم كما قال في آية أخرى ورضوان من الله". (١)

٦٤٨-"ويقال: تمسكوا بسبيل السنة والهدى، ولا تفرقوا. يقول: ولا تختلفوا في الدين، كاختلاف اليهود والنصارى. ويقال: لا تختلفوا فيما بينكم بالعداوة والبغضاء ويقال واعتصموا بحبل الله جميعا يعني: اطلبوا النصرة من الله لا من القبائل والعشيرة. ويقال: واعتصموا بحبل الله جميعا، يعني ما اشتبه عليكم، فردوه إلى كتاب الله كقوله تعالى: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول [النساء: ٥٩] **وقال بعض الحكماء**: إن مثل من في الدنيا، كمثل من وقع في بئر، فيها من كل نوع من الآفات، فلا يمكنه أن يخرج منها والنجاة من آفاتها إلا بحبل وثيق، فكذلك الدنيا دار محنة، وفيها كل نوع من الآفات، فلا سبيل إلى النجاة منها إلا بالتمسك بحبل وثيق، وهو كتاب الله تعالى.

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ١/١٩٩

ثم ذكرهم نعمته فقال تعالى: اذكروا نعمتي واحفظوا نعمت الله عليكم الإسلام إذ كنتم أعداء في الجاهلية فألف الله بين قلوبكم يعني جمع بين قلوبكم بالإسلام توددا فأصبحتم بنعمته إخوانا يقول: فصرتم بنعمة الإسلام إخوانا في الدين، وكل ما ذكر في القرآن أصبحتم، معناه صرتم، كقوله: أو يصبح ماؤها غورا [الكهف: ٤١] أي صار ماؤكم غورا، وهذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، كان بينهم قتال قبل الإسلام بأربعين عاما، حتى كادوا أن يتفانوا، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة آمن به الأوس والخزرج، وهم بالمدينة، ثم خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، قبل أن يهاجر منهم سبعون رجلا، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه عمه العباس حتى أتى إلى العقبة إلى سبعين رجلا من الأنصار فعاهدوه ثم رجعوا إلى المدينة، وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليهم بعد الحولين، فوقعت بين الأوس والخزرج ألفة، وزالت عنهم العداوة التي كانت بينهم في الجاهلية بالإسلام، وهذا كما ذكر في آية أخرى: لو أنفقت ما في الأرض جميعا مآ ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم [الأنفال: ٦٣] .

وروي عن جابر بن عبد الله أن رجلين من الأنصار: أحدهما من الأوس، والآخر من الخزرج، تفاخرا فيما بينهما، واقتتلا، فاستعان كل واحد منهما بقومه، فاجتمعت الأوس والخزرج، وأخذوا السلاح، وخرجوا للحرب، فبلغ الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم في ثلاثين من المهاجرين، وهو راكب على حمار له قال جابر: فما كان من طالع يومئذ أكرم إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ طلع علينا، فأومأ إلينا بيده، فكففنا، ووقف بيننا على حمار له فقال: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته إلى قوله: واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم. إلى قوله: عذاب عظيم فألقوا السلاح وأطفؤوا الحرب التي كانت بينهم، وعاتق بعضهم بعضا يبكون، فما رأيت الناس أكثر باكيا من يومئذ، فلم يكن في الأرض شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية.". (١)

٦٤٩-"شيء

وإنما يضرون بأنفسهم. قال الضحاك: نزلت الآية في وفد ثقيف، قدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: جئناك لنبايعك على أن لا تكسر أصنامنا ولا تعشرنا، فلم يجبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت لهمت طائفة منهم أن يضلوك

وقال الكلبي: يعني قوم طعمة. ثم قال:

وأنزل الله عليك الكتاب

يعني القرآن والحكمة

يعني يعني القضاء والمواعظ وعلمك

بالوحي ما لم تكن تعلم

قبل الوحي وكان فضل الله عليك عظيما

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٢٣٥/١

بالنبوة. ثم قال:

[سورة النساء (٤) : الآيات ١١٤ الى ١١٥]
لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما (١١٤) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (١١٥)

لا خير في كثير من نجواهم وهو ما يتناجون فيما بينهم، ويقال: في كثير من أحاديثهم، وهم وفد ثقيف أو قوم طعمة إلا من أمر بصدقة يقول: إلا نجوى من أمر بصدقة أو معروف يعني لقرض، كقوله فليأكل بالمعروف [النساء: ٦] ويقال: المعروف يعني القول بالمعروف والنهي عن المنكر أو إصلاح بين الناس يعني: يذهب فيما بين اثنين ليصلح بينهما ومن يفعل ذلك الذي ذكرنا ابتغاء يعني طلبا مرضات الله فسوف نؤتيه يعني في الآخرة أجرا عظيما قرأ حمزة وأبو عمرو نؤتيه بالياء، أي يؤتيه الله تعالى. وقرأ الباقون نؤتيه بالنون، أي نحن نعطيه في الآخرة أجرا عظيما أي ثوابا عظيما.

قوله تعالى: ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد من بعد ما تبين له الهدى أي من بعد ما تبين لهم التوحيد ويتبع غير سبيل المؤمنين أي يتبع دينا غير دين المؤمنين، ويقال: يتبع طريقا أو مذهبا غير طريق المؤمنين. وفي الآية دليل إن الإجماع حجة، لأن من خالف الإجماع فقد خالف سبيل المؤمنين. وقال الضحاك: قدم نفر من قريش المدينة وأسلموا، ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين، فنزلت هذه الآية ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى أي دين الإسلام ويتبع غير سبيل المؤمنين المسلمين نوله ما تولى نكله إلى الأصنام يوم القيامة، وهم لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا، ولا ينجونهم من عذاب الله تعالى. وقال مقاتل: نوله ما تولى أي نتركه وما اختار لنفسه. وقال الكلبي: نوله ما تولى يعني نوله في الآخرة ما تولى في الدنيا، وهذا كما **قال بعض الحكماء**: من أراد أن يعلم كيف يعامل معه في الآخرة، فلينظر كيف يعامل هو في الدنيا. وقال الكلبي: نزلت الآية في شأن طعمة، لما ظهر حاله وسرقته هرب إلى مكة وارتد، فنقب بمكة حائطا لرجل، فسقط حجر فبقي في". (١)

٦٥٠-"يسلم إليه أخته، فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل، وكان ذلك علامة القبول، وتركت قربان قابيل فذلك قوله: إذ قربا قربانا يعني وضعا قربانا. فتقبل من أحدهما يعني هابيل ولم يتقبل من الآخر يعني قابيل ف قال قابيل لهابيل لأقتلنك قال ولم؟ قال: لأن الله قد قبل قربانك ورد علي قرباني. فقال له هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين ولم يكن الذنب مني، وإنما لم يتقبل منك لخيانتك وسوء نيتك. **وقال بعض الحكماء**: العاقل من يخاف على حسناته، لأن الله تعالى قال: إنما يتقبل الله من المتقين والخاسر من يأمن من عذاب الله لأن الله تعالى قال: فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون [الأعراف: ٩٩] .

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣٣٨/١

قوله تعالى: لئن بسطت إلي يدك يعني هابيل قال لقابيل: لئن مددت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ثم قال: إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك يعني: إني أريد أن ترجع بإثمي، يعني بقتلك إياي وبإثمك الذي عملت قبل قتلي وهي الخيانة في القربان وغيره. ويقال: إني أريد أن ترجع بإثمي، يعني أن لا أبسط يدي إليك لترجع أنت بإثمي وإثمك، ولا يكون علي من الإثم شيء. ويقال: معناه إني أريد أن تؤخذ بإثمي وإثمك. فتكون من أصحاب النار يعني لكي لا يكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. قال الله تعالى: فطوعت له نفسه قتل أخيه يعني تابعت له نفسه على قتل أخيه ويقال: انقادت له طاعة نفسه. وقال: قتادة زينت له نفسه بقتل أخيه فقتله قال بعضهم: إنه كان لا يدري كيف يقتله، حتى جاء إبليس فتمثل عنده برجلين، فأخذ أحدهما حجرا ولم يزل يضرب الآخر حتى قتله، فتعلم ذلك منه وقال بعضهم: بل كان يعرف ذلك بطبعه، لأن الإنسان وإن لم ير القتل فإنه يعلم بطبعه أن النفس فانية، ويمكن إتلافها فأخذ حجرا وقتله بأرض الهند، فلما رجع إلى آدم قال له: ما فعلت بهابيل؟ فقال له قابيل: أجعلتني رقيبا على هابيل؟ فذهب حيث يشاء فبات آدم تلك الليلة محزونا، فلما أصبح قابيل رجع إلى الموضع الذي قتله، فرأى غرابا وقال بعضهم: كان يحمله على عاتقه أياما لا يدري ما يصنع به حتى رأى غرابا ميتا، فجاء غراب آخر وبحث التراب برجليه ودفن الغراب الميت في التراب، فذلك قوله تعالى فقتله فأصبح من الخاسرين يعني فصار من المغبونين في العقوبة.

قوله تعالى: فبعث الله غرابا يبحث في الأرض وقابيل ينظر إليه. وقال القتبي: هذا من الاختصار، ومعناه بعث غرابا يبحث التراب على غراب الميت ليريه كيف يواري سوأة أخيه يعني كيف يغطي عورة أخيه قال قابيل عند ذلك: يا ويلتى أعجزت يعني أضعفت في الحيلة أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي يعني فأغطي عورة أخي فأصبح من النادمين على حمله حيث لم يدفنه حين قتله. قال ابن عباس: ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة منه. ويقال: إن آدم وحواء أتيا قبره وبكيا أياما عليه، ثم إن قابيل كان على ذروة جبل، فنطحه ثور فوقع على السفح فتفرقت عروقه. ويقال: دعا عليه آدم فانخسفت به". (١)

٦٥١-"يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يقول خلقنا لكم الثياب يواري سوآتكم يعني يستر عوراتكم، ويقال معناه أنزلنا عليكم المطر ينبت لكم القطن والكتان لباسا لكم وريشا قرأ الحسن البصري ورياشا بالألف. وقرأ غيره وريشا بغير ألف وقال القتبي: الريش والرياش ما ظهر من اللباس، وريش الطائر ما ستره الله به. ويقال: الرياش: المال والمعاش. قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل. قال: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبي أمامة عن عوف بن أبي جميلة عن معبد الجهني في قوله: قد أنزلنا عليكم لباسا قال:

هو ما تلبسون ورياشا قال المعاش ولباس التقوى هو الحياء ذلك خير أي لباس التقوى وهو الحياء خير من الثياب، لأن الفاجر إن كان حسن الثياب فإنه بادي العورة ألا ترى إلى قول الشاعر حيث يقول:

إني كأني أرى من لا حياء له ... ولا أمانة وسط القوم عريانا

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣٨٤/١

وقال القتبي: لباس التقوى أي ما ظهر عليه من السكينة والوقار والعمل الصالح كما قال: لباس الجوع والخوف [النحل: ١١٢] أي ما ظهر عليهم من سوء آثارهم وتغير حالهم.

ويقال: لباس التقوى الإيمان. ويقال: العفة. قرأ نافع والكسائي وابن عامر لباس التقوى بالنصب يعني: أنزل لباس التقوى ومعناه: ستر العورة. وقرأ الباقون بالضم لباس على معنى الابتداء. ويقال: فيه مضموم يعني: هو لباس التقوى ومعناه: ستر العورة أي لباس المتقين. وقرأ عبد الله بن مسعود ولباس التقوى خير. وقال مجاهد: كان أناس من العرب يطوفون حول البيت عراة فنزل قوله تعالى: قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا يعني: من المال. ويقال: معنى قوله: ذلك خير يعني: اللباس خير من تركه لأنهم كانوا يطوفون عراة.

قوله: ذلك من آيات الله أي من نعم الله على الناس، ويقال: من عجائب الله ودلائله. لعلهم يذكرون أي: يتعظون.

قوله عز وجل: يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان يقول: لا يضلنكم الشيطان عن طاعتي فيمنعكم من الجنة كما أخرج أبويكم من الجنة حين تركا طاعتي وعصيا أمري ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما يعني: لا يفتننكم الشيطان عن دينكم في أمر الثياب فينزعها عنكم، فتبدو عوراتكم، كما فعل بأبويكم، نزع عنهما لباسهما وأظهر عورتهما. **وقال بعض الحكماء:"**. (١)

٦٥٢-"قال تعالى: وما تنقم منا يعني: وما تعيب علينا، وما تنكر منا إلا إيماننا بالله تعالى.

ويقال: وما نقمتك علينا ولم يكن منا ذنب إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا يعني: لما ظهر عندنا أنه حق. ثم سألوا الله تعالى الصبر على ما يصيبهم لكي لا يرجعوا عن دينهم فقالوا:

ربنا أفرغ علينا صبرا يعني: أنزل علينا صبرا عند القطع والصلب، ومعناه: ارزقنا الصبر وثبت قلوبنا حتى لا نرجع كفارا وتوفنا مسلمين على دين موسى. وروي عن عبيد الله بن عمير أنه قال: كانت السحرة أول النهار كفارا فجرة، وآخر النهار شهداء بررة. **وقال بعض الحكماء**: إن سحرة فرعون كانوا كفروا خمسين سنة فغفر لهم بإقرار واحد وبسجدة فكيف بالذي أقر وسجد خمسين سنة كيف لا يرجو رحمته ومغفرته؟.

قوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض يعني:

إن السحرة قد آمنوا به فلو تركتهما يؤمن بهما جميع أهل مصر، فيفسدوا في الأرض يعني:

موسى وقومه ويغيروا عليك دينك في أرض مصر ويذرك وآلهتك وذلك أن فرعون كان قد جعل لقومه أصناما يعبدونها، وكان يقول لهم هؤلاء أربابكم الصغار، وأنا ربكم الأعلى. فذلك قوله تعالى: ويذرك وآلهتك يعني: يدعك ويدع أصنامك التي أمرت بعبادتها. وروي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه كان يقرأ ويذرك وآلهتك يعني: عبادتك وتعبدك. قال ابن عباس: كان فرعون يعبد ولا يعبد. ويقال: معنى قوله: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض يعني: يغلبوا عليكم، ويقتلون أبناءكم، ويستحيون نساءكم كما فعلتم بهم كما قال في آية أخرى إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٥٠٩/١

[غافر: ٢٦] فقال لهم فرعون: سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم لأنهم قد كانوا تركوا قتل الأبناء، فأمرهم أن يرجعوا إلى ذلك الفعل. قرأ ابن كثير ونافع سنقتل أبناءهم بجزم القاف والتخفيف. وقرأ الباقون بالتشديد على معنى التكثير والمبالغة في القتل.

ثم قال: وإنا فوقهم قاهرون أي: مسلطون فشكت بنو إسرائيل إلى موسى:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٢٨ الى ١٣١]

قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١٢٨) قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (١٢٩) ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون (١٣٠) فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣١)". [١]

٦٥٣-"ترضى به. واتبع سبيل المطيعين. **وقال بعض الحكماء**: من هاهنا ترك قومه عبادة الله وعبدوا العجل، لأنه سلمهم إلى هارون ولم يسلمهم إلى ربهم. ولهذا لم يستخلف النبي بعده. وسلم أمر أمته إلى الله تعالى. فاختار الله لأمته أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر الصديق- رضى الله تعالى عنه- فأصلح بينهم.

قوله تعالى: ولما جاء موسى لميقاتنا يعني: لميعادنا لتمام أربعين يوما. ويقال:

لميقاتنا أي للوقت الذي وقتنا له.

وكلمه ربه فسمع موسى كلام الله تعالى بغير وحي، فاشتاق إلى رؤيته قال رب أرني أنظر إليك انظر صار جزما لأنه جواب الأمر قال له ربه: لن تراني يعني: إنك لن تراني في الدنيا ولكن انظر إلى الجبل يعني: انظر إلى أعظم جبل بمدين فإن استقر مكانه فسوف تراني يعني: سوف تقدر أن تراني إن استقر الجبل مكانه. معناه: كما أن الجبل لا يستقر لرؤيتي فإنك لن تطيق رؤيتي فلما تجلى ربه للجبل قال الضحاك: ألقى عليه من نوره فاضطرب الجبل من هيبته يعني: من رهبة الله تعالى. وقال القتبي: تجلى ربه للجبل أي ظهر وأظهر من أمره ما شاء. يقال: جلوت المرأة والسيف إذا أبرزته من الصدأ وكشف عنه.

وجلوت العروس إذا أبرزتها. فلما تجلى ربه للجبل أي: جبل زبير جعله دكا قرأ حمزة والكسائي جعله دكاء بالهمز يعني: جعله أرضا دكاء. وقرأ الباقون دكا بالتنوين يعني: دكه دكا.

قال بعضهم: صار الجبل قطعا، فصار على ثمان قطع. فوقع ثلاث بمكة وثلاث بالمدينة واثنان بالشام. ويقال: صار ستة فرق. ويقال: صار أربع فرق. ويقال: صار كله رملا عالجا أي لينا. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: جعله دكا أي ترابا، وقال القتبي: جعله دكا أي ألصقه بالأرض. ويقال: ناقة دكاء إذا لم يكن لها سنام أي ترابا. وروي عن وهب بن منبه

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٥٤١/١

أنه قال: لما سأل موسى النظر إلى ربه أمر الله الضباب والصواعق والظلمات والرعد والبرق فهبطن حتى أحطن بالجبل، وأمر الله تعالى ملائكة السموات فهبطوا، وارتعدت فرائص موسى وتغير لونه. فقال له جبريل: اصبر لما سألت ربك، فإنما رأيت قليلا من كثير فلما غشي الجبل النور، خمد كل شيء، وانقطعت أصوات الملائكة وانهار الجبل من خشية الله تعالى. حتى صار دكا.

قوله تعالى: وخر موسى صعقا قال مقاتل: يعني ميتا. كقوله عز وجل: فصعق من في السماوات يعني: مات. ويقال: وخر موسى صعقا أي مغشيا عليه فلما أفاق من غشيانه قال مقاتل: رد الله حياته إليه قال سبحانك أي تنزيها لك تبت إليك من قولي وأنا أول المؤمنين. روى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: قد كان قبله من المؤمنين.

ولكن يقول أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة. وقال مقاتل: أول". (١)

٦٥٤-"ومعناه: نجا من نجا وهلك من هلك واستوت على الجودي يعني: استقرت السفينة على الجودي.

وروي في الخبر: «أن الله تعالى أوحى إلى الجبال: أني أنزل السفينة على جبل، فتشامخت الجبال، وتواضع الجودي لله تعالى، فأرسيت عليه السفينة» . وقال الحكيم: خرج قوس قزح بعد الطوفان أمانا لأهل الأرض من الغرق أن يغرقوا جميعا وقيل بعدا للقوم الظالمين يعني: سحقا ونكسا للقوم الكافرين، وهو البعد من رحمة الله.

[سورة هود (١١) : الآيات ٤٥ الى ٤٧]

ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (٤٥) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين (٤٦) قال رب إني أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٤٧)

قوله تعالى: ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي فإنك قد وعدتني أن تنجيهم من العذاب، وإن وعدك الحق يعني: أنت الصادق في وعدك، وأنت أحكم الحاكمين يعني: أعدل العادلين قال الله تعالى: يا نوح إنه ليس من أهلك الذي وعدتك أن أنجيهم. وروي عن الحسن أنه قال: «إنه تخلف، لأنه لم يكن ابن نوح» .

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، قال: كنت عند الحسن قال: ونادى نوح ابنه فقال: لعمر الله ما هو ابنه، قلت: يا أبا سعيد، يقول الله تعالى: ونادى نوح ابنه وأنت تقول: هو ليس بابنه؟ قال: أفرأيت قوله: إنه ليس من أهلك الذي وعدتك أن أنجيهم، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه. قال: إن أهل الكتاب يكذبون.

وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة: «أنه ابنه» ، غير أنه خالفه في العمل. **وقال بعض الحكماء**: إن الابن إذا لم يفعل ما يفعل الأب انقطع عنه، والأمة إذا لم يفعلوا ما فعل نبيهم، أخاف أن ينقطعوا عنه.

ثم قال: إنه عمل غير صالح قرأ الكسائي: إنه عمل غير صالح، بكسر الميم ونصب الراء وغير صالح بنصب الراء. وروت أم

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ١/٥٤٨

سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ هكذا، ومعناه: إن ابنك عمل عمل المشركين، ولم يعمل عمل المؤمنين. وقرأ الباقون: عمل غير، بالتنوين والضم غير صالح، بضم الراء، ومعناه: إن سؤالك ودعاءك لابنك الكافر عمل غير صالح، فلا تسئلن ما ليس لك به علم يعني: بيانا. وقرأ أهل الكوفة: فلا تسئلن بتخفيف النون بغير ياء، لأن الكسر يقوم مقام الياء. وروي عن أبي عبيدة أنه قال:
رأيت في مصحف عثمان هكذا.". (١)

٦٥٥-"ولكن هلم فاعمل سبع سنين أخرى، فأزوجك أختها، وكان الناس في ذلك الزمان يجمعون بين الأختين، إلى أن بعث الله موسى عليه السلام. فرعى له سبع سنين أخرى، فزوجه راحيل. وكان خاله حين جهزها دفع إلى كل واحدة منهما أمة تخدمها، فوهبتا الأمتين ليعقوب. فولدت لايا أربعة بنين، وولدت له راحيل ابنين، وولدت كل واحدة من الأمتين ثلاثة بنين، فجملة بنيه: اثنا عشر سوى البنات.
قال الفقيه أبو الليث: سمعت أهل التوراة يقولون: إن أسماء أولاد يعقوب مثبتة في التوراة: روبيل، وشمعون، ويهوذا، ولاوي، فهؤلاء من امرأته لايا. ويوسف، وبنيامين، من امرأته الأخرى راحيل. والستة الباقون من الأمتين: يستر، وبالعربية يساخر، وزوبولون وبالعربية زبالون، ودون وبالعربية دان، ونفتال وبالعربية: يفتاييل، وحوذ وبالعربية حاذ، وروى بعضهم:
هاذ بالهاء، وأشير، وبالعربية: أشر. فأراد يعقوب أن يخرج إلى بيت المقدس ولم يكن له نفقة، وكان ليوسف خال له أصنام من ذهب، فقالت لايا ليوسف: اذهب واسرق من أصنامه، فلعلنا نستنفق به. فذهب يوسف وأخذ واحدا، وكان يوسف أعطف على أبيه، وكان أحب أولاده إليه.
فحسده إخوته مما رأوا من حب أبيه له.
ورأى يوسف في المنام، أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له فقالوا عند ذلك ليوسف وأخوه بنيامين، أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة يعني: جماعة عشرة، فهو يؤثرهما علينا في المنزلة والحب، إن أبانا لفي ضلال مبين يقول: في خطأ بين في حب يوسف وأخيه، حيث قدم الصغيرين في المحبة علينا، ونحن جماعة ونفعنا أكثر من نفعهما.
وقال مقاتل: كان فضل حسن يوسف على الناس في زمانه، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وقال القتبي: العصبة: ما بين العشرة إلى الأربعين.
ثم قال بعضهم لبعض: اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا بعيدا من أبيكم يخل لكم وجه أبيكم يقول: يقبل إليكم أبوكم بوجهه، ويصف لكم وجهه. ويقال: يصلح حالكم عند أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين يعني: إذا غاب عنكم صلحت أحوالكم عند أبيكم، بعد ذهاب يوسف. ويقال: وتكونوا من بعد هلاكه قوما تائبين إلى الله تعالى. **وقال بعض الحكماء**: هكذا يكون المؤمن، يهيئ أمر التوبة قبل المعصية.

---
(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٢/١٥٣

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ١٠ الى ١٤]
قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين (١٠) قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون (١١) أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون (١٢) قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون (١٣) قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون (١٤)". [١]

٦٥٦-"فاستبق ليخرج من الباب، وأما زليخا فاستبقت لتغلق الباب، فأدركته قبل أن يخرج من الباب، فتعلقت به قبل أن يخرج من الباب. وقدت قميصه من دبر يعني: مزقت وخرقت قميصه من خلفه. وألفيا سيدها يعني: صادفا ووجدا سيدها لدى الباب يعني: زوجها عند الباب.

قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا يعني: قالت لزوجها: ما جزاء، يعني: ما عقاب من أراد بأهلك سوءا يعني: قصد بها الزنى إلا أن يسجن يعني: يحبس في السجن. أو عذاب أليم يعني: يضرب ضربا وجيعا، وذلك أن الزوج قال لهما ما شأنكما؟ قالت له زليخا:

كنت نائمة في الفراش عريانة، فجاء هذا الغلام العبراني وكشف عن ثيابي، وراودني عن نفسي، فدفعته عن نفسي، فانشق قميصه. قال يوسف: بل هي راودتني عن نفسي يعني: دعتني إلى نفسها وشهد شاهد من أهلها قال مجاهد: قميصه شاهد أنه قد قد من دبر، فظهر أن الذنب كان لها بتلك العلامة. وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «كان صبي في المهد لم يتكلم بعد فتكلم، وقال إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين الآية. وقال قتادة: كان رجلا حكيم من أهلها. ويقال: كان رجل من خواص الملك. وروي عن عكرمة أنه قيل له: إنه صبي قال: لا، ولكنه رجل حكيم. وقال الحسن: ولكن كان رجلا له رأي، فقال برأيه. وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: «كان زوجها على الباب مع ابن عم لها يقال له تمليخا، وكان رجلا حكيما، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، ولا ندري أيكما قدام صاحبه؟ فقال ابن عمها: إن كان قد شق القميص من قدامه فأنت صادقة فيما قلت، وإن كان مشقوقا من خلفه فهو صادق، فنظروا إلى قميصه، فإذا هو مشقوق من خلفه، فذلك قوله تعالى: وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت يعني: زليخا وهو يعني: يوسف من الكاذبين. وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت، يعني: زليخا وهو يعني: يوسف من الصادقين وذلك أن الرجل لا يأتيها إلا مقبلا. فلما رأى قميصه قد من دبر يعني: مقدودا من دبر قال ابن عمها إنه من كيدكن يعني: من صنيعكن، ويقال:

قال الزوج: إن كيدكن عظيم يعني: صنيعكن عظيم يخلص إلى البريء والسقيم والصالح والطالح. وفي هذه الآية دليل: أن القضاء بشهادة الحال جائز، **وقال بعض الحكماء**: سمى الله كيد الشيطان ضعيفا، وسمى كيد النساء عظيما، لأن كيد الشيطان بالوسوسة والخيال، وكيد النساء بالمواجهة والعيان.

ثم أقبل على يوسف فقال: يوسف أعرض عن هذا يعني: يا يوسف أعرض عن هذا القول، ولا تذكره، واكتم هذا الحديث.

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٢/١٨١

ثم أقبل عليها فقال: واستغفري لذنبك يعني: توبي وارجعي عن ذنبك، ويقال ابن عمها هو الذي قال لها: واستغفري لذنبك، واعتذري إلى زوجك من ذنبك. إنك كنت من الخاطئين يعني: من المذنبين. وفشا ذلك الخبر في مصر وتحدثت النساء فيما بينهن.". (١)

٦٥٧-"أعظمن شأنه، وتحيرن، وبقين مدهوشات طائرة عقولهن، وقطعن أيديهن يقول: حززن، وخدشن أيديهن بالسكين، ولم يشعرن بذلك وقلن حاش لله يعني: معاذ الله ما هذا بشرا قرأ بعضهم: بالرفع. ما هذا بشر وقرأ بعضهم ما هذا ببشر يعني: مثل هذا لا يكون بشرا. وقراءة العامة ما هذا بشرا بنصب الراء والتنوين، لأنه خبر «ما» . ولأنه صار نصبا لنزع الخافض. ومعناه: ما هذا بشرا يعني: مثل هذا لا يكون آدميا إن هذا إلا ملك كريم يعني: على ربه. فإن قيل: إنهن لم يرين الملك، فكيف شبهنه بشيء لم يرينه؟ قيل له: لأن المعروف عند الناس، أنهم إذا وصفوا أحدا بالحسن، يقولون: هذا يشبه الملك، كما أنهم إذا وصفوا أحدا بالقبح، يقولون: هو كالشيطان، وإن لم يروا الشيطان.

قرأ أبو عمرو حاشا لله بالألف. وقرأ الباقون: بغير ألف. وكذلك الذي بعده قالت زليخا للنسوة فذلكن الذي لمتنني فيه يقول: عذلتني فيه وعبتني فيه فهل عذرتنني؟ فقلن لها:

أنت معذورة. قالت: ولقد راودته عن نفسه يعني: طلبت إليه أن يمكنني من نفسه فاستعصم أي: فامتنع بنفسه مني ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن يعني: احبسه في السجن وليكونا من الصاغرين يعني: من المهانين بالسجن. ويقال: من المذلين. وقرأ بعضهم ليكونن بتشديد النون، وهذا خلاف مصحف الإمام. وقراءة العامة: وليكونا لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف بالألف.

قال يوسف رب يقول: يا سيدي السجن أحب إلي مما يدعونني النسوة إليه من العمل القبيح. قرأ بعضهم قال رب السجن بنصب السين على معنى المصدر.

يقال: سجنته سجنا وهي قراءة شاذة. وقراءة العامة بالكسر يعني: نزول بيت السجن أحب إلى مما يدعونني إليه، يعني به: امرأة العزيز خاصة. ويقال: أراد به النسوة اللاتي حضرن هناك، لأنهن قلن له: أطع مولاتك ولا تخالفها، فإن لها عليك حقا. وقد اشترتك بمالها وهي تحسن إليك، وتحبك، وتطلب هواك. فقال: رب السجن أحب إلي وقال بعض الحكماء: لو أنه قال: رب العافية أحب إلي، لعافاه الله تعالى. ولكن لما نجا بدينه، لم يبال بما أصابه في الله.

ثم قال: وإلا تصرف عني كيدهن يعني: إذا لم تصرف عني عملهن وشرهن أصب إليهن أي: أمل إليهن وأكن من الجاهلين يعني: من المذنبين.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم (٣٤) ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ١٨٩/٢

(٣٥)
قوله تعالى: فاستجاب له ربه فيما دعاه يوسف فصرف عنه كيدهن يعني: فعلهن، وشرهن. إنه هو السميع العليم يسمع لمن دعاه. ويقال: السميع للدعاء فيما دعاه يوسف العليم به.". [1]

٦٥٨-"[سورة إبراهيم (١٤) : الآيات ٣١ الى ٣٤]

قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال (٣١) الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (٣٢) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (٣٣) وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار (٣٤)

قوله تعالى: قل لعبادي الذين آمنوا قرأ حمزة والكسائي وابن عامر: قل لعباد الذين بغير ياء. وقرأ الباقون: قل لعبادي الذين بالياء مع النصب. وأصله الياء، إلا أن الكسرة تغني عن الياء. **وقال بعض الحكماء**: شرف الله تعالى عباده بهذه الياء، وهي خير لهم من الدنيا وما فيها، لأن فيه إضافة إلى نفسه، والإضافة تدل على العتق، لأن رجلا لو قال لعبده: يا ابن، أو يا ولد لا يعتق، ولو قال يا ولدي أو يا ابني يعتق بالإضافة إلى نفسه، فكذلك إذا أضاف الله العباد إلى نفسه، وفيه دليل على أنه يعتقهم من النار.

قوله: يقيموا الصلاة يعني: يتمونها بركوعها وسجودها ومواقيتها، وينفقوا مما رزقناهم من الأموال سرا وعلانية يعني: سرا على المتعففين، وعلانية على السائلين من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه يعني: لا فداء فيه ولا خلال يعني: لا مخالة تنفعه، وهي الصداقة. لأنه إذا نزل بهم شدة في الدنيا، يفادون ويشفع خليلهم، وليس في الآخرة شيء من ذلك، وإنما هي أعمالهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو لا بيع ولا خلال بنصب العين واللام. وقرأ الباقون: بالرفع والتنوين فيهما، وهذا الاختلاف مثل قوله ولا خلة ولا شفاعة [البقرة: ٢٥٤] .

ثم بين دلائل وحدانيته فقال تعالى: الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء وهو المطر فأخرج به يعني: فأنبت بالمطر من الثمرات يعني: من ألوان الثمرات، رزقا لكم يعني: طعاما لكم. وسخر لكم الفلك يعني: ذلل لكم ركوب الفلك لتجري في البحر بأمره يقول بإذنه وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعني:

دائمين مطيعين. يعني: ذلل لكم ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل وسخر لكم الليل والنهار يعني: جعل بني آدم، يلتمسون فيها المعيشة، وينتشرون في النهار إلى حوائجهم، وفي الليل مستقرهم ومنامهم، وآتاكم من كل ما سألتموه يعني: أعطاكم من كل شيء لم تحسنوا أن تسألوا، فأعطيتكم برحمتي. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة أنه قال: لم تسألوه بكل الذي أعطاكم. وقال معمر والحسن: آتاكم من كل الذي سألتموه. قال مجاهد: كل ما سألتموه، أي رغبتم إليه فيه،

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٢/١٩١

قرأ بعضهم من كل بالتنوين يعني: أعطاكم من كل شيء.". [1]

٦٥٩-"سعيهم مشكورا

أي: عملهم مقبولا ويقال: معناه، من كان غرضه وقصده وعزمه الدنيا وحطامها وزهرتها، عجلنا له فيها للمزيد في الدنيا ما نشاء لمن نريد أن نعطيه بإرادتنا لا بإرادته، ومن كان قصده وعزمه الآخرة وعمل عمل الآخرة فنعطي له ما يريد من الآخرة.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٢٠ الى ٢٢]

كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا (٢٠) انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا (٢١) لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا (٢٢)

قوله تعالى: كلا نمد هؤلاء أي: كلا الفريقين من المؤمنين والكافرين نعطي هؤلاء من أهل الطاعة، وهؤلاء من أهل المعصية من عطاء ربك أي: من رزق ربك. وقال الحسن: كلا نمد أي: نعطي من الدنيا البر والفاجر وما كان عطاء ربك محظورا أي:

محبوسا عن البر والفاجر في الدنيا.

انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا بالمال وللآخرة أكبر درجات يقول:

ولفضائل الآخرة أرفع درجات مما فضلوا في الدنيا وأكبر تفضيلا أي: وأرفع في الثواب.

وقال الضحاك: وللآخرة أكبر درجات في الجنة، فالأعلى يرى فضله على من هو أسفل منه، والأسفل لا يرى أن فوقه أحدا. وقال مقاتل: معناه، فضل المؤمنين في الآخرة على الكفار أكبر من فضل الكفار على المؤمنين في المال في الدنيا، **وقال بعض الحكماء**: إذا أردت هذه الدرجات وهذا التفضيل فاستعمل هذه الخصال التي ذكر في هذه الآيات إلى قوله عند ربك مكروها. وروي عن ابن عباس أنه قال: «هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى حيث كتب الله له فيها، أنزلها الله تعالى على نبيه محمد عليه السلام وهي كلها في التوحيد وهي في الكتب كلها موجودة لم تنسخ قط» وهو قوله تعالى: لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما أي: ويذمك الناس بفعلك مخذولا ويخذلك الذي تعبده، فتبقى في النار يذمك الله ويذمك الناس وتذم نفسك مخذولا أي: يخذلك معبودك ولا ينصرك.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٢٣ الى ٢٤]

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (٢٤)

قوله عز وجل: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه أي: أمر ربك أن لا تطيعوا أحدا إلا إياه، يعني: إلا الله تعالى، فلا تطيعوا

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٢/٢٤٤

أحدا في المعصية وتطيعوا الله في الطاعة، ويقال لا توحدوا إلا الله. وبالوالدين إحسانا أي: أمر بالإحسان إلى الوالدين برا بهما وعطفا عليهما إما يبلغن عندك الكبر قرأ حمزة والكسائي إما يبلغان بلفظ التثنية لأنه سبق ذكر الوالدين،". (١)

٦٦٠-"قوله: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك يقول: لا تمسك يدك في النفقة من البخل، بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه ولا تبسطها كل البسط في الإسراف فتعطي جميع ما عندك، فيجيء الآخرون ويسألونك فلا تجد ما تعطيهم، وهذا قول ابن عباس. وقال قتادة: لا تمسكها عن طاعة الله وعن حقه، ولا تبسطها كل البسط يقول: لا تنفقها في المعصية وفيما لا يصلح. وقال مقاتل في قوله: لا تبسطها كل البسط، في العطية فلا يبقى عندك شيء، وإذا سئلت لم تجد ما تعطيهم.
وقال بعض الحكماء: «كان النبي صلى الله عليه وسلم لأمته كالوالد، ولا ينبغي للوالد أن يعطي جميع ماله لبعض ولده ويترك الآخرين، فنهاه الله تعالى أن يعطي جميع ماله لمسكين واحد، وأمره أن يقسم بالسوية كي لا ييأسوا منه» .
ثم قال تعالى: فتقعد ملوما محسورا يعني: لو أعطيت جميع مالك فتبقى ملوما يلومك الناس وتلوم نفسك محسورا منقطعا عن المال لا مال لك، والمحسور في اللغة:
المنقطع. وروي في الخبر: «أن امرأة بعثت ابنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له: قل له إن أمي تستكسيك درعا، فإن قال لك حتى يأتينا شيء، فقل له: إنها إذن تستكسيك قميصك. فأتاه فقال له: إن أمي تستكسيك درعا فقال له: «حتى يأتينا شيء» . فقال: إنها تستكسيك قميصك، قال: فنزع قميصه ودفعه إليه، ولم يبق له قميص يخرج به إلى الصلاة» «١» ، فنزلت هذه الآية ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا. أي: تبقى عريانا لا تقدر أن تخرج إلى الصلاة بغير قميص.
قال الفقيه: إذا أردت أن تعرف أن البخل قبيح، فانظر إلى هذه الآية، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أعطى قميصه حتى عجز عن الخروج إلى الصلاة عاتبه الله تعالى على ذلك، فبدأ بالنهي عن الإمساك فقال ولا تجعل يدك مغلولة فنهاه أولا عن البخل، ثم نهاه عن دفع الكل وهو التبذير.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٣٠ الى ٣٣]
إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا (٣٠) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا (٣١) ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا (٣٢) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا (٣٣)
ثم قال تعالى: إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء أي: يوسع الرزق على من يشاء، من كان صلاحه في ذلك ويقدر أي: يضيق على من يشاء في الرزق: وقال الحسن: إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء إنه كان بعباده خبيرا بصيرا من البسط والتقتير، يعلم صلاح كل واحد من خلقه.

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣٠٦/٢

(١) عزاه السيوطي: ٥/ ٢٧٦ إلى ابن أبي حاتم عن المنهال بن عمر وابن جرير عن ابن مسعود.". [١]

٦٦١-"لم تعبد ما لا يسمع

دعاءك ولا يبصر

عبادتك ولا يغني عنك

من عذاب الله عز وجل شيئا

قرأ ابن عامر: يا أبت بالنصب، والباقون بالكسر، وكذلك ما بعده. والعرب تقول في النداء: يا أبت ولا تقول يا أبتي.

ثم قال: يا أبت إني قد جاءني من العلم من الله عز وجل من البيان، ما لم يأتك أنه من عبد غير الله عز وجل، عذبه الله في الآخرة بالنار. فاتبعني، يعني: أطعني فيما أدعوك، ويقال: اتبع دين الله أهدك، يعني: أرشدك صراطا سويا، يعني: طريقا عدلا قائما ترضاه.

ثم قال: يا أبت لا تعبد الشيطان، يعني: لا تطع الشيطان، فمن أطاع شيئا فقد عبده.

إن الشيطان كان للرحمن عصيا، يعني: عاصيا.

ثم قال: يا أبت إني أخاف أن يمسك، يعني: أعلم أن يمسك عذاب يعني: إن أقمت على كفرك يصيبك عذاب. من الرحمن، فتكون للشيطان وليا يعني: قرينا في النار. قال له أبوه: أراغب أنت عن آلهتي، يعني: أتارك أنت عبادة آلهتي؟ يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك، يقول: إن لم تنته عن مقالتك ولم ترجع عنها، لأسبنك وأشتمنك.

وكل شيء في القرآن من الرجم فهو القتل غير هاهنا، فإن هاهنا أراد به السب والشتم.

واهجرني مليا، يعني: تباعد عني حينا طويلا ولا تكلمني وقال السدي: مليا تعني أبدا، وقال قتادة: واهجرني مليا يعني: تباعد عني سالما، ويقال: لا تكلمني دهرا طويلا.

قال إبراهيم: سلام عليك، يعني: أكرمك الله بالهدى، سأستغفر لك ربي، يعني: سأدعو لك ربي. إنه كان بي حفيا، يعني: بارا عودني الإجابة إذا دعوته، ويقال:

تحفيت بالرجل إذا بالغت في إكرامه، وهذا قول القتبي، ويقال: حفيا يعني: عالما يستجيب لي إذا دعوته، وكان يستغفر له ما دام أبوه حيا، وكان يرجو أن يهديه الله عز وجل، فلما مات كافرا، ترك الاستغفار له.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٤٨ الى ٥٠]

وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا (٤٨) فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا (٤٩) ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا (٥٠)

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣٠٩/٢

قوله عز وجل: وأعتزلكم، يعني: وأتركم وما تدعون من دون الله، يعني: وأترك عبادة ما تعبدون من دون الله عز وجل، وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا يعني: لا يخيبني إذا دعوته، ثم هاجر إلى بيت المقدس. فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب، يعني: أكرمناه بالولد وهو إسحاق وولد الولد وهو يعقوب عليهما السلام. **وقال بعض الحكماء**: من هاجر لطلب رضاء الله عز وجل، أكرمه الله عز وجل في". [1]

٦٦٢-"واصطنعتك لنفسي، يعني: اخترتك للرسالة والنبوة ولإقامة حجتي. فقال موسى: يا رب حسبي حسبي فقد تمت كرامتي، فقال الله عز وجل: اذهب أنت وأخوك بآياتي، يعني:

آياتي التسع، ولا تنيا في ذكري يعني: لا تفترا ولا تضعفا ولا تعجزا عن أداء رسالتي.

اذهبا إلى فرعون إنه طغى، يعني: تكبر وعلا. فقولا له قولا لينا، يعني: كلاما باللين والشفقة والرفق، لأن الرؤساء بكلام اللين أقرب إلى الانقياد من الكلام العنيف. أي: قولا له:

أيها الملك، ويقال: فقولا له قولا لينا لوجوب حقه عليك بما رباك، وإن كان كافرا.

وروى أسباط عن السدي قال: القول اللين، أن موسى جاءه فقال له: تسلم وتؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين، على أن لك شبابا لا يهرم أبدا، وتكون ملكا لا ينزع منك أبدا حتى تموت، ولا ينتزع منك لذة الطعام والشراب والجماع أبدا حتى تموت، فإذا مت دخلت الجنة. قال: فكأنه أعجبه ذلك، وكان لا يقطع أمرا دون هامان، وكان هامان غائبا فقال له فرعون: إن لي من أوامره وهو غائب حتى يقدم أي لأشاوره. فلم يلبث أن قدم هامان، فقال له فرعون: علمت بأن ذلك الرجل أتاني؟ فقال هامان: ومن ذلك الرجل؟ فقال: هو موسى. قال:

فما قال؟ فأخبره بالذي دعاه إليه. قال: فما قلت له؟ قال: لقد دعاني إلى أمر أعجبني. فقال له هامان: قد كنت أرى لك عقلا وأن لك رأيا بينا، أنت رب أفتريد أن تكون مربوبا، وبينا أن تعبد أفتريد أن تعبد غيرك؟ فغلبه على رأيه فأبى.

ثم قال تعالى: لعله يتذكر أو يخشى، يعني: يتعظ أو يسلم. وقال الزجاج: «لعل» في اللغة ترجي وتطمع، يقول: لعله يصير إلى خير. والله سبحانه وتعالى خاطب العباد بما يعقلون، والمعنى عند سيبويه: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وقد علم الله تعالى أنه لا يتذكر ولا يخشى، إلا أن الحجة إنما تجب بإبائه. **وقال بعض الحكماء**: إذا أردت أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فعليك باللين لأنك لست بأفضل من موسى وهارون، ولا الذي تأمره بالمعروف ليس بأسوأ من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى بأن يأمراه باللين، فأنت أولى أن تأمر وتنهى باللين.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٤٥ الى ٥٢]

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى (٤٥) قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى (٤٦) فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى (٤٧) إنا قد أوحي إلينا أن

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٢/٣٧٦

العذاب على من كذب وتولى (٤٨) قال فمن ربكما يا موسى (٤٩)

قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٥٠) قال فما بال القرون الأولى (٥١) قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى (٥٢)

ثم قال الله عز وجل: قالا، يعني: موسى وهارون:". (١)

٦٦٣-"والباقون: بالنصب. فمن قرأ: بالضم. فمعناه: إن فرعون صرف عن طريق الهدى. يعني: إن الشيطان زين له سوء عمله، وصرفه عن طريق الهدى. ومن قرأ: بالنصب. فمعناه: صرف فرعون الناس عن الدين.

وما كيد فرعون إلا في تباب أي: ما صنع فرعون إلا في خسارة يوم القيامة، كقوله:

تبت يدا أبي لهب [المسد: ١] يعني: إن فرعون اختار متاعا قليلا، وترك الجنة الباقية، فكان عمله في الخسارة.

وقال الذي آمن وهو حزبيل يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يعني:

أطيعوني حتى أرشدكم، وأبين لكم دين الصواب.

قوله تعالى: يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع أي: قليل، وإن الآخرة هي دار القرار لا زوال لها. من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها يعني: من عمل الشرك فلا يجزى إلا النار في الآخرة. ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن يعني: من رجل، أو امرأة، فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي: بغير مقدار. **وقال بعض الحكماء**: إن الله تعالى قال: من عمل سيئة ولم يقل من ذكر أو أنثى. وقال: ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى لأن العمل الصالح يحسن من الرجل، والمرأة. والسيئة من المرأة أقبح من الرجل. فلم يذكر من ذكر أو أنثى. ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة يعني: أن حزبيل قال لقومه: ما لي أدعوكم إلى التوحيد، والطاعة، وذلك سبب النجاة، والمغفرة، فلم تطيعوني، وتدعونني إلى النار يعني: إلى عمل أهل النار.

ثم بين عمل أهل النار فقال: تدعونني لأكفر بالله يعني: لأجحد بوحدانية الله، وأشرك به أي: أشرك بالله، ما ليس لي به علم يعني: ما ليس لى به حجة بأن مع الله شريكا، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار يعني: إلى دين العزيز الغفار العزيز في ملكه الغفار لمن تاب. لا جرم أي: حقا يقال لا جرم يعني: لا بد. أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا أي: ليس له قدرة. ويقال: ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا.

ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله أي: مصيرنا، ومرجعنا إلى الله يوم القيامة، وأن المسرفين يعني: المشركين، هم أصحاب النار يعني: هم في النار أبدا.

فستذكرون ما أقول لكم يعني: ستعرفون إذا نزل بكم العذاب، وتعلمون أن ما أقول لكم من النصيحة أنه حق. وأفوض أمري إلى الله يعني: أمر نفسي إلى الله، وأدع تدبيري إليه، إن الله بصير بالعباد يعني: عالم بأعمالهم، وبثوابهم. فأرادوا قتله،

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٢/٤٠٠

فهرب منهم، فبعث فرعون في طلبه، فلم يقدروا عليه، فذلك قوله: فوقاه الله سيئات ما مكروا يعني:". (١)

٦٦٤-"الآخرة هي النار الكبرى، وروى يونس عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وقد غمست في النار مرتين ليدنى منها وينتفع بها ولولا ذلك ما دنوتم منها» ويقال: إنها تستجير أن ترد إلى جهنم يعني: تتعوذ منها **وقال بعض الحكماء**: علامة الشقاوة تسع أشياء كثرة الأكل، والشرب، والنوم، والإصرار على الذنب، والغيبة، وقساوة القلب، وكثرة الذنوب، ونسيان الموت، والوقوف بين يدي الملك عز وجل، وهذا هو الشقي الذي يدخل النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى يعني: لا يموت في النار حتى يستريح من عذابها ولا يحيا حياة تنفعه، وقال القتبي معناه: هو العذاب بحال من يموت ولا يموت.

[سورة الأعلى (٨٧) : الآيات ١٤ الى ١٩]

قد أفلح من تزكى (١٤) وذكر اسم ربه فصلى (١٥) بل تؤثرون الحياة الدنيا (١٦) والآخرة خير وأبقى (١٧) إن هذا لفي الصحف الأولى (١٨)

صحف إبراهيم وموسى (١٩)

ثم قال عز وجل: قد أفلح من تزكى يعني: فاز ونجا من هذا العذاب وسعد بالجنة من تزكى يعني وحد الله تعالى وزكى نفسه بالتوحيد وذكر اسم ربه يعني: توحيد ربه فصلى مع الإمام الصلوات الخمس، ويقال قد أفلح من تزكى يعني: أدى زكاة الفطر وذكر اسم ربه فصلى مع الإمام صلاة العيد. ويقال: قد أفلح من تزكى يعني: أدى زكاة المال، يعني: نجا من خصومة الفقراء يوم القيامة وذكر اسم ربه فصلى يعني: كبر وصلى لله تعالى، ويقال: من تزكى يعني: تاب من الذنوب (وذكر اسم ربه) يعني: إذا سمع الآذان خرج إلى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لأجل الاشتغال بالدنيا فقال: بل تؤثرون الحياة الدنيا يعني: تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة، قرأ أبو عمرو: بل يؤثرون بالياء على معنى الخبر عنهم والباقون بالتاء على معنى المخاطبة ثم قال عز وجل: والآخرة خير وأبقى يعني: عمل الآخرة خير وأبقى من اشتغال الدنيا وزينتها، ويقال معناه يختارون عيش الدنيا الفانية على عيش الآخرة الباقية وإن عيش الآخرة خير وأبقى لأن في عيش الدنيا عيوبا كثيرة خوف المرض والموت والفقر والذل والهوان والزوال والحبس والمنع وما أشبه ذلك وليس في عيش الآخرة شيء من هذه العيوب، لأجل هذا قيل خير من الدنيا قوله تعالى: إن هذا لفي الصحف الأولى يعني: الذي ذكر في هذه السورة كان في الصحف الأولى يعني: في الكتب الأولى ثم فسره فقال: صحف إبراهيم وموسى ويقال: الذي ذكر في آخر السورة أربع آيات لفي كتب الأولين وكل كتاب مكتوب يسمى الصحف يعني: في قوله: قد أفلح من تزكى إلخ الآية.". (٢)

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣/٥٠٧

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣/٥٧٢

٦٦٥-"وتنسفك الدماء. وهذا كثير في القرآن المجيد. ويهلك الحرث أي: الزرع.

والنسل أي: المواشي الناتجة.

قال بعض المحققين: وإن إهلاك الحرث والنسل كناية عن الإيذاء الشديد، وإن التعبير به عن ذلك صار من قبيل المثل فالمعنى: يؤذي مسترسلا في إفساده ولو أدى إلى إهلاك الحرث والنسل.

والله لا يحب الفساد أي: لا يرضى فعله.

قال الراغب: إن قيل: كيف حكم تعالى بأنه لا يحب الفساد وهو مفسد للأشياء؟ قيل: الإفساد في الحقيقة: إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح، وذلك غير موجود في فعل الله تعالى، ولا هو آمر به،، ولا محب له، وما يرى من فعله ويظهر بظاهره فسادا فهو بالإضافة إلينا واعتبارنا له كذلك. فأما بالنظر الإلهي فكله صلاح، ولهذا **قال بعض الحكماء**: يا من إفساده إصلاح! أي: ما نظنه إفسادا- لقصور نظرنا ومعرفتنا- فهو في الحقيقة إصلاح وجملة الأمر: إن الإنسان هو زبدة هذا العالم وما سواه مخلوق لأجله، ولهذا قال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض [البقرة: ٢٩] . والمقصد من الإنسان سوقه إلى كماله الذي رسخ له، فإذن:

إهلاك ما أمر بإهلاكه، لإصلاح الإنسان وما منه أسباب حياته الأبدية. ولشرح هذه الجملة موضع آخر. -

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٢٠٦]

وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد (٢٠٦)

وإذا قيل له على نهج العظة اتق الله في النفاق، واحذر سوء عاقبته. أو في الإفساد والإهلاك وفي اللجاج بالباطل أخذته العزة بالإثم أي: حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم وهو التكبر أو المعنى: أخذته الحمية للإثم الذي في قلبه فمنعته عن قبول قول الناصح فحسبه أي: كافيه جهنم إذا صار إليها واستقر فيها جزاء وعذابا ولبئس المهاد أي: الفراش الذي يستقر عليه بدل فرش عزته.

قال الراغب: المهد معروف، وتصور منه التوطئة، فقيل لكل وطيء مهد.

والمهاد يجعل تارة جمعا للمهد، وتارة للآلة نحو فراش. وجعل جهنم مهادا لهم كما جعل العذاب مبشرا به في قوله: فبشرهم بعذاب أليم [آل عمران: ٢١] .". (١)

٦٦٦-"طريق معروف في البلاغة.

الجواب الثاني: إن السؤال ضربان: سؤال جدل، وحقه أن يطابقه جوابه. لا زائدا عليه ولا ناقصا عنه. وسؤال تعلم وحق المعلم أن يكون كالطبيب يتحرى شفاء سقيم فيطلب ما يشفيه- طلبه المريض أو لم يطلب. فلما كان حاجتهم إلى من ينفق المال عليهم كحاجتهم إلى ما ينفق من المال، بين لهم الأمرين جميعا. إن قيل: كيف خص هؤلاء النفر دون غيرهم..؟

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٢/٨٣

قيل: إنما ذكر من ذكر على سبيل المثال لمن ينفق عليهم، لا على سبيل الحصر والاستيعاب، إذ أصناف المنفق عليهم على ما قد ذكر في غير هذا الموضع.

ولما بين تعالى وجه المصرف وفصله هذا التفصيل الحسن الكامل، أردفه بالإجمال فقال: وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم أي: وكل ما فعلتموه من خير- إما مع هؤلاء المذكورين وإما مع غيرهم- حسبة لله، وطلبا لجزيل ثوابه، وهربا من أليم عقابه، فإن الله به عليم. والعليم مبالغة في كونه عالما، يعني: لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فيجازيكم أحسن الجزاء عليه، كما قال:

أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى [آل عمران: ١٩٥] وقال:

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره [الزلزلة: ٧] .

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٢١٦]

كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (٢١٦)

كتب أي: فرض عليكم القتال أي: قتال المتعرضين لقتالكم، كما قال: وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا [البقرة: ١٩٠] ، المراد بقتالهم الجهاد فيهم بما يبيدهم أو يقهرهم ويخذلهم ويضعف قوتهم.

قال بعض الحكماء: سيف الجهاد والقتال هو آية العز، وبه مصرت الأمصار، ومدنت المدن، وانتشرت المبادئ والمذاهب، وأيدت الشرائع والقوانين وبه حمي الإسلام من أن تعبث به أيدي العابثين في الغابر، وهو الذي يحميه من طمع الطامعين في الحاضر وبه امتدت سيطرة الإسلام إلى ما وراء جبال الأورال شمالا، وخط الاستواء جنوبا، وجدران الصين شرقا، وجبال البيرنه غربا..!.

قال: فيجب على المسلمين أن لا يتملصوا من قول بعض الأوروبيين: إن الدين". [١]

٦٦٧-"بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين

[آل عمران: ١٢٣- ١٢٦] ، ثم وعدهم أنهم إن صبروا واتقوا أمدهم بخمسة آلاف. فهذا من قول رسوله، والإمداد الذي ببدر من قوله تعالى، وهذا بخمسة آلاف، وإمداد بدر بألف، وهذا معلق على شرط، وذلك مطلق. والقصة في سورة آل عمران، هي قصة (أحد) مستوفاة مطولة، و (بدر) ذكرت فيها اعتراضا.

والقصة في سورة الأنفال قصة (بدر) مستوفاة مطولة، فالسياق في آل عمران غير السياق في الأنفال. يوضح هذا أن قوله: ويأتوكم من فورهم هذا [آل عمران: ١٢٥] ، قد قال مجاهد: هو يوم (أحد) ، وهذا يستلزم أن يكون الإمداد المذكور فيه، فلا يصح قوله إن الإمداد بهذا العدد كان يوم بدر وإتيانهم من فورهم هذا يوم أحد، والله أعلم. انتهى.

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٢/٩٩

وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأنفال (٨) : آية ١٠]
وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم (١٠)
وما جعله الله أي هذا الإمداد إلا بشرى أي بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم، وما النصر إلا من عند الله أي من غير أن يكون فيه شركة لغيره إن الله عزيز حكيم **قال بعض الحكماء**: ذكر تعالى في هذه الآية حكمة إخبارهم بالنصر، وأنه يريد بشراهم وطمأنينتهم وتوكلهم عليه، وهو أدعى إلى قوة العزيمة.
فإن العامل إذا أيقن بأن معه قاهر الكون: رفعته تلك الفكرة، وجعلته أقوى الناس، وأقدرهم على صعاب الأمور، لا كما يظنه المنتكسون الجاهلون الكسالى اليائسون من روح الله، حيث جعلوا التوكل ذريعة إلى البطالة، فباءوا بغضب على غضب. انتهى.
ثم ذكرهم سبحانه بنعم أخرى جعلها سببا لنصرهم، وللعناية بهم، فقال:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأنفال (٨) : آية ١١]
إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام (١١)
إذ يغشيكم النعاس أمنة منه أي يلقي عليكم النوم للأمن الكائن منه تعالى،". [1]

٦٦٨-"لصاحب اليسار: دعه سبع ساعات، لعله يسبح أو يستغفر! انتهى.
وقد كثر في كلام القاشاني رحمه الله تأويل الملك بالقوة الحاثة على الخير، والشيطان بالمغوية على الشر. وسبقه إليه الحكماء.
قال بعض الحكماء: هذا الشيء الذي أودع فينا ونسميه قوة وفكرا، وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها، لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكا، ويسمي أسبابه ملائكة، أو ما شاء من الأسماء، فإن التسمية لا حجر فيها على الناس، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة، والسلطان النافذ، والعلم الواسع.
وقد سبق الغزالي إلى هذا المعنى، وعبر عنه بالسبب وقال: إنه يسمى ملكا، فإنه، في شرح عجائب القلب من كتاب (الإحياء) ، بعد ما قسم الخواطر إلى محمود ومذموم، قال: وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان: فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكا، وسببا لخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانا.. إلخ. والبحث كله غرر، تجدر مراجعته.

لطيفة:

---
(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٥/٢٦٣

قعيد كجليس، بمعنى مجالس، لفظا ومعنى. وإنما أفرد رعاية للفواصل، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، كقوله:
فإني وقيار بها لغريب
وقيل: يطلق (فعيل) للواحد والمتعدد، كقوله: والملائكة بعد ذلك ظهير [التحريم: ٤] ، وضعف بأنه ليس على إطلاقه، بل إذا كان (فعيل) بمعنى (مفعول) بشروطه، وهذا بمعنى (فاعل) ، فلا يصح فيه ذلك إلا بطريق الحمل على (فعيل) بمعنى (مفعول) .

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة ق (٥٠) : آية ١٨]
ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨)
ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب أي ملك يرقب عمله، عتيد أي حاضر.
ولما ذكر استبعادهم للبعث، وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه، أعلمهم بأنهم يلاقون ذلك عن قريب، ونبه على اقترابه بلفظ الماضي، فقال سبحانه:". (١)

٦٦٩-"القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٥ الى ٧]
الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها ووضع الميزان (٧)
الشمس والقمر بحسبان أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما، به تتسق أمور الكائنات السفلية، وتختلف الفصول والأوقات، ويعلم السنون والحساب. والنجم أي النبات الذي ينجم، أي يطلع من الأرض ولا ساق له. والشجر أي الذي له ساق يسجدان أي ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا، انقياد الساجد من المكلفين طوعا. فهو استعارة مصرحة تبعية. شبه جريهما على مقتضى طبيعته، بانقياد الساجد لخالقه والجملة- إن كانت خبرا عن الرحمن لعطفها على الخبر- فالرابط محذوف لوضوحه، أي بحسبانه ويسجدان له. أو مستأنفة، فالقطع لأنها مسوقة لغرض آخر. وإدخال العاطف بينهما، لما أن الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبينهما مناسبة بالتقابل، وبانقياد الكل لإرادته. والسماء رفعها أي خلقها مرفوعة. ووضع الميزان أي العدل بين خلقه في الأرض.
قال القاشاني: أي خفض ميزان العدل إلى أرض النفس والبدن، فإن العدالة هيئة نفسانية، لولاها لما حصلت الفضيلة الإنسانية. ومنه الاعتدال في البدن الذي لو لم يكن، لما وجد، ولم يبق. ولما استقام أمر الدين والدنيا بالعدل، واستتب كمال النفس والبدن به، بحيث لولاه لفسد- أمر بمراعاته ومحافظته قبل تعديد الأصول بتمامها، لشدة العناية به، وفرط الاهتمام بأمره. وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٨ الى ٩]
ألا تطغوا في الميزان (٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩)

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ١٨/٩

ألا تطغوا في الميزان أي بالإفراط عن حد الفضيلة والاعتدال، فيلزم الجور الموجب للفساد. و (أن) مصدرية على تقدير الجار. أي لئلا تطغوا فيه، أو مفسرة لما في وضع الميزان من معنى القول، لأنه بالوحي، وإعلام الرسل. وأقيموا الوزن بالقسط أي الاستقامة في الطريقة، وملازمة حد الفضيلة، ونقطة الاعتدال في جميع الأمور، وكل القوى. ولا تخسروا الميزان قال القاشاني: أي بالتفريط عن حد الفضيلة.

قال بعض الحكماء: العدل ميزان الله تعالى، وضعه للخلق، ونصبه للحق.

انتهى.". (١)

٦٧٠-"في طهر لم يجامع فيه- أخرجه البخاري ومسلم «١»

-

وفي لفظ مسلم «٢»

أنه قرأ (فطلقوهن في قبل عدتهن)

فاستدل الفقهاء بذلك على أن طلاق السنة ما ذكر، وأن الطلاق في الحيض أو طهر جومعت فيه بدعي حرام. واستدل قوم بالآية على عدم وقوعه في الحيض الثاني- في (الإكليل) : في قوله تعالى: لا تخرجوهن من بيوتهن وجوب السكنى لها مادامت في العدة، وتحريم إخراجها او خروجها إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كسوء الخلق، والبذاءة على أحمائها. فتنتقل.

الثالث- في (الإكليل) : استدل بقوله تعالى: لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا من لم يوجب السكنى بغير الرجعة. أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن وعكرمة قال:

المطلقة ثلاثا، والمتوفى عنها، لا سكنى لها ولا نفقة، لقوله: لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فما يحدث بعد الثلاث.

الرابع- قال ابن المنذر: أباح الله الطلاق بطليعة هذه السورة: انتهى.

وذلك- كما **قال بعض الحكماء-** إذا استحال الوفاق بين الزوجين، ولم يبق في الإمكان إصلاح، وصمم الزوج عليه، لأن وجود شخصين متنافري الطباع، متباغضين، لا ينظر أحدهما إلى الآخر إلا ويحس في نفسه بالنفور، وفي قلبه بالعداوة، يسعى كل منهما في أذى صاحبه- شر وفساد يجب محوه وقطعه. انتهى.

وقال ابن القيم في (إغاثة اللهفان) : إن الله سبحانه وتعالى لما كان يبغض الطلاق، لما فيه من كسر الزوجة، وموافقة رضا عدوه إبليس، حيث يفرح بمفارقة طاعة الله بالنكاح الذي هو واجب أو مستحب، وتعريض كل من الزوجين للفجور والمعصية، وغير ذلك من مفاسد الطلاق وكان مع ذلك يحتاج إليه الزوج أو الزوجة، وتكون المصلحة فيه شرعه على وجه يحصل به المصلحة وتندفع به المفسدة، وحرمه على غير ذلك الوجه، فشرعه على أحسن الوجوه وأقربها لمصلحة الزوج والزوجة، فشرع له أن يطلقها طاهرا من غير جماع طلقة واحدة، ثم يدعها حتى تنقضي عدتها. فإن زال الشر بينهما، وحصلت الموافقة، كان له سبيل إلى لم الشعث، وإعادة الفراش كما كان، وإلا تركها حتى انقضت عدتها. فإن تبعتها نفسه

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٩/١٠١

(١) أخرجه البخاري في: الطلاق، ١- باب قول الله تعالى: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء، حديث رقم ٢٠٦٠، عن عبد الله بن عمر.

وأخرجه مسلم في: الطلاق، حديث ١- ١٤. [.....]

(٢) أخرجه مسلم في: الطلاق، حديث رقم ١٤.". [1]

٦٧١-"وملخصه تخصيص الغيب بوقت وقوع القيامة بدلالة السياق، والرسول بالملك.

وناقشه في العناية بأن المرضي حمل الرسول على المتعارف لدلالة الساق والسياق عليه هذا، ونقل النسفي عن التأويلات ما مثاله:

قال بعضهم: في هذه الآية تكذيب المنجمة، وليس كذلك، فإن فيهم من يصدق خبره، وكذلك المتطببة فإنهم يعرفون طبائع النبات، وهذا لا يعرف بالتأمل، فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره، وبقي علمه في الخلق.

انتهى.

وهذا الجواب يلجأ إليه المتفقهة زعما بأن معرفة مواقيت الكسوف، وخواص المفردات مما يشمله علم الغيب. والصواب عدم شموله لمثله، لأنه مما يتيسر للناس أن يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث، كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية. وبالجملة فكل ما يمكن للإنسان أن يصل إليه بنفسه لا يكون من الغيب في شيء. ولذا قال بعض الحكماء: لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية، لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل، وينزع الاستقلال من الإنسان، ويلزم بأن يتلقى كل فرد من كل شيء بالتسليم، ولوجب أن يكون عدد الرسل في كل أمة كافيا لتعليم أفرادها في كل زمن ما يحتاجون إليه من أمور معاشهم ومعادهم. وإن شئت فقل: لوجب أن لا يكون الإنسان هذا النوع الذي نعرفه. نعم، إن الأنبياء ينبهون الناس بالإجمال إلى استعمال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي ترتقي بها نفوسهم، ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوي الإيمان ويزيد في العبرة. وقد أرشدنا صلى الله عليه وسلم إلى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا في واقعة تأبير النخل إذ

قال «١»

(أنتم أعلم بأمور دنياكم)

انتهى. فاحفظه فإنه من المضنون به على غير أهله. وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الجن (٧٢) : آية ٢٨]

ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا (٢٨)

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٩/٢٥١

ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم متعلق ب يسلك غاية له. والضمير إما

(١) أخرجه مسلم في: الفضائل، حديث ١٤١.". (١)

٦٧٢-"الثاني تنبيها على أن معرفة الربوبية غنية عن النبوة، وأما النبوة فإنها محتاجة إلى معرفة الربوبية. وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة العلق (٩٦) : الآيات ٦ الى ٨]

كلا إن الإنسان ليطغى (٦) أن رآه استغنى (٧) إن إلى ربك الرجعى (٨)

كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى أي حقا إن الإنسان ليتجاوز حده ويستكبر على ربه، أن رأى نفسه استغنت. ف (كلا) بمعنى (حقا) لعدم ما يتوجه إليه الردع ظاهرا، لتأخر نزول هذا عما قبله- على ما تقدم في المأثور- أو هو ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وإن لم يذكر، لدلالة الكلام عليه. فإن مفتتح السورة إلى هذا المقطع يدل على عظيم منته تعالى على الإنسان فإذا قيل: كلا يكون ردعا للإنسان الذي قابل تلك النعم بالكفران والطغيان. أي ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان. ينعم عليه ربه بتسوية خلقه وتعليمه ما لم يكن يعلم، وإنعامه بما لا كفء له، ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك ويطغى عليه أن رآه استغنى.

قال الكرخي، ومذهب أبي حيان أن (كلا) بمعنى (ألا) الاستفتاحية، وصوبه ابن هشام بكسر همزة (إن) بعدها كما بعد حرف التنبيه. وفي (الكواشي) : يجوز في (كلا) أن تكون تنبيها، فيقف على ما قبلها. وردعا، فيقف عليها.

تنبيه:

دلت الآية على قاعدة عظيمة في باب التمول المحمود، قررها الحكماء المصلحون. وهو أن لا يتجاوز المال قدر الحاجة بكثير. قالوا: لأن إفراط الثروة مهلكة للأخلاق الحميدة في الإنسان، كما نطقت به الآية الكريمة.

قال بعض الحكماء: التحول لأجل الحاجات وبقدرها، محمود بثلاثة شروط.

وإلا كان حرص التمول من أقبح الخصال.

الشرط الأول: أن يكون إحراز المال بوجه مشروع حلال. أي إحرازه من بذل الطبيعة أو بالمعارضة أو في مقابل عمل.

والشرط الثاني: أن لا يكون في التمول تضييق على حاجات الغير، كاحتكار الضروريات، أو مزاحمة الصناع والعمال الضعفاء، أو التغلب على المباحات. مثل امتلاك الأراضي التي جعلها خالقها ممرحا لكافة مخلوقاته. وهي أمهم ترضعهم لبن جهازاتها وتغذيهم بثمراتها وتؤويهم في حضن أجزائها.". (٢)

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٩/٣٣٨

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٩/٥١١

٦٧٣-"جبا وقع فيه منكبا" وروى الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تمكر ولا تعن ماكرا فإن الله تعالى يقول:" ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله"، ولا تبغ ولا تعن باغيا فإن الله تعالى يقول:" فمن نكث فإنما ينكث على نفسه" [الفتح: ١٠] وقال تعالى:" إنما بغيكم على أنفسكم" [يونس: ٢٣] **وقال بعض الحكماء:**

يا أيها الظالم في فعله ... والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى ... تحصي المصائب وتنسى النعم

وفي الحديث (المكر والخديعة في النار) . فقوله: (في النار) يعني في الآخرة تدخل أصحابها في النار، لأنها من أخلاق الكفار لا من أخلاق المؤمنين الأخيار، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في سياق هذا الحديث: (وليس من أخلاق المؤمن المكر والخديعة والخيانة) . وفي هذا أبلغ تحذير عن التخلق بهذه الأخلاق الذميمة، والخروج عن أخلاق الإيمان الكريمة. قوله تعالى: (فهل ينظرون إلا سنت الأولين) أي إنما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الأولين. (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) أي أجرى الله العذاب على الكفار، ويجعل ذلك سنة فيهم، فهو يعذب بمثله من استحقه، لا يقدر أحد أن يبدل ذلك، ولا أن يحول العذاب عن نفسه إلى غيره. والسنة الطريقة، والجمع سنن. وقد مضى في" آل عمران" «١» وأضافها إلى الله عز وجل. وقال في موضع آخر:" سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا" «٢» فأضاف إلى القوم لتعلق الأمر بالجانبين، وهو كالأجل، تارة يضاف إلى الله، وتارة إلى القوم، قال الله تعالى:" فإن أجل الله لآت" «٣» [العنكبوت: ٥] وقال:" فإذا جاء أجلهم". [النحل: ٦١] .

[سورة فاطر (٣٥) : آية ٤٤]

أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا (٤٤)

---

(١) . راجع ج ٤ ص ٢١٦.

(٢) . راجع ج ١٠ ص ٣٠٢.

(٣) . راجع ج ١٣ ص ٣٢٦.". [(١)]

٦٧٤-"يرى في المرآة، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها، والدوي والطنين في الأذن، والنطق سالم من ذلك، ولا يعترض بالصدى لأنه لا يكون إلا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكل به. **وقال بعض الحكماء**: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره. وقال الحسن: بلغني أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه قال الله

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/٣٦٠

تعالى: فو رب السماء والأرض إنه لحق (. وقال الأصمعي: أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلدا سيفه وبيده قوسه، فدنا وسلم وقال: ممن الرجل؟ قلت من بني أصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلت: نعم، قال: فاتل علي منه شيئا، فقرأت (والذاريات ذروا) إلى قوله: (وفي السماء رزقكم) فقال: يا أصمعي حسبك!! ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعني على توزيعها، ففرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ووضعهما تحت الرحل وولى نحو البادية وهو يقول: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فمقت نفسي ولمتها، ثم حججت مع الرشيد، فبينما أنا أطوف إذا أنا بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي وهو ناحل مصفر، فسلم علي وأخذ بيدي وقال: اتل علي كلام الرحمن، وأجلسني من وراء المقام فقرأت (والذاريات) حتى وصلت إلى قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فقال الأعرابي: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقا، وقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله تبارك وتعالى: (فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) قال فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله! من الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدقوه في قوله حتى ألجئوه إلى اليمين؟ فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه. وقال يزيد بن مرثد: إن رجلا جاع بمكان ليس فيه شي فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فأتني به، فشبع وروي من غير طعام ولا شراب. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أن أحدكم". (١)

٦٧٥-"معدومة كان محالا، لأن الإحداث لا يتأتى إلا من حي عالم قادر مريد، وما ليس بموجود لا يصح وصفه بذلك، وإن كانت موجودة فوجودها يغني عن إحداث أنفسها. وأيضا فلو جاز ما قالوه لجاز أن يحدث البناء نفسه، وكذلك النجارة والنسج، وذلك محال، وما أدى إلى المحال محال. ثم إن الله تعالى لم يقتصر بها في وحدانيته على مجرد الأخبار حتى قرن ذلك بالنظر والاعتبار في آي من القرآن، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم:" قل انظروا ماذا في السماوات والأرض «١» " والخطاب للكفار، لقوله تعالى:" وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون"، وقال:" أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض «٢» " يعني بالملكوت الآيات. وقال:" وفي أنفسكم أفلا تبصرون «٣» ". يقول: أو لم ينظروا في ذلك نظر تفكر وتدبر حتى يستدلوا بكونها محلا للحوادث والتغييرات على أنها محدثات، وأن المحدث لا يستغني عن صانع يصنعه، وأن ذلك الصانع حكيم عالم قدير مريد سميع بصير متكلم، لأنه لو لم يكن بهذه الصفات لكان الإنسان أكمل منه وذلك محال. وقال تعالى:" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين «٤» " يعني آدم عليه السلام،" ثم جعلناه" أي جعلنا نسله وذريته" نطفة في قرار مكين" إلى قوله:" تبعثون". فالإنسان إذا تفكر بهذا التنبيه بما جعل له من العقل في نفسه رآها مدبرة وعلى أحوال شتى مصرفة. كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما وعظما، فيعلم أنه لم ينقل نفسه من حال النقص إلى حال الكمال، لأنه لا يقدر على أن يحدث لنفسه في الحال الأفضل التي هي كمال عقله وبلوغ أشده عضوا من الأعضاء، ولا يمكنه أن يزيد في جوارحه جارحة، فيدله ذلك على أنه في حال نقصه وأوان ضعفه عن فعل ذلك أعجز. وقد يرى نفسه

---

(١) تفسير القرطبي ٤٢/١٧

شابا ثم كهلا ثم شيخا وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة إلى حال الشيخوخة والهرم، ولا اختاره لنفسه ولا في وسعه أن يزايل حال المشيب ويراجع قوة الشباب، فيعلم بذلك أنه ليس هو الذي فعل تلك الأفعال بنفسه، وأن له صانعا صنعه وناقلا نقله من حال إلى حال، ولولا ذلك لم تتبدل أحواله بلا ناقل ولا مدبر. **وقال بعض الحكماء**: إن كل شي في العالم الكبير له نظير العالم الصغير، الذي هو بدن الإنسان، ولذلك قال تعالى:" لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" وقال:

(١) . راجع ج ٨ ص ٣٨٦.
(٢) . ج ٧ ص ٣٣٠.
(٣) . ج ١٧ ص ٤٠.
(٤) . ج ١٢ ص ١٠٩.". [١]

٦٧٦-"تنبيها على عظمه، وكثرة ضرره. والحاسد عدو نعمة الله. **قال بعض الحكماء**: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه: أحدها- أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. وثانيها- أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت هذه القسمة؟ وثالثها- أنه ضاد فعل الله، أي إن فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله. ورابعها- أنه خذل أولياء الله، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم. وخامسها- أنه أعان عدوه إبليس. وقيل: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال في الخلوة إلا جزعا وغما، ولا ينال في الآخرة إلا حزنا واحتراقا، ولا ينال من الله إلا بعدا ومقتا. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم: آكل الحرام، ومكثر الغيبة، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين) . والله سبحانه وتعالى أعلم.

[تفسير سورة الناس]
سورة" الناس" مثل" الفلق" لأنها إحدى المعوذتين. وروى الترمذي عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد أنزل الله علي آيات لم ير مثلهن: (قل أعوذ برب الناس) إلى آخر السورة و (قل أعوذ برب الفلق) إلى آخر السورة) ". قال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه مسلم.
بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الناس (١١٤) : الآيات ١ الى ٣]
بسم الله الرحمن الرحيم

(١) تفسير القرطبي ٢٠٢/٢

قل أعوذ برب الناس (١) ملك الناس (٢) إله الناس (٣)

قوله تعالى: قل أعوذ برب الناس أي مالكهم ومصلح أمورهم. وإنما ذكر أنه رب الناس، وإن كان ربا لجميع الخلق لأمرين: أحدهما: لأن الناس معظمون، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا. الثاني: لأنه أمر بالاستعاذة من شرهم، فأعلم بذكرهم". (١)

٦٧٧-"ونفى عنه الخوف بعد موته لما يستقبل، والحزن على ما سلف من دنياه، لأنه يغتبط بآخرته فقال: (لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . وكفى بهذا فضلا وشرفا للنفقة في سبيل الله تعالى. وفيها دلالة لمن فضل الغني على الفقير حسب ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٦٣]

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم (٢٦٣)

فيه ثلاث مسائل: الأولى- قوله تعالى: (قول معروف) ابتداء والخبر محذوف، أي قول معروف أولى وأمثل، ذكره النحاس والمهدوي. قال النحاس: ويجوز أن يكون" قول معروف" خبر ابتداء محذوف، أي الذي أمرتم به قول معروف. والقول المعروف هو الدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله، خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة وفى باطنها لا شي، لأن ذكر القول المعروف فيه أجر وهذه لا أجر فيها. قال صلى الله عليه وسلم:" الكلمة الطيبة صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق" أخرجه مسلم. فيتلقى السائل بالبشر والترحيب، ويقابله بالطلاقة والتقريب، ليكون مشكورا إن أعطى ومعذورا إن منع. وقد قال بعض الحكماء: الق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره. وحكى ابن لنكك «١» أن أبا بكر بن دريد قصد بعض الوزراء في حاجة لم يقضها وظهر له منه ضجر فقال:

لا تدخلنك ضجرة من سائل ... فلخير دهرك أن ترى مسئولا

لا تجبهن بالرد وجه مؤمل ... فبقاء عزك أن ترى مأمولا

تلقى الكريم فتستدل ببشره ... وترى العبوس على اللئيم دليلا

واعلم بأنك عن قليل صائر ... خبرا فكن خبرا يروق جميلا

---

(١) . هو ابو حسن محمد بن محمد، فرد البصرة وصدر أدبائها. (عن يتيمة الدهر ج ٢ ص ١١٦) .". (٢)

٦٧٨-"من الصحف وغيرها، لأنه قال لأولئك:" وما أوتيتم من العلم إلا قليلا «١» ". وسمى هذا خيرا كثيرا، لأن هذا هو جوامع الكلم. وقال بعض الحكماء: من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأهل الدنيا

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/٢٦٠

(٢) تفسير القرطبي ٣/٣٠٩

لأجل دنياهم، فإنما أعطي أفضل ما أعطي أصحاب الدنيا، لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعا قليلا فقال:" قل متاع الدنيا قليل" «٢» وسمى العلم والقرآن" خيرا كثيرا". وقرأ الجمهور" ومن يؤت" على بناء الفعل للمفعول. وقرأ الزهري ويعقوب" ومن يؤت" بكسر التاء على معنى ومن يؤت الله الحكمة، فالفاعل اسم الله عز وجل. و" من" مفعول أول مقدم، والحكمة مفعول ثان. والألباب: العقول، واحدها لب وقد تقدم «٣» .

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٧٠]

وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار (٢٧٠)

شرط وجوابه، وكانت النذور من سيرة العرب تكثر منها، فذكر الله تعالى النوعين، ما يفعله المرء متبرعا، وما يفعله بعد إلزامه لنفسه. وفي الآية معنى الوعد والوعيد، أي من كان خالص النية فهو مثاب، ومن أنفق رياء أو لمعنى آخر مما يكسبه المن والأذى ونحو ذلك فهو ظالم، يذهب فعله باطلا ولا يجد له ناصرا فيه. ومعنى" يعلمه" يحصيه، قاله مجاهد. ووحد الضمير وقد ذكر شيئين، فقال النحاس: التقدير (وما أنفقتم من نفقة) فإن الله يعلمها، (أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) ثم حذف. ويجوز أن يكون التقدير: وما أنفقتم فإن الله يعلمه وتعود الهاء على" ما" كما أنشد سيبويه [لامرئ القيس «٤»] :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل «٥»

ويكون" أو نذرتم من نذر" معطوفا عليه. قال ابن عطية: ووحد الضمير في" يعلمه" وقد ذكر شيئين من حيث أراد ما ذكر أو نص.

---

(١) . راجع ج ١٠ ص ٣٢٣.

(٢) . راجع ج ٥ ص ٢٨١.

(٣) . راجع المسألة الرابعة عشرة ج ٢ ص ٤١٢.

(٤) . الزيادة في ب.

(٥) . وتوضح والمقراة: موضعان، وهما عطف على" حومل" في البيت قبلة.". [1]

٦٧٩-"ومدحه والإظهار ومدحه، فيجوز أن يتوجه إليهما جميعا. وقال النقاش: إن هذه الآية نسخها قوله تعالى:" الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية" الآية. قوله تعالى: (فنعما هي) ثناء على إبداء الصدقة، ثم حكم على أن الإخفاء خير من ذلك. ولذلك قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره. قال دعبل الخزاعي:

إذا انتقموا أعلنوا أمرهم ... وإن أنعموا أنعموا باكتتام

---

(١) تفسير القرطبي ٣/٣٣١

وقال سهل بن هارون:

خل إذا جئته يوما لتسأله ... أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يخفي صنائعه والله يظهرها ... إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا أعجلته هنيته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته. وقال بعض الشعراء فأحسن:

زاد معروفك عندي عظما ... أنه عندك مستور حقير

تتناساه كأن لم تأته ... وهو عند الناس مشهور خطير

واختلف القراء في قوله" فنعما هي" فقرأ أبو عمرو ونافع في رواية ورش وعاصم في رواية حفص وابن كثير" فنعما هي" بكسر النون والعين. وقرأ أبو عمرو أيضا ونافع في غير رواية ورش وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل" فنعما" بكسر النون وسكون العين. وقرأ الأعمش وابن عامر وحمزة والكسائي" فنعما" بفتح النون وكسر العين، وكلهم سكن الميم. ويجوز في غير القرآن فنعم ما هي. قال النحاس: ولكنه في السواد متصل فلزم الإدغام. وحكى النحويون في" نعم" أربع لغات: نعم الرجل زيد، هذا الأصل. ونعم الرجل، بكسر النون لكسر العين. ونعم الرجل، بفتح النون وسكون العين، والأصل نعم حذفت الكسرة لأنها ثقيلة. ونعم الرجل، وهذا أفصح اللغات، والأصل فيها نعم. وهي تقع في كل مدح، فخففت وقلبت كسرة العين على النون وأسكنت العين، فمن قرأ" فنعما هي" فله تقديران: أحدهما أن يكون جاء به على لغة من يقول نعم. والتقدير الآخر أن يكون على". (١)

٦٨٠-"والأسنان والطعمان. ثم قيل: في قلة الأكل منافع كثيرة، منها أن يكون الرجل أصح جسما وأجود حفظا وأزكى فهما وأقل نوما وأخف نفسا. وفي كثرة الأكل كظ المعدة ونتن التخمة «١» ، ويتولد منه الأمراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه القليل الأكل. **وقال بعض الحكماء**: أكبر الدواء تقدير الغذاء. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بيانا شافيا يغني عن كلام الأطباء فقال: (ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه (. خرجه الترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب. قال علماؤنا: لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة. ويذكر أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شي، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان. فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا. فقال له: ما هي؟ قال قوله عز وجل:" وكلوا واشربوا ولا تسرفوا". فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شي من الطب. فقال علي: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة «٢» . قال: ما هي؟ قال: (المعدة بيت الأدواء والحمية رأس كل دواء وأعط كل جسد ما عودته) . فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا. قلت: ويقال إن معالجة المريض نصفان: نصف دواء ونصف حمية: فإن اجتمعا

---

(١) تفسير القرطبي ٣/٣٣٤

فكأنك بالمريض قد برأ وصح. وإلا فالحمية به أولى، إذ ينفع دواء مع ترك الحمية. ولقد تنفع الحمية مع ترك الدواء. ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أصل كل دواء الحمية) . والمعني بها- والله أعلم- أنها تغني عن كل دواء، ولذلك يقال: إن الهند جل معالجتهم الحمية، يمتنع المريض عن الأكل والشراب والكلام عدة أيام فيبرأ ويصح. الخامسة- روى مسلم عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معى واحد) . وهذا منه صلى الله

(١) . في ع: نتن للمنحة. قال الجوهري: الإنفحة هي الكرش.

(٢) . في ع: المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء. هكذا في الرواية المشهورة وليس بحديث بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب راجع كشف الخلفاء ج ٢ ص ٢١٤. ففيه قيم في هذا الحديث.". [١]

٦٨١-"أنت رسول الله. قال:" أعتقها فإنها مؤمنة". ولم يكن هناك نظر ولا استدلال، بل حكم بإيمانهم من أول وهلة، وإن كان هناك عن النظر والمعرفة غفلة. والله أعلم. الرابعة- ولا يكون النظر أيضا والاعتبار في الوجوه الحسان من المرد والنسوان. قال أبو الفرج الجوزي: قال أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري بلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع أنها تضيف إليه النظر إلى وجه الأمرد، وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب، وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع. وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم. قال أبو الفرج: وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل لم يحل الله النظر إلا على صور لا ميل للنفس إليها، ولا حظ للهوى فيها، بل عبرة لا يمازجها شهوة، ولا يقارنها لذة. ولذلك ما بعث الله سبحانه امرأة بالرسالة، ولا جعلها قاضيا ولا إماما ولا مؤذنا، كل ذلك لأنها محل شهوة وفتنة. فمن قال: أنا أجد «١» من الصور المستحسنة عبرا كذبناه. وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا كذبناه، وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين. **وقال بعض الحكماء**: كل شي في العالم الكبير له نظير في العالم الصغير، ولذلك قال تعالى:" لقد خلقنا الإنسان في أحسن «٢» تقويم" وقال:" وفي أنفسكم أفلا تبصرون «٣» ". وقد بينا وجه التمثيل في أول" الأنعام «٤» ". فعلى العاقل أن ينظر إلى نفسه ومتفكر في خلقه من حين كونه ماء دافقا إلى كونه خلقا سويا، يعان بالأغذية ويربى بالرفق، ويحفظ باللين حتى يكتسب القوى، ويبلغ الأشد. وإذا هو قد قال: أنا، وأنا، ونسي حين أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، وسيعود مقبورا، فيا ويحه إن كان محسورا. قال الله تعالى" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين"- إلى قوله-" تبعثون «٥» " فينظر أنه عبد مربوب مكلف، مخوف بالعذاب إن قصر، مرتجيا «٦» بالثواب إن ائتمر «٧» ، فيقبل على عبادة مولاه (فإنه «٨») وإن كان لا يراه يراه

و (لا «٩») يخشى الناس

(١) تفسير القرطبي ١٩٢/٧

(١) . في ى: آخذ

(٢) . راجع ج ٢٠ ص ١١٣.

(٣) . راجع ج ١٧ ص ٤٠.

(٤) . راجع ج ٦ ص ٣٨٧.

(٥) . راجع ج ١٢ ص ١٠٨. [.....]

(٦) . من ز. وفى ى: فرحا.

(٧) . في ع: إن شمر.

(٨) . من ع

(٩) . في ع: إن شمر.". [١]

٦٨٢-"وبعد أن نبههم سبحانه إلى عظمته ذكرهم بنعمه عليهم وإحسانه إليهم فقال:

(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي وإن تعدوا نعم الله لا تضبطوا عددها فضلا عن أن تستطيعوا القيام بشكرها، فإن العبد مهما أتعب نفسه فى طاعته، وبالغ فى شكران نعمه، فإنه يكون مقصرا، فنعم الله كثيرة، وعقل المخلوق قاصر عن الإحاطة بها، ومن ثم فهو يتجاوز عن ذلك التقصير، وإلى ذلك أشار بقوله:

(إن الله لغفور) فيستر عليكم تقصيركم فى القيام بشكرها.

(رحيم) بكم فيقيض عليكم نعمه مع استحقاقكم للقطع والحرمان، بما تأتون وما تذرون من أصناف الكفر والعصيان، ومن أفظع ذلك وأعظمه جرما المساواة بين الخالق والمخلوق.

قال بعض الحكماء: إن أى جزء من البدن إذا اعتراه الألم نغص على الإنسان النعم، وتمنى أن ينفق الدنيا لو كانت فى ملكه حتى يزول عنه ذلك الألم، وهو سبحانه يدبر جسم الإنسان على الوجه الملائم له، مع أنه لا علم له بوجود ذلك، فكيف يطيق حصر نعمه عليه أو يقدر على إحصائها، أو يتمكن من شكر أدناها؟.

ربنا هذه نواصينا بيدك، خاضعة لعظم نعمك، معترفة بالعجز عن تأدية الشكر لشيء منها، لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ولا نطيق التعبير بالشكر لك، فتجاوز عنا، واغفر لنا، وأسبل ذيول سترك على عوراتنا، فإنك إلا تفعل تهلك، لتقصيرنا فى شكر نعمك، فكيف بما فرط منا من التساهل فى الائتمار بأوامرك، والانتهاء عن مناهيك؟

العفو يرجى من بنى آدم ... فكيف لا يرجى من الرب اه

وبعد أن أبطل عبادة لأصنام، من قبل أنها لا قدرة لها على الخلق والإنعام، أبطل عبادتها بوجه آخر وهو أن الإله يجب أن يكون عليما بالسر والعلانية، وهذه الأصنام جماد لا معرفة لها بشيء فكيف تجمل عبادتها؟ وإلى ذلك أشار بقوله:

(١) تفسير القرطبي ٣٣٣/٧

(والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أي والله يعلم ما تسرونه فى ضمائركم، وتخفونه عن غيركم، وما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم، وهو محص ذلك كله عليكم". [(١)]

٦٨٣-"(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) أي وإن تصبروا على مشاق التكاليف فتمتثلوا الأوامر، وتتقوا كل ما نهيتم عنه وحظر عليكم- ومن ذلك اتخاذ الكافرين بطانة- فلا يضركم كيدهم، لأنكم قد وفيتم لله بعهد العبودية، فهو يفى لكم بحق الربوبية، ويحفظكم من الآفات والمخافات كما قال سبحانه: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» .

قال بعض الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فاجتهد فى اكتساب الفضائل.

وقد جرت سنة القرآن أن يذكر الصبر فى كل مقام يشق على النفس احتماله، ولا شك أن حبس الإنسان سره عن ودیده وعشيره، ومعامله وقريبه مما يشق عليه، فإن من لذات النفوس أن تفضى بما فى الضمير إلى من تسكن إليه وتأنس به.

ولما نهى المؤمنين عن اتخاذ بطانة من دونهم من خلطائهم وعشرائهم وحلفائهم لما بدا منهم من البغضاء والحسد- حسن أن يذكرهم بالصبر على هذا التكليف الشاق عليهم، واتقاء ما يجب اتقاؤه للسلامة من عواقب كيدهم.

وفى الآية عبرة للمسلمين فى معاملة الأعداء، فإن الله أمر المؤمنين بالصبر على عداوة أولئك المبغضين الكافرين، واتقاء شرهم، ولم يأمرهم بمقابلة الشر بمثله، إذ من دأب القرآن ألا يأمر إلا بالمحبة والخير، ودفع السيئة بالحسنة كما قال: «ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» .

فإن تعذر تحويل العدو إلى محب، بدفع سيئاته بما هو أحسن منها- جاز دفع السيئة بمثلها من غير بغى، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع بنى النضير، فإنه حالفهم ووادهم، فنكثوا العهد وخانوا، وأعانوا عليه عدوه من قريش وسائر العرب، وحاولوا قتله، فلم يكن هناك وسيلة لعلاجهم إلا قتالهم وإجلاؤهم من ديارهم.

(إن الله بما يعملون محيط) أي إنه تعالى عالم بعمل الفريقين، ومحيط بأسباب ما يصدر من كل منهما، ومقدماته، ونتائجه وغاياته، فهو الذي يعتمد على إرشاده،". [(٢)]

٦٨٤-"إذ من جعل شهوة بطنه أكبر همه كان من المسرفين، ومن بالغ فى الشبع وعرض معدته وأمعاءه للتخمة كان من المسرفين، ومن أنفق فى ذلك أكثر من طاقته وعرض نفسه لذل الدين أو أكل أموال الناس بالباطل فهو من المسرفين والله يقول «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين» والخلاصة- إن هدى القرآن فى الطيبات هو ما تقتضيه الفطرة السليمة المعتدلة من التمتع بها مع الاعتدال والتزام الحلال. والاعتدال هو الصراط المستقيم الذي يقل سالكه، فكثير من الناس يحيدون عنه ويميلون فى التمتع إلى جانب الإفراط والإسراف، ويكونون كالأنعام بل أضل لأنهم يجنون على أنفسهم

---

(١) تفسير المراغي ٦٥/١٤

(٢) تفسير المراغي ٤٨/٤

حتى قال بعض الحكماء إن أكثر الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم.
وقليلون منهم ينحرفون إلى جانب التفريط والتقتير إما اضطرارا لبؤسهم وعدمهم وإما اختيارا كالزهاد والمتقشفين.
وسبيل الاعتدال سبيل شاقة على النفوس، عسرة على سالكها، كلها تدل على فضيلة العقل ورجحانه.
والمعروف من سيرة الرسول أنه كان يأكل ما وجده فتارة يأكل أطيب الطعام كلحوم الأنعام والطير والدجاج، وتارة يأكل أخشنه كخبز الشعير بالملح أو الزيت أو الخل، وحينا يجوع وأخرى يشبع، فكان فى كل ذلك قدوة للموسر والمعسر.
وما كان يهمه أمر الطعام، لكنه كان يعنى بأمر الشراب
ففى حديث عائشة «كان أحب الشراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد»
قال المحدثون:
ويدخل فى ذلك الماء القراح والماء المحلى بالعسل أو نقيع التمر أو الزبيب.". (١)

٦٨٥-"(وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) أي وما هذه الحياة الدنيا التي قال الكفار إنه لا حياة غيرها إلا لهو ولعب، فهى دائرة بين عمل لا يفيد فى العاقبة كلعب الأطفال، وعمل له فائدة عاجلة سلبية كفائدة اللهو وهو دفع الهموم والآلام، ومن ثم قال بعض الحكماء: إن جميع لذات الدنيا سلبية إذ هى إزالة للآلام، فلذة الطعام فى إزالة ألم الجوع، وبقدر هذا الألم تعظم اللذة فى إزالته، ولذة شرب الماء هى إزالة العطش وهكذا.
وفى الآية وجه آخر، وهو أن متاع هذه الدنيا متاع قليل، قصير الأجل لا ينبغى أن يغتر به العاقل، فما هو إلا كلعب الأطفال قصير المدة، فإن الطفل سريع الملل لكل ما يقدم إليه من أصناف اللعب، أو أن زمن الطفولة قصير كله غفلة، أو كلهو المهموم فى قصر مدته، على كونه غير مقصود لذاته.
(وللدار الآخرة خير للذين يتقون) الكفر والمعاصي، لخلو لذاتها من المضار والآلام وسلامتها من التقضي والانصرام، من هذه الدار للمشركين المنكرين للبعث الذين لا حظ لهم من حياتهم إلا التمتع الذي هو من قبيل اللعب فى قصر مدته وعدم فائدته، أو من قبيل اللهو فى كونه دفعا لألم الهم والكدر.
والخلاصة- إن نعيم الآخرة خير من نصيم الدنيا، فالبدنى منه أعلى وأكمل من نعيم الدنيا فى ذاته وفى دوامه وثباته وفى كونه إيجابيا لا سلبيا، وفى كونه غير مشوب ولا منغص بشيء من الآلام، وفى كونه لا يعقبه ثقل ولا مرض ولا إزالة أقذار، والروحاني منه كلقاء الله ورضوانه وكمال معرفته يجل عنه الوصف والتحديد ولا شبيه له فى نعيم الدنيا.
(أفلا تعقلون) أي أتغفلون عن هذا فلا تعقلون أن الحياة الدنيا لعب ولهو وأنتم ترون من يموت، ومن تنوبه النوائب، وتفجعه الفواجع؟ ففى ذلك مزدجر عن الركون إليها، واستعباد النفوس لها، ودليل على أن لها مدبرا يلزم الخلق عبادته وعدم إشراك

---

(١) تفسير المراغي ١٣/٧

غيره معه في ذلك التدبير والنظام وإخلاص العبادة والطاعة له.". [1]

٦٨٦-"الآية، وفي التي بعدها: (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٢: ٢٣٢) وتقدم في سورة آل عمران بعد النهي عن أكل الربا والأمر بطاعة الله ورسوله والترغيب في الإنفاق في السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس، وما أعده الله على ذلك من الجزاء (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) (٣: ١٣٧ و١٣٨) ويليه الكلام في الجهاد وغزوة أحد، وفي سورة

النساء: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به) (٤: ٥٨) الآية، وتقدم غير ذلك من أمثلة الوعظ وسيأتي غيره مما يفسر مراده تعالى من موعظته الربانية، فهل يمكن أن يتمارى عاقلان في حسنها ومنفعتها للعباد في أعمالهم وأحكامهم؟ كلا إنها مما يتوقف عليه صلاح العباد في كل زمان ومكان.

(الثانية: شفاء ما في الصدور) أي شفاء جميع ما في القلوب من أدواء الشرك والكفر والنفاق، وسائر الأمراض النفسية التي يشعر صاحبها ذو الضمير الحي بضيق الصدر، من شك في الإيمان، ومخالفة للوجدان، وإضمار للحقد والحسد والبغي والعدوان، وحب للباطل والظلم والشر، وبغض للحق والعدل والخير.

قال الراغب: **قال بعض الحكماء حيثما** ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم نحو: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) (٥٠: ٣٧) وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها، وقوله: (رب اشرح لي صدري) (٢٠: ٢٥) فسؤال الإصلاح قواه، وكذلك قوله: (ويشف صدور قوم مؤمنين) (٩: ١٤) إشارة إلى اشتفائهم. وقوله: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (٢٢: ٤٦) أي العقول التي هي مندسة فيما بين سائر القوى وليست مهتدية والله أعلم بذلك انتهى. والتحقيق أن الصدر يطلق مجازا على القلب الحسي الذي فيه وعلاقته ظاهرة، وعلى القلب المعنوي الذي هو للنفس كالقلب الحسي للبدن لأنه لبها، ومركز شعور مداركها وانفعالاتها، دون الدماغ فإن النفس لا تشعر بما ينطبع فيه من المدركات من انشراح وبسط وحرج وضيق وقبض، فجميع الإدراكات العلمية والوجدانية توصف بها القلوب حقيقة والصدور مجازا، وتكون فاعلة ومفعولة وصفات للأفعال العاملة فيهما، وأما العقل في اللغة فهو الحكم الصحيح في بعض الإدراكات ولوازمها من حسن وقبح وصلاح وفساد، ونفع وضر، ومركزه الدماغ قطعا، فأمراض الصدور والقلوب تشمل الجهل وسوء الظن، والشك". [2]

---

(١) تفسير المراغي ١٠٧/٧

(٢) تفسير المنار ٣٢٩/١١

٦٨٧-"والموافق لحكمة التحريم: الثاني، وهو أنه يحرم على كل أحد أن يأكل ما تستخبثه نفسه وتعافه ؛ لأنه يضره ولا يصلح لتغذيته، ولذلك قال بعض الحكماء: ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته، وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك. ويروى عن الشافعي أن العبرة ذوق أصحاب الطباع السليمة من العرب الذين خوطبوا بهذا أولا، ويرد عليه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاف أكل الضب وعلله بأنه ليس في أرض قومه، وأذن لغيره بأكله وصرح بأنه لا يحرمه، فلا يحكم بذوق قوم على ذوق غيرهم، وليس هذا أمرا يتعلق باللغة حتى يقال: إنهم هم الذين خوطبوا بهذا النص أولا، فالعبرة بما يفهمونه منه، والناس لهم فيه تبع، بل هو أمر متعلق بالأذواق والطباع، ومعناه: أحل لكم أيها المكلفون ما يستطاب أكله ويشتهى، دون ما يستخبث ويعاف، وحينئذ تكون العبرة بالسواد الأعظم من سليمي الطباع غير ذوي الضرورات والمعيشة الشاذة، أو يختلف باختلاف الطباع بين الأقوام. واختلف الفقهاء فيما ينتن: أيحرم أم يكره؟ وهو خبيث لغة وعرفا، ولا يرد على الحصر المار لأن خبثه عارض، وكل حلال يعرض له وصف يصير به ضارا يحرم -كاختمار العصير - فإن زال حل ؛ كتخلل الخمر.

وأما صيد الجوارح فقد قيد النص حله بأن يكون الجارح الذي صاده مما أدبه الناس وعلموه الصيد حتى يصح أن ينسب الصيد إليهم، ويكون قتل الجارح له كتذكية مرسله إياه، فيخرج بذلك عن أن يكون من الفرائس، ويمسك الصيد على الصائد، وذلك أن قوله: فكلوا مما أمسكن عليكم أي: فكلوا من الصيد ما تمسكه الجوارح عليكم، أي تصيده لأجلكم، فتحبسه وتقفه عليكم بعدم أكلها منه، فإن أكلت منه لا يحل أكل ما فضل عنها عند الجمهور ؛ لأنه مثل فريسة السبع المحرمة في الآية السابقة، بل هي

منها ؛ لأن الكلاب ونحوها من السباع، وكذلك تسمى السباع كلابا، ومنه حديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك روى أحمد، والشيخان عن عدي بن حاتم، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك، إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل ؛ فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه وفي رواية: " إذا أرسلت كلبك المعلم فاذكر اسم الله، فإن أمسك عليك، فأدركته حيا فاذبحه، وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله ؛ فإن أخذ الكلب ذكاة " الحديث متفق عليه، والحكم مجمع عليه.

وروي عن بعض السلف الأخذ بظاهر عموم مما أمسكن فقالوا: كل ما جاء به الكلب أو غيره، أكل منه أو لم يأكل، فهو قد أمسكه على صاحبه، فله أكله.

روى ابن جرير وغيره نحو هذا عن ابن عمر وسعد، وعن أبي هريرة وسلمان أنهما قالا: وإن أكل ثلثيه، وبقي الثلث فكل، وعليه مالك.

وفرق آخرون بين الكلاب ونحوها من السباع وبين الطير". (١)

(١) تفسير المنار ١٤٣/٦

٦٨٨-"الذي يقل سالكه، فأكثر الناس ينكبون عنه في التمتع إلى جانب الإفراط والإسراف، فيكونون كالأنعام بل أضل لما يجنون به على أنفسهم، حتى **قال بعض الحكماء**: إن أكثر الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم، يعني أنهم لإسرافهم في الطعام يصابون بأمراض تكون سببا لقصر آجالهم، وإسراع الهرم فيهم، والقليل من الناس ينحرفون عنه إلى جانب التفريط والتقصير، إما اضطرارا كالمقترين البائسين، وإما اختيارا كالزهاد المتقشفين، والتزام صراط الاعتدال المستقيم أعسر وأشق على النفس، وأدل على الفضيلة والعقل، وكل حزب بما لديهم فرحون.

لا يخطر على بال المسرف أن يدعي أنه متبع هدي الدين في إسرافه، وقصارى ما يعتذر به عن نفسه إذا عذل وعيب عليه إسرافه شرعا أن يدعي أنه لم يتجاوز

حد ما أباحه الله له، وإذا قصد المعتدل اتباع الشرع بإقامة سنة الفطرة وإعطاء كل ذي حق حقه من جسده ونفسه وأهله، وشكر الله على نعمه باستعمالها كما ينبغي، فقلما يفطن الناس لذلك منه، ولا يكاد أحد يعده به كامل الدين معتصما بالفضيلة، فهي فضيلة لا رياء فيها ولا سمعة، وإنما المفرطون بتعمد التقشف هم الذين كثيرا ما يغترون بأنفسهم ويغتر الناس بهم، فهم على انحرافهم عن صراط الدين يدعون أو يدعى فيهم أنهم أكمل الناس في اتباع الدين.

أعوز هؤلاء النص على دعوى كون الغلو في التقشف من الدين، فتعلقوا ببعض وقائع الأحوال من سيرة فقراء السلف الصالح على تصريحهم بأن وقائع الأحوال في السنة لا يستدل بها لإجمالها وتطرق الاحتمال إليها، فكيف إذا كانت وقائع من لا يحتج بقول أحد منهم ولا يفعله؟

عقد أبو حامد الغزالي في إحيائه كتابا سماه (كتاب كسر الشهوتين) شهوة البطن وشهوة الفرج، وطريقته أن يبدأ في كل موضوع بما ورد فيه من الآيات فالأخبار النبوية فالآثار السلفية، ونراه لم يجد آية يبدأ بها موضوع (بيان فضيلة الجوع وذم التشبع) فبدأه بأحاديث أكثرها لا يعرف المحدثون له أصلا قط، وبعضها ضعيف أو موضوع فمن هذه الأحاديث ما نذكره غير مسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي:

(١) جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش، (٢) لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه. (٣) قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته. (٤) سيد الأعمال الجوع، وذل النفس لبس الصوف، (٥) البسوا واشربوا وكلوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة. (٦) الفكر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة، (٧) أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا،". [(١)]

٦٨٩-"**قال بعض الحكماء**: هذا ليس بكلي فإنه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الآخر كالملك العادل فإنه محب لهما، فإن أراد أحد أن يعم الحكم لا بد له أن يزيد عليه إذا كانوا في مرتبة واحدة إلا أن تتقوا منهم تقاة قال الجوهري: يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة، وفاؤها واو كتراث. فالتقاة اسم وضع موضع المصدر. قال الواحدي:

---

(١) تفسير المنار ٢٧/٧

ويجوز أن يجعل «تقاة» هاهنا مثل «دعاة» و «رماة» فيكون حالا مؤكدة، وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا أو تخافوا ولذا عدي ب «من» . ويحتمل أن يكون التقاة أو التقية بمعنى المتقي مثل: ضرب الأمير لمضروبه، فالمعنى إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه. رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا وإظهار الطوية كقول عيسى عليه السلام: كن وسطا وامش جانبا أي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله. وللتقية عند العلماء أحكام منها: إذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط أن يضمر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما أمكن، فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلب. ومنها أنها رخصة فلو تركها كان أفضل لما

روى الحسن أنه أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم.

- وكان مسيلمة يزعم أنه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش- فتركه ودعا الآخر وقال:

أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فقال: نعم نعم نعم. فقال: أتشهد أني رسول الله؟ فقال: إني أصم ثلاثا، فقدمه وقتله. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيأ له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه.

ونظير هذه الآية إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان [النحل: ١٠٦] ومنها أنها إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة. وقد يجوز أن تكون أيضا فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما الذي يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال وشهادة الزور وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة. ومنها أن الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس. ومنها أنها جائزة لصون المال على الأصح كما أنها جائزة لصون النفس

لقوله صلى الله عليه وسلم: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» «١» و «من قتل دون ماله فهو شهيد» «٢»

ولأن الحاجة إلى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٤٦) .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الديات باب ٢١. أبو داود في كتاب السنة باب ٢٩. [.....]".[1]

٦٩٠-"أنه لا يحرم عليه أن يهب من أولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله. وأجمعوا على أنه يحرم على الولي أن يدفع إلى السفهاء أموالهم، وأيضا قوله: وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا هذه الأوامر تناسب حال الأولياء لا الآباء. وأقول: لا يبعد حمل الآية على كلا القولين، لأن الإضافة في أموالكم لا تفيد إلا الاختصاص سواء كان اختصاص

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ١٤٠

الملكية أو اختصاص التصرف. واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك أنها النساء أزواجا كن أو أمهات أو بنات، وهو مذهب ابن عمرو يدل عليه ما

روى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم «ألا إنما خلقت النار للسفهاء» يقولها ثلاثا.

وإن السفهاء النساء إلا امرأة أطاعت قيمها. وقد جمع فعلية على فعلاء كفقيرة وفقراء. وقال الزهري وابن زيد: هم الأولاد الخفاف العقول. وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير: إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله. والصحيح أن المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفي بحفظ المال ولا يد له بإصلاحه وتثميره والتصرف فيه، ويدخل فيه النساء والصبيان والأيتام والفساق وغيرهم مما لا وزن لهم عند أهل الدين والعلم بمصالح الدارين، فيضع المال فيما لا ينبغي ويفسده. ومعنى جعل الله لكم قياما أنه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم إلا به. سماه بالقيام إطلاقا لاسم المسبب على السبب. ومن قرأ قيما فعلى حذف الألف من قياما وهو مصدر قام وأصله قوام قلبت الواو ياء لإعلال فعله. فإن لم يكن مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به. وكان السلف يقولون:

المال سلاح المؤمن، ولأن أترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من أحتاج إلى الناس. وقال عبد الله بن عباس: الدراهم والدنانير خواتيم الله في الأرض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك. وقال قيس بن سعد: اللهم ارزقني حمدا ومجدا فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال. وقيل لأبي الزناد: لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟

قال: هي وإن أدنتني فقد صانتني عنها. وكانوا يقولون: اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه. وربما رأوا رجلا في تشييع جنازة فقالوا له: اذهب إلى مكانك. **وقال بعض الحكماء**: من أضاع ماله فقد ضار الأكرمين: الدين والعرض. وفي منثور الحكم: من استغنى كرم على أهله. وفيه: الفقر مخذلة، والغنى مجدلة، والبؤس مرذلة، والسؤال مبذلة. وكان يقال: الدراهم مراهم لأنها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح. وقال أبو العتاهية:

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى ... وكل غني في العيون جليل

إذا مالت الدنيا على المرء رغبت ... إليه ومال الناس حيث تميل". (١)

٦٩١-"والجهل. **قال بعض الحكماء**: أشرف الحركات الصلاة وأنفع السكنات الصيام.

التأويل:

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق أي بالحقيقة لأنه أنزل على قلبه وأنزل سائر الكتب في الألواح والصحف فلهذا كان خلقه القرآن. وكان مهيمنا على جميع الكتب تصديقا عيانيا لا بيانيا بحيث يشاهد قلب المنزل عليه بنوره حقائق جميع الكتب وأسرارها بخلاف ما أنزل في الألواح فإن الألواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها. لكل جعلنا منكم معاشر الأنبياء شرعة يشرع فيها بالبيان ومنهاجا يسلك فيه بالعيان ولكن ليبلوكم أيها الأمم في ما آتاكم من البيان والتبيان والحجج

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/٣٥١

والبرهان والعزة والسلطان، فابتلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى ونيل المنى والرفعة بين الورى والنجاة في العقبى ليهتدي التائبون بالبيان، ويستفيد العاملون بالبرهان، ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد الزاهدون برفض الدنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى، ويسلك المشتاقون بنفي المنى، ويجذب العارفون بترك الورى، ويسلب الواصلون بالسلو عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات إلى الله مرجعكم جميعا اختيارا بقدم الصدق أو اضطرارا بحلول الأجل فإن تولوا عن قبول الحق فاعلم بمطالعة القضاء أنما يريد الله في حكم القدر أن يصيبهم مصيبة الإعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعتراض، فإن الحق سبحانه يلزم بشرط التكاليف ويقدمهم ويؤخرهم بعين التصريف. فالتكليف فيما أوجب والتصريف فيما أوجدوا العبرة بالإيجاد لا بالإيجاب لفاسقون لخارجون عن جذبات العناية أفحكم الجاهلية يبغون أيطلبون منك أن تحيد عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس الدنيا وسطعت براهين اليقين وانهتكت أستار الريب واستنار القلب بأنوار الغيب يسارعون فيهم لأن شبيه الشيء منجذب إليه أن يأتي بالفتح فتح عيون القلوب أو أمر من عنده وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين ويقول الذين آمنوا بأنوار الغيوب في أستار القلوب فأصبحوا خاسرين بإبطال الاستعداد الفطري. بقوم يحبهم ويحبونه هم أرباب السلوك أفناهم عنهم بسطوات يحبهم ثم أبقاهم به عند هبوب نفحات يحبونه، فإن محبة الله للعبد إفناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية، ومحبة العبد لله إبقاء اللاهوتية في فناء الناسوتية. والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية رضي الله عنه قد عكس القضية، فلعله فهم غير ما فهمنا. ثم قال إنه تعالى يحب العبد بصفته ذاته أزلا وهي الإرادة القديمة المخصوصة بالغاية، والعبد يحب الله بذات تلك الصفة أبدا أذلة على المؤمنين لارتفاع الأنانية أعزة على الكافرين ببقاء اللاهوتية وإثبات الوحدانية يجاهدون في سبيل الله في طلب الحق في البداية ببذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجد في". (١)

٦٩٢-"في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة كان ذلك زجرا له عن القبائح.

ومنها أن توزن تلك الصحائف يوم القيامة فإن وزن الأعمال غير ممكن. ومنها التعبد فعلى المكلف أن يؤمن بكل ما ورد به الشرع وإن لم يعرف وجه الحكمة في بعض ذلك. **وقال بعض الحكماء**: الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الأركان مع طبائعها المتضادة على امتزاجها. وقال بعض القدماء: منهم النفوس البشرية والأرواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها، فبعضها خيرة وبعضها شريرة، وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة، ولكل طائفة من هذه الأرواح السفلية روح سماوي هو لها كالأب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة، وعلى سبيل الإلهامات أخرى. فالأرواح الخيرة لها مباد من عالم الأفلاك وكذا الأرواح الشريرة وتلك المبادئ في مصطلحهم تسمى بالطباع التام لأن تلك الأرواح في تلك الطبائع والأخلاق تامة كلها وهذه الأرواح السفلية المتولدة منها أضعف منها لأن المعلول في كل باب أضعف من علته، لأصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير. وقيل: إن النفوس المفارقة تميل إلى ما يناسبها ويساويها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالأبدان فتحفظها وتعينها حتى إذا جاء أحدكم الموت أي وقته أو أماراته توفته رسلنا أي بإذننا وتفويضنا فالمتوفى بالحقيقة هو الله تعالى كما

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/٦٠٨

قال الله يتوفى الأنفس حين موتها [الزمر: ٤٢] . وهؤلاء الرسل أتباع ملك الموت في قوله يتوفاكم ملك الموت [السجدة: ١١] وهل هم الحفظة بأعيانهم أم غيرهم فيه قولان: أشهرهما الثاني لكون ملائكة الروح والريحان وهم الريحانيون غير ملائكة الكرب والأحزان وهم الكروبيون. وعن مجاهد: جعلت الأرض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله، وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين. وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما أمرهم الله تعالى به وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا إلى الله أي إلى حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والضمير في ردوا إما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت أولئك الملائكة، أو إلى البشر أي أنهم بعد موتهم يردون إلى الله تعالى والمعنى أنهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب، فإذا ماتوا انتقلوا إلى تصرف المولى الحق. وفيه إشعار بأن الإنسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فإن هذا الهيكل يبقى ميتا والإنسان مردود إليه تعالى. وفي لفظ الرد إشارة إلى أن الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد إلى موضعه الأصلي وهو عالم الأرواح بجذبة ارجعي إلى ربك [الفجر: ٢٨] ألا له الحكم كقوله: إن الحكم إلا لله [الأنعام: ٥٧] وهو أسرع الحاسبين حسابا قيل: إنه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام. وقيل: يحاسب كل إنسان واحد من الملائكة بإذن الله". (١)

٦٩٣-"والسباحة لا تكون إلا في الماء. ورد بأنه يقال فرس سابح إذا امتد في الجري. وقالت الحكماء: هو جسم كروي لا ثقيل ولا خفيف غير قابل للخرق والالتئام والنمو والذبول، ولذلك منعوا من كون الفلك ساكنا، والكواكب متحركة فيه كالسمك في الماء واعتذروا عن السباحة بأنها في النظر كذلك.

قال صاحب الكشاف: التنوين في كل عوض من المضاف إليه أي كلهم فورد عليه إشكالان: أحدهما أنه لم يسبق إلا ذكر الشمس والقمر فكيف يعود ضمير الجمع إليهما؟

وأجاب بأن ذلك باعتبار كثرة مطالعهما كما يجمع بالشموس والأقمار لذلك. ويمكن أن يقال: أقل الجمع اثنان أو أنه جعل النجوم تبعا لذكرهما. الثاني أن كلهم ليسوا في فلك ولكن كل منهم في فلك آخر على ما يشهد به علم الهيئة، وأجاب بأنه أراد جنس الفلك كقولك «كسانا الأمير حلة» ، أو أراد كل واحد. قلت: لو صح هذا التقدير الثاني لم يرد الإشكال الأول ولكنه ينافي قوله يسبحون مجموعا. **قال بعض الحكماء في** هذا الجمع دلالة على أن الكواكب أحياء ناطقة. وأجيب بأنه إنما جمع جمع العقلاء لأن السباحة من فعلهم. قلت: قد يسبح كثير من الحيوانات، فلعل المختص بالعقلاء هو السباحة الصناعية المكتسبة. وهاهنا بحث وهو أن الإمام فخر الدين الرازي استحسن قول بعض الأوائل أن الحركة السماوية صنف واحد وهي الآخذة من المشرق إلى المغرب إلا أن بعضها أبطأ من البعض كالحركات الغربية، وكذا اختلافات تلك الحركات بسبب تلك المختلفات. قال:

وهذا أقرب ليكون غاية سرعة الحركة للفلك الأعظم وغاية السكون للجرم الذي هو أبعد عن المحيط وهو الأرض، ولئلا يلزم بسبب حركة ما دون الفلك الأعظم بحركته وبحركاتها الخاصة تحرك الجرم الواحد في زمان واحد بحركتين مختلفتين إلى

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٩٥/٣

جهتين فإنه يستلزم كون الجسم دفعة واحدة في مكانين. قلت: أما حديث كون ما هو أبعد عن المركز أسرع حركة فإقناعي، وأما لزوم كون الجسم دفعة واحدة في مكانين فممنوع لأن التي تظهر في المتحرك هي الحركة المركبة الحاصلة من فضل الأسرع على الأبطأ لا كل من الحركتين، وهذا مشاهد من حركة النملة إلى خلاف جهة حركة الرحى، ومن حركة راكب السفينة فيها إلى خلاف جهة حركتها. وأما الذي استحسنه من كلام الأوائل فباطل لأنه لو كان كذلك لحصلت الاظلال اللائقة بكل جزء من أجزاء فلك البروج في يوم بليلة، وكذا الارتفاعات المناسبة لها في البلاد المتفقة العرض وليس كذلك، وقد ذكرنا هذا المعنى في كتبنا النجومية أيضا. وحين فرغ من بيان طرف من هيئة الأجرام السماوية ومنافعها الدنيوية نبه بقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد على أن هذه الآثار لا تدوم ولا تخلق للبقاء وإنما". (١)

٦٩٤-"قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» ولهذا قال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ، أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه،
وهو: محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تحب، إنما الشأن أن تحب.
قوله عز وجل: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٢) ﴾ .
قال ابن إسحاق عن محمد بن جعفر: ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ فأنتم تعرفونه، يعني: الوفد من نصارى نجران، وتجدونه في كتابكم، ﴿فإن تولوا﴾ على كفرهم، ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ . وفي الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» . قالوا ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» . والله الموفق.
* * *". (٢)

٦٩٥-"الأفعال والأقوال. انتهى. قال بعض الحكماء: العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد.
وعن قتادة: قوله ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد﴾ قال: كنا نحدث أن إرم قبيلة من عاد مملكة عاد. وقال ابن إسحاق: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. وعن قتادة: قوله: ﴿ذات العماد﴾ ، قال: كانوا أهل عمود لا يقيمون سيارة. وقال الكلبي: وكانوا أهل عمد وخيام، وماشية سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا أهل جنان وزرع.
وعن قتادة: قوله: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ ذكر أنهم كانوا اثني عشرة ذراعا طولا في السماء. وقال البغوي: أي: لم

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥/١٩
(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن ١/٣٩١

يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا: ﴿من أشد منا قوة﴾ وعن ابن عباس: ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ ، يعني: ثمود قوم صالح كانوا ينحتون من الجبال بيوتا، وقال قتادة: نقبوا الصخر. وعن مجاهد: قوله: ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ ، قال: كان يوتد الناس بالأوتاد، ﴿الذين طغوا في البلاد﴾ ، قال البغوي: يعني: عادا، وثمود، وفرعون عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا، ﴿فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ ، قال مجاهد: ما عذبوا به. ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ ، قال ابن عباس: يقول: يرى ويسمع.

قوله عز وجل: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن (١٥) وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي

أهانن (١٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحاضون على طعام المسكين (١٨) وتأكلون التراث أكلا لما (١٩) وتحبون المال حبا جما (٢٠) ﴾ .". (١)

٦٩٦-"إنما يكون بما يوجب الكفر، وهو الاستهانة بحكم الله فقوله إن كان تيد للتقدير الثاني. قوله: (والآية تدل على أن الإنجيل الخ (لأنه تعالى أوجب العمل بما في الإنجيل، وهذا مما اختلف فيه هل شريعة عيسى صلى الله عليه وسلم ناسخة لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام، والإنجيل مشتمل على أحكام أم لا وهو مأمور بالعمل بالتوراة، وشريعة موسى-لجب! المعروف الأول، ويشهد له هذه الآية وغيرها، وحديث البخاري: " أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها وأهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به "، وفي الملل، والنحل للشهرستاني جميع بني إسرائيل كانوا متعبدين بشريعة موسى صلى الله عليه وسلم مكلفين التزام أحكام التوراة، والإنجيل النازل على المسيح لا يختص! أحكاما، ولا يستنبطن حلالا، وحراما ولكنه رموز وأمثال، ومواعظ، وما سواها من الشرائع، والأحكام فمحال على التوراة، وكانت اليهود لهذه القصة لم ينقاد والعيسى غ! رو اه وقوله:) وحملها الخ (أي تأويل هذه الآية بما ذكر، وقيل عليه إنه لا يقتضي نسخ اليهودية إلا إذا كان أهل الإنجيل جميع بني إسرائيل، وليس في الآية تصريح به فتأمل. قوله: (فاللام الأولى للعهد والثانية للجنس (كون اللام الأولى للعهد ظاهر إذ المراد فرد معين من الكتب وأما كون الثانية للجنس فبادعاء أن ما عدا الكتب السماوية ليست كتبا بالنسبة إليها ويجوز أن يكون للعهد نظرا إلى أنه لم يقصد إلى جنس مدلول لفظ الكتاب بل إلى نوع مخصوص منه هو بالنظر إلى مطلق الكتاب معهود بالنظر إلى وصف كونه سماويا غايته أن عهديته ليست إلى حذ الخصوصية الفردية بل إلى خصوصية نوعية أخص من مطلق الكتاب، وهو ظاهر، ومن الكتاب السماوي حيث خص بما عدا القرآن، وذكر مثله في لفظ الكلمة.

قوله: (ورقيبا على سائر الكتب بحفظه الخ) المهيمن في اللغة الرقيب قال:

إن الكتاب مهيمن لنبينا والحق بعرفه ذوو الألباب

والحافظ قال:

مليك على عرش السماءمهيمن لعزته تعنوالوجوه وتسجد

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن ٤/٤٨٣

والشاهد أيضا وهاؤه أصلية وفعله هيمن وله نظائر ببطر وحيمر وسيطر، وزاد الزجاجي
بيقر، ولا سادس لها، وقيل إنها مبدلة من الهمزة، ومادته من الأمن كهراق، وقال المبرد وابن قتيبة أن المهيمن أصله مؤمن، وهو من أسمائه تعالى فصغر، وأبدلت همزته هاء، وخطئ فيه حتى نسب إلى الكفر لأن أسماء الله تعالى لا تصغر، وكذا كل اسم معظم شرعا. قوله: (وقرئ على بنية المفعول) أي بفتح الميم وهي شاذة رويت عن مجاهد وابن محيصن، وعلى هذه القراءة لا يكون فيه ضمير، وضمير عليه يعود إلى الكتاب الأول، وعلى قراءة كسر الميم فيه ضمير يعود إلى الكتاب الثاني، ومحافظة الحفاظ بتوفيق الله لهم فهي محافظة من الله أيضا، وقوله: بحفظه عن التغيير أي بسبب أن القرآن محفوظ عن التغيير، وهو شاهد على صحة غيره من الكتب السماوية فكان رقيبا عليها دالا على ما فيها من الأحكام والتوحيد، وليس المعنى أنه حفظ الكتب عن التغيير حتى يعترض بأنه وقع فيها ذلك كما نطق به القرآن فلا وجه لكونه حفظها منه كما توهم. قوله: (فعن صلة لا تتبع الخ الأن أهواءهم مائلة وزائغة عن السبياى المستقيم فاتباعها انحراف وميل أو هو حال متعلق بمائلا أو عادلا أو حال من أهواءهم أي منحرفة، وتقديره التضمين بما ذكر أحد الطرق فيه، وقد مر تفصيله في سورة البقرة فارجع إليه وقوله أيها الناس إشارة إلى عموم الخطاب الشامل لما مضى، ومن بعدهم. قوله: (وهي الطريق إلى الماء (وجه الشبه بينها وبين الدين ظاهر فهو استعارة تحقيقية، وقوله الأبدية إن كان من وجه الشبه يكون وجهه في المشبه أقوى، وقال الراغب سميت الشريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة والصدقة روي، وتطهر، وأعني بالري ما **قال بعض الحكماء** كنت أشرب فلا أروي فلما عرفت الله رويت بلا شرب، وبالتطهير ما قال تعالى: ﴿ويطهركم تطهيرا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣] والمنهاج الطريق الواضح، والعطف باعتبار
جمع الأوصاف، وقيل المنهاج الدليل الموصل إلى معرفة الدين. قوله: (واستدل به الخ الأنه الظاهر". (١)

٦٩٧-"عليه، وتركت فاء النتيجة والتفريع، لظهوره وتفويضه للسامع، وقوله فسكتوا سكوتهم عنادا، دمالا فهم يعلمون إن آلهتهم لا تجلب نفعا ولا تمنع ضرا، وإنما هي وسائل وشفعاء على زعمهم الفاسد، وقولهم من الأنوثة لظنهم إنها كذلك، وقيل إنه تأنيث لفظيء، وكمال الضعف لأنه من شأن الإناث.
قوله: (على حالكم الخ) فشبهت الحال بالمكان القار فيه، ووجه الشبه ثباتهم في تلك الحال ثبات المتمكن في مكانه، وأما تشبيه المكان بالزمان ففي الشمول والإحاطة، وقراءة الجمع مروية عن عاصم، وليست بشاذة كما يتوهم من ظاهر كلامه، وقد مر إن المكانة يجوز أن تكون بمعنى التمكن والاستطاعة. قوله: (والمبالغة في الوعيد) الظاهر إن المبالغة، لأن قوله اعملوا عن مكانتكم تهديد لهم، وقوله إني عامل تعليل له، فكأنه قيل فإني فاعل على حالتي أيضا، وهذا وعيد وحذف متعلقه فيه مبالغة لاحتمال تقديره بشيء آخر، والإيهام إنه لم يذكر ما يعمله لأنه أمر عظيم، وقوله والإشعار الخ، هذا لا ينافي تقديره على مكانتي، إذ المراد منه مطلق حاله لا حاله التي هي موجودة، والحذف يناسب العموم، فاندفع ما قيل من أن قوله لما فيه الخ، مشعر بأنه ليس المراد إني عامل على مكانتي فكأنهما جوابان، ويحتمل أن يكونا جوابا واحدا، وهو أن الغرض من

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٣/٢٤٩

حذفه الاختصار مع عدم الاقتصار، بمعنى إني عامل ما استطعت لا أقف على حالي ومكاني انتهى، وما ذكره أخيرا تعسف فتدبر. قوله: (من يأتيه

الخ (من يحتمل الاستفهام والموصولية، وقوله دليل غلبته أي في الدارين، فإن وقوعه عاجلا كما وعدهم مصدق للأجل أيضا، وقوله دائم فهو مجاز في الطرف أو الإسناد، وأصله مقيم فيه صاحبه، وقوله بلسانه تقدم في هذه السورة تحقيقه، وقوله وكلت عليهم أي قمت عليهم. قوله: (يقبضها عن الآبدان) إسناد الموت والنوم هنا إلى الأنفس مجاز عقلي، فإنه حال بدنها لا هي إن أريد بالنفس ما يقابل البدن، فإن أريد جملة الإنسان كما في الكشف فالتجوز بإسناد ما للجزء إلى الكل، أو في الطرف بجعل يتوفى بمعنى يبطل ويفسد، أو الأنفس بمعنى جزئها. قوله:) وهو غاية جنس الإرسال (يعني قوله إلى أجل غاية جنس الإرسال الواقع قبل الموت، وليس ذلك المغيا إرسالا واحدا، وفي بعض النسخ حين الإرسال، قيل ولا محصل له لأن المقصود دفع ما يقال، لا معنى لكون الإرسال مغيا بأجل مسمى، وهو إني وقيل إنه يلزم أن لا يقع نوم بعد اليقظة الأولى أصلا، ولو ضمن يرسل معنى يبقى، كانت الغاية بحسبه من غير احتياج إلى تأويله وفيه تأمل. قوله: (نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس الخ) أي بين النفس والروج شعاع كشعاع الشمس، والنفس يتجلى في الروح ويضيئه، والروح مظهر للنفس ومتجلى لها، بها يستضيء كما أن الأجسام المستضيئة مظاهر لشعاع الشمس، ويستضيء منه، **قال بعض الحكماء** المتألهين: القلب الصنوبري فيه بخار هو حارسه وحجاب عليه، وذلك البخار عرس للروح الحيواني، وحافظ له، وآلة متوقف عليه تصريفه، والروج الحيواني بمظهر البخار عرش، ومرآة للروح الإلهي الذي هو النفس الناطقة، وواسطة بينه وبين البدن، به يضل حكم تدبير النفس إلى البدن، وقوله بها النفس بفتحتين وهو معروف، وقوله قريب خبر قوله ما روي ووجه قربه نسبة التوفي إلى النفس، وأنه أراد بها معنى آخر غير الجملة، ولم يجعله عينه

لما فيه من المغايرة بين الروح والنفس، قال أراد بالنفس ما به العقل والتمييز، وبالروح ما به النفس والحركة، فإذا نام العبد قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه، وذكر الطيبي له شاهدا من الحديث الصحيح فتدبر. قوله: (التوفي والإمساك والإرسال) فالمشار إليه متعددا فرد لتأويله بما ذكر ونحوه، وصيغة البعيد باعتبار مبدئه أو تقضي ذكره، وقوله لا تفني أي الروج بفناء أبدانها فإنها باقية إلى أن يعيد الله الخلق، وقوله والحكمة معطوف على قوله كيفية تعلقها الخ. قوله: (بل اتخذ قريش الخ) إشارة إلى أن أم منقطعة تقدر ببل والهمزة، وقوله اتخذ بهمزة اسنفهام مفتوحة مقطوعة وبعدها همزة وصل محذوفة، وأصله أأتخذ ومعنى من دون الله من دون رضاه أو إذنه لأنه لا يشفع لديه إلا من أذن له ممن ارتضاه ومثل هذه الجمادات الخسيسة ليست مرضية ولا مأذونة، وفهم هذا أما من تقدير مضاف فيه، أو لفهمه من سياقه كما أشار إليه المصنف، ولو لم يلاحظ هذا اقتضى إن الله شفيع، ولا يطلق ذلك عليه كما مر، أو التقدير أم اتخذوا آلهة سواه". (١)

٦٩٨-"كما قال جل ذكره وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٣٤٠/٧

ويحيل علمه الى الله تعالى روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عنى فانى أخاف ان تؤخذ على فيعاقبنى الله بذلك فقال له جبل حراء الى الي يا رسول الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية من فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحنت كحنين الناقة حتى سمعها اهل المسجد ونزل رسول الله عليه السلام فاعتنقها فسكنت: قال في المثنوى

آنكه او را نبود از اسرار داد ... كى كند تصديق او ناله جماد

وبينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فاخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه اى استخلصها فالتفت اليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى فقال الناس سبحان الله ذئب تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أو من به وأبو بكر وعمر وعلى هذا إنطاق الله جلود الكفار يوم القيامة وتسبيح الحصى في كفه عليه السلام وكلام الشاة المسمومة ومجيىء الشجرتين اليه صلى الله عليه وسلم حتى يستتر بهما في قضاء حاجته ثم رجوعهما الى مكانهما وأمثال ذلك كثيرة ذكر الشيخ قطب وقته الهدائى الاسكدارى في واقعاته انه كان يسمع فى أثناء سلوكه من الماء الجاري ذكر يا دائم يا دائم: وفي المثنوى

نطق آب ونطق خاك ونطق كل ... هست محسوس حواس اهل دل

فلسفى كو منكر حنانه است ... از حواس أوليا بيكانه است

هر كرا در دل شك و پيچانيست ... در جهان او فلسفى پنهانيست

قال بعض الحكماء معنى قوله ثم قست قلوبكم يبست وييس القلب ان ييبس عن ماءين أحدهما ماء خشية الله تعالى والثاني ماء شفقة الخلق وكل قلب لا يكون فيه خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة او أشد قسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي) وقال ايضا (اربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا) والاشارة فى تحقيق الآية ان اليهود وان شاهدوا عظيم الآيات فحين لم تساعدهم العناية لم يزدهم كثرة الآيات الا قسوة على قسوة فان الله أراهم الآيات الظاهرة فرأوها بنظر الحسن ولم يرهم البرهان الذي يراه القلب فيحجزهم عن التكذيب والإنكار يدل عليه قوله تعالى وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وهكذا حال بعض الممكورين حين يشرعون في الرياضات يلوح لهم من صفاء الروحانية ظهور بعض الآيات وخرق العادات فاذا لم يكن مقارنا برؤية البرهان ليكون مؤيدا بالتأييدات الالهية لم يزدهم الا العجب والغرور واكثر ما يقع هذا للرهابين والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لا يعلمون وانما تشبه قلوبهم بالحجارة لعدم اللين الى الذكر الحقيقي وهو ما يتداركه الحق بذكره كقوله فاذكروني أذكركم ومراتب القلوب في القسوة متفاوتة فبعضها بمرتبة الحجارة التي يتفجر منها الأنهار". (١)

---

(١) روح البيان ١/١٦٥

٦٩٩-"وهم اهل الكتاب والمشركون فبين ان الذين كفروا باق على عمومه وان المراد كلا نوعيه جميعا والمعنى ان الكفار جميعا لم يحبوا أن ينزل عليكم اى على نبيكم لان المنزل عليه منزل على أمته من خير هو قائم مقام فاعله ومن مزيدة لاستغراق الخير والخير الوحى والقرآن والنصرة من ربكم من لابتداء الغاية والمعنى انهم يرون أنفسهم أحق بان يوحى إليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وأبناء الأنبياء الناشئون في مهابط الوحى وأنتم أميون واما المشركون فادلا لا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالأسباب الظاهرة ولذا قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهم كانوا يتمنون ان تكون النبوة في أحد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفي بالطائف والوليد بن المغيرة بمكة ثم أجاب

عن قول من يقول لم ينزل عليهم بقوله والله يختص برحمته من يشاء يقال خصه بالشيء واختصه به إذا أفرده به دون غيره ومفعول من يشاء محذوف والرحمة النبوة والوحى والحكمة والنصرة والمعنى يفرد برحمته من يشاء افراده بها ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب إرادته عز وجل لا تتعداه الى غيره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق وما وقع في عبارة مشايخنا في حق بعض الأشياء انه واجب في الحكمة يعنون به انه ثابت متحقق لا محالة في الوجود لا يتصور ان لا يكون لا انه يجب ذلك بايجاب موجب والله ذو الفضل العظيم اى على من يختاره بالنبوة والوحى لابتدائه بالإحسان بلا علة وهو حجة لنا على المعتزلة فان المفضل عند الخلق هو الذي يعطى ويبذل ما ليس عليه لان الذي يعطى ما عليه يكون قاضيا لا مفضلا ولو كان يجب عليه فعل الأصلح لكان المناسب ان يكون ذو العدل بدل قوله ذو الفضل ثم فيه اشعار بان إيتاء النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته فمن تعرض لرد ما من الله به على عباده المؤمنين فقد جهل بحقيقة الأمر وعباد الله المخلصون قسمان قوم أقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد واهل الأعمال والأوراد وقوم اختصهم بمحبته وهم اهل المحبة والوداد وكل في خدمته وتحت طاعته إذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه اليه والعبودية صفة العبد لا تفارقه مادام حيا ومن حقائق العبودية إخراج الحسد من القلب **قال بعض الحكماء** بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه أولها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره والثاني انه يتسخط قسمته تعالى ويقول لربه لو قسمت هكذا والثالث ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضله والرابع انه خذل ولى الله لانه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه والخامس انه أعان عدوه يعنى إبليس واعلم ان حسدك لا ينفذ على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرأيت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمى حجرا الى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه أشد من الاولى فيرجع على عينه اليسرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثا فيعود ويرميه فيرجع الحجر على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع كرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين وقال". [١]

---

(١) روح البيان ١/١٩٩

٧٠٠-"وناداه بأعلى صوته يا هارون ثلاثا فقال هارون من الذي يناديني تعجبا فقيل له بهلول المجنون فوقف هارون وامر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له ألم تعرفني قال بلى أعرفك فقال من انا قال أنت الذي لو ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون وقال كيف ترى حالى قال اعرضه على كتاب الله وهي الجزء الثاني ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقال اين اعمالنا قال انما يتقبل الله من المتقين قال واين قرابتنا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم قال واين شفاعة رسول الله لنا قال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا فلابد من الأعمال الصالحة والإخلاص فيها فان الله يتقبلها لا غيرها قال الجنيد الإخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله قال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص ان يعافيك عنهما وفي التتار خانية لو افتتح للصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل في قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء على انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الإحسان **قال بعض الحكماء** مثل من يعمل الطاعة للرياء والسمعة كمثل رجل يخرج الى السوق وقد ملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس فلان ولا منفعة له سوى مقالة الناس وفي الحديث (أخلصوا أعمالكم لله تعالى فان الله لا يقبل الا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم وليس لله تعالى منه شيء) ومن أحاديث المشارق (لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله) قال النووي المراد الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم او لموسى او غيرهما ذكر الشيخ ابراهيم المراودى ان ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله وقال الرافعي هذا غير محرم لانهم انما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم انتهى كلامه وعليه تحمل افعال المسلمين صيانة لهم عن الكفر وضياع الأعمال فان الموحد مطمح نظره رضى مولاه والتعبد اليه بما تيسر له من القربات اللهم اعصمنا من الزلات- تمت الجزء الاول- الجزء الثاني من الاجزاء الثلاثين سيقول السفهاء اى الذين ضعفت عقولهم حال كونهم من الناس اى الكفرة يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وانما كانوا سفهاء لانهم راغبون عن ملة ابراهيم وقد قال تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه اى أذلها بالجهل والاعراض عن النظر وفائدة تقديم الاخبار به قبل وقوعه ليوطئوا عليه أنفسهم فلا يضطربوا عند وقوعه لان مفاجأة المكروه أشد على النفوس وأشق وليعلمهم الجواب". (١)

٧٠١-"الأكبر وهو عذاب الآخرة واما العذاب الأصغر فهو عذاب الدنيا وعذاب البرزخ فانه يصغر بالنسبة الى عذاب الآخرة **قال بعض الحكماء** علامة الشقاوة أشياء كثيرة الاكل والشرب والنوم والإصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان الرب والوقوف بين يدى الملك الجبار فهذا هو الأشقى الذي يدخل النار الكبرى وفى التأويلات النجمية النار ناارن نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات والذات وهى الصغرى ونار حجاب الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخسران والطرد والهجران كما قال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا لفوات

---

(١) روح البيان ١/٢٤٦

الاستعداد وقال القاشاني النار الكبرى هى نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر فى مقام الصفات ونار الغضب والسخط فى مقام الافعال ونار جهنم الآثار فى المواقف الاربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت أبد الآبدين فما اكبر ناره ثم لا يموت فيها حتى يستريح ولا يحيى حياة تنفعه كما يقال لمن ابتلى بالبلاء الشديد لا هو حى ولا هوميت وثم للتراخى من مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة أفظع من نفس الصلى وقال ابن عطاء لا يموت فيستريح من غم القطعية ولا يحيى فيصل الى روح الوصلة وفى التأويلات النجمية لا يموت نفسه بالكلية ليستريح من عقوبات الحجاب والاحتجاب ولا يحيى قلبه بحياة الايمان لكونه فى دار الجزاء لا فى دار التكليف وقال القاشاني لا يموت لامتناع انعدامه ولا يحيى بالحقيقة لهلاكه الروحاني اى يتعذب دائما سرمدا فى حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك أعيد الى الحياة وعذب فلا يكون ميتا مطلقا ولا حيا مطلقا. يقول الفقير لا يموت لان الموت يذبح فلا موت ولا يحيى لان المغموم كالميت فيبقى فى العذاب الروحاني كما يبقى فى العذاب الجسماني قال بعض الكبار لا حياة الا عن موت ولا موت إلا عن رؤية حى فمن مات غير هذا الموت فلا يحيى ومن حى غير هذه الحياة فهى حياة حيوانية لا حياة انسانية قد أفلح اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اى تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وكلمة قد لما أن عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقليه ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله أقم الصلاة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى فالمراد بالذكر تكبيرة الافتتاح لكن لا يختص الذكر عند الحنفية بان يقول الله اكبر لعموم الذكر ودل العطف بالفاء التعقيبية على عدم دخول الكبير فى الأركان لان العطف يقتضى المغايرة بين المعطوفين قال الامام مراتب اعمال المكلف ثلاث فاولاها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب وهى المرادة بالتزكى والثانية استحضار معرفة الله بذاته وصفاته وأسمائه وهى المرادة بالذكر لان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة والثالثة الاشتغال بالخدمة والطاعة وهى المرادة بالصلاة فانها عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لا بد وأن يظهر فى جوارحه وأعضائه اثر الخضوع والخشوع قال بعضهم خلق الله وجها يصلح للسجدة وعينا تصلح للعبرة وبدنا يصلح للخدمة وقلبا يصلح للمعرفة وسرا يصلح للمحبة فاذكروا نعمة الله". (١)

٧٠٢-"أحدهما عن الآخر ويجوز ان يكون المعنى والليل إذا يسر يعنى يسرى فيه الساري ويسير فيه السائر فاسناد السرى الى الليل مجاز كما فى نهاره صائم اى هو صائم فى نهاره فالتقييد بذلك لان السير فى الليل حافظ للسائر من حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر النهار أشد على النفس وقد قال النبي عليه السلام عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى فى الليل وكذا هو حافظ من شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم فى الليل وحذفت الياء اكتفاء بالكسر ولسقوطها فى خط المصحف ولموافقة رؤوس الآي وان كان الأصل إثباتها لانها لام فعل مضارع مرفوع وسئل الأخفش عن حذفها فقال أخدمني سنة فسأله بعد سنة فقال الليل يسرى فيه ولا يسرى فعدل به عن معناه فوجب ان يعدل عن لفظه يعنى ان

(١) روح البيان ٤٠٩/١٠

سقوط الباء ليدل على ان اصل الفعل منفى عن الليل وان كان مسندا الى ضميره كما ان حركة العين فى الحيوان تدل على وجود معنى الحركة فى معنى الحيوان لان للتراكيب خواص بها تختلف وفيه اشارة الى ظلمة البدن إذا ذهبت وزالت بتجرد الروح والى القسم بسريانه ليل الهوية المطلقة فى نهار الحقائق المقيدة كما قال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل برفع المقيدات بسطوات أنوار المطلق والى القسم بليلة المعراج التي اسرى الله بعبده فيها فكانت أشرف جميع الليالى لانها ليلة القدر والشرف والقرب والوصال والخطاب ورؤية الجمال المطلق هل في ذلك إلخ تقرير وتحقيق لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالاعظام والإجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم كما يقول من ذكر حجة باهرة هل فيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الأشياء المقسم بها قسم اى مقسم به وفى فتح الرحمن مقنع ومكتفى لذي حجر لذى عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقا بان يقسم به إجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وإيذانا بظهور الأمر او هل فى الاقسام بتلك الأشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه وبالفارسيه آيا درين سوكند كه ياد كرديم سوكندى پسنديده مر خداوند عقل را تا اعتبار كند وداند كه سوكنديست محقق ومؤكد والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية بضم النون لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الإحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والتنوين فى الحجر للتعظيم **قال بعض الحكماء العقل** للقلب بمنزلة الروح للسجد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب الهائم والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن اى الكفار كما ينبئ عنه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد الهمزة للانكار وهو فى قوة النفي ونفى النفي اثبات اى ألم تعلم يا محمد علما يقينيا جاريا مجرى الرؤية فى الجلاء اى قد علمت باعلام الله تعالى وبالتواتر أيضا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب كفار قومك ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام". (١)

٧٠٣-"اى بئس الصاحب والمقارن الشيطان وأعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم وماذا عليهم اى على من ذكر من الطوائف لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ابتغاء لوجه الله لان ذكر الايمان بالله واليوم الآخر يقتضى ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذي عليهم فى الايمان بالله تعالى والانفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لاضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف إذا كان فيه منافع لا تحصى وكان الله بهم وبأحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب فقد اخبر الله تعالى بدناءة همة الأشقياء وقصور نظرهم وانهم يقنعون بقليل من الدنيا الدنية ويحرمون من كثير من المقامات الاخروية السنية ولا ينفقونه فى طلب الحق ورضاه بل ينفقونه فيما لا ينبغى

---

(١) روح البيان ١٠/٤٢٢

هر كه مقصودش از كرم آنست ... كه بر آرد بعالم آوازه

باشد از مصر فضل وجود وكرم ... خانه او برون ز دروازه

قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل حرج الى السوق وملأ كبسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو أراد ان يشترى به شيأ لا يعطى له شيء كذلك الذي عمل للرياء والسمعة. قال حامد اللفاف إذا أراد الله هلاك امرئ عاقبه بثلاثة أشياء. أولها يرزقه العلم ويمنعه عن عمل العلماء. والثاني يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه عن معرفة حقوقهم. والثالث يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الإخلاص وانما يكون ذلك المذكور لخبث نيته وسوء سريرته لان النية لو كانت صحيحة لرزقه الله منفعة العلم ومعرفة حقوقهم واخلاص العمل

عبادت بإخلاص نيت نكوست ... وگر نه چه آيد ز بي مغز پوست

چه زنار مغ در ميانت چه دلق ... كه در پوشى از بهر پندار خلق

فعلى الفتى ان يتخلص من الرياء فى إنفاقه وفى كل اعماله ويكون سخيا لا شحيحا فان شكر المال إنفاقه فى سبيل الله: قال الشيخ العطار قدس سره

توانكر كه ندارد پاس درويش ... ز دست غيرتش بر جان رسدنيش

: ويناسبه ما قال الحافظ

كنج قارون كه فرو ميرود از فكر هنوز ... خوانده باشى كه هم از غيرت درويشانست

وإذا كان بخيلا ومع هذا امر الناس بالبخل يكون ذلك وزرا على وزر. قال صاحب الكشاف ولقد رأينا ممن بلى ببلاء البخل من إذا طرق سمعه ان أحدا جاد على أحد شخص بصره وحل حبوته واضطرب وزاغت عيناه فى رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزائنه ضجرا من ذلك وحشرة على وجوده انتهى وهذا مشاهد فى كل زمان لا يعطون ويمنعون من يعطى ان قدروا. والحاصل انهم يجتهدون فى منع من قصد خيرا كبناء القناطر والجسور وحفر الآبار وسائر الخيرات". (١)

٧٠٤-"العلوم درر حقائق المعرفة ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال إلا قليلا اى الا قليلا منكم فان من خصه الله بعقل راجح وقلب غير متكدر بالانهماك فى اتباع الشهوات يهتدى الى الحق والصواب ولا يتبع الشيطان ولا يكفر بالله وان فرض عدم إنزال القرآن وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما ممن كان على دين المسيح قبل بعثته. وقال الشيخ نجم الدين قدس سره فى تأويلاته لعل الاستثناء راجع الى الصديق رضى الله عنه فانه كان قبل مبعث النبي عليه السلام يوافقه فى طلب الحق قالت عائشة رضى الله عنها لم اعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا- وروى- عن النبي عليه السلام كنت وابو بكر كفرسى رهان سبقته فتبعني ولو سبقني لتبعته وفى الحقيقة كان النبي عليه السلام فضل الله ورحمته يدل عليه قوله تعالى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا الى

---

(١) روح البيان ٢/٢٠٨

قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فلولا وجود النبي عليه السلام وبعثته لبقوا فى تيه الضلالة تائهين كما قال تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعنى قبل بعثته وكانوا قد اتبعوا الشيطان الى شفا حفرة من النار وكان عليه السلام فضلا ورحمة عليهم فانقذهم منها كما قال تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها: قال الشيخ العطار قدس سره

خويشتن را خواجه عرصاتگفت ... انما انا رحمة مهداتگفت

: وقال حضرة الهدايى قدس سره

سرمايه سعادت عالم محمد است ... مقصود ازين طينت آدم محمد است

در صورت آدم آمد گر چه مقدما ... در معنى پيشوا ومقدم محمد است

گر چه هدايى رسالت مكرم است ... محبوب حق محمد وخاتم محمد است

قال بعض الحكماء ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء واذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الإخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة فلما أكمله بهذه الصفة أرسله الى هذه الامة فقال هذا هديتى إليكم فاعرفوا قدر هديتى وعظموه كذا فى زهرة الرياض. وقيل فى وجه عدم ارتحال جسده الشريف النظيف من الدنيا مع ان عيسى عليه السلام قد عرج الى السماء بجسده انه انما بقي جسمه الطاهر هنا لاصلاح عالم الأجساد وانتظامه فانه مظهر الذات وطلسم الكائنات فجميع الانتظام بوجوده الشريف كذا فى الواقعات المحمودية نقلا عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس الله سره آمين آمين يا رب العالمين فقاتل في سبيل الله الفاء جزائية والجملة جواب لشرط مقدر اى ان تثبط المنافقون وقصر الآخرون وتركوك وحدك فقاتل أنت يا محمد وحدك فى الطريق الموصل الى رضى الله وهو الجهاد ولا تبال بما فعلوا لا تكلف إلا نفسك مفعول". (١)

٧٠٥-"اى صغيرا ذليلا لان استحقار الخصم ربما يؤدى الى صدور الكلام الضعيف من المناظر لعدم المبالاة فيكون سببا لغلبة الخصم الضعيف عليه فيكون الضعيف قويا والقوى ضعيفا والشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أعم فعلى العاقل ان يسأل العفو والعافية فانه لا يدرى ما يفعل به

أول شكسته باش كه اوج سرير ملك ... يوسف پس از مجاورت قعر چاه يافت

واذكروا الله كثيرا اى فى تضاعيف القتال ومواطن الشدة بالتكبير والتهليل وغيرهما وادعوه بنصر المؤمنين وخذلان الكافرين كالذين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين لعلكم تفلحون اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة. وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شىء عن ذكر الله وان يلتجىء اليه عند الشدائد ويقبل اليه بالكلية فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه فى حال من الأحوال وعلى ان ذكر الله تعالى له تأثير عظيم

---

(١) روح البيان ٢/٢٤٧

فى دفع المضار وجلب المنافع

تو بهر حالى كه باشى روز وشب ... يك نفس غافل مباش از ذكر رب

در خوشى ذكر تو شكر نعمتست ... در بلاها التجا با حضرتست

قال بعض الحكماء ان لله جنة فى الدنيا من دخلها يطيب عيشه وهى مجالس الذكر وفى الحديث (ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا أتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم الى السماء الى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى غشوهم رحمتى فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم) قال فى أنوار المشارق وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس فى حلق اهله والعادة جرت فى حلق الذكر بالعلانية إذ لم يعرف فى كر الدهور حلقة ذكر اجتمع عليها قوم ذاكرون فى أنفسهم فالذكر برفع الصوت أشد تأثيرا فى قمع الخواطر الراسخة على قلب المبتدى وايضا يغتنم الناس بإظهار الدين بركة الذكر من السامعين فى الدور والبيوت ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته خصوصا فى مواضع الازدحام بين الغافلين من العوام لتنبيه الغافلين وتوفيق الفاسقين وفى بعض الفتاوى لو ذكر الله فى مجلس الفسق ناويا انهم يشتغلون بالفسق وانا اشتغل بالذكر فهو أفضل كالذكر فى السوق أفضل من الذكر فى غيره وحضور مجلس الذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس السوء وقد نهى عن ان يجلس الإنسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك المجلس حسرة عليه يوم القيامة وفى الحديث (من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا أنت استغفرك وأتوب إليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك) فعلى العاقل ان يكون رطب اللسان بالذكر والدعاء الاستغفار دائما خصوصا فى الأوقات المباركة- روى- ان النبي عليه السلام بعث بعثا الى نجد فعسروا واسرعوا وقال رجل ما رأينا بعثا أفضل غنيمة واسرع رجعة فقال النبي عليه السلام (ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة واسرع رجعة الذين شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى تطلع الشمس". (١)

٧٠٦-"ثم بعده الأفضل ماء زمزم لانه غسل منه صدره عليه السلام ليلة المعراج ولو كان ماء أفضل منه يغسل به صدره عليه السلام. ثم ان فى قوله لقد جاءكم اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم هدية عظيمة من الله تعالى وتحفة جسيمة ولا يعرض عن هدية الله تعالى الا الكافرون والمنافقون: قال حضرة الشيخ العطار قدس سره

خويشتن را خواجه عرصات گفت ... انما انا رحمة مهداة گفت

عزيز عليه ما عنتم العزيز الغالب الشديد وكلمة ما مصدرية والعنت الوقوع فى امر شاق وأشق الأمور دخول النار والجملة من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر صفة رسول. والمعنى شاق شديد عليه عنتكم اى ما يلحقكم من المشقة والألم بترك الايمان فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة قال

الكاشفى [وبعضى بر لفظ عزيز وقف كرده اند وآنرا صفة رسول دانند ومعنى عليه ما عنتم برين فرود آرند كه بر اوست

---

(١) روح البيان ٣/٣٥٢

آنچه بكنيد از گناه يعنى اعتذار آن برويست در روز قيامت بشفاعت تدارك آن خواهد نمود ودرين معنى گفته اند]
نماند بعصيان كسى در گرو ... كه دارد چنين سيدى پيش رو
گر دفترت از كنه پاك نيست ... چواو عذر خواهت بود باك نيست
حريص عليكم اى على ايمانكم وصلاح أحوالكم إذ من البين انه عليه السلام ليس حريصا على ذواتهم والحرص شدة الطلب للشيء مع اجتهاد فيه كما فى تفسير الحدادي بالمؤمنين متعلق بقوله رؤف رحيم قدم الأبلغ منهما وهو الرؤوف لان الرأفة شدة الرحمة مع ان مقام المدح يقتضى الترقي من الفاضل الى الأفضل محافظة على الفواصل وقدم بالمؤمنين على متعلقه وهو رؤف ليفيد الاختصاص اى لا رأفة ولا رحمة الا بالمؤمنين واما الكفار فليس له عليهم رأفة ولا رحمة قال فى التأويلات النجمية بالمؤمنين رؤف رحيم لتربيتهم فى الدين المتين بالرفق كما قال عليه السلام (ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه بالرفق وبالرحمة يعفو عنهم سيآتهم) كما امره الله تعالى بقوله فاعف عنهم واصفح وفى قوله بالمؤمنين رؤف رحيم فى حق نبيه عليه السلام وفى قوله لنفسه تعالى إن الله بالناس لرؤف رحيم دقيقة لطيفة شريفة وهى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان مخلوقا كانت رأفته ورحمته مخلوقة فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف الخلقة وان الله تعالى لما كان خالقا كانت رأفته ورحمته قديمة فكانت عامة للناس لقوة خالقيته كما قال ورحمتي وسعت كل شيء فمن تداركته الرأفة والرحمة الخالقية من الناس كان قابلا للرأفة والرحمة النبوية لانها كانت من نتائج الرأفة والرحمة الخالقية كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم انتهى كلام التأويلات **قال بعض الحكماء** ان الله تعالى خلق محمدا اى روحه وجعل له صورة روحانية كهيئته فى الدنيا فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء واذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الإخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة ألا ترى انه تفل فى بئر رومة فى المدينة وكان ماؤها زعاقا". (١)

٧٠٧-"لب خشك مظلوم را كو بخند ... كه دندان ظالم بخواهند كند

قال الله تعالى يا نوح إنه اى ابنك ليس من أهلك الذين عمهم الوعد بالانجاء لخروجه منهم بالاستثناء فان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة انه ابنه غير انه خالفه فى العمل **قال بعض الحكماء** الابن إذا لم يفعل ما فعل الأب انقطع عنه والامة إذا لم يفعلوا ما فعل نبيهم أخاف ان ينقطعوا عنه فظهر ان لا فائدة فى نسب من غير علم وعمل وفى فخر بمجرد الآباء: قال السعدي قدس سره
چوكنعانرا طبيعت بى هنر بود ... پيمبر زادگى قدرش نيفزود
هنر بنماى گر دارى نه كوهر ... كل از خارست وابراهيم از آزر
وفى الحديث (يا بنى هاشم لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بانسابكم) والغرض تقبيح الافتخار لديه عليه السلام بالأنساب حين يأتى الناس بالأعمال

---

(١) روح البيان ٣/٥٤٤

وما ينفع الأصل من هاشم ... إذا كانت النفس من باهله
وهى قبيلة معروفة بالدناءة لانهم كانوا يأكلون نقى عظام الميتة إنه عمل غير صالح أصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة فى مداومته على العمل الفاسد ولم يقل عمل فاسد مع انهما متلازمان للايذان بان النجاة انما كانت بسبب الصلاح يقول الفقير لاح لى حين المطالعة معنى آخر وهو ان العمل بمعنى الكسب والفعل ولا يبعد ان يكون المعنى انه كسب غير صالح من غير احتياج الى تقدير مضاف وقد ورد فى الحديث تسمية الولد كسبا فى قوله (ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه) وفى قوله (أنت ومالك لابيك) قيل لحكيم وهو يواقع زوجته ما تعمل قال ان تم فانسانا فلا تسئلن سمى نداؤه سؤالا لما فيه من السؤال والطلب اى إذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب منى ما ليس لك به علم اى مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة إني أعظك [پند ميدهم ترا] أن تكون اى كراهة ان تكون من الجاهلين عبر عن ترك الاولى بالجهل لان استثناء من سبق عليه القول قد دله على الحال وأغناه عن السؤال اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الأمر عليه فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه قال عند ذلك قبلت يا ربى هذا التكليف فلا أعود اليه الا انى لا اقدر على الاحتراز منه الا باعانتك وهدايتك فلهذا بدأ اولا بقوله رب إني أعوذ بك أن أسئلك اى من ان اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اى مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة يعنى احفظني بعد اليوم من المعاودة الى مثل السؤال وكان على قدم الاستغفار الى ان توفى وهذه عادة الصالحين انهم إذا وعظوا اتعظوا وإذا نبهوا للخطأ استغفروا وتعوذوا وحكى تعالى ما كان من الأنبياء عليهم السلام ليقتدى بهم فى الاستغفار وان لا يقطع الرجاء من رحمة الله تعالى وقد قبل الله تعالى توبة نوح عليه السلام كما يدل عليه قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات ثم حقيقة التوبة تقتضى أمرين أحدهما العزم على ترك الفعل فى المستقبل واليه الاشارة بقوله إني أعوذ بك الخ والآخر الندم والاستغفار لما مضى واليه الاشارة بقوله وإلا مركب من ان ولا ثم ادغم أحدهما". (١)

٧٠٨-"فلم يصبر فاتى عمر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك فلم يصبر ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال (انتظر امر ربى فاستر على نفسك) فلما صلى صلاة العصر نزلت هذه الآية فقال عليه السلام (صليت العصر معنا) قال نعم فقال (اذهب فانها كفارة لما فعلت) فقال الحاضرون من الصحابة (هذا له خاصة أم للناس عامة) قال (بل للناس كافة) وفى الحديث (أرأيتم لو ان نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من دونه شىء) قالوا لا قال (فذلك مثل صلاة الخمس يمحو الله بها الخطايا) واعلم ان الذنوب كلها نجاسات والطاعات مطهرات وبماء أعضاء الوضوء تتساقط الأوزار ولذا كانت الغسالة فى حكم النجاسة. ومن هنا أخذ بعض الفقهاء كراهة الصلاة بالخرقة التي يتمسح بها أعضاء الوضوء وقال الله تعالى لموسى عليه السلام (يا موسى يتوضأ احمد وأمته كما
امرتهم وأعطيهم بكل قطرة تقطر من الماء جنة عرضها كعرض السماء) فانظر الى ما سلبه الوضوء وجلبه: قال الحافظ
خوشا نماز ونياز كسى كه از سر درد ... بآب ديده وخون جگر طهارت كرد

(١) روح البيان ٤/١٣٩

واحسن الحسنات وأفضل الطاعات العلم بالله وطريقه التوحيد وخلاف هوى النفس فبذكر الله يتخلص العبد من الذنوب وبه يحصل تزكية النفوس وتصفية القلوب وبه يتقوى العبد على طاعة الرحمن ويتخلص من كيد الشيطان قالوا يا رسول الله لا اله الا الله من الحسنات قال (هى احسن الحسنات) وفى الآية اشارة الى ادامة الذكر والطاعة والعبادة فى الليل والنهار الا ان يكون له ضرورة من الحاجات الانسانية فيصرف بعض الأوقات إليها كطلب المعاش فى النهار والاستراحة فى الليل فانه يحصل للقوى البشرية والحواس كلال فيلزم دفعه بالمنام ليقوم فى أثناء الليل نشيطا للذكر والطاعة إن الحسنات يذهبن السيئات اى ان أنوار الحسنات وهى الأعمال الصالحة والذكر والمراقبة طرفى النهار وزلفا من الليل يذهبن ظلمات سيآت الأوقات التي تصرف فى قضاء الحوائج النفسانية الانسانية وما يتولد من الاشتغال بها واعلم ان تعلق الروح النورانى العلوي بالجسد الظلماني السفلى موجب لخسران الروح الا ان تتداركه أنوار الأعمال الصالحة الشرعية فتربى الروح وترقيه من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدانية الربانية وتدفع عنه ظلمة الجسد السفلى كما ان إلقاء الحبة فى الأرض موجب لخسران الحبة الا ان يتداركها الماء فيربيها الى ان تصير الحبة الواحدة الى سبعمائة حبة والله يضاعف لمن يشاء فعلى العاقل ان يصبر على مشاق الطاعات والعبادات فان له فيها أنوار او حياة باقية

مده براحت فانى حيات باقى را ... بمحنت دو سه روز از غم ابد بگريز

ذلك اى المذكور من الاستقامة والاقامة وغيرهما ذكرى للذاكرين اى موعظة للمتعظين فمن امتثل الى امر الله تعالى فاستقام واقام فقد تحقق بحقيقة الحال والمقام **قال بعض الحكماء** علامة الذي استقام ان يكون مثله كمثل الجبل لان الجبل له اربع علامات. احداها ان لا يذيبه الحر. والثانية ان لا يجمده البرد. والثالثة ان لا تحركه الريح. والرابعة ان لا يذهب به السيل فكذا المستقيم إذا احسن اليه انسان لا يحمله إحسانه على ان يميل اليه بغير الحق كما يفعله ارباب الجاه والمناصب فى هذا الزمان فانهم بالشيء اليسير من الدنيا الواصل إليهم من يد رجل". (١)

٧٠٩-"چواز سر بگذرد سيل خطرمند ... نهد مادر بزير پاى فرزند
دهد هر لحظه تهديدت بزندان ... كه هست آرامگاه ناپسندان
كجا شايد چنين محنت سرايى ... كه باشد چاى چون نو دلربايى
خدا را بر وجود خود ببخشاى ... بروى او درى از مهر بگشاى
گر باشد ترا از وى ملالى ... كه چندانش نمى بينى جمالى
چوزو ايمن شوى دمساز ما باش ... نهانى همدم وهمراز ما باش
كه ما هريك بخوبى بي نظيريم ... سپهر حسن را ماه منيريم
چوبگشاييم لبهاى شكرخا ... ز خجلت لب فرو بندد زليخا
چنين شيرين وشكرخا كه ماييم ... زليخا را چه قدر آنجا كه ماييم

---

(١) روح البيان ١٩٨/٤

چويوسف كوش كرد افسون كز ايشان ... ﭘى كام زليخا ياوريشان

ﮔذشتند از ره دين وخرد نيز ... نه تنها بهر وى از بهر خود نيز

قال مناجيا لربه رب السجن الذي او عدتنى بالإلقاء فيه وهوه بالفارسية [زتدان] أحب إلي مما يدعونني إليه اى آثر عندى من موافقتها لان للاول حسن العاقبة دون الثاني

عجب درمانده ام دركار ايشان ... مرا زندان به از ديدار إينان

به از صد سال در زندان نشينم ... كه يكدم طلعت إينان به بينم

بنا محرم نظر دلرا كند كور ... ز دولتخانه قرب افكند دور

وعند ذلك بكت الملائكة رحمة له وهبط اليه جبريل فقال له يا يوسف ربك يقرئك السلام ويقول لك اصبر فان الصبر مفتاح الفرج وعاقبته محمودة واسناد الدعوة إليهن جميعا لانهن تنصحن له وخوفنه من مخالفتها أو لأنهن جميعا دعونه الى انفسهن كما ذكر قال بعض الحكماء لو قال رب العافية أحب الى لعافاه الله ولكن لما نجا بدينه لم يبال ما أصابه فى الله والبلاء موكل بالمنطق وعن معاذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم انى اسألك الصبر قال (سألت البلاء فاسأله العافية) قال الشيخ سعدى [فى كتاب الڲلستان پارسايى را ديدم كه بر كنار دريا زخم ﭘلنڲ داشت وبه هيچ دارو به نمى شد ومدتها دران رنجورى بود ومدام شكر خدا مىڲزاريد ﭘرسيدندش كه چه شكر كنىڲفت شكر آنكه بمصيبتى ڲرفتارم نه بمعصيتي بلى مردان خدا مصيبت را بر معصيت اختيار كنند نه بينى كه يوسف صديق در ان حالت چهڲفت قال رب السجن الآية]

كرمى آزار بكشتن دهد آن يار عزيز ... تا نكويى كه در ان دم غم جانم باشد

ڲويم از بنده مسكين چهڲنه صادر شد ...ڲو دل آزرده شد از من غم آنم باشد

وإلا وان لم تصرف عني كيدهن [واڲر نڲردانى از من مكر وفريب ايشانرا يعنى مرا در ﭘناه عصمت نڲيرى] أصب إليهن امل الى جانبهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية اى ميلا اختياريا قصديا والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لأن". (١)

٧١٠-"بالمقابلة والرؤية وبعضها لا يحتاج الى المقابلة بل يتوجه الروح اليه ونحوه. ومن هذا القبيل شر الحسود المستعاذ منه حتى قال بعضهم ان بعض العائنين لا يتوقف عينهم على الرؤية بل ربما يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه بالوصف من غير رؤية قال القزويني ويختص بعض النفوس من الفطرة بامر غريب لا يوجب مثله لغيرها كما ذكر ان فى الهند قوما إذا اهتموا بشئ اعتزلوا عن الناس وصرفوا همتهم الى ذلك الشيء فيقع على وفق اهتمامهم. ومن هذا القبيل ما ذكر ان السلطان محمود غزا بلاد الهند وكانت فيها مدينة كلما قصدها مرض فسأل عن ذلك فقيل له ان عندهم جمعا من الهند إذا صرفوا همتهم الى ذلك يقع المرض على وفق ما اهتموا فاشار اليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة

---

(١) روح البيان ٤/٢٥٢

لتشويش همتهم ففعل ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة فهذا تأثير الهمة. واما تأثير المحبة فقد حكى ان بعض الناس كان يهوى شابا يلقب ببدر الدين فاتفق انه توفى ليلة البدر فلما اقبل الليل وتكمل البدر لم يتمالك محبه رؤيته من شدة الحزن وانشد يخاطب البدر

شقيقك غيب فى لحده ... وتطلع يا بدر من بعده

فهلا خسفت وكان الخسوف ... لباس الحداد على فقده

فخسف القمر من ساعته فانظر الى صدق هذه المحبة وتأثيرها فى القمر وصدق من قال ان المحبة مغناطيس القلوب وتأثير الأرواح فى الأجسام امر مشاهد محسوس فالتأثير للارواح ولشدة ارتباطها بالعين نسبت إليها **قال بعض الحكماء ودليل** ذلك ان ذوات السموم إذا قلت بعد لسعها خف اثر لسعها لان الجسد تكيف بكيفية السم وصار قابلا للانحراف فما دامت حبة فان نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها وانتشاق الملسوع به وهذا مشاهد ولا أقول ان خاصية قتلها من حصرة فيها فقط بل هى احدى فوائدها المنقولة عنها واصل ذلك كله من إعجاب العائن بالشيء فيتبعه كيفية نفسه الخبيثة فيستعين على تنفيذ سميتها بعينه وقد يعين الرجل نفسه بغير ارادة منه وهذا أردى ما يكون وينبغى ان يعلم ان ذلك لا يختص بالانس بل قد يكون فى الجن ايضا وقيل عيونهم انفذ من أسنة الرماح وعن أم سلمة رضى الله عنها ان النبي عليه السلام رأى فى بيتها جارية وفى وجهها صفرة فقال استرقوا لها فان بها النظرة وأراد بها العين أصابتها من الجن قال الفقهاء من عرف بذلك حبسه الامام واجرى له النفقة الى الموت فلما كان اصل ذلك استحسانه قال عثمان رضى الله عنه لما رأى صبيا مليحا دسموا نونته لئلا تصيبه العين اى سودوا نقرة ذقنه قالوا ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤوس فى المزارع والكرو ووجهه ان النظر الشؤم يقع عليه او لا فتنكسر سورته فلا يظهر اثره وقد جعل الله لكل داء دواء ولكل شيء ضدا فالدعوات والأنفاس الطيبة تقابل الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة والحواس الفاسدة فتزيله- وروى- عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فرأيته معافى فقال (ان جبريل عليه السلام أتاني فرقانى وقال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فافقت) وفيه وفيما ذكر". (١)

٧١١-"شكر نعمت تعمتت افزون كند ... كفر نعمت از كفت بيرون كند

وفى حديث المعراج (ان الله شكا من أمتي شكايات. الاولى انى لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد. والثانية انى لا ادفع أرزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيرى.

والثالثة انهم يأكلون رزقى ويشكرون غيرى ويخونون معى ويصالحون خلقى. والرابعة ان العزة لى وانا المعز وهم يطلبون العزة من سواى. والخامسة انى خلقت النار لكل كافروهم يجتهدون ان يوقعوا أنفسهم فيها) والثاني ان القرين السوء يجر المرء الى النار ويحله دار البوار فينبغى للمؤمن المخلص السنى ان يجتنب عن صحبة اهل الكفر والنفاق والبدعة حتى لا يسرق طبعه

---

(١) روح البيان ٤/٢٩٤

من اعتقادهم السوء وعملهم السيئ ولهم كثرة فى هذا الزمان وأكثرهم فى زى المتصوفة

اى فغان از يار ناجنس اى فغان ... همنشين نيك جوييد اى مهان

والثالث ان جهنم دار الفرار للاشرار وشدة حرها مما لا يوصف. وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان أهون اهل النار عذابا رجل فى اخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل بالقمقمة) والأخمص بفتح الهمزة هو المتجافى من الرجل اى من بطنها عن الأرض والغليان شدة اضطراب الماء ونحوه على النار لشدة إيقادها. والمرجل بكسر الميم وفتح الجيم قدر معروف سواء كان من حديد او نحاس او حجارة او خزف هذا هو الأصح. وقيل هو القدر من النحاس خاصة وفى الآية اشارة الى نعمة الوهية وخالقية ورازقية عليهم بدلوها بالكفر والإنكار والجحود وأحلوا أرواحهم وقلوبهم ونفوسهم وأبدانهم دار الهلاك وانزلوا أبدانهم جهنم يصلونها وبئس القرار وهى غاية البعد عن الحضرة والحرمان عن الجنان وانزلوا نفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصمم والجهل وأرواحهم العلوية أسفل سافلين الطبيعة بتبديل نعم الأخلاق الملكية الحميدة بالأخلاق الشيطانية السبعية الذميمة وجعلوا لله أندادا من الهوى والدنيا وشهواتها ليضلوا الناس بالاستتباع عن طلب الحق تعالى والسير اليه على أقدام الشريعة والطريقة الموصل الى الحقيقة قل تمتعوا بالشهوات الدنيا ونعيمها فان مصيركم نار جهنم للابدان ونار الحرمان للنفوس ونار الحسرة للقلوب ونار القطيعة للارواح كما فى التأويلات النجمية قل لعبادي الذين آمنوا **قال بعض الحكماء** شرف الله عباده بهذه الياء وهى خير لهم من الدنيا وما فيها لان فيها اضافة الى نفسه والاضافة تدل على العتق لان رجلا لو قال لعبده يا ابن او ولد لا يعتق ولو قال يا ابني او ولدي يعتق بالاضافة الى نفسه كذلك إذا أضاف العباد الى نفسه فيه دليل ان يعتقهم من النار ولا شرف فوق العبودية: قال الجامى

كسوت خواجكى وخلعت شاهى چه كند ... هر كرا غاشيه بندگيت بر دوشست

وكان سلطان العارفين ابو يزيد البسطامي قدس سره يقول الخلق يفرون من الحساب وانا اطلبه فان الله تعالى لو قال لى أثناء الحساب عبدى لكفانى شرفا والمقول هنا محذوف دل عليه الجواب اى قل لهم اقيموا وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم اى يداوموا على ذلك. وبالفارسية [بگو اى محمد صلى الله عليه وسلم يعنى امر كن مر بندگان مرا كه ايمان". (١)

٧١٢-"نصب بيدعون. والمعنى يطلبون القرب اليه تعالى لينظروا اى معبوديهم اقرب اليه فيتوسلوا به تلخيصه آلهتهم ايضا يطلبون القرب اليه تعالى ويرجون رحمته بالوسيلة ويخافون عذابه بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية إن عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة وان لم يحذره العصاة لكمال غفلتهم بل يتعرضون له وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب فعلى العاقل ان يترك الاعتذار ويحذر من بطش القهار عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لعمر رضى الله عنه حين طعن يعنى [نيزه زده] يا امير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس وتوفى رسول الله وهو عنك

(١) روح البيان ٤١٩/٤

راض ولم يختلف عليك اثنان وقتلت شهيدا قال عمر رضى الله عنه المغرور من غررتموه والله لو ان لى ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع اى القيامة وما بعد الموت لان المرء يطلع فيه على عمله ويلقى أمورا هائلة **قال بعض الحكماء الحزن** يمنع الطعام والخوف يمنع الذنوب والرجاء يقوى على الطاعات وذكر الموت يزهد عن الفضول والخوف والرجاء انما يكونان من الله تعالى لان المعبود مفيض الخير والجود. واما الأنبياء وورثتهم الكمل فوسائط بين الله تعالى وبين الخلق ولا بد من طاعتهم من حيث نبوتهم ووراثتهم ومن التقرب إليهم لتحصيل الزلفى: وفى المثنوى

از انس فرزند مالك آمده است ... كه بمهمانى او شخصى شده است «١»

او حكايت كرد كز بعد طعام ... ديد انس دستار خوانرا زرد فام

چركن وآلوده گفت اى خادمه ... اندر افكن در تنورش يكدمه

در تنور پر ز آتش در فكند ... آن زمان دستار خوانرا هوشمند

جمله مهمانان در ان حيران شدند ... انتظار دور كندورى بدند

بعد يكساعت در آورد از تنور ... پاك واسپيد واز ان او ساخ دور

قوم گفتند اى صحابئ عزيز ... چون نه سوزيد ومنقى كشت نيز

گفت زانكه مصطفى دست ودهان ... بس بماليد اندرين دستار خوان

اى دل ترسنده از نار وعذاب ... با چنان دست ولى كن اقتراب

چون جمادى را چنين تشريف داد ... جان عاشق را چها خواهد كشاد

مر كلوخ كعبه را چون قبله كرد ... خاك مردان باش اى جان در نبرد

وإن نافية من استغراقية قرية [ديهى وشهرى] قال المولى ابو السعود رحمه الله المراد بها القرية الكافرة اى ما من قرية الكفار إلا نحن مهلكوها اى مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك أهلها بالكلية لما ارتكبوا من عظائم المعاصي الموجبة لذلك قبل يوم القيامة لان الهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا أو معذبوها اى معذبوا أهلها على الاسناد المجازى عذابا شديدا بالقتل والقحط والزلازل ونحوها من البلايا الدنيوية والعقوبات الاخروية لان التعذيب

---

(١) در اواخر دفتر سوم در حكايت منديل در تنور انداختن انس بن مالك وناسوختن". [(١)]

٧١٣-"ان يكون له اصل او شبهه اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها وهذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم قال الراغب شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا اى علمت علما فى الدقة كاصابة الشعر قيل

---

(١) روح البيان ٥/١٧٥

وسمى الشاعر لفطنته ودقة معرفته فالشعر فى الأصل اسم للعلم الدقيق فى قولهم ليت شعرى وصار فى التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام والشاعر للمختص بصناعته وقوله تعالى حكاية عن الكفار بل هو شاعر كثير من المفسرين حملوه على انهم رموه بكونه آتيا بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا عليه ما جاء فى القرآن من كل لفظة تشبه الموزون من نحو قوله وجفان كالجواب وقدور راسيات وقوله تعالى تبت يدا أبي لهب وقال بعض المحققين لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك انه ظاهر من هذا الكلام انه ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الاغتام من العجم فضلا عن بلغاء العرب وانما رموه بالكذب فان الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سموا الادلة الكاذبة بالشعر ولكون الشعر مقر الكذب.

قيل احسن الشعر أكذبه **وقال بعض الحكماء** لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا فى شعره

در قيامت نرسد شعر بفرياد كسى ... كر سراسر سخنش حكمت يونان كردد «١»

واما قول صاحب المثنوى

از كرامات بلند أوليا ... اولا شعرست وآخر كيميا

فالمراد به القدرة على إنشاء الكلام الموزون وليس من مقتصاها التكلم فليأتنا بآية جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا بآية جليلة كما أرسل الأولون اى مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا واحياء الموتى والناقة ونظائرها حتى نؤمن به فما موصولة وعائدها محذوف ومحل الكاف الجر على انها صفة الآية ما آمنت قبلهم قبل مشركى مكة من قرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس اى من اهل قرية وهو فى محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم أهلكناها اى باهلاك أهلها لعدم ايمانهم بعد مجيئ ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية أفهم يؤمنون الهمزة لانكار الوقوع والفاء للعطف على مقدر. والمعنى انه لم تؤمن امة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا الى ما سئلوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم أعتى منهم واطغى كما قال تعالى أكفاركم خير من أولئكم يعنى ان كفاركم مثل أولئك الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون فهم فى اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه: قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

ولا تك كالشاة التي كان حتفها ... بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

وأصله ان رجلا وجد شاة وأراد ذبحها فلم يظفر بسكين وكانت مربوطة فلم تزل تبحث

---

(١) لم أجد فى المثنوى فليراجع". [١]

٧١٤-"رحمه الله ومن فوائد الرهبان انهم لا يدخرون قوتا لغد لا يكنزون فضة ولا ذهبا قال ورايت شخصا قال لراهب انظر لى هذا الدينار هو من ضرب أي الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدنيا منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له اتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا على عمامته

---

(١) روح البيان ٥/٤٥٤

نصفا مربوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم **قال بعض الحكماء** ان فى الجنة راحة لا يجدها الا من لم يكن له فى الدنيا راحة وفيها غنى لا يجده الا من ترك الفضول فى الدنيا واقتصر على اليسير منها وفيها أمن لا يجده الا اهل الخوف والفزع فى الدنيا

لا تخافوا هست نزل خائفان ... هست در خور از براى خائف آن «١»

وفيها ما تشتهى الأنفس لا يجده الا اهل الزهد وعن بعض الزهاد انه كان يأكل بقلا وملحا من غير خبز فقال له رجل اقتصرت على هذا قال نعم لانى انما جعلت الدنيا للجنة وأنت جعلت الدنيا للمزبلة يعنى تأكل الطيبات فتصير الى المزبلة وانى آكل لا قامة الطاعات لعلى أصير الى الجنة نسأل الله الفيض والجود والتوفيق لطريق الشهود يوم نطوي السماء منصوب با ذكر والطى ضد النشر كطي السجل وهى الصحيفة اى طيا كطى الطومار للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل اى كائنا للكتب عبارة عن الصحائف وما كنت فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطى حقيقة وقال الامام السهيلي ذكر محمد بن حسن المقري عن جماعة من المفسرين ان السجل ملك فى السماء الثالثة ترفع اليه اعمال العباد ترفعها اليه الحفظة الموكلون بالخلق فى كل خميس واثنين وكان من أعوانه فيما ذكروا هاروت وماروت وفى السنن لابى داود السجل كاتب كان للنبى عليه السلام وهذا لا يعرف فى كتاب النبي ولا فى أصحابه من اسمه السجل ولا وجد الا فى هذا الخبر انتهى كلام السهيلي رحمه الله قال فى انسان العيون لم يذكر فى القرآن من الصحابة رضى الله عنهم أحد باسمه الا زيد بن حارثة رضى الله عنه الذي تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم يذكر امرأة باسمها الا مريم قال ابن الجوزي الا ما يروى فى بعض التفاسير ان السجل الذي فى قوله تعالى يوم نطوي السماء الى آخره اسم رجل كان يكتب لرسول الله عليه السلام انتهى وفى القاموس السجل اسم كاتب للنبى عليه السلام واسم ملك كما بدأنا أول خلق نعيده ما كافة تكف الكاف عن العمل وأول مفعول لبدأنا اى نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه فى كونها إيجادا بعد العدم وهو لا ينافى الاعادة من عجب الذنب قال فى البحر اى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة القديمة لهما على السواء وعدا اى وعدنا الاعادة وعدا علينا اى علينا إنجازه وبالفارسية [بر ماست وفا كردن بدان] إنا كنا فاعلين ذلك لا محالة وفى التأويلات النجمية يشير الى طى سماء الوجود الإنساني بتجلى صفة الجلال فى إفناء مراتب الوجود من الانتهاء الى الابتداء كما بدأنا أول حلق من ابتداء النطفة بالتدريج من خلق النطفة علقة ومن خلق العلقة مضغة ومن خلق المضغة عظاما الى انتهاء خلق الانسانية ومن وصف النباتية الى وصف المركبية ومن وصف المركبية الى وصف مفردات العنصرية ومن وصف المفردية الى وصف الملكوتية ومن وصف الملكوتية الى وصف الروحانية

---

(١) در اواسط دفتر يكم در بيان يافتن رسول قيصر عمر را خفته در زير خرما بن". (١)

---

(١) روح البيان ٥/٥٢٦

٧١٥-"ببال و پر مرو از ره كه تير پرتابى ... هوا كرفت زمانى ولى بخاك نشست

ولا تمش في الأرض مرحا المرح أشد الفرح والخفة الحاصلة من النعمة كالاشر والبطر اى حال كونك ذا فرح شديد ونشاط وعجب وخفة اى مشيا كمشى المرح من الناس كما يرى من كثيرهم لا سيما إذا لم يتضمن مصلحة دينية او دنيوية: وبالفارسية [مخرام چون جاهلان ومانند دنياپرستان] إن الله لا يحب كل مختال الاختيال والخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة ومنه لفظ الخيل كما قيل انه لا يركب أحد فرسا إلا وجد فى نفسه نخوة اى لا يرضى عن المتكبر المتبختر فى مشيته بل يسخط عليه: وبالفارسية [هر خرامنده كه متكبرانه رود] وهو بمقابلة الماشي مرحا فخور هو بمقابلة المصعر خده وتأخيره لرعاية الفواصل. والفخر المباهاة فى الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه والفخور الذي يعدد مناقبه تطاولا بها واحتقارا لمن عدم مثلها. والمعنى بالفارسية [نازش كننده كه بأسباب تنعم بر مردمان تطاول نمايد] وفى الحديث (خرج رجل يتبختر فى الجاهلية عليه حلة فامر الله الأرض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة)

چوصبيان مباز و چوصنوان مناز ... برو مرد حق شو ز روى نياز

قال بعض الحكماء ان افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة له دونك. وان افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لها دونك. وان افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيك ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت هذه محاسننا فما لك من الحسن شيء. فان افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك: قال الحافظ

قلندران حقيقت بنيم جو نخرند ... قباى اطلس آنكس كه از هنر عاريست

وإذا أعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه او بقاءك وزواله او فناءكما جميعا فاذا راقك ما هو لك فانظر الى قرب خروجه من يدك وبعد رجوعه إليك وطول حسابه عليك ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر- حكى- انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح به الملك فرحا شديدا فقال لمن عنده من الحكماء كيف ترى هذا فقال أراه فقرا حاضرا ومصيبة عاجلة قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه وقد كنت قبل ان يحمل إليك فى أمن من المصيبة والفقر فاتفق انه انكسر القدح يوما فعظمت المصيبة على الملك وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا

انما الدنيا كرؤيا فرحت ... من رآها ساعة ثم انقضت

واقصد في مشيك القصد ضد الافراط والتفريط. والمعنى واعدل فى المشي بعد الاجتناب عن المرح فيه: وبالفارسية [وميانه باش در رفتن خود] اى توسد بين الدبيب والاسراع فلا تمش كمشى الزهاد المظهرين الضعف فى المشي من كثرة العبادات والرياضات فكأنهم أموات وهم المراءون الذين ضل سعيهم ولا كمشى الشطار ووثوبهم وعليك بالسكينة والوقار وفى الحديث (سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن) وقول عائشة رضى الله عنها فى عمر رضى الله عنه كان إذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت قال بعضهم ان للشيطان من ابن آدم". (١)

---

(١) روح البيان ٨٥/٧

٧١٦-"- القصة- [خلعت حمل امانت جز بر قامت با استقامت انسان كه منشور (إني جاعل في الأرض خليفة) او بر نام نامى نوشته اند راست نيامد و چون كارى بدين عظمت وفهمى بدين ابهت نامزد او شد جهت دفع چشم زخم حسود آن شياطين كه دشمن ديرينه اند سپند (إنه كان ظلوما جهولا) بر آتش غيرت افكندند تا كور شود هر آنكه نتواند ديد] كما قال إنه اى الإنسان كان ظلوما لنفسه بمعصية ربه حيث لم يف بالامانة ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها يعنى [نادان بعقوبت خيانت كه بر واقع شود] والظلم وضع الشيء فى غير موضعه المختص به اما بنقصان او بزيادة واما بعدول عن وقته او مكانه ومن هذا ظلمت السقاء إذا تناولته فى غير وقته ويسمى ذلك اللبن الظلم وظلمت الأرض إذا حفرتها ولم تكن موضعا للحفر وتلك الأرض يقال لها المظلومة والتراب الذي يخرج منها ظليم والظلم يقال فى مجاوزة الحد الذي يجرى مجرى النقطة فى الدائرة ويقال فيما يكثر ويقل من التجاوز ولذا يستعمل فى الذنب الصغير والكبير ولذا قيل لآدم فى تقدمه ظالم وفى إبليس ظالم وان كان بين الظلمين بون بعيد **قال بعض الحكماء** الظلم ثلاثة. أحدها بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق. والثاني ظلم بينه وبين الناس. والثالث ظلم بينه وبين نفسه وهذه الثلاثة فى الحقيقة للنفس فان الإنسان أول مايهم بالظلم فقد ظلم نفسه

أول بظالمان اثر ظلم ميرسد ... پيش از هدف هميشه كمان تار ميكند

والجهل خلو النفس من العلم وهو على قسمين ضعيف وهو الجهل البسيط وقوى وهو الجهل المركب الذي لا يدرى صاحبه انه لا يدرى فيكون محروما من التعلم ولذا كان قويا قال فى الإرشاد وقوله انه إلخ اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده

وتحمله اى انه كان مفرطا فى الظلم مبالغا فى الجهل اى بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او عهودهم يوم الأرواح دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله وجروا على ما اعترفوا بقولهم بلى وقال بعضهم الإنسان ظلوم وجهول اى من شأنه الظلم والجهل كما يقال الماء طهور اى من شأنه الطهارة واعلم ان الظلومية والجهولية صفتا ذم عند اهل الظاهر لانهما فى حق الخائنين فى الامانة فمن وضع الغدر والخيانة موضع الوفاء والأداء فقد ظلم وجهل قال فى كشف الاسرار [عادت خلق آنست كه چون أمانتي عزيز بنزديك كسى نهند مهرى بر وى نهند وآن روز كه باز خواهند مهر را مطالعت كنند كه بر مهر بر جاى بود او را ثناها كويند أمانتي بنزديك تو نهادند از عهد ربوبيت (ألست بربكم) ومهرى كه بر وى نهادند چون عمر بآخر رسد وترا بمنزل خاك برند آن فرشته درآيد وكويد «من ربك» آن مطالعت كه ميكند تا مهر روز أول بر جاى هست يا نه] قال الحافظ

از دم صبح ازل تا آخر شام ابد ... دوستى ومهر بر يك عهد ويك ميثاق بود

وقال اهل الحقيقة هما صفتا مدح اى فى حق مؤدى الامانة فان الإنسان ظلم نفسه بحمل الامانة لانه وضع شيأ فى غير موضعه فافنى نفسه وأزال حجبها الوجودية وهى المعروفة بالانانية". (١)

---

(١) روح البيان ٧/٢٥٤

٧١٧-"جواهرهم من معادن الانسانية كما تسلط النار على المعادن لتخليص جوهرها فان كان الجوهر ذهبا فيخرج منه الذهب وان كان الجوهر نحاسا فيخرج منه النحاس فلا تقدر النار ان تخرج من معدن النحاس الذهب ولا من معدن الذهب النحاس فسلط عليهم لانهم معادن كمعادن الذهب والفضة وهو نارى يستخرج جواهرهم من معادنهم بنفخة الوساوس فلا يقدر ان يخرج من كل معدن الا ما هو جوهره

در زمين كر نيشكر ور خوردنى است ... ترجمان هر زمين بنت وى است

وقال بعضهم العلم هنا مجاز عن التمييز والمعنى الا لتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها فعلل التسلط بالعلم والمراد ما يلزمه وربك على كل شيء حفيظ محافظ عليه بالفارسية [نكهبانست] فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان وقال بعضهم هو الذي يحفظ كل شيء على ما هو به والحفيظ من العباد من يحفظ ما امر بحفظه من الجوارح والشرائع والأمانات والودائع ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وخلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فانه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه الملكات المفضية الى البوار **قال بعض الحكماء الالهية** اسباب الحفظ الجد والمواظبة وترك المعاصي واستعمال السواك وتقليل النوم وصلاة الليل وقراءة القرآن نظرا وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل احدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق ومن خاصية هذا الاسم وهو الحفيظ ان من علقه عليه لو نام بين السباع ما ضرته ومن حفظ الله تعالى ما قال ذو النون رضى الله عنه وقعت ولولة فى قلبى فخرجت الى شط النيل فرأيت عقربا يعدو فتبعته فوصل الى ضفدع على الشط فركب ظهره وعبر به النيل فركبت السفينة واتبعته فنزل وعدا الى شاب نائم وإذا بأفعى بقربه تقصده فتواثبا وتلادغا وماتا وسلم النائم قال ابراهيم الخواص قدس سره كنت فى طريق مكة فدخلت الى خربة بالليل وإذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بي هاتف اثبت فان حولك سبعين الف ملك يحفظونك وهذا من لطف الله باوليائه فواحد يحفظ عليه اعماله ليجازيه وآخر يحفظه فيدفع عنه الآفات اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا برأفتك التي لا ترام وارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا يا ارحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين قل يا محمد للمشركين إظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم ادعوا نادوا الذين زعمتم قال فى القاموس الزعم مثلثة القول الحق والباطل والكذب ضد واكثر ما يقال فيما يشك فيه وفى المفردات الزعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولهذا جاء فى القرآن فى كل موضع ذم القائلين به والمعنى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول وهو ضمير الراجع الى الموصول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني وهو آلهة لقيام صفته اعنى قوله من دون الله مقامه والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله فيما يهتمكم من جلب نفع ودفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنه اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال بطريق الاستئناف لبيان حالهم لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر وقد سبق معنى المثقال والذرة فى أوائل هذه السورة في السماوات ولا في الأرض". (١)

---

(١) روح البيان ٢٨٩/٧

٧١٨-"ثم ان البصير هو المدرك لكل موجود برؤيته وخاصية هذا الاسم وجود التوفيق فمن قرأه قبل صلاة الجمعة مائة مرة فتح الله بصيرته ووفقه لصالح القول والعمل نسأل الله سبحانه ان يفتح بصيرتنا الى جانب الملكوت ويأخذنا عن التعلق بعالم الناسوت ويحلم عنا باسمه الحليم ويختمنا بالخير ويجعلنا ممن اتى بقلب سليم تمت سورة الملائكة فى اواخر شهر الله رجب من سنة عشر ومائة والف من هجرة من له أكمل الشرف

تفسير سورة يس

ثلاث وثمانون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

يس اما مسرود على نمط التعديل فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة وعليه الأكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه يس او النصب على انه مفعول لفعل مضمر اى اقرأ يس ويؤيد كونه اسم السورة قوله عليه السلام (ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل ان خلق آدم بألفي عام فاذا سمعت الملائكة قالوا طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا وطوبى لا جواف تحمل هذا) [ودر خبرست كه چون دوستان حق در بهشت رسند از جناب جبروت ندا آيد كه از ديكران بسيار بشنيديد وقت آن آمد كه از ما شنويد «فيسمعهم سورد الفاتحة وطه ويس» مصطفى عليه السلام كفت] (كأن الناس لم يسمعوا القرآن حين سمعوا الرحمن يتلوه عليهم) كما فى كشف الاسرار وقال بعضهم ان الحروف المقطعة اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضى الله عنه كان يقول «يا كهيعص يا حمعسق» فيكون مقسما به مجرورا او منصوبا بإضمار حرف القسم وحذفه والمراد بحذفه ان لا يكون اثره باقيا وبإضماره ان يبقى اثره مع عدم ذكره ففى نحو الله لافعلن يجوز النصب بنزع الخافض واعمال فعل القسم المقدر ويجوز الجر ايضا بإضمار حرف الجر اى اقسم بيس اى الله تعالى وفى الإرشاد لا مساغ للنصب بإضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين القسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول **وقال بعض الحكماء الالهية** انها اسماء ملائكة هم اربعة عشر كما سبق بيانه فى طسم وعن ابن عباس رضى الله عنهما وهو قول كثير منهم ان معنى (يس) يا انسان فى لغة طى على ان المراد به رسول الله عليه السلام ولعل أصله يا انيسين تصغير انسان للتكبير فان صيغة التصغير قد تكون لاظهار العطف والتعظيم ولا سيما ان المتكلم بصيغة التصغير هو الله تعالى وهو لا يقول ولا يفعل الا ما هو صواب وحكمة فتكون «يا» من يس حرف نداء و «سين» شطر انيسين فلما كثر النداء به فى ألسنتهم اقتصروا على شطره الثاني للتخفيف كما قالوا فى القسم من الله أصله ايمن الله [واين خطاب با صورت رد بشريت مصطفاست عليه السلام چنانكه جاى ديكر كفت (قل إنما أنا بشر مثلكم) از آنجا كه انسانيت وجنسيت آنست او مشاكل خلق است واين خطاب با انسان بر وفق آنست واز آنجا كه". (١)

٧١٩-"الباطن فاذا كانت مطموسة كيف يبصر بها الحق والباطل ليرجع من الباطل الى الحق وإذا لم يبصر بها الحق كيف يخاف من الباطل ليحترق قلبه بنار الخوف فيسيل منه الدمع ليشهد له بالبكاء من الخوف

---

(١) روح البيان ٣٦٤/٧

كريه وزارى دليل رهبتست ... هر كرا اين نيست اهل شقوتست

ولو نشاء لمسخناهم المسخ تحويل الصورة الى ما هو أقبح منها سواء كان ذلك التحويل بقلبها الى صورة البهيمية مع بقاء الصورة الحيوانية او بقلبها حجرا ونحوه من الجمادات بابطال القوى الحيوانية. والمعنى ولو نشاء نسقطهم عن رتبة التكليف ودرجة الاعتبار لغيرنا صورهم بان جعلناهم قردة وخنازير كما فعلنا بقوم موسى اى بنى إسرائيل فى زمان داود عليه السلام او بان جعلناهم حجارة ومدرة وهذا أشد من الاول وأقبح لان الاول خروج عن رتبة الانسانية الى الحيوانية وهذا عن الحيوانية الى الجمادية التي ليس فيها شعور أصلا وقطعا على مكانتهم بمعنى المكان الا ان المكانة أخص كالمقامة والمقام اى مكانهم ومنزلهم الذي هم فيه قعود: وبالفارسية [بر جاى خويش تا هم آنجا افسرده شوند] وقال بعضهم لاقعدناهم على أرجلهم وازمناهم فما استطاعوا مضيا ذهابا وإقبالا الى جانب امامهم اى لم يقدروا ان يبرحوا مكانهم بإقبال. أصله مضوى قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء وكسرت الضاد قبل الياء لتسلم الياء ومن قرأ مضيا بكسر الميم فانما كسرها اتباعا للضاد ولا يرجعون اى ولا رجوعا وإدبارا الى جهة خلفهم فوضع موضع الفعل لمراعاة الفاصلة وليس مساق الشرطين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دثار أمثالهم أحقاء بان يفعل بهم فى الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم فى الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ لفعلناها لكنا لم نفعل جريا على سنن الرحمة العامة والحكمة التامة الداعيتين الى إمهالهم زمانا الى ان يتوبوا ويؤمنوا ويشكروا النعمة او الى ان يتولد منهم من يتصف بذلك **قال بعض الحكماء** المسخ ضربان خاص وهو تشويه الخلق بالفتح وعام فى كل زمان وهو تبديل الخلق بالضم وذلك ان يصير الإنسان متخلقا بخلق ذميم من اخلاق بعض الحيوانات نحو ان يصير فى شدة الحرص كالكلب او الشره كالخنزير او الغمارة كالثور. فعبارة الآية فى تحويل الصورة واشارتها فى تحويل الصفات الانسانية بالصفات السبعية والشيطانية فلا يقدرون على ازالة هذه الصفات ولا يقدرون على رجوعهم الى صفاتهم الانسانية فمن مسخه الله فى الدنيا بصفات حشره فى صورة صفته الممسوخة كما جاء فى الحديث الصحيح (ان آزر يحشر على صفة ضبع) قال فى حياة الحيوان فى الحديث يلقى ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم اقل لك لا تعص فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون فأى خزى اخزى من ان يكون ابى فى النار فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا". (١)

٧٢٠-"الكهف (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) وليس المراد سؤال الاستفهام بل التوبيخ. والمعنى فاستخبر يا محمد مشركى مكة توبيخا واسألهم سؤال محاجة أهم [آيا ايشان] أشد خلقا أقوى خلقة وامتن بنية او أصعب على الخالق خلقا او أشق إيجادا أم من اى أم الذي خلقنا من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة ومن لتغليب العقلاء على غيرهم إنا خلقناهم اى خلقنا أصلهم وهو آدم وهم من نسله من طين لازب

---

(١) روح البيان ٤٢٧/٧

لاصق يلصق ويعلق باليد لارمل فيه قال فى المفردات اللازب الثابت الشديد الثبوت ويعبر باللازب عن الواجب فيقال ضربة لازب اه والباء بدل من الميم والأصل لازم مثل مكة وبكة كما فى كشف الاسرار والمراد اثبات المعاد ورد استحالتهم وتقريره ان استحالة المعاد اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هى الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائى الى الجزء الأرضي وهما باقيان قابلان الانضمام بعد واما لعدم قدرة الفاعل وهو باطل فان من قدر على خلق هذه الأشياء العظيمة قادر على ما يعتد به بالاضافة إليها وهو خلق الإنسان وإعادته سيما ومن الطين اللازب بدأهم وقدرته ذاتية لا تتغير فهى بالنسبة الى جميع المخلوقات على السواء [پس هر كاه خورشيد قدرت از أفق أرادت طلوع نمايد ذرات مقدورات در هواى إبداع وفضاى اختراع بجلوه درآيند] قدس سره كاينك ز عدم سوى وجود آمده ايم قال الشيخ سعدى قدس سره

بامرش وجود از عدم نقش بست ... كه داند جز او كردن از نيست هست

دكر ره بكتم عدم در برد ... واز آنجا بصحراى محشر برد

وفى الآية اشارة الى انه تعالى أودع فى الطينة الانسانية خصوصية لزوب ولصوق يلصق بكل شيء صادقه فصادف قوما الدنيا فلصقوا بها وصادف قوما الآخرة فلصقوا بها وصادف قوما نفحات الطاف الحق فلصقوا بها فاذابتهم وجذبتهم عن انانيتهم بهويتها كما تذيب الشمس الثلج وتجذبه إليها فطوبى لعبد لم يتعلق بغير الله تعالى: قال الحافظ

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ... ز هر چه رنك تعلق پذيرد آزادست

بل عجبت ويسخرون قال سعدى المفتى إضراب عن الأمر بالاستفتاء اى لا تستفتهم فانهم معاندون ومكابرون لا ينفع فيهم الاستفتاء وانظر الى تفاوت حالك وحالهم أنت تعجب من قدرة الله تعالى على خلق هذه الخلائق العظيمة ومن قدرته على الاعادة وانكارهم للبعث وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقال قتادة عجب نبى الله من هذا القرآن حين انزل وضلال بنى آدم وذلك ان النبي عليه السلام كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولم يؤمنوا عجب من ذلك النبي عليه السلام فقال الله تعالى (بل عجبت ويسخرون) والسخرية الاستهزاء والعجب والتعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا **قال بعض الحكماء العجب** ما لا يعرف سببه ولهذا قيل". (١)

٧٢١-"نبى من الأنبياء يعنى إذا كان متفقا على نبوته او عدم نبوته واما إذا كان فيه خلاف فلا يكفر لانه كالدليل الظنى والكفر فى القطعي وفى فتح الرحمن فى سورة البقرة والمذكورون فى القرآن باسم العلم ستة وعشرون نبيا وهم محمد وآدم وإدريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وذو الكفل وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وعزير ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس واليسع صلوات الله عليهم أجمعين وأشير الى اشمويل بقوله تعالى (وقال لهم نبيهم) وأشير الى ارميا

بقوله (أو كالذي مر على قرية) وأشير الى يوشع بقوله (وإذ قال موسى لفتاه) وأشير الى اخوة يوسف بقوله (لقد كان في

(١) روح البيان ٤٥١/٧

يوسف وإخوته) والأسباط ذكروا اجمالا وهم من ذرية أولاد يعقوب الاثني عشر نبيا وكان فيهم أنبياء وفى لقمان وذى القرنين خلاف كالخضر انتهى **قال بعض الحكماء** يجب على المؤمن ان يعلم صبيانه ونساءه وخدمه اسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بجميعهم ولا يظنوا ان الواجب عليهم الايمان بمحمد عليه السلام فقط لا غير فان الايمان بجميع الأنبياء سواء ذكر اسمه فى القرآن او لم يذكر واجب على المكلف فمن ثبت تعينه باسمه يجب الايمان به تفصيلا ومن لم يعرف اسمه يجب الايمان به اجمالا- وحكى- ابن قتيبة فى المعارف ان الأنبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر منهم خمسة عبرانيون وهم آدم وشيث وإدريس ونوح وابراهيم وخمسة من العرب هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام قال فى التكملة هذا الذي ذكر ابن قتيبة لا يصح لانه قد روى انه كان من العرب نبى آخر وهو خالد بن سنان بن غيث وهو من عبس بن بغيض روى عن النبي عليه السلام انه قال فيه (ذلك نبى إضاعة قومه) وردت ابنته على رسول الله عليه السلام فسمعته يقرأ (قل هو الله أحد) فقالت كان ابى يقول هذا قال ابن قتيبة وأول أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى قال فى التكملة صاحبها وهذا عندى غير صحيح لانه ان أراد أول الرسل فقد قال الله تعالى حكاية عن قول الرجل المؤمن من آل فرعون (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) فقد اخبر انه أرسل إليهم يوسف وهو اما ابن يعقوب او ابن افرائيم بن يوسف بن يعقوب على الخلاف المتقدم وان أراد النبوة خاصة فيوسف واخوته أنبياء وهم بنو إسرائيل لان يعقوب عليه السلام هو إسرائيل وأول الأنبياء آدم وآخرهم محمد عليهم السلام وروى ابن سلام وغيره عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لا تقولوا لا نبى بعد محمد وقولوا خاتم النبيين لانه ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا واماما مفسطا فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها قال فى التكملة وقول عائشة لا تقولوا لا نبى بعد محمد انما ذكر والله اعلم لئلا يتوهم المتوهم رفع ما روى من نزول عيسى بن مريم فى آخر الزمان وعلى الحقيقة فلا نبى بعد رسول الله عليه السلام لان عيسى وان نزل بعده فهو موجود قبله حى الى ان ينزل وإذا نزل فهو متبع لشريعته مقاتل عليها فلا يخلق نبى بعد محمد ولا تجدد شريعة بعد شريعته فعلى هذا يصح ولا نبى بعده. وقد روى فى اسماء النبي عليه السلام فى كتاب الشمائل وغيره والعاقب الذي ليس بعده". (١)

٧٢٢-"وفي هذا المقام امور الاول ان في هذه الآية تنبيها على قدره قدره عليه السلام والتأدت معه بكل حال فهم انما نادوه لعدم عقل يعرفون به قدره ولو عرفوا قدره لكانوا كما في الخبر يقرعون بابه بالأظافير وفي المناداة اشارة الى انهم رأوه من ورلء الحجاب ولو كانوا من اهل الحضور والشهود لما نادوه كما قال بعضهم

كار نادان كوته انديش است ... ياد كردن كسى كه در پيش است

قال ابو عثمان المغربي قدس سره الأدب عند الأكابر وفي مجلس السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير في الاولى والعقبى فكما لا بد من التأدب معه عليه السلام فكذا مع من استن بسنته كالعلما العالمين وكان جماعة من العلماء يجلسون على باب غيرهم ولا يدقون عليه بابه حتى يخرج لقصاء حاجته احتراما قال ابو عبيدة القاسم بن سلام

---

(١) روح البيان ٨/٢١٦

مادققت الباب على عالم قط

كنت اصبر حتى يخرج الى لقوله تعالى ولو انهم إلخ وفي الحديث أدبني ربى فأحسن تأديبى اى أدبني احسن تأديب فالفاء تفسير لما قبله قال بعض الكبار من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير ومخاطبة الناس باللين وقال ان كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة وان كان كفؤك ونظيرك فاصحبه بالوفاء وان كان دونك فاصحبه بالمرحمة وان كان عالما فاصحبه بالخدمة والتعظيم وان كان جاهلا فاصحبه بالسياسة وان كان غنيا فاصحبه بالزهد وان كان فقيرا فاصحبه بالجود وان صحبت صوفيا بالتسليم **قال بعض الحكماء** عاشروا الناس معاشرة ان متم بكوا عليكم وان غبتم حنوا إليكم والثاني ذم الجهل ومدح العقل والعلم فان شرف العقل مدرك بضرورة العقل والعلم والحسن حتى ان اكبر الحيوانات شخصا وأقواها ابد إذا رأى الإنسان احتشمه وخاف منه لاحساسه بأنه مستول عليه بحيلته واقرب الناس الى باارجة بهائم أجلاف العرب والترك تراهم بالطبع يبالغون في توقير شيوخهم لان التجربة دميزتهم عنهم بمزيد علم ولذلك روى في الأثر الشيخ في قومه كالنبي في أمته نظرا الى قوة علمه وعقله لا بقوة شخصه وجماله وشوكته وثروته (وفي المثنوى)

كشتي بي لنكر آمد مرد شر ... كه ز باد كژ نيابد او حذر

لنكر عقلست عاقل را أمان ... لنكرى دريوزه كن از عاقلان

قال بعض الكبار العاقل كلامه ورلء قلبه فاذا أراد ان يتكلم به امره على قلبه فينظر فيه فان كان له اى لنفعه أمضاه وان كان عليه اى لضره امسكه والأحمق كلامه على طرف لسانه وعقله في حجره إذا قام سقط قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لسان العاقل في قلبه وقلب الأحمق في فمه والأدب صورة العقل ولا شرف مع سوء الأدب ولا داء اعى من الجهل وإذا تم العقل نقص الكلام

هر كرا اندكست مايه عقل ... بيهده كفتنش بود بسيار

مرد را عقل چون بيفزايد ... در مجامع بكاهدش كفتار

وفي الحديث كل كلام ابن آدم عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر وفي حديث آخر وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم والثالث ما قال بعض الكار". (١)

٧٢٣-"وتسميتهم ضعيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين صفة للضيف اى المكرمين عند الله بالعصمة والتأييد والاصطفاء والقربة والسفارة بين الأنبياء كما قال بل عباد مكرمون او عند ابراهيم بالخدمة حيث خدمهم بنفسه وبزوجته وايضا بطلاقة الوجه وتعجيل الطعام وبأنهم ضيف كريم لان ابراهيم أكرم الخليقة وضيف الكريم لا يكون الا كريما وفي الحديث من آمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه قيل إكرامه تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قراه والقيام بنفسه في خدمته وقد جاء في الرواية ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم عليه السلام أكرم اضيافك فأعد لكل منهم شاة مشوية فأوحى اليه أكرم فجعله ثورا فأوحى اليه أكرم فجعله جملا فأوحى اليه أكرم فتحير

(١) روح البيان ٩/٦٩

فيه فعلم ان إكرام الضيف ليس في كثرة الطعام فخدمهم بنفسه فأوحى اليه الآن أكرمت الضيف وقال بعض الحكماء لاعار للرجل ولو كان سلطانا ان يخدم ضيفه وأباه ومعلمه ولا تعتبر الخدمة بالاطعام (قال الشيخ سعدى)

شنيدم كه مرديست پاكيزه بوم ... شناسا ورهرو در اقصاى روم

من و چند سالوك صحرا نورد ... برفتيم قاصد بديدار مرد

سر و چشم هر يك ببوسيد ودست ... بتمكين وعزت نشاند ونشست

زرش ديدم وزرع وشاكرد ورخت ... ولى بى مروت چوبى بر درخت

بخلق ولطف كرم رو مرد بود ... ولى ديكدانش قوى سرد بود

همه شب نبودش قرار وهجوع ... ز تسبيح وتهليل ومار از جوع

سحر كه ميان بست ودر باز كرد ... همان لطف دوشينه آغاز كرد

يكى بد كه شيرين وخوش طبع بود ... كه با ما مسافر دران ربع بود

مرا بوسه كفته بتصحيف ده ... كه درويش را توشه از بوسه به

بخدمت منه دست بر كفش من ... مرا نان ده وكفش بر سر بزن

إذ دخلوا عليه ظرف للحديث فالمعنى هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما والفاء هناك اشارة الى انهم لم يخلوا بأدب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول قال ابراهيم سلام اى عليكم سلام يعنى سلام بر شما باد فهو مبتدأ خبره محذوف وترك العطف قصدا الى الاستئناف فكأن قائلا قال ماذا قال ابراهيم في جواب سلامهم فقيل قال سلام اى حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لان تحيتهم كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث حيث نصبوا سلاما وتحيته بالاسمية الدالة على دوام السلام وثباته لهم حيث عدل به الى الرفع بالابتداء قوم منكرون يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكرا وأنكرته واستنكرته إذا لم تعرفه فالكل بمعنى وأصله ان يرد على القلب مالا يتصوره وذلك ضرب من الجهل قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون كما فى المفردات اى قال ابراهيم في نفسه من غير أن يشعرهم بذلك هؤلاء قوم لا نعرفهم فهم منكرون عند كل أحد وقوله فنكرهم اى بنفسه فقط فأحدهما غير الآخر وكانوا على". (١)

٧٢٤-"على ان كاشفة مصدر كالعاقبة والخائنة واما جعل التاء للمبالغة كتاء علامة فالمقام يأباه لا يهامه ثبوت اصل الكشف لغيره وفي الآية اشارة الى قرب القيامة الكبرى ووقوع الطامة العظمى وهى ظهور الحقيقة المثلى لأهل الفناء عن نفوسهم والإقبال على الله بجمع الهمة وقوة العزيمة ليس لها من دون الله كاشفة بالنسبة الى اهل الحجاب لانهم مستغرقون فى بحر الغفلة مستهلكون في أسر الشهوة والإنسان فان في كل آن وزمان وماله شعور بذلك فياليته كشف عن غطائه وتشرف برؤية الله ولقائه وقد قالوا قيامة العارفين دائمة اى لانهم في شهود الأمر على ما كان عليه ولا يتوقف شهودهم على وقوع القيامة الظاهرة ومن هنا قال الامام على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فطوبى لمن زاد يقينه

---

(١) روح البيان ٩/١٦١

ووصل الى حق اليقين وتمكن في مقام التحقيق والله المعين أفمن هذا الحديث آيا ازين سخن كه قرآنست تعجبون إنكارا قال الراغب العجب والتعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شيء من ذلك قال الراغب واستعير الضحك للسخرية فقيل ضحكت منه ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شانه وخوفا من أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المذكورة (روى) انه عليه السلام لم ير ضاحكا بعد نزول هذه الآية وعن ابى هريرة رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية بكى اهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله عليه السلام حنينهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يغفر لهم (وروى) ان النبي عليه السلام نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكى فقال له من هذا فقال فلان فقال جبرائيل انا نزن اعمال بنى آدم كلها الا البكاء فان الله ليطفئ بالدمعة بحورا من نيران جهنم وفي الحديث (ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأ تموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا) وذلك فان الحزن يؤدى الى السرور والبكاء الى الضحك (قال الصائب)

منال اى ساكن بيت الحزن از چشم تاريكى ... كه خواهد صيقلى كشت از جمال روشن يوسف

(وقال)

خنده كردن رخنه در قصر حيات افكندنست ... خانه در بسته باشد تا غمين باشد كسى

وأنتم سامدون اى لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره إذا رفع رأسه قال الراغب السامد اللاهي الرافع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء واللهو ليشغلوهم عن الاستماع او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الا خير قيد للمنفى والإنكار وأراد على نفى البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفى والإنكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول او في بحق المقام فتدبر كما في الإرشاد فاسجدوا لله واعبدوا الفاء لترتيب الأمر". (١)

٧٢٥-"كرز شير ديوتن را بپرورى ... در فطام او بسى نعمت خورى

أفرأيتم خبر نماييد الماء الذي تشربون عذابا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب أهم المقاصد المنوطة به أأنتم أنزلتموه من المزن اى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب أم نحن المنزلون له بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام وان كانت بمعنى الابصار او المعرفة فالجملة الاستفهامية استئناف وهذا هو اختيار الرضى لو نشاء جعلناه أجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام فى الشرطية الاولى للفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية وصعوبة الفقد يعنى ان امر المطعوم هاهنا مع إثباتها مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم فلولا تشكرون فهلا تشكرون ما ذكر جميعا من المطعوم

---

(١) روح البيان ٩/٢٦٠

والمشروب بتوحيد منعمه وإطاعة امره او فلولا تشكرون على ان جعلناه عذاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان تحت العرش بحرا تنزل منه أرزاق الحيوانات يوحى الله اليه فيمطر ما شاء من سماء الى سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا ويوحى الى السماء ان غربيله فتغربله فليس من قطرة تقطر الا معها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان من يوم الطوفان فانه نزل بغير كيل ولا وزن **وقال بعض الحكماء** ان المطر يأخذه قوس الله من البحر الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الأرض قال بعضهم هو أدخل فى القدرة لان ماء البحر مر فيصعد ملحا وينزل عذبا وفي الآية اشارة الى ان بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا انهار جارية فلا يشرب أهلها الا من المطر في المصانع فمنها القدس الشريف وينبع وجدة المحروسة ونحوها وللماء العذب مزيد فضل في هذه البلاد ولذا امتن الله به على العباد وفيها اشارة الى ماء معرفة والعلم الإلهي فانه ليس بالكسب والاجتهاد بل بمحض عطاء الله تعالى ولو شاء الله لجهل الماء العذب الجاري من مشرب الكشف والشهود ماء ملحا جاريا من مشرب الحجاب والاحتجاب والجهالة والضلالة فلابد من الشكر على نعم المعارف والحقائق والحكم واعلم ان من حفر بئرا فاما أن يصل الى الماء اولا فان وصل فاما أن يكون ذلك الماء مالحا او عذبا فعلى تقدير كونه عذبا ليس كالمطر الحاصل بلا اسباب فانه طيب طاهر خالص فهذا مثل علم علماء الرسوم ومثل علم علماء الحقيقة فان الأنبياء والأولياء ملهمون من عند الله تعالى ولا خطأ في لوحى والإلهام أصلا ولذا نقول ان علم الصوفية هو العلم الصواب كله فعلمهم تذكرى ليس لهم احتياج الى ترتيب المقدمات بخلاف علماء الرسوم فان علمهم تفكرى هتاج الى ذلك ولا بد لطالب الفيض من تهيئة المحل قبل وروده ألا ترى الى صاحب الحرث فانه يشتغل بتهيئة الأرض وإلقاء البذر ولا يدرى من ينزل المطر فاذا نزل أصاب محزه ثم اعلم ان الروح ينزل بالمطر وله تعين فى كل نشأة بما يناسبه فعند تمام الخلقة في الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره لكن عبر عنه بالنفخ لان العقل قاصر عن دركه وكان عليه السلام يكشف رأسه عند نزول المطر ويقول حديث عهد بربه فالروح اى روح كان سبب للحياة مطلقا". (١)

٧٢٦-"يترتب عليه غيره ويستعمل على أوجه

أولها المتقدم بالزمان كقولك عبد الملك اولا ثم منصور والثاني المتقدم بالرياسة في الشيء وكون غيره محتذيا به نحو الأمير اولا ثم الوزير والثالث المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق القادسية اولا ثم فيد وهى قرية في البادية على طريق الحاج وللخارج من مكة فيد اولا ثم القادسية والرابع المتقدم بالنظام الصناعى نحو أن يقال الأساس اولا ثم البناء وإذا قيل في صفة الله هو الاول فمعناه الذي لم يسبقه في الوجود شيء والى هذا يرجع قول من قال هو الذي لا يحتاج الى غيره ومن قال هو المستغنى بنفسه والظاهر والباطن في صفة الله لا يقال مزدوجين كالاول والآخر فالظاهر قيل اشارة الى معرفتنا البديهية فان الفطرة تقتضى في كل ما نظر اليه الإنسان انه تعالى موجود كما قال تعالى وهو الذي في السماء آله وفي الأرض آله ولذلك **قال بعض الحكماء** مثل طالب معرفته مثل من طوف الآفاق في طلب ما هو معه والباطن اشارة الى

(١) روح البيان ٩/٣٣٤

معرفته الحقيقية وهى التي أشار إليها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بقوله يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل ظاهر بأنه محيط بالأشياء مدرك لها باطن في أن يحاط به كما قال لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وقد روى عن أمير المؤمنين ما دل على تفسير اللفظين حيث قال تجلى لعباده من غير أن رأوه وأراهم نفسه من غير أن تجلى لهم ومعرفة ذلك تحتاج الى فهم ثاقب وعقل واقد كما في المفردات وايضا هو الاول في عين آخريته والآخر في عين أوليته والظاهر في عين باطنيته والباطن في عين ظاهريته من حيثية واحدة وباعتبار واحد في آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة والحيثيات المتنافرة المتباينة لاحاطته بالكل واستغنائه عن الكل قيل للعارف الرباني أبى سعيد الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بجمعه بين الاضداد فتلا هو الاول والآخر والظاهر والباطن ولا يتصور الجمع بين الاضداد الا من حيثية واحدة واعتبار واحد في آن واحد وهو بكل شيء من الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية عليم إذ علمه عين ذاته وذاته محيط بالأشياء كما قال والله بكل شيء محيط كما في التأويلات النجمية وقال الواسطي رحمه الله لم يدع للخلق نفسا بعد ما أخبر عن نفسه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وقال ايضا من كان حظه من اسمه الاول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مربوطا بما يستقبل ومن كان حظه من اسمه الظاهر لا حظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السر من أنواره وقال ايضا حظوظ الأنبياء عليهم السلام مع تباينها من اربعة اسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها فمن جمعها كلها فهو أوسطهم ومن فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام وهى قوله هو الاول إلخ وقال ايضا من ألبسه الاولية فالتجلى له في الآخرية محال لانه لا يتجلى الا لمن فقده او كان بعيدا عنه فقر به وقال الجنيد قدس سره نفى القدم عن كل أول بأوليته ونفى البقاء عن كل آخر بآخريته واضطر الخلق الى الإقرار بربوبيته بظاهريته وحجب الافهام عن ادراك كنهه وكيفيته بباطنيته وقال السدى هو الاول ببره إذ عرفك بتوحيده والآخر بجوده إذ عرفك التوبة عن ما جنيت والظاهر". (١)

٧٢٧-"قال الراغب التكبر يقال على وجهين أحدهما أن تكون الافعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالمتكبر وهو ممدوح والثاني أن يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك في وصف عامة الناس والموصوف به مذموم وفي الحديث (الكبرياء ردآئى والعظمة إزاري فمن نازعنى في شيء منهما قصمته) قال بعضهم الفرق بين المتكبر والمستكبر ان المتكبر عام لاظهار الكبر الحق كما في أوصاف الحق تعالى ولاظهار الكبر الباطل كما فى قوله سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق والكبر ظن الإنسان انه اكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك كما في العوارف والاستكبار اظهار الكبرياء باطلا كما فى قوله تعالى في حق إبليس استكبر وغير ذلك كما تجده في موارد استعمالاته في القرآن والحديث وقال في الاسئلة المقحمة ما معنى المتكبر من اسماء الله فان التكبر مذموم في حق الخلق والجواب معناه هو المتعظم عما لا يليق به سبحانه وهو من الكبرياء لا من التكبر ومعناه المبالغة في العظمة والكبرياء في الله وهو الامتناع عن الانقياد فلهذا كان مذموما فى حق الخلق وهو صفة مدح في حق الله تعالى انتهى فان قلت ما تقول في قوله عليه

---

(١) روح البيان ٣٤٨/٩

السلام حين قال له عمه ابو طالب ما أطوعك ربك يا محمد وأنت يا عم لو أطعته أطاعك قلت هذه الاطاعة والانقياد للمطيع لا للخارج عن امره فلا ينافى عدم انقياده لغيره فهو المتكبر للمتكبر كما انه المطيع للمطيع قال بعضهم المتكبر هو الذي يرى غيره حقيرا بالاضافة الى ذاته فينظر الى الغير نظر المالك الى عبده وهو على الإطلاق لا يتصور الا لله تعالى فانه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة الى كل شيء من كل وجه ولذلك لا يطلق على غيره تعالى الا في معرض الذم لما انه يفيد التكلف في اظهار مالا يكون قال عليه السلام تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون المتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه أنت عذابى أعذب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتى أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها ومن عرف علوه تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل قيل الفقير في خلقه احسن منه في جديد غيره فلا شيء احسن على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة **قال بعض الحكماء** ما أعز الله عبدا بمثل ما يدل على ذل نفسه وما اذله بمثل ما يدل على عز نفسه (حكى) ان بعضهم قال رأيت رجلا في الطواف وبين يديه خادمان يطردان الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال انى تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله في موضع يترفع فيه الناس وعبد المتكبر هو الذي فنى تكبره بتذلله للحق حتى قام كبرياء الله مقام كبره فيتكبر بالحق على ما سواه فلا يتذلل للغير قال الامام الغزالي قدس سره المتكبر من العباد هو الزاهد ومعنى زهد العارف أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتكبر في كل شيء سوى الله تعالى فيكون مستحقرا للدنيا والآخرة مرتفعا عن أن يشغله كلتاهما عن الحق وزهد العارف معاملة ومعاوضة فهو انما يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة فيترك الشيء عاجلا طمعا في أضعافه آجلا وانما هو سلم ومبايعة ومن استعبدته". (١)

٧٢٨-"(٣٥) والثاني: أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصفح عنهم، فنزلت هذه الآية، قاله عبد الله بن كعب بن مالك.

(٣٦) والثالث: أن نفرا من اليهود دعوا حذيفة وعمارا إلى دينهم، فأبيا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

ومعنى ود: أحب وتمنى. وأهل الكتاب: اليهود. قال الزجاج: من عند أنفسهم موصول: ب ود كثير، لا بقوله: حسدا، لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه.

والمعنى: مودتهم لكفركم من عند أنفسهم، لا أنه عندهم الحق. فأما الحسد: فهو تمني زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتفارقه الغبطة، فانها تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط. وحد بعضهم الحسد، فقال: هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأخيار، ولا يجوز أن يكون الفاضل حسودا، لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل. **وقال بعض الحكماء**: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد، فانه لا يرضيه إلا زوال نعمتك. وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد، حزن لازم، ونفس دائم، وعقل هائم، وحسرة لا تنقضي. قوله تعالى: حتى

(١) روح البيان ٩/٤٦٥

يأتي الله بأمره، قال ابن عباس: فجاء الله بأمره في النضير بالجلاء والنفي، وفي قريظة بالقتل والسبي.
فصل: وقد روي عن ابن عباس وابن مسعود، وأبي العالية، وقتادة رضي الله عنهم: أن العفو والصفح منسوخ بقوله تعالى: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله «١» ، وأبى هذا القول جماعة من المفسرين والفقهاء، واحتجوا بأن الله لم يأمر بالصفح والعفو مطلقا، وإنما أمر به إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف حكم ما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر يحتاج إلى حكم آخر.

[سورة البقرة (٢) : آية ١١٠]
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير (١١٠)
قوله تعالى: تجدوه، أي: تجدوا ثوابه.

مرسل. أخرجه أبو داود ٣٠٠٠ والواحدي في «أسباب النزول» ٥٢ من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، ورجاله رجال الشيخين إلا أنه مرسل.
لا أصل له. ذكره الزمخشري في «الكشاف» ١/ ١٧٩، وقال الحافظ في تخريجه: لم أجده مسندا، وهو في تفسير الثعلبي كذلك بلا سند ولا راو.
- قلت: عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيثما أطلق، وهو كذاب. وخبره هذا لا أصل له.

---

(١) التوبة: ٢٩.". [1]

٧٢٩-"الفظاظة والغلظ- وإن كانا بمعنى واحد- توكيدا. وقال ابن عباس: الفظ: في القول، والغليظ القلب: في الفعل.
قوله تعالى: لانفضوا أي: تفرقوا. وتقول: فضضت عن الكتاب ختمه: إذا فرقته عنه.
فاعف عنهم أي: تجاوز عن هفواتهم، وسل الله المغفرة لذنوبهم وشاورهم في الأمر معناه:
استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم. ويقال: إنه من: شرت العسل. وأنشدوا «١» :
وقاسمها بالله حقا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها
قال الزجاج: يقال: شاورت الرجل مشاورة وشورا، وما يكون عن ذلك اسمه المشورة وبعضهم يقول: المشورة. ويقال: فلان حسن الصورة والشورة، أي: حسن الهيئة واللباس. ومعنى قولهم:
شاورت فلانا، أظهرت ما عنده وما عندي. وشرت الدابة: إذا امتحنتها. فعرفت هيئتها في سيرها.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١٠١/١

وشرت العسل: إذا أخذته من مواضع النحل. وعسل مشار. قال الأعشى:

كأن القرنفل والزنجبيل ... باتا بفيها وأريا مشارا

والأري: العسل. واختلف العلماء لأي معنى أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي، تام التدبير، على ثلاثة أقوال: أحدها: ليستن به من بعده، وهذا قول الحسن، وسفيان بن عيينة.

والثاني: لتطييب قلوبهم، وهو قول قتادة، والربيع، وابن إسحاق، ومقاتل. قال الشافعي رضي الله عنه:

نظير هذا قوله عليه السلام:

(٢٢٧) «البكر تستأمر في نفسها» ، إنما أراد استطابة نفسها، فإنها لو كرهت، كان للأب أن يزوجها، وكذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أمر بذبحه.

والثالث: للإعلام ببركة المشاورة، وهو قول الضحاك.

ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره، علم أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يلم نفسه، ومنها أنه قد يعزم على أمر، فيبين له الصواب في قول غيره، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح. قال علي عليه السلام: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم. **وقال بعض الحكماء**: ما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا حصنت النعم بمثل المواساة، ولا اكتسب البغضاء بمثل الكبر. واعلم أنه إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما لم يأته فيه وحي، وعمهم بالذكر، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم.

وفي الذي أمر بمشاورتهم فيه قولان، حكاهما القاضي أبو يعلى: أحدهما: أنه أمر الدنيا خاصة.

والثاني: أمر الدين والدنيا، وهو أصح.

صحيح. أخرجه مسلم ١٤٢١ وأبو داود ٢٠٩٩ والنسائي ٦/ ٨٥ والدارقطني ٣/ ٢٤٠ و ٢٤٠- ٢٤١ والطبراني ١٠/ ١٠٧٤٥ و ٤٠٨٤ و ٤٠٨٧ و ٤٠٨٩ وابن حبان ٤٠٨٨ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأمرها أبوها في نفسها، وإذنها صماتها» .

---

(١) البيت لخالد بن زهير «ديوان الهذليين» ١/ ١٥٨.". [1]

٧٣٠-"[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٤٢ الى ٤٥]

وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (٤٤) فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/٣٤٠

قوله تعالى: ثم أخذتهم أي: بالعذاب فكيف كان نكير أثبت الياء في «نكير» يعقوب في الحالين، ووافقه ورش في إثباتها في الوصل، والمعنى: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالإهلاك؟! والمعنى: إني أنكرت عليهم أبلغ إنكار، وهذا استفهام معناه التقرير.

قوله تعالى: أهلكناها قرأ أبو عمرو: «أهلكتها» بالتاء، والباقون: «أهلكناها» بالنون.

قوله تعالى: وبئر معطلة قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عمر، وحمزة، والكسائي: «وبئر» مهموز، وروى ورش عن نافع بغير همز، والمعنى: وكم بئر معطلة، أي: متروكة «١» وقصر مشيد فيه قولان: أحدهما: مجصص، قاله ابن عباس وعكرمة. قال الزجاج: أصل الشيد الجص والنورة، وكل ما بني بهما أو بأحدهما فهو مشيد. والثاني: طويل، قاله الضحاك ومقاتل. وفي الكلام إضمار، تقديره: وقصر مشيد معطل أيضا ليس فيه ساكن.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٤٦ الى ٤٨]

أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦) ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧) وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير (٤٨)

قوله تعالى: أفلم يسيروا قال المفسرون: أفلم يسر قومك في أرض اليمن والشام فتكون لهم قلوب يعقلون بها إذا نظروا آثار من هلك أو آذان يسمعون بها أخبار الأمم المكذبة فإنها لا تعمى الأبصار قال الفراء: الهاء في قوله: «فإنها» عماد، والمعنى: أن أبصارهم لم تعم، وإنما عميت قلوبهم «٢» . فأما قوله تعالى: التي في الصدور فهو توكيد، لأن القلب لا يكون إلا في الصدر، ومثله:

تلك عشرة كاملة «٣» يطير بجناحيه «٤» ، يقولون بأفواههم «٥» . قوله تعالى: ويستعجلونك بالعذاب

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٦: وقوله تعالى: وبئر معطلة أي: لا يستقى منها، ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها. وقصر مشيد قيل المنيف المرتفع وقيل الشديد المنيع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة، ولا منافاة بينها، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه، ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله به، كما قال تعالى: أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة، النساء: ٧٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٦: «وقال ابن أبي الدنيا: **قال بعض الحكماء**: أحي قلبك بالمواعظ، ونوره بالفكر، وموته بالزهد، وقوه باليقين وذلله بالموت وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر، وفحش تقلب الأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من كان قبله، وسر في ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا، وأين حلوا وعم انقلبوا» . وقوله تعالى: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور أي: ليس العمى عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر، ولا تدري ما الخبر.

(٣) سورة البقرة: ١٩٦.

(٤) سورة الأنعام: ٣٨.

(٥) سورة آل عمران: ١٦٧.". [1]

٧٣١-"٣ - ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ إطناب لورودها بعد قوله ﴿يوف إليكم﴾ الذي معناه يصلكم وافيا غير منقوص.

فائدة: **قال بعض الحكماء**: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره وأنشدوا:

يخفي صنائعه والله يظهرها ... إن الجميل إذا أخفيته ظهرا". [2]

٧٣٢-"ومن غريب ما ذكر في لفظ الله عز اسمه: أن أصله لاها بالسريانية، حذف الألف من آخره وزيد الألف واللام في أوله. وقريب منه عند النحاة قول من قال: إلى أنه اسم علم غير مشتق.

ومن عجيب ما ذكر فيه، ما حكاه أبو القاسم بن حبيب في تفسيره عن جماعة: أن أصل الله، هاء الكناية، وذلك أنهم أشاروا إليه بما وضع في نفوسهم من دلائل الفطرة، إذ لم يعلموا له اسما موضوعا، ثم أدخلوا على الكناية لام الملك، فصار له يعنون له الخلق والأمر، ثم مدوا بها أصواتهم تعظيما وتفخيما، فقالوا: لاه، ثم وصلوا بلام المعرفة فصار الله.

واعتماد المحققين على قول سيبويه: أحدهما: أن أصله إله.

والثاني: أن أصله ل ي ه "ليه" وقوله - سبحانه -: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) يشهد للقول الأول، وقراءة من قرأ - وإن كانت شاذة - تشهد للقول الثاني، وهي: "في السماء لاه وفي الأرض لاه ". وما حكاه أبو زيد: الحمد لاه رب العالمين، يحتمل الوجهين، لأن أصله لله

---

(١) قال السمين:

و «الله» في «بسم الله» مضاف إليه، وهل العامل في المضاف إليه المضاف أو حرف الجر المقدر أو معنى الإضافة؟ ثلاثة أقوال خيرها أوسطها. وهو علم على المعبود بحق، لا يطلق على غيره، ولم يجسر أحد من المخلوقين أن يتسمى به، وكذلك الإله قبل النقل والإدغام لا يطلق إلا على المعبود بحق. قال الزمخشري: «كأنه صار علما بالغلبة» ، وأما «إله» المجرد من الألف واللام فيطلق على المعبود بحق وعلى غيره، قال تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به﴾ [المؤمنون: ١١٧] ، ﴿ [أرأيت] من اتخذ إلهه هواه﴾ [الفرقان: ٤٣] .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٢٤٢/٣

(٢) صفوة التفاسير ١٥٧/١

واختلف الناس هل هو مرتجل أو مشتق؟ ، والصواب الأول، وهو أعرف المعارف. يحكى أن سيبويه رئي في المنام فقيل [له] : ما فعل الله بك؟ فقال: خيرا كثيرا، لجعلي اسمه أعرف المعارف.

ثم القائلون باشتقاقه اختلفوا اختلافا كثيرا، فمنهم من قال: هو مشتق من لاه يليه أي ارتفع، ومنه قيل للشمس: إلاهة بكسر الهمزة وفتحها لارتفاعها، وقيل: لاتخاذهم إياها معبودا، وعلى هذا قيل: «لهي أبوك» يريدون: لله أبوك، فقلب العين إلى موضع اللام. وخففه فحذف الألف واللام وحذف حرف الجر. وأبعد بعضهم فجعل من ذلك قول الشاعر:

٢٤ ألا ياسنا برق على قلل الحمى. . . لهنك من برق علي كريم

قال: الأصل: لله إنك كريم علي، فحذف حرف الجر وحرف التعريف والألف التي قبل الهاء من الجلالة، وسكن الهاء إجراء للوصل مجرى الوقف، فصار اللفظ: له، ثم ألقى حركة همزة «إن» على الهاء فبقي: لهنك كما ترى، وهذا سماجة من قائله. وفي البيت قولان أيسر من هذا.

ومنهم من قال: «هو مشتق من لاه يلوه لياها. أي احتجب، فالألف على هذين القولين أصلية، فحينئذ أصل الكلمة لاه، ثم دخل عليه حرف التعريف فصار اللاه، ثم أدغمت لام التعريف في اللام بعدها لاجتماع شروط الإدغام، وفخمت لامه. ووزنه على القولين المتقدمين إما: فعل أو فعل بفتح العين أو كسرها، وعلى كل تقدير: فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفا، وكان الأصل: ليها أو ليها أو لوها أو لوها.

ومنهم من جعله مشتقا من أله، وأله لفظ مشترك بين معان وهي: العبادة والسكون والتحير والفزع، فمعنى «إله» أن خلقه يعبدونه ويسكنون إليه ويتحيرون فيه ويفزعون إليه. ومنه قول رؤبة:

٢٥ لله در الغانيات المده. . . سبحن واسترجعن من تألهي

أي: من عبادته، ومنه ﴿ويذرك وآلهتك﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي عبادتك. وإلى معنى التحير أشار أمير المؤمنين بقوله: «كل دون صفاته تحبير الصفات وضل هناك تصاريف اللغات» وذلك أن العبد إذا تفكر في صفاته تحير، ولهذا/ روي: «تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله» وعلى هذا فالهمزة أصلية والألف قبل الهاء زائدة، فأصل الجلالة الكريمة: الإله، كقول الشاعر:

٢٦ معاذ الإله أن تكون كظبية. . . ولا دمية ولا عقيلة ربرب

ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال كما حذفت في ناس، والأصل أناس كقوله:

٢٧ إن المنايا يطلع. . . ن على الأناس الآمنينا

فالتقى حرف التعريف مع اللام فأدغم فيها وفخم. أو نقول: إن الهمزة من الإله حذفت للنقل، بمعنى أنا نقلنا حركتها إلى لام التعريف وحذفناها بعد نقل حركتها كما هو المعروف في النقل، ثم أدغم لام التعريف كما تقدم، إلا أن النقل هنا لازم لكثرة الاستعمال.

ومنهم من قال: هو مشتق من وله لكون كل مخلوق والها نحوه، وعلى ذلك **قال بعض الحكماء**: «الله محبوب للأشياء كلها، وعلى ذلك دل قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] ، فأصله: ولاه ثم أبدلت الواو همزة

كما أبدلت في إشاح وإعاء، والأصل: وشاح ووعاء، فصار الفظ به: إلاها، ثم فعل به ما تقدم من حذف همزته والإدغام، ويعزى هذا القول للخليل، فعلى هذين القولين وزن إلاه: فعال، وهو بمعنى مفعول أي: معبود أو متحير فيه كالكتاب بمعنى مكتوب.

ورد قول الخليل بوجهين، أحدهما: أنه لو كانت الهمزة بدلا من واو لجاز النطق بالأصل، ولم يقله أحد، ويقولون: إشاح ووشاح وإعاء ووعاء. والثاني: أنه لو كان كذلك لجمع على أولهة كأوعية وأوشحة فترد الهمزة إلى أصلها، ولم يجمع» إله «إلا على آلهة.

وللخليل أن ينفصل عن هذين الاعتراضين بأن البدل لزم في هذا الاسم لأنه اختص بأحكام لم يشركه فيها غيره، كما ستقف عليه، ثم جاء الجمع على التزام البدل.

وأما الألف واللام فيترتب الكلام فيها على كونه مشتقا أو غير مشتق، فإن قيل بالأول كانت في الأصل معرفة، وإن قيل بالثاني كانت زائدة. وقد شذ حذف الألف واللام من الجلالة في قولهم» لاه أبوك «، والأصل: لله أبوك كما تقدم، قالوا: وحذفت الألف التي قبل الهاء خطا لئلا يشبه بخط» اللات «اسم الصنم، لأن بعضهم يقلب هذه التاء في الوقف هاء فيكتبها هاء تبعا للوقف فمن ثم جاء الاشتباه.

وقيل: لئلا يشبه بخط «اللاه» اسم فاعل من لها يلهو، وهذا إنما يتم على لغة من يحذف ياء المنقوص المعرف وقفا لأن الخط يتبعه، وأما من يثبتها وقفا فيثبتها خطا فلا لبس حينئذ. وقيل: حذف الألف لغة قليلة جاء الخط عليها، والتزم ذلك لكثرة استعماله، قال الشاعر:

٢٨ أقبل سيل كان من أمر الله. . . يحرد حرد الجنة المغله

وحكم لامه التفخيم تعظيما ما لم يتقدمه كسر فترقق، وإن كان أبو القاسم الزمخشري قد أطلق التفخيم، ولكنه يريد ما قلته. ونقل أبو البقاء أن منهم من يرققها على كل حال. وهذا ليس بشيء لأن العرب على خلافه كابرا عن كابر كما ذكره الزمخشري. ونقل أهل القراءة خلافا فيما إذا تقدمه فتحة ممالة أي قريبة من الكسرة: فمنهم من يرققها، ومنهم من يفخمها، وذلك كقراءة السوسي في أحد وجهيه: «حتى نرى الله جهرة» .

ونقل السهيلي وابن العربي فيه قولا غريبا وهو أن الألف واللام فيه أصلية غير زائدة، واعتذرا عن وصل الهمزة بكثرة الاستعمال، كما يقول الخليل في همزة التعريف، وقد رد قولهما بأنه كان ينبغي أن ينون لفظ الجلالة لأن وزنه حينئذ فعال نحو: لآل وسآل، وليس فيه ما يمنعه من التنوين فدل على أن أل فيه زائدة على ماهية الكلمة.

ومن غريب ما نقل فيه أيضا أنه ليس بعربي بل هو معرب، وهو سرياني الوضع وأصله: «لاها» فعربته العرب فقالوا: الله، واستدلوا على ذلك بقول الشاعر:

٢٩ كحلفة من أبي رياح. . . يسمعها لاهه الكبار

فجاء به على الأصل قبل التعريب، ونقل ذلك أبو زيد البلخي.

[ومن غريب ما نقل فيه أيضا أن الأصل فيه الهاء التي هي كناية عن الغائب] قالوا: وذلك أنهم أثبتوه موجودا في نظر عقولهم فأشاروا إليه بالضمير، ثم زيدت فيه لام الملك، إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالكها فصار اللفظ: «له» ثم زيدت فيه

الألف واللام تعظيما وتفخيما، وهذا لا يشبه كلام أهل اللغة ولا النحويين، وإنما يشبه كلام بعض المتصوفة.

ومن غريب ما نقل فيه أيضا أنه صفة وليس باسم، واعتل هذا الذاهب إلى ذلك أن الاسم يعرف المسمى والله تعالى لا يدرك حسا ولا بديهة فلا يعرفه اسمه، إنما تعرفه صفاته، ولأن العلم قائم مقام الإشارة، والله تعالى ممتنع ذلك في حقه. وقد رد الزمخشري هذا القول بما معناه أنك تصفه ولا تصف به، فتقول: إله عظيم واحد، كما تقول: شيء عظيم ورجل كريم، ولا تقول: شيء إله، كما لا تقول: شيء رجل، ولو كان صفة لوقع صفة لغيره لا موصوفا، وأيضا فإن صفاته الحسنى لا بد لها من موصوف تجري عليه، فلو جعلتها كلها صفات، بقيت غير جارية على اسم موصوف بها، وليس فيما عدا الجلالة خلاف في كونه صفة فتعين أن تكون الجلالة اسما لا صفة.

والقول في هذا الاسم الكريم يحتمل الإطالة أكثر مما ذكرت لك، إنما اختصرت ذلك خوف السآمة للناظر في هذا الكتاب.

اهـ (الدر المصون / للسمين الحلبي. ١ / ٢٣ . ٢٩)". (١)

٧٣٣-"أصحابه. وقال ابن المبارك: مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة فناداه فقال: يا راهب إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر: كنز الرجال، وكنزل الأموال. وعن ابن عمر: أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ **وقال بعض الحكماء**: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة. وقال بشر الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه، وعن عيسى عليه السلام أنه قال: يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت، وكن في الدنيا ضعيفا، واتخذ المساجد بيتا، وعلم عينيك البكاء، وجسدك الصبر وقلبك الفكر، ولا تهتم برزق غد. وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه بكى يوما بين أصحابه فسئل عن ذلك، فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها. ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر، إن فيها مواعظ لمن ادكر.

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال: ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون* وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ومدح عباده المؤمنين: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ ، قائلين: ﴿ربنآ ما خلقت هذا باطلا﴾ أي ما خلقت هذا الخلق عبثا، بل بالحق لتجزي الذين أساءوا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل، فقالوا: ﴿سبحانك﴾ أي عن إن تخلق شيئا باطلا. ﴿فقنا عذاب النار﴾ أي يا من خلق الخلق بالحق والعدل؛ يا من هو منزه عن النقائص والعيب والعبث، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك، ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذابك الأليم، ثم قالوا: ﴿بنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أي أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع، ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ أي يوم القيامة لا مجير لهم منك، ولا محيد لهم عما أردت بهم، ﴿ربنآ إننآ سمعنا مناديا ينادي للإيمان﴾ أي داعيا يدعو إلى الإيمان، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، ﴿أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ أي يقول آمنوا

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٩٤/١

بربكم فآمنا أي فاستجبنا له واتبعناه أي بإيماننا بنبيك، ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ أي استرها، ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ فيما بيننا وبينك، ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ أي ألحقنا بالصالحين، ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ قيل: معناه على الإيمان برسلك، وقيل: معناه على ألسنة رسلك، وهذا أظهر ﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾ أي على رؤوس الخلائق، ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ أي لا بد من الميعاد الذين أخبرت عنه رسلك وهو القيام يوم القيامة بين يديك.

وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده فقال البخاري رحمه الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ الآيات، ثم قام فتوضأ واستن، ثم صلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح. وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة بعدما مضى ليل فنظر إلى السماء، وتلا هذه الآية: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ إلى آخر السورة، ثم قال: «اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا وفي بصري نورا، وعن يميني". (١)

٧٣٤-"المسيب، قال: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي منع الخير والعطاء.

وقال قتادة والزهري: المحروم المتعفف الذي لا يسأل.

وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته.

وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: ﴿إنا لمغرمون﴾ [الواقعة: ٦٦] ﴿بل نحن محرومون﴾ [الواقعة: ٦٧] ٢٠،

[٢١] ﴿وفي الأرض آيات﴾ [الذاريات: ٢٠] عبر، ﴿للموقنين﴾ [الذاريات: ٢٠] إذا ساروا فيها، من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات.

﴿وفي أنفسكم﴾ [الذاريات: ٢١] آيات إذا كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن نفخ فيها الروح. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع.

﴿أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١] قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

[٢٢] ﴿وفي السماء رزقكم﴾ [الذاريات: ٢٢] قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، ﴿وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] قال عطاء: من الثواب والعقاب.

وقال مجاهد: من الخير والشر.

وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:

[٢٣] ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ [الذاريات: ٢٣] أي: ما ذكرت من أمر الرزق لحق، ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣٤٧/١

[الذاريات: ٢٣] فتقولون: لا إله إلا الله.

وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت ههنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة.

قال بعض الحكماء: يعني كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم﴾ [الذاريات: ٢٤] وهم الملائكة الذين جاءوه بالبشرى كما في سورة هود آية (٦٩) ، ﴿المكرمين﴾ [الذاريات: ٢٤] قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم.

﴿بل عباد مكرمون﴾ [الأنبياء: ٢٦] وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليقة، وضيف الكرام مكرمون.

وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: خدمته بنفسه إياهم.

وروي عن ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم جاءوا غير مدعوين.

[٢٥] ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال﴾ [الذاريات: ٢٥] إبراهيم، ﴿سلام قوم منكرون﴾ [الذاريات: ٢٥] أي: غرباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم.

وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان.

وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

[٢٦] ﴿فراغ﴾ [الذاريات: ٢٦] فعدل ومال، ﴿إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ [الذاريات: ٢٦] مشوي.

[٢٧ - ٢٩] ﴿فقربه إليهم﴾ [الذاريات: ٢٧] ليأكلوا فلم يأكلوا، ﴿قال ألا تأكلون - فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم - فأقبلت امرأته في صرة﴾ [الذاريات: ٢٧ - ٢٩] أي صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تولول كما قال الله تعالى: ﴿قالت يا ويلتى﴾ [هود: ٧٢] ﴿فصكت وجهها﴾ [الذاريات: ٢٩] قال ابن عباس: لطمت وجهها، وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا، كعادة النساء إذا أنكرن شيئا، وأصل الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض.

﴿وقالت عجوز عقيم﴾ [الذاريات: ٢٩] مجازه: أتلد عجوز عقيم، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

[٣٠] ﴿قالوا كذلك قال ربك﴾ [الذاريات: ٣٠] أي: كما قلنا لك قال ربك: إنك ستلدين غلاما". (١)

٧٣٥-"وقيل: إن الكفار والمنافقين كانوا إذا سمعوا الآذان دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى! فإن كنت نبيا فقد خالفت الأنبياء قبلك فمن أين لك صياح كصياح العير؟ فما

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٨٩٨/٦

أقبح هذا الصوت وهذا الأمر فأنزل الله ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله [فصلت: ٣٣] الآية. وأنزل: وإذا ناديتم إلى الصلاة الآية وقد دلت هذه الآية على ثبوت الأذان بنص الكتاب العزيز لا بمنام الصحابة وحده وجملة وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها من الشرط، والجواب: صلة ثانية للموصول المجرور بمن البيانية وفي الحقيقة إن قوله: اتخذوها معطوف على أوتوا وإن قوله: إذا ناديتم ظرف له كأنه قيل: ومن الذين اتخذوها هزوا ولعبا وقت أذانكم والله أعلم. ذلك أي الاستهزاء المذكور بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) أي لو كان لهم عقل كامل لعلموا أن خدمة الخالق المنعم بغاية التعظيم لا تكون مهزوءا بها فإنه أحسن أعمال العباد وأشرف أفعالهم، ولذلك **قال بعض الحكماء**: أشرف الحركات الصلاة، وأنفع السكنات الصيام. قل بل أشرف الخلق لليهود: يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله أي ما تكرهون من أحوالنا إلا الإيمان بالله وما أنزل إلينا أي بالقرآن وما أنزل من قبل أي بما أنزل من قبل إنزال القرآن من التوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلهية وأن أكثركم فاسقون (٥٩) .

وقرأ الجمهور «أن» بفتح الهمزة أي وما تكرهون من أوصافنا إلا إيماننا بما ذكر واعتقادنا بأن أكثركم خارجون عن الإيمان بما ذكر فإن الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه بلا شك.

وقرأ نعيم بن ميسرة «إن» بالكسر على الاستئناف قل هل أنبئكم بشر من ذلك أي مما قلتم لمحمد وأصحابه.

روي أنه أتى نفر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن دينه فقال صلى الله عليه وسلم: «نؤمن بالله وما أنزل إلينا- إلى قوله- ونحن مسلمون» فحين سمعوا منه صلى الله عليه وسلم ذكر عيسى عليه السلام قالوا: لا نعلم شرا من دينكم. فنزلت هذه الآية

أي هل أخبركم بما هو شر مما تعتقدونه شرا. مثوبة أي عقوبة عند الله ف «مثوبة» تمييز ل «شر» بمعنى عقوبة للتهكم من لعنه الله ف «من» موصولة بدل من «شر» أي من أبعده الله من رحمته وغضب عليه أي سخط عليهم بانهماكهم بعد سنوح البينات وجعل منهم القردة في زمن داود عليه السلام وهم أصحاب السبت والخنازير في زمن عيسى عليه السلام بعد أكلهم من المائدة فكفروا.

وروي أيضا أن المسخين كانا في أصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت أي من أطاع أحدا في معصية الله كالكهنة وهو معطوف على صلة من كقراءة أبي و «عبدوا الطاغوت» كما أفصح عن ذلك قراءة ابن مسعود «ومن عبدوا الطاغوت» ، وكقراءة الأعمش والنخعي وعبد مبنيا للمفعول. وكذا على قراءة عبد بفتح العين". (١)

٧٣٦-"من الوجوه، وقال بعضهم: الواحد يدل على الأزلية والأولية، لأن الواحد في الأعداد ركنها وإظهار مبدئها، والأحد يدل على بينونته من خلقه في جميع صفاته ونفي أبواب الشرك عنه، فالأحد بني لنفي ما ذكر معه من العدد، والواحد اسم لمفتتح العدد، وقال الإمام أبو حاتم محمد بن مهران الرازي في كتابه الزينة، **قال بعض الحكماء**: إنما قيل له

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ٢٧٩/١

سبحانه «واحد» لأنه عز وجل لم يزل قبل الخلائق متوحدا بالأزل لا ثاني معه ولا خلق، ثم أبدع الخلق، فكان الخلق كله مع احتياجه إليه سبحانه محتاجا بعضه إلى بعض ممسكا بعضه بعضا متعاديا ومتضادا ومتشاكلا ومزدوجا ومتصلا ومنفصلا، واستغنى عز وجل عن الخلائق فلم يحتج إلى شيء فيكون ذلك الشيء مقرونا به لحاجته إليه ولا ناواه شيء فيكون ذلك الشيء ضدا له نصرا به، فيكون ذلك الضد والقرين له ثانيا، بل توحد بالغنى عن جميع خلقه لأنه كان قبل كل شيء، والأولية دلت على الوحدانية، فالواحد اسم يدل على نظام واحد يعلم باسمه أنه واحد ليس قبله شيء:
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد". (١)

٧٣٧-"وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحسن بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء

وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم

وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمة الله

وقال الحسن في قوله تعالى ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾ إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة

وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتنى قال الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت

وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار

وقال الشافعي رحمة الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن

وقال عمر رضي الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فإن أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت

وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره

وقال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائرا فلم آذن له

وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلي أبي بالعراق عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٦١/٢٢

وحكى ذلك في وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء

وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره

وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا تحبه إلا ذكران الرجال

فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله تعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ وقوله عز وجل ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة (١) وقال صلى الله عليه وسلم إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة (٣) وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها (٤) وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم

---

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال

(٣) حديث لأن تغدو فتتعلم بابا من الخير خير من أن تصلي مائة ركعة أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذاك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر

(٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصري ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ذر". (١)

٧٣٨-"ولو بالصين (١) وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه (٣) وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا بالعلم (٤) وقال عليه الصلاة والسلام من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة (٥) وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا

---

(١) إحياء علوم الدين ٨/١

وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رايت أحسن الناس وجها وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما

وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة **وقال بعض الحكماء إني** لا أرحم رجالا كرحمتي لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة

وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك

وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو

وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه

وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة

وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ والمراد هو التعليم والإرشاد

وقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه وهو إيجاب للتعليم

وقوله تعالى ﴿وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه (٦) وقال تعالى ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا﴾ وقال تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ وقال تعالى ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها // حديث قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك الحديث أخرجه أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل ابن سعد أنه قال ذلك لعلي

---

(١) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين أخرجه ابن عدي والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس وقال البيهقي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة

(٢) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا بإسناد ضعيف

(٣) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله أخرجه الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف

(٤) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر

(٥) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث أخرجه الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن فقيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري مرسلا

(٦) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه أخرجه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلعيات نحوه من حديث أبي هريرة". [١]

٧٣٩-"يمنعانك مدخل السوء (١) وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الإحرام (٢) وركعتان عند ابتداء السفر (٣) وركعتان عند الرجوع من السفر (٤) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه

وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر (٥)

الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد

الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والإحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فإنه نوع سفر قريب

السابعة صلاة الاستخارة فمن هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الإقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير أينما كان إنك على كل شيء قدير (٦) رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم إذا هم أحدكم بأمر فليصل ركعتين ثم ليسم الأمر ويدعو بما ذكرناه **وقال بعض الحكماء من** أعطي أربعا لم يمنع أربعا من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب

---

(١) إحياء علوم الدين ١/٩

الثامنة صلاة الحاجة (٧) فمن ضاق عليه الأمر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب بن الورد أنه قال إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة

---

(١) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصلي ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث أخرجه البيهقي في الشعب من رواية بسكر بن عمرو عن صفوان بن سليم قال بكر حسبته عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدي وهو بهذا الإسناد منكر وقال البخاري لا أصل له

(٢) حديث ركعتي الإحرام أخرجه البخاري من حديث ابن عمر

(٣) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره الحديث وهو ضعيف

(٤) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك

(٥) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة

(٦) حديث صلاة الاستخارة أخرجه البخاري من حديث جابر قال أحمد حديث منكر

(٧) حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتي عشرة ركعة أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلحي كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال الترمذي حديث غريب وفي إسناده مقال". (١)

٧٤٠-"بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه

وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ففروا إلى الله ولقوله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل

---

(١) إحياء علوم الدين ٢٠٦/١

العاشر التبري وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بين الرضا والتزكية فإذا تلا بآيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عز وجل إن الإنسان لظلوم كفار وقيل ليوسف ابن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فإن من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في البعد مكربه بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت

قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له وعدتني أنك تفطر عندي فأخلفت فقال لولا ميعادي معك ما أخبرتك الذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت

وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حالة المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه". (١)

٧٤١-"إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يغفر الذنوب جميعا إلا أنت (١) والآثار قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إن أحب عبادي إلي المتحابون بحبي والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم

---

(١) إحياء علوم الدين ٢٨٨/١

فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم

وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم عن دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وقال علي كرم الله وجهه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه

وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خيثم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي

قال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير

قال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفاري مع إصراري للؤم وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك يا من إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعالى اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أرد به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام

الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة

فمنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثني العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح قال اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء

اللهم أعطني إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة

اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء

اللهم إني

---

(١) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث أخرجه البخاري من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت ودون

قوله جميعا". (١)

٧٤٢-"الحائط ليس منسوبا إلى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الأولى إباحته لموجب قوله ﴿قل من حرم زينة الله﴾ لا سيما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر

وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجواري والنساء والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة

وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة

الأول تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (١)

ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضر في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون المتأخر فقيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد المعنيين في قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ وقوله ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وإنما سمي عجلا لأنه عجله ولم يلبث

قال حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب (٢)

ويستحب التعجيل في الوليمة قيل الوليمة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء

الثاني ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولا إن كانت فذلك أوفق في الطب فإنها أسرع استحالة فينبغي أن تقع في أسفل المعدة

وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ﴿ثم قال﴾ ولحم طير مما يشتهون ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات

ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ أي المحنوذ وهو الذي أجيد نضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم

وقال تعالى في وصف الطيبات وأنزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الإدام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سيد الإدام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من الطيبات

---

(١) إحياء علوم الدين ٣١٣/١

قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أكل الطيبات يورث الرضا عن الله

وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل

قال المأمون شرب الماء بثلج يخلص الشكر

وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد أكملت الضيافة

وأنفق بعضهم دراهم في ضيافة **فقال بعض الحكماء** لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية

وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين

---

(١) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سريج

(٢) حديث حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد الأناة من الله والعجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى أبو داود من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قال الأعمش لا أعلم إلا أنه رفعه وروى المزي في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن نفيع عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأناة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صيح في خيل الله وإذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنازة الحديث مرس والترمذي من حديث علي ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤا وسنده حسن". (١)

٧٤٣-"ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام (١)

ورؤي بعض المشايخ من المتصوفة المعروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل المسجد قال أستحي أن أدخل بيته للأكل فيه

ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعمالهفي ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا

الثاني قال علي رضي الله عنه من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمرا لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترخي الأليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء أفضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن

---

(١) إحياء علوم الدين ١٦/٢

أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء وليكرر العشاء وليلبس الحذاء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين

الثالث قال الحجاج لبعض الأطباء صف لي صفة آخذ بها ولا أعدوها قال

لا تنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى يتم نضجه ولا تشربن دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ولا تأكلن طعاما إلا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشربن عليه فإذا شربت فلا تأكلن عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول وإذا أكلت بالنهار فنم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة

وفي معناه قول العرب تغد تمد تعش تمش يعني تمدد كما قال الله تعال ثم ذهب إلى أهله يتمطى أي يتمطط

ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه

الرابع في الخبر قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة (٢)

والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة يعني الآلية **وقال بعض الحكماء** لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك أي تتغذى إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى في السوق

وقال حكيم لسمين أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فمم هي قال من أكل لباب البر وصغار المعز وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان

الخامس الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل

وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمداء فقال

أتأكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما آكل بالشق الآخر (٣)

يعني جانب السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

السادس أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل الميت ولما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون (٤)

فذلك سنة

وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه ما يهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع

---

(١) حديث ابن عمر كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه وابن حبان

(٢) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشطر الأول والترمذي من حديث أنس بالشطر الثاني وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث جابر

(٣) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمدة فقال له أتأكل التمر وأنت رمد فقال

إنما أمضغ بالشق الآخر فضحك صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن ماجه من حديث صهيب بإسناد جيد

(٤) حديث لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس". [١]

٧٤٤-"أحياء علوم الدين تم تدقيق من قبل لبنى حسونه النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت لها صاحبتها فقالت صدق الله ورسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأرواح جنود مجندة الحديث والحق في هذا أن المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والأخلاق باطنا وظاهر أمر مفهوم

وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم أن يقول إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فتقضي التناسب والتواد وإذا كان على مقابلته أو تربيعه اقتضى التباغض والعداوة

فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله في خلق السموات والأرض لكن الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أم منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة ومؤمن ومنافق واحد لجاه حتى يجلس إليه

وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يتفرقا وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم

وقائل كيف تفارقتما ... فقلت قولا فيه إنصاف

لم يك من شكلي ففارقته ... والناس أشكال وألاف

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال أو مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية

ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشرب بالحمرة وإلى الماء الجاري والخضرة من غير

---

(١) إحياء علوم الدين ١٩/٢

غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله

إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموم كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها

وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم إذا الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم

القسم الثاني أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب وما يجب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة

ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب

---

(١) حديث أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصرا أخرجه البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرجه ولده في المسند". (١)

٧٤٥-"يدعو إلى التحسس والتحسن وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا (١)

والتجسس في تطلع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين

فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين

ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله تعالى وصف به في الدعاء فقيل يا من أظهر الجميل وستر القبيح

والمرضي عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية

---

(١) إحياء علوم الدين ١٦٢/٢

ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسن فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين

ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى **قال بعض الحكماء** ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله

وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التوراة فقدم علي اليهودي من سفر فقلت إن الله قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نعته ونعت أمته في التوراة إنه لا يحل لامريء أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم

ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن

هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام من ستر عورة ٤ أخيه ستره الله تعالى في الدنيا الآخرة (٢)

وفي خبر آخر فكأنما أحيا موءودة (٣)

وقال عليه السلام إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة (٤)

وقال المجالس بالأمانة

---

(١) حديث لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذي قبله

(٢) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا الآخرة أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة

(٣) حديث فكأنما أحيا موءودة من قبرها أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الإسناد

(٤) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة أخرجه أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن". [١]

٧٤٦-"إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حلة (١)

وقال صلى الله عليه وسلم إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره (٢)

قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسر قال

أنا قبره

وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار

وقيل إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به

فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم

وقد قيل لآخر

كيف تحفظ السر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر

وقال آخر وأستر أني أستره وعبر عنه ابن المعتز فقال

ومستودعي سرا تبوأت كتمه ... فأودعته صدري فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه

وما السر في صدري كثاو بقبره ... لأني أرى المقبور ينتظر النشرا

ولكنني أنساه حتى كأنني ... بما كان منه لم أحط ساعة خبرا

ولو جاز كتم السر بيني وبينه ... عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

وأفشى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له

حفظت فقال بل نسيت

وكان أبو سعيد الثوري يقول إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيرا وكتم سرك فاصحبه

وقيل لأبي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله

وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوما ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها

وقد قال بعض الحكماء

لا تصحب من يتغير عليك عند أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه

---

(١) إحياء علوم الدين ١٧٨/٢

بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل

وترى الكريم إذا تصرم وصله ... يخفي القبيح ويظهر الإحسانا

وترى اللئيم إذا تقضى وصله ... يخفي الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف

ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة // حديث من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة الحديث تقدم في العلم

هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب

وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة فإنها عين التدابر والتقاطع فإن التقاطع

---

(١) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أخرجه أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه

(٢) حديث إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس إنكم تجالسون بينكم بالأمانة". (١)

٧٤٧-"هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان

قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية الحق السابع الوفاء والإخلاص

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه (١)

وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاء خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين (٢)

فمن الوفاة للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فإن

---

(١) إحياء علوم الدين ١٧٩/٢

فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين على بركما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف من بعد إن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما

وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه

وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين

ولذلك قال ابن المبارك ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض

ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ووجود الحاجة هو الحسد

ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم

قال الشاعر

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك

وقال بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير

وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله آخى رجلا ببغداد ثم إن أخاه ولي السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الأبيات

اذهب فودك من فؤادي طالق ... أبدا وليس طلاق ذات البين

فإن ارعويت فإنها تطليقة ... ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتنعت شفعتها بمثالها ... فتكون تطليقين في حيضين

وإذا الثلاث أتتك مني بتة ... لم تغن عنك ولاية السيبين

---

(١) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة

(٢) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لعجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من

الإيمان أخرجه الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة". (١)

٧٤٨-"واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني ... فبرئت من نظري إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته فقيل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله تعالى عنه إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه فقال الشافعي سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع

فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله

وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به وإنما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره

والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله

قال الأحنف الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن أسبابها كما قيل

وجدت مصيبات الزمان جميعها ... سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إلي أن حسرتهم ذهبت من قلبي

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيما من يظهر أولا أنه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا

قال واحد لحكيم قد جئت خاطبا لمودتك قال إن جعلت مهرها ثلاثا فعلت قال وما هي قال لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في أمر ولا توطئني عشوة

ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه

قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف

---

(١) إحياء علوم الدين ١٨٧/٢

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن أن يحمله شيئا من أعبائه فلا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلف التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته

قال بعضهم من اقتضى من إخوانه ما لا يقضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم

وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا تمام التخفيف بطي بساط التكليف". (١)

٧٤٩-"وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل

وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم (١)

وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا إشارة الى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته

وقوله إن الله يحب التقي الخفي إشارة الى إيثار الخمول وتوقي الشهرة

وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة

واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار بيده نحو المغرب وقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس (٢)

فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة

وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه

فلنذكر أولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية

---

(١) إحياء علوم الدين ١٨٨/٢

والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء

وأما الدنيوية فتنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذي بثقله وتشويه خلقته

وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد

الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والفكر والإستئناس بمناجاة الله

تعالى عن مناجاة الخلق والإشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه

ولهذا **قال بعض الحكماء لا** يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى

والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله

---

(١) حديث الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد

(٢) حديث ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار بيده نحو المغرب وقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث أخرجه الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال نحو المشرق بدل المغرب وفيه ابن إسحاق رواه بالعنعنة وللترمذي والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن". [١]

٧٥٠-"قلبه وضيع عمره

وقال ابن المبارك ما أحب حال من انقطع إلى الله تعالى ويروى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلي تنحى الى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر إليك فقال هذا إني أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الإضطراب وألفه الوحدة والإنفراد فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول فإليك عني فإني أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال إليك عني يا دنيا لغيري فتزيني وأهلك فغري

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٢٦

ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الإنقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان وجمع همهم في ذكره فلا شيء ألذ عندهم من مناجاته

ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس

فإذا في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل

وإني لأستغشى وما بي غشوة ... لعل خيالا منك يلقى خياليا

وأخرج من بين الجلوس لعلني ... أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك **قال بعض الحكماء إنما** يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة

وقد قيل الإستئناس من علامات الإفلاس فإذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة

فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر

وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها

غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة الغيبة والنميمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا

أما الغيبة فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون

فإن عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنفل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة

فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وإن سكت كنت شريكا والمستمع أحد المغتابين وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الإستخفاف والشتم

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص عنها إلى معاص هي أكبر مما نهى عنه ابتداء

وفي العزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق

وقدم قام أبو بكر رضي الله عند خطيبا وقال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية". (١)

٧٥١-"المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى ولست أقول هذا أو أن ذلك الزمان فلقد كان هذا بإعصار قبل هذا العصر ولأجله قال سفيان والله لقد حلت العزلة

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله أرأيت إن دخل على داري قال فادخل بيتك قلت فإن دخل على بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت (١)

وقال سعد لما دعي الى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله وبالمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك يسيرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فسافروا

فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضي الله عنه توجه الى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق

فإذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال إني أحدثك حديثا جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل أو أسير (٢)

وكان في الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا

وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأئمة

ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هناك عما أنتم فيه عافية

فإذن الحذر من الخصومات ومثارات الفتن إحدى فوائد العزلة

الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس

فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة بالاقتراحات والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة أو

---

(١) إحياء علوم الدين ٢٢٨/٢

الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فرصة للشر فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك

ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم ما هما قال

اخفض الصوت إن نطقت بليل ... والتفت بالنهار قبل المقال

ليس للقول رجعة حين يبدو ... بقبيح يكون أو بجمال

ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم أنه يستعد

---

(١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه الحديث أخرجه أبو داود مختصرا والخطابي في العزلة بتمامه وفي إسناده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته

(٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة رواه الطبراني مقتصرا على المرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بنحوه وإسنادهما حسن". (١)

٧٥٢-"المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس (١) وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل (٢) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله الحديث لم أجده في هذا السيرة وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك

وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربع أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٣٣

فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفارة في الميدان وكالملك المتنزه في البستان

وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات

قال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم وقال أبو يحي الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل

ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابية الطريق في يوم موكبه وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾

وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد قال بلى سألت الله عز وجل إن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقلت إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال اسمعي فقد

---

(١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر أخرجه البيهقي في الزهد وقد تقدم في شرح عجائب القلب

(٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه أخرجه الترمذي في أثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد

وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا إلا أن يغفر الله تعالى ويستر". [١]

٧٥٣-"وإراقته ومن جملته الصوم فإنه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾

وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٦٦

المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل

الفائدة الثامنة يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله

حكي أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم الإهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس (١) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل بدن بما اعتاد لم أجد له أصلا (٢) حديث صوموا تصحوا أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف // ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما

الفائدة التاسعة خفة المؤونة فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة **وقال بعض الحكماء** إني لأقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي وقال آخر إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم ابن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقول إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله الأكول مذموم في ثلاثة أحوال إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات

---

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد

(٢) وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من أكل خبز الحنطة بحتا بأدب لم يعتل إلا علة الموت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع

وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته المالح ولأن يقلل

من المالح خيرا له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث صوموا تصحوا". (١)

٧٥٤-"فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان (١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك من حجاب الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات // وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه إنه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة **وقال بعض الحكماء إذا** كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه فإن في الاستمتاع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال إبراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني الآفة الثالثة الخوض في الباطل

وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب

---

(١) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف إشارة إلى أن اللسان إذا أطنب بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروي أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت

---

(١) إحياء علوم الدين ٨٧/٣

من الملائكة على رءوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني قال أفما كان لك ما يرد كلامك". (١)

٧٥٥-"وقد قال الله تعالى ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام (١) وروي أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله أتقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة (٢) وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة (٣) وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين **وقال بعض الحكماء** الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح **وقال بعض الحكماء** كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين وهذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه الآفة السادسة

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرى به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأتقياء أمتي برءاء من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام (٤) وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام (٥)

وقال صلى الله عليه وسلم ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات (٦) حديث سعد يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها رواه أحمد // وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/١١٥

(١) حديث أنس إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها الحديث أخرجه الترمذي وقد تقدم

(٢) حديث الكلمة الطيبة صدقة أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة

(٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم

(٤) حديث إن أبغضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون أخرجه أحمد من حديث أبي ثعلبة وهو عند الترمذي من حديث جابر وحسنه بلفظ إن أبغضكم إلي

(٥) حديث فاطمة شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الحديث وفيه ويتشدقون أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب

(٦) حديث ألا هلك المتنطعون من حديث ابن مسعود والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها". [(١)]

٧٥٦-"فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلما وضعت يدك على فيك قال لأنه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل

كل العداوات قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد **وقال بعض الحكماء** الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/١٢٠

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان

إحداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه

الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها

وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني

وقد قال صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يغبط والمنافق يحسد (١)

فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وإن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأي معصية تزيد على كراهتك

---

(١) حديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد لم أجد له أصلا مرفوعا وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد". (١)

٧٥٧-"عرف الله وأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها

وقال الحسن رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيه تقوى الله عز وجل وحشوها الإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾ **وقال بعض الحكماء** إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في أكله وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الأمنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفي ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... فسوف لعمري عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيرا همومها **وقال بعض الحكماء** كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية

---

(١) إحياء علوم الدين ١٨٩/٣

نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص وقال سفيان أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها وقال أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لهذا غاية وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حلة ولا تضعه إلا في حقه ولا يضرك حب الدنيا

وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لألعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفني على ذهب يبقى وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما الدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لإبراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا في ذلك

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سرورا وأنعما". (١)

٧٥٨-"وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب ظعنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من

(١) إحياء علوم الدين ٣/٢٠٧

البلاء والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول ليجزى الذي أساءوا بما عملوا ويجزى الذي أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابة متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد

وقال بعض الحكماء الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت مر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب **وقال بعض الحكماء** وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل

قال علي كرم الله وجهه في خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكأنهم قطعوه وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في". (١)

٧٥٩-"ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني وأوجز فقال إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس (١)

وقال عوف بن مالك الأشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٢١٣

شيئا (٢) قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه

الآثار قال عمر رضي الله عنه إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل

العيش ساعات تمر ... وخطوب أيام تكر

أقنع بعيشك ترضه ... واترك هواك تعيش حر

فلرب حتف ساقه ... ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك ينادى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان إنما بطنك يابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى إن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن وقال ابن مسعود إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فإنما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رفعت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء أي شيء أسر للعاقل وإيما شيء أعون على دفع الحزن فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء **وقال بعض الحكماء** وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفي ذلك قيل

آرفه ببال فتى أمسى على ثقة ... أن الذي قسم الأرزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه

إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في دهره شيئا يؤرقه

---

(١) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما في أيدي الناس أخرجه ابن ماجه وتقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد

(٢) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أو ثمانية أو تسعة فقال ألا تبايعون الحديث ﴿وفيه﴾ ولا تسألوا الناس أخرجه مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدهم وهي عند أبي

داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف". (١)

٧٦٠-"إذا مررت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك

ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان **قال بعض الحكماء من** عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من أين تأكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين وأومأ بيده إلى رحا أضراسه فسبحان القدير الخبير

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور

الأول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلا ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الإجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الرفق الأمر كله (١)

وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب (٣)

وروي أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول إن من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة (٤)

وفي الخبر التدبير نصف المعيشة (٥)

وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله (٦) أخرجه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أي هذا الحديث ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله (٧) حديث ذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فيه فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم // والتؤدة في

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٢٣٩

الإنفاق من أهم الأمور
الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى إذ قال عز وجل ﴿وما من دابة في الأرض﴾

---

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم
(٢) حديث ما عال من اقتصد أخرجه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد
(٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب أخرجه البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف
(٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بعض وعشرين جزءا من النبوة أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمت الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدي الصالح وقال من أربعة
(٥) حديث التدبير نصف المعيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين
(٦) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث
(٧) وقال صلى الله عليه وسلم إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا". (١)

٧٦١-"له كفاية كساع إلى الهيجا بغير سلاح وكبازي يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال ٢ وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب الأقوات وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع إلا بسلاح المال ثم ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات

وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم فقال الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الأمن فإني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال العافية فإني رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فإني رأيت الهرم لا عيش له وكأن ما ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (١) وقال صلى الله عليه وسلم في الولد إذا مات العبد انقطع عمله إلا في ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث حديث إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح وأما الأقارب

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٢٤١

فهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك من ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو إذن نعمة وأما العز والجاه فبه يدفع الإنسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فإنه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان قال تعالى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب كما لا معنى للغنى إلا ملك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج إلى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على القصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم ولا تظن أن نعمة الله تعالى على صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذي ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة // حديث ما ناله صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى افتقر إلى الهرب والهجرة رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل الحديث وللترمذي وصححه وابن ماجة من حديث أنس لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله ولقد أذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد إتى علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شئ إبط بلال قال الترمذي معنى هذا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة ومعه بلال وللبخاري عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث وللبزار وأبي يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وإسناده صحيح على شرط مسلم

---

(١) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند جيد

حديث نعم العون على تقوى الله المال رواه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوي من رواية المنكدر مرسلا ومن طريقة رواه القضاعي في مسند الشهاب هكذا مرسلا

حديث من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه الحديث أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عبيد الله ابن محصن الأنصاري وقد تقدم

وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة

حديث نعم العون على الدين المرأة الصالحة لم أجد له اسنادا ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو الدنيا متاع وخير متاع

الدنيا المرأة الصالحة". (١)

٧٦٢-"السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا ابنتاه فو الله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشري فو الله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فو الله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة (١)

وروي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الأحكام والشوكة من الأعداء (٢)

وأما الآثار فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذي الدرهم

وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج (٣)

وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد

وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله

وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا

وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالغني وأهان بالفقر

وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين

وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/١٠٤

(١) حديث عمران ابن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة الحديث تقدم

(٢) حديث إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جهالة وهو منكر

(٣) حديث سعيد بن عامر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام الحديث وفي أوله قصة أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار فجاء كئيبا حزينا وفرقها وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أنه قال تسعين عاما وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه وفي رواية له بأربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وقد تقدم". (١)

٧٦٣-"ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الأشياء على القلب كما روي أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغثيان لأن الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه

ولذلك **قال بعض الحكماء في** دعائه يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبي متأنسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وأنسي بمن لم يزل

وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد أعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك الوحدة رأس العبادة فقلت يا راهب ما أقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله تعالى قال إذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت ومتى يصفو الود قال إذا اجتمع الهم فصار هما واحد في الطاعة **وقال بعض الحكماء عجبا** للخلائق كيف أرادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك

فإن قلت فما علامة الأنس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فإن خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه

فهذا معنى الأنس بالله وهذه علامته وهذه شواهده

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهله بأن جمال المدركات

---

(١) إحياء علوم الدين ١٩٨/٤

بالبصائر أكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها أغلب على ذوي القلوب ومنهم أحمد بن غالب يعرف بغلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور

وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر فإن المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل

الأنس بالله لا يحويه بطال ... وليس يدركه بالحول محتال

والآنسون رجال كلهم نجب ... وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأنس

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فإنه يثمر نوعا من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الأنس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر

ومثاله مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل". (١)

٧٦٤-"واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة

ويشرط على نفسه أنها إن خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها

هكذا يشرط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها

ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها

وهذه شروط يفتقر إليها في كل يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وإن أطاعت في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضي حق الله فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾

فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٤٠

والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ وهذا للمستقبل

وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة

فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ وقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل

وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه (١)

وقال بعض الحكماء إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاءالشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (٢) دان نفسه أي حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله ﴿أئنا لمدينون﴾ أي لمحاسبون

وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة

وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله قال ويل لديان الأرض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال إلا من حاسب نفسه فقال كعب ياأمير المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه

وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت

ومعناه وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها المرابطة الثانية: المراقبة

إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظاتها

---

(١) حديث عبادة بن الصامت إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته الحديث تقدم

(٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث تقدم". [1]

٧٦٥-"حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا

وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا

وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضر به البرد وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام

وانه مات وهو ساجد وانه كان يقول اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي

---

(١) إحياء علوم الدين ٣٩٦/٤

وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هي تصلى صلاة الضحى وهى تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكى وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهى كما هى فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى تردد الآية وتبكى وتدعو

وقال محمد بن إسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن ابن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء

وقال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد القيس يقول إلهى خلقتنى ولم تؤامرنى وتميتنى ولا تعلمنى وخلقت معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى الدم وجعلته يرانى ولا أراه ثم قلت لى استمسك إلهى كيف أستمسك إن لم تمسكنى إلهى في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى الثلث الثانى صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال

لا تنظر الى صياحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القاسم بن راشد الشيبانى قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع من ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى

وقال بعض الحكماء إن لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوم ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا

وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء

وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا إلى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خر مغشيا عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائى

ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض الغافلين

ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين وإليك". (١)

٧٦٦-"ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر إليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالأرض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك وقال عاصم الأحول قال لي فضيل الرقاشي وأنا سائلة يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل أذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فإن الأمر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما **قال بعض الحكماء** كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك

وقال لقمان لابنه

يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك

والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذقها فإنما يعرفها إلا بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإما الاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه

فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فيقدر ما يسري إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/٤١٢

وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم

وأما الجراحة فإنما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل عن كربة وألمه حتى قالوا إن الموت لا شد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المقاول المباشر نفس الروح وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وبلغ كل". (١)

٧٦٧-"وثالث سنة أدى نوافله ... حال القيام فقم للفرض والنفل

ورابع شبع في الشرع قوته ... يقيم صلب الفتى للكسب والعمل

وخامس شبع يخشى به تلف ... جاءت اباحته عن سيد الرسل

وسادس جائز جاءت كراهته ... وفعله جالب للنوم والثقل

وسابع بطنه تفضي إلى مرض ... فالنقل تحريمها فاحذر من الدغل

هذه الانواع ذكر معظمها في المدخل الأول أن يأكل ما تحصل به الحياة فقط.

الثاني: أن يزيد على ذلك مقدارا تحصل له به قوة على أداء الصلوات الخمس من قيام دون النوافل وهذان واجبان مثلهما الأكل في رمضان وغيره من الصوم فيجب أن يأكل ما يقويه على الصوم.

الثالث: أن يأكل ما تحصل له به قوة على قيام النفل وعلى صلاة النفل من قيام وهذا مستحب.

الرابع: أن يأكل ما يقيم صلبه للكسب والعمل وهذا هو الشبع الشرعي قال صلى الله عليه وسلم: (بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه للكسب فإن كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) .

الخامس: أن يأكل إلى ثلث بطنه وقد سبق أنه ستة أشبار وهذا لا كراهة فيه.

السادس: أن يزيد على ذلك وهو مكروه وبه يحصل للانسان الثقل والنوم.

قال لقمان لابنه (يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة) **وقال بعض الحكماء**: من كثر أكله كثر شربه ومن كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه كثر لحمه ومن كثر لحمه قسا قلبه ومن قسا قلبه غرق في الآثام وهذه القسم غلبت عليه عادة الناس.". (٢)

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/٤٦١

(٢) آداب الأكل ص/٢٥

٧٦٨-"الصفح عن العثرات

ومنها الصفح عن عثرات الإخوان، وترك تأنيبهم عليها. قال الفضيل بن عياض: (الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان) ، فكما يجب على العبد الأدب مع سيده، يجب عليه معاشرة من يعينه عليه. **قال بعض الحكماء**: (المؤمن طبعا وسجية) ، وقال ابن الأعرابي: (تناسى مساوئ الإخوان يدم لك ودهم) .

وواجب على المؤمن أن يجانب طلاب الدنيا،". [١]

٧٦٩-"حفظ الأسرار

ومنها حفظ أسرار الإخوان، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (استعينوا على حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود) . **وقال بعض الحكماء**: (قلوب الأحرار قبور الأسرار) . وقيل: (أفشى رجل لصديق له سرا من أسراره، فلما فرغ قال له: حفظته؟ قال: لا، بل نسيته) .

ولبعضهم:

ليس الكريم الذي إن زل صاحبه ... بث الذي كان من أسراره علما

إن الكريم الذي تبقى مودته ... ويحفظ السر إن صافى وإن صرما

قبول المشورة

ومنها المشورة مع الإخوان وقبولها منهم. قال الله عز وجل: (وشاورهم في الأمر) . قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ورسوله غنيان عنها، ولكن". [٢]

٧٧٠-"مقدر بفضل الله. قال ابن المبارك: وتكون نيتك مباركة عليك لقوله عليه السلام: (نية المؤمن خير من عمله) . **قال بعض الحكماء في** معنى الخير: (نية علا عمل خير من عمل بلا نية) .

العفو عن الهفوات

ومنها العفو عن هفوة الإخوان في النفس والمال دون أمور الدين والسنة، لقوله تعالى: (وليعفوا وليصفحوا) . وقوله: (وأن تعفوا أقرب للتقوى) .

حسن الجوار

ومنها حسن الجوار، وأن يأمنك جارك في أسبابه: في نفسه ودينه وأهله وماله وولده؛ لقوله عليه السلام: (لا يؤمن أحدكم

---

(١) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة ص/١٦

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة ص/٣٦

حتى يأمن جاره بوائقه) . وقوله عليه السلام:". (١)

٧٧١-"اعلم أن لكل فضيلة أسا ولكل أدب ينبوعا، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلا وللدنيا عمادا، فأوجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم، وجعل ما تعبدهم به قسمين: قسما وجب بالعقل فوكده الشرع، وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع فكان العقل لهما عمادا.

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدى، أو يرده عن ردى» . وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لكل شيء عمل دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه أما سمعتم قول الفجار ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠] » .

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءته خلقه. وقال الحسن البصري: ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما. **وقال بعض الحكماء**: العقل أفضل مرجو، والجهل أنكى عدو. وقال بعض الأدباء: صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله.

وقال بعض البلغاء: خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل. وقال بعض الشعراء، وهو إبراهيم بن حسان:

يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محظورا عليه مكاسبه

يشين الفتى في الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه". (٢)

٧٧٢-"﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ [الحج: ٤٦] .

فدلت هذه الآية على أمرين:

أحدهما: أن العقل علم، والثاني: أن محله القلب. وفي قوله تعالى: ﴿يعقلون بها﴾ [الحج: ٤٦] ، تأويلان: أحدهما: يعلمون بها، والثاني يعتبرون بها. فهذه جملة القول في العقل الغريزي.

وأما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزي وهو نهاية المعرفة، وصحة السياسة، وإصابة الفكرة. وليس لهذا حد؛ لأنه ينمو إن استعمل وينقص إن أهمل. ونماؤه يكون بأحد وجهين: إما بكثرة الاستعمال إذا لم يعارضه مانع من هوى ولا صاد من شهوة، كالذي يحصل لذوي الأسنان من الحنكة وصحة الروية بكثرة التجارب وممارسة الأمور. ولذلك حمدت العرب آراء الشيوخ حتى قال بعضهم: المشايخ أشجار الوقار، ومناجع الأخبار، لا يطيش لهم سهم، ولا يسقط لهم وهم، إن رأوك في قبيح صدوك، وإن أبصروك على جميل أمدوك.

وقيل: عليكم بآراء الشيوخ فإنهم إن فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر، وتصدت لأسماعهم آثار الغير.

---

(١) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة ص/٤٨

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٧

وقيل في منثور الحكم: من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله. وقيل فيه: لا تدع الأيام جاهلا إلا أدبته. **وقال بعض الحكماء**: كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الأيام عظة. وقال بعض البلغاء: التجربة مرآة العقل، والغرة ثمرة الجهل.

وقال بعض الأدباء: كفى مخبرا عما بقي ما مضى وكفى عبرا لأولي الألباب ما جربوا. وقال بعض الشعراء:

ألم تر أن العقل زين لأهله ... ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر:

إذا طال عمر المرء في غير آفة ... أفادت له الأيام في كرها عقلا

وأما الوجه الثاني فقد يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة. وذلك جودة الحدس في زمان غير مهمل للحدس، فإذا امتزج بالعقل الغريزي صارت". (١)

٧٧٣-"العقل مضر بالجسد. **وقال بعض الحكماء**: كفاك من عقلك ما دلك على سبيل رشدك. وقال بعض البلغاء: قليل يكفي خير من كثير يطغي. وقال آخرون، وهو أصح القولين: زيادة العقل فضيلة؛ لأن المكتسب غير محدود، وإنما تكون زيادة الفضائل المحمودة نقصا مذموما؛ لأن ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة كالشجاع إذا زاد على حد الشجاعة نسب إلى التهور، والسخي إذا زاد على حد السخاء نسب إلى التبذير.

وليس كذلك حال العقل المكتسب؛ لأن الزيادة فيه زيادة علم بالأمور وحسن إصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن إلى ما يكون، وذلك فضيلة لا نقص. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أفضل الناس أعقل الناس» . وروي عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «العقل حيث كان مألوف» .

وقد قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ [الإسراء: ٨٤] أي بحسب عقله. وقال القاسم بن محمد كانت العرب تقول: من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه. وقيل في منثور الحكم: كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا.

وقال بعض البلغاء: إن العاقل من عقله في إرشاد، ومن رأيه في إمداد، فقوله سديد، وفعله حميد، والجاهل من جهله في إغواء، ومن هواه في إغراء، فقوله سقيم، وفعله ذميم، وأنشدني ابن لنكك لأبيه.

من لم يكن أكثر عقله ... أهلكه أكثر ما فيه

فأما الدهاء والمكر فهو مذموم؛ لأن صاحبه صرف فضل عقله إلى الشر ولو صرفه إلى الخير لكان محمودا.

وقد ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب فقال: كان والله أفضل من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع. وقال عمر: لست بالخب ولا يخدعني". (٢)

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٠

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٥

٧٧٤-"الحب. واختلف الناس فيمن صرف فضل عقله إلى الشر كزياد، وأشباهه من الدهاة، هل يسمى الداهية منهم عاقلا أم لا.

فقال بعضهم: أسميه عاقلا؛ لوجود العقل منه. وقال آخرون: لا أسميه عاقلا حتى يكون خيرا دينا؛ لأن الخير والدين من موجبات العقل. فأما الشرير فلا أسميه عاقلا وإنما أسميه صاحب روية وفكر.

وقد قيل: العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه حتى قال أصحاب الشافعي - رضي الله عنه - فيمن أوصى بثلث ماله لأعقل الناس أنه يكون مصروفا في الزهاد؛ لأنهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالأمل.

وروى لقمان بن أبي عامر عن أبي الدرداء أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا. قلت: بأبي أنت وأمي، ومن لي بالعقل؟ قال: اجتنب محارم الله، وأد فرائض الله تكن عاقلا ثم تنفل بصالحات الأعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وبه عزا» .

وأنشدني بعض أهل الأدب هذه الأبيات، وذكر أنها لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

إن المكارم أخلاق مطهرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والعرف ساديها

والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين عاشيها

والنفس تعلم أني لا أصدقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها

والعين تعلم في عيني محدثها ... من كان من حزبها أو من أعاديها

عيناك قد دلتا عيني منك على ... أشياء لولاهما ما كنت تبديها

واعلم أن العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي؛ لأنه نتيجة منه. وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل، موفور الرذائل، كالأنوك الذي لا يجد له فضيلة، والأحمق الذي قل ما يخلو من رذيلة.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الأحمق كالفخار لا يرقع ولا يشعب» . وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الأحمق أبغض خلق الله إليه، إذ حرمه أعز الأشياء عليه» . **وقال بعض الحكماء**: الحاجة إلى العقل أقبح من الحاجة إلى المال، وقال بعض البلغاء: دولة الجاهل عبرة العاقل، وقال أنوشروان لبزرجمهر: أي الأشياء خير للمرء؟ قال: عقل يعيش به. قال: فإن لم يكن؟ قال:". (١)

٧٧٥-"[فصل في الهوى]

الهوى فصل: وأما الهوى فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد؛ لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها،

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٦

ويجعل ستر المروءة مهتوكا، ومدخل الشر مسلوكا. قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: الهوى إله يعبد من دون الله. ثم تلا: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ [الحديد: ١٤] يعني بالشهوات ﴿وتربصتم﴾ [الحديد: ١٤] يعني بالتوبة ﴿وارتبتم﴾ [الحديد: ١٤] يعني في أمر الله ﴿وغرتكم الأماني﴾ [الحديد: ١٤] يعني بالتسويف ﴿حتى جاء أمر الله﴾ [الحديد: ١٤] يعني الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ [الحديد: ١٤] يعني الشيطان.

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «طاعة الشهوة داء، وعصيانها دواء» . وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلاعة تنزع إلى شر غاية. إن هذا الحق ثقيل مري، وإن الباطل خفيف وبي، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا.

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: أخاف عليكم اثنين: اتباع الهوى وطول الأمل. فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة. وقال الشعبي: إنما سمي الهوى هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه.

وقال أعرابي: الهوى هوان ولكن غلط باسمه، فأخذه الشاعر وقال:

إن الهوان هو الهوى قلب اسمه ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا

وقيل في منثور الحكم: من أطاع هواه، أعطى عدوه مناه. **وقال بعض الحكماء**: العقل صديق مقطوع، والهوى عدو متبوع. وقال بعض". (١)

٧٧٦-"البلغاء أفضل الناس من عصى هواه، وأفضل منه من رفض دنياه. وقال هشام بن عبد الملك بن مروان:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى كل ما فيه عليك مقال

قال ابن المعتز - رحمه الله -: لم يقل هشام بن عبد الملك سوى هذا البيت. وقال الشاعر:

إذا ما رأيت المرء يعتاده الهوى ... فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد أشمت الأعداء جهلا بنفسه ... وقد وجدت فيه مقالا عواذله

وما يردع النفس اللجوج عن الهوى ... من الناس إلا حازم الرأي كامله

فلما كان الهوى غالبا وإلى سبيل المهالك موردا جعل العقل عليه رقيبا مجاهدا يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته، ويدفع خداع حيلته؛ لأن سلطان الهوى قوي، ومدخل مكره خفي. ومن هذين الوجهين يؤتى العاقل حتى تنفذ أحكام الهوى عليه أعني بأحد الوجهين: قوة سلطانه وبالآخر خفاء مكره.

فأما الوجه الأول فهو أن يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه حتى يستولي عليه مغالبة الشهوات فيكل العقل عن دفعها، ويضعف عن منعها، مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها، وهذا يكون في الأحداث أكثر وعلى الشباب أغلب؛ لقوة شهواتهم؛ وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم وإنهم ربما جعلوا الشباب عذرا لهم، كما قال محمد بن بشير:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٩

كل يرى أن الشباب له ... في كل مبلغ لذة عذرا

ولذلك **قال بعض الحكماء**: الهوى ملك غشوم، ومتسلط ظلوم. وقال بعض الأدباء: الهوى عسوف، والعدل مألوف.

وقال بعض الشعراء:

يا عاقلا أردى الهوى عقله ... مالك قد سدت عليك الأمور

أتجعل العقل أسير الهوى ... إنما العقل عليه أمير

وحسم ذلك أن يستعين بالعقل على النفس النفورة فيشعرها ما في عواقب". (١)

٧٧٧-"الهوى من شدة الضرر، وقبح الأثر، وكثرة الإجرام، وتراكم الآثام. فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» . أخبر أن الطريق إلى الجنة احتمال المكاره، والطريق إلى النار اتباع الشهوات.

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت.

وقد قال ابن السماك: كن لهواك مسوفا، ولعقلك مسعفا، وانظر إلى ما تسوء عاقبته فوطن نفسك على مجانبته فإن ترك النفس وما تهوى داؤها، وترك ما تهوى دواؤها، فاصبر على الدواء، كما تخاف من الداء.

وقال الشاعر:

صبرت على الأيام حتى تولت ... وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعت تاقت وإلا تسلت

فإذا انقادت النفس للعقل بما قد أشعرت من عواقب الهوى لم يلبث الهوى أن يصير بالعقل مدحورا، وبالنفس مقهورا، ثم له الحظ الأوفى في ثواب الخالق وثناء المخلوقين.

قال الله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ [النازعات: ٤٠] ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤١] وقال الحسن البصري: أفضل الجهاد جهاد الهوى. **وقال بعض الحكماء**: أعز العز الامتناع من ملك الهوى. وقال بعض البلغاء: خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه. وقال بعض الأدباء: من أمات شهوته، فقد أحيا مروءته.

وقال بعض العلماء: ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما؛ فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم. وقيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس، وأحراهم بالظفر في مجاهدته؟ قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس في مجاهدته من ورود

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٠

خواطر الهوى على قلبه. وقال بعض الشعراء:". (١)

٧٧٨-"قد يدرك الحازم ذو الرأي المنى ... بطاعة الحزم وعصيان الهوى

وأما الوجه الثاني: فهو أن يخفي الهوى بكره حتى تتموه أفعاله على العقل فيتصور القبيح حسنا والضرر نفعا. وهذا يدعو إليه أحد شيئين: إما أن يكون للنفس ميل إلى ذلك الشيء فيخفى عنها القبيح لحسن ظنها وتتصوره حسنا لشدة ميلها.

ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ «حبك الشيء يعمي ويصم» . أي يعمي عن الرشد ويصم عن الموعظة.

وقال علي - رضي الله عنه -: الهوى عمى. قال الشاعر:

حسن في كل عين من تود

وقال عبيد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

ولست براء عيب ذي الود كله ... ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضى عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأما السبب الثاني: فهو اشتغال الفكر في تمييز ما اشتبه فيطلب الراحة في اتباع ما استسهل حتى يظن أن ذلك أوفق أمريه، وأحمد حاليه، اغترارا بأن الأسهل محمود والأعسر مذموم فلن يعدم أن يتورط بخدع الهوى وريبة المكر في كل مخوف حذر، ومكروه عسر.

ولذلك قال عامر بن الظرب: الهوى يقظان والعقل راقد فمن ثم غلب. وقال سليمان بن وهب: الهوى أمنع، والرأي أنفع.

وقيل في المثل: العقل وزير ناصح، والهوى وكيل فاضح.

وقال الشاعر:

إذا المرء أعطى نفسه كلما ... اشتهت ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذي ... دعته إليه من حلاوة عاجل

وحسم السبب الأول أن يجعل فكر قلبه حكما على نظر عينه. فإن العين رائد الشهوة، والشهوة من دواعي الهوى، والقلب رائد الحق والحق من دواعي العقل.

وقال بعض الحكماء: نظر الجاهل بعينه وناظره، ونظر". (٢)

٧٧٩-"العاقل بقلبه وخاطره. ثم يتهم نفسه في صواب ما أحبت وتحسين ما اشتهت؛ ليصح له الصواب ويتبين له الحق، فإن الحق أثقل محملا، وأصعب مركبا فإن أشكل عليه أمران اجتنب أحبهما إليه، وترك أسهلهما عليه.

فإن النفس عن الحق أنفر، وللهوى آثر. وقد قال العباس بن عبد المطلب: إذا اشتبه عليك أمران فدع أحبهما إليك، وخذ

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣١

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣٢

أثقلهما عليك. وعلة هذا القول هو أن الثقيل يبطئ النفس عن التسرع إليه فيتضح مع الإبطاء وتطاول الزمان صواب ما استعجم، وظهور ما استبهم. وقد قال علي بن أبي طالب: من تفكر أبصر والمحبوب أسهل شيء تسرع النفس إليه، وتعجل بالإقدام عليه، فيقصر الزمان عن تصفحه ويفوت استدراكه لتقصير فعله فلا ينفع التصفح بعد العمل ولا الاستبانة بعد الفوت.

وقال بعض الحكماء: ما كان عنك معرضا، فلا تكن به متعرضا. وقال الشاعر:

أليس طلاب ما قد فات جهلا ... وذكر المرء ما لا يستطيع

ولقد وصف بعض البلغاء حال الهوى وما يقارنه من محن الدنيا فقال: الهوى مطية الفتنة، والدنيا دار المحنة، فانزل عن الهوى تسلم، واعرض عن الدنيا تغنم، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ولا تفتنك دنياك بحسن العواري.

فمدة اللهو تنقطع وعارية الدهر ترتجع، ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم، وتكتسبه من المآثم.

وقال علي بن عبد الله الجعفري: سمعتني امرأة بالطواف، وأنا أنشد:

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني ... فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت: هما ضرتان فذر أيهما شئت وخذ الأخرى. فأما فرق ما بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول، واتفاقهما في الدلالة والمدلول، فهو أن الهوى مختص بالآراء والاعتقادات، والشهوة مختصة بنيل اللذة. فصارت الشهوة من نتائج الهوى وهي أخص، والهوى أصل هو أعم.

ونحن نسأل الله تعالى أن يكفينا دواعي الهوى، ويصرف عنا سبل الردى، ويجعل التوفيق لنا قائدا، والعقل لنا مرشدا. فقد روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى – عليه السلام –: عظ". (١)

٧٨٠-"اعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب؛ لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي على طالبه. قال الله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩] فمنع المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم.

وقال تعالى: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣] فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمرا، أو يفهم منه زجرا. وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «أوحي إلى إبراهيم – عليه السلام – أني عليم أحب كل عليم» . وروى أبو أمامة قال: «سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن رجلين أحدهما عالم والآخر عابد فقال – صلى الله عليه وسلم – فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا» .

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: الناس أبناء ما يحسنون. وقال مصعب بن الزبير: تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالا وإن لم يكن لك مال كان لك مالا. وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٣

وقال بعض الحكماء: العلم شرف لا قدر له، والأدب مال لا خوف عليه. وقال بعض الأدباء: العلم أفضل خلف، والعمل به أكمل شرف. وقال بعض البلغاء: تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرا، ويقدمك ويسودك كبيرا، ويصلح زيفك وفاسدك، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوم عوجك وميلك، ويصحح همتك، وأملك.

وقال علي - رضي الله تعالى عنه -: قيمة كل امرئ ما يحسن. فأخذه الخليل فنظمه شعرا فقال:

لا يكون العلي مثل الدني ... لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي

قيمة المرء قدر ما يحسن المرء ... قضاء من الإمام علي

وليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل؛ لأن فضل العلم إنما يعرف". (١)

٧٨١-"فقال: يا عم ما عندك فيما يقول هؤلاء: فقال: يا أمير المؤمنين شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر. فقال: لم لا نتعلمه اليوم؟ قال: أو يحسن بمثلي طلب العلم؟ قال: نعم. والله لأن تموت طالبا للعلم خير من أن تعيش قانعا بالجهل. قال: وإلى متى يحسن بي طلب العلم؟ قال: ما حسنت بك الحياة؛ ولأن الصغير أعذر وإن لم يكن في الجهل عذر؛ لأنه لم تطل به مدة التفريط ولا استمرت عليه أيام الإهمال.

وقد قيل في منثور الحكم: جهل الصغير معذور، وعلمه محقور، فأما الكبير فالجهل به أقبح، ونقصه عليه أفضح؛ لأن علو السن إذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما وكانت أيامه في الجهل ماضية، ومن الفضل خالية، كان الصغير أفضل منه؛ لأن الرجاء له أكثر، والأمل فيه أظهر، وحسبك نقصا في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل أفضل منه.

وأنشدت لبعض أهل الأدب:

إذا لم يكن مر السنين مترجما ... عن الفضل في الإنسان سميته طفلا

وما تنفع الأيام حين يعدها ... ولم يستفد فيهن علما ولا فضلا

أرى الدهر من سوء التصرف مائلا ... إلى كل ذي جهل كأن به جهلا

وربما امتنع من طلب العلم لتعذر المادة وشغله اكتسابها عن التماس العلم. وهذا، وإن كان أعذر من غيره مع أنه قل ما يكون ذلك إلا عند ذي شره وعيب وشهوة مستعبدة، فينبغي أن يصرف إلى العلم حظا من زمانه. فليس كل الزمان زمان اكتساب. ولا بد للمكتسب من أوقات استراحة، وأيام عطلة.

ومن صرف كل نفسه إلى الكسب حتى لم يترك لها فراغا إلى غيره، فهو من عبيد الدنيا، وأسراء الحرص.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لكل شيء فترة، فمن كانت فترته إلى العلم فقد نجا» . وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «كونوا علماء صالحين، فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على الهدى، ويردكم عن الردى» .

وقال بعض العلماء: من أحب العلم أحاطت به فضائله. وقال بعض الحكماء: من صاحب العلماء وقر، ومن جالس

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٦

السفهاء حقر.

وربما منعه من طلب العلم ما يظنه من". (١)

٧٨٢-"وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر

على أن العلم والعقل سعادة وإقبال، وإن قل معهما المال، وضاقت معهما الحال.

والجهل والحمق حرمان وإدبار وإن كثر معهما المال، واتسعت فيهما الحال؛ لأن السعادة ليست بكثرة المال فكم من مكثر شقي ومقل سعيد. وكيف يكون الجاهل الغني سعيدا والجهل يضعه. أم كيف يكون العالم الفقير شقيا والعلم يرفعه؟ وقد قيل في منثور الحكم: كم من ذليل أعزه علمه، ومن عزيز أذله جهله. وقال عبد الله بن المعتز: الجاهل كروضة على مزبلة.

وقال بعض الحكماء: كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا. وقال بعض العلماء لبنيه: يا بني تعلموا العلم فإن لم تنالوا به من الدنيا حظا فلأن يذم الزمان لكم أحب إلي من أن يذم الزمان بكم. وقال بعض الأدباء: من لم يفد بالعلم مالا كسب به جمالا، وأنشد بعض أهل الأدب لابن طباطبا:

حسود مريض القلب يخفي أنينه ... ويضحى كئيب البال عندي حزينه

يلوم علي أن رحت للعلم طالبا ... أجمع من عند الرواة فنونه

فأعرف أبكار الكلام وعونه ... وأحفظ مما أستفيد عيونه

ويزعم أن العلم لا يكسب الغنى ... ويحسن بالجهل الذميم ظنونه

فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وأنا أستعيذ بالله من خدع الجهل المذلة، وبوادر الحمق المضلة. وأسأله السعادة بعقل رادع يستقيم به من زل، وعلم نافع يستهدي به من ضل. فقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: إذا استرذل الله عبدا حظر عليه العلم.

فينبغي لمن زهد في العلم أن يكون فيه راغبا ولمن رغب فيه أن يكون له طالبا، ولمن طلبه أن يكون منه مستكثرا، ولمن استكثر منه أن يكون به عاملا، ولا يطلب لتركه احتجاجا ولا للتقصير فيه عذرا.

وقد قال الشاعر:". (٢)

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٤٣

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٤٦

٧٨٣-"أن يتعلم من أحد.

واعلم أن لكل مطلوب باعثا. والباعث على المطلوب شيئان: رغبة أو رهبة، فليكن طالب العلم راغبا راهبا. أما الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته، وحافظي مفترضاته.

وأما الرهبة فمن عقاب الله تعالى لتاركي أوامره، ومهملي زواجره. فإذا اجتمعت الرغبة والرهبة أديا إلى كنه العلم وحقيقة الزهد؛ لأن الرغبة أقوى الباعثين على العلم، والرهبة أقوى السببين في الزهد.

وقد قالت الحكماء: أصل العلم الرغبة وثمرته السعادة، وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة فإذا اقترن الزهد والعلم فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة، وإن افترقا فيا ويح مفترقين ما أضر افتراقهما، وأقبح انفرادهما.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من ازداد في العلم رشدا، فلم يزدد في الدنيا زهدا، لم يزدد من الله إلا بعدا» . وقال مالك بن دينار: من لم يؤت من العلم ما يقمعه، فما أوتي منه لا ينفعه. **وقال بعض الحكماء**: الفقيه بغير ورع كالسراج يضيء البيت ويحرق نفسه.

[فصل في التعلم]

التعلم فصل: واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها. فليبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها لتفضي إلى حقائقها. ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل.

فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة؛ لأن البناء على غير أس لا يبنى، والثمر من غير غرس لا يجنى. ولذلك أسباب فاسدة ودواع واهية.

فمنها: أن يكون في النفس أغراض تختص بنوع من العلم فيدعو الغرض إلى قصد ذلك النوع ويعدل عن مقدماته، كرجل يؤثر القضاء". (١)

٧٨٤-"الأحنف: الكبير أكثر عقلا ولكنه أشغل قلبا. ولعمري لقد فحص الأحنف عن المعنى ونبه على العلة؛ لأن قواطع الكبير كثيرة: فمنها: ما ذكرنا من الاستحياء. وقد قيل في منثور الحكم: من رق وجهه رق علمه. وقال الخليل بن أحمد: يرتع الجهل بين الحياء والكبر في العلم.

ومنها: وفور شهواته وتقسم أفكاره. وقال الشاعر:

صرف الهوى عن ذي الهوى عزيز ... إن الهوى ليس له تمييز

وقال بعض البلغاء: إن القلب إذا علق كالرهن إذا غلق.

ومنها: الطوارق المزعجة والهموم المذهلة. وقد قيل في منثور الحكم: الهم قيد الحواس. وقال بعض البلغاء: من بلغ أشده لاقي من العلم أشده.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٤٨

ومنها: كثرة اشتغاله وترادف حالاته حتى أنها تستوعب زمانه وتستنفد أيامه. فإذا كان ذا رئاسة ألهته، وإن كان ذا معيشة قطعته. ولذلك قيل: تفقهوا قبل أن تسودوا. وقال بزرجمهر: الشغل مجهدة والفراغ مفسدة.

فينبغي لطالب العلم أن لا يني في طلبه وينتهز الفرصة به، فربما شح الزمان بما سمح وضن بما منح. ويبتدئ من العلم بأوله ويأتيه من مدخله ولا يتشاغل بطلب ما لا يضر جهله فيمنعه ذلك من إدراك ما لا يسعه جهله.

فإن لكل علم فصولا مذهلة وشذورا مشغلة، إن صرف إليها نفسه قطعته عما هو أهم منها. وقال ابن عباس – رضي الله عنهما –: العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه.

وقال المأمون: ما لم يكن العلم بارعا فبطون الصحف أولى به من قلوب الرجال. **وقال بعض الحكماء**: بترك ما لا يعنيك تدرك ما يغنيك. ولا ينبغي أن يدعوه ذلك إلى ترك ما". (١)

٧٨٥–"استصعب عليه إشعارا لنفسه أن ذلك من فضول علمه وإعذارا لها في ترك الاشتغال به، فإن ذلك مطية النوكى وعذر المقصرين.

ومن أخذ من العلم ما تسهل وترك منه ما تعذر كان كالقناص إذا امتنع عليه الصيد تركه فلا يرجع إلا خائبا إذ ليس يرى الصيد إلا ممتنعا. كذلك العلم كله صعب على من جهله، سهل على من علمه؛ لأن معانيه التي يتوصل إليها مستودعة في كلام مترجم عنها.

وكل كلام مستعمل فهو يجمع لفظا مسموعا ومعنى مفهوما، فاللفظ كلام يعقل بالسمع والمعنى تحت اللفظ يفهم بالقلب.

وقد **قال بعض الحكماء**: العلوم مطالعها من ثلاثة أوجه: قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور.

فإذا عقل الكلام بسمعه فهم معانيه بقلبه. وإذا فهم المعاني سقط عنه كلفة استخراجها وبقي عليه معاناة حفظها واستقرارها؛ لأن المعاني شوارد تضل بالإغفال، والعلوم وحشية تنفر بالإرسال. فإذا حفظها بعد الفهم أنست، وإذا ذكرها بعد الأنس رست.

وقال بعض العلماء: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم. وقال الشاعر:

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه ... ولم يستفد علما نسي ما تعلما

فكم جامع للكتب في كل مذهب ... يزيد مع الأيام في جمعه عمى

وإن لم يفهم معاني ما سمع كشف عن السبب المانع منها ليعلم العلة في تعذر فهمها فإنه بمعرفة أسباب الأشياء وعللها يصل إلى تلافي ما شذ وصلاح ما فسد.

وليس يخلو السبب المانع من ذلك من ثلاثة أقسام: إما أن يكون لعلة في الكلام المترجم عنها. وإما أن يكون لعلة في المعنى المستودع فيها. وإما أن يكون لعلة في السامع المستخرج.

فإن كان السبب المانع من فهمها لعلة في الكلام المترجم عنها لم يخل ذلك من ثلاثة أحوال:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٥١

أحدها: أن يكون لتقصير اللفظ عن المعنى فيصير تقصير اللفظ عن ذلك المعنى سببا مانعا من فهم ذلك المعنى. وهذا يكون من أحد وجهين: إما من حصر المتكلم وعيه، وإما من بلادته وقلة فهمه.". (١)

٧٨٦-"فهذا تعليل ما في الكلام من الأسباب المانعة من فهم معانيه حتى خرج بنا الاستيفاء والكشف إلى الإغماض.

وأما القسم الثاني: وهو أن يكون السبب المانع من فهم السامع لعلة في المعنى المستودع فلا يخلو حال المعنى من ثلاثة أقسام: إما أن يكون مستقلا بنفسه، أو يكون مقدمة لغيره، أو يكون نتيجة من غيره.

فأما المستقل بنفسه فضربان: جلي وخفي. فأما الجلي فهو يسبق إلى فهم متصوره من أول وهلة، وليس هو من أقسام ما يشكل على من تصوره. وأما الخفي فيحتاج في إدراكه إلى زيادة تأمل وفضل معاناة لينجلي عما أخفى وينكشف عما أغمض، وباستعمال الفكر فيه يكون الارتياض به وبالارتياض به يسهل منه ما استصعب ويقرب منه ما بعد، فإن للرياضة جراءة وللدراية تأثيرا، وأما ما كان مقدمة لغيره فضربان:

أحدهما: أن تقوم المقدمة بنفسها وإن تعدت إلى غيرها، فتكون كالمستقل بنفسه في تصوره وفهمه مستدعيا لنتيجته.

والثاني: أن يكون مفتقرا إلى نتيجته فيتعذر فهم المقدمة إلا بما يتبعها من النتيجة؛ لأنها تكون بعضا وتبعيض المعنى أشكل له وبعضه لا يغني عن كله، وأما ما كان نتيجة لغيره فهو لا يدرك إلا بأوله ولا يتصور على حقيقته إلا بمقدمته والاشتغال به قبل المقدمة عناء، وإتعاب الفكر في استنباطه قبل قاعدته إيذاء. فهذا يوضح تعليل ما في المعاني من الأسباب المانعة من فهمها.

وأما القسم الثالث: وهو أن يكون السبب المانع لعلة في المستمع فذلك ضربان. أحدهما: من ذاته. والثاني: من طارئ عليه. فأما ما كان من ذاته فيتنوع نوعين: أحدهما: ما كان مانعا من تصور المعنى، والثاني: ما كان مانعا من حفظه بعد تصوره وفهمه. فأما ما كان مانعا من تصور المعنى وفهمه فهو البلادة وقلة الفطنة وهو الداء العياء. وقد **قال بعض الحكماء**: إذا فقد العالم الذهن قل على الأضداد احتجاجه، وكثر إلى الكتب احتياجه. وليس لمن بلي به إلا الصبر والإقلال؛ لأنه على القليل أقدر، وبالصبر أحرى أن ينال ويظفر.

وقد **قال بعض الحكماء**: قدم". (٢)

٧٨٧-"لحاجتك بعض لجاجتك. وليس يقدر على الصبر من هذا حاله إلا أن يكون غالب الشهوة، بعيد الهمة، فيشعر قلبه الصبر؛ لقوة شهوته، وجسده احتمال التعب؛ لبعد همته.

فإذا تلوح له المعنى بمساعدة الشهوة أعقبه ذلك إلحاح الآملين ونشاط المدركين فقل عنده كل كثير، وسهل عليه كل عسير.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٥٢

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٥٦

وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لا تنالون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، ولا تبلغون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون» . وقيل في منثور الحكم: أتعب قدمك، فإن تعب قدمك. وقال بعض البلغاء: إذا اشتد الكلف، هانت الكلف، وأنشد بعض أهل الأدب لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه –:

لا تعجزن ولا يدخلك مضجرة ... فالنجح يهلك بين العجز والضجر

وأما المانع من حفظه بعد تصوره وفهمه فهو النسيان الحادث عن غفلة التقصير وإهمال التواني. فينبغي لمن بلي به أن يستدرك تقصيره بكثرة الدرس ويوقظ غفلته بإدامة النظر. فقد قيل لا يدرك العلم من لا يطيل درسه، ويكد نفسه. وكثرة الدرس كدود لا يصبر عليه إلا من يرى العلم مغنما، والجهالة مغرما. فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم وينفي عنه معرة الجهل.

فإن نيل العظيم بأمر عظيم، وعلى قدر الرغبة تكون المطالب، وبحسب الراحة يكون التعب.

وقد قيل: طلب الراحة قلة الاستراحة. **وقال بعض الحكماء**: أكمل الراحة ما كانت عن كد التعب، وأعز العلم ما كان عن ذل الطلب. وربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم المعاني على الرجوع إلى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة فلا يكون إلا كمن أطلق ما صاده ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع منه فلا تعقبه الثقة إلا خجلا والتفريط إلا ندما.

وهذه حال قد يدعو إليها أحد ثلاثة أشياء: إما الضجر من معاناة الحفظ ومراعاته وطول الأمل في التوفر عليه عند نشاطه وفساد الرأي في عزيمته. وليس يعلم أن الضجور خائب، وأن الطويل الأمل مغرور، وأن الفاسد الرأي مصاب.

والعرب تقول في أمثالها: حرف في قلبك، خير من ألف في كتبك. وقالوا: لا خير في علم لا يعبر". (١)

٧٨٨–"نفسه بالسؤال والنظر؛ ليصل إلى تصور المعنى وإدراك حقيقته. ولذلك قال بعض العلماء: لا تخل قلبك من المذاكرة فتعد عقيما، ولا تعف طبعك من المناظرة فيعد سقيما.

وقال بشار بن برد:

شفاء العمى طول السؤال وإنما ... دوام العمى طول السكوت على الجهل

فكن سائلا عما عناك فإنما ... دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

والثاني: أفكار تعارض الخاطر فيذهل عن تصور المعنى.

وهذا سبب قلما يعرى منه أحد لا سيما فيمن انبسطت آماله واتسعت أمانيه. وقد يقل فيمن لم يكن له في غير العلم أرب، ولا فيما سواه همة، فإن طرأت على الإنسان لم يقدر على مكابرة نفسه على الفهم وغلبة قلبه على التصور؛ لأن القلب مع الإكراه أشد نفورا، وأبعد قبولا. وقد جاء الأثر بأن القلب إذا أكره عمي، ولكن يعمل في دفع ما طرأ عليه من هم مذهل أو فكر قاطع ليستجيب له القلب مطيعا. وقد قال الشاعر:

وليس بمغن في المودة شافع ... إذا لم يكن بين الضلوع شفيع

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٥٧

وقال بعض الحكماء: إن لهذه القلوب تنافر كتنافر الوحش فتألفوها بالاقتصاد في التعليم، والتوسط في التقديم؛ لتحسن طاعتها، ويدوم نشاطها. فهذا تعليل ما في المستمع من الأسباب المانعة من فهم المعاني.

وها هنا قسم رابع يمنع من معرفة الكلام وفهم معانيه. ولكنه قد يعرى من بعض الكلام، فلذلك لم يدخل في جملة أقسامه، ولم نستجز الإخلال بذكره؛ لأن من الكلام ما كان مسموعا لا يحتاج في فهمه إلى تأمل الخط به.
والمانع من فهمه هو على ما ذكرنا من أقسامه ومنه ما كان مستودعا بالخط، محفوظا بالكتابة، مأخوذا بالاستخراج، فكان الخط حافظا له ومعبرا عنه. وقد روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى: ﴿أو أثارة من علم﴾ [الأحقاف: ٤] قال: يعني الخط. وروي عن مجاهد". (١)

٧٨٩-"المداد أثرا جميلا، وعلى الفضل والتخصيص دليلا. حكي أن عبيد الله بن سليمان رأى على بعض ثيابه أثر صفرة فأخذ من مداد الدواة فطلاه به ثم قال: المداد بنا أحسن من الزعفران، وأنشد:
إنما الزعفران عطر العذارى ... ومداد الدوي عطر الرجال
فهذه جملة كافية في الإبانة على الأسباب المانعة من فهم الكلام ومعرفة معانيه لفظا كان أو خطا، والله ولي التوفيق.

فينبغي لطالب العلم أن يكشف عن الأسباب المانعة عن فهم المعنى ليسهل عليه الوصول إليه، ثم يكون من بعد ذلك سائسا لنفسه مدبرا لها في حال تعلمه. فإن للنفس نفورا يفضي إلى تقصير ووفورا يئول إلى سرف وقيادها عسر ولها أحوال ثلاث: فحال عدل وإنصاف، وحال غلو وإسراف، وحال تقصير وإجحاف.
فأما حال العدل والإنصاف فهي أن تختلف قوى النفس من جهتين متقابلتين: طاعة مسعدة وشفقة كافة. فطاعتها تمنع التقصير، وشفقتها ترد عن السرف والتبذير. وهذه أحمد الأحوال؛ لأن ما منع من التقصير نما، وما صد عن السرف مستديم. والنمو إذا استدام فأخلق به أن يستكمل.
وقال بعض الحكماء: إياك ومفارقة الاعتدال، فإن المسرف مثل المقصر في الخروج عن الحد.
وأما حال الغلو والإسراف فهي أن تختص النفس بقوى الطاعة وتقدم قوى الشفقة فيبعثها اختصاص الطاعة على إفراغ الجهد، ويفضي إفراغ الجهد إلى عجز الكلال، فيؤدي عجز الكلال إلى الترك والإهمال، فتصير الزيادة نقصانا، والربح خسرانا. وقد قالت الحكماء: طالب العلم وعامل البر كآكل الطعام إن أخذ منه قوتا عصمه، وإن أسرف فيه أبشمه.
وربما كان فيه منيته كأخذ الأدوية التي فيها شفاء ومجاوزة القصد فيها السم المميت، وأما حال التقصير والإجحاف فهي أن تختص النفس بقوى الشفقة وتعدم قوى الطاعة فيدعوها الإشفاق إلى المعصية، وتمنعها المعصية من الإجابة فلا تطلب شاردا، ولا تقبل عائدا، ولا تحفظ مستودعا.

---
(١) أدب الدنيا والدين ص/٥٩

ومن لم يطلب الشارد، ويقبل العائد، ويحفظ المستودع فقد الموجود، ولم يجد المفقود.

ومن فقد ما وجد فهو مصاب محزون، ومن لم يجد ما فقد فهو". (١)

٧٩٠-"خائب مغبون. وقد **قال بعض الحكماء**: العجز مع الواني، والفوت مع التواني. وقد يكون للنفس مع الأحوال الثلاث حالتان مشتركتان بغلبة إحدى القوتين، فيكون للنفس طاعة وإشفاق، وأحدهما أغلب من الآخر. فإن كانت الطاعة أغلب كانت إلى الوفور أميل، وإن كان الإشفاق أغلب كانت إلى التقصير أقرب.

فإذا عرف من نفسه قدر طاعتها، وخبر منها كنه إشفاقها راض نفسه لتثبت على أحد حالاتها.

وقد أشار إلى ما وصفنا من حال النفس الفرزدق في قوله:

لكل امرئ نفسان نفس كريمة ... وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى ... إذا قل من إحرازهن شفيعها

وإن أهمل سياستها، فأغفل رياضتها، ورام أن يأخذها بالعنف، ويقهرها بالعسف، استشاطت نافرة ولحت معاندة فلم تنقد إلى طاعة ولم تنكف عن معصية وقال سابق البربري:

إذا زجرت لجوجا زدته علقا ... ولجت النفس منه في تماديها

فعد عليه إذا ما نفسه جنحت ... باللين منك فإن اللين يثنيها

فإذا استصعب عليه قياد نفسه ودام منه نفور قلبه مع سياستها، ومعاناة رياضتها، تركها ترك راحة، ثم عاودها بعد الاستراحة، فإن إجابتها تسرع، وطاعتها ترجع. وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «إن القلب يموت ويحيي ولو بعد حين» .

وقال ابن مسعود: للقلوب شهوة وإقبال وفترة وإدبار فأتوها من قبل شهوتها ولا تأتوها من قبل فترتها.

وقال الشاعر:

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ... ولا القلب إلا أنه يتقلب

فأما الشروط التي يتوفر بها علم الطالب وينتهي معها كمال الراغب مع ما يلاحظ به من التوفيق ويمد به من المعونة فتسعة شروط: أحدها: العقل". (٢)

٧٩١-"الذي يدرك به حقائق الأمور. والثاني: الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم. والثالث: الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره وفهم ما علمه. والرابع: الشهوة التي يدوم بها الطلب ولا يسرع إليه الملل.

والخامس: الاكتفاء بمادة تغنيه عن كلف الطلب. والسادس: الفراغ الذي يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار. والسابع:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٦٥

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٦٦

عدم القواطع المذهلة من هموم، وأمراض. والثامن: طول العمر واتساع المدة؛ لينتهي بالاستكثار إلى مراتب الكمال. والتاسع: الظفر بعالم سمح بعلمه متأن في تعليمه.

فإذا استكمل هذه الشروط التسعة فهو أسعد طالب، وأنجح متعلم. وقد قال الإسكندر: يحتاج طالب العلم إلى أربع: مدة وجدة وقريحة وشهوة. وتمامها في الخامسة معلم ناصح.

[فصل في أدب المتعلم]

أدب المتعلم فصل: وسأذكر طرفا مما يتأدب به المتعلم ويكون عليه العالم. اعلم أن للمتعلم تملقا وتذللا فإن استعملهما غنم، وإن تركهما حرم؛ لأن التملق للعالم يظهر مكنون عمله، والتذلل له سبب لإدامة صبره. وبإظهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الإكثار. وقد روى معاذ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم» .

وقال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: ذللت طالبا فعززت مطلوبا. **وقال بعض الحكماء**: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا. وقال بعض حكماء الفرس؛ إذا قعدت، وأنت صغير حيث تحب قعدت، وأنت كبير حيث لا تحب. ثم ليعرف له فضل علمه وليشكر له جميل فعله فقد روت عائشة – رضي الله عنها – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «من وقر عالما فقد وقر ربه» . وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: لا يعرف فضل أهل العلم إلا أهل الفضل.

وقال بعض الشعراء:". (١)

٧٩٢-"وليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل، ولا يطلب الصيت وحسن الذكر باتباع أهل المنازل من العلماء إذا كان النفع بغيرهم أعم، إلا أن يستوي النفعان فيكون الأخذ عمن اشتهر ذكره وارتفع قدره أولى؛ لأن الانتساب إليه أجمل والأخذ عنه أشهر.

وقد قال الشاعر:

إذا أنت لم يشهرك علمك لم تجد ... لعلمك مخلوقا من الناس يقبله

وإن صانك العلم الذي قد حملته ... أتاك له من يجتنيه ويحمله

وإذا قرب منك العلم فلا تطلب ما بعد، وإذا سهل من وجه فلا تطلب ما صعب.

وإذا حمدت من خبرته فلا تطلب من لم تختبره، فإن العدول عن القريب إلى البعيد عناء، وترك الأسهل بالأصعب بلاء، والانتقال من المخبور إلى غيره خطر.

وقد قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: عقبى الأخرق مضرة، والمتعسف لا تدوم له مسرة. **وقال بعض الحكماء**:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٦٧

القصد أسهل من التعسف، والكف أودع من التكلف. وربما تتبع نفس الإنسان من بعد عنه استهانة بمن قرب منه، وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه، وانتقل إلى من لم يخبره مللا لمن خبره، فلا يدرك محبوبا ولا يظفر بطائل. وقد قالت العرب في أمثالها: العالم كالكعبة يأتيها البعداء، ويزهد فيها القرباء.

وأنشدني بعض شيوخنا لمسيح بن حاتم:

لا ترى عالما يحل بقوم ... فيحلوه غير دار الهوان

قل ما توجد السلامة ... والصحة مجموعتين في إنسان

فإذا حلتا مكانا سحيقا ... فهما في النفوس معشوقتان

هذه مكة المنيعة بيت الله ... يسعى لحجها الثقلان

ويرى أزهد البرية في الحج لها ... أهلها لقرب المكان". (١)

٧٩٣-"بالله تعالى مثل ما استعاذ فليس لمن تكلف ما لا يحسن غاية ينتهي إليها ولا حد يقف عنده. ومن كان تكلفه غير محدود فأخلق به أن يضل ويضل.

وقال بعض الحكماء: من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم فحسبك جهلا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم.

ولقد أحسن زرارة بن زيد حيث يقول:

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده ... أطال فأملى أو تناهى فأقصرا

ويخبرني عن غائب المرء فعله ... كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

فإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعلم سبيل فلا عار أن يجهل بعضه، وإذا لم يكن في جهل بعضه عار لم يقبح به أن يقول لا أعلم فيما ليس يعلم.

وروي «أن رجلا قال: يا رسول الله أي البقاع خير، وأي البقاع شر؟ فقال: لا أدري حتى أسأل جبريل» . وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: وما أبردها على القلب إذا سئل أحدكم فيما لا يعلم أن يقول الله أعلم، وإن العالم من عرف أن ما يعلم فيما لا يعلم قليل. وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله.

وقال بعض العلماء: هلك من ترك لا أدري. **وقال بعض الحكماء**: ليس لي من فضيلة العلم إلا علمي بأني لست أعلم.

وقال بعض البلغاء: من قال لا أدري علم فدرى، ومن انتحل مما لا يدري أهمل فهوى، ولا ينبغي للرجل وإن صار في طبقة العلماء الأفاضل أن يستنكف من تعلم ما ليس عنده ليسلم من التكلف.

وقد قال عيسى ابن مريم - على نبينا وعليه السلام -: يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت وعلم الجهال ما علمت.

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: خمس خذوهن عني فلو ركبتم الفلك ما وجدتموهن إلا عندي: ألا لا يرجون

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٧١

أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستنكف العالم أن يتعلم لما ليس عنده وإذا سئل أحدكم عما لا يعلم فليقل لا أعلم، ومنزلة الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

وقال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: لو كان أحدكم يكتفي من العلم لاكتفى منه موسى – على نبينا وعليه السلام – لما قال: ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت". (١)

٧٩٤-"رشدا﴾ [الكهف: ٦٦] وقيل للخليل بن أحمد: بم أدركت هذا العلم؟ قال: كنت إذا لقيت عالما أخذت منه، وأعطيته.

وقال بزرجمهر: من العلم أن لا تحتقر شيئا من العلم، ومن العلم تفضيل جميع العلم وقال المنصور لشريك: أنى لك هذا العلم؟ قال: لم أرغب عن قليل أستفيده، ولم أبخل بكثير أفيده.

على أن العلم يقتضي ما بقي منه ويستدعي ما تأخر عنه، وليس للراغب فيه قناعة ببعضه.

وروى عون بن عبد الله عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا. أما طالب العلم فإنه يزداد للرحمن رضى، ثم قرأ ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] . وأما طالب الدنيا فإنه يزداد طغيانا ثم قرأ: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ [العلق: ٦] ﴿أن رآه استغنى﴾ [العلق: ٧]

وليكن مستقلا للفضيلة منه ليزداد منها، ومستكثرا للنقيصة فيه لينتهي عنها، ولا يقنع من العلم بما أدرك؛ لأن القناعة فيه زهد، وللزهد فيه ترك، والترك له جهل.

وقد **قال بعض الحكماء**: عليك بالعلم والإكثار منه فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير، وكثيره أشبه شيء بكثيره، ولن يعيب الخير إلا القلة، فأما كثرته فإنها أمنية.

وقال بعض البلغاء: من فضل علمك استقلالك لعلمك، ومن كمال عقلك استظهارك على عقلك. ولا ينبغي أن يجهل من نفسه مبلغ علمها، ولا يتجاوز بها قدر حقها. ولأن يكون بها مقصرا فيذعن بالانقياد، أولى من أن يكون بها مجاوزا، فيكف عن الازدياد؛ لأن من جهل حال نفسه كان لغيرها أجهل.

وقد قالت عائشة – رضي الله عنها –: «يا رسول الله، متى يعرف الإنسان ربه؟ قال: إذا عرف نفسه» . وقد قسم الخليل بن أحمد أحوال الناس فيما علموه أو جهلوه أربعة أقسام متقابلة لا يخلو الإنسان منها فقال: الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ناس فذكروه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد". (٢)

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٧٤

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٧٥

٧٩٥-"الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ [آل عمران: ١٨٧] .

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لا تمنعوا العلم أهله فإن في ذلك فساد دينكم والتباس بصائركم، ثم قرأ: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ [البقرة: ١٥٩] » . وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من كتم علما يحسنه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» .

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم العهد أن يعلموا. **وقال بعض الحكماء**: إذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل فأحرى أن يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل. وقال بعض العلماء: كما أن الاستفادة نافلة للمتعلم، كذلك الإفادة فريضة على المعلم.

وقد قيل في منثور الحكم: من كتم علما فكأنه جاهل. وقال خالد بن صفوان: إني لأفرح بإفادتي المتعلم أكثر من فرحي باستفادتي من المعلم. ثم له بالتعليم نفعان: أحدهما ما يرجوه من ثواب الله تعالى.

فقد جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - التعليم صدقة فقال: «تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده، ورأي يسدده» . وروى ابن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «تعلموا وعلموا فإن أجر العالم والمتعلم سواء» . قيل: وما أجرهما؟ قال: مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة. والنفع الثاني: زيادة العلم وإتقان الحفظ.

فقد قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لعلمك، واجعل مناظرة المتعلم تنبيها على ما ليس عندك. وقال ابن المعتز في منثور الحكم: النار لا ينقصها ما أخذ منها، ولكن يخمدها أن لا". (١)

٧٩٦-"تجد حطبا. كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس، ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه. فإياك والبخل بما تعلم. وقال بعض العلماء: علم علمك وتعلم علم غيرك.

فإذا علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت، فاعلم أن المتعلمين ضربان: مستدعى وطالب. فأما المستدعى إلى العلم فهو من استدعاه العالم إلى التعليم لما ظهر له من جودة ذكائه، وبان له من قوة خاطره. فإذا وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم كانت نتيجتها درك النجباء، وظفر السعداء؛ لأن العالم باستدعائه متوفر، والمتعلم بشهوته مستكثر.

وأما طالب العلم لداع يدعوه، وباعث يحدوه، فإن كان الداعي دينيا، وكان المتعلم فطنا ذكيا، وجب على العالم أن يكون عليه مقبلا وعلى تعليمه متوفرا لا يخفي عليه مكنونا، ولا يطوي عنه مخزونا.

وإن كان بليدا بعيد الفطنة فينبغي أن لا يمنع من اليسير فيحرم، ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم. ولا يجعل بلادته ذريعة لحرمانه فإن الشهوة باعثة والصبر مؤثر.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لا تمنعوا العلم أهله فتظلموا، ولا تضعوه في غير أهله فتأثموا» .

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٧٩

وقال بعض الحكماء: لا تمنعوا العلم أحدا فإن العلم أمنع لجانبه. فأما إن لم يكن الداعي دينيا نظر فيه فإن كان مباحا، كرجل دعاه إلى طلب العلم حب النباهة وطلب الرئاسة فالقول فيه يقارب القول الأول في تعليم من قبل؛ لأن العلم يعطفه إلى الدين في ثاني حال، وإن لم يكن مبتدئا به في أول حال.

وقد حكي عن سفيان الثوري أنه قال: تعلمنا العلم لغير الله تعالى فأبى أن يكون إلا لله. وقال عبد الله بن المبارك: طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا. وإن كان الداعي محظورا، كرجل دعاه إلى طلب العلم شر كامن، ومكر باطن يريد أن يستعملهما في شبه دينية، وحيل فقهية، لا تجد أهل السلامة منها مخلصا، ولا عنها مدافعا". (١)

٧٩٧-"يتوسمهم وخفيت عليه أحوالهم ومبلغ استحقاقهم كانوا وإياه في عناء مكد وتعب غير مجد؛ لأنه لا يعدم أن يكون فيهم ذكي محتاج إلى الزيادة، وبليد يكتفي بالقليل فيضجر الذكي منه ويعجز البليد عنه ومن يردد أصحابه بين عجز وضجر ملوه وملهم.

وقد حكى عبد الله بن وهب أن سفيان بن عبد الله قال: قال الخضر لموسى - عليهما السلام -: يا طالب العلم إن القائل أقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم يا موسى، واعلم أن قلبك وعاء فانظر ما تحشو في وعائك.

وقال بعض الحكماء: خير العلماء من لا يقل ولا يمل.

وقال بعض العلماء: كل علم كثر على المستمع ولم يطاوعه الفهم ازداد القلب به عمى. وإنما ينفع سمع الآذان، إذا قوي فهم القلوب في الأبدان.

وربما كان لبعض السلاطين رغبة في العلم لفضيلة نفسه، وكرم طبعه فلا يجعل ذلك ذريعة في الانبساط عنده، والإدلال عليه، بل يعطى ما يستحقه بسلطانه وعلو يده.

فإن للسلطان حق الطاعة والإعظام، وللعالم حق القبول والإكرام. ثم لا ينبغي أن يبتدئه إلا بعد الاستدعاء، ولا يزيده على قدر الاكتفاء، فربما أحب بعض العلماء إظهار علمه للسلطان فأكثره فصار ذلك ذريعة إلى ملل ومفضيا إلى بعده، فإن السلطان متقسم الأفكار مستوعب الزمان، فليس له في العلم فراغ المنقطعين إليه ولا صبر المنفردين به.

وقد حكى الأصمعي - رحمه الله - قال: قال لي الرشيد: يا عبد الملك أنت أعلم منا ونحن أعقل منك لا تعلمنا في ملاء، ولا تسرع إلى تذكيرنا في خلاء، واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال فإذا بلغت من الجواب حد الاستحقاق فلا تزد إلا أن يستدعى ذلك منك، وانظر إلى ما هو ألطف في التأديب، وأنصف في التعليم، وبلغ بأوجز لفظ غاية التقويم. وليخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة لا مخرج التعليم والإفادة؛ لأن لتأخير التعلم خجلة تقصير يجل السلطان عنها، فإن ظهر منه خطأ أو زلل في قول أو عمل لم يجاهره بالرد وعرض باستدراك زلله، وإصلاح خلله.

وحكي أن عبد الملك بن مروان قال للشعبي: كم عطاؤك؟ قال: ألفين. قال: لحنت. قال لما ترك أمير المؤمنين الإعراب

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٨٠

كرهت أن أعرب كلامي عليه.". [(١)]

٧٩٨-"بأعلى صوته: يا معشر الأغنياء لكم أقول: استكثروا من الحسنات فإن ذنوبكم كثيرة، ويا معشر الفقراء لكم أقول: أقلوا من الذنوب فإن حسناتكم قليلة.

فينبغي - أحسن الله إليك بالتوفيق - أن لا تضيع صحة جسمك وفراغ وقتك بالتقصير في طاعة ربك، والثقة بسالف عملك. فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك، فليس كل الزمان مستسعدا ولا ما فات مستدركا، وللفراغ زيغ أو ندم، وللخلوة ميل أو أسف.

وقال عمر بن الخطاب: الراحة للرجال غفلة وللنساء غلمة. وقال بزرجمهر: إن يكن الشغل مجهدة، فالفراغ مفسدة. **وقال بعض الحكماء**: إياكم والخلوات فإنها تفسد العقول، وتعقد المحلول. وقال بعض البلغاء: لا تمض يومك في غير منفعة، ولا تضع مالك في غير صنعة. فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع، والمال أقل من أن يصرف في غير الصنائع. والعاقل أجل من أن يفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره، وينفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره. وأبلغ من ذلك قول عيسى ابن مريم - على نبينا وعليه السلام -: البر ثلاثة: المنطق والنظر والصمت. فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها.

واعلم أن للإنسان فيما كلف من عباداته ثلاث أحوال:

إحداها أن يستوفيها من غير تقصير فيها ولا زيادة عليها.

والثانية: أن يقصر فيها. والثالثة: أن يزيد عليها. فأما الحال الأولى: فهي أن يأتي بها على حال الكمال من غير زيادة فيها، ولا زيادة تطوع على راتبتها. فهي أوسط الأحوال وأعدلها؛ لأنه لم يكن منه تقصير فيذم، ولا تكثير فيعجز. وقد روى سعيد بن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «سددوا وقاربوا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» .

وقال الشاعر:". [(٢)]

٧٩٩-"والحال الثالثة: أن يكون تقصيره فيه ليستوفي ما أخل به من بعد فيبدأ بالسيئة في التقصير قبل الحسنة في الاستيفاء اغترارا بالأمل في إمهاله، ورجاء لتلافي ما أسلف من تقصيره وإخلاله، فلا ينتهي به الأمل إلى غاية، ولا يفضي به إلى نهاية؛ لأن الأمل هو في ثاني حال، كهو في أول حال. فقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من يؤمل أن يعيش غدا، فإنه يؤمل أن يعيش أبدا» .

ولعمري إن هذا صحيح؛ لأن لكل يوم غدا. فإذا يفضي به الأمل إلى الفوت من غير درك، ويؤديه الرجاء إلى الإهمال من

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٨٢

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٠٠

غير تلاف، فيصير الأمل خيبة والرجاء إياسا. وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «أول صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين، وفسادها بالبخل والأمل» .

وقال الحسن البصري – رحمه الله –: ما أطال عبد الأمل، إلا أساء العمل. وقال رجل لبعض الزهاد بالبصرة: ألك حاجة ببغداد؟ قال: ما أحب أن أبسط أملي إلى أن تذهب إلى بغداد وتجيء. **وقال بعض الحكماء**: الجاهل يعتمد على أمله، والعاقل يعتمد على عمله. وقال بعض البلغاء: الأمل كالسراب غر من رآه، وخاب من رجاه. وقال محمد بن يزدان: دخلت على المأمون وكنت يومئذ وزيره فرأيته قائما وبيده رقعة فقال: يا محمد أقرأت ما فيها؟ فقلت: هي في يد أمير المؤمنين. فرمى بها إلي فإذا فيها مكتوب:

إنك في دار لها مدة ... يقبل فيها عمل العامل

أما ترى الموت محيطا بها ... قطع فيها أمل الآمل

تعجل بالذنب لما تشتهي ... وتأمل التوبة من قابل

والموت يأتي بعد ذا بغتة ... ما ذاك فعل الحازم العاقل

فلما قرأتها قال المأمون – رحمه الله تعالى –: هذا من أحكم شعر قرأته. وقال أبو حازم الأعرج: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت. وقال بعض البلغاء: زائد الإمهال رائد الإهمال.

والحال الرابعة: أن يكون تقصيره فيه استثقالا للاستيفاء، وزهدا في". (١)

٨٠٠-"التمام، واقتصارا على ما سنح، وقلة اكتراث فيما بقي. فهذا على ثلاثة أضرب: أحدها: أن يكون ما أخل به وقصر فيه غير قادح في فرض، ولا مانع من عبادة، كمن اقتصر في العبادة على فعل واجباتها، وعمل مفترضاتها، وأخل بمسنوناتها وهيئاتها. فهذا مسيء فيما ترك إساءة من لا يستحق وعيدا ولا يستوجب عتابا؛ لأن أداء الواجب يسقط عنه العقاب، وإخلاله بالمسنون يمنع من إكمال الثواب. وقد **قال بعض الحكماء**: من تهاون بالدين هان، ومن غالب الحق لان. وقال الشاعر:

ويصون توبته ويترك ... غير ذلك لا يصونه

وأحق ما صان الفتى ... ورعى أمانته ودينه

والضرب الثاني: أن يكون ما أخل به من مفروض عبادته، لكن لا يقدح ترك ما بقي فيما مضى كمن أكمل عبادات وأخل بغيرها. فهذا أسوأ حالا ممن تقدمه لما استحقه من الوعيد واستوجبه من العقاب.

والضرب الثالث: أن يكون ما أخل به من مفروض عبادته وهو قادح فيما عمل منها كالعبادة التي يرتبط بعضها ببعض، فيكون المقصر في بعضها تاركا لجميعها فلا يحتسب له ما عمل لإخلاله بما بقي. فهذا أسوأ أحوال المقصرين وحاله لاحقة بأحوال التاركين، بل قد تكلف ما لا يسقط فرضا ولا يؤدي حقا.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٠٢

فقد ساوى التاركين في استحقاق الوعيد، وزاد عليهم في تكلف ما لا يفيد. فصار من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ثم لعله لا يفطن لشأنه، ولا يشعر بخسرانه، وقد خسر الدنيا والآخرة، ويفطن لليسير من ماله إن وهى واختل. وأنشدني بعض أهل العلم:

أبني إن من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل مصيبة في ماله ... وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأما الحال الثالثة: وهو أن يزيد فيما كلف. فهذا على ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون الزيادة رياء للناظرين، وتصنعا للمخلوقين، حتى". (١)

٨٠١-"فالحالة الأولى: أن تصرف حب الدنيا عن قلبك فإنها تلهيك عن آخرتك، ولا تجعل سعيك لها فتمنعك حظك منها، وتوق الركون إليها، ولا تكن آمنا لها. فقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: من أشرب قلبه حب الدنيا وركن إليها التاط منها بشغل لا يفرغ عناه، وأمل لا يبلغ منتهاه، وحرص لا يدرك مداه.

وقال عيسى ابن مريم - على نبينا وعليه السلام -: الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها له حراث وقال علي بن أبي طالب: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها، فأعرض عما أعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها، وكن أحذر ما تكون لها وأنت آنس ما تكون بها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنها مكروه، وإن سكن منها إلى إيناس أزاله عنها إيحاش وقال بعض البلغاء: الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تبقى لصاحب، ولا تخلو من فتنة، ولا تخلي محنة، فأعرض عنها قبل أن تعرض عنك، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك، فإن نعيمها يتنقل، وأحوالها تتبدل، ولذاتها تفنى، وتبعاتها تبقى. **وقال بعض الحكماء**: انظر إلى الدنيا نظر الزاهد المفارق لها، ولا تتأملها تأمل العاشق الوامق بها.

وقال بعض الشعراء:

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم ... وما خير عيش لا يكون بدائم

تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة ... فأفنيتها هل أنت إلا كحالم

فكم غافل عنه وليس بغافل ... وكم نائم عنه وليس بنائم

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من هوان الدنيا على الله ألا يعصى إلا فيها، ولا ينال ما عنده إلا بتركها» . وروى سفيان أن الخضر قال لموسى - عليهما السلام -: يا موسى أعرض عن الدنيا وانبذها وراءك فإنها ليست لك بدار، ولا فيها محل قرار، وإنما جعلت الدنيا للعباد؛ ليتزودوا منها للمعاد. وقال عيسى ابن مريم - عليه السلام -: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. وقال علي كرم الله وجهه يصف الدنيا: أولها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب،

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٠٣

وحرامها عقاب، من صح فيها". (١)

٨٠٢-"أمن ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها أتته، ومن نظر إليها أعمته، ومن نظر بها بصرته.

وقال بعض البلغاء: إن الدنيا تقبل إقبال الطالب، وتدبر إدبار الهارب، وتصل وصال الملول، وتفارق فراق العجول، فخيرها يسير، وعيشها قصير، وإقبالها خديعة، وإدبارها فجيعة، ولذاتها فانية، وتبعاتها باقية، فاغتنم غفوة الزمان، وانتهز فرصة الإمكان، وخذ من نفسك لنفسك، وتزود من يومك لغدك.

وقال وهب بن منبه: مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى. وقال عبد الحميد: الدنيا منازل، فراحل ونازل. **وقال بعض الحكماء**: الدنيا إما نقمة نازلة، وإما نعمة زائلة. وقيل في منثور الحكم: من الدنيا على الدنيا دليل. وقال الشاعر:

تمتع من الأيام إن كنت حازما ... فإنك منها بين ناه وآمر

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر

فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة ... ولا وزن ذر من جناح لطائر

فما رضي الدنيا ثوابا لمؤمن ... ولا رضي الدنيا جزاء لكافر

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الدنيا يومان: يوم فرح ويوم هم، وكلاهما زائل عنك فدعوا ما يزول، وأتعبوا نفوسكم في العمل لما لا يزول» . وقال عيسى ابن مريم - عليه السلام -: لا تنازعوا أهل الدنيا في دنياهم فينازعوكم في دينكم، فلا دنياهم أصبتم، ولا دينكم أبقيتم.

وقال علي بن أبي طالب: لا تكن ممن يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، فإن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع. يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهى الناس ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي. يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويبغض الطالحين وهو منهم. وقال الحسن البصري: الدنيا كلها غم فما كان منها من سرور فهو ربح.

وقال بعض العلماء: إن الدنيا كثيرة التغيير، سريعة التنكير، شديدة المكر، دائمة الغدر، فاقطع أسباب الهوى عن". (٢)

٨٠٣-"قلبك، واجعل أبعد أملك بقية يومك، وكن كأنك ترى ثواب أعمالك **وقال بعض الحكماء**: الدنيا إما مصيبة موجعة، وإما منية مفجعة، وقال الشاعر:

خل دنياك إنها ... يعقب الخير شرها

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٠٩

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١١٠

هي أم تعق من ... نسلها من يبرها

كل نفس فإنها ... تبتغي ما يسرها

والمنايا تسوقها ... والأماني تغرها

فإذا استحلت الجنى ... أعقب الحلو مرها

يستوي في ضريحه ... عبد أرض وحرها

فإذا رضت نفسك من هذه الحالة بما وصفت اعتضت منها بثلاث خلال:

إحداهن: أن تكفي إشفاق المحب وحذر الوامق فليس لمشفق ثقة، ولا لحاذر راحة.

والثانية: أن تأمن الاغترار بملاهيها فتسلم من عادية دواهيها، فإن اللاهي بها مغرور، والمغرور فيها مذعور.

والثالثة: أن تستريح من تعب السعي لها، ووصب الكد فيها، فإن من أحب شيئا طلبه، ومن طلب شيئا كد له، والمكدود فيها شقي إن ظفر ومحروم إن خاب.

وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال لكعب: «يا كعب، الناس غاديان: فغاد بنفسه فمعتقها، وموبق نفسه فموثقها» . وقال عيسى ابن مريم – عليهما السلام –: تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل.

وقال بعض البلغاء: من نكد الدنيا أن لا تبقى على حالة، ولا تخلو من استحالة، تصلح جانبا بإفساد جانب، وتسر صاحبا بمساءة صاحب، فالركون إليها خطر، والثقة بها غرر.

وقال بعض الحكماء: الدنيا مرتجعة الهبة والدهر حسود لا يأتي على شيء إلا غيره ولمن عاش حاجة لا تنقضي. ولما بلغ مزدك من الدنيا أفضل ما سمت إليه نفسه نبذها وقال: هذا سرور، لولا أنه". (١)

٨٠٤-"غرور، ونعيم، لولا أنه عديم، وملك، لولا أنه هلك، وغناء، لولا أنه فناء، وجسيم، لولا أنه ذميم، ومحمود، لولا أنه مفقود، وغنى، لولا أنه منى، وارتفاع، لولا أنه اتضاع، وعلاء، لولا أنه بلاء، وحسن، لولا أنه حزن، وهو يوم لو وثق له بغد.

وقال بعض الحكماء: قد ملك الدنيا غير واحد، من راغب وزاهد، فلا الراغب فيها استبقت، ولا عن الزاهد فيها كفت.

وقال أبو العتاهية:

هي الدار دار الأذى والقذى ... ودار الفناء ودار الغير

فلو نلتها بحذافيرها ... لمت ولم تقض منها الوطر

أيا من يؤمل طول الخلود ... وطول الخلود عليه ضرر

إذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير في العيش بعد الكبر

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١١١

وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع. هل يتوقع أحدكم إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا، أو مرضا مفسدا أو هرما مقيدا، أو الدجال فهو شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر» .

وحكي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ابن مريم – عليه السلام – أن هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع، فإني قريب. وقال عيسى ابن مريم – عليه السلام – أوحى الله إلى الدنيا: من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه. وقال بعض البلغاء: زد من طول أملك في قصير عملك، فإن الدنيا ظل الغمام، وحلم النيام، فمن عرفها ثم طلبها فقد أخطأ الطريق، وحرم التوفيق.

وقال بعض الحكماء: لا يؤمننك إقبال الدنيا عليك من إدبارها عنك، ولا دولة لك من إذالة منك. وقال آخر: ما مضى من الدنيا كما لم يكن، وما بقي منها كما قد مضى. وقيل لزاهد: قد خلعت الدنيا فكيف سخت نفسك عنها؟ فقال: أيقنت أني أخرج منها كارها، فرأيت أن أخرج منها طائعا. وقيل لحرقة بنت النعمان: ما لك تبكين؟ فقالت: رأيت لأهلي غضارة، ولن تمتلئ دار فرحا، إلا امتلأت ترحا. وقال ابن السماك: من جرعته الدنيا حلاوتها". [١]

٨٠٥-"شيئا يقعدون عليه فقال: لو كانت الدنيا دار مقام لاتخذنا لها أثاثا.

وقيل لبعض الزهاد: ألا توصي؟ قال: بماذا أوصي والله ما لنا شيء، ولا لنا عند أحد شيء، ولا لأحد عندنا شيء. انظر إلى هذه الراحة كيف تعجلها وإلى السلامة كيف صار إليها. ولذلك قيل: الفقر ملك ليس فيه محاسبة.

وقيل لعيسى ابن مريم – عليهما السلام –: ألا تتزوج؟ فقال: إنما نحب التكاثر في دار البقاء. وقيل: لو دعوت الله تعالى أن يرزقك حمارا؟ فقال: أنا أكرم على الله من أن يجعلني خادم حمار. وقيل لأبي حازم – رضي الله عنه –: ما مالك؟ قال: شيئان: الرضى عن الله، والغنى عن الناس. وقيل له: إنك لمسكين. فقال: كيف أكون مسكينا ومولاي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

وقال بعض الحكماء: رب مغبوط بمسرة هي داؤه، ومرحوم من سقم هو شفاؤه. وقال بعض الأدباء: الناس أشتات ولكل جمع شتات. وقال بعض البلغاء: الزهد بصحة اليقين، وصحة اليقين بنور الدين، فمن صح يقينه زهد في الثراء، ومن قوي دينه أيقن بالجزاء، فلا تغرنك صحة نفسك، وسلامة أمسك، فمدة العمر قليلة، وصحة النفس مستحيلة. وقال بعض الشعراء:

رب مغروس يعاش به ... عدمته عين مغترسه

وكذاك الدهر مأتمه ... أقرب الأشياء من عرسه

فإذا رضت نفسك من هذه الحال بما وصفت اعتضت منها ثلاث خلال: إحداهن: نصح نفسك وقد استسلمت إليك، والنظر لها وقد اعتمدت عليك، فإن غاش نفسه مغبون، والمنحرف عنها مأفون.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١١٢

والثانية: الزهد فيما ليس لك لتكفى تكلف طلبه وتسلم من تبعات كسبه. والثالثة: انتهاز الفرصة في مالك أن تضعه في حقه، وأن تؤتيه لمستحقه، ليكون لك ذخرا، ولا يكون عليك وزرا. فقد روي «أن رجلا قال: يا رسول الله إني أكره الموت. قال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: قدم مالك فإن قلب المؤمن عند ماله» . وقالت عائشة – رضي الله عنها –: «ذبحنا شاة فتصدقنا بها. فقلت: يا رسول الله ما بقي إلا كتفها. قال: كلها بقي إلا كتفها» .". (١)

٨٠٦-"ذلك رغيفان وكوزان وطمران.

وقال مورق العجلي: يا ابن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن، وينقص عمرك وأنت لا تحزن، تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك. وقال أبو حازم: إنما بيننا وبين الملوك يوم واحد. أما أمس فقد مضى فلا يجدون لذته. وإنا وهم من غد على وجل، وإنما هو اليوم فما عسى أن يكون.

وقال بعض السلف: تعز عن الشيء إذا منعته لقلة ما يصحبك إذا أعطيته. **وقال بعض الحكماء**: من ترك نصيبه من الدنيا استوفى حظه من الآخرة. وقال آخر: ترك التلبس بالدنيا قبل التشبث بها أهون من رفضها بعد ملابستها. وقال آخر: ليكن طلبك للدنيا اضطرارا، وتذكرك في الأمور اعتبارا، وسعيك لمعادك ابتدارا.

وقال آخر: الزاهد لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود. وقال آخر: من آمن بالآخرة لم يحرص على الدنيا، ومن أيقن بالمجازاة لم يؤثر على الحسنى. وقال آخر: من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر. وقال أبو العتاهية:

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... عذابا كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما أنت محتاج إليه

وحكى الأصمعي – رحمه الله – قال: دخلت على الرشيد – رحمة الله عليه – يوما وهو ينظر في كتاب ودموعه تسيل على خده. فلما أبصرني قال: أرأيت ما كان مني؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: أما إنه لو كان لأمر الدنيا ما كان هذا. ثم رمى إلي بالقرطاس فإذا فيه شعر أبي العتاهية – رحمه الله تعالى –:

هل أنت معتبر بمن خربت ... منه غداة قضى دساكره

وبمن أذل الدهر مصرعه ... فتبرأت منه عساكره

وبمن خلت منه أسرته ... وتعطلت منه منابره

أين الملوك وأين عزهم ... صاروا مصيرا أنت صائره

يا مؤثر الدنيا للذته ... والمستعد لمن يفاخره". (٢)

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١١٤

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١١٦

٨٠٧-"نل ما بدا لك أن تنال من الد ... نيا فإن الموت آخره

فقال الرشيد - رحمة الله عليه -: والله لكأني أخاطب بهذا الشعر دون الناس، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى مات - رحمه الله -.

ثم الحالة الثالثة: من أحوال رياضتك لها أن تكشف لنفسك حال أجلك، وتصرفها عن غرور أملك حتى لا يطيل لك الأمل أجلا قصيرا، ولا ينسيك موتا ولا نشورا. وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في بعض خطبه: «أيها الناس إن الأيام تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان كتراكض البريد، يقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد، وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات، ورغب في الباقيات الصالحات» .

وقال مسعر كم من مستقبل يوما وليس يستكمله، ومنتظر غدا وليس من أجله. ولو رأيتم الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره. وقال رجل من الأنصار للنبي - صلى الله عليه وسلم -: «من أكيس الناس؟ قال: أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له. أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة» .

وقال عيسى ابن مريم - عليه السلام -: كما تنامون كذلك تموتون، وكما تستيقظون كذلك تبعثون. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أيها الناس اتقوا الله الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم. وقال العلاء بن المسيب: ليس قبل الموت شيء إلا والموت أشد منه، وليس بعد الموت شيء إلا الموت أيسر منه.

وقال بعض الحكماء: إن للباقي بالماضي معتبرا، وللآخر بالأول مزدجرا، والسعيد لا يركن إلى الخدع، ولا يغتر بالطمع. وقال بعض الصلحاء: إن بقاءك إلى فناء، وفناءك إلى بقاء، فخذ من فنائك الذي لا يبقى؛ لبقائك الذي لا يفنى. وقال بعض العلماء: أي عيش يطيب، وليس للموت طبيب.

وقال بعض البلغاء: كل امرئ يجري من عمره إلى غاية تنتهي إليها مدة أجله، وتنطوي عليها صحيفة عمله، فخذ من نفسك لنفسك، وقس يومك بأمسك، وكف عن سيئاتك، وزد في حسناتك قبل أن تستوفي مدة الأجل". (١)

٨٠٨-"وتقصر عن الزيادة في السعي والعمل.

وقيل في منثور الحكم: من لم يتعرض للنوائب تعرضت له. وقال أبو العتاهية:

ما للمقابر لا تجيب ... إذا دعاهن الكئيب

حفر مسقفة عليهن ... الجنادل والكثيب

فيهن ولدان وأطفال ... وشبان وشيب

كم من حبيب لم تكن ... نفسي بفرقته تطيب

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١١٧

غادرته في بعضهن ... مجندلا وهو الحبيب

وسلوت عنه وإنما ... عهدي برؤيته قريب

ووعظ النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلا فقال: «أقلل من الدنيا تعش حرا، وأقلل من الذنوب يهن عليك الموت، وانظر حيث تضع ولدك فإن العرق دساس» .

وقال الرشيد لابن السماك – رحمهما الله تعالى –: عظني وأوجز. فقال: اعلم أنك أول خليفة يموت. وعزى أعرابي رجلا عن ابن صغير له فقال: الحمد لله الذي نجاه مما ههنا من الكدر، وخلصه مما بين يديه من الخطر. وقال بعض السلف: من عمل للآخرة أحرزها والدنيا، ومن آثر الدنيا حرمها والآخرة. وقال بعض الصلحاء: استغنم تنفس الأجل، وإمكان العمل، واقطع ذكر المعاذير والعلل، فإنك في أجل محدود، ونفس معدوم، وعمر غير ممدود.

وقال بعض الحكماء: الطبيب معذور، إذا لم يقدر على دفع المحذور. وقال بعض البلغاء: اعمل عمل المرتحل فإن حادي الموت يحدوك، ليوم ليس يعدوك. وروي عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال: بعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

غر جهولا أمله ... يموت من جا أجله

ومن دنا من حتفه ... لم تغن عنه حيله

وما بقاء آخر ... قد غاب عنه أوله

والمرء لا يصحبه ... في القبر إلا عمله". (١)

٨٠٩–"قد أردت ذلك فذكرت عادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وعلمت أنه كان فيهم الداء والمداوي فهلكوا جميعا.

وسأل أنوشروان: متى يكون عيش الدنيا ألذ؟ قال: إذا كان الذي ينبغي أن يعمله في حياته معمولا. **وقال بعض الحكماء**: من ذكر المنية نسي الأمنية. وقال بعض الأدباء: عن الموت تسل، وهو كريشة تسل، وقال بعض البلغاء: الأمل حجاب الأجل. وأنشد بعض أهل الأدب ما ذكر أنه لعلي – رضي الله عنه –:

ولو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونسأل بعد ذا عن كل شي

وقال بعض الشعراء:

ألا إنما الدنيا مقيل لراكب ... قضى وطرا من منزل ثم هجرا

وراح ولا يدري علام قدومه ... ألا كل ما قدمت تلقى موفرا

وروى سعيد بن مسعود – رضي الله عنه – أن أبا الدرداء – رضي الله عنه – قال: «يا رسول الله أوصني. فقال – صلى

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١١٨

الله عليه وسلم -: اكسب طيبا، واعمل صالحا، واسأل الله تعالى رزق يوم بيوم، واعدد نفسك من الموتى» . وكتب الربيع بن خيثم إلى أخ له: قدم جهازك، وافرغ من زادك، وكن وصي نفسك والسلام.

وقال بعض السلف: أصاب الدنيا من حذرها، وأصابت الدنيا من أمنها. ومر محمد بن واسع - رحمة الله عليه - بقوم فقيل: هؤلاء زهاد. فقال: ما قدر الدنيا حتى يحمد من زهد فيها. **وقال بعض الحكماء**: السعيد من اعتبر بأمسه، واستظهر لنفسه، والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه. وقال بعض البلغاء: لا تبت عن غير وصية إن كنت من جسمك في صحة، ومن عمرك في فسحة، فإن الدهر خائن، وكل ما هو كائن كائن.

وقال بعض الشعراء:

من كان يعلم أن الموت مدركه ... والقبر مسكنه والبعث مخرجه

وأنه بين جنات ستبهجه ... يوم القيامة أو نار ستنضجه". [١]

٨١٠-"فكل شيء سوى التقوى به سمج ... وما أقام عليه منه أسمجه

ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا ... لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

وروى جعفر بن محمد عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، أنه قال في بعض خطبه: «أيها الناس إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن المؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. فليتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الحياة قبل الموت، فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة. فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار، إلا الجنة أو النار» . وقال الحسن البصري - رحمة الله عليه -: أمس أجل، واليوم عمل، وغدا أمل. فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى فنظمه شعرا:

ليس فيما مضى ولا في الذي ... يأتيك من لذة لمستحليها

إنما أنت طول عمرك ما ... عمرت في الساعة التي أنت فيها

علل النفس بالكفاف وإلا ... طلبت منك فوق ما يكفيها

وقيل لزاهد: ما لك تمشي على العصا ولست بكبير ولا مريض؟ فقال: إني أعلم أني مسافر وأنها دار بلغة وإن العصا من آلة السفر. فأخذه بعض الشعراء فقال:

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها ... علي ولا أني تحنيت من كبر

ولكنني ألزمت نفسي حملها ... لأعلمها أني مقيم على سفر

وقال بعض المتصوفة: الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة.

وقال ذو القرنين - رضي الله عنه -: رتعنا في الدنيا جاهلين، وعشنا فيها غافلين، وأخرجنا منها كارهين. وقال عبد الحميد:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٢٠

المرء أسير عمر يسير. وقيل في بعض المواعظ: عجبا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي، وعجبا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل.

وقال بعض الحكماء: المسيء". [(١)]

٨١١-"فقال: ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون. إن الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا، وأملوا بعيدا، وجمعوا كثيرا فأصبح أملهم غرورا، وجمعهم ثبورا، ومساكنهم قبورا.

وقال أبو حازم: إن الدنيا غرت أقواما فعملوا فيها بغير الحق فعاجلهم الموت فخلفوا مالهم لمن لا يحمدهم وصاروا لمن لا يعذرهم، وقد خلقنا بعدهم فينبغي أن ننظر للذي كرهناه منهم فنجتنبه، والذي غبطناهم به فنستعمله. ومر بعض الزهاد بباب ملك فقال: باب جديد، وموت عتيد، وسفر بعيد. ومر بعض الزهاد برجل قد اجتمع عليه الناس فقال: ما هذا؟ قالوا: مسكين سرق منه رجل جبة. ومر به آخر فأعطاه جبة، فقال: صدق الله ﴿إن سعيكم لشتى﴾ [الليل: ٤] .

وقال بعض الحكماء: ما أنصف من نفسه من أيقن بالحشر والحساب، وزهد في الأجر والثواب.

وقال آخر: بطول الأمل تقسو القلوب، وبإخلاص النية تقل الذنوب. وقال آخر: إياك والمنى فإنها من بضائع النوكى، وتثبط عن الآخرة والأولى. وقال آخر: قصر أملك فإن العمر قصير، وأحسن سيرتك فالبر يسير. وقال عبد الله بن المعتز - رحمه الله -:

نسير إلى الآجال في كل ساعة ... وأيامنا تطوى وهن رواحل

ولم نر مثل الموت حقا كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الرأس نازل

ترحل عن الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام تعد قلائل

وكان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذين البيتين:

فاعمل على مهل فإنك ميت ... واكدح لنفسك أيها الإنسان

فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى ... وكأن ما هو كائن قد كان

ونظر سليمان بن عبد الملك في المرآة فقال: أنا الملك الشاب. فقالت له جارية له:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان". [(٢)]

٨١٢-"فلربما انقلب الشمات ... فحل بالقوم الشمت

ووجد على قبر مكتوب: قهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة. وعلى آخر: من أمل البقاء وقد رأى مصارعنا فهو مغرور.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٢١

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٢٣

وقيل في منثور الحكم: ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه. **وقال بعض الحكماء**: من لم يمت لم يفت. وقال بعض الصلحاء: لنا من كل ميت عظة بحاله، وعبرة بماله. وقال بعض العلماء: من لم يتعظ بموت ولد، لم يتعظ بقول أحد. وقال بعض البلغاء: ما نقصت ساعة من أمسك، إلا ببضعة من نفسك. فأخذه أبو العتاهية فقال:

إن مع الدهر فاعلمن غدا ... فانظر بما ينقضي مجيء غده

ما ارتد طرف امرئ بلذته ... إلا وشيء يموت من جسده

ولما مات الإسكندر **قال بعض الحكماء**: كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس. فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال:

كفى حزنا بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك عن يديا

وكانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال بعض الحكماء: لو كان للخطايا ريح لافتضح الناس ولم يتجالسوا. فأخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال:

أحسن الله بنا ... أن الخطايا لا تفوح

فإذا المستور منا ... بين ثوبيه فضوح

وهذا جميعه مأخوذ من قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لو تكاشفتم ما تدافنتم» . وكتب رجل إلى أبي العتاهية - رحمه الله -:

يا أبا إسحاق إني ... واثق منك بودك

فأعني بأبي أنت ... على عيبي برشدك

فأجابه بقوله:

أطع الله بجهدك ... راغبا أو دون جهدك". (١)

٨١٣-"أعط مولاك الذي ... تطلب من طاعة عبدك

وقال بعض الحكماء: من سره بنوه ساءته نفسه. فأخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال:

ابن ذي الابن كلما زاد منه ... مشرع زاد في فناء أبيه

ما بقاء الأب الملح عليه ... بدبيب البلى شباب بنيه

وفي معناه ما حكي عن زر بن حبيش أنه عاش مائة وعشرين سنة، فلما حضرته الوفاة أنشد يقول:

إذا الرجال ولدت أولادها ... وارتعشت من كبر أجسادها

وجعلت أسقامها تعتادها ... تلك زروع قد دنا حصادها

وكتب رجل إلى صالح بن عبد القدوس:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٢٥

الموت باب وكل الناس داخله ... فليت شعري بعد الباب ما الدار

فأجابه بقوله:

الدار جنات عدن إن عملت بما ... يرضي الإله وإن خالفت فالنار

هما محلان ما للناس غيرهما ... فانظر لنفسك ماذا أنت مختار". (١)

٨١٤-"اعلم أن الله تعالى لنافذ قدرته وبالغ حكمته، خلق الخلق بتدبيره وفطرهم بتقديره، فكان من لطيف ما دبره وبديع ما قدره، أنه خلقهم محتاجين وفطرهم عاجزين، ليكون بالغنى منفردا وبالقدرة مختصا حتى يشعرنا بقدرته أنه خالق، ويعلمنا بغناه أنه رازق، فنذعن بطاعته رغبة ورهبة ونقر بنقائصنا عجزا وحاجة. ثم جعل الإنسان أكثر حاجة من جميع الحيوان؛ لأن من الحيوان ما يستقل بنفسه عن جنسه، والإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه. واستعانته صفة لازمة لطبعه، وخلقة قائمة في جوهره. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [النساء: ٢٨] . يعني عن الصبر عما هو إليه مفتقر واحتمال ما هو عنه عاجز.

ولما كان الإنسان أكثر حاجة من جميع الحيوان كان أظهر عجزا؛ لأن الحاجة إلى الشيء افتقار إليه، والمفتقر إلى الشيء عاجز به. **وقال بعض الحكماء** المتقدمين: استغناؤك عن الشيء خير من استغنائك به. وإنما خص الله تعالى الإنسان بكثرة الحاجة وظهور العجز نعمة عليه ولطفا به؛ ليكون ذل الحاجة ومهانة العجز يمنعانه من طغيان الغنى وبغي القدرة؛ لأن الطغيان مركوز في طبعه إذا استغنى، والبغي مستول عليه إذا قدر.

وقد أنبأ الله تعالى بذلك عنه فقال: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ [العلق: ٦] ﴿أن رآه استغنى﴾ [العلق: ٧] . ثم ليكون أقوى الأمور". (٢)

٨١٥-"الآخرة دار قرار وجزاء، فلزم لذلك أن يصرف الإنسان إلى دنياه حظا من عنايته؛ لأنه لا غنى به عن التزود منها لآخرته، ولا له بد من سد الخلة فيها عند حاجته. وليس في هذا القول نقض لما ذكرنا قبل من ترك فضولها، وزجر النفس عن الرغبة فيها. بل الراغب فيها ملوم، وطالب فضولها مذموم. والرغبة إنما تختص بما جاوز قدر الحاجة، والفضول إنما ينطلق على ما زاد على قدر الكفاية.

وقد قال الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ [الشرح: ٧] ﴿وإلى ربك فارغب﴾ [الشرح: ٨] . قال أهل التأويل: فإذا فرغت من أمور دنياك فانصب في عبادة ربك. وليس هذا القول منه ترغيبا لنبيه - صلى الله عليه وسلم - فيها، ولكن ندبه إلى أخذ البلغة منها. وعلى هذا المعنى قال - صلى الله عليه وسلم -: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه» . وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٢٦

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٢٩

أنه قال: «نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة» . وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه – فقال – رضي الله عنه –: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها. وحكى مقاتل أن إبراهيم الخليل – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – قال: يا رب حتى متى أتردد في طلب الدنيا؟ فقيل له: أمسك عن هذا فليس طلب المعاش من طلب الدنيا.

وقال سفيان الثوري – رحمة الله عليه –: مكتوب في التوراة: إذا كان في البيت بر فتعبد وإذا لم يكن فاطلب، يا ابن آدم حرك يدك يسبب لك رزقك. **وقال بعض الحكماء**: ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون العرض فيها. وقال بعض الأدباء: ليس من الحرص اجتلاب ما يقوت البدن. وقال محمود الوراق:

لا تتبع الدنيا وأيامها ... ذما وإن دارت بك الدائره

من شرف الدنيا ومن فضلها ... أن بها تستدرك الآخره". (١)

٨١٦–"فقالت طائفة: جاء العقل والشرع معا مجيئا واحدا لم يسبق أحدهما صاحبه. وقالت طائفة أخرى: سبق العقل ثم تبعه الشرع؛ لأن بكمال العقل يستدل على صحة الشرع. وقد قال الله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ [القيامة: ٣٦] . وذلك لا يوجد منه إلا عند كمال عقله، فثبت أن الدين من أقوى القواعد في صلاح الدنيا، وهو الفرد الأوحد في صلاح الآخرة.

وما كان به صلاح الدنيا والآخرة فحقيق بالعقل أن يكون به متمسكا وعليه محافظا، **وقال بعض الحكماء**: الأدب أدبان: أدب شريعة وأدب سياسة. فأدب الشريعة ما أدى الفرض، وأدب السياسة ما عمر الأرض. وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان، وعمارة البلدان؛ لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه، ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره. وقال سعيد بن حميد:

ما صحة أبدا بنافعة ... حتى يصح الدين والخلق

وأما القاعدة الثانية: فهي سلطان قاهر تتألف من رهبته الأهواء المختلفة، وتجتمع لهيبته القلوب المتفرقة، وتكف بسطوته الأيدي المتغالبة، وتمتنع من خوفه النفوس العادية؛ لأن في طباع الناس من حب المغالبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه، ما لا ينكفون عنه إلا بمانع قوي، ورادع ملي. وقد أفصح المتنبي بذلك في قوله:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم

وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء: إما عقل زاجر، أو دين حاجر، أو سلطان رادع، أو عجز صاد. فإذا تأملتها لم تجد خامسا يقترن بها ورهبة السلطان أبلغها؛ لأن العقل والدين ربما كانا مضعوفين، أو بدواعي الهوى مغلوبين.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٣١

فتكون رهبة السلطان أشد زجرا وأقوى ردعا. وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: أنه قال:". [(١)]

٨١٧–"وأما القاعدة الثالثة: فهي عدل شامل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان. فقد قال المرزبان لعمر، حين رآه وقد نام متبذلا: عدلت فأمنت فنمت. وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل. وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «بئس الزاد إلى المعاد، العدوان على العباد» .

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات. فأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، وخشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر. وأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» . وحكي أن الإسكندر قال لحكماء الهند، وقد رأى قلة الشرائع بها: لم صارت سنن بلادكم قليلة؟ قالوا: لإعطائنا الحق من أنفسنا، ولعدل ملوكنا فينا. فقال لهم: أيما أفضل، العدل أو الشجاعة؟ قالوا: إذا استعمل العدل أغنى عن الشجاعة.

وقال بعض الحكماء: بالعدل والإنصاف تكون مدة الائتلاف. وقال بعض البلغاء: إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه، واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع، وكثرة الورع.

فإذا كان العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، وجب أن نبدأ بعدل الإنسان في نفسه، ثم بعدله في غيره. فأما عدله في نفسه فيكون بحملها على المصالح، وكفها عن القبائح، ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمرين من تجاوز أو تقصير. فإن التجاوز فيها جور، والتقصير فيها ظلم. ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم، ومن جار عليها فهو على غيره أجور.

وقد **قال بعض الحكماء**: من توانى في نفسه ضاع. وأما عدله في غيره فقد ينقسم حال الإنسان مع غيره على ثلاثة أقسام: فالقسم الأول: عدل الإنسان فيمن دونه كالسلطان في رعيته، والرئيس مع صحابته، فعدله فيهم يكون بأربعة أشياء: باتباع الميسور، وحذف المعسور، وترك التسلط بالقوة، وابتغاء الحق في". [(٢)]

٨١٨–"الميسور. فإن اتباع الميسور أدوم، وحذف المعسور أسلم، وترك التسلط أعطف على المحبة، وابتغاء الحق أبعث على النصرة.

وهذه أمور إن لم تسلم للزعيم المدبر كان الفساد بنظره أكثر، والاختلاف بتدبيره أظهر. روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه» . **وقال بعض الحكماء الملك** يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم. وقال بعض الأدباء: ليس للجائر جار، ولا تعمر له دار.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٣٤

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٣٩

وقال بعض البلغاء: أقرب الأشياء صرعة الظلوم، وأنفذ السهام دعوة المظلوم. وقال بعض حكماء الملوك: العجب من ملك استفسد رعيته وهو يعلم أن عزه بطاعتهم. وقال أزدشير بن بابك: إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن طاعته. وعوتب أنوشروان على ترك عقاب المذنبين فقال: هم المرضى ونحن الأطباء فإذا لم نداوهم بالعفو فمن لهم.
والقسم الثاني: عدل الإنسان مع من فوقه، كالرعية مع سلطانها، والصحابة مع رئيسها. فقد يكون بثلاثة أشياء: بإخلاص الطاعة، وبذل النصرة، وصدق الولاء. فإن إخلاص الطاعة أجمع للشمل، وبذل النصرة أدفع للوهن، وصدق الولاء أنفى لسوء الظن. وهذه أمور إن لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه واضطر إلى اتقاء من يتقي به كما قال البحتري:
متى أحوجت ذا كرم تخطى ... إليك ببعض أخلاق اللئام
وفي استمرار هذا حل نظام جامع، وفساد صلاح شامل. وقال إبرويس: أطع من فوقك، يطعك من دونك. **وقال بعض الحكماء**: إن الله تعالى لا يرضى عن خلقه إلا بتأدية حقه، وحقه شكر النعمة، ونصح الأمة، وحسن الصنيعة، ولزوم الشريعة.
والقسم الثالث عدل الإنسان مع أكفائه ويكون بثلاثة أشياء: بترك الاستطالة، ومجانبة الإدلال، وكف الأذى؛ لأن ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإدلال أعطف، وكف الأذى". (١)

٨١٩-"أنصف. وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء ففسدوا وأفسدوا. وقد روى عمر بن عبد العزيز عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا أنبئكم بشرار الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ثم قال: ألا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: من يبغض الناس ويبغضونه» . وروي أن عيسى ابن مريم - عليهما السلام - قام خطيبا في بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم. يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اختلفتم فيه فردوه إلى الله تعالى. وهذا الحديث جامع لآداب العدل في الأحوال كلها. **وقال بعض الحكماء**: كل عقل لا يدارى به الكل فليس بعقل تام.
وقال بعض الشعراء:
ما دمت حيا فدار الناس كلهم ... فإنما أنت في دار المدارات
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليل نديما للندامات
وقد يتعلق بهذه الطبقات أمور خاصة يكون عدلهم فيها بالتوسط في حالتي التقصير والسرف؛ لأن العدل مأخوذ من الاعتدال، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل. وقد قالت الحكماء: الفضائل هيئات متوسطة بين خلتين ناقصتين، وأفعال الخير تتوسط بين رذيلتين. فالحكمة واسطة بين الشر والجهالة. والشجاعة واسطة بين التقحم والجبن. والعفة واسطة بين الشره وضعف الشهوة. والسكينة واسطة بين السخط وضعف الغضب. والغيرة واسطة بين الحسد وسوء العادة. والظرف

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٤٠

واسطة بين الخلاعة والعرامة. والتواضع واسطة بين الكبر ودناءة النفس. والسخاء واسطة بين التبذير والتقتير. والحلم واسطة بين إفراط الغضب وعدمه.". (١)

٨٢٠-"والمودة واسطة بين الخلابة وحسن الخلق. والحياء واسطة بين القحة والحقد. والوقار واسطة بين الهزء والسخافة.
وإذا كان ما خرج عن الاعتدال إلى ما ليس باعتدال خروجا عن العدل إلى ما ليس بعدل، فالأولى اجتنابه والوقوف مع الأوسط اقتداء بالحديث. وقال بعض البلغاء: البلد السوء يجمع السفل ويورث العلل، والولد السوء يشين السلف ويهدم الشرف، والجار السوء يفشي السر ويهتك الستر. فجعل هذه الأشياء، بخروجها عن الأولى إلى ما ليس بأولى، خروجا عن العدل إلى ما ليس بعدل. ولست تجد فسادا إلا وسبب نتيجته الخروج فيه من حال العدل إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان فإذن لا شيء أنفع من العدل كما لا شيء أضر مما ليس بعدل.

وأما القاعدة الرابعة: فهي أمن عام تطمئن إليه النفوس وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء، ويأنس به الضعيف. فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة. وقد **قال بعض الحكماء**، الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش؛ لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم وانتظام جملتهم؛ لأن الأمن من نتائج العدل، والجور من نتائج ما ليس بعدل.
وقد يكون الجور تارة بمقاصد الآدميين الخارجة عن العدل، وتارة يكون بأسباب حادثة من غير مقاصد الآدميين فلا تكون خارجة عن حال العدل. فمن أجل ذلك لم يكن ما سبق من حال العدل مقنعا عن أن يكون الأمن في انتظام الدنيا قاعدة كالعدل. فإذا كان ذلك كذلك فالأمن المطلق ما عم والخوف قد يتنوع تارة ويعم. فتنوعه بأن يكون تارة على النفس، وتارة على الأهل، وتارة على المال.
وعمومه أن يستوجب جميع الأحوال، ولكل واحد من أنواعه حظ من الوهن، ونصيب من الحزن. وقد يختلف باختلاف أسبابه ويتفاضل بتباين جهاته، ويكون بحسب اختلاف الرغبة فيما خيف عليه. فمن أجل ذلك لم يجز أن يتصف حال كل واحد من أنواعه بمقدار من الوهن ونصيب من الحزن، لا سيما والخائف على الشيء مختص الهم به". (٢)

٨٢١-"منصرف الفكر عن غيره. فهو يظن أن لا خوف له إلا إياه، فيغفل عن قدر النعمة بالأمن فيما سواه، فصار كالمريض الذي هو بمرضه متشاغل، وعما سواه غافل.
ولعل ما صرف عنه أعظم مما ابتلي به، وإنما يوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي. وحكي أن رجلا قال - وأعرابي حاضر -: ما أشد وجع الضرس، فقال الأعرابي: كل داء أشد داء. وكذلك من عمه الأمن كمن استولت عليه العافية، فهو لا يعرف

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٤١

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٤٢

قدر النعمة بأمنه حتى يخاف، كما لا يعرف المعافى قدر النعمة حتى يصاب. **وقال بعض الحكماء**: إنما يعرف قدر النعمة بمقاساة ضدها. فأخذ ذلك أبو تمام الطائي فقال:

والحادثات وإن أصابك بؤسها ... فهو الذي أنباك كيف نعيمها

فالأولى بالعاقل أن يتذكر عند مرضه وخوفه قدر النعمة فيما سوى ذلك من عافيته وأمنه، وما انصرف عنه مما هو أشد من مرضه وخوفه، فيستبدل بالشكوى شكرا، وبالجزع صبرا، فيكون فرحا مسرورا. حكي أن يعقوب قال ليوسف – عليهما السلام –، حين لقيه: أي شيء كان خبرك بعدي؟ قال: لا تسأل عما فعله بي إخوتي سلني عما صنعه بي ربي. وقال الشاعر:

لا تنس في الصحة أيام السقم ... فإن عقبى تارك الحزم ندم

وأما القاعدة الخامسة: فهي خصب دار تتسع النفوس به في الأحوال وتشترك فيه ذو الإكثار والإقلال. فيقل في الناس الحسد، وينتفي عنهم تباغض العدم، وتتسع النفوس في التوسع، وتكثر المواساة والتواصل. وذلك من أقوى الدواعي لصلاح الدنيا وانتظام أحوالها، ولأن الخصب يئول إلى الغنى والغنى يورث الأمانة والسخاء.

وكتب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى أبي موسى الأشعري: لا تستقضين إلا ذا حسب ومال، فإن ذا الحسب يخاف العواقب وذا المال لا يرغب في مال غيره. وقال بعض السلف: إني وجدت خير الدنيا والآخرة في التقى والغنى، وشر الدنيا والآخرة في الفجور والفقر. وقال بعض الشعراء:

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى ... ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر". (١)

٨٢٢-"[فصل ما يصلح به حال الإنسان في الدنيا]

فصل: وأما ما يصلح به حال الإنسان فيها فثلاثة أشياء، هي قواعد أمره ونظام حاله، وهي: نفس مطيعة إلى رشدها منتهية عن غيها، وألفة جامعة تنعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها، ومادة كافية تسكن نفس الإنسان إليها ويستقيم أوده بها.

فأما القاعدة الأولى التي هي نفس مطيعة: فلأنها إذا أطاعته ملكها، وإذا عصته ملكته ولم يملكها. ومن لم يملك نفسه فهو بأن لا يملك غيرها أحرى، ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها أولى. **وقال بعض الحكماء**: لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره ونفسه ممتنعة عليه. وقد قال الشاعر:

أتطمع أن يطيعك قلب سعدى ... وتزعم أن قلبك قد عصاك

وطاعة نفسه تكون من وجهين: أحدهما نصح، والثاني انقياد. فأما النصح فهو أن ينظر إلى الأمور بحقائقها فيرى الرشد رشدا ويستحسنه، ويرى الغي غيا ويستقبحه. وهذا يكون من صدق النفس إذا سلمت من دواعي الهوى. ولذلك قيل: من تفكر أبصر. فأما الانقياد فهو أن تسرع إلى الرشد إذا أمرها، وتنتهي عن الغي إذا زجرها. وهذا يكون من قبول النفس

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٤٣

إذا كفيت منازعة الشهوات. قال الله تعالى: ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾ [النساء: ٢٧] . وللنفس آداب هي تمام طاعتها، وكمال مصلحتها. وقد أفردنا لها من هذا الكتاب بابا واقتصرنا في هذا الموضع على ما قد اقتضاه الترتيب، واستدعاه التقريب.

وأما القاعدة الثانية وهي الألفة الجامعة: فلأن الإنسان مقصود بالأذية، محسود بالنعمة. فإذا لم يكن آلفا مألوفا تخطفته أيدي حاسديه، وتحكمت فيه أهواء أعاديه، فلم تسلم له نعمة، ولم تصف له مدة. فإذا كان آلفا مألوفا انتصر بالألفة على أعاديه، وامتنع من حاسديه، فسلمت نعمته منهم، وصفت مدته عنهم، وإن كان صفو الزمان عسرا، وسلمه خطرا.

وقد روى ابن جريج عن عطاء رحمهما الله عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «المؤمن آلف". (١)

٨٢٣-"ولد بار أو عدو ضار. وقد قيل في منثور الحكم: العقوق ثكل من لم يثكل. **وقال بعض الحكماء**: ابنك ريحانك سبعا، وخادمك سبعا ووزيرك سبعا، ثم هو صديق أو عدو.

وأما المناسبون فهم من عدا الآباء والأبناء ممن يرجع بتعصيب أو رحم. والذي يختصون به الحمية الباعثة على النصرة، وهي أدنى رتبة الأنفة؛ لأن الأنفة تمنع من التهضم والخمول معا، والحمية تمنع من التهضم وليس لها في كراهة الخمول نصيب إلا أن يقترن بها ما يبعث على الألفة. وحمية المناسبين إنما تدعو إلى النصرة على البعداء والأجانب، وهي معرضة لحسد الأداني والأقارب، موكولة إلى منافسة الصاحب بالصاحب، فإن حرست بالتواصل والتلاطف تأكدت أسبابها واقترن بحمية النسب مصافاة المودة، وذلك أوكد أسباب الألفة.

وقد قيل لبعض قريش: أيما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ قال: أخي إذا كان صديقا. وقال مسلمة بن عبد الملك: العيش في ثلاث: سعة المنزل، وكثرة الخدم، وموافقة الأهل. **وقال بعض الحكماء**: البعيد قريب بمودته، والقريب بعيد بعداوته. وإن أهملت الحال بين المتناسبين ثقة بلحمة النسب، واعتمادا على حمية القرابة، غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس، فصارت المناسبة عداوة والقرابة بعدا. وقال الكندي في بعض رسائله: الأب رب، والولد كمد والأخ فخ، والعم غم والخال وبال، والأقارب عقارب. وقال عبد الله بن المعتز:

لحومهم لحمي وهم يأكلونه ... وما داهيات المرء إلا أقاربه

ومن أجل ذلك أمر الله تعالى بصلة الأرحام، وأثنى على واصلها". (٢)

٨٢٤-"فقال تعالى: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾ [الرعد: ٢١] . قال المفسرون: هي الرحم التي أمر الله بوصلها، ويخشون ربهم في قطعها، ويخافون سوء الحساب في المعاقبة عليها. وروى

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٤٦

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٥٢

عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «يقول الله – عز وجل – أنا الرحمن وهي الرحم اشتققت لها من اسمي اسما فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته» .

وروي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «صلة الرحم منماة للعدد، مثراة للمال، محبة في الأهل، منسأة في الأجل» . **وقال بعض الحكماء**: بلوا أرحامكم بالحقوق، ولا تجفوها بالعقوق. وقال بعض البلغاء: صلوا أرحامكم فإنها لا تبلى عليها أصولكم، ولا تهضم عليها فروعكم. وقال بعض الأدباء: من لم يصلح لأهله لم يصلح لك، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك. وقال بعض الفصحاء: من وصل رحمه وصله الله ورحمه، ومن أجار جاره أعانه الله وجاره. وقال محمد بن عبد الله الأزدي:

وحسبك من ذل وسوء صنيعة ... مناواة ذي القربى وإن قيل قاطع

ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه ... لترجعه يوما إلي الرواجع

ولا يستوي في الحكم عبدان: واصل ... وعبد لأرحام القرابة قاطع

وأما المصاهرة: وهي الثالث من أسباب الألفة فلأنها استحداث مواصلة، وتمازج مناسبة، صدرا عن رغبة واختيار، انعقدا على خير وإيثار، فاجتمع فيها أسباب الألفة ومواد المظاهرة. قال الله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١] يعني بالمودة المحبة، وبالرحمة الحنو والشفقة، وهما من". (١)

٨٢٥-"فإن كان عقد النكاح لأجل المال وكان أقوى الدواعي إليه، فالمال إذا هو المنكوح فإن اقترن بذلك أحد الأسباب الباعثة على الائتلاف جاز أن يلبث العقد وتدوم الألفة فإن تجرد عن غيره من الأسباب وعري عما سواه من المواد فأخلق بالعقد أن ينحل وبالألفة أن تزول، لا سيما إذا غلب الطمع وقل الوفاء؛ لأن المال إن وصل إليه فقد ينقضي سبب الألفة به.

فقد قيل: من ودك لشيء تولى مع انقضائه. وإن أعوز الوصول إليه وتعذرت القدرة عليه أعقب ذلك استهانة الآيس بعد شدة الأمل فحدثت منه عداوة الخائب بعد استحكام الطمع، فصارت الوصلة فرقة والألفة عداوة. وقد قيل: من ودك طمعا فيك أبغضك إذا أيس منك. وقال عبد الحميد: من عظمك لإكثارك استقلك عند إقلالك.

فإن كان العقد رغبة في الجمال، فذلك أدوم للألفة من المال؛ لأن الجمال صفة لازمة، والمال صفة زائلة. ولذلك قيل: حسن الصورة أول السعادة. وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «أعظم النساء بركة أحسنهن وجها وأقلهن مهرا» . فإن سلمت الحال من الإدلال المفضي إلى الملال استدامت الألفة واستحكمت الوصلة. وقد كانوا يكرهون الجمال البارع إما لما يحدث عنه من شدة الإدلال وقد قيل: من بسطه الإدلال قبضه الإذلال وإما لما يخاف من محنة الرغبة، وبلوى المنازعة. وقد حكي أن رجلا شاور حكيما في التزوج فقال له: افعل وإياك والجمال البارع، فإنه مرعى أنيق. فقال الرجل: وكيف ذلك؟ قال: كما قال الأول:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٥٣

ولن تصادف مرعى ممرعا أبدا ... إلا وجدت به آثار منتجع

وإما لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة، ويتوقاه الحازم من سوء عواقب الفتنة.

وقد **قال بعض الحكماء**: إياك ومخالطة النساء فإن لحظ المرأة سهم، ولفظها سم. ورأى بعض الحكماء صيادا يكلم امرأة فقال: يا صياد، احذر أن تصاد. وقال سليمان بن داود – عليهما السلام –، لابنه: امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة. وسمع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –". (١)

٨٢٦-"المكتسبة بالاتفاق فهي أوكد حالا؛ لأنها تنعقد عن أسباب تعود إليها. والمكتسبة بالقصد تعقد لها أسباب تنقاد إليها. وما كان جاريا بالطبع فهو ألزم مما هو حادث بالقصد. ونحن نبدأ بالوجه الأول المكتسب بالاتفاق ثم نعقبه بالوجه الثاني المكتسب بالقصد.

أما المكتسب بالاتفاق فله أسباب نبتدئ بها ثم ننتقل في غاية أحواله المحدودة إلى سبع مراتب ربما استكملتهن وربما وقفت على بعضهن ولكل مرتبة من ذلك حكم خاص وسبب موجب. قال الشاعر:

ما هوى إلا له سبب ... يبتدي منه وينشعب

فأول أسباب الإخاء: التجانس في حال يجتمعان فيها ويأتلفان بها، فإن قوي التجانس قوي الائتلاف به وإن ضعف كان ضعيفا ما لم تحدث علة أخرى يقوى بها الائتلاف. وإنما كان ذلك كذلك؛ لأن الائتلاف بالتشاكل، والتشاكل بالتجانس، فإذا عدم التجانس من وجه انتفى التشاكل من وجه، ومع انتفاء التشاكل يعدم الائتلاف. فثبت أن التجانس، وإن تنوع، أصل الإخاء وقاعدة الائتلاف.

وقد روى يحيى بن سعيد، عن عمر، عن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» . وهذا واضح وهي بالتجانس متعارفة، وبفقده متناكرة. وقيل في منثور الحكم: الأضداد لا تتفق، والأشكال لا تفترق. **وقال بعض الحكماء**: بحسن تشاكل الأخوان يلبث التواصل.

ولبعضهم:

فلا تحتقر نفسي وأنت خليلها ... فكل امرئ يصبو إلى من يشاكل

وقال آخر:

فقلت: أخي قالوا: أخ من قرابة ... فقلت لهم: إن الشكول أقارب

نسيبي في رأيي وعزمي وهمتي ... وإن فرقتنا في الأصول المناسب

ثم يحدث بالتجانس المواصلة بين المتجانسين، وهي المرتبة الثانية من مراتب الإخاء. وسبب المواصلة بينهما وجود الاتفاق

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٥٥

منهما فصارت". [1]

٨٢٧-"وقال آخر:

يخونك ذو القربى مرارا وربما ... وفى لك عند العهد من لا تناسبه

فإذا عزم على اصطفاء الإخوان سبر أحوالهم قبل إخائهم، وكشف عن أخلاقهم قبل اصطفائهم؛ لما تقدم من قول الحكماء: أسبر تخبر. ولا تبعثه الوحدة على الإقدام قبل الخبرة، ولا حسن الظن على الاغترار بالتصنع. فإن الملق مصائد العقول، والنفاق تدليس الفطن، وهما سجية المتصنع. وليس فيمن يكون النفاق والملق بعض سجاياه خير يرجى، ولا صلاح يؤمل. ولأجل ذلك قالت الحكماء: اعرف الرجل من فعله لا من كلامه، واعرف محبته من عينه لا من لسانه. وقال خالد بن صفوان: إنما أنفقت على إخواني؛ لأني لم أستعمل معهم النفاق ولا قصرت بهم عن الاستحقاق. وقال حماد عجرد:

كم من أخ لك ليس تنكره ... ما دمت في دنياك في يسر

متصنع لك في مودته ... يلقاك بالترحيب والبشر

فإذا عدا والدهر ذو غير ... دهر عليك عدا مع الدهر

فارفض بإجمال مودة من ... يقلي المقل ويعشق المثري

وعليك من حالاه واحدة ... في العسر إما كنت واليسر

على أن الإنسان موسوم بسيماء من قارب، ومنسوب إليه أفاعيل من صاحب. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «المرء مع من أحب» .

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: الصاحب مناسب. وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب. **وقال بعض الحكماء**: اعرف أخاك بأخيه قبلك. وقال بعض الأدباء: يظن بالمرء ما يظن بقرينه. وقال عدي بن زيد:". [2]

٨٢٨-"وإذا قد لزم من هذين الوجهين سبر الإخوان قبل إخائهم، وخبرة أخلاقهم قبل اصطفائهم. فالخصال المعتبرة في إخائهم بعد المجانسة التي هي أصل الاتفاق أربع خصال: فالخصلة الأولى: عقل موفور يهدي إلى مراشد الأمور. فإن الحمق لا تثبت معه مودة، ولا تدوم لصاحبه استقامة. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «البذاء لؤم، وصحبة الأحمق شؤم» .

وقال بعض الحكماء: عداوة العاقل أقل ضررا من مودة الأحمق؛ لأن الأحمق ربما ضر وهو يقدر أن ينفع، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته، فمضرته لها حد يقف عليه العقل، ومضرة الجاهل ليست بذات حد. والمحدود أقل ضررا مما هو

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٦٢

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٦٥

غير محدود. وقال المنصور للمسيب بن زهير: ما مادة العقل؟ فقال: مجالسة العقلاء. وقال بعض البلغاء: من الجهل صحبة ذوي الجهل، ومن المحال مجادلة ذوي المحال.

وقال بعض الأدباء: من أشار عليك باصطناع جاهل أو عاجز، لم يخل أن يكون صديقا جاهلا أو عدوا عاقلا؛ لأنه يشير بما يضرك ويحتال فيما يضع منك. وقال بعض الشعراء:

إذا ما كنت متخذا خليلا ... فلا تثقن بكل أخي إخاء

فإن خيرت بينهم فألصق ... بأهل العقل منهم والحياء

فإن العقل ليس له إذا ما ... تفاضلت الفضائل من كفاء

والخصلة الثانية: الدين الواقف بصاحبه على الخيرات، فإن تارك الدين عدو لنفسه، فكيف يرجى منه مودة غيره. وقال بعض الحكماء: اصطف من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب، فإنه ردء لك عند حاجتك، ويد عند نائبتك، وأنس عند وحشتك، وزين عند عافيتك. وقال حسان بن ثابت – رضي الله عنه –:

أخلاء الرخاء هم كثير ... ولكن في البلاء هم قليل

فلا يغررك خلة من تؤاخي ... فما لك عند نائبة خليل

وكل أخ يقول أنا وفي ... ولكن ليس يفعل ما يقول". (١)

٨٢٩-"سوى خل له حسب ودين ... فذاك لما يقول هو الفعول

وقال آخر: من لم يكن في الله خلته فخليله منه على خطر.

والخصلة الثالثة: أن يكون محمود الأخلاق مرضي الأفعال، مؤثرا للخير آمرا به، كارها للشر ناهيا عنه، فإن مودة الشرير تكسب الأعداء وتفسد الأخلاق. ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة، فإن المتبوع تابع صاحبه. وقال عبد الله بن المعتز: إخوان الشر كشجر النارنج يحرق بعضها بعضا.

وقال بعض الحكماء: مخالطة الأشرار على خطر، والصبر على صحبتهم كركوب البحر، الذي من سلم منه ببدنه من التلف فيه، لم يسلم بقلبه من الحذر منه. وقال بعض البلغاء: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار. وقال بعض البلغاء: من خير الاختيار صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار صحبة الأشرار. وقال بعض الشعراء:

مجالسة السفيه سفاه رأي ... ومن عقل مجالسة الحكيم

فإنك والقرين معا سواء ... كما قد الأديم من الأديم

والخصلة الرابعة: أن يكون من كل واحد منهما ميل إلى صاحبه، ورغبة في مؤاخاته. فإن ذلك أوكد لحال المؤاخاة وأمد لأسباب المصافاة، إذ ليس كل مطلوب إليه طالبا ولا كل مرغوب إليه راغبا. ومن طلب مودة ممتنع عليه، ورغب إلى زاهد فيه، كان معنى خائبا، كما قال البحتري:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٦٧

وطلبت منك مودة لم أعطها ... إن المعنى طالب لا يظفر

وقال العباس بن الأحنف:

فإن كان لا يدنيك إلا شفاعة ... فلا خير في ود يكون بشافع". (١)

٨٣٠-"وأقسم ما تركي عتابك عن قلى ... ولكن لعلمي أنه غير نافع

وإني إذا لم ألزم الصبر طائعا ... فلا بد منه مكرها غير طائع

فإذا استكملت هذه الخصال في إنسان وجب إخاؤه، وتعين اصطفاؤه. وبحسب وفورها فيه يجب أن يكون الميل إليه والثقة به.

وبحسب ما يرى من غلبة إحداها عليه يجعل مستعملا في الخلق الغالب عليه. فإن الإخوان على طبقات مختلفة وأنحاء متشعبة، ولكل واحد منهم حال يختص بها في المشاركة، وثلمة يسدها في المؤازرة والمظافرة، وليس تتفق أحوال جميعهم على حد واحد؛ لأن التباين في الناس غالب، واختلافهم في الشيم ظاهر. **وقال بعض الحكماء**: الرجال كالشجر شرابه واحد وثمره مختلف. فأخذ هذا المعنى منصور بن إسماعيل فقال:

بنو آدم كالنبت ... ونبت الأرض ألوان

فمنهم شجر الصندل ... والكافور والبان

ومنهم شجر ... أفضل ما يحمل قطران

ومن رام إخوانا تتفق أحوال جميعهم رام متعذرا، بل لو اتفقوا لكان ربما وقع به خلل في نظامه، إذ ليس الواحد من الإخوان يمكن الاستعانة به في كل حال، ولا المجبولون على الخلق الواحد يمكن أن يتصرفوا في جميع الأعمال وإنما بالاختلاف يكون الائتلاف. وقد **قال بعض الحكماء**: ليس بلبيب من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا.

وقال المأمون: الإخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه، وطبقة كالدواء يحتاج إليه أحيانا، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبدا. ولعمري إن الناس على ما وصفهم، لا الإخوان منهم. وليس من كان منهم كالداء، من الإخوان المعدودين، بل هم من الأعداء المحذورين. وإنما يداجون المودة استكفافا لشرهم، وتحرزا من مكاشفتهم، فدخلوا في عداد الإخوان بالمظاهرة والمساترة، وفي الأعداء عند المكاشفة والمجاهرة.

قال بعض الحكماء: مثل العدو الضاحك إليك كالحنظلة الخضراء أوراقها، القاتل مذاقها.

وقد قيل في منثور الحكم: لا تغترن بمقاربة العدو فإنه كالماء وإن". (٢)

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٦٨

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٦٩

٨٣١-"متروك. وإذا كان ذلك فهو كالصورة الممثلة يروقك حسنها، ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكور لمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر. وقد قال الشاعر:

وأسوأ أيام الفتى يوم لا يرى ... له أحد يزري عليه وينكر

غير أن فساد الوقت وتغير أهله يوجب شكر من كان شره مقطوعا، وإن كان خيره ممنوعا، كما قال المتنبي:

إنا لفي زمن ترك القبيح به ... من أكثر الناس إحسان وإجمال

وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل، ومهين مستذل، قد قطع عنه الرغبة، وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى، ولا شره يؤمن. وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند إقلاله، ويستقل عند استقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظ ولا في الوداد نصيب. وهو ممن جعله المأمون من داء الإخوان لا من دوائهم، ومن سمهم لا من غذائهم. **وقال بعض الحكماء**: شر ما في الكريم أن يمنعك خيره، وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شره.

وقال ابن الرومي:

عذرنا النخل في إبداء شوك ... يرد به الأنامل عن جناه

فما للعوسج الملعون أبدى ... لنا شوكا بلا ثمر نراه

وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع، مشكور الصنع. وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلا في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة. فهذا أشرف الإخوان نفسا وأكرمهم طبعا. فينبغي لمن أوجده الزمان مثله – وقل أن يكون له مثل؛ لأنه البر الكريم والدر اليتيم – أن يثني عليه خنصره، ويعض عليه ناجذه، ويكون به أشد ضنا منه بنفائس أمواله، وسني ذخائره؛ لأن نفع الإخوان عام ونفع المال خاص، ومن كان أعم نفعا فهو بالإدخار أحق.

وقال الفرزدق:

يمضي أخوك فلا تلقى له خلفا ... والمال بعد ذهاب المال مكتسب". (١)

٨٣٢-"وقال آخر:

لكل شيء عدمته عوض ... وما لفقد الصديق من عوض

ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه، وحمد أكثر شيمه؛ لأن اليسير مغفور والكمال معوز. وقد قال الكندي: كيف تريد من صديقك خلقا واحدا وهو ذو طبائع أربع؟ مع أن نفس الإنسان التي هي أخص النفوس به ومدبرة باختياره وإرادته، لا تعطيه قيادها في كل ما يريد، ولا تجيبه إلى طاعته في كل ما يحب، فكيف بنفس غيره، وحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره.

وقد قال أبو الدرداء – رضي الله عنه –: معاتبة الأخ خير من فقده، ومن لك بأخيك كله؟ فأخذ الشعراء هذا المعنى، فقال أبو العتاهية:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٧٢

أأخي من لك من بني الدنيا ... بكل أخيك من لك

فاستبق بعضك لا يملك ... كل من أعطيت كلك

وقال أبو تمام الطائي:

ما غبن المغبون مثل عقله ... من لك يوما بأخيك كله

؟ **وقال بعض الحكماء**: طلب الإنصاف من قلة الإنصاف. وقال بعض البلغاء: لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، وبطنت عقله عيب تحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله.

فإنك لن تجد، ما بقيت، مهذبا لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب. فاعتبر نفسك، بعد، أن لا تراها بعين الرضى، ولا تجري فيها على حكم الهوى، فإن في اعتبارك واختيارك لها ما يؤيسك مما تطلب، ويعطفك على من يذنب. وقد قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وقال النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب". (١)

٨٣٣-"وما مثل من هذه حاله إلا كما قد قال إبراهيم بن هرمة:

فإنك واطراحك وصل سلمى ... لأحرى في مودتها نكوب

كثاقبة لحلي مستعار ... لأذنيها فشانهما الثقوب

فأدت حلي جارتها إليها ... وقد بقيت بأذنيها ندوب

وإذا صفت له أخلاق من سبره، وتمهدت لديه أحوال من خبره، وأقدم على اصطفائه أخا، وعلى اتخاذه خدنا، لزمته حينئذ حقوقه، ووجبت عليه حرماته.

وقال عمر بن مسعدة: العبودية عبودية الإخاء لا عبودية الرق. **وقال بعض الحكماء**: من جاد لك بمودته، فقد جعلك عديل نفسه. فأول حقوقه اعتقاد مودته ثم إيناسه بالانبساط إليه في غير محرم، ثم نصحه في السر والعلانية، ثم تخفيف الأثقال عنه، ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة، أو يناله من نكبة. فإن مراقبته في الظاهر نفاق، وتركه في الشدة لؤم.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «خير أصحابك المعين لك على دهرك، وشرهم من سعى لك بسوق يوم» . وقيل: «يا رسول الله أي الأصحاب خير؟ قال: الذي إذا ذكرت أعانك وواساك، وخير منه من إذا نسيت ذكرك» . وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: اللهم إني أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتي إلا بموافقة شهوتي، وممن ساعدني على سرور ساعتي، ولا يفكر في حوادث غدي.

وقال بعض البلغاء: عقود الغادر محلولة، وعهوده مدخولة. وقال بعض البلغاء: ما ودك من أهمل ودك، ولا أحبك من

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٧٣

أبغض حبك. وقال بعض الشعراء:

وكل أخ عند الهوينا ملاطف ... ولكنما الإخوان عند الشدائد

وقال صالح بن عبد القدوس: شر الإخوان من كانت مودته مع الزمان إذا أقبل، فإذا أدبر الزمان أدبر عنك. فأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

شر الأخلاء من كانت مودته ... مع الزمان إذا ما خاف أو رغبا

إذا وترت امرأ فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا". (١)

٨٣٤-"حبا» . وقال لبيد:

توقف عن زيارة كل يوم ... إذا أكثرت ملك من تزور

وقال آخر:

أقلل زيارتك الصديق ولا تطل ... هجرانه فيلج في هجرانه

إن الصديق يلج في غشيانه ... لصديقه فيمل من غشيانه

حتى يراه بعد طول سروره ... بمكانه متثاقلا بمكانه

وإذا توانى عن صيانة نفسه ... رجل تنقص واستخف بشانه

وبحسب ذلك فليكن في عتابه فإن كثرة العتاب سبب للقطيعة وإطراح جميعه دليل على قلة الاكتراث بأمر الصديق. وقد قيل: علة المعاداة قلة المبالاة. بل تتوسط حالتا تركه وعتابه فيسامح بالمتاركة ويستصلح بالمعاتبة، فإن المسامحة والاستصلاح إذا اجتمعا لم يلبث معهما نفور، ولم يبق معهما وجد.

وقد **قال بعض الحكماء**: لا تكثرن معاتبة إخوانك، فيهون عليهم سخطك. وقال منصور النمري:

أقلل عتاب من استربت بوده ... ليست تنال مودة بعتاب

وقال بشار بن برد:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وإن أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه

ثم إن من حق الإخوان أن تغفر هفوتهم، وتستر زلتهم؛ لأن من رام بريئا من الهفوات، سليما من الزلات، رام أمرا معوزا، واقترح وصفا معجزا. وقد قالت الحكماء: أي عالم لا يهفو، وأي صارم لا ينبو، وأي جواد لا يكبو. وقالوا: من حاول صديقا يأمن زلته ويدوم اغتباطه به، كان كضال الطريق الذي لا يزداد لنفسه إتعابا إلا ازداد من غايته بعدا. وقيل لخالد بن

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٧٦

صفوان: أي إخوانك أحب إليك؟ قال: من غفر زللي، وقطع". [1]

٨٣٥-"وحكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قوما ألأم من إخوانك، قال مه ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك. قال: هذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم. فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا، وظاهر غدرهم وفاء. وهذا محض الكرم ولباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم.

وقد قال بعض الشعراء:

إذا ما بدت من صاحب لك زلة ... فكن أنت محتالا لزلته عذرا

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه ... كأن به عن كل فاحشة وقرا

سليم دواعي الصبر لا باسط أذى ... ولا مانع خيرا ولا قائل هجرا

والداعي إلى هذا التأويل شيئان: التغافل الحادث عن الفطنة، والتألف الصادر عن الوفاء. **وقال بعض الحكماء**: وجدت أكثر أمور الدنيا لا تجوز إلا بالتغافل. وقال أكثم بن صيفي: من شدد نفر، ومن تراخى تألف، والشرف في التغافل. وقال شبيب بن شيبة الأديب: العاقل هو الفطن المتغافل. وقال الطائي:

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

وقال أبو العتاهية:

إن في صحة الإخاء من الناس ... وفي خلة الوفاء لقله

فالبس الناس ما استطعت على ... النقص وإلا لم تستقم لك خله

عش وحيدا إن كنت لا تقبل العذر ... وإن كنت لا تجاوز زله

من أب واحد وأم خلقنا ... غير أنا في المال أولاد عله

ومما يتبع هذا الفصل تألف الأعداء بما ينئيهم عن البغضاء ويعطفهم على المحبة. وذلك قد يكون بصنوف من البر ويختلف بسبب اختلاف الأحوال. فإن ذلك من سمات الفضل وشروط السؤدد، فإنه ما أحد يعدم". [2]

٨٣٦-"عدوا ولا يفقد حاسدا. وبحسب قدر النعمة تكثر الأعداء والحسدة، كما قال البحتري:

ولن تستبين الدهر موقع نعمة ... إذا أنت لم تدلل عليها بحاسد

فإن أغفل تألف الأعداء مع وفور النعمة وظهور الحسدة، توالى عليه من مكر حليمهم، وبادرة سفيههم، ما تصير به النعمة

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٧٨

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٨٠

غراما والزعامة ملاما. وروى ابن المسيب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «رأس العقل بعد الإيمان بالله تعالى التودد إلى الناس» . وقال سليمان بن داود - عليهما السلام -، لابنه: لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق، فالألف قليل. ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد، فالواحد كثير. فنظم ابن الرومي هذا المعنى فقال:

فكثر من الإخوان ما استطعت إنهم ... بطون إذا استنجدتهم وظهور

وليس كثيرا ألف خل وصاحب ... وإن عدوا واحدا لكثير

وقيل لعبد الملك بن مروان: ما أفدت في ملكك هذا؟ قال: مودة الرجال. **وقال بعض الحكماء**: من علامة الإقبال اصطناع الرجال. وقال بعض البلغاء: من استصلح عدوه زاد في عدده، ومن استفسد صديقه نقص من عدده.

وقال بعض الأدباء: العجب ممن يطرح عاقلا كافيا لما يضمره من عداوته، ويصطنع عاجزا جاهلا لما يظهره من محبته، وهو قادر على استصلاح من يعاديه بحسن صنائعه وأياديه. وأنشد عبد الله بن الزبير ثلاثة أبيات جامعة لكل ما قالته العرب، وهي للأفوه واسمه صلاءة بن عمرو حيث يقول:

بلوت الناس قرنا بعد قرن ... فلم أر غير ختال وقالي

وذقت مرارة الأشياء جمعا ... فما طعم أمر من السؤال

ولم أر في الخطوب أشد هولا ... وأصعب من معاداة الرجال". (١)

٨٣٧-"«ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وملكان يناديان: اللهم أعط منفقا خلفا وممسكا تلفا» . وأنزل في ذلك القرآن: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ [الليل: ٥] ﴿وصدق بالحسنى﴾ [الليل: ٦] ﴿فسنيسره لليسرى﴾ [الليل: ٧] ﴿وأما من بخل واستغنى﴾ [الليل: ٨] ﴿وكذب بالحسنى﴾ [الليل: ٩] ﴿فسنيسره للعسرى﴾ [الليل: ١٠] .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - يعني من أعطى فيما أمر واتقى فيما حظر وصدق بالحسنى يعني بالخلف من عطائه. فعند هذا قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لسادات الناس: في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء. وقيل في منثور الحكم: الجود عن موجود.

وقيل في المثل: سؤدد بلا جود، كملك بلا جنود. **وقال بعض الحكماء**: الجود حارس الأعراض. وقال بعض الأدباء: من جاد ساد، ومن أضعف ازداد. وقال بعض الفصحاء: جود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده. وقال بعض الفصحاء: خير الأموال ما استرق حرا، وخير الأعمال ما استحق شكرا.

وقال صالح بن عبد القدوس:

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ... ويستره عنهم جميعا سخاؤه

تغط بأثواب السخاء فإنني ... أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٨١

وحد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل إلى مستحقه بقدر الطاقة وتدبير ذلك مستصعب، ولعل بعض من يحب أن ينسب إلى الكرم ينكر حد السخاء، ويجعل تقدير العطية فيه نوعا من البخل، وأن الجود بذل الموجود، وهذا تكلف يفضي إلى الجهل بحدود الفضائل. ولو كان الجود بذل الموجود لما كان للسرف موضع ولا للتبذير موقع.

وقد ورد الكتاب بذمهما وجاءت السنة بالنهي عنهما. وإذا كان السخاء محدودا فمن وقف على حده سمي كريما وكان للحمد مستحقا، ومن قصر عنه بخيلا وكان". (١)

٨٣٨-"للذم مستوجبا. وقد قال الله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٨٠]

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أقسم الله بعزته لا يجاوره بخيل» . وروي عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «طعام الجواد دواء، وطعام البخيل داء» . «وسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلا يقول: الشحيح أعذر من الظالم، فقال: لعن الله الشحيح ولعن الظالم» .

وقال بعض الحكماء: البخل جلباب المسكنة. وقال بعض الأدباء: البخيل ليس له خليل. وقال بعض البلغاء: البخيل حارس نعمته، وخازن ورثته.

وقال بعض الشعراء:

إذا كنت جماعا لمالك ممسكا ... فأنت عليه خازن وأمين

تؤديه مذموما إلى غير حامد ... فيأكله عفوا وأنت دفين

وتظاهر بعض ذوي النباهة بحب الثناء مع إمساك فيه، فقال بعض الشعراء:

أراك تؤمل حسن الثنا ... ولم يرزق الله ذاك البخيلا

وكيف يسود أخو بطنة ... يمن كثيرا ويعطي قليلا

وقد بينا حب الثناء وحب المال، لأن الثناء يبعث على البذل وحب المال يمنع منه، فإن ظهرا كان حب الثناء كاذبا. وقد قال بعض الشعراء:

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما ... تيه الملوك وأخلاق المماليك

أردت شكرا بلا بر ولا صلة ... لقد سلكت طريقا غير مسلوك

ظننت عرضك لم يقرع بقارعة ... وما أراك على حال بمتروك

لئن سبقت إلى مال حظيت به ... فما سبقت إلى شيء سوى النوك

وقد يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة، وإن كان ذريعة إلى كل مذمة، أربعة أخلاق ناهيك بها ذما وهي: الحرص

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٨٤

والشره وسوء الظن". (١)

٨٣٩-"ومنع الحقوق. فأما الحرص فهو شدة الكدح والإسراف في الطلب. وأما الشره فهو استقلال الكفاية، والاستكثار لغير حاجة، وهذا فرق ما بين الحرص والشره.
وقد روى العلاء بن جرير عن أبيه عن سالم بن مسروق قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من لا يجزيه من العيش ما يكفيه لم يجد ما عاش ما يغنيه» . **وقال بعض الحكماء**: الشره من غرائز اللؤم. وأما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها أهل، فإن كان بالخالق كان شكا يئول إلى ضلال، وإن كان بالمخلوق كان استخانة يصير بها مختانا وخوانا، لأن ظن الإنسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه، فإن وجد فيها خيرا ظنه في غيره، وإن رأى فيها سوءا اعتقده في الناس.
وقد قيل في المثل كل إناء ينضح بما فيه. فإن قيل قد تقدم من قول الحكماء أن الحزم سوء الظن قيل تأويله قلة الاسترسال إليهم لا اعتقاد السوء فيهم.
وأما منع الحقوق فإن نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها. ولا تنقاد إلى ترك مطلوبها، فلا تذعن لحق ولا تجيب إلى إنصاف. وإذا آل البخيل إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المذمومة، والشيم اللئيمة، لم يبق معه خير مرجو ولا صلاح مأمول.
وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه «قال للأنصار: من سيدكم؟ قالوا: الحر بن قيس على بخل فيه. فقال - صلى الله عليه وسلم -: وأي داء أدوأ من البخل؟ قالوا: وكيف ذاك يا رسول الله؟ فقال - صلى الله عليه وسلم -: إن قوما نزلوا بساحل البحر فكرهوا لبخلهم نزول الأضياف بهم، فقالوا: ليبعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال إلى الأضياف ببعد النساء، وتعتذر النساء ببعد الرجال، ففعلوا وطال ذلك بهم فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء» .
وأما السرف والتبذير فإن من زاد على حد السخاء فهو مسرف ومبذر، وهو بالذم جدير. وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف: ٣١]
وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «ما عال من اقتصد» .
وقد قال المأمون - رحمه الله -: لا خير في السرف ولا سرف في الخير". (٢)

٨٤٠-"في الخير. **وقال بعض الحكماء**: صديق الرجل قصده، وسرفه عدوه. وقال بعض البلغاء: لا كثير مع إسراف ولا قليل مع احتراف. واعلم أن السرف والتبذير قد يفترق معناهما. فالسرف: هو الجهل بمقادير الحقوق، والتبذير: هو الجهل بمواقع الحقوق. وكلاهما مذموم، وذم التبذير أعظم؛ لأن المسرف يخطئ في الزيادة، والمبذر يخطئ في الجهل. ومن جهل مواقع الحقوق ومقاديرها بماله وأخطأها، فهو كمن جهلها بفعاله فتعداها وكما أنه بتبذيره قد يضع الشيء في غير

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٨٥
(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٨٦

موضعه، فهكذا قد يعدل به عن موضعه؛ لأن المال أقل من أن يوضع في كل موضع من حق وغير حق.

وقد قال معاوية – رضي الله عنه –: كل سرف فبإزائه حق مضيع. **وقال بعض الحكماء**: الخطأ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي واحد. وقال سفيان الثوري – رضي الله عنه –: الحلال لا يحتمل السرف، وليس يتم السخاء ببذل ما في يده حتى تسخو نفسه عما بيد غيره فلا يميل إلى طلب ولا يكف عن بذل. وقد حكي أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم الخليل – على نبينا وعليه السلام –: أتدري لم اتخذتك خليلا؟ قال: لا يا رب.

قال: لأني رأيتك تحب أن تعطي ولا تحب أن تأخذ. وروى سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه – قال: «أتى رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله مرني بعمل يحبني الله عليه ويحبني الناس. فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» . وقال أيوب السختياني: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عن أموال الناس، والتجاوز عنهم.

وقيل لسفيان: ما الزهد في الدنيا؟ قال: الزهد في الناس. وكتب كسرى إلى ابنه هرمز: يا بني استقل الكثير مما تعطي، واستكثر القليل مما تأخذ، فإن قرة عيون الكرام في الإعطاء وسرور اللئام في الأخذ، ولا تعد الشحيح أمينا ولا الكذاب حرا فإنه لا عفة مع الشح ولا مروءة مع الكذب. **وقال بعض الحكماء**: السخاء سخاءان: أشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك. وقال بعض البلغاء: السخاء أن تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا. وقال بعض الصلحاء: الجود غاية الزهد، والزهد غاية الجود. وقال بعض الشعراء:". (١)

٨٤١–"إذا لم تكن نفس الشريف شريفة ... وإن كان ذا قدر فليس له شرف

والبذل على وجهين: أحدهما ما ابتدأ به الإنسان من غير سؤال، والثاني ما كان عن طلب وسؤال. فأما المبتدئ به فهو أطبعهما سخاء، وأشرفهما عطاء. وسئل علي – كرم الله وجهه – عن السخاء فقال: ما كان منه ابتداء فأما ما كان عن مسألة فحياء. **وقال بعض الحكماء**: أجل النوال ما وصل قبل السؤال. وقال بعض الشعراء:

وفتى خلا من ماله ... ومن المروءة غير خالي

أعطاك قبل سؤاله ... وكفاك مكروه السؤال

وهذا النوع من البذل قد يكون لتسعة أسباب. فالسبب الأول: أن يرى خلة يقدر على سدها، وفاقة يتمكن من إزالتها، فلا يدعه الكرم والتدين إلا أن يكون زعيم صلاحها، وكفيل نجاحها، رغبة في الأجر إن تدين وفي الشكر إن تكرم.

وقال أبو العتاهية:

ما الناس إلا آلة معتمله ... للخير والشر جميعا فعله

والسبب الثاني: أن يرى في ماله فضلا عن حاجته، وفي يده زيادة عن كفايته، فيرى انتهاز الفرصة بها فيضعها حيث تكون له ذخرا معدا وغنما مستجدا. وقد قال الحسن البصري – رحمه الله –: ما أنصفك من كلفك إجلاله ومنعك ماله. وقيل

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٨٧

لهند بنت الحسن: من أعظم الناس في عينك؟ قالت: من كان لي إليه حاجة.

وقال الشاعر:

وما ضاع مال ورث الحمد أهله ... ولكن أموال البخيل تضيع

والسبب الثالث: أن يكون لتعريض يتنبه عليه لفطنته، وإشارة يستدل عليها بكرمه، فلا يدعه الكرم أن يغفل ولا الحياء أن يكف. وقد حكي أن رجلا ساير بعض الولاة فقال: ما أهزل برذونك

؟ فقال: يده مع أيدينا". [(١)]

٨٤٢-"فوصله اكتفاء بهذا التعريض الذي بلغ ما لا يبلغه صريح السؤال. ولذلك قال أكثم بن صيفي: السخاء حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل.

وحكي أن عبيد الله بن سليمان لما تقلد وزارة المعتضد كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له: نعماك فيهم أتمها ... ودع أمرنا إن المهم مقدم

فقال عبيد الله: ما أحسن ما شكا أمره بين أضعاف مدحه، وقضى حاجته.

وقال بعض الشعراء:

ومن لا يرى من نفسه مذكرا لها ... رأى طلب المستنجدين ثقيلا

والسبب الرابع: أن يكون ذلك رعاية ليد أو جزاء على صنيعة، فيرى تأدية الحق عليه طوعا إما أنفة وإما شكرا ليكون من أسر الامتنان طليقا، ومن رق الإحسان وعبوديته عتيقا. **قال بعض الحكماء**: الإحسان رق، والمكافأة عتق.

وقال أبو العتاهية - رحمه الله تعالى -:

وليست أيادي الناس عندي غنيمة ... ورب يد عندي أشد من الأسر

والسبب الخامس: أن يؤثر الإذعان بتقديمه، والإقرار بتعظيمه، توطيدا لرئاسة هو لها محب، وعلى طلبها مكب. وقد قال الشاعر:

حب الرئاسة داء لا دواء له ... وقلما تجد الراضين بالقسم

فتستصعب عليه إجابة النفوس له طوعا إلا بالاستعطاف، وإذعانها له إلا بالرغبة والإسعاف.

وقد قال بعض الأدباء: بالإحسان يرتبط الإنسان.

وقال بعض البلغاء: من بذل ماله أدرك آماله. وقال بعض الشعراء:

أترجو أن تسود بلا عناء ... وكيف يسود ذو الدعة البخيل

والسبب السادس: أن يدفع به سطوة أعدائه، ويستكفي به نفار خصمائه، ليصيروا له بعد الخصومة أعوانا، وبعد العداوة

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٨٨

إخوانا، إما". (١)

٨٤٣-"إلى اجتلاب الذم وإحباط الشكر. وليس فيما أفضى إلى واحد منهما خير يرجى وهو جدير أن يكون شرا يتقى. ولمثل هذا كان منع الجميع إرضاء للجميع وعطاء يكون المنع أرضى منه خسران مبين. فأما إذا كان البذل والعطاء عن سؤال فشروطه معتبرة من وجهين: أحدهما في السائل، والثاني في المسئول.

فأما ما كان معتبرا في السائل فثلاثة شروط: فالشرط الأول: أن يكون السؤال لسبب، والطلب لموجب. فإن كان لضرورة ارتفع عنه الحرج وسقط عنه اللوم. وقد قال بعض الحكماء: الضرورة توقح الصورة. وقال بعض الشعراء:

ألا قبح الله الضرورة إنها ... تكلف أعلى الخلق أدنى الخلائق

ولله در الاتساع فإنه ... يبين فضل السبق من غير سابق

وقال الكميت:

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا ... فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

فإن ارتفعت الضرورة ودعت الحاجة فيما هو أولى الأمرين أن يكون وإن جاز أن لا يكون فالنفس المسامحة تغلب الحاجة، وتسمح في الطلب، وتراعي ما استقام به الأمر، وإن ناله ذل ولحقه وهن فيتأول صاحبها قول البحتري:

وربما كان مكروه الأمور إلى ... محبوبها سببا ما مثله سبب

والنفس الشريفة تطلب الصيانة، وتراعي النزاهة، وتحتمل من الضر ما احتملت، ومن الشدة ما طاقت، فيبقى تحملها ويدوم تصونها، فتكون كما قال الشاعر:

وقد يكتسي المرء خز الثياب ... ومن دونها حاله مضنيه". (٢)

٨٤٤-"من كان مفقود الحياء فوجهه ... من غير بواب له بواب

والشرط الثاني: أن يلقى بالبشر والترحيب، ويقابل بالطلاقة والتقريب، ليكون مشكورا إن أعطى ومعذورا إن منع. وقد قال بعض الحكماء: إلق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره. وقال ابن لنكك: إن أبا بكر بن دريد قصد بعض الوزراء في حاجة فلم يقضها له وظهر له منه ضجر، فقال:

لا تدخلنك ضجرة من سائل ... فلخير دهرك أن ترى مسئولا

لا تجبهن بالرد وجه مؤمل ... فبقاء عزك أن ترى مأمولا

تلقى الكريم فتستدل ببشره ... وترى العبوس على اللئيم دليلا

واعلم بأنك عن قليل صائر ... خبرا فكن خبرا يروق جميلا

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٨٩

(٢) أدب الدنيا والدين ص/١٩٢

والشرط الثالث: تصديق الأمل وتحقيق الظن به ثم اعتبار حاله وحال سائله فإنها لا تخلو من أربع أحوال: فالحال الأولى: أن يكون السائل مستوجبا والمسئول متمكنا. فالإجابة ههنا تستحق كرما وتستلزم مروءة وليس للرد سبيل إلا لمن استولى عليه البخل، وهان عليه الذم، فيكون كما قال عبد الرحمن بن حسان:

إني رأيت من المكارم حسبكم ... أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

فإذا تذكرت المكارم مرة ... في مجلس أنتم به فتقنعوا

فنعوذ بالله ممن حرم ثروة ماله، ومنع حسن حاله، أن يكون مستودعا في صنيع مشكور، وبر مذخور.

وقد قيل لبخيل: لم حبست مالك؟ قال: للنوائب. فقيل له: قد نزلت بك. وقال بعض الشعراء:

ما لك من مالك إلا الذي ... قدمت فابذل طائعا مالكا

تقول أعمالي ولو فتشوا ... رأيت أعمالك أعمى لكا

وقد أسقط حق نفسه، ورفع أسباب شكره، فصار بأن لا حق له، مذموما كمشكور، ومأثوما كمأجور.

وقال أبو العتاهية:". (١)

٨٤٥-"على ثقة من فوتها.

وقال بعض الشعراء:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإن لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها ... فما تدري السكون متى يكون

وإن درت نياقك فاحتلبها ... فما تدري الفصيل لمن يكون

وروي أن بعض وزراء بني العباس مطل راغبا إليه في عمل يستكفيه إياه، فكتب إليه بعد طول المطل به:

أما يدعوك طول الصبر مني ... على استئناف منفعتي وشغلي

وعلمك أن ذا السلطان غاد ... على خطرين من موت وعزل

وأنك إن تركت قضاء حقي ... إلى وقت التفرغ والتخلي

ستصبح نادما أسفا معزى ... على فوت الصنيعة عند مثلي

وكتب بعض ذي الحرمات إلى وال قد قصر في رعاية حرمته يقول:

أعلى الصراط تريد رعية حرمتي ... أم في الحساب تمن بالإنعام

للنفع في الدنيا أردتك فانتبه ... لحوائجي من رقدة النوام

وكتب أبو علي البصير إلى بعض الوزراء وقد اعتذر إليه بكثرة الأشغال يقول:

لنا كل يوم نوبة قد ننوبها ... وليس لنا رزق ولا عندنا فضل

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/١٩٥

فإن تعتذر بالشغل عنا فإنما ... تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

واعلم أن للمعروف شروطا لا يتم إلا بها، ولا يكمل إلا معها. فمن ذلك ستره عن إذاعة يستطيل لها، وإخفاؤه عن إشاعة يستدل بها. **قال بعض الحكماء**: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا صنع إليك فانشره. ولقد قال دعبل الخزاعي:

إذا انتقموا أعلنوا أمرهم ... وإن أنعموا أنعموا باكتتام

يقوم القعود إذا أقبلوا ... وتقعد هيبتهم بالقيام". (١)

٨٤٦-"على أن ستر المعروف من أقوى أسباب ظهوره، وأبلغ دواعي نشره؛ لما جبلت عليه النفوس من إظهار ما خفي وإعلان ما كتم. وقال سهل بن هارون:

خل إذا جئته يوما لتسأله ... أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يخفي ضائعه والله يظهرها ... إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

ومن شروط المعروف تصغيره عن أن يراه مستكبرا، وتقليله عن أن يكون مستكثرا، لئلا يصير به مدلا بطرا ومستطيلا أشرا.

وقال العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه -: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته. وقال بعض الشعراء:

زادك المعروف عندي عظما ... إنه عندك ميسور حقير

وتناسيت كأن لم تأته ... وهو عند الناس مشهور خطير

ومن شروط المعروف: مجانبة الامتنان به وترك الإعجاب بفعله؛ لما فيهما من إسقاط الشكر، وإحباط الأجر.

فقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إياكم والامتنان بالمعروف فإنه يبطل الشكر، ويمحق الأجر. ثم تلا: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ [البقرة: ٢٦٤] »

وسمع ابن سيرين رجلا يقول لرجل: فعلت إليك وفعلت. فقال ابن سيرين: اسكت فلا خير في المعروف إذا أحصي. **وقال بعض الحكماء**: المن مفسدة الصنيعة. وقال بعض الأدباء: كدر معروفا امتنان وضيع حسبا امتهان. وقال بعض البلغاء: من من بمعروفه أسقط شكره، ومن أعجب بعمله أحبط أجره.

وقال بعض الفصحاء: قوة المنن من ضعف المنن. وقال بعض الشعراء:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ... ليس الكريم إذا أسدى بمنان". (٢)

٨٤٧-"إن الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع

فإذا صنعت صنيعة فاعمل بها ... لله أو لذوي القرابة أو دع

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٠٣

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٠٤

وقيل في منثور الحكم: لا خير في معروف إلى غير عروف. وقد ضرب الشاعر به مثلا قال:

كحمار السوء إن أشبعته ... رمح الناس وإن جاع نهق

وقال بعض الحكماء: على قدر المغارس يكون اجتناء الغارس، فأخذه بعض الشعراء فقال:

لعمرك ما المعروف في غير أهله ... وفي أهله إلا كبعض الودائع

فمستودع ضاع الذي كان عنده ... ومستودع ما عنده غير ضائع

وما الناس في شكر الصنيعة ... عندهم وفي كفرها إلا كبعض المزارع

فمزرعة طابت وأضعف نبتها ... ومزرعة أكدت على كل زارع

وأما من أسدي إليه المعروف واصطنع إليه الإحسان فقد صار بأسر المعروف موثوقا، وفي ملك الإحسان مرقوقا، ولزمه، إن كان من أهل المكافأة، أن يكافئ عليها. وإن لم يكن من أهلها أن يقابل المعروف بنشره، ويقابل الفاعل بشكره. فقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «من أودع معروفا فلينشره فإن نشره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره» . وروى الزهري عن عروة عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «دخل علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنا أتمثل بهذين البيتين:

ارفع ضعيفك لا يحونك ضعفه ... يوما فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثني عليك وإن من ... أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ردي علي قول اليهودي – قاتله الله – لقد أتاني جبرائيل برسالة من ربي تعالى: أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد لها جزاء إلا الدعاء والثناء فقد كافأه» . وقيل في منثور الحكم: الشكر قيد النعم. وقال عبد الحميد: من لم يشكر الإنعام فاعدده من الأنعام. وقيل في منثور الحكم". [١]

٨٤٨-"قيمة كل نعمة شكرها. **وقال بعض الحكماء**: كفر النعم من أمارات البطر وأسباب الغير. وقال بعض الفصحاء: الكريم شكور أو مشكور، واللئيم كفور أو مكفور. وقال بعض البلغاء: لا زوال للنعمة مع الشكر، ولا بقاء لها مع الكفر. وقال بعض الأدباء:

شكر الإله بطول الثناء ... وشكر الولاة بصدق الولاء

وشكر النظير بحسن الجزاء ... وشكرك الدون بحسن العطاء

وقال بعض الشعراء:

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد ... لعزة ملك أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره ... فقال: اشكروا لي أيها الثقلان

فإن من شكر معروف من أحسن إليه، ونشر أفضال من أنعم عليه، فقد أدى حق النعمة، وقضى موجب الصنيعة، ولم يبق

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٠٦

عليه إلا استدامة ذلك إتماما لشكره ليكون للمزيد مستحقا ولمتابعة الإحسان مستوجبا.

حكي أن الحجاج أتي إليه بقوم من الخوارج، وكان فيهم صديق له فأمر بقتلهم إلا ذلك الصديق فإنه عفا عنه وأطلقه ووصله. فرجع الرجل إلى قطري بن الفجاءة فقال له: عد إلى قتال عدو الله. فقال هيهات، غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها. وأنشأ يقول:

أأقاتل الحجاج في سلطانه ... بيد تقر بأنها مولاته

إني إذا لأخو الدناءة والذي ... شهدت بأقبح فعله غدراته

ماذا أقول إذا وقفت إزاءه ... في الصف واحتجت له فعلاته

أأقول جار علي لا إني إذا ... لأحق من جارت عليه ولاته

وتحدث الأقوام أن صنائعا ... غرست لدي فحنظلت نخلاته

وقيل في منثور الحكم: المعروف رق، والمكافأة عتق. ومن أشكر الناس الذي يقول:". (١)

٨٤٩-"غير اسمه؛ لأن الله تعالى أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم إلى القضاء بعد الإعواز.

وقد روى معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، قال: «ذكر عند النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل فذكر فيه خيرا، فقالوا: يا رسول الله خرج معنا حاجا فإذا نزلنا منزلا لم يزل يصلي حتى نرحل، فإذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله عز وجل حتى ننزل. فقال - صلى الله عليه وسلم -: فمن كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه؟ قالوا كلنا يا رسول الله. قال: كلكم خير منه» .

وقال بعض الحكماء: ليس من توكل المرء إضاعته للحزم، ولا من الحزم إضاعة نصيبه من التوكل. وإن كان تقصيره لزهد وتقنع فهذه حال من علم بمحاسبة نفسه بتبعات الغنى والثروة، وخاف عليها بوائق الهوى والقدرة، فآثر الفقر على الغنى، وزجر النفس عن ركوب الهوى.

فقد روى أبو الدرداء قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا وعلى جنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» .

وروى زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم أجمعين - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «انتظار الفرج من الله بالصبر عبادة، ومن رضي من الله عز وجل بالقليل من الرزق رضي الله عز وجل منه بالقليل من العمل» . وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: من نبل الفقر أنك لا تجد أحدا يعصي الله ليفتقر.

فأخذه محمود الوراق فقال:

يا عائب الفقر ألا تزدجر ... عيب الغني أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى إن صح منك النظر

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٠٧

أنك تعصي لتنال الغنى ... ولست تعصي الله كي تفتقر

وقال ابن المقفع:

دليلك أن الفقر خير من الغنى ... وأن قليل المال خير من المثري

لقاؤك مخلوقا عصى الله بالغنى ... ولم تر مخلوقا عصى الله بالفقر". (١)

٨٥٠-"وهذه الحال إنما تصح لمن نصح نفسه فأطاعته، وصدقها فأجابته، حتى لان قيادها، وهان عنادها.

وعلمت أن من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير، كما كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنهما -: يا أخي، من استغنى بالله اكتفى، ومن انقطع إلى غيره تعنى، ومن كان من قليل الدنيا لا يشبع، لم يغنه منها كثرة ما يجمع، فعليك منها بالكفاف، وألزم نفسك العفاف، وإياك وجمع الفضول، فإن حسابه يطول. **وقال بعض الحكماء**: هيهات منك الغنى إن لم يقنعك ما حويت.

فأما من أعرضت نفسه عن قبول نصحه، وجمحت به عن قناعة زهده، فليس إلى إكراهها سبيل ولا للحمل عليها وجه إلا بالرياضة والمروءة. وأن يستنزلها إلى اليسير الذي لا تنفر منه فإذا استقرت عليه أنزلها إلى ما هو أقل منه؛ لتنتهي بالتدريج إلى الغاية المطلوبة وتستقر بالرياضة والتمرين على الحال المحبوبة. وقد تقدم قول الحكماء: إن المكروه يسهل بالتمرين. فهذا حكم ما في الأمر الثاني من التقصير عن طلب الكفاية.

وأما الأمر الثالث: فهو أن لا يقنع بالكفاية ويطلب الزيادة والكثرة، فقد يدعو إلى ذلك أربعة أسباب: أحدها: منازعة الشهوات التي لا تنال إلا بزيادة المال وكثرة المادة، فإذا نازعته الشهوة طلب من المال ما يوصله. وليس للشهوات حد متناه فيصير ذلك ذريعة إلى أن ما يطلبه من الزيادة غير متناه.

ومن لم يتناه طلبه استدام كده وتعبه، ومن استدام الكد والتعب لم يف التذاذه بنيل شهواته بما يعانيه من استدامة كده وإتعابه، مع ما قد لزمه من ذم الانقياد لمغالبة الشهوات، والتعرض لاكتساب التبعات، حتى يصير كالبهيمة التي قد انصرف طلبها إلى ما تدعو إليه شهوتها، فلا تنزجر عنه بعقل ولا تنكف عنه بقناعة. وقد روي عن علي، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من أراد الله به خيرا حال بينه وبين شهوته، وحال بينه وبين قلبه، وإذا أراد به شرا وكله إلى نفسه» . وقد قال الشاعر:

وإنك إن أعطيت بطنك همه ... وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا". (٢)

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢١٧

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢١٨

٨٥١-"أدنتني منها فقد صانتني عنها. **وقال بعض الحكماء**: من أصلح ماله فقد صان الأكرمين: الدين والعرض.

وقيل في منثور الحكم: من استغنى كرم على أهله.

ومر رجل من أرباب الأموال ببعض العلماء فتحرك له وأكرمه فقيل له: بعد ذلك أكانت لك إلى هذا حاجة؟ قال لا. ولكني رأيت ذا المال مهيبا. وسأل رجل محمد بن عمير بن عطارد وعتاب بن ورقاء في عشر ديات فقال محمد: علي دية. وقال عتاب: الباقي علي. فقال محمد: نعم العون اليسار على المجد. وقال الأحنف بن قيس:

فلو كنت مثرى بمال كثير ... لجدت وكنت له باذلا

فإن المروءة لا تستطاع ... إذا لم يكن مالها فاضلا

وكان يقال: الدراهم مراهم؛ لأنها تداوي كل جرح، ويطيب بها كل صلح. وقال ابن الجلال:

رزقت مالا ولم أرزق مروءته ... وما المروءة إلا كثرة المال

إذا أردت رقى العلياء يقعدني ... عما ينوه باسمي رقة الحال

وقيل في منثور الحكم الفقر مخذلة، والغنى مجدلة، والبؤس مرذلة، والسؤال مبذلة. وقال أوس بن حجر:

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها ... وأحرى إذا حالت بأن أتحولا

فإني وجدت الناس إلا أقلهم ... خفاف عهود يكثرون التنقلا

بني أم ذي المال الكثير يرونه ... وإن كان عبدا سيد الأمر جحفلا

وهم لمقل المال أولاد علة ... وإن كان محضا في العشيرة مخولا

وقال بشر الضرير:

كفى حزنا أني أروح وأغتدي ... وما لي من مال أصون به عرضي

وأكثر ما ألقى الصديق بمرحبا ... وذلك لا يكفي الصديق ولا يرضي

وقال آخر:

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى ... وكل غني في العيون جليل". (١)

٨٥٢-"وليس الغنى إلا غنى زين الفتى ... عشية يقري أو غداة ينيل

وقد اختلف الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم أن ما أحوج من الفقر مكروه، وما أبطر من الغنى مذموم، فذهب قوم إلى تفضيل الغنى على الفقر؛ لأن الغني مقتدر والفقير عاجز، والقدرة أفضل من العجز. وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة.

وذهب آخرون إلى تفضيل الفقر على الغنى؛ لأن الفقير تارك والغني ملابس، وترك الدنيا أفضل من ملابستها. وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة. وذهب آخرون إلى تفضيل التوسط بين الأمرين بأن يخرج عن حد الفقر إلى أدنى مراتب

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٢٠

الغنى؛ ليصل إلى فضيلة الأمرين، ويسلم من مذمة الحالين، وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال، وأن خيار الأمور أوساطها. وقد مضى شواهد كل فريق في موضعه بما أغنى عن إعادته.

والسبب الثالث: أن يطلب الزيادة ويقتني الأموال؛ ليدخرها لولده، ويخلفها على ورثته، مع شدة ضنه على نفسه، وكفه عن صرف ذلك في حقه، إشفاقا عليهم من كدح الطلب، وسوء المنقلب، وهذا شقي بجمعها، مأخوذ بوزرها، قد استحق اللوم من وجوه لا تخفى على ذي لب.

منها: سوء ظنه بخالقه أنه لا يرزقهم إلا من جهته. وقد قيل: قتل القنوط صاحبه، وفي حسن الظن بالله راحة القلوب. وقال عبد الحميد: كيف تبقى على حالتك والدهر في إحالتك.

ومنها: الثقة ببقاء ذلك على ولده مع نوائب الزمان ومصائبه. وقد قيل: الدهر حسود لا يأتي على شيء إلا غيره. وقيل في منثور الحكم: المال ملول. **وقال بعض الحكماء**: الدنيا إن بقيت لك لا تبقى لها.

ومنها: ما حرم من منافع ماله، وسلب من وفور حاله. وقد قيل: إنما مالك لك أو للوارث أو للجائحة فلا تكن أشقى الثلاثة. وقال عبد الحميد". (١)

٨٥٣-"على أن في الأموال يوما تباعة ... على أهلها والمقترون براء

وأنشدت عن الربيع للشافعي - رضي الله عنه -:

إن الذي رزق اليسار ولم يصب ... حمدا ولا أجرا لغير موفق

والجد يدني كل شيء شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق

وأحق خلق الله بالهم امرؤ ... ذو همة عليا وعيش ضيق

ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

فإذا سمعت بأن مجدودا حوى ... عودا فأورق في يديه فحقق

وإذا سمعت بأن مخذولا أتى ... ماء ليشربه فجف فصدق

اللب العقل. تقول: لبيب ذو لب. والجد في اللغة الحظ، وهو البخت، والجد أيضا العظمة. ومنه قوله تعالى: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ [الجن: ٣] .

والجد مصدر جد الشيء إذا قطع والجد بالكسر الانكماش في الأمور أي الاجتهاد فيها، وهو أيضا الحق ضد الهزل. وبالحاء إذا منع الرزق ومجد مجدود لا يقال فيهما إلا بما لم يسم فاعله. وآفة من بلي بالجمع والاستكثار، ومني بالإمساك والادخار، حتى انصرف عن رشده فغوى، وانحرف عن سنن قصده فهوى، أن يستولي عليه حب المال وبعد الأمل فيبعثه حب المال على الحرص في طلبه، ويدعوه بعد الأمل على الشح به.

والحرص والشح أصل لكل ذم، وسبب لكل لؤم؛ لأن الشح يمنع من أداء الحقوق، ويبعث على القطيعة والعقوق. ولذلك

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٢١

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «شر ما أعطى العبد شح هالع وجبن خالع» . **وقال بعض الحكماء**: الغني البخيل كالقوي الجبان.

وأما الحرص فيسلب فضائل النفس؛ لاستيلائه عليها، ويمنع من التوفر على العبادة؛ لتشاغله عنها، ويبعث على التورط في الشبهات؛ لقلة تحرزه منها. وهذه الثلاث خصال هن". (١)

٨٥٤–"جامعات الرذائل، سالبات الفضائل، مع أن الحريص لا يستزيد بحرصه زيادة على رزقه سوى إذلال نفسه، وإسخاط خالقه. وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «الحريص الجاهد والقنوع الزائد يستوفيان أكلهما غير منتقص منه شيء، فعلام التهافت في النار» .

وقال بعض الحكماء: الحرص مفسدة للدين والمروءة، والله ما عرفت من وجه رجل حرصا فرأيت أن فيه مصطنعا. وقال آخر: الحريص أسير مهانة لا يفك أسره. وقال بعض البلغاء: المقادير الغالبة لا تنال بالمغالبة، والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشدة والمطالبة، فذلل للمقادير نفسك واعلم بأنك غير نائل بالحرص إلا حظك. وقال بعض الأدباء: رب حظ أدركه غير طالبه، ودر أحرزه غير جالبه.

وأنشدني بعض أهل الأدب لمحمد بن حازم:

يا أسير الطمع الكاذب ... في غل الهوان

إن عز اليأس خير ... لك من ذل الأماني

سامح الدهر إذا عز ... وخذ صفو الزمان

إنما أعدم ذو الحرص ... وأثري ذو التواني

وليس للحريص غاية مقصودة يقف عندها، ولا نهاية محدودة يقنع بها؛ لأنه إذا وصل بالحرص إلى ما أمل أغراه ذلك بزيادة الحرص والأمل، وإن لم يصل رأى إضاعة الغنى لؤما، والصبر عليه حزما، وصار بما سلف من رجائه أقوى رجاء وأبسط أملا.

وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال «يشيب ابن آدم ويبقى معه خصلتان الحرص والأمل» . وقيل للمسيح – عليه السلام –: ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشباب؟ قال:؛ لأنهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب. ولو صدق الحريص نفسه واستنصح عقله لعلم أن من تمام السعادة وحسن التوفيق الرضاء بالقضاء والقناعة بالقسم.

وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «اقتصدوا في الطلب فإن ما رزقتموه أشد طلبا لكم منكم له وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم» . وروي «أن جبريل – على نبينا وعليه السلام – هبط على النبي – صلى الله عليه وسلم

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٢٤

- فقال: إن الله - تبارك وتعالى -". (١)

٨٥٥-"يقرأ عليك السلام ويقول لك: اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١] . فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - مناديا ينادي: من لم يتأدب بأدب الله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات» .

وقيل: مكتوب في بعض الكتب: ردوا أبصاركم عليكم فإن لكم فيها شغلا. وقال مجاهد في تأويل قوله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧] قال: بالقناعة.

وقال أكثم بن صيفي: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة. وقال بعض السلف: قد يخيب الجاهد الساعي، ويظفر الوادع الهادي. فأخذه البحتري فقال:

لم ألق مقدورا على استحقاقه ... في الحظ إما ناقصا أو زائدا

وعجبت للمحدود يحرم ناصبا ... كلفا وللمجدود يغنم قاعدا

ما خطب من حرم الإرادة قاعدا ... خطب الذي حرم الإرادة جاهدا

وقال بعض الحكماء: إن من قنع كان غنيا وإن كان مقترا، ومن لم يقنع كان فقيرا وإن كان مكثرا.

وقال بعض البلغاء إذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة، وإذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فمن أطاع الله - عز وجل - عن نصره، ومن لزم القناعة زال فقره. وقال بعض الأدباء: القناعة عز المعسر، والصدقة حرز الموسر. وقال بعض الأدباء:

إني أرى من له قنوع ... يدرك ما نال أو تمنى

والرزق يأتي بلا عناء ... وربما فات من تعنى

والقناعة قد تكون على ثلاثة أوجه. فالوجه الأول: أن يقنع بالبلغة من دنياه، ويصرف نفسه عن التعرض". (٢)

٨٥٦-"لما سواه.

وهذا أعلى منازل القناعة. وقال الشاعر:

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن ... على حالة إلا رضيت بدونها

وقال مالك بن دينار: أزهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بلغته. **وقال بعض الحكماء**: الرضى بالكفاف يؤدي إلى العفاف. وقال بعض الأدباء: يا رب ضيق أفضل من سعة، وعناء خير من دعة. وأنشدني بعض أهل الأدب، وذكر أنه لعلي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -:

أفادتني القناعة كل عز ... وأي غنى أعز من القناعه

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٢٥

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٢٦

فصيرها لنفسك رأس مال ... وصير بعدها التقوى بضاعه

تحرز حين تغنى عن بخيل ... وتنعم في الجنان بصبر ساعه

والوجه الثاني: أن تنتهي به القناعة إلى الكفاية، ويحذف الفضول والزيادة. وهذه أوسط حال المقتنع. وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ما من عبد إلا بينه وبين رزقه حجاب، فإن قنع واقتصد أتاه رزقه، وإن هتك الحجاب لم يزد في رزقه» . **وقال بعض الحكماء**: ما فوق الكفاف إسراف. وقال بعض البلغاء: من رضي بالمقدور قنع بالميسور.

وقال البحتري:

تطلب الأكثر في الدنيا وقد ... تبلغ الحاجة منها بالأقل

وأنشدت لإبراهيم بن المدبر:

إن القناعة والعفاف ... ليغنيان عن الغنى

فإذا صبرت عن المنى ... فاشكر فقد نلت المنى

والوجه الثالث: أن تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سنح فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيرا، ولا يطلب ما تعذر وإن كان يسيرا. وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة؛ لأنها مشتركة بين رغبة ورهبة. أما الرغبة؛ فلأنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سنحت. وأما الرهبة؛ فلأنه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة إذا تعذرت. وفي مثله قال ذو النون – رحمة الله عليه –:". (١)

٨٥٧-"وبالنهر اليابس الذي كلما كان أعرض وأعمق كان أشد لوعورته، وبالأرض الجيدة المعطلة التي كلما طال خرابها ازداد نباتها غير المنتفع به التفافا وصار للهوام مسكنا.

وقال ابن المقفع: ما نحن إلى ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا إلى الأدب الذي هو لقاح عقولنا، فإن الحبة المدفونة في الثرى لا تقدر أن تطلع زهرتها ونضارتها إلا بالماء الذي يعود إليها من مستودعها. وحكى الأصمعي – رحمه الله تعالى – أن أعرابيا قال لابنه: يا بني العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب دعامة أيد الله بها الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب، فالعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته، عن الأدب المخرج زهرته، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها.

وقال بعض الحكماء: الأدب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت. وقال آخر: العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب كالشجر المثمر. وقيل الأدب أحد المنصبين. وقال بعض البلغاء: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب؛ لأن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قل عقله ضل أصله. وقال بعض الأدباء: ذك قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب، واتخذ الأدب غنما، والحرص عليه حظا، يرتجيك راغب، ويخاف صولتك راهب، ويؤمل نفعك، ويرجى عدلك.

وقال بعض العلماء: الأدب وسيلة إلى كل فضيلة، وذريعة إلى كل شريعة. وقال بعض الفصحاء: الأدب يستر قبيح النسب.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٢٧

وقال بعض الشعراء فيه:

فما خلق الله مثل العقول ... ولا اكتسب الناس مثل الأدب

وما كرم المرء إلا التقى ... ولا حسب المرء إلا النسب

وفي العلم زين لأهل الحجا ... وآفة ذي الحلم طيش الغضب

وأنشد الأصمعي - رحمه الله -:

وإن يك العقل مولودا فلست أرى ... ذا العقل مستغنيا عن حادث الأدب

إني رأيتهما كالماء مختلطا ... بالترب تظهر منه زهرة العشب

وكل من أخطأته في موالده ... غريزة العقل حاكى البهم في الحسب". (١)

٨٥٨-"والتأديب يلزم من وجهين: أحدهما ما لزم الوالد لولده في صغره. والثاني ما لزم الإنسان في نفسه عند نشوئه وكبره. فأما التأديب اللازم للأب فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها، وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمبادئها في الصغر؛ لأن نشوء الصغر على الشيء يجعله متطبعا به. ومن أغفل تأديبه في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرا.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن يفيده إياه، أو جهل قبيح يكفه عنه ويمنعه منه» . **وقال بعض الحكماء**: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال. وقال بعض الشعراء:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر ... وليس ينفع عند الشيبة الأدب

وقال آخر:

ينشو الصغير على ما كان والده ... إن الأصول عليها تنبت الشجر

وأما الأدب اللازم للإنسان عند نشوئه وكبره فأدبان: أدب مواضعة واصطلاح، وأدب رياضة واستصلاح. فأما أدب المواضعة والاصطلاح فيؤخذ تقليدا على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء، واتفق عليه استحسان الأدباء. وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستنبط، ولا لاتفاقهم على استحسانه دليل موجب، كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب، واتفاقهم على هيئات اللباس، حتى إن الإنسان الآن إذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها صار مجانبا للأدب، مستوجبا للذم.

لأن فراق المألوف في العادة، ومجانبة ما صار متفقا عليه بالمواضعة، مفض إلى استحقاق الذم بالعقل ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة ومعنى حادث. وقد كان جائزا في العقل أن يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه فيرونه حسنا، ويرون ما سواه قبيحا، فصار هذا مشاركا لما وجب بالعقل من حيث توجه الذم على تاركه ومخالفا له من حيث أنه كان جائزا في العقل أن

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٣٢

يوضع على خلافه.

وأما أدب الرياضة والاستصلاح فهو ما كان محمولا على حال لا يجوز في العقل أن يكون". (١)

٨٥٩-"بخلافها، ولا أن تختلف العقلاء في صلاحها وفسادها. وما كان كذلك فتعليله بالعقل مستنبط، ووضوح صحته بالدليل مرتبط. وللنفس على ما يأتي من ذلك شاهد ألهمها الله تعالى إرشادا لها. قال الله تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ [الشمس: ٨]

قال ابن عباس - رضي الله عنه -: بين لها ما تأتي من الخير وتذر من الشر. وسنذكر تعليل كل شيء في موضعه، فإنه أولى به وأحق.

فأول مقدمات أدب الرياضة والاستصلاح أن لا يسبق إلى حسن الظن بنفسه، فيخفى عنه مذموم شيمه ومساوئ أخلاقه؛ لأن النفوس بالشهوات آمرة، وعن الرشد زاجرة. وقد قال الله تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ [يوسف: ٥٣] . وقال - صلى الله عليه وسلم -: «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك، ثم أهلك، ثم عيالك» .

ودعت أعرابية لرجل فقالت: كبت الله كل عدو لك إلا نفسك. فأخذه بعض الشعراء فقال:

قلبي إلى ما ضرني داعي ... يكثر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي إذا ... كان عدوي بين أضلاعي

فإذا كانت النفس كذلك فحسن الظن بها ذريعة إلى تحكيمها، وتحكيمها داع إلى سلاطتها وفساد الأخلاق بها. فإذا صرف حسن الظن عنها وتوسمها بما هي عليه من التسويف والمكر فاز بطاعتها، وانحاز عن معصيتها.

وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: العاجز من عجز عن سياسة نفسه. **وقال بعض الحكماء**: من ساس نفسه ساد ناسه. فأما سوء الظن بها فقد اختلف الناس فيه، فمنهم من كرهه لما فيه من اتهام طاعتها، ورد مناصحتها. فإن النفس وإن كان لها مكر يردي فلها نصح يهدي. فلما كان حسن الظن بها يعمي عن مساوئها، كان سوء الظن بها يعمي عن". (٢)

٨٦٠-"الله ورسوله؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بل أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة. فأخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعرا فقال:

عجبت من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذره

وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذره

وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذره

وقد كان المهلب أفضل من أن يخدع نفسه بهذا الجواب غير الصواب، ولكنها زلة من زلات الاسترسال، وخطيئة من خطايا

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٣٣

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٣٤

الإدلال.

فأما الحمق الصريح، والجهل القبيح، فهو ما حكي عن نافع بن جبير بن مطعم أنه جلس في حلقة العلاء بن عبد الرحمن الخرقي وهو يقرئ الناس، فلما فرغ قال: أتدرون لم جلست إليكم؟ قالوا: جلست لتسمع. قال: لا ولكني أردت أن أتواضع لله بالجلوس إليكم. فهل يرجى من هذا فضل أو ينفع فيه عذل، وقد قال ابن المعتز: لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا، ويرفع حقيرا، وليس بفاعل.

وأما الإعجاب فيخفي المحاسن ويظهر المساوئ ويكسب المذام ويصد عن الفضائل. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب. وقال بزرجمهر: النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه منه العجب.

وقال بعض الحكماء: عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله. وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حد، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر. وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة وبمذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق ويكسبه من حقد.

حكى عمر بن حفص قال: قيل للحجاج كيف وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل لو كان الله". (١)

٨٦١-"وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - المدح ذبح. وقال ابن المقفع: قابل المدح كمادح نفسه. **وقال بعض الحكماء**: من رضي أن يمدح بما ليس فيه فقد أمكن الساخر منه. وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إياكم والتمادح فإنه الذبح إن كان أحدكم مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب ولا أزكي على الله أحدا» .

وقيل فيما أنزل الله عز وجل من الكتب السالفة: عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح، وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب. وقال بعض الشعراء:

يا جاهلا غره إفراط مادحه ... لا يغلبن جهل من أطراك علمك بك

أثنى وقال بلا علم أحاط به ... وأنت أعلم بالمحصول من ريبك

وهذا أمر ينبغي للعاقل أن يضبط نفسه عن أن يستفزها، ويمنعها من تصديق المدح لها، فإن للنفس ميلا لحب الثناء وسماع المدح. وقال الشاعر:

يهوى الثناء مبرز ومقصر ... حب الثناء طبيعة الإنسان

فإذا سامح نفسه في مدح الصبوة، وتابعها على هذه الشهوة، تشاغل بها عن الفضائل الممدوحة، ولها بها عن المحاسن الممنوحة، فصار الظاهر من مدحه كذبا، والباطن من ذمه صدقا، وعند تقابلهما يكون الصدق ألزم الأمرين. وهذه خدعة لا يرتضيها عاقل ولا ينخدع بها مميز.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٣٧

وليعلم أن المتقرب بالمدح يسرف مع القبول ويكف مع الإباء، فلا يغلبه حسن الظن على تصديق مدح هو أعرف بحقيقته ولتكن تهمة المادح أغلب عليه. فقل مدح كان جميعه صدقا، وقل ثناء كان له حقا. ولذلك كره أهل الفضل أن يطلقوا ألسنتهم بالثناء والمدح تحرزا من التجاوز فيه، وتنزيها عن التملق به. وقد روى مكحول قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تكونوا عيابين ولا تكونوا لعانين ولا متمادحين ولا متماوتين» .

وحكى الأصمعي أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – كان إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم". (١)

٨٦٢–"أسباب الكرامة وأقوى مواد النعم وأبلغ شافع إلى القلوب يعطفها إلى المحبة ويثنيها عن البغض.

وقال بعض الحكماء: من برئ من ثلاث نال ثلاثا: من برئ من السرف نال العز. ومن برئ من البخل نال الشرف. ومن برئ من الكبر نال الكرامة.

وقال مصعب بن الزبير: التواضع مصائد الشرف. وقيل في منثور الحكم: من دام تواضعه كثر صديقه. وقد تحدث المنازل والولايات لقوم أخلاقا مذمومة يظهرها سوء طباعهم، ولآخرين فضائل محمودة يبعث عليها زكاء شيمهم؛ لأن تقلب الأحوال سكرة تظهر من الأخلاق مكنونها، ومن السرائر مخزونها، لا سيما إذا هجمت من غير تدريج وطرقت من غير تأهب.

وقد **قال بعض الحكماء**: في تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال. وقال الفضل بن سهل: من كانت ولايته فوق قدرة تكبر لها، ومن كانت ولايته دون قدرة تواضع لها.

وقال بعض البلغاء: الناس في الولاية رجلان: رجل يجل العمل بفضله ومروءته، ورجل يجل بالعمل لنقصه ودناءته. فمن جل عن عمله ازداد به تواضعا وبشرا، ومن جل عنه عمله ازداد به تجبرا وتكبرا.

[الفصل الثاني في حسن الخلق]

حسن الخلق الفصل الثاني في حسن الخلق روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «إن الله تعالى اختار لكم الإسلام دينا فأكرموه بحسن الخلق والسخاء فإنه لا يكمل إلا بهما» . وقال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا بلى. قال الخلق الدني واللسان البذي. **وقال بعض الحكماء**: من ساء خلقه ضاق رزقه. وعلة هذا القول ظاهرة.

وقال بعض البلغاء: الحسن الخلق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة.

والسيئ الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء، **وقال بعض الحكماء**: عاشر أهلك بأحسن أخلاقك فإن الثواء فيهم قليل. وقال بعض الشعراء:". (٢)

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٤٠

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٤٢

٨٦٣-"إذا لم تتسع أخلاق قوم ... تضيق بهم فسيحات البلاد

إذا ما المرء لم يخلق لبيبا ... فليس اللب عن قدم الولاد

فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب. وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال «حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» . **وقال بعض الحكماء**: من سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة الأصفياء المسعدين، وقلة الأعداء المجحفين.

ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: «أحبكم إلي أحسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون» . وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة، لين الجانب، طليق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة. وقد بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذه الأوصاف فقال: «أهل الجنة كل هين لين سهل طلق» . ولما ذكرنا من هذه الأوصاف حدودا مقدرة ومواضع مستحقة، ما قال الشاعر:

أصفو وأكدر أحيانا لمختبري ... وليس مستحسنا صفو بلا كدر

وليس يريد بالكدر الذي هو البذاء وشراسة الخلق، فإن ذلك ذم لا يستحسن وعيب لا يرتضي. وإنما يريد الكف والانقباض في موضع يلام فيه المساعد ويذم فيه الموافق، فإذا كانت لمحاسن الأخلاق حدود مقدرة ومواضع مستحقة فإن تجاوز بها الحد صارت ملقا وإن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا. والملق ذل، والنفاق لؤم، وليس لمن وسم بهما ود مبرور ولا أثر مشكور.

وقد روى حكيم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» . وروى مكحول عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون وجيها عند الله تعالى» . وقال سعيد بن عروة: لأن يكون لي نصف وجه ونصف لسان على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر أحب إلي من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين. وقال الشاعر:". (١)

٨٦٤-"[الفصل الثالث في الحياء]

الحياء الفصل الثالث في الحياء: اعلم أن الخير والشر معان كامنة تعرف بسمات دالة كما قالت العرب في أمثالها: تخبر عن مجهوله مرآته

وكما قال سلم بن عمرو الشاعر،

لا تسأل المرء عن خلائقه ... في وجهه شاهد من الخبر

فسمة الخير الدعة والحياء، وسمة الشر القحة والبذاء. وكفى بالحياء خيرا أن يكون على الخير دليلا، وكفى بالقحة والبذاء شرا أن يكونا إلى الشر سبيلا.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٤٣

وقد روى حسان بن عطية عن أبي أمامة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق» . ويشبه أن يكون العي في معنى الصمت، والبيان في معنى التشادق، كما جاء في الحديث الآخر: «إن أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون المتشدقون» . وروى أبو سلمة عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار» .

وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. وقال بعض البلغاء: حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه. وقال بعض البلغاء العلماء: يا عجبا كيف لا تستحيي من كثرة ما لا تستحيي وتبقى من طول ما لا تبقى. وقال بعض الشعراء، وهو صالح بن عبد القدوس:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ... ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك وإنما ... يدل على فعل الكريم حياؤه

وليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح ولا زاجر عن محظور، فهو يقدم على ما يشاء ويأتي ما يهوى، وبذلك جاء الخبر.

روى شعبة عن منصور بن ربعي عن أبي منصور البدري قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: يا ابن آدم إذا لم". (١)

٨٦٥-"ولقد أصرف الفؤاد عن الشيء ... حياء وحبه في السواد

أمسك النفس بالعفاف وأمسي ... ذاكرا في غد حديث الأعادي

وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء.

ولذلك قال – صلى الله عليه وسلم –: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له» . يعني – والله أعلم – لقلة مروءته، وظهور شهوته.

وروى الحسن عن أبي هريرة قال: قال – صلى الله عليه وسلم –: «إن مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه وإلفه وجليسه» . وقال بعض الشعراء:

ورب قبيحة ما حال بيني ... وبين ركوبها إلا الحياء

إذا رزق الفتى وجها وقاحا ... تقلب في الأمور كما يشاء

وقال آخر:

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا ... وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع

وأما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات.

وقال بعض الحكماء: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك. وقال بعض الأدباء: من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر. ودعا قوم رجلا كان يألف عشرتهم، فلم يجبهم، وقال: إني دخلت

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٤٧

البارحة في الأربعين وأنا أستحي من سني. وقال بعض الشعراء:

فسري كإعلاني وتلك خليقتي ... وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري

وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة.

فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير، وانتفت عنه أسباب الشر، وصار بالفضل مشهورا، وبالجميل مذكورا.

وقال بعض الشعراء:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنى ... وعن شتم ذي القربى خلائق أربع". (١)

٨٦٦-"أحب مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أعيب وأن أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلما ... وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا

فالحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب؛ لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد.

وقد قال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره. وحد الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب. وهذا يكون عن باعث وسبب. وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة: أحدها: الرحمة للجهال وذلك من خير يوافق رقة. وقد قيل في منثور الحكم: من أوكد الحلم رحمة الجهال.

وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - لرجل أسمعه كلاما: يا هذا لا تغرقن في سبنا، ودع للصلح موضعا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه. وشتم رجل الشعبي فقال: إن كنت ما قلت فغفر الله لي، وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك. واغتاظت عائشة - رضي الله عنها - على خادم لها ثم رجعت إلى نفسها فقالت: لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء. وقسم معاوية - رضي الله عنه - قطافا فأعطى شيخا من أهل دمشق قطيفة فلم تعجبه، فحلف أن يضرب بها رأس معاوية. فأتاه فأخبره فقال له معاوية: أوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ.

والثاني: من أسبابه القدرة على الانتصار وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه» . **وقال بعض الحكماء**: ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة.

وقال بعض البلغاء: أحسن المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر.

والثالث: من أسبابه: الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس وعلو الهمة. كما قالت الحكماء: شرف النفس أن تحمل

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٥٠

المكاره كما". [١]

٨٦٧-"تحمل المكارم. وقد قيل: إن الله تعالى سمى يحيى - عليه السلام - سيدا لحلمه.

وقد قال الشاعر:

لا يبلغ المجد أقوام وإن كرموا ... حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام

ويشتموا فترى الألوان مسفرة ... لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

والرابع من أسبابه: الاستهانة بالمسيء وذلك عن ضرب من الكبر والإعجاب، ما حكي عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق جلس يوما لعطاء الجند وأمر مناديه فنادى أين عمرو بن جرموز، وهو الذي قتل أباه الزبير، فقيل له: أيها الأمير إنه قد تباعد في الأرض. فقال: أويظن الجاهل أني أقيده بأبي عبد الله؟ فليظهر آمنا ليأخذ عطاءه موفرا. فعد الناس ذلك من مستحسن الكبر.

ومثل ذلك قول بعض الزعماء في شعره:

أوكلما طن الذباب طردته ... إن الذباب إذا علي كريم

وأكثر رجل من سب الأحنف وهو لا يجيبه فقال: والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه. وفي مثله يقول الشاعر:

نجا بك لؤمك منجى الذباب ... حمته مقاذيره أن ينالا

وأسمع رجل ابن هبيرة فأعرض عنه فقال له الرجل: إياك أعنى. فقال له: وعنك أعرض. وفي مثله يقول الشاعر:

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه ... عرض عززت به وأنت ذليل

وقال عمرو بن علي:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

سكت عن السفيه فظن أني ... عييت عن الجواب وما عييت

والخامس من أسبابه: الاستحياء من جزاء الجواب. وهذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة. وقد قال بعض الحكماء: احتمال السفيه خير من التحلي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته. وقال بعض". [٢]

٨٦٨-"الأدباء: ما أفحش حليم ولا أوحش كريم.

وقال لقيط بن زرارة:

وقل لبني سعد فما لي وما لكم ... ترقون مني ما استطعتم وأعتق

أغركم أني بأحسن شيمة ... بصير وأني بالفواحش أخرق

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٥٢

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٥٣

وإن تك قد فاحشتني فقهرتني ... هنيئا مريئا أنت بالفحش أحذق

والسادس من أسبابه: التفضل على السباب. فهذا يكون من الكرم وحب التألف، كما قيل للإسكندر: إن فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما. فقال: هما بعد العقوبة أعذر في تنقصي وثلبي. فكان هذا تفضلا منه وتألفا.

وقد حكي عن الأحنف بن قيس أنه قال: ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى مني عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان نظيري تفضلت عليه. فأخذه الخليل، فنظمه شعرا فقال:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه إلي الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فأحلم دائبا ... أصون به عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم

والسابع من أسبابه: استنكاف السباب وقطع السباب. وهذا يكون من الحزم، كما حكي أن رجلا قال لضرار بن القعقاع: والله لو قلت واحدة لسمعت عشرا. فقال له ضرار: والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة.

وحكي أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لعامر بن مرة الزهري: من أحمق الناس؟ قال: من ظن أنه أعقل الناس. قال: صدقت، فمن أعقل الناس؟ قال من لم يتجاوز الصمت في عقوبة الجهال. وقال الشعبي: ما أدركت أمي فأبرها، ولكن لا أسب أحدا فيسبها. **وقال بعض الحكماء**: في إعراضك صون أعراضك.

وقال بعض الشعراء:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى ... وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا". (١)

٨٦٩-"فتندم إذ لا تنفعنك ندامة ... كما ندم المغبون لما تفرقا

وقال آخر:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي أصم وأذني غير صماء

والثامن من أسبابه: الخوف من العقوبة على الجواب. وهذا يكون من ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم. وقد قيل في منثور الحكم: الحلم حجاب الآفات. وقال الشاعر:

ارفق إذا خفت من ذي هفوة خرقا ... ليس الحليم كمن في أمره خرق

والتاسع من أسبابه: الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة. وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد، وقد قيل في منثور الحكم: أكرم الشيم أرعاها للذمم. وقال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة ... واللؤم مقرون بذي الإخلاف

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٥٤

وترى الكريم لمن يعاشر منصفا ... وترى اللئيم مجانب الإنصاف

والعاشر من أسبابه: المكر وتوقع الفرص الخلفية. وهذا يكون من الدهاء. وقد قيل في منثور الحكم: من ظهر غضبه قل كيده. وقال بعض الأدباء: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله. **وقال بعض الحكماء**: إذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عقابا. وقال إياس بن قتادة:

تعاقب أيدينا ويحلم رأينا ... ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

وقال بعض الشعراء:

وللكف عن شتم اللئيم تكرما ... أضر له من شتمه حين يشتم

فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم. وبعض الأسباب أفضل من بعض. وليس إذا كان بعض أسبابه مفضولا ما يقتضي أن تكون نتيجته من الحلم مذمومة. وأما الأولى بالإنسان أن يدعوه للحلم أفضل أسبابه، وإن". [١]

٨٧٠-"كان الحلم كله فضلا. وإن عري عن أحد هذه الأسباب كان ذلا ولم يكن حلما، لأننا قد ذكرنا في حد الحلم أنه ضبط النفس عن هيجان الغضب، فإذا فقد الغضب لسماع ما يغضب كان ذلك من ذل النفس وقلة الحمية.

وقد قال الحكماء: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يعرف الجواد إلا في العسرة، والشجاع إلا في الحرب، والحليم إلا في الغضب. وقال الشاعر:

ليست الأحلام في حال الرضى ... إنما الأحلام في حال الغضب

وقال آخر:

من يدعي الحلم أغضبه لتعرفه ... لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

وأنشد النابغة الجعدي بحضرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فلم ينكر - صلى الله عليه وسلم - قوله عليه. ومن فقد الغضب في الأشياء المغضبة حتى استوت حالتاه قبل الإغضاب وبعده، فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة، والأنفة، والحمية، والغيرة، والدفاع، والأخذ بالثأر؛ لأنها خصال مركبة من الغضب. فإذا عدمها الإنسان هان بها ولم يكن لباقي فضائله في النفوس موضع، ولا لوفور حلمه في القلوب موقع.

وقد قال المنصور: إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة. **وقال بعض الحكماء**: العفو يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم. وقال عمرو بن العاص: أكرموا سفهاءكم فإنهم يقونكم العار والشنار. وقال مصعب بن الزبير: ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا. وقال أبو تمام الطائي:

والحرب تركب رأسها في مشهد ... عدل السفيه به بألف حليم

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٥٥

وليس هذا القول إغراء بتحكم الغضب والانقياد إليه عند حدوث ما يغضب، فيكسب بالانقياد للغضب من الرذائل أكثر مما يسلبه عدم الغضب". (١)

٨٧١-"من الفضائل. ولكن إذا ثار به الغضب عند هجوم ما يغضبه كف سورته بحزمه، وأطفأ ثائرته بحلمه، ووكل من استحق المقابلة إلى غيره. ولم يعدم مسيئا مكافيا كما لم يعدم محسنا مجازيا.

والعرب تقول: دخل بيتا ما أخرج منه. أي إن أخرج منه خير دخله خير، وإن أخرج منه شر دخله شر. وأنشد ابن دريد عن أبي حاتم:

إذا أمن الجهال جهلك مرة ... فعرضك للجهال غنم من الغنم

فعم عليه الحلم والجهل والقه ... بمنزلة بين العداوة والسلم

إذا أنت جازيت السفيه كما جزى ... فأنت سفيه مثله غير ذي حلم

ولا تغضبن عرض السفيه وداره ... بحلم فإن أعيا عليكم فبالصرم

فيرجوك تارات ويخشاك تارة ... ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم

فإن لم تجد بدا من الجهل فاستعن ... عليه بجهال فذاك من العزم

وهذه من أحكم أبيات وجدتها في تدبير الحلم والغضب. وهذا التدبير إنما يستعمل فيما لا يجد الإنسان بدا من مقارنته، ولا سبيل إلى إطراحه ومتاركته، إما لخوف شره أو للزوم أمره.

فأما من أمكن إطراحه ولم يضر إبعاده، فالهوان به أولى والإعراض عنه أصوب. فإذا كان على ما وصفت استفاد بتحريك الغضب فضائله وأمن بكف نفسه عن الانقياد له رذائله، وصار الحلم مدبرا للأمور المغضبة بقدر لا يعتريه نقص بعدم الغضب، ولا يلحقه زيادة بفقد الحلم. ولو عزب عنه الحلم حتى انقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب فيه، وضعف رأيه عن خيرة أسبابه ودواعيه، حتى يصير بليد الرأي، مغمور الروية، مقطوع الحجة، مسلوب العزاء، قليل الحيلة، مع ما يناله من أثر ذلك في نفسه وجسده حتى يصير أضر عليه مما غضب له.

وقد **قال بعض الحكماء**: من كثر شططه كثر غلطه. وروي أن سلمان قال لعلي - رضي الله عنه -: ما الذي يباعدني عن غضب الله عز وجل؟ قال: لا تغضب. وقال بعض السلف: أقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل، إذا غضب.

وقال بعض البلغاء: من رد غضبه هد من". (٢)

٨٧٢-"السماء.

وقال بعض الحكماء: من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله. وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٥٦

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٥٧

الرشيد: يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني. فعفا عنه لما ذكره قدرة الله تعالى. وروي أن «رجلا شكا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – القسوة فقال: اطلع في القبور واعتبر بالنشور» . وكان بعض ملوك الطوائف إذا غضب ألقي عنده مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه، ولذلك قال عمر – رضي الله عنه –: من أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير.

ومنها: أن ينتقل عن الحالة التي هو فيها إلى حالة غيرها، فيزول عنه الغضب بتغير الأحوال والتنقل من حال إلى حال.

وكان هذا مذهب المأمون إذا غضب أو شتم. وكانت الفرس تقول: إذا غضب القائم فليجلس وإذا غضب الجالس فليقم.

ومنها: أن يتذكر ما يئول إليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام.

وكتب إبرويز إلى ابنه شيرويه: إن كلمة منك تسفك دما وأخرى منك تحقن دما، وإن نفاذ أمرك مع كلامك، فاحترس، في غضبك، من قولك أن تخطئ، ومن لونك أن يتغير، ومن جسدك أن يخف، فإن الملوك تعاقب قدرة، وتعفو حلما. **وقال بعض الحكماء**: الغضب على من لا تملك عجز، وعلى من تملك لؤم. وقال بعض الأدباء: إياك وعزة الغضب فإنها تفضي إلى ذل العذر. وقال بعض الشعراء:

وإذا ما اعترتك في الغضب العزة ... فاذكر تذلل الاعتذار

ومنها: أن يذكر ثواب العفو، وجزاء الصفح، فيقهر نفسه على الغضب رغبة في الجزاء والثواب، وحذرا من استحقاق الذم والعقاب.

روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال «ينادي مناد يوم القيامة: من له أجر على الله عز وجل فليقم. فيقوم العافون عن الناس. ثم تلا:". (١)

٨٧٣-"[الفصل الخامس في الصدق والكذب]

الصدق والكذب الفصل الخامس في الصدق والكذب: قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾ [آل عمران: ٦١] .

وقال تعالى: ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ [النحل: ١٠٥]

وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال للحسن بن علي – رضي الله عنهما –: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة» . وروي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «رحم الله امرأ أصلح من لسانه، وأقصر من عنانه، وألزم طريق الحق مقوله، ولم يعود الخطل مفصله» . وروى صفوان بن سليم قال: «قيل للنبي – صلى الله عليه وسلم –: أيكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم. قيل: أفيكون بخيلا؟ قال: نعم. قيل: أفيكون كذابا؟ قال: لا» . وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ [البقرة: ٤٢] أي لا تخلطوا الصدق بالكذب.

وقيل في منثور الحكم: الكذاب لص؛ لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. **وقال بعض الحكماء**: الخرس

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٥٩

خير من الكذب وصدق اللسان أول السعادة.
وقال بعض البلغاء: الصادق مصان خليل، والكاذب مهان ذليل. وقال بعض الأدباء: لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق.
وقال بعض الشعراء:
وما شيء إذا فكرت فيه ... بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه ... وأبعد بالبهاء من الرجال
والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه؛ لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة. ولذلك قيل: من قل صدقه قل صديقه.". (١)

٨٧٤-"فقلت لها: نحلت فصار خطي ... مساعدة لكاتبه نحيلا
لأنه خرج مخرج المبالغة في التشبيه والاقتدار على صنعة الشعر، وأن شواهد الحال تخرجه عن تلبيس الكذب، وكذلك ما استحسن في الصنعة ولم يستقبح في العقل وإن كان الكذب مستقبحا فيه.
ومنها: الدين الوارد باتباع الصدق وحظر الكذب؛ لأن الشرع لا يجوز أن يرد بإرخاص ما حظره العقل، بل قد جاء الشرع زائدا على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب؛ لأن الشرع ورد بحظر الكذب وإن جر نفعا أو دفع ضررا. والعقل إنما حظر ما لا يجلب نفعا ولا يدفع ضررا.
ومنها: المروءة فإنها مانعة من الكذب باعثة على الصدق؛ لأنها قد تمنع من فعل ما كان مستكرها، فأولى من فعل ما كان مستقبحا.
ومنها: حب الثناء والاشتهار بالصدق حتى لا يرد عليه قول ولا يلحقه ندم. وقد قال بعض البلغاء: ليكن مرجعك إلى الحق ومنزعك إلى الصدق، فالحق أقوى معين، والصدق أفضل قرين. وقال بعض الشعراء:
عود لسانك قول الصدق تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضي ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف ترتاد.

وأما دواعي الكذب فمنها: اجتلاب النفع واستدفاع الضر، فيرى أن الكذب أسلم وأغنم فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع، واستشفافا للطمع. وربما كان الكذب أبعد لما يؤمل وأقرب لما يخاف؛ لأن القبيح لا يكون حسنا والشر لا يصير خيرا. وليس يجنى من الشوك العنب ولا من الكرم الحنظل. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النجاة فإن فيه الهلكة» . وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: لأن يضعني الصدق وقلما يفعل، أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.
وقال بعض الحكماء: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته. وقال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان،

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٦١

والصبر والحلم توأمان فيهن تمام كل دين، وصلاح كل دنيا، وأضدادهن سبب كل فرقة". [١]

٨٧٥-"كل شفار، ملعون كل قتات، ملعون كل منان» . الشفار المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة، والقتات النمام وقيل النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون فينم حديثهم، والقتات هو الذي يستمع عليهم وهم لا يعلمون فينم حديثهم، والمنان هو الذي يصنع الخير ويمن به. وقيل في منثور الحكم: النميمة سيف قاتل.

وقال بعض الأدباء: لم يمش ماش شر من واش. فأما السعاية فهي شر الثلاثة؛ لأنها تجمع إلى مذمة الغيبة ولؤم النميمة، التغرير بالنفوس والأموال، والقدح في المنازل والأحوال. وروى ابن قتيبة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع» . الديوث هو الذي يجمع بين الرجال والنساء، سمي بذلك؛ لأنه يدث بينهم. والقلاع هو الساعي الذي يقع في الناس عند الأمراء، سمي بذلك؛ لأنه يأتي الرجل المتمكن عند الأمير فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه.

وقال بعض الحكماء: الساعي بين منزلتين قبيحتين: إما أن يكون صدق فقد خان الأمانة، وإما أن يكون قد كذب فخالف المروءة.

وقال بعض الحكماء: الصدق يزين كل أحد إلا السعاة، فإن الساعي أذم وآثم ما يكون إذا صدق. وقال بعض البلغاء: النميمة دناءة والسعاية رداءة، وهما رأس الغدر وأساس الشر فتجنب سبلهما، واجتنب أهلهما. ووقع الفضل بن سهل على قصة ساع سعى إليه: نحن نرى قبول السعاية شرا منها؛ لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، فاتقوا الساعي فإنه إن كان في سعايته صادقا كان في صدقه آثما، إذ لم يحفظ الحرمة ويستر العورة.

وقال الإسكندر لرجل سعى إليه برجل: أتحب أن نقبل منك ما تقول فيه على أن نقبل منه ما يقول فيك؟ قال: لا. قال: فكف عن الشر يكف عنك الشر. وروي أن الله أوحى إلى موسى - على نبينا وعليه السلام - أن في بلدك ساعيا ولست أخبرك وهو في أرضك. قال يا رب دلني عليه حتى أخرجه فقال: يا موسى أكره النميمة وأنم.". [٢]

٨٧٦-"[الفصل السادس في الحسد والمنافسة]

الحسد والمنافسة الفصل السادس في الحسد والمنافسة: اعلم أن الحسد خلق ذميم مع إضراره بالبدن وفساده للدين، حتى لقد أمر الله بالاستعاذة من شره، فقال تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق: ٥]

وناهيك بحال ذلك شرا. وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم» .

فأخبر - صلى الله عليه وسلم - بحال الحسد وأن التحابب ينفيه وأن السلام يبعث على التحابب، فصار السلام إذا نافيا

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٦٣

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٦٨

للحسد. وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول وقال الله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت: ٣٤]

قال مجاهد: معناه ادفع بالسلام إساءة المسيء.

وقال الشاعر:

قد يلبث الناس حينا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم واللطف

وقال بعض السلف: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، يعني حسد إبليس لآدم - عليه السلام - وأول ذنب عصي الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله. **وقال بعض الحكماء**: من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد. وقال بعض البلغاء: الناس حاسد ومحسود، ولكل نعمة حسود.

وقال بعض الأدباء: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود نفس دائم، وهم لازم، وقلب هائم.

فأخذه بعض الشعراء فقال:

إن الحسود الظلوم في كرب ... يخاله من يراه مظلوما

ذا نفس دائم على نفس ... يظهر منها ما كان مكتوما

ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنيء يتوجه نحو الأكفاء". (١)

٨٧٧-"والأقارب، ويختص بالمخالط والمصاحب، لكانت النزاهة عنه كرما، والسلامة منه مغنما. فكيف وهو بالنفس مضر، وعلى الهم مصر، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية في عدو ولا إضرار بمحسود.

وقد قال معاوية - رضي الله عنه -: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. **وقال بعض الحكماء**: يكفيك من الحاسد أنه يغتم في وقت سرورك. وقيل في منثور الحكم: عقوبة الحاسد من نفسه. وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما أطول عمرك، قال: تركت الحسد فبقيت. وقال رجل لشريح القاضي: إني لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم، ووقوفك على غامض الحكم. فقال: ما نفعك الله بذلك ولا ضرني.

وقال عبد الله بن المعتز - رحمه الله تعالى -:

اصبر على كيد الحسو ... د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

وحقيقة الحسد شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل وهو غير المنافسة، وربما غلط قوم فظنوا أن المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر على ما ظنوا؛ لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم.

والحسد مصروف إلى الضرر؛ لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم، من غير أن يصير الفضل له، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد. فالمنافسة إذا فضيلة؛ لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بأخيار الأفاضل. وقد روي عن النبي - صلى الله

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٦٩

عليه وسلم – أنه قال: «المؤمن يغبط والمنافق يحسد» . وقال الشاعر:

نافس على الخيرات أهل العلا ... فإنما الدنيا أحاديث

كل امرئ في شأنه كادح ... فوارث منهم وموروث

واعلم أن دواعي الحسد ثلاثة:

أحدهما: بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة تظهر، أو منقبة تشكر، فيثير حسدا قد خامر بغضا. وهذا النوع لا". (١)

٨٧٨-"والثالثة: مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محبا، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليا، فيصير بالعداوة مأثورا، وبالمقت مزجورا. ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: «شر الناس من يبغض الناس ويبغضوه» .

والرابعة: إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله عدلا، ولا لنعمه من الناس أهلا. ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» . وقال عبد الله بن المعتز: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له، بخيل بما لا يملكه، طالب ما لا يجده. وإذا بلي الإنسان بمن هذه حاله من حساد النعم وأعداء الفضل استعاذ بالله من شره، وتوقى مصارع كيده، وتحرز من غوائل حسده، وأبعد عن ملابسته. وإدنائه لعضل دائه، وإعواز دوائه. فقد قيل: حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها. **وقال بعض الحكماء**: من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه، فإن قلب الأعيان صعب المرام.

وقال عبد الحميد: أسد تقاربه خير من حسود تراقبه. وقال محمود الوراق:

أعطيت كل الناس من نفسي الرضى ... إلا الحسود فإنه أعياني

ما إن لي ذنبا إليه علمته ... إلا تظاهر نعمة الرحمن

وأبى فما يرضيه إلا ذلتي ... وذهاب أموالي وقطع لساني

وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ثلاثة لا يسلم أحد منهن: الطيرة وسوء الظن، والحسد. فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تتحقق، وإذا حسدت فلا تبغ» .

[فصل آداب المواضعة والإصلاح]

[الفصل الأول في الكلام والصمت]

المواضعة والإصلاح فصل: وأما آداب المواضعة والاصطلاح فضربان: أحدهما ما تكون المواضعة في فروعه، والعقل موجب لأصوله. والثاني ما تكون المواضعة في فروعه وأصوله. وذلك متضح في الفصول التي نذكرها إذا سبرت وهي ثمانية.". (٢)

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٧٠

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٧٤

٨٧٩-"الفصل الأول في الكلام والصمت: اعلم أن الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يقدر على رد شوارده. فحق على العاقل أن يحترز من زلله بالإمساك عنه أو بالإقلال منه.

روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «رحم الله من قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم» . وقال – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ: «يا معاذ أنت سالم ما سكت، فإذا تكلمت فعليك أو لك» . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل. **وقال بعض الحكماء**: الزم الصمت تعد حكيما، جاهلا كنت أو عالما. وقال بعض الأدباء: سعد من لسانه صموت، وكلامه قوت. وقال بعض العلماء: من أعوذ ما يتكلم به العاقل أن لا يتكلم إلا لحاجته أو محجته، ولا يفكر إلا في عاقبته أو في آخرته.

وقال بعض البلغاء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مئونة الاعتذار. وقال بعض الفصحاء: اعقل لسانك إلا عن حق توضحه، أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تذكرها.

وقال الشاعر:

رأيت العز في أدب وعقل ... وفي الجهل المذلة والهوان

وما حسن الرجال لهم بحسن ... إذا لم يسعد الحسن البيان

كفى بالمرء عيبا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

واعلم أن للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها وهي أربعة:

فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

والشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته.

والشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.

والشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به. فهذه أربعة شروط متى أخل المتكلم بشرط منها فقد أوهن فضيلة باقيها. وسنذكر تعليل كل شرط منها بما ينبئ عن لزومه.

فأما الشرط الأول: وهو الداعي إلى الكلام؛ فلأن ما لا داعي له". (١)

٨٨٠-"ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولد هذين.

فانظر إلى هؤلاء كيف أبانوا بالكلام عن جهلهم، وأعربوا بالسؤال عن نقصهم، إذ لم يكن لهم داع إليه، ولا روية فيما تكلموا به. ولو صدر عن روية ودعا إليه داع لسلموا من شينه، وبرئوا من عيبه. ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «لسان العاقل من وراء قلبه فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه، فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك. وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له» .

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٧٥

وقال عمر بن عبد العزيز: من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه.

وقال بعض الحكماء: عقل المرء مخبوء تحت لسانه. وقال بعض البلغاء: احبس لسانك قبل أن يطيل حبسك أو يتلف نفسك، فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب، ويسرع إلى الجواب.

وقال أبو تمام الطائي:

ومما كانت الحكماء قالت ... لسان المرء من تبع الفؤاد

وكان بعض الحكماء يحسم الرخصة في الكلام ويقول: إذا جالست الجهال فأنصت لهم، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم، فإن في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم.

وأما الشرط الثاني: فهو أن يأتي بالكلام في موضعه؛ لأن الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به، وما لا ينفع من الكلام فقد تقدم القول بأنه هذيان وهجر، فإن قدم ما يقتضي التأخير كان عجلة وخرقا وإن أخر ما يقتضي التقديم كان توانيا وعجزا؛ لأن لكل مقام قولا، وفي كل زمان عملا.

وقد قال الشاعر:

تضع الحديث على مواضعه ... وكلامها من بعدها نزر

وأما الشرط الثالث: وهو أن يقتصر منه على قدر حاجته. فإن الكلام إن لم ينحصر بالحاجة، ولم يقدر بالكفاية، لم يكن لحده غاية، ولا لقدره نهاية. وما لم يكن من الكلام محصورا كان حصرا إن قصر، وهذرا إن كثر. وروي «أن أعرابيا تكلم عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وطول". (١)

٨٨١-"فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: كم دون لسانك من حجاب؟ قال: شفتاي وأسناني. قال: فإن الله عز وجل يكره الانبعاق في الكلام» . فنضر الله وجه امرئ أوجز في كلامه، فاقتصر على حاجته.

وحكي أن بعض الحكماء رأى رجلا يكثر الكلام ويقل السكوت فقال: إن الله تعالى إنما خلق لك أذنين ولسانا واحدا ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به. وقال بعض الحكماء: من كثر كلامه كثرت آثامه. وقال ابن مسعود: أنذركم فضول المنطق. وقال بعض البلغاء: كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل، وإياك ما يسخط سلطانك، ويوحش إخوانك، فمن أسخط سلطانه تعرض للمنية ومن أوحش إخوانه تبرأ من الحرية.

وقال بعض الشعراء:

وزن الكلام إذا نطقت فإنما ... يبدي عيوب ذوي العيوب المنطق

ولمخالفة قدر الحاجة من الكلام حالتان: تقصير يكون حصرا، وتكثير يكون هذرا، وكلاهما شين. وشين الهذر أشنع، وربما كان في الغالب أخوف. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٧٧

ألسنتهم» .

وقال بعض الحكماء: مقتل الرجل بين فكيه، وقال بعض البلغاء: الحصر خير من الهذر؛ لأن الحصر يضعف الحجة، والهذر يتلف المحجة. وقد قال الشاعر:

رأيت اللسان على أهله ... إذا ساسه الجهل ليثا مغيرا

وقال بعض الأدباء: يا رب ألسنة كالسيوف تقطع أعناق أصحابها.

وما ينقص من هيئات الرجال يزيد في بهائها وألبابها. وقد ذهب بعضهم إلى أن الكلام إذا كثر عن قدر الحاجة، وزاد على حد الكفاية، وكان صوابا لا يشوبه خطل، وسليما لا يتعوده زلل، فهو البيان والسحر الحلال. وقال سليمان بن عبد الملك، وقد ذم الكلام في مجلسه: كلا إن من تكلم فأحسن قدر على أن يسكت فيحسن، وليس من سكت فأحسن قدر على أن يتكلم فيحسن. ووصف بعضهم الكاتب فقال: الكاتب من إذا أخذ شبرا". (١)

٨٨٢-"كفاه، وإذا وجد طومارا أملاه.

وأنشد بعضهم في خطباء إياد:

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وقال الهيثم بن صالح لابنه: يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب. فقال: يا أبت فإن أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاما وصوابا. فقال: يا بني ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك. وأنشدت لأبي الفتح البستي:

تكلم وسدد ما استطعت فإنما ... كلامك حي والسكوت جماد

فإن لم تجد قولا سديدا تقوله ... فصمتك عن غير السداد سداد

وقيل لإياس بن معاوية: ما فيك عيب إلا كثرة الكلام، فقال: أفتسمعون صوابا أو خطأ؟ قالوا: لا بل صوابا. قال: فالزيادة من الخير خير. وقال أبو عثمان الجاحظ: للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية. وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر. وصدق أبو عثمان؛ لأن الإكثار منه وإن كان صوابا يمل السامع ويكل الخاطر وهو صادر عن إعجاب به لولاه قصر عنه.

ومن أعجب بكلامه استرسل فيه، والمسترسل في الكلام كثير الزلل دائم العثار. **وقال بعض الحكماء**: من أعجب بقوله أصيب بعقله. وليس لكثرة الهذر رجاء يقابل خوفه، ولا نفع يوازي ضره؛ لأنه يخاف من نفسه الزلل، ومن سامعيه الملل. وليس في مقابلة هذين حاجة داعية ولا نفع مرجو.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أبغضكم إلي المتفيهق المكثار والملح المهذار» . وسأل رجل حكيما فقال: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت. فقال: متى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام. وقال جعفر بن يحيى: إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا، وإن كان الإكثار واجبا كان التقصير عجزا.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٧٨

وقيل في منثور الحكم: إذا تم العقل نقص الكلام. وقال بعض الأدباء: من أطال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه، ومن الوحشة ما لا يضره. وقال بعض البلغاء: عي تسلم منه خير من منطق تندم عليه". (١)

٨٨٣-"فاقتصر من الكلام على ما يقيم حجتك، ويبلغ حاجتك، وإياك وفضوله فإنه يزل القدم، ويورث الندم. وقال بعض الفصحاء: فم العاقل ملجم إذا هم بالكلام أحجم، وفم الجاهل مطلق كلما شاء أطلق. وقال بعض الشعراء:

إن الكلام يغر القوم جلوته ... حتى يلج به عي وإكثار

وأما الشرط الرابع: وهو اختيار اللفظ الذي يتكلم به؛ فلأن اللسان عنوان الإنسان يترجم عن مجهوله، ويبرهن عن محصوله، فيلزم أن يكون بتهذيب ألفاظه حريا وبتقويم لسانه مليا. روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه «قال لعمه العباس: يعجبني جمالك. قال: وما جمال الرجل يا رسول الله؟ قال: لسانه» .

وقال خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا اللسان هل إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة؟ **وقال بعض الحكماء**: اللسان وزير الإنسان. وقال بعض الأدباء: كلام المريد وافد أدبه. وقال بعض البلغاء: يستدل على عقل الرجل بقوله، وعلى أصله بفعله.

وقال بعض الشعراء:

وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوراته لدليل

وليس يصح اختيار الكلام لا لمن أخذ نفسه بالبلاغة، وكلفها لزوم الفصاحة، حتى يصير متدربا بها معتادا لها، فلا يأتي بكلام مستكره اللفظ ولا مختل المعنى؛ لأن البلاغة ليست على معان مفردة ولا لألفاظها غاية، وإنما البلاغة أن تكون بالمعاني الصحيحة مستودعة في ألفاظ فصيحة.

فتكون فصاحة الألفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة. وقد قيل لليوناني؛ ما البلاغة؟ قال: اختيار الكلام وتصحيح الأقسام. وقيل ذلك للرومي، فقال: حسن الاختصار عند البديهة والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي فقال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل للعربي فقال: ما حسن إيجازه وقل مجازه. وقيل للبدوي فقال: ما دون السحر وفوق الشعر، يفت الخردل ويحط الجندل. وقيل للحضري فقال: ما كثر إعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه.

وقال ابن المقفع: البلاغة قلة الحصر والجراءة على البشر.

وسأل الحجاج ابن القرية عن الإيجاز قال: أن تقول فلا تبطئ وأن". (٢)

٨٨٤-"ومن آدابه: أن لا تبعثه الرغبة والرهبة على الاسترسال في وعد أو وعيد يعجز عنهما ولا يقدر على الوفاء بهما. فإن من أطلق بهما لسانه وأرسل فيهما عنانه، ولم يستثقل من القول ما يستثقله من العمل، صار وعده نكثا ووعيده عجزا. وحكي أن سليمان بن داود - عليهما السلام -، مر بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه: هل تدرون ما

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٧٩

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٨٠

يقول لها؟ قالوا: لا يا نبي الله. قال: إنه يخطبها لنفسه ويقول لها زوجيني نفسك أسكنك أي غرف دمشق شئت. وقال سليمان: كذب العصفور فإن غرف دمشق مبنية بالصخور لا يقدر أن يسكنها هناك، ولكن كل خاطب كاذب.

ومن آدابه: إن قال قولا حققه بفعله، وإذا تكلم بكلام صدقه فعمله، فإن إرسال القول اختيار، والعمل به اضطرار. ولئن يفعل ما لم يقل أجمل من أن يقول ما لم يفعل. **وقال بعض الحكماء**: أحسن الكلام ما لا يحتاج فيه إلى الكلام أي يكتفي بالفعل من القول. وقال محمود الوراق:

القول ما صدقه الفعل ... والفعل ما وكده العقل

لا يثبت القول إذا لم يكن ... يقله من تحته الأصل

ومن آدابه: أن يراعي مخارج كلامه بحسب مقاصده وأغراضه فإن كان ترغيبا قرنه باللين واللطف، وإن كان ترهيبا خلطه بالخشونة والعنف، فإن لين اللفظ في الترهيب وخشونته في الترغيب خروج عن موضعهما وتعطيل للمقصود بهما، فيصير الكلام لغوا والغرض المقصود لهوا. وقد قال أبو الأسود الدؤلي لابنه: يا بني إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك.

ومن آدابه: أن لا يرفع بكلامه صوتا مستنكرا ولا ينزعج له انزعاجا مستهجنا، وليكف عن حركة تكون طيشا وعن حركة تكون عيا، فإن نقص الطيش أكثر من فضل البلاغة. وقد حكي أن الحجاج قال لأعرابي: أخطيب أنا؟ قال: نعم لولا أنك تكثر الرد، وتشير باليد، وتقول أما بعد.

ومن آدابه: أن يتجافى هجر القول ومستقبح الكلام، وليعدل إلى". (١)

٨٨٥-"كرم الله وجهه: الصبر مطية لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو. وقال عبد الحميد: لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت.

وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: أفضل العدة الصبر على الشدة. وقال بعض البلغاء: من خير خلالك الصبر على اختلالك. وقيل في منثور الحكم: من أحب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا. **وقال بعض الحكماء**: بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ.

وقال بعض الشعراء، وهو عبيد بن الأبرص:

صبر النفس عند كل ملم ... إن في الصبر حيلة المحتال

لا تضيقن في الأمور فقد تكشف ... غماؤها بغير احتيال

ربما تجزع النفوس من الأمر ... له فرجة كحل العقال

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٨٣

وقال ابن المقفع في كتاب اليتيمة: الصبر صبران: فاللئام أصبر أجساما، والكرام أصبر نفوسا. وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكد والعمل؛ لأن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلوبا، وللأمور متحملا، ولجأشه عند الحفاظ مرتبطا.

واعلم أن الصبر على ستة أقسام، وهو في كل قسم منها محمود. فأول أقسامه وأولاها: الصبر على امتثال ما أمر الله - تعالى - به، والانتهاء عما نهى الله عنه؛ لأن به تخلص الطاعة وبها يصح الدين وتؤدى الفروض ويستحق الثواب، كما قال في محكم الكتاب: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر: ١٠]

ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» .

وليس لمن قل صبره على طاعة حظ من بر ولا نصيب من صلاح، ومن لم ير لنفسه صبرا يكسبها ثوابا. ويدفع عنها عقابا، كان من سوء الاختيار بعيدا من الرشاد حقيقا بالضلال. وقد قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: يا من يطلب من". (١)

٨٨٦-"اليأس خرق. وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من أعطي فشكر، ومنع فصبر، وظلم فغفر، وظلم فاستغفر، فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون» . **وقال بعض الحكماء**: اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لا يخطر ببالك فلم تقله. وقال بعض الشعراء:

إذا ملك القضاء عليك أمرا ... فليس يحله غير القضاء

فما لك والمقام بدار ذل ... ودار العز واسعة الفضاء

وقال بعض الحكماء: إن كنت تجزع على ما فات من يدك فاجزع على ما لا يصل إليك. فأخذه بعض الشعراء فقال:

لا تطل الحزن على فائت ... فقلما يجدي عليك الحزن

سيان محزون على فائت ... ومضمر حزنا لما لم يكن

والقسم الرابع: الصبر فيما يخشى حدوثه من رهبة يخافها، أو يحذر حلوله من نكبة يخشاها فلا يتعجل هم ما لم يأت، فإن أكثر الهموم كاذبة وإن الأغلب من الخوف مدفوع. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «بالصبر يتوقع الفرج ومن يدمن قرع باب يلج» . وقال الحسن البصري - رحمه الله -: لا تحملن على يومك هم غدك، فحسب كل يوم همه.

وأنشد الجاحظ لحارثة بن زيد:

إذا الهم أمسى وهو داء فأمضه ... ولست بممضيه وأنت تعاذله

ولا تنزلن أمر الشديدة بامرئ ... إذا هم أمرا عوقته عواذله

وقل للفؤاد إن تجد بك ثورة ... من الروع فافرح أكثر الهم باطله

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٨٧

والقسم الخامس: الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها، وينتظر من نعمة يأملها فإنه إن أدهشه التوقع لها، وأذهله التطلع إليها انسدت عليه سبل المطالب واستفزه تسويل المطامع فكان أبعد لرجائه وأعظم لبلائه. وإذا كان مع الرغبة وقورا وعند الطلب صبورا انجلت عنه عماية الدهش وانجابت عنه حيرة الوله، فأبصر رشده وعرف قصده.

وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «الصبر ضياء» . يعني – والله أعلم – أنه يكشف". [1]

٨٨٧-"ظلم الحيرة، ويوضح حقائق الأمور. وقال أكثم بن صيفي: من صبر ظفر. وقال ابن المقفع: كان مكتوبا في قصر أزدشير: الصبر مفتاح الدرك. **وقال بعض الحكماء**: بحسن التأني تسهل المطالب. وقال بعض البلغاء: من صبر نال المنى، ومن شكر حصن النعمى.

وقال محمد بن بشير:

إن الأمور إذا سدت مطالبها ... فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا

لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

والقسم السادس: الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف. فبالصبر في هذا تنفتح وجوه الآراء، وتستدفع مكائد الأعداء، فإن من قل صبره عزب رأيه، واشتد جزعه، فصار صريع همومه، وفريسة غمومه. وقد قال الله تعالى: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان: ١٧] .

وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «إن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا» .

واعلم أن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر. وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: الصبر مستأصل الحدثان، والجزع من أعوان الزمان. **وقال بعض الحكماء**: بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور. وقال بعض البلغاء: عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج.

وروى ابن عباس – رضي الله عنهما – أن سليمان بن داود – عليهما السلام – لما استكد شياطينه في البناء شكوا ذلك إلى إبليس، لعنه الله، فقال: ألستم تذهبون فرغا وترجعون مشاغيل؟ قالوا: بلى. قال: ففي". [2]

٨٨٨-"بها إذا أقبلت مشوب بالحذر من فراقها إذا أدبرت، وأنها لا تفرح بإقبالها فرحا حتى تعقب بفراقها ترحا، فعلى قدر السرور يكون الحزن. وقد قيل في منثور الحكم: المفروح به هو المحزون عليه. وقيل: من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٨٩

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٢٩٠

وقال بعض الحكماء: من علم أن كل نائبة إلى انقضاء حسن عزاؤه عند نزول البلاء. وقيل للحسن البصري - رحمه الله -: كيف ترى الدنيا؟ قال: شغلني توقع بلائها عن الفرح برخائها. فأخذه أبو العتاهية فقال:

تزيده الأيام إن أقبلت ... شدة خوف لتصاريفها

كأنها في حال إسعافها ... تسمعه وقع تخويفها

ومنها: أن يعلم أن سروره مقرون بمساءة غيره، وكذلك حزنه مقرون بسرور غيره. إذ كانت الدنيا تنقل من صاحب إلى صاحب، وتصل صاحبا بفراق صاحب. فتكون سرورا لمن وصلته وحزنا لمن فارقته. وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ما قرعت عصا على عصا إلا فرح لها قوم وحزن آخرون» . وقال البحتري:

متى أرت الدنيا نباهة خامل ... فلا ترتقب إلا خمول نبيه

وقال المتنبي:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

وأنشد بعض أهل الأدب:

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة ... إذا اخضر منها جانب جف جانب

فلا تفرحن منها لشيء تفيده ... سيذهب يوما مثل ما أنت ذاهب

وما هذه الأيام إلا فجائع ... وما العيش واللذات إلا مصائب

ومنها: أن يعلم أن طوارق الإنسان من دلائل فضله، ومحنه من". (١)

٨٨٩-"كذاك من صاحب الليالي ... تغدوه من درها الخطوب

فقلت: لمن هذه الأبيات؟ قال: لي.

ومنها: أن يختبر أمور زمانه، ويتنبه على صلاح شأنه، فلا يغتر برخاء، ولا يطمع في استواء، ولا يؤمل أن تبقى الدنيا على حالة، أو تخلو من تقلب واستحالة، فإن من عرف الدنيا وخبر أحوالها هان عليه بؤسها ونعيمها.

وأنشد بعض الأدباء:

إني رأيت عواقب الدنيا ... فتركت ما أهوى لما أخشى

فكرت في الدنيا وعالمها ... فإذا جميع أمورها تفنى

وبلوت أكثر أهلها فإذا ... كل امرئ في شأنه يسعى

أسنى منازلها وأرفعها ... في العز أقربها من المهوى

تعفو مساويها محاسنها ... لا فرق بين النعي والبشرى

ولقد مررت على القبور فما ... ميزت بين العبد والمولى

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٩٤

أتراك تدري كم رأيت من الأحياء ... ثم رأيتهم موتى

فإذا ظفر المصاب بأحد هذه الأسباب تخففت عنه أحزانه، وتسهلت عليه أشجانه، فصار وشيك السلوة قليل الجزع حسن العزاء. **وقال بعض الحكماء**: من حاذر لم يهلع، ومن راقب لم يجزع، ومن كان متوقعا لم يكن متوجعا. وقال بعض الشعراء:

ما يكون الأمر سهلا كله ... إنما الدنيا سرور وحزون

هون الأمر تعش في راحة ... قل ما هونت إلا سيهون

تطلب الراحة في دار الفنا ... ضل من يطلب شيئا لا يكون

فإن أغفل نفسه عن دواعي السلوة ومنعها من أسباب الصبر، تضاعف عليه من شدة الأسى وهم الجزع ما لا يطيق عليه صبرا ولا يجد عنه سلوا. وقال ابن الرومي:

إن البلاء يطاق غير مضاعف ... فإذا تضاعف صار غير مطاق". (١)

٨٩٠-"[الفصل الثالث في المشورة]

اعلم أن من الحزم لكل ذي لب أن لا يبرم أمرا ولا يمضي عزما إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح. فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه - صلى الله عليه وسلم - مع ما تكفل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

قال قتادة: أمره بمشاورتهم تألفا لهم وتطييبا لأنفسهم.

وقال الضحاك: أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل. وقال الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنيا. وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «المشورة حصن من الندامة، وأمان من الملامة» .

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد. وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بأمره لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا. وقال عمر بن عبد العزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يضل معهما رأي ولا يفقد معهما حزم.

وقال سيف بن ذي يزن: من أعجب برأيه لم يشاور، ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيدا. وقال عبد الحميد: المشاور في رأيه ناظر من ورائه. وقيل في منثور الحكم: المشاورة راحة لك وتعب على غيرك. **وقال بعض الحكماء**: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه. وقال بعض الأدباء: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

وقال بعض البلغاء: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زل والعقل الفرد ربما ضل. وقال بشار بن برد:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٢٩٦

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافي قوة للقوادم". (١)

٨٩١-"فإذا عزم على المشاورة ارتاد لها من أهلها من قد استكملت فيه خمس خصال: إحداهن: عقل كامل مع تجربة سالفة فإن بكثرة التجارب تصح الروية. وقد روى أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا» .

وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد: احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر عداوة العاقل إذا كان عدوا فإنه يوشك أن يورطك بمشورته فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل. وقيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم؟ قال: نحن ألف رجل وفينا حازم ونحن نطيعه فكأنا ألف حازم.

وكان يقال: إياك ومشاورة رجلين: شاب معجب بنفسه قليل التجارب في غيره، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه. وقيل في منثور الحكم: كل شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى التجارب. ولذلك قيل: الأيام تهتك لك عن الأستار الكامنة. **وقال بعض الحكماء**: التجارب ليس لها غاية، والعاقل منها في زيادة. **وقال بعض الحكماء**: من استعان بذوي العقول فاز بدرك المأمول.

وقال أبو الأسود الدؤلي:

وما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه ... ولا كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند صاحب ... فحق له من طاعة بنصيب

والخصلة الثانية: أن يكون ذا دين وتقى، فإن ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح. ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة. روى عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من أراد أمرا فشاور فيه امرأ مسلما وفقه الله لأرشد أموره» .

والخصلة الثالثة: أن يكون ناصحا ودودا، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأي. **وقال بعض الحكماء**: لا تشاور إلا الحازم غير الحسود، واللبيب غير الحقود، وإياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى الأفن، وعزمهن إلى". (٢)

٨٩٢-"برأيه، وما هلك أحد عن مشورة، فإذا أراد الله بعبد هلكة كان أول ما يهلكه رأيه» . وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه. وقال لقمان الحكيم لابنه: شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه مجانا.

وقال بعض الحكماء: نصف رأيك مع أخيك فشاوره ليكمل لك الرأي. وقال بعض الأدباء: من استغنى برأيه ضل، ومن

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٠٠

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣٠١

اكتفى بعقله زل. وقال بعض البلغاء: الخطأ مع الاسترشاد أحمد من الصواب مع الاستبداد. وقال الشاعر:

خليلي ليس الرأي في صدر واحد ... أشيرا علي بالذي تريان

ولا ينبغي أن يتصور في نفسه أنه إن شاور في أمره ظهر للناس ضعف رأيه، وفساد رويته، حتى افتقر إلى رأي غيره. فإن هذه معاذير النوكى وليس يراد الرأي للمباهاة به وإنما يراد للانتفاع بنتيجته والتحرز من الخطأ عند زلله. وكيف يكون عارا ما أدى إلى صواب وصد عن خطأ.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لقحوا عقولكم بالمذاكرة، واستعينوا على أموركم بالمشاورة» . **وقال بعض الحكماء**: من كمال عقلك استظهارك على عقلك. وقال بعض البلغاء: إذا أشكلت عليك الأمور وتغير لك الجمهور فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة العلماء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستمداد. فلأن تسأل وتسلم خير لك من أن تستبد وتندم. وينبغي أن تكثر من استشارة ذوي الألباب لا سيما في الأمر الجليل فقلما يضل عن الجماعة رأي، أو يذهب عنهم صواب، لإرسال الخواطر الثاقبة وإجالة الأفكار الصادقة فلا يعزب عنها ممكن ولا يخفى عليها جائز.

وقد قيل في منثور الحكم: من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا، وعند الخطأ عاذرا، وإن كان الخطأ من الجماعة بعيدا. فإذا استشار الجماعة فقد اختلف أهل الرأي في اجتماعهم عليه وانفراد كل واحد منهم به.

فمذهب الفرس أن الأولى اجتماعهم على الارتياء وإجالة الفكر ليذكر كل واحد منهم ما قدحه خاطره، وأنتجه فكره". (١)

٨٩٣-"وأجب أخاك إذا استشارك ناصحا ... وعلى أخيك نصيحة لا تردد

ولا ينبغي أن يشير قبل أن يستشار إلا فيما مس، ولا أن يتبرع بالرأي إلا فيما لزم، فإنه لا ينفك من أن يكون رأيه متهما أو مطرحا، وفي أي هذين كان وصمة.

وإنما يكون الرأي مقبولا إذا كان عن رغبة وطلب، أو كان لباعث وسبب. روى أبو بلال العجلي، عن حذيفة بن اليمان، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «قال لقمان لابنه: يا بني إذا استشهدت فاشهد، وإذا استعنت فأعن، وإذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر» . وقال بيهس الكلابي:

من الناس من إن يستشرك فتجتهد ... له الرأي يستغششك ما لا تبايعه

فلا تمنحن الرأي من ليس أهله ... فلا أنت محمود ولا الرأي نافعه

[الفصل الرابع في كتمان السر]

كتمان السر الفصل الرابع في كتمان السر: اعلم أن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح. روي

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٠٣

عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «استعينوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود» . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره. وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني كن جوادا بالمال في موضع الحق، ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق. فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر.
وقال بعض الأدباء: من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه. وقال بعض البلغاء: ما أسرك ما كتمت سرك. وقال بعض الفصحاء: ما لم تغيبه". (١)

٨٩٤-"الأضالع فهو مكشوف ضائع. وقال بعض الشعراء، وهو أنس بن أسيد:

ولا تفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

فإني رأيت وشاة الرجال ... لا يتركون أديما صحيحا

وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته آمنا، وفي عواقبه سالما، ولنجاح حوائجه راجيا.
وقال أنوشروان: من حصن سره فله بتحصينه خصلتان: الظفر بحاجته، والسلامة من السطوات. وإظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهاره سر نفسه؛ لأنه يبوء بإحدى وصمتين: الخيانة إن كان مؤتمنا، أو النميمة إن كان مستودعا. فأما الضرر فربما استويا فيه وتفاضلا. وكلاهما مذموم، وهو فيهما ملوم. وفي الاسترسال بإبداء السر دلائل على ثلاثة أحوال مذمومة:
إحداها: ضيق الصدر، وقلة الصبر، حتى أنه لم يتسع لسر، ولم يقدر على صبر.
وقال الشاعر:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

والثانية: الغفلة عن تحذر العقلاء، والسهو عن يقظة الأذكياء. وقد قال بعض الحكماء: انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل، ولا جاهلا فيخون. والثالثة: ما ارتكبه من الغدر، واستعمله من الخطر. وقال بعض الحكماء: سرك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته.
واعلم أن من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم، واستشارة ناصح مسالم. فليختر العاقل لسره أمينا إن لم يجد إلى كتمه سبيلا، وليتحر في اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه إياه. فليس كل من كان على الأموال أمينا كان على الأسرار مؤتمنا. والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار؛ لأن الإنسان قد يذيع سر نفسه ببادرة لسانه، وسقط كلامه، ويشح باليسير من ماله، حفظا له وضنا به، ولا يرى ما أذاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه من يسير ماله مع

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٠٦

عظم الضرر الداخل". (١)

٨٩٥-"عليه. فمن أجل ذلك كان أمناء الأسرار أشد تعذرا وأقل وجودا من أمناء الأموال. وكان حفظ المال أيسر من كتم الأسرار؛ لأن إحراز الأموال منيعة وإحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق، ويشيعها كلام سابق. وقال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -: القلوب أوعية الأسرار، والشفاء أقفالها والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفتاح سره. ومن صفات أمين السر أن يكون ذا عقل صاد، ودين حاجز، ونصح مبذول، وود موفور، وكتوما بالطبع. فإن هذه الأمور تمنع من الإذاعة، وتوجب حفظ الأمانة، فمن كملت فيه فهو عنقاء مغرب.

وقيل في منثور الحكم: قلوب العقلاء حصون الأسرار. وليحذر صاحب السر أن يودع سره من يتطلع إليه، ويؤثر الوقوف عليه، فإن طالب الوديعة خائن.

وقيل في منثور الحكم: لا تنكح خاطب سرك. وقال صالح بن عبد القدوس:

لا تدع سرا إلى طالبه ... منك فالطالب للسر مذيع

وليحذر كثرة المستودعين لسره فإن كثرتهم سبب الإذاعة، وطريق إلى الإشاعة؛ لأمرين:

أحدهما أن اجتماع هذه الشروط في العدد الكثير معوز، ولا بد إذا كثروا من أن يكون فيهم من أخل ببعضها. والثاني: أن كل واحد منهم يجد سبيلا إلى نفي الإذاعة عن نفسه، وإحالة ذلك على غيره، فلا يضاف إليه ذنب، ولا يتوجه عليه عتب. وقد **قال بعض الحكماء**: كلما كثرت خزان الأسرار ازدادت ضياعا. وقال بعض الشعراء:

وسرك ما كان عند امرئ ... وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر:

فلا تنطق بسرك كل سر ... إذا ما جاوز الاثنين فاشي

ثم لو سلم من إذاعتهم لم يسلم من إدلالهم واستطالتهم، فإن لمن". (٢)

٨٩٦-"ظفر بسر من فرط الإدلال وكثرة الاستطالة، ما إن لم يحجزه عنه عقل ولم يكفه عنه فضل، كان أشد من ذل الرق وخضوع العبد. وقد **قال بعض الحكماء**: من أفشى سره كثر عليه المتأمرون. فإذا اختار وأرجو أن يوفق للاختيار، واضطر إلى استيداع سره وليته كفي الاضطرار، وجب على المستودع له أداء الأمانة فيه بالتحفظ والتناسي له حتى لا يخطر له ببال ولا يدور له في خلد. ثم يرى ذلك حرمة يرعاها ولا يدل إدلال اللئام.

وحكي أن رجلا أسر إلى صديق له حديثا ثم قال: أفهمت؟ قال: بل جهلت. قال: أحفظت؟ قال: بل نسيت. وقيل لرجل: كيف كتمانك للسر؟ قال: أجحد الخبر وأحلف للمستخبر.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٠٧

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣٠٨

وقال بعض الشعراء:

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت ... مني الضلوع على الأسرار والخبر

لكنت أول من ينسى سرائره ... إذا كنت من نشرها يوما على خطر

وحكي أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال ابنه:

ومستودعي سرا تضمنت سره ... فأودعته من مستقر الحشى قبرا

ولكنني أخفيه عني كأنني ... من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

وما السر في قلبي كميت بحفرة ... لأني أرى المدفون ينتظر النشرا

[الفصل الخامس في المزاح والضحك]

المزاح والضحك الفصل الخامس في المزاح والضحك: اعلم أن للمزاح إزاحة عن الحقوق، ومخرجا إلى القطيعة والعقوق، يصم المازح ويؤذي الممازح. فوصمة المازح أن يذهب عنه الهيبة والبهاء، ويجري عليه الغوغاء والسفهاء.

وأما أذية الممازح فلأنه معقوق بقول كريه وفعل ممض إن أمسك عنه أحزن قلبه، وإن قابل عليه جانب أدبه. فحق على العاقل أن يتقيه وينزه نفسه عن وصمة مساوئه.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه". [1]

٨٩٧-"قال: «المزاح استدراج من الشيطان واختداع من الهوى» . وقال عمر بن عبد العزيز: اتقوا المزاح فإنها حمقة تورث ضغينة. **وقال بعض الحكماء**: إنما المزاح سباب إلا أن صاحبه يضحك.

وقيل: إنما سمي المزاح مزاحا لأنه يزيح عن الحق.

وقال إبراهيم النخعي: المزاح من سخف أو بطر. وقيل في منثور الحكم: المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب. **وقال بعض الحكماء**: من كثر مزاحه زالت هيبته، ومن ذكر خلافه طابت غيبته. وقال بعض البلغاء: من قل عقله كثر هزله. وذكر خالد بن صفوان المزاح فقال: يصك أحدكم صاحبه بأشد من الجندل، وينشقه أحرق من الخردل، ويفرغ عليه أحر من المرجل، ثم يقول: إنما كنت أمازحك. **وقال بعض الحكماء**: خير المزاح لا ينال، وشره لا يقال. فنظمه النيسابوري في قصيدته الجامعة للآداب فقال وزاد:

شر مزاح المرء لا يقال ... وخيره يا صاح لا ينال

وقد يقال كثرة المزاح ... من الفتى تدعو إلى التلاح

إن المزاح بدؤه حلاوه ... لكنما آخره عداوه

يحتد منه الرجل الشريف ... ويجتري بسخفه السخيف

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٠٩

وقال أبو نواس:

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

إنما السالم من ألجم ... فاه بلجام

ربما استفتح بالمزح ... مغاليق الحمام

والمنايا آكلات ... شاربات للأنام

واعلم أنه قلما يعرى من المزاح من كان سهلا فالعاقل يتوخى بمزاحه إحدى حالتين لا ثالث لهما: إحداهما: إيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين. وهذا يكون بما أنس من جميل القول، وبسط من مستحسن الفعل.

وقد قال سعيد بن العاص لابنه: اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه". (١)

٨٩٨-"الكندي أن القشيري وقف على شيخ من الأعراب فقال: يا أعرابي ممن أنت؟ فقال: من عقيل. قال: من أي عقيل؟ قال: من بني خفاجة. فقال القشيري: رأيت شيخا من بني خفاجة. فقال الأعرابي: ما شأنه؟ قال: له إذا جن الظلام حاجة. فقال الأعرابي: ما هي؟ قال: كحاجة الديك إلى الدجاجة. فاستعبر الأعرابي ضاحكا، وقال: - قاتلك الله - ما أعرفك بسرائر القوم. فانظر كيف بلغ بهذا المزح غايته، ولسانه نزه، وعرضه مصون.

وهذا غاية ما يتسامح به الفضلاء من الخلاعة وإن كان مستكره الفحوى والنزاهة عن مثله أولى. وليحذر أن يسترسل في ممازحة عدو فيجعل له طريقا إلى إعلان المساوئ وهو مجد، ويفسح له في التشفي مزحا وهو محق. وقد **قال بعض الحكماء**: إذا مازحت عدوك ظهرت له عيوبك.

وأما الضحك فإن اعتياده شاغل عن النظر في الأمور المهمة، مذهل عن الفكر في النوائب الملمة. وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار، ولا لمن وصم به خطر ولا مقدار. روى أبو إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه» . وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ [الكهف: ٤٩] إن الصغيرة الضحك.

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: من كثر ضحكه قلت هيبته. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إذا ضحك العالم ضحكة مج من العلم مجة.

وقيل في منثور الحكم: ضحكة المؤمن غفلة من قلبه. والقول في الضحك كالقول في المزاح إن تجافاه الإنسان نفر عنه وأوحش منه، وإن ألفه كانت حاله ما وصفنا. فليكن بدل الضحك عند الإيناس تبسما. وقال عمر بن الخطاب - رضي

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣١٠

الله عنه -: التبسم دعابة.". (١)

٨٩٩-"أنفة من خمول الضعة، واستنكارا لمهانة النقص.

ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره دنيها وسفسافها» . وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: لا تصغرن همتكم فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم.

وقال بعض الحكماء: الهمة راية الجد. وقال بعض البلغاء: علو الهمم بذر النعم. وقال بعض العلماء: إذا طلب رجلان أمرا ظفر به أعظمهما مروءة. وقال بعض الأدباء: من ترك التماس المعالي بسوء الرجاء لم ينل جسيما.

وأما شرف النفس: فإن به يكون قبول التأديب، واستقرار التقويم والتهذيب، لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مستحسنة؛ لأنها عليه غير مطبوعة، وله غير ملائمة، فتصير منه أنفر، ولضده الملائم آثر. وقد قيل: ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه. وإذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة، وفي الفضائل راغبة، فإذا مازجها صارت طبعا ملائما فنما واستقر.

فأما من مني بعلو الهمة وسلب شرف النفس فقد صار عرضة لأمر أعوزته آلته، وأفسدته جهالته، فصار كضرير يروم تعلم الكتابة، وأخرس يريد الخطبة، فلا يزيده الاجتهاد إلا عجزا والطلب إلا عوزا.

ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ما هلك امرؤ عرف قدره» . وقيل لبعض الحكماء: من أسوأ الناس حالا؟ قال: من بعدت همته، واتسعت أمنيته، وقصرت آلته، وقلت مقدرته. وقال أفنون التغلبي:

ولا خير فيما يكذب المرء نفسه ... وتقواله للشيء يا ليت ذا ليا

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا

وقال بعض الحكماء: تجنبوا المنى فإنها تذهب ببهجة ما خولتم، وتستصغرون بها نعمة الله عليكم. وقيل في منثور الحكم: المنى من". (٢)

٩٠٠-"بضائع النوكى. فإن صادف بهمته حظا نال به أملا كان فيما ناله كالمغتصب، وفيما وصل إليه كالمتغلب، إذ ليس في الحظوظ تقدير لحق، ولا تمييز لمستحق، وإنما هي كالسحاب الذي يمسك عن منابت الأشجار إلى مغايص البحار ويترك حيث صادف من خبيث وطيب، فإن صادف أرضا طيبة نفع وإن صادف أرضا خبيثة ضر.

كذلك الحظ إن صادف نفسا شريفة نفع، وكان نعمة عامة، وإن صادف نفسا دنية ضر وكان نقمة طامة. وحكي أن موسى بن عمران - عليه السلام - دعا على قوم بالعذاب فأوحي إليه قد ملكت سفلها على أعلاها فقال: يا رب كنت أحب لهم عذابا عاجلا، فأوحى الله تعالى إليه أوليس هذا كل العذاب العاجل الأليم؟ فأما شرف النفس إذا تجرد عن علو

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣١٣

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣١٩

الهمة فإن الفضل به عاطل، والقدر به خامل، وهو كالقوة في الجلد الكسل، والجبان الفشل، تضيع قوته بكسله، وجلده بفشله.

وقد قيل في منثور الحكم: من دام كسله خاب أمله. **وقال بعض الحكماء**: نكح العجز التواني فخرج منهما الندامة، ونكح الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان. وقال بعض الشعراء:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها ... هوانا بها كانت على الناس أهونا

فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن ... عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا

وإياك والسكنى بمنزل ذلة ... يعد مسيئا فيه من كان محسنا

وشرف النفس مع صغر الهمة أولى من علو الهمة مع دناءة النفس؛ لأن من علت همته مع دناءة نفسه كان متعديا إلى طلب ما لا يستحقه، ومتخطيا إلى التماس ما لا يستوجبه. ومن شرفت نفسه مع صغر همته فهو تارك لما يستحق ومقصر عما يجب له. وفضل ما بين الأمرين ظاهر وإن كان لكل واحد منهما من الذم نصيب.

وقد قيل لبعض الحكماء: ما أصعب شيء على الإنسان؟ قال: أن يعرف نفسه ويكتم الأسرار. فإذا اجتمع الأمران واقترن بشرف النفس علو الهمة كان الفضل بهما ظاهرا، والأدب بهما وافرا، ومشاق الحمد بينهما مسهلة، وشروط المروءة بينهما متبينة. وقد قال الحصين بن المنذر الرقاشي:

إن المروءة ليس يدركها امرؤ ... ورث المكارم عن أب فأضاعها". (١)

٩٠١-"أمرته نفس بالدناءة والخنا ... ونهته عن سبل العلا فأطاعها

فإذا أصاب من المكارم خلة ... يبني الكريم بها المكارم باعها

واعلم أن حقوق المروءة أكثر من أن تحصى، وأخفى من أن تظهر؛ لأن منها ما يقوم في الوهم حسا، ومنها ما يقتضيه شاهد الحال حدسا، ومنها ما يظهر بالفعل ويخفى بالتغافل. فلذلك أعوز استيفاء شروطها إلى جمل يتنبه الفاضل عليها بيقظته، ويستدل العاقل عليها بفطرته، وإن كان جميع ما تضمنه كتابنا هذا من حقوق المروءة وشروطها.

وإنما نذكر في هذا الفصل الأشهر من قواعدها وأصولها، والأظهر من شروطها وحقوقها، محصورا في تقسيم جامع وهو ينقسم قسمين:

أحدهما: شروط المروءة في نفسه. والثاني: شروطها في غيره.

فأما شروطها في نفسه بعد التزام ما أوجبه الشرع من أحكامه فيكون بثلاثة أمور وهي: العفة والنزاهة والصيانة. فأما العفة فنوعان: أحدهما العفة عن المحارم والثاني العفة عن المآثم. فأما العفة عن المحارم فنوعان: أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، والثاني كف اللسان عن الأعراض.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٢٠

فأما ضبط الفرج عن الحرام فلأنه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرة فاضحة، وهتكة واضحة. ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «من وقي شر ذبذبه ولقلقه وقبقبه فقد وقي» . يريد بذبذبه الفرج، وبلقلقه اللسان، وبقبقبه البطن.
وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «أحب العفاف إلى الله تعالى عفاف الفرج والبطن» .
وحكي أن معاوية – رضي الله عنه – سأل عمر عن المروءة فقال: تقوى الله تعالى وصلة الرحم. وسأل المغيرة فقال: هي العفة عما حرم الله تعالى والحرفة فيما أحل الله تعالى. وسأل يزيد: فقال هي الصبر على البلوى، والشكر على النعمى، والعفو عند القدرة، فقال معاوية: أنت مني حقا. وقال أنوشروان لابنه هرمز: من الكامل المروءة؟ فقال: من حصن دينه ووصل رحمه وأكرم إخوانه. **وقال بعض الحكماء**: من أحب المكارم اجتنب المحارم. وقيل: عار الفضيحة يكدر لذتها.
وقد أنشدني بعض أهل الأدب للحسن بن علي – رضي الله عنهما –:
الموت خير من ركوب العار ... والعار خير من دخول النار
والله من هذا وهذا جاري". (١)

٩٠٢–"والداعي إلى ذلك شيئان:
أحدهما: إرسال الطرف. والثاني: اتباع الشهوة. وقد روي عن النبي – عليه السلام – أنه قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والثانية عليك» . وفي قوله لا تتبع النظرة النظرة تأويلان: أحدهما لا تتبع نظر عينيك نظر قلبك، والثاني لا تتبع الأولى التي وقعت سهوا بالنظرة الثانية التي توقعها عمدا. وقال عيسى ابن مريم – عليه السلام –: إياكم والنظرة بعد النظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة. وقال علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه –: العيون مصائد الشيطان.
وقال بعض الحكماء: من أرسل طرفه استدعى حتفه. وقال بعض الشعراء:
وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر
وأما الشهوة فهي خادعة العقول وغادرة الألباب، ومحسنة القبائح، ومسولة الفضائح. وليس عطب إلا وهي له سبب، وعليه ألب. ولذلك قال النبي – عليه السلام –: «أربع من كن فيه وجبت له الجنة وحفظ من الشيطان: من ملك نفسه حين يرغب، وحين يرهب، وحين يشتهي، وحين يغضب» .
وقهرها عن هذه الأحوال يكون بثلاثة أمور: أحدها غض الطرف عن إثارتها، وكفه عن مساعدتها. فإنه الرائد المحرك، والقائد المهلك. روى سعيد بن سنان، عن أنس بن مالك، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «تقبلوا إلي بست أتقبل إليكم بالجنة. قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا أؤتمن فلا يخون، غضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا أيديكم» .

---
(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٢١

والثاني: ترغيبها في الحلال عوضا، وإقناعها بالمباح بدلا، فإن الله ما حرم شيئا إلا وأغنى عنه بمباح من جنسه لما علمه من نوازع الشهوة، وتركيب الفطرة، ليكون ذلك عونا على طاعته، وحاجزا عن مخالفته. وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: ما أمر الله تعالى بشيء إلا وأعان عليه، ولا نهى عن شيء إلا وأغنى عنه. والثالث: إشعار النفس تقوى الله تعالى في". (١)

٩٠٣–"أوامره، واتقاءه في زواجره، وإلزامها ما ألزم من طاعته، وتحذيرها ما حذر من معصيته، وإعلامها أنه لا يخفى عليه ضمير، ولا يعزب عنه قطمير.

وأنه يجازي المحسن ويكافئ المسيء، وبذلك نزلت كتبه وبلغت رسله.

روى ابن مسعود أن آخر ما نزل من القرآن: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ [البقرة: ٢٨١] .

وآخر ما نزل من التوراة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. وآخر ما نزل من الإنجيل: شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئا. وآخر ما نزل من الزبور: من يزرع خيرا حصد زرعه غبطة. فإذا أشعرها ما وصفت انقادت إلى الكف وأذعنت بالاتقاء فسلم دينه وظهرت مروءته.

فهذا شرط وأما كف اللسان عن الأعراض فلأنه ملاذ السفهاء، وانتقام أهل الغوغاء، وهو مستسهل الكلف إذا لم يقهر نفسه عنه برادع كاف وزاجر صاد تلبط بمعاره، وتخبط بمضاره، وظن أنه لتجافي الناس عنه حمى يتقى، ورتبة ترتقى، فهلك وأهلك. فلذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم» .

فجمع بين الدم والعرض لما فيه من إيغار الصدور، وإبداء الشرور، وإظهار البذاء، واكتساب الأعداء، ولا يبقى مع هذه الأمور وزن لموموق ولا مروءة لملحوظ ثم هو بها موتور موزور؛ ولأجلها مهجور مزجور. وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «شر الناس من أكرمه الناس اتقاء لسانه» . **وقال بعض الحكماء**: إنما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال.

وما قدح في الأعراض من الكلام نوعان: أحدهما: ما قدح في عرض صاحبه ولم يتجاوزه إلى غيره، وذلك شيئان: الكذب وفحش القول. والثاني: ما تجاوزه إلى غيره، وذلك أربعة أشياء: الغيبة والنميمة والسعاية والسب بقذف أو شتم. وربما كان السب أنكاها للقلوب وأبلغها أثرا في النفوس. ولذلك زجر الله عنه بالحد تغليظا وبالتفسيق تشديدا". (٢)

٩٠٤–"وتصعيبا. وقد يكون ذلك لأحد شيئين: إما انتقام يصدر عن سفه أو بذاء يحدث عن لؤم. وقد روى أبو سلمة عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم» . وقال ابن المقفع: الاستطالة لسان الجهال. وكف النفس عن هذه الحال بما يصدها من الزواجر أسلم وهو بذوي المروءة أجمل.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٢٢

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣٢٣

فهذا شرط وأما العفة عن المآثم فنوعان: أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة. فأما المجاهرة بالظلم فعتو مهلك وطغيان متلف، وهو يئول إن استمر إلى فتنة أو جلاء.

فأما الفتنة في الأغلب فتحيط بصاحبها، وتنعكس عن البادئ بها، فلا تنكشف إلا وهو بها مصروع كما قال الله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] .

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الفتنة نائمة فمن أيقظها صار طعاما لها» . وقال جعفر بن محمد: الفتنة حصاد للظالمين. **وقال بعض الحكماء**: صاحب الفتنة أقرب شيء أجلا وأسوأ شيء عملا. وقال بعض الشعراء:

وكنت كعنز السوء قامت لحتفها ... إلى مدية تحت الثرى تستثيرها

وأما الجلاء فقد يكون من قوة الظالم وتطاول مدته فيصير ظلمه مع المكنة جلاء وفناء، كالنار إذا وقعت في يابس الشجر فلا تبقي معها مع تمكنها شيئا حتى إذا أفنت ما وجدت اضمحلت وخمدت.

فكذا حال الظالم مهلك ثم هالك. والباعث على ذلك شيئان: الجراءة والقسوة. ولذلك قال النبي - عليه السلام -: «اطلبوا الفضل والمعروف عند الرحماء من أمتي تعيشوا في أكنافهم» . والصاد عن ذلك أن يرى آثار الله تعالى في الظالمين فإن له فيهم عبرا، ويتصور عواقب ظلمهم فإن فيها مزدجرا. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من أصبح ولم ينو ظلم أحد غفر الله له ما اجترم» .

وروى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، قال: قال". (١)

٩٠٥-"رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا علي اتق دعوة المظلوم فإنه إنما يسأل الله حقه وإن الله لا يمنع ذا حق حقه» . وقيل في منثور الحكم: ويل للظالم من يوم المظالم.

وقال بعض البلغاء: من جار حكمه أهلكه ظلمه. وقال بعض الشعراء:

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وأما الاستسرار بالخيانة فضعة لأنه بذل الخيانة مهين، ولقلة الثقة به مستكين. وقد قيل في منثور الحكم: من يخن يهن. وقال خالد الربعي: قرأت في بعض الكتب السالفة أن مما تعجل عقوبة ولا تؤخر الأمانة تخان والإحسان يكفر والرحم تقطع والبغي على الناس.

ولو لم يكن من ذم الخيانة إلا ما يجده الخائن في نفسه من المذلة لكفاه زاجرا، ولو تصور عقبى أمانته وجدوى ثقته لعلم أن ذلك من أربح بضائع جاهه وأقوى شفعاء تقدمه مع ما يجده في نفسه من العز ويقابل عليه من الإعظام. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» . وروى سعيد بن جبير قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ [آل عمران: ٧٥] .

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٢٤

يعنون أن أموال العرب حلال لهم؛ لأنهم من غير أهل الكتاب. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر ولا يجعل ما يتظاهر به من الأمانة زورا ولا ما يبديه من العفة غرورا فينهتك الزور وينكشف الغرور فيكون مع هتكه للتدليس أقبح ولمعرة الرياء أفضح» . وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والصدقة مغرما» .

وقال بعض الحكماء: من التمس أربعا". [1]

٩٠٦–"عرضه إفك.

وقد قال الشاعر:

أصونك أن أدل عليك ظنا ... لأن الظن مفتاح اليقين

وقال سهل بن هارون: مؤنة المتوقف أيسر من تكلف المعسف.

وقال بعض الحكماء: من حسن ظنه بمن لا يخاف الله تعالى فهو مخدوع. وأنشدني بعض أهل الأدب، لأبي بكر الصولي – رحمه الله – قوله:

أحسنت ظني بأهل دهري ... فحسن ظني بهم دهاني

لا آمن الناس بعد هذا ... ما الخوف إلا من الأمان

فهذا شرط استوفينا فيه نوعي النزاهة.

وأما الصيانة وهي الثالث من شروط المروءة فنوعان: أحدهما: صيانة النفس بالتماس كفايتها وتقدير مادتها. والثاني: صيانتها عن تحمل المنن من الناس والاسترسال في الاستعانة. وأما التماس الكفاية وتقدير المادة؛ فلأن المحتاج إلى الناس كل مهتضم وذليل مستثقل. وهو لما فطر عليه، محتاج إلى ما يستمده ليقيم أود نفسه، ويدفع ضرورة وقته. وقد قالت العرب في أمثالها: كلب جوال خير من أسد رابض.

وما يستمده نوعان: لازم وندب. فأما اللازم فما أقام بالكفاية وأفضى إلى سد الخلة. وعليه في طلبه ثلاثة شروط: واحدها: استطابته من الوجوه المباحة وتوقي المحظورة فإن المواد المحرمة مستخبثة الأصول، ممحوقة المحصول، إن صرفها في بر لم يؤجر، وإن صرفها في مدح لم يشكر، ثم هو لأوزارها محتقب، وعليها معاقب.

وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا يعجبك رجل كسب مالا من غير حله فإن أنفقه لم يقبل منه، وإن أمسكه فهو زاده إلى النار» . **وقال بعض الحكماء**: شر المال ما لزمك إثم مكسبه وحرمت أجر إنفاقه.

ونظر بعض الخوارج إلى رجل من أصحاب السلطان يتصدق على مسكين، فقال: انظر إليهم حسناتهم من سيئاتهم. وقال علي بن الجهم:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٢٥

سر من عاش ماله فإذا ... حاسبه الله سره الإعدام". (١)

٩٠٧-"والثاني: طلبه من أحسن جهاته التي لا يلحقه فيها غض، ولا يتدنس له بها عرض، فإن المال يراد لصيانة الأعراض لا لابتذالها، ولعز النفوس لا لإذلالها. وقال عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -: يا حبذا المال أصون به عرضي وأرضي به ربي. وقال أبو بشر الضرير:

كفى حزنا أني أروح وأغتدي ... وما لي من مال أصون به عرضي

وأكثر ما ألقى الصديق بمرحبا ... وذلك لا يكفي الصديق ولا يرضي

وسئل ابن عائشة عن قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه» . فقال: معناه من أحسن الوجوه التي تحل.

والثالث: أن يتأنى في تقدير مادته وتدبير كفايته بما لا يلحقه خلل ولا يناله زلل، فإن يسير المال مع حسن التقدير، وإصابة التدبير، أجدى نفعا وأحسن موقعا من كثيره مع سوء التدبير، وفساد التقدير، كالبذر في الأرض إذا روعي يسيره زكا، وإن أهمل كثيره اضمحل.

وقال محمد بن علي - رضي الله عنه -: الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة. وقيل لبعض الحكماء: فلان غني. فقال: لا أعرف ذلك ما لم أعرف تدبيره في ماله. فإذا استكمل هذه الشروط فيما يستمده من قدر الكفاية فقد أدى حق المروءة في نفسه.

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال: العفة والحرفة. **وقال بعض الحكماء** لابنه: يا بني لا تكن على أحد كلا فإنك تزداد ذلا، واضرب في الأرض عودا وبدءا، ولا تأسف لمال كان فذهب، ولا تعجز عن الطلب لوصب ولا نصب. فهذا حال اللازم وقد كان ذوو الهمم العلية والنفوس الأبية يرون ما وصل إلى الإنسان كسبا أفضل مما وصل إليه إرثا؛ لأنه في الإرث في جدوى غيره وبالكسب مجد إلى غيره، وفرق ما بينهما في الفضل ظاهر.

وقال كشاجم:

لا أستلذ العيش لم أدأب له ... طلبا وسعيا في الهواجر والغلس

وأرى حراما أن يؤاتيني الغنى ... حتى يحاول بالعناء ويلتمس". (٢)

٩٠٨-"فاصرف نوالك عن أخيك موفرا ... فالليث ليس يسيغ إلا ما افترس

وأما الندب فهو ما فضل عن الكفاية، وزاد على قدر الحاجة، فإن الأمر فيه معتبر بحال طالبه فإن كان ممن تقاعد على مراتب الرؤساء، وتقاصر عن مطاولة النظراء، وانقبض عن منافسة الأكفاء، فحسبه ما كفاه فليس في الزيادة إلا شره ولا

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٢٨

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣٢٩

في الفضول إلا نهم، وكلاهما مذموم. وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي» .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الدنيا كل على العاقل. وقال عبد الله بن مسعود: المستغني عن الدنيا بالدنيا كمطفئ النار بالتبن. **وقال بعض الحكماء**: اشتر ماء وجهك بالقناعة وتسل عن الدنيا لتجافيها عن الكرام. فإن كان ممن مني بعلو الهمم وتحركت فيه أريحية الكرم وآثر أن يكون رأسا ومقدما، وأن يرى في النفوس معظما ومفخما فالكفاية لا تقله حتى يكون ماله فاضلا، ونائله فائضا.

فقد قيل لبعض العرب: ما المروءة فيكم؟ قال: طعام مأكول، ونائل مبذول، وبشر مقبول. وقد قال الأحنف بن قيس:

فلو مد سروي بمال ... كثير لجدت وكنت له باذلا

فإن المروءة لا تستطاع ... إذا لم يكن مالها فاضلا

وأما صيانتها عن تحمل المنن والاسترسال في الاستعانة؛ فلأن المنة استرقاق الأحرار تحدث ذلة في الممنون عليه وسطوة في المان به.

والاسترسال في الاستعانة تثقيل ومن ثقل على الناس هان، ولا قدر عندهم لمهان. وقال رجل لعمر - رضي الله عنه -: خدمك بنوك. فقال: أغناني الله عنهم. وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لابنه الحسن في وصيته له: يا بني إن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا، فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من غيره، وإن كان كل منه كثيرا.

وقال زياد لبعض". (١)

٩٠٩-"مع ما أعلى الله من قدره وفضله على خلقه، قد اقترض ثم قضى فأحسن، وقال - صلى الله عليه وسلم - : «من أعياه رزق الله تعالى حلالا فليستدن على الله وعلى رسوله» . وقال - صلى الله عليه وسلم -: «المستدين تاجر الله في أرضه» . وقال البحتري:

إن لم يكن كثر فقل عطية ... يبلغ بها باغي الرضا بعض الرضا

أو لم يكن هبة فقرض يسرت ... أسبابه وكواهب من أقرضا

ولئن كان الدين رقا فهو أسهل من رق الإفضال.

وقد روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء. قيل: وما في خفة الرداء من البقاء؟ قال: قلة الدين. فإن أعوزه ذلك إلا استسماحا فهو الرق المذل. ولذلك قيل: لا مروءة لمقل. **وقال بعض الحكماء**: من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه وجلالته. والذي يتماسك به الباقي من مروءة الراغبين، واليسير التافه من صيانة السائلين، وإن لم يبق لذي رغبة مروءة ولا لسائل تصون أربعة أمور هي جهد المضطر:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٣٠

أحدها: أن يتجافى ضرع السائلين، وأبهة المستقلين. فيذل بالضرع ويحرم بالأبهة، وليكن من التجمل على ما يقتضيه حال مثله من ذوي الحاجات. وقد قيل لبعض الحكماء: من يفحش زوال النعم؟ قال: إذا زال معها التجمل. وأنشد بعض أهل الأدب لعلي بن الجهم:

هي النفس ما حملتها تتحمل ... وللدهر أيام تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة ... وأحسن أخلاق الرجال التفضل

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ... ولكن عارا أن يزول التجمل

والثاني: أن يقتصر في السؤال على ما دعته إليه الضرورة، وقادته إليه الحاجة، ولا يجعل ذلك ذريعة إلى الاغتنام فيحرم باغتنامه، ولا يعذر في ضرورته. وقد **قال بعض الحكماء**: من ألف المسألة ألفه المنع. والثالث: أن يعذر في المنع ويشكر على الإجابة فإنه إن منع فعما لا". (١)

٩١٠-"أمرا، وهو أرخص المكارم ثمنا وألطف الصنائع موقعا، وربما كان أعظم من المال نفعا. وهو الظل الذي يلجأ إليه المضطرون، والحمى الذي يأوي إليه الخائفون. فإن أوطأه اتسع بكثرة الأنصار والشيع، وإن قبضه انقطع بنفور الغاشية والتبع، فهو بالبذل ينمى ويزيد، وبالكف ينقص ويبيد، فلا عذر لمن منح جاها أن يبخل به فيكون أسوأ حالا من البخيل بماله الذي قد يعده لنوائبه، ويستبقيه للذته، ويكنزه لذريته.

وبضد ذلك من بخل بجاهه؛ لأنه قد أضاعه بالشح وبدده بالبخل وحرم نفسه غنيمة مكنته، وفرصة قدرته، فلم يعقبه إلا ندما على فائت وأسفا على ضائع ومقتا يستحكم في النفوس وذما قد ينتشر في الناس. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الخلق كلهم عيال الله وأحب خلق الله تعالى إليه أحسنهم صنيعا إلى عياله» .

وقال بعض الحكماء: اصنع الخير عند إمكانه يبقى لك حمده عند زواله، وأحسن والدولة لك يحسن لك، والدولة عليك، واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك. وقال بعض البلغاء: من علامة الإقبال اصطناع الرجال. وقال بعض الأدباء: بذل الجاه أحد الحباءين.

وقال ابن الأعرابي: العرب تقول: من أمل شيئا هابه ومن جهل شيئا عابه. وبذل الجاه قد يكون من كرم النفس وشكر النعمة وضده من ضده وليس بذل الجاه لالتماس الجزاء بذلا مشكورا، وإنما هو بائع جاهه ومعاوض على نعم الله تعالى وآلائه فكان بالذم أحق. وأنشد بعض الأدباء لعلي بن عباس الرومي - رحمه الله -:

لا يبذل العرف حين يبذله ... كمشتري الحمد أو كمعتاضه

بل يفعل العرف حين يفعله ... لجوهر العرف لا لأعراضه

وعلى من أسعد بجاهه ثلاثة حقوق يستكثر بها الشكر ويستمد بها المزيد من الأجر: أحدها: أن يستسهل المعونة مسرورا، ولا يستثقلها كارها، فيكون بنعم الله تعالى متبرما ولإحسانه مسخطا.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٣٢

فقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «من عظمت نعمة الله تعالى عليه عظمت مئونة الناس عليه» . فمن لم يحتمل تلك المئونة عرض تلك النعمة للزوال. والثاني: مجانبة الاستطالة وترك الامتنان فإنهما من لؤم الطبع". (١)

٩١١–"رجلين يصطحبان لا يفترقان فسأل عنهما فقيل: هما صديقان.

فقال: ما بال أحدهما فقير والآخر غني. وأما الجار فلدنو داره واتصال مزاره. قال علي كرم الله وجهه: ليس حسن الجوار كف الأذى بل الصبر على الأذى. **وقال بعض الحكماء**: من أجار جاره أعانه الله وأجاره. وقال بعض البلغاء: من أحسن إلى جاره فقد دل على حسن نجاره. وقال بعض الشعراء:

وللجار حق فاحترز من إذائه ... وما خير جار لا يزال مؤاذيا

فيجب في حقوق المروءة وشروط الكرم في هؤلاء الثلاثة تحمل أثقالهم، وإسعافهم في نوائبهم ولا فسحة لذي مروءة مع ظهور المكنة أن يكلهم إلى غيره، أو يلجئهم إلى سؤاله، وليكن سائل كرم نفسه عنهم فإنهم عيال كرمه وأضياف مروءته، فكما أنه لا يحسن أن يلجئ عياله وأضيافه إلى الطلب والرغبة فهكذا من عاله كرمه وأضافته مروءته. وقال بعض الشعراء:

حق على السيد المرجو نائله ... والمستجار به في العرب والعجم

أن لا ينيل الأقاصي صوب راحته ... حتى يخص به الأدنى من الخدم

إن الفرات إذا جاشت غواربه ... روى السواحل ثم امتد في الأمم

وأما التبرع فيمن عدا هؤلاء الثلاثة من البعداء الذين لا يدلون بنسب، ولا يتعلقون بسبب، فإن تبرع بفضل الكرم وفائض المروءة فنهض في حوادثهم، وتكفل بنوائبهم، فقد زاد على شروط المروءة وتجاوزها إلى شروط الرئاسة. وقيل لبعض الحكماء: أي شيء من أفعال الناس يشبه أفعال الإله؟ قال: الإحسان إلى الناس، وإن كف تشاغلا بما لزم فلا لوم ما لم يلجأ إليه مضطر؛ لأن القيام بالكل معوز والتكفل بالجميع متعذر. فهذا حكم المؤازرة.

وأما المياسرة فنوعان: أحدهما: العفو عن الهفوات، والثاني المسامحة في الحقوق. فأما العفو عن الهفوات: فلأنه لا مبرأ من سهو". (٢)

٩١٢–"وزلل، ولا سليم من نقص أو خلل، ومن رام سليما من هفوة، والتمس بريئا من نبوة، فقد تعدى على الدهر بشططه، وخادع نفسه بغلطه، وكان من وجود بغيته بعيدا وصار باقتراحه فردا وحيدا. وقد قالت الحكماء: لا صديق لمن أراد صديقا لا عيب فيه. وقيل لأنوشروان: هل من أحد لا عيب فيه؟ قال: من لا موت له، وإذا كان الدهر لا يوجده ما طلب، ولا ينيله ما أحب، وكان الوحيد في الناس مرفوضا قصيا، والمنقطع عنهم وحشيا، لزمه مساعدة زمانه في القضاء،

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٣٤

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣٣٦

ومياسرة إخوانه في الصفح والإغضاء.

روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «إن الله تعالى أمرني بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض» . وقال بعض الأدباء: ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم: حسن المحضر واحتمال الزلة وقلة الملال. وقال ابن الرومي:

فعذرك مبسوط لذنب مقدم ... وودك مقبول بأهل ومرحب

ولو بلغتني عنك أذني أقمتها ... لدي مقام الكاشح المتكذب

فلست بتقليب اللسان مصارما ... خليلا إذا ما القلب لم يتقلب

وإذا كان الإغضاء حتما والصفح كرما ترتب بحسب الهفوة وتنزل بقدر الذنب.

والهفوات نوعان: صغائر وكبائر. فالصغائر مغفورة، والنفوس بها معذورة؛ لأن الناس مع أطوارهم المختلفة، وأخلاقهم المتفاضلة، لا يسلمون منها. فكان الوجد فيها مطرحا، والعتب مستقبحا. وقد قال بعض العلماء: من هجر أخاه من غير ذنب كان كمن زرع زرعا ثم حصده في غير أوانه.

وقال أبو العتاهية:

وشر الأخلاء من لم يزل ... يعاتب طورا وطورا يذم

يريك النصيحة عند اللقاء ... ويبريك في السر بري القلم

وأما الكبائر فنوعان: أن يهفو بها خاطئا، ويزل بها ساهيا، فالحرج فيها مرفوع، والعتب عنها موضوع؛ لأن هفوة الخاطر هدر ولومه هذر.

وقال بعض الحكماء: لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه.". (١)

٩١٣-"وقال الأحنف بن قيس: حق الصديق أن تحتمل له ثلاثا: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة. وحكى ابن عون أن غلاما هاشميا عربد على قوم فأراد عمه أن يسيء به فقال: يا عم إني قد أسأت وليس معي عقلي فلا تسئ بي ومعك عقلك.

وقال أبو نواس:

لم أؤاخذك إذ جنيت لأني ... واثق منك بالإخاء الصحيح

فجميل العدو غير جميل ... وقبيح الصديق غير قبيح

فإن تشبه خطؤه بالعمد، وسهوه بالقصد، تثبت ولم يلم بالتوهم فيكون ملوما، ولذلك قيل: التثبت نصف العفو. **وقال بعض الحكماء**: لا يفسدك الظن على صديق أصلحك اليقين له.

وقال بعض شعراء هذيل:

فبعض الأمر تصلحه ببعض ... فإن الغث يحمله السمين

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٣٧

ولا تعجل بظنك قبل خبر ... فعند الخبر تنقطع الظنون

ترى بين الرجال العين فضلا ... وفيما أضمروا الفضل المبين

كلون الماء مشتبها وليست ... تخبر عن مذاقته العيون

والثاني: أن يعتمد ما اجترم من كبائره، ويقصد ما اجترح من سيئاته.

ولا يخلو فيما أتاه من أربع أحوال: فالحال الأولى: أن يكون موتورا قد قابل على وترته وكافأ على مساءته فاللائمة على من وتره عائدة، وإلى البادئ بها راجعة؛ لأن المكافئ أعذر، وإن كان الصفح أجمل. ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إياكم والمشارة فإنها تميت الغيرة وتحيي الغرة» . **وقال بعض الحكماء**: من فعل ما شاء لقي ما لم يشأ.

وقال بعض الأدباء: من نالته إساءتك همه مساءتك. وقال بعض البلغاء: من أولع بقبح المعاملة أوجع بقبح المقابلة. وقال صالح بن عبد القدوس:

إذا وترت امرأ فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

إن العدو وإن أبدى مسالمة ... إذا رأى منك يوما فرصة وثبا

والإغضاء عن هذا أوجب، وإن لم تكن المكافأة ذنبا لأنه قد رأى عقبى". (١)

٩١٤-"إساءته، فإن واصل الشر واصلته المكافأة. وقد قيل: باعتزالك الشر يعتزلك وبحسن النصفة يكون المواصلون.

وقال بعض الحكماء: من كنت سببا لبلائه وجب عليك التلطف له في علاجه من دائه. وقد قال أوس بن حجر:

إذا كنت لم تعرض عن الجهل والخنا ... أصبت حليما أو أصابك جاهل

والحال الثانية: أن يكون عدوا قد استحكمت شحناؤه، واستوعرت سراؤه، واستخشنت ضراؤه، فهو يتربص بدوائر السوء انتهاز فرصه، ويتجرع بمهانة العجز مرارة غصصه، فإذا ظفر بنائبة ساعدها، وإذا شاهد نعمة عاندها، فالبعد منه حذرا أسلم، والكف عنه متاركة أغنم، فإنه لا يسلم من عواقب شره، ولا يفلت من غوائل مكره. وقد قالت الحكماء: لا تعرض لعدوك في دولته فإذا زالت كفيت شره.

وقال لقمان لابنه: يا بني كذب من قال إن الشر بالشر يطفأ، فإن كان صادقا فليوقد نارين ولينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى، وإنما يطفئ الخير الشر كما يطفئ الماء النار. وقال جعفر بن محمد: كفاك من الله نصرا أن ترى عدوك يعصي الله فيك. **وقال بعض الحكماء**: بالسيرة العادلة يقهر المعادي.

وقال البحتري:

وأقسم لا أجزيك بالشر مثله ... كفى بالذي جازيتني لك جازيا

والحال الثالثة: أن يكون لئيم الطبع خبيث الأصل قد أغراه لؤم الطبع على سوء الاعتقاد، وبعثه خبث الأصل على إتيان الفساد، فهو لا يستقبح الشر ولا يكف عن المكروه. فهذه الحالة أطم؛ لأن الأضرار بها أعم، ولا سلامة من مثله إلا بالبعد

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٣٨

والانقباض، ولا خلاص منه إلا بالصفح والإعراض، فإنه كالسبع الضاري في سوارح الغنم وكالنار المتأججة في يابس الحطب لا يقربها إلا تالف ولا يدنو منها إلا هالك.

روى مكحول عن أبي أمامة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «الناس كشجرة ذات جنى ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوك إن". (١)

٩١٥–"ناقدتهم ناقدوك، وإن هربت منهم طلبوك، وإن تركتهم لم يتركوك قيل: يا رسول الله وكيف المخرج؟ قال: أقرضهم من عرضك ليوم فاقتك» . وقال عبد الله بن العباس: العاقل الكريم صديق كل أحد إلا من ضره، والجاهل اللئيم عدو كل أحد إلا من نفعه. وقال: شر ما في الكريم أن يمنعك خيره، وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شره.

وقال بعض البلغاء: أعداؤك داؤك وفي البعد عنهم شفاؤك. وقال بعض البلغاء: شرف الكريم تغافله عن اللئيم. ووصى بعض الحكماء ابنه فقال: يا بني إذا سلم الناس منك فلا عليك أن لا تسلم منهم فإنه قل ما اجتمعت هاتان النعمتان. وقال عبد المسيح بن نفيلة:

الخير والشر مقرونان في قرن ... فالخير مستتبع والشر محذور

والحال الرابعة: أن يكون صديقا قد استحدث نبوة وتغيرا، أو أخا قد استجد جفوة وتنكرا، فأبدى صفحة عقوقه، واطرح لازم حقوقه، وعدل عن بر الإخاء إلى جفوة الأعداء. فهذا قد يعرض في المودات المستقيمة كما تعرض الأمراض في الأجسام السليمة فإن عولجت أقلعت، وإن أهملت أسقمت ثم أتلفت. ولذلك قالت الحكماء: دواء المودة كثرة التعاهد.

وقال كشاجم:

أقل ذا الود عثرته وقفه ... على سنن الطريق المستقيمه

ولا تسرع بمعتبة إليه ... فقد يهفو ونيته سليمه

ومن الناس من يرى أن متاركة الإخوان إذا نفروا أصلح، واطراحهم إذا فسدوا أولى، كأعضاء الجسد إذا فسدت كان قطعها أسلم فإن شح بها سرت إلى نفسه، وكالثوب إذا خلق كان اطراحه بالجديد له أجمل. وقد **قال بعض الحكماء**: رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس، وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همة. وقد قال بزرجمهر: من تغير عليك في مودته فدعه حيث كان قبل معرفته. وقال نصر بن أحمد الخبز أرزي:". (٢)

٩١٦–"زلل. فإن كان لملل فمودات الملول ظل الغمام وحلم النيام. وقد قيل في منثور الحكم: لا تأمنن لملول، وإن تحلى بالصلة وعلاجه أن يترك على ملله فيمل الجفاء كما مل الإخاء. وإن كان لزلل لوحظت أسبابه فإن كان لها مدخل في التأويل وشبهة تئول إلى جميل حمله على أجمل تأويله وصرفه إلى أحسن جهة، كالذي حكي عن خالد بن صفوان أنه

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٣٩

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣٤٠

مر به صديقان له فعرج عليه أحدهما وطواه الآخر، فقيل له في ذلك فقال: نعم عرج علينا هذا بفضله، وطوانا ذاك بثقته بنا. وأنشد بعض أهل الأدب لمحمد بن داود الأصفهاني:

وتزعم للواشين أني فاسد ... عليك وأني لست فيما عهدتني

وما فسدت لي يعلم الله نية ... عليك ولكن خنتني فاتهمتني

غدرت بعهدي عامدا وأخفتني ... فخفت ولو آمنتني لأمنتني

وإن لم يكن لزلته في التأويل مدخل نظر بعد زلته فإن ظهر ندمه وبان خجله فالندم توبة والخجل إنابة، ولا ذنب لتائب ولا لوم على منيب، ولا يكلف عذرا عما سلف، فيلجأ إلى ذل التحريف، أو خجل التعنيف.

ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إياكم والمعاذر فإن أكثرها مفاجر» . وقال علي – رضي الله عنه –: كفى بما يعتذر منه تهمة. وقال مسلم بن قتيبة لرجل اعتذر إليه: لا يدعونك أمر قد تخلصت منه إلى الدخول في أمر لعلك لا تخلص منه. **وقال بعض الحكماء**: شفيع المذنب إقراره، وتوبته اعتذاره. وقال بعض البلغاء: من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته، ومن لم يحسن إلى التائب قبحت إساءته.

وقال بعض الحكماء: الكريم من أوسع المغفرة إذا ضاقت بالمذنب المعذرة. وقال بعض الشعراء:

العذر يلحقه التحريف والكذب ... وليس في غير ما يرضيك لي أرب

وقد أسأت فبالنعمى التي سلفت ... إلا مننت بعفو ما له سبب

وإن عجل العذر قبل توبته وقدم التنصل قبل إنابته فالعذر توبة والتنصل". (١)

٩١٧-"إنابة فلا يكشف عن باطن عذره، ولا يعنف بظاهر غدره، فيكون لئيم الظفر سيء المكافأة.

وقد قيل: من غلبته الحدة فلا تغتر بمودته. **وقال بعض الحكماء**: شافع المذنب خضوعه إلى عذره. وقال بعض الشعراء:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا

وإن ترك نفسه في زلته، ولم يتدارك بعذره وتنصله، ولا محاه بتوبته، وإنابته، راعيت في المتاركة فستجده لا ينفك فيها من أمور ثلاثة:

أحدها: أن يكون قد كف عن سيئ عمله، وأقلع عن سالف زلته، فالكف إحدى التوبتين، والإقلاع أحد العذرين. فكن أنت المعتذر عنه بصفحك والمتنصل له بفضلك. فقد قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: المحسن على المسيء أمير.

والثاني: أن يكون قد وقف على ما أسلف من زلته غير تارك ولا متجاوز فوقوف المرض أحد البرأين، وكفه عن الزيادة إحدى الحسنيين، وقد استبقى بالوقوف عن المتجاوز أحد شطريه فعول به على صلاح شطره الآخر. وإياك وإرجاءه فإن الإرجاء يفسد شطر صلاحه، والتلافي يصلح شطر فساده، فإن من سقم من جسمه ما لم يعالجه سرى السقم إلى صحته،

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٤٢

وإن عالجه سرت الصحة إلى سقمه.
والثالث: أن يتجاوز مع الأوقات فيزيد فيه على مرور الأيام، فهذا هو الداء العضال فإن أمكن استدراكه وتأتى استصلاحه، وذلك باستنزاله عنه إن علا، وبإرغابه إن دنا، وبعتابه إن ساوى، وإلا فآخر الداء العياء الكي. ومن بلغت به الأعذار إلى غايتها فلا لائمة عليه والمقيم على شقاقه باغ مصروع.
وقد قيل: من سل سيف البغي أغمده في رأسه فهذا شرط. وأما المسامحة في الحقوق؛ فلأن الاستيفاء موحش والاستقصاء منفر ومن أراد كل حقه من النفوس المستصعبة بشح أو طمع لم يصل إليه إلا بالمنافرة والمشاقة، ولم يقدر عليه إلا بالمخاشنة والمشاحة؛ لما استقر في الطباع من مقت من شاقها ونافرها، وبغض من شاحها ونازعها، كما استقر حب من ياسرها وسامحها فكان أليق لأمور المروءة استلطاف النفوس". (١)

٩١٨-"بالمياسرة والمسامحة، وتألفها بالمقاربة والمساهلة.
وقال بعض الحكماء: من عاشر إخوانه بالمسامحة دامت له مودانهم. وقال بعض الأدباء: إذا أخذت عفو القلوب زكا ريعك، وإن استقصيت أكديت.
والمسامحة نوعان في عقود وحقوق. فأما العقود فهو أن يكون فيها سهل المناجزة، قليل المحاجزة مأمون الغيبة بعيدا من المكر والخديعة. روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «أجملوا في طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما كتب له منها» .
وقال – صلى الله عليه وسلم –: «ألا أدلكم على شيء يحبه الله تعالى ورسوله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: التغابن للضعيف» . وحكى ابن عون أن عمر بن عبيد الله اشترى للحسن البصري إزارا بستة دراهم ونصف فأعطى التاجر سبعة دراهم، فقال: ثمنه ستة دراهم ونصف. فقال: إني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما.
ومن الناس من يرى أن المساهلة في العقود عجز، وأن الاستقصاء فيها حزم، حتى أنه لينافس في الحقير، وإن جاد بالجليل الكثير كالذي حكي عن عبد الله بن جعفر وقد ماكس في درهم، وهو يجود بما يجود به، فقيل له في ذلك فقال: ذلك مالي أجود به وهذا عقلي بخلت به.
وهذا إنما ينساع من أهل المروءة في دفع ما يخادعهم به الأدنياء، ويغابنهم به الأشحاء، وهكذا كانت حال عبد الله بن جعفر. فأما مماكسة الاستنزال والاستسماح فكلا؛ لأنه مناف للكرم ومباين للمروءة.
وأما الحقوق فتتنوع المسامحة فيها نوعين: أحدهما في الأحوال، والثاني في الأموال. فأما المسامحة في الأحوال فهو إطراح المنازعة في الرتب وترك المنافسة في التقدم. فإن مشاحة النفوس فيها أعظم والعناد عليها أكثر، فإن سامح فيها ولم ينافس كان مع أخذه بأفضل الأخلاق". (٢)

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٤٣

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣٤٤

٩١٩-"عمر بن عبد العزيز: ما طاوعني الناس على شيء أردته من الحق حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا.

وقال بعض الحكماء: أقل ما يجب للمنعم بحق نعمته أن لا يتوصل بها إلى معصيته. وأنشدت لبعض الأعراب:

من جمع المال ولم يجد به ... وترك المال لعام جدبه

هان على الناس هوان كلبه

يبقى الثناء وتذهب الأموال ... ولكل دهر دولة ورجال

ما نال محمدة الرجال وشكرهم ... إلا الجواد بماله المفضال

لا ترض من رجل حلاوة قوله ... حتى يصدق ما يقول فعال

فإن ضاقت به الحال عن الاصطناع بماله فقد عدم من آلة المكارم عمادها، وفقد من شروط المروءة سنادها، فليواس بنفسه مواساة المساعف وليسعد بها إسعاد المتألف. قال المتنبي:

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

وإن كان لا يراها، وإن أجهدها إلا تبعا للمفضلين قليلة بين المكثرين فإن الناس لا يساوون بين المعطي والمانع، ولا يقنعهم القول دون الفعل، ولا يغنيهم الكلام عن المال، ويرونه كالصدى إن رد صوتا لم يجد نفعا، كما قال الشاعر:

يجود بالوعد ولكنه ... يدهن من قارورة فارغه

فكل ما خرج عندهم عن المال كان فارغا، وكل ما عدا الإفضال به كان هينا، وقد قدمنا من القول في شروط الإفضال ما أقنع.

وأما إفضال الاستكفاف؛ فلأن ذا الفضل لا يعدم حاسد نعمة ومعاند فضيلة يعتريه الجهل بإظهار عناده، ويبعثه اللؤم على البذاء بسفهه فإن غفل عن استكفاف السفهاء، وأعرض عن استدفاع أهل البذاء، صار عرضه هدفا للمثالب، وحاله عرضة للنوائب، وإذا استكفى السفيه واستدفع البذيء صان عرضه وحمى نعمته. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه". (١)

٩٢٠-"وشهوة في تناول الألوان الملذة. فأما النوع الأول وهو شهوة الزيادة على قدر الحاجة، والإكثار على مقدار الكفاية، فهو ممنوع منه في العقل والشرع؛ لأن تناول ما زاد على الكفاية نهم معر وشره مضر. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إياكم والبطنة فإنها مفسدة للدين مورثة للسقم مكسلة عن العبادة» . وقال علي - رضي الله عنه -: إن كنت بطنا فعد نفسك زمنا. وقال بعض البلغاء: أقلل طعاما تحمد مناما. وقال بعض الأدباء: الرغب لؤم والنهم شؤم.

وقال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء. وقال بعض الشعراء:

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٤٦

فكم من لقمة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر

وكم من طالب يسعى لأمر ... وفيه هلاكه لو كان يدري

وقال آخر:

كم دخلت أكلة حشا شره ... فأخرجت روحه من الجسد

لا بارك الله في الطعام إذا ... كان هلاك النفوس في المعد

ورب أكلة هاضت آكلا وحرمته مآكل.

روى أبو يزيد المدني، عن عبد الرحمن بن المرقع، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله لم يخلق وعاء مليئا شرا من بطن فإن كان لا بد فاعلا فاجعلوا ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح» .

وأما النوع الثاني وهو شهوة الأشياء الملذة ومنازعة النفوس إلى طلب الأنواع الشهية فمذاهب الناس في تمكين النفس فيها مختلفة. فمنهم من يرى أن صرف النفس عنها أولى، وقهرها عن اتباع شهواتها أحرى، ليذل له قيادها. ويهون عليه عنادها؛ لأن تمكينها وما تهوى بطر يطغي وأشر يردي؛ لأن شهواتها غير متناهية فإذا أعطاها المراد من شهوات وقتها تعدتها إلى شهوات قد استحدثتها، فيصير الإنسان أسير شهوات لا تنقضي، وعبد هوى". (١)

٩٢١-"وأما الجمال والزينة فهو مستحسن بالعرف والعادة من غير أن يوجبه عقل أو شرع. وفي هذا النوع قد يقع التجاوز والتقصير والتوسط المطلوب فيه معتبر من وجهين:

أحدهما: في صفة الملبوس وكيفيته. والثاني: في جنسه وقيمته. فأما صفته فمعتبرة بالعرف من وجهين: أحدهما عرف البلاد فإن لأهل المشرق زيا مألوفا، ولأهل المغرب زيا مألوفا، وكذلك لما بينهما من البلاد المختلفة عادات في اللباس مختلفة.

والثاني: عرف الأجناس فإن للأجناد زيا مألوفا، وللتجار زيا مألوفا، وكذلك لمن سواهما من الأجناس المختلفة عادات في اللباس. وإنما اختلفت عادات الناس في اللباس من هذين الوجهين؛ ليكون اختلافهم سمة يتميزون بها، وعلامة لا يخفون معها، فإن عدل أحد عن عرف بلده وجنسه كان ذلك منه خرقا وحمقا. ولذلك قيل: العري الفادح خير من الزي الفاضح.

وأما جنس الملبوس وقيمته فمعتبر من وجهين:

أحدهما: بالمكنة من اليسار والإعسار فإن للموسر في الزي قدرا، وللمعسر دونه.

والثاني: بالمنزلة والحال فإن لذي المنزلة الرفيعة في الزي قدرا، وللمنخفض عنه دونه ليتفاضل فيه على حسب تفاضل أحوالهم فيصيروا به متميزين. فإن عدل الموسر إلى زي المعسر كان شحا وبخلا، وإن عدل الرفيع إلى زي الدنيء كان مهانة وذلا، وإن عدل المعسر إلى زي الموسر كان تبذيرا وسرفا، وإن عدل الدنيء إلى زي الرفيع كان جهلا وتخلفا.

ولزوم العرف المعهود، واعتبار الحد المقصود، أدل على العقل وأمنع من الذم. ولذلك قال عمر بن الخطاب – رضي الله

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٤٩

عنه -: إياكم لبستين: لبسة مشهورة ولبسة محقورة. **وقال بعض الحكماء**: البس من الثياب ما لا يزدريك فيه العظماء، ولا يعيبه عليك الحكماء.

وقال بعض الشعراء:

إن العيون رمتك إذ فاجأتها ... وعليك من شهر الثياب لباس". (١)

٩٢٢-"واجعل نصح نفسك غنيمة عقلك، ولا تداهنها بإخفاء عيبك وإظهار عذرك، فيصر عدوك أحظى منك في زجر نفسه بإنكارك ومجاهرتك من نفسك التي هي أخص بك لإغرائك لها بأعذارك ومساءتك. فحسبك سوءا رجل ينفع عدوه ويضر نفسه.

وقال بعض الحكماء: أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعا لك. وقال بعض البلغاء: من أصلح نفسه أرغم أنف أعاديه، ومن أعمل جده بلغ كنه أمانيه. وقال بعض الأدباء: من عرف معابه فلا يلم من عابه. وأنشدني أبو ثابت النحوي لبعض الشعراء:

ومصروفة عيناه عن عيب نفسه ... ولو بان عيب من أخيه لأبصرا

ولو كان ذا الإنسان ينصف نفسه ... لأمسك عن عيب الصديق وقصرا

فهذب أيها الإنسان نفسك بأفكار عيوبك وانفعها كنفعك لعدوك فإن من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ. أعاننا الله، وإياك على القول بالعمل وعلى النصح بالقبول وحسبنا الله وكفى.". (٢)

٩٢٣-"٨١ - وقال النمر بن تولب

أعذني رب من حصر وعي ... ومن نفس أعالجها علاجا ٨٢ وقال آخر

عجبت لإدلاء العيي بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالحق أعلما

وفي الصمت ستر العي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما ٨٣ **وقال بعض الحكماء**

ليس شيء إلا إذا أثنيته قصر إلا الكلام فإنك كلما أثنيته طال". (٣)

٩٢٤-"خير ما ورث الرجال بنيهم ... أدب صالح وحسن الثناء

هو خير من الدنانير والأوراق ... في يوم شدة أو رخاء

تلك تفنى والدين والأدب الصالح ... لا يفنيان حتى اللقاء ٢٢٩ كان يقال من أدب ابنه صغيرا قرت به عينه كبيرا ٢٣٠

---

(١) أدب الدنيا والدين ص/٣٥٣

(٢) أدب الدنيا والدين ص/٣٥٨

(٣) أدب المجالسة وحمد اللسان ص/٥٦

قال لقمان

ضرب الوالد للولد كالماء للزرع ٢٣١ قال بعض الحكماء

لا أدب إلا بعقل ولا عقل إلا بأدب ٢٣٢ كان يقال

نعم العون لمن لا عون له الأدب". (١)

٩٢٥-"٢٣٧ - قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نار

قال أدبوهم وعلموهم ٢٣٨ قيل ل عيسى عليه السلام من أدبك فقال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فاجتنبته ٢٣٩

وقال بعض الحكماء

أفضل ما يورث الآباء الأبناء الثناء الحسن والأدب النافع والإخوان الصالحون". (٢)

٩٢٦-"تعالى الله ما أقل الإنصاف وأكثر الخلاف ٢٥٦ وقال

الخلاف في كل شيء حتى القذارة في رأس الكوز فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك وإن أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت ٢٥٧ وقالوا

المخالفة توجب الوحشة والمساعدة توجب الألفة وليس مع الاختلاف ائتلاف ٢٥٨ قال بعض الحكماء

كما لا يثبت الكتاب على الماء كذلك لا تثبت مودتك في القلب إن خالفت هواه ٢٥٩ وقالوا

البر في المساعدة والمؤانسة والمؤاخاة والعداوة في الهيادة". (٣)

٩٢٧-"قال- عز وجل-: ﴿وثيابك فطهر﴾ المدثر: ٤.

وقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: "إن الله جميل يحب الجمال". ١

وإنما المحذور هو المبالغة في التجمل، وصرف الهمة للتأنق، واشتداد الكلف بحسن البزة؛ فهذا مما يقطع عن إصلاح النفس، ويدل على نقص الإنسان.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-:"إياكم لبستين: لبسة مشهورة، ولبسة محقورة".٢

وقال بعض الحكماء: "البس من الثياب ما لا يزدريك العظماء، ولا يعيبك الحكماء".٣

وقال الماوردي –رحمه الله: "واعلم أن المروءة أن مكون الإنسان معتدل الحال في مراعاة الباسه من غير إكثار ولا اطراح؛ فإن اطراح مراعاتها، وترك تفقدها مهانة وذلة، وكثرة مراعاتها وصرف الهمة إلى العناية بها دناءة ونقص.

---

(١) أدب المجالسة وحمد اللسان ص/١٠٤

(٢) أدب المجالسة وحمد اللسان ص/١٠٦

(٣) أدب المجالسة وحمد اللسان ص/١١٢

وربما توهم من خلا من فضل، وعري من تمييز، أن ذلك هو المروءة الكاملة، والسيرة الفاضلة؛ لما يرى من تميزه على الأكثرين. وخروجه عن جملة العوام والمسترذلين.

وخفي عليه أنه إذا تعدى طوره، وتجاوز قدره كان أقبح لذكره، وأبعث على ذمه".٤

وخلاصة القول أن الشارع قد فوض في أمر اللباس إلى حكم العادة، وما يليق بحال الإنسان؛ فإذا جرت العادة بلبس نوع من الثياب، وكان مستطيعا

---

١ - رواه مسلم "٩١".

٢ - أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٣٥٤.

٣ - أدب الدنيا والدين ص ٣٥٥.

٤ - أدب الدنيا والدين ص ٣٥٤.". [1]

٩٢٨-"ألا رب من تغتشه لك ناصح ... ومؤتمن بالغيب غير أمين

وقال نافع مولى ابن عمر: طاف ابن عمر سبعا وصلى ركعتين فقال له رجل من قريش: ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن،.

فقال ابن عمر أنتم أكثر منا طوافا وصياما، ونحن خير منكم بصدق الحديث. وأداء الأمانة وإنجاز الوعد. أنشد محمود الوراق:

اصدق حديثك إن في ... الصدق الخلاص من الدنس

ودع الكذوب لشانه ... خير من الكذب الخرس

وقال آخر:

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه ... وأحسن الصدق عند الله والناس

وقال منصور الفقيه:

الصدق أولى ما به ... دان امرؤ فاجعله دينا

ودع النفاق فما رأيت ... منافقا إلا مهينا

وقال الحسن البصري: لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه.

وقال الفريابي كنت عند الأوزاعي إذ جاءه رجل فقال يا أبا عمرو، هذا كتاب صديقك وهو يقرأ عليك السلام فقال متى قدمت؟ قال: أمس، قال ضيعت أمانتك لا أكثر الله في المسلمين أمثالك قال الشاعر:

إذا أنت حملت الأمانة خائنا ... فإنك قد أسندتها شر مسند

---

(١) أدب الموعظة ص/٢٠

وقال بعض الحكماء من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه، قالوا والصدق عز والكذب خضوع.

وقال كعب بن زهير:

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

مقالة السوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر السائل". (١)

٩٢٩-"وقال لقمان لابنه: يا بني احذر الكذب فإنه شهي كلحم العصفور من أكل منه شيئا لم يصبر عنه.

وقال الأصمعي: قيل لكذاب ما يحملك على الكذب؟ فقال أما إنك لو تغرغرت ماءه ما نسيت حلاوته، وقيل لكذاب هل صدقت قط قال أكره أن أقول لا فأصدق.

وذكر ابن عبد البر الخبر المروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال «الحق ثقيل فمن قصر عنه سحر، ومن جاوزه ظلم، ومن انتهى إليه فقد اكتفى» ويروى هذا لمجاشع بن نهشل. وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال «الحق ثقيل رحم الله عمر بن الخطاب تركه الحق ليس له صديق» .

لما استخلف أبو بكر عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال لمعيقيب الدوسي ما يقول الناس في استخلافي عمر قال: كرهه قوم، ورضيه قوم آخرون قال فالذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه؟ قال: بل الذين كرهوه قال: إن الحق يبدو كرها وله تكون العاقبة ﴿والعاقبة للتقوى﴾ [طه: ١٣٢] وقال: الحكمة تدعو إلى الحق، والجهل يدعو إلى السفه، كما أن الحجة تدعو إلى المذهب الصحيح، والتشبيه يدعو إلى المذهب الباطل.

وقال بعض الحكماء: من جهلك بالحق والباطل أن تريد إقامة الباطل بإبطال الحق **وقال بعض الحكماء**: لا يعد الرجل عاقلا حتى يستكمل ثلاثا: إعطاء الحق من نفسه في حال الرضا والغضب، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه، وأن لا يرى له زلة عند صحو وقال أبو العتاهية:

ومن ضاق عنه الحق ضاقت مذاهبه

لما احتضر أبو بكر أرسل إلى عمر - رضي الله عنهما - فقال: إن وليتك على الناس فاتق الله والزم الحق فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان إذا وضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم. وحق لميزان وضع فيه الباطل أن يكون". (٢)

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٤٠/١

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٤١/١

٩٣٠-"أصفها لك بمبلغ علمي ورأيي: الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى، فلما قرأ كتابه قال إن ذلك لكما وصفت فخذ من قبلك من الجماعة وأعطهم عطايا الفرقة، واستعن عليهم بالفاقة. فإنها نعم العون على الطاعة، فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله.

لما أراد عمرو المسير إلى مصر قال لمعاوية يا أمير المؤمنين إني أريد أن أوصيك قال أجل فأوصني قال انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع.

قال بعض الحكماء: الرعية للملك كالروح للجسد، فإذا ذهب الروح فني الجسد قال الإسكندر لأرسطوطاليس أوصني قال انظر من كان له عبيد فأحسن سياستهم فوله الجند، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله الخراج **وقال بعض الحكماء**: لا تصغر أمر من جاءك يحاربك، فإنك إن ظفرت لم تحمد، وإن عجزت لم تعذر.

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – «صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس: الأمراء والعلماء» وفي خبر آخر عن موسى – عليه السلام – قال علامة رضا الله تعالى عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم، وأن ينزل عليهم الغيث في أوانه، وعلامة سخطه أن يولي عليهم شرارهم وينزل عليهم الغيث في غير أوانه. كتب عامل إلى عمر بن عبد العزيز: إن مدينتنا قد احتاجت إلى مرمة فكتب إليه عمر: حصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من المظالم.

وقال محمد بن كعب القرظي قال لي عمر بن عبد العزيز صف لي العدل يا ابن كعب قلت بخ بخ سألت عن أمر عظيم كن لصغير الناس أبا، ولكبيرهم ابنا، وللمثل منهم أخا، وللنساء كذلك، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتكون من العادين.

وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال «يوم من إمام عادل أفضل من مطر". [١]

٩٣١-"وأعجب من هذا كريم أصابه ... قضاء فأضحى تحت حكم لئيم

وذكر ابن عبد البر أن من كلام أبي الدرداء: معاتبة الأخ أهون من فقده، ومن لك بأخيك كله، فأعط أخاك وهب له، ولا تطع فيه كاشحا فتكون مثله.

وقال موسى بن جعفر: من لك بأخيك كله؟ لا تستقص عليه فتبقى بلا أخ، وقال عمرو: – رضي الله عنه – أعقل الناس أعذرهم لهم. قال الأصمعي: قال أعرابي: عاتب من ترجو رجوعه.

وقال بعض الحكماء: العتاب الوفاء، وسلاح الأكفاء، وحاصل الجفاء، وقال (العتابي) : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد، وصرفة الناصح خير من تحية الشاني، **وقال بعض الحكماء**: من كثر حقده قل عتابه، وقال محمد بن داود: من لم يعاتب على الزلة، فليس بحافظ للخلة وقال أسماء بن خارجة: الإكثار من العتاب داعية إلى الملال، وسبق قريبا قول الشافعي " الكيس العاقل، هو الفطن المتغافل " وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/١٨٠

أعاتب من يحلو بقلبي عتابه ... وأترك من لا أشتهي أن أعاتبه

وليس عتاب المرء للمرء نافعا ... إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

وقال نصر بن أحمد:

إن كان لفظي كريها فاصبرا فعلى ... كره العلاج يصح الله أبدانا

لولا العوارض ما طاب الشباب كذا ... لولا قصارتنا للثوب ما لانا

إني أعاتب إخواني وهم ثقتي ... طورا وقد يصقل السيف أحيانا

هي الذنوب إذا ما كشفت درست ... من القلوب وإلا صرن أضغانا

وقال آخر:". (١)

٩٣٢-"وهي الهيئة عن الفراء وفلان خير شير أي: يصلح للمشاورة.

قال الجوهري: الأري هو العسل وعمل النحل أري أيضا، وقد أرت النحل تأري أريا عملت العسل والله سبحانه أعلم.

قال ابن الجوزي: اختلف العلماء - رضي الله عنهم - لأي معنى أن الله عز وجل أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم -: بمشاورة أصحابه - رضي الله عنهم - مع كمال رأيه وتدبيره فقيل ليستن به من بعده، قاله الحسن وسفيان بن عيينة وقيل لتطيب قلوبهم، قاله قتادة والربيع وابن إسحاق ومقاتل وقال الشافعي - رضي الله عنه - عنه: نظير هذا قوله - صلى الله عليه وسلم -: «البكر تستأمر في نفسها» إنما أراد استطابة نفسها فإنها لو كرهت كان للأب أن يزوجها، وكذلك مشاورة إبراهيم - عليه السلام - لابنه حين أمر بذبحه وقيل للإعلام بتركه المشاورة، قاله الضحاك.

قال ابن الجوزي: ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره علم أن امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه ومنها أنه قد يعزم على أمر يتبين له الصواب في قول غيره فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح، قال علي - رضي الله عنه - الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم.

وقال بعض الحكماء: ما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا حصنت النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر.

واعلم أنه إنما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بمشاورة أصحابه فيما لم يأته به وحي وعمهم". (٢)

٩٣٣-"فلا تخزنها دونهم، فإن الله عز وجل بالمرصاد، وإن تكن لك فتصدق فإن الله يجزي المتصدقين.

وسئل بعض الحكماء عن: أعدل الناس، وأجور الناس، وأكيس الناس، وأحمق الناس وأسعد الناس فقال: أعدل الناس من أنصف من نفسه، وأجور الناس من رأى جوره عدلا، وأكيس الناس من أخذ أهبة الأمر قبل نزوله، وأحمق الناس من باع آخرته بدنيا غيره، وأسعد الناس من ختم له في عاقبة أمره بخير وقيل للعتابي فلان بعيد الهمة. فقال: إذا لا يكون له غاية

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣٠٤/١

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣٢٥/١

دون الجنة.

وقال بعض الأعراب إن الله عز وجل رفع درجة اللسان فأنطقه بتوحيده بين الجوارح وضحك المعتصم من عبد العزيز المكي وكان مفرط القبح فقال المكي للمأمون: مما يضحك هذا؟ والله ما اصطفي يوسف لجماله، وإنما اصطفاه لبيانه قال ﴿فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ [يوسف: ٥٤] .

فبياني أحسن من وجه هذا فضحك المأمون وأعجبه كلامه وقال بعضهم الكلام الجزل، أغنى المعاني عن اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل فإذا اجتمعنا فذاك البلاغة **وقال بعض الحكماء** البلاغة أن يظهر المعنى صريحا والكلام صحيحا وقال غيره أفضل اللفظ بديهة امرئ وردت في مكان خوف.

قال أبو جعفر النحاس يستحسن الكتاب أن تكون الألفاظ غير ناقصة عن المعاني في المقدار والكثرة فإذا كتبوا حسن عندهم أن تكون من الألفاظ غير ناقصة عن المعاني ولا زائدة عليها إلا في موضع يحتاج فيه إلى الإسهاب ويستحسن في هذا ما قاله جعفر بن يحيي إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا. ودخل عمر بن سعد على معاوية بعد موت أبيه فقال له يا عمر إلى من أوصى بك أبوك؟ فقال: أوصى إلي ولم يوص بي. وقيل لعيسى بن عاصم ما البلاغة قال: الإيجاز.

وقيل للأصمعي ما حد الاختصار؟ قال حذف الفضول وتقريب البعيد وسئل رجل عن البلاغة؟ فقال: سهولة اللفظ وحسن البديهة وقال آخر:". (١)

٩٣٤-"[فصل في حسن الملكة وسوء الملكة]

في الصحيحين أو في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لا يدخل الجنة سيئ الملكة» وهو الذي يسيء إلى مماليكه وكان يقال التسلط على المملوك دناءة **وقال بعض الحكماء**: اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك، وعند حكمك حكم الله فيك وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: أكثروا شراء الرقيق فرب عبد يكون أكثر مالا من سيده **وقال بعض الحكماء**: أفضل المماليك الصغار؛ لأنهم أحسن طاعة، وأقل خلافا وأسرع قبولا، كان يقال استخدم الصغير حتى يكبر، والأعجمي حتى يفصح، قالت ابنة الفتح:

بطرتم فطرتم والعصا زجر من عصى ... وتقويم عبد الهون بالهون رادع

كان يقال الحر حر وإن مسه الضر، والعبد عبد وإن مشى على الدر وقال الشاعر:

إن العبيد إذا ذللتهم صلحوا ... على الهوان وإن أكرمتهم فسدوا". (٢)

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣٥٢/١

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣/٢

٩٣٥-"قال ابن عبد البر في بهجة المجالس: كان علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يقول: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان: فابتغوا لها طرائف الحكمة.

وقال ابن مسعود – رضي الله عنه – أريحوا القلوب فإن القلب إذا كره عمي وقال أيضا: إن للقلوب شهوة وإقبالا، وفترة وإدبارا. فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها. وفي صحف إبراهيم – عليه السلام – وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه. وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون له على سائر الساعات وقال عمر بن عبد العزيز تحدثوا بكتاب الله وتجالسوا، وإذا مللتم فحديث من أحاديث الرجال حسن جميل وقال أيضا لابنه عبد الملك يا بني إن نفسي مطيتي وإن حملت عليها فوق الجهد قطعتها.

وقال بعض الحكماء: حادثوا هذه القلوب بالذكر فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد. وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قالوا فما جلاؤها يا رسول الله قال: تلاوة القرآن» وكان يقال: التفكر نور والغفلة ظلمة.

وفي البخاري من حديث أبي جحيفة قول سلمان لأبي الدرداء: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. وقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " صدق سلمان " وروى الحاكم في تاريخه بإسناده عن سنيد قال: لا تنسى شيئا فتقول: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ [البقرة: ٣٢] . إلا ذكرته وكان مالك بن أنس إذا جلس مجلسه لا ينطق بشيء حتى يقولها.". (١)

٩٣٦-"فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله تعالى؟ وكان في زمن ابن عقيل رجل رأى بهيمة على غاية من السقم فقال: وا رحمتي لك، وا قلة حيلتي في إقامة التأويل لمعذبك. فقال له ابن عقيل: إن لم تقدر على حمل هذا الأمر لأجل رقتك الحيوانية، ومناسبتك الجنسية، فعندك عقل تعرف به تحكم الصانع، وحكمته توجب عليك التأويل، فإن لم تجد استطرحت لفاطر العقل، حيث خانك العقل عن معرفة الحكمة في ذلك.

واعلم أن رضا العقل بأفعال الخالق سبحانه وتعالى أو في العبادات أشدها وأصعبها. ثم ذكر كلام ابن عقيل وفيه: وقد نبهنا على العجز عن ملاحظة العواقب فقال تعالى: وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم. ففي عقولنا قوة التسليم وليس فيها قدرة الاعتراض عليه. وقد يدعو الإنسان فلا يجاب فيندم، وهو يدعى إلى الطاعة فيتوقف، فالعجب من عبيد يقتضون الموالي اقتضاء الغريم، ولا يقتضون الغريم ولا يقتضون أنفسهم بحقوق الموالي.

قال ابن الجوزي: ومن تأمل دقائق حكمته ومحاسن صفاته أخرجه حبه إلى الهيمان فيه، فإن المعاني المستحسنة تحب أكثر من الصور، ولهذا تحب أبا بكر وعمر وعثمان وعليا – رضي الله عنهم – لمعانيهم لا لصورهم، فكيف لا تقع المحبة المختصة بالكمال المنزه عن نقص؟ فوا أسفا للغافلين عنه، ووا حسرتا للجاهلين به.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٢/١٠٠

وقال ابن الجوزي قبل ذلك: من نظر إلى أفعاله بمجرد العقل أنكر، فأما من علم أنه مالك وحكيم، وأن حكمته قد تخفى سلم لما لم يعلم علته بأفعاله مسلما إلى حكمته.

وقد **قال بعض الحكماء**: من لم يحترز بعقله من عقله هلك بعقله. وهذا". (١)

٩٣٧-"فلست ولو عللت نفسك بالمنى ... بذي سؤدد باد ولا قرب سؤدد

وقال آخر:

إذا هلكت أسد العرين ولم يكن ... لها خلف في الغيل ساد الثعالب

كذا القمر الساري إذا غاب لم يكن ... له خلف في الجو إلا الكواكب

وقال بعض الحكماء من ابتغى المكارم، فليجتنب المحارم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأشج عبد القيس «فيك خلتان يحبهما الله ورسوله أو قال يرضاهما الله ورسوله الحلم والأناة قال يا رسول الله: أشيء جبلني الله عليه أم شيء اخترعته من نفسي قال بل شيء جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على شيء أو على خلق يرضاه الله ورسوله» . والحديث صحيح في الصحيحين أو في الصحيح

قال الشعبي زين العلم حلم أهله وقال رجاء بن أبي سلمة الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به، كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه قال: إني لأجد ما تجدون ولكني صبور وقال معاوية إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أرجح من حلمي.

وقال عمر بن عبد العزيز ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة.

وقال أبو العتاهية:

فيا رب هب لي منك حلما فإنني ... أرى الحلم لم يندم عليه حليم". (٢)

٩٣٨-"يدعب ويضحك حتى يسيل لعابه فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك.

قال ابن عبد البر وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة. ومن التوصل إلى الأعراض واستجلاب الضغائن وإفساد الإخاء. كان يقال لكل شيء بدء وبدء العداوة المزاح وكان يقال لو كان المزاح فحلا ما ألقح إلا الشر

قال سعيد بن العاص لا تمازح الشريف فيحقد، ولا الدني فيجترئ عليك.

وقال ميمون بن مهران إذا كان المزاح أمام الكلام، فآخره الشتم واللطام وقال جعفر بن محمد إياكم والمزاح فإنه يذهب بهاء الوجه، كان خالد بن صفوان يكره المزاح ويقول يسعط أحدهم أخاه بأحر من الخردل، ويفرغ عليه أشد من غلي المرجل، ويقول مازحته.

وقال إبراهيم النخعي لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر السخف بضم السين رقة العقل، وقد سخف الرجل بالضم

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١٩٥/٢

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٢١٧/٢

سخافة فهو سخيف مثل حامقته.

قال أبو هفان:

مازح صديقك ما أحب مزاحا ... وتوق منه في المزاح مزاحا

فلربما مزح الصديق بمزحة ... كانت لباب عداوة مفتاحا

وقال آخر:

لا تمزحن فإذا مزحت فلا يكن ... مزحا تضاف به إلى سوء الأدب

واحذر ممازحة تعود عداوة ... إن المزاح على مقدمة الغضب

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «إياكم وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه» قال عمر بن الخطاب من كثر ضحكه استخف به وذهب بهاؤه وقال بعض الحكماء إياك والمشي في غير أدب، والضحك من غير سبب.

وقال بعض الشعراء:

الكبر ذل والتواضع رفعة ... والمزح والضحك الكثير سقوط". [1]

٩٣٩-"ولو بكف من تمر، ويقول: ترك العشاء مهرمة» ورواه أيضا ابن ماجه من حديث جابر بإسناد ضعيف وروى أبو نعيم عنه - عليه السلام - أنه «نهى عن النوم على الأكل» ، وكذا قال الأطباء: حفظ الصحة الحركة باعتدال لا السكون الدائم، وكذا النوم الكثير وإن كان يسرع الهضم، وكذا الحركة العنيفة بعد الطعام، وإن أسرع الهضم فإنه جالب لصنوف الأمراض. والامتلاء من الطعام يضر بالعين، وكذا النوم على الامتلاء، وذكر بعضهم: أن يمشي نحو خمسين خطوة وقال بعضهم: ويصلي أو نحو ذلك ليستقر الغذاء بقعر المعدة.

قال بعض الحكماء: من أراد الصحة فليجود الغذاء، وليأكل على نقاء، وليشرب على ظمإ، وليقلل من شرب الماء، ويتمدد بعد الغداء، ويتمشى بعد العشاء، ولا ينام حتى يعرض نفسه على الخلاء، وليحذر الحمام عقب الامتلاء، ومرة في الصيف خير من عشرة في الشتاء، وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء، ومجامعة العجوز تهرم وتسقم.

وهذا بعضه من كلام الحارث طبيب العرب، وقال الحارث وهو ابن كلدة وقد قيل له: مرنا بأمر ننتهي إليه من بعدك، فقال: لا تتزوجوا من النساء إلا شابة، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أثر أوان نضجها، ولا يتعالجن أحدكم ما احتمل بدنه الداء، وعليكم بتنظيف المعدة في كل شهر فإنها مذيبة للبلغم، مهلكة للمرة، منبتة للحم، وإذا تغذى أحدكم فلينم على أثر غدائه، وإذا تعشى فليمش أربعين خطوة. وقد ذكر بعض الأطباء نحو هذه الأمور.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٢/٢٢٣

وقال: خمسين خطوة، وقال". [١]

٩٤٠-"[فصل في العشق وأسبابه وعلاجه]

العشق داء صعب ومرض ليس بالهين وهو فرط الحب وقد عشقه عشقا مثل علمه علما وعشقا أيضا عن الفراء، والعشقة نبت يصفر كله ويذبل به شبه العاشق ورجل عشق مثل فسق أي كثير العشق عن يعقوب. والتعشق تكلف العشق قال الفراء يقولون امرأة محب لزوجها وعاشق. والعشق الطويل الذي ليس بمثقل ولا ضخم من قوم عانقة، والمرأة عشقة وقد يقتل العشق صاحبه.

وقد صنف ابن الجوزي مصارع العشاق، ولهذا ذكر بعض أصحابنا وبعض الشافعية أن من مات به من الشهداء. وذكروا الخبر الضعيف عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «من عشق فكتم فمات مات شهيدا» لكن له طريق آخر وقد ذكرته في كتاب الجنائز في عدد الشهداء وقال غير واحد من التابعين في قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

إنه المحبة، والعشق، ومات به بعض خلفاء بني أمية أظنه يزيد بن عبد الملك بن مروان وقال ابن الأنباري قال ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي

ثلاثة أحباب فحب علاقة ... وحب تملاق وحب هو القتل

ويقال تملقه وتملق له تمليقا وتملقا أي تودد إليه وتلطف له، ولا يبتلى بالعشق غالبا إلا من غفل قلبه عن الله وعن ذكره وعن أمره ونهيه قال تعالى في حق يوسف ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤] يدل ذلك على أن الإخلاص سبب لدفع السوء، والفحشاء فالقلب إذا امتلأ من ذلك استحلاه على كل شيء وتغذى به واستغنى به عما سواه.

قال في الفنون **قال بعض الحكماء** ليس العشق من أدواء الحكماء إنما هو". [٢]

٩٤١-"قال وهب بن منبه: العقل، والهوى يصطرعان فأيهما غلب مال بصاحبه قال ابن دريد:

وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا

قال عمر بن عبد العزيز: أفضل الجهاد جهاد الهوى وقال سفيان الثوري أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعا قال ومن المحقرات تنتج الموبقات، ويقولون إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا البيت:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى بعض ما فيه عليك مقال

قال ابن عبد البر لو قال إلى كل ما فيه عليك مقال كان أبلغ وأحسن وما قال ابن عبد البر متوجه.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣٧٤/٢

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١٢٥/٣

وقال بعض الحكماء. إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي، والتجربة إلى المشاورة ليتجرد له رأيه من هواه وقال بعضهم اعص النساء وهواك واصنع ما شئت قال ابن عبد البر لو قال اعص الهوى لاكتفى وصدق ابن عبد البر وكان أوجز قيل للمهلب بم ظفرت قال بطاعة الحزم وعصيان الهوى.

قالوا ما ذكر الله تعالى الهوى في شيء من القرآن إلا ذمه وقال بزرجمهر الهوى غالب، والقلب معلق به، وقد امتدح بترك الهوى جماعة من الحكماء.

وقال الزبير بن عبد المطلب:

وأجتنب الكبائر حيث كانت ... وأترك ما هويت لما خشيت

قال ابن عبد البر حدثنا عبد الوارث ثنا قاسم نصر بن محمد الأسدي الكوفي ثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي ثنا مخلد بن حسين ثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال بينما عمر بن الخطاب (- رضي الله عنه -) يحرس ذات ليلة إذ سمع امرأة وهي تقول:". (١)

٩٤٢-"واقتصر بعض أصحابنا على ما ذكره الأطباء أن نوم النهار رديء يورث الأمراض الرطوبية، والنوازل ويفسد اللون ويورث الطحال ويرخي العصب ويكسل ويضعف الشهوة إلا في الصيف وقت الهاجرة وأردؤه النوم أول النهار وأردأ منه بعد العصر، فنوم الصبحة مضر جدا بالبدن؛ لأنه يرخيه ويفسد العضلات التي ينبغي تحليلها بالرياضة فتحدث تكسرا وعناء أو ضعفا، وإن كان قبل البراز، والرياضة وإشغال المعدة بشيء فهو الداء العضال المولد لأنواع من الأدواء وروي أن المسيح - عليه السلام - قال خلقان أكرههما: النوم من غير سهر، والضحك من غير عجب.

والثالثة وهي العظمى إعجاب الرجل بعمله نعوذ بالله من ذلك وقال داود لابنه سليمان - عليهما السلام -: إياك وكثرة النوم فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم وقال لقمان لابنه يا بني إياك وكثرة النوم، والكسل، والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق وقال علي - رضي الله عنه - من الجهل النوم في أول النهار، والضحك من غير عجب، والقائلة تزيد في العقل

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: النوم على ثلاثة أوجه نوم خرق، ونوم خلق، ونوم حمق. فأما النوم الخرق فنومة الضحى يقضي الناس حوائجهم وهو نائم، وأما النوم الخلق فنوم القائلة نصف النهار، وأما نوم الحمق فنوم حين تحضر الصلاة

وقال عبد الله بن شبرمة نوم نصف النهار يعدل شربة دواء يعني في الصيف **قال بعض الحكماء** النعاس يذهب العقل، والنوم يزيد فيه.

قالوا تنام فقلت الشوق يمنعني ... من أن أنام وعيني حشوها السهد

أبكي الذين أذاقوني مودتهم ... حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

همو دعوني فلما قمت مقتضيا ... للحب نحوهم من قربهم بعدوا

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١٣١/٣

لأخرجن من الدنيا وحبهم ... بين الجوانح لم يعلم به أحد". (١)

٩٤٣-"وقال آخر

يا راكب الهول والآفات والهلكه ... لا تعجلن فليس الرزق بالحركه

من غير ربك في السبع العلى ملك ... ومن أدار على أرجائها فلكه

أما ترى البحر والصياد تضربه ... أمواجه ونجوم الليل مشتبكه

يجر أذياله والموج يلطمه ... وعقله بين في كلكل الشبكه

حتى إذا راح مسرورا بها فرحا ... والحوت قد شك منقود الردى حنكه

أتى إليك برزق ما به تعب ... فصرت تملك منه مثل ما ملكه

لطفا من الله يعطى ذا بحيلته ... هذا يصيد وهذا يأكل السمكه

وقال بعض الحكماء: الحلال يقطر قطرا، والحرام يسيل سيلا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» متفق عليه قال أكثم بن صيفي جدك لا كدك.

وقال أبو الأسود الدؤلي:

المرء يحمد سعيه من جده ... حتى يزين بالذي لم يعمل

وترى الشقي إذا تكامل عيبه ... يرمى ويقذف بالذي لم يفعل

وقال حسان أو ابنه عبد الرحمن:

وإن امرأ يمسي ويصبح سالما ... من الناس إلا ما جنى لسعيد

وإن الذي ينجو من النار بعدما ... تزود من أعمالها لسعيد

ولصالح بن عبد القدوس:

وليس رزق الفتى من حسن حيلته ... لكن جدود بأرزاق وأقسام

كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد ... يرمي فيرزقه من ليس بالرامي

طلب أبو الأسود الدؤلي مالا من جار يستقرضه منه وكان حسن الظن به فاعتل عليه ودفعه فقال أبو الأسود:". (٢)

٩٤٤-"وقال عمر بن الخطاب: في اليأس غنى، وفي الطمع الفقر، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء.

وقال أبو العتاهية:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لصرت حرا

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١٦٢/٣

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٢٧٣/٣

وقال ابن المبارك: ما الذل إلا في الطمع.

وأنشد بعضهم:

إن المطامع ما علمت مذلة ... للطامعين وأين من لا يطمع

وقال بعض الحكماء: قلوب الجهال تستعبد بالأطماع وتسترق بالمنى وتعلل بالخدائع.

وقال آخر:

لا تجزعن على ما فات مطلبه ... ها قد جزعت فماذا ينفع الجزع

إن السعادة يأس إن ظفرت به ... بعض المرار وإن الشقوة الطمع

وقال آخر:

الله أحمد شاكرا ... فبلاؤه حسن جميل

أصبحت مسرورا معافى ... بين أنعمه أجول

خلوا من الأحزان خف ... الظهر يغنيني القليل

ونفيت باليأس المنى ... عني فطاب لي المقيل

والناس كلهم لمن ... خفت مئونته خليل

قالوا للمسيح يا روح الله أخبرنا عن المال فقال: المال لا يخلو صاحبه من ثلاث خلال، إما أن يكسبه من غير حله، وإما أن يمنعه من حقه، وإما أن يشغله إصلاحه عن عبادة ربه.

قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد". (١)

٩٤٥-"لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله فرجا أو قال مخرجا وأنشد المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من صداقته بد

والخبر المرفوع الذي ذكره الخطابي سبق وما يتعلق به في أوائل الكتاب قبل فصول التوبة ورواه ابن حبان في صحيحه عن جماعة عن المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط عن الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا فذكره، وهو حديث حسن وقال ابن حبان: والمدراة التي تكون صدقة المداري. هو تخلق الإنسان بالأشياء المستحسنة مع من يدفع إلى عشرته ما لم يشبها معصية الله. والمداهنة هي استعمال المرء الخصال التي تستحسن منه في العشرة، وقد يشوبه ما يكره الله تعالى. وقال أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين الواعظ في آخر جزء جمعه في فضائل فاطمة بنت النبي - صلى الله عليه وسلم -: ثنا يحي بن صاعد ثنا محمد بن أحمد بن يزيد المدني ثنا هارون بن يحي الحاطبي ثنا عثمان بن عثمان بن خالد بن الزبير عن أبيه عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي قال: «التودد نصف الدين» هارون بن يحي وعثمان لم أجد

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣/٣٠٩

لهما ترجمة، وذكر ابن عبد البر قول رسول الله: – صلى الله عليه وسلم – «مداراة الناس صدقة» وقوله: – عليه السلام – «أمرني ربي بمداراة الناس ونهاني عن مداجاتهم» .

وقوله: – عليه السلام – «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس» قال عمر: – رضي الله عنه – إن مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه وأن توسع له في المجلس **قال بعض الحكماء**: رأس المداراة ترك المماراة، وفي الحديث المرفوع «إذا أحب الله عبده ألقى عليه محبة الناس» .

أخذه الشاعر:". (١)

٩٤٦-"[فصل في فضل الأدب والتأديب]

) قال في الغنية بعد أن ذكر جملة من الآداب ينبغي لكل مؤمن أن يعمل بهذه الآداب في أحواله. روي عن عمر – رضي الله عنه – قال تأدبوا، ثم تعلموا وقال أبو عبد الله البلخي أدب العلم أكثر من العلم.

وقال عبد الله بن المبارك إذا وصف لي رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه، وإذا سمعت رجلا له أدب القس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته. ويقال مثل الإيمان كمثل بلدة لها خمسة حصون، الأول من ذهب، والثاني من فضة والثالث من حديد، والرابع من آجر، والخامس من لبن فما زال أهل الحصن متعاهدين الحصن من اللبن لا يطمع العدو في الثاني فإذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني، ثم الثالث حتى تخرب الحصون كلها، فكذلك الإيمان في خمسة حصون: اليقين. ثم الإخلاص، ثم أداء الفرائض، ثم أداء السنن، ثم حفظ الآداب، فما دام العبد يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه. فإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن، ثم في الفرائض، ثم في الإخلاص، ثم في اليقين والله أعلم انتهى كلامه.

وقال ابن المبارك لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين عمله بالأدب رواه الحاكم في تاريخه وروي عنه أيضا طلبت العلم فأصبت فيه شيئا، وطلبت الأدب فإذا أهله قد ماتوا.

وقال بعض الحكماء لا أدب إلا بعقل، ولا عقل إلا بأدب، كان يقال العون لمن لا عون له الأدب.

وقال الأحنف الأدب نور العقل، كما أن النار في الظلمة نور البصر. كان يقال الأدب من الآباء، والصلاح من الله. كان يقال من أدب ابنه صغيرا، قرت به عينه كبيرا، وقال بعضهم من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار.

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في قوله تعالى". (٢)

٩٤٧-"قال: إياك وكل جليس لا يفيدك علما.

وقال ابن مسعود ثلاث من كن فيه ملأ الله قلبه إيمانا صحبة الفقيه، وتلاوة القرآن، والصيام. وتباعد كعب الأحبار يوما في

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٤٦٩/٣

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٥٥٢/٣

مجلس عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأنكر ذلك عليه، فقال يا أمير المؤمنين إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل فلعله يأتيه من هو آثر عنده منك فينحيك فيكون نقصا عليك.
وقال بعض الحكماء رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما رجل وسع له في مجلس ضيق فتربع وانتفخ، ورجل أهديت له نصيحة فجعلها ذنبا وقال زياد يعجبني من الرجال من إذا أتى مجلسا يعرف أين يكون مجلسه وإني لآتي المجلس فأدع مالي مخافة أن أدفع عما ليس لي وكان الأحنف إذا أتاه رجل أوسع له فإن لم يكن له سعة أراه كأنه يوسع له.
وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى لا تجالس عدوك فإنه يحفظ عليك سقطاتك ويماريك في صوابك وقال بعضهم: إن الجليس يقول القول تحسبه خيرا، وهيهات؛ فانظر ما به التمس. انتهى كلام ابن عبد البر.
وقال الصاحب بن عباد:
إذا أدناك سلطان فزده ... من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان إلا البحر عظما ... وقرب البحر محذور العواقب
وقيل إذا زادك الملك تأنيسا فزده إجلالا، وقد كان عمر يعظم ابن عباس ويحضره مع المهاجرين الأولين رضي الله عن الجميع وامتنع عن القول بعدم العول زمن عمر وقيل له في ذلك فقال كان رجلا مهيبا فهبته **وقال بعض الحكماء** من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم.
وقال الفضل بن الربيع من آداب صحبة الملوك أن لا يسأل الملك عن حاله ولا يشمت ولا يعلم ولا يسلم عليه، كذا قال والصواب اتباع السنة". (١)

٩٤٨-"رضى الخلق ولم تستحي من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها في الصيف لأجل الشتاء وفي الشتاء لأجل الصيف فإنها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه مع إن الموت ربما يخطفها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن تختطف منها، فقلت لها ألست تستعدين للصيف بمقدار طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم قلت فاعصي الله بقدر صبرك على النار واستعدي للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب الذي لا يرخص في تركه إلا الحمق ثم استمرت على سجيتها ووجدتني كما **قال بعض الحكماء** في الناس من ينزجر نصفه ثم لا ينزجر نصفه الآخر وما أراني إلا منهم ولما رأيتها متمادية في الطغيان غير منتفعة بمواعظ الموت والقرآن رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فإن ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موص نفسي وإياك بالحذر منه هو الداء العظيم وهو السبب الداعي إلى الغرور والإهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فإنه لو أخبر صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليله أو يموت إلى أسبوع أو شهر لاستقام على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يؤمل أنه يمسي أو

---
(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٥٧٢/٣

أمسى وهو يؤمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر إلا على سير ضعيف.
فأوصيك ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: " صل صلاة مودع " ولقد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به ومن غلب على ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله تعالى وخشيته منه ومن لم يخطر بمخاطره قصر عمره وقرب أجله وغفل قلبه عن صلاته وسئمت نفسه فلا يزال في غفلة دائمة وفتور مستمر وتسويف متتابع إلى أن يدركه الموت ويهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقني هذه الرتبة فإني طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى من نفسه إلا". (١)

٩٤٩-"١٢٧ - قرأت على محمد بن ناصر، عن نصر بن أحمد القارئ، قال: أنبأ عبد الواحد بن محمد الجهني، قثنا محمد بن الحسين الأزدي، قثنا موسى بن محمد الرزقي، قثنا أحمد بن علي المخلدي، قثنا علي بن بكر، قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى. . إن كلمة العاق لوالديه عندي عظيمة، قلنا يا رسول الله، وما الكلمة؟ قال: أن يقول لوالديه: لا لبيكما ".
وقال بعض الحكماء: لا تصادق عاقا، فإنه لن يبرك وقد عق من هو أوجب حقا منك عليه". (٢)

٩٥٠-"وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنس في الوحدة والصاحب في الخلوة.
وقال كعب: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أن تعلم يا موسى الخير وعلمه للناس فإني منور لمعلم الخير ومتعلمه في قبورهم حتى لا يستوحشوا في مكانهم.
وقال عيسى عليه السلام: من تعلم وعلم وعمل فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء.
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خير سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال والملك، فاختار العلم فأعطي المال والملك معه.
وقال بعض الحكماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم؟ وأي شيء فات من أدرك العلم.
ولا يخفى فضل العلم ببديهة العقل، لأنه الوسيلة إلى معرفة الخالق وسبب الخلود في النعيم الدائم، ولا يعرف التقرب إلى المعبود إلا به، فهو سبب لمصالح الدارين.
قال الحسن: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم. وقال المعافى بن عمران: كتابة حديث واحد أحب إلي من قيام ليلة.
وكيف لا يقول هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " يوزن مداد العلماء مع دم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم

---

(١) الاستعداد للموت وسؤال القبر ص/١٣
(٢) البر والصلة لابن الجوزي ص/١٠٣

الشهداء ".

ومن آداب العالم: أن يترك فضول الدنيا ليتبعه الناس، فإن الاستدلال بالفعل أقوى من الاستدلال بالقول، فإن الطبيب إذا أمر الحمية ثم خلط لم يلتفت إلى قوله.

أخبرنا علي بن عبد الله بسنده عن أبي همام الكلاعي عن الحسن أنه مر". (١)

٩٥١-"بينهما، فلا علم بلا عمل ولا عمل بلا علم. **وقال بعض الحكماء**: "مثل العلم بلا عمل كمثل الشجرة بلا ثمر والرعد والبرق بلا مطر والقوس بلا وتر". وسئل ابن شهاب: "أيهما أفضل: العلم أو العمل؟ فقال: العلم لمن جهل والعمل لمن علم".

قد أشار القرآن الكريم إلى نبي الله داود عليه السلام ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ . ومن المعروف أن داود عليه السلام كان يصنع الدروع بإلانة الحديد فكان أول من صنع الدروع. وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك.

والعلم في الإسلام لا بد أن يرتبط بالعمل لدرجة أن الإسلام ينظر إلى الإيمان على أنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما وقر في القلب وصدقه العمل". فالعمل إذن ثمرة المعرفة والعلم ولا قيمة لمعرفة أو علم لا يستفاد منه بالعمل. ويقول الإمام الغزالي في رسالته "أيها الولد المحب": "فلو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده إلا بالعمل". وتشبه هذه العبارة عبارة أخرى تقول: "لو قرأت العلم مائة سنة وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعدا لرحمة الله إلا بالعمل" و"العلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون" ويقول الغزالي في مكان آخر: "إن العلم والعمل مفتاح السعادة الأبدية".

ويعتبر الغزالي أن عدم العمل والعلم انحراف؛ لذا يحذر منه لأنه تسيير للأمور في غير مجراها، ولأن صاحبه يندرج تحت علماء السوء. ويورد الماوردي في كتابه "أدب الدنيا والدين" قول سفيان الثوري بأنه مكتوب في التوراة "يابن آدم حرك يدك يسبب لك رزقك" أي أن كسب الرزق وتحصيله إنما يكون بالعمل لا بالتواكل ... وهو ما سبق أن أشرنا إليه وأكده الإسلام.". (٢)

٩٥٢-"التأديب اللازم للأب، فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها، فينشأ عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير على الشيء تجعله متطبعا به، ومن أغفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرا. وقد روى عن النبي "صلى الله عليه وسلم": أنه قال: "ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن يفيد إياه أو جهل قبيح يكفه ويمنعه منه" **وقال بعض الحكماء**: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال ... وقال بعض الشعراء:

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١٩٣/٢

(٢) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٦٨

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب

قد ينفع الأدب الأحداث في الصغر ... وليس ينفع عنده الشيبة الأدب

وقال آخر:

ينشو الصغير على ما كان والده ... إن الأصول عليها ينبت الشجر

وقال شاعر آخر في هذا المعنى:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

وذلك لأن النفس البشرية تحتاج دائما على التطبع بالخصال الحميدة وإلا خرجت عن طبيعتها. وقد قال البوصيري في بردته المشهورة:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

آخر العقاب الضرب:

إن العقوبة مشروعة في الإسلام وجعل الله لنا في القصاص حياة. وقد أقر المربون المسلمون مبدأ عقاب الصبيان، لكنهم اشترطوا الرفق بهم تمشيا مع روح الإسلام التي تتسم بالرحمة والعفو. كما أن منزلة المعلم من الصبي هي منزلة الوالد. وهو مطالب أن يكون رفيقا به عادلا في عقابه غير متشدد فيه، ومن الرفق ألا يبادر المعلم إلى العقاب إلا إذا أخطأ الطفل، وإنما ينبهه مرة بعد أخرى فإذا لم ينتصح لجأ إلى العقاب. وقد نهى المربون المسلمون عن استخدام أسلوب الحرمان من الطعام والشراب في العقاب، لما له من أثر على صحة الطفل في هذه المرحلة، ونهوا المعلم عن الانتقام في العقاب، وضرب الصبيان في حالة الغضب". (١)

٩٥٣-"صلى الله عليه وسلم: "ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم" **وقال بعض الحكماء**: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا. وقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من وقر عالما فقد وقر ربه".

ويورد الماوردي تسعة شروط لتحصيل العلم يتوفر بها علم الطالب وينتهي معها كمال الراغب وهي تتفق إلى حد كبير مع ما أشار إليه الزرنوجي. وهي:

١- العقل الذي يدرك به حقائق الأمور.

٢- الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم.

٣- الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره وفهم ما علمه.

٤- الميل والاهتمام الذي يسميه الماوردي بالشهوة التي يدوم بها الطلب ولا يسرع إليها الملل.

٥- الاكتفاء بمادة "مال" تكفيه عن كلف الطلب.

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٢١٠

٦- الفراغ الذي يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار.

٧- عدم القواطع "أي الموانع والحوائل" المذهلة من هموم وأشغال وأمراض.

٨- طول العمر واتساع المدة لينتهي بالاستكثار إلى مراتب الكمال.

٩- الظفر أو الفوز بعالم أي أستاذ سمع بعلمه متأن في تعليمه.

فإذا استكمل طالب العلم هذه الشروط التسعة فهو أسعد طالب وأنجح متعلم. وقد قال الإسكندر: يحتاج طالب العلم إلى أربع: مدة، وجدة، وقريحة، وشهوة "اهتمام" وتمامها في الخامسة وهي معلم ناصح.

ويقول الماوردي: لن يدرك العلم من لا يطيل درسه ويكد نفسه. وكثرة الدروس كد لا يصير عليه إلا من يرى العلم مغنما والجهالة مغرما، فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم وينفي عنه معرة الجهل فإن نيل العظيم بأمر عظيم وبحسب الراحة يكون التعب. وربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم المعاني على الرجوع إلى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة فلا يكون إلا كمن أطلق ما مصاده ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع منه. فلا تعقبه الثقة إلا خجلا والتفريط إلا ندما. ويرجع الماوردي السبب في ذلك إلى ضجر المتعلم من معاناة". (١)

٩٥٤-"قول الشاعر "دع عنك لومي فإن اللوم إغراء".

١١- أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله لقوله صلى الله عليه وسلم: "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم".

١٢- أن يكون عادلا بين تلاميذه وأن يعاملهم معاملة سواء دون اعتبار للمكانة الاجتماعية أو الجاه أو السلطان قال صلى الله عليه وسلم: "إيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين".

١٣- ألا يطيل الحديث ويكثر القول في الأمر لدرجة تبعث الملل والسأم في نفس تلاميذه وتفقدهم الاهتمام بما يقول: فالإنسان يشبع من الكلام كما يشبع من الطعام، وما زاد على ذلك تزهد فيه النفس. وقد **قال بعض الحكماء**: "خير العلماء من لا يقل ولا يمل" وورد عن المبرد قوله: "من أطال الحديث وأكثر القول فقد عرض أصحابه للملال وسوء الاستماع ولئن يدع من حديثه فضلة يعاد إليه أصلح من أن يفضل عنه ما يلزم الطالب استماعه من غير رغبة فيه ولا نشاط له".

١٤- أن يخلص في تعليم تلاميذه وألا يبخل عليهم بتعليم ما يحسن لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تمنعوا العلم أهله فإن في ذلك فساد دينكم والتباس بصائركم". ولا يمنع من إفادة ما يعلم، وأن يجيب ما سأله متعلما، وأن يفيد من عاوده مستفهما ولا يضجر منه وأن يسهل لتلاميذه سبيل طلب العلم ويبذل على جهده من أجل معاونتهم ومساعدتهم. قال صلى الله عليه وسلم: "تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأي يسدده". وقوله صلى الله عليه وسلم: "تعلموا وعلموا فإن

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٢٢٥

أجر المعلم والمتعلم سواء". قيل: وما أجرهما؟ قال: "مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة".

١٥- أن يكون أوسع الناس صدرا وأكثرهم صبرا وأجملهم لقاء وأحسنهم أخلاقا، لأن المتعلمين منه يحذون خلائقه ويتخذون طريقه. فلا يمنع طالبا ولا يثبط راغبا ولا ينفر متعلما لما في ذلك من قطع الرغبة منه والزهد فيما لديه.". (١)

٩٥٥-"ضرورة التأديب:

يروي الماوردي أن التأديب ضروري لأن النفس مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسلة لا يستغنى محمودها عن التأديب والتهذيب. لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مستحسنة، لأنها عليه غير مطبوعة فتصير منه أنفر ولضده آثر. وقد قيل: ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه. وإذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة وفي الفضائل راغبة فإذا مازجها صارت طبعا ملائما. ويقول الماوردي إن الأدب مكتسب بالتجربة ومستحسن بالعادة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وهو يرى أن التأديب يلزم من وجهين أو جانبين. أحدهما ما يلزم الوالد لولده في صغره. والثاني ما يلزم الإنسان في نفسه عند نشأته وكبره ... وقد سبق أن أشرنا إلى الجانب الأول في كلامنا عن تربية الطفل في الإسلام. أما الأدب اللازم للإنسان عند نشأته وكبره فيذكر الماوردي أنه على نوعين: أدب مواضعه واصطلاح وأدب رياضة واستصلاح. أما النوع الأول وهو أدب المواضعة والاصطلاح فيؤخذ تقليدا على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء واتفق عليه استحسان الأدباء. وهذا الاصطلاح والاستحسان هو نوع من العرف المتفق عليه ولا يخضع لتعليل عقلي ولا دليل علمي يبرهن عليه. وإنما هو عادات درج الناس عليها مثل أصول السلوك الإنساني في المواقف المختلفة وكيف يأكل وينام ويشرب ويلبس ويتعامل مع الناس.

أما النوع الثاني وهو أدب الرياضة واستصلاح فهو ما لا يختلف العقلاء في صلاحه وفساده. ويمكن تعليله بالعقل والبرهنة عليه بالدليل. وأول هذا النوع من الأدب ألا يسارع الإنسان إلى حسن الظن بنفسه فلا يرى مذموم شيمه وأخلاقه وما فيه من عيوب. لأن النفس أمارة بالسوء. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك ثم أهلك ثم عيالك". وقد **قال بعض الحكماء**: "من ساس نفسه ساد نفسه". وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "العاجز من عجز عن سياسة نفسه".

ويورد الماوردي بعد ذلك فصولا وكلاما مطولا عن آداب الرياضة، والنفس واستصلاحها. وسنتناول الكلام عنها فيما بعد.". (٢)

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٢٤٨

(٢) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٣٤٢

٩٥٦-"أسباب التقصير في طلب العلم:

يورد الماوردي عدة أسباب للتقصير في طلب العلم وهو يصفها بأنها أسباب فاسدة ودواع واهية هي:

١- أن يكون في نفس طالب العلم أغراض تختص بنوع من العلم، فيدعوه الغرض إلى قصد ذلك النوع ويعدل عن مقدماته، كرجل يؤثر القضاء ويتصدى للحكم فيقصد من علم الفقه إلى أدب القاضي وما يتعلق به من الدعوى والبينات، أو يحب الاتسام بالشهادة فيتعلم كتاب الشهادات، لئلا يصير موسوما بجهل ما يعاني، فإذا أدرك ذلك ظن أنه قد حاز من العلم جمهوره وأدرك منه مشهوره. ولم ير ما بقي منه إلا غامضا طلبه عناء، وعويصا استخراجه فناء، لقصور همته على ما أدرك، وانصرافها عما ترك، ولو نصح نفسه لعلم أن ما ترك أهم مما أدرك، لأن بعض العلم مرتبط ببعض ولكل باب منه تعلق بما قبله فلا تقوم الأواخر إلا بأوائلها.

٢- أن يحب طالب العلم الاشتهار به، أي يقصده طلبا للشهرة أو التكسب أو التجمل، فيقصد من العلم ما اشتهر من مسائل الجدل وطريق النظر، ويتعاطى علم ما اختلف فيه دون ما اتفق عليه، ليناظر على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق ويجادل الخصوم وهو لا يعرف مذهبا مخصوصا ... وهذه طريقة من يقول اعرفوني وهو غير عروف "عارف" ولا معروف. وهي أيضا طريقة الديماجوجيين والمغالطين المكابرين في الحق، وطريقة كل من يقول خالف تعرف.

٣- أن يغفل طالب العلم عن التعلم في الصغر ثم يشتغل به في الكبر فيستحيي أن يبتدئ بما يبتدئ به الصغير، ويستنكف أن يساويه الحدث الغرير. فيبدأ بأواخر العلوم وأطرافها، ويهتم بحواشيها وأكنافها، ليتقدم على الصغير المبتدئ ويساوي الكبير المنتهي. وهذا ممن رضي بخداع نفسه. وقنع بمداهنة حسه.

وقد قال الشاعر:

ترق إلى صغير الأمر حتى ... يرقيك الصغير إلى الكبير

فتعرف بالتفكير في صغير ... كبيرا بعد معرفة الصغير

ولهذا المعنى وأشباهه كان التعلم في الصغر أحمد كما يقول الماوردي. وهو يروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: قلب الحدث كالأراضي الخالية. ما ألقي فيها من شيء قبلته. وإنما كان ذلك لأن الصغير أفرغ قلبا وأقل شغلا وأيسر تبذلا وأكثر تواضعا. وقد قيل في منثور الحكم المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علما كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء. ويورد الماوردي ما حكي عن الأحنف بن قيس أنه سمع رجلا يقول: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر. فقال الأحنف: الكبير أكثر عقلا ولكنه أشغل قلبا. وقد **قال بعض الحكماء**: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي". [(١)]

٩٥٧-"في ذلك الجهل أبدا. وقال بعض حكماء الفرس: إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب، قعدت وأنت كبير حيث لا تحب.

٤- أن يكون طالب العلم كثير الشهوات مقسم الأفكار.

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٣٤٧

٥- أن تحل بطالب العلم الهموم المذهلة والطوارق المزعجة وقد قيل في منثور الحكم الهم قيد الحواس.

٦- أن تكثر أشغال طالب العلم لدرجة أنها تستوعب زمانه وتستغرق كل وقته. فإذا كان ذا يابسة ألهته وإن كان ذا معيشة قطعته. ولذلك قيل "تفقهوا قبل أن تسودوا" أي تعلموا قبل أن يصيروا سادة في قومكم فتمنعكم الأنفة عن التعلم فتعيشوا جهالا. وينسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال بزر جمهر: الشغل مجهدة والفراغ مفسدة فينبغي لطالب العلم ألا يني في طلبه. وينتهز الفرصة به. فربما شح الزمان بما سمح وضن بما فتح. ويبتدئ من العلم بأوله ويأتيه من مدخله ... ولا ينبغي أن يترك ما استصعب عليه ... لأن العلم طلبه صعب على من جهله، سهل على من علمه ... وقد **قال بعض الحكماء العلوم** مطلعها من ثلاثة أوجه: قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور ... وقد قال بعض العلماء: من أكثر المذاكرة بالعلم، لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم.". (١)

٩٥٨-"أخلاق العلماء:

يقول الماوردي فيما يجب أن تكون عليه أخلاق العلماء أن يتحلوا بكل ما هو خلق حميد يليق بهم. وفي مقدمة ذلك التواضع ومجانبة العجب. ويورد قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب". ويذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة، والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون ليتواضع لكم من تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم". فالعلم أكثر من أن يحيط به بشر. وكل متناه في العلم سجد من هو أعلم منه. وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾ . ويورد قول الجاحظ في كتاب "البيان والتبيين" قوله: "اللهم إننا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن. كما نعوذ بك من العجب بما نحسن. ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر "أي حدة اللسان وإكثار الكلام بدون فائدة". كما نعوذ بك من شر العي والحقد" "أي عدم القدرة على البيان حياء أو خوفا أو ضعفا".

ومن أخلاق العلماء عدم التكلف فيما لا يحسن. ومن قال لا أدري فقد أفتى، لأن ليس إلى الإحاطة بكل العلم سبيل. وليس من العار أو العيب أن يجهل الإنسان بعضه وقد **قال بعض الحكماء**: "من العلم ألا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم. فحسبك جهلا من عقلك أن تنطق ما لا تفهم. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من سئل فأفتى بغير علم فقد ضل وأضل".

ومن أخلاق العلماء ألا يحقر شيئا من العلم وأن يعمل بما علم. وقد روي عن عبد الله بن وهب وهو من كبار المحدثين توفي عام ١٩٧هـ عن سفيان أن الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام: يابن عمران تعلم العلم لتعمل به ولا تتعلمه لتحدث به، فيكون عليك بوره "إثمه وفساده" ولغيرك نوره. وقال علي بن أبي طالب إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم. وقيل في منثور الحكم لم ينتفع بعلمه من ترك العمل به. وقال بعض العلماء: ثمرة العلم أن يعمل به وثمر العمل أن يؤجر عليه. وقال بعض الأدباء: ثمرة العلوم العمل بالمعلوم.

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٣٤٩

ومن أخلاق العلماء وآدابهم أن يبذلوا العلم لطالبه وألا يبخلوا بتعليم ما يحسنون ولا يمتنعون عن إفادة ما يعلمون. وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من كتم علما يحسنه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار". ويقول الماوردي إن النبي صلى الله عليه وسلم جعل التعليم صدقة لقوله صلى الله عليه وسلم: "تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأي يسدده". وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تعلموا وعلموا فإن أجر العالم والمتعلم سواء. قيل: وما أجرهما؟ قال: مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة"." (١)

٩٥٩-"وعلاجها. وهناك اشتراك كبير في المعنى بينه وبين كلام الماوردي.

اختيار الإخوان قبل اصطفائهم:

يقول الماوردي تحت هذا العنوان على المرء أن يكتشف أخلاق إخوانه ويعرف أحوالهم قبل اصطفائهم وإخائهم لقول الحكماء "اسبر أي اختبر تخبر". ويجب ألا تدفع المرء وحدته على الإقدام قبل الخبرة، ولا حسن الظن على الاغترار بالتصنع، فإن الملق مصايد العقول، والنفاق تدليس الفطن. وهما سجيتا المتصنع. ولذلك قالت الحكماء "اعرف الرجل من فعله لا من كلامه واعرف محبته من عينه لا من لسانه". وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

كم من أخ لك ليس تنكره ... ما دامت في دنياك في يسر

متصنع لك في مودته ... يلقاك بالترحيب والبشر

فإذا عدا، والدهر ذو غير ... دهر عليك عدا مع الدهر

فارفض باجمال مودة من ... يقلي المقل ويعشق المثرى

وعليك من حالاه واحدة ... في العسر إما كنت واليسر

ويقول الماوردي إن الإنسان موسوم بسيماء من قارب ومنسوب إليه أفاعيل من صاحب. وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "ما من شيء أدل على شيء، ولا الدخان على النار، من الصاحب على الصاحب"، **وقال بعض الحكماء** "اعرف أخاك بأخيه قبلك". وقال عدي بن زيد في هذا المعنى

عن المرء لا تسأل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردي فتردى مع الردي

وقال بعض الأدباء لا تثق بالصديق قبل الخبرة. وقال الشاعر:

لا تحمدن امرأ حتى تجربه ... ولا تدمنه من غير تجريب

فحمدك المرء ما لم تبله خطأ ... وذمه بعد حمد شر تكذيب

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٣٥٠

ويجب ألا يغتر المرء بالمظاهر الخداعة. فقد يكون جمال الوجه أو البسمة". [١]

٩٦٠-"أو مدهون الكلام خداعا. فليس كل ما يلمع ذهبا. وعلى حد قول الشاعر

إذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم

وقول آخر:

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرب ... فالطير يرقص مذبوحا من الألم

ويذكر الماوردي أربع خصال هل أصل الاتفاق في اصطفاء الإخوان هي: العقل الموفور والدين ومحمود الأخلاق والميل والرغبة في المؤاخاة. أما بالنسبة للعقل الموفور فلأن العقل يهدي إلى الرشد. والحمق لا تثبت معه مودة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "البذاء -أي الفحش في القول- لؤم وصحبة الأحمق شؤم". وأما بالنسبة للدين فلأنه يدفع صاحبه إلى الخير. **وقال بعض الحكماء**: "اصطف من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب. فإنه رد لك عند حاجتك ويد عند نائبتك وأنس عند وحشتك وزين عند عافيتك". أما بالنسبة لمحمود الأخلاق فلأن فعاله مرضية ويؤثر الخير ويأمر به ويكره الشر وينهي عنه. مودة الشرير تكسب العداء وتفسد الأخلاق. ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة وملامة. وأما بالنسبة لميل الصاحب إلى صاحبه والرغبة في مؤاخاته فلأن ذلك أوكد لحال المؤاخاة وأمد لأسباب المصافاة. فليس كل مرغوب إليه راغب وليس كل مطلوب إليه طالب. ومن طلب مودة ممتنع عليه كان معنى خائبا.

ويقول الماوردي إنه إذا اكتملت هذه الخصال الأربع في إنسان وجب إخاؤه وتعين اصطفاؤه. لكن الماوردي يضع شرطا احترازيا هو أن يكون الميل إلى اصطفاء الصديق والثقة فيه بمقدار توفر هذه الخصال فيه. وغلبة إحداها عليه. لأن الإخوان على طبقات مختلفة ولكل واحد منهم حال يختص بها، والتباين في الناس غالب. وبينهم اختلاف في الشيم والصفات وليس هناك من كملت صفاته. **وقال بعض الحكماء** الرجال كالشجر شرابه واحد وثمره مختلف. وقال الشاعر في هذا المعنى:

بنو آدم كالنبت ... ونبت الأرض ألوان

فمنهم شجر الصندل ... والكافور والبان

ومنهم شجر أفضل ... ما يحمل قطران". [٢]

٩٦١-"- معارضة هو النفس: وخاصة النفس الأمارة بالسوء. قال الله تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ وقال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى﴾ وقال تعالى: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ، وقال تعالى: ﴿وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ .

- ضبط النفس: ويتضمن ذلك الحلم والتحكم في انفعال الغضب وكظم الغيظ، قال الله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٣٥٧

(٢) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص/٣٥٨

عن الناس والله يحب المحسنين﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".

- الصدق: وهو يؤدي إلى الثقة والتعاون الاجتماعي، ومن أنوع الصدق صدق الوعد. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ .

- الأمانة: وهي فضيلة اجتماعية، قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ .

- التواضع: وهو فضيلة هامة: ومن تواضع لله رفعه، قال الله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ .

- معاشرة الأخيار: وهذه تؤدي إلى الخير والنعمة، قال الله تعالى: ﴿اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ **وقال بعض الحكماء**: "نبئني من تصاحب أنبؤك من أنت".

- الكلام الحسن: هو مصدر النجاح الاجتماعي وتعبيره عن الذكاء الاجتماعي، ومصدر لمحبة الناس وكثرة الأصدقاء، قال الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وقال تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ وقال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ .

- احترام الغير: هذا يؤدي إلى وحدة الجماعة وتماسكها ونشر المودة فيها. قال الله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ .". (١)

٩٦٢-"غفورا رحيما﴾ . وقال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ . وقال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم﴾ وقال الله عز وجل في حديث قدسي: "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم"، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب".

ذكر الله: ذكر الله غذاء روحي يبث الطمأنينة والهدوء والسعادة في الإنسان ويبعد الهم والقلق ويبعد الأفكار الوسواسية والسلوك القهري، ويبعد الشيطان الرجيم١، قال الله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ .

الصبر: الصبر مفتاح الفرج، والصبر تفويض الأمر إلى الله فضيلة خلقية ونفحة روحية يعتصم بها الإنسان فيهدأ ويسكن

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي ص/٣٥٦

قلبه ويطمئن، والصبر يبعد الشيطان ويرضي الرب ويسر الصديق ويسوء العدو، والصبر عون نفسي هائل يقي الإنسان من الانهيار أمام الشدائد والبلايا والمصائب، ومن الصبر المثابرة على العبادة، ومنه الشجاعة على المكاره، ومنه كتمان الأسرار، ومنه تحمل أذى الناس، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ وقال تعالى: ﴿بشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وقال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ وقال تعالى: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ **وقال بعض الحكماء**: "العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعل الجاهل بعد أيام"٢.

---

١ يقول الشاعر:

يا رب ذكراك ملء قلبي ... في كل آن وملء نفسي

فيالها من نعيم أمن ... ويالها من نعيم أنس

٢ يقول الشاعر:

ومن يستعن بالصبر نال مراده ... ولو بعد حين إنه خير مسعد

ويقول آخر:

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر". (١)

٩٦٣-"الباب الثالث في الأدوية المعينة على الحفظ

اعلم أن نسيان المحفوظ من أمراض الدماغ، وذلك يكون غالبا من سوء مزاج بارد رطب، يرطب الدماغ، وذلك يكون من كل ما يولد خلطا بلغميا وفيه تبخير، ويتولد كثيرا من أكل البصل واللحم، وكثرة أكل الفواكه.

وسبب فساد الذكر البرد فإن كان من رطوبة فصاحبه لا يحفظ ما يطبع فيه، وإن كان من يبوسه فإنه لا يحفظ الأمور الماضية دون الحادثة، وإن كان من يبس مع حر كان مع اختلاط الذهن، وأكثر ما يعرض النسيان عن برد ورطوبة.

وقد يكون عن يبس مفرط يخفف الدماغ ويجعله كالصخرة التي لا تقبل أن ينطبع فيها شيء، وقد **قال بعض الحكماء**: يقول إبليس: ما لقيت من أصحاب النعم ينسون المعبود.

وقد يورث النسيان أشياء كثيرة لخاصتها مثل الحجامة في النقرة، وأكل الكزبرة الرطبة، والتفاح الحامض، والمشي بين جملين مقطورين، وكثرة الهم وقراءة ألواح القبور، والنظر في الماء الدائم والبول فيه، والنظر إلى المصلوب، ونبذ القمل، وأكل سؤر الفأر.

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي ص/٣٦٢

قال". (١)

٩٦٤-"ففرع الطيبة النور والإسلام، وفرع الخبيثة الكفر والضلال. فإن قيل: ما الفرق بين الشهوة والهوى، قيل: الشهوة ضربان: محمودة ومذمومة.

فالمحمودة من فعل الله سبحانه، وهي قوة جعلت في الإنسان لتنبعث بها النفس لنيل ما يظن فيه صلاح البدن.

المذمومة من فعل البشر ... وهي استجابة النفس لما فيه لذتها البدنية، والهوى هو هذه الشهوة الغالبة إذا استتبعت الفكرة، وذلك أن الفكرة بين العقل والشهوة، فالعقل فوقها والشهوة تحتها، فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن، وإذا اتضعت ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة وولدت المقابح.

والنفس قد تريد ما تريد بمشورة العقل تارة وبمشورة الهوى تارة، ولهذا قد يسمى الهوى إرادة.

في ذكر الخاطر الذي يعرض من جهة العقل والهوى

أول ما يعرض من ذلك السانح ثم الخاطر، وإلى ذلك أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق، وأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق "، ثم قرأ: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (٢٦٨)

ثم من بعدهما الإرادة ثم العزم ثم العمل.

فالسانح علة الخاطر، والخاطر علة الإرادة، والإرادة - وهي الهمة - علة العزم، والسانح والخاطر يعبر عنهما بالهاجس والواجس ويتجافى عنهما ما لم يصيرا إرادة وعزما.

فحق الإنسان إذا خطر له خاطر أن يسبره عاجلا، فإن وجده خيرا رباه حتى يجعله فعلا، وإن وجده شرا بادر إلى قلعه وقمعه قبل أن يصير إرادة، ويطهر قلبه منه تطهير أرضه من خبيثات النبات، وهذا المعنى أراد الحسن - رحمه الله - بقوله: رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن كان لله أمضى وإلا كف.

قال بعض الحكماء: إن تداركت الخطرة اضمحلت وإلا صارت شهوة، وإن". (٢)

٩٦٥-"تداركت الشهوة تلاشت وإلا صارت طلبا، وإن تداركت الطلب تلاشى وإلا صار عملا.

وقال بعض الحكماء: إن ولي الله سبحانه إذا أتته لمة الشيطان انزعج لذلك، ورأى ببصيرته ظلمة، ووجد روعة، فإذا أتته لمة الملك انشرح صدره، وأولياء الشيطان بخلافه. قال الله تعالى: (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (٤٥) .

والله ولي الرشاد.

---

(١) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ص/٣٩

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٩٤

حصول الخلق المحمود بطهارة النفس

قد تقدم أن طهارة النفس تكون لإصلاح القوى الثلاث:

فإصلاح الفكرة: بالتعلم حتى يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين القبيح والجميل في الفعال.

وإصلاح الشهوة: بالعفة حتى تسلس للجود والمواساة المحمودة بقدر الطاقة.

وإصلاح الحمية: بإسلاسها حتى يحصل الحلم؛ وهو كف النفس عن قضاء وطر الغضب، وتحصل الشجاعة؛ وهي كف النفس عن الخوف وعن الحرص المذمومين.

وبإصلاح القوى الثلاث يحصل للنفس العدالة والإحسان، وهذه جماع المكارم، وطهارة النفس وحسن الخلق الممدوح يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا وألطفهم بأهله "، ويعني باللطافة بالأهل تهذيبهم وتأديبهم المشار إليه بقوله

تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) .

والممدوح أيضا بقوله – صلى الله عليه وسلم –: " أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون "". (١)

٩٦٦–"فإذا اعتدلت هذه الأربعة بأن يعتدل فيها الأربع القوى، وهي الجاذبة، والممسكة، والهاضمة، والدافعة سمي ذلك الصحة، ولولا صحة البدن لما حصل الانتفاع به.

وأما القوة: فهي جودة تركيب هذه الأركان الأربعة، وهي العظام والعصب واللحم والجلد، وما يتبعها. وبها يصلح البدن للسعي والتصرف في أمور الدنيا والآخرة.

وأما الجمال: فنوعان:

أحدهما: امتداد القامة الذي يكون عن اعتدال الحرارة الغريزية، بأن الحرارة إذا حصلت دفعت أجزاء الجسم إلى العلو، كالنبات إذا نجم، كلما كان أطلب للعلو في منبته كان أشرف في جنسه.

وللاعتبار بذلك استعمل في كل ما جاد في جنسه العالي

والفائق، وكثر المدح بطول القامة نحو قول القائل:

كأن زرود القبطرية علقت ... علائقها منه بجذع مقوم

وقول آخر:

أشيم طويل الساعدين كأنما ... نياط نجاد سيفه بلواء

الثاني من الجمال: أن يكون مقدودا قوي العصب، طويل الأطراف، ممتدها، رحب الذراع، غير مثقل باللحم والشحم كما

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٩٥

قيل:

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهلا لباته وبآدله

ولا نعني بالجمال هاهنا ما يتعلق به شهوات الرجال والنساء، فذلك أنوثية، وإنما يعني به الهيئة التي لا تنبو الطباع عن النظر إليها، وهو أدل شيء على فضيلة النفس، لأن نورها إذا أشرق تأدى إلى البدن إشراقها.

وكل شخص فله حكمان:

أحدهما: من قبل جسمه وهو منظره، والآخر: من قبل

نفسه وهو مخبره، فكثيرا ما يتلازمان، ولذلك فزع أصحاب الفراسة في معرفة أحوال النفس أولا إلى الهيئات البدنية حتى **قال بعض الحكماء**: قل صورة حسنة يتبعها نفس رديئة، فنقش الخواتيم مقروء من الطين، وطلاقة الوجه عنوان ما في النفس. وليس في الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن ما فيه، وقال - صلى الله عليه وسلم - " اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه "، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: " إذا بعثتم رسولا فاطلبوا". (١)

٩٦٧-"**وقال بعض الحكماء**: ما من إنسان إلا وفيه خلق من أخلاق بعض الحيوانات وبعض النبات، ليكون الإنسان مشاركا لها في الجنسية، وإن كان مباينا لهما في النوعية، فمن الناس غشوم كالأسد، وعابث كالذئب، وخب كالثعلب، وشره كالخنزير، وخاضع كالكلب، وجامع كالنمل، ووقح كالذباب، وبليد كالحمار، وألوف كطير الوفا، وصنع كالسرقة، وأنف كالأسد والنمر، وغيور كالديك، وهادل كالحمام.

ومنهم حسن المنظر والخبر كالأترج، ومنهم بخلاف ذلك كالعفص والبلوط، ومنهم قبيح المنظر وحسن المخبر كالجوز واللوز، ومنهم حسن المنظر قبيح الخبر كالحنظل والدفلى.

والمؤمن الخير هو فى الحيوانات كالنحل يأخذ أطياب الأشجار فلا يقطف ثمرا، ولا يكسر شجرا، ولا يؤذي بشرا. ثم يعطي الناس ما يكثر نفعه، ويحلو طعمه، ويطيب ريحه، وفي الأشجار هو كالأترج يطيب حملا، ونورا، وعودا، وورقا، ورائحة وطعما.

والمنافق والشرير هو في الحيوانات كالقمل والأرضة، وفي الأشجار كالكشوت، مثل الكشوت فلا أصل ولا ورق، ولا نسيم ولا ظل ولا زهر، يفسد الثمار، وييبس الأشجار، وكالثمرة التي قل ورقها وكثر شوكها، وصعب مرتقاها.". (٢)

٩٦٨-"يصح له ذلك منهم من يرشح أن يلقى إليه في المنام الأشياء العظيمة الخطرة، ومنهم من لا يرشح له ذلك، ولهذا قال اليونانيون: يجب للمعبر أن يشتغل بعبارة رؤيا الحكماء والملوك دون الطغام، وذلك لأن لهم حظا من النبوة، وقد قال - صلى الله عليه وسلم -: " الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة "

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/١١٤

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/١٣٠

وهذا العلم يحتاج إلى مناسبة بين متحريه وبينه، فرب حكيم لا يرزق حذقا فيه، وربما نزر الحظ من الحكمة وسائر العلوم يرزق حظا فيه، وتوجد له فيه قوة عجيبة.

وأما الزكانة: فضرب من الفراسة، وهي معرفة فعل باطن بفعل ظاهر بضرب من التوهم يقال: قد زكنت وأزكنت.

والقيافة: ضرب من الزكانة لكنه أدق وهو ضربان:

أحدهما: بتتبع أثر الأقدام والاستدلال به على السالكين.

والثاني: الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله على نسبته.

وخص من العرب بالقيافة بنو مدلج، وقيل: إن ذلك بمناسبة طبيعية لا بتعلم، وهي محكوم بها في الشرع، **وقال بعض الحكماء**: خص الله بذلك العرب، ليكون سببا لارتداع نسائهم عما يورث شوب نسبهم، وخبيث حسبهم، وفساد بذورهم وزروعهم، صيانة لنسب النبوة، (وليكون ذلك شرفا لنبيه – صلى الله عليه وسلم –، ولأجل حفظه تعالى نسبهم ذلك، قال تعالى: (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

أي: ليعرف بعضكم بعضا بمعرفة أصله.". (١)

٩٦٩–"ليس بصدد تعلمه، وكفى على ذلك تنبيها ما حكى الله تعالى عن العبد الصالح أنه قال لموسى – صلى الله عليه وسلم – حيث قال له: (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا (٦٦)

(قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا (٧٠)

فنهاه عن مراجعته وليس ذلك نهيا عما حث الله تعالى عليه بقوله: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٤٣)

وإنما هو نهي عن نوع من العلم الذي لم تبلغه منزلته بعد، والحث إنما هو على سؤال عن تفاصيل ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه،

وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم أن لا يصغي إلى الاختلافات المشككة والشبه الملتبسة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده، لئلا تتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي ذلك به إلى الارتداد، ولذلك نهى الله تعالى من لم يكن قد تقوى في الإسلام عن مخالفة الكفار فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا)

وقال تعالى: (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا)

ومن أجل ذلك كره للعامة أن يجالسوا أهل الأهواء والبدع " لئلا

يغووهم، فالعامي إذا خلا بذوي البدع كالشاة إذا خلا بها السبع، **وقال بعض الحكماء**:

إنما حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير، لأنه أراد تعالى أن يقطع العصمة بين العرب وبين الذين كانوا يشككونهم في دينهم باجتماعهم معهم من اليهود والنصارى، فحرم على المسلمين ذلك، إذ هو معظم مأكولاتهم، وعظم الأمر في تناوله ومسه لينتهي المسلمون عن الاجتماع معهم في المؤاكلة والأنس، وقال – صلى الله عليه وسلم – في المؤمن والكافر: " لا

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/١٤٧

تتراءى ناراهما " لذلك فأما الحكيم فإنه لا بأس بمجالسته إياهم فإنه جار مجرى سلطان ذي عدة وأجناد وعتاد لا يخاف عليه العدو حيث ما توجه، ولهذا جوز له الاستماع إلى الشبهة، بل أوجب عليه أن يتتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم ليجاهدهم ويدافعهم، والعالم أفضل المجاهدين (الذابين عن الدين) ، فالجهاد جهادان جهاد بالبنان وجهاد بالبيان، ولما تقدم سمي الله تعالى الحجة سلطانا في غير موضع من كتابه

كقوله تعالى حكاية عن موسى - صلى الله عليه وسلم -: (إني آتيكم بسلطان مبين (١٩) . ". (١)

٩٧٠-"ما يجب أن يتحراه المعلم مع المتعلمين منه

حق المعلم أن يجري متعلميه مجرى بنيه فإنه في الحقيقة لهم أشرف من الأبوين،

كما قال الإسكندر وقد سئل: أمعلمك أكرم عليك أم أبوك، فقال: بل معلمي؛ لأنه سبب حياتي الباقية ووالدي سبب حياتي الفانية، وقد نبه النبي - صلى الله عليه وسلم - على ذلك بقوله: " أنا لكم مثل الوالد " فحق معلم الفضيلة أن يقتدي بالنبي - صلى الله عليه وسلم -؛ إذ هو في

إرشاد الناس خليفته فيشفق عليهم إشفاقه ويتحنن عليهم تحننه، كما قال تعالى في وصفه - صلى الله عليه وسلم -: (حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم (١٢٨)

وأي عالم لم يكن له من يفيده العلم صار كعاقر لا نسل له فيموت ذكره بموته، ومتى استفيد علمه كان في الدنيا موجودا، وإن فقد شخصه كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: " العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة "، **وقال بعض الحكماء في** قوله تعالى: (فهب لي من لدنك وليا (٥) يرثني ويرث من آل يعقوب)

أنه سأله نسلا يورثه علمه لا من يورثه ماله فأعراض

الدنيا أهون عند الأنبياء من أن يشفقوا عليها، وكذا قوله تعالى: (وإني خفت الموالي من ورائي) أي: خفت أن لا يراعوا العلم، وعلى هذا قال عليه الصلاة والسلام: " العلماء ورثة الأنبياء "، وكما أن من حق أولاد الأب الواحد أن يتحابوا ويتعاضدوا ولا يتباغضوا، كذلك من حق بني العلم الواحد، بل الدين الواحد أن يكونوا كذلك، فأخوة الفضيلة فوق أخوة الولادة، ولذلك قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة)

وقال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (٦٧)

وحق العالم أن يصرف من يريد إرشاده عن الرذيلة إلى الفضيلة بلطف

في المقال وتعريض في الخطاب، فالتعريض أبلغ من التصريح لوجوه:

أحدها: أن النفس الفاضلة لميلها إلى استنباط المعنى يميل إلى التعريض شغفا". (٢)

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/١٧٧

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/١٧٨

٩٧١-"فبين أنه إنما منعهم لما لم يكن فيهم خير، وبين أن في إسماعهم ذلك مفسدة لهم وسأل جاهل حكيما عن مسألة من الحقائق فأعرض عنه

ولم يجبه، فقال له: أما سمعت قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة " فقال: بلى سمعته، أترك اللجام هاهنا وأذهب فإذا جاء من ينفعه ذلك وكتمته فليلجمني به، **وقال بعض الحكماء في** قوله تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أنه نبه به على هذا المعنى وذلك أنه

لما منعنا من تمكين السفيه من المال الذي هو عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر تفاديا أنه ربما يؤديه إلى هلاك دنيوي فلأن يمنع من تمكينه من حقائق العلوم التي إذا عرفها السفيه أدته إلى ضلال وإضلال، وهلاك وإهلاك - أحق وأولى فإنه:

إذا ما اقتنى العلم ذو شرة ... تضاعف ما ذم من مخبره

وصادف من علمه قوة ... يصول بها الشر في جوهره

وكما أنه واجب على الحكام إذا وجدوا من السفهاء رشدا أن يرفعوا عنهم الحجر ويدفعوا إليهم أموالهم، لقوله تعالى: (فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم)

فواجب على الحكماء إذا وجدوا من المسترشدين قبولا أن يبذلوا العلوم لهم

بقدر استحقاقهم، فالعلم قنية يتوصل بها إلى الحياة الأبدية، كما أن المال قنية يتوصل بها في المعونة على الحياة الدنيوية، وباذل العلم لمن لا يستحقه يستوجب عقوبة، ومانعه عن أهله يستوجب عقوبات، ولذلك قال الله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)

وقال تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار) .

وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون من تقيد من العامة بقيد الشرع بحسب حاله

لا يصرف عما هو بصدده فيؤدي ذلك إلى انحلاله عن قيده، ثم لا يمكن أن يقيد بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين الشرور.". (١)

٩٧٢-"أنواع الكذب والسبب الداعي إليه

الكذب إما أن يكون اختراعا لقصة لا أصل لها، أو زيادة في القصة أو نقصانا يغيران المعنى، أو تحريفا بتغيير عبارة. فما كان اختراعا يقال له: الافتراء والاختلاق، وما كان من زيادة أو نقصان فمين، وكل من أورد كذبا في غيره، فإما أن يقوله بحضرة المقول فيه أو بغير حضرته، وأعظم الكذب ما كان اختراعا بحضرة المقول فيه، وهو المعبر عنه بالبهتان، وكل من أورد حديثا فإما أن يخبر به عن علم أو عن غلبة ظن أو عن ظن وتخمين واه فما يقال عن علم فمحمود بلا شك، وما كان عن غلبة ظن فقد يحسن وقد يقبح، وما كان عن ظن واه فمذموم، ولذلك قال تعالى

: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) .

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/١٨١

واعلم أن الداعي إلى الكذب محبة النفع الدنيوي وحب الترأس، وذلك أن المخبر يرى أن له فضلا على المخبر بما علمه فهو يتشبه بالعالم الفاضل في ذلك فيظن أنه يجلب بما يقوله فضيلة ومسرة، وهو يجلب به نقيصة وفضيحة، ففضيحة كذبة واحدة لا توازي مسرات دهره، فالكذب عار دائم وذل دائم، وحق الإنسان أن يتحرى الصدق ويتعوده ولا يترخص في أدنى كذب، فمن استحلاه عسر عليه فطامه، وقد قال بعض الحكماء:

كل ذنب يرجى تركه بتوبة أو إنابة ما خلا الكذب فإن صاحبه يزداد على الكبر، فقد رأينا شارب خمر أقلع، ولصا نزع، ولم نر كذابا رجع، وعوتب كذاب في كذبة فقال: لو تغرغرت به وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه، والله الهادي.

الذكر الحسن من المدح والثناء

محبة الذكر الحسن أشرف مقاصد أبناء الدنيا، وهي في جبلة الناس من

خصائصهم، ولا توجد في غيره من الحيوان كما قال الشاعر:

... ... حب الثناء طبيعة الإنسان". (١)

٩٧٣-"يمينا من يمين. وأما قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " من لم يحلف على ماله فلا مال له " فإنه وإن كان بنظر الفقهاء يتصور أنه مفسحة في الحلف صادقا، فإنه بنظر الحكماء يحث على إيثار التعظيم لله - عز وجل - وتقديمه على إيثار المال وتعريض بأن الذي فاته هو عرض حاضر

لا الدين والمروءة.

وحق العاقل إذا اضطر إليه أن يسلك سبيل التعريض فيه دون التصريح وما لا يضطر إليه تركه تعريضا وتصريحا، وإن بدر منه سهوا حلف شفعه بالاستثناء، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: " من كان حالفا فليقل: إن شاء الله، فإنه يدفع الحنث، ويذهب الخبث، وينجز الحاجة،

ويدفع اللجاجة ": وقيل: العاقل إذا تكلم أتبع كلامه مثلا، والأحمق إذا تكلم أتبع كلامه حلفا، وعلامة الكاذب جوده بيمينه على غير مستحلف، قال الشاعر المتنبي:

وفي اليمين على ما أنت واعده ... ما دل أنك في الميعاد متهم

وقال بعض الحكماء: اللغو في الحلافة يدل على كذب أربابها، فإن ذلك لقلة

الركون إلى قولهم، وكما جوز - عليه الصلاة والسلام - الكذب حيث يضطر إليه جوز الحنث في اليمين، فقال: " من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه ".". (٢)

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/١٩٦

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢٠٣

٩٧٤-"فالتواضع، وأما البلاء فالكبر.
وقال بعض الحكماء: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد عند الحكماء من الكبر مع الأدب والسخاء، فأنبل بحسنة غطت على سيئتين، وأقبح بسيئة غطت على حسنتين، فالكبر هو ظن الإنسان بنفسه أنه أكبر من غيره، والتكبر: إظهار لذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى، ومن ادعاها من المخلوقين فهو فيها كاذب، ولذلك
صار مدحا في حق الباري - عز وجل - وذما في البشر، وإنما شرف المخلوق في إظهار العبودية، كما قال تعالى: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون)
تنبيها على أن ذلك لهم رفعة لا ضعة، والتكبر والضرع كلاهما جاهلان، لكن الضرع غبي والتكبر غبي أحمق، وشتان ما بينهما، فالغبي قد يتأدب، والأحمق لا سبيل له إلى تأديبه، ولأن الضرع قد ترك ما له، والتكبر ادعى ما ليس له، وشتان ما بين المنزلتين، ولأن الكبر يتولد من الإعجاب، والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن، والجهل رأس الانسلاخ من
الإنسانية، ومن الكبر الامتناع من قبول الحق، ولذلك عظم الله تعالى أمره فقال: (إنه لا يحب المستكبرين (٢٣)
وقال تعالى: (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠)
وقال: (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق)
وقال: (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (٣٥)
وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " يقول الله - عز وجل -: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في نار جهنم "، وقد نبه - عز وجل - على مبلغ فعله أحسن تنبيه فقال: (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧)
وأقبح كبر بين الناس ما كان معه بخل، ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام: " خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل والكبر " واستحسن قول الشاعر:
جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما ... تيه الملوك وأفعال المماليك
ومن تكبر لرياسة نالها دل ذلك على دناءة عنصره، ومن تفكر في تركيب ذاته، فعرف مبدأه ومنتهاه وأوساطه عرف نقصه، ورفض كبره، وقد نبه الله - عز وجل - على ذلك أحسن تنبيه بقوله: (فلينظر الإنسان مم خلق (٥) خلق من ماء دافق (٦) يخرج من بين الصلب والترائب (٧)". [١]

٩٧٥-"وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ".
ولما قلنا: قالوا: التكبر على الأغنياء تواضع تنبيها أن هذا التكبر في الحقيقة عز النفس " ولأجل أن هذا التكبر غير مذموم، قال تعالى: (يتكبرون في الأرض بغير الحق)
فشرط غير الحق، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: من خض لغني فوضع نفسه عنده طمعا فيه ذهب ثلثا مروءته

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢١٤

وشطر دينه.

الفخر

الفخر: هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان، وذلك نهاية الحمق، فمن نظر بعين عقله وانحسر عنه قناع جهله علم أن أعراض الدنيا عارية مستردة، لا يؤمن في كل ساعة أن تسترجع، فالمباهي بها مباهاة بغير ثراه، ومتبجح بما في يد سواه كالفاخرة بجدح ربتها، بل هو أدون من ذلك.

فقد قال بعض الحكماء لمن يفتخر بثرائه: إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة له دونك، وإن افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لهما دونك، وإن افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيك، ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت: هذه محاسننا فما لك من الحسن، وأيضا فالأعراض الدنيوية سحابة صيف عن قليل تقشع، وظل زائل عن قليل يضمحل ويزول، كما قيل:

إنما الدنيا كرؤيا فرحت ... من رآها ساعة ثم انقضت

بل كما قال الله – عز وجل –: (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) .

فإن افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك، وإذا

أعجبك من الدنيا شيء، فاذكر فناءك وبقاءه أو بقاءك وزواله أو فناءكما جميعا، فإذا راقك ما هو لك، فانظر إلى قرب خروجه من يدك، وتعذر رجوعه إليك، وطول حسابك عليه إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وقد ذم الله تعالى الفخور فقال: (إن الله لا يحب كل مختال فخور (١٨) .". (١)

٩٧٦–"مداواة الغم وإزالة الخوف

حق الإنسان أن يعلم أن الدنيا جمة المصائب، رائقة المشارب، تثمر للبرية كل بلية، فيها مع كل لقمة غصة، ومع كل جرعة شرقة، فهي عدوة محبوبة كما قال أبو نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وكما روي عن الحسن – رحمه الله – أنه قال: ما مثلنا مع الدنيا إلا كما قال كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

فما أحد فيها إلا وهو في كل حال غرض لأسهم ثلاثة: سهم بلية، وسهم رزية، وسهما منية.

تناضله الآفات من كل جانب ... فتخطئه يوما ويوما تصيبه

وقد قال بعض الحكماء: أسباب الحزن فقد محبوب أو فوت مطلوب، ولا يسلم منهما إنسان، لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد، فمن أحب أن يعيش هو وأهله وأحبابه فهو غير عاقل، لأنه يريد أن يملك ما لا يملك ويوجد له ما لا يوجد " فحق المرء أن لا يخلي قلبه من اعتبار فيما يرى من ارتجاع ودائعها من أربابها وحلول فوازعها بأصحابها، وما أحسن ما قال ابن الرومي:

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢١٦

ألم تر رزء الدهر من قبل كونه ... كفاحا إذا فكرت في الخلوات

فمالك كالمرمي من مأمن له ... بنبل أتته غير مرتقبات

فإن قلت مكروها أتانا فجأة ... فما فوجئت نفس مع الخطرات

ولا عوقبت نفس ببلوى وقد رأت ... عظات من الأيام بعد عظات

إذا بعثت أشياء قد كان مثلها ... قديما فلا تعتدها بغتات

ومن حقه أن يقلل من اقتناء ما يورثه الحزن، فقد قيل لحكيم: نراك لا تغتم، فقال: لأني لا أقتني ما يغمني فقده، فأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

ومن سره أن لا يرى ما يسوؤه ... فلا يتخذ شيئا يبالي له فقدا

وقيل لحكيم: هل يمكن الإنسان أن يعيش آمنا، فقال: نعم إذا احترس من الخطيئة،". (١)

٩٧٧-"والثالث: رجل أعمى عين البصيرة متلطخ السريرة بما ارتكب من أنواع الجريرة، رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها. ويئس من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، فإذا خرج منها إلى دار الخلود أضر ذلك به كما تضر رياح الورد بالجعل، وإذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه العالم العلوي بمصاحبة الملأ الأعلى ومنادمة أولي العلا فيعمى كما قال تعالى: (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا (٧٢)

ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم -: " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر "، وأجدر بمن تربي في هذا العالم بغذائه من العلم والعمل الصالح أن لا يشتاق إليه بعد خروجه منه وإن خرج مكرها كما لا يشتاق إلى الرجوع إلى بطن أمه بعد الخروج منه، ويدلك على أنه خرج من بطن أمه كارها بكاؤه، فقد **قال بعض الحكماء** القدماء: أول ما ينال الصبي غمه عند سقوطه من بطن أمه لا يضغطه من ضيق خروجه ويصيبه من ألم الهواء فيتوجع، والوجع يورثه الغم، والغم يحمله على البكاء، وذلك أن للصبي كل ما يكون للحيوان غير النطق من اللذة والألم والجوع والعطش، ومن هذا المعنى أخذ ابن الرومي فقال:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأفسح مما كان فيه وأرغد

وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: ما أحد إلا والموت خير له من الحياة، لأن الله تعالى قال في الأخيار: (وما عند الله خير للأبرار (١٩٨)

وقال في الأشرار: (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما)

وقد قيل: الصالح إذا مات استراح من الدنيا، والطالح إذا مات استراحت منه الدنيا.

وقال بعض الحكماء: من قال لغيره: صانك الله من نوب

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢٣٥

الأيام وصروف الزمان فإنه يدعو له بالموت، فالإنسان لا ينفك من ذلك إلا بخروجه من دار الكون والفساد، وقال بعض الصوفية: حق ملك الموت أن يحبه المسلم من بين الملائكة فضل محبة من حيث إنه أحد أسباب تعويضه الحياة السنية الأبدية من حياته الدنية الدنيوية، ولهذا أمرنا أن نقول في دعائنا: اللهم صل على جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فإن جبريل وميكائيل هما سببان لإنمائنا من ذلك العالم بما فيه خلاصنا من
دار الكون والفساد. وملك الموت سبب لإخراجنا من دار الكون والفساد فإذا حقه". (١)

٩٧٨-"البطر وأكثر ما يكثر ذلك في الأحداث والصبيان بقدر ما يغلب عليهم من الغفلة، وقد ذمه الله تعالى بقوله: (وفرحوا بالحياة الدنيا) ، وقال تعالى: (إن الله لا يحب الفرحين (٧٦)
وقال تعالى: (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥)
وقال تعالى: (كل حزب بما لديهم فرحون (٥٣)
وقد يسمى الفرح سرورا والسرور فرحا لكن على نظر من لا يعتبر الحقائق ويتصور أحدهما بصورة الآخر، ولذلك قيل: من طلب السرور بالخارجات عنه لم ينله.
العذر والتوبة
المذنب إذا عوتب أو خاف العتب لا ينفك عن أحد وجهين: إما أن يكون مصرا أو معتذرا، فأما المصر: فقد يستحسن في بعض الأحوال التجافي عنه، وقد سمع رجل حكيما وهو يقول: ذنب الإصرار أولى بالاغتفار، فقال: صدق ليس فضل من عفا عن السهو القليل كفضل من عفا عن العمد الجليل، وأما المعتذر: فهو المظهر لما يمحو به الذنب.
وجميع المعاذير لا تنفك عن ثلاثة أوجه:
إما أن يقول، لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا فيبين ما يخرجه عن كونه ذنبا أو يقول: فعلت ولا أعود، فمن أنكر وأنبأ عن كذب ما نسب إليه فقد برئت ساحته، وإن فعل وجحد فقد يعد التغابي عنه كرما وإياه قصد الشاعر بقوله:
تغابي وما بك من غفلة ... لفرط الحياء وفضل الكرم
ومن أقر فقد استوجب العفو لحسن ظنه بك، **قال بعض الحكماء**: تجاوز عن مذنب لم يسلك بالإقرار طريقا حتى أخذ من رجائك رفيقا، وإن قال: فعلت ولا أعود فهذا هو التوبة وحق الإنسان أن يقتدي بالله تعالى في قبولها، وللتوبة شرائط فرضا ونفلا،
ففرضها ترك الذنب مع ترك العود إليه، ونفلها التأسف لما سلف من الذنب والاستغفار له وترك بعض المباحات مقابلة لما كان من العصيان.
واعلم أن للمذنب التائب إذا تاب توبة نصوحا فضيلة على من لم يذنب من ثلاثة أوجه:
الأول: أنه قد جرب العيوب وعرف مداخل الشيطان على الإنسان فيكون أهدى إلى الاحتراز من الشر، وقد قيل لحكيم:

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢٣٨

فلان لا يعرف الشر، فقال: ذالك أجدر أن يقع فيه.

والثاني: أن المذنب التائب محتشم قد غلب الخوف على قلبه فيأتي باب مولاه، وهو خزيان منكسر، ومن لم يذنب ربما يعجب بنفسه ويذل بعفته وليس خدمة عبد قد عصى". (١)

٩٧٩-"مكروه بالمخدوع وهو الذي قصده النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: " المكر والخديعة في النار "

والمعنى: أنهما يؤديان بقاصدهما إلى النار.

والثاني على عكس ذلك وهو أن يقصد فاعلهما إلى استجرار المخدوع والممكور به إلى مصلحة لهما كما يفعل بالصبي إذا امتنع من تعلم خير، وقد قال بعض الحكماء:

المكر والخديعة محتاج إليهما في هذا العالم، وذلك أن السفيه يميل إلى الباطل ولا يميل إلى الحق ولا يقبله " لمنافاته لطبعه، فيحتاج أن يخدع عن باطله بزخارف مموهة كما يخدع الطفل عن الثدي عند الفطام، ولهذا قيل في مثل: مخرق بأنها الدنيا مخاريق، وسفسط فإن الدنيا سوفسطائية، وليس هذا حث على تعاطي الخبث، بل هو حث على جذب الناس إلى الخير بالاحتيال، ولكون المكر والخديعة ضربين: سيئا وحسنا قال الله تعالى: (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور (١٠)

وقال تعالى: (فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا (٤٢) استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله)

وقال تعالى: (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض)

فخص في هذه الآيات السيء من المكر تنبيها على جواز المكر الحسن، فقال: (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤)

.

وأما الكيد: فإرادة متضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد به، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشر، ومتى قصد به الشر فمذموم، ومتى قصد به خير فمحمود، وعلى الوجه المحمود

قال - عز وجل -: (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله)

وعلى ذلك الاستدراج منه أيضا نحو قوله: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٢) وأملي لهم إن كيدي متين (١٨٣)

فاستدراجه - عز وجل - تغطية السبيل على الإنسان وتمكينه فيما يريد ليطلب بالآلات التي أعطاه، وذلك تكليف له لما يقدر عليه

وإن كان فيه مشقة، ولتمكنه من إدراك ذلك قال تعالى: (ألم نجعل له عينين (٨) ولسانا وشفتين (٩) وهديناه النجدين (١٠)

فمن جاهد في سبيله وأعمل فكره حتى ظفر به فسلكه على ما يجب وكما يجب سهل عليه الوصول وكان ذلك منه منة".

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢٤٠

(١)

٩٨٠-"المحبب في الناس

من حببه الله إلى الناس فقد أنعم عليه نعمة وسيعة كما أن من بغضه إليهم فقد جعل له نقمة فظيعة، والسبب فيمن يكون محببا أن من رعاه الله تعالى فصفى جوهره، وأطاب روحه، وحسن عمله حصل له نور يسري في مشاعر من يراه فيحبه، وإياه قصد تعالى بقوله لموسى – صلى الله عليه وسلم –: (وألقيت عليك محبة مني)

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " إذا أحب الله عبدا ألقى محبته على الماء فلا يشربه عبد إلا أحبه، وإذا أبغض عبدا ألقى بغضه في الماء فلا يشربه عبد إلا أبغضه "، ولما ألقى الله تعالى على نبينا – صلى الله عليه وسلم – من المحبة قلما كان يأتيه من يبغضه فيهم بقلبه إلا إذا رآه وقلب في آفاق وجهه طرفه، وألقى إلى كلامه سمعه أعجب به ففارقه على جميل.

الحث على مصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار

حق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار؛ فإنها قد تجعل الشرير خيرا، كما أن مصاحبة الأشرار قد تجعل الخير شريرا، **قال بعض الحكماء**: من صحب خيرا أصابته بركته فجليس أولياء الله لا يشقى ولو كان كلبا ككلب أهل الكهف؛ فإن الله تعالى ذكره في كتابه العزيز فقال: (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)

ولهذا أوصت الحكماء الأحداث بالبعد عن مجالسة السفهاء، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: " لا تصحب الفاجر فيزين لك فعله ويود لو أنك مثله ".

وقد قيل: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ويزيد في خيركم نطقه، وقد قيل: إياك ومجالسة الأشرار فإن الطبع يسرق من الطبع وأنت لا تدري، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " مثل الجليس الصالح كمثل الداري إن لم يجذك من عطره علقك من طيب ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرقك بشرره علقك من نتن دخانه "،". (٢)

٩٨١-"اعتقاده في حجر أنه هو صانعه وأنه يستحق عبادته.

وقد قال في موضع آخر إشارة إلى ما يعم في هذا المعنى وغيره: (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا (٤٢)

وقد **قال بعض الحكماء**: مثل الإنسان وشغفه بهذا الحجر، بل سائر

الأعراض الدنيوية كمثل قوم كانوا في سفينة يقصدون أفضل بلد وأطيبه، فانتهت بهم السفينة إلى جزيرة أرادوا الخروج إليها والتفسح فيها للطهارة، والجزيرة ذات أسود وأساود، فأمروا بالخروج وأن يكونوا على حذر، فلما خرجوا إليها رأوا فيها حجارة مزخرفة وأزهارا مستحسنة مختلفة، فأعجبهم ذلك وشغفوا به وأمعنوا في الجزيرة وتباعدوا عن المركب ونسوا أنفسهم

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢٥٥

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢٥٨

ومقصدهم وبقوا لاهين بما رأوا من ذلك، حتى سارت السفينة فثارت عليهم الأسود والأساود تفترسهم وتنهشهم فلن يغن عنهم ما خدعهم وألهاهم من تلك الأحجار والأزهار، فصاروا كما قال تعالى حكاية عمن هذه حاله: (ما أغنى عني ماليه (٢٨) هلك عني سلطانيه (٢٩) .

ذكر المال والأدب في اقتنائه والوجوه التي منها يحصل

قد تقدم أن المال من الخيرات المتوسطة، لأنه كما قد يكون سببا للخير فقد يكون سببا للشر، لكن لما كان في أكثر الأحوال موجبا كرامة أصحابه وتعظم أربابه حتى صدق قول الشاعر فيما قال:

الناس أعداء لكل مدقع ... صفر اليدين وإخوة للمكثر

قيل: رأيت ذا المال مهيبا مكرما، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " نعم المال الصالح للرجل الصالح "، واستصوب قول طلحة – رضي الله عنه – في دعائه: اللهم ارزقني مجدا ومالا فإنه لا يصلح المجد إلا بالمال، ولا يصلح المال إلا بمراعاة المجد، ونظر المتنبي هذا النظر حيث قال:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقال بعض الحكماء: اطلب العلم والمال تحوي الرئاسة، فالناس خاص وعام". [(١)]

٩٨٢–"فالخاص يفضلك بما تحسن، والعام بما تملك.

واكتسابه من الوجوه التي ينبغي صعب، وتفريقه سهل، كما قال الشاعر:

له مصعد صعب ومنحدر سهل

ومن رام اكتسابه من وجهه صعب عليه، فالمكاسب الجليلة قليلة عند الحر العادل.

ومن رضي بكسبه من حيث ما اتفق فقد يسهل عليه.

والفاضل ينقبض عن اقتناء المال، ويسترسل في إنفاقه، ولا يريده لذاته، بل لاكتساب المحمدة به، ولا يجتمع عنده المال مدخرا، لكن كما قال الشاعر (النضر بن جؤية) :

لا يألف الدرهم الضروب صرتنا ... لكن يمر عليها وهو منطلق

إنا إذا أجتمعت يوما دراهمنا ... ظلت إلى طرق المعروف تستبق

وغير الفاضل يسترسل في اقتنائه، ويقبض في إنفاقه، ويطلبه لذاته لا لادخار الفضيلة به. والمال يحصل من وجهين:

أحدهما: بسبب منسوب إلى الجد المحض والبخت الصرف، من غير اكتساب من صاحبه، كمن ورث مالا، أو وجد كنزا، أو قيض له من أولاه شيئا.

والثاني: أن يكتسب الإنسان، كمن يشتغل بتجارة أو صناعة فيدخر منها مالا.

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢٧٥

وهذا الضرب لا يستغنى فيه عن الجد، ولهذا قيل:

وعلي أن أسعى وليس ... علي إدراك النجاح

فحظ الجد في المال أكثر من حظ الكد بخلاف الأخلاق والأعمال الأخروية التي حظ الكد فيها أكثر، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)

فاشترط في العاجلة مشيئته للمعطي وإرادته للمعطى له، ولم يشترط السعي، واشترط في الآخرة السعي لها مع الإيمان، ولما يشترط إرادته تعالى ومشيئته وإن كان ذلك لا يتعرى منهما.

فحق العاقل أن يعني بما إذا طلبه ناله، وإذا ناله لم يخف زواله، ويقلل المبالاة بما إذ قدر له أتاه طلبه أو لم يطلبه.

وقد قال بعض الحكماء: إن البخت بمنزلة امرأة صماء عمياء ورهاء (١) في حجرها

---

(١) ورهاء: كثيرة الشحم.". [1]

٩٨٣-"من حاله أنه يسمع ذلك الكلام فيكون فتنة له إما لتوهمه أنه وقته ولا يكون أو لأنه يحمل نفسه ما لا يطيق فيرحمه الله تعالى بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام إما صيانة له أو عصمة عن غلطه، وقال مشايخ هذه الطريقة: ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: اعتللت مرة بمرو فاشتقت أن أرجع إلى نيسابور فرأيت في المنام كأن قائلا يقول لي لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد فإن جماعة من الجن قد استحلوا كلامك ويحضرون مجلسك فلأجلهم تجلس ههنا.

وقال بعض الحكماء: إنما خلق للإنسان لسان واحد وعينان وأذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول.

ودعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فلما جلس أخذوا في الغيبة فقال: عندنا يؤكل اللحم بعد الخبز وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم أشار إلى قوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] وقال بعضهم: الصمت لسان الحلم، وقال بعضهم: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فإن كان الكلام يهديك فإن الصمت يقيك.

وقيل: عفة اللسان صمته، وقيل: مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك.

وسئل أبو حفص أي الحالين للولي أفضل الصمت أو النطق؟ فقال: لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله تعالى ضعفى عمر نوح حتى ينطق.". [2]

٩٨٤-"باب الحياء قال الله تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ [العلق: ١٤]

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيري المزكي قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد النحوي ببغداد، قال:

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ص/٢٧٦

(٢) الرسالة القشيرية ٢٤٩/١

حدثنا إبراهيم بن محمد بن الهيثم، قال: حدثنا موسي بن حيان، قال: حدثنا المقدسي، عن عبيد الله بن عمرو، عن نافع، عن ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الإيمان

أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلي، قال: حدثنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري، قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب، قال: حدثنا يعلى بن عبيد، قال: حدثنا أبان بن إسحاق، عن الصباح بن محمد، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه: استحيوا من الله حق الحياء.

قالوا: إنا نستحي يا نبي الله والحمد لله.

قال: ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء "

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول أخبرنا أبو نصر الوزيري قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا محمد بن مخلد عن أبيه قال: **قال بعض الحكماء**: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت ابن عطاء يقول العلم الأكبر الهيبة والحياء فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبق فيه خير وسمعته يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول: حدثني محمد بن عبد الملك قال: سمعت ذا النون المصري يقول: الحياء وجود الهيبة". (١)

٩٨٥-"٥٠٤ - أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا الحسين بن صفوان، ثنا عبد الله بن محمد القرشي، حدثني محمد بن إسحاق الثقفي قال: **قال بعض الحكماء**: «عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن من فناء عمره، وعجبت من الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة إليه يشتغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة»". (٢)

٩٨٦-"فكأني أرى فضائح قوم ... قد تجلى لعرضها ذو الجلال

ليت شعري إذا قرأت كتابي ... بيميني أعطاه أم بشمالي

وقال ذو النون المصري رضي الله عنه: رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة، وهو يقول: يا رب، أعف عني عما فعلته في أيام غفلتي، فقد فني جسمي، فهتف به هاتف وهو يقول: إنا لا نؤاخذ العبد بما فعله في أيام غفلته.

الخصال التي تنجي من السوء

وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه: حرام على كل قلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه سكون إلى عمله إلى غيره.

وقال الحسن رضي الله عنه: المؤمن أسير، فيجب عليه أن يسعى في فكاك نفسه، لا يأمن شيئا حتى يلقى الله تعالى، ويعلم أنه مؤاخذ عليه في سمعه، وبصره، ولسانه، وجميع جوارحه.

---

(١) الرسالة القشيرية ٢/٣٦٧

(٢) الزهد الكبير للبيهقي ص/٢٠٢

وقال بعض الحكماء: أحفظ أربع خصال تنج بها من كل سوء: عينك، ولسانك، وقلبك، وهواك.
ولسانك لا تقل به شيئا من الشر تعلم أن الحق خلافه، وقلبك لا يكن فيه غل ولا عداوة لأحد من المسلمين، وهواك لا يكن فيه شبه، فإن كان فيك هذه الخصال، وإلا فاجعل الرماد على رأسك، واعلم بأنك قد هلكت.
وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إذا نظرت إلى يمينك فانظر إلى جناتي ونعمائي، وإذا نظرت عن شمالك فاذكر ناري وعقابي، وإذا نظرت من فوقك فاذكر جلالي وعظمتي، وإذا نظرت من تحتك فانظر قدرتي وعجائبي، وإذا نظرت أمامك فاذكر الحساب ودقائقه، وإذا نظرت وراءك فأذكر الموت وأعوانه وشدائد ه وأهواله وسكراته. واعلم أنك مطلوب بأعمالك رهين.". (١)

٩٨٧-"واعمل ما شئت فانك مجازى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس "
وقال الحسن رضي الله عنه: " يا ابن آدم، إنما هي أيام إذا مضى يومك ينقصك ".
وقيل في المعنى شعر:
إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى نقص من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فإنما الربح والخسران في العمل
وقال بعض الحكماء عجبت لمن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على نقصان عمره، وعجبت لمن الدنيا مدبرة عنه، والآخرة مقبلة عليه، كيف يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة؟ ".
وقال عيسى عليه السلام: " عجبت لثلاثة: غافل غير مغفول عنه، ومؤمل الدنيا والموت يطلبه، وباني قصرا والقبر مسكنه ".
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " ويل لمن كانت الدنيا همه، والخطايا عمله، كيفما يقدم غدا بقدر ما تحرثون تحصدون ".
قال لقمان لابنه: " خلق الإنسان ثلاثة أثلاث: ثلث لله، وثلث لنفسه، وثلث للدود ".

أد الفرائض وكف عن المحارم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة:". (٢)

٩٨٨-"وأما الإجماع: فهو واضح بعد أن علمت ما جاء فيه من تلك النصوص القطعية والأحاديث الصحيحة السنية، ومن ثم تطابقت كلمات الأئمة على ذمه وأطبقت الأمة على تحريمه وتعظيم إثمه، وقد قال عمر - رضي الله عنه - لمن رآه يطأطئ رقبته: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب وإنما الخشوع في القلب.

---

(١) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٧١
(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ص/٩٩

ورأى أبو أمامة رجلا يبكي في المسجد في سجوده فقال: أنت أنت لو كان هذا في بيتك.
وقال علي كرم الله وجهه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم. وقال: يعطى العبد على نيته ما لا يعطى على عمله لأن النية لا رياء فيها. «وقال عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – لمن قال: أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد وجه الله ومحمدة الناس: لا شيء لك، لا شيء لك، لا شيء لك، إن الله تعالى يقول: أنا أغنى الشركاء عن الشرك» الحديث، وقد ذم غير واحد من السلف من يقول: هذه لوجه الله ووجه فلان، فإن الله تعالى لا شريك له، وقال قتادة: إذا راءى العبد يقول الله – تعالى –: عبدي يستهزئ بي.
وقال إبراهيم بن أدهم – رضي الله عنه –: ما صدق الله تعالى من أراد أن يشتهر.
وقال الفضيل – رضي الله عنه –: من أراد أن ينظر إلى مراء فلينظر إلي، وقال أيضا: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.
وقال بعض الحكماء: مثل من يعمل رياء وسمعة كمثل من ملأ كيسه حصى ثم دخل السوق ليشتري به، فإذا فتحه بين يدي البائع افتضح، وضرب به وجهه فلم يحصل له به منفعة سوى قول الناس: ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئا، فكذلك من عمل للرياء والسمعة لا منفعة له في عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة. قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ [الفرقان: ٢٣] أي الأعمال التي قصد بها غير الله تعالى يبطل ثوابها صارت كالهباء المنثور، وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس.
(تنبيهات) منها: الرياء مأخوذ من الرؤية والسمعة من السماع. وحد الرياء المذموم إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته وكماله حتى يحصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء. إما بإظهار نحول وصفرة، ونحو تشعث شعر، وبذاذة هيئة، وخفض صوت، وغمض جفن إيهاما لشدة اجتهاده في العبادة". (١)

٩٨٩-"يحمد الصبر عند مفاجأة المصيبة وأما فيما بعد فيقع السلو طبعا.
ومن ثم **قال بعض الحكماء**: ينبغي للعاقل أن يفعل بنفسه أول أيام المصيبة ما يفعله الأحمق بعد خمسة أيام.
وفي حديث آخر: «من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار، فقال أبو الدرداء قدمت اثنين قال واثنين، قال آخر: قدمت واحدا قال وواحدا، ولكن ذلك في أول صدمة» .
وفي أخرى «من كان له فرطان أي ولدان من أمتي دخل الجنة، قالت عائشة: ومن له فرط؟ قال ومن له فرط» الحديث.
وفي خبر مسلم: «أنه مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها لا يحدثه إلا أنا، فلما جاءت قربت إليه عشاءه فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع له قبل فغشيها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال لا، قالت أم سليم فاحتسب ابنك فغضب، ثم انطلق إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبره فقال بارك الله لكما في ليلتكما» الحديث. وفي حديث: «ما

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٦٩/١

أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر» .

وقال علي للأشعث: إنك إن صبرت صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت كما تسلو البهائم: أي لأنه بطول الزمن يقع السلو طبعا، وقيل لمصاب: لا تجمع بين مصيبتين عظيمتين ذهاب الولد والأجر.

وفي حديث مسلم: «إن الأطفال دعاميص الجنة أي حجاب أبوابها يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهي حتى يدخله الجنة» .

وضحك ابن عمر عند دفنه لابنه فقيل له؟ فقال: أردت أن أرغم الشيطان. ورأى عمر بن عبد العزيز ولده في الموت، فقال: يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك، ولما أسيل دم عثمان على وجهه عند قتله قال: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] اللهم إني أستعين بك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما أبليتني ولما قطعت رجل عروة لأكلة بها لم يتأوه وإنما قال: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ [الكهف: ٦٢] ولم يدع ورده تلك الليلة؛ وقدم فيها على الوليد أعمى فسأله عن شأنه فأخبره أنه كان". (١)

٩٩٠-"وبادر الأمر ما أصبحت في مهل ... من المشيب ومن مداك في فسح

فربما سكنت في الحال عاصفة ... وعاد غور مياه القوم للنضح

وقال بعض الحكماء الأمل كالسراب غر من رآه وخيب من رجاه

وخطب عمر بن عبد العزيز يوما فقال ألا إن لكل سفر زادا فتزودوا التقوى لسفركم من الدنيا إلى الآخرة وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم وإنه والله ما بسط الأمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه

وبين ذلك خطفات المنايا وهجمات المنون وإنما تقرعين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة

وأما من لا يداوي جرحا إلا أصابه جارح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر غباوتي إنكم قد عنيت بأمر لو عيت به النجوم لا نكدرت أو الجبال لذابت أو الأرض لتشققت

أما تعلمون أن ليس بين الجنة والنار منزل وأنكم صائرون إلى أحدهما

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال بينما نحن نصلح خصا لنا إذ مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فقلنا يا رسول الله قد وهى فنحن نصلحه فقال ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك ذكره الترمذي

والخص بيت من قصب يريد عليه السلام تعجيل الأمر وتقريبه وخوف بغتته والحذر من فجأته

وقيل للحسن البصري رحمه الله تعالى يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك فقال الأمر أعجل من ذلك وكان الحسن رحمه الله

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٦٨/١

تعالى قصير الأمل طويل". (١)

٩٩١-"الخوف وكان يأتي عليه الأحيان يظن الظان أن الموت قد نزل به وأنه في سياقه من كثرة تفكره فيه وتخيله له وقال داود الطائي رحمه الله تعالى لو أملت أن أعيش شهرا لرأيت أني قد أتيت عظيما وكيف آمل ذلك وأنا أرى الفجائع تنزل بالخلائق آناء الليل والنهار

وقيل للربيع بن خيثم رحمه الله تعالى كيف أصبحت فقال كيف يصبح رجل إذا أصبح لا يدري أنه يمسي وإذا أمسى لا يدري أنه يصبح

امتثل الربيع رحمه الله الحديث المروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي وقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور فإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن غناك لفقرك ومن صحتك لسقمك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا

وقوله إذا أصبحت الكلام إلى آخره أكثر ما يروى من قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

ذكر الحديث الترمذي وغيره

وقال آخر ابن عباس رضي الله عنهما ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب كتبه إلي علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وهو أما بعد فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ولا بما فاتك منها ترحا ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل فكأن قد نزل بك الأجل والسلام

وقال بعض الحكماء في موعظة له كلنا نتيقن الموت وما نرى له منا". (٢)

٩٩٢-"وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب الله عليه البقاء ولا بقاء لما كتب الله عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل

وفي بعض الخطب المروية أيها الناس إن الآمال تطوى والأعمار تفنى والأبدان تحت التراب تبلى وإن الليل والنهار يتراكضان كتراكض البريد يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما يلهي عن الشهوات ويسلي عن اللذات ويرغب في الباقيات الصالحات

وفي بعض الخطب أيضا أكثروا من ذكر هادم اللذات الموت فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم فرضيتم به فأجرتم وإن ذكرتموه في غنى نغصه عليكم فجدتم به فأثبتم إن المنايا قاطعات الآمال والليالي مدنيات الآجال وإن المؤمن بين يومين يوم

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٦٦

(٢) العاقبة في ذكر الموت ص/٦٧

قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه ويوم قد بقي لعله لا يصل إليه إن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلف ولعله من باطل جمعه أو من حق منعه

وقال بعض الحكماء إن للباقي بالماضي معتبرا وللآخر بالأول مزدجرا والسعيد لا يغتر بالطمع ولا يركن إلى الخدع ومن ذكر المنية نسي الأمنية ومن أطال الأمل نسي العمل وغفل عن الأجل

وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل فتنتم أنفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء أمر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال الشيطان

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى يزيد بن عبد الملك إياك أن تدركك الصرعة عند الغرة فلا تقال العثرة ولا تمكن من الرجعة ولا يحمدك من خلفت على ما تركت ولا يعذرك من تقدم عليه بما به اشتغلت". [١]

٩٩٣-"وقال بعض البلغاء لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة فإن الدهر خائن وكل ما هو كائن كائن

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما منكم من أحد إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة

وقال الحسن البصري رحمه الله يا عجبا لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وحشر أولهم على آخرهم وهم مع ذلك قعود يلعبون

وقال بعض الحكماء ليس من الدين عوض ولا من الإيمان بدل ولا من الجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيها الناس اتقوا الله الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم وبادروا الموت الذي إن قمتم أخذكم وإن هربتم أدرككم

وكان عبد الله بن ثعلبة يقول في موعظته تضحك يا هذا ولعل أكفانك عند القصار

وقال بعض الحكماء كل يجري من عمره إلى غاية تنتهي إليها مدة أجله وتنطوي عليها صحيفة عمله فخذ من نفسك لنفسك وقس يومك بأمسك وكيف عن سيئاتك وزد في حسناتك قبل أن تستوفي مدة الأجل وتقصر عن الزيادة في السعي والعمل

وفي كلام بعضهم أعلم رحمك الله أن أمانيك سترد عليك وترجع خائبة إليك وان الساعات تهدم في جسدك وربما عاجلتك المنية في ساعتك أو في يومك أو في غدك فأوقفتك على غشك وظلمك وأطالت في كربك وزادت في غمك وأرتك ما لم تعهد وأشهدتك مشهدا ما مثله مشهد

وأنشد

مرادك لا يصح ولا يتم ... إذا ما كنت للدنيا تدم

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٨٧

وما فرقت منها من أمان ... فلست وإن أصبت لها تضم
وما تبنيه في دنياك هذي ... ستلقاه من الأيام هدم". (١)

٩٩٤-"أهل القبور إنما يندمون على ما يتركون ويفرحون بما يقدمون فما عليه أهل القبور يندمون أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه يتزاحمون

وقال محمد بن أبي توبة رحمه الله أقام معروف الكرخي رحمه الله الصلاة ثم قال لي تقدم فقلت إن صليت لكم هذه الصلاة لم أصل لكم غيرها فقال لي أراك تحدث نفسك أنك تعيش حتى تصلي صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويل لمن كانت الدنيا أمله والخطايا عمله عظيم بطنته قليل فطنته عالم بأمر دنياه جاهل بأمر آخرته

وقال العلاء بن زياد رحمه الله تعالى لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت وأنه استقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله

وقال بعض الحكماء عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على نقصان عمره وعجبت ممن الدنيا مدبرة عنه والآخرة مقبلة عليه كيف يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة

وقال بعضهم أيها الناس إن لكم معالم تستبقون إليها وإن لكم موارد تردون عليها وإن الجديدين يسيران بكم وإن لم تسيروا ويسرعان بكم وإن لم تسرعوا وإن قصاراكم الموت وإن بعد الشأو وامتدت الغاية وطال المدى

فرحم الله امرأ أضمر نفسه للسباق وساقها إلى الغاية أشد مساق واستعد للموت قبل هجومه واخذ حذره منه قبل قدومه وانفد دموعه على ما تقدم قبل أن تزل به القدم ويؤخذ بما علم وبما لم يعلم

وأنشد بعضهم من كلمة له

لمن ورقاء بالوادي المريع ... تشب به تباريح الضلوع
على فينانة خضراء يصفو ... على أعطافها وشي الربيع". (٢)

٩٩٥-"تردد صوت باكية عليها ... رماها الدهر في الأهل الجميع
فشتت شملها وأدال منه ... غراما عاث في قلب صريع
عجبت لها تكلم وهي خرسا ... وتبكي وهي جامدة الدموع
فهمت حديثها وفهمت أني ... من الخسران في أمر شنيع
أتبكي تلك إن فقدت أنيسا ... وتشرب منه بالكأس الفظيع

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٨٨
(٢) العاقبة في ذكر الموت ص/٩٠

وها أنا لست أبكي فقد نفسي ... وتضييعي الحياة مع المضيع

ولو أني عقلت اليوم أمري ... لأرسلت المدامع بالنجيع

إلا يا صاح والشكوى ضروب ... وذكر الموت يذهب بالهجوع

لعلك أن تعير أخاك دمعا ... فما في مقلتيه من دموع

وقال بلال بن سعد رحمه الله يقال لأحدنا تريد أن تموت فيقول لا فيقال له لم فيقول حتى أتوب وأعمل صالحا فيقال له اعمل فيقول سوف أعمل فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدنيا

وقال بعض الحكماء السعيد من صرف الله أمله إلى ما يبقى وقطعه عما يفنى وأعانه في دار الفناء على عمارة دار البقاء

والويل الطويل والحسرة التي لا تزول لمن أعرض ونأى ولم ينه نفسه عن الهوى وإن كان الكل من الله عز وجل فاللوم متوجه على المقصر وقد بدت عليه علامة البعد وظهرت من أفعاله أمارة الطرد

وقال عيسى بن مريم عليه السلام عجبت لثلاثة لغافل وليس بمغفول عنه ومؤمل دنيا والموت يطلبه وبان قصرا والقبر مسكنه

وقال بعض الحكماء ما انقضت ساعة من يومك إلا بقطعة من عمرك ونصيب من جسمك". (١)

٩٩٦-"فسترى صنعي بك قال فيفسح له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري إلي فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنعي بك قال فيلتئم عليه حتى يلتقي عليه وتختلف أضلاعه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابع يديه فأدخل بعضها في بعض وقال ويقيض الله له سبعين تنينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يبعث إلى الحساب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار

وروى أبو الحجاج الثمالي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت إذا وضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود وما غرك بي إذ كنت تمر بي فدادا قال فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول القبر فإني إذن أعود عليه خضرا ويعود جسده نورا ويصعد روحه إلى رب العالمين

ذكر هذا الحديث أبو أحمد الحاكم في كتاب الكنى وذكره أيضا قاسم بن أصبغ

قيل لأبي الحجاج ما الفداد قال الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى يعني الذي يمشي مشية المتبختر

وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته تقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الغربة هذا ما أعددت لك يا ابن آدم فماذا أعددت لي

وقال بعض الحكماء أربعة أبحر لأربعة الموت بحر الحياة والنفس بحر الشهوات والقبر بحر الندامات وعفو الله بحر

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/٩١

الخطيئات". (١)

٩٩٧-"أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرني محمد بن الحسين الآبري قال: سمعت فارس بن عيسى، يقول: سمعت يوسف بن الحسين، يقول: سمعت ذا النون، يقول: " وجدت صخرة بيت المقدس عليها أسطر. فجئت بمن ترجمها فإذا عليها مكتوب: كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل قال أبو سليمان أنشدني بعض أهل المعرفة:

[البحر المتقارب]

فإن كنت قد أوحشتك الذنوب ... فدعها إذا شئت واستأنس

قال: وأنشدني رجل فاضل من أهل زماننا لنفسه في كلمة له:

ويأنس من وحدة العارفين ... فأوحش من وحدة الجاهل

قال بعض الحكماء: إنما يستوحش الإنسان بالوحدة لخلاء ذاته وعدم الفضيلة من نفسه فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه، بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويتفرغ لاستخراج الحكمة. وقال بعضهم: الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس". (٢)

٩٩٨-"أخبرنا أبو سليمان قال حدثنا أحمد بن إبراهيم بن مالك قال: حدثنا بشر بن موسى قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا يحيى بن سعيد، أنه سمع أبا طوالة، يحدث عن نهار العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله تبارك وتعالى ليسأل العبد حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره فإذا لقن الله عبدا حجته قال: يا رب رجوتك وخفت الناس" قال أبو سليمان هذا طريق في الرواية يرتضيه أهل النقل من أهل الحديث فعلى هذا لا يحرج المرء إن شاء الله إن ترك أن يتعرض لأهل المنكر إذا خاف عاديتهم ولم يأمن بوائقهم ما دام كارها لفعلهم بقلبه ومصارما لهم بعزمه ونيته ثم اعلم يا أخي أن عامة أهل هذا الزمان قد ساءت رغبتهم وقلت آدابهم وغلظت محنتهم على من يعاشرهم لأن موقفه فيهم بين أن يخونهم فيسالمهم وبين أن لا يصون نفسه فيناصحهم وقد كانوا والناس ناس والزمان زمان يستشنعون الحق ويستمرون طعم النصح ويتنكرون لمن يهدي إليهم عيوبهم ويصدقهم عن أنفسهم، فما ظنك بهم الآن مع فساد هذا الزمان الكلب المتقلب أتراهم يذعنون للحق ويصيخون إلى النصح كلا إنك إلى أن تفسد بهم يخضعون أقرب منهم يستمعون إلى أن يصلحوا بك. وقد **قال بعض الحكماء**: من قابل الكثير من الفساد باليسير من الصلاح -[٣٢]- فقد غر نفسه، مثاله أن يميل جدار فيأتيه رجل فيدعمه بيده ليقيمه فإنه يوشك أن يسقط عليه فيكون فيه تلفه. بلى إذا وجد أعوانا وآلة فدعمه بأعمدة وردفه بقوائم من خشب ونحوها كان جديرا أن يستقل

---

(١) العاقبة في ذكر الموت ص/١٨٩

(٢) العزلة للخطابي ص/١٧

ويثبت وكان الرجل حقيقا أن يسلم وينجو قال أبو سليمان فانظر رحمك الله وتأمل هل تجد اليوم أعوانا على المعروف ودعاة إلى الخير ونهاة عن المنكر فإن كنت لا تظفر بهم ولا تقدر عليهم فانج برأسك ولا تغرر بنفسك إن رضي الناس غاية لا تدرك قد أعيا الأولين دواؤهم وانقطعت فيهم حيلهم فما حاجتك إلى عناء لا غناء له وتعب لا نجح فيه وما أريك بصحبة قوم لا تستفيد بلقيهم علما ولا بمشهدهم جمالا ولا بمعونتهم مالا إذا تأملتهم حقا وجدتهم إخوان العلانية أعداء السريرة إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم شبعوك. من أتاك منهم كان عليك رقيبا ومن خرج قام بك خطيبا. أهل نفاق وخديعة وأصحاب نقل ونميمة وإخوان بهت وعظيمة. لا يغرنك ما ترى من احتشادهم عندك وازدحامهم عليك ولا تتوهمن أن بهم تعظيما لعلمك أو تقديما لحقك إن عظم ما يقودهم اليوم إلى مجالس العلماء ويحشرهم إلى أبوابهم الرغبة في منال لمآربهم وسلما إلى أوطارهم وحميرا لحاجاتهم فهم المساكين بين شرين منهم ومن تكاليفهم: إن أسعفوهم ببعضها أضجروهم بكثرة توابعها وآذوهم وإن امتنعوا عليهم فيها شنعوهم وعادوهم ثم إنهم على ذلك يلزمونهم بدالة المعرفة أن يهدفوا لهم أغراضهم فيخاصموا عنهم من خاصمهم ويعادوا من عاداهم وينازلوا من نازلهم فيصيرون، من حيث قدروا أنهم فقهاء سفهاء، ومن حيث ظنوا أنهم متبوعون رؤساء أتباعا أخساء، فمن أخسر صفقة وأشد بلية من هؤلاء معهم أليس الفرار منهم حقا واجبا والتخلص من بينهم غنما؟ بلى إنه لكذلك وبحق ما قيل: اعتزال العامة مروءة تامة قال أبو سليمان ومن مناقب العزلة أنها تحسم عنك أوهام المتجنين وتقطع -[٣٣]- مواد شكايات المتجرمين. وذلك أن طباع الناس متفاوتة متعادية وهممهم مختلفة ووساوس صدورهم كثيرة وإن سوء ضمائرهم يصور لهم ويوحي إلى قلوبهم أن اجتماع كل طائفة من الناس وتناجي كل شرذمة منهم إنما هو في التنفير عنهم والبحث عن عيوبهم أو في تبييت رأي ودسيس غائلة عليهم ويغلب هذا الظن خصوصا على من يحس من نفسه بتهمة ويعرف عند الناس بريبة، وقد وصف الله عز وجل المنافقين بذلك فقال عز وجل ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [المنافقون: ٤] وما أحسن قول المتنبي في أهل هذه الصفة حين يقول:

[البحر الطويل]

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته ... وأصبح في ليل من الشك مظلم

قال بعضهم: معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار فمن اعتزل الناس وانقطع عن مجالستهم فقد أحسن في هذا الباب الدفاع عن نفسه واستظهر بالاحتياط في طلب السلامة لها. ومما يقطع بها عنك مواد الشكايات أنك إذا عرفت بها لم تستبطئ في حق إذا فاتك من عيادة أو شهود جنازة أو حضور أملاك أو وليمة أو نحوها فإن الناس إذا فقدوك عذروك وإذا وجدوك عذلوك واستقصوك وقد تكون للإنسان في بعض الأوقات أعذار لا تفصح بها الأخبار. وقد روينا فيما مضى من هذا الكتاب عن مالك بن أنس، أنه كان يشهد الجنائز ويعود المرضى ويؤدي الحقوق ثم ترك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول: ليس كل عذر يتهيأ للمرء أن يخبر به ويطلع الناس عليه قال: وفي العزلة السلامة من قرين السوء وصاحب

السوء وعشير السوء. وقد شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرق النار". (١)

٩٩٩-"فقال عليه السلام: «مثل جليس السوء كمثل الكير إن لم يحرق بشرره علق بك من ريحه» أخبرنا أبو سليمان قال: حدثنا ابن مالك قال: حدثنا بشر بن موسى قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا بريدة بن عبد الله بن أبي بردة -[٣٤]-، عن، عن جده ميرم بن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم **وقال بعض الحكماء**: إنك لن تصلح أبدا حتى تصلح جليسك قال: وأنشدني بعض أهل العلم:

[البحر الطويل]

إذا كنت من أهل العفاف فلا يكن ... قرينك إلا كل من يتعفف

وقد أفردنا لهذا بابا في الكتاب. قال أبو سليمان وفي العزلة السلامة من التبذل لعوام الناس وحواشيهم والتصون عن ذلة الامتهان منهم، وأمان الملام عند الصديق، واستحداث الطراءة عند اللقاء، فإن كل موجود مملول وكل ممنوع مطلوب". (٢)

١٠٠٠-"أخبرنا أبو سليمان قال: حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال: حدثنا عبد الله بن أيوب قال: حدثنا علي بن الجعد قال: أخبرنا مالك، عن الزهري، عن علي بن الحسين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» قال أبو سليمان **قال بعض الحكماء**: من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، ومن لم يستغن بما يكفيه فليس في الدنيا شيء يغنيه". (٣)

١٠٠١-"أخبرنا أبو سليمان قال: وأخبرني أبو عمر قال: أخبرنا أبو العباس ثعلب، عن ابن الأعرابي قال: العرب تقول: «أنت تئق وأنا مئق، فمتى نتفق» قال أبو سليمان أنشدونا لعبيد الله بن عتبة فقال:

[البحر الطويل]

تبين وكن مثلي أو ابتغ صاحبا ... كمثلك إني مبتغ صاحبا مثلي

ولن يلبث الأقران أن يتفرقوا ... إذا لم يؤلف روح شكلك من شكلي

قال بعض الحكماء: عماد المودة المشاكلة وكل ود عن غير تشاكل فهو سريع التصرم. وأحسن الطائي حين يقول:

[البحر الطويل]

ولن تنظم العقد الكعاب لزينة ... كما تنظم الشمل الشتيت الشمائل

---

(١) العزلة للخطابي ص/٣١

(٢) العزلة للخطابي ص/٣٣

(٣) العزلة للخطابي ص/٤٣

وكان نقش خاتم بعض الحكماء: من ودك لأمر ولى مع انقضائه"". [١]

١٠٠٢-"أخبرنا أبو سليمان قال: حدثنا ابن الأعرابي قال: حدثنا محمد بن سعيد بن غالب قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي قال: حدثنا الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا ذات يوم وقدامه قوم يصنعون شيئا كرهه من كلام ولغط فقيل: يا رسول الله، ألا تنهاهم؟ فقال: «لو نهيتهم عن الحجون لأوشك بعضهم أن يأتيه وليست له حاجة» قال أبو سليمان قد أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القول أن الشر طباع في الناس، وأن الخلاف عادة لهم، وحض بذلك على شدة الحذر منهم وقلة الثقة بهم. **وقال بعض الحكماء**: الشر في الناس طباع، وحب الخلاف لهم عادة، والجور فيهم سنة ولذلك تراهم يؤذون من لا يؤذيهم ويظلمون من لا يظلمهم ويخالفون من ينصحهم قال أبو سليمان أخبرني بعض أصحابنا عن ابن الأنباري، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: قال الأصمعي: قيل لرجل أتؤذي جيرانك؟ قال: فمن أوذي أوذي من لا أعرف؟". [٢]

١٠٠٣-"إن الرجاء الذي قد كنت آمله ... جعلته ورجاء الناس في كفن

قال وروي لذي النون المصري:

[البحر البسيط]

ملكت نفسي وذاك ملك ... ما مثله للملوك ملك

فصرت حرا بملك نفسي ... فما لخلق علي ملك

قال أنشدني محمد بن العباس المؤدب قال: أنشدني الحدادي في الإقلال من صحبة السلطان:

[البحر البسيط]

إن الملوك بلاء حيث ما حلوا ... فلا يكن لك في أكنافهم ظل

ماذا تؤمل من قوم إذا غضبوا ... جاروا عليك وإن رضيتهم ملوا

وإن نصحتهم ظنوك تخدعهم ... واستثقلوك كما يستثقل الكل

فاستغن بالله عن أبوابهم كرما ... إن الوقوف على أبوابهم ذل

قال أبو سليمان وكان العتابي لا يقرب السلطان ولا يستميحه فقيل له: هذا محمد الأمين يهب ما بين العشرة الآلاف والمائة ألف وأنت ربما تحتاج إلى عشرة دراهم فكيف لا تقصده؟ فقال: لأني رأيته يهب العشرة الآلاف من غير سبب ويردي الرجل من السور من غير سبب فلست أدري أي الرجلين أكون عنده وليس الذي أغرر به كالذي آمله منه. قال أبو سليمان بعث بعض العمال إلى أبي عمر صاحب أبي العباس رسولا يقول له: أخبرني بمقدار ما يمر لك في النفقة في سنة

---

(١) العزلة للخطابي ص/٥٢

(٢) العزلة للخطابي ص/٥٨

حتى أجريه لك فقال للرسول: قل له عافاك الله أنا في جراية من إذا سخط علي لم يسقط جرايتي. قال أبو سليمان **قال بعض الحكماء**: إن الذي يحدث للسلطان التيه في أنفسهم والإعجاب بآرائهم كثرة ما يسمعونه من ثناء الناس عليهم، ولو أنهم أنصفوهم فصدقوهم عن أنفسهم لأبصروا الحق ولم يخف عليهم شيء من أمورهم". (١)

١٠٠٤-"**قال بعض الحكماء**: خير السلطان زيادة في الحال وشره هلاك واستئصال". (٢)

١٠٠٥-"تلك الكبائر غالبا ما يكون استجلاب دنيا أو دفع نقصها. فمن قنع برزقه لا يحتاج إلى ذلك الإثم، ولا يداخل قلبه حسد لإخوانه على ما أوتوا؛ لأنه رضي بما قسم له.

قال ابن مسعود - رضي الله عنه- "اليقين ألا ترضي الناس بسخط الله؛ ولا تحسد أحدا على رزق الله، ولا تلم أحدا على ما لم يؤتك الله؛ فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره؛ فإن الله تبارك وتعالى- بقسطه وعلمه وحكمته جعل الروح (١) والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط" (٢) .

وقال بعض الحكماء: "وجدت أطول الناس غما الحسود، وأهنأهم عيشا القنوع " (٣) .

٦ - حقيقة الغنى في القناعة: ولذا رزقها الله- تعالى- نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وامتن عليه بها فقال- تعالى- ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾ [الضحى: ٨] فقد نزلها بعض العلماء على غنى النفس؛ لأن الآية مكية، ولا يخفى ما كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تفتح عليه خيبر

---

(١) أي: الراحة. انظر: القاموس (٢٨٢) مادة (روح) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في اليقين (١١٨) .

(٣) القناعة لابن السني (٥٨) عن موسوعة نضرة النعيم (٣١٧٣) .". (٣)

١٠٠٦-"الدنيا؟ فقال: هي وإن أدنتني منها فقد صانتني عنها". **وقال بعض الحكماء**: "من أصلح ماله فقد صان الأكرمين: الدين والعرض ".

٣ - أن يطلب الزيادة ويقتني الأموال ليدخرها لولده، ويخلفها لورثته، مع شدة ضنه على نفسه، وكفه عن صرف ذلك في حقه، وإشفاقا عليهم من كدح الطلب، وسوء المنقلب. وهذا شقي بجمعها، مأخوذ بوزرها، قد استحق اللوم من وجوه لا تخفى على ذي لب، منها:

---

(١) العزلة للخطابي ص/٩٥

(٢) العزلة للخطابي ص/٩٦

(٣) القناعة مفهومها منافعها الطريق إليها ص/١٠

أ- سوء ظنه بخالقه: أنه لا يرزقهم إلا من جهته.

ب- الثقة ببقاء ذلك على ولده مع نوائب الزمان ومصائبه.

ج- ما حرم من منافع ماله، وسلب من وفور حاله، وقد قيل:

"إنما مالك لك أو للوارث أو للجائحة؛ فلا تكن أشقى الثلاثة".

د- ما لحقه من شقاء جمعه، وناله من عناء كده حتى صار ساعيا محروما، وجاهدا مذموما.

هـ- ما يؤاخذ به من وزره وآثامه، ويحاسب عليه من تبعاته وإجرامه. وقد حكي أن هشام بن عبد الملك لما ثقل بكى ولده عليه، فقال لهم: "جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما كسب، وتركتم عليه ما اكتسب، ما أسوأ حال هشام إن لم يغفر الله له! " وقال رجل للحسن - رحمه الله تعالى-: "إني أخاف الموت وأكرهه، فقال: إنك خلفت مالك، ولو قدمته". (١)

١٠٠٧-"مروءة السائل أن لا يلح على أخيه في الحاجة ومروءة المسؤول أن يسرع إلى الحاجة قبل أن يلح عليه فيها وقال خالد بن صفوان من المروءة أن لا يزوج الرجل كريمته الا من ذي حسب ودين وقال صالح بن جناح أصل المروءة الحزم وثمرتها الظفر وإذا طلب رجلان أمرا ظفر به أعظمهما مروءة **وقال بعض الحكماء** المروءة ان تغلب خير الرجل شرة **وقال بعض الحكماء** وأصاب حيث يقول الناس أعداء ما جهلوا

٩٠- أخبرنا محمد حدثنا حماد بن إسحاق حدثنا علي بن محمد القرشي قال احتجم الحسن بن أبي الحسن فأعطى الحجام دراهم فقيل". (٢)

١٠٠٨-"كان فتي من طئ يجلس الي الاحنف، وكان يعجبة، فقال لة يوما: يا فتي، هل تزين جمالك بشئ؟ قال: نعم، اذا حدثت صدقت، واذا حدثت استمعت، واذا عاهدت وفيت، واذا وعدت انجزت، واذا اؤتمنت لم اخن. فقال الاحنف: هذة المروءة حقا!

. قال افلاطون:

من تمام مروءة الرجل كتمانة السر، ورفعة التاويل، وقبول الجميل علي ظاهرة.

. **قال بعض الحكماء:**

من المروءة اجتنابك ما يشينك، واختبارك ما يزينك.

. وفي مخطوطة " خالصة الحقائق ":

قال الفضيل: المروءة الاستغناء عن الناس.

---

(١) القناعة مفهومها منافعها الطريق إليها ص/٢٣

(٢) المروءة ص/٧١

. وقال بعضهم: المروءة صدق اللسان، واحتمال عثرات الاخوان، وبذل المعروف لاهل الزمان، وكف الاذي عن الجيران
. وقال بعضهم: المروءة ثلاثة اشياء: الخلق، الصدق، والرفق.". (١)

١٠٠٩-"قال بعض الحكماء لا يصبر على المروءة الا ذوي طبيعة كريمة وقال طلحة بن عبيد الله بن قناش كنت يوما في مجلس حديث وانس بحضرة سيف الدولة انا وجماعة من ندمانه فادخل اليه رجل وخاطبة ثم امر بقتلة فقتل في الحال فالتفت الينا وقال ما هذا الادب السئ وما هذة المعاشرة القبيحة التي نعاشر ونجالس بها كأنكم ما رأيتم الناس ولا سمعنم اخبار الملوك ولا عشتم في الدنيا ولا تأدبتم بأدب دين ولا مروءة وقال فتوهمنا انه قد شاهد من بعضنا حالا يوجب هذا فقلنا كل الادب انما يستفاد من مولانا اطال الله بقاءة وما علمنا انا عملنا ما يوجب هذا فان راي ان ينعم بيتنبيهنا فعل فقال اما رايتموني وقد امرت بقتل رجل مسلم لا يجب علية القتل وانما حملتني السطوة والسياسة لهذة النكدة على امر به طمعا في ان يكون فيكم رجل رشيد فيسألني العفو عنه فاعفو وتقوم الهيبة عندة وعند غيرة فامسكنم حق اريق دم الرجل وذهب هدرا قال فاخذنا تعتذر الية وقلنا لم نتجاسر على ذلكفقال ولا في دماء؟ ليس هذا عذرا". (٢)

١٠١٠-"وقبل لبعض الحكماء ما المروءة قال طهارة البدن والفعل والحسن وقال بعضهم ومن سلك المروءة سبيلا اصاب الى كل خير دليلا وسئل بعضهم أي الحلال اجمع للخير وابعد من الشر واحمد للعقبى فقال الجنوح الى التقوى والتحيز الى فئه المروءة
وقال بعض العلماء اتق مصارع الدنيا بالتمسك بحبل المروءة واتق مصارع الاخرى بالتعلق بحبل التقوى تفز بخير الدارين وتحل ارفع المنزلتين قال الشاعر
كمال المروءة صدق الحديث ... وستر القبيح عن الشامتينا
واسباب المروءة انما هر مرتبطة بشرف النفس وعلو الهمة واذا اجتمعنا لم يتفرقا
قال بعض الحكماء المروءة سجيه جبلت عليها النفوس الزكية وشيم طبعت عليها الهمم العلية وضعفت عنها الطبائع الدنيه فلم تطق حمل اشراطها السنيه
للمروءة وجوب واداب لا يحصرها عدد ولا حساب زقلما اجتمعت شروطها قط في الانسان ولا اكتملت وجوهها فى بشر فان كان ففي الانبياء وصلوات الله عليهم دون سائرهم واما الناس فعلى مراتب". (٣)

(١) المروءة ص/١١١
(٢) المروءة ص/١١٨
(٣) المروءة ص/١٣٢

١٠١١-"بقدر ما احرز كل واحد منهم من خصالها واحتوى عليه من خلالها **قال بعض الحكماء** لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلوى ولا المروءة فتشمت بك الاعداء قال الشاعر

من فارق الصبر والمروءة ... امكن من نفسه عدوة

قيل لسفيان بن عيينه قد استنبطت من القرأن كل شيء فاين المروءة فيه فقال في قولة تعالي " خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين " ففيه المروءة وحسن الادب ومكارم الاخلاق فجمع في قولة " خذ العفو " صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من اخلاق المطيعين ودخل في قولة وامر بالمعرف " صلة الارحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الابصار والاستعداد لدار القرار ودخل في قولة واعرض عن الجاهلين الحض على التخلق بالحلم والاعراض عن اهل الظلم والتنزة عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والاغبياء وغير ذلك من الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة وقال الله تعالى " وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض" وفيها عين المروءة وحقيقتها". (١)

١٠١٢-"قال بعضهم

ومن المروءة للفتى ... ما عاش دار فاخره

فاقنع من الدنيا بها ... وأعمل لدار الآخره

ودار الرجل عشه وفيها عيشه وهي مقر نفسة وماوى اهلة ومحرز ماله وموضع انسه ومجمع مروءته

قال ابو الحسن القزويني من المروءة ان يقعد الرجل في بابا دارة وينظر في دفتر

وقالوا زاذا اجتمع في الدار الحمام والقصر والبستان وخزانه الكتب فقد اجتمع فيها المروءة وقال بعض السلف المروءة اصلاح المال وحسن التدبير وتعاهد الصنيعة والافضال على الاخوان وقال منصور المروءة ان تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا وقال مسلمة بن عبد الملك ما اعان على مروءة المرء كالمراة الصالحة قال الشاعر

اذا لم يكن في منزل المرء حرة ... مدبرة ضاعت مروءة دارة ...

وقال بعض الحكماء المروءة ان لا تبهل ولا تسب ولا تسن". (٢)

١٠١٣-"والترك له جهل!.

وقد **قال بعض الحكماء**: عليك بالعلم والإكثار منه، فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير، وكثيره أشبه شيء بكثيره، ولن يعيب الخير إلا القلة، فأما كثرته فإنها أمنية)) اهـ.

ومن فوائد الاستمرار في طلبه ودوام التزيد منه ما ذكره ابن الجوزي في ((صيد الخاطر)) (١) قال: ((أفضل الأشياء التزيد

---

(١) المروءة ص/١٣٣

(٢) المروءة ص/١٣٥

من العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافيا استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعا من الاستفادة. والمذاكرة تبين له خطأه ...)) .

---

(١) (ص/ ١٥٨) .

وأنشد بعضهم في طلب الاستزادة من العلم، وعدم الاقتصار على فن:

احرص على كل علم تبلغ الأملا ... ولا تواصل لعلم واحد كسلا

النحل لما رعت من كل فاكهة ... أبدت لنا الجوهرين: الشمع والعسلا

الشمع بالليل نور يستضاء به ... والشهد يبري بإذن البارىء العللا

من ((درة الحجال)) : (٣/ ٤٩) .". [١]

١٠١٤-"واعلم أن جمهور العصاة اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، ونسوا أنه شديد العقاب، وظنوا أن رحمة الله من جنس الرقة فقاسوها برحمة الخلق، والآدمي إذا رأى عدوه يعذب رق له، ورحمة الله ليست من هذا الجنس. وأما من طلب العفو مع الإصرار فهو كالمعاند المتهاون بالوعيد.

قال معروف الكرخي: (رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق) .

وقد **قال بعض الحكماء**: من قطع أشرف عضو منك في الدنيا بسرقة خمسة قراريط، فلا يأمن أن يكون عقابه في الآخرة على نحو هذا.

ومن عرف أن الخليل يسأل يوم القيامة في أبيه فلا يجاب، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل في أمه فلم يقبل، فينبغي أن يكون على قلق، وإلى هذا المعنى أشار الحسن بقوله لما قيل له: نراك طويل البكاء؟ فقال: ((أخاف أن يطرحني في النار، ولا يبالي)) .

وقد يعاقب الإنسان على المحتقر فلهذا لزم تقديم التخويف.

١- أخبرنا أبو محمد عبد الله بن علي المقري قال: أخبرنا طراد بن محمد الزينبي قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران قال: أخبرنا الحسين بن صفوان قال: ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي قال: حدثني أحمد بن إبراهيم عن علي بن شقيق عن ابن المبارك عن سعيد بن زيد قال: سمعت معلى بن زياد يقول: سأل المغيرة بن مخادش الحسن فقال:

-[٣٠]-

((يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام يحدثونا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال: أيها الشيخ، والله لأن تصحب أقواما

---

(١) المشوق إلى القراءة وطلب العلم ص/٢٥

يخوفونك حتى تدرك أمنا خيرا لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف)) .". (١)

١٠١٥-"وسأل معاذ رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل، فأخرج لسانه، ووضع يده عليه.

وأوصى علي ابن أبي طالب عنه ولده الحسن، فقال له: أمسك عليك لسانك، فان تلاف المرء في منطقه.

وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس يوما، فقال: إن ربكم تعالى يقول: يا ابن آدم، لم تحرض الناس على الخير، وتدع ذلك من نفسك؟ يا ابن آدم، لم تذكر الناس وتنسى نفسك؟ يا ابن آدم، لم تدعوني وتفر مني؟ إن كان كما تقول، فاحبس لسانك، واذكر خطيئتك، واقعد في بيتك.

وفي صحائف إبراهيم عليه السلام: على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه.

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى أنه قال: إذا رأيت قساوة في قلبك، أو وهنا في بدنك، أو حرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك.

وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، من رحم يرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يفعل الخير يغنم، ومن يفعل الشر يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم.

وأنشدوا:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يقتلنك انه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

ويقال: إن جميع الأعضاء تبكر كل يوم للسان، وتقول له: ناشدتك الله تعالى أن تستقيم، فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.

وقال بعض الحكماء: احبس لسانك قبل أن يطول حبسك، وتتلف نفك، فلا شيء أولى بطول حبس من اللسان ليقصر على الصواب ويسرع إلى الجواب.". (٢)

١٠١٦-"**قال بعض الحكماء**: ترك فضول الكلام يثمر النطق بالحكمة، وترك فضول النظر يثمر الخشوع والخشية، وترك فضول الطعام يثمر حلاوة العبادة، وترك الضحك يثمر حلاوة لهيبة، وترك الرغبة في الحرام يثمر المحبة، وترك التجسس عن عيوب الناس يثمر صلاح العيوب، وترك التوهم في الله ينفي الشك والشرك والنفاق.

وأنشدوا:

الصمت نفع والكلام مضرة ... فلرب صمت في الكلام شفاء

---

(١) المقلق لابن الجوزي ص/٢٩

(٢) بحر الدموع ص/١٢٥

فإذا أردت من الكلام شفاء ... لسقام قلبك فالقرآن دواء

واعلم أن التجسس عن عيوب الناس، وتطلب مساوئهم، يبدي العورات، ويكشف المخبآت.

وقد نهى الله عز وجل عن ذلك في كتابه العزيز بقوله: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الحجرات ١٢.

فاتق الله واشتغل بعيوبك عن عيوب الناس، ولا تكن كمثل الذباب الذي لا يعرج على المواضع السليمة من الجسد، ولا ينزل عليها، وإنما يقع على القروح فيدميها.

فمن بحث عن مساوئ الناس واتبع عوراتهم، واشتغل بعيب غيره، وترك عيبه، سلط الله تعالى عليه من يبحث في عيبه ومساوئه ليشهرها، ويتبع عورته ويبديها وينشرها (١) .

فالعاقل السعيد من نظر في عيبه، وشغل بذلك عن عيوب غيره، وعن كل شيء سوى الله تعالى.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى، أنه قال:

---

(١) أبو داود ٤٨٨٠.". [١]

١٠١٧-"وقال صلى الله عليه وسلم: "شر عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة" (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة قتات" (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم: "من مشى بين اثنين بالنميمة، سلط الله عليه نارا في قبره تحرقه إلى يوم القيامة. وحية تنهشه حتى يدخل النار".

قال صلى الله عليه وسلم: "من ألقى بين اثنين عداوة، فليتبوأ مقعده من النار، ومن أصلح بينهما، فقد وجبت له على الله الجنة".

قال بعض الحكماء: النميمة تهدي إلى القلوب البغضاء، ومن واجهك فقد شتمك، ومن نقل إليك فقد نقل عنك، والساعي بالنميمة كاذب لمن يسعى إليه، وخائن لمن يسعى به.

قال الشاعر:

احفظ لسانك لا تؤذي به أحدا ... من قال في الناس عيبا قيل فيه بمثله

قال الأصمعي: شاهدت أعرابية وهي توصي ابنها، فقالت: يا بني، أمنحك وصيتي وبالله التوفيق، فإياك والنميمة، فإنها تورث العداوة بين الأهلين، وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب، فتصير لها أهلا، وإياك والجود بدينك، والبخل بمالك، ومثل لنفسك مثالا من غيرك، فما استحسنته من الناس فافعله، وما استقبحته منهم فاجتنبه، فان المرء لا يرى عيب نفسه.

ثم أمسكت، فقلت: يا أعرابية، بالله إلا زدتيه، فقالت: يا حضري، أعجبك كلام العرب؟ فقلت: أى والله.

---

(١) بحر الدموع ص/١٢٦

فقالت: يا بني، إياك والغدر فانه أقبح ما تعامل به الناس، واجمع بين السخاء والعلم، والتواضع والحياء، وأستودعك الله، وعليكم السلام.

---

(١) إسناده ضعيف. رواه أحمد في المسند.

(٢) مسلم ١٠٥.". [١]

١٠١٨-"عورة، يحاسبونك على النقير والقطمير، ويحسدونك على القليل والكثير، ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان، إن رضوا فظاهرهم الملق، وإن سخطوا فباطنهم الحنق، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب.

هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم، إلا من عصمه الله تعالى؛ فصحبتهم خسران، ومعاشرتهم خذلان.

هذا حكم من يظهر لك الصداقة، فكيف من يجاهرك بالعداوة؟ قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى:

فاحذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق ... فكان اعرف بالمضرة

وكذلك قال أبو تمام:

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي:

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسى من هم العداوات

إني أحيي عدوى عند رؤيته ... لأدفع الشر عنى بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأن قد ملا قلبى مرات

ولست أسلم ممن لست أعرفه ... فكيف أسلم من أهل المودات

الناس داء دواء الناس تركهم ... وفي الجفاء لهم قطع الأخوات

فسالم الناس تسلم من غوائلهم ... وكن حريصا على كسب التقيات

وخالق الناس واصبر ما بليت بهم ... اصم ابكم اعمى ذا تقيات

وكن أيضا كما **قال بعض الحكماء**: الق صديقك وعدوك بوجه الرضا، من غير مذلة لهما ولا هيبة منهما، وتوقر من غير كبر، وتواضع من غير مذلة، وكن في جميع أمورك في أوسطها، فكلا طرفى قصدن الأمور ذميم، كما قيل:

عليك بأوساط الأمور فإنها ... طريق إلى نهج الصراط قويم

ولا تك فيها مفرطا أو مفرطا ... فإن كلا حال الأمور ذميم

---

(١) بحر الدموع ص/١٣٠

ولا تنظر في عطفيك، ولا تكثر إلى وارئك الالتفات، ولا تقف على الجماعات، وإذا جلست فلا تستوفز، وتحفظ من تشبيك أصابعك، وكثرة بصاقك ونخمك، وطر الذباب عن وجهك، وكثرة التمطى والتثاؤب في وجوه الناس في الصلاة وغيرها، وليكن مجلسك هادئا، وحديثك منظوما مرتبا، واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات، ولا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر ما يخصك، ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، وتوق كثرة الكحل والإسراف". (١)

١٠١٩-"(بالاستعاذة من شر الحاسد) بقوله - ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق: ٥]- أي أظهر حسده وعمل بمقتضاه (كما أمرنا بالاستعاذة من شر الشيطان) بنحو قوله تعالى - ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾ [الأعراف: ٢٠٠]- (وقال - صلى الله عليه وسلم - «استعينوا على قضاء الحوائج» دينية ودنيوية جلب نفع أو دفع ضر «بالكتمان فإن كل ذي نعمة» دينية أو دنيوية «محسود» يعني إن أظهرتم حوائجكم حسدوكم فعارضوا في مرامكم، وموضع التحدث ما بعد وقوعها.

قال بعض الحكماء من كتم سره كان الخيار له ومن أفشاه كان الخيار عليه وكم من أظهر سرا أراق دم صاحبه ومنع من بلوغ مآربه ولو كتمه كان من سطوته آمنا ومن عواقبه سالما وبنجاح حوائجه عالما.

وقال بعضهم سرك من دمك فإذا تكلمت أرقته. وقال أنو شروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وفي منشور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه خازنا فيزول ولا جاهلا فيحول لكن من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق ومشورة ناصح فيتحرى له من يأتمنه عليه ويستودعه إياه فليس كل من كان أمينا على الأموال أمينا على الأسرار والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار.

قال الراغب إذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدر ويوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان، والسبب في صعوبة كتمان السر أن للإنسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوق إلى الفعل المختصة به ولولا أن الله تعالى وكل المعطية بإظهار ما عندها لما أتاك بالأخبار من لم تزوده فصارت هذه القوة تتشوق إلى فعلها الخاص بها فعلى الإنسان أن يمسكها ولا يطلقها إلا حيث يجب إطلاقها كذا في الفيض. وقيل اكتم ذهبك وذهابك ومذهبك. وقيل صدور الأحرار قبور الأسرار (خرجه) أي هذا الحديث (طط) الطبراني في الأوسط (دنيا) ابن أبي الدنيا (عن معاذ مرفوعا) قال المناوي أورده ابن الجوزي في الموضوعات وفي سنده سعيد وهو كذاب.

(والسادس التعب والهم) للحاسد (من غير فائدة) إذ لا يغير حسده تقدير الله تعالى (بل مع وزر ومعصية) إن ظهر أثره قولا أو فعلا.

(قال ابن السماك - رحمه الله -) من التابعين (لم أر ظالما أشبه بالمظلوم) في كثرة تعبه وهمه وحزنه (من الحاسد نفس ذائم) أي ذام ومحقر أو معيب أي له نفس ذائم استئناف علة الشبه كذا قيل (وعقل هائم) أي حيران ومتحير (وغم لازم) لا

---

(١) بداية الهداية ص/٦٩

يفارقه يعني نفسه نفس ذائم وعقله عقل هائم وغمه غم لازم.

وفي الإحياء الحاسد لا يخلو أبدا من الغم والهم. وعن معاوية – رضي الله تعالى عنه – يا بني إياك والحسد. فإنه يتبين فيك قبل أن يتبين في عدوك قال أبو الليث ليس شيء من الشر أضر من الحسد يصل إلى الحاسد به خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه: الأولى غم لا ينقطع.

الثانية مصيبة لا يؤجر عليها.

الثالثة مذمة لا يحمد بها.

الرابعة يسخط عليه الرب.

الخامسة يغلق عليه باب التوفيق.

وعن النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – «إن لنعم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» وعن زكريا – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي ساخط لقضائي غير راض بقسمتي بين عبادي.

قال في القشيرية أثر الحسد يتبين فيك قبل أن يتبين في عدوك. وفي بعض الكتب الحاسد عدو نعمتي". (١)

١٠٢٠–"رفع أحدهما رفع الآخر قيل عن الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح، وهو مركب من خير وعفة؛ ولذلك لا يكون المستحيي فاسقا، ولا الفاسق مستحيا لتنافي اجتماع العفة والفسق، وقلما يكون الشجاع مستحيا لتنافي الشجاعة مع الجبن، وفي حديث آخر «الحياء خير كله» وفي آخر «الحياء لا يأتي إلا بخير» ؛ لأن الحياء من الناس يفضي إلى الحياء من الله تعالى.

فإن قيل قد يكون الحياء في الشرعيات كالأمر بالمعروف وتلاوة القرآن والإمامة والوعظ والنصيحة وتبليغ الشريعة، وأداء بعض العبادات قلنا هذا ليس بحياء حقيقة، وإن اصطلحه الناس بل عجز ومهانة وخور إذ كما عرفت أنه خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق الغير.

وقال بعض الحكماء من كسا الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه، وفي حديث آخر «الحياء والعي» أي سكوت اللسان تحرزا عن الوقوع في البهتان «شعبتان من الإيمان» فإن الإيمان يحمله على الحياء فيترك القبائح ويمنع الاجتراء على الكلام خوفا من عثر اللسان والوقيعة في البهتان، وفي حديث آخر «الحياء والإيمان في قرن – أي هما في حبل – فإذا أسلب أحدهما تبعه الآخر» والمراد هو الحياء الشرعي، وأما ما يكون سببا لترك أمر شرعي فمذموم جدا كما عرفت، وفي آخر أيضا «الحياء زينة» ؛ لأنه من فعل الروح والروح سماوي، وعمل أهل السماء يشبه بعضه بعضا في العبودية، والنفس شهواني أرضي ميال إلى شهوة أخرى، وهكذا لا يهدأ، ولا يستقر فأعمالنا مختلفة فمرة عبودية ومرة ربوبية ومرة عجز ومرة اقتدار فإذا ريضت وذللت وأدبت، وكان السلطان والغلبة للروح جاء الحياء، وهو خجل الروح من كل ما لا يصلح في السماء، وذلك يزين

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ٢/٢٥٥

الجوارح الظاهرة والباطنة.

ومنه الوقار والحلم والأناة، وفي حديث آخر «الحياء عشرة أجزاء تسعة في النساء وواحدة في الرجال» كل ذلك من الجامع الصغير وشرحه فيض القدير. (ت عن أنس – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – قال «ما كان الفحش» مثل قبح وزنا، والمعنى: كل شيء جاوز الحد فهو فاحش والقول السيئ. «في شيء إلا شانه» من الشين أي العيب «وما كان الحياء في شيء» من الأقوال والأفعال «إلا زانه» من الزينة عن الطيبي أي لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لشانه أو زانه فكيف بالإنسان، وأشار بهذين إلى أن الأخلاق الرذيلة مفتاح كل شر بل هي الشر كله والحسنة مفتاح كل خير بل هي الخير كله (، وأفضل الحياء الحياء من الله تعالى) ؛ لأنه مانع من مخالفته في الأوامر والنواهي (ثم) الحياء (من الناس فيما لا معصية، ولا كراهة فيه. وأما ما فيه إحداهما كالحياء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك السنن كالسواك)

لا سيما عند الوضوء، وكذا عند كل صلاة، وإن قيل بعدم سنيته عند الصلاة على ما حققنا في رسالة (والطيلسان) هو ثوب يجعل فوق العمامة قال المناوي هو ثوب طويل عريض قريب من الرداء مربع يجعل فوق العمامة إلخ ثم قال هو مندوب اتفاقا ويتأكد لصلاة وجمعة، وعيد ومجمع ويقال له القناع أيضا كما يقال للتطيلس التقنع، وصح عن ابن مسعود التقنع من أخلاق الأنبياء، وفي خبر «لا يقنع إلا من استكمل الحكمة» في قوله وفعله وللطيلسان فوائد جليلة كصلاح الظاهر والباطن واستحياء الله وخوفه إذ شأن الخائف الآبق تغطية الرأس، وكجمعه الكفر؛ لأنه يغطي أكثر الوجه فيجمع همته ويحضر قلبه مع ربه ويمتلئ بشهوده وذكره وتصان جوارحه عن المخالفات ونفسه عن الشهوات، وهذه أسباب لإفاضة أنواع الجلالة والمهابة؛ ولذلك قال بعض: الطيلسان الخلوة الصغرى. انتهى ملخصا.

ثم قال ابن حجر الهيتمي التقنع تغطية الرأس بطرف العمامة وبرداء أو نحو ذلك ليقي نحو العمامة مما به من الدهن وصح أنه – عليه الصلاة والسلام – «أتى بيت أبي بكر للهجرة متقنعا بثوبه» ثم قال أنكر ابن القيم الطيلسان لعدم النقل عنه – عليه الصلاة والسلام –، ولا عن صحابته بل هو فعل الدجال ولإنكار أنس؛ ولكراهة جمع من السلف والخلف ثم قال: وأما فعله – عليه الصلاة والسلام – فلضرورة الاختفاء بلا عادة، وكذا ما روي أنه يكثر التقنع ثم أجاب الهيتمي بأن قوله لم يلبسه يرده خبر «كان يكثر القناع» . وقوله". (١)

١٠٢١–"(دفع ظلم الظالم) كمن أخفى مسلما عن ظالم يريد ظلمه أو أخفى ماله وسئل عنه وجب الكذب بإخفائه وكذا نظائره والحاصل أن الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب وإلا جاز الكذب ثم إن كان المقصود مباحا فالكذب مباح وإن واجبا فواجب كما نقل عن رياض الصالحين للنووي ويؤيده قاعدة للوسائل حكم المقاصد لكن يشكل على المقام بقولهم درء المفاسد أولى من جلب المنافع والمصالح وقولهم لا يتحمل الضرر القوي الكل للوصلة إلى النفع الجزئي وقولهم ترجح المفسدة القوية على الضعيفة عند تعارضهما إذ ضرر عدم ذلك المقصود لا

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ٧٤/٣

سيما عند كونه مباحا ليس بضرر معتد به والكذب كبيرة فانظر (وإحياء الحق) وأيضا نقل عن الرياض ووقع في الجامع خبر «ليس الكذاب» أي ليس يأثم في الكذب «الذي يصلح» بضم الياء «بين الناس» .

قال المناوي يعارضه خبر أنه – عليه الصلاة والسلام – رأى الكذاب يعذب بالنار بالكلاب من حديد قلنا العذاب على الكذاب عام خص منه البعض بهذا الحديث وكذا كل حديث يؤدي إلى خير كما أشار إليه بقوله فينمي أي يبلغ خيرا ويقول خيرا أي يخبر بما عمله من الخير ويسكت عن عمله من الشر فإن ذلك جائز بل محمود بل قد يندب بل قد يجب ثم قال ورخص في اليسير من الفساد لما يؤمل فيه من الصلاح وكل محمود يمكن إيصاله بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام لأن إباحة الكذب إنما هي للضرورة فإذن ليس فيه ضرورة والضرورات تبيح المحظورات وما أبيح للضرورة يتقدر بقدرها ولهذا قيل الكذب مباح لإحياء حقه ودفع الظلم عن نفسه وفي الحديث «الكذب إثم كله إلا ما نفع به مسلم أو دفع به عن دين» قال المناوي لأنه لغير ذلك غش وخيانة ومن ثمة كان الكذب أشد الأشياء ضررا والصدق أشدها نفعا وقبح الكذب مشهور وأجمعوا على حرمته إلا لمصلحة.

قال الغزالي هو من أمهات الكبائر وإذا عرف الإنسان بالكذب سقطت الثقة بقوله وازدرته العيون واحتقرته النفوس قال ومن الكذب الذي لا إثم فيه ما اعتيد في المبالغة كجئت ألف مرة ومما اعتيد في الكذب أن يقول لا أشتهي الطعام عند تكليف الأكل فهذا منهي عنه وحرام إن لم يكن فيه غرض صحيح وقال الراغب الكذب عار لازم وذل دائم فلا يترخص في أدنى كذب بشيء فمن استحله عسر عليه **وقال بعض الحكماء** كل ذنب يرجى تركه بتوبته إلا الكذب فكم رأينا شارب خمر أقلع ولصا نزع ولم نر كذابا رجع وعوتب كذاب في كذبه فقال لو تغرغرت به وتطعمت حلاوته ما صبرت عنه طرفة عين انتهى (كما في خيار البلوغ) للصغيرة التي زوجها غير أبيها وجدها (تقول) لزوجها (في النهار بلغت الآن وفسخت النكاح مع أنها بلغت بالليل) فأبيح لإحياء حقها وفي الدرر وإن رأته بالليل تختار بلسانها فتقول فسخت نكاحي تشهد إذا أصبحت وتقول رأيت الدم الآن

(قيل ومنه) أي الكذب المباح (الوعد والوعيد الكاذبان للصبي إذ لم يرغب في المكتب) وأعرض فيجوز لمصلحة تعلمه قيل فيه نوع ضعف لإمكانه بطريق آخر كالضرب ولذا قال قيل وأورد عليه أن جواز الضرب محل بيان خصوصا فيما دون عشر سنين ولعل لهذا قال نوع ضعف أقول المناقشة في المثال ليس بحسن نعم إن مثل هذا الإمكان يوجد في غيره مما أبيح فيه الكذب.

(و) منه (الإنكار لسر الغير) لئلا يفشي سره الذي أودع عنده لأن صدور الأحرار قبور الأسرار (و) منه إنكار (معصية نفسه) لقوله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «من ارتكب شيئا من هذه". (١)

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ٣/١٧٩

١٠٢٢-"الباب الخامس في ذكر النجباء من الأولاد

قال رسول الله (: "من سعادة الرجل أن يشبه أباه".

وقال بعض الحكماء: الحياء في الصبي خير من الخوف: لأن الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن. قال ابن عباس رحمه الله: عرامة الصبي زيادة في عقله. وقالت ماوية بنت النعمان بن كعب لزوجها لؤي بن غالب: أي أولادك أحب إليك؟ قال: الذي لا يرد بسطة يده بخل ولا يلوي لسانه عي ولا يغير طبعه سفه، يعني". (١)

١٠٢٣-"قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: عجبت للمؤمن، إن الله ـ عز وجل ـ لا يقضي له قضاء إلا كان خيرا له» .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده، قال: قال إبراهيم بن داود: **قال بعض الحكماء**: إن لله عبادا يستقبلون المصائب بالبشر، قال: فقال: أولئك الذين صفت من الدنيا قلوبهم، ثم قال: قال وهب بن منبه: وجدت في زبور داود: يقول الله تعالى: يا داود، هل تدري من أسرع الناس ممرا على الصراط؟ الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري.

فالمؤمن الموفق ـ نسأل الله تعالى حسن التوفيق ـ من يتلقى المصيبة بالقبول، ويعلم أنها من عند الله لا من عند أحد من خلقه، ويجتهد في كتمانها ما أمكن.

قال عبد العزيز بن أبي داود: ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان المصيبة وكتمان المرض وكتمان الصدقة.

وقال بعض السلف: ثلاثة يمتحن بها عقول الرجال: كثرة المال، والمصيبة والولاية.

وقال عبد الله بن محمد الهروي: من جواهر البر، كتمان المصيبة، حتى يظن أنك لم تصب قط.

وقال عون بن عبد الله: الخير الذي لا شر معه: الشكر مع العافية، والصبر مع المصيبة.

فصل ـ ومن أعظم المصائب المصيبة في الدين

ومن أعظم المصائب: المصيبة في الدين، فهي من أعظم مصائب الدنيا والآخرة، وهي نهاية الخسران الذي لا ربح معه، والحرمان الذي لا طمع معه.

وقد حكى ابن أبي الدنيا عن شريح أنه قال: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره، إذ لم تكن أعظم مما هي، وإذ رزقني الصبر عليها، وإذ وفقني الاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها في ديني.

ومن أعظم المصائب في الدين، موت النبي صلى الله عليه وسلم، لأن المصيبة به أعظم من". (٢)

١٠٢٤-"كثير لا ينفد، فقد اغتيل عقله.

قال بعض الحكماء: يحسب الجاهل الشيء الذي هو لا شيء شيئا، والشيء الذي هو الشيء لا شيء، ومن لا يترك

---

(١) تذكره الآباء وتسليه الأبناء = الدراري في ذكر الزراري ص/٢٩

(٢) تسلية أهل المصائب ص/١٧

الشيء الذي هو لا شيء، لا ينال الشيء الذي هو الشيء، ومن لا يعرف الشيء الذي هو الشيء، لا يترك الشيء الذي هو لا شيء، يريد الدنيا والآخرة، ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

فصل . في أن يوطن الإنسان نفسه على توقع المصائب وأنها بقضاء الله وقدره

ومما يسلي المصاب: أن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه هي من عند الله وأنها بقضائه وقدره، وأنه سبحانه وتعالى لم يقدرها عليه ليهلكه بها، ولا ليعذبه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه، وشكواه إ ليه وابتهاله ودعاءه، فإن وفق لذلك كان أمر الله قدرا مقدورا، وإن حرم ذلك كان ذلك خسرانا مبينا.

قال أبوالفرج بن الجوزي: علاج المصائب بسبعة أشياء:

الأول . أن يعلم بأن الدنيا دار ابتلاء، والكرب لا يرجى منه راحة.

قال الشاعر:

وما استغربت عيني فراقا رأيته ...

... ولا علمتني غيرما القلب عالمه

الثاني . أن يعلم أن المصيبة ثابتة.

الثالث . أن يقدر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة.

الرابع . النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء، فإن التأسي راحة عظيمة.

قالت الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

وهذا المعنى قد حرمه الله عز وجل أهل النار، فإن المخلدين فيها كل واحد". (١)

١٠٢٥–"فصل . في أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها، وهوفي الحقيقة يزيد في مصيبته، بل يعلم المصاب أن الجذع يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه.

وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا هو الثبات في الأمر الديني، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر» .

فهذا هو الكمال الأعظم، لا لطم الخدود وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، والتسخط على المقدور.

قال بعض الحكماء: العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو

(١) تسلية أهل المصائب ص/٢١

البهائم، يريد بذلك ما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» .
وقال الأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا، وإلا سلوت كما تسلو البهائم.
بل يعلم المصاب أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، بل يكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه على مصيبته، فلينظر أي المصيبتين أعظم، مصيبته العاجلة بفوات محبوبه، أو مصيبته بفات بيت الحمد في جنة الخلد؟
و «في الترمذي مرفوعا: يود ناس لو أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء» .
وليعلم المصاب الجازع، وإن بلغ به الجزع غايته ونهايته، فآخر أمره علصبر الاضطرار، وهو غير محمود، ولا مثاب عليه، فإنه استسلم للصبر وانقاد إليه على". (١)

١٠٢٦-"ذلك، فقال: من أعلمك وما سبقني إليك أحد؟ قال: قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ .
ثم قال: ولعمري، إن أصل الانزعاج لا ينكر، إذ الطبع مجبول على الجزع من حلول المنايا، وإنما ينكر الإفراط فيه والتكليف، كمن يخرق ثيابه ويلبس الثياب المرذولة عند موت قريبه، ويلطم وجهه، ويعترض على القدر، وهذا، ومثله، وأكثر منه، لا يرد فائتا، لكنه يدل على خور الجازع ويوجب العقوبة، مع ما يفوته من الأجر والثواب.
قال بعض الحكماء: إذا كان الصبر محمودا عند المصائب، ومرغوبا فيه عند حلول النوائب، فالجزع مذموم بكل مقال، وصاحبه ملوم في كل حال، فتعجل المحمود عند العقلاء أحسن، وتجنب المذموم من الخصال أزين.

فصل . في بيان أن الله سبحانه هو الفعال لما يريد
وفي بعض ما تقدم من أحاديث النهي هذه، كفاية لمن تدبرها، وكيف لا تكون هذه الخصال القبيحة منهيا عنها، وهي مشتملة على التسخط على الرب عز وجل، الفعال لما يشاء، الحكم بما يريد، المتصرف في عبيده بما يختار من موت وغرق وحرق، وغير ذلك مما قضاه وقدره وأمضاه، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون؟! بل فعل النوح، وشق الثياب، ولطم الخدود، وخمش الوجوه، ونبش الشعر ونتفه، والتحفي، وتسويد الوجه والبدن، والدعاء بالويل والثبور، وغير ذلك من الأقوال والأفعال المنكرة التي ورد الشرع بالنهي عنها، وذم فاعلها، وأن فاعلها شرع في الدين ما لم يأذن به الله ولا رسوله، هو مناف للرضا والصبر، ويضر بالنفس والبدن، ولا يرد من قضاء الله وقدره شيئا.
وقد بلغني عن أناس أعرفهم، أصيبوا بمصيبة، أزعجوا أنفسهم لأجل مصابهم ببعض ما ذكر، فأورثهم ذلك مرض وحمى، فإذا استسلم المصاب وانقاد، ووكل الأمر لمن بيده الخلق والأمر، وعلم أن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسل، فتبع الرسول". (٢)

---
(١) تسلية أهل المصائب ص/٢٩
(٢) تسلية أهل المصائب ص/٥٣

١٠٢٧-"أكون مثلهم، وأدخل في جملتهم.

ثم يستقبل القبلة حتى طلوع الفجر.

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمة الله عليه ـ لبعض جلسائه: يا فلان، لقد أرقت البارحة تفكيرا بالقبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث ليال في قبره، لاستوحشت منه بعد طول الأنس به، ولرأيت بيتا تجول الهوام فيه، ويجري فيه الصديد، وتخرقه الديدان، مع تغير الريح وتقطع الأكفان، وكان ذلك بعد حسن الهيئة وطيب الريح، ونقاء الثوب.

ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه.

وقال بعض الحكماء: أربعة أبحر لأربع: الموت بحر الحياة، والنفس بحر الشهوات، والقبر بحر الندامات، وعفو الله بحر الخطيئات، فنسأل الله العظيم أن يجعل الله القبر خير بيت نعمره ونسكنه!

فصل ـ في عدم استطاعة التمييز بين السعيد والشقي في القبر

واعلم، أنه لو دخل شخص إلى المقابر المزخرفة، ليميز السعيد من الشقي، ما علم هذا من هذا، وما يعلمه إلا علام الغيوب، بل قد يكون قبرا من القبور قد درست أعلامه، وقد بقي ممشى للدولاب، وصاحبه في أعلى الجنان، وقد يكون قبرا مزخرفا، وقد عليت عليه القباب والبشخانات الحرير، وصاحبه في نار جهنم، بل نقول: لو دخل الشيخ المقابر، لم يميز قبر الذكر من الأنثى، ولا الشيخ من الشاب، ولا الحر من العبد، فإذا كان هذا التمييز الذي يمكن الشخص العاقل أن يميز بين هؤلاء في الحياة الدنيا، قد أبهم علينا بعد الموت، فكيف نميز السعيد من الشقي؟ ويشبه هذا ما روي، أن الإسكندر مر بمدينة قد ملكها عدة ملوك، وبادوا، فقال الإسكندر: هل بقي من نسل أولئك الملوك، أحد؟ فقيل: ما بقي منهم إلا رجل واحد يأوي المقابر، فدعا به، فلما أحضره قال له: ما حملك على لزوم المقابر؟ قال: أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت الكل سواء.

قال له الإسكندر: هل لك أن تتبعني، فأجيز لك بشرف آبائك، إن كانت". (١)

١٠٢٨-"سخطت لعنت وإن لعنتي لتبلغ البطن السابع " تنبيها على أن الخير والشر الذي يكسبه الإنسان ويتخلق به يبقى أثره موروثا إلى البطن السابع. والثالث اختلاف ما تتكون منه النطفة التي يكون منها الولد، ودم الطمث الذي يتربى به الولد، فذلك له تأثير بحسب طيب ما تكونا منه وخبثه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: " تخيروا لنطفكم " وقال: " الناكح غارس فلينظر أحدكم أين يضع غرسه " وقال: " إياكم وخضراء الدمن، قيل وما خضراء الدمن قال: " المرأة الحسناء في المنبت السوء " والرابع اختلاف ما يتفقد به من الرضاع ومن طيب المطعم الذي يتربى به، ولتأثير الرضاع يقول العرب لمن تصفه بالفضل: " لله دره " والخامس اختلاف أحوالهم في تأديبهم وتلقينهم وتطبيعهم وتعويدهم العادات الحسنة والقبيحة، فحق الولد على الوالدين أن يؤخذ بالآداب الشرعية وأخطار الحق بباله وتعويده فعل الخير كما قال النبي صلى

---

(١) تسلية أهل المصائب ص/١٩٣

الله عليه وسلم: " مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر " ويجب أن يصان عن مجالسة الأرذياء، فإنه في حال صباه كالشمع يتشكل بكل شكل يشكل به، وأن يحسن في عينه المدح والكرامة ويقبح عنده الذم والمهانة، ويبغض إليه الحرص على المآكل والمشارب، ويعود الاقتصاد في تناولها ومخالفة الشهوة ومجانبة ذوي السخف، ويؤخذ بقلة النوم في النهار، فهو يشيب ويورث الكسل ويعود التأني في أفعاله وأقواله، ويمنع من مفاخرة الأقران ومن الضرب والشتم والعبث والاستكثار من الذهب والفضة، ويعود صلة الرحم وحسن تأدية فروض الشرع. **قال بعض الحكماء**: " من سعادة". [١]

١٠٢٩-"الباب السادس عشر

في سعادة الإنسان ونزوعه إليها **قال بعض الحكماء**: جعل الله لكل شيء كمالا ينساق إليه طبعا، وقد هداه إلى التخصيص به تسخيرا، كما نبه الله عليه بقوله تعالى: (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) . وللإنسان سعادات أتيحت له وهي النعم المذكورة في قوله تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وجميع النعم والسعادات على القول المجمل ضربان ضرب دائم لا يبيد ولا يحول وهو النعم الأخروية. وضرب يبيد ويحول وهو النعم الدنيوية. والنعم الدنيوية متى لم توصلنا إلى تلك السعادات فهي كسراب بقيعة وغرور وفتنة وعذاب كما وصفه الله تعالى في كتابه: (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء.. الآية) . وما أصدق ما قال الشاعر:

إنما الدنيا كرؤيا أفرحت ... من رآها ساعة ثم انقضت". [٢]

١٠٣٠-"فللخاصة. وأما عين اليقين ففي الدنيا للأنبياء ولبعض الصديقين. وإلى نحوه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " تنام عيني ولا ينام قلبي " وبقوله: " إني أرى من خلفي كما أرى من قدامي ". قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. **وقال بعض الحكماء**: علم اليقين يحصل للعقل بالفكر والذكر فإن العقل بفكره أي ببحثه يدرك المعارف وبذكره يستحضرها إذا نسيها وغفل واشتغل عنها وبذهنه ينظر إليها دائما كما ننظر نحن إلى محسوس غير غائب عن أبصارنا بلا حاجة إلى بحث وطلب وتفكر وتذكر، وكذلك قيل الإنسان يعقل فينظر إلى الحق بالفكر، والملائكة دائما ينظرون إليه بالذهن من غير حاجة إلى تفكر وطلب.

فصل

للإنسان في استفادة العلم وإفادته ثلاثة أحوال: حال استفادة فقط، وحال استفادة ممن فوقه وإفادة لمن دونه، وحال إفادة فقط، وقل من يستحق أن يوجد مفيدا غير مستفيد، ففوق كل ذي علم عليم إلى أن ينتهي الأمر إلى علام الغيوب فقد نبه الله تعالى على الحاجة إلى الاستفادة بما حكاه من قول موسى عليه السلام لصاحبه: (هل اتبعك على أن تعلمني مما

---

(١) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ص/٥٦

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ص/٦٤

علمت رشدا) ونبه بما ذكر في قصة سليمان عليه السلام عن الهدهد بقوله: (أحطت بما لم تحط به علما) . إن الكبير قد يفتقر إلى الصغير في بعض العلوم فإذا الإنسان ما دام حيا يجب أن لا يخرج من كونه مستفيدا ومفيدا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج ".". (١)

١٠٣١-"أن لا يبالي من نظر الناس إليه؛ فيعمل لله تعالى عند الناس وعند الخلاء بمنزلة واحدة ولا يطلب محمدة الناس.

وقال بعض الحكماء: يحتاج العمل إلى أربعة أشياء حتى يسلم: أولها العلم قبل بدئه.

لأن العمل لا يصلح إلا بالعلم، فإذا كان العمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

والثاني النية في مبدئه لأن العمل لا يصلح إلا بالنية.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» فالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر الطاعات لا تصلح إلا بالنية، فلا بد من النية في مبدئها ليصلح العمل.

والثالث الصبر في وسطه، يعني يصبر فيها حتى يؤديها على السكون والطمأنينة.

والرابع الإخلاص عند فراغه، لأن العمل لا يقبل بغير إخلاص، فإذا عملت بالإخلاص يتقبل الله تعالى منك وتقبل قلوب العباد إليك.

وروي عن هرم بن حيان ، أنه قال: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

١٤ - وروى سهيل بن صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: " إن الله تعالى إذا أحب عبدا قال لجبريل: إني أحب فلانا، فأحبه، فيقول جبريل لأهل السماء: إن ربكم يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء فيوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبدا فمثل ذلك ".

وروي عن شقيق بن إبراهيم الزاهد ، أن رجلا سأله فقال: إن الناس يسمونني صالحا". (٢)

١٠٣٢-"من أراد أن ينال هذه الكرامات فعليه أن يداوم على خمسة أشياء: أولها أن يمنع نفسه من جميع المعاصي.

قال الله تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى ﴿٤٠﴾ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] الآية.

والثاني أن يرضى باليسير من الدنيا لأنه روي في الخبر أن ثمن الجنة ترك الدنيا، والثالث: أن يكون حريصا على الطاعات، فيتعلق بكل طاعة، فلعل تلك الطاعة تكون سببا للمغفرة، ووجوب الجنة.

قال الله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [الزخرف: ٧٢] ، وفي آية أخرى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾

---

(١) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ص/٨٩

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٣١

[الأحقاف: ١٤] ، وإنما ينالون ما ينالون بالاجتهاد في الطاعات، والرابع أن يحب الصالحين وأهل الخير ويخالطهم ويجالسهم، فإن واحدا منهم إذا غفر له يشفع لأصحابه وإخوانه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «أكثروا الإخوان فإن لكل أخ شفاعة يوم القيامة» .

والخامس: أن يكثر الدعاء، ويسأل الله تعالى أن يرزقه الجنة، وأن يجعل خاتمته إلى خير.

وقال بعض الحكماء: الركون إلى الدنيا مع ما يعاين من الثواب جهل، وإن ترك الجهد في الأعمال بعدما عرف ثوابه عجز، وإن في الجنة راحة ما يجدها إلا من لم يكن له في الدنيا راحة، وفيها غنى لا يجده إلا من ترك فضول الدنيا واقتصر على اليسير من الدنيا.

وذكر عن بعض الزهاد أنه كان يأكل بقلا من غير خبز، فقال له رجل:". (١)

١٠٣٣-"١١٥ - وروى صفوان بن عسال المرادي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قبل المغرب باب خلقه الله تعالى للتوبة، عرضه مسيرة سبعين سنة، أو أربعين سنة لا يزال مفتوحا لا يغلق، حتى تطلع الشمس من مغربها» وعن سعيد بن المسيب ، في قوله عز وجل: ﴿فإنه كان للأوابين غفورا﴾ [الإسراء: ٢٥] ، قال هو الرجل يذنب ذنبا ثم يتوب، ثم يذنب ذنبا ثم يتوب.

وقيل للحسن البصري إلى متى هذا؟ قال لا أعرف هذا إلا من أخلاق المؤمنين.

وقال بعض الحكماء: حرفة العارف ستة أشياء: إذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه احتقر، وإذا نظر في آيات الله اعتبر، وإذا هم بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكر عفو الله استبشر، وإذا ذكر ذنوبه استغفر

١١٦ - حدثني أبي رحمه الله تعالى، حدثنا أبو الحسن الفراء، حدثنا أبو بكر الجرجاني، عن محمد بن إسحاق ، عمن حدثه عن معمر ، عن الزهري، قال: دخل عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك يا عمر» ؟ فقال: يا رسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي، وهو يبكي.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك يا شاب؟» قال: يا رسول الله أبكتني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان علي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشركت بالله شيئا يا شاب؟» قال: لا.

قال: «أقتلت نفسا بغير حق؟» قال: لا.

قال: «فإن الله يغفر ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسي» .

قال: يا رسول الله ذنبي أعظم من السموات السبع، والأرضين السبع، والجبال الرواسي.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذنبك أعظم أم الكرسي؟» قال: ذنبي أعظم.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٨١

قال: «ذنبك أعظم أم العرش» ؟ قال: ذنبي أعظم.

قال: «ذنبك أعظم أم إلهك» يعني عفو الله.

قال: بل الله أعظم وأجل.". (١)

١٠٣٤-"يندم ويستغفر، وأما الذنب الذي بينك وبين العباد، فما لم ترضهم لا تنفعك التوبة حتى يحللوك.

وروي عن بعض التابعين رضي الله تعالى عنهم أنه قال: إن المذنب يذنب فلا يزال نادما مستغفرا حتى يدخل الجنة، فيقول الشيطان يا ليتني لم أوقعه فيه.

وذكر عن أبي بكر الواسطي أنه قال: التأني في كل شيء حسن إلا في ثلاث خصال: عند وقت الصلاة، وعند دفن الميت، والتوبة عن المعصية.

وقال بعض الحكماء إنما تعرف توبة الرجل في أربعة أشياء: أحدها أن يمسك لسانه من الفضول والغيبة والكذب.

والثاني أن لا يرى لأحد في قلبه حسدا ولا عداوة.

والثالث: أن يفارق أصحاب السوء.

والرابع: أن يكون مستعدا للموت نادما مستغفرا لما سلف من ذنوبه مجتهدا على طاعة ربه.

وقيل لبعض الحكماء هل للتائب من علامة يعرف أنه قبلت توبته؟ قال: نعم علامته أربعة أشياء: أولها أن ينقطع عن أصحاب السوء ويريهم هيبة من نفسه، ويخالط الصالحين، والثاني أن يكون منقطعا عن كل ذنب ومقبلا على جميع الطاعات.

والثالث أن يذهب فرج الدنيا كلها من قلبه، ويرى حزن الآخرة كلها دائما في قلبه.

والرابع أن يرى نفسه فارغا عما ضمن الله تعالى له من الرزق، مشتغلا بما أمر به، فإذا وجدت فيه هذه العلامات فهو من الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، ووجب له على الناس أربعة أشياء: أولها أن يحبوه.

فإن الله تعالى قد أحبه.

والثاني أن يحفظوه بالدعاء، على أن يثبته الله على التوبة.". (٢)

١٠٣٥-"عمل يعمل؟ قال الزراعة.

قال: هل علمت لأي شيء ضربك؟ قال: لا.

قال: فلعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب الحمار، والثيران بين يديه والكلب من خلفه، وهو لا يحسن القرآن

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٠٦

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٠٩

فتغني وتعرضت له في ذلك الوقت، فظن أنك بقرة، فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك وعن ثابت البناني رحمه الله تعالى ، قال: روي أن رجلا كان يضرب أباه في موضع، فقيل له ما هذا؟ فقال الأب خلوا عنه، فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع، فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع، هذا بذاك ولا لوم عليه.

قال بعض الحكماء: من عصى والديه لم ير السرور من ولده، ومن لم يستشر في الأمور لم يصل إلى حاجته، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشه

١٥٣ – وروى الشعبي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «رحم الله والدا أعان ولده على بره» يعني لا يأمره بأمر يخاف منه أن يعصيه فيه.

وروي عن بعض الصالحين أنه كان لا يأمر ابنه بأمر، وكان إذا احتاج إلى شيء يأمر غيره.

فسئل عن ذلك فقال: إني أخاف أني لو أمرت ابني بذلك يعصيني في ذلك، فيستوجب النار، وأنا لا أحرق ابني بالنار.

وروي عن خلف بن أيوب نحو هذا.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى.

تمام المروءة من بر والديه ووصل رحمه وأكرم إخوانه وحسن خلقه مع أهله وولده وخدمه، وأحرز دينه وأصلح ماله وأنفق من فضله وحفظ لسانه ولزم بيته.

يعني يكون مقبلا على عمله ولا يجلس مع أهل الفضول.

١٥٤ – وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: " أربع من سعادة المرء: أن تكون زوجته صالحة، وأولاده أبرارا، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده "". (١)

١٠٣٦–"وذكر عن مجاهد أنه قال: إن لابن آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذكر أحدهم أخاه بخير قالت الملائكة: له ولك مثله.

وإذا ذكر أحدهم أخاه بسوء قالت الملائكة: يا ابن آدم كشفت المستور عليه عورته ، ارجع إلى نفسك واحمد الله الذي ستر عليك عورتك.

وذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه دعي إلى طعام، فلما جلس قالوا إن فلانا لم يجئ، فقال رجل منهم إن فلانا رجل ثقيل.

فقال إبراهيم: إنما فعل هذا بي بطني حين شهدت طعاما اغتبت فيه مسلما.

فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام.

قال بعض الحكماء: إن ضعفت عن ثلاثة فعليك بثلاث: إن ضعفت عن الخير فامسك عن الشر، وإن كنت لا تستطيع

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٣١

أن تنفع الناس فامسك عنهم ضرك، وإن كنت لا تستطيع أن تصوم فلا تأكل لحوم الناس.

وذكر عن وهب المكي أنه قال: لأن أدع الغيبة أحب إلي من أن تكون لي الدنيا وما فيها، منذ خلقت إلى أن تفنى، فأجعلها في سبيل الله تعالى.

لأن أغض بصري عما حرم الله تعالى، أحب إلي من أن تكون لي الدنيا وما فيها فأجعلها في سبيل الله تعالى.

ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ [الحجرات: ١٢] ، وتلا قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ [النور: ٣٠] .

قد تكلم الناس في توبة المغتاب، هل تجوز من غير أن يستحل من صاحبه؟ قال بعضهم يجوز وقال بعضهم لا يجوز ما لم يستحل من صاحبه.

وهو عندنا على وجهين: إن كان ذلك القول قد بلغ إلى الذي اغتابه، فتوبته أن يستحل منه، وإن لم يبلغ فليستغفر الله تعالى ويضمر أن لا يعود إلى مثله.

وروي أن رجلا أتى ابن سيرين فقال: إني اغتبتك فاجعلني في حل.

فقال وكيف أحل ما حرم الله؟ ! فكأنه أشار إليه بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى، مع استحلاله منه؛ فإن لم تبلغ إلى صاحبه تلك الغيبة، فتوبته أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ولا يخبر صاحبه، فهو أحسن، لكيلا يشتغل قلبه به.

ولو أنه قال بهتانا لم يكن ذلك فيه، فإنه يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع: أحدها أن يرجع إلى القوم الذين تكلم بالبهتان عندهم، ويقول إني قد". (١)

١٠٣٧-"قحط، فخرج بهم موسى عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: إلهي، عبادك قد خرجوا ثلاث مرات فلم يستجب دعاؤهم.

فأوحى الله تعالى بأني لا أستجيب لك لمن معك لأن فيكم رجلا نماما قد أصر على النميمة.

فقال موسى عليه الصلاة والسلام: من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتوبوا بأجمعكم فتابوا بأجمعهم، فسقوا وذكر أن سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين كان جالسا وعنده الزهري فجاء رجل فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت في وقلت كذا وكذا.

فقال الرجل ما فعلت وما قلت شيئا فيك، فقال له سليمان: إن الذي أخبرني كان صادقا.

فقال الزهري رضي الله تعالى عنه: لا يكون النمام صدوقا، قال سليمان: صدقت اذهب بسلامة.

وقال بعض الحكماء: من أخبرك بشتم عن أخ فهو الشاتم لا من شتمك.

وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك.

إذا أتاك إنسان فأخبرك أن فلانا قد فعل بك كذا وكذا، وقال فيك كذا وكذا، فإنه يجب عليك ستة أشياء: أولها أن لا

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٦٦

تصدقه لأن النمام مردود الشهادة عند أهل الإسلام.

وقد قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات: ٦] ، يعني إن جاءكم فاسق بخبر فانظروا في الأمر ولا تعجلوا لكي لا تصيبوا قوما بجهالة.

والثاني: أن تنهاه عن ذلك لأن النهي عن المنكر واجب.

وقد قال الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ [آل عمران: ١١٠]". [(١)]

١٠٣٨-"والثالث: مذمة لا يحمد بها.

والرابع: يسخط عليه الرب.

والخامس: تغلق عليه أبواب التوفيق.

٢٢٢ - وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «ألا إن لنعم الله أعداء» قيل: من أعداء نعم الله يا رسول الله؟ قال: «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله تعالى من فضله» .

وروي عن مالك بن دينار ، أنه قال: «إني أجيز شهادة القراء على جميع الخلق ولا أجيز شهادة القراء بعضهم على بعض.

لأني وجدتهم حسادا.

يعني أن أكثر الحسد في القراء»

٢٢٣ - وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «ستة بستة يدخلون النار يوم القيامة قبل الحساب يعني ستة أصناف، بسبب ستة أشياء يدخلون النار قبل الحساب» ، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: " الأمراء من بعدي بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهالة، وأهل العلم بالحسد،.

يعني العلماء الذين يطلبون الدنيا، يحسد بعضهم بعضا.

فينبغي للعالم أن يتعلم العلم ليطلب به الآخرة.

فإذا كان العالم يطلب بعلمه الآخرة فإنه لا يحسد أحدا ولا يحسده أحد.

وإذا تعلم لطلب الدنيا فإنه يحسد كما قال الله تعالى عن علماء اليهود: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ [النساء: ٥٤] ، يعني أن يهودا كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

فكانوا يقولون: لو كان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لشغله ذلك عن كثرة النساء قال سبحانه وتعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ [النساء: ٥٤] ، يعني النبوة وكثرة النساء **وقال بعض الحكماء**: إياكم والحسد، فإن

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٧٤

الحسد أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء، وأول ذنب عصي الله تعالى به في الأرض.

وإنما أراد بقوله أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء يعني إبليس حين أبى أن يسجد لآدم، وقال: ﴿خلقتني". (١)

١٠٣٩-"من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف: ١٢] فحسده فلعنه الله تعالى بذلك.

وأما الذي عصي الله تعالى به في الأرض فهو قابيل بن آدم حين قتل أخاه هابيل حسدا.

وهو قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة: ٢٧] .

وروي عن الأحنف بن قيس ، أنه قال: «لا راحة لحسود، لا وفاء لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مروءة لكذوب، ولا رأي لخائن، ولا سؤدد لسيئ الخلق» **وقال بعض الحكماء** ما رأيت ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد.

وقال محمد بن سيرين: ما حسدت أحدا على شيء من الدنيا، فإن كان من أهل الجنة فكيف أحسده وهو صائر إلى الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده وهو صائر إلى النار.

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم لم تحسد أخاك، فإن الذي أعطاه الله لكرامته عليه.

فلم تحسد من أكرمه الله تعالى، وإن يكن غير ذلك فلا ينبغي لك أن تحسد من مصيره إلى النار.

ثلاثة لا تستجاب دعوتهم.

آكل الحرام، ومكثار الغيبة، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين.

٢٢٤ - وروى ابن شهاب ، عن سالم ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله تعالى القرآن وهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله تعالى مالا وهو ينفق منه آناء الليل والنهار " يعني أن يجتهد حتى يفعل مثل فعله في قيام الليل وفي". (٢)

١٠٤٠-"قال أنس: فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه بات عنده ليلة فلم يقم منها ساعة، إلا إنه إذا نام على فراشه ذكر الله تعالى وكبره حتى يقوم مع الفجر.

فإذا توضأ أسبغ الوضوء وأتم الصلاة، ثم أصبح وهو مفطر، قال: فرمقته ثلاث ليال، لا يزيد على ذلك، غير أني لا أسمعه يقول إلا خيرا.

فلما مضت الثلاث وكدت أن أحقر عمله قلت له إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ثلاث مجالس: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة» .

فطلعت أنت فأردت أن آوي إليك حتى أنظر ما تعمله فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كثيرا، فما الذي بلغ بك ما قال النبي

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٧٨

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٧٩

صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما هو إلا ما رأيت فانصرفت عنه.

فدعاني حين وليت فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي شرا لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه.

قال: فقلت هذا الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي لا أطيق عليه

قال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه: أولها: قد أبغض كل نعمة قد ظهرت على غيره.

والثاني: سخط لقسمته.

يعني يقول لربه لم قسمت هكذا؟ والثالث: أنه ضن بفضله يعني أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وهو يبخل بفضل الله تعالى.

والرابع: خذل ولي الله تعالى لأنه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه.

والخامس: أعان عدوه.

يعني إبليس لعنه الله.

ويقال: الحاسد لا ينال في المجالس إلا مذمة من الملائكة إلا لعنة وبغضا.

ولا ينال في الخلوة إلا جزعا وغما، ولا ينال عند النزاع إلا شدة وهولا، ولا ينال في الموقف إلا فضيحة ونكالا، ولا ينال في النار إلا حرا واحتراقا.

والله سبحانه وتعالى أعلم.". (١)

١٠٤١-"ثوبه، وعفر وجهه لله في السجود فقد برئ من الكبر» .

٢٣٤ - وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «من لبس الصوف، وانتعل المخصوف، وركب حماره، وحلب شاته، وأكل مع عياله، وجالس المساكين، فقد محا الله تعالى عنه الكبر» .

وذكر أن موسى، صلوات الله وسلامه عليه، ناجى الله تعالى فقال: يا رب من أبغض خلقك إليك؟ قال: يا موسى من تكبر قلبه، وغلظ لسانه، وضعف يقينه، وبخلت يده.

وقال عروة بن الزبير: التواضع أحد مصائد الشرف.

وكل ذي نعمة محسود عليها إلا التواضع **وقال بعض الحكماء**: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة.

وذكر أن المهلب بن أبي صفرة كان صاحب جيش الحجاج، فمر على مطرف بن عبد الله بن الشخير، وهو يتبختر في حلة خز، فقال له مطرف: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله.

فقال المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بل أعرفك.

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٨٢

أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت تحمل فيما بين ذلك العذرة.

فترك المهلب مشيته تلك.". (١)

١٠٤٢-"وقال بعض الحكماء: افتخار العبد المؤمن بربه، وعزه بدينه.

وافتخار المنافق بحسبه، وعزه بماله.

٢٣٥ - وروي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «إذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم.

وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم.

فإن ذلك لهم صغار ومذلة ولكم بذلك صدقة»

٢٣٦ - وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «ما تواضع رجل لله إلا رفعه الله تعالى» وروى عن عمر رضي الله عنه ، أنه قال: «رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت من المسلمين، وأن ترضى بالدون من المجلس، وأن تكره أن تذكر بالبر والتقوى» اعلم أن الكبر من أخلاق الكفار والفراعنة، والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين، لأن الله تعالى وصف الكفار بالكبر فقال: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ [الصافات: ٣٥] ، وقال: ﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾ [العنكبوت: ٣٩] ، وقال: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر: ٦٠] ، وقال: ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ [الزمر: ٧٢]". (٢)

١٠٤٣-"وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله ورسوله "

وقال بعض الحكماء: الزهد في الدنيا أربعة: الأولى الثقة بالله تعالى فيما وعد من أمر الدنيا بأمر الآخرة.

والثانية أن يكون مدح الخلق وذمهم عنده واحدا.

والثالثة الإخلاص في عمله.

والرابعة أن يتجاوز عمن ظلمه، ولا يغضب على ما ملكت يمينه، ويكون حليما صبورا.

وروي عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أن رجلا قال له علمني كلمات ينفعني الله تعالى بهن.

قال أبو الدرداء: أوصيك بكلمات من عمل بهن كان ثوابه على الله عز وجل الدرجات العلى: لا تأكل إلا طيبا، واسأل الله تعالى رزق يوم بيوم، وعد نفسك من الموتى، وهب عرضك لله تعالى.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٨٥

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/١٨٦

فمن شتمك أو أذاك فقل: وهبت عرضي لله تعالى.
وإذا أسأت فاستغفر الله تعالى.

٢٦٣ – وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه لما كسرت رباعيته في يوم أحد شق ذلك على أصحابه مشقة شديدة، فقالوا: يا رسول الله لو دعوت الله تعالى على هؤلاء الذين صنعوا بك ما نرى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعية ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»

٢٦٤ – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كف لسانه عن أعراض المسلمين أقال الله تعالى عثرته يوم القيامة، ومن كف غضبه أقال الله تعالى غضبه عنه يوم القيامة» .

٢٦٥ – وروي عن مجاهد رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقوم يربعون حجرا، يعني يرفعون حجرا، وينظرون أيهم أقوى.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا» قالوا حجر الأشداء.
فقال: «ألا أخبركم بما هو أشد منه» ؟ قالوا: بلى يا". (١)

١٠٤٤-"ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يأتي فيها أهل العلم الذي يبصرونه بأمر دينه ودنياه وينصحونه. وساعة يخلي بين نفسه ولذاتها فيما يحل ويجمل.
وقال: «ينبغي للعاقل أن ينظر في شأنه ويعرف أهل زمانه ويحفظ فرجه ولسانه» .
وروي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن لقمان الحكيم دخل على داود النبي صلى الله عليه وسلم، وكان داود يسرد الدرع، فجعل يتعجب مما يرى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته، فأمسك نفسه ولم يسأله.
فلما فرغ قام داود عليه السلام فلبس الدرع ثم قال: نعم الدرع للحرب، ونعم عامله، فقال لقمان: الصمت حكمة.
وقليل فاعله قال القائل:
العلم زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما إن ندمت على سكوتي مرة ... ولقد ندمت على الكلام مرارا
وفي موضع أنه كان يختلف إليه سنة ويريد أن يسأله فلما فرغ منه لبسه وقال: ما أحسن هذا الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله هذا من كتاب التنبيه وأما ما بعده من الأبيات فليست من الكتاب قال بعضهم:
يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرجل
وقال آخر:

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٢٠٩

لا تنطقن بما كرهت فربما ... نطق اللسان بحادث فيكون

وقال حميد بن عباس

لعمرك ما شيء علمت مكانه ... أحق بسجن من لسان مذلل

على فيك مما ليس يعنيك شأنه ... بقفل وثيق حيث كنت فاقفل

فرب كلام قد جرى من ممازح ... فساق إليه سهم حتف معجل

وللصمت خير من كلام ممازح ... فكن صامتا تسلم وإن قلت فاعدل

ولا تك في جنب الأخلاء مفرطا ... وإن كنت أبغضت البغيض فأجمل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض ... حبيبك أو تهوى بغيضك فاعقل

قال بعض الحكماء: في الصمت سبعة آلاف خبر، وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات، في كل كلمة منها ألف.

أولها: أن الصمت عبادة من غير عناء.

والثاني: زينة من غير حلي.

والثالث: هيبة من غير سلطان.

والرابع: حصن من غير حائط.

والخامس: الاستغناء عن الاعتذار إلى أحد.

والسادس: راحة الكرام الكاتبين.

والسابع: سترا لعيوبه.

ويقال الصمت زين للعالم وستر للجاهل.

قال بعض الحكماء: إن جسد ابن آدم ثلاثة أجزاء: فجزء منها قلبه، والثاني". (١)

١٠٤٥-"أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: طول الأمل، واتباع الهوى وإن طول الأمل ينسي الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق.

٢٨١ - وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: " أنازعتم لثلاثة بثلاثة: للمكب على الدنيا، والحريص عليها، والشحيح بها بفقر لا غنى بعده، وشغل لا فراغ منه وهم لا فرح معه ".

وروي عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ، أنه أشرف على أهل حمص، فقال: ألا تستحيون؟ تبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، وتجمعون ما لا تأكلون.

إن الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا، وجمعوا كثيرا، وأملوا بعيدا، فأصبحت مساكنهم قبورا، وآمالهم عنه غرورا وجمعهم بورا.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٢١٧

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إذا أردت أن تلقى صاحبك فارفع قميصك، واخصف نعلك، واقصر أملك، وكل دون الشبع.

وروي عن أبي عثمان النهدي ، أنه قال: رأيت على عمر قميصا فيه اثنتا عشرة رقعة، وهو على المنبر يخطب.

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أنه دخل السوق وعليه ثياب غليظة غير مغسولة.

فقيل: يا أمير المؤمنين لو لبست ألين من هذا؟ قال: هذا أخشع للقلب، وأشبه بشعار الصالحين، وأحسن للمؤمن أن يقتدى به.

وروي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، أنه قال: إني لأعرف بالناس من البيطار بالدواب.

أما خيارهم فالزاهدون في الدنيا، وأما شرارهم فمن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه **وقال بعض الحكماء**: أمهات الخطايا ثلاثة أشياء: الحسد والحرص والكبر.

فأما الكبر فكان أصله من إبليس حين تكبر وأبى أن يسجد، فلعن.

وأما الحرص فكان أصله من آدم عليه السلام حيث قيل له الجنة كلها مباح لك إلا هذه". [(١)]

١٠٤٦-"ادعى حب الدرجات من غير صحبة الفقراء والمساكين.

وقال بعض الحكماء: أربع من كن فيه فهو محروم من الخير كله: المتطاول على من تحته، والعاق لوالديه، ومن يحقر الغريب، ومن يعير المساكين لمسكنتهم.

٣٠١ - وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «ما أوحى الله تعالى إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين» .

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩]

٣٠٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أنه قال: يا أيها الناس لا تحملكم العسرة على أن تطلبوا الرزق من غير حلة، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة، فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة» .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه أتى بغنائم من غنائم القادسية فجعل يتصفحها وينظر إليها ويبكي.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: هذا يوم السرور والفرح، وأنت تبكي يا أمير المؤمنين! قال: أجل.

ولكن ما أوتي هذا قوم إلا أوقع بينهم العداوة والبغضاء.

٣٠٤ - وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «إن أحب الخلق

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٢٢٣

إلى الله الفقراء.

لأنه كان أحب الخلق إلى الله الأنبياء فابتلاهم بالفقر»". (١)

١٠٤٧-"أولها: ما خيرت بين أمرين إلا اخترت الذي لله على غيره.

والثاني: ما اهتممت فيما تكفل الله لي في أمر رزقي.

والثالث: ما تغذيت ولا تعشيت إلا مع الضيف.

قال بعض الحكماء: حياة القلب في أربعة أشياء: العلم والرضا والقناعة والزهد.

فالعلم يرضيه، وبالرضا يبلغ هذه الدرجة فإذا بلغ درجة الرضا وصل إلى القناعة، وتوصله القناعة على الزهد.

وهو التهاون بالدنيا.

قال: والزهد ثلاثة أشياء: أولها: معرفة الدنيا ثم الترك لها.

والثاني: خدعة المولي ثم الأدب فيها.

والثالث: الشوق إلى الآخرة ثم الطلب لها.

وعن يحيي بن معاذ الرازي قال: الحكمة تهوي من السماء إلى القلوب، فلا تسكن في قلب فيه أربع خصال: الركون إلى الدنيا، وهم غد، وحسد أخ، وحب شرف.

وذكر أيضا عن يحيي قدس الله تعالى روحه قال: العاقل المصيب من عمل ثلاثا: ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبرا قبل أن يدخل فيه، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، أنه قال: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا.

يعني لم يترك الجهد في طلب الجنة والهرب من النار.

أولها عرف الله تعالى فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها

وروى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: " يا علي، أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وحب الدنيا، وبعد الأمل "". (٢)

١٠٤٨-"**وقال بعض الحكماء**: إياك والذنب فإن الذنب شؤم، فيصير شؤمه حجر المنجنيق، فيضرب على حائط الطاعة، فيكسر الحائط ويدخل ريح الهواء ويطفئ سراج المعرفة.

وقيل لبعض **الحكماء**: ما لنا نسمع العلم ولا ننتفع به؟ فقال لهم لخمس خصال: أولها: قد أنعم الله عليكم فلم تشكروه.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٢٣٤

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٢٤٠

والثاني: إذا أذنبتم فلم تستغفروه.

والثالث: لم تعملوا بما علمتم من العلم.

والرابع: صحبتم الأخيار ولم تقتدوا بهم.

والخامس: دفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم.

٥٥٨ – سمعت أبي ، يقول: روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «ما من يوم إلا وينزل من السماء خمس من الملائكة» أحدهم: بمكة.

والثاني: بالمدينة.

والثالث: ببيت المقدس، والرابع: بمقابر المسلمين.

والخامس: بأسواق المسلمين.

فأما الذي ينزل بمكة فينادي: ألا من ترك فرائض الله تعالى، فقد خرج من رحمة الله تعالى وأما الذي ينزل بالمدينة فينادي ألا من ترك سنن النبي صلى الله عليه وسلم فقد خرج من شفاعته، وأما الذي ينزل ببيت المقدس، فينادي ألا من اكتسب مالا حراما لم يقبل الله تعالى سائر عمله، وأما الذي ينزل بمقابر المسلمين، فينادي يا أهل المقابر بماذا تغتبطون؟ وعلى ماذا تندمون؟ فيقولون: ندامتنا على ما فات من أعمارنا، ونغتبط بأهل الجماعات لقراءتهم كلام الله تعالى، وتذاكرهم بالعلم، وصلواتهم على النبي صلى الله عليه وسلم واستغفارهم لذنوبهم ونحن لا نقدر على شيء من ذلك، وأما الذي ينزل في الأسواق، فينادي ويقول: يا معشر الناس مهلا، مهلا فإن لله تعالى سطوات ونقمات فمن خشي سطواته، ونقماته فليداو جراحته حتى يتوب من ذنوبه شوقناكم فلم تشتاقوا وخوفناكم فلم تخافوا، لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع، وشيوخ ركع، لصب عليكم العذاب صبا.". (١)

١٠٤٩-"٥٥٩ – وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لها: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله تعالى طالبا» .

ويقال: مثل الذنوب الصغار كمثل من جمع خشبات صغارا، فيوقد منها نارا باجتماعها.

ويقال: مكتوب في التوراة من يزرع البر يحصد السلامة.

وفي الإنجيل مكتوب من يزرع السوء يحصد الندامة، وهذا في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾ [النساء: ١٢٣] وروى أبو القاسم ابن محمد، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه سئل عن رجل كثير الذنوب كثير العمل أعجب إليك أم رجل قليل الذنوب قليل العمل قال: ما أعدل بالسلامة شيئا، يعني قليل الذنوب أعجب إلي.

فقال بعض الحكماء كل سفلة يعمل الطاعة ولكن الكريم من يترك المعصية.

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٣٧٣

في كتاب الله تعالى دليل على أن ترك المعصية أفضل من أعمال الطاعة، لأن الله تعالى قد اشترط في الحسنة المجيء بها إلى الآخرة، وفي ترك الذنوب لم يشترط شيئا سوى الترك، قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠] ، وقال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى ﴿٤٠﴾ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] ، فنسأل الله تعالى العفو". (١)

١٠٥٠-"والخامس: أنكم تقولون: إن الدنيا عند الله لا تساوي جناح بعوضة، وقد اطمأننتم إليها.
والسادس: أنكم تقولون: إنها زائلة وأعمالكم أعمال المقيمين بها.
والسابع: أنكم تقولون: إن الآخرة خير من الدنيا ولا تجتهدون في طلبها وتختارون الدنيا على الآخرة.
قال الفقيه رحمه الله: ينبغي لمن دعا الله أن يكون بطنه ظاهرا من الحرام، فإن الحرام يمنع الإجابة

٦١١ - وقد روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، أنه قال: يا رسول الله أدعو الله فلا يستجيب لي دعائي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا سعد اجتنب الحرام، فإن كل بطن دخل فيه لقمة من حرام لا يستجاب دعاؤه أربعين يوما، وينبغي لمن دعا أن لا يستعجل، لأن الداعي إذا دعا الرب تبارك وتعالى أجابه الرب عز وجل البتة، وربما تتبين الإجابة من ساعته وربما تتبين في وقت آخر، وربما تتبين في الآخرة ولا تتبين في الدنيا» وذكر في الخبر أن موسى عليه السلام دعا على فرعون وقومه بالهلاك، وأمن هارون عليه السلام، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما قد أجيبت دعوتكما فاستقيما.
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، كان بين الدعاء وبين الإجابة أربعون سنة

٦١٢ - وروى يزيد الرقاشي رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: «إذا أحب الله عبدا ضرب وجهه بالبلاء، كما تضرب الغريبة من الإبل عن حياض الماء، فيكون مرحوما في أهل السماء.
وما من دعوة يدعو بها إلا أعطاه الله تعالى إحدى خصال ثلاث» .
وقد ذكرناها **وقال بعض الحكماء**: أربعة لا سعادة فيهم، أحدهم: الذي يبخل بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، والثاني: الذي لا يجيب المؤذن.
والثالث: من استعان به إنسان بخير، فلا يعينه.
والرابع: الذي يعجز أن يدعو لنفسه وللمؤمنين دبر صلواته.". (٢)

١٠٥١-"وأما إذا أخذ العلماء من الحرام، فيقتدي بهم الجهال، ويظنون أنه حلال، فيكفرون إذا استحلوا الحرام.
ويقال: إذا كان يوم القيامة تعلق الجهال بالعلماء يقولون: أنتم قد علمتم، فلم لا تدلونا، ولم تنهونا حتى وقعنا فيما وقعنا.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٣٧٤
(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٠٤

٦٧٨ – وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الناس شر؟ قال: «العالم إذا فسد» .

ويقال: إذا فسد العالم فسد لفساده العالم.

وروي عن بشر بن الحارث ، أنه كان يقول لأصحاب الحديث: أدوا زكاة هذه الأحاديث.

قالوا: كيف نؤدي زكاتها؟ قال: اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث **وقال بعض الحكماء**: تعلم العلم في زماننا تهمة، والاستماع مؤانسة، والقول به شهوة، والعمل به نزع النفس.

٦٧٩ – وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: " من تعلم العلم لأربع دخل النار: ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يقبل به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأمراء المال والحرمة والجاه والمنزلة " وقال سفيان الثوري: أول العلم: الصمت، والثاني: الاستماع.

والثالث: الحفظ.

والرابع: العمل به.

والخامس: نشره.

وقال أبو الدرداء: كن عالما، أو متعلما، أو مستمعا، ولا تكن الرابع فتهلك.

يعني ممن لا يعلم، ولا يتعلم، ولا يستمع.

ويقال: العلماء ثلاثة: أولها: عالم بالله وعالم بأمر الله.

والثاني: عالم بالله وليس عالما بأمر الله،". (١)

١٠٥٢–"والثالث: عالم بأمر الله وليس بعالم بالله، فأما العالم بالله، وبأمر الله، فالذي يخشى الله، ويعلم الحدود، والفرائض، وأما العالم بالله، وليس بعالم بأمر الله، فالذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض، وأما العالم بأمر الله، وليس بعالم بالله، فالذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله.

قال الفقيه رضي الله تعالى عنه سمعت أبي رحمه الله ، قال: سمعت محمد بن جناح ، قال: قال أبو حفص: «يزاد للعالم عشرة أشياء الحسبة، والخشية، والنصيحة، والشفقة، والاحتمال، والصبر، والحلم، والتواضع، والعفة في أموال الناس، والدوام على النظر في الكتب، وقلة الحجاب، وأن يكون بابه مفتوحا للوضيع والشريف، فإنه بلغنا أن داود النبي صلى الله عليه وسلم إنما ابتلي من شدة الحجاب»

قال أبو حفص: عشرة أشياء قبيحة في عشرة أصناف من الناس: الحدة في السلطان، والبخل في الأغنياء، والطمع في العلماء، والحرص في الفقراء، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والفتوة في الشيوخ، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٣٦

وإتيان الزهاد أبواب أهل الدنيا والجهل في العبادة قال فضيل بن عياض رحمه الله: إذا كان العالم راغبا في الدنيا حريصا عليها، فإن مجالسته تزيد الجاهل جهلا والفاجر فجورا، وتقسي قلب المؤمن.

وقال بعض الحكماء: كلام الحكماء لهو السفهاء، وكلام السفهاء عبرة الحكماء.

قال الفقيه رضي الله تعالى عنه: يعني أن السفهاء إذا سمعوا كلام الحكماء يستظرفون كلامهم، فيكون بمنزلة اللهو لهم، وأما الحكماء إذا سمعوا كلام السفهاء، فيرون قبح ذلك الكلام، فيعتبرون به.

ويحترزون عن مثل ذلك.

ويقال: همة السفهاء الاستماع، وهمة العلماء الرواية، وهمة الزهاد الرعاية يعني يتعاهدون بما فيه ويعملون به، وبالله التوفيق.". (١)

١٠٥٣-"والثاني: ما دام جالسا عنده كان محبوسا عن الذنوب والخطأ.

والثالث: إذا خرج من منزله تنزل عليه الرحمة.

والرابع: إذا جلس عنده، فتنزل عليهم الرحمة، فتصيبه ببركتهم.

والخامس: ما دام مستمعا تكتب له الحسنة.

والسادس: تحف عليهم الملائكة بأجنحتها رضا وهو فيهم.

والسابع: كل قدم يرفعه، ويضعه يكون كفارة للذنوب، ورفعا للدرجات له، وزيادة في الحسنات، ثم يكرمه الله تعالى بست كرامات أخرى: أولها: يكرمه بحب شهود مجلس العلماء.

والثاني: كل من يقتدي بهم، فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

والثالث لو غفر لواحد منهم يشفع له.

والرابع: يبرد قلبه من مجلس الفساق.

والخامس: يدخل في طريق المتعلمين والصالحين.

والسادس: يقيم أمر الله تعالى، لأن الله تعالى، قال: ﴿كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب﴾ [آل عمران: ٧٩] ، يعني العلماء والفقهاء هذا لمن لم يحفظ شيئا، وأما الذي يحفظ فله أضعاف مضاعفة **وقال بعض الحكماء**: إن لله تعالى جنة في الدنيا، من دخلها طاب عيشه.

قيل: ما هي؟ قال: مجلس الذكر.

٦٨٢ - وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «المجلس الصالح، يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء» وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قال: إن الرجل ليخرج من منزله، وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٣٧

العلم خاف، واسترجع عن ذنوبه، فانصرف إلى منزله، وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء، فإن الله تعالى لم يخلق على وجه الأرض بقعة أكرم على الله من مجالس العلماء". (١)

١٠٥٤-"والسادس: حين فرغوا من الطعام قالوا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢] .

قال بعض الحكماء اشتغلت بشكر أربعة أشياء: أولها أن الله تعالى خلق ألف صنف من الخلق، ورأيت بني آدم أكرم الخلق، فجعلني من بني آدم.

والثاني: فضل الرجال عن النساء، فجعلني من الرجال.

والثالث: رأيت الإسلام أفضل الأديان وأحبها إلى الله تعالى، فجعلني مسلما.

والرابع: رأيت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم، فجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

٦٩٣ - وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: " إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم، وهم أربعة أصناف: الملائكة والجن، والإنس، والشياطين، وجعلهم عشرة أجزاء، تسعة منهم الملائكة، وجزء واحد الجن، والإنس، والشياطين " ويقال: الخلق عشرة أجزاء، تسعة منها الشياطين والجن، وواحد منها الإنس، ثم جعل الإنس مائة وخمسا وعشرين صنفا.

فالمائة منها يأجوج، ومأجوج، وساتوج، ومالوق، وغيرهم، وكلهم كفار، ومصيرهم إلى النار، وخمسة وعشرون سائر الخلق واثنا عشر من ذلك الروم، والخزر، والسقلاب ونحوها، وستة في المغرب، الزط، والحبش، والزنج ونحوها، وستة بالمشرق، الترك والخاقان، وغز وتغر، وخلنج، وكيماك، ويمك فهؤلاء كلهم في النار، إلا من أسلم وبقي صنف واحد من المسلمين من مائة وخمسة وعشرين صنفا، فالواجب على كل من كان مؤمنا، أن يحمد الله تعالى على هذا، ويعرف نعمته، ويعلم أن الله تعالى قد اختاره من جملة الخلق، وجعله من صنف المؤمنين، ثم جعل الصنف الواحد من المسلمين على ثلاثة وسبعين صنفا، اثنان وسبعون من ذلك، في أهواء مختلفة كلهم على الضلالة وواحد على سبيل السنة.

ويقال: الشكر على وجهين: شكر عام، وشكر خاص، فأما الشكر العام فهو الحمد باللسان، وأن يعترف بالنعمة من الله تعالى.

وأما الشكر الخاص، فالحمد باللسان، والمعرفة بالقلب، والخدمة بالأركان، وحفظ اللسان، وسائر الجوارح عما لا يحل.". (٢)

١٠٥٥-"ثوبا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أليس هذا خيرا لك من أن تجيء يوم القيامة، ومسألتك في وجهك نكتة سوداء،

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٤٠

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٤٨

لا يمحوها إلا النار» وقال بعض الحكماء: لا ينبغي للعاقل أن ينزل بلدا ليس فيها خمسة: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائم، ونهر جار، وطبيب حاذق.

وقيل لبعض الحكماء: ما خير المكاسب؟ قال: أما خير مكاسب الدنيا: فطلب الحلال لزوال الحاجة، والأخذ منه لعدة العبادة، وتقديم فضل زاد يوم القيامة، وأما خير مكاسب الآخرة، فعلم معمول به نشرته، وعمل صالح قدمته، وسنة حسنة أحييتها قيل: وما شر المكاسب؟ قال: أما شر مكاسب الدنيا فحرام جمعته وفي المعصية أنفقته، ولمن لا يطيع ربه خلفته، وأما شر مكاسب الآخرة، فحق أنكرته حسدا، ومعصية قدمتها إصرارا، وسنة سيئة أحييتها عدوانا أي ظلما.". [١]

١٠٥٦-"قال بعض الحكماء إذا لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدراين جميعا.

أولها: لسان نقي من ثلاثة، من الكذب، واللغو، والحلف.

والثاني: قلب صاف من ثلاث من الغش، والخيانة، والحسد.

والثالث: نفس محافظة لثلاث: الجمعة، والجماعات وطلب العلم في بعض الساعات، وإيثار مرضاة الله تعالى على غيره وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أنه قال: التاجر إذا لم يكن فقيها ارتطم في الربا، يعني غرق في الربا، ثم ارتطم، ثم ارتطم وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه قال: من لم يتفقه في الدين فلا يتجرن في أسواقنا.

وقال سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه: لا تنظرن إلى زي أهل السوق فإن تحت ثيابهم ذئابا.

وقال سفيان أيضا: إياكم وجيران الأغنياء، وقراء الأسواق، وعلماء الأمراء وعن محمد بن شمال رضي الله تعالى عنه، أنه دخل السوق فقال: يا أهل السوق سوقكم كاسد، وبيعكم فاسد، وجاركم حاسد، ومأواكم النار وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: كسب الحلال أشد من نقل الجبل إلى الجبل وعن يونس بن عبيد رضي الله تعالى عنه، أنه قال: ما أعلم اليوم شيئا أقل من درهم طيب ينفق، وأخ يسكن إليه في الإسلام، وعامل يعمل على السنة، وما يزدادون إلا قلة ولو وجدنا درهما من الحلال ، لاستشفينا به مرضانا.

٧٠٨ - وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ما من عبد إلا ويعرض على الله يوم القيامة، فلا تزول قدماه حتى يسأل عن أربع خصال.

عن جسده فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وعن علمه كيف عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه". [٢]

١٠٥٧-"وقال بعض الحكماء: المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ من الحرص، ويمنع بالشك، وينفق بالرياء، والمؤمن البصير، يأخذ بالخوف، ويمسك بالشكر، وينفق خالصا لوجه الله تعالى.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٥٤

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٥٦

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى: الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى، ومفتاحها الدعاء، وأسنانها لقمة الحلال وعن ابن شبرمة رحمه الله تعالى ، قال: العجب ممن يحتمي من حلال مخافة الداء، فكيف لا يحتمي بالحرام مخافة النار

٧٠٩ – وروى ابن الزبير، عن جابر رضي الله تعالى عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «يا أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه، فلا تستبطئوا الرزق فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فخذوا ما حل لكم، وذروا ما حرم الله» .

وقال الحكيم: الناس في الكسب على خمس مراتب، منهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب فهو مشرك، ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى، ولا يدري أيعطيه أم لا فهو منافق، شاك، ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى، ولا يؤدي حقه ويعصي الله تعالى، فهو فاسق، ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا، وأخرج حقه، ولا يعصي الله تعالى لأجل الكسب، فهو مؤمن مخلص.

٧١٠ – وروي عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كان لأبي بكر الصديق، رضي الله تعالى عنه، غلام يأتيه كل ليلة بغلته طعاما يأكله.

وكان أبو بكر، رضي الله تعالى عنه، لا يأكله حتى يسأله من أين اكتسبه؟ ومن أين أصابه؟ قال: فجاء ذات ليلة بطعام فضرب يده إليه فأكل لقمة، من غير أن يسأله، قال الغلام: قد كنت تسألني كل ليلة غير هذه الليلة، فإنك لم تسألني قال: ويحك الجوع حملني، ويحك أخبرني من أين جئت به.

قال: كنت رقيت لأناس في الجاهلية، فوعدوني عليه عدة، فرأيت عندهم وليمة، فذكرتهم وعدهم الذي". (١)

١٠٥٨–"المؤمنين كلهم إخوة لي، والأخ ينبغي أن يكون مشفقا على أخيه، ورأيت العداوة التي تقع بين الناس أصلها من الحسد، فاجتهدت حتى أخرجت الحسد من قلبي، حتى صار قلبي بحال لو أصاب المؤمن هم بالمشرق، جعلت أهتم حتى كأنه أصابني، ولو أصاب مسلما خير في المغرب أسر به حتى كأنه أصابني.

فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما الثالثة؟ قال: نظرت فوجدت لكل إنسان حبيبا، ولا بد للحبيب أن يظهر للحبيب محبته، فوجدت حبيبي طاعة الله تعالى، وما سوى ذلك من الأحباء كلهم ينقطعون عني إلا طاعة الله، فإنها معي في القبر، وفي المحشر، وعلى الصراط، فانقطعت عن جميع الأحبة، واتخذت طاعة الله حبيبا.

فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما الرابعة؟ قال: نظرت فوجدت لكل إنسان عدوا، ولابد للعدو من عدوانه، والحذر عنه، فرأيت عدوي الكافر والشيطان، فرأيت عداوة الكافر أيسر لأنه إن قاتلني فقتلني كنت شهيدا، وإن قتلته كنت مأجورا، فرأيت عداوة الشيطان أشد، لأنه يراني من حيث لا أراه، فيريد أن يجعلني مع نفسه من النار، فاشتغلت بعداوته ما عشت، وتركت عداوة غيره.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٥٧

فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما الخامسة؟ قال: نظرت فوجدت لكل إنسان بيتا ولابد للبيت من العمارة، فرأيت منزلي القبر فاشتغلت بعمارته.

فقال له شقيق: نعم ما فهمت.

فما السادسة؟ قال: نظرت فوجدت لكل شيء طالبا، فرأيت طالبي ملك الموت ولا أدري متى يأتيني، فاستعددت له كالعروس تزف إلى منزل زوجها، فمتى جاءني لا أطلب منه التأخير فقال له شقيق: نعم ما فهمت إن عملت بها نجوت أنا وأنت

٧٣١ – وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا نبي الله أخلي ناقتي وأتوكل على الله أو أعقلها، وأتوكل على الله.

قال: «بل اعقلها وتوكل على الله» **وقال بعض الحكماء**: صفة أولياء الله تعالى ثلاث خصال: الثقة بالله في كل". (١)

١٠٥٩–"٧٣٤ – عن الحسن، عن عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «قال الله تعالى عبدي أد ما افترضت عليك، تكن من أعبد الناس، وانته عما نهيتك عنه، تكن من أورع الناس، واقنع، بما رزقتك تكن من أغنى الناس» وعن فضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه، أنه قال: خمس من علامات السعادة: اليقين في القلب، والورع في الدين، والزهد في الدنيا، والحياء في العينين، والخشية في البدن، وخمس من علامات الشقاوة: القسوة في القلوب، والجمود في العينين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، أنه قال: كنا ندع تسعة أعشار من الحلال مخافة أن نقع في الشبهة، أو في الحرام وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، نحو هذا **وقال بعض الحكماء**: أمر الدنيا كلها عجب، ولكني أتعجب من ابن آدم المغرور، في خمسة أشياء: أولها: أتعجب من صاحب فضول الدنيا، كيف لا يقدم فضوله ليوم فقره وحاجته إليه.

والثاني: أتعجب من لسان ناطق، كيف يطاوع نفسه، ويعرض عن ذكر الله تعالى، وعن تلاوة القرآن.

والثالث: أتعجب من صحيح فارغ رأيته مفطرا أبدا، كيف لا يصوم من كل شهر ثلاثة أيام أو نحوه، وكيف لا يتفكر في عاقبة الصوم إذا استقبله.

والرابع: أتعجب من الذي يمهد فراشه، وينام إلى الصبح، كيف لا يفكر في فضل صلاة ركعتين في الليل، فيقوم ساعة من الليل.

والخامس: أتعجب من الذي يجترئ على الله، ويرتكب ما نهاه عنه، وهو يعلم أنه يعرض عليه يوم القيامة، فكيف لا يتفكر في عاقبة أمره لينزجر عنه.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٦٨

وروي عن ابن المبارك رحمه الله، أنه قال: ترك فلس من حرام أفضل من مائة ألف فلس أتصدق بها.". (١)

١٠٦٠-"يستقر كل عضو مني، وأرى الكعبة بين حاجبي والمقام بحيال صدري، والله تعالى يعلم ما في قلبي وكأن قدمي على الصراط، والجنة عن يميني، والنار عن يساري، وملك الموت خلفي، وأظن أنها آخر صلاتي، ثم أكبر تكبيرة بإخبات، وأقرأ قراءة بالتفكر، وأركع ركوعا بالتواضع، وأسجد سجودا بالتضرع، ثم أجلس على التمام، وأتشهد على الرجاء والخوف، وأسلم على السنة، ثم أسلمها بإخلاص، وأقوم بين الرجاء والخوف، ثم أتعاهد بالصبر.

قال عصام: يا حاتم كذا صلاتك؟ قال: هكذا صلاتي.

قال: منذ كم صلاتك على هذا الوصف؟ قال: منذ ثلاثين سنة، فبكى عصام وقال: ما صليت صلاة من صلاتي مثل هذا قط وذكر أن حاتما فاتته الجماعة مرة، فعزاه بعض أصحابه، فبكى وقال: لو مات لي ابن واحد لعزاني نصف أهل بلخ، والآن قد فاتتني جماعة فما عزاني إلا بعض أصحابي، وإنه لو مات لي الأبناء جميعا، لكان أهون علي من فوات هذه الجماعة.

وقال بعض الحكماء: الصلاة بمنزلة الضيافة، قد هيأها الله تعالى للموحدين في كل يوم خمس مرات، كما أن الضيافة يجتمع فيها الألوان من الطعام، ولكل طعام لذة، ولون، فكذلك الصلاة فيها أفعال، وأذكار مختلفة، لكل فعل ثواب، وتكفير للذنوب، ويقال: المصلون كثير ومقيمو الصلاة قليل، والله تعالى وصف المؤمنين بإقامة الصلاة فقال: ﴿والمقيمي الصلاة﴾ [الحج: ٣٥] ، ووصف المنافقين، وسماهم مصلين فقال: ﴿فويل للمصلين ﴿٤﴾ الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون: ٤-٥] ، وفي المؤمنين يقيمون الصلاة، وإقامتها إدامتها، ومحافظتها لوقتها، وتمام ركوعها وسجودها.

وقال بعض الحكماء: الناس في حضور الصلاة صنفان: خاص وعام.

فأما الخاص فيأتي في الصلاة مع الحرمة، ويقوم باليقين والهيبة، ويؤديها بالتعظيم، ويرجع مع الخوف.

وأما العام فيجيء مع الغفلة، ويقوم بالجهل، ويؤديها مع الوسوسة، ويرجع مع الأمن **وقال بعض الحكماء** بالفارسية: «كناه كترا كنده توبة ياذ كلدوا ايدست جابغان، ومماز حوق جوق أزين كونه مازان سرين ذبر ذجوكاجوك» .

يعني إذا توضأ مع الوسوسة بغير تعظيم، وصلى مع الوسوسة والتفكير في أشغال الدنيا لا يتقبل منه.". (٢)

١٠٦١-"**وقال بعض الحكماء**: أربعة أشياء، قد انغمست في أربعة مواضع، وأطلعت رأسها في أربعة أماكن: أولها: رضا الله تعالى قد انغمس في الطاعات، وأطلع رأسه في بيت الأسخياء.

والثاني: سخط الله تعالى، قد انغمس في الخطايا، وأطلع رأسه في بيت البخلاء.

والثالث: طيب العيش، وسعة الرزق، اختفى في المثوبات، فأطلع رأسه في بيوت المصلين.

والرابع: ضيق المعيشة، انغمس في العقوبات، فأطلع رأسه في بيوت المتهاونين بالصلاة.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٤٧٢

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٥٤١

وقال بعض الحكماء إذا اشتغل الناس بستة أشياء، فاشتغلوا أنتم بستة أخرى: أولها: إذا اشتغل الناس بكثرة الأعمال، فاشتغلوا أنتم بحسن الأعمال.

والثاني: إذا اشتغل الناس بالفضائل، فاشتغلوا أنتم بإتمام الفرائض.

والثالث: إذا اشتغل الناس بإصلاح العلانية، فاشتغلوا أنتم بإصلاح السر.

والرابع: إذا اشتغل الناس بعيوب الناس، فاشتغلوا أنتم بعيوب أنفسكم.

والخامس: إذا اشتغل الناس بعمارة الدنيا، فاشتغلوا أنتم بعمارة الآخرة.

والسادس: إذا اشتغل الناس بطلب رضا المخلوقين، فاشتغلوا أنتم بطلب رضا الله تعالى، والله أعلم بالصواب.". (١)

١٠٦٢-"باب: ما قيل كيف يصبح الرجل

٩١٧ - قال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله حدثنا محمد بن الفضل ، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية عن ليث، عن مجاهد ، قال: قال لي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: «يا مجاهد، إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من حياتك قبل مماتك، ومن صحتك قبل سقمك، فإنك لا تدري ما اسمك غدا»

قال بعض الحكماء: إذا أصبح الرجل ينبغي أن ينوي أربعة أشياء: أولها: أداء ما فرض الله عليه.

والثاني: اجتناب ما نهى الله عنه.

والثالث: إنصاف من كان بينهم وبينه معاملة.

والرابع: إصلاح ما بينه وبين خصمائه، فإذا أصبح على هذه النيات أرجو أن يكون من الصالحين المفلحين.

وقيل لبعض الحكماء: بأي نية يقوم الرجل عن فراشه؟ قال: لا يسأل عن القيام حتى ينظر كيف ينام، ثم يسأل عن القيام، فمن لم يعرف كيف ينام لا يعرف كيف يقوم.

ثم قال: لا ينبغي للعبد أن ينام ما لم يصلح أربعة أشياء: أولها أن لا ينام، وله على وجه الأرض خصم حتى يأتيه فيتحلل منه، لأنه ربما يأتيه ملك الموت، فيقدمه على ربه لا حجة له عنده.". (٢)

١٠٦٣-"والثاني لا ينبغي أن ينام، وقد بقي عليه فرض من فرائض الله تعالى.

والثالث لا ينبغي أن ينام ما لم يتب من ذنوبه التي سلفت منه لأنه ربما يموت من ليلته، وهو مصر على الذنوب.

والرابع لا ينبغي أن ينام حتى يكتب وصية صحيحة لأنه ربما يموت من ليلته من غير وصية.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٥٤٢

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٥٦٥

ويقال: الناس يصبحون على ثلاثة أصناف، صنف في طلب المال، وصنف في طلب الإثم، وصنف في طلب الطريق، فأما من أصبح في طلب المال فإنه لا يأكل فوق ما رزقه الله تعالى، وإن كثر المال، ومن أصبح في طلب الإثم لحقه الهوان، ومن أصبح في طلب الطريق، آتاه الله تعالى الرزق والطريق.

وقال بعض الحكماء: من أصبح لزمه أمران: الأمن، والخوف، فأما الأمن، فهو أن يكون آمنا بما تكفل الله له من أمر رزقه، وأما الخوف، فهو أن يكون خائفا فيما أمر به حتى يتمه، فإذا فعل هذين أكرمه الله بشيئين: أحدهما: القناعة بما يعطيه.

والثاني: حلاوة طاعته.

وروى سفيان الثوري ، عن أبيه، عن سعيد بن مسروق رحمهم الله تعالى قال: كان الربيع بن خيثم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: «أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا»

وعن مالك بن دينار، قيل له: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من كان منقلبه من دار إلى دار، ولا يدري إلى الجنة يصير أم إلى النار وذكر أن عيسى ابن مريم عليهما السلام، قيل له: كيف أصبحت يا روح الله؟ قال: أصبحت لا أملك ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أخاف وأصبحت مرتهنا بعملي، والخير كله في يد غيري، ولا فقير أفقر مني وقيل لعامر بن قيس: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد أوقرت نفسي من ذنوبي، وأوقرني الله تعالى من نعمائه، فلا أدري أعبادتي تكون تمحيصا لذنوبي، أو شكرا لنعمة الله". (١)

١٠٦٤-"أوامره، وارتكب معاصيه، فإن التفكر في ذلك يزيد الحياء والخجل، فإذا تفكر في هذه الخمسة أشياء، فهو من الذين

٩٢٣ - قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة» .

ولا يتفكر فيما سوى ذلك فإن التفكر، فيما سوى ذلك وسوسة.

قال بعض الحكماء: لا تتفكر في ثلاثة أشياء: لا تتفكر في الفقر فيكثر همك وغمك، ويزيد في حرصك، ولا تتفكر في ظلم من ظلمك فيغلظ قلبك، ويكثر حقدك، ويدوم غيظك، ولا تتفكر في طول البقاء في الدنيا، فتحب الجمع، وتضيع العمر، وتسوف في العمل.

ويقال: أصل الورع أن يتعاهد المرء قلبه لكي لا يتفكر فيما لا يعنيه، فكلما ذهب قلبه إلى ما لا يعنيه، عالجه حتى يرده إلى ما يعنيه، وهو أشد الجهاد، وأفضله، وأشغله لصاحبه، فمن لم يفعل ذلك في غير الصلاة، يوشك أن لا يملك ذلك في الصلاة.

وقال بعض الحكماء: تمام العبادة في صدق النية، وتمام صلاة العمل في التواضع، وتمام هذين بالزهد في الدنيا، وتمام هذه

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٥٦٦

كلها بالهم، والحزن في أمر الآخرة، وتمام الهم والحزن، ملازمة ذكر الموت بقلبك، وكثرة التفكر في ذنوبك.

ويقال: أخلاق الأبدال عشرة أشياء، سلامة الصدر، وسخاوة المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصبر في الشدة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة للخلق، والرحمة للمؤمنين، والتفكر في الفناء، والعبرة في الأشياء.

وقال مكحول الشامي، رحمه الله، من آوى إلى فراشه، ينبغي أن يتفكر فيما صنع في يومه ذلك، فإن كان عمل فيه خيرا، يحمد الله تعالى على ذلك، وإن عمل ذنبا استغفر الله منه، ورجع عن قريب، فإن لم يفعل، كان كمثل التاجر الذي ينفق، ولا يحسب حتى يفلس ولا يشعر.

وقال بعض الحكماء: الحكمة تهيج من أربعة أشياء: أولها: بدن فارغ من أشغال الدنيا.

والثاني: بطن خال من طعام الدنيا.". (١)

١٠٦٥-"رجل يشغله معاده عن معاشه، ورجل يشغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعا، فالأول: درجة الفائزين العابدين والثاني: درجة الهالكين، والثالث: درجة المخاطرين وذكر عن حاتم الزاهد ، أنه قال: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة قدر الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ، ولا يعرف قدر العافية إلا أهل البلاء، ولا قدر الصحة إلا المرضى، لا قدر الحياة إلا الموتى

٩٤٨ - قال الفقيه رضي الله تعالى عنه: هذا مستخرج من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك " فينبغي للإنسان أن يعرف قدر حياته، ويغتنم كل ساعة تأتي عليه ويقول لا أدري كيف يكون حالي في ساعة أخرى، ويتفكر في ندامة الموتى وإنهم يتمنون الحياة مقدار ركعتين، أو مقدار قول لا إله إلا الله، وإنك قد نلتها، فاجتهد في عبادة الله تعالى، قبل أن يأتيك وقت الندامة والحسرة وقيل لحاتم رضي الله تعالى عنه، علام بنيت عملك؟ قال: على أربع: أحدها: إني علمت أن لي رزقا لا يجاوزني إلى غيري كما لا يجاوز رزق أحد إلي فوثقت به.

والثاني: علمت أن علي فرضا لا يؤديه غيري، فأنا مشغول به.

والثالث: علمت أن ربي يراني كل وقت، فأستحي منه.

والرابع: علمت أن لي أجلا يبادرني، فأنا أبادره.

قال الفقيه رضي الله تعالى عنه: المبادرة إلى الأجل، الاستعداد بالأعمال الصالحة، والامتناع عما نهى الله، والتضرع إلى الله تعالى لكي يثبته على ذلك، ويجعل خاتمته في خير **وقال بعض الحكماء** لا يجد الرجل حلاوة العبادة، حتى يدخل في العبادة بالنية، ويرى المنة لله، ويعمل بالخشية، ويسلمه بالإخلاص، لأنه إذا دخل فيه بالنية، فيعلم أن الله تعالى قد وفقه لذلك العمل، وإذا رأى لله عليه المنة فيدخل فيه بالشكر، فكان له من الله الزيادة لأن الله تعالى قال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٥٧٢

ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾". (١)

١٠٦٦-"[إبراهيم: ٧] ، وإذا عمله بالخشية وجب ثوابه على الله تعالى قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [التوبة: ١٢٠] ، والثواب في الدنيا، هو الحلاوة في الطاعة، وفي الآخرة وإذا سلمه بالإخلاص تقبله الله منه، وعلامة القبول أن يوفقه لطاعة هي أرفع منه.

ويقال: علامة الاغترار في ثلاثة أشياء: أولها أن يجمع ما لا يخلفه، والثاني: زيادة الذنوب تهلكة، والثالث: ترك عمل ينجيه، وعلامة المنيب يعني المقبل إلى الله تعالى ثلاث أن يجعل قلبه للتفكر، والثاني أن يجعل لسانه للذكر، والثالث أن يجعل بدنه للخدمة.

ويقال: للمخادع نفسه ثلاث علامات، أحدها أن يبادر إلى شهوات ويأمن الزلل، والثاني: يسوف التوبة بطول الأمل، والثالث: يرجو الآخرة بغير عمل.

قال بعض الحكماء من ادعى ثلاثا بغير ثلاث، فاعلم أن الشيطان يسخر منه أولها، من ادعى حلاوة ذكر الله مع حب الدنيا، والثاني: من ادعى رضا خالقه من غير سخط نفسه، والثالث: من ادعى الإخلاص مع حب ثناء المخلوقين.

وعن أبي نضرة ، قال: أربع من كن فيه، فلم يزدد بهن خيرا، فذاك الذي لم يتقبل الله منه عمله ذلك، أولها: من غزا ثم رجع، فلم يزدد خيرا، فذاك آية أنه لم يتقبل الله منه، ومن صام شهر رمضان ولم يزدد خيرا فذاك آية أنه لم يتقبل الله منه، ومن حج فرضا فلم يزدد خيرا، فذاك آية أنه لم يتقبل الله منه، ومن مرض فعوفي فلم يزدد خيرا، فذاك آية أنه لم تكفر عنه ذنوبه ويقال: ينبغي للعاقل أربعة أشياء حتى يصلح عمله، ولا يضيع اجتهاده، أولها: العلم ليكون علمه حجة، والثاني: التوكل حتى يكون له في العبادة فراغ، ومن الخلق أياس،". (٢)

١٠٦٧-"والثالث: الصبر ليتم به العمل، والرابع: الإخلاص لينال به الأجر.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: ما طلب رجل هذا الخير، يعني الجنة، إلا اجتهد ونحل وذبل، واستمر أي استقام حتى يلقى الله ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ [فصلت: ٣٠] .

وقال بعض الحكماء: علامة الذي استقام أن يكون مثله كمثل الجبل، لأن الجبل له أربع علامات أحدها: أنه لا يذيبه الحر، والثاني: لا يجمده البرد، والثالث: لا تحركه الريح، والرابع: لا يذهبه السيل، فكذا المستقيم له أربع علامات.

أحدها: إذا أحسن إليه إنسان لا يحمله إحسانه على أن يميل إليه بغير حق، والثاني: إذا أساء إليه إنسان لا يحمله ذلك على أن يقول بغير حق، والثالث: أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى، والرابع: أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله عز وجل.

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٥٩٢

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٥٩٣

ويقال: سبعة أشياء من كنوز البر، وكل واحد من ذلك واجب بكتاب الله تعالى.
أولها: الإخلاص في العبادة لقول الله عز وجل: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ [البينة: ٥] ، والثاني: بر الوالدين لقوله عز وجل: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ [لقمان: ١٤] ، والثالث: صلة الرحم لقوله عز وجل: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ [النساء: ١] ، والرابع: أداء الأمانة لقوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء: ٥٨] الآية.". (١)

١٠٦٨-"ويزين المعصية، وليس بيده أكثر من ذلك، فينبغي للعبد أن يجتهد في دفع الوسوسة عن نفسه، ويجتهد في مخالفة عدوه لأن الله تعالى قال: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ [فاطر: ٦] ، وينبغي للعاقل أن يعرف صديقه من عدوه، فيطيع صديقه، ولا يتبع عدوه، فإنه يقال: علامة الجاهل أربعة أشياء: أحدها: الغضب من غير شيء.
والثاني: اتباع النفس في الباطل، والثالث: إنفاق المال في غير حق، والرابع: قلة معرفة صديقه من عدوه، ويعني يختار طاعة الشيطان على طاعة الله تعالى، فبئس البدل طاعة الشيطان على طاعة الله تعالى.
وقال تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ [الكهف: ٥٠] ، وعلامة العاقل أربعة أشياء: الحلم عن الجاهل، ورد النفس عن الباطل، وإنفاق المال في حقه، ومعرفة صديقه من عدوه وذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى ، أنه قال: إن إبليس لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له يحيى بن زكريا: أخبرني عن طبائع ابن آدم عندكم؟ فقال إبليس: أما صنف منهم، فهو مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء، والصنف الثاني، فهم في أيدينا كالكرة في أيدي صبيانكم، وقد كفونا أنفسهم، والصنف الثالث، فهم أشد الأصناف علينا، فنقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا، ثم يفزع إلى الاستغفار فيفسد به علينا ما أدركنا منه، فلا نحن نيئس منه ولا نحن ندرك حاجتنا منه وقال بعض الحكماء: نظرت وتفكرت من أي باب يأتي الشيطان إلى الإنسان، فإذا هو يأتي من عشرة أبواب: أولها: يأتي من قبل الحرص وسوء الظن، فقابلته بالثقة والقناعة فقلت بأي آية أتقوى عليه من كتاب الله تعالى، فوجدت قول الله عز وجل: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] ، الآية.
فكسرته بذلك.". (٢)

١٠٦٩-"وقال بعض الحكماء: المنازل أربعة: عمرنا في الدنيا، ومكثنا في القبر، ومقامنا في الحشر، ومصيرنا إلى الأبد الذي خلقنا له، فمثل عمرنا في الدنيا، كمثل المتعشي في الحاج لا يطمئنون ولا يحلون الدواب والأثقال لسرعة الارتحال، ومثل مكثنا في القبر، كمثل النزول في بعض المنازل يضعون الأثقال، ويستريحون يوما أو ليلة، ثم يرتحلون ومثل مقامنا في الحشر كنزولهم بمكة، وهو غاية الاجتماع لكل فريق من كل فج عميق، يقضون النسك، ثم يتفرقون يمينا وشمالا،

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٥٩٤
(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٥٩٨

كذلك يوم القيامة، إذا فرغوا من المحاسبة افترقوا فرقا إلى الجنة وفرقا إلى السعير.

وقال شقيق بن إبراهيم رحمه الله تعالى: سألت سبع مائة عالم، عن خمسة أشياء فكلهم أجابوا بجواب واحد قلت: من العاقل؟ قالوا: العاقل من لم يحب الدنيا.

قلت: من الكيس؟ قالوا: من لم تغره الدنيا.

قلت: من الغني؟ قالوا: الذي يرضى بما قسم الله له.

قلت من الفقيه؟ قالوا: الذي يمتنع من طلب الزيادة قلت: من البخيل؟ قالوا: الذي يمنع حق الله تعالى من ماله.

ويقال: سخط الله تعالى على العبد في ثلاثة أشياء: أحدها أن يقصر فيما أمر الله تعالى، والثاني أن لا يرضى بما قسم الله تعالى له، والثالث أن يطلب شيئا فلا يجده فيسخط على ربه.

وقال بعض الحكماء في قول الله عز وجل: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [المائدة: ٣٨] ، قال الفقهاء: من سرق عشرة دراهم تقطع يده لمعنيين: أحدهما: لهتك حرمة المسلمين، والثاني: لأنه لم يرض بما قسم الله تعالى له ومال إلى مال غيره، فأمر الله تعالى أن تقطع يده نكالا، بما كسب ليكون عبرة لغيره، لكي يرضى بما قسم الله تعالى له، وينبغي للمؤمن أن يكون راضيا بما قسم الله تعالى له، فإن الرضا بما قسم الله له من أخلاق الأنبياء والصالحين.

وروي عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أنه قال: اثنتا عشرة خصلة من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.". [١]

١٠٧٠-"أخبرنا يحيى، أنا ابن المبارك بن الحسين الأنصاري، أنا أبو الحسين بن البشران، ثنا ابن صفوان، أنا أبو بكر بن عبيد، حدثني محمد بن إسحاق قال:

قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يفرح بالدنيا من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته.

أخبرنا محمد بن عبد الله البيضاوي، أنا المبارك بن عبد الجبار، أنا أحمد بن علي النوري، أنا أبو الحسين بن أخي ميمي، أنا الحسين بن جزء بن صفوان، أنا أبو بكر القرشي، حدثني محمد بن الحسين، حدثني أبو عقيل زيد بن عقيل، ثنا محمد بن ثابت العبدي، عن محمد بن واسع قال: قال خليد العصري: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدا، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفا، فعلام تفرحون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشر، فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرا جميلا.

وكان الحسن يقول: التنور تسجر، والسكين تحد، والكبش يعلف.

وقال: عجبا لقوم أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم وهم قعود يلعبون.". [٢]

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص/٦٠٥

(٢) حفظ العمر لابن الجوزي ص/٦٧

١٠٧١-"وقال أعرابي لابنه يا بني من خاف الموت بادر الفوت ومن لم يكبح نفسه عن الشهوات بادرت به إلى الهلكات والجنة والنار أمامك

وقال بعض الحكماء أعدل الناس من أنصف عقله من هواه وقال آخر العاقل من كان له على جميع شهواته رقيب من عقله

وقال آخر الهوى ملك عسوف وسلطان ظالم دانت له القلوب وانقادت له النفوس

وقال آخر النفس إذا هويت شيئا مالت إليه حتى تكون عند الذي هويت أكثر من كونها عند جسدها

وقال آخر إن لكل شيء أبا جاد وإن أبا جاد الحكمة طرد الهوى ووزن الأعمال

ذكر أشعار قيلت في ذم الهوى

أخبرنا المبارك بن علي قال أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الخبري قالت أنبأنا علي بن الحسن بن الفضل قال أنبأنا أحمد بن محمد الكاتب قال أنبأنا ابن المغيرة الجوهري قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح قال دخل الوليد بن يزيد بعض كنائس الشام فكتب في حيطانها بفحمة

ما أرى العيش غير أن تتبع النفس هواها فمخطئا أو مصيبا ... فرأى ذلك البيت عبد الله بن علي فكتب تحته". [1]

١٠٧٢-"فتلمح يا أخي أثر خلاف الهوى كيف بان في مقام لو أقسم وميز ما بين إدلال المطيع وذل العاصي

وقد سمعت أن عمر لما جاءه منكر ونكير جذب بذاؤبة هذا وذؤابة هذا وقال من ربكما ولولا انقباض يده عن الهوى ما انبسطت إلى منكر ونكير

وقد قال بعض الحكماء ظاهر التقوى شرف الدنيا وباطنها شرف الآخرة

واعلم أنك إذا عكست هذه الحال في حق موافق الهوى والنفس رأيت الذل ملازما والجاه منكسرا وكذلك الأمر عند المخلوقين في الأمرين جميعا فإنه من عرف عندهم بقهر الهوى عظم ومن نبز بأنه مقهور الهوى أهين فالعجب من سكرة ذي الهوى كيف غلبت عليه فلما أفاق لم ير غير اللوائم". [2]

١٠٧٣-"قال حدثنا أبو بكر الحنفي قال حدثنا عبيد الله بن العيزار قال قال الحسن من أطلق طرفه طال أسفه

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا حمد بن أحمد قال أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبو بكر بن مالك قال حدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا معتمر عن إسحاق بن سويد عن العلاء بن زياد قال لاتتبع بصرك رداء امرأة فإن النظرة تجعل في القلب شهوة

أخبرنا ابن ناصر قال أنبأنا ابن يوسف قال أنبأنا أبو بكر الحناط قال أنبأنا أبو الفتح بن أبي الفوارس قال أنبأنا أحمد بن

---

(١) ذم الهوى ص/٣٢

(٢) ذم الهوى ص/٥٧

جعفر الختلي قال أنبأنا أحمد ابن محمد بن عبد الخالق قال حدثنا المروزي قال قلت لأبي عبد الله الرجل ينظر إلى المملوكة قال إذا خاف الفتنة لا ينظر كم نظرة قد ألقت في قلب صاحبها البلابل

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا أبو عبد الله الصوري قال أخبرني أبو الفضل الحسن بن أحمد القاضي قال حدثنا أحمد بن عطاء الروذباري قال حدثنا عبيد بن محمد المقري قال قال محمد بن يعقوب قال ذو النون اللحظات تورث الحسرات أولها أسف وآخرها تلف فمن تابع طرفه تابع حتفه

أخبرنا إبراهيم بن دينار قال أنبأنا ابن نبهان قال أنبأنا الحسين بن الحسن بن دوما قال أنبأنا الذارع قال حدثنا سعيد بن معاذ قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال **قال بعض الحكماء** أول العشق النظر وأول الحريق الشرر

قال الذارع وحدثنا صدقة بن موسى قال أنبأنا مهدي بن سابق قال". (١)

١٠٧٤-"بعده التتيم فيدعى متيما والتتيم نهاية الهوى وآخر العشق

ومن التتيم يكون الداء الدوي والجنون الشاغل

وقال بعض الحكماء أول الحب العلاقة وهو شيء يحدثه النظر أو السمع فيخطر بالبال ويعرض للفكر ويرتاح له القلب ثم ينمى بالطبع واللجاج وإدمان الذكر ثم يقوى فيصير حبا ثم يصير هوى ثم خلة ثم عشقا ثم ولها فيسمى صاحبه مدلها ومستهاما ومستهترا وهائما وحيران ثم يصير تتيما وهو أرفع منازل الحب لأن التتيم التعبد والوجد ألم الحب والهيمان الذهاب في طلب غرض لا غاية له والكلف والشغف اللهج بطلب الغرض

قال الفراء اللوعة حرقة القلب من الحب

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام العلاقة الحب الملازم للقلب والجوى الهوى الباطن واللوعة حرقة الهوى واللاعج الهوى المحرق والشغف أن يبلغ الحب شغاف القلب وهو جلد دونه والتتيم أن يستعبده الهوى ومنه تيم الله ورجل متيم والتبل أن يسقمه الهوى يقال رجل متبول والتدليه ذهاب العقل من الهوى يقال مدله والهيوم أن يذهب على وجهه والشغف إحراق الحب القلب مع لذة يجدها وهو شبيه باللوعة

وقال أبو بكر بن الأنباري ويقال استهتر الرجل بكذا إذا ذهب عقله فيه وانصرفت همته إليه

وقال أبو عبد الله بن عرفة الإرادة قبل المحبة ثم المحبة ثم الهوى ثم العشق ثم التتيم وأنشد لنفسه

يا لقوم كم يعذل المشتاق ... والمعنى إلى الهوى ينساق

رحمتي رأفة وحبي عشق ... واشتياقي صبابة لا تطاق". (٢)

---

(١) ذم الهوى ص/٩٣

(٢) ذم الهوى ص/٢٩٤

١٠٧٥-"وهذه النفس لا يستأسرها الهوى فإن أمالها طبعها أقامها فكرها وانتاشها من يده عقلها وفهمها لأنها تتفكر فيما قد نابها فتتلمح منتهاه وترى غايته وليس من شأنها الوقوف لأنها في السير أبدا تترقى من علم إلى علم والعاشق واقف مع صورة جامدة عن التحرك والعارف بالله سبحانه في السير لا يفتر ولا ينكر أن يقوى طبعه عليه في حال وتميل به المحبة للصور أحيانا غير أنه لا يصير أسيرا إنما يميل يسيرا

قال بعض الحكماء ليس العشق من أدواء الحصفاء إنما هو من أمراض الخلعاء الذين جعلوا دأبهم ولهجهم متابعة النفس وإرخاء عنان الشهوة وإمراج النظر في مستحسنات الصور فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس ثم تألف ثم تتوق ثم تلمح فيقال عشق وليس هذا من صفات الحكماء لأن الحكيم من استطال رأيه على هواه وتسلطت حكمته على شهوته فرعونات طبعه مقيدة أبدا كصبي بين يدي معلمه أو عبد بمرأى سيده وما كان الشعق قط إلا لأرعن بطال وقل أن يكون لمشغول بصناعة أو تجارة فكيف لمشغول بالعلوم والحكم فإنها تصرفه ذلك ولهذا لاتكاد تجده في الحكماء

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أنبأنا جعفر بن أحمد قال أنبأنا أبو محمد الجوهري قال أنبأنا أبو عمر بن حيويه قال حدثنا محمد بن المرزبان قال حدثني هارون بن محمد قال أخبرني أبو عبد الله القرشي قال حدثني الحكم قال قيل لرجل من بني عامر هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله الحب فقال إنما يموت من الحب هذه اليمانية الضعاف القلوب

قال ابن عقيل العشق مرض يعتري النفوس العاطلة والقلوب الفارغة والمتلمحة للصور لدواع من النفس ويساعدها إدمان المخالطة فتتأكد الألفة". (١)

١٠٧٦-"محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن محمد اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال قال لي الرشيد ما حد العشق وصفته فقلت أن تكون ريح البصل من المعشوق أطيب عند العاشق من ريح المسك مع غيره وقال الحكماء عين الهوى عوراء

بهذا السبب يعرض الإنسان عن زوجته ويؤثر عليها الأجنبية وقد تكون الزوجة أحسن والسبب في ذلك أن عيوب الأجنبية لم تبن له وقد تكشفها المخالطة ولهذا إذا خالط هذه المحبوبة الجديدة وكشفت له المخالطة ما كان مستورا مل وطلب أخرى إلى ما لا نهاية له

وقد بلغنا عن المتوكل أنه خرج يوما واجما فسأله وزيره عن حاله فقال في الدار عشرون ومائة جارية ما فيهن من تطلبها نفسي

قال المصنف فاستعمال الفكر في بدن الآدمي وما يحوي من القذارة وما تستر الثياب من المستقبح يهون العشق ولهذا قال ابن مسعود إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتنها

وقال بعض الحكماء من وجد ريحا كريهة من محبوبه سلاه وكفى بالفكر في هذا الأمر دفعا للعشق المقلق

(١) ذم الهوى ص/٣١٠

ولقد بلغنا أن رجلا عشق امرأة فمد يده إليها مع طيش فقالت له تأمل أمرك أتدري ما تريد أن تصنع إنما تريد أن تبول في بالوعة لو شاهدت داخلها لوجدته أنتن من الكنيف فبرد وسكن ولم يعاود

وقال أبو نصر بن نباتة

ما كنت أعرف عيب من أحببته ... حتى سلوت فصرت لا أشتاق

وإذا أفاق الوجد واندمل الهوى ... رأت القلوب ولم تر الأحداق". (١)

١٠٧٧-"عند شهوتها وإقبالها وذروها عند فترتها وإدبارها

قال ابن المبارك رحمه الله القلب مثل المرآة إذا طالت في اليد صدئت وكالدابة إذا غفل عنها عدلت

وقال بعض الحكماء القلب مثل بيت له ستة أبواب ثم قيل لك احذر ألا يدخل عليك من أحد الأبواب شيء فيفسد عليك البيت فالقلب هو البيت والأبواب". (٢)

١٠٧٨-"ولقد حدثني محمد بن عثمان العقدي حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال **قال بعض الحكماء** ألزم الناس للكآبة أربعة رجل حديد ورجل حسود وخليط للأدباء وهو غير أديب وحكيم محتقر للأقوام وأبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله جاهل ورث الضلالة عن أهله ورأ س أهل ملته حظى فيهم بفضل الضلالة ومعظم للدنيا يرى بهجتها دائمة محبوبة ويرى ما رجي من خيرها قريبا وما صرف من شرها بعيدا ليس يعقد قلبه على الإيمان ورجل خالط النساك فانصرف عنهم لحرصه وشرهه وداجهم على مكر وخديعه

ذكر الحث على مجانبة الغضب وكراهية العجلة

أنبأنا عمر بن حفص البزار بجنديسابور حدثنا محمد بن زياد الزيادي حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة أن جابرا قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني شيئا يا رسول الله أدخل به الجنة ولا تكثر علي لعلي أعقل قال لا تغضب

قال أبو حاتم رضي الله عنه أحسن الناس عقلا من لم يحرد وأحضر الناس جوابا من لم يغضب

وسرعة الغضب أنكى في العاقل من النار في يبس العوسج لأن من غضب زايله عقله فقال ما سولت له نفسه وعمل ما شأنه وأرداها

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقدي حدثنا إسحاق بن زكريا البناني حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثني وهيب قال مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وإذا ظلمت فلا تنتصر فإن

---

(١) ذم الهوى ص/٦٥٣

(٢) رسالة المسترشدين ص/١١٥

نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك". (١)

١٠٧٩-"وقال بعض الحكماء: "وعد الكريم نقد، ووعد اللئيم تسويف"١.

ولقد ابتلي بهذه الخصلة كثير من المسلمين، فما أقل الوفاء بالوعد، وما أكثر الخلف فيه، حتى خيل لكثير من المنهزمين، وممن يحملون الإسلام خطأ المنتسبين إليه ـ أن الخلف من صفات المسلمين، وأن الوفاء بالوعد وإنجازه من صفات الكافرين! حتى إن بعضهم إذا أراد تأكيد الموعد قال: أعطني وعدا إنجليزيا!

ومن مظاهر إخلاف الوعد الشائعة بين الناس ما يلي:

أ. الخلف مع الأولاد:

فكثير من الوالدين إذا أراد إسكات طفله، أو أراد التخلص منه إذا تعلق به عند الخروج من المنزل أو نحو ذلك ـ تجده يعده بهدية، أو حلوى أو نحو ذلك، ثم يخلف ما وعد به.

فهذا مما يعود الطفل إخلاف الوعد، فينشأ وقد ألف هذه الخصلة السيئة.

ب ـ المزاح الثقيل، أو ما يسمى بـ"المقالب":

فيحصل أن يقوم شخص بدعوة أصحابه في مكان محدد، وفي زمان محدد، وربما كان المكان بعيدا، فيخبرهم بأنه سيحضر لهم الطعام في ذلك المكان والزمان المحددين، مع أنه قد بيت النية بالخلف.

---

١ بهجة المجالس٢/٤٩٤.". (٢)

١٠٨٠-"يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب؛ فإن يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا" ١.

ومن مظاهر الكذب المنتشرة بين الناس ـ الكذب على الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والكذب لإفساد ذات البين، والكذب لإضحاك السامعين، والكذب في المطالبات والخصومات، والكذب للتخلص من المواقف المحرجة.

ومن مظاهر الكذب ـ أيضا نقل الأخبار الكاذبة، وحذف بعض الحقيقة، والتوسع في باب المصلحة، والمبالغة في المعاريض، والتملق لأرباب الثراء والجاه، والكذب على الأولاد، ونحو ذلك٢.

٢٦.كثرة المزاح والإسفاف فيه:

فالمزاح يسقط الهيبة، ويخل بالمروءة، ويجرئ السفهاء والأنذال.

قيل في بعض منثور الحكم: "المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب"٣.

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص/١٣٨

(٢) سوء الخلق ص/٤٢

وقال بعض الحكماء: "من كثر مزاحه زالت هيبته"٤.

---

١ رواه البخاري٧/٩٥، ومسلم ٢٦٠٧ عن عبد الله بن مسعود.

٢ انظر: الكذب مظاهره. علاجه للكاتب.

٣ أدب الدنيا والدين، ص٣١٠.

٤ أدب الدنيا والدين، ص ٣١٠.". (١)

١٠٨١-"٢٨٤- فصل: من لم يحترز بعقله هلك بعقله

١٢٦٨- سألني سائل: قد قال بعض الحكماء: "من لم يحترز بعقله، هلك بعقله" فما معنى هذا؟ فبقيت مدة لا ينكشف لي المعنى، ثم اتضح؛ وذلك أنه إذا طلبت معرفة ذات الخالق سبحانه من العقل، فزع إلى الحس، فوقع التشبيه، فالاحتراز من العقل بالعقل هو: أن ينظر، فيعلم أنه لا يجوز أن يكون جسما ولا شبها لشيء.

١٢٦٩- وإذا نظر العاقل إلى أفعال الباري سبحانه؛ رأى أشياء لا يقتضيها العقل، مثل الآلام، والذبح للحيوان، وتسليط الأعداء على الأولياء، مع القدرة على المنع، والابتلاء بالمجاعة للصالحين، والمعاقبة على الذنب بعد البعد بزلة، وأشياء كثيرة من هذا الجنس، يعرضها العقل على العادات في تدبيره، فيرى أنه لا حكمة تظهر له فيها.

فالاحتراز من العقل به أن يقال له: أليس قد ثبت عندي أنه مالك، أنه حكيم، وأنه لا يفعل شيئا عبثا؟ فيقول: بلى. فيقال: فنحن نحترز من تدبيرك الثاني بما ثبت عندك في الأول؛ فلم يبق إلا أنه خفي عليك وجه الحكمة في فعله، فيجب التسليم له، لعلمنا أنه حكيم، حينئذ يذعن ويقول: قد سلمت.

١٢٧٠- وكثير من الخلق نظروا لمقتضى واقع العقل الأول، فاعترضوا! حتى إن العامي يقول: كيف قضى علي بسوء١ عاقبتي؟! ولم ضيق رزقي؟! وما وجه

---

١ في الأصل: سوء.". (٢)

١٠٨٢-"فمن عيوب النفس أنه يتوهم أنه على باب نجاته يقرع الباب بفنون الأذكار والطاعات والباب مفتوح ولكنه أغلق باب الرجوع على نفسه بكثرة المخالفات كما أخبرني الحسن بن يحيي قال سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت ابن مسروق يقول مرت رابعة بمجلس صالح المرى فقال صالح من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت رابعة الباب مفتوح وأنت تفر منه كيف تصل إلى مقصد أخطأت الطريق منه في أول قدم

---

(١) سوء الخلق ص/٤٦

(٢) صيد الخاطر ص/٣٨٦

فكيف ينجو العبد من عيوب نفسه وهو الذى أطلق لها الشهوات أم كيف ينجو من اتباع الهوى وهو لا ينزجر عن المخالفات

سمعت محمد بن أحمد بن حمدان يقول سمعت محمد بن إسحاق الثقفي يقول سمعت ابن أبي الدنيا يقول **قال بعض الحكماء لا** تطمع أن". (١)

١٠٨٣-"بضم الميم وكسر الشين المعجمة اسم فاعل من أرشد، يقال رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كاسترشد، واسترشده طلبه، والرشدى كجمزى اسم منه، وأرشده الله هداه، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه. والرشيد من الأسماء الحسنى أي الهادي إلى سواء الصراط والذي حسن تقديره فيما قدر، والمراد بالمرشد هنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه خير من دعا إلى الله وهدى إلى سواء سبيله بقاله وحاله.

واعلم أن تعلم الآداب وحسن السمت والقصد والحياء والسيرة مطلوب شرعا وعرفا.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الهدي الصالح والسمت والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة» .

وقال النخعي: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وصلاته وإلى حاله، ثم يأخذون عنه.

وقال عمر - رضي الله عنه -: تأدبوا ثم تعلموا.

وقال ابن عباس: اطلب الأدب فإنه زيادة في العقل، ودليل على المروءة مؤنس في الوحدة، وصاحب في الغربة، ومال عند القلة. رواه الأصبهاني في منتخبه.

وقال أبو عبد الله البلخي: أدب العلم أكثر من العلم.

وقال الإمام عبد الله بن المبارك: لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه بالأدب. ذكره الحاكم في تاريخه.

ويروى عنه أيضا أنه قال: طلبت العلم فأصبت منه شيئا، وطلبت الأدب فإذا أهله قد بادوا.

وقال بعض الحكماء: لا أدب إلا بعقل، ولا عقل إلا بأدب.

وكان يقال: العون لمن لا عون له الأدب.

وقال الأحنف بن قيس: الأدب نور العقل كما أن النار نور البصر.". (٢)

١٠٨٤-"وقال العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - لابنه عبد الله: يا بني إني أرى أمير المؤمنين يدنيك، يعني عمر - رضي الله عنهم -، فاحفظ عني ثلاثا: لا تفشين له سرا، ولا تغتابن أحدا، ولا يطلعن منك على كذبة.

وقال **الحكماء**: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يقدم عليها: شرب السم للتجربة، وإفشاء السر إلى القرابة والحاسد وإن كان ثقة،

---

(١) عيوب النفس ص/٦

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٣٦/١

وركوب البحر وإن كان فيه غنى. ويروى: أصبر الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة التقلب يوما ما. **وقال بعض الحكماء**: القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل منكم مفاتيح سره.

وقال أكثم بن صيفي: إن سرك من دمك، فانظر أين تريقه. وكان يقال: أكثر ما يتم تدبير الكتمان. وقال الشاعر:

وسرك ما كان عند امرئ ... وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر:

فلا تخبر بسرك كل سر ... إذا ما جاوز الاثنين فاش

وقالت طائفة: إنما السر ما أسررته في نفسك لم تبده إلى أحد. قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه -: ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته لأني كنت به أضيق صدرا حيث استودعته إياه.

وإلى ذا ذهب القائل:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

" وقال آخر:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر:

إذا ما ضاق صدرك عن حديث ... فأفشته الرجال فمن تلوم

إذا عاتبت من أفشى حديثي ... وسري عنده فأنا الظلوم

فإني حين أسأم حمل سري ... وقد ضمنته صدري مشوم

ولست محدثا سري خليلا ... ولا عرسي إذا خطرت هموم

وأطوي السر دون الناس إني ... لما استودعت من سر كتوم". (١)

١٠٨٥-"ابن عمر: أنتم أكثر منا طوافا وصياما ونحن خير منكم، نحن نلتزم صدق الحديث وأداء الأمانة وإنجاز الوعد.

وأنشد محمود الوراق:

أصدق حديثك إن في الصدق ... الخلاص من الكذب

وقال آخر:

ودع الكذوب لسانه ... خير من الكذب الخرس

وقال آخر:

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه ... وأحسن الصدق عند الله والناس

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ١١٧/١

وقال آخر:

الصدق أولى ما به ... دان الفتى فاجعله دينا

ودع النفاق فما ... رأيت منافقا إلا مهينا

وقال الحسن البصري: لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه.

وقال بعض الحكماء: من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه. وقالوا: الصدق عز، والكذب خضوع. وقال لقمان لابنه: يا بني احذر الكذب فإنه شهي كلحم العصفور، من أكل منه شيئا لم يصبر عنه، والله أعلم.

(خاتمة) الكذب من حيث هو حرام إلا فيما تقدم، ولكنه من الصغائر في المعتمد، ما لم يكن كذبا على الله أو رسوله - صلى الله عليه وسلم - أو رمى بفتنة فكبيرة. وقد أوضحت ذلك في كتابي شرح منظومة الكبائر إيضاحا تاما. والله الموفق.

[مطلب: الزمار مؤذن الشيطان]

ويحرم مزمار وشبابة وما ... يضاهيهما من آلة اللهو والردي

(ويحرم) لثبوت النهي الصريح بالنقل الصحيح (مزمار) وهو ما يزمر به، يقال زمر يزمر ويزمر زمرا وزميرا وزمر تزميرا غنى في القصب، وهي زامرة وهو زمار وزامر قليل، وفعلهما الزمارة كالكتابة، ومزامير داود ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء، وجمع مزمار". (١)

١٠٨٦-"فما فيه حد في الدنيا أو توعد ... بأخرى فسم كبرى على نص أحمد

وزاد حفيد المجد أو جا وعيده ... بنفي لإيمان ولعن مبعد

(فبرهما) أي الوالدين والبر الصلة والحسنة والخير والإشباع في الإحسان، فهو ضد العقوق. قاله في القاموس.

وفي المطالع في قوله - صلى الله عليه وسلم - «وإن الصدق يهدي إلى البر» البر اسم جامع للخير. قال وبر الأبوين كله من الصلة وفعل الخير والتوسع فيه واللطف والطاعة (تبرر) أي يبرك أولادك أو أعم من ذلك جزاء لبرك والديك، فإن من بر والديه بره أولاده كما يأتي في الخبر، ومن عقهما عقه أولاده جزاء وفاقا. **قال بعض الحكماء**: من عصى والديه لم ينل السرور من ولده. وعن ثابت البناني قال: رأيت رجلا يضرب أباه في موضع فقيل له ما هذا؟ فقال الأب: خلوا عنه فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع.

(وتحمد) مجزوم في جواب الطلب وكسر للقافية، يعني تحمد في الدنيا بحسن الثناء من الخلق والملأ الأعلى، وتحمد في الآخرة لدى رب السموات العلى، وتحمد عاقبة برك لهما في الدار الآخرة كما حصلت لك بركته في الأولى. قال جل شأنه ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء: ٢٤]

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ١٤٧/١

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية. .

مطلب: في ذكر الأخبار المصطفوية في بر الوالدين

وأما الأخبار المصطفوية والآثار المحمدية فهي أكثر من أن تحضر، في مثل هذا المختصر. ولكن لا بد من ذكر طرف صالح منها.

ففي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال «سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي العمل أحب إلى الله؟ قال الصلاة في وقتها. قلت ثم أي؟ قال بر الوالدين. قلت ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله» .

وفي صحيح مسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه» .". [1]

١٠٨٧-"وكان يقال: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة.

وقال لقمان لابنه: يا بني تواضع للحق تكن أعقل الناس.

وقال بعض الحكماء: إذا سئل الشريف تواضع، وإذا سئل الوضيع تكبر.

وقال بزرجمهر: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل، أحمد من الكبر مع الأدب والسخاء.

وقال ابن السماك للرشيد: تواضعك في شرفك أفضل من شرفك.

وقال بعض الشعراء:

الكبر ذل والتواضع رفعة ... والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة عزة ... واليأس من صنع الإله قنوط

وقيل: التواضع سلم الشرف.

وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال، وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه فسبحان من تواضع كل شيء لعزة جبروت عظمته، وخضع لجلال عظيم حكمته.

مطلب: التواضع لغني لأجل غناه مذموم.

(الثانية) من التواضع المذموم تواضعك لغني لأجل غناه. وقد قال - صلى الله عليه وسلم - «من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه» .

وروى البيهقي في الشعب عن ابن مسعود من قوله من خضع لغني ووضع له نفسه إعظاما وطمعا فيما قبله ذهب ثلثا مروءته وشطر دينه.

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٣٧٣/١

وقد روي مرفوعا من طرق واهية حتى ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وكل ما يروى بمعنى ذلك فهو واه. قاله في التمييز. وفي الزهد للإمام أحمد - رضي الله عنه - قال وهب بن منبه: وجدت في التوراة أربعة أسطر متواليات إحداهن من قرأ كتاب الله عز وجل فظن أن لن يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله. الثانية: ومن شكا مصيبته فإنما شكا ربه. الثالثة: من حزن على ما في يد غيره فقد سخط قضاء ربه. والرابعة: من تضعضع لغني ذهب ثلثا دينه.". (١)

١٠٨٨-"مطلب: في آفات كثرة النوم

قال في شرح أوراد أبي داود: وأما كثرة النوم فله آفات: منها أنه دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة، مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته، والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الأمم والحكماء السالفين وأشعار العرب وصحيح الأحاديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على شهرته. انتهى.

مطلب: في أن مدافعة النوم تورث الآفات، وأن اليقظة أفضل من النوم لمن يقظته طاعة

(الثالث) : لا ينبغي مدافعة النوم كثيرا، وإدمان السهر، فإن مدافعة النوم وهجره مورث لآفات أخر من سوء المزاج ويبسه. وانحراف النفس، وجفاف الرطوبات المعينة على الفهم والعمل، وتورث أمراضا متلفة.

وما قام الوجود إلا بالعدل. فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجامع الخير. وفي الآداب الكبرى **قال بعض الحكماء**: النعاس يذهب العقل، والنوم يزيد فيه. فالنوم من نعم الله جل شأنه على عباده، ولهذا امتن عليهم في كتابه.

(الرابع) اليقظة أفضل من النوم لا مطلقا، بل لمن تكون يقظته طاعة لا لمن تكون يقظته معصية. فإن كان لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فضلا عن إتيانه العظائم من الخطايا والجرائم، فالنوم خير له، بل ربما يكون واجبا عليه إن كان لا يتخلص من ملابسة الحرام إلا به، إذ في النوم الصمت والسلامة، كما قال بعض السلف: يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم.

وقال سفيان الثوري - رحمه الله ورضي عنه -: كانوا يستحبون إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة. فإذن النوم على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة.

وأما إذا كان لو لم ينم لانبعث في العبادة من الأذكار والوظائف فهذا يقظته خير من نومه.

فإذا نام لأجل أن يذهب عنه التعب والكسل والسأمة وينهض إلى الوظائف والأذكار على غاية من النشاط وصفاء الذهن والخاطر، فنومه أيضا عبادة.". (٢)

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٢/٢٣٢

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٢/٣٥٩

١٠٨٩-"بكثرة النوم والغفلة على وجه المدح له.

وقولها: وإن خرج أسد تمدحه بالشجاعة أي صار كالأسد، يقال: أسد الرجل واستأسد إذا صار كذلك. وقولها: ولا يسأل عما عهد، أي لا يفتش عما رأى في البيت وعرف. قال أبو عبيد: لا يتفقد ما ذهب من ماله، ولا يلتفت إلى معايب البيت وما فيه، فكأنه ساه عن ذلك. قال القاضي عياض في كتابه شرح حديث أم زرع عن قول أبي عبيد ما قال: هذا يقتضي تفسيرين لعهد، أحدهما عهد قبل فهو يرجع إلى تفقد المال، والثاني: عهد الآن فهو بمعنى الإغضاء عن المعايب والاحتمال.

وقد ورد مثل هذا عن نبينا - صلى الله عليه وسلم - في وصف علي - رضي الله عنه - وذم من كان بخلافه، فروي عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «إن الله يبغض الذواق المطلاق الذي أراه لا يأكل ما وجد، ويسأل عما فقد، وهو عند أهله كالأسد، وكان خارجا كالثعلب، لكن علي لفاطمة يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد، وهو عندها كالثعلب، وخارجا كالأسد» .

قال القاضي عياض: والأولى أن يكون ذكر فهد هذا على معنى الاستعارة، جعلت كثرة تغافله كالنوم، والله أعلم. ولا سيما وقد وصف الفهد بالحياء وقلة الشره، وهذه كلها خلق مدح وهي راجعة إلى ما أشار إليه أبو عبيد. ومما يبينه قولها، ولا يسأل عما عهد.

وتلمح الناظم - رحمه الله - هذا المعنى مع أمثاله وأضعافه من كلام النبوة والعلماء.

مطلب: في غض الطرف والتغافل عن زلة الإخوان

قال متمما لما قدمه (وغض) طرفك وتغافل (عن عوار) بتثليث العين العيب، لأن تأمل العيب عيب فالأولى التغافل. **قال بعض الحكماء**: العاقل هو الحكيم المتغافل. وقيل لبعض العارفين: ما المروءة؟ قال التغافل عن زلة الإخوان. وفي فروع الإمام ابن مفلح: حدث رجل للإمام أحمد ما قيل: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل، فقال الإمام أحمد - رضي الله عنه -: العافية". (١)

١٠٩٠-"حسيبة من كرام (تفز) أي تظفر (إذا) يعني بنكاحها (بولد) بضم الواو وإسكان اللام. قال في القاموس: الولد محركة وبالضم والكسر والفتح واحد وجمع، وقد يجمع على أولاد وولدة بالكسر وولد بالضم. ومراد الناظم هنا الجمع بشهادة قوله (كرام) جمع كريم وتقدم تعريفه.

وقد **قال بعض الحكماء**: أصل المحاسن كلها الإكرام، والتفضل على الخاص والعام. وما أحسن قول الشاعر:

لا تنكحن سوى كريمة معشر ... فالعرق دساس من الطرفين

أوما ترى أن النتائج كلها ... تبع الأخس من المقدمتين

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٢/٣٩٧

ثم قال الناظم (والبكارة) بالفتح. قال في القاموس: والبكر بالكسر العذراء جمعها أبكار، والمصدر البكارة بالفتح، والمرأة والناقة إذا ولدتا بطنا واحدا، انتهى.

وفي لغة الإقناع: البكر بكسر الباء الموحدة وسكون الكاف من النساء العذراء وهي الباقية العذرة، وهي ما لها من الالتحام قبل الفضاض، والاسم البكارة بالفتح، ومطلق البكر من لم يتزوج ذكرا كان أو أنثى والجمع أبكار، والمراد هنا ذات البكارة التي هي العذرة (فاقصد) أمر من قصد أي عمد ويمم لقوله - صلى الله عليه وسلم - لجابر - رضي الله عنه - «فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك» . متفق عليه.

فإن قلت: كيف تعرف البكر بأنها ولود؟ فالجواب يعرف مما تقدم من كونها من نساء يعرفن بكثرة الأولاد. وروى الطبراني عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «تزوجوا الأبكار فإنهن أعذب أفواها، وأنتق أرحاما، وأرضى باليسير» . قال في النهاية فيه عليكم بالأبكار فإنهن أنتق أرحاما أي أكثر أولادا، يقال للمرأة الكثيرة الولد ناتق؛ لأنها ترمي بالأولاد رميا، والنتق الرمي والحركة.

وفي لفظ عند ابن ماجه وسنن البيهقي عن عويمر بن ساعدة مرفوعا «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها، وأنتق أرحاما، وأرضى باليسير» .

وفي أوسط الطبراني عن جابر مرفوعا «عليكم بالأبكار". (١)

١٠٩١-"وقال عيسى - عليه الصلاة والسلام -: من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء.

وقال بعض الحكماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فات من أدرك العلم.

وقال ابن الجوزي روح الله روحه: لا يخفى فضل العلم ببديهة العقل؛ لأنه الوسيلة إلى معرفة الخالق، وسبب الخلود في النعيم الدائم، ولا يعرف التقرب إلى المعبود إلا به، فهو سبب لمصالح الدارين، والله أعلم.

ولما كان طلب العلم إنما ينفع حيث خلصت فيه النية وكان لله تعالى لا لدنيا يصيبها، حذر الناظم من طلبه لأجل المال، أو الرياء والسمعة فقال:

مطلب: في النهي عن طلب العلم للرياء وإخلاص النية فيه لله تعالى

ولا تطلبن العلم للمال والريا ... فإن ملاك الأمر في حسن مقصد

(ولا تطلبن) أنت (العلم) الذي هو أرفع المطالب، وأسنى المناقب، وهو سلم المعرفة، وطريق التوفيق لنيل الخلود في دار الكرامة (ل) نيل (المال) الذي مآله إلى التراب، ولطلب عمارة الدنيا التي سبيلها إلى الخراب وقد وصف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الدنيا فقال: دار من صح فيها أمن، ومن أمن غبن، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن. في حلالها الحساب، وفي حرامها النار.

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٢/٤٢٩

وكان مالك بن دينار يقول: اتقوا السحارة، فإنها تسحر قلوب العلماء.

(و) لا تطلبن العلم أيضا ل (لريا) والسمعة، فتحصل على الخسران وتضمن التبعة.

وقد روى أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ريحها.

وتقدم حديث أبي هريرة في أول الكتاب وفيه «ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت". [١]

١٠٩٢-"فلا يصلهم عن بيت المال شيء، ولا من صلات الإخوان ما يكفي، فيحتاجون إلى التعرض بالإذلال، فلم أر في ذلك من الحكمة إلا سببين.

أحدهما: قمع إعجابهم بهذا الإذلال.

والثاني: نفع أولئك بثوابهم. ثم أمعنت الفكر فتلمحت نكتة لطيفة، وهي أن النفس الأبية إذا رأت حال الدنيا كذلك لم تساكنها بالقلب، ونبت عنها بالعزم، ورأت أقرب الأشياء شبها بها مزبلة عليها الكلاب، وإنما تؤتى لضرورة، فإذا نزل الموت بالرحلة عن مثل هذه لم يكن للقلب بها متعلق يتمكن فتهون حينئذ.

وقد أكثر الناس من القول في ذلك نثرا ونظما، ويسندون ذلك للزمان والدهر والدنيا على ضرب من المجاز وإلا فالفاعل هو الله جل شأنه لا غيره سبحانه، فمن ذلك قول ابن الوردي في لاميته:

قاطع الدنيا فمن عاداتها ... تخفض العالي وتعلي من سفل

عيشة الزاهد في تحصيلها ... عيشة الجاهل بل هذا أذل

كم جهول وهو مثر مكثر ... وعليل مات منها بعلل

كم شجاع لم ينل منها المنى ... وجبان نال غايات الأمل

وقول الطغرائي في لامية العجم:

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا ... والحظ عني بالجهال في شغل

لعله إن بدا فضلي ونقصهم ... لعينه نام عنهم أو تنبه لي

قال بعض الحكماء: قال الحظ للعقل: إن شئت سر أو أقم فإني مستغن عنك.

وقال القاضي الفاضل:

ما ضر جهل الجاهلين ... ولا انتفعت أنا بحذقي

وزيادتي في الحذق فهي ... زيادتي في نقص رزقي

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٢/٥١٨

وقال شمس الدين الحكيم بن دانيال:

قد عقلنا والعقل أي وثاق ... وصبرنا والصبر مر المذاق

كل من كان فاضلا كان مثلي ... فاضلا عند قسمة الأرزاق

وقال الإمام الشافعي – رضي الله عنه – في ذلك:". (١)

١٠٩٣–"قوله (أخر أجله) : يعني أطاله (حتى بلغه ستين سنة) وفي رواية معمر: ((لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى يبلغ ستين سنة أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه، لقد أعذر الله إليه)) .

قال ابن بطال:

إنما كانت الستون حدا لهذا لأنها قريبة من المعترك، وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية، فهذا إعذار بعد إعذار لطفا من الله بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة، وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل، لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة، وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية. وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل.

وأصرح من ذلك ما أخرجه الترمذي بسند حسن إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رفعه: ((أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك)) .

قال بعض الحكماء: الأسنان أربعة سن الطفولية، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان، وغالب ما يكون ما بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة. وقد استنبط منه بعض الشافعية أن من استكمل ستين فلم يحج مع القدرة فإنه يكون مقصرا ويأثم إن مات قبل أن يحج، بخلاف ما دون ذلك. اهـ.

* * *". (٢)

١٠٩٤–"التاسعة عشرة: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإذا حالت بينهم شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه)) رواه أبو داود وسنده جيد (١) . وعليه يمكنك أنت وزوجتك أن يلقي كل منكما على الآخر السلام عندما يأتي أحدكما بجزء من الطعام ثم يذهب لإحضار باقيه.

العشرون: إذا كنت في أي مكان فألق السلام على أخيك المسلم، وإذا كنت تقود مركبتك في الطريق وتوقفت قليلا فسلم على صاحب المركبة الأخرى.

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٢/٥٥٣

(٢) ففروا إلى الله ص/٧٩

فائدة:

أخرج ابن السني: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه)) وحسنه الأرنؤوط في ((زاد المعاد)) .

تنبيه:

جاء في ((تحفة الأحوذي)) (جـ٧ ص ٤٧٤: ٤٧٧) : (فائدة في بيان أن السنة في المصافحة أن تكون باليد الواحدة، أعني اليمين من الجانبين سواء كانت عند اللقاء أو عند البيعة – إلى أن قال رحمه الله تعالى – وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه: (علمني النبي – صلى الله عليه وسلم – وكفى بين كفيه التشهد كما يعلمني السورة من القرآن) أخرجه الشيخان، فليس من المصافحة في شيء، بل هو من باب الأخذ باليد عند التعليم لمزيد الاعتناء والاهتمام به) . اهـ. وعلى ذلك فإن ما يفعله البعض من وضع اليد اليسرى بالإضافة إلى اليمنى عند المصافحة خلاف السنة.

الحادية والعشرون: قال رسول – صلى الله عليه وسلم –: ((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة (يعني: خلق) ، وعفة طعمة (٢))) . رواه أحمد في ((مسنده)) ، وصححه الألباني.

الثانية والعشرون: قال الفضيل: علامة الشقاوة خمسة: قلة الحياء، وقسوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.

وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال: ((دعه فإن الحياء من الإيمان)) متفق عليه.

الثالثة والعشرون: بر والديك وإن جفواك لقوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ [الإسراء: ٢٣] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أي الأعمال أفضل؟ قال: ((الصلاة على وقتها)) قلت: ثم أي؟ قال: ((بر الوالدين)) قلت: ثم أي؟

---

(١) وهو صحيح – انظر ((صحيح الجامع)) . (قل) .

(٢) قال العلماء: أي الجهة التي يرزق منها. (قل) .". [1]

١٠٩٥–"وفي الحديث لايصلح العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال ابن مسعود: ليس شيء أحق بطول سجن من لسان، وقال بعض السلف: فتشت الورع فما وجدت في شيء أقل منه في اللسان، وقال بعض العلماء: مااستقام لسان عبد إلا عرفت الصلاح في سائر عمله وما اختلف لسانه إلا عرفت الفساد في سائر عمله **وقال بعض الحكماء**: إذا كثر العقل قل الكلام، وإذا قل العقل كثر الكلام، وقال أحمد بن حنبل: علماء أهل الكلام زنادقة،

---

(١) ففروا إلى الله ص/٣٠٩

وقال بعض هذه الطائفة: من تكلم فأحسن كثير ولكن الشأن فيمن يحسن أن يسكت، وقال ذو النون المصري: الخوف يقلق والحياء يسكت، وقال بعض العارفين: قد جزئ العلم على قسمين: نصفه سكوت ونصفه أن تدري أين تضعه، وقال الضحاك بن مزاحم: أدركتهم وما يتعلمون إلا الصمت والورع وهم اليوم يتعلمون الكلام، وقال الحسن عن أنس بن مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربع لا يصبن إلا بعجب الصمت وهو: أول العبادة، والتواضع، وذكر الله عز وجل، وقلة الشيء، وقال حماد بن زيد: قلت لأيوب: العلم اليوم أكثر أو فيما مضى؟ فقال: يابني الكلام اليوم أكثر والعلم فيما مضى كان أكثر وقيل: كانوا ينتفعون بصمت العلم مثل ما ينتفعون بكلامه، وقد قيل: من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه، وقيل لبعض العلماء: فلان أعلم أم فلان؟ فقال فلان أعلم وفلان أكثر كلاما ففرق بين العلم والكلام، وقيل لبعض علماء خراسان عند وفاته: دلنا على رجل نجلس إليه بعدك فقال لهم: فلان فذكر لهم رجلا صموتا متعبدا لا يعرف بكثير علم فقيل له: إن فلانا ليس عنده من العلم ما يجيب عن كل ما نسأله عنه من العلم فقال: قد علمت، ولكن عنده من الورع مالا يتكلم بما لايعلم وكان الأعمش يقول: من الكلام كلام جوابه السكوت، وقال بعض السلف: الصمت زين العالم وستر الجاهل، وقال غيره: الصمت جوابه وفي الخبر: الصمت زين للعالم وشين للجاهل، وقال بعضهم: ليس شيء أشد على الشيطان من عالم حليم إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم، يقول الشيطان: انظروا إليه سكوته أشد علي من كلامه، وقال بعض السلف: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام، فإن يكن الكلام يهديك فإن الصمت يقيك ولك في الصمت خصلتان تدفع به جهل من هو أجهل منك وتعلم به علم من هو أعلم منك، وقال بعض العلماء: تعلم لاأدري ولا تتعلم أدري فإن قلت لاأدري علموك حتى تدري وإن قلت أدري سألوك حتى لا تدري، وقد قال العلماء: إذا أخطأ العالم قول أدري أصيبت مقاتله، وقال عيسى عليه السلام: الخير كله في ثلاثة: في الصمت، والكلام، والنظر، فمن لم يكن صمته تفكرا فهو في سهو، ومن لم يكن كلامه ذكرا فهو في لغو، ومن لم يكن نظره عبرا فهو في لهو، وقال بعضهم: يأتي على الناس زمان يكون أفضل أعمالهم النوم وأفضل علومهم الصمت يعني لفساد الأعمال ولاشتباه". (١)

١٠٩٦-"لمكان ملكه فالحسرة العظمى والفوات الأكبر الذي لا درك له وهو تأبيد حرمان ما أعطي غيرك من المزيد هناك لفوت أوقاتك في الدنيا ههنا ثم درك ذلك بأوقاته العامرة ههنا تأبيد مزيد جزائه ثم وهذا هو التغابن؛ غبن العاملون البطالين وغبن السابقون المخلفين وغبن المسارعون المثبطين ثم خلود العبد البطال المغبون في الدنيا في تأبيد حرمان مزيد الغابن العامل ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم: ما من ساعة تأتي على ابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا كانت عليه حسرة وان دخل الجنة، وفي لفظ آخر، وهو أشد إلا كانت عليه ترة يوم القيامة أي مطالبة ومؤاخذة، فالحسرة في الجنة بعد دخولها والظفر بنعيمها هو ما ذكرناه من حرمان مزيد العاملين فيها ثم دوام الحرمان مؤبد بها وهو كون العبد في نقصان درجة غيره ثم هو مخلد في النقصان سرمدا ومع ذلك فلا يؤبه له ولا يفطن به كيلا ينقص عليه نعيمه والطرفة والنفس إذا خلتا من اليقظة والذكر فيهما بمنزلة الساعة الخالية إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على الساعة ولم يذكر ما دونها

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ١٧٢/١

لأن اسم الساعة أقل الزمان المستعمل عند العرب ليواطيء بقوله قول الله سبحانه وتعالى: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) الأعراف: ٣٤ ومعلوم أنه إذا جاء الأجل لا يستأخرون نفسا ولا طرفة عين وكذلك لا يستقدمون طرفة ولانفسا، فذكرت الساعة دون ما نقص منها لئلا يخرج الكلام عن حد استعمالهم وعرفهم وليستدل بها على ما دونها في القلة من النفس والطرفة، وكذلك دل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصه على الساعة على ما دونها لأن حكمته من حكمة مولاه وكلامه على معاني كلامه وقد دخلت الساعة فما دونهافي الأيام التي قال الله تعالى: (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) الحاقة: ٢٤ قيل: هي والله أيامكم هذه وستخلو فأشغلوها بالأعمال الصالحة قبل خلوها منكم وانقضائها عنكم، وكان الحسن يقول: يا ابن آدم إنما أنت مراحل كلما مضى منك يوم أو ليلة قطعت مرحلة فإذا فنيت المراحل بلغت المنزل إلى الجنة أو النار، فالساعات تنقلنا والأيام تطوينا، وكما **قال بعض الحكماء**: مثل العبد في عمره مثل رجل في سفينة تسير وهو قاعد كذلك العبد يدنو من الآخرة وهو غافل ويقال: إن العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعة وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودع خزانته من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به، فإذا مرت به في الدنيا ساعة لم يذكر الله تعالى فيها رآها في الآخرة خزائن فرغا لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاته أن لم يدخر فيها شيئا فيرى جزاءه مدخرا ثم يلقى في نفسه الرضا والسكون فلو لم يتحسر العبد إلا على فوت الفضائل والمندوب إليه من الخيرات لكان في فوت المسابقة والمسارعة حسرات فكيف بمن فاته أوقاته في السيئات وفرطت منه في الخسارات ولو لم يشتغل العبد في عمره إلا بالحلال". [١]

١٠٩٧-"وقال بشر بن الحارث: من طلب الرياسة من العلماء فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فإنه مقيت الله في السماء والأرض، وكان الأوزاعي يروي عن بلال بن سعد أنه كان يقول: ينظر أحدكم إلى الشرطي والعون فيستعيذ بالله تعالى من حاله ويمقته وينظر إلى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوف للطمع والرياسة فلا يمقته، هذا العالم أحق بالمقت من ذلك الشرطي، وقد كان أبو محمد يقول: لا تقطعوا أمرا من الدين والدنيا إلابمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله قيل: يا أبا محمد من العلماء؟ قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم، وقد قال عمر رضي الله عنه في وصيته: وشاور في أمورك الذين يخشون الله تعالى.

وروينا في الإسرائيليات أن حكيما من **الحكماء** صنف ثلاثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكم فأوحىالله تعالى إلى نبيهم: قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك وإني لا أقبل شيئا من نفاقك قال: فأسقط في يديه وحزن وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق وواكل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى النبي عليه السلام: قل له الآن وافقت رضاي، وقال بعض العلماء: كان أهل العلم على ضربين، عالم عامة وعالم خاصة، فأما عالم العامة فهو المفتي في الحلال والحرام وهؤلاء أصحاب الأساطين، وأما عالم الخاصة فهو العالم بعلم التوحيد والمعرفة هؤلاء أهل الزوايا وهم المنفردون وقد كانوا يقولون مثل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه مثل دجلة كل أحد يعرفها، ومثل بشر

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ١/١٨٧

بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد، وقال حماد بن زيد: قيل لأيوب العلم اليوم أكثر أو فيما مضى؟ فقال: العلم فيما مضى كان أكثر والكلام اليوم أكثر، ففرق بين العلم والكلام وقد كانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر علما، وكان أبو سليمان يقول: المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام، وقال بعض العارفين هذا العلم على قسمين: نصفه صمت ونصفه تدري أين تضعه، وزاد آخر: ونصفه وجد ونصفه نظريعني تفكرا واعتبارا، وسئل سفيان عن العالم من هو؟ فقال: من يضع العلم في مواضعه ويؤتي كل شيء حقه، **وقال بعض الحكماء**: إذا كثر العلم قل الكلام، وقد كان إبراهيم الخواص رحمه الله يقول: الصوفي كلما ازداد علما نقصت طينته، وقال بعض شيوخنا: قلت للجنيد يا أبا القاسم يكون لسان بلاقلب، قال". (١)

١٠٩٨-"وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول: من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن إلى الدنيا، وقال بعض هذه الطائفة: كل من أدرك العلوم غير العلم بالله عز وجل فقد استدرك والذي أدرك العلم بالله فقدتدورك ثم تلاقوله تعالى: (لولا أن تداركه نعمةمن ربه لنبذ بالعراء) القلم: ٤٩، أي تدورك بعلم المعرفة لطرح في بعد الهوى والعرا البعد وعلم المعقول بعد إلى جنب علم اليقين، وقال أيضا في فهم قوله تعالى: (ولولا أن ثبتناك لقدكدت تركن إليهم) الإسراء: ٧٤ أي ثبتناك بالمعرفة لقد كدت تسكن إلى علوم العقل.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى في قوله عز وجل: (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) الإسراء: ٨٠ قال لسانا ينطق عنك لاعن سواك وفضل العلم بالله عز وجل والعلم بالإيمان وعلم اليقين على العلم بالأحكام والقضايا كفضل المشاهدة على الخبر، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ليس الخبر كالمعاينة، وفي لفظ آخر: ليس الخبر كالمعاين، وقد روى عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم: في تفسير قوله عز وجل: (ألهاكم التكاثر) (علم اليقين) التكاثر: ١ - ٥، كرأي العين، وفي هذا الخبر أن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه أقدامهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة، فالفتيا هي الأخبار والاستفتاء هو الاستخبار، ومنه قوله تعالى: (فاستفتهم) الصافات: ١١ وقوله تعالى: (ويستفتونك) النساء: ١٢٧ أي يستخبرونك، فعلم الخبر قد يدخله الظن والشك والمشاهدة ترفع الظن وتزيل الشك كما قال تعالى: (ما كذب الفؤاد ما رأى) النجم: ١١ فأثبت الرؤية للقلب بالعين فرؤية القلب هو اليقين وذو القلب هو الموقن، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: كفى باليقين غنى ففي علم اليقين غنية عن جميع العلوم لأنه حقيقة العلم وخالصه وليس في جميع العلوم غنى عن علم اليقين ولأن الفقر بالشك والحاجة إلى اليقين في علم التوحيد وعلم الإيمان أشد من الفقر بالحاجة إلى علوم الفتيا وغيرها فلذلك صار الغني باليقين أعظم من الاستغناء بسائر العلوم ففي هذا العلم مثل من فاتحة الكتاب إلى سائر القرآن.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب تجزي من كل القرآن وليس القرآن كله يجزي من فاتحة الكتاب، فكذلك مثل العلم بالله عز وجل إلى العلم بما سواه، ففي العلم بالله تعالى عوض من كل العلوم، وليس في سائر العلوم

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ١/٢٤٥

عوض من العلم بالله عز وجل من حيث كان في الله تعالى عوض به عن كل ما سواه، وكل علم موقوف على معلومه فعلم اليقين معلومه الله تعالى ففضله كفضل الله تعالى على ما سواه، وقد قال بعض الحكماء في معنى ما ذكرناه: من عرف الله تعالى فماذا جهل ومن جهل الله تعالى فماذا عرف؟ فالعلماء بالله تعالى هم ورثة الأنبياء لأنهم ورثوا عنهم الدلالة على الله تعالى فماذا عرف؟ فالعلماء بالله تعالى هم ورثة الأنبياءلأنهم ورثوا عنهم الدلالة على الله تعالى والدعوة إليه". (١)

١٠٩٩-"رجال البلاء فنسأل الرضا الأولى بنا أن نسأل الرفق والعافية، فرجع الشافعي رحمه الله عن قوله هذا، وقال: أشتغفر الله تعالى وأتوب إليه، فكان بعد ذلك رحمه الله يقول: اللهم اجعل خيرتي فيما أحب وقد كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين رضي الله عنهما يختلفان إلى معروف بن فيروز الكرخي رحمهم الله ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسناته فكانا يسألانه، وقد روي في الخبر قيل: يا رسول الله كيف نصنع إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولا تقضوا فيه أمرا دونهم.

وفي حديث معاذ رضي الله عنه: فإن جاءك ما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة رسول الله قال: أقضي فيه بما قضى الصالحون فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله، وفي بعضها اجتهد رأيي وحدثونا عن الجنيد قال: كنت إذا قمت من عند سري السقطي قال لي: إذا فارقتني من تجالس؟ فقلت: الحارث المحاسبي فقال: نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين، قال: فلما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث يعني أنك إذا ابتدأت بعلم الحديث والأثر ومعرفة الأصول والسنن ثم تزهدت وتعبدت تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفيا عارفا وإذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال شغلت به عن العلم والسنن فخرجت إما شاطحا أو غالطا لجهلك بالأصول والسنن فأحسن أحوالك أن ترجع إلى العلم الظاهر، وكتب الحديث لأنه هو الأصل الذي تفرع عليه العبادة والعلم وأنت قد بودئت بالفرع قبل الأصل، وقد قيل: إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول هو كتب الحديث ومعرفة الآثار والسنن فإذا أتمت رددت إلى الأصل فقد انحططت عن مرتبة الناقدين ونزلت من درجة العارفين وفاتك مزيد اليقين والإيمان.

وقال سفيان الثوري رضي الله عنه: كان الناس إذا طلبوا العلم عملوا فإذا عملوا أخلصوا فإذا أخلصوا هربوا وقال آخر: العالم إذا هرب من الناس فاطلبه وإذا طلب الناس فاهرب منه، وقال أبو محمد: سهل العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل، وقال ذو النون: يقول اجلس إلى من تكلمك صفته ولا تجلس إلى من يكلمك لسانه، وقد كان الحسن قبله يقول: جالس من تكلمك أعماله ولا تجالس من يخاطبك مقاله، وقد كان طائفة يصحبون كثيرا من أهل المعرفة للتأدب بهم والنظر إلى هديهم وأخلاقهم إن لم يكونوا علماء لأن التأديب يكون بالأفعال والتعلم يكون بالمقال، ومن أبلغ ما سمعت منهم في هذا المعنى ما قال بعض الحكماء: وعظ واحد لألف بفعل أنجح فيهم وأوقع من وعظ ألف لواحد بقول، وكان سهل يقول: العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل هباء إلا الإخلاص، وقال مرة: الناس موتى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ١/٢٦٩

العاملين،". (١)

١١٠٠-"وقد روينا عن عيسى عليه السلام وقيل له: من أشد الناس فتنة فقال: زلة عالم إذا زل بزلته عالم، وقد روينا معناه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن، وكان بعض السلف يقول: مثل العالم إذا زل مثل سفينة إذا غرقت غرق معها خلق كثير ومثل كسوف الشمس يصيح الناس يا غافلون الصلاة وإنها عند العامة آية يفزع منها.

ويروى في خبر غريب: من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل: يا رسول وما غش أمتك؟ قال: أن يبتدع بدعة في الإسلام يحمل الناس عليها، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول ويل للعالم من الأتباع وويل للأتباع من العالم يزل العالم بزلة فيتبعه عليها فئام من الناس وتبلغ الآفاق وما أعلم أحدا أعظم جرما ممن ابتدع في دين الله عز وجل فنطق في كتاب الله تعالى وفي علم المعرفة بما لم يأذن به الله ثم لم يعبأ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو حجة الله تعالى على جميع خلقه وطريق مقربيه من عباده فأضل بذلك عباد الله عز وجل فإن مثل من ابتدع في الدين واتخذ وليجة دون الكتاب والسنة وبين طريق المؤمنين إلى جنب من يكاثر في أمور الدنيا وارتكب فيها شهوات الأهواء كمثل من اجترح المظالم بين الناس في الأموال والدماء إلى جنب من ظلم نفسه بكسب الذنوب بينه وبين ربه، إن مظالم العباد أعظم وهو الديوان الذي لا يترك، كذلك التمويه في الدين أعظم لأنه مظالم الآخرة وقطع طرقات المؤمنين ومحو شريعة المرسلين، ومثله أيضا مثل من أذنب وجحد ذنبه واحتج لنفسه إلى من أذنب واعترف بذنبه واعتذر من نفسه فهو أقرب للعفو وأرجى للرحمة من الآخر، كذلك من اعتل بالتقصير والتفريط في العمل ولم ينصح لنفسه إلا أنه أظهر حقيقة العلم ونصح لله تعالى ولرسوله ببيان كتابه وذكر سنته أقرب إلى حسن الإخلاص وأولى بالتدارك في العافية ممن شرع في دين الله تعالى وابتدع في الأمة ما يخالف به الكتاب والسنة، هكذا كأنه قد قلب ملة وبدل شريعة، فهذا يولد النفاق في قلبه حتى يختم له به ومثل من ابتدع في الملة مخالفا للسنة إلى من أساء إلى نفسه بالذنوب مثل من عصى الملك في قلب دولته وتظاهر عليه في ملكه بالإزالة إلى جنب من عصى أمره وقصر في حقه من الرعية، وقد **قال بعض الحكماء**: ثلاث لا يحسن من الملك أن يغفرها، من قلب دولة من رعيته، أو عمل فيما يوهن الملك، أو أفسد حرمة من حرمه.

وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته، وقال علي كرم الله وجهه: الهوى شريك العمى، وقال الله تعالى: (ومن أصدق من الله) النساء: ٨٧ قيلا ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم، ثم قال تعالى: (أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) الأنعام: ٩٣ فسوى بين الكذاب في العزية على الله تعالى وبين المتشبه المضاهي للربوبية،". (٢)

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ١/٢٧١

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ١/٢٩٥

١١٠١-"الزهد يدعو إلى إخراج الشيء، والبخل يدعو إلى إمساكه، فنفس السخاء زهد، فلذلك ذم البخل لأنه رغبة في الدنيا، ثم إن الحرص علامة البخل لأنه دليل الرغبة، والقناعة علامة السخاء لأنها باب الزهد، فلذلك قيل: سخاء النفس عما في أيدي النفس أفضل من سخاء البذل، ثم يفترقان في الحكم بعد اجتماعهما في الإسم، فمن جاد بملكه لله تعالى كان زاهدا فيه لله تعالى ووقع أجره على الله، ومن جاد بما له لأجل الناس كان أيضا زاهدا في ذلك موصوفا بالسخاء، ولكن ذلك لنفسه ولأجل هواه ولا أجر له عند الله تعالى إذ لم يكن من عمال الله تعالى فبطل أجره لأنه عمل لنفسه وحصل شكره وذكره في الدنيا لأنه عمل لأجل الناس.

كما قال ابن المبارك رحمه الله: ما رأيت بين الفتوة والقراءة فرقا إلا في شيء واحد ماحظرت القراءة شيئا إلا قبحته الفتوة وإنما يفترقان في أن القراءة يراد بها وجه الله تعالى، والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم وقد كان أستاذه سفيان الثوري رحمه الله يقول: من لم يحسن يتفتى لم يحسن يقترى أي من لم يعرف أحكام التفتي فيقوم بها حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقري حتى يوصف بأنه قارئ، ثم إن العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها بالصبر على الحق بأن يهرج المرغوب وينفق المحبوب على كراهة من النفس وجمل بالزهدعليها فيكون له مقام في الزهد ينال البر ويستوجب مدحا من البر، والمتزهد غير الزاهد، وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من التقلل ورثاثة الحال في كل شيء، فمثله مثل المتصبرين من الصابر الذي يجهل على نفسه بالصبر ويصابرها على العلم، فيكون له مقام من الصبر، وصفوة الزهد انتظارالموت وقصر الأمل لأن فيهما ترك الادخار وتحسين الأعمال.

وقال ابن عيينة: حد الزهد أن يكون شاكرا عند الرخاء صابرا عند البلاء.

وقال بشر بن الحارث رحمه الله: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، من زهد فيهم فقد زهد في الدنيا، وكذلك **قال بعض الحكماء**: إذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه، وإذا هرب من الناس فاطلبه، وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله: متى يكون الرجل زاهدا؟ فقال: إذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدا، وقال قاسم الجوعي: الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف بقدر ما تملك من بطنك، كذلك تملك من الزهد فكانت الدنيا عنده الشبع وأكل الشهوات، وقال فضيل بن عياض رحمه الله: الزهد هو القناعة فكانت الدنيا عنده هو الحرص والشره، وقال الثوري: الزهد هو قصر الأمل فكانت الدنيا عنده طول الأمل، وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول: الدنيا كل ما يشغلك عن الله تعالى". (١)

١١٠٢-"الكهف: ٦٩، فأخبر أن لهم سفينة وهي تساوي جملة وقالوا: سمي فقيرا لأنه نزعت فقرة من ظهره فانقطع صلبه من شدة الفقر فهو مأخوذ من فقار الظهر، ومال إلى هذا القول الأصمعي وهو عندي كذلك من قبل أن الله تعالى قدمه على الأصناف الثمانية التي جعل لهم الصدقة فبدأ به فدل على أنه هو الأحوج أو الأفضل فالأفضل، وقال قوم: الفقير هو الذي يعرف بفقره لظهور أمره، والمسكين هو الذي لا يفطن له ولا يؤبه به لتخفيه وتستره، وقد جاءت السنة بوصف هذا، في الخبر المروي: ليس المسكين الذي ترده الكسرة والكسرتان والتمرة والتمرتان إنما المسكين المتعفف

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٤١٩/١

الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه.

وقد قال بعض الحكماء في مثل هذا، وقد سئل: أي الأشياء أشد؟ فقال: فقير في صورة غني، وقيل لحكيم آخر: ما أشد الأشياء؟ قال: من ذهب ماله وبقيت عادته، وقال الفقهاء: المسكين الذي له سبب ويحتاج إلى أكثر منه لضيق مكسب أو وجود عيلة؛ فهذا أيضا قد وردت السنة بفقره، وذكر فضله في الحديث الذي جاء أن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ويبغض السائل الملحف، وفي الخبر الآخر: أن الله تعالى يحب عبده المؤمن المحترف؛ وكل هذه الأقوال صحيحة، فالأفضل أن توضع الزكاة في الأحوج فالأحوج، والأفضل فالأفضل، من أهل العلم بالله تعالى، وأهل المعاملة وأهل الدين لله، المنقطعين عن أهل الدنيا، المشغولين بتجارة الآخرة عن تجارات الدنيا، ثم في ذي العيال بقدر عياله بمقدار غناه عن حاجاته، فيكون له بعددهم أجور أمثاله من المنفردين إذ هم جماعة، وقد كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها، وكذلك في السنة، روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يعطي العطاء على قدر العيلة، ويعطي المتأهل ضعف ما يعطي العزب، ويعطي كل رجل على قدر أهل بيته، وحدثنا عن بعض هذه الطائفة قال: صحبنا أقواما كان برهم لنا الألوف من الدراهم انقرضوا وجاء آخرون كان برهم لنا المئين، ونحن بين قوم صلتهم لنا العشرات نخاف أن يجيء قوم شر من هؤلاء، وقال بعض السلف: رأينا قوما ما كانوا يفعلون، ونخاف أن يجيء قوم يقولون ولا يفعلون، وإن اتفق ذو دين في عيلة من مساكين فذلك غنيمة المتقين، وذخيرة المنفقين، والمعروف في مثله واقع في حقيقته، وسئل ابن عمر عن جهد البلاء ما هو؟ فقال: كثرة العيال وقلة المال.

وقد جاء في الخبر: لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي، لأن التقي تستعين به على البر والتقوى فيشركه في قصده، وفي الخبر أيضا: أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين، وفي لفظ آخر: أضف بطعامك من تحبه لله تعالى، وينبغي للموقن أن يكون يفرح ويسر بقبول معروفه من الأتقياء، لأن ذلك عمله، إن لم". (١)

١١٠٣-"قال ابن عباس: كلمة التوحيد لاشيء أحلى منها كشجرة طيبة وهي النخلة، وليس في الثمار أحلى من الرطب، ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن في حلاوته ولينه وقوته وثبات أصله بالنخلة، فقال: لا يسقط ورقها مثلها كمثل المؤمن، يقول سهل رحمه الله: إذا استغنيت عن الخبز بغيره من الطعم كان خيرا لك؛ يريد أن أتوقف نفسك مع عادة فتنازعك إليه ا، وقد ذكرت هذه الحكاية لأبي بكر بن الجلاء فأعجبته، وقال: هذا كلام الحكماء، وكان هذا يلائم حاله، وإن خشي المريد أن يكون شيء من المآكل والطيبات له عادة ولم يأمن تأله قلبه وتوقان نفسه إليه ومنازعتها إياه، وكان العبد مبتدئا غرا لا يعرف خبء النفس ودواهيها ولايفطن لمكرها وآفاتها؛ فإن ترك ذلك أفضل.

فليتركه حينئذ لأجل الله خوفا أن يشتهيه فيحرص على مثله، ويدخل مداخل السوء من أجله، ويبيع دينه فيه أو خشية تمكن العادة فيه، فتعذر عليه التوبة لدخوله في الشبهات عند اعتياد الشهوات لأن العادة جند الله تغلب العقل، والابتلاء سلطان من سلطان الله تعالى يقهر العلم، لأجله تعذرت الاستقامة، ولولا العداوة لكان الناس تائبين، ولولا الابتلاء لكان

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ١٨٥/٢

التائبون مستقيمين، فليترك حينئذ أكل الطيبات إذا صارت شهوات، وخشي منها مطالبة العادات، ودعاوي النفس بالآفات، ناويا بذلك ما ذكرناه لصلاح قلبه، وتسكين نفسه، ليملك بذلك نفسه قبل أن تملكه، ويفطم عادتها قبل أن تهلكه، ويغلب بالترك طبعه وهواه قبل أن يكونا بالشهوة يغلبانه، كما **قال بعض الحكماء**: إن لأقضي عامة حوائجي بالترك فيكون أروح لنفسي، وكما قال آخر: إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي، فيصير الترك حينئذ والمنع للنفس غذاء وعادة، كما كان الأخذ والأكل عادة، ففي هذا عون له على صلاح قلبه ودوام حاله، وكان إبراهيم بن أدهم يسأل أصحابه عن الشيء من المأكول فيقال: إنه غال، فيقول له: أرخصوه بتركه، وقال بعض الأدباء في معناه:

وإذا غلا شيء على تركه ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وهو حينئذ تارك للشهوات لأجل الله تعالى وعامل من عمال الله؛ وقد كان هذا طريق طائفة من السلف إلى الله تعالى، ثم انقرضوا فانمحى طريقهم وخلف بعدهم خلف من العلماء ابتغوا الشهوات؛ ولم يقاموا في هذه المقامات ولاسلك بهم هذه الطرقات، فلم يتكلموا في ترك الشهوات؛ فلذلك درس هذا الطريق وعفا أثره لفقد سالكه وعدم كاشفه، فمن عمل به وسلكه فقد أظهره، ومن أظهر فقد أحيا أهله، حدثني بعض علمائنا عن بعض المريدين من أهل البصرة قال: نازعتني نفسي خبز أرزة وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة، قال: فمات، فرأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: لا أحسن، أصف إليك ما يلقاني به ربي من النعيم والكرامة؟ وكان أول شيء استقبلني به خبز أرزة وسمكا، فقال: كل شهوتك". (١)

١١٠٤-"من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك، وكانوا يأمرون بالأخوة ويتحاضون على الألفة، ويقال: إذا غفر للعبد شفع في إخوانه، وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا غريبا في تفسير قوله تعالى: (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) الشورى: ٢٦، قال: يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم، وممن مال إلى هذا الطريق: ابن المسيب والشعبي، وابن أبي ليلى وهشام بن عروة، وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله، وابن عيينة وابن المبارك، والشافعي وأحمد بن حنبل، ومن وافقهم، وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون.

وروينا عنه صلى الله عليه وسلم: المؤمن مألوف ولا خير فيمن يألف ولا يؤلف، وقد قيل: أول ما يرفع من هذه الأمة، الخشوع ثم الورع ثم الأمانة ثم الألفة، وفي الخبر: من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وروينا في خبر مثل الأخوين: إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان إلا أفاد الله عز وجل أحدهما من صاحبه خيرا، وروينا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آخى أخا في الله عز وجل، رفعه الله عز وجل درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله، ويقال إن الأخوين في الله عز وجل إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر، رفع

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٢٩١/٢

الآخر معه إلى مقامه، وأنه يلحق به كما تلحق الذرية بالأبوين، والأهل بعضهم ببعض، لأن الأخوة عمل كالولادة، وقد قال الله سبحانه بعد قوله: (ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) الطور: ٢١، أي وما نقصناهم، وقال تعالى مخبرا عمن لا صديق له حميم تنفعه شفاعته: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) الشعراء: ١٠٠ - ١٠١ ومعنى حميم أي هميم، أبدلت الحاء هاء لتقاربهما، مأخوذ من الاهتمام أي مهتم بأمره، ففيه دليل أن الصديق لك هو المهتم بك، وإن الاهتمام حقيقة الصداقة، وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم: المؤمن كثير بأخيه، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أعطى عبد بعد الإسلام خيرا من أخ صالح، وقال أيضا: إذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به، فقلما تصيب ذلك، وقد **قال بعض الحكماء في** معناه كلاما منظوما شعرا:

ما نالت النفس على بغية ... ألذ من ود صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك المقطوع منه الوتين

وقد يروي هذا المصراع الثاني فذلك المغبون حقا يقين، وروينا في الأخبار السابقة إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا ابن عمران كن يقظان وارتد لنفسك إخوانا، وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو، وفي خبر غيره عن داود عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه: يا داود ما لي أراك منتبذا وحدانا،". (١)

١١٠٥-"الأخ لأخيه قم بنا، فقال: إلى أين، فلا تصحبه وقال الآخر: إذا قال: أعطني من مالك، فقال: كم تريد أو ماذا تصنع به لم يقم بحق الإخاء، قال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق، فكنت أجيئه في النوائب فأقول: أعطني من مالك شيئا فكان يلقي إلي كيسه فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم فقلت أحتاج إلى شي، فقال: كم تريد فخرج حلاوة أخاه من قلبي، وعن ابن عمر وأبي هريرة: لم يكن أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه.

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحرمه، ولا يخذله بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، وفي حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته، وفي حديث أبي أسامة الباهلي: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب ثم قال: ذروا المراء لقلة خبره، ذروا المراء فإن نفعه قليل وهو يهيج العداوة بين الإخوان، وقال بعض السلف: من لاص الإخوان وما رآهم، قلت: وذهبت كرامته، وقال عبد الله بن الحسن: إياك ومعاداة الرجال، فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم، **وقال بعض الحكماء**: ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد، ولا يزيدك لطف الحقد إلا وحشة منه.

وقد روينا في الحقد على الإخوان لفظة شديدة، وهو ما حدثونا عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: كنت باليمن، وكان لي جار يهودي يخبرني عن التوراة، فقدم علينا يهودي من سفر فقلت: إن الله تبارك وتعالى قد بعث فينا نبيا،

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٢/٣٦٠

فدعا إلى السلام فأسلمنا، وقد نزل علينا مصدقا للتوراة فقال اليهودي: صدقت، ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به، إنا نجد نعته ونعت أمته أنه لا يحل لامرئ يعلم منهم أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم، وقال بعض السلف: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر منهم، وقال الحسن: لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل، وقال عمر بن عبد العزيز: إياك ومن مودته على قدر حاجته إليك، فإذا قضيت حاجته انقضت مودته، ومن أخلاف السلف قال: لم يكن أحد منا يقول في رحله: هذا لي وهذا لك، بل كان كل من احتاج إلى شيء استعمله عن غير مؤامرة، وقد وصف الله عز وجل المؤمنين بهذا في قوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) الشورى: ٣٨، معنى أمرهم أي أمورهم ذكر جماعها كالشيء الواحد بينهم شورى أي مشاع غير مقسوم، ولا يستبد به واحدهم فيه سواء، ومما رزقناهم ينفقون، أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله من بعض أي شركاء، وجاء عتبة الغلام إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال: أحتاج". (١)

١١٠٦-"الغداء يا بن بنت رسول الله، فيثني رجله عن بغلته وينزل، فيقعد معهم على الأرض ويأكل، ثم يركب ويقول: إن الله تبارك وتعالى لا يحب المستكبرين ثم يدعوهم بعد ذلك إلى منزله فيقول للخادم: هلمي ما كنت تدخرين فيأكلون معه، وروينا في الإسرائيليات أن حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصنفا في الحكمة، حتى ظن أنه نال منزلة عند الله تعالى، فأوحى الله إلى نبيه: قل لفلان أنك قد ملأت الأرض نفاقا، وإني لا أقبل من نفاقك شيئا، قال: فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال: قد بلغت محبة ربي فأوحى الله عز وجل إلى النبي، قل له إنك لم تبلغ رضاي قال: فدخل الأسواق وخالط العامة وجالسهم، وأكل الطعام بينهم ومشى في الأسواق معهم، فأوحى الله تبارك وتعالى الآن حين بلغت رضاي، فلو أيقن اليائس المتصنع للخلق، الأسير في أيديهم، الرهين لنظرهم، أن الخلق لا ينقصون من رزق، ولا يزيدون في عمر، ولا يرفعون عند الله، ولا يضعون لديه، وأن هذا كله بيد الله عز وجل، لا يملكه سواه، ولو سمع خطاب المولى لاستراح من جهد البلاء، إذ يقول الله عز وجل: (إن الذين تدعون من دون الله) الأعراف: ١٩٤، لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه، مع قوله تعالى: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) الأعراف: ١٩٤ فلو عقل ذلك لطرح، الخلق عن قلبه اشتغالا بمقلبه، ولأعرض عن الناس بهمه نظرا منه إلى مهمه، وأظهر حاله وكشف أمره تقويا بربه وغنية بعلمه، فلم يبال أن يراه الناس على كل حال يراه فيه مولاه، إذا كان لا يعبد إلا إياه ولا يضره ولا ينفعه سواه، فعمل ما يصلحه وإن كان عند الناس يضعه، وسعى فيما يحتاج إليه وإن كان عند المولى يزري عليه، ولكن ضعف يقينه فقوى إلى الخلق نظره، وأحب أن يستر عنهم خبره لإثبات المنزلة عندهم، ولاستخراج الجاه لنفسه، فيفخر بالخيلاء والعجب، فموه بحال على من لا حال له، ووهم بمقام عند من ليس له مقام، واعتقدوا فضله بذلك لنقصهم، وتوهموا به علمه لجهلهم، ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم، حدثونا عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: والله ما أقول لك إلا نصحا، أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما يصلحك فافعله، وحدثونا عن الثوري قال: رضا الناس غاية

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٣٧٣/٢

لا تدرك، فأحمق الناس من طلب من لا يدرك وقد قال بعض الحكماء في معناه قولا منظوما:

من راقب الناس مات غما ... وفاز باللذة الجسور

ونظر أبو محمد سهل إلى رجل من الفقراء فقال له: اعمل كذا وكذا فقال: يا أستاذ لا أقدر على هذا لأجل الناس، فالتفت إلى أصحابه فقال: لا ينال العبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين: عبد يسقط الناس عن عينه فلا يرى في الدار إلا هو وخالقه، وأن أحد لا يقدر أن يضره ولاينفعه، أو عبد أسقط الناس عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونه،". (١)

١١٠٧-"يعلمون) يونس: ٨٩، فأول الاستقامة صحبة العلماء بالله عز وجل وقال تعالى: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) الكهف: ٢٨، وقال تعالى: (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) طه: ١٦، أي فتكون رديا وقيل فتهلك وقال تعالى: (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) النجم: ٢٩، ففي دليله الإقبال بالصحبة على من أقبل إلى ذكره تعالى، والإعراض عمن أعرض عن وجهه، فلا تصحبن إلا مقبلا عليه كما قال الله عز وجل: (واتبع سبيل من أناب إلي) لقمان: ١٥، وإياك أن تصحب من الناس خمسة: المبتدع والفاسق والجاهل والحريص على الدنيا والكثير الغيبة للناس، فإن هؤلاء مفسدة للقلوب مذهبة للأحوال، مضرة في الحال والمآل.

وقد كان سفيان الثوري رحمه الله يقول: النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة وقال سعيد بن المسيب: لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة، ولكن قد كان صعصعة بن صوحان يقول: إذا لقيت المؤمن فخالطه مخالطة، وإذا لقيت المنافق فخالفه مخالفة، وقد قال: أحسن الواصفين في وصف أوليائه المتقين، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاما أي سلامة، الألف بدل من الهاء لازدواج الكلم، والمعنى، أي سلمنا من إثمكم وسلمتم من شرنا، وقد كان أبو الدرداء يقول في زمانه: كان الناس ورقا لا شوك فيه، وهم اليوم شوك لا ورق فيه، إن ناقدتهم ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، فأقرضهم من عرضك ليوم فقرك، وكان يقول: كل يوم أصبح لا يرميني الناس فيه بداهية أعده نعمة من الله تعالى علي، وقال حكيم الحكماء صلى الله عليه وسلم: من خالط الناس وصبر على أذاهم، أفضل ممن لم يخالطهم ولم يصبر على أذاهم، وقال العلام ذو الجلال والإكرام: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة) القصص: ٤٥، إي يدفعون بالكلام الحسن السيء وقال عز وجل في الكلام المفسر: (ادفع بالتي هي أحسن) فصلت: ٣٤، يعني بالكلمة الحسنى: (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت: ٣٤ ثم قال عز وجل وما يلقاها يعني الكلمة: (إلا الذين صبروا) فصلت: ٣٥، أي على أمر الله تعالى وعلى الغيظ، وعن الغضب: (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فصلت: ٣٥، أي من الحلم والعلم وقيل ذو حظ عظيم عند الله عز وجل من النصيب والجزاء وقد قال لقمان الحكيم قولا متوسطا: يا بني لا تكن حلوا فتبلع، ولا مرا فتلفظ، المعنى: لا تمكن الناس من نفسك ولا تتابعهم في كل شيء فلا يبقوا عليك وينبسطوا إليك، ولا تنافرهم وتخالفهم في كل شيء فيجانبوك ويرفضوك فيقعوا فيك، وقال بعض السلف: لا تصحب إلا مريدا، وكل خليل لا يريد ما تريد فانبذ عنك صحبته، وقال بعض علماء العرب: الصاحب كالرقعة في الثوب إن لم تكن من جنسه شانته، وقال بعض الحكماء:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٣٨٩/٢

كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه، وقد كان". (١)

١١٠٨-"وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم: فضلت على آدم عليه السلام بخصلتين: كانت له زوجة عونا له على المعصية وأزواجي عونا لي على الطاعة، وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلما لا يأمرني إلا بخير، فعد ذلك صلى الله عليه وسلم في فضائله، وإذا كانت المرأة حسنة الوجه خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر، كبيرة العين بيضاء اللون، محبة لزوجها قاصرة الطرف فهذه على صورة الحور العين قال الله تعالى في ذلك: (فيهن خيرات حسان) الرحمن: ٧، قيل: خيرات الأخلاق حسان الوجوه وقال تعالى: (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) الواقعة: ٢٢ - ٢٣، والحور البيض والعين، كبار الأعين هو جمع عيناء، والحوراء هي البيضاء شديدة بياض العين، شديدة سوادها وسواد الشعر وقال عز وجل: (عربا) الواقعة: ١٥٧ العربة على معنيين: تكون العاشقة لزوجها، وتكون المشتهية للجماع، وذلك يكون من تمام اللذة في الوقاع، لأن المرأة إذا لم تكن محبة لزوجها ولا مشتهية لإفضائه إليها، نقص ذلك من لذته فلذلك وصف الله عز وجل نساء أهل الجنة بتمام اللذة، ويقال: رجل شبق وامرأة عربة يوصفان بشهوة الجماع كيف وقد روي: خير نسائكم الغلمة على زوجها **وقال بعض الحكماء**: ثلاث من اللذات لا يؤبه لهن: المشي في الصيف بلا سراويل، والتبرز على الشط، ومجامعة الربوخ يعني المشتهية للجماع وقال عز وجل في تمام وصفهن: (قاصرات الطرف) الصافات: ٤٨، أي قد قصر طرفها على زوجها وحده، فليست ترى أحسن منه ولاتريد بدلا غيره، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير نسائكم التي إذا نظر إليها الرجل سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسه وماله.
وروينا عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه في معنى قوله عز وجل: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) البقرة: ١٠٢ قال: المرأة الصالحة، وفي بعض التفسير: (فلنحيينه حياة طيبة) النحل ١٦قال: المرأة الصالحة وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: المرأة الصالحة ليست من الدنيا لأنها تفرغك للآخرة، إلا أنه كان يقول: المنفرد يجد من حلاوة العبادة ما لا يجد المتزوج، وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: ما أعطى عبد بعد إيمان بالله عز وجل خيرا من امرأة صالحة، ووصف النساء فقال: منهن غنم لا يجزأ منه، يعني غنيمة لا يعتاض منها بعطاء، الحديا هي العطاء، ومنهن غل لا يفدي منه أي لا قيمة له فيفدى منه ويجوز أن لا راحة منه كالغل، فصاحبها أسير بحبها لا يفتدى أبدا إلا بموتها وقال أيضا: قيل: كانت العرب من نهاية تعذيبها للأسير تسلخ جلد الشاة ثم تلبسه إياه لحما طريا، فيلتزق على جسده وينقبض، ثم لا تنزعه عنه حتى يقمل وينتثر منه الهوام، فذلك؛ هو الغل مثل المرأة المكربة، واعلم أن النساء على أوصاف النفس، من عرف صفات النفس عرف بها أوصاف النساء، وقاساهن بالتجربة، والخبر: عرف بذلك صفات النفس: فمنهن المسولة وهي". (٢)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٣٩١/٢

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٤٠٥/٢

١١٠٩-"الحق؟ بل أنت وأبوك تقولان الباطل ولا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حقا، نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضبا له حتى استجارت بالنبي صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وقالت له مرة في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم أنك نبي؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حلما وكرما، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة رضي الله عنها: إني لأعرف غضبك من رضاك قالت: وكيف تعرف ذلك؟ قال: إن رضيت قلت: لا وإله محمد وإذا غضبت قلت: لا وإله إبراهيم قالت: صدقت إنما أهجر اسمك وقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح مع أزواجه ويقاربهن في عقولهن في المعاملة والأخلاق، وفي الخبر: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه، وقد كان لقمان الحكيم يقول: العاقل في بيته ومع أهله كالصبي فإذا كان في القوم وجد رجلا، وفي تفسير الخبر المروي أن الله يبغض الجعظري الجواظ قيل: هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه، وفي أحد المعاني في قوله عز وجل: (عتل بعد ذلك زنيم) القلم: ١٣، قيل: الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وما ملكت يمينه، وروينا في في الخبر: غيرة يبغضها الله عز وجل، غيرة الرجل على أهله في غير رينة كأنه يكون من سوء الظن الذي نهى الله عز وجل ورسوله عنه.

وروينا عن علي رضي الله عنه: لا تكثر الغيرة على أهلك فترمي بالسوء من أجلك ولعمري إن الغيرة لها حد فإذا جاوزها الرجل قصر عن الواجب وزاد على الحق، وقد كان الحسن يقول: أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار، وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده: بلى والله نمنعهن فضربه وغضب عليه وقال: تسمعني أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمنعوهن وتقول: بلى تمنعهن وقد قال الله عز وجل: (قد جعل الله لكل شيء قدرا) الطلاق: ٣، **وقال بعض الحكماء**: من جاوز الشيئ فمذموم كمن قصر عنه، فلا بأس بالحرة العفيفة أن تخرج لشيئ لا بد لها منه من قضاء حوائجها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذن لكن أن تخرجن في حوائجكن كذلك تخرجن في الأعياد خاصة، أطلق ذلك لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يخرجن إلا بأذن أزواجهن وعن رضاهم: ولا يخرجن أيضا إلا فيما يعني مما لا بد منه ومهما استغنين عن الخروج، وأن لا يراهن رجل فهو أفضل لهن وأصلح لقلوبهن، وروينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة عليها السلام: يا بنية، أي شيئ خير للمرأة فقالت: أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل، فضمها إليها وقال: ذرية بعضها من بعض، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا يطلع النسوان، وروينا إن معاذا رأى امرأة تطلع من كوة في الجدار فضربها، وأن امرأته دفعت". (١)

١١١٠-"مخافة باب واحد من الحرام، وهذا طريق قد مات أهله، فمن سلكه فقد أحياهم فأما أموال التجار والصناع والمتصرفين في المعايش المباحة بالأسباب الجائزة في العلم، مع موافقة الكتاب والسنة فهي شبهات، ثم تتنوع بنوعين: فتكون شبهة حلال إذا عاملت المتقين وأخذت من الورعين، وتكون شبهة حرام إذا عاملت قليلي التقوى والورع، وأما غير ذلك

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٢/ ٤١٨

من أموال الجند فإنه حرام لفساد سببه ولمخالفة الأحكام، فما كان عن معاملة لهم وكسب ولم تعلم شيئا بعينه غصبا ولا جناية فهو أسهل، وما علمته فهو نص الحرام، فالله الله في نفسك انظر أيها المسكين لمعادك واحفظ لدينك، فإن كسبك من دينك وطمعتك من إيمانك، فإن تهاونت بذلك فقد تهاونت بالدين، ونبذت الأحكام وضيعت اليوم نفسك ولم تنظر فيما قدمت لغد ونعوذ بالله من سوء القضاء، ويقال إن العدو إذا ظفر من العبد بسوء الطعمة لم يعترض عليه في الأعمال، وقال: قد ظفرت منك بحاجتي، اعمل الآن ما شئت ولم يعد عليه من أعماله إلا ظلمة في قلبه، وقسوة وضعفا في عزيمة، وفتورا ومعصية وحرم التوفيق والعصمة، ولم يورث علم المكتوب والحكمة، فإن كان المتصرف في السوف على الوصف المكروه، مخالفا للعلم في تصرفه مفارقا للأحكام لايبالي من أي وجه ظهر وبأي سبب عليه قدر، غير متق في كسبه ولا مرع لدين الله عز وجل فيه وحكمه، فهوآكل للمال بالباطل قاتل لنفسه مفسد لدينه غاش للمسلمين، والله لا يصلح عمل المفسدين كما لايضيع أجر المصلحين، ومع ذلك فهو غير ناصح لله عز وجل ولخلقه في الدين، مقامه في

الظلم وحاله الهوى، والله لا يحب الظالمين، فهو مأمور بالتوبة في جميع تصرفه مفترض عليه الإنابة في جميع تقلبه قبل أن يبغته الموت ويفجأ الفوت، فيلقى الله تعالى ظالما ذا هوى فقد قال تعالى: (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات: ١١، وقال تعالى: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) الشعراء: ٢٢٧، **وقال بعض الحكماء**: الدنيا بحر عجاج والتجار فيه غاصة، فواحد يغوص فيخرج درا، وهؤلاء أبناء الآخرة الذين لها يعملون، وآخر يغوص فيخرج آجرا وهؤلاء عمال الدنيا الذين عليها يحرصون، وآخر يخرج سمكا، وهؤلاء المقتصدون، وآخر في قعره قد غرق، وهؤلاء المطرودون عن الطاعة إلى الأسواق كلما أرادوا أعمال البر طردوا عنها إلى السوق وشغلوا، فقد غرقوا في بحر الخطايا، وآخر طاف مع الأمواج يضطرب يطلب النجاة، كلما رفعته موجة طمع في النجاة ثم تغطيه موجة أخرى فيخاف الهلكة، وهؤلاء المريدون الاستقامة في زماننا هذا، ترفعهم التوبة إلى النجاة وتحطهم العادة إلى الهلكة. لم وحاله الهوى، والله لا يحب الظالمين، فهو مأمور بالتوبة في جميع تصرفه مفترض عليه الإنابة في جميع تقلبه قبل أن يبغته الموت ويفجأ الفوت، فيلقى الله تعالى ظالما ذا هوى فقد قال تعالى: (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات: ١١، وقال تعالى: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) الشعراء: ٢٢٧، **وقال بعض الحكماء**: الدنيا بحر عجاج والتجار فيه غاصة، فواحد يغوص فيخرج درا، وهؤلاء أبناء الآخرة الذين لها يعملون، وآخر يغوص فيخرج آجرا وهؤلاء عمال الدنيا الذين عليها يحرصون، وآخر يخرج سمكا، وهؤلاء المقتصدون، وآخر في قعره قد غرق، وهؤلاء المطرودون عن الطاعة إلى الأسواق كلما أرادوا أعمال البر طردوا عنها إلى السوق وشغلوا، فقد غرقوا في بحر الخطايا، وآخر طاف مع الأمواج يضطرب يطلب النجاة، كلما رفعته موجة طمع في النجاة ثم تغطيه موجة أخرى فيخاف الهلكة، وهؤلاء المريدون الاستقامة في زماننا هذا، ترفعهم التوبة إلى النجاة وتحطهم العادة إلى الهلكة.

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا، وأوحى الله عز". (١)

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٢/٤٨٧

١١١١-"**قال بعض الحكماء**: عواقب الأمور تتشابه في الغيوب، فرب محبوب في مكروه، ومكروه في محبوب، وكم مغبوط بنعمة هي داؤه، ومرحوم من داء هو شفاؤه.

وكان يقال: رب خير من شر، ونفع من ضر.

وقال وداعة السهمي، في كلام له: اصبر على الشر إن قدحك، فربما أجلى عما يفرحك، وتحت الرغوة اللبن الصريح.

يأتي الله بالفرج عند انقطاع الأمل: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾ ، ﴿إن الله مع الصابرين﴾ ، ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ .

يقول بعض الكتاب: وكما أن الله – جل وعلا – يأتي بالمحبوب من الوجه الذي قدر ورود المكروه منه، ويفتح بفرج عند انقطاع الأمل، واستبهام وجوه الحيل، ليحض سائر خلقه بما يريدهم من تمام قدرته، على صرف الرجاء إليه، وإخلاص آمالهم في التوكل عليه، وأن لا يزووا وجوههم في وقت من الأوقات عن توقع الروح منه، فلا يعدلوا بآمالهم على أي حال من الحالات، عن انتظار فرج يصدر عنه، وكذلك أيضا يسرهم فيما ساءهم، بأن كفاهم بمحنة يسيرة، ما هو أعظم منها، وافتداهم بملمة سهلة، مم كان أنكى فيهم لو لحقهم.

لعل عتبك محمود عواقبه ... فربما صحت الأجسام بالعلل". (١)

١١١٢-"وقال قطري بن الفجاءة:

لا يركنن أحد إلى الإحجام ... يوم الوغى متخوفا لحمام

فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني مرة وأمامي

حتى خضبت بما تحدر من دمي ... أحناء سرجي أو عنان لجامي

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب ... جذع البصيرة قارح الإقدام

وقال بعض الحكماء: العاقل يتعزى فيما نزل به من مكروه بأمرين:

أحدهما: السرور بما بقي له.

والآخر: رجاء الفرج مما نزله به.

والجاهل يجزع في محنته بأمرين:

أحدهما: استكثار ما أوى إليه.

والآخر: تخوفه ما هو أشد منه.

وكان يقال: المحن آداب الله عز وجل لخلقه، وتأديب الله يفتح القلوب والأسماع والأبصار.

ووصف الحسن بن سهل المحن فقال: فيها تمحيص من الذنب، وتنبيه من الغفلة، وتعرض للثواب بالصبر، وتذكير بالنعمة،

---

(١) لا تحزن ص/٣٥٤

واستدعاء للمثوبة، وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخيار.

فهذا من أحب الموت، طلبا لحياة الذكر. ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ .". (١)

١١١٣-"**وقال بعض الحكماء**: طلب الإنصاف، من قلة الإنصاف.

وقال بعضهم: نحن ما رضينا عن أنفسنا، فكيف نرضى عن غيرنا!!

وقال بعض البلغاء: لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، وبطنت عقله - عيب خفي، تحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله، فإنك لن تجد - ما بقيت - مهذبا لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب، فاعتبر بنفسك بعد ألا تراها بعين الرضا، ولا تجري فيها على حكم الهوى، فإن في اعتبارك بها، واختبارك لها، ما يواسيك مما تطلب، ويعطفك على من يذنب، وقد قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وقال النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

وليس ينقض هذا القول ما وصفناه من اختباره، واختبار الخصال الأربع فيه، لأن ما اعوز فيه معفو عنه، هذا لا ينبغي أن توحشك فترة تجدها منه، ولا أن تسيء الظن في كبوة تكون منه، ما لم تتحقق تغيره، وتتيقن تنكره، وليصرف ذلك إلى فترات النفوس، واستراحات الخواطر، فإن الإنسان قد يتغير عن مراعاة نفسه التي هي أخص النفوس به، ولا يكون ذلك من عداوة لها، ولا ملل منها. وقد قيل في منثور الحكم: لا يفسدنك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له. وقال جعفر بن محمد لابنه: يا بني، من غضب من إخوانك ثلاث مرات، فلم يقل فيك سوى الحق.". (٢)

١١١٤-"الصحة والفراغ

ينبغي ألا تضيع صحة جسمك، وفراغ وقتك، بالتقصير في طاعة ربك، والثقة بسالف عملك، فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك، فليس كل الزمان مستعدا ولا ما فات مستدركا، وللفراغ زيغ أو ندم، وللخلوة ميل أو أسف.

وقال عمر بن الخطاب: الراحة للرجال غفلة، وللنساء غلمة.

وقال بزرجمهر: إن يكن الشغل مجهدة، فالفراغ مفسدة.

وقال بعض الحكماء: إياكم والخلوات، فإنها تفسد العقول، وتعقد المحلول.

---

(١) لا تحزن ص/٣٥٧

(٢) لا تحزن ص/٣٩٢

وقال بعض البلغاء: لا تمض يومك في غير منفعة، ولا تضع مالك في غير صنيعة، فالعمر أقصر من ينفد في غير المنافع، والمال أقل من أن يصرف في غير الصانع، والعاقل أجل من أن يفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره، وينفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره.

وأبلغ من ذلك قول عيس ابن مريم، على نبينا وعليه السلام: البر ثلاثة: المنطق، والنظر، والصمت، فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها.". (١)

١١١٥-"قراءة العقول

مما يشرح الخاطر ويسر النفس، القراءة والتأمل في عقول الأذكياء وأهل الفطنة، فإنها متعة يسلو بها المطالع لتلك الإشراقات البديعة من أولئك الفطناء. وسيد العارفين وخيرة العالمين، رسولنا – صلى الله عليه وسلم –، ولا يقاس عليه بقية الناس، لأنه مؤيد بالوحي، مصدق بالمعجزات، مبعوث بالآيات البينات، وهذا فوق ذكاء الأذكياء ولموع الأدباء.

﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾

قال أبقراط: «الإقلال من الضار، خير من الإكثار من النافع» . وقال: «استديموا الصحة بترك التكاسل عن التعب، وبترك الامتلاء من الطعام والشراب» .

وقال بعض الحكماء: «من أراد الصحة: فليجود الغداء، وليأكل على نقاء، وليشرب على ظماء، وليقلل من شرب الماء، ويتمدد بعد الغداء، ويتمش بعد العشاء، ولا ينم حتى يعرض نفسه على الخلاء، وليحذر دخول الحمام عقيب الامتلاء، ومرة في الصيف خير من عشر في الشتاء» .

وقال الحارث: «من سره البقاء – ولا بقاء – فليباكر الغداء، وليعجل العشاء، ولخفف الرداء، وليقل غشيان النساء» .

وقال أفلاطون: «خمس يذبن البدن، وربما قتلن: قصر ذات اليد، وفراق الأحبة، وتجرع المغايظ، ورد النصح، وضحك ذوي الجهل بالعقلاء» .". (٢)

١١١٦-"ساكنا يعرف مصيره ومنقلبه، والثاني عاش ممزق الإرادة، مبعثر الجهد، لم يبرد غليله من مراده، ولا يعرف مستقبله.

عند المسلمين أعظم دواء عرفته البشرية، وأجل علاج اكتشفته الإنسانية. إنه الإيمان بالقضاء والقدر، حتى **قال بعض الحكماء**: لن يسعد في الحياة كافر بالقضاء والقدر. وقد أعدت عليك هذا المعنى كثيرا، وعرضته لك في أساليب شتى،

---

(١) لا تحزن ص/٣٩٤

(٢) لا تحزن ص/٤٠١

وأنا على عمد، لأنني أعرف من نفسي ومن كثير مثلي أننا نؤمن بالقضاء والقدر فيما نحبه، وقد نتسخط عليه فيما نكرهه، ولذلك كان شرط الملة وميثاق الوحي: ((أن تؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره)) .

ومن يؤمن بالله يهد قلبه

أسوق هنا قصة لتظهر سعادة من رضي بالقضاء، وحيرة وتكدر وشك من سخط من القضاء:
فهذا كاتب أمريكي لامع، اسمه «بودلي» مؤلف كتاب «رياح على الصحراء» ، و «الرسول – صلى الله عليه وسلم –» وأربعة عشر كتابا أخرى، وقد استوطن عام ١٩١٨ م إفريقية الشمالية الغربية، حيث عاش مع قوم من الرحل البدو المسلمين، يصلون ويصومون ويذكرون الله. يقول عن بعض مشاهده وهو معهم: هبت ذات يوم عاصفة عاتية، حملت رمال الصحراء وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمت بها وادي الرون في فرنسا، وكانت العاصفة". [١]

١١١٧–"وإن امرءا قد سار ستين حجة ... إلى منهل من ورده لقريب
يا من يفرح بكثرة مرور السنين عليه إنما تفرح بنقص عمرك قال أبو الدرداء والحسن رضي الله عنهما: إنما أنت أيام كلما مضى منك يوم مضى بعضك.
إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فإنما الربح والخسران في العمل
قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره؟ كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله وحياته إلى موته؟.
نجد سرورا بالهلال إذا بدا ... وما هو إلا السيف للحتف ينتضى
إذا قيل تم الشهر فهو كناية ... وترجمة عن شطر عمر قد انقضى
قال الحسن: الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وهي مراحل.
نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأعمارنا تطوى وهن مراحل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائل
قال بعض الحكماء: من كانت الليالي والأيام مطاياه سارتا به وإن لم يسر.
وما هذه الأيام إلا مراحل ... يحث بها حاد إلى الموت قاصد
وأعجب شيء لو تأملت أنها ... منازل تطوى والمسافر قاعد
يا من كلما طال عمره زاد ذنبه يا من كلما ابيض شعره بمرور الأيام اسود بالآثام قلبه.

---
(١) لا تحزن ص/٤٤٦

شيخ كبير له ذنوب ... تعجز عن حملها المطايا

قد بيضت شعره الليالي ... وسودت قلبه الخطايا

يا من تمر عليه سنة بعد سنة وهو مستثقل في نوم الغفلة والسنة يا من يأتي عليه عام بعد عام وقد غرق في بحر الخطايا فعام يا من يشاهد الآيات والعبر كلما توالت عليه الأعوام والهور ويسمع الآيات والسور ولا ينتفع بما يسمع ولا بما يرى من عظائم الأمور ما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء في الكتاب المسطور: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج: ٤٦]. ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] .". (١)

١١١٨-"ثم مات في اليوم الثالث كان رجل قد اعتزل وتعبد فرأى في منامه قائلا يقول له: يا فلان ربك يدعوك فتجهز واخرج إلى الحج ولست عائدا فخرج إلى الحج فمات في الطريق رأى بعض الصالحين في منامه قائلا ينشده:

تأهب للذي لا بد منه ... من الموت الموكل بالعباد

أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

خرج ابن ماجه من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فقال في خطبته: "أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا" وفي سنده ضعف فأمر بالمبادرة قبل الموت وكل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكون ساعة موته بل كل نفس كما قيل:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... وإن تمنعت بالحجاب والحرس

قال لقمان لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة **وقال بعض الحكماء**: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل.

إلى الله تب قبل انقضاء من العمر ... أخي ولا تأمن مفاجأة الأمر

ولا تستصمن عن دعائي فإنما ... دعوتك إشفاقا عليك من الوزر

فقد حذرتك الحادثات نزولها ... ونادتك إلا أن سمعك ذو وقر

تنوح وتبكي للأحبة إن مضوا ... ونفسك لا تبكي وأنت على الأثر

قال بعض السلف: أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين يشير إلى أن المؤمن لا ينبغي أن يصبح ويمسي إلا على توبة فإنه لا يدري متى يفاجئه الموت صباحا أو مساء فمن أصبح أو أمسى على غير توبة فهو على خطر لأنه يخشى أن يلقى الله غير تائب فيحشر في زمرة الظالمين قال الله تعالى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١] تأخير التوبة في حال الشباب قبيح وفي حال المشيب أقبح وأقبح.

نعى لك ظل الشباب مزهج ... ونادتك باسم سواك الخطوب

فكن مستعدا لداعي الفنا ... فكل الذي هو آت قريب

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٣٠٤

ألسنا نرى شهوات النفو ... س تفنى وتبقى علينا الذنوب

يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف يكن حال من لا يتوب". [(١)]

١١١٩-"وناد يا مالكي قد جئت معتذرا ... عساك بالعفو والغفران تسمح لي

فإنني عبد سوء قد جنى سفها ... وضيع العمر بين النوم والكسل

وغره الحلم والإمهال منك له ... حتى غدا في المعاصي غاية المثل

وليس لي غير حسن الظن فيك فإن ... رددتني فشقاء كان في الأزل

حاشاك من رد مثلي خائبا جزعا ... والعفو أوسع يا مولاي من زللي

ولم أكن بك يوما مشركا وإلى ... دين سوى دينك الإسلام لم أمل

وكان ذلك فضلا منك جدت به ... وليس ذاك بسعي كان من قبلي

اللهم ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا وهب لنا تقواك واهدنا بهداك ولا تكلنا إلى أحد سواك واجعل لنا من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، اللهم أعذنا بمعافاتك من عقوبتك، وبرضاك من سخطك، واحفظ جوارحنا من مخالفة أمرك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

(فصل ١٥)

ومما قاله العلماء والأدباء والحكماء في فضل العلم والحث عليه تعلما وتعليما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الناس أبناء ما يحسنون. وقال مصعب بن الزبير: تعلم العلم فإن لم يكن لك جمال كان العلم لك جمالا، وإن لم يكن لك مال كان لك مالا. وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم.

وقال بعض الحكماء: العلم شرف لا قدر له والأدب مال لا خوف عليه. وقال بعض الأدباء: العلم أفضل خلف والعمل به أمل شرف. وقال بعض البلغاء: تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرا ويقدمك ويسودك كبيرا، ويصلح زيفك وفاسدك، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوم عوجك وميلك، ويصحح همتك وأملك. قلت: وهذا صحيح في حق العاقل اللبيب القابل لذلك دون الأحمق المتكبر الجاهل جهلا مركبا قال بعضهم:". [(٢)]

١١٢٠-"آخر:

بعض الرجال له رأي ومعرفة ... يدري ويعلم أن الوقت من ذهب

وهمه في علوم الدين يتقنها ... وهم أقرانه في اللهو واللعب

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص/٣٤٤

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان ١/١٥٤

آخر:

ولا تطلبن العلم للمال والريا

فإن ملاك الأمر في حسن مقصد

وكن عاملا بالعلم فيما استطعته

ليهدى بك المرء الذي بك يقتدي

حريصا على نفع الورى وهداهم

تنل كل خير في نعيم مؤبد

(فصل) : وقال في منهاج اليقين: (واعلم أن لكل مطلوب باعثا والباعث على المطلوب شيئآن: رغبة، أو رهبة، فليكن طالب العلم راغبا راهبا أما الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته وحافظي مفترضاته بإقامتها وتعليمها من لا يعلمها والأمر بالمعروف، وأما الرهبة فمن عقاب الله تعالى لتاركي أوامره ومهملي زواجره فإذا اجتمعت الرغبة والرهبة أدتا إلى كنه العلم وحقيقة الزهد بإذن الله لأن الرغبة في الثواب أقوى الباعثين على العلم والباعث الآخر حب النباهة ونحوها والرهبة من العقاب أقوى السببين في الزهد وقد قالت الحكماء: (أصل العلم الرغبة وثمرته السعادة وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة) فإذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة الدينية والدنيوية وعمت الفضيلة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من ازداد في العلم رشدا ولم يزدد في الدنيا زهدا لم يزدد من الله إلا بعدا» . وقال مالك بن دينار: من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتي منه لا ينفعه. **وقال بعض الحكماء**: الفقيه بغير ورع كالسراج يضيء البيت ويحرق نفسه، وبالتالي فالعلم فضله يعرفه كل منصف". (١)

١١٢١-"بإذن الله فإن الحمق لا تثبت معه مودة ولا تدوم معه صحبة، لعدم مراعاته حقوق الإخاء.

والخصلة الثانية: الدين الواقف بصاحبه على الخيرات، فإن تارك الدين عدو لنفسه يلقيها في المهالك، فكيف يرجى منه نفع ومودة لغيره.

وقال بعض الحكماء: اصطحب من الإخوان صاحب الدين، والحسب، والرأي والأدب، فإنه عون لك عند حاجتك، لأن دينه يحتم عليه ذلك، لأنه من مقتضياته ويد عند نائبتك، وذلك من موجبات رأيه، وحسبه، وأنس عند وحشتك لأدبه.

ومن كلام بعض العارفين: الأخ الصالح خير من نفسك، لأن النفس أمارة بالسوء، والأخ الصالح لا يأمر إلا بالخير.

الثالثة: أن يكون محمود الأخلاق، مرضي الأفعال، مؤثرا للخير، آمرا به لخليله، كارها للشر ديانة، وخلقا، ناهيا عن الشر

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ١/١٦٥

مروءة وحسبا، فإن مودة الشرير تكسب الأعداء، وتفسد الأخلاق، ولا خير في مودة تجلب عداوة، وتورث مذمة وملامة.
وقد ضرب النبي – صلى الله عليه وسلم – مثلين للجليس الصالح، والجليس السوء، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وأما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحة خبيثة» . متفق عليه.
هذا الحديث يفيد أن الجليس الصالح جميع أحوال صديقه معه خير وبركة ونفع ومغنم مثل حامل المسك الذي تنتفع بما معه منه، إما بهبة، أو ببيع أو أقل شيء مدة الجلوس معه، وأنت قرير النفس، منشرح الصدر، برائحة المسك". (١)

١١٢٢–"الثنياء وقليل ما هم، وعن أبي جحيفة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان جالسا ذات يوم وقدامه قوم يصنعون شيئا كرهه من كلام ولغط، فقيل : يا رسول الله ألا تنهاهم؟ فقال: «لو نهيتهم عن الحجون، لأوشك بعضهم أن يأتيه، وليست له حاجة» .

قال الخطابي على هذا الحديث: قد أنبأ النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذا القول أن الشر طباع في الناس، وأن الخلاف عادة لهم. قلت: ومما يدل على ذلك قصة آدم وحواء حينما نهاهما الله عز وجل عن الأكل من الشجرة أكلا منها.
فبعض الناس نهيه عن الشيء كأنه إغراء له فيه، فإذا نهيته عن شدة الإقبال على الدنيا والإقلال من محبتها، ازداد وفطن لأشياء قد نسيها.
قال بعضهم:
وإذا زخرت النفس عن شغف بها ... فكأن زجر غويها إغراؤها

قال بعض الحكماء: الشر في طباع الناس، وحب الخلاف لهم عادة، والجور فيهم سنة.
ولذلك تراهم يؤذون من لا يؤذيهم، ويظلمون من لا يظلمهم، ويخالفون من ينصحهم، ولا يمنعهم من الظلم إلا خوف أو رجاء.
وقديما قيل:
والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم

قيل لرجل: أما تستحي تؤذي جيرانك؟ قال: فمن أوذي، أأوذي من لا أعرف. نعوذ بالله من هذه الحال هذا مطبوع على الشر والأذية.

---
(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٢/١٩٤

والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.". (١)

١١٢٣-"وصف عن الآخر، وأن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة» .قال: فرأى يوما غربا مع حمامة فعجب من ذلك فقال: اتفقا وليسا من شكل واحد، ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال: من ها هنا اتفقا. **وقال بعض الحكماء**: كل إنسان إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه. قال بعضهم:
(لكل امرئ شكل يقر بعينه ... وقرة عين الفسل أن يصحب الفسلا)

ويقول الآخر:

وليس أخوك الدائم العهد بالذي ... يذمك إن ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي إذا كنت آمنا ... وصاحبك الأدنى إذا الأمر معضلا
آخر: ... من خص بالشكر الصديق فإنني ... أحبو بخالص شكري الأعداء
نكروا علي معائبي فحذرتها ... ونفيت عن أخلاقي الأقذاء
ولربما انتفع الفتى بعدوه ... والسم أحيانا يكون شفاء
آخر: ... وكم من عدو صار بعد عداوة ... صديقا مجلا في المجالس معظما
ولا غرو فالعنقود من بعد كرمه ... يرى عنبا من بعد ما كان حصرما
آخر: ... ليس الصديق الذي يلقاك متبسما ... ولا الذي بالتهاني والسرور يرى
إن الصديق الذي يولي نصيحته ... وإن عرت شدة أغنى بما قدرا
آخر: ... عاشر من الناس من تبقى مزدته ... فأكثر الناس جمع غير مؤتلف
منهم صديق بلا قاف ومعرفة ... بغير فاء وإخوان بلا ألف
آخر: ... إذا المرء لم ينصف أخاه ولم يكن ... له غائبا يوما كما هو شاهد
فلا خير فيه فالتمس غيره أخا ... كريما على صدق الإخاء يساعد
آخر: ... وقلت أخي قالوا أخ من قرابة ... فقلت لهم إن الشكول أقارب
نسيبي في رأي وعزمي وهمتي ... وإن فرقتنا في الأصول المناسب

وإذا عرفت رجالا بالبر والتقى والاستقامة ونفرت منهم نفسك ونبأ عنهم". (٢)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٢/٢٠١
(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان ٢/٢١١

١١٢٤-"" فصل "

قال بعض الحكماء: عداوة العاقل أقل ضررا من مودة الأحمق لأن الأحمق ربما ضر وهو يقدر أن ينفع لعدم تمييزه بين النفع والضر فيتجاوز الحد، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته فمضرته لها حد يقف عليه العقل إذا انتهى إلى ذلك الحد.

ومضرة الجاهل ليست بذات حد والمحدود أقل ضررا مما هو غير محدود قال بعضهم:

شعرا: ... ولأن يعادي عاقلا خير له ... من أن يكون له صديق أحمق

فارغب بنفسك أن تصادق جاهلا ... إن الصديق على الصديق مصدق

وقال بعض الأدباء من أشار عليك بمصاحبة جاهل لم يخل من أمرين إما أن يكون صديقا جاهلا، ما يعرف ولا يميز بين من يصلح للصحبة ومن لا يصلح، وإما أن يكون هذا المشير عليك عدوا لكنه عاقل لأنه يشير بما يضرك ويحتال عليك بالأشياء التي تضرك، وقديما قيل:

ولا تصحب الحمقى فذو الجهل أن يروا ... صلاحا لأمر يا أخا الحزم مفسد

ويقول الآخر:

فعداوة من عاقل متجمل ... أولى وأسلم من صداقة أحمق

وقال بعضهم: الأصدقاء ثلاثة أحدهم كالغذاء لا بد منه، والثاني كالدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث كالداء لا يحتاج إليه قط. وقد قيل: مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة، فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال، ومنها ما له ثمر وليس له ظل.". (١)

١١٢٥-"الهالكين، وإن أحدثت له جزعا وتفريطا في ترك واجب، أو في فعل محرم كتب في ديوان الهالكين، وإن حدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان المغبونين.

وإن أحدثت له اعتراضا على الله وقدحا في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو ولجه، وان أحدثت له صبرا وثباتا لله: كتب في (ديوان الصابرين) . وان أحدثت له الرضا: كتب في (ديوان الراضين) . وان أحدثت له الحمد والشكر: كتب فدى (ديوان الشاكرين) ، وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين، وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه: كتب في (ديوان المحبين المخلصين) .

وفي مسند الإمام أحمد والترمذي - من حديث محمود بن لبيد يرفعه -:

«إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» . زاد أحمد: «ومن جزع فله الجزع» .

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٢/٢١٣

ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته فآخر أمره إلى صبر الاضطرار. وهو غيره محمود ولا مثاب.

قال بعض الحكماء: (العاقل يفعل في أول من المصيبة، ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم) وفي الصحيح مرفوعا: «الصبر عند الصدمة الأولى» . وقال الأشعث بن قيس: (إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا؛ وإلا سلوت سلو البهائم) .

ومن علاجها: أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه، فيما أحبه ورضيه له، وان خاصية المحبة موافقة المحبوب، فمن ادعى محبة محبوب، ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه، وتمقت إلى محبوبه.". (١)

١١٢٦-"ومن ذلك إشعار النفس تقوى الله في أوامره، واتقاؤه في زواجره وإلزامها ما ألزم من طاعته، وتحذيرها ما حذر من معصيته وإعلامها أنه لا يخفى عليه في الأرض ولا في السماء ولا بينهما كما قال تعالى: ﴿عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ .

وأنه يجازي المحسنين بإحسانه كما قال تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ وأنه يجزي المسيء بما عمل كما قال تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ وبذلك نزلت الكتب وبلغت الرسل.

وقد ورد أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ قال في منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين: فإذا أشعر صاحب الشهوة ما وصفت من الأمور انقادت أي النفس إلى الكف وأذعنت بالاتقاء فسلم دينه من دنس الريبة وظهرت مروءته.

وأما كف اللسان عن الوقوع في الأعراض، فالوقوع فيها ملاذ السفهاء، وانتقام أهل الغوغاء والسفلة. قلت: وإلى هذا أشار أبو الطيب في قوله: مع أنه لم يعمل بقوله فقد اغتاب وقذف الأبرياء.

وأكبر نفسي عن جزاء بغيبة ... وكل اغتياب جهد من لا له جهد

وهو مستسهل الكلف إذا لم يقهر نفسه عنه برادع كاف وزاجر ساد تلبط بمعارة وتخبط بمضاره فهلك وأهلك ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» . فجمع النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة بين سفك الدم، وهتك العرض، لما فيه من إيغار الصدور بالحقد وإبداء الشرور وإظهار البذاء.

قال بعض الحكماء: إنما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال.". (٢)

١١٢٧-".. وأحسن مقرونين في عين ناظر ... جلالة قدر في خمول تواضع ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟آخر: ... ليس الخمول بعار ... على امرئ ذي جلال ... ؟،

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٢/٣٧٥

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان ٣/٤١٢

؟؟؟؟

؟؟؟؟

... فليلة القدر تخفى ... وتلك خير الليال ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟آخر: ... إن التواضع من خصال المتقي ... وبه التقي إلى المعالي يرتقي ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟

... ومن العجائب عجب من هو جاهل ... في حاله أهو السعيد أم الشقي ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... أم كيف يختم عمره أو روحه ... يوم النوى متسفل أو مرتقي ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... والكبرياء لربنا صفة له ... مخصوصة فتجنبها واتقي ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟ **وقال بعض الحكماء**: من برئ من ثلاث نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال كرامة التواضع. وقال مصعب بن الزبير: التواضع مصائد الشرف. وقيل في منثور الحكم من دام تواضعه كثر صديقه.

أما المتكبر فهو كالمغرور فإنه كثيرا ما تفوته الحقائق العلمية لأنه تأبى عليه نفسه أن يأخذ الحق حيث وجده ولهذا قيل ضاع العلم بين الحياء والكبر ثم إن كان المتواضع تلميذا يجد لطفا وعطفا من الأستاذ فلا يبخل عليه بمجهوده ولا يشح عليه بفائدة لأن التواضع يستلزم الأدب.

وأما أحسن الأدب والتواضع واللطف مع المعلم الذي يبذل جهده في سبيل تثقيفه وتهذيبه وتربيته تربية صالحة وأنه بتواضعه وحسن سيرته مع معلمه يبرهن على أنه ممن يعرف قدر العلم والعلماء وأنه يدرك قيمة المعروف وأنه ممن يجازي على الإحسان بالإحسان.

أما المتكبر الذي يتكبر ويتعاظم في نفسه ويحمله الكبر على سوء الأدب واحتقار المعلم فهو بالحقيقة غبي جاهل جلف فدم لا يعرف للعلم قيمته ولا يريد أن يخرج من جهله وهذا شيء مشاهد معروف فإنك ترى المتكبرين على المعلمين يعمهون في حمقهم وجهلهم ولا يخرجون عن السخف فضلا عما". (١)

١١٢٨-"آخر: ... زوامل للأسفار لا علم عندهم ... بمكنونها إلا كعلم الأباعر ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... لعمرك ما يدري البعير إذا غدا ... على ظهره ما في بطون الغرائر ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟ والثامن: من أسباب الحلم الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون من ضعف النفس وربما أوجبه الرأي السديد

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ١٥٢/٤

واقتضاه الحزم.

والتاسع: من أسباب الحلم الرعاية ليد سلفت وحرمة لزمت وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد وقيل في منثور الحكم أكرم الشيم أرعاها للذمم والعاشر من أسباب الحلم الكيد والمكر وتوقع الفرص الخفية وهذا يكون من الدهاء.

... يقول لك العقل الذي زين الفتى ... إذا أنت لم تقوى عدوك داره ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... ولاقه بالترحيب والبشر والرضا ... وبارك له ما دمت تحت اقتداره ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... وقبل يد الجاني الذي لست قادرا ... على قطعها وارقب سقوط جداره ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟آخر: ... وإذا عجزت عن العدو فداره ... وامزح له إن المزاح وفاق ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... فالنار بالماء الذي هو ضدها ... تعطي النضاج وطبعها الإحراق ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟ وقد قيل في منثور الحكم من ظهر غضبه قل كيده وقال بعض الأدباء غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله **وقال بعض الحكماء** إذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عقابا وقال إياس بن قتادة:

... (تعاقب أيدينا ويحلم رأينا ... ونشتم بالأفعال لا بالتكلم) ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟آخر:

... تخالهم للحلم صما عن الخنا ... وخرسا عن الفحشاء عند التفاخر ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... ومرضى إذا الأقوا حياء وعفة ... وعند الحفاظ كالليوث الكواسر ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟آخر: ... لقد أسمع القول الذي كاد كلما ... تذكرنيه النفس قلبي يصدع ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟". (١)

١١٢٩-"ج

... فأبدي لمن أبداه مني بشاشة ... كأني مسرور بما منه أسمع ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... وما ذاك من عجب به غير أنني ... أرى أن ترك الشر للشر أقطع ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟آخر: ... وفي الحلم والإسلام للمرء وازع ... وفي ترك أهواء الفؤاد المتيم ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... بصائر يرشدن الفتى مستبينة ... وأخلاق صدق علمها بالتعلم ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟آخر: ... إذا اعتذر الصديق إليك يوما ... من التقصير عذر فتى مقر ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... فصنه عن عتابك واعف عنه ... فإن العفو شيمة كل حر ... ؟؟؟؟

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٢١٤/٤

؟؟؟؟آخر: ... تكثر من أهل الدين ما استطعت إنهم ... عماد إذا استنجدتهم وظهور ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟ ... فما بكثير ألف خل موفق ... لطاعة رب العرش تحظى بقربه ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟آخر: ... إذا تخلفت عن صديق ... ولم يعاتبك في التخلف ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟ ... فلا تعد بعدها إليه ... فإنما وده تكلف ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟آخر: ... إذا خليلي لم يكثر إساءته ... فأين موضع إحساني وغفراني ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟ ... يجني علي وأحنو صافحا أبدا ... لا شيء أحسن من حان على جان ... ›؟
؟؟؟؟
؟؟؟؟ **قال بعض الحكماء** ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن لا يعرف الجواد إلا في العسرة ولا يعرف الشجاع إلا في الحرب ولا يعرف الحليم إلا في الغضب قال الشاعر:
... (من يدعي الحلم أغضبه لتعرفه ... لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب) ... ›؟
؟؟؟؟
؟؟؟؟ ومن فقد الغضب في الأشياء المغضبة حتى استوت حالتاه قبل الإغضاب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة والأنفة والحمية والغيرة والدفاع والأخذ بالثأر لأنها خصال مركبة من الغضب فإذا عدمها هان بها ولم يكن لبقاء فضائله في النفوس قيمة ولا لوفور حلمه موقع.
وقال بعضهم إذا كان الحلم يؤدي إلى فساد بأن كان المحلوم عليه". (١)

١١٣٠-"لئيما يزداد شره مع الحلم فالجهل معه أحسن لأنه يردعه عن الشر والتمادي فيه.
شعرا: ... لئن كان حلم عون عدوه ... عليه فإن الجهل أعنى وأروح ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟ ... وفي الحلم ضعف والعقوبة قوة ... إذا كنت تخشى كيد من عنه تصفح ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟آخر: ... أبا حسن ما أقبح الجهل بالفتى ... وللحلم أحيانا من الجهل أقبح ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟آخر: ... وأنزلني طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت الذي لا أشاكله ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟ ... فحامقته حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله ... ›؟
؟؟؟؟
؟؟؟؟آخر:
... تأملت الورى جيلا فجيلا ... فكان لبيبهم عندي قليلا ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟ ... لهم صور تروق ولا حلوما ... وأجسام تهول ولا عقولا ... ؟؟؟؟
؟؟؟؟آخر: ... إذا خطب الصداقة منك كفوء ... فلا تطلب سوى صدق صداقا ... ؟؟؟؟

---
(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٤/٢١٥

؟؟؟؟ ... فقد صدأت قلوب الناس غشا ... وقد صقلت وجوه أكثرهم نفاقا ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟آخر: ... وما أنا بالنكس الدنيء ولا الذي ... إذا صد عنه ذو المروءة يقرب ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... ولكنه إن دام دمت وإن يكن ... له مذهب عني فلي عنه مذهب ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... لأن الود ود تطوعت ... به النفس لا ود أتى وهو متعب ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟آخر: ... وللدهر أثواب فكن في ثيابه ... كلبسته يوما أجد وأخلقا ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... فكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم ... وإن كنت في الحمقى فكن أنت أحمقا ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟ **وقال بعض الحكماء العفو** يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم وقال أبو الطيب:

... من الحلم أن تستعمل الجهل دونه ... إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟فالحكيم يضع كل شيء في المحل اللائق به فلا يعامل الكريم معاملة". (١)

١١٣١-"وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ؟ قال: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أرى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه» .

وعن ابن مسعود عن النبي ؟ قال: «إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» . رواه الترمذي قال أبو حمزة الخرساني: النظر رسول البلايا وسهام المنايا.

وقال بعض الحكماء من غلب هواه عقله افتضح ومن غض طرفه استراح.

وقال بعضهم: لا شيء أشد من ترك الشهوة لأن تحريك الساكن أيسر من تسكين المتحرك.

وقال ابن الحاج: قال صاحب الأنوار: احذروا الاغترار بالنساء وإن كن نساكا عبادا فإنهن يركن إلية كل بلية ولا يستوحشن من كل فتنة.

شعرا: ... إن النساء كأشجار نبتن معا ... منهن مر وبعض المر مأكول ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واجب لا بد مفعول ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟ وقال بعض العارفين: ما أيس الشيطان من إنسان قط إلا أتاه من قبل النساء لأن حبس النفس ممكن لأهل الكمال إلا عن النساء لأنهن من ذوات الرجال وشقائقهم ولسن غيرا حتى يمكن التباعد عنه والتحرر عنه.

شعرا: ... لا تأمنن على النساء ولو أخا ... ما في الرجال على النساء أمين ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... يا راعي الذود لا ترحل لمكرمة ... إن القلاص إذا ما غاب راعيها ... ؟؟؟؟

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٤/٢١٦

؟؟؟؟ ... لم يثنها أحد دون الفحول فلا ... تهمل قلوصك إما كنت تحميها ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... ولا تلمها على ورد وقد ظمئت ... لو شئت أرويتها إذ كنت ساقيها ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... أحظر مشاربها واحفف جوانبها ... وارمم مذاهبها تسلم قواصيها ... ؟؟؟؟

؟؟؟؟ ... خليتها لفحول غير فاخرة ... في كل برية قفر فيافيها ... ›؟

؟؟؟؟

؟؟؟؟". (١)

١١٣٢-"وفرض اليدين والرجلين أن يكفهما ولا يبسطهما إلي محرم ولا يقبضهما عن حق وفرض الأنف أن لا يشم ما لا يجوز له شمه. قلت وقد ترك بابا وهو أهمها وأخطرها وهو الفرج وفرضه حفظه عما عدا الزوجة والمملوكة قال تعالى ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ .

واعلم أن أنجي الطريق العمل بالعلم والتحرز بالخوف والغني بالله عز وجل فاشتغل بإصلاح حالك وافتقر إلي ربك وتنزه عن الشبهات وأقلل حوائجك إلي الناس فإن كثير الحاجات مملول عند القريب والبعيد.

لا تسألن إلى صديق حاجة ... فيحول عنك كما الزمان يحول

واستغن بالشيء القليل فإنه ... ما صان عرضك لا يقال قليل

من عف خف على الصديق لقاؤه ... وأخو الحوائج وجهه مملول

وأخوك من وفرت ما في كفه ... ومتى علقت به فأنت ثقيل

قيل لأحد الفقراء: ما أفقرك؟ فقال: لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي فالفقر ملك ما عليه محاسبة وقيل له لما لا يري أثر الحزن عليك فقال لأنني لم أتخذ شيئا يحزنني فقده.

وقال بعض الحكماء: من أحب أن تقل همومه ومصائبه فليقلل قنيته للخارجات من يده لأن أسباب الهم فوت المطلوب أو فقد المحبوب ولا يسلم منهما إنسان قال الشاعر:

ومن سره أن لا يري ما يسوؤه ... فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

وذكر أنه لما غرقت البصرة أخذ الناس يستغيثون لإخراج أموالهم فخرج الحسن رضي الله عنه ومعه قصعته وعصاه فقال نجا المخفون وقيل لأحد الزهاد أترضي من الدنيا بهذه الحال فقال إلا أدلك على من رضي بدون هذا قال نعم قال من رضي بالدنيا بدلا من الآخرة.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٤/ ٢٥٦

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله أترضي بالدون فقال: إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا بدلا من الآخرة. وقال زاهد لملك أنت عبد عبدي لأنك". (١)

١١٣٣-"وقيل: إن في التوراة أن الله قال لموسي عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام [عظم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب عبد إلا وأردت أن أغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة] .

وأخرج أبو يعلى الموصلي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ؟ قال: إني أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي الكلام اختصارا وقال ؟: أعطيت جوامع الكلم واختصر الحديث لي اختصارا.

وقال لقمان: إن القلب يحيا بالكلمة من الحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر.

وقال أبان بن سليم: كلمة حكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك.

وقال بعض الحكماء الحكمة صديقة العقل، وميزان العدل، وعين البيان، وروضة الأرواح، ومزيحة الهموم عن النفوس بإذن الله.

وأنس المستوحش وأمن الخائف ومتجر الرابح وحظ الدنيا والآخرة بإذن الله لمن وفقه الله.

وسلامة العاجل والآجل لمن وفقه الله.

وقال آخر: الحكمة نور الأبصار وروضة الأفكار ومطية الحلم وكفيل النجاح.

وضمين الخير والرشد والداعية إلي الصواب والسفير بين العقل والقلوب.

لا تندرس آثارها ولا تعفو ربوعها كل ذلك لمن وفقه الله تعالى.

وروي عن الشعبي أنه قال: لو أن رجلا سافر من أقصي الشام إلي أقصي اليمن ليسمع كلمة واحدة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ما رأيت أن سفره قد ضاع.

وقال بعض العلماء من تفرد بالعلم لم توحشه الخلوة ومن تسلي". (٢)

١١٣٤-"هنالك تجزى كل نفس بما كسبت قال الله جل جلاله: ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ ، وقال تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ الآية.

قال بعض الحكماء:

تبا لطالب دنيا لا بقاء لها ... كأنما هي في تعريفها حلم

صفاؤها كدر سرورها ضرر ... أمانها غرر أنوارها ظلم

شبابها هرم راحاتها سقم ... لذاتها ندم وجدانها عدم

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٤/٦٣٢

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان ٤/٦٥٠

لا يستفيق من الأنكاد صاحبها ... لو كان يملك ما قد ضمنت أرم

فخل عنها ولا تركن لزهرتها ... فإنها نعم في طيها نقم

واعمل لدار نعيم لا نفاد لها ... ولا يخاف بها موت ولا هرم

آخر: ... يا آمن الساحة لا يذعر ... بين يديك الفزع الأكبر

وإنما أنت كمحبوسة ... حم رداها وهي لا تشعر

والمرء منصوب له حتفه ... لو أنه من عمه يبصر

وهذه النفس لها حاجة ... والعمر عن تحصيلها يقصر

وكلما تزجر عن مطلب ... كانت به أكلف إذ تزجر

وإنما تقصر مغلوبة ... كالماء عن عنصره يقصر

وربما ألقت معاذيرها ... لو أنها ويحها تعذر

وناظر الموت لها ناظر ... لو أنها تنظر إذ ينظر

وزائر الموت له طلعة ... يبصرها الأكمه والمبصر

وروعة الموت لها سكرة ... ما مثلها من روعة تسكر

وبين أطباق الثرى منزل ... ينزله الأعظم والأحقر

يترك ذو الفخر به فخره ... وصاحب الكبر به يصغر". (١)

١١٣٥-"وألهاكم عنها متشاغلون كأنكم بحقيقة معرفتها جاهلون أو كأنكم إلى غيرها راحلون فإنا لله وإنا إليه راجعون فاتركوا ما أنتم عنه منقلبون وانهضوا في التزود لما أنتم إليه صائرون، فإن أمامكم صيحة تلحق الأحياء منكم بالأموات وتذهل معها النفوس عن ملابسة اللذات فما أقرب الوصول إليها لمن مطاياه الليل والنهار المبليان لكل جديد المقربان لكل بعيد **قال بعض الحكماء**: من كانت الأيام والليالي مطاياه سارت به وإن لم يسر. وكتب بعض السلف إلى أخ له فقال: اعلم يا أخي أنه يخيل إليك أنك مقيم وأنت دائب السير تساق سوقا حثيثا والموت متوجه إليك والدنيا تطوى من ورائك وما مضى من عمرك فلن يرجع إليك.

شعرا:

تمر الليالي والحوادث تنقضي

كأضغاث أحلام ونحن رقود

وأعجب من ذا أنها كل ساعة

تجد بنا سيرا ونحن قعود

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٥/٣٧٨

آخر: ... وما هذه الأيام إلا مراحل

يحث بها حاد من الموت قاصد

وأعجب شيء لو تأملت أنها

منازل تطوى والمسافر قاعد

آخر: ... أتحسب العمر مردودا تصرمه

هيهات أن يرجع الماضي من الحقب

فبادر العمر قبل الفوت مغتنما

ما دمت حيا فإن الموت في الطلب". (١)

١١٣٦-"الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ...

أما بعد: عباد الله مبادرة الإنسان بالتوبة في حال صحته قبل نزول المرض به هي أفضل أنواع التوبة، حتى يتمكن حينئذ من العمل الصالح، ولذلك قرن الله التوبة بالعمل الصالح في مواضع كثيرة من القرآن. فالتوبة في الصحة ورجاء الحياة تشبه الصدقة بالمال في الصحة ورجاء البقاء. والتوبة في المرض عند حضور أمارات الموت تشبه الصدقة بالمال عند الموت. خرج ابن ماجه من حديث جابر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خطب فقال في خطبته: «أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا» فأمر بالمبادرة قبل الموت، وكل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكون ساعة موته، بل كل نفس. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة. **وقال بعض الحكماء**: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل. وقال بعض السلف: أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين. فمن أصبح أو أمسى على غير توبة فهو على خطر؛ لأنه يخشى أن يلقى الله غير تائب فيحشر في زمرة الظالمين، قال تعالى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١] تأخير التوبة في حال الشباب قبيح، ففي حال المشيب أقبح وأقبح. قال عمر بن هانئ: تقول التوبة للشاب: أهلا ومرحبا. وتقول للشيخ: نقبلك على ما كان منك. فاختموا عباد الله أعمالكم اليومية بالتوبة والاستغفار، فإن كان العمل سيئا كان كفارة له، وإن كان حسنا كان كالطابع عليه (١) . إن أحسن الحديث ...

---

(١) من لطائف المعارف.". (٢)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان ٦/٤٥

(٢) موضوعات صالحة للخطب والوعظ ص/٢٥٥

١١٣٧-"لصاحبه: «مرحبا أهلا وسهلا» أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان، ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا، ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشتد علينا شيء مما تريد.

ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له، فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ، ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم، قال – صلى الله عليه وسلم –: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» .

ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده ويقبل إشارتهم فقد قال تعالى: (وشاورهم في الأمر) [آل عمران: ١٥٩] فهذا جامع حقوق الصحبة، ولا يتم ذلك إلا بأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك.

أما البصر: فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم، ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك، روي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –كان يعطي كل من جلس إليه نصيبا من وجهه لا يظن جليسه إلا أنه أكرم الناس عليه، وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما يحدثونه.

وأما السمع: فبأن تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به، ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض، فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم.

وأما اللسان: فقد ذكرنا حقوقه، ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم، ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون.

وأما اليدان: فأن لا يقبضهما عن معاونتهم في كل ما يتعاطى باليد.

وأما بالرجلان: فبأن لا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه، ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم، ويقعد متواضعا حيث يقعد.

خاتمة في جملة من آداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق:

قال بعض الحكماء: «إن أردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا، وتوقر من غير كبر، وتواضع في غير مذلة، وكن في جميع أمورك في أوسطها، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم» . ولا تنظر في عطفيك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات، وإذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك، وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها، وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا. وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله

إعادته. واسكت عن المضاحك ولا تحدث عن". (١)

١١٣٨-"الناس من يصرح به ويقول: " إنما قصدي عناده وكسر غرضه، وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا أبالي " وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج، وهو مذموم جدا. فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة، ومن غير قصد عناد وإيذاء - ففعله ليس بحرام، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا، فإن ضبط اللسان في الخصومة على قدر الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدر، وتهيج الغضب، وإذا هاج نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين، حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته، ويطلق اللسان في عرضه، فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات، وأقل ما فيه تشويش خاطره، حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه، فلا يبقى الأمر على حد الواجب، فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال، فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة، وذلك متعذر جدا. نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام، وقد قال الله تعالى: (وقولوا للناس حسنا) [البقرة: ٨٣] ، وقال " ابن عباس " رضي الله عنهما: " من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسيا؛ إن الله تعالى يقول: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) [النساء: ٨٦] وقال " ابن عباس " أيضا: " لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه "، وفي الحديث: " الكلمة الطيبة صدقة "، وقال " عمر " رضي الله عنه: " البر شيء هين، وجه طليق، وكلام لين ". **وقال بعض الحكماء**: " الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح "، وقال آخر: "كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك، فلا تكن به عليه بخيلا، فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين ".

الآفة السادسة: التقعر في الكلام:

وهو التشدق، وتكلف السجع، والفصاحة، والتصنع فيه، فإنه من التكلف الممقوت، إذ ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده، ومقصود الكلام التفهيم للغرض، وما وراء ذلك تصنع مذموم، ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ التذكير والخطابة من غير إفراط ولا إغراب، فلرشاقة اللفظ تأثير في ذلك.

الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان:

وهو مذموم ومنهي عنه، ومصدره الخبث واللؤم، قال - صلى الله عليه وسلم -: «إياكم والفحش، فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش» .

ونهى رسول الله عليه السلام عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال: «لا تسبوا هؤلاء؛ فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء، ألا إن البذاء لؤم» . وقال عليه السلام: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ص/١٣٩

.". (١)

١١٣٩-"وسبب التأخير هو الأنس بالدنيا وشهواتها والتسويف، فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر، وهكذا على التدرج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تخطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته ؛ وأكثر أهل النار وصياحهم من " سوف " يقولون: " واحزناه من " سوف " والمسوف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا، وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا، ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا فراغ قط، هيهات فما يفرغ منها إلا من اطرحها.

فما قضى أحد منها لبانته ... وما انتهى أرب إلا إلى أرب

نسأله تعالى أن لا يجعل لنا بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء.

بيان سكرة الموت والاعتبار بالجنائز وزيارة القبور:

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما **قال بعض الحكماء**: «كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك» .

واعلم أن الجنائز عبرة للبصير، وفيها تنبيه وتذكير لا لأهل الغفلة، فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قسوة؛ لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون، أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا يحسبون، فبطل حسبانهم، وانقرض على القرب زمانهم. فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها، فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد، ولعله في غد أو بعد غد، قال «ثابت البناني» : «كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعا باكيا، فهكذا كان خوفهم من الموت، والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه، ولا يتفكر واحد منهم إلى ما شاء الله في جنازة نفسه في حاله إذا حمل عليها. ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا، فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يغنينا.

فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة.

فمن آداب حضور الجنازة: التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع، ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح، فإن الخاتمة مخطرة لا يدرى حقيقتها.". (٢)

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ص/١٩٠

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ص/٣٢٣

١١٤٠-"فإذا بغار في جبل فأتاه فإذا فيه أسد عظيم فوضع رأسه على رأسه وقال يا إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله إليه مأواك في مستقر رحمي ولأزوجنك مائة حوراء يوم القيامة ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم ... حكاية: قال بعض الصالحين رأيت في المنام رجلا يطلب غزالة وخلفه أسد فقتله قبل لمن يلحق الغزالة وهكذا إلى تمام المائة وكلما قتل الأسد واحدا وقفت الغزالة عند رأسه فتعجب من ذلك فقال الأسد لا تعجب أنا ملك الموت والغزالة هي الدنيا وهؤلاء طلابها أقتلهم واحدا بعد واحد فإن قيل كيف أمطر الله على أيوب جرادا من ذهب قيل جعله الله عوضا من الدود فالجراد نعمة للطائع وعقوبة للعاصي لأنه مخلوق من الذنوب وذلك أن المريض تلقى ذنوبه في البحر فيخلق الله منها التمساح فإذا مات صار دودا ثم جرادا بإذن الله تعالى ... موعظة: ذكر العلائي في سورة النحل أن إبليس يعرض الدنيا على من يريدها كل يوم فيقول من يشتري شيئا يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فيقول عشاقها وأصحابها نحن فيقول إنها معيوبة فيقولون لا بأس فيقول ثمنها ليس بالدرهم ولا بالدينار ولكن بنصيبكم من الجنة فإن اشتريتها بأربعة أشياء بلعنة الله وغضبه وسخطه وعذابة وبعت الجنة بها فيقولون نعم فيبيعهم إياها على ذلك ثم يقول بئست التجارة ورأيت في سفينة الأبرار أن الله تعالى خلق الدارين ونصب لهما دلالين فدلال الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وبائعها المولى وثمنها التوحيد وبذل المال والنفس ودلال الدنيا إبليس ومشتريها الراغبون وثمنها ترك الدنيا **وقال بعض الحكماء** الدنيا ميراث المغرورين ومسكن البطالين وسوق الراغبين وميدان الفاسقين ومراح الكافرين وسجن المؤمنين ومزبلة المتين زاد مؤلفه ومزرعة للعالمين ... لطيفة: لما مر سليمان بوادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وإنما قالت ذلك خوفا على قلوبهم أن تميل إلى الدنيا فلما سلم عليها سليمان قالت وعليك السلام أيها الفاني المشتغل بملكك فأنت تظن يا سليمان أن ذلك أمرا ونهيا فأنا نملة ضعيفة لي أربعون ألف مقدم تحت يد كل مقدم أربعون صنفا من النمل كل صنف من المشرق والمغرب فقال كيف تلبسون السواد قالت لأن الدنيا دار مصيبة ولباس أهل المصائب السواد قال فما هذا الحز الذي في وسطك قالت هذه منطقة الخدمة للعبودية قال فما بالكم تبعدون عن الخلق قالت لأنهم في غفلة فالبعد عنهم أولى قال فما بالكم عراة قالت هكذا ولدنا إلى الدنيا وهكذا نخرج منها قال فكم تأكلين قالت حبة أو حبتين قال ولم قالت لأنا على سفر والمسافر كلما خف حمله خف ظهره قال اطلبي مني حاجة قالت أنت عاجز والطلب منك غير جائز قال لابد من الطلب قالت زد في رزقي وفي عمري قال اطلبي شيئا يكون في يدي قالت إن الله يقضي حوائج المحتاجين قال ما اسمك قالت منذرة أنذر أصحابي من الدنيا الساحرة وأرغبهم في الآخرة وفي رواية اسمها طاحية وفي رواية أخرى حرمن ثم قالت يا سليمان ما أفخر ما أوتيت في ملكك قال الخاتم لأنه من الجنة قالت تعلم معناه يعني الذي أعطيناك من". (١)

١١٤١-"زيد بن ثابت رضي الله عنه في منزله ليحكم بينهما فقال يا أمير المؤمنين لو أمرتني لجئتك قال عمر في بيته يؤتى الحكم

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ١٣/٢

وقال بعض الحكماء من الشريعة أن يجل أهل الشريعة ويحكى أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور خرج حاجا إلى بيت الله الحرام فلما قرب من المدينة تلقاه وجوه أهلها من قريش والأنصار وغيرهم وكان فيمن تلقاه عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في رجال من قريش ووجوه بني هاشم مشاة ولقيه محمد بن عمران راكبا وكان قاضيه على المدينة وكان رجلا بدينا فغاظ أبا جعفر المنصور تلقيه له راكبا وبلغ منه كل مبلغ وقال لوزيره الربيع يتلقاني سراة قريش والأنصار ورؤوس العرب مشاة ويتلقاني عبد الله بن الحسن راجلا في بني هاشم ويتلقاني ابن عمران راكبا والله لأعاقبنه ولأنكلن به أو يخرج مما فعل

قال فلما استقر قراره وجه إليه فلما دخل عليه ومثل". (١)

١١٤٢-"وقال صلى الله عليه وسلم (أفضل الأعمال على وجه الأرض طلب العلم والجهاد والكسب)

ذكره أبو الليث في تنبيهه

قال وقال بعض أهل العلم لا يقوم الدين والدنيا إلا بأربعة العلماء والأمراء والغزاة وأهل الكسب

انتهى كلامه

وفي بعض الأحاديث الغريبة أنه صلى الله عليه وسلم قال (الفقر لأصحابي سعادة والغنى للمؤمن في آخر الزمان سعادة) قيل يا رسول الله كيف يكون ذلك قال (لأنه يصير المال إلى بخلائهم ويسودهم أشرارهم ومن سعادة المرء أن لا يحتاج في ذلك الزمان فإن استطعتم أن تكونوا أغنياءهم فافعلوا)

وقال بعض الحكماء حفظك ما في يدك أولى لك من طلب ما في يد غيرك

وقال الغزالي رحمه الله في كتاب النكاح من كتاب الإحياء

النظر للعواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول أنه منهي عنه

وقال إمام الحفاظ ورأس الوعاظ ابن الجوزي رحمه الله في وصيته لابنه ودبر أمرك في إنفاقك من غير تبذير لئلا تحتاج إلى الناس فإن حفظ المال من الدين ولأن تخلفه لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس". (٢)

١١٤٣-"(الجاهلون فموتى قبل موتهم ... والعالمون وإن ماتوا فأحياء)

وقال الشافعي رضي الله عنه من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم وقال أيضا من نظر في الفقه نبل قدره ومن كتب الحديث قويت حجته

حكاهما عنه النواوي رحمه الله في أول شرح المهذب وغيره وأنشد بعضهم

(العلم فيه جلالة ومهابة ... والعلم أنفع من كنوز الجوهر)

---

(١) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف ص/١٩

(٢) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف ص/١٠٣

(تفنى الكنوز على الزمان وصرفه ... والعلم يبقى باقيات الأعصر)

وقال الأحنف بن قيس رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى الذل يصير وقال بعض الحكماء ما رفع الله امرأ عن محله بغير التقى والعلم إلا وحطه

وقال ابن المعتز رحمه الله علم الإنسان ولده المخلد وأنشد أبو الفتح البستي رحمه الله". [1]

١١٤٤-"وقال أبو الفتح البستي في قصيدته المشهورة

(يا أيها العالم المرضي سيرته ... أبشر فأنت بغير الماء ريان)

(ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج ... فأنت ما بينها لا شك ظمآن)

ومن شرف العلم وفضله أن الهدهد مع ضعفه وقلة خطره لما تهدده سليمان عليه السلام مع علو قدره وشدة سطوته أجابه الهدهد بصولة العلم وقوته ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين﴾

وعن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾

قال الفقه والعلم

وقال بعض الحكماء لم أجد رتبة أرفع ولا شيء أنفع ولا خيرا أجمع من العلم إذا قارنته سكينة وإني رأيته يرفع وضيع الحسب إلى أرفع الرتب حتى تكون له الأشراف أتباعا والأخيار أشياعا وأنشد بعضهم". [2]

١١٤٥-"المسألة أمامه وأغلق دكانه وأحرق قلبه الجوع وتعلق في شعره القمل ولم يقل واغربتاه وأنشد بعضهم

(بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي)

(تروم العلم ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب الآلي)

فاصبر يا بني على تحصيله لتنال العز عند حصوله فقد قال أبو الليث رحمه الله من صبر على نصب العلم في الإبتداء وجد عواقبه لذة تفوق سائر لذات الدنيا وإياك أن تهتم للرزق فإنه مكتوب مقدر وكل له قسم منه ميسر أو معسر على ما سبق به قضاء الله الأكبر

(لا الحرص زاد ولا الإهمال ينقصه ... ثم القضاء فلم ينقص ولم يزد)

وقد قال بعض الحكماء لبنيه يا بني تعلموا العلم وإن لم تنالوا به من الدنيا حظا فلأن يذم الزمان لكم أحب إلي أن يذم الزمان بكم

كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من طلب العلم تكفل الله برزقه)

---

(١) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف ص/١٦٢

(٢) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف ص/١٧١

رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه بإسناده". (١)

١١٤٦-"عماله: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلي، فأخذ الكتاب وخرج، فلقيه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال خط الملك لي بصلة، فقال: هبه لي، فقال: هو لك، فأخذه ومضى به إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك، قال: إن الكتاب ليس هو لي، فالله الله في أمري حتى تراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته، وقال مثل قوله، فعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال:

لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له، قال له الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر. قال: ما قلت ذلك قال:

فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه، قال: صدقت. ارجع إلى مكانك، فقد كفي المسيء إساءته) «١» .

٩-* (قال ابن المعتز: الحسد داء الجسد) * «٢» .

١٠-* (وقال أيضا: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له. بخيل بما لا يملكه، طالب ما لا يجده) * «٣» .

١١-* (قال عبد الله بن المعتز- رحمه الله-:

اصبر على كيد الحسو ... د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله) * «٤» .

١٢-* (قال بعض الحكماء: يكفيك من الحاسد أنه يغتم في وقت سرورك) * «٥» .

١٣-* (قال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ، وحسب الحسود ما يلقى) * «٦» .

١٤-* (قال بعض السلف: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، يعني حسد إبليس لآدم- عليه السلام- وأول ذنب عصي الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله) * «٧» .

١٥-* (قال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا، ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا) * «٨» .

١٦-* (قال بعض الحكماء: من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد) * «٩» .

١٧-* (قال بعض البلغاء: الناس حاسد ومحسود، ولكل نعمة حسود) * «١٠» .

١٨-* (قال بعض الأدباء: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود، نفس دائم، وهم لازم، وقلب هائم، فأخذه بعض الشعراء، فقال:

---

(١) الإحياء (٣/ ٢٠٠- ٢٠١) ط. الريان.

---

(١) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف ص/١٨٨

(٢) أدب الدنيا والدين (١٧٩) ط. الريان.

(٣) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق (١٧٦) ط بولاق.

(٥) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) الإحياء (٣/ ٢٠١) .

(٧) أدب الدنيا والدين (١٧٦) .

(٨) الإحياء (٣/ ٢٠١) .

(٩) أدب الدنيا والدين (ص ١٧٦) ط. بولاق.

(١٠) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.". (١)

١١٤٧-"«نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول لعبد الملك شامي عنده، فقال الحجاج: ليت إنسانا يعزيني بأبيات، فقال الشامي: أقول؟ قال: قل، فقال: (وكل خليل سوف يفارق خليلا، يموت أو يصاب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يقع في بئر أو يكون شيئا لا نعرفه) فقال الحجاج: قد سليتني عن مصيبتي بأعظم منها في أمير المؤمنين إذ وجه مثلك لي رسولا») * «١» .

٢٠-* (عن أبي بكر النقاش قال: قيل لعبد الله بن مسعود القاضي، تجيز شهادة العفيف التقي الأحمق؟ قال: لا، وسأريكم هذا، ادع يا غلام أبا الورد حاجبي وكان أحمق. فلما أتاه، قال: اخرج فانظر ما الريح؟ فخرج ثم رجع فقال: شمال يشوبها جنوب، فقال: كيف ترون؟ أتروني أجيز شهادة مثل هذا؟

قال: وقد ذكر مثل هذه الحكاية ابن قتيبة») * «٢» .

٢١-* (نظر بعض الحكماء إلى أحمق جالس على حجر فقال: حجر على حجر) * «٣» .

٢٢-* (قال بعضهم: العاقل المحروم خير من الأحمق المرزوق») * «٤» .

٢٣-* (يقال: فلان ذو حمق وافر وعقل نافر، ليس معه من العقل إلا ما يوجب حجة الله عليه) * «٥» .

٢٤-* (مر بعض الأمراء على بياع ثلج فقال:

أرني ما عندك، فكسر له قطعة وناوله إياها، فقال: أريد أبرد من هذا فكسر له من الجانب الآخر، فقال: كيف سعر هذا؟ فقال: رطل بدرهم ومن الأول رطل ونصف بدرهم، فقال: زن من الثاني») * «٦» .

٢٥-* (وممن اشتهر من الحمقى عجل بن لجيم بن بكر بن وائل، من حمقه أنه قيل له: ما سميت فرسك؟ فقام إليه ففقأ إحدى عينيه وقال: سميته الأعور. قال العنزي:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... وأي امرىء في الناس أحمق من عجل

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٤٤٢٧/١٠

أليس أبوهم عار عين جواده ... فصارت به الأمثال تضرب بالجهل

) * «٧» .

ومنهم أزهر الحمار. وقد قدم على الأمير عمرو رسول من عند السلطان، فأحضر أزهر على مائدته، فقيل لأزهر: جملنا بسكوتك اليوم، فسكت طويلا، ثم لم يصبر فقال: بنيت في القرية برجا ارتفاعه ألف خطوة، فأومأ إليه حاجبه أن اسكت، فقال له الرسول: في عرض كم؟ قال: في عرض خطوة، فقال له الرسول: ما كان ارتفاعه ألف خطوة لا يكفي عرضه خطوة قال: أردت أن أزيد فيه فمنعني هذا الواقف») * «٨» .

٢٦-* (**قال بعض الحكماء**: «من أخلاق

---

(١) المرجع السابق (١٠٧) .

(٢) المرجع السابق (١٠٦) .

(٣) المستطرف (١/ ٢٧) .

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٥) .

(٥) المرجع السابق (١/ ٢٧) .

(٦) أخبار الحمقى (٩٩) .

(٧) المرجع السابق (٤٣) .

(٨) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.". [1]

١١٤٨-"خمر الشيطان، من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموت») * «١» .

٢٨-* (قيل لمحمد بن واسع: كيف تجدك قال:

قصير الأجل، طويل الأمل، مسيء العمل) * «٢» .

٢٩-* (قال أبو العتاهية:

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... عذابا كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما أنت محتاج إليه

) * «٣» .

٣٠-* (قال الأبشيهي:

أيا من عاش في الدنيا طويلا ... وأفنى العمر في قيل وقال

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٤٤٥٧/١٠

وأتعب نفسه فيما سيفنى ... وجمع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد إليك عفوا ... أليس مصير ذلك للزوال

) * «٤» .

٣١-* (كتب رجل إلى أخ له: «إن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وللنقص في كل يوم منه نصيب، وللبلاء في جسمه دبيب، فبادر قبل أن تنادى بالرحيل. والسلام») * «٥»

٣٢-* (قال بعض الحكماء: «من كانت الأيام والليالي مطاياه، سارت به، وإن لم يسر) *

٣٣-* (وفي هذا قال بعضهم:

وما هذه الأيام إلا رواحل ... يحث بها داع إلى الموت قاصد

وأعجب شيء لو تأملت أنها ... منازل تطوى والمسافر قاعد

) * «٦»

٣٤-* (وقال آخر:

ويا ويح نفس من نهار يقودها ... إلى عسكر الموتى وليل يذودها

) * «٧»

٣٥-* (من كلام الحكماء: «إياكم وطول الأمل فإن من ألهاه أمله أخزاه عمله») * «٨» .

٣٦-* (قال أحدهم: إن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه، فهو راغب في بقائها فأحب لذلك طول العمر، وأحب المال لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالبا طول العمر، فكلما أحس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ورغبته في دوامه) * «٩» .

٣٧-* (قال أحدهم:

يسر الفتى طول السلامة والبقا ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣٣٣) .

(٢) المستطرف (١/ ١١٢) .

(٣) أدب الدنيا والدين (١٢٢) .

(٤) المستطرف (١/ ١١٣) .

(٥) احياء علوم الدين (٤/ ٤٨٣) .

(٦) جامع العلوم والحكم (٣٣٤) .

(٧) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٨) المستطرف (١/ ١١٢) .

(٩) فتح الباري (١١/ ٢٤٥) وراجعه في المقدمة.". [(١)]

١١٤٩-"درجات الظلم:

قال الراغب: لما كان الظلم ترك الحق الجاري مجرى النقطة من الدائرة صار العدول عنها إما قريبا وإما بعيدا، فمن كان عنه (عن الحق) أبعد كان الرجوع إليه أصعب، ولذلك قال تعالى: ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (النساء/ ٦٠) تنبيها إلى أن الشيطان متى أمعن بهم في البعد من الحق صعب عليهم حينئذ الاهتداء «١» .

وعلى هذا فمن كان إليه (أي إلى الحق) أقرب كان الرجوع إليه أسهل، ومن ثم فليحذر الظالم المبتدىء من التمادي في ظلمه حتى يعطي لنفسه فرصة الرجوع إلى الحق.

أنواع الظلم:

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة: الأول:

ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال: إن الشرك لظلم عظيم (لقمان/ ١٣) وإياه قصد بقوله ألا لعنة الله على الظالمين (هود/ ١٨) . والثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله وجزاء سيئة سيئة إلى قوله إنه لا يحب الظالمين (الشورى/ ٤٠) وبقوله إنما السبيل على الذين يظلمون الناس (الشورى/ ٤٢) . والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: فمنهم ظالم لنفسه (فاطر/ ٣٢) وقوله ظلمت نفسي (القصص/ ١٦) .

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه «٢» .

أنواع الظلمة:

أما أنواع الظلمة فثلاثة:

١- الظالم الأعظم، وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله تعالى وإياه عنى بقوله إن الشرك لظلم عظيم (لقمان/ ١٣) .

٢- الظالم الأوسط، وهو الذي لا يلتزم حكم السلطان «أي فيما وضعه السلطان من أنظمة لتيسير الحياة ولا يتعارض مع أحكام الشرع» .

٣- الظالم الأصغر، وهو الذي يتعطل عن المكاسب والأعمال، فيأخذ منافع الناس، ولا يعطيهم منفعة، ومن خرج عن تعاطي العدل بالطبع وبالخلق والتخلق والتصنع والرياء والرغبة والرهبة. فقد انسلخ عن الإنسانية، ومتى صار أهل كل صقع على ذلك فتهارشوا وتغالبوا وأكل قويهم ضعيفهم، ولم يبق فيهم أثر قبول لمن يمنعهم ويصدهم عن الفساد فقد جرت عادة الله سبحانه في أمثالهم هلاكهم واستئصالهم عن آخرهم «٣» .

من يستعمل معهم الظلم:

أما المستعمل معهم الظلم فخمسة:

الأول: (رب العزة وذلك حين يشرك به) إذ يقتضي العدل معرفة توحيده وأحكامه.

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١٠/٤٨٦٦

الثاني: قوى النفس، ويكون ذلك بعدم

---

(١) الذريعة (٣٥٧) .

(٢) المفردات (٣١٥، ٣١٦) .

(٣) الذريعة (٣٥٨) بتصرف.". (١)

١١٥٠-"أن يكون حنيفا. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله.

فخرج زيد فلقي عالما من النصارى. فذكر مثله فقال:

لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله.

قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا، أبدا وأني أستطيع؟ فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم- عليه السلام- خرج فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم») * «١» .

٦-* (قال عروة بن الزبير- رضي الله عنهما-:

«مكتوب في الحكم: يا داود إياك وشدة الغضب، فإن شدة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم») * «٢» .

٧-* (قال مجاهد- رحمه الله تعالى-: «قال إبليس لعنه الله: ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث: إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا، وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم، ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه») * «٣» .

٨-* (كتب عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- إلى عامله: «ألا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه، ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا») * «٤» .

٩-* (قال جعفر الصادق- رحمه الله تعالى-:

«ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (الأعراف/ ١٩٩) ووجه العلماء كلامه بقولهم: إن الأخلاق ثلاثة بحسب القوى الإنسانية: عقلية، وشهوية، وغضبية. فالعقلية: الحكمة ومنها الأمر بالمعروف، والشهوية العفة ومنها أخذ العفو، والغضبية:

الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين») * «٥» .

١٠-* (وقال أيضا: «الغضب مفتاح كل شر») * «٦» .

١١-* (قال عمران بن موسى المؤدب- رحمه الله تعالى-: «**قال بعض الحكماء**: كما أن الأجسام تعظم في العين يوم الضباب. كذلك يعظم الذنب عند الغضب») * «٧» .

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٤٨٧٣/١٠

١٢-* (قال الماوردي- رحمه الله تعالى-:

«كان بعض الملوك إذا غضب ألقي عنده مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه») * «٨» .

١٣-* (وقال: «مكتوب في التوراة: يابن آدم، اذكرني حين تغضب. أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق») * «٩» .

١٤-* (قال الغزالي- رحمه الله تعالى-: «مما

---

(١) البخاري- الفتح ٧ (٣٨٢٧) .

(٢) مساوىء الأخلاق للخرائطي (١٣١) ، دار السوادي.

(٣) الإحياء (٣/ ١٧٧) .

(٤) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) فتح الباري (٣/ ١٥٦) .

(٦) الإحياء (٣/ ١٧٧) .

(٧) مساوىء الأخلاق للخرائطي (١٣١) .

(٨) أدب الدنيا والدين (٢٥١) .

(٩) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.". (١)

١١٥١-"يدل على أن الغضب من أخلاق الناقصين: أن المريض أسرع غضبا من الصحيح، والمرأة أسرع غضبا من الرجل، والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل، وذا الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل، فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة، ولبخله إذا فاتته الحبة، حتى إنه يغضب على أهله وولده وأصحابه. بل القوي من يملك نفسه عند الغضب») * «١» .

١٥-* (وقال- رحمه الله تعالى-: «حال القلب عند الغضب في الاضطراب أشد من حال السفينة عند اضطراب الأمواج في لجة البحر، إذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وسياستها أما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته بعد أن أعماه الغضب وأصمه. ويظهر ذلك على أعضائه وكلامه وفعاله، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح الباطن أعظم من قبح الظاهر فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا، وأما في اللسان فأثره بالشتم والفحش الذي يستحي منه قائله عند سكون الغضب فضلا عن تخبط النظم واضطراب اللفظ، وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل للمغضوب عليه وإذا فلت منه بسبب عجز أو غيره فقد يرجع إلى صاحبه فربما مزق ثوب نفسه أو لطم وجهه وربما ضرب

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٥٠٩٥/١١

بيده على الأرض. وأما أثره في القلب على المغضوب عليه فالحقد والحسد واضحا والسوء والشماتة بالمساءات») * «٢»
.

١٦-* (قال ابن القيم- رحمه الله تعالى-:

«دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: «باب شبهة أورثت شكا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته وباب غضب أورث العدوان على خلقه») * «٣» .

١٧-* (قال بعض الحكماء لابنه: «يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضبا أعقلهم، فإن كان لدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للآخرة كان حلما وعلما، فقد قيل: الغضب عدو العقل والغضب غول العقل») * «٤» .

١٨-* (وقال آخر: «من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار») * «٥» .

١٩-* (قال بعض الحكماء: «الغضب على من لا تملك عجز، وعلى من تملك لؤم») * «٦» .

٢٠-* (وقال آخر: «إياك وعزة الغضب فإنها تفضي إلى ذل الاعتذار») * «٧» .

---

(١) مستفاد من الإحياء (٣/ ١٨٤) .

(٢) المرجع السابق (١٧٩) بتصرف.

(٣) الفوائد (٥٩) .

(٤) الإحياء (١٧٧) .

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) أدب الدنيا والدين (٢٥١) .

(٧) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.". [١]

١١٥٢-"تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» ، وفي غيره من الأحاديث التي في معناه. وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة، فقالت طائفة: لا يقاتل الرجل في فتن المسلمين، وإن دخلوا عليه بيته، وطلبوا قتله فلا يجوز له المدافعة عن نفسه لأن الطالب متأول، وهذا مذهب أبي بكرة الصحابي- رضي الله عنه- وغيره، وقال ابن عمر وعمران بن الحصين- رضي الله عنهم- وغيرهما:

لا يدخل فيها، لكن إن قصد دفع عن نفسه فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول في جميع فتن علماء الإسلام وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام: يجب نصر المحق في الفتن، والقيام معه بمقاتلة الباغين، كما قال تعالى: فقاتلوا التي تبغي (الحجرات/ ٩) وهذا هو الصحيح، وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق، أو على طائفتين ظالمتين

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٥٠٩٦/١١

لا تأويل لواحدة منهما، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد، واستطال أهل البغي والمبطلون) * «١» .

٢٢-* (قال النووي في شرح قوله صلى الله عليه وسلم «ما تركت بعدي فتنة أضر ... فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» ، ومعناه: تجنبوا الافتتان بها وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجات، لدوام فتنتهن، وابتلاء أكثر الناس بهن) * «٢» .

٢٣-* (قال النووي في حديث: «بادروا بالأعمال فتنا..» : معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر ووصف صلى الله عليه وسلم نوعا من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمنا ثم يصبح كافرا أو عكسه، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب) * «٣» .

٢٤-* (قال ابن حجر في حديث: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» : الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى:

زين للناس حب الشهوات من النساء (آل عمران/ ١٤) فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك، ويقع في المشاهدة حب الرجل ولده من امرأته التي هي عنده أكثر من حبه ولده من غيرها، ومن أمثلة ذلك قصة النعمان بن بشير في الهبة، وقد **قال بعض الحكماء:**

النساء شر كلهن، وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن لأنها ناقصة العقل والدين تحمل الرجل على تعاطي ما

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ٢٣٧) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ٦٥) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٤١٠) .". [1]

١١٥٣-"ولا شك أن معرفة هذه الدواعي وتلك الأمارات مما يساعد في محاولة العلاج؛ لأن الخطوة الأولى في علاج أي مرض، تنحصر في معرفة أسبابه وتحديد أعراضه للقضاء عليها والتخلص منها، وقد ذكر الماوردي من هذه الدواعي أو الأسباب:

١- اجتلاب النفع واستدفاع الضر، فيرى الكذاب أن الكذب أسلم وأغنم، فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع، واستشفافا للطمع.

٢- أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذبا، وكلامه مستظرفا، فلا يجد صدقا يعذب ولا حديثا يستظرف، فيستحلي الكذب الذي ليست غرائزه معوزة، ولا طرائفه معجزة.

٣- أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه فيسمه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه.

٤- أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها، فصار الكذب له عادة، ونفسه إليه منقادة «١» .

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٥٢١٥/١١

٥- حب الترأس، وذلك أن الكاذب يرى له فضلا على المخبر بما أعلمه، فهو يتشبه بالعالم الفاضل في ذلك «٢» .

أما أمارات الكذب فمنها:

أنك إذا لقنته الحديث تلقنه، ولم يكن بين ما لقنته (إياه) وبين ما أورده فرق عنده، أي أنه يخلط بين ما سمعه منك وما اخترعه من عنده.

أنك إذا شككته في الحديث تشكك حتى يكاد يرجع فيه.

أنك إذا رددت عليه قوله حصر وارتبك، ولم يكن عنده نصرة المحتجين ولا برهان الصادقين.

ما يظهر عليه من ريبة الكذابين، ولذلك **قال بعض الحكماء** «الوجوه مرايا، تريك أسرار البرايا» وإذا اتسم بالكذب، نسبت إليه شوارد الكذب المجهولة (أي الشائعات وما في حكمها) وأضيفت إلى أكاذيبه زيادات مفتعلة، حتى يصير هذا الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين معرة الكذب منه، ومضرة الكذب عليه «٣» .

أنواع الكذب والأسماء الدالة عليه:

قال الراغب: الكذب إما أن يكون اختراعا لقصة لا أصل لها، أو زيادة في القصة أو نقصانا يغيران المعنى، أو تحريفا بتغيير عبارة. فما كان اختراعا يقال له الافتراء والاختلاق.

وما كان من زيادة أو نقصان يقال له: مين.

وكل من أورد كذبا في غيره، فهو إما أن يقوله في حضرة المقول فيه أو في غيبته فإن كان اختراعا في حضرة المقول فيه فهو بهتان «٤» . وإن كان في غيبته فهو كذب.

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٥٦) .

(٢) جعل الراغب ذلك من محبة النفع الدنيوي وحب الترأس الداعي إلى الكذب، انظر الذريعة (٢٧٥) .

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٥٦) .

(٤) الذريعة (٢٧٥) .". [1]

١١٥٤-"كفروا وأحلوا قومهم دار البوار (إبراهيم/ ٢٨) : إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونعمة للناس، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة، ومن ردها وكفرها دخل النار) * «١» .

١٣-* (قال أهل التفسير في معنى قوله تعالى: يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (النحل/ ٨٣) :

قال مجاهد: هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بأن تقول هذا كان لآبائنا فورثونا إياه.

وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

إنكارهم إياها أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا.

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٥٣٨٤/١١

وقال آخرون: إن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي يرزقهم ثم ينكرونه بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

وقال ابن كثير: يعني أنهم يعرفون أن الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك وهو المتفضل به عليهم ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره ويسندون النصر والرزق إلى غيره) * «٢» .

١٤-* (قال بعض الحكماء: لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره، فإنه يشكرك عليه من لا تصنعه إليه) «٣» .

١٥-* (ويقال أيضا: إعطاء الفاجر يقويه على فجوره، ومسألة اللئيم إهانة للعرض، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل، والصنيعة عند الكفور إضاعة للنعمة، فإذا هممت بشيء فارتد الموضع قبل الإقدام عليه أو على الترك) * «٤» .

من مضار (نكران الجميل)

(١) دليل على ضعف الإيمان وسوء الأخلاق ولؤم الطبع.

(٢) من أسباب زوال النعمة بعد حصولها.

(٣) يسبب غضب الرب وإعراض الخلق.

(٤) يجلب الشقاء ونكد البال وسوء الحال.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٥٣٨) .

(٢) كله من فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد (٤٠٨- ٤٠٩) - إلا كلام ابن كثير فمن تفسيره (٢/ ٥٨٠) .

(٣) الآداب الشرعية (١/ ٣١٠) .

(٤) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.". [1]

١١٥٥-"٤-* (قال الحسن البصري- رحمه الله تعالى:

وقد كتب إلى عمر بن عبد العزيز: «لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه») * «١» .

٥-* (قال ابن القيم والفيروزابادي- رحمهما الله تعالى-: «التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة؛ فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة») * «٢» .

٦-* (قال ابن كثير- رحمه الله تعالى-: «إن عبادة الله هي المقصودة والاستعانة به وسيلة إليها وجميع الخلق وإن كانوا ألف ألف يحتاجون إليه ويفتقرون إليه») * «٣» .

٧-* (قال بعض الحكماء من السلف:

«يا رب، عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك») * «٤» .

٨-* (قال لنا قائل: قد علمنا معنى الأمر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد والمحافظة على الطاعة، فما معنى الأمر

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١١/٥٦٦٤

بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه، والتعري عن الرياسة وترك الدنيا.
قيل: إن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله الداعية آياته إلى رفض الدنيا، وهجر نعيمها المسلية النفوس عن زينتها وغرورها، المذكرة الآخرة وما أعد الله فيها لأهلها، ففي الاعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله على الجد فيها.
كما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة») * «٥» .
٩-* (قال الطبري عند قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة أمر الله جل ثناؤه الذين وصف أمرهم من أحبار بني إسرائيل، أن يجعلوا مفزعهم- في الوفاء بعهد الله الذي عاهدوه- إلى الاستعانة بالصبر والصلاة. كما أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له: فاصبر (يا محمد (على ما يقولون، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (طه/ ١٣٠) فأمره جل ثناؤه في نوائبه بالفزع إلى الصبر والصلاة») * «٦» .
١٠-* (عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه: أن ابن عباس نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر، فاسترجع ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول:
واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) * «٧» .
١١-* (قال أبو العالية: في واستعينوا بالصبر والصلاة، قال يقول: استعينوا بالصبر

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٨٢)
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١١٨) ، بصائر ذوي التمييز (٢/ ٣١٥) .
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٢٦) بتصرف.
(٤) جامع العلوم والحكم (١٨٢) .
(٥) الطبري (١/ ٢٩٨) . وانظر المقدمة اللغوية (٢١٥) .
(٦) المرجع السابق (١/ ٢٩٨- ٢٩٩) .
(٧) المرجع السابق (١/ ٢٩٩) .". [1]

١١٥٦-"بمكة بين الصفا والمروة، فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان ينفرون الناس. قال: ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد، فكنت على الجسر، فإذا أنا برجل حاف حاسر «١» طويل الشعر، قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله. فقال لي: مالك تنظر إلي، فقلت له:
شبهتك برجل رأيته بمكة، ووصفت له الصفة، فقال له: أنا ذلك الرجل. فقلت ما فعل الله بك؟ فقال:
ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس، فوضعني الله حيث يترفع الناس») * «٢» .
٢٠-* (قال محمد بن الحسين: «دخلت على محمد بن مقاتل، فقلت له: عظني، فقال: اعمل فإن مت لم تعد أبدا. وانظر

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٢٣٩/٢

إلى الذاهبين هل عادوا؟

تذهب أيامنا على لعب ... منا بها والذنوب تزداد

أين أحبابنا وبهجتهم؟ ... بطيب أيام عيشهم بادوا) * «٣» .

٢١-* (قال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة») * «٤» .

٢٢-* (قال الشاعر:

اعتبر يا أيها المغ ... رور بالعمر المديد

أنا شداد بن عاد ... صاحب الحصن المشيد

وأخو القوة والبأ ... ساء والملك الحشيد

دان أهل الأرض طرا ... لي من خوف الوعيد

وملكت الشرق والغر ... ب بسلطان شديد

فأتى هود وكنا ... في ضلال قبل هود

فدعانا لو قبلنا ... ه إلى الأمر الرشيد

فعصيناه ونادى ... ما لكم هل من محيد

فأتتنا صحيحة ته ... وي من الأفق البعيد

فتوافينا كزرع ... وسط بيداء «٥» حصيد) * «٦»

من فوائد (الاعتبار)

(١) كثرة التفكر والاعتبار تقوي الإيمان بالله عز وجل.

(٢) توسع مدارك المؤمن وتدله على آيات الله تعالى.

(٣) تكسب المؤمن خوفا من الله عز وجل ومهابة من عقابه.

(٤) تجعله يعرف الدنيا أنها ظل زائل وأن الآخرة هي دار القرار.

(٥) يقنع المؤمن بما رزقه الله عما في أيدي الناس.

(٦) يعيش المؤمن بسعادة واطمئنان.

---

(١) حاسر: مكشوف الرأس.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٣) .

(٣) برد الأكباد عند فقد الأولاد (٦٨) .

(٤) تفسير ابن كثير (مج ١، ج ٤، ص ٤٣٩) .

(٥) بيداء: صحراء واسعة.

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٩/ ١١٦- ١١٧) .". (١)

١١٥٧-"الدنيا عليك مئونة، وأكثرهم لك معونة») * «١» .

٩-* (قال أبو حمزة الشيباني- رحمه الله تعالى- لمن سأله عن الإخوان في الله من هم؟ قال: «هم العاملون بطاعة الله- عز وجل- المتعاونون على أمر الله- عز وجل- وإن تفرقت دورهم وأبدانهم») * «٢» .

١٠-* (قال ابن المعتز- رحمه الله تعالى-:

«من اتخذ إخوانا كانوا له أعوانا») * «٣» .

١١-* (قال بعض الحكماء: «من جاد لك بمودته، فقد جعلك عديل نفسه، فأول حقوقه اعتقاد مودته، ثم إيناسه بالانبساط إليه في غير محرم، ثم نصحه في السر والعلانية، ثم تخفيف الأثقال عنه، ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة، أو يناله من نكبة، فإن مراقبته في الظاهر نفاق، وتركه في الشدة لؤم») * «٤» .

١٢-* (قال بعض الشعراء:

هموم رجال في أمور كثيرة ... وهمي من الدنيا صديق مساعد

نكون كروح بين جسمين قسمت ... فجسماهما جسمان والروح واحد) *

«٥» .

١٣-* (وقال بعض البلغاء: «صديق مساعد، عضد وساعد») * «٦» .

من فوائد (التعاون على البر والتقوى)

(١) إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد.

(٢) شعور الفرد بالقوة ونزع شعور العجز من نفسه.

(٣) دليل حب الخير للاخرين.

(٤) مواجهة الأخطار المحدقة بالإنسان ممن حوله من الإنسان والحيوان.

(٥) ثمرة من ثمرات الإيمان فضلا عن كونه حاجة ملحة للإنسان.

(٦) أساس التقدم والإنتاج والنجاح والتفوق.

(٧) من ثمرات الأخوة الإسلامية.

(٨) الشعور بالمساواة في الإنسانية يدفع إليه ويحض عليه.

(٩) ينزع الحقد من القلوب الضعيفة ويزيل أسباب الحسد.

(١٠) طريق موصل إلى محبة الله ورضاه وجنته.

(١١) سبب من أهم أسباب الألفة والمحبة بين الناس.

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٢/٣٨٧

(١٢) يحقق سنة الله في خلقه ويوافق طبيعة الأشياء وفي هذا يقول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

---

(١) الإخوان لابن أبي الدنيا (١٢٤) . والحلية (٧/ ٣٤٦) .

(٢) الإخوان لابن أبي الدنيا (١٢٦- ١٢٧) .

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٠٠) .

(٤) أدب الدنيا والدين (٢١٦) .

(٥) المصدر السابق (٢٠٠) .

(٦) الموضع السابق نفسه.". [١]

١١٥٨-"عنهما-، قال: قال عمر بن الخطاب، وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله. فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف) * «١» .

() من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في (السماع)

١-* (قال الشعبي، فيما يصف به عبد الملك ابن مروان: والله ما علمته إلا آخذا بثلاث، تاركا لثلاث، آخذا بحسن الحديث إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المؤونة إذا خولف، تاركا لمجاوبة اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج) *» .

٢-* (قال بعض الحكماء لابنه: يا بني، تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول، فاحذر أن تسرع في القول فيما يجب

عنه الرجوع بالفعل، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل أقرب منك إلى قول ما لم تفعل) * «٣» .

٣-* (قالوا: من حسن الأدب أن لا تغالب أحدا على كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه ولا تره أنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه، ولا تظهر الظفر به وتعلم حسن الاستماع، كما تعلم حسن الكلام) * «٤» .

٤-* (قالت الحكماء: رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم والإصغاء للمتكلم) * «٥» .

٥-* (قال ابن القيم- رحمه الله تعالى-:

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١٠٢٧/٣

اعلم أن الرجل قد يكون له قلب وقاد، مليء باستخراج العبر. واستنباط الحكم. فهذا قلبه يوقعه على التذكر والاعتبار. فإذا سمع الآيات كانت له نورا على نور. وهؤلاء أكمل خلق الله. وأعظمهم إيمانا وبصيرة. حتى كأن الذي أخبرهم به الرسول مشاهد لهم، لكن لم يشعروا بتفاصيله وأنواعه. حتى قيل: إن مثل حال الصديق مع النبي صلى الله عليه وسلم، كمثل رجلين دخلا دارا. فرأى أحدهما تفاصيل ما فيها وجزئياته. والآخر:

وقعت يده على ما في الدار ولم ير تفاصيله ولا جزئياته.

---

(١) مسلم (١٦٩١) .

(٢) انظر العقد الفريد (٤/ ٥٥) .

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٦٤) الصفحة ذاتها.

(٤) انظر العقد الفريد (٢/ ٢٦٤) .

(٥) المرجع السابق نفسه، والصفحة ذاتها.". [1]

١١٥٩-"باللسان: فهو إظهار الشكر لله بالتحميد، وإظهار الرضى عن الله تعالى. وأما الجوارح: فهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، فمن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه للمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه») * «١» .

٣٣-* (قال الفيروز آبادي- رحمه الله تعالى-:

«الشكر مع المزيد أبدا، لقوله تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم (إبراهيم/ ٧) فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقبل الشكر») * «٢» .

٣٤-* (قال الحافظ في الفتح: «اختلف الناس في أيهما أفضل: الفقير الصابر أم الغني الشاكر.

والتحقيق عند أهل الحذق أن لا يجاب في ذلك بجواب كلي، بل يختلف الحال باختلاف الأشخاص والأحوال») * «٣» .

٣٥-* (قال بعض السلف رحمهم الله تعالى:

«النعم وحشية فقيدوها بالشكر») * «٤» .

٣٦-* (**قال بعض الحكماء**: «من قصرت يداه عن المكافأة فليطل لسانه بالشكر») * «٥» .

٣٧-* (قال أبو تمام:

ومن الرزية أن شكري صامت ... عما فعلت وأن برك ناطق

أأرى الصنيعة منك ثم أسرها ... إني إذا لندى الكريم لسارق») * «٦» .

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٦/٢٣١٩

٣٨-* (قال بعض أهل العلم: «من أعطي أربعا لم يمنع أربعا: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي
المشورة لم يمنع الصواب») * «٧» .

() من فوائد (الشكر)

(١) من كمال الإيمان وحسن الإسلام إذ إنه نصف والنصف الآخر الصبر.

(٢) اعتراف بالمنعم والنعمة.

(٣) سبب من أسباب حفظ النعمة بل المزيد.

(٤) لا يكون باللسان فقط بل اللسان يعبر عما في الجنان وكذلك يكون بعمل الجوارح والأركان.

(٥) كثرة النعم من المنعم لا يمكن أن يؤدي الإنسان حقها إلا بالشكر عليها.

(٦) يكسب رضا الرب ومحبته.

(٧) الإنسان الشكور قريب من الناس حبيب إليهم.

(٨) فيه دليل على سمو النفس ووفور العقل.

(٩) الشكور قرير العين، يحب الخير للآخرين ولا يحسد من كان في نعمة.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٢٧٧) .

(٢) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٣٩) .

(٣) الفتح (٩/ ٥٨٣) .

(٤) الإحياء (٤/ ١٢٧) .

(٥) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٣٩) .

(٦) المصدر السابق (٣/ ٣٤٠) .

(٧) إحياء علوم الدين (١/ ١٦٠) .". [1]

١١٦٠-"إليه: إنه قد جاش إلينا الموت «١» ، واستمددناه، فكتب إلينا، إنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإني أدلكم على من هو أعز نصرا وأحضر جندا، الله- عز وجل- فاستنصروه، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني، قال: فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم أربع فراسخ، قال: وأصبنا أموالا، فتشاوروا، فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل رأس عشرة، قال: وقال أبو عبيدة: من يراهني «٢» فقال شاب: أنا إن لم تغضب، قال: فسبقه، فرأيت عقيصتي «٣» أبي عبيدة تنقزان «٤» وهو خلفه على فرس عري) * «٥»

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٢٤١٩/٦

.

١٣-* (عن الحسن- رحمه الله- قال:

«والله، ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثم تلا وأمرهم شورى بينهم (الشورى/ ٣٨) ») * «٦» .

١٤-* (قال الشافعي- رحمه الله-: «إنما يؤمر الحاكم بالمشورة لكون المشير ينبهه على ما يغفل عنه، ويدله على ما لا يستحضره من الدليل لا ليقلد المشير فيما يقوله، فإن الله لم يجعل هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم») * «٧»

.

١٥-* (وقال الماوردي: «اعلم أن من الحزم لكل ذي لب، ألا يبرم أمرا ولا يمضي عزما إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح») * «٨» .

١٦-* (قال أحدهم: «من أعجب برأيه لم يشاور، ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيدا») * «٩» .

١٧-* (وقال أحدهم: «المشاور في رأيه، ناظر من ورائه») * «١٠» .

١٨-* (وقيل في منثور الحكم: «المشاورة راحة لك، وتعب على غيرك») * «١١» .

١٩-* (**وقال بعض الحكماء**: «الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه») * «١٢» .

٢٠-* (وقال بعض الأدباء: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار») * «١٣» .

٢١-* (وقال بعض البلغاء: «من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زل، والعقل الفرد ربما زل») * «١٤» .

---

(١) جاش إلينا الموت: أي تدفق وفاض.

(٢) يراهني: أصلها (يراهنني) والمراهنة: المخاطرة.

(٣) عقيصتي: العقصة: خصلة من الشعر معقوصة.

(٤) تنقزان: يريد تهتزان من شدة الجري، وأصل النقز: القفز والوثوب.

(٥) أحمد (١/ ٤٩) ، وقال محقق المسند (١/ ٣٤٤) : إسناده صحيح.

(٦) فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد: (٢٥٨)

(٧) فتح الباري: ١٣/، ٣٥٤

(٨) أدب الدنيا والدين: (٢٦٠) .

(٩) المرجع السابق (٢٦١) .

(١٠) المرجع السابق نفسه.

(١١) المرجع السابق، ٢٨٩

(١٢) المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

(١٣) المرجع السابق (٢٦١) .

(١٤) المرجع السابق (٢٦٣) .". [1]

١١٦١-"وقال: «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه» وقال: وكان لا يراني بعد ذلك إلا تبسم في وجهي) * «١» .

٧-* (كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه. قال الحافظ العراقي: حديث «كان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم» أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء. ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الصحيحين من حديث جرير من حديث علي: يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه، ومسلم من حديث جابر بن سمرة: كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم») * «٢» .

٨-* (أخرج الترمذي في الشمائل: كان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له) * «٣» .

٩-* (كان النبي صلى الله عليه وسلم، إذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا) * «٤» .

من الآثار الواردة في (طلاقة الوجه)

١-* (قال أبو جعفر بن صهبان- رحمه الله تعالى-: «كان يقال: أول المودة طلاقة الوجه، والثانية التودد، والثالثة قضاء حوائج الناس») * «٥» .

٢- **قال بعض الحكماء**: من جاد لك بمودته، فقد جعلك عديل نفسه. فأول حقوقه اعتقاد مودته، ثم إيناسه بالانبساط إليه في غير محرم، ثم نصحه في السر والعلانية، ثم تخفيف الأثقال عنه، ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة، أو يناله من نكبة، فإن مراقبته في الظاهر نفاق، وتركه في الشدة لؤم») * «٦» .

من فوائد (طلاقة الوجه)

(١) تثمر المحبة بين المسلمين.

(٢) تبعث الاطمئنان في اللقاء بين المسلمين.

(٣) تعين على مناصحة الإخوان.

(٤) فيها مرضاة للرب.

(٥) فيها تأس بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ابن ماجة (٣٧١٢) من حديث ابن عمر بدون القصة. وسنن البيهقي (٨/ ١٦٨) . وذكره الألباني في الصحيحة (٣/ ٢٠٤) رقم (١٢٠٥) فانظره هناك فقد ذكر له طرقا كثيرة.

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٢٤٣٨/٦

(٢) الإحياء (٢/ ٣٩٨) . وصححه الألباني في مختصر الشمائل (ح ١٩٤) ، وانظر الشمائل، باب ما جاء في ضحكه صلى الله عليه وسلم.

(٣) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) الإحياء (٢/ ٣٩٩) .

(٥) الإخوان لابن أبي الدنيا (١٩٤) .

(٦) أدب الدنيا والدين (٢١٦) .". (١)

١١٦٢-"وتوسدهم الحصى، فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس، فعقولهم بلذاذة السنة غامرة، وقلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة، تعلم السنن سرورهم، ومجالس العلم حبورهم، وأهل السنة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم) * «١» .

٢٤-* (قال أبو مسعود عبد الرحيم الحاجي:

سمعت ابن طاهر يقول: بلت الدم في طلب الحديث مرتين، مرة ببغداد ومرة بمكة، كنت أمشي حافيا في الحر فلحقني ذلك، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث، وكنت أحمل كتبي على ظهري) * «٢» .

٢٥-* (في كتاب للهند: من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب، ومن ترك الأمر الذي لعله ينال منه حاجته مخافة ما لعله يوقاه فليس ببالغ جسيما، وإن الرجل ذا المروءة ليكون خامل الذكر خافض المنزلة، فتأبى مروءته إلا أن يستعلي ويرتفع، كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا) * «٣» .

٢٦-* (كان أسباب فتح المعتصم عمورية، أن امرأة من الثغر سبيت، فنادت وا محمداه وا معتصماه! فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش، فلما فتحها قال: لبيك أيتها المنادية) * «٤» .

٢٧-* (قيل لبعض الحكماء: ما أصعب شيء على الإنسان؟. قال: أن يعرف نفسه ويكتم الأسرار، فإذا اجتمع الأمران، واقترن بشرف النفس علو الهمة، كان الفضل بهما ظاهرا، والأدب بهما وافرا، ومشاق الحمد بينهما مسهلة، وشروط المروءة بينهما متينة) * «٥» .

٢٨-* (قال بعض البلغاء: علو الهمة، بذر النعم) * «٦» .

٢٩-* (**قال بعض الحكماء**: الهمة راية الجد) *» .

٣٠-* (قال الشاعر:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ... ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

ولست بماش ما حييت لمنكر ... من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٢٧٠١/٧

ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة ... وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة ... من الدهر إلا قد أصابت فتى مثلي

) * «٨» .

٣١-* (عكف أبو صالح أيوب بن سليمان على كتاب العروض حتى حفظه، فسأله بعضهم عن

---

(١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (٢٠٠- ٢٢١) .

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف (٣٠٢) .

(٤) المرجع السابق (١/ ١٣٥) .

(٥) أدب الدنيا والدين للماوردي (٣٢٨) .

(٦) المرجع السابق (٣٢٧) .

(٧) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٨) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ١٠٨) .". [١]

١١٦٣-"فلم لا أكون ضنينا بها ... وأجعلها في صلاح وطاعة؟

) * «١» .

٢٥-* (**قال بعض الحكماء**: «العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لم يطلب علم، ولولا العلم لم يطلب عمل، ولأن أدع الحق جهلا به، أحب إلي من أن أدعه زهدا فيه») * «٢» .

٢٦-* (قال إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به») * «٣» .

٢٧-* (قال محمد بن أبي علي الأصبهاني لبعضهم:

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل ... لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل

والعلم زين وتقوى الله زينته ... والمتقون لهم في علمهم شغل

وحجة الله ياذا العلم بالغة ... لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل

تعلم العلم واعمل ما استطعت به ... لا يلهينك عنه اللهو والجدل «٤»

٢٨-* (قال أبو الفضل الرياشي:

ما من روى علما ولم يعمل به ... فيكف عن وتغ «٥» الهوى بأديب

حتى يكون بما تعلم عاملا ... من صالح فيكون غير معيب

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣٠٠٨/٧

ولقلما تجدي إصابة صائب ... أعماله أعمال غير مصيب «٦»

٢٩-* (قال محمد بن عبد الله بن أبان الهيثمي:

إذا العلم لم تعمل به كان حجة ... عليك ولم تعذر بما أنت حامل

فإن كنت قد أبصرت هذا فإنما ... يصدق قول المرء ما هو فاعل «٧»

٣٠-* (قال إبراهيم بن العباس الصولي:

اعمل لدار غدا رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن بانيها

أرض لها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها «٨»

من فوائد (العمل)

(١) يثمر خشية الله- عز وجل-.

(٢) طريق موصل إلى محبة الله ورضاه.

(٣) يورث العفة ويحفظ الكرامة.

(٤) يهيء المجتمع الصالح والفرد الصالح.

(٥) سبب سعادة العبد في الدارين.

(٦) الفوز بالجنة والنجاة من النار.

(٧) صون ماء وجه صاحبه من السؤال.

---

(١) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي (١٠٧) .

(٢) المرجع السابق (١٥) .

(٣) المرجع السابق ((٩٠) .

(٤) المرجع السابق (٣٨) .

(٥) الوتغ: الفساد.

(٦) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (٦٣) .

(٧) المرجع السابق (٥٥) .

(٨) الطرائف الأدبية للميمني (١٢٦) .". [١]

١١٦٤-"يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه. فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عني قنعت») * «١» .

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣٠٥١/٧

٥-* (قال أبو ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

) * «٢» .

٦-* (قال ابن الأعرابي يخاطب نفسه:

لا تحسبي دراهم ابني مدلج ... تأتيك حتى تدلجي «٣» وتولجي «٤»

فاقنعي بالعرفج «٥» المسحج «٦» . ... وبالثمام «٧» وعرام «٨» العوسج «٩») * «١٠» .

٧-* (قال ابن القيم: «يكمل غنى القلب بغنى آخر، هو غنى النفس. وآيته: سلامتها من الحظوظ وبراءتها من المراءاة») * «١١» .

٨-* (قال الإمام الغزالي: «كان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد») * «١٢» .

٩-* (**قال بعض الحكماء**: «وجدت أطول الناس غما الحسود، وأهنأهم عيشا القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط) * «١٣» .

١٠-* (قال قلاخ لأبي جهل والحارث ابني هشام:

فهل يخلدن ابني هشام غناهما ... وما يجمعان من مئين ومن ألف

يقولان نستغني وو الله ما الغنى ... من المال إلا ما يعف وما يكفي «١٤» .

١١-* (قال شاعر:

اصبر على كسرة وملح ... فالصبر مفتاح كل زين

ولا تعرض لمدح قوم ... يدع إلى ذلة وشين

واقنع فإن القنوع عز ... والذل في شهوة بدين

) * «١٥» .

١٢-* (وقال آخر:

رضيت من الدنيا بقوت يقيمني ... فلا أبتغي من بعده أبدا فضلا

---

(١) الإحياء (٣/ ٢٣٩) ، والقناعة لابن السني (٤٣) .

(٢) جمهرة أشعار العرب (٢٤٢) .

(٣) تدلجي: من أدلج إذا سار من أول الليل.

(٤) تولجي: من ولج يلج ولوجا: أي دخل.

(٥) العرفج: نوع من الشجر البري.

(٦) المسحج: المقشر.

(٧) الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص واحده ثمامة.

(٨) العرام: ما سقط من قشر العوسج.

(٩) العوسج: واحده عوسجة وهي الشجرة الكبيرة من العضاه.

(١٠) جمهرة أشعار العرب (٢٤٢) .

(١١) تهذيب مدارج السالكين (٤٧٤) .

(١٢) الإحياء (٣/ ٢٩٣) .

(١٣) القناعة لابن السني (٥٨) .

(١٤) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(١٥) المصدر السابق (٤٧) .". (١)

١١٦٥-"من الآثار وأقوال العلماء الواردة في (كتمان السر)

١-* (قال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:

ولا تفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

فإني رأيت غواة الرجا ... ل لا يتركون أديما صحيحا

) * «١» .

٢-* (وقال علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه-: «سرك أسيرك، فإن تكلمت به صرت أسيره») * «٢» .

٣-* (أسر معاوية- رضي الله عنه- إلى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه: يا أبتي إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثا وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تحدثني به، فإن من كتم سره كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه. قال: قلت يا أبتي وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه، قال: لا، والله يا بني، ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر، فأتيت معاوية- رضي الله عنه- فحدثته فقال:

يا وليد أعتقك أخي من رق الخطإ) * «٣» .

٤-* (قال عمرو بن العاص- رضي الله عنه- ما وضعت سري عند أحد أفشاه علي فلمته، أنا كنت أضيق به حيث استودعته إياه) * «٤» .

٥-* (أخبر المبارك بن فضالة) عن الحسن رحمه الله- قال: سمعته يقول: «إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك») * «٥» .

٦-* (عن سعيد بن المسيب- رضي الله عنه- قال: «كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣١٧٣/٨

أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرىء مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه. ومن كتم سره كانت الخيرة فى يده. وما كافأت من عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه ... » الأثر) * «٦» .

٧-* (قال بعض الحكماء لابنه: يا بني كن جوادا بالمال في موضع الحق. ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء، الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر) * «٧» .

٨-* (وقال بعض الفصحاء: ما لم تغيبه الأضالع فهو مكشوف ضائع) * «٨» .

٩-* (وقد قيل: الصبر على القبض على الجمر أيسر من الصبر على كتمان السر) * «٩» .

---

(١) كتاب الصمت وآداب اللسان، ابن أبي الدنيا (٤٥١) .

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي (٢٩٥) .

(٣) كتاب الصمت وآداب اللسان، ابن أبي الدنيا (٤٥٢) .

(٤) كتاب الصمت وآداب اللسان (٤٥١- ٤٥٢) .

(٥) المرجع السابق (٤٥٠- ٤٥١) .

(٦) شعب الإيمان، تحقيق البسيوني زغلول (٦/ ٣٢٣ برقم (٨٣٤٥) .

(٧) أدب الدنيا والدين (٢٩٥) .

(٨) المرجع السابق (٢٩٥) .

(٩) الذريعة إلى مكارم الشريعة الأصفهاني (٢٩٨) ." [1]

١١٦٦-"يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة «١» .

حكم إفشاء السر بعد موت صاحبه:

قال ابن بطال: أكثر العلماء على أنه إذا مات صاحب السر فإنه لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة، وقال ابن حجر: الذي يظهر أن الإفشاء بعد الموت ينقسم إلى:

١- ما يحرم إذا كان فيه غضاضة على صاحبه.

٢- ما يكره مطلقا.

٣- ما يباح

٤- ما يستحب ذكره- وإن كرهه صاحب السر كأن يكون فيه تزكية أو منقبة أو نحو ذلك «٢» .

هل يجوز إفشاء السر للمصلحة؟:

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣٢١١/٨

قال العز بن عبد السلام: الستر على الناس شيمة الأولياء، ويؤخذ من كلامه أنه قد يجوز الإفشاء إذا كان في ذلك مصلحة، أو دفع ضرر، واستدل على ذلك بما ذكره القرآن الكريم من إفشاء يوسف عليه السلام بسر التي راودته عن نفسه، وسر النسوة اللاتي قطعن أيديهن، قال العز: وإنما قال يوسف عليه السلام هي راودتني عن نفسي ليدفع عن نفسه ما تعرض له- أو ما يمكن أن يتعرض له- من قتل أو عقوبة، وكذلك قوله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ليدفع التهمة عن نفسه، فإن الملك لو اتهمه لم يوله، ولم يحمل على إحسان الولاية «٣» .

الدافع إلى إفشاء السر ودلالته:

قال الراغب: إذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدر، ولا يوصف به إلا ضعفة الرجال والصبيان والنساء. وقال الماوردي: في الاسترسال بإبداء السر دلائل على ثلاث أحوال مذمومة: إحداها: ضيق الصدر وقلة الصبر حتى إنه لم يتسع لسر ولم يقدر على صبر، وقال الشاعر في ذلك:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

الثانية: الغفلة عن تحذر العقلاء، والسهو عن يقظة الأذكياء، **وقال بعض الحكماء**: انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون.

الثالثة: ما ارتكبه من الغرر، واستعمله من الخطر، وقد **قال بعض الحكماء**: سرك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته «٤» .

[للاستزادة: انظر صفات: الفضح- انتهاك الحرمات- الخيانة- نقض العهد- الخيانة- البذاءة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: كتمان السر- الأمانة- الصمت وحفظ اللسان- الوفاء- الوقار- إقامة الشهادة- الستر] .

---

(١) فتح الباري (١١/ ٨٥) .

(٢) السابق، الصفحة نفسها، ولم يذكر ابن حجر متى يباح ومتى يكره، ويبدو أن ذلك يتوقف على مدى النفع أو الضرر الذي يترتب على الإفشاء.

(٣) شجرة المعارف والأحوال للمعز بن عبد السلام (٣٨٩- ٣٩٠) (بتصرف) .

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٩٥- ٢٩٦) .". [١]

١١٦٧-"٢٧-* (وقال آخر:

إن كنت تطمع في كلامه ... فارفع يديك عن طعامه

سيان كسر رغيفه ... أو كسر عظم من عظامه) * «١» .

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٩/٣٩٤٧

٢٨-* (وقال آخر:

أقاموا الديدبان «٢» على يفاع «٣» ... وقالوا لا تنم للديدبان

إذا أبصرت شخصا من بعيد ... فصفق بالبنان على البنان

تراهم خشية الأضياف خرسا ... يصلون الصلاة بلا أذان) * «٤» .

٢٩-* (**قال بعض الحكماء**: «لا تحمل على نفسك هم ما لم يأتك، ولا تعدن عدة ليس في يديك وفاؤها، ولا تبخلن بالمال على نفسك، فكم جامع لبعل حليلته») * «٥» .

٣٠-* (**قال بعض الحكماء**: «من برأ من ثلاث نال ثلاثا: من بريء من السرف نال العز، ومن بريء من البخل نال الشرف، ومن بريء من الكبر نال الكرامة») * «٦» .

٣١-* (**قال بعض الحكماء**: البخيل ليس له خليل) * «٧» .

٣٢-* (وقال آخر: البخيل حارس نعمته، وخازن ورثته) * «٨» .

٣٣-* (وقال بعض الشعراء:

إذا كنت جماعا لمالك ممسكا ... فأنت عليه خازن وأمين

تؤديه مذموما إلى غير حامد ... فيأكله عفوا وأنت دفين) * «٩» .

٣٤-* (وقال آخر: «عجبا للبخيل المتعجل للفقر الذي منه هرب، والمؤخر للسعة التي إياها طلب، ولعله يموت بين هربه وطلبه، فيكون عيشه في الدنيا عيش الفقراء، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء، مع أنك لم تر بخيلا إلا غيره أسعد بماله منه، لأنه في الدنيا مهتم بجمعه، وفي الآخرة آثم بمنعه، وغيره آمن في الدنيا من همه، وناج في الآخرة من إثمه») * «١٠» .

٣٥-* (قال الشاعر:

وقال رسول الله والحق قوله ... لمن قال منا: من تسمون سيدا؟

فقالوا هو الجد بن قيس على التي ... نبخله فيها وإن كان أسودا

---

(١) مقدمة إكرام الضيف لأبي اسحاق إبراهيم الحربي (٥) .

(٢) الديدبان: الرقيب.

(٣) اليفاع: المكان المرتفع.

(٤) مقدمة إكرام الضيف لأبي اسحاق الحربي (٧) .

(٥) مساوئ الأخلاق للخرائطي (١٤٣) .

(٦) أدب الدنيا والدين (٢٩٠) .

(٧) الآداب الشرعية (٣/ ٣١٨) .

(٨) المرجع السابق نفسه.

(٩) المرجع السابق نفسه

(١٠) المرجع السابق نفسه". [١]

١١٦٨-"بكل ما أنعم الله به عليه على معصيته؛ فإنه يرزقهم ويعافيهم، وهم يعبدون غيره، وجحود النعمة كفرانها) * «١» .

١١-* (**قال بعض الحكماء**: لا يزهدنك في المعروف كفر من كفر؛ فإنه يشكرك عليه من لا تصنعه إليه.

ويقال أيضا: إعطاء الفاجر يقويه على فجوره، ومسألة اللئيم إهانة للعرض، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل، والصنيعة عند الكفور إضاعة للنعمة، فإذا هممت بشيء من هذا فارتد الموضع قبل الإقدام عليه أو على الفعل) * «٢» .

من مضار (الجحود)

(١) يسبب غضب الرب- عز وجل-.

(٢) يعرض عنه الخلق ولا يمدون إليه يد المساعدة.

(٣) الجحود من أسباب منع النعم ومنع نزولها وزوالها بعد حصولها.

(٤) فيه تشبه باليهود والكفار والملحدين.

(٥) يقطع أواصر المجتمع المسلم.

(٦) لا يصرف الله عن شكر نعمه إلا غافلا أو جاهلا.

---

(١) أضواء البيان (٣/ ٢٨٨) .

(٢) الآداب الشرعية (١/ ٣١٠) .". [٢]

١١٦٩-"كتاب الآداب

لابن شمس الخلافة

جعفر بن محمد بن مختار الأفضلي

باب الحكمة من النثر

قال الله تعالى: "يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا". وقال رسوله صلى الله عليه وسلم: "نعم الهدية الكلمة من كلام الحكمة" وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: "الحكمة ضالة المؤمن، فاطلب ضالتك ولو في أهل

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٤٠٤٥/٩

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٤٣٣٧/٩

الشرك".

وقال عليه السلام: "من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار".

وقال بعض الحكماء: تحتاج القلوب إلى أقواتها من الحكمة، كما تحتاج الأجسام إلى أقواتها من الطعام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الصدقة جهد المقل، وأسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء فعله، وأصبر الناس من لا يفشي سره إلى صديق له مخافة التقلب يوما، وأعجز الناس المفرط في طلب الإخوان، وأعز الأشياء أخ يوثق بعقده ويسكن إلى غيبه".

وقال عليه الصلاة والسلام: "انظروا إلى من هو دونكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم".

وقال عليه الصلاة والسلام: "لو أن الرجل كالقدح المقوم لقال الناس فيه لو ولولا".

وقال صلى الله عليه وسلم: "أقيلوا ذوي المروآت عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله تعالى".

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من لم يتأمل الأمور بعين عقله، لم يقع سيف حيلته إلا على مقاتله. وقيل له ما الكرم؟ فقال الاحتيال للمعروف، وترك التقصي عن الملهوف.

وقال علي السلام: "انتهزوا هذه الفرص فإنها تمر مر السحاب، ولا تطلبوا أثرا بعد عين".

وقال: الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك.

وقال: إذا أقبلت الدنيا على رجل، أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عن رجل، سلبته محاسن نفسه.

وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عكرمة بن أبي جهل – وهو عامله على عمان – إياك أن توعد على معصية بأكثر من عقوبتها، فإنك إن فعلت أثمت، وإن لم تفعل كذبت.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما عاقبت من عصى الله فيك، بمثل أن تطيع الله فيه.

وقال: لا حرمة للنائحة، لأنها تأمر بالجزع، وقد نهى الله عنه؛ وتنهى عن الصبر وقد أمر الله به؛ وتبكي شجو غيرها وتأخذ الأجرة على دمعها؛ وتحزن الحي؛ وتؤذي الميت.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من لم يستحي من العيب؛ ويرعوي عند الشيب؛ ويخشى الله بظهر الغيب، فلا خير فيه.

وقال علي بن الحسن رضي الله عنهما: هلك من ليس له حكيم يرشده، وذل من ليس له سفيه يعضده.

من المأثور عن الحكماء

وقال أفلاطون الحكيم: الدليل على ضعف الإنسان أنه ربما أتاه الخير من حيث لا يحتسب، والشر من حيث لا يرتقب.

وقال: لا تطلب سرعة العمل؛ واطلب تجويده؛ فإن الناس لا يسألون في كم فرغ؛ وإنما ينظرون إلى إتقانه وجود صنعته.

وقال: إذا أعجبك ما يتواصفه الناس مما ظهر من محاسنك، فانظر فيما بطن من مساويك، ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من معرفة الناس بك.

وقال: ينبغي للعاقل أن يكون رقيبا على نفسه، فيستعظم خطأه ويستصغر خطأه ويستصغره صوابه، لأن الصواب داخل في شرط إنسانيته، والخطأ مغير لما استقر في نفوس الناس منه.

وقال: حبك للشيء ستر بينك وبين مساويه، وبغضك له ستر بينك وبين محاسنه.

وقال: إذا أنجزت ما وعدت، فقد أحرزت فضيلتي الجود والصدق.

وقال: مودة الرأي ما تموت ومودة الهوى ما تبقى.

وقال: إذا أغضبك صديق لك فقد أجراك في مضمار يعرف منك فيه حسن العهد، وجميل الوفاء؛ فمهما أشرفت عليه من عيوبه وسقطاته فلا تطل لشيء من ذلك عليه.

وقال: لا تستصغرن عدوك فيقتحم عليك المكروه من زيادة مقداره على تقديرك.

وقال: من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك، فقد ذمك بما ليس فيك من القبيح، وهو ساخط عليك.

وقال: الأشرار يتبعون مساوي الناس ويتركون محاسنهم، كما يبتغي الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيحة.

وقال: لاتعتب [أن] أذم فيه ما مدحته أو أمدح فيه ما ذممته، وذلك يوم ظفر الهوى فيه بالرأي والجهل بالعقل.

وقال: لا تعادوا الدول المقبلة وتشربوا أنفسكم استثقالها فتدبر بإقبالها.". (١)

١١٧٠-"وقال: طالب الدنيا لا يخلو من الحزن في حالين. حزن على ما فاته كيف لم ينله، وحزن على ما ناله يخاف أن يسلبه.

وعيره رجل بجنسه. فقال له سقراط: إن كان جنسي عارا علي فإنك عار على جنسك.

وقيل له: ذكرت لفلان فلم يعرفك. فقال: لا يجهلني إلا ساقط.

وقيل له: إن الكلام الذي قلته لمدينة كذا لم يقبلوه. لا يلزمني أن يقبل وإنما يلزمني أن يكون صوابا.

وقال بزرجمهر الشدائد قبل المواهب بمنزلة الجوع قبل الطعام، يحسن به موقعه ويلذ معه تناوله.

وقال: أفره ما يكون من الدواب، لا غنى به عن السوط، وأعقل ما يكون من الرجال، لا غنى به عن المشاورة، وأعف ما يكون من النساء لا غنى بها عن الزوج.

وقيل له: ما المروءة؟ قال: ترك ما لا يعني. قيل فما الحزم؟ قال: انتهاز الفرصة. قيل فما الحلم؟ قال: العفو عند المقدرة. قيل فما الشدة؟ قال: ملك الغضب. قيل: فما الخرف؟ قال: حب مفرط أو بغض مفرط.

وقال نصر بن سيار كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر. وكل شيء إذا كثر رخص، إلا

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/١

الأدب فإنه إذا كثر غلا.

وقال الإسكندر: لا تستخفن بالرأي الجليل يأتيك به الرجل الحقير، فإن الدرة الرائعة لا تستهان لهوان غائصها.

وقيل له ــوهو عازم على حرب دارا الأكبرــ: إن دارا في ثمانين ألفا. فقال: إن القصاب لا يهوله كثرة الغنم. ولاموه على مباشرة الحرب بنفسه. ليس من العدل أن يقاتل عني ولا أقاتل عن نفسي.

وقيل له: ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك؟ فقال: إن أبي سبب الحياة الفانية، ومؤدبي سبب الحياة الباقية.

وقال: اتقوا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع.

وقيل لبعضهم: أتحب أن تخبر بعيوبك. فقال: أما من ناصح فنعم. وأما من موبخ فلا.

وقال خالد بن برمك التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة.

وقال يحيى بن خالد: إذا أحببت إنسانا بغير سبب، فارج خيره، وإذا أبغضت إنسانا بغير سبب فتوق شره.

وقال: خير الناس حالا في النعمة من استدام نعيمها بالشكر، واسترجع نافرها بالصبر.

وقال: رأيت السارق ينزع، وشارب الخمر يقلع. وصاحب الفواحش يرجع، ولم أر كاذبا قط صار صادقا.

وقال له رجل: إن أمنت الدهر أن يرفعني إلى مرتبتك، فلا تأمنه أن يحطك إلى منزلتي؛ فارتا ع يحيى من قوله وقضى حاجته.

وقال جعفر لابنه: شر المال ما لزمك الإثم في كسبه، وحرمت الأجر في إنفاقه.

وقال بعض ملوك الهند: المسيء لا يظن بالناس إلا سوءا، لأنه يراهم بعين طبعه.

وقال: ينبغي للعاقل إذا أصبح، أن ينظر وجهه في المرآة، فإن رآه حسنا لم يشنه بقبيح. وإن رآه قبيحا، لم يجمع بين قبيحين.

وقال آخر مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به، كمثل أعمى بيده سراج يستضيء به غيره وهو لا يراه.

وقيل لبعض الحكماء: ما الصدق؟ فقال: هو اسم على غير معنى، وحيوان غير موجود.

وقال آخر: أطول الناس سفرا، من كان في طلب صديق يرضاه.

وقال آخر لولا أن بين المحبوبات عوارض من المكاره، لما استعذب مذاقها ولا حسن موقعها.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قال لي أبي يا بني: لا تردن على أحد خطأ؛ فإنه يستفيد منك علما ويتخذك عدوا.

وقال آخر: مغضب القادر عليه كمجرب السم في نفسه، إن هلك فقتيل حق، وإن نجي فطليق حمق.

وقال آخر: أعداء المرء في بعض الأوقات، ربما كانوا له أنفع من أصدقائه. لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها، ويخاف شماتتهم فيضبط نعمته.

وقال آخر: خير من الحياة، ما لا تطيب الحياة إلا به، وشر من الموت ما يتمنى الموت من أجله.

وكان الحسن البصري يقول: اللهم أنزلت بلاء، فأنزل صبرا. ووهبت عافية، فهب شكرا.

وقال أعرابي لعبد الله بن جعفر: لا ابتلاك الله بمصيبة يعجز عنها صبرك، وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك.

وقال بعض الحكماء إياك والعجلة، فإنه مكسبة للمذلة، مجلبة للندامة، منفرة لأهل الثقة، مانعة من سداد الروية.

وقيل لبعضهم: لم لا يجتمع الحكمة والمال؟ قال: لعزة الكمال.

وقال آخر: ليس من شأن الحكيم بذل الحكمة لكل أحد، لأنها بمنزلة ضوء الشمس الذي هو نافع للأبصار الصحيحة، مضر بالأبصار الرمدة.". (١)

١١٧١-"وقال آخر: لا تدلن بحالة بلغتها بغير آلة، ولا تفخرن بمرتبة رقيتها بغير منقبة؛ فما بناه الإنفاق، هدمه الاستحقاق.

وقال آخر: أستحي من ذم من لو كان حاضرا لبالغت في مدحه، ومدح من لو كان غائبا لسارعت إلى ذمه.

وقال آخر: إذا نزل بك المهم، فانظر! فإن كان فيه حيلة فلا تعجز، وإن لم يكن فيه فلا تجزع.

وقال آخر: تقدم بالحيلة قبل نزول الأمر، فإنه إذا نزل ضاقت الحيل وطاشت العقول.

وقال خالد بن صفوان لابنه يا بني! كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا، أقل ما تكون في الباطن مالا.

وقال له رجل: كيف أسلم على الأخوان؟ فقال: لا تبلغ بهم النفاق، ولا تقصر بهم عن الاستحقاق.

وقال آخر: لا تغترر بمن يميل إليك حتى تعرف علة ميله، فإن كانت لشيء من صفاتك الذاتية فارج ثباته، وإن كان لشيء من أحوالك العارضة فلا تحفل به، فإنه يقيم عليك بمقام ذلك الشيء، وينصرف عنك بانصرافه.

وفي كتاب كليلة ودمنة إذا أحدث لك العدو صداقة لعلة ألجأته إليك، فمع ذهاب العلة رجوع العداوة. كالماء تسخنه، فإذا أمسكت عنه عاد إلى أصله باردا؛ والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر إلا مرا.

وقيل لبقراط: ما أعم الأشياء نفعا؟ فقال: فقد الأشرار.

وقيل لبعضهم: ما بال السريع الغضب، سريع الرجعة، والبطيء الغضب، بطيء الرجعة؟ فقال: مثلهما مثل النار في الحطب، أسرعها وقودا أسرعها خمودا.

وقال آخر: لتكن سيرتك وأنت خلو في منزلك، سيرة من هو في جماعة من الناس تستحي منهم.

وقال آخر: غاية المروءة أن يستحي الإنسان من نفسه.

وقال ابن المعتز الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جزيلة. منها ثواب مدخور، وتطهير من ذنب، وتنبيه من غفلة، وتعريف بقدر النعمة، ومرون على مقارعة الدهر.

وقيل للمهلب بن أبي صفرة: بم نلت هذا الظفر؟ فقال: بطاعة الرأي وعصيان الهوى.

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/٣

وقال: أناة في عواقبها فوت، أحب إلي من عجلة في عواقبها ظفر.

وقال لبنيه: أحسن ثيابكم ما كان على غيركم، وخير دوابكم ما كان تحت سواكم.

وقال: لأن أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه، أحب إلي من أن أرى للسانه فضلا على عقله.

وقال بعضهم: لسان العاقل من وراء قلبه، ولسان الجاهل أمام قلبه: فإذا هم بالقول قال عليه أو له.

وقال بعض الحكماء: رب جامع مال لزوج حليلته، ومقتر على نفسه، وهو توفير لعدوه.

وقال آخر: لم أر أشقى بماله من البخيل، لأنه في الدنيا مهتم بجمعه، وفي الآخرة محاسب على منعه، غير آمن في الدنيا من همه، ولا ناج في الآخرة من إثمه؛ فعيشه في الدنيا عيش الفقراء، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء.

وقال: مثل الأغنياء البخلاء مثل البغال والحمير، تحمل الذهب والفضة وتعتلف التبن والشعير.

وقال آخر: إن لك في مالك شريكين، الحدثان والوراث. فلا تكن أبخس الشركاء حظا.

وقال آخر: الدراهم مياسيم. تسم حمدا وذما، فمن أمسكها كان لها، ومن أنفقها كانت له.

وقال بزرجمهر: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق، فإنها لا تفنى. وإذا أدبرت عنك فأنفق، فإنها لا تبقى! وحذر بعض الحكماء صديقاله من رجل صحبه. فقال: احذر فلانا فإنه كثير البحث، لطيف الاستدراج، يقيس أول كلامك بآخره. ويعتبر ما قدمت بما أخرت. فلا تظهرن له المخافة فيرى أن قد تحرزت منه وتحفظت. واعلم أن من اليقظة إظهار الغفلة مع شدة الحذر. فباثه مباثة الآمن، وتحفظ منه تحفظ الخائف. فإن البحث يظهر الخفي الباطن ويبدي المستتر الكامن.

وقال حسان بن تبع الحميري لا تثقن بالملك فإنه ملول، ولا بالمرأة فإنها حرون، ولا بالدابة فإنها شرود.

وقال آخر: إذا رأيت رجلا يتناول أعراض الناس، فاجهد أن لا يعرفك. فإن أشقى الأعراض بع أعراض معارفه.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: لا خير فيمن لا يحب جمع المال لخلال، يصون به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه.

وقال داود بن علي: لأن يجمع المرء مالا فيخلفه لأعدائه، خير له من الحاجة في حياته لأصدقائه.

وكان عبد الرحمن بن عوف يقول: يا حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي.

وقال آخر: ينبغي للعاقل أن يكسب ببعض ماله المحمدة، ويصون ببعضه وجهه عن المسألة.". (١)

١١٧٢-"وقال الحصين بن المنذر: وددت أن لي مثل أحد ذهبا، ولا أنتفع به بقيراط. قيل فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني عليه.

وقيل للأحنف بن قيس: ما أحلمك؟ قال: لست بحليم ولكني أتحالم، والله إني لأسمع الكلمة فأحم لها ثلاثا، ما يمنعني من الجواب عنها إلا خوفي من أن أسمع شرا منها.

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/٤

وقال: لأفعى تحكك في الجوانب بيتي، أحب إلي من أيم قد رددت عنها كفوا.
وقال: أكرموا سفهاءكم؛ فإنهم يقونكم العار والنار.
وقال: ما خان شريف، ولا احتجب كريم، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن.
وسأله معاوية عن ابنه يزيد. فقال: أخافك إن صدقت، وأخاف الله إن كذبت.

وقال آخر النفس غير فارغة أبدا، فإن شغلتها بما يصلحها، وإلا شغلتك بما يفسدك.
وقال آخر: أحسن ما الأنفة، الترفع عن معايب الناس، وترك الخضوع لما زاد عن الكفاية.

وقال محمد بن عبد الملك الزيات احذروا الصديق الجاهل، أكثر من حذركم العدو العاقل، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء، كمن أساء وهو يظن أنه محسن.
وقال آخر: ينبغي أن يكون حفظ الرجل للمرأة من حيث لا تعلم. فإن من شأن النفس التطلع إلى ما منعته.

وقال النعمان بن المنذر من سأل فوق قدره استحق الحرمان، ومن ألحف في المسألة استحق الرد، والرفق يمن، والخرق شؤم، وخير الطاعة ما وافق الحاجة، وخير العفو ما كان مع القدرة.
وقيل لأعرابي لم قطعت أخاك وهو من أبيك وأمك؟ فقال إني لأقطع العضو الفاسد وهو أقرب إلي منه، إذا رأيت في ذلك الصلاح.
وقيل لأعرابي آخر: ما تقول في ابن العم؟ قال: عدوك وعدو عدوك.
وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: لا يوجد العجول محمودا، ولا الحسود مسرورا، ولا الملول ذا إخوان، ولا الحريص حرا، ولا الشره غنيا.
وقال: سمعت أعرابيا يقول: أقبح أعمال المقتدرين الانتقام، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر.

وقال العتبي سمعت أعرابيا يقول لآخر إن فلانا وإن خف عليك، فإن عقاربه تسري إليك، فإن لم تجعله عدوا في علانيتك، فلا تجعله صديقا في سريرتك.
وقيل لامرئ القيس: ما السرور؟ فقال: بيضاء رعبوبة، بالطيب مشبوبة، بالشحم مكروبة.
وقيل للأعشى: ما السرور؟ فقال: صهباء صافية، تمزجها غانية، من صوب غادية.
وقيل لطرفة: ما السرور؟ فقال: مطعم شهي، ومشرب روي، وملبس دفي، ومركب وطي.
وقيل لبعض الأعراب: ما السرور؟ فقال: الكفاية في الأوطان، والجلوس مع الإخوان.
وقال الحجاج لخزيم الناعم: ما السرور؟ فقال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا عيش له؟ قال: الغنى، فإني رأيت الفقير لا عيش

له. قال زدني: قال الصحة، فإني رأيت المريض لا عيش له. قال زدني. قال: لا أجد مزيدا.

وقيل للحصين بن المنذر: ما السرور؟ قال اللواء المنشور: والجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.

وقيل للحسن بن سهل: ما السرور؟ فقال: توقيع جائز، وأمر نافذ.

وقيل لعبد الله بن الأهتم: ما السرور؟ فقال: رفع الأولياء، ووضع الأعداء؛ وطول البقاء، مع الصحة والنماء.

وقيل لآخر: ما السرور؟ فقال: إقبال الزمان، وعز السلطان، وكثرة الإخوان.

وقيل لضرار بن عمرو: ما السرور؟ فقال: إقام الحجة واتضاح الشبهة.

وقال إعرابي لآخر اسحب من يتناسى معروفه عندك، ويتذكر حقوقك عليه.

وقال بعض الحكماء: لا يكون الرجل عاقلا، حتى يكون عنده تعنيف الناصح ألطف موقعا من ملق الكاشح.

وقال آخر: اطلب في الدنيا العلم والمال، تحز الرياسة على الناس، لأنهم بين خاص وعام، فالخاصة تفضلك بما تعلم، والعامة تفضلك بما تملك.

وقال هارون الرشيد لإسماعيل بن صبيح إياك والدالة فإنها تفسد الحرمة، وتنقص الذمة، ومنها أتى البرامكة.

وقال: ما في الدنيا ابن يستوي عليه ثوب أبيه إلا تمنى موته.

وقال المنتصر بالله: والله ما ذل ذو حق ولو اتفق العالم عليه؛ ولا عز ذو باطل ولو طلع القمر في جبينه.

وقال آخر حركة الإقبال بطيئة وحركة الإدبار سريعة، لأن المقبل كالصاعد مرقاة، والمدبر كالمقذوف به من موضع عال.

وقال آخر: أحق الأشياء بالصبر عليه ما ليس إلى دفعه سبيل، ولا على تغييره قدرة.". (١)

١١٧٣-"ووجد على صنم مكتوب: حرام على النفس الخسيسة أن تخرج من هذه الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها.

وقال المسيح عليه السلام: عالجت الأكمه والأبرص فأبرأتهما، وأعياني علاج الأحمق.

وقال آخر: جزعك في مصيبة أخيك، أجمل من صبرك. وصبرك في مصيبتك، أجمل من جزعك.

وقال آخر: موقع الشكر من النعم، موقع القرى من الضيف، إن وجده لم يرم، وإن فقده لم يقم.

وقال آخر: الإنسان الخير خير من الحيوان، والإنسان الشرير شر من جميع الحيوان.

وقال آخر: لسان العيان أنطق من لسان البيان، وشاهد الأحوال أعدل من شاهد الأقوال.

قال آخر: إذا دهمنا أمر، تصورناه في أسوأ حالاته؛ فما نقص منها كان سرورا معجلا.

وقال آخر: الولد ريحانتك سبعا، وخادمك سبعا، ثم هو شريكك أو عدوك.

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/٥

وكان يقال: لكل جديد لذة؛ فلذة الثوب يوم، ولذة المركب جمعة، ولذة المرأة شهر، ولذة الدار أبد الأبد، كلما دخلتها سررت بها.

ودعت أعرابية لرجل فقالت: كبت الله على عدو لك إلا نفسك.

وقال آخر: ما أعطى الإقبال أحدا شيئا إلا سلبه من حسن الاستعباد أكثر منه.

وقال آخر: رب حياة سببها التعرض للوفاة، ووفاة سببها طلب الحياة.

فصل

في الملوك وذكر أحوالهم

قال أفلاطون: الملك كالنهر الأعظم، تستمد منه الأنهار الصغار. فإن كان عذبا عذبت، وإن كان ملحا ملحت.

وقال أبو حازم الأعرج: السلطان سوق فما نفق فيه جلب إليه.

وقال أفلاطون: ينبغي للملك أن لا يطلب المحبة من أصحابه، إلا بعد تمكن هيبته من نفوسهم، فإنه يجدها بأيسر مؤونة، فأما إن طلبها قبل أن يستشعروا هيبته لم يجتمعوا عليه، ولم يضبطهم بها.

وقال: إذا بغى الرئيس ضيع الفرصة، وترفع عن الحيلة، وأنف من التحرز، وظن أنه يكتفي بنفسه؛ فعند ذلك يصل إليه من سدد نحوه، فيجد عورته بارزة، ومقاتله بادية.

وقال آخر: إذا رغبت الملوك عن العدل، رغبت الرعية عن الطاعة.

وقال آخر: يضطغن على السلطان رجلان، رجل أحسن مع محسنين فأثيبوا وحرم، ورجل أساء مع مسيئين فعوقب وعفي عنهم.

وقال بهرام جور لا شيء أضر بالملوك من استخبار من لا يصدق أن خبر، واستكفاء من لا ينصح إن دبر.

وقال آخر: ينبغي للملك أن لا يضيع التثبت عندما يقول، وعندما يفعل؛ فإن الرجوع عن الصمت، أحسن من الرجوع عن الكلام، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية، والإقدام على العمل بعد التأني فيه، خير من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه.

وقال ابن المقفع ليس للملك أن يغضب، لأن القدرة من وراء حاجته؛ وليس له أن يكذب، لأن أحدا لا يقدر على إكراهه على غير ما يريد؛ وليس له أن يغل، لأنه أقل الناس عذرا في خفيفة الفقر؛ وليس له أن يكون حقودا، لأن خطره قد عظم عن المجازاة.

وكان كسرى يقول عاملوا الأحرار بمحض المودة، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة، وعاملوا السفلة بالمخافة محضا.

وقال: إذا كثر مال الملك مما يأخذ من رعيته، كان كمن يعمر سطح بيته مما يقلعه من أساس بنائه.

وقال آخر: لا ينبغي للملك أن يكون كذابا، ولا بخيلا، ولا حسودا، ولا جبانا؛ فإنه إن كان كذابا ثم وعد خيرا لم يرج، أو

أوعد شرا لم يخش. وإن كان بخيلا لم يناصحه أحد، ولا يصلح الملك إلا بالمناصحة. وإن كان حسودا لم يشرف أحدا، ولا يصلح الناس إلا بأشرافهم. وإن كان جبانا اجترأ عليه عدوه، وضاعت ثغوره.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين في غير ضعف، القوي من غير عنف.
وقال معاوية بن أبي سفيان: لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبدا. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا جبذوها أرخيتها، وإذا أرخوها جبذتها.
وقال عمرو ابن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمار، ولا عمارة إلا بعدل.
وقال بعض الحكماء: إذا ساوى الوزير الملك في زيه وماله وطاعة الناس له، فليصرعه، وإلا فليعلم أنه المصروع.
وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: كلكم ترشح نفسه لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم، إلا من كان له سيف مسلول، ومال مبذول، وعدل تطمئن إليه القلوب.". (١)

١١٧٤-"وقال لابنه الوليد: يا بني: اعلم أنه ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه، إلا حزم أو توان.
وقال آخر: فضل الملوك في الإعطاء، وشرفهم في العفو، وعزهم في العدل.
وقيل لبعض الملوك _وقد بلغ في القدر والسلطان ما لم يبلغه أحد من ملوك زمانه_: ما الذي بلغ بك هذه المنزلة؟ قال: عفوي عند قدرتي، وليني بعد شدتي، وبذلي الإنصاف ولو من نفسي، واتقائي في الحب والبغض مكان الاستبداد.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عدل ساعة في حكومة، خير من عبادة ستين سنة".
وقال بعض الحكماء: إمام عادل خير من مطر وابل، وإمام غشوم شر من فتنة تدوم.
وقال آخر: من شارك السلطان في عز الدنيا، شاركه في ذل الآخرة.
وقال آخر: إذا قال السلطان لغلمانه هاتوا، فقد قال لهم: خذوا.
وقال آخر: مثل أصحاب السلطان، مثل قوم رقوا جبالا ثم هووا منه، فكان أقربهم من التلف أبعدهم في المرقى.
وقال أبو مسلم الخراساني: خاطر من ركب البحر، وأشد منه مخاطرة من داخل الملوك.

فصل
فيما يجب على من يصحب السلطان
قال الشعبي، قال لي عبد الله بن عباس، قال لي أبي: يا بني: إني أرى هذا الرجل _يعني عمر بن الخطاب_ يقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني أوصيك بخلال أربع: لا تفشين له سرا، ولا تجرين عليك كذبا، ولا تطوين عليه نصيحة، ولا تغتابن عنده أحدا. قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف. قال: أي والله،

---
(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/٧

ومن عشرة آلاف.

وقال بعض الحكماء: إذا زادك السلطان إكراما فزده إعظاما، وإذا جعلك ولدا فاجعله سيدا، وإذا جعلك أخا فاجعله والدا، وإذا جعلك والدا فاجعله ربا، ولا تدمن النظر إليه، ولا تكثر من الدعاء له، ولا تتغير له إذا سخط، ولا تغتر به إذا رضي، ولا تلحف في مسألته! وقال خالد بن صفوان: لا تكن صحبتك للملوك إلا بعد رياضة منك لنفسك؛ فإن كنت حافظا لما ولوك، أمينا إذا ائتمنوك، حذرا إذا قربوك، ذليلا إذا صرموك، راضيا إذا أسخطوك، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم، وإلا فالبعد منهم كل البعد، والحذر منهم كل الحذر.

وقال الفضل بن الربيع: من كلم الملوك في حاجة في غير وقتها، جهل مقامه وضاع كلامه، وما أشبه ذلك إلا بأوقات الصلاة التي لا تقبل إلا فيها.

وقال خالد بن صفوان من صحب السلطان بالنصيحة والأمانة، كان أكثر عدوا ممن صحبه بالغش والخيانة، لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد؛ فعدو السلطان يبغضه لنصيحته، وصديقه ينافسه مرتبته.

وقال أفلاطون إذا خدمت ملكا فلا تطعه في معصية بارئك، فإن إحسانه إليك أفضل من إحسانه، وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه. وقال إذا خدمت حازما فأرضه بإسقاط حاشيته، وإذا خدمت عاجزا فأسخطه برضاء أتباعه. وقال إذا خدمت ملكا فأظهر له الاستهانة بما فضلت به عليه، وأكثر التعجب مما فضل به عليك.

وقال عبد الله بن عمر: إذا كان الإمام عادلا، فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائرا، فعليه الوزر وعليك الصبر.

وقال آخر: إن استطعت أن ترى من خدمته غناك عنه، ليس بأن توهمه كثرة الجدة، ولكن بأن تعلمه بأن قليلك يقيم بأحوالك، كما يقيم كثيره بأحواله، فافعل! وقال آخر: اصحب السلطان بثلاث؛ بأعمال الحذر، ورفض الدالة، وإحراز الحجة!

وقال أفلاطون لا تشيرن على الملك في أحد بما تكره أن يعمله في أمرك إذا حللت محله.

وقال آخر: أخدم الجاهل من الرؤساء، بإتباع رضاه، والعاقل بإحراز الحجة عليه أو له.

فصل

في ذم الحسد

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا راحة لحسود، ولا أخا للملك، ولا محب لسيء الخلق.

وقال آخر: الحاسد يسعى على من أنعم عليه، ويبغي الغوائل لمن أحسن إليه.

وقال آخر: الحسود عدو مهين، لا يدرك وطره إلا بالتمني.

وقال بعضهم: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل هابيل.

وقال الحسن البصري: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم، من حاسد. نفس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفد.

وقال معاوية: كل الناس أقدر على رضاهم، إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها.". (١)

١١٧٥-"وقال عمرو بن العاص ما بلغني عن أحد شنآن قط، إلا سللت سخيمة قلبه بجهدي، إلا حاسد النعمة فإنه لا يرضى إلا بزوالها، فجدع الله أنفه!

وقال آخر: الحاسد يظهر وده في اللقاء، وبغضه في المغيب، واسمه صديق، ومعناه عدو.

ووجد في كتاب لجعفر بن يحيى - أربعة أسطر مكتوبة بالذهب - الرزق مقسوم، الحريص محروم، البخيل مذموم، الحسود مغموم.

ولقي إبليس نوحا عليه السلام. فقال: اتق الحسد والشح، فإني حسدت آدم فأخرجت من الجنة، وشح على شجرة واحدة فخرج من الجنة.

وقيل للحسن البصري أيحسد المؤمن أخاه؟ فقال: أنسيت إخوة يوسف؟ وقال آخر: يكفيك من الحاسد أنه يغم عند سرورك.

فصل

في ذم الغيبة

قال الله تعالى: "ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه". وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: من مات تائبا من الغيبة، فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات وهو مصر عليها فهو أول من يدخل النار.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد".

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إياكم وذكر الناس، فإنه داء. وعليكم بذكر الله، فهو شفاء.

وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما - رجلا يغتاب آخر - فقال: إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس.

وقال محمد بن السماك: تجنب غيبة أخيك لخصلتين: أما الواحدة، فلعلك أن تغتابه بشيء هو فيك؛ وأما الأخرى فاشكر الله إذ عافاك مما ابتلاه به.

واغتاب بعضهم رجلا عند قتيبة بن مسلم. فقال له قتيبة: مهلا أيها الرجل: فلقد تلمظت بمضغة طالما عافها الكرام.

وقال عمرو بن عتيبة بن أبي سفيان: كنت أساير أبي، فلمحني وقد أصغيت إلى رجل يغتاب رجلا. فقال لي: ويلك - وما خاطبني بها قبلها ولا بعدها - إياك واستماع الغيبة! نزه سمعك عن الخنا، كما تنزه لسانك عن البذاء؛ فإن السامع شريك القائل.

ومر محمد بن سيرين بقوم، فقام إليه رجل منهم. فقال: يا أبا بكر: إنا قد نلنا منك فاجعلنا في حل. قال: إني لا أحل ما حرم الله تعالى.

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/٨

وقال رجل للحسن البصري بلغني أنك تغتابني. فقال لم يبلغ من مقامك عندي أن أحكمك في حسناتي.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أذكر أخاك بما تحب أن يذكرك به، ودع منه ما تحب أن يدعه منك.

وقيل لعمرو بن عبيدة: لقد اغتابك فلان حتى رحمناك. قال: إياه فارحموا.

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني: إياك وغيبة الناس، فإن مثل المغتاب لهم كمثل امرئ أوتر قوسه ليرمي جماعة كلهم يوتر قوسه، فإلى أن يصيب الرجل منهم بسهم قد أصابه أضعافه.

وعن سعد القصر قال: نظر إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورجل يشتم رجلا بين يدي. فقال لي: ويلك يا سعد: نزه سمعك عن استماع الخنا، كما تنزه لسانك عن النطق به، فإن السامع شريك القائل.

وقال الحسن البصري: لا غيبة في ثلاثة: فاسق مجاهر، وإمام جائر، وصاحب بدعة.

فصل في الإخوان والحض عليهم

قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: يا بني: لا تستقلن عدوا واحدا، ولا تستكثرن ألف صديق.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المرء كثير بأخيه".

وقال بعضهم: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان. وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

وقال شبيب بن شيبة: خير ما اكتسب: إخوان الصدق، لأنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، ومعونة على الدهر، وشركاء في الخير والشر.

وقال آخر: وطن نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك وإن ظهر لك منه ما تكره، فليس الصديق كالمرأة التي تطلقها متى شئت، ولكنه عرضك ومروءتك.

وقال لقمان لابنه: يا بني! ليكن أول شيء تكسبه بعد الإسلام، خليلا صالحا؛ فإنما مثل الخليل الصالح كمثل النخلة إن قعدت في ظلها أظلك، وإن احتطبت من حطبها نفعك، وإن أكلت من ثمرها وجدته طيبا.

وقال آخر: ينبغي لصاحبي الكريم أن يصبر عليه إذا جمعتهما قسوة الزمن، فليس ينتفع بالجوهرة النفيسة من لم ينتظر نفاقها.

وقال الأحنف بن قيس: خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها، وإن ظلمت عضدك، وإن استعنت به رفدك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصاحب رقعة في قميصك فانظر بمن ترقعه".". (١)

١١٧٦-"واجتمع حكماء العرب والعجم على أربع كلمات، وهي: لا تحمل نفسك ما لا تطيق، ولا تعمل عملا لا ينفعك، ولا تغتر بامرأة وإن عفت، ولا تثق بمال وإن كثر.

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/٩

وأربع كلمات صدرت عن أربع ملوك كأنما رميت عن قوس واحدة: قال كسرى: لم أندم على ما لم أقل. وقد ندمت على ما قلت.

وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقل، أقدر مني على رد ما قلت.

وقال ملك الصين: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، وإذا لم أتكلم بها ملكتها.

وقال ملك الهند: عجبت ممن يتكلم بالكلمة إن رفعت عنه ضرته، وإن تركت لم تنفعه.

وقال بعضهم: أبذل أربعة لأربعة: لصديقك مالك، ولعدوك عدلك، ولمعرفتك رفدك، وللعامة بشرك.

وقال آخر: أربعة أشياء تسرع إلى العقل بالفساد: الكفاية التامة، والتعظيم الدائم، وإهمال الفكر، والأنفة من التعلم.

وقال آخر: إذا حسنت حال الرجل ابتلي بأربعة: مولاه القديم ينتفي منه، وامرأته يتسرى عليها، وداره يهدمها ويبني غيرها، ودابته يستبدل بها.

وقال آخر: أربعة لا ينبغي لأحد أن يأنف منهن وإن كان شريفا: قيامه في مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه على فرسه، وإكرامه لأهل العلم.

وقال بعض الحكماء: من استطاع أن يمنع نفسه من أربع فهو خليق أن لا ينزل به المكروه: العجلة، واللجاج، والتواني، والعجب.

وقال آخر: أربعة تشتد معاشرتهم: الرجل المتواني، والغني العالم، والفرس المرح، والملك الشديد الملكة.

وقال المأمون الناس بين أربع طبقات إمارة، وتجارة، وصناعة، وزارعة. فمن لم يكن من هؤلاء كان كلا علينا.

وقال آخر: السعادة أربع: تأتي المطلوبات، وسلامة الخلقة، وجودة العقل، ومحبة الناس.

وقال آخر: أربعة من علامات الكرم: بذل الندى، وكف الأذى، وتعجيل الثواب، وتأخير العقاب.

وقال آخر: ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربعة أشياء: السن، والطول، والمال، والحسب.

وقال آخر: أربعة أشياء تسرع انحلال النفس: تجرع المغايظ. وقصور الغادات، ورد النصائح، وتضاحك ذوي البخوت بذي العقول.

فصل خمسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خمس من كن فيه كن عليه. قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: النكث، والمكر، والبغي، والخداع، والظلم. فأما النكث. فقال الله تعالى: " فمن نكث فإنما ينكث على نفسه" وأما المكر. فقال الله تعالى: "ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله". وأما البغي. فقال الله تعالى: " يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم". وأما الخداع. فقال الله تعالى: "يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم". وأما الظلم فقال الله تعالى: "وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون".

وقال عليه الصلاة والسلام: "خمسة من خمسة محال: الحرمة من الفاسق محال، والكبر من الفقير محال، والنصيحة من العدو

محال، والمحبة من الحسود محال، والوفاء من النساء محال".

وقال عليه الصلاة والسلام: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك".

وقال علي كرم الله وجهه أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكان قليلا

لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، وإذا لم يعلم أن يتعلم. واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد؛ فإذا قطع الرأس، ذهب الجسد.

وقال آخر: من كرم المرء خمس خصال: ملكه للسانه؛ وإقباله على شأنه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه؛ وحنينه إلى وطنه، وحفظه لقديم إخوانه.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: إن خير العباد من يجتمع فيه خمس خصال: إذا أحسن استبشر، وإذا أساء استغفر، وإذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا ظلم غفر.

وقال بعض الحكماء: خمسة أشياء تتولد من خمسة: حسن الصمت من العبادة، وحسن الجلسة من الرياسة، وحسن الاستماع من العلم، وحسن الخلق من الكرم، وحسن الجوار من الحلم.

وقال آخر: لا يكون الإنسان عالما حتى تجتمع فيه خمسة أشياء: غريزة محتملة للتعلم، وعناية تامة، وكفاية معينة، واستنباط لطيف، ومعلم ناصح.

وقال آخر؛ ينبغي للعاقل أن يكون من خمسة على حذر: الكريم إذا أهانه، واللئيم إذا أكرمه، والعاقل إذا أحرجه، والأحمق إذا مازحه، والفاجر إذا عاشره.". (١)

١١٧٧-"وقال آخر: لا ينبغي للعاقل أن يسكن بلدا فيه خمسة أشياء: سلطان حازم، وقاض عادل، وطبيب عالم، ونهر جار، وسوق قائم.

وقال آخر: من علامات العاقل خمس خصال: لا يتكلف ما لا يطيق، ولا يسعى لما لا يدرك، ولا ينظر فيما لا يعنيه، ولا ينفق إلا بقدر ما يكسب، ولا يطلب من الجزاء إلا بمقدار ما عنده من العناء.

وقال الأحنف: جهد البلاء خمسة: خادم بطيء، وحطب رطب يوقد منه، وبيت يكف، وخوان ينتظر، وجلواز على الباب يدق.

وقال آخر: لا يتم جمع المال إلا بخمس خصال: التعب في كسبه، والشغل عن الآخرة في إصلاحه؛ والخوف من سلبه؛ واحتمال اسم البخل دون مفارقته، ومقاطعة الإخوان بسببه.

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/١٤

فصل ستة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أذاكم".

وقال عليه الصلاة والسلام: "قلما يخلو الأحمق من ست خصال: الغضب من غير شيء، والثقة بكل أحد، والكلام في غير موضعه، والعطاء في غير حق، وقلة المعرفة بصديقه من عدوه، وإفشاء السر".

وقال عليه الصلاة والسلام: "ستة لا تفارقهم الكآبة: الحقود، والحسود، وفقير قريب العهد بالغنى، وغني يخشى الفقر. وطالب رتبة يقصر عنها قدره، وجليس أهل الأدب وليس منهم".

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا خير في صحبة من اجتمع فيه ست خصال إن حدثك كذبك، وإن حدثته كذبك، وإن ائتمنته خانك، وإن ائتمنك اتهمك، وإن أنعمت عليه كفرك، وإن أنعم عليك من بنعمته.

وقال بعض الحكماء: ستة تقبح، وهي في ستة أقبح: البخل في الأغنياء، والفحش في النساء، والصبوة في الشيوخ، والزمانة في الأطباء، والغضب في العلماء، والكذب في القضاة.

وفي كتاب كليلة ودمنة: ستة لا ثبات لها: ظل الغمام، وخلة الأشرار، والمال الحرام، وعشق النساء، والسلطان الجائر، والثناء الكاذب.

وقال بعض الحكماء عمارة الدنيا منوطة بستة أشياء

أولها: التوفر على المناكح وقوة الداعي إليها، التي لو انقطعت لانقطعت أسباب التناسل معها.

وثانيها: الحنو على الأولاد، الذي لو زال من الحيوان، لزال سبب التربية، وكان في ذلك الهلاك.

وثالثهما: انبساط الأمل الذي به يتعاظم الحرص على المعايش والمهن والعمارة والعمل.

ورابعها: عدم العلم بمبلغ الأجل الذي يصح به انبساط الأمل.

وخامسها: اختلاف أحوال البشر في الغنى والفقر، وحاجة بعضهم إلى بعض؛ فإنهم لو تساووا في حالة واحدة هلكوا في الجملة، وهذا من نظام الحكمة.

وسادسها: وجود السلطان الذي لولا هيبته وكفه العتاة بسطوته، لأهلك الناس بعضهم بعضا.

وقال آخر: لا خير في ستة إلا مع ستة: لا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المنظر إلا مع المخبر، ولا في المال إلا مع الإنفاق، ولا في الصدقة إلا مع النية، ولا في الصحبة إلا مع الإنصاف، ولا في الحياة إلا مع الصحة.

وقال آخر: ينبغي للملك أن يكون له ستة أشياء: وزير يثق به ويفضي إليه بسره، وحصن يلجأ إليه إذا فزع، وسيف إذا نازل الأقران لم يخف نبوته، وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابته نائبة حملها معه، وامرأة حسناء إذا دخل إليها أذهبت همه، وطباخ حاذق إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه.

وقال آخر: ست خصال لا يطيقها إلا من كانت نفسه شريفة: الثبات عند حدوث النعمة الجسيمة، والصبر عند نزول

المصيبة العظيمة، وجذب النفس إلى العقل عند دواعي الشهوة، وكتمان السر، والصبر على الجوع، واحتمال الجار.
وقال آخر: ستة أشياء تنقص الحزن: استماع كلام الحكماء، ومحادثة الأصدقاء، والمشي في الخضرة، والجلوس على الماء الجاري، ومر الأيام، والتأسي بذوي المصائب.
وقال آخر: السخي من كانت فيه ست خلال: وهو أن يكون مسرورا ببذل ماله، متبرعا بعطائه، لا يتبعه منا ولا أذى، ولا يطلب عليه عوضا من دنيا، يرى أنه بما يفعله مؤديا فرضا ويعتقد أن الذي يقبل عطاءه قاض له حقا.
وقال آخر: أصعب ما على الإنسان ستة أشياء: أن يعرف نفسه، ويعرف عيبه، ويكتم سره، ويهجر هواه، ويخالف شهوته، ويمسك عن القول فيما لا يعنيه.". (١)

١١٧٨-"وقال آخر لابنه: يا بني: إياك والعجلة، فإن العرب كانت تكنها "أم الندامة" لأن فيها عيوبا ستة: يقول صاحبها قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يختبر.

فصل سبعة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سبعة أشياء يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته: رجل غرس نخلا، أو حفر بئرا، أو أجرى نهرا، أو بنى مسجدا، أو كتب مصحفا، أو ورث علما، أو خلف ولدا صالحا يستغفر له".
وقال عليه الصلاة والسلام: "سبعة أشياء تدل على عقول أصحابها: المال يكشف عن مقدار عقل صاحبه، والحاجة تكشف عن مقدار عقل صاحبها، والمصيبة تدل على مقدار عقل من نزلت به، والغضب يدل على مقدار عقل الغضبان، والكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه، والرسول يدل على مقدار عقل مرسله، والهدية تدل على مقدار عقل مهديها.
وقال بعض الحكماء: اجتنب سبع خصال يسترح جسمك وقلبك، ويسلم دينك وعرضك: لا تحزن على ما فاتك، ولا تحمل على قلبك هم ما لم ينزل بك، ولا تلم الناس على ما فيك مثله، ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل، ولا تنظر بالشهوة إلى ما لا تملك، ولا تغضب على من لا يضره غضبك، ولا تمدح من يعلم من نفسه خلاف ذلك! وقال آخر: من كانت فيه سبع خصال لم يعدم سبعا: من كان جوادا لم يعدم الشرف، ومن كان ذا وفاء لم يعدم المقة، ومن كان منصفا لم يعدم العافية، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد، ومن كان متواضعا لم يعدم الكرامة.
وقال شريك بن عبد الله: سبع من عجائب الدنيا: عمياء متنقبة، وسوداء متخضبة، وخصي له امرأة، ومخنث يؤم قوما، وأشعري شيعي، وحنفي مرجئ، وعربي أشقر.

فصل

---
(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/١٥

ثمانية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "ألا أخبركم بأشبهكم بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: أشبهكم بي من اجتمعت فيه ثماني خلال: من كان أحسنكم خلقا، وأعظمكم حلما، وأبركم بقرابته، وأشدكم حبا لإخوانكم في دينه، وأصبركم على الحق، وأكظمكم للغيظ، وأكرمكم عفوا، وأكثركم من نفسه إنصافا".

وقال الصادق رضي الله عنه: ينبغي أن يكون في المؤمن ثماني خصال: وقار عند الهزاهز، وصبر عند البلاء، وشكر عند الرخاء، وقنوع بما رزقه الله عز وجل، ولا يظلم الأعداء، ولا يتحامل الأصدقاء، وأن يكن بدنه معه في تعب، والناس معه في راحة.

وقال بعض الحكماء: ينبغي أن يجتمع في قائد الجيش ثماني خصال: وثبة الأسد، واستلاب الحدأة، وختل الذئب، وروغان الثعلب، وصبر الجمل، وحملة الخنزير، وبكور الغراب، وحراسة الكركي.

وقال آخر: ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الآتي مائدة لم يدع إليها، والمتآمر على صاحب البيت في بيته، والداخل بين اثنين في حديث لم يدخلاه فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس في مجلس ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه منه، وطالب الخير من أعدائه، وراجي الفضل من عند اللئام.

وقال لؤي بن غالب لامرأته: أي بنيك أحب إليك؟ فقالت: الذي اجتمعت فيه ثماني خلال. لا يخامر عقله جهل، ولا يخالط حلمه سفه، ولا يلوي لسانه عي، ولا يفسد يقينه ظن، ولا يغير بره عقوق، ولا يقبض يده بخل، ولا يكدر صنعه من، ولا يرد إقدامه جبن. قال: ومن هو؟ قالت: ولدك كعب.

وقال آخر: ثمانية لا تمل: خبز البر، ولحم الضأن، والماء البارد، والثوب اللين؛ والفراش الوطيء، والرائحة الطيبة، والنظر إلى كل حسن، ومحادثة الإخوان.

فصل تسعة

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ارتجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه تسع كلمات، قطعت الأطماع عن اللحاق بواحدة منهن. ثلاث في المناجاة، وثلاث في العلم، وثلاث في الأدب.

فأما التي في المناجاة فقوله: كفاني عزا أن تكون لي ربا، وكفاني فخرا أن أكون لك عبدا، وأنت لي كما أحب فوفقني لما تحب.

وأما التي في العلم فقوله: المرء مخبوء تحت لسانه، تكلموا تعرفوا، ما ضاع امرؤ عرف قدره. وأما التي في الأدب، فقوله: أنعم على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

وقيل لحكيم. ما النعمة؟ قال هي في تسعة أشياء". (1)

١١٧٩-"وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: لأبي أيوب الأنصاري - وقد نزع عنه أذى -: " نزع الله عنك ما تكره يا أبا أيوب ".

قال عمر بن الخطاب: فحسب المرء من العي أن يؤذي جليسه بما لا يعنيه أن يجد على الناس فيما تأتيه، وأن يظهر له من الناس ما يخفى عليه من نفسه.

وعن عمر رضي الله عنه قال: إن مما يصفي وداد أخيك، أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس.

قال أيوب الأنصاري: من أراد أن يكثر علمه، فليجالس غير عشيرته.

روى سفيان بن عيينة، عن مالك بن معن، قال: قال عيسى صلى الله عليه وسلم: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله.

قال المدائني: أوصى يحيى بن خالد ابنه، فقال: يا بني إذا حدثك جليسك حديثا، فأقبل عليه وأصغ إليه، ولا تقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له، وكأنك لم تسمعه إلا منه، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك.

وعن عبد الملك بن عمير، قال: قال سعيد بن العاص: لجليسي علي ثلاث خصال: إذا دنا رحبت به، وإذا جلس وسعت له وإذا حدث أقبلت عليه.

وذكر ابن مقسم، قال: سمعت المبرد يقول: الاستماع بالعين، فإذا رأيت عين من تحدثه ناظرة إليك فاعلم أنه يحسن الاستماع. وقد روينا هذا القول عن سهل بن عبادة.

ومن حديث جابر عن النبي عليه السلام، أنه قال: " من كان له أخ في الله فأكرمه فإنما يكرم الله ".

وروينا عن ثعلب النحوي، أنه قام لصديق قصده، وأنشده:

لئن قمت ما في ذاك منها غضاضة ... علي وإني للكرام مذلل

على أنها مني لغيرك هجنة ... ولكنها بيني وبينك تجمل

ولغيره في هذا المعنى:

إذا ما تبدى لنا طالعا ... حللنا الحبا وابتدرنا القياما

فلا تنكرن قيامي إليه ... فإن الكريم يجل الكراما

وروينا من حديث عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " أنزلوا الناس منازلهم ". قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: إذا الرجل عند رجل جالسا، فجاءه طالب حاجة، فسكت عن عونه فقد أعان عليه.

قال عمرو بن العاص: لا أمل جليسي ما فهم عني، وإنما الملال لدناءة الرجال. قال: الشعبي في قوم ذكرهم: ما رأيت مثلهم

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ص/١٦

أشد تنابذا في مجلس، ولا أحسن فهما من محدث.

روى الأصمعي عن العلاء بن جرير عن أبيه، قال: قال الأحنف بن قيس: لو جلس إلي مائة لأحببت أن ألتمس رضى كل واحد منهم.

وقال عبد الله بن عباس: أعز الناس علي جليسي الذي يتخطى الناس إلي، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشق علي.قال كشاجم:

؟ وجليس لي أخي ثقة ... كأن حديثه خبره

يسرك حسن ظاهره ... وتحمد منه مختضره

ويستر عيب صاحبه ... ويستر أنه ستره

وقال آخر:

جليس لي له أدب ... رعاية مثله تجب

لو انتقدت خلائقه ... لبهرج عندها الذهب

وعن ابن عباس، أنه قال: إني لأكره أن يطأ الرجل بساطي ثلاثا فلا يرى عليه أثرى.

وعنه أيضا رضي الله عنه، أنه سئل: من أكرم الناس عليك؟ قال: جليسي حتى يفارقني.

قال معاوية لعرابة الأوسي: بأي شيء استحققت أن يقول فيك الشماخ:

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

فقال: عرابة: سماع هذا من غيري أولى بك وبي يا أمير المؤمنين، فقال: عزمت عليك لتخبرني. فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي على صديقي.

فقال معاوية: لقد استحققت.

قال علي بن الحسين: ما جلس إلي أحد قط، إلا عرفت له فضله حتى يقوم. قال أبو عبادة: ما جلس رجل بين يدي، إلا مثل لي أني جالس بين يديه. روى عن عبد الله بن يزيد، وقد روى ذلك لأبي حازم، أنه قال: وطن نفسك على الجليس السوء، فإنه لا يكاد يخطئك. وقد روى ذلك عن الأحنف، والله أعلم **قال بعض الحكماء**: رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما، رجل وسع له في مجلس ضيق فتربع وتفتح، ورجل أهديت إليه نصيحة فجعلها ذنبا.". (١)

١١٨٠-"وقال: بترك الفضول تكمل العقول.

وقال: فضول الكلام ما ليس في دين ولا دنيا مباحا.

وقال: الصمت صيانة اللسان، وستر العي.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٣

وقالوا: العي الناطق أعيا من العي الساكت.

وقالوا: أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، وما ظهر معناه في لفظه.

وروى عبد الله بن عمر، أنه قيل له: لو دعوت لنا بدعوات. فقال: اللهم اهدنا وعافنا وارزقنا. فقال رجل لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أعوذ بالله من الإسهاب.

وقال شفي بن ماتع: من كثر كلامه كثرت خطاياه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه.

قال يعقوب عليه السلام لبنيه: يا بني إذا دخلتم على السلطان فأقلوا الكلام.

قال ابن هبيرة: ما من شيء إلا وهو محتاج إلى فضوله يوما، إلا فضول الكلام.

قال الحسن: رحم الله عبدا أوجز في كلامه، واقتصر على فصاحته، فإن الله يكره كثرة الكلام.

وكان يقال: أفضل الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب فقال:

خير الكلام قليل ... على كثير دليل

والعي معنى قصير ... يحويه لفظ طويل

وقال أبو العتاهية:

الصمت أليق بالفتى ... من منطق في غير حينه

لا خير في حشو الكلا ... م إذا اهتديت إلى عيونه

وقال منصور الفقيه:

تعمد لحذف فضول الكلام ... إذا ما نأيت وعند التداني

ولا تكثرن فخير الكلام ال ... قليل الحروف الكثير المعاني

قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – وقد عزله: لم عزلتني: قال: بلغني أن كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين.

تكلم ربيعة الرأي يوما فأكثر الكلام، فأعجبته نفسه، وإلى جنبه أعرابي فقال له: يا أعرابي ما تعدون البلاغة فقال: قلة الكلام. قال: ما تعدون العي فيكم؟ فقال: ما كنت فيه منذ اليوم.

وأنشد الخشني – رحمه الله –:؟؟؟؟ ومالعي إلا منطق متتابع سواء عليه حق أمر وباطله قالت العرب: لا يجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق.

قال النمر بن تولب:

أعذني رب من حصر وعي ... ومن نفس أعالجها علاجا

ومن حاجات نفسي فاعصمني ... فإن لمضمرات النفس حاجا

وقال آخر:

عجبت لإدلال العي بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالحق أعلما

وفي الصمت ستر للعي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

قال بعض الحكماء: ليس شيء إلا إذا ثنيته قصر إلا الكلام، فإنك كلما ثنيته طال.

قالوا: أعيا العي بلاغة بعي، وأقبح اللحن لحن بإعراب.

كان مالك بن أنس يعيب كثرة الكلام ويذمه ويقول: كثرة الكلام لا توجد إلا في النساء والضعفاء.

ذم أعرابي رجلا، فقال: هو من يتامى المجالس، أعيا ما يكون عند جلسائه، أبلغ ما يكون عند نفسه.

باب في اجتناب اللحن وتعلم الإعراب

وذم الغريب في الخطاب

كتب عمر إلى أبي موسى: أما بعد، فتفقهوا في السنة، وتعلموا العربية.

وروي عنه رحمه الله أنه قال: رحم الله امرأ أصلح من لسانه.

وقال علي بن محمد العلوي:

رأيت لسان المرء رائد عقله ... وعنوانه فانظر بماذا تعنون

ولا تعد إصلاح اللسان فإنه ... يخبر عما عنده ويبين

ويعجبني زي الفتى وجماله ... فيسقط من عيني ساعة يلحن

كان عبد الله بن عمر يضرب ولده على اللحن.

قال شعبة: مثل الذي يتعلم الحديث، ولا يتعلم النحو مثل البرنس لا رأس له.

قال المأمون لأحد أولاده - وقد سمع منه لحنا -: ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده، ويزين بها مشهده، ويفل بها حجج خصمه بمسكتات حكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه. أو يسر أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته، فلا يزال الدهر أسير، كلمته، قاتل الله الذي يقول:

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه ... إذا هو أبدى ما يقول من الفم

وكائن ترى من صاحب لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقال الخليل بن أحمد:". (١)

١١٨١-"وإذا ما أضعت نفسك ألفي ... ت كبيرا في زمرة الغوغاء

ليس عطف القضيب إن كان رط ... با وإذا كان يابسا بسواء

قال لقمان: ضرب الوالد للولد كالسماد للزرع.

قال بعض الحكماء: لا أدب إلا بعقل، ولا عقل إلا بأدب.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٧

كان يقال: التجربة علم، والأدب عون، وتركه مضرة بالعقل.
كان يقال: العون لمن لا عون له الأدب.
قال الأحنف: الأدب نور العقل، كما أن النار في الظلمة نورالبصر.
قال الأصمعي: ما مطية أبلغ دركا وهي وادعة من الأدب.
قال بزرجمهر: أرفع منازل الشرف لأهله العلم والأدب.
وقيل: من قعد به حسبه نهض به أدبه.
وقال ابن أبي دؤاد لرجل تخطى أعناق الرجال إليه: إن الأدب المترادف خير من النسب المتلاحف.
كان يقال: الأدب من الآباء، والصلاح من الله.
كان يقال: من أدب ابنه صغيرا قرت به عينه كبيرا.
وقال الحجاج لابن القرية: ما الأدب؟ قال: تجرع الغصة حتى تمكن الفرصة.
ووصف أعرابي الأدب في مجلس معمر بن سليمان، فقال: الأدب أدب الدين، وهو داعية إلى التوفيق، وسبب إلى السعادة وزاد من التقوى، وهو أن تعلم شرائع الإسلام، وأداء الفرائض، وأن تأخذ لنفسك بحظها من النافلة، وتزيد ذلك بصحة النية، وإخلاص النفس، وحب الخير، منافسا فيه، مبغضا للشر نازعا عنه، ويكون طلبك للخير، رغبة في ثوابه، ومجانبتك للشر رهبة من عقابه، فتفوز بالثواب، وتسلم من العقاب، ذلك إذا اعتزلت ركوب الموبقات، وآثرت الحسنات المنجيات.
وقال أعرابي: الأديب من اعتصم بعز الأدب من ذلة الجهل، ولم يتورط في هفوة، وكان أدبه زلفى إلى الحظوة في دنياه وأخراه.
قال منصور الفقيه:
ليس الأديب أخا الروا ... ية للنوادر والغريب
ولشعر شيخ المحدثين ... أبي نواس أو حبيب
بل ذو التفضل والمرو ... ءة والعفاف هو الأديب
كان يقال: من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه.
الحطيئة:
إذا نكبات الدهر لم تعظ الفتى ... عن الجهل يوما لم تعظه أنامله
ومن لم يؤدبه أبوه وأمه ... تؤدبه روعات الردى وزلازله
فدع عنك ما لا تستطيع ولا تطع ... هواك ولا يذهب بحقك باطله
وقال آخر:
من لم يؤدبه والداه ... أدبه الليل والنهار
وقال محمد بن جعفر: الأدب رياسة، والحزم كياسة، والغضب نار، والصخب عار.
قال ابن القرية: تأدبوا فإن كنتم ملوكا سدتم، وإن كنتم أوساطا رفعتم، وإن كنتم فقراء استغنيتم.
قال شبيب بن شبية: اطلبوا الأدب فإنه عون على المروءة، وزيادة في العقل، وصاحب في الغربة، وحلية في المجالس.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله عز وجل: " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا "، قال: أدبوهم وعلموهم.

قال الشاعر:

يقوم من ميل الغلام المؤدب ... ولا ينفع التأديب والرأس أشيب

وقال آخر:

إن الحداثة لا تقص ... ر بالفتى المرزوق ذهنا

لكن تزكى عقله ... فيفوق أكبر منه سنا

وقال آخر:

رأيت الفهم لم يكن انتهابا ... ولم يقسم على مر السنين

ولوأن السنين تقاسمته ... حوى الآباء أنصبة البنين

قال مصعب بن عبد الله الزبيري: قال لي رجل من أهل الأدب فارسي النسب: إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غربة، ولم يقصروا عن مكرمة: الشجاع حيث كان، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه، والعالم فبالناس حاجة إلعلمه، والحلواللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه، فإن لم تعط رباطة الجأش، وجرأة الصدر، فلا يفوتنك العلم وقراءة الكتب، فإن بها أدبا وعلما قد قيدته لك العلماء قبلك، تزداد بها في أدبك وعلمك.

قال سابق البربري:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع بعد الكبرة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولن تلين إذا قومتها الخشب

قيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ قال: ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل فاجتنبته.". (١)

١١٨٢-"**قال بعض الحكماء**: أفضل ما يورث الآباء الأبناء: الثناء الحسن، والأدب النافع، والإخوان الصالحون، وأنشدوا:؟

ويعدم عاقل أدبا فيجفو ... وتنسبه إلى غلظ الطباع

ومنزلة التأدب من أديب ... بمنزلة السلاح من الشجاع

قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني لوعداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعولون عليه؟ فقال الوليد: أما أنا ففارس حرب، وقال سليمان: أما أنا فكاتب سلطان، وقال ليزيد: فأنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين!؟ ما تركاغاية لمختار. فقال عبد الملك: فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبتكم؟ فقالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة، ولا ينجوصاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية، قال: فعليكم إذا بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكا سدتم، وإن كنتم أوساطا رأستم، وإن

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٩

أعوزتكم المعيشة عشتم.

باب ترويح القلوب وتنبيهها

قال عبد الله بن مسعود: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا.

وكان علي بن أبي طالب يقول: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.

وقال علي رضي الله عنه: نبه بالتفكر قلبك، وجاف عن النوم جنبك، واتق الله ربك.

قال أبو الدرداء: إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو، ليكون أقوى لي على الحق.

قال عبد الله بن مسعود: أريحوا القلوب، فإن القلب إذا أكره عمى.

وقال أيضا: إن للقلوب شهوة وإقبالا، وفترة وإدبارا، فخذوها عند شهواتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها.

كان يقال: الملالة تفسخ المودة، وتولد البغضة، وتنغص اللذة.

قال أرسطو طاليس: ينبغي للرجل أن يعطي نفسه لذتها في النهار ليكون ذلك عونا لها على سائر يومه.

في صحف إبراهيم عليه السلام: وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون له على سائر الساعات.

قال عمر بن عبد العزيز: تحدثوا بكتاب الله تعالى، وتجالسوا عليه، وإذا مللتم فحديث من أحاديث الرجال حسن جميل.

وقال بعض الحكماء من السلف: القلوب تحتاج إلى قوتها من الحكمة كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء.

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه، وهو في نوم الضحى، فقال: يا أبت إنك لنائم، وإن أصحاب الحوائج لراكدون ببابك فقال: يا بني إن نفسي مطيتي، وإن حملت عليها فوق الجهد قطعتها.

قال الحسن البصري رضي الله عنه: حادثوا هذه القلوب، فإنها سريعة الدثور، وأفزعواهذه النفوس فإنها طلعة، وإن لم تفعلوا هوت بكم إلى شر غاية.

وقال غيره من العلماء: حادثوا هذه القلوب فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ". قالوا: فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: " تلاوة القرآن ".

كان يقال: الفكرة مرآة المؤمن، تريه حسنه من قبيحه.

كان يقال: التفكر نور، والغفلة ظلمة.

باب قولهم في وصف العيش

وما تتمناه النفس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسمه، معه قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا ".

كان عمر بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب:

المرء ساع لأمر ليس يدركه ... والعيش شح وإشفاق وتأميل

قال أبو يعلى: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا محمد بن حرب الزيادي، قال: حدثني أبي قال: قال زياد لجلسائه: من أغبط الناس عيشا؟ قالوا: الأمير وجلساؤه. فقال:ما صنعتم شيئا، إن لأعواد المنابر هيبة، وإن لفرع لجام البريد لفزعة، ولكن أغبط الناس عندي: رجل له دار لا يجري عليه كراؤها، وله زوجة صالحة، قد رضيته ورضيها فهما راضيان بعيشهما، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإنه إن عرفنا وعرفناه أتعبنا ليله ونهاره، وأفسدنا دينه ودنياه.

قال عمر: لما فتح الله على رسوله بني النضير وغيرهما، كان يتخذ منها لنفسه وعياله قوت سنة، ثم يجعل الباقي في الكراع والسلاح في سبيل الله.

وقال سليمان: إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه ".". (١)

١١٨٣-"وليس في هذا معارضة لقول الله: " ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض " لأن معنى هذا عند العلماء أن يتمنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه، ليصرفه الله عنه إليه فذلك التمني المكروه.

قال محمد بن سيرين: نهيتم عن الأماني، ودللتم على ما هو خير منها لكم، سلوا الله من فضله.

وقد ذكرنا في كتاب " التمهيد " معنى قوله عليه والسلام: " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به "، عند قوله عليه السلام: " لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول: يا ليتني مكانه ". قال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي: ما بقي من لذاتك؟ قال جليس يقصر به طول ليلي، وزائر أشتهي من أجله طول السهر.

وقال غيره: زائر أشتهي به طول السهر ودابة أشتهي من أجلها طول السفر.

قال مسلمة بن عبد الملك: العيش في ثلاث: سعة المنزل، وموافقة المرأة، وكثرة الخدم.

قال عباية الجعفي: ما يسرني بنصيبي من التمني حمر النعم.

قال عبد الرحمن بن أم الحكم: لذة العيش في زحف الأحرار إلى طعامك، وبذل الأشراف وجوههم إليك فيما تجد السبيل إليه، وقول المنادي: الصلاة أيها الأمير.

قال قتيبة بن مسلم لوكيع بن أبي سود: ما السرور؟ قال: لواء منشور، وجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.

قيل لأم البنين: ما أحسن شيء رأيت؟ قالت: نعم الله مقبلة علي.

سأل قتيبة رجلا: ما السرور؟ قال: الولد الصالح والمال الواسع.

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: لذة العيش ظفرك بمن تحب بعد امتناع، ولذة لا توجب عليك إثما، وحق وافق هوى.

قيل لأبي حازم: ما اللذة؟ قال: الموافقة، ولا أنيس كالصاحب المواتي.

وروى الرياشي عن الأصمعي قال: قال شبيب بن شيبة: عيش الدنيا في ثلاث: محادثة الإخوان، ومباشرة النسوان، وشم

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٠

الصبيان.

قال بعض الحكماء: كثرة الالتفات سخف، ومجالسة الحمقى تورث النوك، وكثرة المنى تخلق العقل، وتفسد الدين، وتنفي القناعة.

قال أبو العتاهية:؟ لله أصدق والآمال كاذبة وجل هذي المنى في القلب وسواس ذكر عمرو بن بحر عن الأصمعي قال: قال بعضهم: الاحتلام أطيب من الغشيان، وتمنيك الشيء أوفر حظا للذة من قدرتك عليه.

قال عمرو بن بحر: كأنه ذهب إلى أن المال إذا ملك وجبت فيه حقوق، وخاف مالكه عليه الزوال، واحتاج إلى الحفظ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه.

ذكر المدائني قال: قيل لامرئ القيس: ما أطيب عيش الدنيا؟ فقال:بيضاء رعبوبة، بالطيب مشبوبة، باللحم مكروبة.

وسئل الأعشى: أي العيش ألذ؟ فقال: صهباء صافية، تمزجها ساقية، من صوب غادية.

وسئل طرفة، فقال: مطعم شهي، وملبس زهي ومركب وطي.

وقال غيره:

أطيب الطيبات قتل الأعادي ... واختيال على متون الجياد

وأياد حبوتهن كريما ... إن عند الكريم تزكوا الأيادي

لبعض الحكماء: أسوأ الناس حالا من اتسعت أمنيته وضاقت مقدرته، وبعدت همته.

قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة: أي الأمور أمتع؟ فقال: ممازحة حبيب، ومحادثة خدين، وأمان تقطع بها أيامك. وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قيل له: أي شيء أكثر إمتاعا؟ قال: المنى.

قال بعض الأعراب، ويروي لأبي بكر العرزمي:؟ منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

أماني من سلمى عذاب كأنما ... سقتك بها سلمى على ظمإ بردا

اجتمع عبد الله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام، عند الكعبة، فقال عبد الله: أحب ألا أموت حتى تجيء إلي الأموال وأكون خليفة.

وقال مصعب: أحب أن ألي العراقين – يعني الكوفة والبصرة – وأزوج سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة.

وقال عروة: لكني أسأل الله الجنة. فصار عبد الله ومصعب إلى ما تمنيا، ويرون أن عروة صار إلى الجنة.

كان المتمني بالكوفة إذا تمنى يقول: أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة، وحفظ سفيان، وورع مسعر بن كدام، وجواب شريك.

قال الأصمعي: قال لي بن أبي الزناد:المنى والحلم أخوان.

قال مالك بن أسماء:؟؟ ولما نزلنا منزلا طله الندى أنيقا وبستانا من النور حاليا

أجد لنا طيب المكان وحسنه ... منى فتمنينا فكنت الأمانيا

قال سلم الخاسر:". (1)

١١٨٤-"هل الدهر إلا ضيقة فتفرج ... وإلا جديد ناضر ثم ينهج

أرى الناس في الدنيا كسفر تتابعوا ... على منهج ثم استقلوا فأدلجوا

فقال البربري:

يا أيها الظاعن في حظه ... إنما الظاعن مثل المقيم

كم من لبيب عاقل قلب ... مصحح الجسم مقل عديم

ومن جهول مكثر ماله ... ذلك تقدير العزيز العليم

حظك يأتيك وإن لم ترم ... ما ضر من يرزق ألا يريم

كان يقال: بكروا في طلب الرزق، فإن النجاح في التبكير.

قال أبو هريرة: إذا سأل أحدكم الله الرزق فلينظر كيف يسأل، فإن الله يرزق الحلال والحرام، ولكن ليقل اللهم ارزقني ما ينفعني ولا يضرني.

قالوا: الرزق رزقان رزق لا يأتيك إلا بالتسبب ورزق يأتيك به الله من حيث لا تحتسب. وقلت أنا الرزق رزقان. فرزق تطلبه، ورزق يأتيك عفوا.

قال عروة بن أذينة أو بكر بن أذينة، وهو الصحيح:

إني لأعلم والأقدار نافذة ... أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى إليه فيعييني تطلبه ... ولو قعدت أتاني لا يعنيني

وقال آخر:

توكل على الرحمن في كل حاجة ... ولا تؤثرن العجز يوما على الطلب

ألم تر أن الله قال لمريم ... إليك فهزي الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها ... جنته ولكن كل شيء له سبب

وقال آخر:

ما يغلق الله باب الرزق عن أحد ... إلا سيفتح دون الباب أبوابا

وقال بكر بن حماد:

الناس حرصى على الدنيا وقد فسدت ... فصفوها لك ممزوج بتكدير

فمن مكب عليها لا تساعده ... وعاجز نال دنياه بتقصير

لم يدركوها بعقل عندما قسمت ... وإنما أدركوها بالمقادير

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢١

لو كان عن قدرة أو عن مغالبة ... طار البزاة بأرزاق العصافير

وقال آخر:

قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ... ويحرم الرزق من لم يؤت من تعب

وإنني واجد في الناس واحدة ... الرزق أروغ شيء عن ذوي الأدب

ولعلي بن هشام:

المرء يسعى ويسعى الرزق يطلبه ... وربما اختلفا في السعي والطلب

حتى إذا قدر الرحمن جمعهما ... للإتفاق أتاك الرزق عن كثب

وقال آخر:

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ... ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

قال بعض الحكماء: الحلال يقطر قطرا والحرام يسيل سيلا.

قال الغزال:

طالب الرزق الحلال لا يقر ... نهاره وليله على سفر

في الحر والبرد وأوقات المطر ... وماله في ذاك نزر محتقر

إن الحلال وحده لا يختمر ... أين ترى مالا حلالا قد ثمر

ما إن رأينا صافيا منه كثر

قال الناشئ:

إذا المرء أحمى نفسه كل شهوة ... لصحة أيام تبيد وتنفد

فما باله لا يحتمي عن حرامها ... لصحة ما يبقى له ويخلد

وقال آخر:

إن الحرام غزيرة حلباته ... ووجدت حالبة الحلال نزورا

قال أكثم بن صيفي: من فاته الرزق فبالعاقبة ظفر.

قال منصور الفقيه:

أرزاقنا مقسومة وهكذا آجالنا ... فما تحول بيننا وبينها أحوالنا

وله أيضا:

ما ضيع الله خلقا ... فأتقي أن أضيعا

الله يرزق من لا ... يطيعه والمطيعا

فاجعل سكوتك لله ... ونجواك جميعا

وكل بؤسي ونعمي ... سيفنيان سريعا

وقال آخر:

يا ربما جاءني مالا أؤمله ... وربما خاب مأمول ومنتظر

لو زاد في الرزق حرص أو مطالبة ... ما كان من قد يطيل الكد يفتقر

ولأبي يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي:

أقلى علي اللوم يا أم مالك ... فلم يؤت من حرص على المال طالبه". (١)

١١٨٥-"لكن أتاه الغنى حتى أناخ به ... وما تقدم منه فيه تفكير

وآخر رجل ناهيك من رجل ... علامة بأمور الناس تحرير

قد جال في الأرض حتى لم يدع أفقا ... شرقا وغربا وما في ذاك تقصر

وقد تكملت الآداب واجتمعت ... فيه العلوم وما تحوي القماطير

ولم تفته من الأشياء واحدة ... يحظى بها رجل إلا الدنانير

كان يقال: إذا لم يرزق الإنسان ببلدة فليتحول إلى أخرى.

قال ابن القاسم: سمعت مالكا:يقول بلغني أن عمر بن الخطاب قال: من كان له رزق في شيء فليلزمه.

قال وقال مالك: سمعت أهل مكة يقولون: ما من أهل بيت فيهم اسم محمد إلا رزقوا ورزق خيرا.

قال العكي:

يا رب فتيان ذوي غربة ... أبناء أسفار مقلينا

ما أدركوا في طول تطوافهم ... خفضا من العيش ولا لينا

وسهل الله بتوفيقه ... ما أملوه للمقيمينا

وإذا الأرزاق مقسومة ... يقسمها الله فيعطينا

ولسهل الوراق:

أرى اثنين في الدنيا وشتان ما هما ... وما منهما إلا عجيب شؤونه

أخو حركات في المكاسب معدم ... على أنه فيها قليل سكونه

وآخر مثر ذو سكون كأنما ... على رزقه ذاك السكون يعينه

ألا ربما يأسى اللبيب لما يرى ... ويكمد حتى تستهل جفونه

كريم جفاه دهره فهو ضائع ... ولا ريب إلا أن دهرا يخونه

ووغد لئيم الطبع تحوي يمينه ... مكاسب ما خفت بهن يمينه

فذاك على إقتاره ذو تجمل ... وذا مقرف جعد البنان ضنينه

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٦

إذا غاص في ذا مفكر طاش عقله ... ولم يدر ما أسبابه وفنونه

جدود وفيها للمفكر عبرة ... طويل بها وسواسه وشجونه

ولولا اعتصام المرء بالعلم إنه ... نجاة لأهليه لساءت ظنونه

وما كان ربي عز ربيبجائرولكنه علم عجيب يصونه

شهدت بأن الله عدل قضاؤه ... وإني بدين الموقنين أدنيه

وقال آخر:

وقد يحرم الله الفتى وهو عاقل ... ويعطي الفتى مالا وليس بذي عقل

وذلك عدل من حكومة ربنا ... يجود ويعطي وهو ذو النائل الجزل

وقال آخر:

لا تعذلي لم أقصر ويك في الطلب ... أي البلاد وأي الأرض لم أجب

هذا وفي خلال كلها سبب ... إلى الغنى غير أن الرزق لم يجب

والله أحمد في رزقي فما صرفت ... عني المكاسب إلا حرفة الأدب

وقال الوليد بن عبيد البحتري:

وآيسني علمي بألا تقدمي ... مفيدي ولا مزر على تأخري

ولو فاتني المقدور مما أرومه ... بسعي لأدركت الذي لم يقدر

باب الحرص والأمل

الحرص على أكل الشجرة أخرج آدم من الجنة.

كان يقال: شدة الحرص من سبل المتالف.

وقال الأحنف: آفة الحرص الحرمان، ولا ينال الحريص إلاحظه.

كان الحسن البصري يقول: ما بعد أمل إلا مل عمل.

كان يقال: من أطال الأمل أمات العمل.

قال بعض الحكماء: الإنسان لا ينفك من الأمل، فإن فاته الأمل قوي على المنى.

قال: والأمل يقع بسبب، وباب المنى مفتوح لمن أراد الدخول فيه.

من كلام الحكماء: الرزق مقسوم، والحريص محروم، والحسود مغموم، والبخيل مذموم.

قال الخليل بن أحمد:؟ الحرص من شر أذاة الفتى لا خير في الحرص على حال

من بات محتاجا إلى أهله ... هان على ابن العم والخال

وقال غيره: الحرص مفسدة، والبخل مبغضة، والعجلة خطأ، والرفق يمن، والبذاء شؤم.

وقال آخر:

أيها الدائب الحريص المعنى ... لك رزق وسوف تستوفيه
فاسأل الله وحده ودع النا ... س وأسخطهم بما يرضيه". (١)

١١٨٦-"تستعجل النفس آمالا لتبلغها ... كأنها لا ترى ما يصنع القدر
وقال آخر:؟؟
كلنا نأمل مدا في الأجل ... والمنايا هن آفات الأمل
وقال آخر:
لقد غرت الدنيا رجالا فأصبحوا ... بمنزلة ما بعدها متحول
فساخط أمر لا يبدل غيره ... وراض بعيش غيره سيبدل
وبالغ أمر كان يأمل غيره ... ومختلج من دون ما كان يأمل
وقال محمود الوراق:
الحرص عون للزمان على الفتى ... والصبر نعم العون للأزمان
لا تخضعن فإن دهرك إن رأى ... منك الخضوع أمده بهوان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " احرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، وإياك واللو، فإن اللو يفتح عمل الشيطان ".
ولأبي عبد الله الصوري:
لما رأيت الناس قد أصبحوا ... وهمة الإنسان ما يجمع
قنعت بالقوت فنلت المنى ... والفاضل العاقل من يقنع
ولم أنافس في طلاب الغنى ... علما بأن الحرص لا ينفع
ولبكر بن حماد:
الناس حرصى على الدنيا وقد فسدت ... فصفوها لك ممزوج بتكدير
في أبيات ذكرتها في باب " ذكر الدنيا " من هذا الكتاب.
باب الطمع واليأس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من طمع في غير مطمع، ومن طمع يقود إلى طبع.
قال عمر بن الخطاب: ما شيء أذهب لعقول الرجال من الطمع.
وفي حديث آخر أن عمرا وابن الزبير قالا لكعب: ما يذهب العلم من صدور الرجال بعد أن علموه؟ قال: الطمع، وطلب الحاجات إلى الناس.

---
(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٨

وقال كعب: الصفا الزلال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء: الطمع.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: في اليأس الغنى، وفي الطمع الفقر، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء.

قال عمرو بن عبيد: في المؤمن ثلاث خلال: يسمع الكلمة التي تؤذيه فيضرب عنها صفحا كأن لم يسمعها، ويحب للناس ما يحب لنفسه، ويقطع أسباب الطمع من الخلق.

قال أبو العتاهية:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرا

ولإسحاق الموصلي: اللؤم والذل والضراعة والفا – قة في أصل أذن من طمعا قال ابن المبارك رضي الله عنه: ما الذل إلا في الطمع.

وقال غيره: ويح من غره الطمع، وتمادى به الولع.

وقال أبو العتاهية:

أذل الحرص والطمع الرقابا

وله أيضا:

إن المطامع ما علمت مذلة ... للطامعين وأين من لا يطمع

وقال محمود الوراق:

وما زلت أسمع أن النفوس ... مصارعها بين أيدي الطمع

وقال بعض الحكماء: قلوب الجهال تستعبد بالأطماع، وتسترق بالمنى، وتنال بالخدائع.

قال محمد بن أبي حازم:

جعلت غنيمة الأطماع يأسا ... فآوتني إلى كنف وديع

فتلك مطية الإقبال غفلا ... بلا رحل يشد ولا نسوع

وقال آخر:

اليأس عما بأيدي الناس مكرمة ... والرزق يصحب والأرزاق تتسع

؟ لا تجزعن على ما فات مطلبه ها قد جزعت فماذا ينفع الجزع

إن السعادة يأس إن ظفرت به ... بعض المراد وإن الشقوة الطمع

أتى رجل إلى خالد بن عبد الله القسري، فقال: أتكلم بجرأة اليأس، أم بهيبة الأمل؟ قال بل بهيبة الأمل. فسأله حاجة فقضاها.

وقال الهمداني:؟

فلا الحرص يغنيني ولا اليأس ما نعى ... نصيبي من الشيء الذي أنا آمله

وقال محمود الوراق:

حدثت باليأس عنك النفس فانصرفت ... واليأس أحمد مرجو من الطمع

فكن على ثقة أني على ثقة ... ألا أعلل نفسي منك بالخدع

محوت ذكرك من قلبي ومن أذني ... ومن لساني فصل إن شئت أو فدع

إن الذي ببلاد الصين أقرب لي ... وساء منتجعا لو رمت منتجعي

إذا تباعد قلبي عنك منصرفا ... فليس يدنيك مني أن تكون معي

وقال آخر:". (١)

١١٨٧-"ياعائب الفقر ألا تزدجر ... عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى إن صح منك النظر

أنك تعصي كي تنال الغنى ... ولست تعصي الله كي تفتقر

وفي رواية أخرى:

أنك تعصي الله ترجو الغنى ... ولست تعصي الله كي تفتقر

وقال آخر:

ولا تعدني الفقر ياأم مالك ... فإن الغنى للمنفقين قريب

وهذا مأخوذ والله أعلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " يقول الله ياابن آدم أنفق أنفق عليك ".

وقال بعض الحكماء في ذم الغنى: طالب الغنى طويل العناء، دائم النصب، كثير التعب، قليل منه حظه، خسيس منه نصيبه، شديد من الأيام حذره، ثم هو بين سلطان يرعاه، ويفغر عليه فاه، وبين حقوق تجب عليه، يضعف عن منعها، وبين أكفاء وأعداء ينالونه ويحسدونه ويبغون عليه، وأولاد يملونه ويودون موته، ونوائب تعتريه وتحزنه.

وقال بشر بن المعتمر المتكلم:

وإذاالجهول رأيته مستغنيا ... أعيا الطبيب وحيلة المحتال

وقال الخليل بن أحمد:

ماأسمج النسك بسأل ... وأقبح البخل بذي المال

من كان محتاجا إلى أهله ... هان على ابن العم والخال

ماوقع الإنسان في ورطة ... أزرى به من رقة الحال

قيل لبعض الحكماء: مابالنا نجد من يطلب المال من العلماء أكثر ممن يطلب العلم من ذوي الأموال؟ قال: لمعرفة العلماء بمنافع المال، وجهل ذوي الأموال بمنافع العلم.

قال الشاعر:

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٣٠

ألم تر أن الفقر يزرى بأهله ... وإن الغنى فيه العلا والتجمل

قال أحيحة بن الجلاح:

استغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغنى من استغنى عن الناس

والبس عدوك في رفق وفي دعة ... لباس ذي إربة للدهر لباس

باب الدين

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله مقبلا غير مدبر، أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: " نعم. إلاالدين، بذلك أخبرني جبريل ".

وعنه عليه السلام أنه قال: " صاحب الدين محبوس عن الجنة بدينه ".

وقال عليه السلام - " بعد أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين " -: " من ترك مالا فلورثته، ومن ترك دينا فعلي ".

كان يقال: لا هم إلاهم الدين، ولا وجع إلاوجع العين. وقد روى هذا القول عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه ضعيف.

قال عمر بن الخطاب: إياكم والدين، فإن أوله هم وآخره حرب.

قال جعفر بن محمد: المستدين تاجر الله في الأرض.

قال عمر بن عبد العزيز: الدين وقر طالما حمله الكرام.

قال عمرو بن العاص: من كثر صديقه كثر دينه.

قيل لمحمد بن المنكدر: أتحج وعليك الدين؟ قال: الحج أقضى للدين. يريد الدعاء فيه والله أعلم.

كان يقال: الدين رق، فلينظر أحدكم أين يضع رقه.

كان يقال: الأذلة أربعة: النمام، والكذاب، والفقير، والمديان.

كان يقال: حرية المسلم كرامته، وذله دينه، وعذابه سوء خلقه.

كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يعامل الناس بالعينة، فإذا حلت دراهمه ركب حمارا يقال له شارب الريح، فيقف على غرمائه فيقول:

بنو عمنا أدوا الدراهم إنما ... يفرق بين الناس حب الدراهم

وقال آخر:

فما شأن ديني إذ يحل عليكم ... أرى الناس يقضون الديون ولا يقضى

لقد كان ذاك الدين نقدا وبعضه ... لمرض فما أديت نقدا ولا عرضا

ولكنما هذا الذي كان منكم ... أماني ما لاقت سماء ولا أرضا

فلو كنت تنوين القضاء لديننا ... لأنسأت لي بعضا وعجلت لي بعضا

قال أبو عثمان المازني: سمعت معاذ بن معاذ، وبشر بن المفضل ينشدان هذين البيتين لمجنون عامر:

طمعت بليلى أن تريع وإنما ... تقطع أعناق الرجال المطامع

وداينت ليلى في خلاء ولم يكن ... شهود على ليلى عدول مقانع

وقال آخر أنشده ابن الزبير:

ألا ليت النهار يعود ليلا ... فإن الصبح يأتي بالهموم". (١)

١١٨٨-"كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: صف لي الفتنة حتى كأني أراها رأي العين. فكتب إليه: لوكنت شاعرا لوصفتها لك في شعري، ولكني أصفها لك بمبلغ رأيي وعلمي، الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى، فلما قرأ كتابه، قال: إن ذلك لكما وصفت، فخذ من قبلك بالجماعة، وأعطهم عطايا الفرقة، واستعن عليهم بالفاقة، فإنها نعم العون على الطاعة، فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله.

قال بعض الحكماء من ملوك الفرس، لحكيم من حكماء مملكته: أي الملوك أحزم؟ قال: من غلب جده هزله، وقهر لبه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يختدعه رضاه عن خطئه، ولاغضبه عن كيده.

لما أراد عمرو بن العاص المسير إلى مصر، قال له معاوية: إني أريد أن أوصيك. قال: أجل. فأوص. قال: انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع.

قال بعض الحكماء: الرعية للملك كالروح للجسد، فإذا ذهب الروح فني الجسد.

وروى الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، قال عمر بن الخطاب: دلوني عن رجل أستعمله فقد أعياني أمر المسلمين. قالوا له: عبد الرحمن بن عوف، قال لهم: ضعيف، قالوا له: فلان. قال: لا حاجة لي به. قالوا:فمن تريد؟ قال: رجل إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم. قالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي. قال: صدقتم.

قال أبو عمر: والربيع بن زياد هذا، كان فاضلا جليلا في قومه، ولاه معاوية خراسان، فاستكتب الحسن بن أبي الحسن فكان كاتبه، فلما بلغه قتل معاوية حجر بن عدي، قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل، فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات. كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم: قلوب الرعية خزائن ملوكها، فما أودعوها فليعلموا أنه فيها.

قال الإسكندر لأرسطاليس: أوصني. قال: فانظر من كان له عبيد فأحسن سياستهم فوله الجند، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله الخراج.

وقال بعض الحكماء: لا تصغر أمر من جاء يحاربك، فإنك إن ظفرت لم تحمد وإن عجزت لم تعذر.

قيل لكسرى ذي الأكتاف، وكان ضابطا لمملكته: بم ضبطت ملكك؟ قال: بثمان خصال، لم أهزل في أمر ولا نهي، ولم أخلف وعدا ولا وعيدا، ووليت للغنى لا للهوى، وعاقبت للأدب لا للغضب، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة،

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٤٣

وملأتها محبة من غير جرأة، وأعطيتها القوت، ومنعتها الفضول.

قال عبد الملك بن عمير: سمعت زيادا وهو يخطب، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي ملكنا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسنا، ولكم العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ومحض ودنا بمناصحتكم، ومهما قصرت فيه من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث: لست محتجبا عن ذي حاجة ولو أتاني طارقا بليل، ولا مجمرا لكم جيشا، ولا حابسا عنكم عطاء ولا رزقا لإبانة، فادعوا الله لأئمتكم بالصلاح، فإنهم ساستكم المذبون وكهفكم الذي إليه تأوون، فإن تصلحوا يصلحوا، ولا تشعروا قلوبكم بغضتهم فيشتد غيظكم، ويطول حزنكم، ولا تدركوا حاجتكم، فإنه لو استجيب لكم فيهم كان شرا لكم، نسأل الله أن يعين كلا على كل.

كان يقال: ينبغي للملك أن يعمل بثلاث خصال: تأخير العقوبة عند الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه، والعمل بالأناة فيما يحدث له، فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان: المسارعة إلى الطاعة، وفي الأناة انفساح الرأي وإيضاح الصواب. كان يقال: من سعى بدليل في التدبير لم يقعد به إلا سابق قضاء لا يملك.

ذكر المبرد قال: كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قد رتبهم لمشورته فقصروا في الرأي، دعا الذين قد وكلهم في أرزاقهم فعاقبهم، فيقولون: يخطئ أهل مشورتك فتعاقبنا نحن. فيقول: نعم. إنهم لم يخطئوا إلا بتعلق قلوبهم بأرزاقهم فإذا اهتموا لحاجاتهم أخطأوا.". (١)

١١٨٩-"قال بعض الحكماء لبعض الملوك: أوصيك بأربع خصال ترضى بهن ربك، وتصلح معهن رعيتك: لا يغرنك ارتقاء السهل إذا كان المنحدر وعرا، ولا تعدن وعدا ليس في يديك وفاؤه، واعلم أن الأمور بغتات فبادر، واعلم أن الأعمال جزاء، فاتق العذاب.

قال زياد: كمال الرأي شدة في غير إفراط، ولين في غير إهمال.

ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب، فقال: إني أجد في الإنجيل: لا ينبغي للإمام أن يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم، ولا ينبغي له أن يكون جائرا ومن عنده يلتمس العدل. سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام أن يعرفهم الزمان الذي يرضى فيه الله عن الناس، فقال: إذا استعمل منهم الهين البراخير.

وفي خبر آخر: علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم، وأن ينزل الغيث في أوانه، وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم، وينزل عليهم الغيث في غير أوانه.

قال معاوية لابن الكواء: صف لي الزمان، فقال: أنت الزمان إن تصلح يصلح، وإن تفسد يفسد.

خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس، الأمراء والعلماء ".

قال الأحنف بن قيس: كل ملك غدور، وكل دابة شرود، وكل امرأة خئون؟؟.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٧٢

قال الأعور السلمي: يا معشر بني سليم أنذركم السلطان فإنه أصبح صعبا حنوطا يغضب كما يغضب الصبي، ويفترس كما يفترس الأسد.

قال عبد الملك بن مروان: لقد كنت أمشي في الزرع فأتقي الجندب أن أقتله، وإن الحجاج اليوم ليكتب إلي بقتل فئام من الناس فما أحفل بذلك.

قال بعض الولاة لأعرابي: قل الحق وإلا أوجعتك ضربا، فقال وأنت فاعمل به، فما توعدك الله به أشد مما توعدني به.

قيل لملك زال عنه ملكه: لم زال عنك ملكك؟ قال: لمدافعتي عمل اليوم إلى غد.

قال ابن شبرمة: من أكل من حلوائهم انحط؟ في أهوائهم.

قال كسرى لوزيره: إياك أن تدخل علي كثيرا فأملك فتثقل علي حوائجك، ولا تطل الغيبة عني فأنساك.

قال بعض الحكماء: من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم.

قال ابن المعتز: أشقى الناس بالسلطان صاحبه، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقا.

قال الشاعر:

إن الملوك بلاء حيثما حلوا ... فلا يكن لك في أفنائهم ظل

وما تريد بقوم إن هم سخطوا ... جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا

وإن مدحتهم ظنوك تخدعهم ... واستثقلوك كما يستثقل الكل

فاستغن بالله عن أبوابهم أبدا ... إن الوقوف على أبوابهم ذل

قالوا: السلطان كالنار، من تباعد منها لم ينل من دفئها شيئا، ومن تقرب منها أحرقته.

ذكر أعرابي الملوك فقال: الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه، شاهده يظهر حبك، وغائبه يبتغي غيرك.

قال المأمون: لو كنت مع العامة لم أصحب السلطان.

قال أبو قردودة:

إني نهيت ابن عمار وقلت له ... لا تأمنن أحمر العينين والشعره

إن الملوك متى تنزل بساحتهم ... يطر بثوبك من نيرانهم شرره

وقال آخر:

إذا ضحك الأمير إليك فاعلم ... بأن ضميره لك مستقيم

ولا تحفل بضحك من كفي ... فكل الناس ضحكهم سقيم

قال العباس بن محمد المنصور: يأمير المؤمنين؟ إنما هو سيفك ودرعك، فادرع بدرعك من شكرك واحصد بسيفك من كفرك.

قالوا: لا تغتر بالأمير إذا غشك الوزير.

ومنهم من قال: لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير.

جلس معاوية يأخذ البيعة على الناس من علي. فقال رجل ياأمير المؤمنين إنا نطيع أحياءكم، ولا نبرأ من موتاكم. فالتفت معاوية إلى المغيرة بن شعبة فقال: رجل فاستوص به خيرا.
كان يقال: إذا نزلت من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الخنا والملق، ولا تكثرن له الدعاء في كل كلمة، فإن ذلك يشبه الوحشة، وعظمه ووقره في الناس.
قال الشعبي: أخطأت عند عبد الملك بن مروان في أربع: حدثني بحديث يوما فقلت:أعده علي فقال: أما علمت أن أمير المؤمنين لا يستعاد وقلت له حين أذن لي عليه: أن الشعبي فقال: ما أدخلناك حتى عرفناك. وكنيت عنده رجلا، فقال أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أميرالمؤمنين. وحدثني بحديث فسألته أن يكتبه. فقال: إنا نكتب ولا نكتب.". (١)

١١٩٠-"وهذا الخبر عندي غير صحيح، لأن المحفوظ عن الشعبي أنه قال: مااستعدت حديثا قط. ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبي.
قال الشعبي: قال لي عبد الملك جنبني ثلاثا وأورد علي ما شئت، لا تطرني في وجهي، فأنا أعلم بنفسي، وإياك أن تغتاب عندي أحدا، واحذر أن أجد عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبدا. وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما. قال عبد الله بن عباس، قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب - يدنيك دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثا: لا يجدن عليك كذبا، ولا تغتابن عنده مسلما، ولا تفشين له سرا. فقيل له: يا ابن عباس كل واحدة خير من ألف، فقال: كل واحدة خير من عشرة آلاف.
قال عمر بن الخطاب لهني إذ ولاه الحمى: يا هني اضمم جناحك، واتق دعوة المظلوم.
قال الفرزدق:

قل لنصر والمرء في دولة السل ... طان أعمى ما دام يدعى أميرا

فإذا زالت الولاية عنه ... واستوى بالرجال كان بصيرا

قال المهلب لابنه: يا بني اخفض جناحك واشتد في سلطانك، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن.
كان يقال: ثلاثة من عازهم رجعت عزته ذلا، السلطان والوالد والعالم.
كان يقال: أربعة تشتد معاشرتهم المتواني، والفرس الجموح، والسلطان الشديد المملكة والعالم.
بصق عبد الملك يوما فقصر بصاقه، فوقع فوق البساط، فقام رجل من المجلس يمسحه بثوبه. فقال عبد الملك: أربعة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والضيف، والدابة. وأمر للرجل بصلة.
كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عامل له: إن مدينتنا قد احتاجت إلى مرمة. فكتب إليه عمر: حصن مدينتك بالعدل، ونق طريقها من الظلم. قال معاوية بن أبي سفيان: من وليناه من أمورنا شيئا فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل.
قال محمد بن كعب القرظي: قال لي عمر بن عبد العزيز: صف لي العدل يا ابن كعب. قلت: بخ بخ، سألت عن أمر

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٧٣

عظيم. كن لصغير الناس أبا، ولكبيرهم ابنا، وللمثل منهم أخا، وللنساء كذلك، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم، ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتكون من العادين.

كان يقال: ليس شيء أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته.

قال زياد لابنه عبيد الله يا بني: إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له، واصفح صفحا جميلا، ولا ترين متهالكا عليه، ولا منقبضا عنه.

قال مالك: قيل لأبي الدرداء: يردك معاوية، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال اللهم غفرا. من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد.

قال معاوية: لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي.

قال معاوية يوما، وقد ذكر من كان قبله: أما أبو بكر فهرب عن الدنيا، وهربت عنه. وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه، وأما أنا فقد داستني الدنيا ودستها.

قال أبو عمر رضي الله عنه: سكت عن علي، وأنا أقول: وأما علي فأصابت الدنيا منه ولم يصب منها.

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إني لأستعمل الرجل، وأدع خيرا منه، وذلك أني أستعمله لأن يكون أنقص عيبا وأوسع رأيا، وأشد جرأة، وأصبر على الجوع والعطش. وقد روي هذا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

كان يقال: يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحا أحوج ما تكون الأرض إليه. قال المهلب: خير الولاة من كان في رعيته كأنه غائب عنها، وهو شاهد فيها وكان المحسن في أيامه آمنا والمسيء خائفا.

وقال بعض الحكماء الناس يحبون سلطانهم على الدين، والتواضع ولين الجانب، وينقادون لشدة الطيش.

قال أبو العتاهية:

رضيت ببعض الذل خوف جميعه ... وليس لمثلي بالملوك يدان

وكنت امرءا أخشى العقاب وأتقي ... مغبة ما تجني يدي ولساني

ولوأنني عاندت صاحب قدرة ... لعرضت نفسي صولة الحدثان

فهل من شفيع منك يقبل توبتي ... فإني امرؤ أو في كل ضمان

وقال الحسن بن سهل:

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

فإذا ملكت فجد وإن لم تستطع ... فاجهد بجهدك كله أن تنفعا

وقال آخر:". (١)

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٧٤

١١٩١-"وروي عنه عليه السلام أنه قال: " من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويقبض المال، ويكثر التجار، ويظهر القلم ".يعني الكتابة.

قال الحسن البصري: لقد أتى علينا زمان وإنما يقال: تاجر بني فلان وكاتب بني فلان، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد، قال الحسن: لقد كان الرجل يأتي الحي العظيم فلا يجد به كاتبا.

وفي الحديث المرفوع: " فشو القلم، وفشو التجارة من أشراط الساعة " يعني بقوله فشو القلم: ظهور الكتابة وكثرة الكتاب.

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أتربوا الكتب وسجوها من أسفلها فإنه أنجح للحاجة ".

وفي خبر آخر عنه عليه السلام: " إذا كتب أحدكم في حاجة فليترب كتابه، فالبركة في التراب ".

وروى عن بعض أهل التفسير في قول الله عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام: " اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ". قال كاتب حاسب.

كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعلي وعثمان، وحنظلة الأسدي، ومعاوية، وعبد الله بن الأرقم، وكان كاتبه المواظب له في الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها، فتعلمها في ثمانية عشر يوما.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: إذا كتبت فألن دواتك، وأطل من قلمك، وفرج بين السطور، وقارب بين الحروف.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: إذا كتبتم فأرقوا الأقلام، وأقلوا الكلام واقتصروا على المعاني، وقاربوا بين الحروف، تكتفوا من القراطيس بالقليل.

كانت العرب تسمي كل صانع قينا إلا الكاتب.

قالوا: القلم أحد اللسانين.

قالوا: الخط الحسن يزيد الحق وضوحا.

قال المأمون: الخط لسان اليد، وهو أفضل أجزاء اليد.

قال بعض الملوك: للكاتب الناصح ثلاث خصال: رفع الحجاب عنه، واتهام الوشاة عليه، ودفع غائلة العدو عنه.

قال ابن القرية: خط القلم يقرأ بكل مكان، وفي كل زمان، ويترجم كل لسان، ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان.

قال أبو ساسان حضين بن المنذر: ما رأيت باريا لا يقيم الخط إلا رأيته لا يقيم الشعر.

قيل لنصر بن سيار: فلان لا يخط، قال:تلك الزمانة الخفية.

قال بعض البلغاء: صورة الخط في الإبصار سواد، وفي الأنصار بياض، وهذا عندي مأخوذ من قول ابن المعتز: القلم يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء. أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب عليهم، فكتب إليه بعضهم من طريق السجن:

أطال الله عمرك في صلاح ... وعز ياأمير المؤمنينا

بعفوك نستجير فإن تجرنا ... فإنك رحمة للعالمينا

ونحن الكاتبون وقد أسأنا ... فهبنا للكرام الكاتبينا

وذكر هذا الخبر الحارث بن أسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء، وفي أخبار المنصور: أن أحزابا من الكتاب ترددوا في ديوان داره، فأمر بإحضارهم وتقدم من تأديبهم، فقال واحد منهم، وهو يضرب: أطال الله عمرك، وذكر الأبيات الثلاثة فعفا عنهم وأمر بتخليتهم.

قال ابن القاسم: سئل مالك عن النصراني أيستكتب؟ قال: لا أرى ذلك، وذلك أن الكاتب يستشار، فيستشار هذا في أمور المسلمين! ، ما يعجبني أن يستكتب.

قال بعض الحكماء لبنيه: يا بني تزيوا بزي الكتاب، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة. قدم كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب، وعنده أبو موسى، فقال له: يا أبا موسى! ادع كاتبك حتى يقرأ كتاب أبي عبيدة بالفتح. فقال: إنه لا يدخل المسجد. قال: ولم، أجنب هو؟ قال: لا. ولكنه نصراني، فصاح عليه صيحة وانتهره، قال: عزمت عليك إلا عزلته، ثم قال: لا تقربوهم بعد أن أبعدهم الله، ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله، ولا تشاوروهم بعد أن جهلهم الله، قال أبو موسى: فعزلته وطردته.

قال أبو عمر رحمه الله: كيف يؤتمن على سر أو يوثق به في أمر، من دفع القرآن وكذب النبي عليه السلام.". (١)

١١٩٢-"استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء، فأذن له، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلا يهوديا كاتبا، كانت له منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته، فلما رآه الفقيه قال - وقد كان المأمون أومأ إليه بالجلوس - : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس قال: نعم، فأنشده:

إن الذي شرفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى اليهودي، فخجل المأمون ووجم، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوبا على وجهه، وأنفذ عهدا باطراحه وإبعاده، وألا يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله. اسم الكتاب بالفارسية ديوان، أي شياطين، لحذقهم بالأمور ولطفهم، فسمي الديوان باسمهم.

قال الزبير بن أبي بكر: كتب إلي المغيرة بن محمد يستبطئ كتبي، فكتبت إليه:

ماغير النأي ودا كنت تعهده ... ولا تبدلت بعد الذكر نسيانا

ولا حمدت إخاء من أخي ثقة ... إلا جعلتك فوق الحمد عنوانا

باب الظلم والجور

قال الله عز وجل: " وقد خاب من حمل ظلما ".

وقال عزوجل: " ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ".

وفي صحف إبراهيم عليه السلام: اتق دعوة المظلوم، فإني لا أردها، ولو كانت من كافر أقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٧٧

بعد حين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من ظلم مسلما أو ضره أو عزه أو ناكره ". وروي عنه عليه السلام أنه قال: " ما تبالي حسنت جورا أو دخلت فيه، وفتحت عدلا، أو خرجت منه ". وقد روي هذا من كلام علي رضي الله عنه فالله أعلم.

لمرة بن محكان في الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي:

؟؟ أحار تبين في الأمور فإنه ... إذا الأمير عدا في الحكم أو فسدا

فإنك محلول عليك وظاعن ... فمهما تصبه اليوم تدرك به غدا

وقال آخر:

نخاف على حاكم عادل ... ونرجو، فكيف لمن يظلم

إذا جار حكم امرئ ملحد ... على مسلم هلك المسلم

الظلم في وضع كلام العرب: وضع الشيء في غير موضعه، وأخذ المرء ما ليس له، ومن ذلك قولهم: من أشبه أباه فما ظلم، أي ما وضع الشبه في غير موضعه.

فكل مسيء ظالم، تقول العرب للمسيء المفرط في الإساءة: هذا أظلم من حية، وأظلم من ذئب، قال عمرو بن بحر: لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتا، وهي تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخشاش والهوام فيهرب أهله عنه ويخلونه لها خوفا منها.

قال مضرس بن لقيط الفقعسي:

إذا قلت الداء بيني وبينهم ... أتى حاطب منهم لآخر يقبس

لعمرك لو أني أخاصم حية ... إلى فقعس ما أنصفتني فقعس

فما لكم إلي كأنكم ... ذئاب الغضا والذئب بالليل أطلس

ويقولون أيضا: هو أظلم من ذئب، وأظلم من ورل، كما يقولون: أظلم من حية، وذلك أن الورل يقوى على الحيات كلها، ويأكلها أكلا ذريعا، وكل شدة يلقاها ذو جحر من الحية تلقى مثل ذلك من الورل، والورل ألطف بدنا من الضب، ولكنه أشد من الضب وأجود سلاحا، وله شحمة والأعراب يستطيبون لحم ذنبه، والورل دابة خفيفة الرأس والحركات ذاهبا وجائيا، ويمينا وشمالا، وليس شيء بعد العظاء شيء أكثر تلفتا منه، وبراشن الورل أقوى من براشن الضب، حكى ذلك كله عمرو بن بحر.

قال: ومن أمثال العرب: من استرعى الذئب ظلم، وأنشد لبعض بني جعفر ابن كلاب يضرب المثل بجور الحية والذئب:

كأنني حين أحبو جعفرا مدحي ... أسقيهم طرق ماء غير مشروب

ولو أخاصم أفعى نابها لثق ... أو الأساود من صم الأهاضيب

لكنتم معها إلبا وكان لها ... ناب بأسفل ساق أو بعرقوب

ولو أخاصم ذئبا في أكيلته ... لجاءني كلهم يسعى مع الذيب

قال بعض الحكماء: أعجل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها: سرعة ظلم من لا ناصر له إلا الله، ومجاورة النعم بالتقصير، واستطالة الغني على الفقير.

روي عن مجاهد أنه قال: المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة.". [١]

١١٩٣-"وقول سابق هذا - والله أعلم - أخذه من قول معاذ بن جبل في قوله: إذا كان لك أخ في الله فلا تماره، ولا تسمع فيه من أحد، فربما قال لك ماليس فيه فحال بينك وبينه.

تنقص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير علي بن أبي طالب، فقال له أبوه: مهلا يا بني لا تنقصه، فإن بني مروان شتموه ستين سنة، فلم يزده الله بذلك إلا رفعة، وإن الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا، وإن الدنيا لم تبن شيئا إلا عادت على ما بنت فهدمته.

كان يقال: المعرض بالناس اتقى صاحبه، ولم يتق ربه.

قال الفرزدق:

تصرم عني ود بكر بن وائل ... وما خلت عني ودهم يتصرم

قوارص تأتيني وتحتقرونها ... وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقال يزيد بن الحكم الثقفي:

تكاشر من لاقيت لي ذا عداوة ... وأنت صديقي ليس ذاك بمستوى

بدا منك غش طالما قد كتمته ... كما كتمت داء ابنها أم مدوى

جمعت وفحشا غيبة ونميمة ... ثلاث خلال لست عنها بمرعوي

وقال زياد الأعجم:

إذا لقيتك تبدى لي مكاشرة ... وإن أغب فأنت الهامز اللمزه

ما كنت أخشى وإن طال الزمان به ... حيف على الناس أن يغتابني غمزه

وقال منصور الفقيه:

هبني تحرزت ممن ... ينم بالكتمان

فكيف لي باحتراس ... من قائل البهتان

وقال أيضا:

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتي فيه قليله

قال موسى عليه السلام: يارب إن الناس يقولون في ماليس في، فاجعلهم يارب يقولون فيما في. فأوحى الله تعالى إليه:

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٧٨

ياموسى لم أجعل ذلك لنفسي، فكيف أجعله لك.

قال المسيح عليه السلام: لا يحزنك قول الناس فيك، فإن كان كاذبا كانت حسنة لم تعملها، وإن كان صادقا كانت سيئة عجلت عقوبتها.

باب البغي والحسد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مامن ذنب هو أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع مايدخره له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا ".

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد: الطيرة، والحسد والظن ". قيل: فماالمخرج منهن يارسول الله؟ قال: " إذا تطيرت فلا ترجع وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق ".

روي عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: لو بغى جبل على جبل،لدك الباغي منهما.

أخذه الشاعر فقال:

؟ ولو بغى جبل يوما على جبل ... لدك منه أعاليه وأسفله

وقال آخر:

ذر البغي إن البغي موبق أهله ... ولم يعدم الباغي من الناس مصرعا

قال عمر بن الخطاب: ما كانت على أحد نعمة إلا كان لها حاسد، ولو كان الرجل أقوم من القدح لوجد له غامزا.

قال ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله عزوجل. قيل: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

قال الحسن البصري: ليس أحد من خلق الله إلا وقد جعل معه الحسد، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغي والظلم لم يتبعه منه شيء.

وعن أنس بن مالك أنه مر على ديار خربة خاوية، قال: هذه أهلكها وأهلك أهلها البغي والحسد، إن الحسد ليطفئ نور الحسنات، والبغي يصدق ذلك أو يكذبه، فإذا حسدتم فلا تبغوا. قيل للحسن: يا أبا سعيد! أيحسد المؤمن؟ قال: لاأم لك! أنسيت إخوة يوسف.

قال بعض الحكماء: البغي من فروع الحسد، وأقدم الناس على البغي من جهل المعرفة بسرعة نصر الله لمن بغي عليه.

وقالوا: ثلاثة عائدة على فاعلها: البغي والمكر والنكث.

قال الله عزوجل: " إنما بغيكم على أنفسكم "، وقال: " ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله "، وقال تعالى: " ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ".

وقال يزيد بن الحكم:

إن الأمور دقيقها ... مما يهبج به العظيم
والبغي يصرع أهله ... والظلم مرتعه وخيم". (١)

١١٩٤-"فالله أسأله إدوام دائهم ... وأن يديم لنا ما يوجب الحسدا
وقال أيضا:
قد أذهب الداء حسادي بكثرتهم ... ولو فنوا عز دائي من يداويني
لا عشت خلوا من الحساد إنهم ... أعز فقدا من اللائي أحبوني
أبقى لي الله حسادي وغمهم ... حتى يموتوا بداء غير مكنون
وقال محمود الوراق:
لا تحسدن أخاك وار ... ع له على الأيام عهده
حسد الصديق صديقه ... وأخاه من سقم الموده
وقال حبيب:؟
وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فما جاورت ... ما كان يعرف فضل عرف العود
وقال أبو القاسم الداعية: أدنى الأعراض عرض لا يرتع فيه ذم.
ولأحد بني الطيفان:
؟ ومولى كمولى الزبرقان دملته ... كما دملت ساق يهاض بها كسر
تراه كأن الله يجدع أنفه ... وعينيه إن مولاه ثاب له وفر
وقال ابن أبي طاهر:
ياحاسدا فضل امرئ سيد ... أصبح قد أحسن في فعله
لا زلت إلا باغيا حاسدا ... لكل ذي نبل على نبله
وزاد من تحسده نعمة ... دائمة تبقى على مثله
ولم يزل ذو النقص من نقصه ... يحسد ذا الفضل على فضله
وقال أبو فراس الحمداني، وهو الحارث بن سعيد بن حمدان:
لمن جاهد الحساد أجر المجاهد ... وأعجز ما حاولت إرضاء حاسد
ولم أر مثل اليوم أكثر حاسدا ... كأن قلوب الناس في قلب واحد
باب السباب والمشاتمة

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٨٨

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إياكم والفحش، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المتسابان ماقالا، فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم.

قال بعض الحكماء: ما استب رجلان إلا غلب ألأمهما.

قال الزبرقان بن بدر: خصلتان كبيرتان في امرئ السوء: شدة السب، وكثرة اللطام.

كان يقال: الغالب في الشر مغلوب.

شتم رجل أبا ذر، فقال له: ياهذا لا نغرقن في شتمنا ودع للصلح موضعا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا، بأكثر من أن نطيع الله فيه.

قال أبو مسلم صاحب الدعوة، عصبة الأشراف تظهر بأفعالها، وعصبة الأدنياء تظهر بألسنتها.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ". كان يقال: ظن الحكيم كهانة. ويروى هذا لمعاوية رضي الله عنه.

سئل بعض العرب عن العقل، فقال: الإصابة بالظنون، ومعرفة ما لم يكن بما كان.

قال علي بن أبي طالب:لله در ابن عباس إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق.

قال بلعاء بن قيس:

؟ وأبغي صواب الظن أعلم أنه ... إذا طاش ظن المرء طاشت مقادره

وقال أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا

كان يقال: صحة الظن أول اليقين، أخذه سعيد بن حميد فقال:

أهابك أن أدل عليك ظنا ... لأن الظن مفتاح اليقين

وقال آخر:

يظن فلا يعدو الضمير كأنما ... له في الأمور الغائبات رقيب

وقال كثير بن عبد الملك:

رأيت أبا الوليد غداة جمع ... به شيب وما فقد الشبابا

ولكن تحت ذاك الشيب عزم ... إذا ما ظن أمرض أو أصابا

وقال آخر:؟

وإني لطرف العين بالعين زاجر ... فقد كدت لا يخفى علي ضمير

وقال عبد الله بن محمد الأشبوني:

ذكي يرى ما في الضمير بظنه ... كأن له غيبا على غامض السر

وقال آخر:

أحسن الظن بمن قد عودك ... حسنا أمس وسوى أودك
إن ربا كان يكفيك الذي ... كان بالأمس سيكفيك غدك
سمع أعرابي رجلا يقول: إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه. فقال الأعرابي: إن الكريم إذا تولى شيئا أحسن فيه.
قال ابن عباس رضي الله عنه: الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عزوجل.". (١)

١١٩٥-"من شاتم الناس رموه بما ... لم يك يعتده في الحساب
كأنه أخذه من قول كعب بن زهير:
ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق والباطل
وقال آخر:
ولست مشاتما أحدا لأبى ... رأيت الشتم من عى الرجال
إذا جعل اللئيم أباه نصبا ... لشاتمه فديت أبى بمالى
وقال آخر:
وتجزع نفس المرء من شتم مرة ... ويشتم ألفا بعد ذاك فيصبر
وقال آخر:
لعمرك ما سب الأمير عدوه ... ولكنما سب الأمير المبلغ
وقال آخر:
من يخبرك بشتم عن أخ ... فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شتم لم يواجهك به ... إنما اللوم على من أعلمك
وقال آخر:
أبا حسن يكفيك ما فيك شاتما ... لعرضك من شتم الرجال ومن شتمى
وقال آخر:
وما يقى عنك قوما أنت خائفهم ... كمثل دفعك جهالا بجهال
فاقعس إذا حدبوا واحدب إذا قعسوا ... ووازن الشر مثقالا بمثقال
وقال آخر:
ثالبنى عمرو وثالبته ... فقد أثم المثلوب والثالب
قلت له خيرا فقال الخنا ... كل على صاحبه كاذب
باب الكبر والعجب والتيه

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٩١

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاكيا عن الله عز وجل: " الكبرياء ردائي، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحدا منهما أدخلته النار ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا ينظر الله عز وجل إلى من جر ثوبه خيلاء، وفي حديث آخر: لاينظر الله عز وجل إلى من جر ثوبه بطرا ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما الكبر أن يسفه الحق، ويغمض الناس.

قال محمد بن على بن حسين: ياعجبا من المختال الفخور الذي خلق من نطفه، ثم يصير جيفة ثم لا يدرى بعد ذلك ما يفعل به.

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى: سمعت أحمد بن يوسف، وذكر رجلا كان يذهب بنفسه في التيه، فقال: يتيه فلان، وما عنده فائدة ولا عائده ولا رأى جميل.

قال الشاعر:

يامظهر الكبر إعجابا بصورته ... أبصر خلاءك إن المين تثريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

قيل لعيسى عليه السلام: طوبى لبطن حملك، فقال: طوبى لمن علمه الله كتابه، ولم يكن جبارا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يزال الرجل يذهب بنفسه في التيه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم ".

قال مالك بن دينار: كيف يتيه من أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك حامل عذرة.

أخذه أبو العتاهية فقال:

ما بال من أوله نطفة ... وجيفة آخره يفخر

أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير ما يحذر

وأصبح الأمر إلى غيره ... في كل ما يقضى وما يقدر

وقال منصور الفقه:

تتيه وجسمك من نطفة ... وأنت وعاء لما تعلم

وله أيضا:

قولوا لزوار الكنف ... والمنشئين من نطف

يا جيفا من الجيف ... ما لكم وللصلف

كان يقال: لولا ثلاث سلم الناس: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

قال جعفر بن محمد: علم الله عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنب.

قال بلال بن سعيد: إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا فقد تمت خسارته.

قال بعض الحكماء: البلية التي لا يؤجر عليها المبتلى بها: العجب، والنعمة التي لا يحسد عليها: التواضع.

كان يقال: لاشئ أكلم للمحاسن من العجب والتيه قال نصر بن أحمد:

ومن أمن الآفات عجبا برأيه ... آحاطت به الآفات من حيث يجهل

وقال منصور الفقيه:

لاتحلقن بتياه فتحمله ... على التزيد مما يسخط الله

واهجره لله لا للناس مبتغيا ... ثواب ربك في هجران من تاها

وقال آخر:

إن عيسى أنف أنفه ... أنفه ضعف لضعفه

لو تراه راكبا والتيه ... قد مال بعطفه". (١)

١١٩٦-"لرأيت الأنف في السر ... ج وعيسى مثل ردفه

وقال ابن السلماني:

أتيه على جن البلاد وإنسها ... ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسى

أتيه فلا أدرى من التيه من أنا ... سوى ما يقول الناس في وفى جنسى

فإن زعموا أنى من الإنس مثلهم ... فما لي عيب غير أنى من الإنس

وقال خلف الحمر:

لنا صاحب مولع بالخلاف ... كثير الخطاء قليل الصواب

ألج لجاجا من الخنفساء ... وأزهى إذا ما مشى من غراب

ولأبى العتاهية، ويروى لمنصور الفقيه:

حذتك الكبر لا يعلقك ميسمه ... فإنه ملبس نازعته الله

يا بوس حامل رجس ليس يغسله ... بالماء عنه إذا كلمته تاها

يرى عليك له فضلا ومنزلة ... إن نال في العاجل السلطان والجاها

مثن على نفسه راض بسيرته ... كذبت يا صاحب الدنيا ومولاها

وقال منصور الفقيه:

قلت للمعجب لما ... قال مثلى لا يراجع

يا قريب العهد بالمخ ... رج لم لا تتواضع

قال على بن محمد: إنما أهلك الناس العجلة والعجب، ولو ثبتوا ولم يعجلوا لم يهلك منهم أحد.

قال ابن أبى ليلى: ما رأيت ذا عجب قط إلا اعتراني بعض دائه. يريد أنه يبعثه على مكافأته بالتكبر عليه.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٩٥

قال بعض الحكماء: من استطاع أن يمنع نفسه أربعا كان جديرا ألا ينزل به مكروه: العجلة، واللجاجة، والتواني، والعجب.

ولإبراهيم بن العباس الصولى في محمد بن عبد الملك الزيات:

أبا جعفر عرج على خلطائكا ... وأقصر قليلا عن مدى غلوائكا

فإن كنت قد أوتيت بالأمس رفعة ... فإن رجائي في غد كرجائكا

ولمنصور الفقيه:

قد كنت أيام كنت مثلكم ... أرى الهلال الخفي بالعجله

لو مر بي تائه على جمل ... لم أره الآن قلة ولا جمله

باب التواضع والإنصاف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تواضع عبد لله إلا رفعه الله.

وقال صلى الله عليه وسلم: تواضعوا يرفعكم الله، واعفوا يعزكم الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه من غير معصية، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته.

انتسب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى بلغ عشر آباء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاحسب إلا في التواضع، ولا نسب إلا بالتقوى، ولا عمل إلا بالنية، ولا عبادة إلا باليقين. وعنه عليه السلام أنه قال: من عظمت نعمة الله عليه فليطلب بالتواضع شكرها، فإنه لا يكون شكورا حتى يكون متواضعا.

قال بعض الحكماء: رأس الحكمة طاعة الله، وتقديم حسن النية، وعراها التواضع في الحق، والإنصاف في المناظرة، والإقرار بما يلزم من الحجة، وثمرتها حفظ الثواب، في العاجلة، والنجاة في العاقبة، وحقها العمل بها، وألا تمنع من من مستحقها، وأن توقر أوعيتها لوقارها.

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ما من أحد إلا وفي عنقه حكمة موكل بها ملك، يقول الله به: إن تواضع عبدى فارفعه، وإن ارتفع فضعه.

قال بكر بن عبد الله المزنى: ما أرى امرءا إلا رأيت له الفضل على، لأني من نفسى على يقيين، وأنا من الناس على شك.

قال عبد الله بن مسعود: إن من التواضع الرضا بالدون من شرف المجلس، وأن تسلم على من لقيت.

قال عبد الله بن المبارك: التعزز على الأغنياء تواضع.

كان يقال: بالتواضع تتم النعمة، وبالتكبر تحق النقمة.

كان سليمان عليه السلام يجئ إلى أوضع المجالس بنى إسرائيل فيجلس معهم فيقول: مسكين بين ظهرانى مساكين.

كان يقال: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة.

قال لقمان لابنه: يا بنى تواضع للحق، تكن أعقل الناس قال أبو الدرداء: ليس الذي يقول الحق ويفعله بأفضل من الذي يسمعه فيقبله.

قال بعض الحكماء: إذا نسك الشريف تواضع، وإذا نسك الوضيع تكبر. ولذى الرمة الأسدى:". [١]

١١٩٧-"قال الأحنف: اضربوا الرأى بعضه ببعض يتولد منه الصواب، وتجنبوا منه شدة الحزم، واتهموا عقولكم، فإن فيها نتائج الخطأ، وذم العاقبة.

كان يقال: خذ الأمر مقلا، فشر الرأى: الدبرى.

قال الشاعر، وهو القطامى:

وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا

قال بعض العرب: قبل الرمى يراش السهم وقال سابق: وقبل أوان الرمى تملا الكنائن وقال الفارسى: بادر الفرصة قبل أن تكون غصة، وأنشد:

تدارك الأمر قبل نهبته ... أبلغ فيما تحب من دركه

قال بعض الحكماء: حقيق أن يوكل إلى نفسه، من أعجب برأيه.

قال عبد الملك: اللحن هجنة الشريف، والعجب آفه الرأى.

قال قتيبه بن مسلم: من أعجب برأيه، لم يشاور كفيا، ولم يوات نصيحا.

قال بزر جمهر: أفره الدواب لاغنى به عن السوط، وأعف النساء لا غنى بها عن الزواج، وأعقل الرجال لا غنى به عن المشورة.

قال عبد الملك بن مروان: لأن أخطئ وقد استشرت أحب إلى من أن أصيب من غير مشورة.

قال قتيبه بن مسلم: الخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة، وإن كانت الجماعة لا تخطئ، والفرقة لا تصيب.

قال المأمون: ثلاث لا يعدم المرء الرشد فيهن: مشاورة ناصح، ومداراة حاسد، والتحبب إلى الناس.

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستشير في الأمر، حتى إن كان ربما استشار المرأة، فأبصر في رأيها فضلا.

كان يقال: ما من قوم تمالئوا على أمرهم، ثم شاوروا امرأة إلا تبر الله أمرهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لايفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

كان يقال: من طلب الرخصة من الإخوان عند المشورة، ومن الفقهاء عند الشبهة، من الأطباء عند المرض، أخطأ الرأى، وحمل الوزر، وازداد مرضا.

قال الشاعر، وأظنها لمنصور الفقيه:

إذا الأمر أشكل إنفاذه ... ولم تر منه سبيلا فسيحا

فشاور بأمرك في سترة ... أخاك اللبيب المحب النصيحا

فربتما فرج الناصحون ... وأبدوا من الرأى رأيا صحيحا

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٩٦

ولا يلبث المستشير الرجال ... إذا هو شاور أن يستريحا

وقال آخر:

إن اللبيب إذا تفرق أمره ... فتق الأمور مناظرا ومشاور

أخو الجهالة يستبد برأيه ... فتراه يعتسف الأمور مخاطرا

وقال آخر:

وعاجز الرأى مضياع لفرصته ... حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

وقال آخر:

أنتم أناس عظام لا حلوم لكم ... لا تعلمون أجاء الرشد أم غابا

لا تبصرون وجوه الرأى مقبلة ... وتبصرون إذا ولين أذنابا

قال أبو عمر: الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء، والمشورة محمودة عند غاية العلماء، ولا علم أحدا رضى الاستبداد وحمده، إلا رجل واحد مفتون، مخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته، أو رجل فاتك يحاول حين الغفلة، ويرتصد الفرصة، وكلا الرجلين فاسق مائق، مثال أحدهما قول عمر بن أبي ربيعة. يخاطب من يخدعه.

ليت هندا أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد

ومثال الآخر، قول سعيد بن ثابت العنبرى الأعرابى

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في رأيه غير نفسه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

سئل الحسن البصرى، عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تستضيئوا بنار المشركين فقال: أراد لا تستشيروا المشركين في أموركم ولا تأخذوا برأيهم.

باب كتمان السر وإفشائه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أسر إلى أخيه سرا لم يحل له أن يفشيه عليه.

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: من كتم سره كان الخيار بيده، ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به.

قال عباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضى الله عنهما: يابني إن أمير المؤمنين يدنيك - يعني عمر بن الخطاب - فاحفظ عني ثلاثا: لا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا يطلعن منك على كذبة.". (١)

١١٩٨-"فلا تعذراني في الإساءة إنه ... شرار الرجال من يسئ ويعذر

وقال آخر:

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٩٩

وما حسن أن يعذر المرء نفسه ... وليس له من سائر الناس عاذر

وقال آخر:

هي المقادير فلمني أو فذر ... إن كنت أخطات فما أخطأ القدر

وقال آخر:

وعاجز الرأي مضياع لفرصه ... حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

وقال آخر:

إذا عيروا قالوا مقادير قد جرت ... وما العار إلا ما تجر المقادر

قال بعض الحكماء: إياك وما يسبق للقلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره.

قال محمود الوراق:

أراني مع الأحياء وأكثري ... على الدهر ميت قد تخونه الدهر

فما لم يمت مني لما مات ميت ... وبعض لبعض قبل قبر البلى قبر

فيا رب قد أحسنت بدءا وعودة ... إلى فلم ينهض بإحسانك الشكر

فمن كان ذا عذر لديك وحجة ... فعذري إقراري بأن ليس لي عذر

وفي الأشعار في الأعتذار من الفرار قال الأصمعي: أحسن ما قيل في الأعتذار من الفرار، قول الحارث بن هشام المخزومى:

الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى علوا مهرى بأشقر مزبد

وعلمت أني إن أقاتل واحدا ... أقتل ولا يحزن عدوى مشهدي

فصدرت عنهم والأحبة فيهم ... طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وقال خلف الأحمر: أحسن ما قيل في الأعتذار في الفرار، قول هبيرة بن أبي وهب المخزومى:

لعمرك ما وليت ظهري محمدا ... وأصحابه جبنا ولا خفية القتل

ولكنني قلبت آمري فلم أجد ... لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلى

وقفت فلما خفت ضيعة موقفي ... رجعت لعود كالهزبر أبي الشبل

فر ابن مطيع يوم الحرة، وسار إلى ابن الزبير، فلما قوتل ابن الزبير، جعل يجتهد معه في القتال، ويقول:

أنا الذي فررت يوم الحرة ... والحر لا يفر إلا مرة

فاليوم أجزى فرة بكره ... يا حبذا الكرة بعد الفره

وقال أوس بن حجر:

أتونا فردوا حافتينا بزاعق ... من الضرب ضرم النار في الحطب اليبس

وما بفرار اليوم عار على الفتى ... إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

قال الأحنف بن قيس: أسرع الناس إلى الفتنة، أقلهم حياء من الفرار وقال آخر:

العبد يذيب والمولى يقومه ... والعبد يجهل والمولى يعلمه

إني ندمت على ما كان من ذلل ... وزلة المرء يمحوها تندمه

باب المواعيد

أثنى الله عز وجل على إسماعيل عليه السلام، فقال: " إنه كان صادق الوعد "، وقال كعب: كان لا يعد أحدا إلا أنجزه، وقال: انتظر رجلا وعده سنة كاملة.

وري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر رجلا وعده في موضع من طلوع الشمس إلى غروبها.

وروى عنه عليه السلام: أنه انتظره ثلاثا، والمنتظر عبد الله بن أبي الحمساء.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وعده، ومن أوعده على عمل عقابا فإن شاء عذبه، وإن شاء غفر له " "، وعن ابن عباس مثله.

وقال المثنى بن حارثة لشيباني: لأن أموت عطشا أحب إلى من أن أخلف موعدا.

قال بعض الحكماء: وعد الكريم نقد، ووعد اللئيم تسويف كان يحي بن خالد يقول: المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الإخوان، ألا تراهم يقولون: فلان ينجز الوعد، ويفي بالضمان، ويصدق في المقال، ولولا ما تقدم من حسن موقع الوعد، لبطل حسن هذا المدح.

وكان يحي بن خالد، يقول: إن الحاجة إذا لم يتقدمها وعد تنتظر نجحه، لم تتجاوب الأنفس سرورها، فدع الحاجة تختمر بالوعد، ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل.

ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضا: " لا " الكريم أنجح من " نعم " الئيم، لأن " لا " الكريم، ربما كانت في وقت غضب، وإبان سآمة، " ونعم " الئيم تصدر عن تصنع وفساد نية وقبح مآل.

أنشد أبو عمرو بن العلاء:". (١)

١١٩٩-"قال عبد بن الحسن: حمق الرجل يفسد دينه، ولا دين لمن لا عقل له. وكان لا يجيز شهادة الأحمق العفيف، فكلم في ذلك، فقال: سأريكم. ودعا بحاجبه فقال: يا ممدود، انظر لي ما الريح؟ فخرج ثم رجع، فقال: هي شمال يشوبها شئ من الجنوب. فقال: أترون أن أجيز شهادة مثل هذا؟! فقال أردشير: رضاء المرء عن نفسه دليل على عقله.

قال أنو شروان: ثقة الرجل برأيه، وإقراره بتوفير عقله، دليل على عقله، قيل: هل ينتهي من أول الزجر أحمق كان يقال: إذا تم العقل نقص الكلام.

قال على بن أبي طالب: لا تؤاخ الأحمق، ولا الفاجر، أما الأحمق فمدخله ومخرجه شين عليك، وأما الفاجر: فيزين لك فعله، ويود أنك مثله.

قال سابق:

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٠٧

المرء يجمع والزمان يفرق ... ويظل يرفع والخطوب تمزق
ولئن يعادى عاقلا خير له ... من أن يكون له صديق أحمق
وقال آخر:
عدوك ذو العقل أبقى عليك ... من الصاحب الجاهل الأحمق
وذو العقل يأتى حسان الأمور ... ويعمد للأرشد الأوفق
وقال دعبل بن على الخزاعى:
عداوة العاقل خير إذا ... حصلتها من خلة الأحمق
لأن ذا العقل إذا لم يرع ... عن ظلمك استحيا فلم يخرق
ولن ترى الأحمق يبقى على ... دين ولا ود ولا يتقى
وقال آخر:
عداوة العاقل خير لمن ... عاداه من ود امرئ جاهل
بوائق الجاهل مبثوثة ... وليس تخشاها من العاقل
وقال صالح بن عبد القدوس:
ألا إنما الإنسان غمد لعقله ... ولا خير في غمد إذا لم يكن نصل
فإن كان للإنسان عقل فإنه ... هو النصل والإنسان من بعده فضل
وقال أيضا:
وما المرء إلا اثنان عقل ومنطق ... فمن فاته هذا وذاك فقد دمر
ولا سيما إن كان ممن نصيبه ... من الدين والدنيا قليل إذا حضر
وقال ابن الرومى:
وليس عتاب المرء للمرء نافعا ... إذا لم يكن للمرء عقل يعاتبه
وقال آخر:
زعمت أبا سهل بأنك جامع ... فنونا من الآداب يجمعها الكهل
فهبك تقول الحق أى فضيلة ... تكون لذي علم وليس له عقل
وقال آخر:
لكل امرئ شكل من الناس مثله ... فأكثرهم شكلا أقلهم عقلا
لأن صحيح العقل ليس بواجد ... له في طريق حين يسلكها مثلا
ولا خير في طول السبال وعرضها ... إذا الله لم يجعل لصاحبها عقلا
وقال آخر:
قد عرفناك باختيارك إذ كان ... دليلا على اللبيب اختباره

وقال بشار بن برد:

وما أنا إلا كالزمان إذا صحا ... صحوت وإن ماق الزمان أموق

وقال آخر:

وأنزلني طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت امرءا لا أشاكله

تحامقته حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقال آخر:

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم ... ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل

فإني رأيت المرء يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وقال أبو يزيد البسطامى رحمه الله:

ياذا الذي ليس له والد ... يسعى على الأرض ولا والده

قد مات من قبلهم آدم ... فأى نفس بعده خالده

إن جئت أرضا أهلها كلهم ... عور فغمض عينك الواحده

سمع عمر بن العزيز رجلا يكنى أبا العمرين،فقال:لو كان لك عقل كفاك أحدهما.

قال الحسن:هجرة الأحمق قربة إلى الله تعالى.

قال منصور الفقيه:

أجالس كلا وإن لم يكن ... على ما أحب سوى الأموق

فإني أجالسه مرة ... وأنهض عنه فلا نلتقى

فما نعمة بعد تقوى الإله ... أفضل من هجرة الأحمق

قال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أن يتمسك بست خصال:أن يحفظ دينه،ويصون عرضه،ويصل رحمه،ويحفظ جاره،ويرعى حق إخوانه،ويخزن عن البذاء لسانه.". (١)

١٢٠٠-"كان الحسن البصرى إذا أخبر عن أحد بصلاح،قال:كيف عقله؟ ثم يقول:ما يتم دين أمرئ حتى يتم علقه.

روى أنه أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض،أتاه جبريل،فقال:ياآدم! إن الله تعالى قد أحضرك ثلاث خصال لتختار منهن واحدة،وتخلى عن اثنتين.

قال:وما هن؟ قال:الحياء والدين والعقل:قال آدم:إنى اخترت العقل.

قال جبريل للحياء والدين:ارتفعا فقد اختار العقل،قالا:لا نرتفع،قال:ولم عصيتما؟ قالا:لا،ولكنا أمرنا ألا نفارق العقل حيث

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١١٨

كان.

كان يقال:لا تعتمد بمن ليس له عقده من عقل.

قال بعض الحكماء:وكل الحرمان بالعقل،والرزق بالجهل،ليعتبر العاقل فيعلم أن الرزق ليس عن حيلة.

قيل لزرعة بن ضمرة:متى عقلت؟ قال:يوم ولدت. قيل:وكيف ذلك؟ قال:منعت الثدى فبكيت،وأعطيتها فسكت.

قال الحسن:لأنا للعاقل المدبر،أرجى مني للأحمق المقبل.

قال الأوزاعي:قيل لعيسى عليه السلام يا روح الله! أنت تبرئ الأكمه والأبرص وتحيي الموتى بإذن الله،فما دواء الأحمق؟ قال:ذلك أعياني.

قال قيس بن الخطيم:

وبعض الداء ملتمس دواه ... وداء النوك ليس له دواء

وقال آخر:

جنونك مجنون ولست بواجد ... طبيبا يداوى من جنون جنون

وقال آخر:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... ما لذة العيش إلا للمجانين

الحب لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

كان يقال:الأحمق بشأنه أعلم من العاقل بشأن غيره.

قال زيد بن أسلم، قال لقمان لا بنه: يا بني لئن يقصيك الحكيم خير من أن يدنيك الأحمق.

قال عمر بن عبد العزيز: خصلتان لا تعدمك إحداهما من الأحمق، أو قال من الجاهل: كثرة الالتفاف، وسرعة الجواب.

كانوا يعبرون عن الأحمق بالجاهل، ومن ثم قالوا: غضب كسرى على عاقل فسجنه مع جاهل. يريدون سجنه مع أحمق، ويعبرون أيضا عن العاقل بالحلم، قال الشاعر:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حليما حين واخاه

يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ماشاه

قال سهل بن هارون: ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء: الغضبان: والغيران، والسكران. قيل: فما تقول في المنعظ؟ قال:

وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا

قال تمام بحيح: إذا قام ذكر الرجل، ذهب ثلثا عقله قال محمود الوراق، وقد نسب إلى ابن الزيات:

ليس شيء مما يدبره العا ... قل إلا وفيه شيء يريبه

فأخو العقل ممسك يتوقى ... ويخاف الدخول فيما يعيبه

وأخو الجهل لا يقدر في الأم ... ر وإن أشكلت عليه ضروبه

راكب ردعه كحاطب ليل ... يخطئ الأمر كله أو يصيبه
تتأتى له الأمور على الجه ... ل إذا ما أرادها وتجيبه
وأخو العقل بعد ينتتج الرأ ... ى فيرضى ومرة يستريبه
وإذا صير البعيد قريبا ... عاد فيه فازداد بعدا قريبه
فهو الدهر شاخص القلب فكرا ... ما تقضى همومه وكروبه
وقال آخر:
ألا إن عقل المرء عينا فؤاده ... فإن لم يكن عقل فلن يبصر القلب
وقال آخر:
أى زمنا نوكاه أسعد أهله ... ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته ... فكب الأعللى بارتفاع الأسافل
وقال آخر:
عذلوني على الحماقة جهلا ... وهي من عقلهم ألذ وأحلى
لو لقوا ما لقيت من حرفة العق ... ل لساروا إلى الحماقة رسلا
حمقى قائم بقوت عيالى ... ويموتون إن تعاقلت هزلا
قال هشام بن عبد الملك: يعرف حمق الرجل بأربع: بطول لحيته، وشناعة كنيته ونقش خاتمه، وإفراط شهوته. فدخل عليه ذات رجل طويل العثنون، فقال هشام: أما هذا فقد جاء بواحدة، فانظروا أين الثلاث؟ قالوا: أنا أبو الياقوت الأحمر. قالوا: فما نقش خاتمك؟ قال: " وجاءوا على قميصه بدم كذب ".". (١)

١٢٠١-"وفي خبر آخر: أن معاوية جرت له مثل هذه الحكاية، إلا أن في خبر معاوية، قيل له: فما كنيتك؟ قال: أنا أبو الكوكب الدرى. قيل له: فما نقش خاتمك؟ قال: " وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين "
قال يحيى بن الحكم الغزال:
يعرف عقل المرء في أربع ... مشيته أولها والحرك
ودورعينيه وألفاظه ... بعد عليهن يدور الفلك
وقال آخر:
طلبت الرزق بالعقل ... من الغرب إلى الشرق
فلم يكسبنى العقل ... سوى البعد من الرزق
فأدبرت عن العقل ... وأقبلت على الحمق

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١١٩

فلم أتعب ولم أنصب ... ولم أضرع إلى الخلق

قال بعض الحكماء: من الحمق التماس الإخوان بغير وفاء، والتماس الآخرة بالرياء. والتماس مودة النساء بالغلظة، والتماس العلم والفضل بالدعة والخفض.

سمع الأنف رجلا يقول: ما أبالي أمدحت أم هجيت. فقال: استرحت من حيث تعب الكرام.

وقالت العرب: استراح من لا عقل له.

وقالت الفرس: مات من لا عقل له.

أنشدني بعض شيوخي رحمهم الله:

كم كافر بالله أمواله ... تزداد أضعافا على كفره

ومؤمن ليس له درهم ... يزداد إيمانا على فقره

لا خير فيمن لم يكن عاقلا ... يمد رجليه على قدره

وقال آخر:

ما إن يزال ببغداد يزاحمنا ... على البراذين أشباه البراذين

أعطاهم الله أموالا منزلة ... من الملوك بلا عقل ولا دين

ما شئت من بغلة شقراء ناجية ... أو من أتان وقول غير موزون

باب من أجوبة الحمقى

ومراجعة السخفاء، وألفاظ النوكى والجهلاء استعمل معاوية رجلا من كلب، فذكر المجوس يوما، فقال: لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم، ما نكحت أمي فبلغ ذلك معاوية، فقال: قبحه الله! أترونه لو زيد فعل؟!! قال أبو عبيدة: أجريت الخيل فطلع منها فرس سابق، فإذا رجل من النظارة يكر ويثب من الفرح، فقال له رجل إلى جنبه: يا فتى! هذا الفرس فرسك؟ قال: لا،ولكن اللجام لجامي.

أرسل رجل من بنى عجل بن لجيم فرسا في الحلبة،فجاء سابقا،فقال لابنه: يا بنى! بأى شئ أسميه؟ فقال:يأبت افقأ عينه وسمه الأعور. قال الشاعر:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... وأى عباد الله أنوك من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده ... فأضحت به الأمثال تضرب بالجهل

قال أبو كعب القاص في قصصه:إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كبد حمزة ما علمتم، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة.

وقال أيضا في قصصه:إن اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا،قالوا له:فإن يوسف لم يأكله الذئب،قال:فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

وتلا في قصصه يوما قول الله عز وجل: " يتجرعه ولا يكاد يسيغه.

فقال:اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه.

قيل لبرذعة الموسوسر:أيما أفضل غيلان أم معلى؟ قال:معلى، قالوا: ومن أين؟ قال: لأنه لما مات غيلان،ذهب معلى إلى جنازته، فلما مات معلى لم يذهب غيلان إلى جنازته.

رفع رجل من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنه يتزندق،فسأله الوالي عن قوله الذي نسبه به إلى الزندق،فقال:هو مرجى قدرى ناصبي رافضى،من الخوارج،يبغض معاوية بن الخطاب الذي قتل على بن العاص. فقال له ذلك الوالي:ما أدرى على أي شيء أحسدك؟ أعلى علمك بالمقالات،أم على بصرك بالأنساب.

كان قوم من أهل العلم يتناظرون في أمر معاوية وعلى،ويذكرون أبا بكر وعمر، وكان قريبا منهم رجل من العامة،ينسب إلى أنه من أعقلهم،وكان ذا سبلة طويلة،فقال لهم:كم تطنبون في أمر على ومعاوية وفلان وفلان!! فقال له أحد القوم:وتعرف أنت من على ومعاوية وفلان وفلان؟ قال:نعم! أو ليس هو أبو فاطمة؟ قال:ومن كانت فاطمة؟ قال:امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بنت عائشة أخت معاوية. قال:فما كان قصة على؟ قال:قتل في غزاة حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم.

دخل رجل من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم،فقال:أصلح الله الشيخ،لقد". (١)

١٢٠٢-"ألا رب من تعتده لك ناصحا ... ومؤتمنا بالغيب غير أمين

وقال أبو يعقوب الخريمي:

يا للرجال لقوم قد بلوتهم ... أرى جوارهم إحدى البليات

ماذا تظن بقوم خبر كسبهم ... مصرح السحت سموه الامانات

وفي الحديث المرفوع: " الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار ".

يقال: صدق وبر، وكذب وفجر.

قال بعض الحكماء: من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه.

وقال محمود الوراق:

إذا عرف الكذاب بالكذب لم يكن ... لدي الناس ذا صدق وإن كان صادقا

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه ... وتلقاه ذا حفظ إذا كان حاذقا

وقال آخر:

لا يكذب المرء إلا من مهانته ... أو عادة السوء او من قلة الأدب

قال بغضهم: ما أراني أوجر في ترك الكذب. قيل له: ولم؟ قال: لأني أدعه اتقاء.

قالوا: الصدق عز، والكذب خضوع.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٢٠

قال الحسن: خرج عندنا رجل بالبصرة، فقال: لأكذبن كذبه يتحدث بها الوليد، قال الرجل: فما رجعت إلى منزلي حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت الناس يتحدثون بها.

وقال كعب بن زهير:

ومن دعا الناس إلى دمه ... ذموه بالحق وبالباطل

مقالة السوء إلى أهليها ... أسرع من منحدر سائل

قال لقمان لابنه: يا بني! احذر الكذب فإنه شهى كلحم العصفور، من أكل شيئا منه لم يصبر عنه.

عوتب بعض الأعراب على الكذب، فقال للذي عاتبه: والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه.

وقال الأصمعي: قيل لكذاب: ما يحملك على الكذب؟ فقال: أما إنك لو تغرغرت به مرة ما نسيت حلاوته.

قيل لكذاب: هل صدقت قط؟ قال: أكره أن أقول لا فأصدق.

قال جميل العذرى:

لحا الله من لا ينفع الود عنده ... ومن حبله إن مد غير متين

ومن هو ذو لو نين ليس بدائم ... على خلق خوان كل أمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أد الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك ".

باب الحق والباطل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحق ثقيل، فمن قصر عنه عجز، ومن جاوزه ظلم، ومن انتهى إليه فقد اكتفى ". ويروي هذا لمجاشع بن نهشل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يبطل حق امرئ وإن قدم ".

وقال عليه السلام: " رحم الله عمر بن الخطاب، تركه الحق ليس له صديق ".

لما استخلف أبو بكر عمر، قال لمعيقيب الدوسى: ما يقول الناس في استخلافي عمر؟ قال: كرهه قوم، ورضيه آخرون. قال: فالذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه؟ قال: بل الذين كرهوه. قال: إن الحق يبدو كريها وله تكون العاقبة، والعاقبة للتقوى.

قالوا: من قصد إلى الحق اتسمت له المذاهب حجة، ومن تعداه ضاق به أمره، وما هلك امرؤ عرف قدره.

قالوا: الحكمة تدعو إلى الحق، والجهل يدعو إلى السفه، كما أن الحجة تدعو إلى المذهب الصحيح، والشبهة تدعو إلى المذهب الفاسد.

قال بعض الحكماء: من جهلك بالحق والباطل، أن تريد إقامة الباطل بإبطال الحق.

قال الأعرابي، وقد ذكر عنده الإصلاح والإفساد، فقال: لاتمنعن كثيرا من حق، ولا تضعن قليلا في الباطل، فما حرك حق وباطل إلا كان لهما شهود. **قال بعض الحكماء**: لها يعيد الرجل عاقلا، حتى يستكمل ثلاثا: إعطاء الحق من نفسه في حال الرضا والغضب، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه، وألا ترى له زلة عند ضجره. وقد تقدم قول أبي العتاهية في باب

الرجاء والخوف:

ومن ضاق عنه الحق ضاقت مذاهبه

ولأبي العتاهية أيضا:

الباطل الدهر يلفي لا ضياء له ... والحق أبلج فيه النور يأتلق". (١)

١٢٠٣-"لما احتضر أبو بكر الصديق، أرسل إلى عمر، فقال: ياعمر! إن وليت على الناس فاتق الله، والزم الحق، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان إذا وضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت يوم القيامة، باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان وضع فيه الباطل أن يكون خفيفا، واعلم أن الله عملا بالليل لا يقبله بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، وأن الله عز وجل ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا كوتهم قلت: إني الخائف ألا ألحق بهم، وأن الله عز وجل ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسنها، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لخائف أن أكون مع هؤلاء، وأن الله عز وجل ذكر آية الرحمة مع آية العذاب، ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله فإن أنت حفظت وصيتي، فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت وهو أيتك، وإن ضيعت وصيتي فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه.

كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية: أن الزم الحق، ينزلك الحق في منازل أهل الحق، يوم لا يقضى إلا بالحق، أول كتاب كتبه على بن أبي طالب في خلافته: أما بعد، فإنما هلك من كان قبلكم، أنهم منعوا الحق حتى اشترى، وبسطوا الباطل حتى اقتدى.

وقال على بن أبي طالب لرجل من الخوارج: والله ما عرفت حتى ظهر الباطل قال وبرة المكى: سمعت عن ابن عباس كلمات لهى أحب إلى من الدهم الموقفة، قال: لا تتكلمن فبما لا يعينك حتى ترى له موضعا، فرب متكلم بالحق في غير موضعه قد غيب، لا تمارين سفيها ولا حليما، فإن السفسه يؤذيك، والحلم يقليك، ولا تذكرن أخاك إذا غاب عنك إلا بمثل ما تحب أن ذكرك به إذا غبت عنه، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزى بالإحسان، ومأخوذ بالأجرام، فقال: رجل عنده: يا ابن عباس! لهذه خير من عشرة آلاف. قال: كلمة منها خير من عشرة آلاف.

قال ابن مسعود: من كان على الحق، فهو جماعة وإن كان وحده.

قال غيره: الحق ثقيل، وطلابه قليل.

وقال غيره: الحق كثير، والقائلون به يسير.

وقال غيره: الأحمق يغضب من الحق، والعاقل يغضب من الباطل وكان يقال: من هلك في دولة الباطل، أكثر ممن حيي بالباطل.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٢٧

قال أنو شروان: إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط.

قال عبد الله بن مسعود: تكلموا بالحق تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله.

قال أبو العتاهية:

وللحق برهان وللموت فكرة ... ومعتبر للعالمين قديم

قال مالك ابن أنس: إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد في الأرض.

وقال: إن لزوم الحق نجاة، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة.

قال سعد بن أبي وقاص لسلمان: أوصني. قال: أخلص الحق يخلصك. وأظن هذا من قول القائل: أعز الحق يذل لك الباطل.

كان يقال: من لم يعمل من الحق إلا بما وافق هواه، ولم يترك من الباطل إلا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب، ولم يفلت من إثم الباطل.

قال العتابي:

وما كل موصوف له الحق يهتدي ... ولا كل من أم الصوى يستبينها

الصوى: جمع صوة، وهي حجارة تجعل أعلاما في الطريق.

قال رجل لخصمه: لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق **وقال بعض الحكماء**: المنعة نفور، ولقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها، فاستدع شاردها بالتوبة، واستدم والراهن منها بكرم الجوار، واستفتح باب المزيد بحسن التوكل، فقد أعرب لك الحق عن نفسه، وصدقك عن أمره.

قال منصور الفقيه:؟ إن بين الحق والب - طل فرقا لا يحيل

وعلى نية ذي القو ... ل من القول دليل

فقل الحق وإن قي ... ل لك الحق ثقيل

فاتق الله إذا ... شوورت وانظر ما تقول

لا يضرنك إن قا ... ل من الناس جهول

إن قول المرء فيما ... لم يسل عنه فضول

وقال الصلتان العبدى:؟؟؟؟؟؟؟ وللحق بين الناس راض وجازع وللأذناب فيه للرءوس توابع". [١]

١٢٠٤-"والطف ولن وتأن وانصر واحتمل ... واحزم وجد وحام واحمل وادفع

هذا الطريق إلى المكارم مهيعا ... فاسلك فقد أبصرت قصد المهيع

فاستحسن طاهر الأبيات،وقال:والله لقد أفدتني ما يجب به شكرك،فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين،وأكسبه ألف ألف

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٢٨

درهم.

وقال آخر:

إذ هلكت أسد العرين ولم يكن ... لها خلف في الغيل ساد الثعالب

كذا القمر الساري إذا غاب لم يكن ... له خلف في الجو إلا الكواكب

قال بعض الحكماء:من ابتغى المكارم فليجتنب المحارم.

باب حمد الحلم وذم السفه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد لقيس: " يا أشج عبد لقيس أو يا منذر! فيك خصلتان يرضاهما الله ورسوله:الحلم والأناة " فقال:يا رسول الله! أشئ جبلني الله أم شئ اخترعته من قبل نفسي؟.

فقال: " بل شئ جبلك الله عليه ".فقال:الحمد لله الذي جبلني على خلق يرضاه الله ورسوله.

قال الشعبي:زين العلم حلم أهله.

قال رجاء بن أبي سلمة:الحلم أرفع من العقل،لأن الله تسمى به.

قال معاوية:إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أرجح من حلمي.

وقال معاوية لعمرو بن العاص:من أبلغ الناس؟ قال:من ترك الفضول،واقتصر على الإيجاز.

قال:فمن أصبر الناس؟ قال:من بذل دنياه في صلاح دينه قال:فمن أشجع الناس؟ قال:من رد جهله بحلمه.

قال محمد بن أبي شحاذ:

إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل ... عليك بروق جمة ورواعد

سئل الأحنف عن الحلم،فقال:هو الذل والصبر.

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه،قال:إني لأجد ما تجدون،ولكني صبور.

وقال أيضا:وجدت الحلم أنصر لي من الرجال.

قال عمر بن عبد العزيز:ما قرن شئ إلى شئ أحسن من حلم إلى علم،ومن عفو إلى قدرة.

وقد روينا هذا الكلام لمن هو أسن من عمر وأكبر.

وقال بلعاء بن قيس:

أبيت لنفسي الخسف لما رضوا به ... وأوليتهم سمعي وما كنت مفحما

وقال شريح:الحلم كنز موقر،والحليم مطية الجهول.

قالوا:بالعقل استخرج غور الحكمة،وبالحلم استخرج غور العقل.

قال أبو العتاهية:

فيارب هب لي منك حلما فإنني ... أرى الحلم لم يندم عليه حليم

ويارب هب لي منك عزما على التقي ... أقيم به ما عشت حيث أقيم

ألا إن تقوى الله أكرم نسبة ... تسامى بها عند الفخار كريم

قال الخريمي:

أرى الحلم في بعض المواطن ذلة ... وفي بعضها عزا يسود فاعله

قال عمارة بن عقيل:

إذا أغضبت ذا كرم تخطى ... إليك ببعض أخلاق اللئيم

وإن الله ذو حلم ولكن ... بقدر الحلم منتصف الحليم

وقال آخر:

بني هلال ألا تنهوا سفيهكم ... إن السفيه إذا لم ينه مأمور

وقال حسان بن ثابت:

رب حلم أضاعه عدم المال ... وجهل غطى عليه النعيم

وقال أوس بن حجر:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا ... أصبت حليما أو أصابك جاهل

وقال صالح بن جناح،ويروي لغيره:

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج

وما كنت أرضى الجهل خدنا ولا أخا ... ولكنني أرضى به حين أحرج

فإن قال بعض الناس في سماجة ... فقد صدقوا والذل بالحر أسمج

وقال أبو يعقوب الخريمي:

وإنك تلقى صاحب الجهل نادما ... عليه ولا يأسى على الحلم صاحبه

وقال حبيب الطائي:

إذا جاريت في خلق دنيا ... فأنت ومن تجاريه سواء

إذا ما رأس أهل البيت ولي ... بدا لهم من الناس الجفاء

ولآخر:

أبا حسن ما أقبح الجهل بالفتى ... وللحلم أحيانا من الجهل أقبح

إذا كان حلم المرء عون عدوه ... عليه فإن الجهل أعفى وأروح

وفي العفو ضعف والعقوبة قوة ... إذا كنت تخشى كيد من عنه تصفح

وقال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال آخر:". (١)

١٢٠٥-"إذا نهى السفيه جرى إليه ... وخالف والسفيه إلى خلاف

كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه بسيفه،فقيل له في ذلك،فقال:إن جاءنا سفيه رد عنا سفهه،لأنا لا ندري ما نقابل به السفهاء.

وقال ابن المعتز:

ولكل عقل غفوة أو سهوة ... والحر محتاج إلى التنبيه

والعاقل النحرير محتاج إلى ... أن يستعين بجاهل معتوه

وقال آخر:

ولربما اعتضد الحليم بجاهل ... لا خير في اليمنى بغير يسار

وقال آخر:

وليس الحليم الذي كل ساعة ... به غضب في لأنفه بتوقد

إذا أمن الجهال جهلك لم تزل ... عليك بوادي جهلهم تتورد

وإن عقاب الجاهلين لذاهب ... بحلمك فانظر أي هاتين تعمد

كان يقال:ليس الحليم من قذف فكظم، ولكن من صدم فصبر.

قال البحتري:

أرى الحلم بؤسا في المعيشة للفتى ... ولا عيش إلا ما حباك به الجهل

وقال آخر:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي أصم وأذني غير صماء

وقال آخر:

ولا خير في عرض امرئ لا يصونه ... ولا خير في حلم امرئ ذل جانبه

وقال مروان بن الحكم:

إذا أمن الجهال جهلك مرة ... فعرضك للجهال غنم من الغنم

وإن أنت باذيت السفيه إذا بذا ... فأنت سفيه مثله غير ذي حلم

فلا تقرضن عرض السفيه وداره ... بحلم فإن أعيا عليك فبالصرم

ومن عاتب الجهال لم يشف غيظه ... ولكنه يزداد سقما إلى سقم

فدع عنك في كل الأمور عتابه ... فإنك إن عاتبته صار كالخصم

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٣٤

وغم عليه الحلم والجهل والقه ... بمنزلة بين العداوة والسلم

فيرجوك أحيانا ويخشاك تارة ... ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم

فإن لم تجد بدا من الجهل فاستعن ... عليه بجهال فذاك من العزم

وقال أبو دهبل الجمحي:

وكانوا أناسا كنت آمن غيبهم ... فلم ينههم حلم ولم يتحرجوا

قال منصور الفقيه:

إذا رشوة من باب قوم تقحمت ... لتدخل فيه والأمانة فيه

سعت هربا منه وولت كأنها ... حليم تنحى عن جواب سفيه

وقال آخر:

العفو عند لبيب القوم مكرمة ... وبعضه لسفيه الرأي تدريب

باب مدح الجود والكرم وذم البخل واللؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وبالفجور ففجروا " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لولا ثلاث صلح الناس:شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه ".

قال الزبير بن العوام في خطبة خطبها بالبصرة: أيها الناس إن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يوما بعمامتي من ورائي فقال: " يا زبير إن الله يقول: أنفق أنفق عليك، ولا توكئ فيوكأ عليك.

أوسع يوسع عليك، ولا تضيق فيضيق عليك. واعلم أن الله يحب الإنفاق ولا يحب الإقتار، ويحب السماحة ولو على فلق تمرة، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب، واعلم يا زبير أن لله كنوز أموال سوى الأرزاق التي قسمها بين العباد، محتبسة عنده لا يعطى أحدا منها شيئا إلا من سأله من فضله، فاسألوا الله من فضله ".

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: البخل جلباب المسكنة، وربما دخل السخي بسخائه الجنة.

قال: ومن البخل ترك حق قد وجب لخوف شيء لم يقع.

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أقيلوا الكرام عثراتهم " ويروى. " أقيلوا ذوى الهبات زلاتهم ".

وروي عنه عليه السلام أنه قال: " المؤمن كريم، والفاجر لئيم ".

قال جعفر بن محمد: قال الله عز وجل: أنا جواد كريم، لا يجاورني في جنتي لئيم.

قيل للأحنف: ما الجود؟ قال: بذل القرى، وكف الأذى. قيل: فما البخل؟ قال طلب اليسير ومنع الحقير. وقد روى هذا من كلام أكثم بن صيفي والله أعلم.

سئل الخليل بن أحمد عن الجود، فقال. بذل الموجود.

قال بعض الحكماء: من أيقن بالخلف جاد بالعطية.". [(١)]

١٢٠٦-"قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إن مما يصفى لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس.

قال بعض الحكماء: رأس المداراة ترك المماراة.

وفي الحديث المرفوع: " إذا أحب الله عبدا أحبه الناس ".

أخذه الشاعر فقال:

إذا أحب الله يوما عبده ... ألقى عليه محبة في الناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بشراركم "؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: " من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة. ألا أنبئكم بشر من ذلكم " قالوا: بلى. قال: " من يبغض الناس ويبغضونه ".

روينا أن داود عليه السلام، جلس كئيبا خاليا، فأوحى الله إليه: مالى أراك خاليا؟ قال: هجرت الناس فيك. قال: أفلا أدلك على شئ تبلغ رضاي؟ خالق الناس بأخلاقهم، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك.

كان يقال: من رضى من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم.

قال أكثم بن صيفي: من تشدد فرق، ومن تراخى تألف، والسرور في التغافل.

قال علي رضى الله عنه: شرط الصحبة إقاله العثرة، ومسامحة العشرة، والمواساة في العسرة.

قيل للعتابي: إنك تلقى الناس كلهم بالبشر! قال: دفع ضغينة بأيسر مؤونة،واكتساب إخوان بأيسر مبذول.

قال محمود الوراق:

أخو البشر محمود على كل حالة ... ولن يعدم البغضاء من كان عابسا

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للعرض حارسا

قال أعرابي يمدح رجلا بساما هو زياد الأعجم يمدح عبد الله بن عامر ابن كريز.

أخ لك ما تراه الدهر إلا ... على العلات بساما جوادا

سألناه الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا

مرارا ما أعود إليه إلا ... تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

وقال آخر:

ولي صاحب كالموت يوم فراقه ... تغير والأيام جم عجيبها

أريد له هجرا لبعض خلاله ... فتعطفي أخرى له فأجيبها

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٣٥

وقال آخر:

أخ لي كأيام الحياة إخاؤه ... تلون ألوانا كثيرا خطوبها

إذا عبت منه خلة فهجرته ... دعتني إليه خلة لا أعيبها

وقال ابن وكيع:

من لم يدار الناس عن علم بهم ... انصرفوا وكلهم له عدا

وقال كثير:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولا يسلم الدهر صاحب

وقال آخر:

وكم من أخ لم يحتمل منه خلة ... قطعت ولم يمكنك منه بديل

ومن لم يرد إلا خليلا مهذبا ... فليس له في العالمين خليل

قال آخر:

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا ... فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا ... فإنك لا تدري متى أنت راجع

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع: " أحبب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما ".

وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية:

قل لمن يعجب من ... حسن رجوعي ومقالي

رب صد بعد ود ... وهوى بعد تقالى

قد رأينا ذا كثيرا ... جاريا بين الرجال

أنشد حبيب للفند الزماني وقال الجاحظ لا أظنها له:

صفحنا عن بنى ذهل ... وقلنا: القوم إخوان

عسى الأيام أن يرجع ... ن قوما كالذي كانوا

قال آخر:

وكنت إذا صبحت رجال قوم ... صحبتهم وشيمتي الوفاء

فأحسن حين يحسن محسونهم ... وأجتنب الإساءة إن أساءوا

وأبصر ما ينقصني بعين ... عليها من عيونهم غطاء

وقال آخر:

ما نالت النفس على شهوة ... ألذ من ود صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك المغبون حق اليقين

قال آخر:

استوحش الناس على جدا ... ولا أرى لي من أناس بدأ". (١)

١٢٠٧-"الذي إن حضرت زانك في الحي ... وإن غبت كان أذنا وعينا

أنت في معشر إذا غبت عنهم ... بدلوا كل ما يزينك شينا

وإذا ما حضرت قالوا جميعا: ... أنت من أكرم العباد علينا

وقال آخر:

لحا الله وصلا إن تغيبت ساعة ... فأنت وأقصى الناس فيه سواء

وخلا إذا لم تأته بهدية ... بدت لك منه غفلة وجفاء

وقال المثقب العبدي:

تواعدني مواعد كاذبات ... تمر بها رياح الصيف دوني

فإما أن تكون أخي بحق ... فيعرف منك غثى من سميني

وإلا فاطرحني واتخذني ... عدوا أتقيك وتتقيني

فإني لو تعاندني شمالي ... عنادك ما وصلت بها يميني

إذا لقطعتها ولقلت بيني ... كذلك أجتوى من يجتويني

وقال آخر:

أفا وتفا لمن مودته ... إن زلت عنه سويعة زالت

إن مالت الريح هكذا وكذا ... مال مع الريح حيثما مالت

وقال صالح بن عبد القدوس:

قل الذي لست أدري من تلونه ... أناصح أم على غش يداجيني

إني لأكثر مما سميتني عجبا ... يد تشج وأخرى منك تأسوني

تغتابني عند أقوام وتمدحني ... في آخرين،وكل عنك يأتيني

هذان أمران شتى البون بينهما ... فاكفف لسانك عن ذمي وتزييني

لو كنت أعلم منك الود هان إذا ... علي بعض الذي أصبحت توليني

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم ... ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

أرضي عن المرء ما أصفى مودته ... وليس شئ من البغضاء يرضيني

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٤٣

والله لو كرهت كفى مصاحبتي ... لقلت إذ كرهت قربي لها بيني

ثم انثنيت على الأخرى فقلت لها: ... إن تسنديني وإلا مثلها كمني

لا أبتغي ود من يبغي مقاطعتي ... ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

إني كذاك إذا أمر تعرض لي ... خشيت منه على دنياي أو ديني

خرجت منه وعرضي ما أدنسه ... ولم أقم غرضا للنذل يرميني

رب امرئ أجنبي عن ملاطفتي ... محض المودة في البلوى يواسيني

وملطف بي مدار ذي مكاشرة ... مغض على وغر في الصدر مكنون

ليس الصديق الذي تخشى بوادره ... ولا العدو على حال بمأمون

وقال آخر:

لسانك معسول ونفسك شحة ... ودون الثريا من صديقك مالكا

وقال آخر:

بنو عبس أشد الناس بغضا ... لنا وأشدهم بغضا إلينا

فلا تقبل شهادتنا عليهم ... ولا تقبل شهادتهم علينا

قال لقمان لابنه:ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن:لا يعرف الحليم إلا عند الغضب،ولا الشجاع إلا عند الحرب،ولا الأخ إلا عند الحاجة.

قال بعض الحكماء:الإخوان بمنزلة النار،قليلها متاع،وكثيرها بوار،فلا تسرن بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أخيارا.

قال أسماء بن خارجة:إذا قدمت المودة سمج الثناء.

قال أبو العتاهية:

انت ما استغنيت عن صاحبك ... الدهر أخوه

فإذا أحتجت إليه ... ساعة مجك فوه

لو رأى الناس نبيا ... سائلا ما رحموه

وقال سويد منجوف:

فأبلغ مصعبا عني رسولا ... وهل تجد النصيح بكل واد

تعلم أن أكثر من تناجي ... وإن ضحكوا إليك هم الأعادي

وقال آخر:

لعمرك ما ود اللسان بنافع ... إذا لم يكن أصل المودة في القلب

كان يقال:تناس مساوئ الإخوان،يدم لك ودهم.

وقال آخر:

يا غارسا الكروم ... بجهله وسط السباخ
ومحضنا بيض القطا ... تحت الحد الرجا الفراخ
إن الذين تودهم ... هم ناصبو شبك الفخاخ
ذهب الزمان بأهله ... فانظر لنفسك من تؤاخ
وقال عبدة بن الطيب:". (١)

١٢٠٨-"إن الذين تروNهم إخوانكم ... يشفش صداع رءوسهم أن تصرعوا
فضلت عداوتهم على أحلامهم ... وأبت ضباب صدورهم ما تنزع
لا تأمنوا قوما يشب صبيهم ... بين الوابل بالعداوة يرضع
قال لقمان لابنه:يا بني! إياك وصاحب السوء،فإنه كالسيف المسلول،يعجبك منظره،ويقبح أثره.
قال المثقب العبدي:
وصاحب السوء كالداء العياء إذا ... ما ارفض في الجوف يجري هاهنا وهنا
ينبي ويخبر عن عورات صاحبه ... وما رأى عنده من صالح دفنا
كمهر سوء إذا رفعت سيرته ... رام الجماح وان أخفضته حرنا
إن يحي ذاك فكن منه بمعزلة ... أو مات ذاك فلا تقرب له جننا
ولقعنب بن أم صاحب،وهو قعنب بن حمزه،أحد بني عبد الله بن غطفان، يهجو بني ضبة حي من غطفان:
صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
فطانة فطنوها لو تكون لهم ... مروءة أو تقى لله ما فطنوا
إن يسمعوا سيئا طاروا به فرحا ... مني،وما سمعوا من صالح دفنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن
فلن يراجع ودى ودهم أبنا ... وكنت من بغضهم مثل الذي زكنوا
روى عن معاذ بن جبل، وقد رفعه بعضهم، قال: إذا أحببت أخا في الله فلا تماره ولا تساره عنه أحدا، فربما صادفت له عدوا فأخبرك بما ليس فيه، فحال بينك وبينه.
قال أبو الأسود الدؤلى:
وصله ما استقام الوصل منه ... ولا تسمع به قيلا وقالا
قال محمود الوراق:
لست ممن يماذق الصاحب ال ... ود إذا أظهر الجفاء الصريحا

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٥٤

أنا أنهاه ما استطعت فإن لج ... أعرت الفؤاد يأسا مريحا

غير أني على القطيعة لا أظ ... هر هجرا ولا أقول قبيحا

باب العتاب

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أعقل الناس أعذرهم لهم.

قال الأحنف: العتاب مفتاح التقالى، والعتاب قرين الحقد.

وعن الأصمعي قال: قال أعرابي: عاتب من ترجو رجوعه.

قال بعض الحكماء: العتاب علامة الوفاء، وسلاح الأكفاء، وحاصد الجفاء.

قال العتابي: ظاهر العتاب خير من مكنون الحق، وضربة الناصح خير من محبة الشاني.

قال بعض الحكماء: من كثر حقده قل عتابه.

قال محمد بن داود: من لم يعاتب على الزلة، فليس بحافظ للخله.

قال أسماء بن خارجة الإكثار من العتاب، داعية إلى الملال.

قيل لبعض الأعراب: من الأديب العاقل؟ قال: الفطن المتغافل.

قال بعض الأدباء: من أحب أن يسلم له صديقه، فليقبل عذره، وليقل عتابه، فإن العتاب يجر الملال.

قال غيره: العتاب مفتاح القطيعة.

قال عمرو بن بحر العتاب رائد الإنصاف وشفيع المودة، ويد للمحافظة.

أنشدنا الرياشي،وهي لهشام الرقاشي:؟ أبلغ أبا مسمع عني مغلغلة وفي العتاب حياة بين أقوام

قدمت قبلي رجالا لم يكن لهم ... في الحق أن يلجوا الأبواب قدامي

لو عد قبر كنت أمرمهم ... قبرا وأبعدهم من منزل الذام

وقال عبيد الله بن طاهر:؟ أعاتب من يحلو بقلبي عتابه وأترك من لا أشتهينلا أعاتبه وقال آخر:؟ وليس عتاب المرء للمرء نافعا إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه وقال آخر:؟ أعلتب من أحببت في كل زلة ليحتمى الأمر الذي معه العتب

فإني أرى التأديب عند وجوبه ... بمنزلة الغيث الذي قبله الجدب

وقال على بن الجهم:؟ أعاتب ذا المودة من صديق إذا ما رابني منه اجتناب

إذا ذهب العتاب فليس ود ... ويبقى الود ما بقي العتاب

وقال آخر:

لولا محبتكم لما عاتبتكم ... ولكنم عندي كبعض الناس

وقال نصر بن أحمد:؟ وتعاتب الإخوان فيما بينهم بعث على الإجلال والإكرام

لولا اعترافي باعترافك في الذي ... تأتي وتترك ما أتاك ملاميوهذا يشبه قول البحتري:

؟ أبا حسن ما كان عتبيك دونهم لواحدة إلا لأنك تفهم وقال نصر بن أحمد:". [١]

١٢٠٩-"وقال محمد بن أبي حازم الباهلي:

رب غريب ناصح الجيب ... وابن أب متهم الغيب

ورب عياب له منظر ... مشتمل الثوب على العيب

قال محمد بن أبان اللاحقي يخاطب أخاه إسماعيل:

تلوم على القطيعة من أتاها ... وأنت سننتها للناس قبلي

واللاحقي هو القائل:

إخفض الصوت إن نطقت بليل ... والتفت بالنهار قبل الكلام

وفي معنى قول اللاحقي في البيت الأول قول الهذلي:

فلا تفزعن من سيرة أنت سرتها ... فأول راض سنة من يسيرها

باب المملوك والمالك

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا يدخل الجنة سيء المملكة ".

كان يقال: التسلط على المملوك دناءة.

وقال بعض الحكماء: اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك، وعند حكمك حكم الله فيك.

كان يقال: أنعم الناس عيشا من حسن عيش غيره في عيشه.

كان يقال: اللإحسان إلى الخادم يشجي العدو، ويذهب البؤس، والكسوة تظهر الغنى.

قال عمر بن الخطاب: أكثروا شراء الرقيق، فرب عبد يكون أكثر رزقا من سيده.

اشترى عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي عبد بني الحسحاس واسمه سحيم، وكان حبشيا سمحا شاعرا، وكتب إلى عثمان بن عفان: إني قد اشتريت لك غلاما حبشيا شاعرا فكتب إليه عثمان: لا حاجة لي به، فإنما حظ أهل العبد الشاعر إذا شبع أن يشبب بنسائهم، وإذا جاع أن يهجوهم.

قال لقمان لابنه: يا بني إياك وخدمة العين. قال: وما خدمة العين؟ قال: ألا يكون لك عبد لا يخدمك إلا حيث يراك.

باع أعرابي غلاما له من قوم من أهل البصرة، فجعلوه سقاء على ظهر بعير لهم،فلبث الأعرابي حينا ثم لقيه فسأله عن حاله؟ فقال: أنا في سفر لا ينقضي، وغدير لا ينزح، وقوم لا يروون.

قال بعض الحكماء: أفضل المماليك الصغار، لأنهم أحسن طاعة، وأقل خلافا،وأسرع قبولا.

كان يقال: استخدم الصغير حتى يكبر، والأعجمي حتى يفصح.

روى سفيان بن عيينة، عن سليمان الأحول، عن ابن معبد، عن ابن عباس،قال: من حلف على ملك يمينه أن يضربه

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٥٥

فكفارته تركه، ومع الكفارة حسنة.

قال أبو الفتح:

بطرتم فطرتم والعصا زجر من عصا ... وتقويم عبد الهون بالهون رادع

وقالآخر:

إذا لم يكن في منزل المرء حرة ... رأى خللا فيما تدير الولائد

فلا يتخذ منهن حر قعيدة ... فهن لعمر الله بئس القعائد

قال آخر:

العبد يزجر بالعصا ... والحر تكفيه الملامة

وقال آخر:

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الإشارة

أخده من قول مالك بن الريب:

العبد يقرع بالعصا ... والحر يكفيه الوعيد

وقال بشار:

الحر يلحى والعصا للعبد ... وليس للملحف مثل الرد

كان يقال الحر حر وإن مسه الضر، والعبد عبد ولو مشى على الدر أخذه الشاعر فقال:

وإن الحر في الحالات حر ... وإن الذل يقرن بالعبيد

وقال يزيد المهلبي:

إن العبيد إذا أذللتهم صلحوا ... على الهوان عن أكرمتهم فسدوا

قال المتنبي:

لا تشتري العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد

وقال آخر:

إذا برم المولى بخدمة عبده ... تجنى له ذنبا وإن لم يكن ذنب

باب الذكر والثناء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم "؟ قالوا:بم ذا يا رسول الله؟ قال: " بالثناء الحسن والثناء السيء، أنتم شهداء الله في الأرض، بعضكم على بعض ".

قال عبد الله بن مسعود: عنوانصحيفة الميت ثناء الناس عليه.

وروى ذلك عن ابن عمر أيضا.

قال كعب الأحبار: إذا أحببتم أن تعملوا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن ثناء.

قال مطرف بن الشخير: عنوان كرامة الله لعبده حسن الثناء عليه، وعنوان هوانه سوء الثناء عليه.

قال بعض الحكماء: الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل.

ومن ها هنا والله أعلم أخذ ابن دريد قوله:

وإنما المرء حديث بعده ... فكن حديثا حسنا لمن وعى

قال آخر:". (١)

١٢١٠-"فقال: أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك؟ قلت: نعم. قال: صحبتك السلامة، ورزقت العافية. وخرجت من عنده فما وصلت إلى موضعي، حتى سبقني خمسة عشر بغلا عليها عصب اليمن، ودراهم، وضروب من الخير، فقضيت ديني وتأثلت منه كنزا مما بيدي اليوم.

باب مدح مغالبة الهوى وذم اتباعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حبك الشئ يعمي ويصم ".

قال وهب بن ممبه: العقل والهوى يصطرعان، فإيهما غلب مال بصاحبه.

قال ابن دريد:

وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا

قال عمر بن عبد العزيز: أفضل الجهاد جهاد الهوى.

قال بعض الحكماء: من نظر بعين الهوى خاف، ومن حكم بالهوى جار قال سفيان الثوري: أشجع الناس أشدهم من الهوى أمتناعا.

وقال: من المحقرات تنتج الموبقات.

ويقولون: إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا:

إذا أنت لم تعصي الهوى قادك الهوى ... إلى بعض ما فيه عليك مقال

" قلت: لو قال: إلى كل ما فيه عليك مقال "كان أبلغ وأحسن.

قال بعض الحكماء: إنما يحتاج اللبيب ذو الرأى والتجربة إلى المشاورة ليتجرد له رأيه من هواه.

قال بعضهم: اعص النساء وهواك، واصنع ما شئت.

قلت: لو قال اعص الهوى لاكتفي.

قيل للمهلب: بم ظفرت؟ قال: بطاعة الحزم وعصيان الهوى.

قالوا: ما ذكر الله تعالى الهوى في شيئ من القرآن إلاذمه.

قيل لشريح: أحمد الله لما سلمك من الفتن. قال: كيف أصنع بقلبي وهواي؟ قال: الهوى غالب، والقلوب مغلوبة.

قال امتدح بترك الهوى من الحكماء، قال الزبير بن عبد المطلب:

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٦٧

وأجتنب البوائق حيث كانت ... وأترك ما هويت لما خشيت

أخبرنا عبد الوارث، حدثنا قاسم، حدثنا نصر بن محمد الأسدي الكوفي، حدثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي، حدثنا مخلد بن حسين، حدثنا هشام ابن حسان، عن محمد بن سيرين قال: بيتا عمر بن الخطاب يجوس ذاتة ليلة إذ سمع امرأة وهي تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فلما أصبح قال: علي بنصر. فجيء به، فإذا هو أجمل الناس، فقال: إنها المدينة فلا تساكني فيها. فخرج إلى البصرة فنزل على ابن عم له، هو أمير البصرة، فبينما هو جالس مع ابن عمه وامرأته، إذ كتب في الأرض: إني لأحبك حبا لو كان فوقك لأظلك، ولو كان تحتك لأقلك. فقرأته وكتبت تحته: وأنا. وكان الأمير لا يقرأ، فعلم أنه جواب كلام، فأكفأ عليه إناء وقام وبعث إلى من يقرأه، فبلغ ذلك نصرا، فلم يجئ إليه، ومرض حتى سل وصار شبه الفرخ، فأخبر الأمير بذلك، فقال: اذهبي إليه، فأبت، فقال: عزمت عليك إلا ذهبت إليه وأسندته إلى صدرك وأطعمته.

قال: فلما أتت الباب قيل له: هذه فلانة. فكأنه انتعش شيئا، فصعدت إليه وأسندته إلى صدرها وأطعمته، فأفاق، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقه بعدها.

قال إبراهيم بن عثمان: الأمير مجاشع بن مسعود السلمى، وامرأته الخضراء.

قال إبراهيم بن عثمان: وأخبرني محمد بن كثير، أن نصر بن حجاج كتب إلى عمر رضي الله عنه:

لعمري لئن سيرتني وحرمتني ... وما جئت ذنبا إن ذا لحرام

ومالي ذنب غير ظن ظننته ... وفي بعض تصديق الظنون أثام

أأن غنت الذلفاء يوما بمنية ... وبعض أماني النساء غرام

ظننت بي الأمر الذي لو أتيته ... لمل كان لي في الصالحين مقام

ويمنعني مما تمنت حفيظتي ... وآباء صدق صالحون كرام

ويمنعها مما تمنت صلاتها ... وبيت لها في قومها وصيام

فهاتان حالانا فهل أنت راجعي ... فقد جب مني غارب وسنام

قال بعض الحكماء: الهوى عدو العقل، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرك من تشاوره فاجتنب أقربهما إلى هواك.

ومما ينسب إلى الشافعي، وأظنه لسهل الوراق:

إذا حار ذهنك في معنيين ... وأعياك حيث الهوى والصواب

فدع ما هويت فإن الهوى ... يقود النفوس إلى ما يعاب". (١)

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٧١

١٢١١-"نقاسمها المعيشة كل يوم ... ونكسوها البراقع والجلالا

قال الحسن البصري: الجفاء مع أذناب الإبل، والذلة مع أذناب البقر، والسكينة مع أذناب الغنم، والعز مع نواصي الخيل وقد روى بعض هذا مرفوعا. قال خالد بن صفوان: الخيل للرغبة والرهبة، والبراذين للدعة، والبغال للسفر البعيد والأثقال، والإبل للتحمل، والحمير للزينة وخفة المؤونة.

ساير شبيب بن شيبة بعض الأمراء، وهو على برذون، والأمير على فرس، فقال له الأمير: سر، فقال: كيف أسايرك وأنت على فرس، إن تركته سار، وإن حركته طار، وأنا على برذون، إن تركته وقف، وإن ضربته قطف. فأمر له بفرس فاره.

قيل لأعرابي: صف لنا فرسك. قال: سوطه عنانه، وهمه أمامه، وما ضربته قط إلا ظالما له.

بعث الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بفرس، وكتب إليه: قد وجهت إليك بفرس حسن المنظر، محمود المخبر، أسيل الخد، رشيق القد.

قال بعض الحكماء: أكرم الخيل أجزعها من الضرب، وأكرم الصفايا أشدها ولها إلى أولادها، وأكرم الإبل أشدها حنينا إلى أوطانها، وأكرم المهار أشدها ملازمة لأمهاتها.

للحسن بن يسار:

يا فارسا ترهب الفرسان صولته ... أما علمت بأن النفس تفترس

يا راكب الفرس السامي بغرته ... ولابس السيف يحكي لونه القبس

لا أنت تبقى على سيف ولا فرس ... وليس يبقى عليك السيف والفرس

وهو شعر جيد محكم، فيه مواعظ وحكم، وأوله:

إن الحبيب من الأحباب مختلس ... لا يمنع الموت حجاب ولا حرس

قال بعض البلغاء: البغل تواضع عن خيلاء الخيل، وارتفع عن ذلة العير، فهو وسط، وخير الأمور أوساطها.

قال ابن أبي طاهر: ما وصف برذون بأحسن من قول المسلمي من ولد مسلمة بن عبد الملك، واسمه محمد بن يزيد:

فإذا احتبى قربوسه بعنانه ... علك الشكيم إلى انصراف الزائر

باب الطعام والأكل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعجبه الذراع.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سيد أدام الدنيا والآخرة، اللحم ".

قال سفينة: أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حباري، وقال في الضب: " لست بآكله ولا بمحرمه ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فلا تأكلوا الثوم ولا البصل، ومن أراد أكلهما فليمتهما طبخا ".

والكراث والفجل في معنى الثوم والبصل.

قال عمر بن الخطاب: إياكم واللحم، فإن له ضراوة كضراوة الخمر.

إنما كره الإدمان عليه، والله أعلم، لما فيه من التنعم والتشبه بالأعاجم، ألا ترى أنه كتب إلى عماله: اخشوشنوا، وإياكم والتنعم وزي العجم.

ذكر عند بعض العرب اللحم، فقال: إنه ليقتل السباع. يريد إدخال بعضه على بعض قبل تمام الهضم – والله أعلم.

خطب عمر بن الخطاب يوما، فقال: إياكم والبطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة، مؤذية للجسم. وعليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أبعد من الأشر، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة، وإن امرءا لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

مر علي بن أبي طالب بمجلس من مجالس الأنصار، فسلم عليهم، فقاموا له وحفوا به ورحبوا وقالوا: لو نزلت فأكلت من طعامنا، فقال لهم: إما حلفتم علينا، وإما انصرفنا.

قال علي بن أبي طالب: المعدة حوض البدن، والعروق واردة عليها وصادرة عنها، فإذا صحت صدرت العروق عنها بالصحة، وإذا سقمت صدرت العروق بالسقم.

قال بعض الأطباء: اللحم ينبت اللحم، والشحم لا ينبت اللحم ولا الشحم.

قال علي بن أبي طالب: الشحم يخرج مثله من المدا.

أتى عمر بن عبد العزيز بيته يوما، فقال: هل عندكم من طعام؟ فأصاب تمرا وشرب من ماء، وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله.

قيل للشعبي: أي الطعام أحب إليك؟ قال: ما صنعه النساء، وقل فيه العناء.

قال سلمان: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا نجد في التوراة أو قال في الإنجيل: البركة في الطعام غسل اليد قبله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " البركة في الطعام غسل اليد قبله وبعده ".". (١)

١٢١٢-"ستخلص من هذا السرار وأيما ... هلال تواري في السرار وما خلص
بدولة تاج الملة الملك الذي ... له في أعالي قبة المشتري حصص
تقنصت إلطافي وما كنت قبل ذا ... أظن بأن المرء بالبر يقتنص
فأصبحت لا أخشى أذية جارح ... ورأيك لي وكر وقلبك لي قفص

باب الوكلاء

قال بعض الحكماء: لا مال لمن لا صبر له على خيانة الوكلاء وإضاعة الكفاة.

قال نصر بن سيار: لا تتخذ الوكيل داهية أريبا، ولا ذا عشيرة منيعة، فإنك إن قاومته أيام حياتك، عجز عنه ولدك بعد وفاتك.

كان عمر بن مهران يكتب في نهاية اسمه: اللهم احفظه ممن يحفظه.

لما مرض يعقوب بن حميد التاجر، قال له بعض ولده: أي شيء تشتهي؟ قال: كبد وكيل.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٨٨

قال نصر بن سيار: لعن الله وكيل الضيعة، إن عشت أكلها دونك، وإن مت ادعاها بعدك، وإن كان عاجزا جاهلا استهلكها، وإن كان قويا ذا عارض أعملها فيك ولم يعملها لك.

ذكر أن القحذمي مات وله ضيعة في يد وكيل، فكابر عليها.

قال شقران العلامي:

ذكرت أبا أروى فبت كأنني ... برد الأمور الماضيات وكيل

باب العادة ومالا ينسى

قال أكثم بن صيفي: ما يسرني أني مكفي أمر الدنيا. قيل: ولم؟ قال: أخاف عادة العجز.

قال العرب: العادة أملك بالإنسان من الأدب.

وقالوا: العادة طبيعة ثانية.

كان يقال: ما دخل باللبن لم يخرج إلا مع الروح.

قالوا: الخير عادة، والشر لجاجة.

قال الراجز:

تعود الخير فالخير عادة ... تدعو إلى الغبطة والسعادة

قال الشاعر:

ما إن تخلقت إلا شيمتي خلقا ... إن الخلائق تأبى دونها الخلق

قال الشاعر:

كل امرئ صائر يوما لشيمته ... وإن تخلق أخلاقا إلى حين

وقال آخر:

فإن يشرب أبو عثمان أشرب ... وإن كانت معتقة عقارا

وإن يأكل أبو عثمان آكل ... وإن كانت خنانيصا صغارا

وقال آخر:

وإذا صاحبت فاصحب ماجدا ... ذا عفاف وحياء وكرم

قوله للشيء لا إن قلت لا ... وإذا قلت نعم قال نعم

وقال آخر:

وكنت إذا علقت حبال قوم ... صحبتهم وشيمتي الوفاء

فأحسن حين يحسن محسنوهم ... وأجتنب الإساءة إن أساءوا

أشاء سوى مشيئتهم فآتى ... مشيئتهم وأترك ما أشاء

باب في المنجمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من تعلم بابا من النجوم، فقد تعلم بابا من السحر، ما زاد زاد ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ".

قال عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا.

قال الخليل بن أحمد:

أبلغا عني المنجم أني ... كافر بالذي قضته الكواكب

شاهد أن من تكهن أو نجم ... زار على المقادير كاذب

عالم أن ما يكون وما كان ... قضاء من المهيمن واجب

وقال آخر:

علم النجوم على العقول وبال ... وطلاب شيء لا ينال وبال

هيهات ما أحد مضى ذو فطنة ... يدري متى الأرزاق والآجال

إلا الذي هو فوق سبع سمائه ... ولوجهه الإعظام والإجلال

وقال أبو العباس الناشئ:

سألت المنجم عن رحلة ... أؤمل برا عليها وبحرا

فقال المنجم لي: لا تسر ... فإنك إن سرت لاقيت شرا

فإن كان يعلم أني أسير ... فقد جاء بالنهي لغوا وهجرا

وإن كان يجهل سيري فكيف ... تراني إذا سرت لاقيت ضرا

وقال أبو تمام الطائي:

والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لاقى السبعة الشهب

يقضون بالأمر عنها وهي غافلة ... ما كان في فلك منها وفي قطب

وفيها يقول أبو الطيب المتنبي:

فتبا لدين عبيد النجوم ... ومن يدعى أنها تعقل

وقال منصور الفقيه:

قول المنجم شيء ... دعا إليه التوهم". (١)

١٢١٣-"قال المأمون: الناس في تصرفهم ومعايشهم بين أربعة أمور، من لم يكن منها كان عيالا عليها وكلا: الإمارة، والتجارة، والزراعة، والصناعة.

أربعة لا يستحيا من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لأمن البدل، والدواء للاحتياط، والطبب للصيانة.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/١٩٦

قال العتبي: اجتمعت الحكماء على أربع كلمات، وهي: لا تحملن على قلبك مالا تطيق، ولا تعمل عملا ليس لك فيه منفعة، ولا تثقن بامرأة، ولا تغتر بالمال وإن كثر.

باب خمسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بنى الإسلام على خمس ... " الحديث.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر: " يا عبد الله! اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك ".

قال بعض الحكماء: خمسة أشياء من أعطيها فقد كمل عيشه: صحة البدن، وهو الجزء الأكبر، والسعة في الرزق، وهو الثاني، والأمن وهو الثالث، والأنيس الموافق وهو الرابع، والدعة، فمن حرمها فقد حرم العيش.

واجتمع الحكماء أنه لا ينبغي للمرء أن ينزل بلدة ليس فيها خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار.

روى الأصمعي، قال: حدثنا الفضل بن عبد الملك بن أبي شهبة، قال: قال الأحنف: لا ينبغي أن تنزل بلدا حتى يكون فيه خمس خصال، فذكرها سواء.

ذكر الشافعي عن مالك، عن الزهري، قال: الذل في خمسة أشياء: حضور المجلس بلا نسخة، وعبور المعبر بلا قطعة، ودخول الحمام بلا خادم، وتذلل الشريف للدنئ لينال منه، والتذلل للمرأة لينال من مالها.

خمسة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالم، والضيف، والدابة.

خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف: الحدة في السلطان، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، والفتوة في الشيوخ، والحرض في العلماء والقراء.

قال وبرة بن خداش: أوصاني عبد الله بن عباس بخمس كلمات هي أحب إلى من الدهم الموقوفة في السبيل، قال لي: إياك والكلام فيما لا يعنيك أو في غير موضعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه أو في غير موضعه قد عنت، ولا تمار سفيها ولا فقيها، فإن الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك أن يذكرك به، ودع ما تحب أن يدعه منك، واعمل بما تحب عمل رجل يعلم أنه يجازي بالإحسان ويكافى بالإجرام.

قال عمر بن الخطاب: من لم يكن فيه خمس فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: من لم يعرف بالوثيقة في أرومته، والكرم في طبيعته، وبالدماثة في خلقه، وبالنبل في نفسه، وبالمخافة لربه.

خمس من طبيعة الجهال: الغضب في غير شيء، والإعطاء في غير حق، وإتعاب البدن في الباطل، وقلة معرفة الرجل لصديقه من عدوه، وتضيييعه لسره.

خمسة أشياء أضيع شيء في الدنيا: سراج يوقد في الشمس، ومطر وابل في أرض سبخة، وامرأة حسناء تزف إلى عنين، وطعام يستجاد ثم يقدم إلى سكران أو شبعان، ومعروف تصنعه عند من لا يشكرك.

خمس لا يشبعن من خمس: أذن من خبر، وعين من نظر، وأنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعالم من أثر.

خمس يزدن في النسيان: إلقاء القملة، وأكل التفاح، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل سؤر الفأرة.
ومما يدخل في هذا الباب قول الأحنف: لا راحة لحسود، ولا مروءة لبخيل، ولا إخاء لكذوب، ولا وفاء لملول، ولا سؤدد لسيء الخلق.
قال الأوزاعي: خمسة كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.
باب نوادر من الرؤيا مختصرة
قال رسول الله صلى الله وسلم: " إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا، رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللبن فطرة، والقيد ثبات في الدين، والغرق نار؛ لقوله تعالى: " أغرقوا فأدخلوا نارا "، ومن رآني فقد رآني، فإن الشيطان لا يتشبه بي.
قال أبو بكر: يا رسول الله! ما أزال أرى كأني أطأ في عذرات الناس، قال: لتلين أمور الناس قال: ورأيت في صدري كالرقمتين. قال: سنتين. قال: ورأيت كأن على حلة حبرة، قال: ولد تحبر به، وفي رواية أخرى: قال له: يا رسول الله! ورأيت كأن في صدري كبتين، قال النبي عليه السلام: " على أمر الناس سنتين ".". (١)

١٢١٤-"ما ضر تغلب وائل أهجوتها ... أم بلت حيث تناطح البحران

وقال آخر:

ما يضر البحر أمسى زاخرا ... أن رمى فيه غلام بحجر

وقال جرير:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ... أبشر بطول سلامة يا مربع

وقال آخر:

تهددني لتقتلني نمير ... متى قتلت نمير من هجاها

باب من نوادر الفلاسفة مختصرة
قيل لأرسطو طاليس: ما الفلسفة؟ قال: فقر وصبر، وعفاف وكفاف، وهمة وفكرة.
قيل لسقراط: بم فضلت أهل زمانك؟ قال: لأن غرضي في الأكل الحياة، وغرضهم في الحياة أن يأكلوا.
قيل لسقراط: ما أتعب فلانا بخضاب لحيته؟ فقال: لخوف المطالبة بالحكمة، ولا تطلب إلا من المشايخ.
قال بقراط: أعظم آفة الحيوان الصامت من صممته، وأعظم آفة الحيوان الناطق من نطقه.
قيل لجالينوس: بم فقت أصحابك في علم الطب؟ فقال: لأني أنفقت في زيت السراج لدرس الكتب مثل ما أنفقوا في شرب

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٠١

الخمر.

كتب فيلسوف إلى طبيب: صناعتي أقرب الصناعات من صناعتك؛ لأنك تصلح الأبدان وأنا أصلح النفوس.

قيل لفيلسوف: أين بلغت بك الحكمة؟ قال: إلى الوقوف على القصور عنها.

قال أنوشروان لبزر جمهر: من أدبك؟ قال: قريحتي، نظرت إلى ما استحسنت من غيري فاستعملته، وما استقبحته اجتنبته، ولقد تفقدت من كل شيء محاسنه، فأخذت من الخنزير قناعته، ومن الكلب محافظته، ومن القرد مساعدته، ومن الحمار صبره، ومن الغراب بكوره، ومن السنور لطافة المسألة عند الخوان.

قيل لرجل من الحكماء: لمن أنت أرحم؟ قال: لعالم جاز عليه حكم جاهل.

وقيل له: متى يكون البليغ عييا، والعي بليغا؟ فقال: إذا وصف حبيبا، وإذا احتج البليغ على محبوب.

قيل للإسكندر: رأيناك تعظم معلمك، أكثر من تعظيمك لأبيك؟ فقال: لأن أبي سبب موتى، ومعلمي سبب حياتي.

نظر حكيم إلى قوم يرمون ولا يصيبون ويسبون الرمى، فجلس في الهدف إلى الغرض، فقيل له: جلست هناك! قال: لأني لم أر موضعا أوقى من هذا.

قيل لبعض الحكماء: متى أثرت فيك الحكمة؟ قال: مذ بدا لي عيب نفسي.

رأى أفلاطون رجلا معجبا بنفسه، فقال: وددت أن أعدائي مثلك في الحقيقة، وأنا مثلك في ظنك.

كان رجل مصورا فترك التصوير وتتطبب، فقيل له في ذلك، فقال: الخطأ في التصوير تدركه العيون، وخطأ الطبيب تواريه القبور.

سعى إلى الإسكندر بعض رجاله برجل من أصحابه فقال له: أتحب أن أقبل قولك فيه، على أن أقبل قوله فيك؟ قال: لا. قال: فكف إذا عن الشر ليكف الشر عنك.

قال الإسكندر لجلسائه: ينبغي للرجل أن يستحي من أن يأتي قبيحا في منزله من أهله؛ وفي غير منزله ممن يلقاه.

أتى الإسكندر يوما جاسوس يخبره عن عسكر دارا الفارسي، وأخبره أن فيه خلقا كثيرا، فقال له: إن الذئب وإن كان واحدا لا تهو له كثرة الغنم.

كان في أصحاب الإسكندر رجل يسمى الإسكندر لا يزال ينهزم في الحرب، فقال له: إما غيرت اسمك، وإما غيرت فعلك.

قيل للإسكندر: قد بسط الله لك في الملك، فأكثر من النساء ليكثر ولدك ونسلك، فقال لا يصح لمن غلب الرجال أن تغلب عليه النساء.

سأل الإسكندر رجلان من خاصته أن يحكم بينهما، فقال: الحكم يرضي أحدكما ويسخط الآخر، فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا.

وقال له أصحابه: قد بسط الله ملكك وعظم سلطانك، فبأي الأشياء أنت أسر: بما نلت من أعدائك، أم بما بلغت من سلطانك؟ قال: كلاهما يسير، وأعظم ما أسر به ما سننت في الرعية من السنن الجميلة والشرائع الحسنة.

قال الإسكندر: ينبغي للرجل إذا صافى مصافيا أن يتوقى مباشرته، ولا يسترسل إليه فيما يشينه.

قال بعض الحكماء لتلاميذه: استعملوا الكذب عند الضرورة كما تستعملون الدواء.

ولما مات الإسكندر قال نادبه: حركنا الإسكندر بسكونه.

أخذه أبو العتاهية فقال:

يا علي بن ثابت بان مني ... صاحب جل فقده يوم بنتا

قد لعمري حكيت لي غصص المو ... ت وحركتني لها وسكنتا

قال الموبذ يوم مات قباذ: كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس.

أخذ أبو العتاهية هذا المعني، فقال:

وكانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا". (١)

١٢١٥-"يقال: إن الإسكندر مات وكان عمره ستا وثلاثين سنة، هذا قول الفرس ومنهم من يقول: كان عمره ثلاثا وثلاثين سنة، وفي قول الفرس: إنه ملك أربع عشرة سنة. وأن قتله لدارا كان في السنة الثالثة من ملكه، وزعم الروم أن ملكه كان ثلاثا وعشرين سنة وأنه مات وعمره ثلاث وأربعون سنة وهم أعلم به، وزعموا أنه مات بشهرزور، وأنه حمل إلى الإسكندرية ودفن بها، وأقامت عليه النوائح شهورا. وقيل: بل مات بالإسكندرية.

قال بعض الحكماء: لا تغترن بحسن الكلام وطيبه إذا كان الغرض المقصود منه ضارا؛ فإن الذين يخدعون الناس إنما يخلطون السم بالحلو من الأطعمة والأشربة، ولا يصعبن عليك الكلام الغليظ، إذا كان الغرض المقصود إليه نافعا؛ فإن أكثر الأدوية الجالبة للصحة مرة مستبشعة.

قيل لبعض الحكماء: أي شيء أنفع الأشياء؟ قال: الاعتدال. قيل: وما الاعتدال؟ قال: هو الشيء الذي الزيادة فيه والنقص منه ضرر.

يروى أن المسيح عليه السلام قال: أمر لا تعلم متى يغشاك، ينبغي أن تستعد له قبل أن يفجأك.

باب الرياء

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أحب الجهاد في سبيل الله، وأحب أن يرى مكاني وموضعي، وإني أتصدق وأعمل العمل وأحب أن يراه الناس. فأنزل الله عز وجل: " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من راءى بعمله، راءى الله به، ومن سمع بعمله سمع الله به بين خلقه وحقره وصغره ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال الله عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو إلى غيري، ليس لي منه شيء، وأنا منه برئ ".

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢١٧

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة، يوم يجازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون فيهم خيرا ".

وروى في الحديث المرفوع: " الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل ".

روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، قال: إن الملك ليصعد بعمل العبد مستفتحا به، حتى إذا انتهى إلى ربه قال: اجعلوه في سجين، إني لم أرد بهذا. قال الأوزاعي: فما ظنك بما قد خفي عن الملك.

وروى عن النبي عليه السلام أنه قال: " أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية، حبك أن تحمد بما لم تفعل " وقيل: بما عملت من الخير. والأول أجود. لأنه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل: يا رسول الله! أني أعمل العمل أريد به وجه الله، ثم يبلغني أن الناس يتحدثون به فيسرني. قال: " ذلك عاجل بشري المؤمن ".

قال الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

لهونا عن الأعمال حتى تتابع ... علينا ذنوب بعدهن ذنوب

فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ... ويأذن لي في توبة فأتوب

وقال آخر:

كم من مصل لا يطي ... ل صلاته لسوى الطمع

متلهيا إما خلا ... وإذا بصرت به ركع

يدعو وجل دعائه: ... ما للفريسة لا تقع

وقال الغزال:

ومراء أخذ النا ... س بسمت وقطوب

وخشوع يشبه السق ... م وضعف في الدبيب

قلت: هل تألم شيئا ... قال أثقال الذنوب

قلت: لا تعن بشيء ... أنت في قالب ذيب

إنما تنبي عن الوث ... بة في حال الوثوب

ليس من يخفى عليه ... منك هذا بلبيب

قال محمود الوراق:

أيها المغرور مهلا ... فلقد أوتيت جهلا

كم إلى كم تحسن القو ... ل ولا تحسن فعلا

ظاهر يجعل والباطن لا ... يخفى على ربك كلا

وقال محمود الوراق:

تصنع كي يقال له أمين ... وما يغني التصنع للأمانة

ولم يرد الإله به ولكن ... أراد به الطريق إلى الخيانة

باب في الشيب ومدحه". (١)

١٢١٦-"نظر كسرى إلى رجلين من مرازبته أحدهما قد شاب رأسه قبل لحيته، والآخر قد شابت لحيته قبل رأسه، فأراد أن يعرف جواب كل واحد منهما عن حاله تلك. فقال لأحدهما: لم شاب رأسك قبل لحيتك؟ قال: لأن شعر رأسي خلق قبل شعر لحيتي، والكبير يشيب قبل الصغير. وقال للآخر: لم شابت لحيتك قبل رأسك؟ قال: لأنها أقرب إلى الصدر موضع الهم والغم.

قال حبيب:

شاب رأسي وما رأيت مشيب ال ... رأس إلا من فضل شيب الفؤاد

قيل لعبد الملك بن مروان: أسرع إليك المشيب. قال: فكيف لا أشيب وأنا أعرض عقلي على الناس في كل أسبوع - يعني الخطبة.

روى عن ابن عباس رحمه الله، قال: شيب الناصية من الكرم، وشيب الصدغين من الروع، وشيب الشارب من الفحش، وشيب القفا من اللؤم.

قال مكي بن إبراهيم:

مشيب لئام الناس في ذروة القفا ... وشيب كبار الناس فوق المفارق

قال قيس بن عاصم: الشيب خضاب المنية.

قال بعض الحكماء: الشيب موت الشعر.

قال معمر بن سليمان: الشيب مراحل الموت.

نظر بعض الأعاجم إلى شيب في رأسه أو لحيته، فجمع نساءه وقال: تعالين فاندبنني إذا مات بعضي، لأبصر كيف تندبنني إذا مات كلي.

باب الكبر والهرم

قال الله تعالى: " ومن نعمره ننكسه في الخلق ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم إني أعوذ بك أن أرد إلى أرذل عمر ".

وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الغم والهم والكسل والهرم.

وفد عمرو بن مسعود السلمي على معاوية بن أبي سفيان، وكان صديقا لأبي سفيان، فلما مثل بين يدي معاوية عرفه،

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢١٨

فقال له: كيف أنت وحالك؟ فقال: ما يسأل أمير المؤمنين عمن سقطت ثمرته، وذبلت بشرته، وابيض شعره، وانحني ظهره، وكثر منه ما يحب أن يقل، وصعب منه ما كان يحب أن يذل، وترك المطعم وكان المنعم، وهجر النساء وكن الشفاء، وقصر خطوه، وذهب لهوه، وكثر سهوه، وثقل على الأرض، وقرب بعضه من بعض، فقل إيحاشه، وكثر ارتعاشه، فنومه سبات، وهمه تارات، وأنشد شعرا حسنا في معناه، تركته لطوله.

وقال أبو عبيدة: عاش أنس بن مدرك الخثعمي مائة سنة وأربعا وخمسين سنة، وكان سيد خثعم في الجاهلية، وفارسها. وأدرك الإسلام فأسلم، وقال في كبره:

إذا ما امرؤ عاش الهنيدة سالما ... وخمسين عاما بعد ذاك وأربعا

تبدل مر العيش من بعد عذبه ... وأوشك أن يبلي وأن يتسعسعا

ونادي به الأدني وترضى به العدا ... إذا صار مثل الدال أحدب أخضعا

رهينة قعر البيت ليس يريمه ... لقى ثاويا لا يبرح البيت مضجعا

يخبر عمن مات حتى كأنما ... رأى الصعب ذا القرنين أو راء تبعا

قال أبو عبيدة: عمر نصر بن دهمان الأشجعي مائة وتسعين سنة، واعتدل بعد ذلك وصار شابا، واسود شعره، وكان أعجوبة غطفان في سائر العرب وفيه قال الشاعر:

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها ... وتسعين حولا ثم قوم فانصاتا

وعاد سواد الرأس بعد بياضه ... ولكنه من بعد ذا كله ماتا

روى سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، قال: دخل عمرو بن حريث على أبي العريان الهيثم بن الاسود النخعي يعوده ويزوره، فقال: كيف تجدك يا أبا العريان؟ قال أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض، ولأن مني ما كنت أحب أن يشتد، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين. وزاد غيره في هذا الخبر: وأجدني يسبقني من بين يدي، ويدركني من خلفي، وأنسي الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملاء، وأسهر في الخلاء، وإذا قمت قربت الأرض مني، وإذا قعدت بعدت عني. ثم اتفقت الرواية:

فاسمع أنبئك بآيات الكبر

تقارب الخطو وضعف في البصر

وقلة الطعم إذا الزاد حضر

وكثرة النسيان ما بي مذكر

وقلة النوم إذا الليل اعتكر

أوله نوم وثلثاه سهر

وسعلة تعتادني مع السحر

وتركي الحسناء في حين الطهر

وحذرا أزداده إلى حذر

والناس يبلون كما يبلي الشجر

وقال يحيى بن الحكم الغزال:

تسألني عن حالتي أم عمر ... وهي ترى ما حل بي من الغير". (١)

١٢١٧-"إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فمهما زوت عنه فليس بضائر

فما تعدل الدنيا جناح بعوضة ... لدى الله أو مقدار زغبة طائر

فما رضى الدنيا ثوابا لمؤمن ... ولا رضى الدنيا عقابا لكافر

قال أبو العتاهية:

ويا دنياي مالي لا أراني ... أسومك منزلا إلا نبا بي

وما لي لا ألح عليك إلا ... نصبت الهم لي من كل باب

أراك وإن طلبت بكل وجه ... كحلم النوم أو ظل السحاب

وكالأمس الذي ولى مريرا ... وكالحدثان أو لمع السراب

وهذا الخلق منك على مسير ... وأرجلهم جميعا في الركاب

وموعد كل ذي سعى وفعل ... بما يبدو غدا يوم الحساب

قال ابن مسعود: الدنيا كلها غموم، فما كان منها سرور فهو ربح.

وقال الشاعر:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... فسوف لعمري عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت قليلا نعيمها

وقال آخر:

إنما الدنيا وإن سر ... ت قليل من قليل

لبس يخلو أن تراءى ... لك في زي جميل

ثم ترميك من المأ ... من بالخطب الجليل

قال بعض الحكماء: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.

قال الخليل بن أحمد: الدنيا أمد، والآخرة أبد.

وصف الحسن البصري الدنيا، فقال: أما اليوم فعمل، وأما أمس فأجل، وأما غد فأمل.

قال محمود الوراق:

تلذذت في الدنيا بك لطريفة ... على أنها أيضا حرام محرم

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٢٢

وتأمل جنات الخلود لبئسما ... تقدر، من يقضي بهذا ويحكم؟
لئن كان حكم الله يخرج هكذا ... فإنك من يحيي على الله أكرم
إذا قيل: من يقضي بهذا فقل له ... ومد له في الصوت: يحلم يحلم
وقال منصور الفقيه:
دنيا تروح بأهلها ... في كل يوم مرتين
فغدوها لتجمع ... ورواحها لشتات بين
وقال آخر:
إنما الدنيا شتات ... فتأهب لشتاتك
واجعل الدنيا كيوم ... صمته عن شهواتك
واجعل الفطر إذا ما ... صمته يوم وفاتك
وقال آخر:
أنت في دار شتات ... فاغتنم وقت حياتك
اترك الدنيا وما ... فيها ودعها لعداتك
تجمع المال وتوعي ... ه لأزواج بناتك
أو لكنات قريرا ... ت عيون بوفاتك
أو لبعل العرس من ... بعدك تحبوه بذاتك
إنما الدنيا كحلم ... فانتبه من غفلاتك
وقال آخر:
نراع لذكر الموت ساعة ذكره ... وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها ... وما كنت فيها فهو شيء محبب
قال الخاسر: أشعر الجن والإنس أبو العتاهية في قوله:
سكن يبقى له سكن ... ما بهذا يؤذن الزمن
نحن في دار يخبرنا ... عن بلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح ... لامرئ فيها ولا حزن
في سبيل الله أنفسنا ... كلنا بالموت مرتهن
كل نفس عند ميتتها ... حظها من مالها الكفن
إن مال المرء ليس له ... منه إلا ذكره الحسن
كان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يتمثل:
ولا خير في عيش امرئ لم يكن له ... من الله في دار الحياة نصيب

فإن تعجب الدنيا أناسا فإنها ... متاع قليل والزوال قريب

وقال الغزال:

لقد فسدت فما تلقى ... بها من ليس ذا شجن

وصار الحي منا يغ ... بط الملفوف في الكفن

وقال سابق البربري:

لسانك للدنيا عدو مشاحن ... وقلبك فيها للسان مباين

وما ضرها ما قلت فيها وقد صفا ... لها منك ود في فؤادك كامن

قال ابن الحنفية: من كرمت عليه نفسه، هانت عليه الدنيا.

قال الشعبي: ما أعلم لنا وللدنيا مثلا إلا كما قال كثير عزة:". (١)

١٢١٨-"أسيئي بنا أو أحسن لا ملومة ... لدنيا ولا مقلية إن تقلت

وقال أبو العتاهية:

أصبحت الدنيا لنا عبرة ... والحمد الله على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمها ... وما أرى منهم لها تاركا

وقال لسابق البربري:

جمعنا لها أكلا وذما بألسن ... أليس عجيبا ذمها واحتلاتها

قال أبو الطيب:

تفاني الرجال على حبها ... ولا يحصلون على طائل

وقال أيضا:

ومن لم يعشق الدنيا قديما ... ولكن لا سبيل إلى الوصال

وقال آخر:

يذمون دنياهم وهم يحلبونها ... ولم أر كالدنيا تذم وتحلب

وقال سعيد بن حميد:

ولم أر كالدنيا تذم صروفها ... ونوسعها شتما ونحن عبيدها

وقال منصور الفقيه:

ضحكت دنياك يا إن ... سان من نهيك عنها

مع تمنيك على ربك ... ما لم تؤت منها

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٣٥

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، في خطبة له: أيها الناس! إنما الدنيا أجل محترم، وأمل منتقص، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم الله من فكر في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه. أيها الناس! قد علمتم أن أباكم أخرج من الجنة بذنب واحد، وأن ربكم وعد على التوبة خيرا، فليكن أحدكم من ذنبه على وجل، ومن ربه على أمل.

قال بعض الحكماء. إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر.

قال محمود الوراق:

ما أفضح الموت للدنيا وزينتها ... جدا، وما أفضح الدنيا لأهليها

لا ترجعن على الدنيا بلائمة ... فعذرها لك باد في مساويها

لم تبق في غيبها شيئا لصاحبها ... إلا وقد بينته في معانيها

تفني البنين وتفني الأهل دائبة ... ونستنيم إليها لا نعاديها

فما يزيدكم قتل الذي قتلت ... ولا العداوة إلا رغبة فيها

قال أبو حفص عمر بن علي الفلاس: كتبت إلى صديق لي أشاوره في شيء من أمر الدنيا، فكتب إلى رقعة فيها سطران، أحدهما: بسم الله الرحمن الرحيم، والآخر: اطلب الدنيا على قدر مكثك فيها، واطلب الآخرة على قد حاجتك إليها.

كان صالح المري يتمثل:

مؤمل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمل قبل الأمل

وبات يروي أصول الفسيل ... فعاش الفسيل ومات الرجل

وقال آخر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

وقال آخر:

لقد غرت الدنيا رجالا فأصبحوا ... بمنزلة ما بعدها متحول

فساخط أمر لا يبدل غيره ... وراض بأمر غيره سيبدل

وبالغ أمر كان يأمل غيره ... ومختلج من دون ما كان يأمل

وقال آخر:

ويح دنيا غرورها يضنيني ... كم إلى كم غررتني فدعيني

كم تسومينني خداعا عن الرش ... د وكم ذا الخداع ويك ذريني

أملي زائد وعمري يفني ... ويح نفسي عن رأيها المغبون

همتي تعتلي السماء وسعيي ... كسلا سعي عاجز مأفون

ويح نفسي أما كفاها من العي ... ش تقضى سنين بعد سنين

ليت شعري وما انتظاري وقد ... لاح شيب بعارضي وقروني

ويا ابن ستين ما اعتذارك من بع ... د بلوغ الأشد والستين

قيل لراهب: كيف سخت نفسك بالخروج عن الدنيا؟ قال: أيقنت أني خارجها منها كارها، فأحببت أن أخرج منها طائعا.

قال بزرجمهر: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحق، إما زادته وإما نقصته.". (١)

١٢١٩-"لما قدم سعد بن أبي وقاص القادسية أميرا عليها من عند عمر بن الخطاب أتته حرقة بنت النعمان بن المنذر في خدمها ووصائفها، فلما وقفن بين يديه قال: أيكن حرقة بنت النعمان؟ قالت: هأناذه، فما أردت بتكرارك الاستفهام، إن الدنيا دار زوال لا تدوم لأهلها على حال، تنتقل بهم انتقال الظلال، وتعقبهم حالا بعد حال، إنا كنا ملوك هذا المصر قبلك، يجبي إلينا خراجة ويطيعنا أهله مدة من الدهر، فلما أدبر عنا الأمر صاح بنا صائح الأيام، فصدع شملنا، وشتت ملأنا، وكذلك الدهر يا سعد، فلا تغتر بحال الدنيا، فإنها زائلة عنك كما زالت إليك. ثم سألته حوائجها فقضاها، فدعت: لا أزال الله عنك نعمة أتمها عليك.

كتب أبي بن كعب إلى أخ له: أما بعد، فإن الدنيا دار فناء، ومنزل قطيعة، رغب عنها السعداء، وانتزعت من أيدي الأشقياء، فغناها فقر، والعلم بها جهل.

كان يقال: الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

كان يقال: مثل الذي يريد أن تجتمع له الدنيا والآخرة، مثل عبد له ربان فلا يدري أيهما يطيع.

حج سليمان بن عبد الملك فلما أشرف في انصرفه على قديد، نظر من عسكره فأعجبه ما رأى من كثرته، ومعه عمر بن عبد العزيز، فقال له: كيف ترى يا أبا حفص؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين دنيا تأكل بعضها، أنت المبتلي بها والمسؤول عنها.

وروى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه، أو عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: الدنيا دول، ليس إلى أحد دون الله إدالتها، فما كان منها لأحد أتاه على ضعفه، وما كان منها على أحد لم يدفعه بقوته.

قال أبو حازم: وجدت الدنيا شيئين: شيئا لي وشيئا لغيري، فما كان لي منها لم ينله غيري، ولو رامه بحيلة السموات والأرض، ففيم العناء والغم والتعب.

ذكرت الدنيا لأبي حازم فقال أبو حازم: الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على مهارشة الكلاب.

قال أبو حازم: تكدرت الدنيا وتعذرت، ما تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاسقا قد سبقك إليه.

كان سفيان الثوري يقول: الدنيا داء التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح برخائها، ولم يحزن لشقائها.

قال وهيب بن الورد: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٣٦

سمع المسعودي رجلا يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون فيما عند الله. قال: اقلب المعنى وضع يدك على من شئت.

كان سفيان الثوري يتمثل:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها ... على أنهم فيها عراة وجوع

أراها وإن كانت تحب فإنها ... سحابة صيف عن قليل تقشع

وقال أبو العتاهية:

يا ساكن الدنيا لقد أوطنتها ... وأمنتها عجبا وكيف أمنتها

وشغلت قلبك عن معادك بالمنى ... وشغلت نفسك بالهوى وفتنتها

وأشعار أبي العتاهية في ذم الدنيا كثيرة جدا، وقد جمعتها شعرا على حروف العجم مما قاله في المواعظ والحكم.

وقال آخر:

ما أعجب الدهر في تصرفه ... والدهر لا تنقضي عجائبه

كم رأينا للدهر من أسد ... بالت على رأسه ثعالبه

قال محمد بن عبد الملك الزيات:

هي السبيل فمن يوم إلى يوم ... كأنه ما تريك العين في النوم

لا تعجلن رويدا إنها دول ... دنيا تنقل من قوم إلى قوم

إن المنايا وإن أصبحت في شغل ... تحوم حولك حوما أيما حوم

وقال آخر:

تقنع بالذي قاتك ... ولا تأس لما فاتك

ولا تغتر بالدنيا ... أما تذكر أمواتك

قال بعض الحكماء: استودقت الدنيا فأنعظ الناس.

لأيوب بن حول الشاربي:

فلم أر كالدنيا بها اغتر أهلها ... ولا كاليقين استوحش الدهر صاحبه

وقال محمود الوراق:

أيها الشيخ كم تروم وتبني ... ليس منك الدنيا ولا أنت منها

لا ترومها؛ فأنت وإن كن ... ت مقيما بها كمن زال عنها

قيل لعامر بن عبد قيس: لقد رضيت من الدنيا باليسير. قال: أخبرك بمن رضى بدون ما رضيت. قيل: من؟ قال: من رضى بالدنيا حظا عن الآخرة.

قال المأمون: لو سئلت الدنيا عن نفسها ما زادت في وصفها عن وصف أبي نواس حيث يقول:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق". (١)

١٢٢٠-"لابن أبي عيينة، أو لمحمد بن يسير:
ما راح يوم على حي ولا ابتكرا ... إلا رأى عبرة فيه إن اعتبرا
ولا أتت ساعة في الدهر وانصرمت ... حتى تؤثر في قوم لها أثرا
وأن الليالي والأيام أنفسها ... عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا
قال بكر بن حماد:
الناس حرصي على الدنيا وقد فسدت ... فصفوها لك ممزوج بتكدير
فمن مكب عليها لا تساعده ... وعاجز نال دبياه بتقصير
لم يدركوها بعقل عندما قسمت ... وإنما أدركوها بالمقادير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة ... طار البزاة بأرزاق العصافير
ويقال: إنها مكتوبة على قائم سيف الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه.
باب الزهد والقناعة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما قل وكفي، خير مما كثر وألهي ".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " القناعة مال لا ينفد، وما عال من اقتصد ".
وقال عليه السلام: " خير الرزق ما يكفي، وأفضل الذكر الخفي ".
وقال عليه السلام: " إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم ".
قال أبو هريرة، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اقنع بما رزقت تكن أغنى الناس ".
قال علي بن أبي طالب: الزاهدون في الدنيا قوم وعظوا فاتعظوا، وأيقنوا فعملوا، إن نالهم يسر شكروا، وإن نالهم عسر صبروا.
وفي الخبر المرفوع: " عز المؤمن استغناؤه بربه عن الناس ".
قال سعيد بن المسيب: من استغنى بالله افتقر الناس إليه.
قال الحطيئة:
استغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغنى من استغنى عن الناس
قال أوس بن حارثة لابنه: يا بني! خير الغنى القناعة، وشر الفقر الخضوع.
قال الحسن وعكرمة في قول الله عز وجل: " فلنحيينه حياة طيبة "، قالا: القناعة.
أبلغ شيء جاء في القناعة، قول علي رضى الله عنه: لا تحمل قوت غدك الذي لم يأت، على يومك الذي قد أتى، فإنه إن

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٣٧

يكن من أيام حياتك جاءك وفيه رزقك، وأعلم أنك لم تدخر أكثر من قوت يومك إلا كنت فيه خازنا لغيرك.

قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين! بحق ما أقول لكم: ما زهد في الدنيا من جزع على المصيبة فيها.

وقيل له: يا روح الله! لو اتخذت حمارا تركبه؟ قال: أنا أعز على الله من أن يجعل لي شيئا يشغلني به.

قال أكثم بن صيفي: من لم يأس على ما فاته أراح نفسه.

سئل ابن شهاب عن الزهد في الدنيا، فقال: الزهد ألا يغلب الحرام صبرك، ولا الحلال شكرك.

قال مالك بن أنس، وسفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل.

قال بعض الحكماء: إذا كان سعيك إنما هو لطلب الراحة في الدنيا، ثم سعيت لأكثر مما يكفيك لم تزدد من الراحة والدعة إلا بعدا.

قال سفيان أو إبراهيم بن أدهم: الزهد زهدان؛ فزهد فرض، وزهد فضل. فالزهد في الحرام فرض، والزهد في الحلال فضل. والورع ورعان، فالورع عن المعاصي فرض، والورع عن الشبهات حذر وفضل.

سئل الخليل بن أحمد عن الزهد في الدنيا، فقال: الزهد ألا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود.

قال إبراهيم بن أدهم: إذا بات الملوك على اختيارهم لأنفسهم، فبت على اختيار الله لك وارض به.

أصيب مكتوبا على صخرة: لست مدركا أملك، ولا فائتا أجلك، ولا آخذا ما ليس لك.

وفي موضع آخر: القضاء غالب، والأجل طالب، والمقدور كائن، والهم فضل.

قال بعض الحكماء: القفاعة. ثوب لا يبلى، وهي شعار الأنبياء.

ولابن المبارك:

لله در القنوع من خلق ... كم من وضيع به قد ارتفعا

يضيق صدر الفتى بحاجته ... ومن تأسى بدونه اتسعا

قال بعض الحكماء لبنيه: يا بني! أظهروا الزهد والنسك، فإن رأى الناس أحدكم بخيلا قالوا: مقتصد لا يحب الإسراف، وإن رأوه عييا قالوا: يكره الكلام فيما لا يعنيه، ويؤثر الصمت خير من مقال يرديه، وإن رأوه جبانا قالوا: لا يقدم على الشبهات.

قال العتبي، كان يقال: من عدم القناعة، لم تزده الثروة إلا عناء.

قال أبو العتاهية:

تبغي من الدنيا الكثير وإنما ... يكفيك منها مثل زاد الراكب". (١)

١٢٢١-"ومن مواعظ بعض العرب: كل من ازداد نقص، وكل من أقام ظعن وشخص، ولو كان يميت الناس الداء أعاشهم الدواء.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٣٩

وأنشد أبو العباس المبرد:

تصرفت طوراً كي أرى كل عبرة ... وكان الصبا مني جديدا فأخلقا

فما ازداد شيء قط إلا لنقصه ... وما اجتمع الإلفان إلا تفرقا

وقال محمود الوراق:

أراني في انتقاص كل يوم ... ولا يبقى مع النقصان شيء

طوى العصران ما نشراه مني ... فأخلق جدتي نشر وطي

فإن أك قد فنيت ومات بعضي ... فإن الحرص باق في حي

عصيت الرشد إذ أدعى إليه ... وملك طاعتي ضعف وعي

وقال عمرو بن هند:

نعلل والأيام تنقص عمرنا ... كما تنقص النيران من طرف الوقد

وقال محمود الوراق:

إن عيشا إلى الممات مصيره ... لحقيق ألا يدوم سروره

وسرور يكون آخره المو ... ت سواء قليله وكثيره

ويروي: طويلة وقصيرة.

كان يزيد الرقاشي يتمثل كثيرا بهذا البيت:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل

روى من حديث مالك، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: ما من أهل بيت إلا وملك الموت يأتيهم، فمن وجده قد انقضى أجله قبض روحه، فإذا بكى أهله قال: لم تبكون، ولم تجزعون؟ والله ما نقصت لكم عمرا، ولا حبست عنكم رزقا، ومالي ذنب، وإن لي فيكم لعودة ثم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد.

قال أبو الدرداء في خطبة خطبها بدمشق: مالي أراكم تجمعون مالا تأكلون، وتبنون مالا تسكنون، وتأملون مالا تدركون، إن من كان قبلكم جمعوا كثيرا وبنوا شديدا وأملوا بعيدا، فأصبح جميعهم بورا ومنازلهم قبورا، وأملهم غرورا، هذه منازل عاد وثمود بين قطري الأرض ما يسرني أنها لي بدرهمين.

وجد مكتوبا في حجر: ابن آدم! لو رأيت يسير ما بقى من أجلك؛ لزهدت في طول ما ترجوه من أملك، وإنما يلقاك ندمك، لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وانصرف عنك القريب وودعك الحبيب، ثم صرت تدعى فلا تجيب، فلا أنت في عملك بزائد، ولا إلى أهلك بعائد؛ فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل الحسرة والندامة.

قال محمود الوراق:

يا ناظرا يرنو بعيني رافد ... ومشاهدا للأمر غير مشاهد

منتك نفسك ضلة فأجبتها ... طرق السفاهة فعل غير الراشد

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى ... فوز الجنان ونيل أجر العابد

ونسيت أن الله أخرج آدما ... منها إلى الدنيا بذنب واحد

وجد حجر في بئر باليمامة، وهي بئر طسم وجديس، في قرية يقال لها معتق مكتوب فيه:

يا أيها الناس سيروا إن قصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حثوا المطى وأرخوا في أزمتها ... قبل الممات وقضوا ما تقضونا

كنا أناسا كما كنتم فغيرنا ... دهر، فأنتم كما كنا تكونونا

قال عبد الله بن ثعلبة: أمسك مذموم منك، ويومك غير محمود لك، وغدك غير مأمون عليك.

ومما أنشده ابن أبي الدنيا – رحمه الله –:

قل للمؤمل إن الموت في أثرك ... وليس يخفي عليك الموت في نظرك

فيمن مضى لك إن فكرت معتبر ... ومن يمت كل يوم فهو من نذرك

دار تسافر منها في غد سفرا ... ولا تؤوب إذا سافرت من سفرك

تضحى غدا سمرا للذاكرين كما ... كان الذين مضوا بالأمس من سمرك

قال علي بن أبي طالب: يا ابن آدم! لا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتى، فإنه إن يكن من أجلك أتى الله فيه برزقك، واعلم أنك إن تكسب شيئا فوق قوتك إلا كنت خازنا لغيرك.

قال بعض الحكماء: الأيام ثلاثة، فأمس صديق مؤدب، أبقى لك عظة وترك فيك عبرة، واليوم صديق مودع، أتاك ولم تأته، كان عنك طويل الغيبة، وهو عنك سريع الظعن، فخذ لنفسك فيه، وغد لا تدري ما يحدث الله فيه، أمن أهله أنت أم لا.

لأسقف نجران، ويروى لتبع الحميري:

منع البقاء تصرف الشمس ... وطلوعها من حيث لا تمسى

وطلوعها بيضاء صافية ... وغروبها صفراء كالورس". (١)

١٢٢٢-"بها ما شئت من رجل نبيل ... ولكن الوفاء بها قليل

يقول فلا ترى إلا جميلا ... ولكن ليس يفعل ما يقول

وقال دعبل:

ولي صاحب أسترزق الله قوته ... خفيف عليه قول ما ليس يفعل

قيل لسفيان الثوري: ما العمل الصالح؟ قال: مالا تحب أن يحمدك عليه أحد.

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس. قال: " ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ".

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٤٥

قال المأمون: نحن إلى أن نوعظ بالأعمال، أحوج منا إلى أن نوعظ بالأقوال.

كان أبو معاوية الأسود يقول: الله أكرم من أن ينعم بنعمة إلا يتمها، ويستعمل بعمل إلا يقبله.

قال بعض الحكماء: لو ثقل الكلام على الواعظين كما ثقل على العاملين، قل كلامهم.

قال ابن السماك: قليل من توفيق، أحب إلى من كثير من عمل.

كان يقال: العمل قرين لا يستطاع فراقه، فمن استطاع أن يكون قرينه صالحا فليعمل، فإنه لا يصحبه في آخرته غير عمله.

قال الشاعر:

الموت داء لا دواء له ... إلا التقى والعمل الصالح

رأى أعرابي جنازة حمزة الزيات وقد حشد لها الناس، فقال: ما رأيت أرفع لخساسة من عمل صالح.

قال عمرو بن العاص: اعمل لدنياك عمل من يعيش أبدا، واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا.

كان يقال: اعمل وأنت مشفق، ودع العمل وأنت تحبه.

قيل لرابعة القيسية: هل عملت عملا ترين أنه يقبل منك؟ قالت: إن كان فمخافة أن يرد علي.

قال أبو بكر المزني: رحم الله من كان قويا فأعمل قوته في طاعة، أو كان ضعيفا فكف عن معصية الله.

كان أبو حنيفة رحمة الله يتمثل:

كفى حزنا ألا حياة هنية ... ولا عمل يرضى به الله صالح

وقال آخر:

يا أيها الناس كان لي أمل ... أعجلني من بلوغه الأجل

فليتق الله ربه رجل ... أمكنه في حياته العمل

وقال محمود الوراق:

لقد رأيت الصغير من عمل الخي ... ر ثوابا عجبت من كبره حذ

وقد رأيت الحقير من عمل الشر ... جزاء أشفقت من خدره

وقال أيضا:

قطع الدهر بأسباب العلل ... وأعار السهو أيام الأجل

ألف اللذة حتى اعتادها ... واشتهى الراحة واستوطا الكسل

فهو الدهر يقضي أملا ... ولعل الموت في طى الأمل

يحسن القول إذ قال ولا ... يتحرى حسنا فيما فعل

صير القول بجهل عملا ... ثم أجراه على مجرى العمل

ليته كان كما قال ولا ... يقطع الأيام إلا بالجدل

باب مختصر من التعازي في المصائب

والصبر على النوائب

روى عن النبي عليه السلام، من حديث ابن عمر، أنه قال: " من كنوز البر كتمان المصائب ".

قال ر سول الله صلى الله عليه وسلم: " ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي ".

وفي حديث آخر: " من عظمت مصيبته فليذكر مصيبتي، فإنها ستهون عليه مصيبته ".

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذا عزى قوما، قال: ليس مع العزاء مصيبة، وليس مع الجزع فائدة، والموت أشد مما قبله، وأهون مما بعده، اذكروا فقد ر سول الله صلى الله عليه وسلم تسهل عليكم مصيبتكم.

قال أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

أو ما ترى أن المصائب جمة ... وترى المنية للعباد بمرصد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة؟ ... هذا قبيل لست فيه بأوحد

وإذا أتتك مصيبة تشجي بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقال منصور الفقيه:

ألا أيها النفس السئوم تنبهي ... وألقى إلى السمع إلقاء حازمه

ضلال لأذهان وظن مكذب ... رجاؤك أن تبقى على الدهر سالمه

وقد غص بالكأس الكريهة أحمد ... ومات فمات الحق إلا معالمه

عليه سلام الله ما فصل الندى ... وصدق ذو الشح المطاع لوائمه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تنزل المعونة على قدر المئونة، وينزل الصبر على قدر المصيبة ".". (١)

١٢٢٣-"للرئيس على بن سينا وقد شرحنا في كتاب السبيل لأبناء السبيل وسأذكر، لك نكتة منه فأقول كما قيل إن. لدوران الفلك أصواتا لو سمعها عاقل أو لبيب لما ثبت. ومنها أخذ موسى ترجيع النغمات من المربع والمسدس والمثمن، والنصارى عملوا ببعضه. فالألحان للروم والتجنيس للعراق. والزقالق للعجم والطبول للزنج أو الحبشة. والبوق لليهود وهو سبعون دستا مثل. دستان الرحيل يقول في وزنه: اركب فأنت المظفر. اركب فالله أكبر. ودستان الحرب والنزول وغيره. وقال سقراط اشتباك نغمات الأصوات من هياكل العبادات تحل وتعقد في الأفلاك الدائرة: مثل همة إصابة العين والسحر والاستسقاء وسنذكرها في مواضعها، وكن مع الملك كما **قال بعض الحكماء**.

إذا خدمت الملك فالبس ... ممن التوقي اشد ملبس

وادخل إذا ما دخلت أعمى ... واخرج إذا ما خرجت أخرس

المقالة الخامسة

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ص/٢٤٩

في آداب ملكية

يعقد الوزير في دسته وحاجبه على رأسه ولا يلاصقه أحد في المنعة وكتابة لديه والمجلس ملآن هيبة ووقارا والحوائج إلى الحاجب والرفع إلى الكتاب والاطلاع إلى الوزير ورفع الأمر إلى الملك فأول ما يبدأ بمصالح الحاشية بعد الملك والوزير حتى إلى التقليد وقيل لا يحضر الملك الجمعة إلا في مكان معزول في مقصورة له خاص، وأصحابه في دائرة المقصورة من خارج والباب مغلق وعنده من يكون إليه ويخرج هو وأصحابه في آخر الناس في باب له. وليكن له يومان ني الأسبوع للختم والزيارة ثم يقرأ له بعد الصبح فلا يعجلون حتى يفرغ الآخر ثم يقرأ التوبة فإذا فرغوا وعظ وأنشد المنشد ثم يقرءون: قل هو الله أحد والمعوذتين والفاتحة. وألم إلى المفلحون.

ثم يختم الإمام بتصديقه حقيقة ويدعو للملك والمسلمين وليكن للملك في الأسبوع خلوة عبادة وتذكار والنظر في الحساب والأموال والنظر في دساتير البلاد. والله أعلم.

المقالة السادسة

في ترتيب الخباز والطباخ والقصاب

لا يكن القصاب عددا في الدين فإنه لا يتحرى من النجاسة وهكذا الخباز والطباخ ويتفقد المعاجن وآلات الطبخ والدقيق واللحم وليكن الطباخ عالما بصناعته وعنده كتب الطبائخ لكشاجم والأشربة والأدهان والحلاوات والريح الطيب والألوان الغريبة وحسن المآكل وأطيبها وأنفعها وأقواها للعافية وهو لحم مرضوض مقلو مرشوش بالمياه الحامضة يحشى به العجين فيقلى. وأطيب الحلاوات ماكثر خبزه. وانفع الهرايس لمن به حرارة المزاج وهو اللون النوبي من البزرة يقلى وقد هجرت الألوان الظريفة باستيلاء الترك واتخاذهم السنبرشح والعرائس والسالة والطظماج والسترك والبورك المعمول باللحم والحوائج الحادة المعمولة في العجين فإذاكنت ذا فنون في طلب الطبائخ فاتجه لكتبها وقد ذكرتا طرفا منها في آخر كتاب السبيل.

وإذا أردت العقلية فعليك بكتاب المقاصد وكتاب النجاة للرئيس وإن شئت فيه الغاية القصوى فاطلع على الكتب الأصولية الدينية خاصة كتب شيخنا إمام الحرمين مثل المحيط والإرشاد ومن كتبنا النافعة في ذلك كتاب الاقتصاد في الاعتقاد. وكتاب قواعد العقائد من أول كتاب الإحياء والرسالة القدسية. وإذا أردت الطب فكثير. وأنفعها ما عمل به من الكتب واطلع على جميع العلوم الشرعية لتعلم الحق من الغي والهوى والله تعالى أعلم ثم نرجع إلى تحرير مقامات العمال:". (١)

١٢٢٤-"واعلم أن في اغضاضك بصرك عن النظر إلى مالا يؤمن أن يكون سببا إجماما للقلب، وجبا للشر، وإصلاحا للنفس، ومادة للإرادة الهوائية، وإغضاؤك عن النظر يوصلك إلى موجود عقلك، الذي هو أصل المعرفة بربك، لأن المعرفة به - عز وجل - نتاج العقل الصحيح، والإيمان به - عز وجل - نتاج المعرفة به، وإذا صح العقل، نبتت المعرفة، وصدق الأيمان، وحكم القلب على جميع الجوارح بأعمال الخدمة فتدبر - يا أخي - قلبك بالإخلاص، وتلطف بالمسير في طرق السلامة من الآفات القادحة، والخواطر السارحة.

---

(١) سر العالمين وكشف ما في الدارين ص/٨

كيف المخرج والفرار؟: واعلم أن مخرج النظر المسدد من العقل النافع، ومخرج الدلالة من المعرفة العقلية، ومخرج الفكر من يقين القلب، فإذا دام النظر في النعم أيدته المعرفة للعملية الدالة علية، ثم وقعت المعرفة عليها فأبانت الفكرة ما فيها من الفضل والمنفعة فأتت النفوس بالنعم، وفرحت بمجاورتها، وانقطعت عن أسباب الفعل، وانفردت في خلوتها برعايتها، وسقط الهم بغيرها، واتصل بما يحفظها ويراد به منها، فإذا صحت معرفة النفس لنعم الرب جل وعلا، انشرح لهل الصدر والقلب، ووقع الشكر، وكثر الذكر، وتم السرور، والفرح، وعظم الافتخار، وصفا العيش وطاب.

فصل

كيف ندرك المجتهدين ونسبق المسرعين

نصيحة شيخ مجرب!

قال بعض المشايخ لمريده: يا بني ألا أدلك على عمل كثير من أعمال الأبرار تدرك به العامل المجتهد، وإن كنت متوانيا؟ احفظ طرفك ولسانك مع أداء الحقوق، فذلك أعمال الراسخين. إن أردت أن تسبق الراكب المسرع، وإن كنت بطيئا فاشغل قلبك ولسانك بذكر الله، مع ترك الحظوظ، فذلك من أعمال الصديقين. واعبد الله على طريق العلم تسلم من الآفات، وأخلص له سبيل الصدق ترفع في الدرجات. ونظر بعض العباد إلى صبي فتأمل محاسنه فأتى في منامه وقيل لتجدن غبها بعد أربعين سنة. **قال بعض الحكماء**: القلب مثل بيت له ستة أبواب.

ما هي أبواب القلب؟ ثم قيل له: احذر ألا يدخل عليك من أحد هذه الأبواب شيء فيفسد عليك البيت، فالقلب هو البيت، وأبوابه: الفم، واللسان، والسمع، والبصر، واليدان، والرجلان، وفتح هذه الأبواب بغير علم ضياع البيت، وغلق هذا البيت فرض، وسد كل باب من هذه الأبواب فرض، خوفا على البيت من الفساد، وهذا البيت إذا فسد فسد الجسد كله، لقوله صلى الله عليه وسلم: " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب " فافهم حفظ هذه الأبواب واحرص عليها.

النظر هو البداية!: واعلم أن بدء المعصية النظر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " النظرة سهم من سهام إبليس ".

رأي عيسى – عليه السلام – في النظرة: وقال عيسى – عليه السلام –: " إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب حسرة ".

والنظر!: وقال ابن سيرين: " إياك وفضول النظر فإنه يؤدي إلى فضول الشهوة ". وقال داود لابنه: " يا بني امش خلف الأسد، ولا تمشي خلف المرأة ".

ابن مكتوم ينظر إلى قدميه!: وكان الأسود بن مكتوم إذا مشى نظر إلى قدميه فربما استقبله النساء فيقول بعضهن لبعض: لا يرعكن قامة الأسود بن مكتوم إذا مشى نظر إلى قدميه لا ينظر إليكن.

الإسلام يحث على صون مرأة: وفي الحديث: " شر النساء اللاتي يتشوقن للرجال ويفتن الرجال وشر الرجال الذين يتشوقون للنساء ويفتنون ". وعن ابن عمر – رضي الله تعالى عنه – قال: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمشي الرجل بين المرأتين " أخرجه أبو داود. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان ". وقال صلى الله عليه وسلم: " باعدوا بين أنفاس الرجال، وأنفاس النساء ". وما ورد من أنه " لو كان

عرق من المرأة بالمشرق، وعرق من الرجل من المغرب، لحن كل واحد منهما لصاحبه ". فكيف بالمباشرة والكلام والمزاح؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون على عدم الاستحياء من عمل الذنوب.
الخمسة التي تفسد القلب: وروى: " خمسة تفسد القلب: الخلوة بالنساء، والاستماع لهن، والأخذ برأيهن، ومجاراة الأحمق، فأن جاريته كنت مثله، ومجالسة الموتى. قيل: وما الموتى؟ قال: كل غني أبطره غناه، وكل إمام جائر ".". (١)

١٢٢٥-"عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم ينلك منه أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء مثل القين إن لم يصبك ناره أصابك شراره ". قال أبو حاتم رضي الله عنه: العقل يلزم صحبة الأخيار ويفارق صحبة الأشرار لأن مودة الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومودة سريع انقطاعها بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم. قالوا: يجب على العاقل أن يتجنب أهل الريب لئلا يكون مريبا، فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير، كذا صحبة الأشرار تورث الشر. وقال صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: " لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي " واسمع قوله تعالى: (يا نوح إنه ليس من أهلك) . فنهى الله - عز وجل - نبيه أن يقول لابنه: " إنه من أهلي "؛ لأجل ما خالف الله ورسوله. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي: " سلمان منا أهل البيت " لأجل طاعته الله ورسوله. وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: من أحب إليك؟ قال: "كل تقي ".
قال الله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) واعلم رحمك الله وجميع المسلمين بأنه يجب على المسلم أن يحب من أحبه الله، ويقرب من قربه الله تعالى، ويبغض من أبغضه الله تعالى، ويبعد من أبعد الله تعالى، فحينئذ يستوجب رحمة الله. قال صلى الله عليه وسلم: " من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان ". فمن كان من أهل الطاعة وقرب أهل المعصية أبعده الله، ومن أرضاهم فقد أسخط الله، ومن أكرمهم أهانه الله، ومن أحبهم أبغضه الله وحشره معهم لقوله - صلى الله عليه وسلم - " المرء مع من أحب ". قال عيسى عليه السلام: " يا معشر الحواريين تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي والفسق، والتمسوا رضا الله تعالى إليه بالتباعد عنهم بسخطهم. قالوا: فمن نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويرغبكم في الآخرة علمه، ويزيد من فهمكم منطقه " وقال: إذا كان الناسك جيرانه عنه راضون فاعلم أنه مداهن. وقال: لا تجالسوا الأحداث فإن فتنتهم أشد من العذارى. وقال: لا تجالسوا شربة الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم فإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودا وجهه مزرقا عينيه مذلقا لسانه على صدره يسيل لعابه كل من رآه. وينبغي للإنسان أن لا يعاشر إلا أهل طريقته إذا كانت موافقة للكتاب والسنة، ولا يعاشر غير أبناء جنسه من المبتدعين قال الله تعالى: (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) أي لا تعاشروا إلا من تبع موافقتكم على أحوالكم وطريقتكم. قال صلى الله

---

(١) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان ص/٣

عليه وسلم فيما يخبر عن ربه عز وجل: " وإن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه ". وإياك وموالاة أهل البدع بالمودة فإنها تذهب بأنوار القلوب، وتحين أفعالهم يورث المقت من الحق والبعد من الله عز وجل. وقال أبو حاتم رضى الله عنه: العاقل لا يدنس عرضه ولا يعود نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار ولا يغض عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار على أن الناس عند الخبرة تتبين منهم أشياء ضد الظاهر منها. وعن أبي عمرو بن العلاء قال: رآني سعيد بن جبير وأنا جالس مع الشباب قال: ما يجلسك مع الشباب عليك بالشيوخ. وقال أبو الدرداء: لصاحب صالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومملي الخير خير من الساكت خير من مملي الشر. وقال أبو حاتم: العاقل لا يصاحب الأشرار؛ لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار تعقب الضغائن، لا يستقيم وده ولا يفي بعهده؛ وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرا تكون مجالسة الكلب خيرا من عشرته، ومن يصاحب السوء لا يسلم كما أن من يدخل مدخل السوء يتهم، ومن كان أصدقاؤه أشرارا كان هو أشرهم وكما أن الخير لا يصحب إلا البررة كذلك الرديء لا يصحب إلا الفجرة. **وقال بعض الحكماء**: من جلس مع ثمانية أصناف زاد فيه ثمانية أشياء: من جلس مع الأغنياء زاده قلة الشكر والرضا بقسمة الله تعالى أو عكسها.". (١)

١٢٢٦-"وهو عندي أولى بالصواب والله أعلم

وفي هذا الحديث تفسير لما قبله من الأحاديث أنها في المكتوبات لا في النوافل

ويستدل بذلك على جماعة إلا في الفريضة

وقد مضى القول فيما سنه عمر رضي الله عنه في رمضان خاصة من التراويح

وفيه دليل على أن الانفراد بكل ما يعمله المؤمن من أعمال البر ويستره ويخفيه أفضل

ولذلك **قال بعض الحكماء** إخفاء العلم هلكة وإخفاء العمل نجاة

وقال الله عز وجل في الصدقات (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم البقرة ٢٧١

وإذا كانت النافلة في البيوت أفضل منها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فما ظنك بها في غير ذلك الموضع إلى ما في صلاة المرء في بيته من اقتداء أهله به من بنين وعيال والصلاة في البيت نور له

وفقنا الله لما يرضى من القول والعمل آمين برحمته إنه ولي ذلك

(٢ باب ما جاء في العتمة والصبح)

٢٥٩ - مالك عن عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي عن سعيد بن المسيب أن رسول الله قال بيننا وبين المنافقين شهود صلاة العشاء والصبح لا يستطيعونها أو نحو هذا

وهذا الحديث هكذا في الموطأ مرسل وقد ذكرناه مسندا من طرق في التمهيد

وأما قوله فيه أو نحو هذا فإنما هو شك من المحدث

---

(١) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان ص/٤٠

وقال فيه يحيى العشاء أو الصبح

وقال القعنبي وبن بكير وجمهور الرواة للموطأ عن مالك فيه صلاة العتمة والصبح على ما في ترجمة الباب". (١)

١٢٢٧-"خذوا بحظكم من العزلة وكان سعيد بن المسيب يقول العزلة عبادة وذكر عبد الله بن حبيق قال قال لي يوسف بن أسباط قال لي سفيان الثوري وهو يطوف حول الكعبة والذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة **وقال بعض الحكماء** الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة عزلة الناس قال وعالجت نفسي على الصمت فلم أظفر به فرأيت أن العاشرة خير الأجزاء وهي عزلة الناس قال أبو عمر وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك وإن كنت بين ظهرانيهم ذكر ابن المبارك قال حدثنا وهيب بن الورد قال جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال إن الناس قد وقعوا فيما فيه وقعوا وقد حدثت نفسي أن لا أخالطهم فقال لا تفعل إنه لا بد لك من الناس ولا بد لهم منك ولك إليهم حوائج ولهم إليك حوائج ولكن كن فيهم أصم سميعا أعمى بصيرا سكوتا نطوقا وقال ابن المبارك في تفسير العزلة أن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت قال أبو عمر يشبه أن يكون من ذهب هذا المذهب من حجته ما حدثناه أحمد بن قاسم بن عيسى حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة حدثنا البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب حدثني شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قلت من هو قال". (٢)

١٢٢٨-"عليه خرج هذا الخبر فما ظنك بها في غير هذا البلد ولهذا **قال بعض الحكماء** إخفاء العمل نجاة وإخفاء العلم هلكة والمأمور بستره من أعمال البر النوافل دون المكتوبات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حديث ثان لأبي النضر مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن نافع مولى أبي قتادة عن أبي قتادة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كانوا ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حمار وحش فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا فسألهم رمحه فأبوا فأخذه ثم شد على الحمار فقتله فأكل منه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بعضهم فلما أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن ذلك فقال إنما هي طعمة أطعمكموها الله هذا حديث ثابت صحيح لا يختلف أهل العلم بالحديث في ثبوته وصحته وقد روي عن أبي قتادة من وجوه وقد رواه جابر أيضا عن أبي قتادة أخبرنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب وحجاج بن منهال قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر أن أبا قتادة أصاب حمار وحش وهو حلال فأكلوا منه". (٣)

---

(١) الاستذكار ١٤٣/٢

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٤٤٦/١٧

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٥٠/٢١

١٢٢٩-"غيره (حم ق ن عن أنس) بن مالك

(ذهبت النبوة) اللام للعهد والمعهود نبوته (وبقيت المبشرات) بكسر الشين المعجمة جمع مبشرة وهي البشرى وفسرها في الخبر الآتي بأنها الرؤيا الصالحة والمراد أنها أشرفت على الذهاب لقرب موته (هـ عن أم كرز) بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي الكعبية // بإسناد حسن // (ذهبت النبوة) أي قرب ذهابها (فلا نبوة) كائنة (بعدي) أي بعد وفاتي (إلا المبشرات) قالوا وما المبشرات قال (الرؤيا الصالحة) التي (يراها الرجل) يعني الإنسان ولو أنثى (أو ترى له) أي يراها غيره من الناس له فهي جزء من أجزاء النبوة باقية إلى قرب قيام الساعة (طب عن حذيفة) بضم المهملة (ابن آسيد) بفتح الهمزة وكسر المهملة الغفارى صحابي قديم ورجاله رجال الصحيح

(ذهبت العزى) بضم المهملة وشد الزاي المفتوحة (فلا عزى بعد اليوم) أرد به الصنم الذي كانوا يعبدونه أرسل إليه فكسره حتى صار رضاضا فما أخبر بذلك ذكره (ابن عساكر عن قتادة مرسلا)

(ذو الدرهمين) أي صاحب الدرهمين مثلا (أشد حسابا) يوم القيامة (من ذي الدرهم وذو الدينارين أشد حسابا من ذى الدينار) كذلك ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام والقصد الحث على الإقلال من المال وتسلية الفقراء (ك في تاريخ) تاريخ نيسابور (عن أبي هريرة) مرفوعا (هب عن أبي ذر موقوفا) وهو أشبه

(ذو السلطان وذو العلم أحق بشرف المجلس) أي كل منهما أحق بأن يقدم ويؤثر بالجلوس في صدور المجالس من الرعايا والمراد العلم الشرعي النافع (فر عن أنس) بإسناد فيه مجهول //

(ذو الوجهين في الدنيا) وهو الذي يأتي كل طائفة بما تحب فيظهر لها أنه منها ويخالف لضدها صنيعة وخداعا (يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار) جزاء له على إفساده وارتكابه أصلا من أصول النفاق وأكثر رجل الثناء على علي كرم الله وجهه بلسان لا يوافقه القلب فقال له أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك فانظر إلى هذه الفراسة المفترسة لحياة القلوب والمكشوف المغطى من خفيات الغيوب **وقال بعض الحكماء** لأن يكون لي نصف لسان ونصف وجه على ما فيهما من قبح المنظر وسوء المخبر أحب إلي من أن ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين وقال ارسطوا وجهك مرآة قلبك فإنه يظهر على الوجه ما تضمره القلوب (طس عن سعد) بن أبي وقاص بإسناد فيه كذاب ووهم المؤلف في رمزه لحسنه

(ذيل المرأة شبر) أي تطيله حتى تجره على الأرض قدر شبر زيادة في الستر المطلوب وذا قاله أولا ثم استزدنه فزادهن شبرا فصار ذراعا وقال لا تزدن عليه (هق عن أم سلمة) أم المؤمنين (وعن ابن عمر) // بإسناد حسن // (ذيلك) بكسر الكاف خطا بالمؤنث والمخاطب فاطمة أو أم سلمة (ذراع) بذراع اليد وهو شبران فلا يزاد عليه لحصول المقصود من زيادة الستر به (هـ عن أبي هريرة) // بإسناد حسن //

(الذباب كله في النار) يعذب به أهلها لا ليعذب هو (إلا النحل) فإن فيه شفاء فلا يناسب حالهم وتمامه ونهى عن قتلهن يمن إحراق الطعام في أرض العدو (البزارع طب عن ابن عمر طب عن ابن عباس وعن ابن مسعود) بأسانيد بعضها رجاله ثقات

(الذبيح إسحق) بن إبراهيم الخليل أخذ به الجمهور وأجمع عليه أهل الكتابين لكن سياق الآية يدل لكونه إسمعيل وصوبه

ابن القيم وصححه البيضاوى (قط في) كتاب (الأفراد) بفتح الهمزة (عن ابن مسعود البزار وابن مردوية عن". [(١)]

١٢٣٠-"ضعف //

(العدل حسن) لأنه يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة وتنعم به الأرض وتنمو به الأموال وتكثر العمران ويعم الأمان **قال بعض الحكماء** العدل ميزان الله فلذلك هو مبرأ عن كل ميل وزلل وقال بعضهم العدل ميزان الله والجور مكيال الشيطان (ولكن) هو (في الأمراء أحسن) لأن الآحاد إذا لم يعدل أحدهم قوم بالسلطان وأما هو فلا مقوم له (السخاء حسن) في كل أحد (ولكن) هو (في الأغنياء أحسن) لأنه به عمارة الدين والدنيا (الورع حسن) في جميع الناس (ولكن) هو (في العلماء أحسن) منه في غيرهم لأن الطمع يزل أقدامهم (الصبر حسن) لكل أحد (ولكن) هو (في الفقراء أحسن) فإنهم يتعجلون به الراحة مع اكتساب المثوبة فهو في الفقراء أحسن من حيث عجزهم عن تلافي ما هو في مظنة الفوت فما لم يصبر أحدهم احتمل هما لازما (التوبة) شيء (حسن) لكل عاص ولكن في الشباب أحسن) منها في غيرهم والله يحب الشاب التائب (الحياء حسن) في الذكور والإناث (ولكن في النساء أحسن) منه في الرجال لأنهن به أحق (فر عن علي

العرافة) بالكسر وفي رواية الإمارة (أولها ملامة وآخرها ندامة والعذاب يوم القيامة) إلا من اتقى الله وقليل ما هم (الطيالسي عن أبي هريرة

العرب للعرب أكفاء) أي متماثلون متساون والكفاءة كون الزوج نظير الزوجة في النسب ونحوه بخلاف العجم فليسوا بأكفاء للعرب (والموالي أكفاء للموالي إلا حائك أو حجام) لدناءة حرفتهما (هق عن عائشة) بإسناد عدم والحديث // منكر //

(العربون لمن عربن) بيع العربون أن يدفع المشتري للبائع شيأ على أنه أن رضيه فمن الثمن وإلا فهبة وهو باطل عند الثلاثة دون أحمد (خط في) كتاب (رواة مالك عن ابن عمر) // بإسناد فيه متهم //

(العرش) الذي هو أعظم المخلوقات (من ياقوتة حمراء) فيه رد لما في الكشاف وغيره أنه جوهرة خضراء (أبو الشيخ في) كتاب (العظمة عن الشعبي مرسلا

العرف) أي المعروف (ينقطع فيما بين الناس) أي أن من فعل معه ربما جحد وأنكر (ولا ينقطع فيما بين الله وبين من فعله) إذا كان فعله لله فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا (فر عن أبي اليسر) // بإسناد ضعيف //

(العسيلة) المذكورة في حديث المرأة التي طلقها زوجها ثلاثا فأرادت الرجوع إليه فقال لها المصطفى لا حتى تذوقي عسيلته أي الزوج الثاني ويذوق عسيلتك هي (الجماع) فكنى بها عنه لأن العسل فيه حلاوة ويلتذ به والجماع كذلك فأفاد به أن مجرد العقد لا يكفي في التحليل (حل عن عائشة) ورواه عنها أحمد ورجاله رجال الصحيح

(العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر) قاله لما سئل عن قوله ﴿والشفع والوتر﴾ الآية (حم ك عن جابر

العطاس) بضم العين (من الله والتثاؤب من الشيطان) لأن العطاس ينشأ عنه النشاط للعبادة فلذلك أضيف إلى الله والتثاؤب ينشأ من الامتلاء فيورث الكسل فأضيف للشيطان (فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه) ليرده ما استطاع (وإذا قال

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢١/٢

آه آه) حكاية صوت المتثاءب (فإن الشيطان يضحك من جوفه وأن الله عز وجل يحب العطاس) أي الذي لا ينشأ عن زكام (ويكره التثاؤب) لأن العطاس يورث خفة الدماغ ويزيل كدر النفس وينشأ عنه سعة المنافذ وذلك محبوب إلى الله تعالى فإذا اتسعت ضاقت على الشيطان وإذا ضاقت بالأخلاط والطعام اتسعت وكثر منه التثاؤب". (١)

١٢٣١-"ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى) أي مسجد وألحق به نحو مدرسة ورباط (يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم) أي يشتركون في قراءة بعضهم على بعض ويتعهدونه خوف النسيان (الا نزلت عليهم السكينة) فعيلة من السكون للمبالغة والمراد هنا الوقار أو الرحمة أو الطمأنينة (وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة) أي أحاطت بهم ملائكة الرحمة (وذكرهم الله) أثنى عليهم أو أثابهم (فيمن عنده) من الانبياء وكرام الملائكة والعندية عندية تشريف ومكانة وأخذ منه فضل ملازمة الصوفية للزوايا والربط على الوجه المعروف **قال بعض الحكماء** ارتفاع الاصوات بالذكر في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ما عقدته الافلاك الدائرات فاجتماع أهل الزوايا والربط على الوجه المرضى شرعا وتحققوا بحسن المعاملة ورعاية الاوقات وتوقى ما يفسد الاعمال واعتمدوا ما يصحح الاحوال تعد بركته على العباد والبلاد (د عن أبي هريرة) بل رواه مسلم باللفظ المزبور

(ما اجتمع قوم على ذكر الله) تعالى (فتفرقوا عنه الا قيل لهم) من قبل الله (قوموا مغفور لكم) من أجل الذكر وفيه رد على مالك حيث كره الاجتماع لنحو قراءة أو ذكر (الحسن بن سفيان) في جزئه (عن سهل بن الحنظلية) الاوسى واسناد حسن

(ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي [صلى الله عليه وسلم] الا قاموا عن أنتن من جيفة) هذا على طريق استقذار مجلسهم العاري عن الصلاة عليه استقذارا يبلغ الى هذه الحالة (الطيالسي) أبو داود (هب والضياء) المقدسي (عن جابر) واسناده صحيح

(ما اجتمع قوم فتفرقوا عن غير ذكر الله الا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار) لان ما يجري في ذلك المجلس من السقطات والهفوات اذا لم يجبر بذكر الله يكون كجيفة تعافها النفس (وكان ذلك المجلس عليهم حسرة) يوم القيامة زاد في رواية للبيهقي وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب الفائت بترك الصلاة عليه (حم عن أبي هريرة) واسناده صحيح

(ما اجتمع قوم في مجلس فتفرقوا) منه (ولم يذكروا الله) عقب تفرقهم ولم (يصلوا على الا كان مجلسهم ترة عليهم يوم القيامة) أي حسرة وندامة لانهم ضيعوا راس مالهم وفوتوا ربحهم (حم حب عن أبي هريرة) واسناده صحيح

(ما أحببت من عيش الدنيا الا الطيب والنساء) ومحبته لهما الا تنافى الزهد فانه ليس بتحريم الحلال كما مر (ابن سعد) في الطبقات (عن ميمونة مرسلا

ما أحب عبد عبد الله الا أكرمه ربه) عز وجل وفي رواية الا أكرم الله (حم عن أبي امامة) واسناده صحيح واقتصار المؤلف على أنه حسن غير حسن

(ما أحب أن أسلم على رجل وهو يصلي ولو سلم على لرددت عليه) هذا كان أولا ثم نسخ بتحريم الكلام فيها (الطحاوي

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/١٥٤

عن جابر) واسناده حسن

(ما أحب أن أحدا) بضمتين الجبل المعروف) (تحول) بمثناة فوقية مفتوحة كتفعل وفي رواية بتحتية مضمومة (لي ذهبا يمكث عندي منه) أي من الذهب (دينار) بالرفع فاعل يمكث (فوق ثلاث) من الليالي (الا دينارا) نصب على الاستثناء من سابقه وفي رواية بالرفع على البدل من دينار السابق (أرصده) بضم الهمزة وكسر الصاد من رصدته رقبته (لدين) هذا محمول على الاولوية لان جمع المال وان كان مباحا لكن الجامع مسؤل عنه وفي المحاسبة خطر (خ عن أبي ذر) جندب بن جنادة

(ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية) أي بدلها وهي قوله تعالى ﴿يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم الى آخر الآية﴾ تمامه". (١)

١٢٣٢-"من ذلك زيادة ارتباط توجب المحبة (حل هب عن ابن مسعود) ثم قال البيهقي منكر مرفوعا بهذا الاسناد

(من سره أن يجد حلاوة الايمان) استعار الحلاوة المحسوسة للكمالات الايمانية العقلية (فليحب المرء لا يحبه) لشئ (الا لله) أي لاجله لا لغرض آخر كاحسان والمراد الحب العقلي لا الطبيعي (حم ك عن أبي هريرة) وحديث أحمد صحيح

(من سره أن يسلم) من السلامة لا الاسلام أي من سره أن يسلم في الدنيا من أذى الخلق والآخرة من عقاب الحق (فليلزم الصمت) أي السكوت عما لا يعنيه ولا منفعة فيه ليسلم من الزلل ويقل حسابه (هب عن أنس) وضعفه المنذري

(من سره أن ينظر الى سيد شباب أهل الجنة فلينظر الى الحسن) بن علي أحد الريحانتين (ع عن جابر) واسناده حسن

(من سره أن ينظر الى تواضع عيسى) بن مريم (فلينظر الى أبي ذر) فانه في مزيد التواضع ولين الجانب وخفض الجناح يقرب منه (ع عن أبي هريرة) واسناده صحيح

(من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج) حاضنة المصطفى (أم أيمن) بركة الحبشية ورثها من أبيه وزوجها من حبه زيد بن حارثة فولدت له اسامة (ابن سعد) في طبقاته (عن سفيان بن عقبة مرسلا) وهو أخو قبيصة

(من سره أن ينظر الى امرأة) أي يتأملها بعين بصيرته لا بصره (من الحور العين فلينظر الى أم رومان) بنت عامر بن عومير الكنانية زوجة أبي بكر أم عائشة (ابن سعد عن القاسم بن محمد مرسلا) ورواه أبو نعيم عن أم سلمة

(من سرته حسنته) لكونه راجيا ثوابها موقنا بنفعها (وساءته سيئته فهو مؤمن) أي كامل الايمان فالايمان لا يكمل فيه حتى تسره تلك وتسوءه هذه ويصير متيقنا انه لا يخفى على ربه حبة خردل ولا مثقال ذرة فيجازيه بعمله (طب عن أبي موسى) الاشعري باسناد ضعيف

(من سعى بالناس) أي وشى بهم الى جائر ليؤذيهم (فهو لغير رشده) أي فهو يسعى لغير رشده أو يصير الى غير رشده (أو فيه شئ منه) أي من غير الرشد لان العاقل الرشيد لا يتسبب الى العطب بايذاء الناس بلا سبب ولذلك قالوا النميمة من الخصال الذميمة تدل على نفس سقيمة وطبيعة لئيمة مشغوفة بهتك الاستار وكشف الاسرار **وقال بعض الحكماء الاشرار** يتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الوجعة من الجسد ويترك الصحيحة وقالوا الساعي

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٣٣٨

بالنميمة كشاهد الزور يهتك نفسه ومن سعى به ومن سعى اليه ورأى بعضهم رجلا يسعى بآخر عند رجل فقال له نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن النطق به فان السامع شريك المتكلم (ك عن أبي موسى) قال العراقي لا أصل له

(من سكن البادية جفا) أي غلظ طبعه وقسا قلبه لبعده عن العلماء والصلحاء (ومن اتبع الصيد غفل) عن مصالحه (ومن أتى السلطان افتتن) لانه ان وافقه في مراده فقد خاطر بدينه وان خالفه خاطر بروحه (حم ٣ عن ابن عباس) قال ت حسن ونوزع بأن فيه مجهلا

(من سل سيفه) فقاتل به الكفار (في سبيل الله) امتثالا لامره (فقد بايع الله) اما من البيع ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة واما من البيعة ان الذين يبايعونك (ابن مردوية عن أبي هريرة

من سل علينا السيف) أي أخرجه من غمده لاضرارنا (فليس منا) حقيقة ان استحل والا فمعناه ليس من التابعين لارشادنا (حم م عن سلمة بن الاكوع

من سلك طريقا) حسية أو معنوية (يلتمس) يطلب (علما) نكره ليعم كل علم شرعي وآلته (سهل الله له) به". [١]

١٢٣٣-"١٦ - (باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة)

ما بين الستين إلى سبعين [٢٣٣١] قوله (عن كامل أبي العلاء) قال في تهذيب التهذيب كامل بن العلاء التميمي السعدي ويقال أبو عبد الله الكوفي روى عن أبي صالح ميناء وغيره وعنه محمد بن ربيعة وغيره

وقال في التقريب صدوق يخطىء من السابعة (عن أبي صالح) قال في تهذيب التهذيب أبو صالح مولى ضباعة

قال مسلم اسمه ميناء روى عن أبي هريرة حديث أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين

وعنه كامل أبو العلاء ذكره بن حبان في الثقات

قوله (عمر أمتي من ستين سنة إلى سبعين) قيل معناه آخر عمر متى ابتداؤه إذا بلغ ستين سنة وانتهاؤه سبعون سنة وقل من يجوز سبعين

وهذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال فإن منهم من لم يبلغ ستين سنة ومنهم من يجوز سبعين ذكره الطيبي رحمه الله

قال القارىء بعد نقل كلام الطيبي هذا وفيه أن اعتبار الغلبة في جانب الزيادة على سبعين واضح جدا وأما كون الغالب في آخر عمر الأمة بلوغ ستين في غاية من الغرابة المخالفة لما هو ظاهر في المشاهدة

فالظاهر أن المراد به أن عمر الأمة من سن المحمود الوسط المعتدل الذي مات فيه غالب الأمة ما بين العددين منهم سيد الأنبياء وأكابر الخلفاء كالصديق والفاروق والمرتضى وغيرهم من العلماء والأولياء مما يصعب فيه الاستقصاء انتهى

وقال الحافظ في الفتح بعد ذكر هذا الحديث

قال بعض الحكماء الأسنان أربعة سن الطفولية ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان وغالب ما

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ٤٢٣/٢

يكون ما بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة انتهى

قوله (هذا حديث حسن غريب) وأخرجه بن ماجة". (١)

١٢٣٤-"٦٥ - (باب ما جاء في تحذير فتنة النساء)

قوله (عن أبيه) هو سليمان بن طرخان (عن أبي عثمان) النهدي

قوله (ما تركت بعدي) أي ما أترك وعبر بالماضي لتحقق الموت (فتنة) أي امتحانا وبلية (أضر على الرجال من النساء) لأن الطباع كثيرا تميل إليهن وتقع في الحرام لأجلهن وتسعى للقتال والعداوة بسببهن وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا وأي فساد أضر من هذا وإنما قال بعدي لأن كونهن فتنة أضر ظهر بعده

قال الحافظ في الحديث إن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ويشهد له قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء فجعلهن من عين الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك وقد **قال بعض الحكماء** النساء شر كلهن وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ومع أنها ناقصة العقل والدين تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد انتهى

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه البخاري في النكاح ومسلم في آخر الدعوات والنسائي في عشرة النساء وبن ماجه في الفتن

قوله (وفي الباب عن أبي سعيد) أخرجه مسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فسينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء". (٢)

١٢٣٥-"وشوقت بسرورها إلى السرور، فذمها قوم عند الندامة، وحمدها آخرون، حدثتهم فصدقوا، وذكرتهم فذكروا؟ فيا أيها المغتر بالدنيا، المغتر بغرورها، متى استلامت إليك الدنيا؟ بل متى غرتك؟ أبمضاجع آبائك من الثرى؟ أم بمصارع أمهاتك من البلى؟ كم قد قلبت بكفيك، ومرضت بيديك تطلب له الشفاء، وتسأل له الأطباء، فلم تظفر بحاجتك، ولم تسعف بطلبتك، قد مثلت لك الدنيا بمصرعه مصرعك غدا، ولا يغني عنك بكاؤك، ولا ينفعك أحباؤك.

فبين أمير المؤمنين رضي الله عنه أن الدنيا لا تذم مطلقا، وأنها تحمد بالنسبة إلى من تزود منها الأعمال الصالحة، وأن فيها مساجد الأنبياء، ومهبط الوحي، وهي دار التجارة للمؤمنين، اكتسبوا منها الرحمة، وربحوا بها الجنة، فهي نعم الدار لمن كانت هذه صفته. وأما ما ذكر من أنها تغر وتخدع، فإنها تنادي بمواعظها، وتنصح بعبرها، وتبدي عيوبها بما تري أهلها من مصارع الهلكى، وتقلب الأحوال من الصحة إلى السقم، ومن الشبيبة إلى الهرم، ومن الغنى إلى الفقر، ومن العز إلى الذل، ولكن

---

(١) تحفة الأحوذي ٥١٣/٦

(٢) تحفة الأحوذي ٥٣/٨

محبها قد أصمه وأعماه حبها، فهو لا يسمع نداءها، كما قيل:

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر أفنيته ... وجامع بددت ما يجمع

وقال يحيى بن معاذ: لو يسمع الخلائق صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء، لتساقطت القلوب منهم حزنا. **وقال بعض الحكماء**: الدنيا أمثال تضربها الأيام للأنام، وعلم الزمان لا يحتاج إلى ترجمان، وبحب الدنيا صمت أسماع القلوب عن المواعظ، وما أحث السائق لو شعر الخلائق.

وأهل الزهد في فضول الدنيا أقسام: فمنهم من يحصل له، فيمسكه". (١)

١٢٣٦-"ودخلوا على بعض الصالحين، فقلبوا بصرهم في بيته، فقالوا له: إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحل، فقال: أمرتحل؟ لا أرتحل ولكن أطرد طردا. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. **قال بعض الحكماء**: عجبت ممن الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة إليه يشغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة. وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب الله على أهلها منها الظعن، فكم من عامر موثق عن قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا - رحمكم الله - منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة، ولا وطنا، فينبغي للمؤمن أن يكون حاله فيها على أحد حالين: إما أن يكون كأنه غريب مقيم في بلد غربة، همه التزود للرجوع إلى وطنه، أو يكون كأنه مسافر غير مقيم البتة، بل هو ليله ونهاره، يسير إلى بلد الإقامة، فلهذا وصى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر أن يكون في الدنيا على أحد هذين الحالين. فأحدهما: أن يترك المؤمن نفسه كأنه غريب في الدنيا يتخيل الإقامة، لكن في بلد غربة، فهو غير متعلق القلب ببلد الغربة، بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه، وإنما هو مقيم في الدنيا ليقضي مرمة جهازه إلى الرجوع إلى وطنه، قال الفضيل بن عياض: المؤمن في الدنيا مهموم حزين، همه مرمة جهازه. ومن كان في الدنيا كذلك، فلا هم له إلا في التزود بما ينفعه عند عوده إلى". (٢)

١٢٣٧-"أن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب. قيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة؟ . وقال الحسن: إنما أنت أيام مجموعة، كلما مضى يوم مضى بعضك. وقال: ابن آدم إنما أنت بين مطيتين يوضعانك، يوضعك النهار إلى الليل، والليل إلى النهار، حتى يسلمانك إلى الآخرة، فمن أعظم منك يابن آدم خطرا، وقال: الموت معقود في نواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم. قال داود الطائي: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ١٩٥/٢

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ٣٧٨/٢

الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها، فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك. وكتب بعض السلف إلى أخ له: يا أخي يخيل لك أنك مقيم، بل أنت دائب السير، تساق مع ذلك سوقا حثيثا، الموت موجه إليك، والدنيا تطوى من ورائك، وما مضى من عمرك، فليس بكار عليك يوم التغابن.

سبيلك في الدنيا سبيل مسافر ... ولا بد من زاد لكل مسافر

ولا بد للإنسان من حمل عدة ... ولا سيما إن خاف صولة قاهر

قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم". (١)

١٢٣٨-"سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته. وقال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول: أنا لله عبد وإليه راجع، فمن علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف، فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول، فليعد للسؤال جوابا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي، أخذت بما مضى وبما بقي، وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

وإن امرأ قد سار ستين حجة ... إلى منهل من ورده لقريب

قال بعض الحكماء: من كانت الليالي والأيام مطاياه، سارت به وإن لم يسر، وفي هذا قال بعضهم:

وما هذه الأيام إلا مراحل ... يحث بها داع إلى الموت قاصد

وأعجب شيء - لو تأملت - أنها ... منازل تطوى والمسافر قاعد

وقال آخر:

أيا ويح نفسي من نهار يقودها ... إلى عسكر الموتى وليل يذودها

قال الحسن: لم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الأعمار، وتقريب الآجال، هيهات قد صحبا نوحا وعادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا، فأصبحوا أقدموا على ربهم، ووردوا على أعمالهم، وأصبح الليل والنهار غضين جديدين، لم يبلهما ما مرا به، مستعدين لمن بقي بمثل ما أصابا به من مضى.". (٢)

١٢٣٩-"قال يحيى بن معاذ: لو يسمع الخلائق صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء، لتساقطت القلوب منهم حزنا (١) . **وقال بعض الحكماء**: الدنيا أمثال تضربها الأيام للأنام، وعلم الزمان لا يحتاج إلى ترجمان، وبحب

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ٣٨٢/٢

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ٣٨٣/٢

الدنيا صمت أسماع القلوب عن المواعظ، وما أحث السائق لو شعر الخلائق.

وأهل الزهد في فضول الدنيا أقسام: فمنهم من يحصل له، فيمسكه ويتقرب به إلى الله، كما كان كثير من الصحابة وغيرهم، قال أبو سليمان: كان عثمان

وعبد الرحمان بن عوف خازنين من خزان الله في أرضه، ينفقان في طاعته، وكانت معاملتهما لله بقلوبهما (٢) .

ومنهم من يخرجه من يده، ولا يمسكه، وهؤلاء نوعان: منهم من يخرجه اختيارا وطواعية، ومنهم من يخرجه ونفسه تأبى إخراجه، ولكن يجاهدها على ذلك. وقد اختلف في أيهما أفضل، فقال ابن السماك والجنيد: الأول أفضل، لتحقق نفسه بمقام السخاء والزهد، وقال ابن عطاء: الثاني أفضل؛ لأن له عملا ومجاهدة. وفي كلام الإمام أحمد ما يدل عليه أيضا.

ومنهم من لم يحصل له شيء من الفضول، وهو زاهد في تحصيله، إما مع قدرته، أو بدونها، والأول أفضل من هذا، ولهذا قال كثير من السلف: إن عمر ابن عبد العزيز كان أزهد من أويس ونحوه، كذا قال أبو سليمان (٣) وغيره.

وكان مالك بن دينار يقول: الناس يقولون: مالك زاهد، إنما الزاهد عمر ابن

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٥٦/١٠.

(٢) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٢٦٢/٩.

(٣) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٢٧٢/٩.". [1]

١٢٤٠-"كمثل راكب قال (١) في ظل شجرة ثم راح وتركها)) (٢) .

ومن وصايا المسيح - عليه السلام - لأصحابه أنه قال لهم: اعبروها ولا تعمروها (٣) ، وروي عنه أنه قال: من ذا الذي يبني على موج البحر دارا، تلكم الدنيا، فلا تتخذوها قرارا (٤) .

ودخل رجل على أبي ذر، فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر، أين متاعكم؟ قال: إن لنا بيتا نوجه إليه، قال: إنه لابد لك من متاع مادمت هاهنا، قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه (٥) .

ودخلوا على بعض الصالحين، فقلبوا بصرهم في بيته، فقالوا له: إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحل، فقال: أمرتحل؟ لا، ولكن أطرد طردا.

وكان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل (٦) .

قال بعض الحكماء: عجبت ممن الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة إليه يشغتل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة (٧) .

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ٨٨١/٢

(١) قال: من القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها، يقال: قال يقيل قيلولة فهو قائل.

(٢) أخرجه: الطيالسي (٢٧٧) ، وأحمد ١/٣٩١ و٤٤١، وابن ماجه (٤١٠٩) ، والترمذي (٢٣٧٧) من حديث ابن مسعود، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه: أبو نعيم في " حلية الأولياء " ٨/١٤٥ عن وهيب المكي قال: ((بلغني أن عيسى – عليه السلام –، ...)) فذكره.

(٤) أخرجه: أحمد في " الزهد " (٣٢٥) عن مكحول، قال: ((وقال عيسى، ...)) فذكره.

(٥) أخرجه: البيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٦٥١) .

(٦) أخرجه: ابن المبارك في " الزهد " (٢٥٥) ، وابن أبي شيبة (٣٤٤٩٥) .

(٧) أخرجه: البيهقي في " الزهد الكبير " (٥٠٤) ، ولم ينسبه.". [(١)]

١٢٤١-"حتى يكر عليك يوم التغابن.

سبيلك في الدنيا سبيل مسافر ... ولابد من زاد لكل مسافر

ولابد للإنسان من حمل عدة ... ولاسيما إن خاف صولة قاهر

قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، وكيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته.

وقال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول: أنا لله عبد وإليه راجع، فمن علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف، فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول، فليعد للسؤال جوابا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى فإنك إن أسأت فيما بقي، أخذت بما مضى وبما بقي (١) ، وفي هذا يقول بعضهم:

وإن امرءا قد سار ستين حجة ... إلى منهل من ورده لقريب

قال بعض الحكماء: من كانت الليالي والأيام مطاياه، سارت به وإن لم يسر (٢) ، وفي هذا قال بعضهم:

وما هذه الأيام إلا مراحل ... يحث بها داع إلى الموت قاصد

وأعجب شيء – لو تأملت – أنها ... منازل تطوى والمسافر قاعد (٣)

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ١١٢٥/٣

(١) أخرجه: أبو نعيم في " حلية الأولياء " ١١٣/٣.

(٢) بنحوه أخرجه: أبو بكر الدينوري في " المجالسة " (١٠٢٩) عن الحسن.

(٣) ذكر ابن القيم هذين البيتين في " مدارج السالكين " ٢٠١/٣ إلا أنه لم ينسبهما.". [1]

١٢٤٢-"فليكرم ضيفه» (رواه الترمذي) آخر كتاب النكاح (وقال: حديث حسن) غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه اهـ، ورواه ابن ماجه في النكاح أيضا.

٢٨٨٨ - (وعن أسامة بن زيد) بن حارثة الحب ابن الحب (رضي الله عنهما) الصحابي ابن الصحابي تقدمت ترجمته في باب الصبر (عن النبي قال: ما تركت بعدي) أي بعد وفاتي (فتنة) هي كما في «المصباح» : المحنة والابتلاء، والجمع فتن، وأصلها من قولك فتنت الذهب والفضة إذا أدخلتهما النار لتمييز الجيد من الرديء (هي أضر على الرجال من النساء) أفاد الحديث أن الافتتان بهن أشد منه بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى: ﴿زين الناس حب الشهوات من النساء﴾ (آل عمران: ١٤) فجعلهن من عين الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك. ويقع في المشاهدة حب الرجل ولده الذي هو من امرأته التي هي عنده أشد من حبه لباقي ولده، ومن ذلك قصة النعمان بن بشير في الهبة. وقد **قال بعض الحكماء**: النساء شر كلهن وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن، ومع نقص عقلهن يحملن الرجل على تعاطي ما فيه ذلك، كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا، وذلك أشد الفساد. وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيدالخدري في أثناء حديث «واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» . اهـ. ملخصا من «الفتح» للحافظ العسقلاني (متفق عليه) رواه البخاري في كتاب النكاح، ومسلم في آخر كتاب الدعاء، ورواه الترمذي في الاستئذان، والنسائي في عشرة النساء، وابن ماجه في الفتن.". [2]

١٢٤٣-"وحدثني عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن بسر بن سعيد أن زيد بن ثابت قال أفضل الصلاة صلاتكم في بيوتكم إلا صلاة المكتوبة

---

٢٩٣ - ٢٩٠ - (مالك عن أبي النضر) سالم بن أبي أمية، تابعي صغير ثقة ثبت.

(مولى عمر بن عبيد الله) بضم العين بن معمر التيمي.

(عن بسر) بضم الموحدة وإسكان المهملة (ابن سعيد) بكسر العين المدني العابد ثقة حافظ.

(أن زيد بن ثابت) بن الضحاك الأنصاري النجاري، أحد كتاب الوحي من الراسخين في العلم.

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ١١٣٢/٣

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١١٥/٣

(قال: أفضل الصلاة صلاتكم في بيوتكم) لبعدها عن الرياء ولتحصل البركة في البيوت فتنزل فيها الرحمة ويخرج منها الشيطان، وعليه فيمكن أن يخرج بقوله في بيوتكم بيت غيره ولو أمن الرياء كذا في الفتح.

(إلا صلاة المكتوبة) أي المفروضة، فليست في البيوت أفضل بل في المسجد أفضل، لأن الجماعة تشرع لها فمحلها أولى، وظاهره يشمل كل نفل لكنه محمول على ما لا يشرع له التجميع كالتراويح والعيدين، وما تشرع له الجماعة أو ما يفوت إذا رجع المصلي إلى بيته ولم يفعله وما لا يخص المسجد كالتحية.

قال الحافظ: ويحتمل أنه أراد بالصلاة ما يشرع في البيت وفي المسجد معا فلا تدخله التحية، أو أنه لم يرد بالمكتوبة المفروضة بل ما تشرع له الجماعة وفيما وجب لعارض كمنذورة احتمال.

قال ابن عبد البر: هذا الحديث موقوف في جميع الموطآت على زيد، وهو مرفوع عنه من وجوه صحاح، ويستحيل أن يكون رأيا لأن الفضائل لا مدخل للرأي فيها انتهى.

وأخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من طرق عن أبي النضر عن بسر بن سعيد عن زيد بن ثابت مرفوعا به وفيه قصة هي سبب الحديث.

وروى الخطيب من طريق إسماعيل بن أبان: حدثنا عبد الأعلى بن مسهر، حدثنا مالك عن أنس عن أبي النضر عن بسر بن سعيد عن زيد بن ثابت قال: قال صلى الله عليه وسلم: " «خير صلاتكم صلاتكم في بيوتكم إلا صلاة الفريضة» "

قال ابن حوصا: لم يتابع أحد إسماعيل بن أبان على رفع هذا الحديث أي عن مالك لكن لم يذكر إسماعيل بجرح لا في اللسان ولا في الميزان.

قال ابن عبد البر: وفي هذا الحديث دليل على أن لا جماعة إلا في الفريضة وأن أعمال البر في السر أفضل.

وقال بعض الحكماء: إخفاء العلم هلكة وإخفاء العمل نجاة.

وقال تعالى في الصدقات: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ [البقرة: ٢٧١] (سورة البقرة: الآية ٢٧١) .". (١)

١٢٤٤-"معه مريضا كان يتوعك، فقال: (أبشر فإن الله تعالى يقول: هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من نار الآخرة) . وقال صاحب (العين) : بلغ الغلام الحنث إذا جرى عليه القلم، والحنث: الذنب العظيم.

٧ - باب قول الرجل للمرأة عند القبر اصبرى

/ ١٤ - فيه: أنس، قال: مر النبى، (صلى الله عليه وسلم) ، بامرأة عند قبر، فقال: (اتقى الله، واصبرى) . قال المؤلف: إنما أمرها بالصبر لعظيم ما وعد الله عليه من جزيل الأجر. قال ابن عون: كل عمل له ثواب إلا الصبر، قال الله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [الزمر: ١٠] ، فأراد (صلى الله عليه وسلم) ألا تجتمع عليها مصيبتان مصيبة الهلاك، ومصيبة فقد الأجر الذى يبطله الجزع، فأمرها بالصبر الذى لابد للجازع من الرجوع إليه بعد سقوط أجره، وقد أحسن

(١) شرح الزرقاني على الموطأ ١/٤٦٧

الحسن البصرى فى البيان عن هذا المعنى، فقال: الحمد لله الذى آجرنا على ما لابد لنا منه، وأثابنا على ما لو تكلفنا سواه صرنا إلى معصيته. فلذلك قال (صلى الله عليه وسلم) لها: (اتقى الله واصبرى) ، أى اتقى معصيته بلزوم الجزع الذى يحبط الأجر، واستشعرى الصبر على المصيبة بما وعد الله على ذلك، **وقال بعض الحكماء** لرجل عزاه: إن كل مصيبة لم يذهب فرح ثوابها بألم حزنها لهى المصيبة الدائمة، والحزن الباقى. وفى هذا الحديث دليل على جواز زيارة القبور، لأن ذلك لو كان". (١)

١٢٤٥-"المكسورة أي أرضني كما في رواية، والحديث بطوله في البخاري والأربعة عن جابر ورواه ابن حيان، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، والحاكم، عن أبي أيوب بروايات مختلفة وعبارات مؤتلفة، وقد بسطت الكلام عليها في الحرز الثمين شرح حصن الحصين.

وقد روى الحاكم والترمذي، عن سعيد بن أبي وقاص مرفوعا من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى، ومن شقاوته تركه استخارة الله تعالى.

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، **وقال بعض الحكماء**: من أعطي أربعا لم يمنع أربعا من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخير ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب.

وبه (عن حماد عن إبراهيم، عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هل يبقى أحد من الموحدين) أي المؤمنين، أو غير المشركين ليشتمل الموحدين من أهل الجاهلية (في النار) أي في قعر دار البوار معذبا على وجه الإكثار (قال: نعم) يبقى (رجل يكون في قعر جهنم ينادي بالحنان المنان) إما بطريق الثناء، وإما على وجه النداء وهما بتشديد النون فيهما للمبالغة من الحنان بالخفة وهو الرحمة ومن المنة بمعنى العطية، وبمعنى الامتنان فإنه يمن على عباده بالنعمة كقوله تعالى: ﴿بل الله يمن عليكم﴾ (١) الآية وعن علي كرم الله وجهه: الحنان من يقبل على من أعرض عنه والمنان من يبدأ

---

(١) الحجرات ١٧.". (٢)

١٢٤٦-"مرادهم، لأن الروح جاء في القرآن على معان. قال الله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين﴾ (الشعراء: ١٩٣) وقال: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ (القدر: ٤) وقال: ﴿روحا من أمرنا﴾ (الشورى: ٥٢) ﴿يوم يقوم الروح﴾ (النبأ: ٣٨) فلو عينوا سؤالهم لأمكنه أن يجيبهم. قال هذا القائل: ويمكن أن يكون سؤالهم عن روح بني آدم، لأنه مذكور في التوراة أنه لا يعلمه: إلا الله. وقالت اليهود: إن فسر الروح فليس بنبي، فلذلك لم يجبهم. قال عياض وغيره: اختلف المفسرون في الروح

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٢٤٩/٣

(٢) شرح مسند أبي حنيفة ص/٢٠

المسؤول عنها، فقيل: سألوه عن عيسى، عليه الصلاة والسلام. فقال لهم: الروح من أمر الله، يعني: إنما هو شيء من أمر الله تعالى، كما تقول النصارى، وكان ابن عباس يكتم تفسير الروح. وعن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم: هو ملك من الملائكة يقوم صفا، وتقوم الملائكة صفا. قال تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ (النبإ: ٣٨) وقيل: جبرائيل، عليه السلام وقيل: القرآن، لقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (الشورى: ٥٢) وقال أبو صالح: هو خلق كخلق بني آدم ليسوا ببني آدم لهم أيد وأرجل. وقيل: طائفة من الخلق لا ينزل ملك إلى الأرض إلا نزل معه أحدهم. وقيل: ملك له أحد عشر ألف جناح وألف وجه يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة. وقيل: علم الله أن الأصلح لهم أن لا يخبرهم ما هو، لأن اليهود قالوا: إن فسر الروح فليس بنبي، وهذا معنى قوله: (لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه) ، فقد جاءهم بذلك لأن عندهم في التوراة كما ذكره لهم أنه من أمر الله تعالى، لن يطلع عليه أحد. وذكر ابن إسحاق أن نفرا من اليهود قالوا: يا محمد ﴿أخبرنا عن أربع نسألك عنهن ... وذكر الحديث، وفيه: (فقالوا يا محمد﴾ أخبرنا عن الروح. قال: أنشدكم بالله هل تعلمون جبرائيل، عليه الصلاة والسلام، وهو الذي يأتيني؟ قالوا: اللهم نعم، ولكنه يا محمد هو لنا عدو وهو ملك يأتي بالشدة وسفك الدماء، ولولا ذلك لاتبعناك. فأنزل الله تعالى: ﴿من كان عدوا لجبريل﴾ (البقرة: ٩٧) قال بعضهم: هذا يدل على أن سؤالهم عن الروح الذي هو جبريل، والله أعلم.

وأما روح بني آدم فقال المازري: الكلام على الروح مما يدق، وقد ألفت فيه التآليف، وأشهرها ما قاله الأشعري: إنه النفس الداخل والخارج. وقال القاضي أبو بكر: هو متردد بين ما قاله الأشعري وبين الحياة. وقيل: جسم مشارك للأجسام الظاهرة والأعضاء الظاهرة. وقيل: جسم لطيف خلقه الباري سبحانه، وأجرى العادة بأن الحياة لا تكون مع فقده فإذا شاء الله موته أعدم هذا الجسم منه عند انعدام الحياة، وهذا الجسم وإن كان حيا فلا يحيى إلا بحياة تختص به، وهو مما يصح عليه البلوغ إلى جسم ما من الأجسام، ويكون في مكان في العالم، أو في حواصل طير خضر إلى غير ذلك مما وقع في الظواهر، إلى غيره من جواهر القلب، والجسم الحياة. وقال غيرهما: هو الدم. وقد ذكر بعضهم في الروح سبعين قولا.

واختلف هل الروح والنفس واحد أم لا؟ والأصح أنهما متغايران، فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل واحد منا بقوله: أنا، وأكثر الفلاسفة لم يفرقوا بينهما. قالوا: النفس هو الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، ويسمونها: الروح الحيوانية، وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة،، وبين البدن. **وقال بعض الحكماء والغزالي**: النفس مجردة، أي: غير جسم ولا جسماني. وقال الغزالي: الروح جوهر محدث قائم بنفسه غير متحيز، وإنه ليس بداخل الجسم ولا خارجا عنه، وليس متصلا به ولا منفصلا عنه، وذلك لعدم التحيز الذي هو شرط الكون في الجهات، واعترض عليه بوجوه قد عرفت في موضعها. وقيل: الروح عرض لأنه لو كان جوهرا، والجواهر متساوية في الجوهرية، للزم أن يكون للروح روح آخر وهو فاسد. وقيل: إنه جوهر فرد متحيز وإنه خلاف الحياة القائمة بالجسم الحيواني، وإنه حامل للصفات المعنوية. وقيل: إنه صورة لطيفة على صورة الجسم لها عينان وأذنان ويدان ورجلان في داخل الجسم يقابل كل جزء منه عضو نظيره من البدن وهو خيال. وقيل: إنه جسم لطيف في البدن سار فيه سريان ماء الورد فيه، وعليه اعتمد عامة المتكلمين من أهل السنة.

وقد كثر الاختلاف في أمر الروح بين الحكماء والعلماء المتقدمين قديما وحديثا، وأطلقوا أعنة النظر في شرحه، وخاضوا في غمرات ماهيته، فأكثرهم تاهوا في التيه، فالأكثرون منهم على أن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثره لنفسه حتى قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عالما به. قلت: جل منصب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو حبيب الله وسيد خلقه، أن يكون غير عالم بالروح، وكيف وقد من الله عليه بقوله: ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (النساء: ١١٣) . وقد قال أكثر العلماء: ليس في الآية دليل على أن الروح لا يعلم ولا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلمها.

قوله: (قال الأعمش) أي: سليمان بن مهران. قوله: (هكذا في قراءتنا) رواية الكشميهني وفي رواية غيره: كذا في قراءتنا، يعني أوتوا بصيغة الغائب، وليست هذه". (١)

١٢٤٧-"مطابقته للترجمة تؤخذ من معنى الحديث من حيث إن قدر موضع سوط إذا كان خيرا من الدنيا وما فيها تكون الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كلا شيء كما ذكرناه.

وعبد العزيز يروي عن أبيه أبي حازم بالحاء المهملة والزاي سلمة بن دينار عن سهل بن سعد بن مالك الساعدي الأنصاري رضي الله عنه.

والحديث أخرجه مسلم في الجهاد عن يحيى بن يحيى.

قوله: (ولغدوة) اللام فيه للتأكيد. قوله: (في سبيل الله) أعم من الجهاد. قوله: (أو روحة) ، كلمة: أو: للتنويع لا لشك الراوي.

٣ - (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))

أي: هذا باب في بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كن في الدنيا)
إلى آخره، وهذه ترجمة ببعض حديث الباب. قيل: أشار به إلى أن حديث الباب مرفوع، وأن من رواه موقوفا قصر فيه.

٤ - (باب في الأمل وطوله)

أي: هذا باب في بيان الهاء الأمل عن العمل، والأمل مذموم لجميع الناس إلا العلماء فلولا أملهم وطوله لما صنفوا ولما ألفوا، وقد نبه عليه ابن الجوزي بقوله:
(وآمال الرجال لهم فضوح ... سوى أمل المصنف ذي العلوم)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠١/٢

والفرق بين الأمل والتمني أن الأمل ما يقوم بسبب والتمني بخلافه، **وقال بعض الحكماء**: إن الإنسان لا ينفك عن الأمل فإن فاته الأمل عول على التمني وقيل: كثرة التمني تخلق العقل وتفسد الدين وتطرد القناعة، وقال الشاعر:". [١]

١٢٤٨-"الشؤم ببعض النساء دون بعض مما دلت عليه الآية من التبعيض وذكر في الباب حديث بن عمر من وجهين وحديث سهل من وجه آخر وقد تقدم شرحهما مبسوطا في كتاب الجهاد وقد جاء في بعض الأحاديث ما لعله يفسر ذلك وهو ما أخرجه أحمد وصححه بن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعا من سعادة بن آدم ثلاثة المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقاوة بن آدم ثلاثة المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء وفي رواية لابن حبان المركب الهني والمسكن الواسع وفي رواية للحاكم وثلاثة من الشقاء المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق وللطبراني من حديث أسماء إن من شقاء المرء في الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة وفيه سوء الدار ضيق ساحتها وخبث جيرانها وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها وسوء المرأة عقم رحمها وسوء خلقها قوله باب ما يتقى من شؤم المرأة الشؤم بضم المعجمة بعدها واو ساكنة وقد تهمز وهو ضد اليمن يقال تشاءمت بكذا وتيمنت بكذا قوله وقوله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم كأنه يشير إلى اختصاص الشؤم ببعض النساء دون بعض مما دلت عليه الآية من التبعيض وذكر في الباب حديث بن عمر من وجهين وحديث سهل من وجه آخر وقد تقدم شرحهما مبسوطا في كتاب الجهاد وقد جاء في بعض الأحاديث ما لعله يفسر ذلك وهو ما أخرجه أحمد وصححه بن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعا من سعادة بن آدم ثلاثة المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقاوة بن آدم ثلاثة المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء وفي رواية لابن حبان المركب الهني والمسكن الواسع وفي رواية للحاكم وثلاثة من الشقاء المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق وللطبراني من حديث أسماء إن من شقاء المرء في الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة وفيه سوء الدار ضيق مساحتها وخبث جيرانها وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها وسوء المرأة عقم رحمها وسوء خلقها قوله باب ما يتقى من شؤم المرأة الشؤم بضم المعجمة بعدها واو ساكنة وقد تهمز وهو ضد اليمن يقال تشاءمت بكذا وتيمنت بكذا قوله وقوله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم كأنه يشير إلى اختصاص الشؤم ببعض النساء دون بعض مما دلت عليه الآية من التبعيض وذكر في الباب حديث بن عمر من وجهين وحديث سهل من وجه آخر وقد تقدم شرحهما مبسوطا في كتاب الجهاد وقد جاء في بعض الأحاديث ما لعله يفسر ذلك وهو ما أخرجه أحمد وصححه بن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعا من سعادة بن آدم ثلاثة المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقاوة بن آدم ثلاثة المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء وفي رواية لابن حبان المركب الهني والمسكن الواسع وفي رواية للحاكم وثلاثة من الشقاء المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق وللطبراني من حديث أسماء إن من شقاء المرء في الدنيا سوء

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣٣/٢٣

الدار والمرأة والدابة وفيه سوء الدار ضيق مساحتها وخبث جيرانها وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها وسوء المرأة عقم رحمها وسوء خلقها قوله باب ما يتقى من شؤم المرأة الشؤم بضم المعجمة بعدها واو ساكنة وقد تهمز وهو ضد اليمن يقال تشاءمت بكذا وتيمنت بكذا قوله وقوله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم كأنه يشير إلى اختصاص الشؤم ببعض النساء دون بعض مما دلت عليه الآية من التبعيض وذكر في الباب حديث بن عمر من وجهين وحديث سهل من وجه آخر وقد تقدم شرحهما مبسوطا في كتاب الجهاد وقد جاء في بعض الأحاديث ما لعله يفسر ذلك وهو ما أخرجه أحمد وصححه بن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعا من سعادة بن آدم ثلاثة المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقاوة بن آدم ثلاثة المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء وفي رواية لابن حبان المركب الهني والمسكن الواسع وفي رواية للحاكم وثلاثة من الشقاء المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق وللطبراني من حديث أسماء إن من شقاء المرء في الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة وفيه سوء الدار ضيق مساحتها وخبث جيرانها وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها وسوء المرأة عقم رحمها وسوء خلقها

[٥٠٩٦] قوله عن أسامة بن زيد زاد مسلم من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه مع أسامة سعيد بن زيد وقد قال الترمذي لا نعلم أحدا قال فيه عن سعيد بن زيد غير معتمر بن سليمان قوله ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء قال الشيخ تقي الدين السبكي في إيراد البخاري هذا الحديث عقب حديثي بن عمر وسهل بعد ذكر الآية في الترجمة إشارة إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بكعبها أو أن لها تأثيرا في ذلك وهو شيء لا يقول به أحد من العلماء ومن قال إنها سبب في ذلك فهو جاهل وقد أطلق الشارع على من ينسب المطر إلى النوء الكفر فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل وإنما يتفق موافقة قضاء وقدر فتنفر النفس من ذلك فمن وقع له ذلك فلا يضره أن يتركها من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليها قلت وقد تقدم تقرير ذلك في كتاب الجهاد وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ويشهد له قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء فجعلهن من حب الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك ويقع في المشاهدة حب الرجل ولد من امرأته التي هي عنده أكثر من حبه ولده من غيرها ومن أمثلة ذلك قصة النعمان بن بشير في الهبة وقد **قال بعض الحكماء** النساء شر كلهن وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ومع أنها ناقصة العقل والدين تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد في أثناء حديث واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء". (١)

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٣٨/٩

١٢٤٩-"أخرجه الإسماعيلي من وجه آخر عن معمر ووقع لشيخه فيه وهم ليس هذا موضع بيانه قوله أعذر الله الإعذار إزالة العذر والمعنى أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به يقال أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية ونسبة الإعذار إلى الله مجازية والمعنى أن الله لم يترك للعبد سببا في الاعتذار يتمسك به والحاصل أنه لا يعاقب إلا بعد حجة قوله أخر أجله يعني أطاله حتى بلغه ستين سنة وفي رواية معمر لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى يبلغ ستين سنة أو سبعين سنة لقد أعذر الله إليه لقد أعذر الله إليه قوله تابعه أبو حازم وبن عجلان عن المقبري أما متابعة أبي حازم وهو سلمة بن دينار فأخرجها الإسماعيلي من طريق عبد العزيز بن أبي حازم حدثني أبي عن سعيدالمقبري عن أبي هريرة كذا أخرجه الحفاظ عن عبد العزيز بن أبي حازم وخالفهم هارون بن معروف فرواه عن بن أبي حازم عن أبيه عن سعيدالمقبري عن أبيه عن أبي هريرة أخرجه الإسماعيلي وإدخاله بين سعيد وأبي هريرة فيه رجلا من المزيد في متصل الأسانيد وقد أخرجه أحمد والنسائي من رواية يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سعيد المقبري عن أبي هريرة بغير واسطة وأما طريق محمد بن عجلان فأخرجه أحمد من رواية سعيد بن أبي أيوب عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيدالمقبري عن أبي هريرة بلفظ من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه في العمر قال بن بطال إنما كانت الستون حدا لهذا لأنها قريبة من المعترك وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية فهذا إعذار بعد إعذار لطفا من الله بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل لكنهم امروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل وأصرح من ذلك ما أخرجه الترمذي بسند حسن إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رفعه أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك **قال بعض الحكماء** الأسنان أربعة سن الطفولية ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان وغالب ما يكون ما بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة وقد استنبط منه بعض الشافعية أن من استكمل ستين فلم يحج مع القدرة فإنه يكون مقصرا ويأثم إن مات قبل أن يحج بخلاف ما دون ذلك الحديث الثاني

[٦٤٢٠] قوله يونس هو بن يزيد الأيلي قوله لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل المراد بالأمل هنا محبة طول العمر فسره حديث أنس الذي بعده في آخر الباب وسماه شابا إشارة إلى قوة استحكام حبه للمال أو هو من باب المشاكلة والمطابقة قوله قال ليث عن يونس وبن وهب عن يونس عن بن شهاب أخبرني سعيد هو بن المسيب وأبو سلمة يعني كلاهما عن أبي هريرة اما رواية ليث وهو بن سعد فوصلها الإسماعيلي من طريق أبي صالح كاتب الليث حدثنا الليث حدثني يونس هو بن يزيد عن بن شهاب أخبرني سعيد وأبو سلمة عن أبي هريرة بلفظه إلا أنه قال المال بدل الدنيا واما رواية بن وهب فوصلها مسلم عن حرملة عنه بلفظ قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال

وأخرجه الإسماعيلي من طريق أيوب بن سويد عن يونس". (١)

١٢٥٠-"بسم الله الرحمن الرحيم

-[٢]- الحمد لله الذي جعل الإنسان هو الجامع الصغير فطوى فيه ما تضمنه العالم الأكبر الذي هو الجامع الكبير وشرف من شاء من نوعه في القديم والحديث بالهداية إلى خدمة علم الحديث. وأوتد له من مشكاة السنة لاقتباس أنوارها مصباحا وضاحا ومنحه من مقاليد الأثر مفتاحا فتاحا. والصلاة والسلام على أهل العالمين منصبا وأنفسهم نفسا وحسا المبعوث بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا حتى أشرق الوجود برسالته ضياءا وابتهاجا ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ثم على من التزم العمل بقضية هديه العظيم المقدار من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم إلى يوم القرار الذين تناقلوا الخبر والأخبار ونوروا مناهج الأقطار بأنوار المآثر والآثار صلاة وسلاما دائمين ما ظهرت بوازغ شموس الأخبار ساطعة من آفاق عبارات من أوتي جوامع الكلم والاختصار

(وبعد) فهذا ما اشتدت إليه حاجة المتفهم بل وكل مدرس ومعلم من شرح على الجامع الصغير للحافظ الكبير الإمام الجلال الشهير بنشر جواهره ويبرز ضمائره ويفصح عن لغاته ويفصح القناع عن إشاراته ويميط عن وجود خرائده اللثام (١) ويسفر عن جمال حور مقصوراته الخيام ويبين بدائع ما فيه من سحر الكلام ويدل على ما حواه من درر مجمعة على أحسن نظام ويخدمه بفوائد تقر بها العين وفرائد يقول البحر الزاخر من أين أخذها من أين وتحقيقات تنزاح بها شبه الضالين وتدقيقات ترتاح لها نفوس المنصفين وتحرق نيرانها أفئدة الحاسدين لا يعقلها إلا العالمون ولا يجحدها إلا الظالمون ولا يغص منها إلا كل مريض الفؤاد من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فما له من هاد ومع ذلك فلم آل جهدا في الاختصار والتجافي عن منهج الإكثار فالمؤلفات تتفاضل بالزهر والثمر لا بالهذر وبالملح لا بالكبر وبجموم اللطائف لا بتكثير الصحائف وبفخامة الأسرار لا بضخامة الأسفار وبرقة الحواشي لا بكثرة الغواشي ومؤلف الإنسان على فضله أو نقصه عنوان وهو بأصغريه اللفظ اللطيف والمعنى الشريف لا بأكبريه اللفظ الكثير والمعنى الكثيف. وهنالك يعرف الفرض من النافلة وتعرض الإبل فرب مئة لا تجد فيها راحلة. ثم إني بعون أرحم الراحمين لم أدخل بتأليفه في زمرة الناسخين ولم أسكن بتصنيفه في سوق الغث والسمين بل أتيت بحمد الله بشوارد فرائد باشرت اقتناصها وعجائب غرائب استخرجت من قاموس الفكر وعباب القريحة مغاصها فمن استلحق بعض أبكاره الحسان لم ترده عن المطالبة بالبرهان. ولم أعرب من ألفاظه إلا ما كان خفيا فقد قال الصدر القونوي: غالب ممن يتكلم على الأحاديث إنما يتكلم عليها من حيث إعرابها والمفهوم من ظاهرها بما لا يخفى على من له أدنى مسكة في العربية وليس في ذلك كبير فضيلة ولا مزيد فائدة إنما الشأن في معرفة مقصوده صلى الله عليه وسلم وبيان ما تضمنه كلامه من الحكم والأسرار بيانا تعضده أصول الشريعة وتشهد بصحته العقول السليمة. وما سوى ذلك ليس من الشرح في شيء. قال ابن السكيت خذ من النحو ما تقيم به الكلام فقط ودع الغوامض. ولم أكثر من نقل الأقاويل والاختلافات لما أن ذلك على الطالب من أعظم الآفات إذ هو كما قال حجة الإسلام يدهش عقله ويحير ذهنه.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٢٤٠/١١

قال: وليحذر من أستاذ عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فإن إضلاله أكثر من إرشاده كيفما كان ولا يصلح الأعمى لقود العميان. ومن كان دأبه ليس إلا إعادة ما ذكره الماضون وجمع ما دونه السابقون فهو منحاز عن مراتب التحقيق معرج عن ذلك الطريق بل هو كحاطب ليل وغريق في سيل إنما الحبر من عول على سليقته القويمة وقريحته السليمة مشيرا إلى ما يستند الكلام -[٣]- إليه من المعقول والمنقول رامزا إلى ذلك رمز المفروغ منه المقرر في العقول. قال حجة الإسلام في الإحياء: ينبغي أن يكون اعتماد العلماء في العلوم على بصيرتهم وإدراكهم وبصفاء قلوبهم لا على الصحف والكتب ولا على ما سمعوه من غيرهم فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم لا عالما اه. فياأيها الناظر اعمل فيه بشرط الواقف من استيفاء النظر بعين العناية وكمال الدراية لا يحملك احتقار مؤلفه على التعسف ولا الحظ النفساني على أن يكون لك عن الحق تخلف فإن عثرت منه على هفوة أو هفوات أو صدرت فيه عن كبوة أو كبوات فما أنا بالمتحاشي عن الخلل ولا بالمعصوم عن الزلل ولا هو بأول قارورة كسرت ولا شبهة مدفوعة زبرت ومن تفرد في سلوك السبيل لا يأمن من أن يناله أمر وبيل ومن توحد بالذهاب في الشعاب والقفار فلا يبعد أن تلقاه الأهوال والأخطار. وكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك ومدفوع إلى منهج مع خطر الخطأ مسلوك. ولا يسلم من الخطأ إلا من جعل التوفيق دليله في مفترقات السبل وهم الأنبياء والرسل على أني علقته باستعجال في مدة الحمل والفصال والخواطر كسيرة وعين الفؤاد غير قريرة والقرائح قريحة. والجوارح جريحة من جنايات الأيام والأنام تأديبا من الله عن الركون إلى من سواه واللياذ بمن لا تؤمن غلسة هواه فرحم الله امرءا قهر هواه وأطاع الإنصاف وقواه ولم يعتمد العنت ولا قصد قصد من إذا رأى حسنا ستره وعيبا أظهره ونشره. وليتأمله بعين الإنصاف لا بعين الحسد والانحراف. فمن طلب عيبا وجد وجد ومن افتقد زلل أخيه بعين الرضا والإنصاف فقد فقد والكمال محال لغير ذي الجلال

ولما من الله تعالى بإتمام هذا التقريب وجاء بحمد الله آخذا من كل مطلب بنصيب نافذا في الغرض بسهمه المصيب كامدا قلوب الحاسدين بمفهومه ومنطوقه راغما أنوف المتصلفين لما استوى على سوقه سميته: فيض القدير بشرح الجامع الصغير. ويحسن أن يترجم بمصابيح التنوير على الجامع الصغير ويليق أن يدعى: بالبدر المنير في شرح الجامع الصغير ويناسب أن يترجم: بالروض النضير في شرح الجامع الصغير. هذا: وحيث أقول القاضي فالمراد البيضاوي. أو العراقي فجدنا من قبل الأمهات الحافظ الكبير زين الدين العراقي أو جدي فقاضي القضاة يحي المناوي أو ابن حجر فخاتمة الحفاظ أبو الفضل العسقلاني رحمهم الله تعالى سبحانه. وأنا أحقر الورى خويدم الفقهاء: محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي حفه الله بلطف سماوي وكفاه شر المعادي والمناوي ونور قبره حين إليه يأوي وعلى الله الإتكال وإليه المرجع والمآل لا ملجأ إلا لإياه ولا قوة إلا بالله وها أنا أفيض في المقصود مستفيضا من ولي الطول والجود:

قال المصنف (بسم الله) أي بكل اسم للذات الأقدس لا بغيره ملتبسا للتبرك أؤلف فالباء للملابسة كما هو مختار الزمخشري. وهو أحسن وأفصح من جعلها للاستعانة الذي هو مقتضى صنيع القاضي ترجيحه لأن الملابسة أبلغ في التعظيم وأدخل في التأدب بخلاف جعل اسم الله آلة غير مقصودة لذاتها ولأنها أدل منها على ملابسة جميع أجزاء الفعل ولأن التبرك باسمه ظاهر لكل أحد وتأويل الأولية بأن المراد أن الفعل لا يتم شرعا ما لم يصدر باسمه لايدرك إلا بدقة النظر ولأن ابتداء المشركين كان بأسماء آلهتهم للتبرك بها ولأن كون اسم الله تعالى آلة الفعل -[٤]- ليس إلا باعتبار أنه يتوسل إليه ببركته فعاد للتبرك

ذكره الشريف وغيره وتعقب المولى حسن الرومي الأول بأن تلك الجهة غير ملحوظة بل الملحوظ جهة كون الفعل غير معتبر شرعا ما لم يصدر به. كما تقرر وهو يعارض التبرك بل أرجح والثاني يمنع الآلية المذكورة فهيهات إثباتها وبفرضه فباء الاستعانة في جميع أجزاء الفعل فيها الدلالة على تلك الملابسة مع زيادة لا تقاومها الآلية والثالث بأن العبرة بالخواص فالعوام كالهوام والدقة من أسباب الترجيح لا الرد والرابع بأن جعله آلة يشعر بأن له زيادة مدخل في الفعل ويشتمل على جعل الموجود لفوات كماله بمنزلة المعدوم وذا يعد من المحسنات انتهى ونوزع بما فيه طول لايسعه المقام. وحذف متعلق الباء لئلا يقع في الابتداء غير اسم الله تعالى وهو لابد منه في إظهار المبدئية ليشاكل اللفظ المعنى ومن ثم التزم حذفه في كلام الحكيم تقدس أما ما لابد منه لإظهاره كتقديم الباء ولفظ اسم فلا يفوت البداءة بذكر الله تعالى كما بينه الشريف إذ المطلوب المبدئية على وجه يدل عليها وعلى الاختصاص والباء وسيلة لذلك والابتداء لا يتعين كونه باسم خاص من أسمائه بل يحصل بأي لفظ دل على اسمه

فاستبان أن الابتداء بلفظ الاسم ابتداء بالاسم حقيقة والباء وسيلة لذكره وأن التبرك يحصل بجميع أسمائه والتعريف الإضافي قد يحمل على معاني التعريف باللام فيراد جنس الأسماء أو جميع أفرادها. وقدر متعلق الباء فعلا لأصالته في العمل وقلة الإضمار ومؤخرا ليفيد الحصر والاهتمام. وقول أبي حيان: تقديم الظرف لا يوجب الاختصاص أطنب المحقق أبو زرعة في رده في حاشية الكشاف ولا يرد ﴿اقرأ باسم ربك﴾ لأن الأهم فعل القراءة لكونها أهم منزل. وخامسا لأنه أنسب بالمقام وأوفى بتأدية المرام وأتم فائدة وأعم عائدة وتقدير أبتدئ مخل بالغرض من شمول البركة للكل وقول المولى الخسرولي: هو أولى امتثالا للفظ الخبر منعه الإمام حسن الرومي بأن مناط الامتثال البدء بالتسمية لا تقدير فعله إذ لم يقل فيه كل أمر ذي بال لم يقل فيه أو لم يضمر فيه ابتدئ أو افتتح مفوت للمعنى المناسب لفعل الشروع إذ القصد تلبس جميع أجزاء الفعل بالتبرك فلما تعذر تحقيقا ولا حرج في الدين جعل طريقه كون الشروع فيه ملتبسا بها كما في النية حيث اعتبرت في ابتداء العبادات تحقيقا وفي كلها تقديرا. وحذف الألف من بسم الله لكثرة الاستعمال وطولت الباء للدلالة عليه وإشارة إلى أنها وإن كانت في الأصل حرفا منخفضا لكن لما اتصلت باسم الله ارتفعت وسمت ويجعل مناط الحذف كثرة الاستعمال عرف وجه إثباتها عند اتصالها بلفظ آخر نحو: لذكر اسم الله حلاوة أو مضاف إلى اسم آخر نحو: باسم ربك. والباء للجر فكسرت لتشابه حركتها عملها

ثم إن كون المتعلق به مقدما على الرحمن الرحيم هو ما درج عليه المحققون لكن قال البلقيني: قضية البداءة بالاسم وإفادة الاختصاص التي علي ادعاها الزمخشري كون المقدر مؤخرا عن البسملة بكمالها لئلا يقع الفصل بين الموصوف والصفة بما لم يتعين تقديره في هذا الموضع والاسم ما يجمع اشتقاقين من السمة أو السمو وهو بالنظر إلى اللفظ وسم وبالنظر إلى الحظ من الذات سمو قاله الحراني. والله اسم عربي لا سرياني معرب وهو علم مختص بمبدع العالم لم يطلق على غيره فيما بين المسلمين وغيرهم ولا عنادا وغلوا في العتو مطلقا وعلاقة الاشتقاق فيما بينه وبين غيره إنما تنافي علميته لو ثبت أصالة ذلك الغير ولم تثبت واستظهار القاضي أنه وصف غلب عليه بحيث لم يستعمل في غيره فصار كالعلم لا علما لأن ذاته غير معقول لنا فلا يمكن الدلالة عليه بلفظ ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما أفاد وهو الله في السماوات معنى صحيحا تصدى جمع من أرباب الحواشي لدفعه أما الأول فلأن علم الواضع عند الوضع بكنه حقيقة الموضوع له وملاحظة لشخصه لا

ضرورة للزومه بل يكفي ملاحظة انحصار ذلك الوجود في الخارج فيه بدليل أن الأب يضع علما لولده قبل رؤيته ولو سلم فلا مانع من كون الواضع هو الله تعالى ثم عرفنا إياه وأما الثاني فلأن الاسمية لا تقتضي الدلالة على مجرد الذات فإن أسماء الزمان والمكان والآلة مثلا أسماء باتفاق مع دلالتها على معنى زائد على الذات ولو سلم فليكن تعلقه به باعتبار ملاحظة المعنى الوضعي الخارج عن الاسم كذا حققه المولى حسن بعد ما رد على جميع ما لهم هنا من الأقاويل المتعسفة. والإله أصله أله فلما دخلت أل حذفت الهمزة تخفيفا وعوض عنها حرف التعريف وإنما كانا عوضا عنها مع أن

-[ه]- دخولهما قبل حذفها لأن دخولهما قبل الحذف لا بطريق اللزوم وبعده يكونان لازمين فيها فباعتبار اللزوم يكونان عوضا وهو اسم جنس لكل معبود حق أو باطل ثم غلب منكرا على المعبود بحق ثم خص بذاته بعد التعريف مشتق من أله كعبد وزنا ومعنى أو من أله بمعنى فزع وسكن أو من وله أي تحير ودهش أو طرب أو من لاه احتجب أو ارتفع أو استتار أو غير. والحاصل أن إلها بمعنى مألوه أي معبود أو مألوه فيه أي متحير فيه وقس الباقي. فمجموع الأقاويل هو المعبود للخواص والعوام المفروغ إليه في الأمور العظام المرتفع عن الأوهام المحتجب عن الأفهام الظاهر بصفاته العظام الذي سكنت إلى عبادته الأجسام وولعت به نفوس الأنام وطربت إليه قلوب الكرام. ثم تفخم لامه إذا انفتح ما قبلها أوصم طريقة مطردة لغة أو مطلقا وحذف ألفه لحن يبطل الصلاة لانتفاء بعض لفظ الموضوع ولا ينعقد به اليمين مطلقا لابتنائه على وجود الاسم ولم يوجد والبلة إنما هي الرطوبة وما أفهمه كلام القاضي من كونه كناية وجه صحيح محرر ومذهب النووي خلافه. ثم أعقب اسم الذات اسمين بصفتي المبالغة في الرحمة رمزا إلى سبقها وغلبتها على الأضداد وعدم انقطاعها فقال (الرحمن الرحيم) أي الموصوف بكمال الإحسان بجميع النعم أصولها وفروعها عظائمها ودقائقها أو بإرادة ذلك فمرجعهما صفة فعل أو صفة ذات قال في البحر: وهو أقرب إلى الحقيقة إذ الإرادة متقدمة على الفعل وأصلهما واحد لكونهما من الرحمة والرحمن عربي ونفور العرب منه لتوهمهم التعدد وأتم مبالغة من الرحيم كما وكيفا لأن فعيلا لمن وجد منه الفعل وفعلان لمن كثر منه وحق الأبلغ التأخير قضاء لحق الترقي لكنه قدم لمناسبة اسم الذات في اختصاصه به إذ لم يطلقا على غيره مطلقا إلا أن الله اسم وهو قسم من العلم كما تقرر. والرحمن وصف أريد به الثناء فأجري مجري الأعلام وليس بعلم حقيقة ومجيئه غير تابع للعلم بحذف موصوفه. ووصفه تعالى بالرحمة التي هي العطف من إطلاق السبب على المسبب وهو الإنعام والإحسان إذ الملك إذا عطف رق فأحسن إطلاقه عليه مجاز مرسل أو استعارة تمثيلية بل حول بعض المحققين جعله حقيقة شرعية وعرفية لكثرة الإطلاق بدون قرينة أو قصد تشبيه وتعقيبه بالرحيم من قبل التتميم فإنه لما دل على جلائل النعم أولى الرحيم دفعا لتوهم عدم التعميم وخطور أن الدقائق مما لا يلتفت إليه فلا يتطفل فيها عليه ووفاقا لترتيب الوجود لإيجاد النعم العامة قبل الخاصة وكلاهما صفة مشبهة. أو الرحيم اسم فاعل فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ حيث لم يستعمل في غيره تقدس ولم يوصف به أحد سواه بين جميع الملل والنحل إلا تعنتا وغلوا في الكفر كرحمن اليمامة والرحيم بالعكس وآثرهما من بين سائر الصفات لتضمنهما الدلالة على سائر الأسماء الحسنى إذ من عمت رحمته وتمت نعمته انتفت عنه شوائب النقص وطويت النقمة في أفهام اختصاص الثاني رمزا إلى أن من شروط كمال حسن الترغيب الإشارة منه إلى مقام الترهيب كما هو الاسلوب في كتب علام الغيوب ليكون باعث الرجاء والخوف في قرن. **قال بعض الحكماء**: والأحسن بيانية إضافة

البسملة. قال صاحب القاموس: وإنما حذفت الألف من لفظ رحمن تخفيفا ولم تحذف الياء من الرحيم خوفا من اللبس ولما افتتح كتابه بالبسملة التي الافتتاح بها أجل افتتاح باسم الحق تقدس وهي نوع من الحمد ناسب أن يردفها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع أفراده البالغ أقصى درجات الكمال من القول الدال على أنه سبحانه مالك لجميع المحامد بالاستقلال فأعقبها به في جملة أوقعها مقول القول فانتصب به تاركا للعطف لئلا يشعر بالتبعية فيخل بالتسوية في أصل الابتداء فقال (الحمد لله) أي الوصف بالجميل مملوك أو مستحق لله تعالى فلا فرد منه لغيره بالحقيقة ولم يكتف بالتسمية لما تقرر أن المقام مقام تعظيم فاللائق به التصريح بالحمد وقصره عليه ولأنها وإن تضمنت جهة الحمد لكن من اقتصر عليها لا يسمى حامدا عرفا ومن ثم وقع التدافع ظاهرا بين حديثي الابتداء واحتيج للتوفيق بأن البداءة إما حقيقية وهي ذكر الشيء أولا على الإطلاق أو إضافية وهي ذكره أولا بالإضافة إلى شيء دون شيء وهذه صادقة بذكر الحمد قبل المقصود بالذات وخص الحقيقي بالبسملة لأنها ذكر الذات والحمد ذكر االوصف فوجب تقديمها بقدر ما تندفع به ضرورة امتناع الجمع في المبدأ كذا قرره جمع. وقد انتهبه البعض فعزاه لنفسه بعد ما أتى بترديدات بعيدة واحتمالات

-[٦]- غير سديدة أو أن المراد في كل رواية الابتداء بأحدهما أو بما يقوم مقامه ولو ذكرا آخر بقرينة تعبيره تارة بالبسملة وأخرى بالحمدلة وطورا بغيرهما فاللازم في دفع الاجذمية الابتداء بأحد الأمور لا بها كلها أو بأن رواية البسملة والحمدلة تعارضتا فسقط قيداهما كما في غسلات الكلب ورجع للمعنى الأعم وهو إطلاق الذكر والحمد يطلق على أعم من خصوصه. ألا ترى أن غالب الأعمال الشرعية لم يشرع الشارع افتتاحها بالحمد بخصوصه كالصلاة والأذان والحج فدل على أنه ليس المراد إلا إظهار صفة الكمال وهو حاصل في نحو الصلاة بالتكبير وفي الحج بالذكر المطلوب عند الإحرام فلايتوجه ما قيل عموم الأخذ منه مشكل بظاهر الصلاة والأذان. هذا محصول ما هنا من الأجوبة المرضية للعظماء وثم أجوبة شهيرة وتوجيهات كثيرة كلها مدخولة وقد بينت ما عليها من نقل ورد في شرح البهجة بما لم يجمعه قبله كتاب

---

(١) [أي: ويزيح عن وجوه المتسترات النقاب. ماجد الحموي]". (١)

١٢٥١-"١٠ - (آفة الظرف الصلف) أي عاهة براعة اللسان وذكاء الجنان التيه والتكبر على الأقران والتمدح بما ليس في الإنسان إذ الآفة بالمد العاهة أو عرض يفسد ما يصيبه أو نقص أو خلل يلحق الشيء فيفسده والكل متقارب والظرف كفلس الكيس والبراعة والذكاء. قال الزمخشري: ومنه قول عمر إذا كان اللص ظريفا لم يقطع أي كيسا يدرأ الحد باحتجاجه. قال بعضهم: والمراد هنا الاتصاف بالحسن والأدب والفصاحة والفهم. وقال الراغب: الظرف بالفتح اسم لحالة نجمع عامة الفضائل النفسية والبدنية والخارجية تشبيها بالظرف الذي هو الوعاء ولكونه واقعا على ذلك قيل لمن حصل له علم وشجاعة ظريف ولمن حسن لباسه ورياشه وأثاثه ظريف فالظرف أعم من الحرية والكرم انتهى. والصلف محركا مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا ذكره الخليل وتفسير ابن العربي الظرف هنا بالفعل لا يلائم السياق (وآفة الشجاعة)

---

(١) فيض القدير ٢/١

بشين معجمة (البغي) أي وعاهة شدة القلب عند البأس تجاوز الحد وطلب الإنسان ما ليس له. والشجاعة: قوة القلب والاستهانة بالحرب. وقال الراغب: إن اعتبرت في النفس فصرامة القلب على الأهوال وربط الجأش وإن اعتبرت بالفعل فالإقدام على موضع الفرصة وهي فضيلة بين التهور والجبن ومن ثم عرفت بأنها ملكة متوسطة بين الجبن والتهور ويتفرع عنها علو الهمة والصبر والنجدة والبغي: طلب التطاول بالظلم والإفساد من بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد ذكره الزمخشري: وقال الراغب: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه وإلا فتارة تعتبر في القدر الذي هو الكمية وتارة في الوصف الذي هو الكيفية ويكون -[٥٠]- محمودا وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع ومذموما وهو تجاوز الحق إلى الباطل وهو أكثر استعمالاته ومنه هنا

(وآفة السماحة) بفتح السين المهملة وخفة الميم (المن) أي وعاهة الجود والكرم تعديد النعمة على المنعم عليه والسماحة المساهلة والجود والاتساع فيه يقال عليك بالحق فإن في الحق مسمحا أي متسعا ومندوحة عن الباطل ذكره الزمخشري. والمن الإنعام أو تزيين الفعل وإظهار المعروف وهو منا مذموم ومن الله محمود لأن غيره لا يملك المعطى والعطاء وليس في عطائه شرف بل إهانة والله مالك للكل وعطاؤه تشريف فمنه تشريف وهداية للشكر الجالب للمزيد ومن غيره تكدير وتعيير تنكسر منه الخواطر وتحبط العطايا وإن كانت خواطر. قال بعضهم: والتحقيق أنها لما لم تمش من غيره تعالى واعتادت أنفس الكرام النفرة عنها لا يفعلها وإن حسنت منه للتحرز عن المنفر انتهى. ويرده أنه تعالى من صريحا في مواضع من كتابه فإنكاره مكابرة. قال ابن عربي: والمن هنا من أمراض النفس التي يجب التداوي منها ودواؤه أنه لا يرى أنه أوصل إليه إلا ما هو له في علم الله وأنه أمانة عنده كانت بيده لم يعرف صاحبها فلما أخرجها بالعطاء لمن عين له عرفا فشكر الله على أدائها فمن استحضر ذلك عند الإعطاء نفعه انتهى. وأما من المصطفى على الأنصار في قصة الحديبية فليس من ذلك فإنه من بالهداية إلى الإسلام فهو راجع إلى الله والمصطفى مبلغ وواسطة بدليل قوله لهم في المنة ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي؟

(وآفة الجمال الخيلاء) أي وعاهة حسن الصور أو المعاني العجب والكبر ومن ثم كره نكاح ذات الجمال البارع لما ينشأ عنه من شدة التيه والإدلال والعجب والتحكم في المقال وقد قيل من بسطه الإدلال قبضه الإذلال. قال الراغب: والجمال الحسن الكثير واعتبر فيه معنى الكثرة ولا بد والخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تتراءى للمرء في نفسه. وقال الراغب: أن يظن بنفسه ما ليس فيها من قولهم خلت الشيء ظننته ولقصور هذا المعنى قال حكيم: إعجاب المرء بنفسه أن يظن بها ما ليس فيها مع ضعف قوة فيظهر فرحه بها والزهو الاستخفاف من الفرح بنفسه (وآفة العبادة الفترة) بفتح فسكون أي وعاهة الطاعة التواني والتكاسل بعد كمال النشاط والاجتهاد فيها. والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد أي مذلل بالأقدام وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل إلا في الخضوع لله فمن وفق لألف العبادة ولزومها فليحذر من فترة الإخلال بها فان طرقته فترة فليفزع إلى ربه في دفعها

(وآفة الحديث) أي ما يتحدث به وينقل. قال الراغب: كل كلام الإنسان يقال له حديث. والفترة كما قال الزمخشري: السكون بعد الحدة واللين بعد الشدة ومن المجاز فتر البرد وكان الماء حارا ففترته وفتر العامل من عمله قصر فيه وفتر السحاب إذا تحير لا يسير (الكذب) أي الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن أدخل حديثه الكذب عرضه للإعراض عنه وعطل النفع به وهو حرام لتعليقه تعالى استحقاق العذاب به حيث رتب عليه في قوله تعالى ﴿لهم عذاب أليم بما كانوا

يكذبون﴾ لكن قد يعرض ما يصيره مباحا بل واجبا إن ترتب على عدمه لحوق ضرر بمحترم. فقول القاضي كالزمخشري: هو حرام كله أي أصله ذلك وخروجه عن الحرمة إنما هو العارض كقول الفقهاء العارية سنة مع أنها قد تجب لدفع مؤذ أو ستر وقول النبي: " إنما البيع عن تراض " مع أنه قد يجب لنحو مضطر وكم له من نظير وبه يعرف سقوط اعتراض المؤلف عليهما (وآفة العلم النسيان) أي وعاهة العلم أن يهمله العالم حتى يذهب عن ذهنه ومن ثم قال الحكماء: لا تخل قلبك من المذاكرة فيعود عقيما ولا تعف طبعك عن المناظرة فيعود سقيما وأعظم آفات العلم النسيان الحادث عن غفلة التقصير وأعمال التواني فعلى من ابتلى به أن يستدرك تقصيره بكثرة الدرس ويوقظ غفلته بإدامة النظر فقد قالوا لن يدرك العلم من لا يطيل درسه ويكد نفسه وكثرة الدرس كدود لا يصبر عليه إلا من يرى العلم مغنما والجهالة مغرما فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم وتنتفي عنه معرة الجهل وعلى قدر الرغبة يكون الطلب وبحسب الراحة يكون التعب وربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ اعتمادا واتكل بعد فهم المعاني على الرجوع إلى الكتب ومطالعتها عند الحاجة -[٥١]- فما هو إلا كمن أطلق ما صاده ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع منه فلا تعقبه الثقة إلا خجلا والتفريط إلا ندما وكان الزهري يسمع على مشايخه إلى الليل ثم يأتي جاريته فيوقظها فيقول لها حدثني فلان بكذا وفلان بكذا فتقول: ومالي ولهذا؟ فيقول: إنك لا تنتفعي لكني سمعت الآن فأردت أن أستذكره. وكان ابن رجاء يأتي صبيان الكتاب فيجمع الغلمان فيحدثهم لئلا ينسى. قال النخعي: من سره أن يحفظ العلم فليحدث حتى يسمعه ولو ممن لا يشتهيه فإذا فعل كان كالكتاب في صدره ولا ينافي ذلك الحديث الآتي إن إضاعة العلم أن تحدث به غير أهله لأن محله إذا كان لغير مصلحة كالتذكر هنا. والنسيان ذهول ينتهي إلى زوال المدرك من القوة المدركة والحافظة وحيث يحتاج في حصوله إلى سبب جديد والسهو ذهول عن المدركة بحيث لا ينتهي إلى زواله منها بل ينتبه له بأدنى تنبيه. والتذكر استعادة ما أثبته القلب مما تنحى عنه بنسيان أو غفلة

(وآفة الحلم) بكسر المهملة فسكون اللام (السفه) بالتحريك أي وعاهة الأناة والتثبت وعدم العجلة الخفة والطيش والحلم ملكة ورزانة في البدن توجب الصبر على الأذى يورثها وفور العقل. والسفه خفة في البدن أو في المعاني يقتضيها نقصان العقل. وقال الحراني: هو خفة الرأي في مقابلة ما يراد منه من المتانة والرزانة. وقال الراغب: التسرع إلى القول القبيح والفعل القبيح (وآفة الحسب) بفتح المهملتين (الفخر) بفتح فسكون وتحرك أي وعاهة الشرف بالآباء إدعاء العظم والتمدح بالخصال. قيل لبعض الحكماء: ما الذي لا يحسن وإن كان حقا؟ قال: مدح الرجل نفسه وإن كان محقا. قال الزمخشري: الحسب ما يعده الشخص من مآثره ومآثر آبائه ومنه قولهم من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه. والفخر كما في المصباح: المباهاة بالمكارم والمناقب. وقال الراغب: المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان وذلك نهاية الحمق فمن نظر بعين عقله وانحسر عنه قناع جهله عرف أن أعراض الدنيا عارية مستردة لا يأمن في كل ساعة أن يسترجع. **قال بعض الحكماء** لمفتخر: إن افتخرت بفرسك فالحسن له دونك أو بثيابك ومتاعك فالجمال لهما دونك أو بآبائك فالفخر فيهم لا فيك ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت هذه محاسننا فأين محاسنك

(وآفة الجود) بضم الجيم (السرف) بالتحريك أي وعاهة السخاء التبذير والإنفاق في غير طاعة وتجاوز المقاصد الشرعية. والجود إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي وهو أعم من الصدقة. والسرف صرف الشيء فيما ينبغي زائدا على ما ينبغي. والتبذير

صرفه فيما لا ينبغي. ذكره جمع. وقال الماوردي: الإسراف تجاوز في الكمية وهو جهل بمقادير الحقوق. والتبذير تجاوز في موضع الحق فهو جهل بمواقعها وكلاهما مذموم والثاني أدخل في الذم إذ المسرف مخطئ بالزيادة والمبذر مخطئ بالكل ومن جهل مواقع الحقوق ومقاديرها بماله وأخطأها فهو كمن جهلها بفعاله. وقال الراغب: التبذير التفريق أصله إلقاء البذر وطرحه فاستعير لكل مضيع ماله فتبذير البذر تضييع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه. ثم القصد بهذه الجملة الحث على تجنب هذه الأخلاق والتنفير عنها والتحذير منها وأنه ما من خلق كريم إلا وله آفة تنشأ من طمع لئيم فنبه على أن الإنسان يكون بالمرصاد لدفع ما يرد عليه من هذه الآفات " تنبيه " قد ذكر الحكماء آفات من هذا الجنس فقالوا: آفة العلم الملل وآفة العمل رؤية النفس وآفة العقل الحذر وآفة العارف الظهور من غير وارد من جهة الحق وآفة المحبة الشهوة وآفة التواضع الذلة وآفة الصبر الشكوى وآفة التسليم التفريط في جنب الله وآفة الغنى الطمع وآفة العز البطر وآفة البطالة فقد الدنيا والآخرة وآفة الكشف التكليم به وآفة الصحبة المنازعة وآفة الجهل الجدل وآفة الطالب التسلل دون الإقدام على المكاره وآفة الفتح الالتفات للعمل وآفة الفقير الكشف وآفة السالك الوهم وآفة الدنيا الطلب وآفة الآخرة الإعراض وطلب الأعواض وآفة الكرامات الميل إليها وآفة العدل الانتقام وآفة التعبد الوسوسة وآفة الاطلاق الخروج عن المراسم وآفة الوجود رؤية الكمال. وذكروا آفات أخر وفي هذا الكفاية

(هب) وكذا ابن لال في المكارم وزاد: " وآفة الدين الهوى " (وضعفه) قال السخاوي: وفيه مع ضعفه انقطاع (عن) باب مدينة العلم ربان سفينة الفهم سيد الحنفاء زين الخلفاء ذي القلب العقول -[٥٢]- واللسان والسؤال بشهادة الرسول أمير المؤمنين (علي) بن أبي طالب القائل فيه المصطفى: " من كنت مولاه فعلي مولاه " والقائل هو لو شئت لأوقرت لكم من تفسير سورة الفاتحة سبعين وقرا. والقائل: أنا عبد الله وأخو رسوله والصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب. قتل بالكوفة شهيدا وعمر كالنبي وصاحبيه. ثم إن اقتصار المؤلف على عزو تضعيفه للبيهقي يؤذن بأنه غير موضوع وقد رواه الطبراني بتقديم وتأخير عازيا لعلي أيضا وتعقبه الهيتمي بأن فيه أبا رجاء الحبطي وهو كذاب وبما تقرر عرف خطأ من زعم كبعض شراح الشهاب أنه حسن". (١)

١٢٥٢-"١٣٤ - (اتقوا الدنيا) أي احذروا الاغترار بما فيها فإنها في وشك الزوال ومظنة الترحال فلا تقربوا الأسباب المؤدية للانهماك فيها أو الزيادة على الحاجة فإنها عرض زائل وحال حائل وقال بعضهم:

أقبلت الدنيا وكم قتلت. . . كم سترت الدنيا وكم فضحت

فالسعيد من إذا مدت إليه باعها باعها. . . والشقي من إذا مدت إليه باعها أطاعها

والدنيا عند أهل الطريق عبارة عما شغل عن الله سبحانه وتعالى (واتقوا النساء) أي احذروا الافتتان بهن وصونوا أنفسكم عن التطلع إليهن والتقرب منهن بالحرام (فإن إبليس) من أبلس تحير أو من البلس محركا من لا خير فيه أو عنده إبلاس وشر والمبلس الساكت حزنا كذا قرره وأبطله الكشاف بأنه لو كان إفعيلا من الإبلاس كما زعموا لم يكن فيه إلا سبب واحد

(١) فيض القدير ٤٩/١

وهو العلمية وكان منصرفا فمنع صرفه دليل العجمة قال ابن العماد: ولإبليس اثنان وثلاثون اسما ومن أولاده ثلاثة عشر لكل منهم اسم يخصه (طلاع) بفتح الطاء وشد اللام صيغة مبالغة من قولهم رجل طلاع الثنايا مجرب للأمور ركاب لها –[١٣٣]– يعلوها ويقهرها ويهجم عليها بشدة وغلبة قال الزمخشري: ومن المجاز طلع علينا فلان هجم (رصاد) بالتشديد أي رقاب وثاب كما يرصد القطاع القافلة فيثبون عليها. قال الراغب: والرصد الاستعداد والترقب وقال الزمخشري: رصدته رقبته وفلان يخاف رصدا من قدامه وطلبا من ورائه أي عدوا يرصده ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ ومن المجاز أنا لك بالرصد والمرصاد أي لا تفوتني وفي التنزيل ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أي مراقبك لا تخفى عليه أعمالك ولا تفوته فالشيطان لما رأى الإنسان خلق عجولا راغبا في العجالة توسل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه فوعده بالغرور واستغواه وكره إليه المصير للآخرة وزين له الحاضرة ونصب له فخوخا كالبحار الزاخرة (وما) نافية (هو بشيء) الباء زائدة والتنكير للتعميم لأنه في سياق النفي (من) بيانية (فخوخه) جمع فخ بفتح الفاء وشد الخاء المعجمة آلة الصيد قال الزمخشري: من المجاز وثب فلان من فخ إبليس إذا تاب (بأوثق) أحكم (لصيده) أي لمصيده (في الأتقياء) خصهم لما لهم من الشهرة على قهر الشيطان ورد كيده (من النساء) بيان للأوثق أي ما يثق في صيده الأتقياء بشيء من آلات الصيد وثوقه بالنساء أما كونهن من فخوخه فلأنه جعلهن مصيدة يزينهن في قلوب الرجال ويغريهم بهن فيورطهم في الزنا كصائد ينصب شبكته ليصطاد بها ويغري الصيد عليها ليقع في حبائلها قال أبو حمزة الخراساني: النظر رسول البلايا وسهام المنايا وقال بعض الحكماء: من غلب هواه عقله افتضح ومن غض طرفه استراح وقال بعضهم: لا شيء أشد من ترك الشهوة تحريك الساكن أيسر من تسكين المتحرك وقال ابن الحاج: قال صاحب الأنوار احذروا الاغترار بالنساء وإن كن نساكا عبادا فإنهن يركن إلى كل بلية ولا يستوحشن من كل فتنة. وقال بعض العارفين: ما أيس الشيطان من إنسان قط إلا أتاه من قبل النساء لأن حبس النفس ممكن لأهل الكمال إلا عنهن لأنهن من ذوات الرجال وشقائقهم ولسن غيرا حتى يمكن التباعد عنه والتحرز عنه ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ وما عداهن فاتباع هوى النفس فيه آية تكذيب وعد الرحمن وعلامة الاسترسال مع الشيطان وتصديقه فيما يزينه من البهتان وإذا نرى الكامل الحازم منقادا مسترسل الزمام لتلك الناقصات عقلا ودينا مقهورا تحت حكمهن قال:

إن العيون التي في طرفها حور. . . قتلننا ثم لا يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به. . . وهن أضعف خلق الله أركانا

وقال الرشيد الخليفة:

ملك الثلاث من الإناث عناني. . . وحللن من قلبي أعز مكاني

ما لي تطاوعني البرية كلها. . . وأطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى. . . وبه غلبن أعز من سلطاني

فعلى من ابتلي بالميل إليهن مصارعة الشيطان فإذا غلب باعث شهوة الوقاع المحرم بحيث لا يملك معها فرجه أو ملكه ولم يملك طرفه أو ملكه ولم يملك قلبه أن ينظر إلى مادة قوة الشهوة من الأطعمة فيقللها كما وكيفما ويحسم محرك الغضب وهو

النظر ففي خبر أحمد " النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس " وهذا السهم يسدده إبليس نحو القلب ولا طريق إلى رده إلا الغض والانحراف عن جهة المرمى فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوس الصورة فإذا لم تقف في طريقها أخطأك السهم وإن نصبت قلبك غرضا أصابك وأن تسلي النفس بالمباح المعوض عن الحرام فالدواء الأول يشبه قطع العلف عن الدابة الجموح والكلب الضاري لإضعاف قوتهما والثاني كتغييب الشعير عن الدابة وأن تتفكر في مفاسد قضاء هذا الوطر فإنه لو لم يكن جنة ولا نار ففي مفاسده الدنيوية ما يصد عن إجابة ذلك الداعي لكن عين الهوى عمياء

(فر عن معاذ) بن جبل وفيه هشام بن عمار قال أبو حاتم صدوق تغير فكان يتلقن كما يلقن وقال أبو داود حدث بأكثر من أربع مئة حديث لا أصل لها وفيه سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية وهو الحمصي قال الذهبي في الضعفاء متهم بالوضع". (١)

١٢٥٣-"٣٣٧ - (إذا أبردتم إلي بريدا) أي أرسلتم إلي رسولا. قال الزمخشري: البريد الرسول المستعجل وفي محل آخر فارسية وهي في الأصل البغل أصلها بريدة دم أي محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت كذلك فعربت وخففت ثم سمي الرسول الذي يركبها بريد (فابعثوه حسن الوجه) أي جميله قال قيصري والحسن معنى روحاني تنجذب إليه القلوب بالذات حاصل من تناسب الأعضاء (حسن الاسم) للتفاؤل بحسن صورته واسمه وأهل اليقظة والإنتباه يرون أن الأشياء بأسرها من الله فإذا ورد وارد حسن الوجه حسن الاسم تفاءلوا به وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يشتد عليه الاسم القبيح ويكرهه من مكان أو قبيلة أو جبل أو شخص ومن تأمل معاني السنة وجد معاني الأسماء مرتبطة بمسمياتها حتى كأن معانيها مأخوذة منها وكأن الأسماء مشتقة منها ألا ترى إلى خبر أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ومما يدل على تأثير الأسماء في مسمياتها خبر البخاري عن ابن المسيب عن أبيه عن جده أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما اسمك قلت: حزين قال: أنت سهل قلت: لا أغير اسما سمانيه أبي. قال ابن المسيب: فما زالت تلك الحزونة فينا بعد بعد والحزونة الغيظة قال ابن جني: مر بي دهر وأنا أسمى الاسم لا أدري معناه إلا من لفظه ثم أكشفه فإذا هو كذلك قال ابن تيمية: وأنا يقع لي كثيرا. (٢)قال الراغب: الجمال نوعان أحدهما امتداد القامة التي تكون عن الحرارة الغريزية فإن الحرارة إذا حصلت رفعت أجزاء الجسم إلى العلو كالنبات إذا نجم كلما كان أعلى كان أشرف في جنسه وللاعتبار بذلك استعمل في كل ما جاد في جنسه العالي والفائق وكثر المدح بطول القامة الثاني أن يكون مقدودا قوي العصب طويل الأطراف ممتدها رحب الذراع عير مثقل بالشحم واللحم قال أعني الراغب ولا نعني بالجمال هنا ما تتعلق به شهوة الرجال والنساء فذلك أنوثة بل الهيئة التي لا تنبو الطباع عن النظر إليها وهو أدل شيء على فضيلة النفس لأن نورها إذا أشرق تأدى إلى البدن وكل إنسان له حكمان أحدهما من قبل جسمه وهو منظره والآخر من قبل نفسه وهو مخبره فكثيرا ما يتلازمان فلذلك فرع أهل الفراسة في معرفة أحوال النفس أولا إلى الهيئة البدنية حتى **قال بعض الحكماء قل** صورة حسنة

---

(١) فيض القدير ١٣٢/١

(٢) تنبيه

تتبعها نفس رديئة فنقش الخاتم مفروش الطين

(البزار) من عدة طرق (عن بريدة) بضم الموحدة وفتح الراء تصغير بردة وهو ابن الحصيب بضم المهملة الأولى وفتح الثانية الأسلمي قال الهيتمي وطرق البزار كلها ضعيفة ورواه الطبراني -[٢٣٨]- باللفظ المزبور عن أبي هريرة فيه عمر بن راشد وثقه العجلي وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات انتهى وبه يعلم أن المؤلف لو عزاه للطبراني كان أولى وأن زعمه في الأصل أنه صحيح فيه ما فيه وإنما رمزه هنا لحسنه إنما هو لاعتضاده". (١)

١٢٥٤-"٣٧٥ - (إذا أراد الله بعبد خيرا) أي كمالا عظيما قيل المراد بالخير المطلق الجنة وقيل عموم خيري الدنيا والآخرة (جعل صنائعه) أي فعله الجميل جمع صنيعة وهي العطية والكرامة والإحسان (ومعروفه) أي حسن صحبته ومواساته (في أهل الحفاظ) بكسر الحاء وخفة الفاء أي أهل الدين والأمانة الشاكرين للناس لأن الصنيعة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها وفي الفردوس قال حسان بن ثابت:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة. . . حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الشيء وهي نقيض الكراهة التي هي النفرة وإرادة الله ليست بصفة زائدة على ذاته كإرادتنا بل هي عين حكمته التي تخصص وقوع الفعل على وجه دون آخر وحكمته عين علمه المقتضي لنظام الأشياء على الوجه الأصلح والترتيب الأكمل وانضمامها مع القدرة هو الاختيار (وإذا أراد الله بعبد شرا) أي خذلانا وهوانا (جعل صنائعه ومعروفه في غير أهل الحفاظ) أي جعل عطاياه وفعله الجميل في غير أهل الدين والأمانة وصرح بالثاني مع فهمه من الأول حثا للإنسان على أنه ينبغي له أن يقصد بمعروفه أهل المعروف ويتحرى إيقاعه فيهم **قال بعض الحكماء** والمصطنع إلى اللئيم كمن أعطى الخنزير درا وقرط الكلب تبرا وألبس الحمار وشيا وألقم الحية شهدا وقال ابن غزية: خمسة أشياء ضائعة سراج في شمس وحسناء تزف لأعمى ومطر في سبخة وطعام قدم لشبعان وصنيعة عند من لا يشكرها فينبغي للإنسان تحري اختيار المصرف حتى تقع العطية في المحل اللائق ويسلم من مخالفة الحكمة قال الشاعر:

إنما الجود أن تجود على من. . . هو للفضل والكرامة أهلا

وقال المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا. . . مضر كوضع السيف في موضع الندى

(فر عن جابر) ورواه عنه أيضا ابن لال وعنه في طريقه عنه خرجه الديلمي فلو عزاه له كان أولى ثم إن فيه خلف بن يحيي قال الذهبي عن أبي حاتم كذاب فمن زعم صحته فقد غلط". (٢)

(١) فيض القدير ٢٣٧/١

(٢) فيض القدير ٢٥٤/١

١٢٥٥-"٩٦٣ - (أزهد الناس من لم ينس القبر) أي موته ونزوله القبر ووحدته ووحشته (والبلاء) أي الفناء والاضمحلال (وترك -[٤٨٣]- أفضل زينة) الحياة (الدنيا) مع إمكان تحليه بها (وآثر ما يبقى على ما يفنى) أي آثر الآخرة وما يقرب منها من قول وعمل على الدنيا وما فيها. قال بعض الحكماء: لو كانت الدنيا من ذهب فإن والآخرة من خزف باق لاختار العاقل الباقي على الفاني. وقال: ترك أفضل زينة الدنيا ولم يقل ترك زينة توسعة في الأمر وإشارة إلى أن القليل من ذلك مع عدم شغل القلب به لا يخرج عن الزهد (ولم يعد غدا من أيامه) لجعله الموت نصب عينيه على توالي الأنفاس (وعد نفسه في الموتى) لأن التخلي عن زينة الدنيا والتحلي بقصر الأمل يوجب محبة لقاء الله ومحبة لقائه توجب محبة الخروج من الدنيا وهذا نهاية الزهد فيها والإعراض عنها

ثم إن من اشتراطه الزهد به ترك زينة الدنيا يشمل النساء إذ هي أعلى اللذات وأعظمها باتفاق العقلاء وليس مراد افتعين جعل الخبر من قبيل العام المخصوص أو الذي أريد به الخصوص فمحبة النكاح وإيثاره ليس قادحا في الأزهدية كيف وهو أعظم المحبوبات لخير البرية مع أمره لأمته بإكثار التناكح لإكثار التناسل؟ وقد كان أكابر الصحابة بأعلى درجات الزهد ولم يتركوا الإكثار منهن مع ما هم عليه من ضيق العيش وقلة الرفاهية والجهادين الأصغر والأكبر (فإن قلت) لم لم ينبه على استثنائه في هذا الخبر؟ (قلت) اتكالا على ما ظهر واشتهر من أنه بعث برفض الرهبانية التي هي شعار النصارى فاكتفى بذلك عن التنبيه عليه. فتدبر

(هب عن الضحاك مرسلا) قال قيل يا رسول الله من أزهد الناس؟ فذكره. رمز لضعفه". (١)

١٢٥٦-"٩٧٥ - (استرشدوا) بكسر المعجمة (العاقل) أي الكامل العقل قال للكمال لا للحقيقة (ترشدوا) بفتح أوله وضم ثالثه كما ضبطه جمع

أي اطلبوا منه ندبا مؤكدا الإرشاد وإلى إصابة الصواب يحصل لكم الإتصاف بالرشد والسداد ولكن يختلف الحال باختلاف الأمر المطلوب فتشاور في أمور الدين وشؤون الآخرة الذين عقلوا الأمر والنهي عن الله وعقلوا بالعقل النفوس عن موارد الهوى وكفوها بالخوف عن موارد الردى وألزموها طرق سبل الهدى. وفي أمور الدنيا من جرب الأمور ومارس المحبوب والمحذور ولا تعكس ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مر بقوم يلقحون نخلا فقال لو لم تفعلوا كان لصلح فتركوا فخرج شيصا فقال أنتم أعلم بأمر دنياكم. رواه مسلم وروى أحمد عن طلحة قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نخل فرأى قوما يلقحون نخلا فقال ما تصنعون؟ قالوا كنا نضعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت ثمرته فقال إنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطيء ويصيب ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله فلن أكذب على الله. اه. وقد أمر الله نبيه بالاستشارة مع كونه أرجح الناس عقلا. فقال تعالى ﴿وشاورهم في الأمر﴾ وأثنى تعالى على فاعليها في قوله ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (ولا تعصوه) بفتح أوله (فتندموا) أي لا تخالفوه فيما يرشدكم إليه فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. والفاء لقوة ارتباط الطلب وتأكد طلب المنع من المخالفة والتحذير منها. وأعظم به من حث على استشارة أولي الألباب

(١) فيض القدير ٤٨٢/١

والاقتداء بهم وفيه تنويه عظيم على شرف العقل. **قال بعض الحكماء من** استعان بذوي العقول فاز بدرك المأمول. وقال بعضهم لا تصلح الأمور إلا برأي أولي الألباب. والرحى لا تدور إلا على الأقطاب. قال البيهقي قيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم فقال نحن ألف رجل فينا حازم ونحن نطيعه فكأننا ألف حازم. وقال علي كرم الله وجهه: نعم الموازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد. قال الماوردي: فيتعين على العاقل أن يسترشد إخوان الصدق الذين هم ضياء القلوب ومزايا المحاسن والعيوب على ما ينبهونه عليه من مساويه التي صرفه حسن الظن عنها فإنهم أمكن نظرا وأسلم فكرا ويجعل ما ينبهونه عليه من مساويه عوضا عن تصديق المدح فيه. وقال بعض الكاملين حكمة الأمر بالاستشارة أن صاحب الواقعة لا ينفك عن هوى يحجبه عن -[٤٩٠]- الرشد فيسترشد عاقلا كامل العقل حازم الرأي لا هوى عنده. واعتبر فيمن يستشار كمال العقل ومن لازمه الدين فلا ثقة برأي من ليس كذلك

وعلم من ذلك أنه لا يستشير امرأة كيف وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بنقص عقلها وفي خبر سيأتي طاعة النساء ندامة فإن لم يجد من يستشيره شاورها وخالفها فقد روى العسكري عن عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وفي إفهام الحديث تحذير عظيم من العمل برأي من لم تكمل رتبته في العقل وعدم التعويل على ما يقول أو يفعل

(خط) في كتاب (رواة مالك) ابن أنس وكذا القضاعي (عن أبي هريرة) وفيه سلمان بن عيسى السجزي قال في الميزان هالك وقال الجوزقاني وأبو حامد كذاب صراح وقال ابن عدي وضاع ثم سرد له احاديث هذا منها وقال أعني الذهبي عقب إيراده المتن هذا غير صحيح قال في اللسان وأورده الدارقطني من رواية محمد بن منصور البلخي عن سليمان وقال هذا منكر وسليمان متروك وقال الحاكم الغالب على أحاديثه المناكير والموضوعات وأعاده في موضع آخر وقال أورده الدارقطني في غرائب مالك وقال حديث منكر وأورده في اللسان في ترجمة عمر بن أحمد وقال من مناكيره هذا الخبر وساقه ثم قال المتهم به عمر قاله ابن النجار في ترجمته انتهى لكن يكسبه بعض قوة ما رواه الحارث ابن أبي أسامة والديلمي بسند واه استشيروا ذوي العقول ترشدوا به يصير ضعيفا متماسكا ولا يرتقي إلى الحسن لأن الضعيف وإن كان لكذب أو إتهام بوضع أو لنحو سوء حفظ الراوي وجهالته وقلة الشواهد والمتابعات فلا يرقيه إلى الحسن لكن يصيره بحيث يعمل به في الفضائل". (١)

١٢٥٧-"٩٨٥ - (استعينوا على إنجاح الحوائج) لفظ رواية الطبراني استعينوا على قضاء حوائجكم (بالكتمان) بالكسر أي كونوا لها كاتمين عن الناس واستعينوا بالله على الظفر بها ثم علل طلب الكتمان لها بقوله (فإن كل ذي نعمة محسود) يعني إن أظهرتم حوائجكم للناس حسدوكم فعارضوكم في مرامكم وموضع الخبر الوارد في التحدث بالنعمة ما بعد وقوعها وأمن الحسد وأخذ منه أن على العقلاء إذا أرادوا التشاور في أمر إخفاء التحاور فيه ويجتهدوا في طي سرهم **قال بعض الحكماء من** كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاه كان الخيارعليه وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من بلوغ مأربه ولو كتمه كان من سطوته آمنا ومن عواقبه سالما وبنجاح حوئجه فائزا وقال بعضهم سرك من دمك فإذا تكلمت فقد

(١) فيض القدير ٤٨٩/١

أرقته وقال أنو شروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات. وفي منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزول ولا جاهلا فيحول لكن من الأسرار ما لا يستغني فيه عن مطالعة صديق ومشورة ناصح فيتحرى له من يأتمنه عليه ويستودعه إياه فليس كل من كان على الأموال أمينا كان على الأسرار أمينا. والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار قال الراغب: وإذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدور ويوصف به ضعف الرجال والنساء والصبيان والسبب في صعوبة كتمان السر أن للإنسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوف إلى الفعل المختص بها ولولا أن الله وكل المعطية بإظهار ما عندها لما أتاك بالأخبار من لم تزوده فصارت هذه القوة تتشوف إلى فعلها الخاص بها فعلى الإنسان أن يمسكها ولا يطلقها إلا حيث يجب إطلاقها

(عق عد طب) بل في معاجيمه الثلاثة (حل هب) عن محمد بن خزيمة عن سعيد بن سلام العطار عن ثور بن يزيدعن ابن معدان (عن معاذ) ابن جبل أورده ابن الجوزي في الموضوع وقال سعيد كذاب قال البخاري يذكر بوضع الحديث (عد طب حل هب) كلهم من طريق العقيلي (عن معاذ) أيضا قال أبو نعيم غريب من حديث خالد تفرد به عنه ثور حدث به عمر بن يحيى البصري عن شعبة عن ثور انتهى وأورده ابن الجوزي من هذه الطرق ثم حكم بوضعه ولم يتعقبه المؤلف سوى أن العراقي اقتصر على تضعيفه ورواه العسكري عن معاذ أيضا وزاد ولو أن امرءا كان أقوم من قدح لكان له من الناس غامزا وفيه سعيد المزبور وقال ابن أبي شيبة بصري ضعيف وقال أحمد بن طاهر كذاب قال في الميزان ومن منكراته هذا الخبر وقال ابن حبان سعيد يضع الحديث وقال العقيلي لا يعرف إلا بسميد ولا يتابع عليه وقال الهيتمي في كلامه على أحاديث الطبراني فيه سعيد العطار كذبه أحمد وبقية رجاله ثقات إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ فهو منقطع (الخرائطي -[٤٩٤]- في) كتاب (اعتلال القلوب) عن علي بن حرب عن حابس بن محمود عن أبي جريج عن عطاء (عن عمر) بن الخطاب وضعفوه (خط) عن ابراهيم بن مخلد عن اسماعيل بن علي الخطي عن الحسين بن عبد الله الأبزاري عن إبراهيم بن سعيد الجوهري عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه عن جده عن عطاء (عن ابن عباس) قال ابن الجوزي: هذا من عمل الأبزاري وسئل أحمد وابن معين عنه فقال هو موضوع وقال ابن أبي حاتم منكر لا يعرف. قال الحافظ العراقي: ورواه أيضا ابن أبي الدنيا عن معاذ بسند ضعيف جدا بلفظ استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث معاذ أيضا وقال فيه سعيد بن سلام العطار متروك وتابعه حسين بن علوان وضاع ومن حديث ابن عباس وقال فيه الحسين الأبزاري يضع (الخلعي في فوائده) عن أحمد بن محمد بن الحجاج عن محمد بن أحمد القرستاني العطار عن أحمد بن عبد الله عن غندر عن شعبة عن مروان الأصفر عن النزال بن سيرة (عن علي) أمير المؤمنين قال السخاوي: ويستأنس له بخبر الطبراني عن الحبر إن لأهل النعمة حسادا فاحذروهم انتهى. ولما ساق الحافظ العراقي الخبر المشروح جزم بضعفه واقتصر عليه". (١)

(١) فيض القدير ٤٩٣/١

١٢٥٨-"١٠٣٧ - (أسمح) أمر من السماح (يسمح لك) بالبناء للمفعول

والفاعل الله: أي عامل الخلق الذين هم عيال الله وعبيده بالمسامحة والمساهلة يعاملك سيدهم بمثله في الدنيا والآخرة. وفي الإنجيل: إن غفرتم للناس خطاياهم غفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم وإن لم تغفروا للناس خطاياهم لم يغفر لكم وفيه لا تحبوا الحكم على أحد لئلا يحكم عليكم اغفروا يغفر لكم أعطوا تعطوا **وقال بعض الحكماء**: أحسن إن أحببت أن يحسن إليك ومن قل وفاؤه كثر أعداؤه. وهذا من الإحسان المأمور به في القرآن المتعلق بالمعاملات وهو حث على المساهلة في المعاملة وحسن الانقياد وهو من سخاوة الطبع وحقارة الدنيا في القلب فمن لم يجده من طبعه فليتخلق به فعسى أن يسمح له الحق بما قصر فيه من طاعته وعسر عليه في الانقياد إليه في معاملته إذا أوقفه بين يديه لمحاسبته

(طب هب عن ابن عباس) رمز المصنف لحسنه وقال الحافظ العراقي: رجاله ثقات وقال تلميذه الهيتمي: رواه أحمد عن شيخه مهدي بن جعفر الرملي وقد وثقه غير واحد وفيه كلام وبقية رجاله رجال الصحيح وقال في موضع آخر: فيه مهدي وثقه ابن معين وغيره وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني في الأوسط والصغير ورجالهما رجال الصحيح اه فاقتصار المصنف على رمزه لحسنه تقصير وإيهام". [١]

١٢٥٩-"١١٩٩ - (أعمار أمتي) أمة الدعوة لا أمة الإجابة كما هو بين ولكل مقام مقال (ما بين الستين) من السنين (إلى السبعين) أي ما بين الستين والسبعين وإنما عبر بإلى التي للانتهاء ولم يقل والسبعين الذي هي حق التعبير ليبين أنها لا تدخل إلا على متعدد لأن التقدير ما بين الستين وفوقها إلى السبعين فإلى غاية الفوقية لدلالة الكلام عليه وقال بعضهم معناه آخر عمر أمتي ابتداؤه إذا بلغ ستين وانتهاؤه سبعين (وأقلهم من يجوز ذلك) قال الطيبي: هذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال فإن منهم من لم يبلغ ستين وهذا من رحمة الله بهذه الأمة ورفقه بهم أخرهم في الأصلاب حتى أخرجهم إلى الأرحام بعد نفاد الدنيا ثم قصر أعمارهم لئلا يلتبسوا بالدنيا إلا قليلا فإن القرون السالفة كانت أعمارهم وأبدانهم وأرزاقهم أضعاف ذلك كان أحدهم يعمر ألف سنة وطوله ثمانون ذراعا وأكثر وأقل وحبة القمح ككلوة البقرة والرمانة يحملها عشرة فكانوا يتناولون الدنيا بمثل تلك الأجساد وفي تلك الأعمار فبطروا واستكبروا وأعرضوا عن الله ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ فلم يزل الخلق ينقصون خلقا ورزقا وأجلا إلى أن صارت هذه الأمة آخر الأمم يأخذون أرزاقا قليلة بأبدان ضعيفة في مدة قصيرة كيلا يبطروا فذلك رحمة بهم **قال بعض الحكماء** الأسنان أربعة سن الطفولية ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان وغالب ما تكون بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر بالنقص ضعف القوة والانحطاط فينبغي له الإقبال على الآخرة لاستحالة رجوعه للحالة الأولى من القوة والنشاط

(ت) عن أبي هريرة وقال حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه قال ابن حجر وهو عجيب منه فقد رواه في الزهد أيضا من طريق أخرى عن أبي هريرة وإليه أشار المصنف بقوله (ع عن أنس) قال وفيه عنده عبد الأعلى شيخ هشيم. وبقية رجاله

---

(١) فيض القدير ٥١٢/١

رجال الصحيح ورواه ابن حبان والحاكم بسند الترمذي الأول ومتنه وقال في الفتح سنده حسن". (١)

١٢٦٠-"-[١١٠]- ١٤٧٠ - (اللهم اغفر لي ذنبي) أي ما لا يليق أو المراد إن وقع والعبد لا يأتي بما هو اللائق بجلال كبرياء الله ومنه ما عبدناك حق عبادتك فسمى هذا القصور بالنسبة لكمال القرب ذنبا مجازا (ووسع لي في داري) محل سكني في الدنيا لأن ضيق مرافق الدار يضيق الصدر ويشتت الأمتعة ويجلب الهم ويشغل البال أو المراد القبر: إذ هو الدار الحقيقية وعلى الأول فالمراد التوسعة بما يقتضيه الحال لا الترفه والتبسط في الدنيا بل إنما يسأل حصول قدر الكفاية لا أزيد ولا أنقص. ولهذا **قال بعض الحكماء**: إما أن تتخذ لك دارا على قدر نجواك وتخبر على قدر دارك وإلا فهو سرف أو تقتير (وبارك لي في رزقي) أي اجعله مباركا محفوفا بالنماء والزيادة في الخير ووفقني بالرضى بما قسمته منه وعدم التلفت إلى غيره مع أني لا أنال إلا ما رزقتني وإن جهدت وهذا كان يقوله بعد الوضوء عقب أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

(ت عن أبي هريرة) رمز المصنف لصحته ورواه أحمد والطبراني عن رجل من الصحابة وزاد فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنهن فقال وهل تركن من شيء ورواه النسائي وابن السني عن أبي موسى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ فسمعته يدعو يقول فذكره وترجم عليه ابن السني بباب ما يقوله بين ظهراني وضوئه والنسائي بباب ما يقول بعد فراغ وضوئه قال في الأذكار: إسناده صحيح". (٢)

١٢٦١-"١٥٧٥ - (الزم) بكسر فسكون ففتح (بيتك) أي محل سكنك بيتا أو خلوة أو غيرهما قاله لرجل استعمله على عمل فقال يا رسول الله خر لي فعلي هذا فالمراد بلزوم البيت الانجماع عن الناس والعزلة واحتج به من ذهب إلى ان العزلة أفضل من مخالطة الناس وذهب جمع إلى عكسه والمسألة مشهورة فيها كتب مفردة من الجانبين ورجح ابن أبي حمزة أفضلية العزلة لأهل البداية دون غيرهم أخذا من خلوة المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولا بغار حراء وتأويل البعض الزم بيتك: قلبك - متكلف. (٣)**قال بعض الحكماء إذا** هرب الحكيم من الناس فاطلبه وإذا طلبهم فاهرب منه (طب عن ابن عمر) بن الخطاب فيه الفرات بن أبي الفرات قال في الميزان عن ابن معين ليس بشيء وعن ابن عدي الضعف بين على رواياته ثم أورد له هذا الخبر انتهى. وذكر نحوه الحافظ العراقي". (٤)

١٢٦٢-"١٦٠٩ - (أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله) القرآن لأنه يستحيل الكذب في خبره وإنما تكذب الظنون في فهم خطابه وإنما ينتفي الريب عن سامعه بقدر قوة إيمانه ومتانة إبقائه وسماه حديثا لنزوله منجما لا لكونه ضد

---

(١) فيض القدير ١١/٢

(٢) فيض القدير ١١٠/٢

(٣) فائدة

(٤) فيض القدير ١٥٩/٢

القديم (وأوثق العرى كلمة التقوى) كلمة الشهادة إذ هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى انها سبب التقوى وأسها وقيل كلمة أهل التقوى ذكره في الكشاف وقوله اوثق العرى من باب التمثيل مثلت حال المتقي بحال من أراد التدلي من شاهق فاحتاط لنفسه بتمسكه بعروة من حبل متين مأمون انقطاعه (وخير الملل ملة إبراهيم) الخليل ومن ثم أمر صلى الله عليه وسلم باتباعها ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾ (وخير السنن سنة محمد) صلى الله عليه وسلم وهي قوله أو فعله أو تقريره لأنها أهدى من كل سنة وأقوم من كل طريقة (وأشرف الحديث ذكر الله) لأن الشيء يشرف بشرف من هو له (وأحسن القصص هذا القرآن) لأنه برهان ما في سائر الكتب ودليل صحتها لأنه معجزة وليس تلك بمعجزة فهي مفتقره إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة ذكره الزمخشري (وخير الأمور عوازمها (١) وشر الأمور محدثاتها) بضم فسكون جمع محدثة (٢) وهي ما لم يكن معروفا في كتاب ولا سنة ولا إجماع (وأحسن الهدي) بفتح الهاء وسكون الدال المهملة السمت والطريقة والسيرة أي خير السيرة والطريقة سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وطريقته وروي أيضا بضم الهاء وفتح الدال ومعناه الدلالة والرشاد (هدي الأنبياء) لأنه تعالى تولى هدايتهم وتأديبهم وعصمتهم عن الضلال والإضلال والهدي بضم الهاء وفتح الدال والقصر الارشاد واللام في الهدي للاستغراق لأن أفعل التفضيل لا تضاف إلا إلى متعدد وهو داخل فيه ولأنه لو لم يكن للاستغراق لم يفد المعنى المقصود (وأشرف الموت قتل الشهداء) لأنه في الله ولإعلاء كلمة الله فأعقبهم الحياة بالله ولهذا نهى الله الخلق عن إطلاق الموت عليهم (وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى) أي الكفر بعد الإسلام فهو العمى على الحقيقة (وخير العلم ما نفع) وفي رواية بدل العلم العمل بأن صحبه إخلاص فإن العلم الذي لا ينفع لا خير فيه لصاحبه بل هو وبال عليه

-[١٧٦]- (وخير الهدى ما اتبع) بالبناء للمجهول أي اقتدي به كنشر العلم للمريدين وتهذيب المشايخ لأحوال السالكين وهي سيرة المرسلين وشر العمى عمى القلب لأن عماه يفقد نور الإيمان بالغيب فيثمر الغفلة عن الله والآخرة ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ فعمى البصيرة أشد من عمى البصر لأنه عظيم الضرر ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (واليد العليا خير من اليد السفلى) أي اليد المعطية خير من اليد الآخذة (٣) (وما قل) من الدنيا (وكفى) الإنسان لمؤنته ومؤنة من عليه مؤنته (خير مما كثر وألهى) عن الله والدار الآخرة لأن الاستكثار من الدنيا يورث الهم والغم وقسوة القلب وشدة الحرص وينسي الموت والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة (وشر المعذرة حين يحضر الموت) فإن العبد إذا اعتذر إلى الله بالتوبة عند احتضاره ووقوعه في الفزع لا يفيده فمراده الاعتذار عند الغرغرة ومعاينة ملك الموت وهي حالة كشف الغطاء واليأس من البقاء ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ (وشر الندامة) أي الحزن. وقال الراغب: الندم التحسر على ما فات (يوم القيامة) فإنها لا تنفع يومئذ ولا تفيد. (ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبرا) بفتح أو ضم المهملة كذا ذكره بعضهم وقال العسكري: الصواب بضمتين ونصبه على الظرف أي بعد فوت الوقت (ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا) أي تاركا للإخلاص كأن قلبه هاجر للسانه ﴿يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ لا يدعوهم إلى موافقة العاملين إلا استقباح المذمة من الناس والسطوة من السلطان أو العيب من الإخوان والجيران ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ (وأعظم الخطايا اللسان الكذوب) وهو الذي تكرر كذبه حتى صار صفة له حتى يأتي بالكبائر كلها كالقذف

والبهتان وشهادة الزور وغيرها وربما أفضى إلى الكفر فإن اللسان أعظم عملا من سائر الجوارح فإذا تعود الكذب أورد صاحبه المهالك. (وخير الغنى غنى النفس) فإنه الغنى على الحقيقة وفقير النفس لا يزال في هم وغم على تحصيل الدنيا والحرص على جمعها بقوله أخاف الفقر في الكبر وغير ذلك (وخير الزاد) إلى الآخرة (التقوى) ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ قال الغزالي: جمعت خيرات الدنيا والآخرة تحت هذه الخصلة التي هي التقوى وتأمل ما في القرآن من ذكرها كم علق بها من خير ووعد عليها من ثواب وكم أضاف إليها من سعادة ومدار العبادة على ثلاثة أصول: الأول: التوفيق والتأييد وهو للمتقين قال الله تعالى ﴿أن الله مع المتقين﴾ . الثاني: إصلاح العمل واتقاء التقصير وهو للمتقين. قال الله تعالى ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ . الثالث: قبول العمل وهو للمتقين قال الله تعالى ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ فالتقوى هي الجامعة للخيرات الكافية للمهمات الرافعة للدرجات (ورأس الحكمة مخافة الله) أي الخوف منه أصلها واسمها فمن لم يخف الله فباب الحكمة عليه مسدود (وخير ما وقر في القلب اليقين) أي خير ما سكن فيه نور اليقين فإنه المزيل لظلمة الريب. قال الزمخشري: من المجاز وقر في قلبه كذا وقع وبقي أثره وكلمته وقرت في إذنه ثبتت (والارتياب) أي الشك في شيء مما جاء به الرسول (من الكفر) بالله تعالى (والنياحة من عمل الجاهلية) أي النوح على الميت بنحو واكهفاه واجبلاه من عادة الجاهلية وقد جاء الإسلام بتحريمه (والغلول) أي الخيانة الخفية (من جثا جهنم) جمع جثوة بالضم الشيء المجموع كذا في النهاية وفي التقريب الجثوة مثلثة الحجارة المجموعة وقيل معنى

-[١٧٧]- من جثاء جهنم من جماعتها وفي رواية للقضاعي من جمر جهنم. قال شارحه: لأن الغلول يصير على الغال جورا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الذي غل شملة إنها تضرم عليه نارا (والكنز) أي المال الذي لم تؤد زكاته (كي من النار) أي يكوي صاحبه في نار جهنم (والشعر) بكسر الشين الكلام المقفى الموزون قصدا (من مزامير إبليس) أي الشعر المحرم لا الجائز (والخمر جماع الإثم) أي مجمعه ومظنته والجماع اسم لما يجمع ويضم يقال هذا الباب جماع الأبواب من جمعت الشيء ضممته كالكفات من كفت الشيء إليه إذا ضمه وجمعه ذكره الكشاف. وفي الفائق جماع كل شيء مجتمع أصله يقال لما اجتمع في الغصن من النور هذا جماع الثمر (والنساء حبالة الشيطان) أي مصائده وفخوخه واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد بها من أي شيء كأن دعى رجل إلى قتل نفس فأبى ثم إلى الزنا فأبى ثم إلى الخمر فشرب فزنا فقتل وقيل ما أيس الشيطان من آدمي من قبل النساء ومن ثم قال سليمان عليه الصلاة والسلام: امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة وسمع عمر رضي الله عنه تعالى امرأة تقول:

إن النساء رياحين خلقن لكم. . . وكلكم يشتهي شم الرياحين

فقال:

إن النساء شياطين خلقن لنا. . . نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال بعض الحكماء: إياك ومخالطة النساء فإن لحظات المرأة سهم ولفظها سم (والشباب شعبة من الجنون) لأن الجنون يزيل العقل وكذا الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه من كثرة الميل إلى الشهوات والإقبال على المضار لحداثة السن سيما مع الجدة

إن الشباب والفراغ والجده. . . مفسدة للمرء أي مفسدة
(وشر المكاسب كسب الربا) أي التكسب به لأن درهما منه أشد من ثلاث وثلاثين زينة كما يجيء في أخبار (وشر المآكل أكل مال اليتيم) ظلما ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ (٤) ولذا كان من أكبر الكبائر (والسعيد من وعظ بغيره) أي السعيد من تصفح أفعال غيره فاقتدى بأحسنها وانتهى عن سيئها قال:
إن السعيد له من غيره عظة. . . وفي التجارب تحكيم معتبر
وقال حجة الإسلام: المراد أن الإنسان يشاهد من خبائث من اضطر إلى مرافقته وأحواله وصفاته ما يستقبحه فيجتنبه وقيل لعيسى عليه الصلاة والسلام من أدبك فقال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته. قال الحجة: ولقد صدق فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن مؤدب فاطلع في القبور واعتبر بالنشور وانظر إلى مصارع آبائك وفناء إخوانك ومن أمثالهم كم قذف الموت في هوة من جمجمة من هوة وكفى بالموت واعظا ونظر الحسن رضي الله عنه إلى ميت يقبر فقال: والله إن أمرا هذا أوله لحري أن يخاف آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله. وقال مطرف: أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه. وقال الحكماء: للباقين بالماضين معتبرا وللآخرين بالأولين مزدجر والسعيد من لا يركن إلى الخدع ولا يغتر بالطمع. وقالوا: السعيد من اعتبر بأمه واستظهر لنفسه والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه (والشقي من شقي في بطن أمه) فلا اختيار للسعيد في تحصيل السعادة ولا اقتدار للشقي على تبديل الشقاوة. قال ابن الكمال: ومعنى الحديث أن السعيد مقدر سعادته وهو في بطن أمه والشقي مقدر شقاوته وهو في بطن أمه وتقدير الشقاوة له قبل أن يولد لا يدخله في حيز
-[١٧٨]- ضرورة السعادة كما دل عليه خبر كل مولود يولد على الفطرة (وإنما يصير أحدكم) إذا مات (إلى موضع أربع أذرع) وهو اللحد وانظر إلى ما تصير وفيم تسكن وقيل في آية ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ هو لوح من ذهب فيه: عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن يعرف النار كيف يضحك ولمن يعرف الدنيا وتحويلها كيف يطمئن إليها؟ وقال ثابت: أي عبد أصعب حالا ممن يأتيه ملك الموت وحده ويقبر بلحده وحده وقيل لبشر بن الحارث: عظنا قال: ما أقول فيمن القبر مسكنه والصراط جوازه والقيامة موقفه والله مسائله فلا يعلم إلى جنة فيهنئ أم إلى نار فيعزى (والأمر بآخره) بالمد إنما الأعمال بخواتيمها (وملاك العمل) بكسر الميم وفتحها أي قوامه ونظامه وما يعتمد عليه فيه (خواتمه) وأصل الملاك استحكام القدرة ومعناه أن أحكام عمل الخير وثباته موقوفة على سلامة عاقبته إنما الأعمال بالخواتيم فقد يبتدىء بالصلاة وغيرها بنية خالصة ثم يعرض له آفة تمنع صحته أو تبطل أجره من نحو عجب أو رياء أو عزم على تركه فإن لم يعرض آفة قبل تمامه أو عرضت وردها بالعلم وختم بما بدأ استحكم عمله باستدراكه ما فرط في الأثناء بإخلاص خاتمته. قال ابن بطال: في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف لأنه لو علم وكان ناجيا أعجب وكسل وإن كان هالكا زاد عتوا فحجب عنه ذلك ليكون بين خوف ورجاء. إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا مقدار شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا سوى مقدار شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة كما سيجيء في الخبر (وشر الروايا (٥) روايا الكذب وكل

ما هو آت) من الموت والقيامة والحساب والوقوف (قريب) وأنت سائر على مراحل الأيام والليالي إليه ﴿إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾ فالجاهل يراه بعيدا لعمى قلبه والمؤمن الكامل يراه بنور إيمانه قريبا كأنه يعاينه فبذل دنياه لأخراه وسلم نفسه لمولاه فلا تغرنك الدنيا فجديدها عما قليل يبلى ونعيمها يفنى ومن لم يتركها اختيارا فعما قريب يتركها اضطرارا ومن لم تزل نعمته في حياته زالت بمماته قال ابن عطاء رضي الله عنه: لا بد لهذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو أبقى أوثق منه بما هو يفنى. **وقال بعض الحكماء**: من كان يؤمل أن يعيش غدا فهو يؤمل أن يعيش أبدا. قال الماوردي: ولعمري إنه صحيح إذ كل يوم غدا فإذا يفضى به الأمل إلى الفوت من غير ويؤديه الرجاء إلى الإهمال بغير تلاف. وقال الحكماء: لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة فإن الدهر خائن وكل ما هو آت كائن (وسباب المؤمن) بكسر السين المهملة أي سبه وشتمه (فسوق) أي فسق (وقتال المؤمن) بغير حق (كفر) إن استحل قتله بلا تأويل سائغ (وأكل لحمه من معصية الله) أي غيبته وهي ذكره بما يكرهه حرام ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ (وحرمة ماله كحرمة دمه) فكما يمتنع سفك دمه بغير حق يمتنع أخذ شيء من ماله بغير حق. قال في الكشاف: الحرمة ما لا يحل هتكه (ومن يتأل على الله) أي يحكم عليه ويحلف كقوله والله ليدخلن فلان النار من الألية وهي اليمين (يكذبه) بأن يفعل خلاف ما حلف عليه مجازاة له على جراءته وفضوله (ومن يغفر يغفر الله له) أي ومن يستر على أخيه فضيحة اطلع عليها يستر الله ذنوبه فلا يؤاخذه بها (ومن يعف) أي عن الجاني عليه (يعف الله عنه) أي ومن يمحو أثر جناية غيره يمحو الله سيئاته جزاءا وفاقا (ومن يكظم الغيظ) أي يرده ويكتمه مع قدرته على إنفاذه (يأجره الله) أي يثيبه الله لأنه -[١٧٩]- محسن يحب المحسنين وكظم الغيظ إحسان. قال الزمخشري: كظم البعير جرته ازدردها وكف عن الاجترار وكظم القربة ملأها وشد كظم الباب سده ومن المجاز كظم الغيظ وعلى الغيظ انتهى (ومن يصبر على الرزية) أي المصيبة احتسابا لله (يعوضه الله) عنها خيرا مما فاته منها (ومن يتبع الشمعة يسمع الله به) قال في الفردوس: قال العسكري هكذا يروى من هذا الطريق الشمعة بشين معجمة وهي المزاح والضحك ومنه امرأة شموع كثيرة الضحك والمعنى أن من عبث بالناس واستهزأ بهم يعبث به ويستهزأ منه ومن رواه بسين مهملة أراد من يرائي بعمله يفضحه الله (ومن يصبر يضعف الله له) الثواب أي ثوابه جزاء صبره أي يؤته أجره مرتين (ومن يعص الله يعذبه الله) إن شاء وإن شاء عفى عنه فهو تحت المشيئة (اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي) المراد أمة الإجابة وكرره ثلاثا لأن الله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء (أستغفر الله لي ولكم) هذا الحديث قد عده العسكري وغيره من الحكم والأمثال وفيه أنه ينبغي للإنسان إذا دعا لغيره أن يبدأ بنفسه

(البيهقي في الدلائل) أي في كتاب دلائل النبوة (وابن عساكر) في تاريخه (عن عقبة بن عامر الجهني) قال خرجنا في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان منها على ليلة فلم يستيقظ حتى كانت الشمس كرمح فقال ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر فقال: يا رسول الله ذهب بي الذي ذهب بك فانتقل غير بعيد ثم صلى ثم حمد الله ثم أثنى عليه ثم قال أما بعد إلى آخره (أبو نصر) عبد الله بن سعيد (السجزي) بكسر السين المهملة وسكون الجيم نسبة لسجستان على غير قياس (في الإبانة) أي في كتاب الإبانة له (عن أبي الدرداء) مرفوعا (ش) وكذا أبو نعيم في الحلية والقضاعي في

الشهاب قال بعض شراحه حسن غريب (عن ابن مسعود موقوفا) ورواه العسكري والديلمي عن عقبة

---

(١) أي فرائضها التي فرض الله على الأمة فعلها

(٢) أي ما أحدث من البدع بعد الصدر الأول

(٣) أي إذا لم يكن الآخذ محتاجا لخبر ما المعطي من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجا

(٤) قوله في بطونهم أي ملئها نارا لأنه يؤول إليها وسيصلون بالبناء للفاعل أي يدخلون سعيرا أي نارا شديدة

(٥) الروايا بفتح الراء المهملة جمع راوية بمعنى ناقل وفي حديث: والراوية أحد الشاتمين: أي وشر النافلين نافلي الكذب". (١)

١٢٦٣-"١٦٥٣ - (أملك عليك لسانك) أي احفظه وصنه لعظم خطره وكثرة ضرره. قال ذو النون رضي الله عنه: أصوم الناس لنفسه أملكهم للسانه. وقال ابن مسعود أو عمر: ما على الأرض أحوج إلى طول سجن من اللسان. قال حجة الإسلام رضي الله عنه: معنى حفظ اللسان من الكذب فلا ينطق به في جد ولا هزل لأنه إن نطق به هزل تداعى إلى الجد والخلف بالوعد بل ينبغي أن يكون إحسانك فعلا بلا قول والغيبة فإنها أشد من ثلاثين زنية والمراد الجدال والمنافسة وتزكية النفس واللعن والدعاء على الخلق والمزاح والسخرية والاستهزاء بالخلق ونحو ذلك انتهى. **قال بعض الحكماء**: لا شيء أحق بالسجن من اللسان وقد جعله خلف الشفتين والأسنان ومع ذلك يكثر القول ويفتح الأبواب (وليسعك بيتك) سيما في زمن الفتن. قال الطيبي: الأمر في الظاهر وارد على البيت وفي الحقيقة على المخاطبة أي تعرض لما هو سبب لزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلو عن الأغيار (وابك على خطيئتك) أي ذنوبك ضمن بكى معنى الندامة وعداه بعلى أي اندم على خطيئتك باكيا فإن جميع أعضاءك تشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق ذلق تفضحك به على ملإ من الخلق ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (تتمة) قال في الحكم: ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل فيها ميدان فكره كيف يشرق القلب وصور الأكوان منطبع في مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع من يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته. (٢)قال ابن الحاج: عذل بعضهم عن الانعزال في خلوته فقال: وجدت لساني كلبا عقورا قل أن يسلم منه من خالطه فحبست نفسي ليسلم المسلمون من آفاته

(ت) في الزهد (عن عقبة بن عامر) الجهني قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقلت: ما النجاة فقال: أملك إلخ وهذا الجواب من أسلوب الحكيم سأل عن حقيقة النجاة فأجابه عن سببه لأنه أهم بحاله وأولى وكان حق الظاهر أن يقول حفظ اللسان فأخرجه على سبيل الأمر المقتضي للوجوب مزيدا للتقرير والاهتمام كذا قاله المصنف تبعا لعبد الحق

---

(١) فيض القدير ١٧٥/٢

(٢) فائدة

في أحكامه. قال ابن القطان: وهو خطأ إنما هو عن أبي أمامة وسكت عنه والترمذي إنما قال حسن وهو إلى الضعف أقرب فإنه من رواية يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال في المنار وكلهم متكلم فيه". [١]

١٢٦٤-"١٨٨٩ - (إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها) وهي الأخلاق الشرعية والخصال الدينية لا الأمور الدنيوية فإن العلو فيها نزول (ويكره) في رواية البيهقي ويبغض (سفسافها) بفتح أوله أي حقيرها ورديئها فمن اتصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه ومن تحلى بالأوصاف الرديئة كرهه (١) وشرف النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال فيربأ بنفسه أن يلقيها في ذلك وليس المراد به التيه فإنه يتولد من أمرين خبيثين إعجاب بنفسه وازدراء بغيره والأول يتولد بين خلقين كريمتين إعزاز النفس وإكرامها وتعظيم مالكها فيتولد من ذلك شرف النفس وصيانتها وقد خلق سبحانه وتعالى لكل من القسمين أهلا لما مر أن بني آدم تابعون للتربة التي خلقهم منها فالتربة الطيبة نفوسها علية كريمة مطبوعة على الجود والسعة واللين والرفق لا كزازة ولا يبوسة فيها فالتربة الخبيثة نفوسها التي خلقت منها مطبوعة على الشقوة والصعوبة والشح والحقد وما أشبهه [٢] علم مما تقرر أن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارق بها غيره من الحيوان والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلى معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة فحينئذ ترفع -[٢٩٦]- همته إلى العالم الرضواني وتنساق إلى الملأ الروحاني [٣] **قال بعض الحكماء**: بالهمم العالية والقرائح الزكية تصفو القلوب إلى نسيم العقل الروحاني وترقى في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الأبصار المحيطة بالأنظار وترتع في رياض الألباب المصفاة من الأدناس وبالأفكار تصفو كدر الأخلاق المحيطة بأقطار الهياكل الجسمانية فعند الصفو ومفارقة الكدر تعيش الأرواح التي لا يصل إليها انحلال ولا اضمحلال

(طب عن الحسين بن علي) أمير المؤمنين قال الهيثمي فيه خالد بن إلياس ضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي وبقية رجاله ثقات وقال شيخه العراقي رواه البيهقي متصلا ومنفصلا ورجالهما ثقات اه

---

(١) والإنسان يضارع الملك بقوة الفكر والتمييز ويضارع البهيمة بالشهوة والدناءة فمن صرف همته إلى اكتساب معالي الأخلاق أحبه الله فحقيق أن يلتحق بالملائكة لطهارة أخلاقه ومن صرفها إلى السفساف ورذائل الأخلاق التحق بالبهائم فيصير إما ضاريا ككلب أو شرها كخنزير أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو رواغا كثعلب أو جامعا لذلك كشيطان". (٤)

---

(١) فيض القدير ١٩٧/٢

(٢) تنبيه

(٣) تنبيه

(٤) فيض القدير ٢٩٥/٢

١٢٦٥-"٢١٤١ - (إن الناس لم يعطوا) بالبناء للمفعول (شيئا) من الخصال الحميدة (خيرا من خلق) بالضم (حسن) فإن حسن الخلق يرفع صاحبه إلى درجات الأخيار في هذه الدار ودار القرار. قال حجة الإسلام: لا سبيل إلى السعادة الأخروية إلا بالإيمان وحسن الخلق فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وأفضل زادها بعد الإيمان حسن الخلق وبحسن الخلق ينال الإنسان خير الدنيا والآخرة. وقال بعض الحكماء: لحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة ولسيء الخلق من نفسه في عناء والناس منه في بلاء. وقال بعضهم: عاشر أهلك بحسن الأخلاق فإن السوء فيهم قليل وإذا حسنت أخلاق المرء كثر مصادقوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب وقال الحكماء في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق قال الماوردي وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلام

(طب عن أسامة بن شريك) الثعلبي بالمثلثة والمهملة الذبياني الصحابي قال ابن حجر تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة على الصحيح". [١]

١٢٦٦-"٢٤٤٩ - (إن مصر) بمنع الصرف للعلمية والعجمة (ستفتح) أي سيغلب عليها المسلمون ويملكونها قهرا يقال فتح السلطان البلاد غلب عليها وتملكها قهرا (فانتجعوا خيرها) أي اذهبوا إليها لطلب الربح والفائدة فإنها كثيرة الربح والمكاسب لاسيما الجانب الغربي منها كما هو مصرح به في خبر يأتي وإذا حصلتم على الربح فارتحلوا عنها (ولا تتخذوها دارا) -[٥٢٢]- أي محل إقامة (فإنه يساق إليها أقل الناس أعمارا) فإن قلت: الآجال مقدرة والأعمال محصية مقدرة فما فائدة الأمر بمنع الإقامة؟ قلت: جائز أن يقال إنه يكون مكتوبا في اللوح أو الصحف أنه إن لم يقم بها عاش طويلا وإن قطنها أفسد هواؤها مزاجه فهلك [٢] اشتهر على الألسنة في قوله سبحانه ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ أنها مصر قال ابن الصلاح وهو غلط نشأ عن تصحيف وإنما قال بعض المفسرين ﴿دار الفاسقين﴾ مصيرهم فصحفت بمصر (تتمة) أخرج الطبراني عن ابن عمر مرفوعا أن إبليس دخل العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى بلغ بيسان ثم دخل مصر فباض فيها وفرح وبسط عبقريه. قال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا انتهى. وزعم ابن الجوزي وضعه ورده المؤلف (غريبة) قال العارف البسطامي: مصر شأنها عجيب وسرها غريب خلقها أكثر من رزقها ومعيشتها أغزر من خلقها من لم يخرج منها لم يشبع. قال بعض الحكماء: نيلها عجب وترابها ذهب ونساؤها لعب وصبيانها طرب وأمراؤها جلب وهي لمن غلب والداخل إليها مفقود والخارج منها مولود. وقال تعالى ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾

(تخ) يعني تاريخه الصغير كما في الإصابة وظاهر كلام المؤلف أن البخاري خرجه وأقره وليس كذلك بل قال عقبه لا يصح (والباروردي) في الصحابة (طب وابن السني وأبو نعيم في الطب) النبوي وابن السكن في الصحابة وابن شاهين وابن يونس كلهم من حديث موسى بن علي بن رباح عن أبيه (عن) جده (رباح) بفتح الراء والموحدة ابن قصير بفتح أوله اللخمي

---

(١) فيض القدير ٢/٤٠١

(٢) فائدة

قال ابن يونس عقبة منكر جدا وقد أعاذ الله موسى أن يحدث بمثله فهو كان أتقى لله من ذلك وحكم ابن الجوزي بوضعه وقال البخاري لا يصح وقال ابن السكن في إسناده نظر ولما عزاه الهيثمي للطبراني قال فيه مظهر بن الهيثم وهو متروك وأقر السخاوي ابن الجوزي على دعواه وضعه. وقال المؤلف في حسن المحاضرة في إسناده مظهر بن الهيثم قال فيه ابن يونس متروك والحديث منكر جدا وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات. إلى هنا كلامه". (١)

١٢٦٧-"٢٤٧٥ - (إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر) قال الطبراني عن بعضهم: يقال إن المراد الأصاغر من أهل البدع وأخرج الطبراني عن ابن مسعود لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا **وقال بعض الحكماء**: سودوا كباركم لتعزوا ولا تسودوا صغاركم فتذلوا وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق مكحول عن أنس قيل يا رسول الله متى ينزعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في نبي إسرائيل إذا ظهر الادهان في خياركم والفحش في شراركم والملك في صغاركم والفقه في رذالكم وفي مصنف قاسم بن أصبغ بسند قال ابن حجر صحيح عن عمر: فساد الناس إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير. وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير وذكر أبو عبيدة أن المراد بالصغير في هذا صغير القدر لا السن

(طب) وكذا في الأوسط (عن أبي أمية) بضم الهمزة وفتح الميم وشد المثناة تحت (الجمحي) وقيل اللخمي وقيل الجهني وقيل المخزومي صحابي له حديث. قال الهيثمي فيه ابن لهيعة ضعيف". (٢)

١٢٦٨-"٢٥٤٢ - (إنكم) أيها الصحب (في زمان) متصف بالأمن وعزة الإسلام (من ترك منكم) فيه (عشر ما أمر به) من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ لا يجوز صرف هذا القول إلى عموم المأمورات لما عرف أن مسلما لا يعذر فيما يهمل من فرض عيني (هلك) أي في ورطات الهلاك لأن الدين عزيز وفي أنصاره كثرة فالترك تقصير منكم فلا عذر لأحد في التهاون حالتئذ (ثم يأتي زمان) يضعف فيه الإسلام وتكثر الظلمة ويعم الفسق ويكثر الدجالون وتقل أنصار الدين فيعذر المسلمون في الترك إذ ذاك لعدم القدرة وفقد التقصير وحينئذ (من عمل منهم) أي من أهل ذلك الزمن المحتوي على المحن والفتن (بعشر ما أمر به نجا) لأنه المقدور ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ قال الغزالي: لولا بشارة المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه سيأتي زمان من تمسك فيه بعشر ذلك نجا لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا فنسأل الله أن يعاملنا بما هو أهله وأن يستر قبائح أعمالنا كما يقتضيه فضله وكرمه **وقال بعض الحكماء** معروف زمننا منكر زمان مضى ومنكر زمننا معروف زمان لم يأت

(ت) في آخر الفتن (عن أبي هريرة) وقال غريب وأورده ابن الجوزي في الواهيات وقال قال النسائي حديث منكر رواه أبو

---

(١) فيض القدير ٢/٥٢١

(٢) فيض القدير ٢/٥٣٣

نعيم بن حماد وليس بثقة". (١)

١٢٦٩-"٢٨٩٠ - (إياك وقرين السوء) بالفتح مصدر (فإنك به تعرف) أي تشتهر بما اشتهر من السوء قال تعالى: ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا﴾ ومن ثم قالوا: الإنسان موسوم بسيما من يقارن ومنسوب إليه أفاعيل من صاحب. وقال علي كرم الله وجهه: الصاحب مناسب ما شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب. **وقال بعض الحكماء**: اعرف أخاك بأخيه قبلك وقال آخر: يظن بالمرء لا يظن بقرينه قال عدي:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه. . . فكل قرين بالمقارن يقتدي

فمقصود الحديث التحرز من أخلاء السوء وتجانب صحبة الريب ليكون موفور العرض سليم العيب فلا يلام -[١١٩]- بلائمة غيره

(ابن عساكر) في التاريخ (عن أنس)". (٢)

١٢٧٠-"٢٩٢٦ - (إياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم) فكان من الكافرين قال ابن عطاء الله: كان الشاذلي يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله تعالى حتى أنه ربما دخل عليه مطيع فلا يهتبل به وعاص فأكرمه لأن ذلك الطائع جاء وهو متكبر بعمله والعاصي دخل بكثرة معصيته وذلة مخالفته ومن ثم قال بعض العارفين: العاصي الذليل الحقير خير من الطائع المتكبر المعجب بنفسه ومعصية أورثت ذلا واحتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (وإياكم والحرص) وهو كما قال الماوردي: شدة الكد والاسراف في الطلب قال: وهو خلق يحدث عن البخل (فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة) فأخرج من الجنة فإنه حرص على الخلد في الجنة فأكل منها بغير إذن ربها طمعا فيها فالحرص على الخلد أظلم عليه فلو انكشفت عنه ظلمته لقال كيف أظفر بالخلد فيها مع أكلي منها بغير إذن ربي ففي ذلك الوقت حصلت الغفلة منه فهاجت من النفس شهوة الخلد فيها فوجد العدو فرصته فخدعه حتى صرعه فجرى ما جرى قال الخواص: الأنبياء قلوبهم صافية ساذجة لا تتوهم أن أحدا يكذب ولا يحلف كاذبا فلذلك صدق من قال له أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى حرصا على عدم خروجه من حضرة ربه الخاصة ونسي النهي السابق فانكشف له ستر تنفيذ احذار ربه فكانت السقطة في استعجاله بالأكل من غير إذن صريح فلذلك وصفه الله تعالى بأنه كان ظلوما جهولا حيث اختار لنفسه حالة يكون عليها دون أن يتولى الحق تعالى ذلك ولذلك قال: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ ﴿وكان الإنسان عجولا﴾ اه قال العارف ابن أدهم: قلة الحرص والطمع يورث الصدق والورع وكثرة الحرص والطمع تورث الهم والجذع قال الماوردي: الحرص والشح أصلا كل ذم وسببا كل لوم لأن الشح يمنع من أداء الحقوق ويبعث على القطيعة والعقوق فأما الحرص فيسلب كل فضائل النفس لاستيلائه عليها ويمنع من العبادة لتشاغله عنها ويبعث على التورط في

---

(١) فيض القدير ٢/٥٥٦

(٢) فيض القدير ٣/١١٨

الشبهات لقلة تحرزه منها فهذه ثلاث خصال هن جامعات للرذائل مانعات للفضائل مع أن الحريص لا يستزيد بحرصه على رزقه سوى إذلال نفسه وإسخاط خالقه. **وقال بعض الحكماء**: الحرص مفسدة في الدين والمروءة والله ما عرفت في وجه رجل حرصا فرأيت أن فيه مصطنعا وقال آخر: المقادير الغالبة لا تنال بالمغالبة والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشدة والمكالبة وليس للحريص غاية مطلوبة يقف عنها ولا نهاية محدودة يقنع بها لأنه إن وصل بالحرص إلى ما أمله أغراه ذلك بزيادة الحرص والأمل وإلا رأى إضاعة العناء لوما والصبر عليه حزما وصار لما سلف من عني به أقوى رجاء وأبسط أملا ولو صدق الحريص نفسه واستنصح عقله لعلم أن من تمام السعادة وحسن التوفيق الرضا بالقضاء والقناعة بما قسم (وإياكم والحسد فإن ابني آدم) قابيل وهابيل (إنما قتل أحدهما صاحبه حسدا (١) فهو) أي الكبر والحرص والحسد (أصل كل خطيئة) فجميع الخطايا تنشأ عنها والكبر منازعة الذات المتعالية في الصفة التي لا يستحقها غيره فمن نازعه إياها فالنار مثواه فعقوبة المتكبر في الدنيا المقت من أولياء الله والذلة بين عباد الله وفي الآخرة نار الله والحرص مسابقة قدر الله ومن سبق القدر سبق -[١٣٢]- وهو مغالبة الحق تقدس ومن غالبه غلب فعقوبته في الدنيا الحرمان وفي الآخرة النيران والحسد تسخط قضاء الله فيما لا عذر للعبد فيه فعقوبته في الدنيا الغيظ الشديد وفي الآخرة نار الوعيد وخص هذه الثلاثة بالذكر لأنها أصول الشر قال الحرالي: أصول الشر ثلاثة الكبر الذي كان سبب بلاء إبليس والحرص الذي كان سبب بلاء آدم عليه السلام من الشجرة والحسد الذي كان سبب قتل قابيل هابيل وقال أبو حاتم: أحيد الموت خوفا من ثلاثة أشياء الكبر والحرص والخيلاء فإن المتكبر لا يخرجه الله من الدنيا حتى يريه الهوان من أرذل أهله وخدامه والحريص لا يخرجه من الدنيا حتى يحوجه إلى كسرة أو شربة والمختال لا يخرجه منها حتى يمرغه ببوله وقذره

(ابن عساكر) في التاريخ (عن ابن مسعود)

---

(١) قال البيضاوي: أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لأن أخته كانت أجمل فقال لهما آدم: قربا قربانا فمن أيهما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل". (١)

١٢٧١-"٣٢٥٣ - (تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة) ظاهرا (فإن فيه النجاة) باطنا وآخرا (واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة) ولهذا **قال بعض الحكماء**: ليكن مرجعك إلى الحق ومفزعك إلى الصدق فالحق أقوى معين والصدق أفضل قرين ومحل هذا وما قبله ما إذا لم يترتب على الصدق وقوع محذور أو على الكذب مصلحة ظاهرة محققة وإلا ساغ الكذب بل قد يجب

(هناد عن مجمع) بضم أوله وفتح الجيم وشد الميم مكسورة (بن يحيى) بن يزيد (مرسلا) هو الأنصاري الكوفي قال الذهبي:

---

(١) فيض القدير ١٣١/٣

ثقة وفي التقريب صدوق". [1]

١٢٧٢-"٣٢٧٩ - (ترك الدنيا أمر من الصبر) أي أشد مرارة منه **قال بعض الحكماء**: الدنيا من نالها مات منها ومن لم ينلها مات عليها (وأشد من حطم السيوف في سبيل الله عز وجل) في الجهاد وحطم الشيء كسره وظاهر كلام المصنف أن هذا هو الحديث بتمامه وهو ذهول عجيب بل بقيته عند مخرجه الديلمي من حديث ابن مسعود هذا ولا يتركها أحد إلا أعطاه الله مثل ما يعطي الشهداء وتركها قلة الأكل والشبع وبغض الثناء من الناس فإنه من أحب الثناء من الناس أحب الدنيا ونعيمها ومن سره النعيم فليدع الدنيا والثناء من الناس اه. بلفظه فاقتصار المصنف على الجملة الأولى منه من سوء التصرف وإن كان جائزا [2] طريق ترك الدنيا بعد إلفها والأنس بها ورسوخ القدم فيها بمباشرة العادة أن يهرب من موضع أسبابها ويكلف نفسه في أعماله أفعالا يخالف ما يعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذا كل هيئة وحال في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وما يقتضي جاهه فيبدلها بنقيضها حتى يترسخ باعتياد ذلك ضدها كما رسخ فيه من قبل باعتياده ضده فلا معنى للمعالجة إلا المضادة ويراعى في ذلك التلطف بالتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبدل فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه به وهكذا شيئا فشيئا إلى أن تنقمع لك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الإشارة بخبر إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق الحديث. (تنبيه آخر) قال بعضهم: دواء الحرص على الدنيا إكثار التفكر في مدة قصرها وسرعة زوالها وما في أبوابها من الأخطار والهموم والتفكر في خساسة المطلب وملاحظة أن من أفضل المأكولات العسل وهو رضاب حيوان وأفضل المشروبات الماء وهو أهون شيء وأيسره وألذ الاستمتاعات المجامعة وهي تلاقي مبولين وأشرف الملابس الديباج وهو من دودة

(فر عن ابن مسعود) ورواه عنه البزار أيضا ومن طريقه عنه أورده الديلمي". [3]

١٢٧٣-"٣٣٦٠ - (تمام البر) بالكسر (أن تعمل في السر عمل العلانية) فإن أبطن خلاف ما أظهر فهو منافق وإن اقتصر على العلانية فهو مرائي قال الماوردي: **قال بعض الحكماء**: من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر قال:

فسري كإعلاني وتلك خليقتي. . . وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا

ومن استوى سره وعلنه فقد كمل فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا (طب عن أبي عامر السكوني) بفتح المهملة وضم الكاف وأخره نون الشامي قال: قلت: يا رسول الله ما تمام البر فذكره

---

(١) فيض القدير ٣/٢٣٢

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير ٣/٢٤٠

قال الهيثمي: فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ضعيف لم يتعمد الكذب وبقية رجاله وثقوا على ضعف فيهم ورواه الطبراني باللفظ المزبور من طريق آخر عن أبي مالك الأشعري ولو ضمه المصنف له لأحسن". (١)

١٢٧٤-"٣٥٧٧ - (جالسوا) في رواية جالس بالإفراد فيه وفيما بعده (الكبراء) الشيوخ الذين لهم التجارب وقد سكنت حدتهم وذهبت خفتهم لتتأدبوا بآدابهم وتتخلقوا بأخلاقهم أو أراد من له رتبة في الدين وإن صغر سنه وكبير الحال من جمع علم الوراثة إلى علم الدراسة وعلم الأحكام إلى علم الإلهام وقال بعضهم: مجالسة الصالحين هي الإكسير للقلوب بيقين لكن لا يشترط ظهور الأثر حالا وسيظهر بصحبتهم بعد حين وحسبك بصحبتهم إضافة التشريف والاختصاص وفي قواعد زروق: الولي إذا أراد أغنى ومنه قول الناس خاطري أن أكون على بالك لعل الله ينظر إلي فيما أنا فيه قال: وأكثرهم في البداية يسرع أثر مقاصدهم في الوجود لاشتغالهم بما يعرض بخلافه في النهاية لاشتغال قلوبهم بالله تعالى قال العارف ابن عربي: والمأمور بمجالستهم من الشيوخ هم العارفون بالكتاب والسنة القائلون بها في ظواهرهم المتحققون بها في بواطنهم يراعون حدود الله ويوفون بعهده ويقومون بمراسم الشريعة وهم الذين إذا رؤوا ذكر الله أما من ليس لهم في الظاهر ذلك التحفظ فنسلم لهم أحوالهم ولا يصحبون ولو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى أن يظهر فلا يعول عليه مع سوء أدبه مع الشرع وهل للمريد أن يجالس غير شيخه فيه خلاف قال بعضهم: نعم إذا ظهر للمريد أن الشيخ الآخر ممن يقتدى به فله ذلك وقال آخرون: لا كما لا يكون المكلف بين رسولين مختلفي الشرائع والمرأة بين زوجين وهذا إذا كان مريد تربية فإن كان يريد صحبة البركة فلا مانع من الجمع لأنه ليس تحت حكمهم لكن لا يجيء منه رجل في الطريق اه. وقال رجل للعارف ياقوت العرش: ما بال سوس الفول يخرج صحيحا إذا دش وسوس القمح يخرج ميتا مطحونا فقال: لأن الأول جالس الأكابر فحفظوه والثاني صحب الأصاغر فطحن معهم ولم يقدروا على حمايته قال العارف المرصفي: وإذا كان من يجالس أكابر الأولياء يحفظ من الآفات فكيف من يجالس رب الأرض والسماوات (٢) قال بعض الصوفية: ينبغي لمن يخدم كبيرا كاملا ثم فقده أن لا يصحب إلا من هو أكمل منه وإلا جعل صحبته مع الله قال رجل للعارف التستري: أريد أصحبك قال: إذا مات أحدنا من يصحبه الثاني قال: -[٣٤٤]- الله تعالى قال: اصحبه الآن وجاء إليه رجل يبكي فقال: ما يبكيك قال: مات أستاذي قال: ما لك اتخذت أستاذا يموت (وسائلوا العلماء) العاملين عما يعرض لكم من الأحكام ومن كان بالصفة المقررة فهو من كبراء زمانه وعلماء أوانه فيجب أن يجالس بالتوقير والإحترام ويسائل بالتبجيل والإعظام وذم الجوارح ومراقبة الخواطر (وخالطوا) في رواية خاللوا (الحكماء) أي اختلطوا بهم في كل وقت فإنهم المصيبون في أقوالهم المتقنون لأفعالهم المحافظون في أحوالهم ففي مداخلتهم تهذيب للأخلاق وفي النص على مسائلة العلماء تنبيه على إيجاب تقديم العلم على العمل ولم يوقت إيذانا بملازمة السؤال إلى الترحال من دار الزوال فكأنه قال كن متعلما أبدا وإذا أطلق العلماء فالمراد العارفون بالحلال والحرام وغيرهم يعرفه أو يضاف كعلم الكلام فكأنه حث على تعلم الفقه لعموم البلوى

---

(١) فيض القدير ٢٦٧/٣

(٢) تنبيه

ومس الحاجة [1] قال الراغب: قال بعض الحكماء: مجالسة العلماء ترغبك في الثواب ومجالسة الحكماء تقربك من الحمد وتبعدك عن الذم ومجالسة الكبراء تزهدك فيما عدا فضل الله الباري تعالى وقال بعضهم: إذا جالست أهل الدنيا فحاضرهم برفع الهمة عما بأيديهم مع تحقيرها وتعظيم الآخرة أو أهل الآخرة فحاضرهم بوعظ الكتاب والسنة وتعظيم دار البقاء وتحقير دار الفناء أو الملوك فبسيرة أهل العدل مع حفظ الأدب والعفاف أو العلماء فبالروايات الصحيحة والأقوال المشهورة مع الإنصاف وعدم الجدال المظهر حب العلو عليهم أو الصوفية فيما يشهد لأحوالهم ويقيم حجتهم على المنكر عليهم مع أدب الباطن قبل الظاهر والعارفين فيما شئت فإن لكل شيء عندهم وجه من وجوه المعرفة بشرط عدم المزج وحفظ الأسرار سيما من الأشرار. (تتمة) من أمثالهم طأ أعتاب العالمين تطأ رقاب العالمين
(طب عن ابن جحيفة) بالتصغير قال الهيثمي: رواه الطبراني من طريقين أحدهما هذه والأخرى موقوفة وفيه عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعي ضعفه أبو زرعة والدارقطني وساق له مناكير هذا منها". [2]

١٢٧٥-"٣٨٦٤ - (الحياء لا يأتي إلا بخير) لأن من استحيا من الناس أن يروه يأتي بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة. قال ابن عربي: الحياء أن لا يفعل الإنسان ما يخجله إذا عرف منه أنه فعله والمؤمن يعلم بأن الله يرى كل ما يفعله فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك وبأنه لا بد أن يقرره يوم القيامة على ما عمله فيخجل فيؤديه إلى ترك ما يخجل منه وذلك هو الحياء فمن ثم لا يأتي إلا بخير انتهى لا يقال صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يعظمه فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقد يحمله الحياء على إخلاله ببعض الحقوق كما هو معروف عادة لأنا نقول هذا ليس بحياء حقيقة بل عجز ومهانة وخور وإنما يطلق عليه أهل العرف حياء مجازا وحقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق الغير وقال بعض الحكماء: من كسى الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه
(ق عن عمران بن الحصين) ورواه عنه أيضا أحمد وغيره". [3]

١٢٧٦-"٤٣٦٧ - (رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس) قالوا: معنى التودد في هذه الأخبار الإتيان بالأفعال التي تودك الناس ويحبونك لأجلها كما يشير إليه خبر ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس فمن فعل ذلك وده الناس لكن لا يريد بذلك محبتهم له بل يفعله لله لوجوب حق العباد لا لمطالبة الود منهم وإذا فعله لله أودع الله وده في قلوبهم بوده تعالى له ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ (وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة) أي منزلة عالية فيها معدة لهم (ومن كانت له في الجنة درجة فهو في الجنة) ولهذا قال علي كرم الله وجهه: إياكم ومعاداة الرجال فإنهم لا يخلون من ضربين عاقل يمكر بكم أو جاهل يعجل عليكم بما ليس فيكم وقال بعض الحكماء:

---

(١) تنبيه
(٢) فيض القدير ٣/٣٤٣
(٣) فيض القدير ٣/٤٢٧

من سمع كلمة فسكت عنها سقط عنه ما بعدها ومن أجاب عنها سمع ما هو أغيظ منها وقال الماوردي: التودد يعطف القلوب على المحبة ويزيل البغضاء ويكون ذلك بصنوف من البر ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فإن ذلك من سمات الفضل وشروط التودد فإنه ما أحد يعدم عدوا ولا يفقد حاسدا وبحسب وفور النعمة تكثر الأعداء والحسدة ومن أغفل تألف الأعداء ووداده مع وفور النعمة وظهور الحسد توالي عليه من مكر حليمهم وبادره سفههم ما تصير به النعمة عذابا -[٥٧٦]- والدعة ملاما (ونصف العلم حسن المسألة) أي حسن سؤال الطالب للعلم فإنه إذا أحسن أن يسأله أقبل عليه العالم بشراشره وألقى إليه ما في سرائره فكأنه حاز نصف العلم من أول الطلب وكما أن حسن السؤال محمود في الأمور الدينية. فكذا في الدنيوية قال عبد الملك بن صالح للرشيد: أسألك بالقرابة والخاصة؟ أم بالخلافة والعامة؟ فقال: بل الأولى. قال: يداك بالعطية أطلق من لساني بالمسألة فأعطاه وأجزل. وقال ابن زائدة لمعاوية: لم أزل أمتطي الليل بعد النهار ولم أجد معولا إلا عليك وإذا بلغتك فهو كما قيل: احطط عن راحلتك رحلها والسلام وقيل لابن المهلب في مقام الطلب ليس العجب أن تفعل بل العجب أن لا تفعل فاستفهمه حاجته فقضاها (والاقتصاد في المعيشة نصف العيش يبقي) بضم أوله (نصف النفقة وركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من) رجل (مخلط) لا يتوقى الشبهات ومن ثمة قال إياس بن معاوية: كل ديانة أسست على غير ورع فهي هباء قال بعض العارفين: والورع اجتناب ما يفسد أنواع القربات ويكدر صفاء المعاملة وحقيقته توقي كل ما يحذر منه وغايته تدقيق النظر في طهارة الإخلاص من شائبة الشرك الخفي (وما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله) ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا وصف له عبادة إنسان سأل عن عقله (والدعاء يرد الأمر) أي يرد القضاء المبرم كما صرح به في الرواية السابقة (وصدقة السر تطفئ غضب الرب) كما سبق توجيهه (وصدقة العلانية تقي ميتة السوء (١) وصنائع المعروف إلى الناس تقي صاحبها مصارع السوء) كما سبق (الآفات) يدل مما قبله أو عطف بيان أو خبر مبتدأ محذوف أي وهي الآفات (والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة) أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة وقيل أراد من بذل جاهه لأصحاب الجرائم التي لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة ذكره ابن الأثير (والمعروف) وفي نسخة والعرف (ينقطع فيما بين الناس) أي ينقطع الثناء منهم على فاعله به (ولا ينقطع فيما بين الله وبين من افتعله) وهذه أحاديث عدة مر أكثرها ويجئ منها فتداخلت في هذا الحديث واجتمعت فيه وهي كثيرة الفوائد جليلة العوائد

(الشيرازي) بكسر المعجمة وسكون المثناة التحتية نسبة إلى شيراز قصبة فارس ودار الملك بها (في) كتاب (الألقاب هب) من حديث إسماعيل بن يحيى العسكري ولقبه سمعان عن إسحاق العمي عن يونس بن عبيد عن الحسن (عن أنس) ظاهر صنيع المصنف أن مخرجه البيهقي خرجه ساكتا عليه والأمر بخلافه فإنه تعقبه بما نصه: هذا إسناد ضعيف والحمل فيه على العسكري أو العمي اه ورواه الحاكم وأبو نعيم والديلمي ثم قال: وفي الباب علي أمير المؤمنين

---

(١) بكسر الميم وفتح السين الحالة التي يكون عليها الإنسان عند الموت مما لا تحمد عاقبته". [١]

١٢٧٧-"٤٣٦٩ - (رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس) مع حفظ الدين قال الغزالي: فعلى من ابتلى بمخالطة الناس مداراتهم ما أمكن ويقطع الطمع عن مالهم وجاههم ومعونتهم فإن الطامع خائب غالبا وإذا سألت واحدا حاجة فقضاها فاشكر الله عليها وإن قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصير عداوة وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ولا تكن كالمنافق تطلب العيوب وقل لعله قصر لعذر لم أطلع عليه وإذا أخطأوا في مسألة وكانوا يأنفون من التعلم فلا تعلمهم فإنهم يستفيدون منك علما ويصبحون لك أعداء إلا أن تعلق بإثم يفارقونه عن جهل فاذكر الحق بلطف بغير عنف ولا تعاتبهم ولا تقل لهم لم لم تعرفوا حقي وأنا فلان بن فلان وأنا الفاضل في العلوم فإن أشد الناس حماقة من يزكي نفسه (وما يستغني رجل عن مشورة) فإن من اكتفى برأسه ضل ومن استغنى بعقله ذل ومن ثم قال حكيم: المشورة باب رحمة ومفتاح بركة لا يضل معها رأي ولا يفقد معها حزم **وقال بعض الحكماء**: الخطأ مع الاسترشاد أجمل من الصواب مع الاستبداد (وإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة) فإن الدنيا مزرعة الآخرة وأحكام الآخرة مترتبة على أحكامها كما سبق [٢] قال ابن عربي: الناس أحوالهم بعد موتهم على قدر ما كانوا عليه في الدنيا للتفرغ لأمر ما معين أو مختلف على قدر ما تحققوا به وهم في الآخرة على قدر أحوالهم في الدنيا فمن كان في الدنيا عبدا محضا كان في الآخرة بقدر ما استوفاه في الدنيا فلا أعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا -[٣]- غاية الذل في جناب الحق ولا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا عزا في نفسه وإما أن يكون في ظاهر الأمر ملكا أو غيره فلا يبالي في أي مقام وفي أي حال أقام عنده في ظاهره إنما المعتبر حاله في نفسه ذكر القشيري أن رجلا دفن رجلا ونزع الكفن عن خده ووضعه على التراب فقال له الميت: يا هذا أتذلني بين يدي من أعزني ورأيت أنا مثل ذلك أن صاحبي الحسن هاب غاسله أن يغسله ففتح عينه في المغسل وقال له: اغسل فلا فرق بين الحياة والموت [٣] أخرج العسكري عن سفيان بن عيينة قال: ما من حديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم صحيح إلا وأصله في القرآن فقيل: يا أبا محمد قوله رأس العقل بعد الإيمان المداراة أين المداراة في القرآن قال: قوله تعالى ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ فهل الهجر الجميل إلا المداراة ومن ذلك ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ ﴿ولمن صبر وغفر﴾ وغير ذلك

(هب عن سعيد بن المسيب مرسلا) ظاهر صنيع المصنف أنه لا علة فيه غير الإرسال والأمر بخلافه فقد قال الذهبي في المهذب: مرسل وضعيف وقال ابن الجوزي: متن منكر وأقول فيه محمد بن عمرو وأبو جعفر قال الذهبي: مجهول ويحيى بن جعفر أورده الذهبي في ذيل الضعفاء والمتروكين وقال: مجهول وزيد بن الحباب قال في الكاشف: لم يكن به بأس وقد يتهم والأشعث بن نزار ضعفوه وعلي بن زيد بن جذعان قال أحمد وغيره: ليس بشيء وبه يعرف أن إسناده عدم مع كونه

---

(١) فيض القدير ٣/٥٧٥

(٢) تنبيه

(٣) فائدة

مرسلا". (١)

١٢٧٨-"٤٧٧١ - (سيكون بعدي سلاطين: الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل) قال الزمخشري: أراد مبارك الإبل الجرباء يعني أن هذه الفتن تعدي من يقربهم أعداء هذه المبارك الإبل الملسى إذا أنيخت فيها قال: وقد تعدي الصحاح مبارك الجرب (لا يعطون أحدا شيئا إلا أخذوا من دينه مثله) لأن من قبل جوائزهم إما أن يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا أو يتكلف في كلامه لمرضاته وتحسين قالهم وذلك هو البهت الصريح. أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي **وقال بعض الحكماء**: من رق ثوبه رق دينه ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان وهو على منبر الكوفة يعظ فقال: انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه زي الفساق وكان عليه ثياب رقاق ولهذا كانوا يتحامون مخالطة السلاطين ولما حج الرشيد قال لمالك: ألك دار قال: لا؟ فأعطاه ثلاث آلاف دينار ثم أراد الشخوص قال: اخرج معنا فقال: لا أوثر الدنيا على جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذه دنانيركم. وراود ابن هبيرة أبا حنيفة على ولاية بيت المال فأبى فضربه عشرين سوطا فاحتمل العذاب ولم يقبل

(طب ك) في المناقب (عن عبد الله بن الحرث) ويقال الحارث (بن جزء) بفتح الجيم وسكون الزاي بعدها همزة الزبيدي بضم الزاي صحابي سكن مصر وهو آخر من مات بها من الصحابة قال الهيثمي عقب عزوه للطبراني: فيه حسان بن غالب وهو متروك". (٢)

١٢٧٩-"٥٠٠٤ - (صل من قطعك) بأن تفعل معه ما تعد به واصلا فإن انتهى فذاك وإلا فالإثم عليه (وأحسن إلى من أساء إليك) ومن ثم قال الحكماء: كن للوداد حافظا وإن لم تجد محافظا وللخل واصلا وإن لم يكن مواصلا وقال الغزالي: رأيت في الإنجيل قال عيسى ابن مريم لقد قيل لكم من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف والآن أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك اليمين فحول إليه اليسار ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخرك معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى (١) (وقل الحق ولو على نفسك) فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك وما يلقى هذه الخليقة التي هي مقابلة القطع بالوصل والإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر وإلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ قال -[١٩٧]- في الإتحاف: هذا الحديث تعليم بمعالم الأخلاق التي يسبق بها مع السباق

(ابن النجار) في تاريخ بغداد (عن علي) أمير المؤمنين. قال ابن حجر: ورويناه في جزء لابن شاذان عن أبي عمرو بن السماك من حديث علي بن الحسين عن جده علي بن أبي طالب قال: ضممت إلي سلاح النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت في قائم سيفه رقعة فيها صل من قطعك إلخ قال ابن الرقعة في المطلب: ليس فيه شيء إلا الانقطاع. قال ابن

---

(١) فيض القدير ٤/٢

(٢) فيض القدير ٤/١٢٩

حجر: وفيه نظر لأن في سنده الحسين بن زيد بن علي ضعفه ابن المديني وغيره

---

(١) قال الشهاب في شرح الشفاء: قال بعض الحكماء لا يحملنك سب الجهول لك وجرأة السفيه عليك على الإجابة عليه بل حلم يفني صبرك خير من سفه يشفي صدرك". (١)

١٢٨٠-"٥٠٤١ - (صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيا) في رواية وصدقة السر (تطفئ غضب الرب) والسر ما لم يطلع -[٢٠٧]- عليه إلا الحق تعالى وذلك لأن إسراره دليل على إخلاصه لمشاهدة ربه وهي درجة الإحسان وفي القرآن ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ فبنور الإخلاص ورحمة الإحسان أطفأ نار الغضب (وصلة الرحم) بالتعهد والمراعاة والمواساة ونحو ذلك (زيادة في العمر وكل معروف) فعلته مع كبير أو صغير (صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة) يوم القيامة (أهل المعروف) قالوا: وهذا من جوامع الكلم قال الماوردي: وللمعروف شروط لا يتم إلا بها ولا يكمل إلا معها فمنها ستره عن إذاعته وإخفاؤه عن إشاعته قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره وإذا اصطنع إليك فانشره لما جبلت عليه النفوس من إظهار ما أخفى وإعلان ما كتم ومن شروطه تصغيره عن أن تراه مستكبرا وتقليله عن أن يكون عنده مستكثرا لئلا يصير مذلا بطرا أو مستطيلا أشرا قال العباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره وستره ومنها مجانبة الامتنان به وترك الإعجاب بفعله لما فيه من إسقاط الشكر وإحباط الأجر ومنها أن لا يحتقر منه شيئا وإن كان قليلا نزرا إذا كان الكثير معوزا وكنت عنه عاجزا

(طس عن أم سلمة) قال الهيثمي: فيه عبد الله بن الوليد ضعيف". (٢)

١٢٨١-"٥٢٩٩ - (طوبى لمن تواضع في غير منقصة) بأن لا يضع نفسه بمكان يزرى به ويؤدي إلى تضييع حق الحق أو الخلق فإن القصد بالتواضع خفض الجناح للمؤمنين مع بقاء عزة الدين فالتواضع الذي يعود على الدين بالنقص ليس بمطلوب قال الخواص: إياك والإكثار من ذكر نقائصك لأن به يقل شكرك فما ربحت من جهة نظرك إلى عيوبك خسرته من جهة تعاميك عن محاسنك التي أودعها الحق فيك وقال: شهود المحاسن هو الأصل وأما نقائصك فإنما طلب النظر إليها بقدر الحاجة لئلا يقع في العجب وقال: إذا أغضبك أحد لغير شيء فلا تبدأه بالصلح لأنك تذل نفسك في غير محل وتكبر نفسه بغير حق ومن ثم قيل: الإفراط في التواضع يورث الذلة والإفراط في المؤانسة يورث المهانة قال ابن عربي: الخضوع واجب في كل حال إلى الله تعالى باطنا وظاهرا فإذا اتفق أن يقام العبد في موطن الأولى فيه ظهور عزة الإيمان وجبروته وعظمته لعز المؤمن وعظمته وجبروته ويظهر في المؤمن من الأنفة والجبروت ما يناقض الخضوع والذلة فالأولى إظهار

---

(١) فيض القدير ٤/١٩٦

(٢) فيض القدير ٤/٢٠٦

ما يقتضيه ذلك الموطن قال تعالى ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب﴾ الآية وقال ﴿واغلظ عليهم﴾ فهذا من باب إظهار عزة الإيمان بعزة المؤمن وفي الحديث أن التبختر مشية يبغضها الله إلا بين الصفين فإذا علمت أن للمواطن أحكاما فافعل بمقتضاها تكن حكيما قال ابن القيم: والفرق بين التواضع والمهانة أن التواضع يتوالد من بين العلم بالله وصفاته ونعوت جلاله ومحبته وإجلاله وبين معرفته بنفسه ونقائصها وعيوب عمله وآفاتها فتولد من ذلك خلق هو التواضع وانكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة للخلق والمهانة الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها كتواضع الفاعل للمفعول به وقال الراغب: الفرق بين التواضع والضعة أن التواضع رضا الإنسان بمنزلة دون ما تستحقه منزلته والضعة وضع الإنسان نفسه بمحل يزرى به والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة والخشوع يقال باعتبار أفعال الجوارح ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح **قال بعض الحكماء**: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد من الكبر مع الأدب فأنبل بحسنة غطت على سيئتين وأقبح بسيئة غطت على حسنتين والكبر ظن الإنسان بنفسه أنه أكبر من غيره والتكبر إظهار ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله وحده فمن ادعاها من المخلوقين فهو كاذب وفي أثر: الكبر على المتكبر صدقة لأن المتكبر إذا تواضعت له تمادى في تيهه وإذا تكبر عليه يمكن أن ينبه ومن ثم قال الشافعي: ما تكبر علي متكبر مرتين وقال الزهري: التجبر على أبناء الدنيا أوثق عرى الإسلام (وأذل نفسه في غير مسكنة) قال الغزالي: تشبث به طائفة الفقهاء فقلما ينفك أحدهم عن التكبر على الأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق ويتعللون بأنه ينبغي صيانة العالم عن الابتذال وأن المؤمن منهي عن إذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا -[٢٧٨]- للاسم وإضلالا للخلق

(١) روى العسكري أن رجلا مر على عمر وقد تخشع وتذلل وبالغ في الخضوع فقال عمر: ألست مسلما قال: بلى قال: فارفع رأسك وامدد عنقك فإن الإسلام عزيز منيع (وأنفق من مال جمعه في غير معصية) أي صرف منه في وجوه الطاعات وفيه إشعار بأن الصدقة لا تكون إلا من مال حلال وعبر بمن التبعيضية إشارة إلى ترك التصدق بكل المال (وخالط أهل الفقه والحكمة) الذين بمخالطتهم تحيي القلوب (ورحم أهل الذل والمسكنة) أي عطف عليهم ورق لهم وواساهم بمقدوره (طوبى لمن ذل نفسه) أي رأى ذلها وعجزها فلم يتكبر وتذلل لحقوق الحق وتواضع للخلق روي أن الصديق لما ولي الخلافة قالت جويرية من الحي: إذن لا يحلب لنا منائحنا فسمعها فقال: يا بنية إني لأرجو أن لا يمنعني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه فكان يحلب للقوم شياههم وروي أن الفاروق حمل حال خلافته قربة إلى بيت امرأة أرملة أنصارية ومر بها في المجامع (وطاب كسبه) بأن كان من وجه حل (وحسنت سريرته) بصفاء التوحيد والثقة بوعد الله والخوف منه والرجاء والشفقة على خلقه والمحبة لأوليائه (وكرمت علانيته) أي ظهرت أنوار سريرته على جوارحه فكرمت أفعالها بتقوى الله وبمكارم أخلاق الدين بالصدق والبر ومراعاة الحقوق (وعزل عن الناس شره) فلم يؤذهم ومن ثم قال مالك بن دينار لراهب: عظني فقال: إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سورا من حديد فافعل وقيل لبقراط: لم لا تعاشر الناس فقال: وجدت الخلوة

---

(١) فائدة

أجمع لدواعي السلوة (طوبى لمن عمل بعلمه) لينجو غدا من كون علمه حجة عليه وشاهدا بتفريطه (وأنفق الفضل من ماله) أي صرف الزائد عن حاجته وحاجة عياله في وجوه القرب لئلا يطغى ويسكن قلبه إليه ويحظى بثوابه في العقبى (وأمسك الفضل من قوله) أي وأمسك لسانه عن النطق بما يزيد على الحاجة بأن ترك الكلام فيما لا يعنيه قال بعض العارفين: من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين وفي بعض النسخ من قوته بدل قوله فليحرر (١) قال الحكيم: هذا من الأحاديث التي قال عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم إلخ فهذا تعرفه قلوب المحققين ومن ذلك حديث أنس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجدعاء فقال: يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا كتب وكأن الحق على غيرنا وجب وكأن ما نشيع من الموتى عن قليل إلينا راجعون نبوءهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون من بعدهم فطوبى لمن شغله عيبه عن عيب الناس (تتمة) قال الغزالي: التواضع خاطر في وضع النفس واحتقارها والتكبر خاطر في رفع النفس واستعظامها والتواضع عامي وخاصي فالعامي اكتفاء بالدون من نحو ملبس ومسكن ومركب والتكبر في مقابلة الترفع عن ذلك والتواضع الخاصي تمرين النفس على قبول الحق من وضيع أو شريف والمتكبر في مقابلة المترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة

(تخ والبغوي) في معجم الصحابة (والباوردي وابن قانع) في معجمه (طب هق) من حديث نصيح العنسي (عن ركب) بفتح فسكون بضبط المصنف (المصري) رمز المصنف لحسنه اغترارا بقول ابن عبد البر حسن وليس بحسن فقد قال الذهبي في المهذب: ركب يجهل ولم يصح له صحبة ونصيح ضعيف اه وقال المنذري: رواته إلى نصيح ثقات وقال ابن منده والبغوي: ركب مجهول لا يعرف له صحبة وأقرهم العراقي رواه البزار عن أنس بسند ضعيف وقال الهيثمي بعد ما عزاه للطبراني: نصيح العنسي عن ركب لم أعرفه وبقية رجاله ثقات اه. وقال في الإصابة: حديث سنده ضعيف قال: ومراد ابن عبد البر بأنه حسن لفظه وقال السخاوي: ضعيف حتى قال ابن حبان: إنه لا يعتمد عليه -[٢٧٩]- وإن قال ابن عبد البر حسن فإنما عنى اللغوي". (٢)

١٢٨٢-"٦٤٥٥ - (الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلم) محترم في نفس أو مال (أو دفع به عن دين) لأنه لغير ذلك غش وخيانة ومن ثم كان أشد الأشياء ضررا والصدق أشدها نفعا وقبح الكذب مشهور معروف إذ ترك الفواحش بتركه وفعلها -[٦٣]- بفعله فموضعه من القبح كموضع الصدق من الحسن ولهذا أجمع على حرمته إلا لضرورة أو مصلحة قال الغزالي: وهو من أمهات الكبائر قال: وإذا عرف الإنسان بالكذب سقطت الثقة بقوله وازدرته العيون واحتقرته النفوس وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب فانظر إلى قبح كذب غيرك ونفور نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك ما جاء به قال: ومن الكذب الذي لا إثم فيه ما اعتيد في المبالغة كجئت ألف مرة فلا يأثم وإن لم يبلغ ألفا قال: ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح وقال الراغب:

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير ٤/٢٧٧

الكذب عار لازم وذل دائم وحق الإنسان أن يتعود الصدق ولا يترخص في أدنى الكذب فمن استحلاه عسر فطامه **وقال بعض الحكماء**: كل ذنب يرجى تركه بتوبة إلا الكذب فكم رأينا شارب خمر أقلع ولصا نزع ولم نر كذابا رجع وعوتب كذاب في كذبه فقال: لو تغرغرت به وتطعمت حلواته ما صبرت عنه طرفة عين

(الروياني) في مسنده (عن ثوبان) مولى النبي صلى الله عليه وسلم رمز لحسنه". (١)

١٢٨٣-"-[٤٥٦]- ٧٩٤١ - (ما عدل وال اتجر في رعيته) لأنه يضيق عليهم **قال بعض الحكماء**: كيمياء الملوك الإغارة والعمارة ولا تحسن بهم التجارة

(الحاكم في) كتاب (الكنى) والألقاب (عن رجل) من الصحابة ورواه أيضا ابن منيع والديلمي". (٢)

١٢٨٤-"٨٨٥٢ - (من عشق) من يتصور حل نكاحه لها شرعا لا كأمرد (فعف ثم مات مات شهيدا) أي يكون من شهداء الآخرة لأن العشق وإن كان مبدأه النظر والسماع لكنهما غير موجبين له فهو فعل الله بالعبد بلا سبب ولهذا قال أفلاطون: ما أعلم الهوى غير أني أعلم أنه جنون إلهي لا محمود صاحبه ولا مذموم **وقال بعض الحكماء**: العشق طمع يحدث في القلب قهرا وكلما قوي زاد صاحبه قلقا وضجرا فيلتهب به الصدر فيحترق الدم فيصير مع الصفراء سوداء وطغيانه يفسد الفكر ويؤدي للجنون فربما مات وقتل نفسه وإذا كان فعل القلب وأكثر أفعاله ضروريات فلا يؤاخذ به بل يؤجر عليه والمراد بالعفة العفة عن إيتاء النفس حظها طلبا لراحة قلبه ومتابعة لهوى نفسه وإن كان في غير محرم وكان صاحبه يأثم لكن رتبة الشهادة سنية لا تنال إلا بفضيلة كاملة أو بلية شاملة وإنما قارب وصف من عف وصف القتيل في سبيل الله لتركه لذة نفسه فكما بذل المجاهد مهجته لإعلاء كلمة الله فهذا جاهد نفسه في مخالفة هواها بمحبته للقديم خوفا ورهبة وإيثارا على ما يحدث ذكره في البحر

(خط) في ترجمة عطية بن الفضل (عن عائشة) وفيه أحمد بن محمد بن مسروق أورده الذهبي في الضعفاء وقال: لينه الدارقطني وسويد بن سعيد فإن كان هو الدقاق فقد قال علي بن عاصم منكر الحديث وإن كان الذي خرج له مسلم فقد أورده الذهبي في الضعفاء وقال: قال أحمد: متروك وأبو حاتم: صدوق وفيه أيضا أبو يحيى القتات". (٣)

١٢٨٥-"٩٧٣١ - (لا تتخذوا الضيعة) يعني القرية التي تزرع وتستغل وهذا وإن كان نهيا عن اتخاذ الضياع لكنه مجمل فسره بقوله (فترغبوا في الدنيا) يعني لا يتخذ الضياع من خاف على نفسه التوغل في الدنيا فيلهو عن ذكر الله فمن لم يخف ذلك لكونه يثق من نفسه بالقيام بالواجب عليه فيها فله الاتخاذ كما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم الأراضي واحتبس الضياع ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ ومن وهم أن فعله ناسخ لقوله هنا فقد وهم كما بينه ابن

---

(١) فيض القدير ٥/٦٢

(٢) فيض القدير ٥/٤٥٦

(٣) فيض القدير ٦/١٧٩

جرير **قال بعض الحكماء**: الضياع مدارج الهموم وكتب الوكلاء مفاتيح العموم وقال: الضيعة إن تعهدتها صفت وإن لم تتعهدها ضاعت ووهب هشام للأبرش ضيعة فسأله عنها فقال: لا عهد لي بها فقال: لولا أن الراجع في هبته كالراجع في قيئه لأخذتها منك أما علمت أنها إنما سميت ضيعة لأنها تضيع إذا تركت وقال الغزالي: اتخاذ الضياع يلهي عن ذكر الله الذي هو السعادة الأخروية إذ يزدحم على القلب عصوبة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر في تدبير الحذر منه وتدبير استنماء المال وكيفية تحصيله أولا وحفظه ثانيا وإخراجه ثالثا وكل ذلك مما يسود القلب ويزيل صفاءه ويلهي عن الذكر كما قال تعالى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ فمن انتفى في حقه ذلك ساغ له الاتخاذ

(حم ت) في الزهد (ك) في الرقاق (عن ابن مسعود) وفي سندهما شهر بن عطية عن المغيرة بن سعد بن الأخرم عن أبيه عن ابن مسعود ولم يخرج الستة عن هؤلاء الثلاثة شيئا غير الترمذي وقد وثقوا". (١)

١٢٨٦-"٩٩٠٧ - (لا عدوى) أي لا سراية لعلة من صاحبها لغيره يعني أن ما يعتقده الطبائعيون من أن العلل المعدية مؤثرة لا محالة باطل بل هو متعلق بالمشيئة الربانية والنهي عن مداناة المجذوم من قبيل اتقاء الجدار المائل والسفينة المعيبة (ولا صفر) بفتحتين وهو تأخير المحرم إلى صفر في النسيء أو دابة بالبطن تعدى عند العرب. قال البيضاوي: ويحتمل أن يكون نفيا لما يتوهم أن شهر صفر تكثر فيه الدواهي والفتن (ولا هامة) بتخفيف الميم على الصحيح وحكى أبو زيد تشديدها دابة تخرج من رأس القتيل أو تتولد من دمه فلا تزال تصيح حتى يؤخذ بثأره كذا تزعم العرب فأكذبهم الشارع قال القرطبي: ولا ينافيه خبر: لا يورد ممرض على مصح لأنه إنما نهى عنه خوف الوقوع في اعتقاد ذلك -[٤٣٤]- أو تشويش النفس وتأثير الوهم فينبغي تجنب طرق الأوهام فإنها قد تجلب الآلام وبهذا الجمع سقط التعارض بين الحديثين وعلم أنه لا دخل للنسخ هنا فإنهما خبران عن أمرين مختلفين لا متعارضين قال ابن رجب: المشروع عند وجود الأسباب المكروهة الاشتغال بما يرجى به دفع العذاب من أعمال الطاعة والدعاء وتحقيق التوكل والثقة بالله **قال بعض الحكماء**: صحيح الأصوات في هياكل العبادات بأفنان اللغات محلل ما عقدته الأفلاك الدائرات أي على زعمهم

(٢) قال ابن مالك في شرح التسهيل: أكثر ما يحذف الحجازيون خبر لا مع إلا نحو لا إله إلا الله ومن حذفه دون إلا نحو لا ضرر ولا ضرار ولا عدوى ولا طيرة

(حم ق) في الطب (عن أبي هريرة حم م عن السائب) ابن يزيد ابن أخت عمران وفي مسلم عن أبي هريرة أنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا عدوى ولا صفر ولا هام ويحدث عنه أيضا أنه قال لا يورد ممرض على مصح قال الحارث بن أبي ذئاب وهو ابن عم أبي هريرة فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر". (٣)

---

(١) فيض القدير ٣٨٧/٦

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير ٤٣٣/٦

١٢٨٧-"وقوله: أوصيكم بالأنصار. وهذا اسم لأهل المدينة الذين نصروا رسول الله وآووه حين هاجر إليهم.

وقوله: إنهم شعب الإسلام: الشعب: طريق بين جبلين، فشبههم بالطريق الذي يكتنفه الجبلان.

وقوله: إنه مادتكم. المادة: أصل الشيء الذي يستمد منه، ويستعين به. وعنى أنكم تستمدون منهم المنافع، كما يستمد أهل البلد من أهل القرى.

وقوله: ورزق عيالكم: يعني ما يؤخذ منهم من الجزية.

٤٤ - / ٤٥ - وفي الحديث الأول من أفراد البخاري:

قال ابن عمر: ما سمعت عمر يقول لشيء قط: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن: بينا عمر جالس مر به رجل جميل، فقال: لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، علي الرجل: فدعي له، فقال له ذلك، فقال: كنت كاهنهم.

أما صحة الظن فهو من قوة الذكاء والفطنة، فإن الفطن يرى من السمات والأمارات ما يستدل به على الخفي، ثم لا يستبعد هذا من مثل عمر المحدث الملهم. وقد **قال بعض الحكماء**: ظن العاقل كهانة. وقال آخر: إذا رأيت الرجل موليا علمت حاله. قيل: فإن رأيت وجهه؟ قال: ذاك حين أقرأ ما في قلبه كالخط.

وقد كانوا يعتبرون أحوال الرجل بخلقه، قال الشافعي: احذر". [١]

١٢٨٨-"هذا زمان إذا احتاج الرجل كان أول ما يبذل دينه، ولولا بضيعتنا تلاعب بنا هؤلاء. وقال رجل للسري بن يحيى، وكان يتجر في البحر: تركب البحر في طلب الدنيا؟ قال: أحب أن أستغني عن ضربك من الناس. **وقال بعض الحكماء**: تثمير المال إله المكارم.

وقال آخر: مقاساة الفقر الموت الأحمر، وسؤال الناس العار الأكبر، وكان يقال: من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين: الدين والعرض.

١٤٤٩ - / ١٧٥٧ - وفي الحديث الخامس والعشرين: ذكر العزل، وقول الرسول عليه السلام: ((لا عليكم ألا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة)) .

النسمة: النفس.

وهذا الحديث تضمن كراهية العزل، وهذا لأنه إخراج للنكاح عن وضعه الأصلي، لأنه إنما وضع للتناسل، والمراد تكثير الخلق، والذي يعزل يصرفه إلى أدون الأمرين وهو قضاء الشهوة، عن أعلى الحالين وهو التناسل. ومثل الآدمي كمثل عبد سلم إليه سيده بذرا وأرضا وأمره بالزرع، ووكل به مستحثا، فبذر في البذر ولم يزرع، فالبذر الماء، والأرض المرأة، والمستحب الشهوة. ومع هذا فقد ترك الشرع مراده لمراد العبد، فأباحه العزل، وقد ذكرنا حكمه في مسند جابر.

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٩٩/١

فإن قال قائل: كيف ردهم إلى القدر في هذا دون غيره؟ فإن". [1]

١٢٨٩-"آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق)) فكأن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه عن جوالب الغضب وثمراته ومساكنته، وقد أمر بمداواته إذا عرض، فقال في حديث أبي ذر: ((إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)) وهذا لأن القائم متهيء للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنى، والمضطجع ممنوع منهما، وإنما أمره بذلك لئلا يبدر منه في حال قيامه وقعوده ما يندم عليه فيما بعد، وقد قال الأحنف بن قيس: ما اعترض التثبت في الغضب إلا قهر سلطان العجلة. **وقال بعض الحكماء**: أول الغضب جنون وآخره ندم.

٢٠٦١ - / ٢٥٥٨ - والحديث السادس والستون: قد تقدم في مسند سهل بن سعد.

٢٠٦٢ - / ٢٥٦٠ - وفي الحديث الثامن والستين: نهى رسول الله عن كسب الإماء.

قال أبو سليمان: كان لأهل مكة ولأهل المدينة إماء عليهن ضرائب، تخدمن الناس: يخبزن ويسقين الماء، إلى غير ذلك من الصناعات، ويؤدين الضرائب إلى ساداتهن. والإماء إذا دخلن تلك المداخل وتبذلن ذلك التبذل لم يؤمن أن يكون منهن الفجور وأن". [2]

١٢٩٠-"٥٣٠٣ - وعن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له» ". رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٥٣٠٣ - (وعن سعد) أي: ابن أبي وقاص (قال: قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم -: " «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له» ") أي: ومن سعادة ابن آدم استخارة الله ثم رضاه بما حكم به وقدره وقضاه كما يدل عليه مقابلته بقوله: (" ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ") أي: طلب الخيرة منه، فإنه يختار له ما هو خير له، ولذا قال بعض العارفين: اترك الاختيار وإن كنت لا بد أن تختار أن لا تختار: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص: ٦٨] وقد قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [الأحزاب: ٣٦] . (" ومن شقاوة ابن آدم سخطه ") أي: غضبه وعدم رضاه (" بما قضى الله له ") : فالرضا بالقضاء باب الله الأعظم، وهو من بين منازل السائرين موسوم بالمقام الأفخم، ثم تقديم الاستخارة ؛ لأنه سبب للرضا، ولأنها توجد قبل تحقق القضاء. قال الطيبي - رحمه الله -: أي الرضا بقضاء الله وهو ترك السخط علامة سعادته، وبها جعله علامة سعادة العبد لأمرين: أحدهما:

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/١٤٢

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/٥٤٠

ليتفرغ للعبادة لأنه إذا لم يرض بالقضاء يكون مهموما أبدا مشغول القلب بحدوث الحوادث ويقول: لم كان كذا ولم يكن كذا، والثاني لئلا يتعرض لغضب الله تعالى بسخطه، وسخط العبد أن يذكر غير ما قضى الله له، قال: إنه أصلح وأولى فيما لا يستيقن فساده وصلاحه.

فإن قلت: ما موقع قوله " «ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله» " بين المتقابلين؟ قلت: موقعه بين القرينتين لدفع توهم من يترك الاستخارة، ويفوض أمره بالكلية، انتهى.

وفيه أن الاستخارة والتفويض مآلهما واحد، وكذا اكتفى بالاستخارة في القرينتين في رواية على ما يأتي، ثم شك أن التسليم المطلق أولى من الاستخارة ؛ لأنها نوع طلب وإرادة وضيق منازعة في أمر قد تحقق، هذا وحقيقة الاستخارة هي أن يطلب الخير من الله في جميع أمره، بل وأن يعتقد أن الإنسان لا يعلم خيره من شره، كما قال تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: ٢١٦] ثم يترقى بأن يرى أن لا يقع في الكون غير الخير، ولذلك ورد: «الخير بيديك والشر ليس إليك» ، ثم المستحب دعاء الاستخارة بعد تحقق المشاورة في الأمر المهم من الأمور الدينية والدنيوية وأقله أن يقول: اللهم خر لي واختر لي ولا تكلني إلى اختياري، والأكمل أن يصلي ركعتين من غير الفريضة، ثم يدعو بالدعاء المشهور في السنة على ما قدمناه في كتاب الصلاة. (رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديث غريب) . تمامه، ولا نعرفه إلا من حديث محمد بن حميد، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث. ورواه الحاكم في صحيحه وزاد فيه: «من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن شقاوته تركه استخارة الله» . رواه الحاكم والترمذي.

قال ميرك: "كلاهما من حديث سعد بن أبي وقاص، وقال الترمذي: غريب ولفظه: «من سعادة ابن آدم كثرة استخارته الله تعالى ورضاه بما قضى الله تعالى له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تعالى وسخطه بما قضى الله تعالى له» . وفي الجامع: أسند الحديث إلى الترمذي والحاكم عن سعد، لكن لفظه: «من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله» . فهذا وما قبله مما يدل على أن لفظ المشكاة وقع فيه اختصار مخل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وروى الطبراني في الأوسط، عن أنس مرفوعا: " «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد» ".

وقال بعض الحكماء: من أعطي أربعا لم يمنع أربعا: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخير، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب.". (١)

١٢٩١-"١٠١١ - " باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه "

١١٦٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه:

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "أعذر الله تعالى إلى امرىء أخر أجله حتى بلغه ستين سنة".

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٣٢٦/٨

١٠١١ - " باب كل من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه "

١١٦٠ - معنى الحديث: يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " أعذر الله إلى امرىء " أي قطع عذره في ارتكاب المعاصي " أخر أجله " أي إذا أطال عمره " حتى بلغه ستين سنة " وهو على قيد الحياة. والمعنى: أن من طال عمره حتى بلغ ستين عاما لم يبق له عذر في اقتراف الخطايا، لأنه يجب عليه أن يستعد للقاء الله تعالى.

فقه الحديث: دل هذا الحديث على ما يأتي: أولا: أن الشيخوخة نذير الموت والرحيل عن الدنيا ولهذا ينبغي لمن بلغ الستين الاستعداد للقاء الله، فقد **قال بعض الحكماء**: الأسنان أربعة: سن الطفولة، وسن الشباب، وسن الكهولة، وسن الشيخوخة، فإذا بلغ الستين وهو آخر الأسنان، فقد ظهر فيه ضعف القوة وتبين فيه النقص والانحطاط، وجاء نذير الموت، فهو وقت الإنابة إلى الله. ثانيا: قال الحافظ: في الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة انقضاء الأجل، وأصرح من ذلك ما أخرجه الترمذي بسند حسن عن أبي هريرة رفعه " أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك " قال القاري: وأكثر ما اطلعنا في هذه الأمة من المعمرين من الصحابة والأئمة سن أنس بن مالك، فإنه مات وله من العمر مائة وثلاث سنين. الحديث: أخرجه البخاري وأحمد. والمطابقة: في كون الترجمة جزءا من الحديث.". (١)

١٢٩٢-"٤٥١ - حدثت عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، حدثني أبو عبد الله الأزدي ، عن أبي سنان الفايدي ، عن عبد الواحد بن أبي عون المدني ، قال: وقف رجال على أيوب صلى الله عليه وسلم وهو في مزبلة وتحته فروة ، فأمسكوا على أنفهم من -[١٢٣]- ريحه وقالوا: يا أيوب ، لقد كنت تعمل أعمالا لو كانت لله عز وجل ما أنزل الله بك هذا البلاء. قال أيوب: قاتل الله الغنى ما أعزه لأهله ، وقاتل الفقر ما أذله لأهله ، أي رب ، أفي ذنوبي أخذتني فوعزتك إنك لتعلم ما عري لي جار ولي فضل ثوب ، ولأني لأسمع العبد يحنث بالاسم من أسمائك فأكفر عنه إجلالا لك "

٤٥٢ - أنشدني رجل من أهل البصرة من الأزد ، قال: أنشدني أعرابي من باهلة:

[البحر الطويل]

سأعمل نص العيس حتى يكفني ... غنى المال يوما أو غنى الحدثان

فللموت خير من حياة يرى لها ... على المرء بالإقلال وسم هوان

متى يتكلم يلغ حكم كلامه ... وإن لم يقل قالوا: عديم بيان

كأن الغنى عن أهله بورك الغنى ... بغير لسان ناطق بلسان

٤٥٣ - **قال بعض الحكماء**: ما رأيت الحزامة في الرأي البعيد مسافة النظر اللطيف في العلم بغوامض الأمور حدثا من التعضل موحش الجوانب من العدم قد عفى على حسن تدبيره تعذر الأمور عليه ، وأخلق عقله الإقتار ، وكأنه بمعزل من

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ٥/٢٩٣

الدنيا لم يفز منها ما يستنبط مبهم مكنونه ، ولا تهدلت غصونها عليه فيفهمونه. وذلك أن الناس أرضون تجول فيها الأبصار ، ومن عمرت به الدنيا بزبرجها أبهج الناظر بالتفاف حدائقه ، وعمر مرعاه من الراتعين فيه ، فاتقى المتأملين له بعميم نبته وقدر مجنى ثمره ، وإذا تعطل الكامل عن عمران الزمان وضرب عزالى الأيام أقفرت بقاع علمه وأجدب مكارم حدائقه ، وإن كان كريم المستنبط عطر المستثار ، وإنما قايس عنون الهوام بما أبق من المناظر بوحشة البلد الخالي من العمارة

٤٥٤ - وقال حسان:

[البحر الخفيف]

رب حلم أزرى به عدم الما ... ل وجهل غطى عليه النعيم

٤٥٥ - أنشدني الحسين بن عبد الرحمن ، لهاني بن توبة:

[البحر الوافر]

يجيئ الناس كل غني قوم ... ويبخل بالسلام على الفقير

ويوسع للغني إذا رأوه ... ويحيا بالتحية كالأمير

أليس الموت بينهما سواء ... إذا هلكا وصارا في القبور

-[١٢٤]-

٤٥٦ - **وقال بعض الحكماء**: ما من خصلة من الخصال هي للغني مدح إلا وهي للفقير عيب ، فإن كان الغني مقداما يسمى شجاعا ، وإن كان الفقير مقداما سمي أهوج ، وإن كان الغني بليغا سمي خطيبا ، وإن كان الفقير بليغا سمي مهذارا ، وإن كان الغني ركينا سمي حليما ، وإن كان الفقير ركينا سمي ثقيلا وإن كان الغني صموتا سمي زميتا وإن كان الفقير صموتا سمي غبيا ، والموت خير من الحاجة المضطرة إلى الناس

٤٥٧ - وقال بعض الشعراء:

[البحر الطويل]

لعمرك إن القبر خير من الفقر ... لمن كان ذا يسر فأصبح ذا عسر

ومن لم يزل يغذ بأفضل نعمة ... مقيما ولم يلحظ بان له الدهر

وللموت خير من حياة مكرم ... ومن يسأل مكديا أخافه الفقر

٤٥٨ - أنشدني أبو جعفر مولى بني هاشم:

إذا قل مال العبد قل صفاؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازما ... أقدامه خير له أو وراءه

٤٥٩ – وقال آخر:

[البحر الطويل]

إذا قل مال المرء قل صديقه ... وضاق به عما يريد طريقه

وذم إليه خدنه طعم عوده ... وقد كان يستحليه حين يذوقه

٤٦٠ – وقال آخر:

إذا قل مال المرء لانت قناته ... وهان على الأدنى فكيف الأباعد

وصار ذليلا في العشيرة واجترت ... عليه أكف تزدرى وسواعد". (١)

١٢٩٣-"٤٨٨ – أنشدني أبو جعفر المديني:

[البحر الطويل]

أتيت بني عمي ورهطي فلم أجد ... عليهم إذا اشتد الزمان معولا

ومن يفتقر في قومه يحمد الغنا ... وإن كان فيهم ماجد العم مخولا

يمنون إن أعطوا ويمسك بعضهم ... ويحسب عجزا صمته إن تحملا

ويزري بعقل المرء قلة ماله ... وإن كان أقوى من رجال وأجزلا

فإن الفتى ذا الحزم رام بنفسه ... جواشن هذا الليل أو يتمولا

قال بعض الحكماء:

٤٨٩ – إنا رأينا الأهل والأعوان والحاشية والإخوان والمروءة والجاه مع الثروة ، ورأينا الفاقة والعدم داعية للمقت ، مسلبة للعقل ، مذهبة للعلم ، موردا على التهمة ، ومن مسه الفقر فقد عيا ، ومن فقد حياه ذهب سروره ، ومن ذهب سروره حضر مقته ، ومن فشا مقته كثر أذاه ، ومن كثر أذاه طال حزنه ، ومن حزن فقد عقله ومن أصيب بعقله اختلط ، فلم يدر ما له مما عليه". (٢)

---

(١) إصلاح المال ص/١٢٢

(٢) إصلاح المال ص/١٢٩

١٢٩٤-"٥١٦ - حدثني شيخ، من بني تميم قال: **قال بعض الحكماء**: العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ولا يعد ما لا يجد إنجازه ولا يضمن ما يخاف العجز عنه". (١)

١٢٩٥-"٩٧ - حدثنا إبراهيم بن عمرو، قال: **قال بعض الحكماء**: " من قضى من الأيام شهوته، وباع طاعة الله بمعصيته، قارض نعمة الله بلاغا في عقوبته". (٢)

١٢٩٦-"٩٠ - قال محمد بن الحسين: قال عبد الله بن محمد: كان يقال: «من لم ينفعك ظنه لم تنفعك نفسه»

٩١ - **وقال بعض الحكماء**: لا ينفع بعقله من لم ينتفع بظنه، وقال:

[البحر الوافر]

رأيت أبا الوليد غداة جمع ... به شيب وقد قعد الشبابا

ولكن تحت هذا الشيب رأي ... إذا ما ظن أمرض أو أصابا". (٣)

١٢٩٧-"٩٢ - حدث عن سعد بن شراحبيل الكندي، قال: سمعت سعيد بن عطارد، يقول: **قال بعض الحكماء**: «زين المرء الإسلام، وزين الإسلام العقل، وزين العقل الحلم، وزين الحلم الكظم، وزين الكظم التدبر والتفكر، وزين التدبر التصبر، وزين التصبر الوقوف عند الطاعة والمعصية»". (٤)

١٢٩٨-"٣٧ - حدثنا الحسين قال: حدثنا عبد الله قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني إبراهيم بن داود، قال: **قال بعض الحكماء**: «إن لله عبادا يستقبلون المصائب بالبشر، أولئك الذين صفت من الدنيا قلوبهم»". (٥)

١٢٩٩-"٤٨ - حدثني ١٠٦١١٢ إبراهيم بن سعيد الأصفهاني، قال: **قال بعض الحكماء**: يحسب الجاهل الشيء الذي هو لا شيء شيئا، -[٤٠]- والشيء الذي هو الشيء لا شيء، ومن لا يترك الشيء الذي هو لا شيء لا ينال الشيء الذي هو الشيء، ومن لا يعرف الشيء الذي هو الشيء لا يترك الشيء الذي هو لا شيء، يريد الدنيا

---

(١) الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا ص/٣٣٨

(٢) التوبة لابن أبي الدنيا ص/٩١

(٣) الحلم لابن أبي الدنيا ص/٦٢

(٤) الحلم لابن أبي الدنيا ص/٦٢

(٥) الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا ص/٦٩

والآخرة "". (١)

١٣٠٠-"١٨٧ - حدثني حمزة بن العباس، قال: أنا عبدان بن عثمان، قال: أنا عبد الله، قال: أنا حريث بن السائب، قال: ثنا الحسن، قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مزبلة في طريق من طرق المدينة فقال: «من سره أن ينظر إلى الدنيا بحذافيرها فلينظر إلى هذه المزبلة» ، ثم قال: «ولو أن الدنيا تعدل عند الله جناح ذباب ما أعطى كافرا منها شيئا» . قال أبو بكر: وقال بعض الحكماء من الشعراء:

[البحر البسيط]

أما مررت بساحات معطلة ... فيها المزابل كانت قبل مغشيه

أما نظرت إلى الدنيا وزينتها ... بزخرف من غرور اللهو موشيه

أعظم بحمقة نفس لا تكون بما ... تعنى به صروف الدهر معنيه

لله در أذى عين تقر بها ... وإنها لعلى التنغيص مبنيه -[٩٠]-

أملى علي عبد الرحمن بن صالح هذه الرسالة: أما بعد عافانا الله وإياك من شر دار قد أدبرت، والنفوس عليها قد ولهت، ورزقت وإياك خير دار قد أقبلت، والقلوب عنها قد غلقت، وكأن المعمور من هذه الدار قد ترحل عن أهله، وكأن المغفول عنه من تلك الدار قد أناخ بأهله، فغنم غانم، وندم نادم، واستقبل الخلق خلدا لا يزول، وحكم عليهم جبار لا يجور، فهنالك قطع الهموم، وصغر ما دونه من متاع هذا الغرور، والسلام". (٢)

١٣٠١-"٢٠٧ - حدثنا عبد الله، قال: قال بعض الحكماء: أما يكفي أهل الدنيا ما يعاينون من كثرة الفجائع وتتابع المصائب في المال والإخوان، والنقص في القوى والأبدان؟". (٣)

١٣٠٢-"٢٢٥ - حدثني عبد الرحمن بن صالح، قال: ثنا المحاربي، عن سفيان، قال: بلغنا أن لقمان، قال لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق يغرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله تعالى، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو، وما أراك بناج وقال سليمان بن يزيد العدوي:

[البحر الطويل]

وما زالت الدنيا يخون نعيمها ... وتصبح بالأمر العظيم تمخض

محلة أضياف ومنزل غربة ... تهافت من حافاتها وتنفض

وقال سليمان بن يزيد العدوي أيضا:

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا ص/٣٩

(٢) الزهد لابن أبي الدنيا ص/٨٩

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا ص/١٠٢

أرى الناس أضيافا أناخوا بغربة ... تقلبهم أيامها وتقلب

بدار غرور حلوة يرغثونها ... وقد عاينوا منها الزوال وجربوا

تسرهم طورا وطورا تذيقهم ... مضيض مكاوي حرها يتلهب

يذمون دنيا لا يريحون درها ... فلم أر كالدنيا تذم وتحلب -[١١١]-

لها درة تصبي الحليم وتحتها ... من الموت سم مجهز حين يشرب

وقد اخترت ذا الجميل لا در درها ... فأصبح في جد وأصبح يلعب

وكلهم حيران يكذب قوله ... بفعل وخير القول ما لا يكذب

قال بعض الحكماء: يا معشر أبناء الدنيا لكم في الظاهر اسم الغنى، ولأهل التقلل نفس هذا المعنى، حرمتم التفكه بما حوته أيديكم لفادح التعب، وعوضتم فيه خوف نزول الفجائع به، وارتقاب وصول الآفات إليه، خدعتم ومالت المقادير عن حظكم، وأبت الدنيا أن تسوغكم حلاوة ما استدر لكم من ضرعها، حتى وكلتكم بطلب سواه، لتمتعكم مما حصل منها لكم، وتصدكم عن التمتع به بإشغالكم بمستأنف تجهدون فيه أنفسكم مما يعز مطلبه عليكم، وتبذلون فيه راحلتكم، فإن وصلتم إليه لحق بالأول من المدخر، وأنشأت لكم وطرا في غيره آخر، كذلك أنتم وهي ما صحبتموها بالرغبة منكم فيها". (١)

١٣٠٣-"٢٤٧ - حدثني محمد بن إسحاق الثقفي، قال: قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟ كيف يفرح بالدنيا من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته؟". (٢)

١٣٠٤-"٢٤٨ - حدثني محمد بن إسحاق الثقفي، قال: قال بعض الحكماء: «الأيام سهام والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويتخرمك بلياليه وأيامه، حتى يستغرق جميع أجزائك. فكم بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك، وسرعة الليالي في بدنك؟ لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص، وما هي عليه من هدم ما بقي منك -[١٢١]- لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك، واستثقلت مر الساعات بك، ولكن تدبير الله فوق الاعتبار، وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذتها وإنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم، وأقل من كل شيء يسمى بقليل، وقد أغنت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ، نستوهب الله رشدا إلى الصواب»". (٣)

١٣٠٥-"٢٦٨ - حدثني يعقوب بن عبيد، قال: حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى، عن عبد الله بن ربيعة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في منزله فإذا شاة ميتة، فقال رسول الله

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا ص/١١٠

(٢) الزهد لابن أبي الدنيا ص/١٢٠

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا ص/١٢٠

صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه هينة على أهلها؟» ، قالوا: نعم قال: «الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» قال بعض الحكماء، وذكر الدنيا، فقال: كم من يوم لي أغر كثير الأهلة، قد صحت سماؤه، وامتد علي ظله، تمدني ساعاته بالمنى، وتضحك لي عن كل ما أهوى في رفاهة ناضرة، وخال تدفق بالغبطة، أرتع في سؤل قريب محياه، تستبق إلي فيه الموافقة، وتلاحظني تباشير الأحبة، تحوز معاني الوصف وينحسر عنه الطرف، حتى إذا اتصلت أسباب سروره في، وكست بهجته كسوفا، وأرهقت نظرتها وحشة الفراق، وقطعتنا فرقا في الآفاق، بعد إذ كنا كالأعضاء المؤتلفة، والأغصان الندية المنعطفة، فأصبح ربعنا المألوف قد محا أعلامه الزمان، وأبلت أسباب العهد به الأيام، فلقلبي -[١٣٠]- وجوب عند ذكرهم، يكاد يتفطر جزعا مما يعاين من فقدهم، ويقاسي من بعدهم، ونظراتي تطرد في الجفون من حرارات الكمد، وأوجاع كلوم لا تندمل، فما لي وللمقام في مراتع الأشجان، ومرابض المنايا، وأوعية الرزايا". (١)

١٣٠٦-"٣٢٥ - قال: وقال أبو عبد الله: قال أبو هاشم: كانوا وإن كانت الدنيا بأيديهم كانوا فيه لله خزانا، لم ينفقوا في شهواتهم ولا لذاتهم، كانوا إذا ورد عليهم حق من حقوق الله تعالى أمضوها فيه ". قرأت في كتاب داود بن رشيد: قال بعض الحكماء: «كل شيء فاتك من الدنيا غنيمة»". (٢)

١٣٠٧-"٣٦٩ - حدثني محمد بن إسحاق الثقفي، قال: قال بعض الحكماء: عجبت ممن يحزن على نقصان ماله، ولا يحزن على فناء عمره، وعجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة إليه، يشتغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة". (٣)

١٣٠٨-"٤٤٨ - حدثني إبراهيم بن عبد الملك، عن شيخ، -[١٩٣]- من قريش قال: قال بعض الحكماء: من كان الليل والنهار مطيتيه سارا به وإن لم يسر وأنشدني محمود بن الحسن قوله:

[البحر الكامل]

يا أيها الشيخ المعل ... ل نفسه والشيب شامل

اعلم بأنك نائم فوق الفراش وأنت راحل

والليل يطوي لا يفت ... ر والنهار بك المنازل

يتعاقبان بك الردى لا يغفلان وأنت غافل". (٤)

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا ص/١٢٩

(٢) الزهد لابن أبي الدنيا ص/١٥١

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا ص/١٦٩

(٤) الزهد لابن أبي الدنيا ص/١٩٢

١٣٠٩-"٤٧٧ - حدثني روح بن عبد الرحمن، قال: ثنا صالح بن عبد الكريم، قال: **قال بعض الحكماء**: إنما يسلم من الدنيا من أخذ منها لها، ثم خرج منه، وحوسب عليه، ومن أخذ منها لغيرها قدم عليه، وأقام فيه". (١)

١٣١٠-"٥٢٣ - حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء**: أما بلوتم الدنيا؟ فما زالت تؤنبكم عسفا، وتسومكم خسفا، في كل يوم لكم فيها شغل جديد وحزن عتيد، إنما صدقتم الأمل فكذبكم، وأطعتم الهوى فأوبقكم، فكيف تفرون رحمكم الله من هذا الموت الذي لا تدرون أن ما فيه أحق أن يكون؟ فهؤلاء لكم مفظعا، أما قبله من تخوف بغتاته التي لا تدرون في أي حالاتكم توافيكم، أما الذي ترونه من أسبابه فما يعروكم من الانتقاص ضعفا بعد قوة، وأخلاقا بعد جدة، وهرما بعد شباب، وسقما بعد صحة، في كل يوم يموت من أجسادكم ميت ينعى لكم أنفسكم، ويخبركم عن فنائكم، حتى يهجم عليكم بمرارة كأسه، وفظاعة مذاقه، فتصيروا رهائن الموت، وودائع الحفر إلى يوم الوقت المعلوم "". (٢)

١٣١١-"٥٣٠ - حدثني أبو عبد الله الرازي، قال: **قال بعض الحكماء**: «الزهد فيما يشغلك عن الله عز وجل» وقال بعضهم: الزهد ترك الشهوات". (٣)

١٣١٢-"٥٣١ - حدثني محمد بن يوسف، قال: سمعت بشر بن الحارث، وقيل له: مات فلان، قال: «جمع الدنيا، وذهب إلى الآخرة، ضيع نفسه» قيل له: إنه كان يفعل ويفعل، وذكروا أبوابا من أبواب البر، فقال: «وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا؟ -[٢٢٨]-» قال أبو بكر: **قال بعض الحكماء**: «المرء في الدنيا على أكبر خطر، إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة جارية، وإما منية قاضية، فلقد كدرت عليه المعيشة إن غفل، هو من النعماء على خطر، ومن البلايا على حذر، ومن المنايا على يقين»". (٤)

١٣١٣-"٥٣٩ - حدثني رجل من بني تميم قال: **قال بعض الحكماء**: «الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها، فكيف لو تحببت إلينا؟»". (٥)

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا ص/٢٠٣

(٢) الزهد لابن أبي الدنيا ص/٢٢٤

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا ص/٢٢٧

(٤) الزهد لابن أبي الدنيا ص/٢٢٧

(٥) الزهد لابن أبي الدنيا ص/٢٢٩

١٣١٤-"٥٣٨ - حدثني أحمد بن أبي نصر، قال بعض الحكماء: «للدنيا أمثال تضربها الأيام للأنام، وعلم الزمان لا يحتاج إلى ترجمان، ويحب الدنيا من صمت أسماع القلوب عن المواعظ، وما أحث السباق لو شعر الخلائق» أنشدني أحمد بن أبي نصر:

يلتمس العز بها أهلها

والله قد عرفهم ذلها

يا عاقد العقدة يرجو بها

العيش كأن الموت قد حلها

كم تعمر الدنيا ورب السما

يريد أن يخربها كلها". (١)

١٣١٥-"٥٤٢ - حدثني محمد بن جعفر بن مهران البصري، عن رجل، عن أبيه، أن غلاما لعبد الملك بن مروان كتب إليه: إن صخرة قبلنا يقال إن تحتها كنزا يحتاج إلى نفقة، فكتب إليه عبد الملك: «أن واصل بين النفقة حتى تستخرج هذا الكنز» فعولجت حتى قلبت، فلم يجد تحتها كنزا، ووجد عليها كتابا فيه:

[البحر الطويل]

ومن يحمد الدنيا بعيش يسره ... فسوف لعمري عن قليل يلومها

إذا أقبلت كانت على المرء حسرة ... وإن أدبرت كانت كثيرا غمومها -[٢٣١]-

قال أبو بكر: قيل لبعض الحكماء: ما الدنيا؟ قال: «تريدون المذمومة على ألسن الأنبياء والحكماء؟» قالوا: نعم قال: «المعصية» ، قيل: فأي الزهاد أفضل؟ قال: «أقلهم حظا من الدنيا» قيل: متى يصفو توكل الزهد؟ قال: «إذا لم يلزمه منه مخلوق» قال أبو بكر: وقال بعض الحكماء: «ما فرحت يا ابن آدم بما يفنى إلا بعد نسيانك ما يبقى، ولا ركنت إلى زينة الدنيا إلا بتركك نصيبك من جنة المأوى، ولا متعت نفسك بمواعيد المنى إلا بعد ما عانقت هذه الدنيا، ولا تتوقت في تسمين بدنك حتى نسيت دراجك في كفنك» قال أبو بكر: قيل لبعض الحكماء: من أعرف الناس بعيوب الدنيا؟ قال: أكثرهم للموت ذكرا، قيل: فلم نكره الموت؟ قال: «لإيثاركم الدنيا» قيل: متى يحكم على العبد بالغفلة؟ قال: «إذا ركن إلى الدنيا» قيل: متى يذهب منا الحكمة والعلم؟ قال: «إذا طلب بهما الدنيا» قيل: ما الذي يمنع من طلب الآخرة؟ قال: «حب الدنيا» قيل: ما علامة ترك الدنيا؟ قال: «طلب الآخرة» قيل: الدنيا لمن هي؟ قال: «لمن تركها» قيل: الآخرة لمن هي؟ قال: «لمن طلبها» قال أبو بكر: قال بعض الحكماء: «الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا ص/٢٢٩

دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها»". [(١)]

١٣١٦-"٣١٠ - حدثنا علي بن أبي مريم، عن أبي عبد الرحمن ابن عائشة قال: " **قال بعض الحكماء**: الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوانح "". [(٢)]

١٣١٧-"٣١١ - وحدثني علي، عن أبي عبد الرحمن قال: " **قال بعض الحكماء**: كل كلام لا يوتغ دينك، ولا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك، فلا تكن به عليه بخيلا، فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين "". [(٣)]

١٣١٨-"قال: **وقال بعض الحكماء**: «إني لأعتد بكلامي فيما لا بد لي منه مصيبة واقعة، وأستعين بالله على السلامة منها، وإني أعتد بصمتي عما لا يعنيني غنما، وحادث نعمة ألتمس الشكر عليها، إذ علمت أن من وراء كل كلمة رقيبا عتيدا وأنزلت ما اضطررت إليه من الكلام مصيبة نازلة، وأنزلت ما كفيت من الكلام غنيمة باردة»". [(٤)]

١٣١٩-"العزلة عند الحكماء

٤٦ - حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء**: " ألم تر إلى ذي الوحدة ما أحلى ورعه وأرفع عيشه، وأقنع نفسه بالقصد، وآمنه للناس، وأبعده وإن بدا بالحرص مستعدا لصروف الأيام مستكينا؟ إن منع قلت همومه، وإن طرق قل أسفه، وإن أخذ لم تكثر الحقوق عليه، وإن أكدى لم يكبر الصبر عليه، وإن قنع لم يحصره الموت، وإن طلب لم تلذذه الكثرة، لا يشتكي ألم غيره، ولا يحاذر إلا على نفسه، وذو الكثرة غرض الأيام المقصود، وثأرها المطلوب، وصريع مصائبها وآفاتها، ما أدوم نصبه، وأقل راحته، وأخس من ماله نصيبه وحظه، وأشد من الأيام حذره، وأعيا الزمان بكلمه ونقصه، ثم هو بين السلطان يرعاه، وعدو يبغي عليه، وحقوق تستربيه، وأكفاء ينافسونه، وولد يودون موته، قد بعث عليه من سلطانه بالعنت، ومن أكفائه الحسد، ومن أعدائه البغي، ومن الحقوق الذم، لا يحدث البلغة، قنع فدام له السرور، ورفض الدنيا فسلم من الحسد، ورضي بالكفاف فتنكبته الحقوق " (١) .

---

(١) قوله: ذي الوحدة، أي: صاحب الوحدة. والمستكين: الخاضع الذليل.

وطرق: استرخى.

وأسفه: الحزن.

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا ص/٢٣٠

(٢) الصمت لابن أبي الدنيا ص/١٧٨

(٣) الصمت لابن أبي الدنيا ص/١٧٨

(٤) الصمت لابن أبي الدنيا ص/٣٠١

وأكدى: أي: قل خيره.

والنصب: التعب.

ويبغى: يجور عليه ويظلمه.

وأكفاء: أنداد.

والعنت: المشقة.

والبلغة: ما يتبلغ به من العيش.

التنكيب: العدول عن الشيء.". [1]

١٣٢٠-"من مواعظ الحكماء

٩٣ - حدثنا عبد الله، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الملك، قال: قال بعض الحكماء لابنه:

-[٤٥]- يا بني! اعتزل الناس، فإنه لن يضرك ما لم يسمع، ولن يؤذيك من لم تريا بني! إن الدنيا لا توافق من أحبها، ولا من أبغضها، غير أنها لمن أبغضها أوفق، لأنها تأتيه بغير شغل قلب ولا تعب بدن (١) .

---

(١) إسناد حسن:

إبراهيم بن عبد الملك، حسن الحديث. انظر: تهذيب الكمال (٢/١٤٠) .". [2]

١٣٢١-"٤٦ - حدثنا عبد الله قال: ثنا الحسين بن عبد الرحمن، عن بعض أشياخه، عن ابن أبي الزناد، قال: قال بعض الحكماء: «لا ينبغي لعاقل أن يعرض عقله للنظر في كل شيء كما لا ينبغي أن يضرب بسيفه كل شيء»". [3]

١٣٢٢-"٦٧ - حدثنا عبد الله: ثنا أحمد بن عبيد التميمي، عن مولى لبني هاشم، قال: قال بعض الحكماء: «من ظن أنه عاقل والناس حمقى كمل جهله»". [4]

١٣٢٣-"٨٥ - وحدثني أبو بكر: ثنا علي بن إبراهيم، قال: ثنا داود بن المحبر، قال: ثنا نصر بن طريف، عن ابن جريج، قال: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»

-[٦٢]-

---

(١) العزلة والانفراد ص/٣١

(٢) العزلة والانفراد ص/٤٤

(٣) العقل وفضله لابن أبي الدنيا ص/٤٦

(٤) العقل وفضله لابن أبي الدنيا ص/٥٥

٨٦ - **وقال بعض الحكماء** لأخ له: «يا أخي عقلك لا يتسع لكل شيء ففرغه لأول المهم من أمرك، وكرامتك لا تسع الناس فخص بها أولى الناس بك، وليلك ونهارك لا يستوعبان حوائجك فأسقط عنك ما لك منه بد، وليس من العقل أن تذر من الخير ما لابد منه، ولا تمدح من لم تخبر إحسانه» .

٨٧ - وقيل لبعض الحكماء: ما العقل؟، قال: «أمران أحدهما صحة الفكر في الذكاء والفطنة، والآخر حسن التمييز وكثرة الإصابة» .

٨٨ - وقيل لبعض الحكماء: ما الحمق؟، قال: «قلة الإصابة ووضع الكلام في غير موضعه وكلما مدح به العاقل كان مفقودا في الأحمق» .

٨٩ - وقيل لبعض الحكماء: أوصنا بأمر جامع، قال: " احفظوا وعوا: إنه ليس من أحد إلا ومعه قاضيان باطنان، أحدهما ناصح والآخر غاش، فأما الناصح فالعقل، وأما الغاش فالهوى وهما ضدان، فأيهما ملت معه وهي الآخر "". [١]

١٣٢٤-"٩٥ - حدثني أبو بكر: حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء**: " لا ترى العاقل إلا خائفا كما أن الجاهل لا تراه إلا آمنا وفي ذلك يقول القائل:

لا ترى العاقل إلا خائفا ... حذرا من يومه دون غده". [٢]

١٣٢٥-"٤٧ - حدثنا محمد، حدثنا داود بن المحبر، قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: **قال بعض الحكماء**: من أخطأته سهام المنايا قيدته الليالي والسنون". [٣]

١٣٢٦-"٥٨ - حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء** «ما ليت وما لك، والسبيل قد أصالك»". [٤]

---

(١) العقل وفضله لابن أبي الدنيا ص/٦١
(٢) العقل وفضله لابن أبي الدنيا ص/٦٤
(٣) العمر والشيب لابن أبي الدنيا ص/٦٣
(٤) المتمنين لابن أبي الدنيا ص/٤٦

١٣٢٧-"٧٤ - حدثنا عبد الله قال: حدثني بعض أصحابنا، قال: **قال بعض الحكماء**: «بكاء الخوف مر، وبكاء المحزون حلو»". (١)

١٣٢٨-"١٩ - حدثنا عبد الله، ثنا يوسف بن موسى ، ثنا -[٤٠]- وكيع ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سالم: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩] قال: «الموت» حدثنا عبد الله، قال: **وقال بعض الحكماء**: «من ضعف اليقين تدخل الآفة على المريدين ، -[٤١]- وبقوة اليقين وصدق المطالبة يكون الجد والاجتهاد ، وبصدق الخوف والحذر تسلو النفس عن الشهوات»". (٢)

١٣٢٩-"٩٨ - حدثني حمزة بن العباس، أنبأنا عبدان بن عثمان، أنبأنا -[٥٥]- عبد الله، أنبأنا حريث بن السائب، أخبرنا الحسن، قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم، على مزبلة في طريق المدينة فقال: من سره أن ينظر إلى الدنيا بحذافيرها فلينظر إلى هذه المزبلة ثم قال: ولو أن الدنيا تعدل عند الله جناح ذبابة ما أعطى كافرا منها شيئا.

وقال بعض الحكماء من الشعراء:

أما مررت بساحات معطلة ... فيها المزابل كانت قبل مغشية

أما نظرت إلى الدنيا وزينتها ... بزخرف من غرور اللهو موشية

أعظم بحمقة نفس لا تكون بما ... تغني به من صروف الدهر مغنية

لله در أذى عين تقر بها ... وإنها لعلى التنغيص مبينة

قال أبو بكر: أملى علي عبد الرحمن بن صالح هذه الرسالة:

أما بعد: عافانا الله وإياك من شر دار قد أدبرت، والنفوس عليها قد ولهت، ورزقت وإياك خير دار قد أقبلت، والقلوب عنها قد غلفت، وكأن المعمور من هذه الدار قد يرحل عن أهله، وكأن المغفول عنه من تلك الدار قد أباح بأهله فغنم غانم، وندم نادم، واستقبل الخلق خلد لا يزول، وحكم عليهم جبار لا يجور، فهنالك فضع الهموم، وصغر ما دونه من متاع هذا الغرور، والسلام.". (٣)

١٣٣٠-"١٤١ - **وقال بعض الحكماء**: أما يكفي أهل الدنيا ما يعانون من كثرة الفجائع، وتتابع المصائب في المال والأخوان، والنقص في القوى والأبدان.". (٤)

---

(١) الهم والحزن لابن أبي الدنيا ص/٦٢

(٢) اليقين لابن أبي الدنيا ص/٣٩

(٣) ذم الدنيا ص/٥٤

(٤) ذم الدنيا ص/٧٦

١٣٣١-"١٦٦ - **وقال بعض الحكماء**: يا معشر أبناء الدنيا لكم في الظاهر اسم الغنى، ولأهل التقلل نفس هذا المعنى، حرمتم التفكه بما حوته أيديكم لفادح التعب، وعوضتم منه خوف نزول الفجائع به، وارتقاب وصول الآفات إليه، خدعتم ومالك المقادير عن حظكم، دأبت الدنيا أن تسوغكم حلاوتها، وما استدر لكم من ضرعها حتى وكلتم بطلب سواه لتمتعكم مما حصل منها لكم، وتصدكم عن التمتع به بأشغالكم، بمستأنف تحمدون فيه أنفسكم مما يعز مطلبه عليكم، وتبذلون فيه راحتكم، فإن وصلتم إليه لحق بالأول من المدخر، وأنشأت لكم وطرا في غرة كذلك أنتم وهي ما صحبتموها بالرغبة منكم فيها.". (١)

١٣٣٢-"١٩١ - **قال بعض الحكماء**: وذكر الدنيا فقال: كم من يوم لي قد صحت سماؤه، وامتد علي ظله، تمدني ساعاته بالمنى، وتضحك لي عن كل ما أهوى في رفاهة ناضرة، وحال تدفق بالغبطة، أرتع في ظل قريب، مجناه، ينبسق إلي فيه الموافقة، وتلاحظني تباشير الأحبة، تجوز معاني الوصف، وينحسر عنه الطرف، حتى إذا اتصلت أسباب سروره بي، نفست الدنيا به علي فسعت بالتشتيت إلى الفتنة، وبالنقص إلى مدته، فكسفت بمحبته كسوفا، وأرهقت نضرتنا الفراق، وقطعتنا فرقا في الآفاق بعد إذ كنا كالأعضاء المؤتلفة، والأغصان الندية المنقطعة، فأصبح ربعنا المألوف، قد محا أعلامه الزمان، وأبلت أسباب العهد به الأيام، فلقلبي وجوب عند ذكرهم، يكاد ينفطر جزعا مما يعاين من فقدهم، ويقاسي من بعدهم، ونظراتي تطرد في الجفون من حرارات الكمد، وأوجاع كلوم لا تندمل، فما لي للمقام في مراتع الأشجان، ومرابض المنايا، وأوعية الرزايا.". (٢)

١٣٣٣-"١٩٥ - حدثني محمد بن إسحاق الثقفي، قال: **قال بعض الحكماء**: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره سنته، وسنته عمره، وكيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته؟ ! .". (٣)

١٣٣٤-"١٩٦ - وحدثني محمد بن إيحاق، قال: **قال بعض الحكماء**: -[٩٧]- الأيام سهام، والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه، ويستخدمك بلياليه، وأيامه، حتى تستغرق جميع أجزائك، فكم بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك، وسرعة الليالي في بدنك، لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص، وما هي عليه من هدم ما بقي إلا استوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت مر الساعات بك، ولكن تدبير الله فوق الاعتبار، وبالسلو عن غوائل الدنيا، وجد طعم لذاها، وإنها لأمر من العلقم، إذا عجمها الحكيم، وأقل من كل شيء يسمى القليل، وقد أعيت الواصف

---

(١) ذم الدنيا ص/٨٥

(٢) ذم الدنيا ص/٩٥

(٣) ذم الدنيا ص/٩٦

لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ، نستوهب الله رشدا إلى الصواب.". (١)

١٣٣٥-"٢٤١ - حدثني محمد بن إسحاق الثقفي، قال: **قال بعض الحكماء**: عجبت ممن يحزن على نقصان ماله، ولا يحزن على فناء عمره، وعجبت ممن الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة إليه يشتغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة.". (٢)

١٣٣٦-"٣٤٦ - وقرأت في كتاب داود بن رشيد **قال بعض الحكماء**: كل شيء فاتك من الدنيا غنيمة.". (٣)

١٣٣٧-"٣٨٨ - حدثنا روح بن عبد الرحمن، أخبرنا صالح بن عبد الكريم، قال: **قال بعض الحكماء**: إنما نسلم من الدنيا فيها، فمن أخذ منها لها خرج منه، وحوسب عليه، ومن أخذ منها لغيرها قدم عليه، وأقام فيه.". (٤)

١٣٣٨-"٤٥١ - حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء**: أما بلوتم الدنيا فهل زالت تؤنبكم عسفا، وتسوسكم خسفا، في كل يوم لكم فيها شغل جديد، وحزن عتيد، إنما صدقتم الأمل فكذبكم، وأطعتم الهوى فأوبقكم، فكيف تفرون رحمكم الله من هذا الموت، الذي لا تدرون أن ما فيه أحق أن يكون عندكم، فهؤلاء لكم مفظعا، أما قبله من تخوف بغتاتة التي لا تدرون في أي حالاتكم توافيكم، أما الذي ترون من أسبابه فما يعروكم من الانتقاص ضعفا بعد قوة، وإخلاقا بعد جدة، وهرما بعد شباب، وسقما بعد صحة في كل يوم يموت من أجسادكم ميت ينعي لكم أنفسكم، ويخبركم عن فنائكم، حتى يهجم عليكم بمرارة كأسه، وفظاعة مذاقه، فتصيروا رهائن الموت، وودائع الحفر إلى يوم الوقت المعلوم.". (٥)

١٣٣٩-"٤٥٨ - حدثني أبو عبد الله الرازي قال: **قال بعض الحكماء**: الزهد فيما يشغلك عن الله عز وجل، وقال بعضهم: الزهد ترك الشهوات.". (٦)

١٣٤٠-"٤٦٠ - قال أبو بكر: **قال بعض الحكماء**: المرء في الدنيا على أكبر خطر، إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة جارية، وإما منية قاضية، فلقد كدرت عليه المعيشة إن غفل، هو من النعماء على خطر، ومن البلايا

---

(١) ذم الدنيا ص/٩٦
(٢) ذم الدنيا ص/١١٤
(٣) ذم الدنيا ص/١٤٧
(٤) ذم الدنيا ص/١٦٢
(٥) ذم الدنيا ص/١٨٠
(٦) ذم الدنيا ص/١٨٣

على حذر، ومن المنايا على يقين.". (١)

١٣٤١-"٤٦٨ - حدثني أحمد بن أبي نصر، **قال بعض الحكماء**: للدنيا أمثال تضربها، الأيام للأنام، وعلم الزمان لا يحتاج إلى ترجمان، ويحب الدنيا من صمت أسماع القلوب عن المواعظ، وما أحث السباق لو شعر الخلائق.". (٢)

١٣٤٢-"٤٧٠ - حدثني رجل من بني تميم، قال: **قال بعض الحكماء**: الدنيا تبغض إلينا نفسها، ونحن نحبها! ! فكيف لو تحببت إلينا.". (٣)

١٣٤٣-"٤٧٥ - قال أبو بكر: **وقال بعض الحكماء:**

ما فرحت يا ابن آدم بما يفنى إلا بعد نسيانك ما يبقى، ولا ركنت إلى زينة -[١٨٧]- الدنيا إلا بتركك نصيبك من جنة المأوى، ولا متعت نفسك بمواعيد المنى إلا بعد ما عانقت هذه الدنيا، ولا تتوقت في تسمين بدنك حتى نسيت دراجك في كفنك.". (٤)

١٣٤٤-"٤٧٧ - قال أبو بكر: **قال بعض الحكماء:**

الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها.". (٥)

١٣٤٥-"أخبرنا أحمد، حدثنا أبو بكر،

٥٣ - حدثني أبي رحمه الله، قال: **قال بعض الحكماء** لابنه: يا بني ما يدعوك إلى النبيذ؟ قال: يهضم طعامي، قال: هو والله يا بني لدينك أهضم". (٦)

١٣٤٦-"أخبرنا أحمد، حدثنا أبو بكر،

-[٧٨]-

---

(١) ذم الدنيا ص/١٨٣

(٢) ذم الدنيا ص/١٨٥

(٣) ذم الدنيا ص/١٨٥

(٤) ذم الدنيا ص/١٨٦

(٥) ذم الدنيا ص/١٨٧

(٦) ذم المسكر لابن أبي الدنيا ص/٧٤

٦٦ - وحدثني أبي رحمه الله قال: قال بعض الحكماء لابنه: إياك والنبيذ فإنه يقرب حشرك ويباعد منك مجدك أخبرنا أحمد، حدثنا أبو بكر،

٦٧ - وأنشدني أبي رحمه الله لرجل ترك النبيذ:

[البحر المتقارب]

تركت النبيذ لأربابه ... وتبت إلى الله من شربه

وآثرت ديني على لذتي ... وكنت امرءا خاف من ربه

فإن يك خيرا فقد نلته ... وإن يك شرا أعذب به

٦٨ - وبلغني أن رجلا من بني عامر دخل على أصحاب له وهم يشربون فعرضوا عليه فأبى أن يشرب وقال:

[البحر البسيط]

جاءوا بفاقرة صفراء مترعة ... هل بين باذقكم والخمر من نسب؟

إني أخاف مليكي أن يعذبني ... وفي العشيرة أن تزري على حسبي". (١)

١٣٤٧-"٣٣٣ - حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي زرعة، ثنا النضر بن شميل، أنا أبو بكر الهذلي، قال: سمعت أبا تميمة الهجيمي، قال: سمعت أبا موسى الأشعري، على هذا المنبر في قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦] قال: الزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل -[٢٣٣]- وقال بعض الحكماء في موعظة ذكر الجنة وأهلها: أكرم بأبلج زاهر ظفر بالجنة الناظرة وصار إلى زوج درج مقاصيه الآخرة ، وأبكار لها ثمنا فأعطي أكثر من الآمال وفوق المنى قد تهدلت في خيام اللؤلؤ لهدايف ثمارها وتسلسلت متسنمة عليه من الغرف غصون أشجارها وتزينت في الحجال العدنية قواصر أبكارها وأشرفت منازله المبنية بخالص عقيانها وضحكت سبحات وجهه إلى نظرة وجوه مكانها فهو الملك المحبور وألذ الملاهي لذة الحبور رياض من الفراديس لا يهرم شبابها ولا تغلق على أهل خاصة الله من الأولياء أبوابها ، ولا تعدو الأسقام على صحتها ولا تطرق الآفات بالغير كيف نعمتها، قد ارتفع في فسحة الملك المقيم، وتبوأ خلد قرار دار النعيم، وهل أحسن من منعم قد اتكأ في جنة عدن على أسرة عرضها، وعانق مفترجة كلت لفاكهات المرتجلين عن حسن وضعها، قرير عين يخط في حللها ورحاب قصورها، وقد أمدته كرامة النظر إلى وجه الله عز وجل دائمة سرورها، وبالله قد سمي جيران الله في درجات الملك والحبورة: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ [فاطر: ٣٤]-[٢٣٤]-

مسترشد رغدا في نعمة ضحكت ... إليه فيها بما قد كان يهواه

عليه تاج جلال فوق مفرقه ... منعم في جنان الخلد مثواه

(١) ذم المسكر لابن أبي الدنيا ص/٧٧

له أساور من درة عسجدة ... عمت ضحكات بها للحسن كفاه

لباسه فيها سندس سجة ... وشربه الخمر واللذات سراه

معانق خلة في صدر خيمتها ... ما إن يمل لذ تقبيلها فاه

طوبى له ثم طوبى يوم حل بها ... أذكرت نفسه ما قد تمناه

أكرم به ملكا في جنة بهيجة ... بالملك والخلد فيها جاره الله". (١)

١٣٤٨-"قال بعض الحكماء: ما أخرك أيها التعب في طلب عيش لا يدوم بقاؤه ولا يصفو من الأحداث والغير أقذاؤه، عما ندبك إليه القرآن، وهتك لك عنه حجاب الملوك؛ لعله تغنيك عن ذلك نظرك في وجنة ميتة تزيد الأمراض غضارة كمالها، وتتبرها الأحداث شكل جمالها، ويبلى في التراب غض جدتها، ويعفر البلى رونق صورتها أفيها كلفت، وقنعت بالنظر إليها أم بدار خلقت جدة بدنك في نفس رواقها وجهدت نفسك وتعبت في تزويقها وستور تعفرها الرياح والأيام موكلة بتمزيقها اعتضت بهذا وليس يساق لك من دار الحياة ومحله نفيت عنها المنون ودواير الغير وحجبها بدوام النعيم عن التنغص والخدم وحشاها بأنواع سرور لا يبور، ويحك فأجب ربك تبارك وتعالى إذا دعاك إلى جواره، وارغب إليه لترافق أولياءه في داره في عرضة حفت بالنعيم وخص أهلها بالإكرام وسماها ربك عز وجل إذ بناها بيده دار سلام وملأها من طواطئ القلوب فظفر بسؤال أهلها من الله عز وجل باختصاصها وأنزل منى الشهوات عن أكناف عرصاتها، دار وافقت جزاء الأبرار الذين خلعوا له الراحة ووفوا بالميثاق، ودار أسسها بالذكر إذ بناها ورفع بالدر والياقوت شرف ذراها، وكسا كثبان المسك الأذفر والعنبر الأشهب في". (٢)

١٣٤٩-"٣٤٨- حدثنا محمد بن عبد العزيز بن رزمة حدثنا النظر بن شميل أخبرنا أبو بكر الهذلي قال سمعت أبا تميمة الهجيمي قال سمعت أبا موسى الأشعري على هذا المنبر في قوله ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ . قال الزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل -[٢٢٤]- وقال بعض الحكماء في موعظة ذكر الجنة وأهلها أكرم بأبلج زاهر ظفروا بالجنة الناضرة. وصاروا إلى روح درج مقاصير الآخرة. وأبكار ثمنا فأعطي أكثر من الآمال وفوق المنى. قد تهدلت في خيام اللؤلؤ حدائق ثمارها. وتسلسلت متسنمة عليه من الغرف غصون أشجارها. وتزينت في الحجال العدنية قواصير أبكارها. وتمسكت مع طيب روائح النعيم رياض كثبانها. وأنافت قصور الفضة بحسن جمال بنيانها. وأشرفت منازله المبينة بخالص عقيانها وضحكت سبحات وجهه إلى نضرة وجوه سكانها. فهو الملك المحبور وألذ الملاهي لذة الحبورة رياض من الفراديس لا يهرم شبابها. ولا تغلق على أهل خاصة الله من الأولياء أبوابها. ولا تعدوا الأسقام على صحتها ولا تطرق الآفات بالغير كيف نعمتها قد ارتفع في الملك المقيم تبؤ خلد قرار دار النعيم وهل أحسن من منعم قد اتكأ في جنة عدن على أسرة غرفها

---

(١) صفة الجنة لابن أبي الدنيا ت سليم ص/٢٣٢

(٢) صفة الجنة لابن أبي الدنيا ت سليم ص/٢٣٨

وعانق مفترجة كلت لغات المرتجلين عن حسن وصفها قرير عين يخطر في حللها وبرحاب قصورها وقد أمدته كرامة النظر إلى وجه الله عز وجل دائمة سرورها وبالله قد سما جيران الله في درجات الملك والحبور ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ .

مسترغد رغدا في نعمة ضحكت ... إليه فيها بما قد كان يهواه

عليه تاج جلال فوق مفرقه ... منعم في جنان الخلد مثواه

له أساور من در معسجدة ... مستضحكات بها للحسن كفاه

لباسه فيها سندس نسجه ... وشربه الخمر واللذات مسراه

معانق خلة في صدر خيمتها ... ما إن يمل لذ تقبيلها فاه

طوبى له ثم طوبى يوم حل بها ... قد أذكرت نفسه ما قد تمناه

أكرم به ملكا في جنة بهجت ... بالملك والخلد جاره الله". (١)

١٣٥٠-"٣٥٧- **قال بعض الحكماء** ما أخرك أيها التعب في عيش لا يدوم بقاؤه ولا يصفو من الأحداث والغير أفناؤه. عما ندبك إليه القرآن وهتك لك عنه حجاب الشكوك لعله تعديك عن ذلك نظرات في وجنة ميتة تزيل الأمراض غضارة كمالها وتبترها الأحداث شكل جمالها ويبلى وفي التراب غض جديتها ويعفر البلى رونق صورتها أفيها كلفت وقنعت بالنظر إليها أم بدار خلقت جدة بدنك في نقش رواقها وجهدت نفسك وتعبت في تزويقها وستور تعفرها الرياح والأيام موكلة بتمزيقها اعتضت بهذا وليس بباق لك من دار الحياة ومحله نفيت عنها والمنون ودوائر الغير وحجبها بدوام النعيم عن التنغيص والخدم وحشاها بأنواع -[٢٢٨]- سرور لا يبور.

ويحك فأجب ربك تبارك وتعالى إذ دعاك إلى جواره وارغب إليه لترافق أولياءه في داره في عرصة حفت بالنعيم وخص أهلها بالإكرام وسماها ربك عز وجل إذ بناها بيده دار السلام وملأها منا خواطر القلوب فظفر بسؤال أهلها من الله عز وجل باختصاصها وأنزل منى الشهوات عن أكناف عراصها دار وافت جزاء الأبرار الذين خلعوا آلة الراحة ووفوا بالميثاق. ودار أسسها بالذكر إذ بناها ورفع بالدر والياقوت شرف ذراها وكسا كثبان المسك الأذفر والعنبر الأشهب في قبابها ونجدها بالزرابي من خيامها وبسط العبقري في بطون رحابها وزينها برفاف استبرقها وحف بالديباج بنمارقها وكساها جلبابا من نور عرشه فأزهرت وما فيها فلو تسفر للشمس لمست تلاليها ولو برزت هذه تبقى أن تباهيها لانكدرت وأظلمت في نور علاليها.

حففت في صدور تلك الخيام أسرة مكللة بالجوهر موصلة بقضبان اللؤلؤ والياقوت الأحمر تسير بأولياء الله عز وجل مع الخضرات الأوانس في أروقة اللؤلؤ بين تلك الحلل على فرش الإستبرق وطرائف المجالس مع اللواتي يكاد ينحسر عن ماء وجانهن نواظر العيون ويدله الفكر دون الظفر بصفة ولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون فكيف بالبيضاء المكنونة في قبابها القاصرة

---

(١) صفة الجنة لابن أبي الدنيا ت نجم ص/٢٢٣

الطرف المحبوسة في خبائها والآنسة المكللة في قصورها فأين مشتاق إلى نزول دارها فيبذل الجهد ليسكن الجنة مع حورها وينعم في غرفاتها ومنازل في مقاصيرها وتحية الملائكة بالبشارة من ربهم حين يفد عليها وتبدره إلى زوجته ليسرها به قبل أن يصل إليها فيلبسنها الوصائف حللا حسب من أكمام شجرها ويحلينها بمراسل من نفيس جوهرها في سلوك اللؤلؤ الرطب يسطع نوره في نحرها ويشرق يتلألأ لحسن جيدها وبنظم الياقوت مع فاخر زبرجدها ويسبل سور الدر على ضوء خدها والوشاح قد أرسل على لين جيدها وعيناها تباري -[٢٢٩]- صفاء حسن درها وكأنما النور أسكن بين مفارق شعرها إذا خطت خلت المسك يفور من أذيالها والعنبر الأشهب من بين حللها فمن يصفها

ملتحفة فوق أكاليلها إذا اعتجرن بالأردية ورباط نورها ورفلت بينهن لترقى على سريرها تتهادى بينهن وتسحب أطراف ذوائبها وتميل وترنح بين كرام وصائفها وتصعد إلى المحبور فوق سرير ملكها فتعانقه ويعانقها عمر الدنيا لا يملها كلا وربي بل يزداد عجبا بها كلما أطال اعتناقه لها لأنها تضاعف حسنا في عينه ويضاعف حسنا في عينها فكيف إذا نازعها كأس معين على أنهارها وحيته بضبائر ريحان مضمخة بعنبرها وأتاه رسول من ربه عز وجل بتحفة فجيء بها ضجيعة وهم بشهوة فصارت في فيه قبل أن يطلبها وأحب أخرى فتحولت تلك على طعمها وخطرت ثالثة فوجد بينهما لذتها فلم يزل طعم واحدة من لهواته منهن على حالها والتفت إلى الرضية فقلب بكفه حسن كفها ونظر إلى وجهه في ضوء سوالفها وهم بكسوة فتفلقت أكمام شجر دانية عليها وتطايرت منها الحلل فتهوي إليهما وقد حاز ناظره جميع ألوان كساها مزية لون الألوان التي تليها وطي تلك الأعكان تزين ما عليها وضوء النور يتلألأ من أشفار عينها ويحسب النور يجري إذا اتكت في صدر بهوها ولجة تكفا هناك من ماء وجهها

فيا مغرور يلهو أو لا يرغب فيها ويغفلها جهلا ولا يطيع باريها لو كان لي عزم لذبت خوفا وحرقا ولطار قلبي إلى الجنة تشوقا ولكني حليف أماني عزمي غرور عميت عما نظر إليه المتقون الذين أخلصوا لله تعالى عزم نياتهم وصدقوا في مجهول طاعتهم وتقربوا إليه بالإخلاص في أعمالهم وناطوا التعب بالدأب في صيامهم وأوصلوا لهيبته الجوع إلى أجوافهم مع خشن قاسوه على أبدانهم وحموا أنفسهم عن التمتع بما أحل لهم ويمموا إلى خلد دار نظروا إلى سرورها بأبصار اعتبارهم فسلموا جفون أعينهم على نواظر العيون وقد كحلوا بمضيض السهر وسلوا عن الغمض بطول الفكر فيما أمامهم من الأهوال العظام والأخطار الجسام فاستكنت كنايز الفكر في قلوبهم فكادت تتفطر عندما ازدحم عليها من هول يوم الوعيد.". (١)

١٣٥١-"٧٠ - حدثنا عبد الله قال: حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء**: «تيقظوا لأمر الله فقد. . ألسنة عنه. واحبسوا على أنفسكم ما يمر لها صفحا من العبر، وعلى أسماعكم لما يمر بها مختارا من المواعظ، وليحرك التخويف منكم خوفا، وليحدث التذكير لكم اعتبارا، أو ليزدكم ببغض الدنيا إليكم لها بغضا، ولمصارعها حذرا. وأغلقوا عليكم باب الأمل، فإنه يفتح عليكم باب القسوة. وأحلوا الخوف منكم محل الرجاء. وأمهدوا في دار مقامكم قبل الرحلة، وبادروا بذلك الموت، وحسرات الفوت، وضيق المضطجع، وهول المطلع، والموقف للحساب، فكأن قد أظلكم.

(١) صفة الجنة لابن أبي الدنيا ت نجم ص/٢٢٧

فبادروا في بقية آجالكم فناءها، وبصحبة أجسامكم سقمها. وكونوا من الله على حذر، ومن لقائه على عتاد. فاستدل مستدل بما يرى، أو اعتبر معتبر بما يسمع، أو نظر ناظر فأبصر، وفكر مفكر فانتفع. ولا. . حظوظكم من الله، فقد حضرت النقلة، وطال الاغترار»". (١)

١٣٥٢-"٩٩ - حدثنا عبد الله قال: حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء**: «احذر طول الأمل، فإنه سبب هلاك الأمم -[٨٠]-، ولا تدفع الواجب بالباطل فيدال منك سريعا، وكن في وقت الرحلة إلى الآخرة تغتبط بالعافية، وقصر رغبتك في الدنيا، فإن مدتك قريبة منك، والموت وارد عليك، وحاسب ساعاتك، فما كان لك من الحظ منها فاعمل به، وما ظننت. . فعجل الإقلاع عنه، ولا تأنس بما شغلك عن صلاح نفسك، وتوهم - إن كنت ناصحا لنفسك - أنك في قبرك قبل حلولك به، ليسقط عنك فضول الدنيا، وما لا حاجة لك به»". (٢)

١٣٥٣-"١٠٣ - حدثنا عبد الله قال: حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء**: «الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين»". (٣)

١٣٥٤-"١٩٢ - حدثنا عبد الله قال: حدثني الحسين بن عبد الله، قال: **قال بعض الحكماء**: «لم يفهم مواعظ الزمان من سكن إلى حسن الظن بالأيام» ، ما أحث السابق لو شعر به اللاحق. والعمر قصير، والسفر بعيد فاستغل أيامك بصلاح سفرك البعيد و. . . أهل. . . بالمكاسب بما جمعته قبل صيحة الأمر. . . عنه، فما أقرب ما. . . وأقل المكث فيما. . . .". (٤)

١٣٥٥-"٢١٣ - حدثنا عبد الله قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد القرشي، قال: حدثنا عتبة بن هارون، قال: **قال بعض الحكماء**: «رحم الله أمرأ أنبهته المواعظ، وأحكمته التجارب، وأدبته الحكم، ولم يغرره بسلامة يشفي به على هلكة، وأرحل عنه التسويف بعلمه بما فيه مما قطع به الناس مسافة آجالهم، فهجم عليهم من الموت وهم غافلون»". (٥)

---

(١) قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص/٦٤

(٢) قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص/٧٩

(٣) قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص/٨٢

(٤) قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص/١٣٠

(٥) قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص/١٤٢

١٣٥٦-"٢١٨ - حدثنا عبد الله قال: حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء**: «إياك والتسويف لما تهم به من فعل الخير، فإن وقته إذا زال لم يعد إليك»". (١)

١٣٥٧-"٣٢٠ - حدثنا عبد الله قال: حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: **قال بعض الحكماء**: "كيف تقر لي عين وتسكن لي جارحة إلى أمان أوثقه، وليس يقع طرفي إلا على منزل قد خلا ممن كان يسكنه، وحال منتقلة إلى غير من كانت له؟ قال: فأنا منتظر مثل حال من خلا، ومتوقع لنصيبي من البلى "". (٢)

١٣٥٨-"٤٧ - حدثني إبراهيم بن عبد الملك، عن شيخ من قريش قال: " **قال بعض الحكماء**: من كان الليل والنهار مطيته سارا وإن لم يسر "". (٣)

١٣٥٩-"١١٠ - حدثني علي بن أبي مريم، عن عبيد الله بن محمد القرشي، قال: " **قال بعض الحكماء**: الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوانح "". (٤)

١٣٦٠-"قال أبو بكر:

٤٧ - وحدثني بعض أهل العلم، قال: **قال بعض الحكماء**: «كما أن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما»". (٥)

١٣٦١-"وقال بعض السلف: القلوب تحتاج إلى قوتها كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء. **وقال بعض الحكماء** الحكمة خلة العقل، وميزان العدل، ولسان الإيمان، وعين البيان، وروضة الأرواح، وأمن الخائف، ومتجر الرابح وحظ الدنيا والآخرة، وسلامة العاجل والآجل ١.

فالحكمة عماد الأدب الموضوعي، والتطبيق الفعال، المثمر في نتائجه، وإن طال الطريق، وبعد المسير.

٤ - تقوية البصيرة:

البصيرة: هي الفطنة، والبصير بالأشياء أي العالم بها ٢.

والبصيرة هي أساس الوضوح وسلامة المنهج والطريق. قال تعالى في توجيه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في دعوة الخلق:

---

(١) قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص/١٤٤

(٢) قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص/١٩٩

(٣) كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا ص/٣٤

(٤) مداراة الناس لابن أبي الدنيا ص/٩٦

(٥) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص/٢٩

﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ ٣.
وخير وسيلة لتقوية البصيرة، وفطنة الفهم والتعقل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي بعد ذلك الحكم والأمثال التي انقدحت عن ذوي الألباب من أهل العلم والأدب والتجارب، قال صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما" ٤. وقال صلى الله عليه وسلم: "والحكمة الإصابة في غير النبوة" ٥.
قال بعضهم: الحكمة نور الأبصار، وروضة الأفكار ومطية الحلم، وكفيل النجاح وضمين الخير والرشد، والداعية إلى الصواب، والسفير بين العقل والقلوب، لا تندرس آثارها، ولا تعفو ربوعها، ولا يهلك امرؤ بعد عمله بها ٦.

---

١ المرجع السابق، ص (١٣) .
٢ ابن منظور لسان العرب (٤/٦٥) .
٣ سورة يوسف، آية رقم (١٠٨) .
٤ أحمد (١/٢٦٩) ، أبو داود (٥/٢٧٨-٢٧٩) ، ابن ماجه (٢/١٢٣٥-١٢٣٦) .
٥ البخاري (٣/٣٣) ، برقم (٣٧٥٦) .
٦ علي بن عبد الرحمن بن هذيل، عين الأدب والسياسة، ص (١٣) ." [(١)]

١٣٦٢-"١٤٧ - طارت عصافير رأسه
يضرب للمذعور، أي كأنما كانت على رأسه عصافير فلما ذعر طارت.
١٤٨ - طرف الفتى يخبر عن لسانه
ويروي عن ضميره. **وقال بعض الحكماء**: (لا شاهد على غائب أعدل من طرف على قلب) . قال الشاعر:
العين تبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بعض إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى تري من ضمير القلب تبيانا
١٤٩ - طوق عمله طوق الحمامة
أي لزمته الفعلة لزوم الطوق للحمامة لأنه لا يفارقها.
١٥٠ - طوى عنه كشحا
الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي. والكاشح: الذي يطوي كشحه على العداوة. يقال: طوى عني كشحا، وضرب عني صفحا، وأدرجني في طي النسيان. قال الشاعر:
وصاحب لي طوى كشحا فقلت له ... إن انطواءك هذا عنك يطويني
١٥١ - عاد الأمر إلى نصابه

---

(١) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية ص/٥٠٠

يضرب في الأمر يتولاه أربابه. والنصاب: الأصل.

١٥٢ – علمان خير من علم

يضرب في مدح المشاورة والبحث. قال الشاعر:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... وإن تكن أنت من أهل المشورات

١٥٣ – على الخبير ستقطت

الخبير: العالم ومعنى سقطت عثرت.". (١)

١٣٦٣–"وأما حديث زياد بن لبيد الأنصاري، فبالسند المتقدم، إلى الزين العراقي، أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا المسلم بن محمد، أخبرنا حنبل بن عبد الله، أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثني عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن زياد بن لبيد، قال: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قال: وذاك عند أوان ذهاب العلم قال: قلنا يا رسول الله، يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل، فلا ينتفعون مما فيهما بشيء.

أخرجه ابن ماجة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، فوقع لنا بدلا، ولله الحمد.

وبالسند إلى صاحب المجالس، قال: حدثنا إبراهيم بن سهلويه، حدثنا الحسن بن علي الخلال، قال: **قال بعض الحكماء**: مجالسة أهل الديانة، تجلو عن القلوب ضد الذنوب، ومجالسة ذوي المروءة تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تفتح ذكاء القلوب، ومن عرف تقلب الزمان لم يركن إليه، والله أعلم. [٣١/أ]

٣٥ – إملاء يوم الجمعة ١٢رمضان سنة ١١٩٠.". (٢)

١٣٦٤–"٩٤– ثنا أحمد ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا داود بن المحبر، حدثنا صالح المري عن جعفر

–ق٨أ–

بن زيد عن أنس بن مالك قال: يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان بن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا هـ.

(١) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل ص/٢٧٦

(٢) الأمالي لمرتضى الزبيدي – مخطوط (ن) ص/٨٣

٩٥- ثنا أحمد ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا ابن عائشة قال **قال بعض الحكماء إذا** استكمل العلم والعقل في القلب ظهرت الأخبار من القلوب وبانت الأفعال بقوة العزم هـ.

٩٦- ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم بن (غير واضح بالأصل) قال قال إبراهيم بن بشار الآية التي مات منها علي بن الفضيل هي في الأنعام "ولو ترى إذ وقفوا على ربهم" أو قال "إذ وقفوا على النار" ففي هذا الموضع مات وكنت ممن صلى عليه رحمه الله هـ.

٩٧- ثنا أحمد بن مروان ثنا علي بن الحسن قال سمعت أبي يقول **قال بعض الحكماء**: التواضع مع البخل خير من السخاء مع الكبر، وقال أيضا: إن لكل شيء صدأ وصدأ القلوب شبع البطون هـ.

٩٨- ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم بن نصر ثنا محمد بن الحسين قال قال شريح العابد كان في همدان رجل له فضل وعبادة قال رفعت إلى رقعة في منامي فإذا فيها تحل لمولاك بالطاعة (غير واضح بالأصل) له قناع ذل المخافة لعله يرى إهتمامك ببلوغ رضائه فيبوئك منازل الأبرار أو قال يورثك هـ.". (١)

"وفي «الخريدة»: أن الله تعالى خلق الخلق من أربعة أشياء: خلق الملائكة من نور والجان من نار والبهائم من ماء وآدم من طين.

وذكر الشيخ الأكبر (١): أن أول ما خلق الله تعالى من الحيوان النحلة وآخر ما خلق الله من الحيوان القرد، وأول ما خلق من النبات الكمأة، وأول ما يكون في الأرض المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم الأنسان وهو آخر مخلوق.

والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره وطويله وقصيره، ويجمع على أزمان وأزمنة. وقيل: هو عبارة عن حركات الفلك وتدخل فيه ساعات الليل والنهار، والساعات مقدرات بقطع الشمس والقمر درجات الفلك.

واليوم أصله أيوام (٢) وجمعه أيام ومعياره من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس (٣).

ذكر الإمام المطرزي في «المغرب»: أن السنة الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم إلا جزءا من يوم. والقمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس يوم وسدسه، وفصل ما بينهما عشرة أيام وثلث وربع عشر يوم بالتقريب على رأي بطليموس (٤).

وقال بعض الحكماء: قدر مدة الأعمار مع هدم الليل والنهار وقال: الليل والنهار (٥) غرسان يثمران للبرية صنوف البلية.

واختلفوا في البحار على أقوال:

أحدها: إنها خلقها الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض كما في جميع المياه.

---

(١) يقصد: محيي الدين بن العربي، والخبر عن ابن عربي في محاضرة الأوائل ١٤.

---

(١) حديث أبي القاسم عافية وغيره لأبي بكر بن المهندس - مخطوط (ن) ص/٣٥

(٢) في (ج): واليوم جمعه أيام وأصله أيوام، وما أثبتناه يتفق وما ورد في مرآة الزمان ١/ ٥١٥٠.

(٣) في (ب): من طلوع الشمس والفجر الثاني: وفي (ج): من طلوع الشمس أو الفجر الثاني.

(٤) الخبر في المغرب ٢٥٦.

(٥) ليست في (ب).." [1]

"جـ ١١ (ص: ٢٨١)

وذكر عبد الله بن خبيق (١) قال: قال لي يوسف بن أسباط: قال لي سفيان الثوري وهو يطوف حول الكعبة: والذي لا إله إلا هو، لقد حلت العزلة (٢).

وقال بعض الحكماء: الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، والعاشرة: عزلة الناس. قال: وعالجت نفسي على الصمت، فلم أظفر به، فرأيت أن العاشرة خير الأجزاء، وهي عزلة الناس.

قال أبو عمر: وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة، اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك، وإن كنت بين ظهرانيهم.

ذكر ابن المبارك (٣) قال: حدثنا وهيب بن الورد، قال: جاء رجل إلى وهب بن منبه، فقال: إن الناس قد وقعوا فيما فيه وقعوا، وقد حدثت نفسي أن لا أخالطهم. فقال: لا تفعل، إنه لا بد لك من الناس، ولا بد لهم منك، ولك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعا، أعمى بصيرا، سكوتا نطوقا.

وقال ابن المبارك في تفسير العزلة: أن تكون مع القوم، فإذا خاضوا في ذكر الله، فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك، فاسكت (٤).

قال أبو عمر: يشبه أن يكون من ذهب هذا المذهب، من حجته: ما حدثناه أحمد بن قاسم بن عيسى، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة، قال: حدثنا

---

(١) في الأصل، ي ١، م: "بن حبيق"، مصحف. وهو عبد الله بن خبيق الأنطاكي. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٤٦، وتكملة الإكمال لأبي بكر البغدادي ٢/ ٣٩٨.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٨٨، من طريق عبد الله بن خبيق، به.

(٣) أخرجه في الزهد (٩٥٥).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٣٧)، وفي العزلة (٨٨).." [2]

"جـ ١٣ (ص: ٣٢٨)

---

(١) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ @ ط عالم الكتب (١٠١٩) ١/ ١٣

(٢) التمهيد - ابن عبد البر - ت بشار ١١/ ٢٨١

حدثنا وهيب، قال: سمعت موسى بن عقبة، قال: سمعت أبا النضر يحدث عن بسر بن سعيد، عن زيد بن ثابت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة".

ورواه ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن أبي النضر، عن بسر، عن زيد مثله، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرفوعا. وهو حديث ثابت مرفوع صحيح، ومثله لا يكون رأيا. وإذا كانت صلاة النافلة في البيت أفضل منها في مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم-، لأنه عليه خرج هذا الخبر، فما ظنك بها في غير هذا البلد؛ ولهذا **قال بعض الحكماء**: إخفاء العمل نجاة، وإخفاء العلم هلكة. والمأمور بستره من أعمال البر النوافل دون المكتوبات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.." (١)

" والسقم وهو أخص من الحس فإن الحس تعرف ما يدركه الحس والجس تعرف حال ما من ذلك وجسه بيده جسا واجتسه ليتعرفه وجس الأخبار وتجسسها تتبعها ومنه الجاسوس لأنه يتتبع الأخبار ويفحص عن بواطن الأمور ثم استعير لنظر العين

الجسد كالجسم لكنه أخص لأن الجسد لا يقال لغير الإنسان ولأنه يقال لما له لون والجسم لما لا يبين له لون كالماء والهواء وباعتبار اللون قيل للزعفران جساد وثوب مجسد مصبوغ

وقال في البارع لا يقال الجسد إلا للحيوان العاقل وهو الإنسان والملائكة والجن ولا يقال لغيره جسد إلا للزعفران وللدم إذا يبس وقوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا أي ذا جثة على التشبيه بالعاقل أو بالجسم والجساد بالكسر الزعفران ونحوه من كل صبغ أحمر أو اصفر انتهى

وقال بعض الحكماء الجسد كل روح تمثل بتصرف الخيال المنفصل وظهر في جسم ناري كالجن أو نوري كالأرواح الملكية والإنسانية حيث تعطى قوتهم الذاتية الخلع واللبس فلا يحصرهم حبس البرازخ

الجسر بفتح أو كسر ما يعبر عليه مبنيا أم لا ." (٢)

" المسح إمرار اليد على الشيء وإزالة الأثر عنه وقد يستعمل في كل واحد منهما والمسح في تعارف الشرع إمرار اليد مبتلة بلا تسييل

المسخ تحويل صورة إلى أقبح منها وقيل تشويه الخلق والخلق وتحويلهما من صورة لأخرى **قال بعض الحكماء** المسخ ضربان

مسخ خاص يحصل نادرا وهو مسخ الخلق

ومسخ يحصل في كل زمن وهو مسخ الخلق وذلك أن يصير الإنسان متخلقا بخلق ذميم من أخلاق الحيوان

---

(١) التمهيد - ابن عبد البر - ت بشار ١٣/٣٢٨

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف @ ط الفكر المناوي، عبد الرؤوف ص/٢٤٤

المس ملاقاة ظاهر الشيء ظاهر غيره قاله الحرالي وقال غيره اجتماع التقاء بزمن من غير نقصان وقال الراغب المس كاللمس لكن قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد والمس يقال فيما معه إدراك بحاسة اللمس وكني به عن النكاح وكني بالمس عن الجنون والمس يقال في كل ما ينال الإنسان من اذى بخلاف اللمس ." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٣٠ """""""

يعني يسير السواد والخد وتشريب البياض بيسيرها ، ودق منها الحاجب والأنف والسنان والخصر ، وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق ، واتسع منها الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج ، فهذه أوصاف بها جماع الحسن إذ كل ما خرج عن ذلك كجعودة الشعر واستدارة الوجه ونعومة البدن راجع إليها ، وإنما العبارات الكثيرة تفنن في الأوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج .

وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه ، وخلقه واسمه . قيل وصوته . حكى بعض المفسرين في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت .

وقال سقراط إذا حسن الله وجهك فلا تصف إليه قبيح المعاصي أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين .

وقال عليه الصلاة والسلام إن الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبا لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الأنبياء عليهم السلام أكمل الناس لأن غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتقاء موجبهما فيهم . وأوتي يوسف شطر الحسن ، وأما نبينا (صلى الله عليه وسلم) محاسن الأخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذي تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذي حد جائر وإذا لم." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٣٤ """""""

فصل في خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين

أعلم أن مدار تلون البدن أما على الخلط أو شدة الحرارة أو ما تركب منهما والأول يلزم حالة واحدة أما البياض في البلغم أو الحمرة في الدم أو الصفرة في الصفراء أو السواد في السواد وما تركب بحسبه مع مراعاة الطواريء كقرب الشمس أو جبل أو سد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الأطباء بالألوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثاني يلزم السمرة وإن أغلب البلغم وأما الثالث فهو الذي تناط به أمثال هذه الأحكام وحاصل القول فيه أن الجلد شفاف يحكى ما تحته وأن الباعث إليه الاخلاط هو الحرارة فهي كالنار إن اشتدت صعدت ما لاقته وموضعها القلب ومحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها أما إلى داخل دفعة أو تدريجيا أو إلى خارج كذلك أو إليهما وموضع بسطه الحكمة والذي يخصنا من ذلك هنا أن نقول أن استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطاني حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد إلا محبة العشق فلا حد لها وقال بعضهم إن تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة إلا أنه لا يطفئها كل هواء إذا تقرر هذا وجمع إلى ما قررناه من

(١) التوقيف على مهمات التعاريف @ ط الفكر المناوي، عبد الرؤوف ص/٦٥٥

(٢) تزيين الأسواق في أخبار العشاق @ ط عالم الكتب داود الأنطاكي ١٣٠/٢

مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لأن الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة إلى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لاخماد الحرارة أو جذبها إلى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم إذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٧٤ """""""

عجبت من إبليس في كبره . . . وخبث ما أظهر من نيته

أبى على آدم في سجدة . . . وصار قوادا لذريته

قال بعض الأدباء :

كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على إبليس فكثرت فيه الأقوال من الشعراء :

لطيفة ووصية

قال بعض الحكماء لولده ونقله في الأحياء لا تتزوج حنانة يعني إلى ولدها الذي من الزوج السابق ولا منانة يعني ذات المال التي تعطي الزوج شيئا ثم تمن به عليه ولا أنانة يعني زوجها الأول وعليها نقل في تحفة العروس أن الغدور بنت قيس بن خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيط بن زراره لم تزل تظهر الأسف على لقيط فحنق عمرو وقال لهاك ويلك إنه لم يجيء من بعض عبيدي فصفى لي بعض ما رأيت من حسنه . قالت تطيب يوما وجلس يتناول الشراب ولم يوقظني شفقة حتى انتبهت فأركبني وخرج إلى الصيد والزهو فلاحت غابة فيها أسدان فشد حتى قتل واحدا ورجع إلي فضمني ضمة وددت لو مت فيها ففعل عمرو ذلك وضمها . قال : أين أنا من لقيط . فقالت : ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وهو مثل سبق تقريره .

وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب وإلا احتقرتك ولتكن هي فوقك بالصبر والجمال والآداب وإلا احتقرتها .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٧٥ """""""

عجيبة قيل أعظم الولائم الإسلامية اثنتان : إحداهما وليمة زفاف الرشيد على زبيدة كانت الهبات فيها غير محصورة حتى أنهم كانوا يهبون أواني الذهب مملوءة بالفضة وأواني الفضة مملوءة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت في درع من الدر لم يقدر أحد على تقويمه وضبط ما خرج فكان خمسا وخمسين ألف ألف وثانيتهما وليمة بوران على المأمون فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللالي ما أغنى خلقا كثيرا قال شارح المقامات تقرر ما خرج من بيت المال فكان أربعين ألف ألف وقال غيره عن زبيدة سبعة وثلاثين وأوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلا وكتب رقاعا بأسماء ضيع ورساتيق وصلات وجعلها في بنادق المسك في النثار فكان الذي يلتقط شيئا منها يحبس عليه وقيل كان الحطب الذي أوقد

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق @ ط عالم الكتب داود الأنطاكي ١٣٤/٢

(٢) تزيين الأسواق في أخبار العشاق @ ط عالم الكتب داود الأنطاكي ٢٧٤/٢

فيها قد نقل بأربعة آلاف بغل أربعة أشهر فلم يكف حتى أوقد المكان .

فائدة

في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه وأن يكرمه أخوه فيرده عليه كرامته وأن يقارب المرأة فيصيبها قبل أن يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فإن أبقراط يقول أكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع في المحاق وأول الشهر ما عدا رمضان قل وليلة النصف .

لطيفة ووصية

قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير وأكثرت التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذي لم يكل المرأة إلى طلب." (١)

"حديث ليس بثابت» قال الشيخ تاج الدين الفاكهانى «وهذه من المسائل التى لا يترتب على الخلاف فيها كبير فائدة ومثل ذلك الخلاف فى أن الأرض كروية أو سطحية إذ ليست باعتقادية ولا عملية». انتهي، وقول من أستدل على أن السماء سطحية بقوله تعالى

(وجعلنا السماء سقفا محفوظا) ضعيف كقول من احتج على أن الأرض سطحية بقوله تعالى: (والأرض فرشناها فنعم الماهدون) لأن الكرسى إذا اتسع قطره وصار سطحيا وقد أقام أرباب علم الهيئة البرهان على أن أعظم جبل فى الدنيا كالشعيرة بالنسبة إلى اتساعها، وهذا مبرهن عليه فى فنه، ولا يناسب ذكره هنا، وذكر المقريزى أن الأرض جسم مستدير كالكرة، وقيل ليست بكرة وهى واقفة فى الهواء بجميع جبالها وبحارها، وعامرها وغامرها، والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالمخ فى جوف البيض، وبعدها من السماء متساو من جميع الجهات، وأسفل الأرض بالحقيقة هو عمق باطنها مما يلى مركزها من أى جانب كان، وذهب الجمهور إلى أن الأرض كالكرة موضوعة فى جوف الفلك كالمخ فى البيض، وإنها فى الوس، وبعدها من الفلك من جميع الجوانب على التساوى وزعم هشام بن الحكم: أن تحت الأرض جسما من شأنه الارتفاع، وهو المانع للأرض من الانحدار وهو ليس محتاجا إلى ما بعده أنه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع، وقال آخر: إن الله تعالى أوقفها بلا عماد. **وقال بعض الحكماء**: إنها تقوم فى الماء، وقد حصر الماء تحتها. حتى لا يجد مخرجا فيضطر إلى الانتقال. وقال آخر هى واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب، والفلك يجذبها من كل وجه؛ فلذلك لا تميل إلى ناحية من الفلك دون أخرى لأن قوة الأجزاء متكلفة، وذلك كحجر المغناطيس فى جذبه الحديد فإن الفلك بالطبع مغناطيس الأرض فهو يجذبها فهى واقفة فى الوسط كما إذا وضعت ترابا فى قارورة وأدرتها بقوة فإن التراب يقوم فى الوسط. وقال محمد بن أحمد الخوارزمى: الأرض فى وسط السماء، والوسط هو السفل بالحقيقة، وهى مدورة مضربة من جهة الجبال

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق @ ط عالم الكتب داود الأنطاكي ٢/٢٧٥

البارزة والوهدا والغديرة وذلك لا يخرجها عن الكرية إذا اعتبرت جملتها لأن مقاديرها وإن شمخت يسيرة بالقياس إلى كرة الأرض، وإن الكرة التى قطرها ذراع أو ذراعان مثلا إذا انتابها شئ وغار فيها لا يخرجها عن الكرة، ولأن." (١)

"عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٣، ص: ٤٨٦

للعهد، والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتاب بحفظه عن التغيير، ويشهد لها بالصحة والثبات، وقرئ على بنية المفعول أي هو من عليه وحوفظ من التحريف، والحافظ له هو الله سبحانه وتعالى، أو الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما أنزل الله أي بما أنزل الله إليك ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه فعن صلة للا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف، أو حال من فاعله أي لا تتبع أهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة شريعة، وهي الطريق إلى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية، وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الأمر إذا وضح، واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع

إن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق بعرفه ذوو الألباب

والحافظ قال:

مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد

والشاهد أيضا وهاؤه أصلية وفعله هيمن وله نظائر ببطر وحيمر وسيطر، وزاد الزجاجي بيقر، ولا سادس لها، وقيل إنها مبدلة من الهمزة، ومادته من الأمن كهراق، وقال المبرد وابن قتيبة أن المهيمن أصله مؤمن، وهو من أسمائه تعالى فصغر، وأبدلت همزته هاء، وخطئ فيه حتى نسب إلى الكفر لأن أسماء الله تعالى لا تصغر، وكذا كل اسم معظم شرعا. قوله: (وقرئ على بنية المفعول) أي بفتح الميم وهي شاذة رويت عن مجاهد وابن محيصن، وعلى هذه القراءة لا يكون فيه ضمير، وضمير عليه يعود إلى الكتاب الأول، وعلى قراءة كسر الميم فيه ضمير يعود إلى الكتاب الثاني، ومحافظة الحفاظ بتوفيق الله لهم فهي محافظة من الله أيضا، وقوله: بحفظه عن التغيير أي بسبب أن القرآن محفوظ عن التغيير، وهو شاهد على صحة غيره من الكتاب السماوية فكان رقيبا عليها دالا على ما فيها من الأحكام والتوحيد، وليس المعنى أنه حفظ الكتاب عن التغيير حتى يعترض بأنه وقع فيها ذلك كما نطق به القرآن فلا وجه لكونه حفظها منه كما توهم. قوله: (فعن صلة لا تتبع الخ) لأن أهواءهم مائلة وزائغة عن السبيل المستقيم فاتباعها انحراف وميل أو هو حال متعلق بمائلا أو عادلا أو حال من أهواءهم أي منحرفة، وتقديره التضمين بما ذكر أحد الطرق فيه، وقد مر تفصيله في سورة البقرة فارجع إليه وقوله أيها الناس إشارة إلى عموم الخطاب الشامل لما مضى، ومن بعدهم. قوله: (وهي الطريق إلى الماء) وجه الشبه بينها وبين الدين ظاهر فهو استعارة تحقيقية، وقوله الأبدية إن كان من وجه الشبه يكون وجهه في المشبه أقوى، وقال الراغب سميت الشريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة والصدقة روي، وتطهر، وأعني بالري ما **قال بعض الحكماء** كنت

---

(١) تهنئة أهل الإسلام بتجديد بيت الله الحرام @ط الباز (١٠٧٩) ص/٢١٣

أشرب فلا أروي فلما عرفت الله رويت بلا شرب، وبالتطهير ما قال تعالى:

ويطهركم تطهيرا [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣] والمنهاج الطريق الواضح، والعطف باعتبار." [١]

"قال (١): (الطويل)

تسنمتها غضبى فجاء مسهدا ... وأنفع أولاد الرجال المسهد

وقال المبرد في «الكامل» (٢): يقال: أنجب الأولاد ولد الفارك، وذلك لأنها تبغض زوجها، فيسبقها بمائه، فيخرج الشبه إليه، فيخرج الولد ذكرا.

وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن تنجب المرأة فأغضبها، ثم قع عليها، فإنك تسبقها بالماء. وكذلك ولد الفزعة، كما قال أبو كبير. وأنشد البيتين.

وقوله: «حملت به في ليلة مزؤودة» هي مفعولة من زأدته أزأده زأدا، أي:

أفزعته وزئد فهو مزؤود، أي: مذعور، وهو بالزاي والهمزة والدال.

قال المبرد في «الكامل» (٣): مزؤودة ذات زؤد وهو الفزع. فمن نصب مزؤودة، فإنما أراد المرأة، ومن خفض أراد الليلة.

وجعل الليلة ذات فزع، لأنه يفزع فيها قال الله تعالى (٤): ﴿«بل مكر الليل والنهار»﴾، والمعنى بل مكركم في الليل والنهار.

وقال جرير (٥): (الطويل)

* ونمت وما ليل المطي بنائم *

وقال آخر (٦): (الرجز)

---

(١) البيت بلا نسبة في شرح أبيات المغني ٨/ ٨٤وشرح الحماسة للتبريزي ١/ ٤٢وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٨٦والكامل في اللغة ١/ ٧٧.

(٢) الكامل في اللغة ١/ ٧٩.

(٣) الكامل في اللغة ١/ ٧٩وشرح أبيات المغني ٨/ ٨٤.

(٤) سورة سبأ: ٣٤/ ٣٣.

(٥) عجز بيت لجرير وصدره:

* لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى *

والبيت لجرير في ديوانه ص ٩٩٣والكتاب ١/ ١٦٠والكامل في اللغة ١/ ٧٩ولسان العرب (ربح). وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/ ٦٠والإنصاف ١/ ٢٤٣وتخليص الشواهد ص ٤٣٩والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٢٢والمحتسب ٢/ ١٨٤والمقتضب ٣/ ١٠٥، ٤/ ٣٣١.

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي@ ط العلمية الشهاب الخفاجي ٣/٤٨٦

(٦) الرجز لرؤبة في ديوانه ص ١٤٢والمحتسب ٢/ ١٨٤. وهو بلا نسبة في الكامل في اللغة ١/ ٧٩والمقتضب ٣/ ١٠٥.." (١)

"صلتان أعداؤه حيث حلوا ... في حديث من عرفه مستفاض (١)

قال التبريزي (٢) في شرحه: «أهل اللغة يزعمون أنه لا يقال إلا حديث مستفيض، والقياس لا يمنع أن يقال مستفاض، وهو من فيض الماء. فإذا قيل مستفيض فمعناه مشهور. واستفاض الناس في الحديث وأفاضوا فيه، وحديث مستفيض ومستفاض منه، ومفاض منه على الحذف والإيصال. ويمكن أن يكون استفاض الحديث من فوضت إليه الأمر وتكون الياء منقلبة عن الواو كمستعين» انتهى.

(فرفير):

قال بعض الحكماء: «في القمر سراج ليلي فرفير الفلك». قال ابن هند:

«وفي الحكمة الروحانية عندهم أن القمر من بين الكواكب ناقص النور فلهذا يرى نوره الخاص إلى السواد مائلا. والفرفير باللغة الرومية هو لون يقرب من الكحلي إلا أنه أشبع» قلت فعربوه ولم أره في كلام العرب ولا في غير هذا الكتاب.

(فرخ):

أهل المدينة يكنون عن اللقيط بالفرخ. وكان جعفر بن يحيي يكنى الفضل ابن الربيع «أبا روح»، يريد به اللقيط وذلك لأنه كنية الفرخ. وكذلك يكنون عن الدعي بالقدح الفرد، لقول حسان: [من الطويل]:

وأنت دعي نيط في ال هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد (٣)

وإليه يشير القائل: [من البسيط]:

أراك تظهر لي ودا وتكرمة ... وتستطير إذا أبصرتني فرحا

وتستحل دمي إن قلت من طرب ... يا ساقي القوم بالله اسقني قدحا

أي إذا استدعيت القدح خيل له أني عرضت به لأنه دعي. كذا قاله الثعالبي ولولا تفسيره بهذا نقلا لاحتمل معنى اخر.

(فجرم):

بمعن الجوز، نقل في كلام منثور لذي الرمة، وفسره به أبو المياس. قال القالي: «ولم أر هذه الكلمة في كتب اللغويين».

---

(١) أبو تمام: الديوان (شرح التبريزي)، ج ٢ص ٣١١.

(٢) التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، ج ٢ص ٣١١وفيه ورد بيت أبي تمام بشيء من التحريف، وهو «من عزمه» بدل «من

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي @ ط العلمية عبد القادر البغدادي ٨/٢٠٣

عرفه».

(٣) حسان بن ثابت: الديوان، ص ٨٩، وفيه ورد «زنيم» بدل «دعي».." [1]

"بقية السيف : قال علي [كرم الله وجهه] بقية السيف أنمى ولدا ، وأكثر عددا ، وقد وجد ذلك في ولده ، وولد المهلب ، وذلك أنه قتل مع الحسين جميع أهل بيته ، فلم ينج إلا علي بن الحسين ؛ لصغره ، فخرج من صلبه الكثير الطيب ، ومكث آل المهلب بعد قتل يزيد وأخيه (١) نيفا وعشرين سنة لا يولد فيهم أنثى ، ولا يموت ذكر .

بقلة الذئب : هي اللحم ؛ لأن الذئب لا يحوم حول شيء من النبات ، وإنما بقلة اللحم ، قال :

... الخبز أفضل شيء أنت آكله ... ... وأفضل البقل بقل الذئب يا صاح

بقية قوم موسى : يضرب للملل وقلة الصبر ، فإنهم لم يصبروا على طعام واحد ، قال أبو نواس :

... أيا من ليس يكفيها حليل ... ... ولا ألفا حليل كل عام

... أراك بقية من قوم موسى ... ... فهم لا يصبرون على طعام

/ بكاء الثكلى : يشبه به البكاء الشديد ، قال : ... ... ١٢ ب

... ولأبكين على الحسين ... ... بدمع جم الدمع ساهر

... ولأبكين بكاء ثك ... ... لى تسعة فجعت بعاشر

بكر هبنقة : في المثل : هو أروى من بكر هبنقة وهو يزيد بن ثروان ، المضروب به المثل في الحمق ، كان له بكر يصدر مع الصادر وقد روي ، ثم يرد مع الوارد قبل أن يصل إلى الكلأ ، فصار ذكره مثلا في الحمق .

بكور الغراب : المثل به سائر ، قال بعض الحكماء : تعلموا من الغراب بكوره ، وحذره .

بكر الدهر : قال الصولي :

... ... وليلة من الليالي الغر ... ... قابلت فيها بدرها ببدري

... ... لم تك غير شفق وفجر ... ... حتى تولت وهي بكر الدهر

بكاء السرور : إذا أفرط السرور أبكى ، وﷺذا أفرط الغم أضحك ، قال المتنبي :

... ... [ومن السرور بكاء] (٢)

[وقال آخر] : ...

---

(١) كتبت : وإخوته ، وما أثبتناه من الثمار ، ص ٦٢٥ ، الفقرة ١٠٣٨

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من الثمار ، ص ٦٦٥ ، الفقرة ١١٣٣ ، وهو جزء من عجز بيت لأبي الطسيب المتنبي ، وتمامه : ... ... ولجدت حتى كدت تبخل حائلا ... للمنتهى ومن السرور بكاء." [2]

---

(١) شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل @ ط العلمية (١٠٦٩) ص/٢٣٠

(٢) عماد البلاغة @ ت عويضة المناوي، عبد الرؤوف ص/٣٢

"... تصد وتبدي عن أسيل وتتقي ... ... بناظرة من وحش وجرة مطفل

أو قابلته بقول ابن الرقاع :

... فكأنها بين النساء أعارها ... ... عينيه أحور من جآذر جاسم

رأيت إسراع القلب إلى قبول هذين البيتين .

جبار بني العباس : الرشيد ، لأنه أغزى ابنه القاسم الروم ، فقتل خمسين ألفا ، وأخذ خمسة آلاف دابة ، وأغزى علي بن عيسى بن ماهان بلاد الترك ، فقتل أربعين ألفا ، وسبى عشرة آلاف ، وأسر ملكين منهم ، ثم غزا بنفسه ففتح هرقلة ، وأخذ الجزية من ملك الروم ، ولم يخلف أحد ما خلف من المال والأثاث والجواهر .

جبن الصفرد : يضرب لجبن الضعيف ، وزعم أبو عبيدة أن هذا المثل مولد ، والصفرد طائر من خشاش الطير ، وقد تمثل به من قال :

... تراه كالليث لدى أمنه ... ... وفي الوغى أجبن من صفرد

جرأة الأسد : يتمثل بها حتى الصبيان والنسوة ؛ لأنه سيد السباع ، كما أن العقاب سيد الطير ، والفرس سيد الدواب ، قال نصر ابن سيار : عظماء الترك تقول ، ينبغي أن يكون في القائد العظيم عشر خصال من أخلاق الحيوان : جرأة الأسد ، وختل الذئب ، وروغان الثعلب ، وحملة الخنزير ، وصبر الكلب على الجراحة ، وتختن الدجاجة ، وسخاء الديك ، وحذر الغراب ، وحراسة الكركي ، وهداية الحمام .

جرأة الذباب : يضرب بها المثل ؛ لأنه يقع على فم الأسد والملك ، ولا يتقي شيئا /١٨ ب

جريعاء الذقن : يضرب للمفلت من الهلاك ، قال الشاعر :

... ملنا على وائل وأفلتنا ... ... أخو عدي جريعة الذقن

جرح اللسان : **قال بعض الحكماء** : جرح اليد يجبر ، وجرح اللسان لا يبقي ولا يذر ، وقال :

... جراحات السيوف لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

جري المذكيات : يضرب به المثل في المغالبة ، والذكي الذي جاوز سن الفتى من الخيل ، ولم يبلغ الهرم ، وقد تكامل نشاطه ، وهو أقوى من الجذاع (١) ، فيحتمل أن يغالب به في الجري .

---

(١) الجذاع : جمع جذع ، اسم الجمل في سن الخامسة." (١)

"رأس العصا : قال لصغير الرأس ، وكان عمربن هبيرة صغير الرأس جدا، فقال فيه سويد :

من مبلغ رأس العصا أن بيننا ضغائن لاتنسى وإن هي جلت

رضيت من العيش القليل ولم تكن ... أخا راضيا لو أن نعلك زلت

رأي النساء : يضرب به المثل في الوهن والخطأ، قال :

---

(١) عماد البلاغة @ ت عويضة المناوي، عبد الرؤوف ص/٤٧

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما رأي النساء وإمرة الصبيان

أما النساء فميلهن إلى الهوى وأخو الصبا يجري بغير عنان

راكب الفيل :سمع البحتري قول الشاعر: "من مجزوء الرمل"

ومغن يتغنى بطعام وشراب

فإذا رمنا سكوتا فبمال وثياب

(فقال: مثل هذا كمثل راكب الفيل، يركب بدانق وينزل بدرهم)

راكب اثنين : يضرب لمن يعتمد على شيئين فلا يحصل منهما على شيء، ويتضرر بذلك؛ قال الشاعر (١) : "من البسيط"

أضحى حريث أدام الله صرعته كراكب اثنين يرجو قوة اثنين

حتى إذا أخذا في حال شوطهما تفرقا فهوى بين الطريقين

طال الزمان ولم يظفر بحاجته كذاك حال الذي يدعو إلهين

راغية البكر : في المثل : كانت عليهم كراغية البكر ، أي استؤصلوا ، يعنون رغاء بكر ثمود حين عقروا الناقة ، قال أوس بن حجر:

رغا البكر فيهم رغوة حين أدبروا فما كان عنهم رغوة البكر تقلع

وإنما ضرب البكر مثلا للحرب.

راكب الأسد : يضرب لمن يهاب إنسانا ، وهو يهابه ، قال (٢) :

... ولا تكن كراكب الليث كي يهاب وأنت له أهيب .

ربذة الحقب : يضرب للشيء النادر الذي لا يتفق مثله في الأحقاب .

رجل الطاووس : ... يضرب لما يستقبح من جملة حسنة، وللعوذة فيما تكثر محاسنة، وذلك أن رجله قبيحة جدا ، وهو حسن ، قال الصاحب : "من الوافر"

أبوك أبو علي ذو علاء إذا عد الكرام وأنت نجله

وإن أباك إذ تعزى إليه لكالطاووس تقبح منه رجله

وقول المتنبي في تفضيل بعض الشيء على كله: "من الوافر"

---

(١) كتبت : قال الأصمعي ، وما أثبتناه من ثمار القلوب ،

(٢) في ثمار القلوب ، ص ٣٨٣ : **قال بعض الحكماء** : صاحب السلطان كراكب الأسد ، يهابه الناس ، وهو لمركبه أهيب .." (١)

---

(١) عماد البلاغة @ ت عويضة المناوي، عبد الرؤوف ص/٩٠

"سكر الشباب :

السكر ثلاثة: سكر الشباب، والولاية، والشراب –وهو أهونها.

وقد بلغ بهذه السكرات خمسا من قال: "من الخفيف"

سكرات خمس إذا مني المر ء بها صار أكلة للزمان

سكرة المال والحداثة والعش ق وسكر الشراب والسلطان

سكر الولاية : من أبيات التمثيل والمحاضرة، قول ابن المعتز: "من مجزوء الكامل"

سكر الولاية طيب وخماره صعب شديد

كم تائه بولاية وبعزله ركض البريد

وقال آخر: "من الوافر"

سكرت بإمرة السلطان جدا فلم تعرف عدوك من صديقك

رويدك من طريق صرت فيه فإن الحادثات على طريقك

/ سلى الجمل : العرب تقول في بلوغ الشدة منتهى غايتها: وقعوا في ٤٢ ب سلى جمل: أي في لا مثل له، لأن السلى إنما يكون للناقة لا للجمل.

و سلى الجمل، كما يقال: لبن الطير، ومخ الذر، وحلم العصفور ؛ كل هذا يضرب لما لايكون .

سلاح الحبارى : يضرب للضعيف يستعين بالآلة اللئيمة على مقارعة من هو أقوى منه، وربما يغلبه بها، وذلك أن الحبارى سلاحها سلاحها: إذا أراد الصقر صيدها فهي ترميه بذرقها فيدبق جناحيه، ويعطل طيرانه، حتى تجتمع عليه الحباريات، فينتفن ريشه ، فيموت الصقر؛ وإليه أشار المتنبي بقوله: "من البسيط"

فلا تنلك الليالي إن أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب

ولا تعن عدوا أنت قاهره فإنهن يصدن الصقر بالخرب

وما أحسن ما قال أبو فراس: "من الطويل"

ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو

سلم الشرف : **قال بعض الحكماء** "البلغاء": التواضع سلم الشرف.

وقال آخر: التواضع من مصايد الشرف.

سليك المقانب : هو سليك بن السلكة، كان أسود ، وأمة سوداء، وهو أحد أغربة العرب ، وأعدى الناس، لايشق غباره، وممن ضرب به المثل في ذلك أبو تمام بقوله:

مفازة صدق لو تطرق لم يكن ليسلكها فردا سليك المقانب

سماحة الديك: قولهم: أسمح من اللاقطة، قيل: هي الحمامة، لأنها تخرج ما في حوصلتها لفرخها. وقيل : الديك لأنه يأخذ الحبة بمنقاره فيلقيها للدجاجة،." (١)

"فقه أبي حنيفة : قيل : أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا: أبو حنيفة في فقهه، والخليل في أدبه، والجاحظ في تأليفه، وأبو تمام في شعره. وقد ضرب ابن طباطبا المثل بفقه أبي حنيفة ، فقال، يهجو الرستمي:

كفرا بعلمك يابن رستم كله وبما حفظت سوى الكتاب المنزل

/لو كنت يونس في دوائر نحوه أو كنت قطرب في الغريب المشكل٦١أ

وحويت فقه أبي حنيفة كله ثم انتميت لرستم لم تنبل

فلق الصبح : في المثل : أبين من فلق الصبح؛ و من عمود الصبح ، قال أبو تمام: "من الكامل"

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصبح عمودا

فلوس بخارى : أهلها يتعاملون بالفلوس، فضرب بها بشار المثل في قوله: "من البسيط"

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته فإنه عربي من قوارير

إن جاز آباؤه الأنذال من مضر جازت فلوس بخارى في الدنانير

فم الفتنة : **قال بعض الحكماء**: من سد فم الفتنة كفي شرها، ومن أضرم نارها صار طعاما لها. واستعارات الفم كثيرة

قال ابن المعتز:

حلوت بأفواه النوائب بعده فما تشبع الأيام والدهر من أكلي

وقال أيضا:

وألسنة من العذبات حمر تخاطبنا بأفواه الرماح

فجادت ليلها سحا وهطلا وتسكابا كأفواه الجراح

وقال السلامي:

يحلو بافواه الأنامل صفعه حتى كأن قذاله من سكر

فم الأسد : يضرب للشيء الصعب المرام؛ قال:

ومن يحاول شيئا من فم الأسد

حرف القاف

قاب العقاب

مقدار مطارها في الهواء علوا ، قال ابن الرومي: "من الخفيف"

طار قوم بخفة العقل حتى لحقوا رفعة بقاب العقاب

قادمة الجناح : يضرب لتفضيل بعض الشيء على كله، كما يقال: واسطة العقد، ودرة التاج. قال ابن هرمة (لعبد الواحد

(١) عماد البلاغة @ ت عويضة المناوي، عبد الرؤوف ص/١٠٢

بن سليمان بن عبد الملك) : "من الوافر"

أعبد الواحد المرجو إني أغص حذار سخطك بالقراح

وجدنا غالبا كانت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح

قالها ، وعنده عبد الله بن حسن ، فلما فرغ قال له: قبحك الله ، إذ كان أبوه قادمة الجناح فما تركت لنا! قال: يا ابن رسول الله، أما سمعت قولي :." (١)

"وشتان بين هذه القشور والقشور التي ذكرها اللحام بقوله: "من الطويل"

ويبرز للرائين وجها كأنما كساه إهابا من قشور الخنافس

قصر غمدان : يتمثل به في الوثاقة و الحصانة ، وكان بصنعاء سكنه ملوك حمير، ثم خرب، وتحول الملك عنه إلى قلعة كحلان. وقيل: إن غمدان أول بناء بني بعد الطوفان؛ قال الشاعر لا بن طاهر: "من البسيط"

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا بشاذ مهر ودع غمدان لليمن

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه من هوذة بن علي وابن ذي يزن

قطب السرور : الخمر ، قال السري: "من المنسرح"

الكأس قطب السرور والطرب فاحظ بها قبل حادث النوب

/ قطيفة المساكين : الشمس في الشتاءوفيها قيل : "من الرجز"

يا شمس يا قطيفة المساكين قربك الله كما تعودين

قلب العسكر : يستعار ، وكذا قلب النخلة ، وقلب الشتاء ، واستعار بشار القلب للدن ، فقال :

شربنا من فؤاد الدن حتى تركنا الدن ليس له فؤاد

واستعار اللحام القلب للسماحة، فقال:

يا مهجة المجد يا قلب السماحة يا روح المعالي وعين الظرف والأدب

اليوم يرهبني من كنت أرهبه واليوم أطلب دهرا كان في طلبي

قلع الصمغة : يضرب في الاستئصال، لأن الصمغ إذا قلع انقلع كله؛ ولم يبق له أثر،

قال الحجاج لأنس بن مالك : لأقلعنك قلع الصمغة ،

قمر المقنع : كان رجلا من (أهل) مرو، أعور، يقول بالحلول والتناسخ ، ويضرب في النيرنجيات بسهم ، فاتخذ وجها من ذهب، وأغوى كثيرا ، واشتدت شوكته ، ومن مخاريقه أنه احتال حتى أظهر في الجو قمرا، يقال: إنه عكس شعاع الزئبق ولما كانت (سنة) ثلاث وستين ومئتين، استعمل المهدي المسيب على خراسان وأمره بمحاربتة

وناصبه الحرب، وتحصن المقنع، فلما أحسن استيلاء المسيب على الحصن جمع نساءه وقال: أنا صاعد إلى السماء فمن

---

(١) عماد البلاغة @ ت عويضة المناوي، عبد الرؤوف ص/١٤٠

أراد(أن) يصحبني فليشرب من هذا الشراب؛ وسقاهن شرابا مسموما، فمتن ومات .

قمع الفؤاد : قال بعض الحكماء: الأذن قمع الفؤاد.." [1]

"مخاط الشيطان : الخيوط التي تتراءى في الهواء عند شدة الحر، ويقال لها أيضا : لعاب الشمس، ويشبه به ما لا حاصل له، ولا طائل فيه.

مخ الأطعمة : السكباج: مخ الأطعمة ، إذا طبخت اللحم بخل العنب حمل عن المعدة ثلث المؤونة. قال بعض الخلفاء لجاريته ، يعرض بها: إلى سكباج! قالت: مخ الأطعمة، لا يكره بارده، ولا يمل حاره، بل يستطاب في الحضر، ويتزود منه في السفر؛ ولايؤثرفي الشتاء والصيف. فضحك ووصلها .

/ مخ الذر (١) : يضرب في العسر والنكد، فيقال: أعسر من مخ الذر، كما يقال:٧٢ أ أنكد من صوف كلب، قال ابن الرومي: "من السريع"

رمت نداكم يا بني طاهر فرمت مخ الذر في عسرته

أملت من رفد سليمانكم ما أمل المعتز من نصرته

مخ البعوض : في المثل : كلفته مخ البعوض؛ أي ما لا يطيق ولا يوجد ؛ قال ابن أحمر: "من السريع"

كلفتني مخ البعوض فقد أقصرت لا نجح ولا عذر

وقال ابن عروس في طفل مات: "من الوافر"

ولو أيقنت أن ستموت قبلي صغير السن كالرشأ الغضيض

أبحتك كل ما تحويه كفي ولو كلفتني مخ البعوض

مخراق لاعب :

في المثل ، هو سيفلاعب، لا سيف محارب؛ قال ابن كلثوم: "من الوافر"

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي اللاعبينا (٢)

مدرجة الشرف : قال أكثم بن صيفي: المناكح الكريمة مدارج الشرف.

مر السحاب : يمثل به للسرعة؛ قال بعض الحكماء: الفرص تمر مر السحاب؛ وقد مثل به الأعشى فقال: "من البسيط"

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

---

(١) كتبت : مخ نملة ، وما أثبتناه من ثمار القلوب ، ص ٤٤٠

(٢) ذكر بدل هذا البيت البيتين التاليين ، وهما مما ورد في فقرة : منطقة الجوزاء ، انظر المقرب ، ص ٦٣٢

---

(١) عماد البلاغة @ ت عويضة المناوي، عبد الرؤوف ص/١٤٥

خليلي إني من محبتي العلا بليت بعلوي الصفات أخي البدر

فعقد الثريا من محاسن ثغره ومنطقة الجوزاء في خصره تجري." (١)

"نار الشوق :هي على الاستعارة، وكذا نار الوجد، و اللوعة، والغرام، وقد أكثروا فيها نظما ونثرا؛ قال ابن أبي طاهر يهجو المبرد: "من الطويل"

ويوم كنار الشوق في قلب عاشق على أنه منها أحر وأوقد

ظللت به عند المبرد قائظا فما زلت من ألفاظه أتبرد

وقال البحتري في نار الوجد: "من الوافر"

لقد أذكى فراقك نار وجدي وألف بين عيني والسهاد

وقال ابن الرومي: "من الكامل"

أترى عليل الوجد يطفئ ناره إلا رضاب الكاعب الغيداء!

وقال أبو تمام في نار اللوعة: "من الكامل"

أجدر بجمرة لوعة إطفاؤها بالدمع أن تزداد طول وقود

/وقال (القاضي أبو الحسن في نار الغرام) : "من الطويل" ٤٧٦

ولو كنت أدري ما أقاسي من الهوى لما حكمت للبين في وصلنا يد

فلا ينكر التخليد في النار عاقل فإني في نار الغرام مخلد

نار الشر : تستعارالنار للشر، **قال بعض الحكماء**: من قدح نار الفتنة صار طعامها.

نار الحياة : هي الحرارة الغريزية؛ قال جالينوس : صاحب الجماع مقتبس من نار الحياة، إن يكثر أو ليقل.

نار الشراب: قال كشاجم: "من المتقارب"

فلا تجمعن عليك الضنى بنار المزاج ونار المدام

فإن تكن الراح تنفي الهموم فربتما عرضت للسقام

وأنشد الخوارزمي: "من الطويل"

أعد الورى للبر جندا من الصلا ولاقيته من بينهم بجنود

ثلاث من النيران: نار مدامة ونار صبابات ونار وقود

نار الشباب

قال البستي: "من المتقارب"

علي بها لا كنار الخليل فبرد المدام يزيد الفتورا

ولكن كنار الشباب التي تحيي النفوس وتحيي السرورا

---

(١) عماد البلاغة @ ت عويضة المناوي، عبد الرؤوف ص/١٦٢

إذا شرب المرء منها ثلاثا رأى الناس من فوق خديه نورا

نار الكي

يضرب للأمر يقدر فيه الخير فيكون بضده ؛ وذلك لأن رجلا رأى دخانا فظنه من نار الطبخ فتبعه، فإذا هو من نار الكي.

قال ابن المعتز: "من السريع"

لا تتبعن كل دخان ترى فالنار قد توقد للكي

نار الذبالة

يشبه بها الحاسد الذي يضحك إليك، وهو يحترق حسدا ، قال ابن المعتز: "من الكامل"." (١)

"أفهمه كلام القاضي من كونه كناية وجه صحيح محرر ومذهب النووي خلافه.

ثم أعقب اسم الذات اسمين بصفتي المبالغة في الرحمة رمزا إلى سبقها وغلبتها على الأضداد وعدم انقطاعها فقال (الرحمن الرحيم) أي الموصوف بكمال الإحسان بجميع النعم أصولها وفروعها عظائمها ودقائقها ، أو بإرادة ذلك فمرجعهما صفة فعل أو صفة ذات ، قال في البحر : وهو أقرب إلى الحقيقة ، إذ الإرادة متقدمة على الفعل وأصلهما واحد لكونهما من الرحمة ، والرحمن عربي ونفور العرب منه لتوهمهم التعدد وأتم مبالغة من الرحيم كما وكيفا ، لأن فعيلا لمن وجد منه الفعل وفعلان لمن كثر منه وحق الأبلغ التأخير قضاء لحق الترقي لكنه قدم لمناسبة اسم الذات في اختصاصه به إذ لم يطلقا على غيره مطلقا إلا أن الله اسم وهو قسم من العلم كما تقرر.

والرحمن وصف أريد به الثناء فأجري مجري الأعلام وليس بعلم حقيقة ومجيئه غير تابع للعلم بحذف موصوفه.

ووصفه تعالى بالرحمة التي هي العطف من إطلاق السبب على المسبب وهو الإنعام والإحسان إذ الملك إذا عطف رق فأحسن إطلاقه عليه مجاز مرسل أو استعارة تمثيلية ، بل حول بعض المحققين جعله حقيقة شرعية وعرفية لكثرة الإطلاق بدون قرينة ، أو قصد تشبيه ، وتعقيبه بالرحيم من قبل التتميم ، فإنه لما دل على جلائل النعم أولى الرحيم دفعا لتوهم عدم التعميم وخطور أن الدقائق مما لا يلتفت إليه فلا يتطفل فيها عليه ووفاقا لترتيب الوجود لإيجاد النعم العامة قبل الخاصة ، وكلاهما صفة مشبهة.

أو الرحيم اسم فاعل فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ حيث لم يستعمل في غيره تقدس ولم يوصف به أحد سواه بين جميع الملل والنحل إلا تعنتا

وغلوا في الكفر كرحمن اليمامة والرحيم بالعكس ، وآثرهما من بين سائر الصفات لتضمنهما الدلالة على سائر الأسماء الحسنى إذ من عمت رحمته وتمت نعمته انتفت عنه شوائب النقص وطويت النقمة في أفهام اختصاص الثاني ، رمزا إلى أن من شروط كمال حسن الترغيب ، الإشارة منه إلى مقام الترهيب ، كما هو الاسلوب ، في كتب علام الغيوب ، ليكون باعث الرجاء والخوف في قرن.

---

(١) عماد البلاغة @ ت عويضة المناوي، عبد الرؤوف ص/١٧٠

قال بعض الحكماء : والأحسن بيانية إضافة البسملة.

قال صاحب القاموس : وإنما حذفت الألف من لفظ رحمن تخفيفا ولم تحذف الياء من الرحيم خوفا من اللبس.

ولما افتتح كتابه بالبسملة التي الافتتاح بها أجل افتتاح باسم الحق تقدس وهي نوع من الحمد ، ناسب أن يردفها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع أفراده البالغ أقصى درجات الكمال من القول الدال على أنه سبحانه مالك لجميع المحامد بالاستقلال ، فأعقبها به في جملة أوقعها مقول القول فانتصب به تاركا للعطف لئلا يشعر بالتبعية فيخل بالتسوية في أصل الابتداء فقال (الحمد لله) أي الوصف بالجميل مملوك أو مستحق لله تعالى فلا فرد منه لغيره بالحقيقة ولم يكتف بالتسمية لما تقرر أن المقام مقام تعظيم فاللائق به التصريح بالحمد وقصره عليه ، ولأنها وإن تضمنت جهة الحمد لكن من اقتصر عليها لا يسمى حامدا عرفا ، ومن ثم وقع التدافع ظاهرا بين حديثي الابتداء واحتيج للتوفيق بأن البداءة إما حقيقية وهي ذكر الشئ أولا على الإطلاق أو إضافية وهي ذكره أولا بالإضافة إلى شئ دون شئ وهذه صادقة بذكر الحمد قبل المقصود بالذات ، وخص الحقيقي بالبسملة ، لأنها ذكر الذات والحمد ذكر االوصف فوجب تقديمها بقدر ما تندفع به ضرورة امتناع الجمع في المبدأ كذا قرره جمع.

وقد انتهبه." (١)

"أعمالك ولا تفوته فالشيطان لما رأى الإنسان خلق عجولا راغبا في العجالة توسل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه فوعده بالغرور واستغواه وكره إليه المصير للآخرة وزين له الحاضرة ونصب له فخوخا كالبحار الزاخرة (وما) نافية (هو بشئ) الباء زائدة والتنكير للتعميم لأنه في سياق النفي (من) بيانية (فخوخه) جمع فخ بفتح الفاء وشد الخاء المعجمة آلة الصيد قال الزمخشري : من المجاز وثب فلان من فخ إبليس إذا تاب (بأوثق) أحكم (لصيده) أي لمصيدة (في الأتقياء) خصهم لما لهم من الشهرة على قهر الشيطان ورد كيده (من النساء) بيان للأوثق أي ما يثق في صيده الأتقياء بشئ من آلات الصيد وثوقه بالنساء أما كونهن من فخوخه فلأنه جعلهن مصيدة يزينهن في قلوب الرجال ويغريهم بهن فيورطهم في الزنا كصائد ينصب شبكته ليصطاد بها ويغري الصيد عليها ليقع في حبائلها قال أبو حمزة الخراساني : النظر رسول البلايا وسهام المنايا وقال بعض الحكماء : من غلب هواه عقله

افتضح ومن غض طرفه استراح وقال بعضهم : لا شئ أشد من ترك الشهوة تحريك الساكن أيسر من تسكين المتحرك وقال ابن الحاج : قال صاحب الأنوار احذروا الاغترار بالنساء وإن كن نساكا عبادا فإنهن يركن إلى كل بلية ولا يستوحشن من كل فتنة.

وقال بعض العارفين : ما أيس الشيطان من إنسان قط إلا أتاه من قبل النساء لأن حبس النفس ممكن لأهل الكمال إلا عنهن لأنهن من ذوات الرجال وشقائقهم ولسن غيرا حتى يمكن التباعد عنه والتحرز عنه * (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) * وما عداهن فاتباع هوى النفس فيه آية تكذيب وعد الرحمن وعلامة الاسترسال مع الشيطان وتصديقه فيما يزينه من البهتان وإذا نرى الكامل الحازم منقادا مسترسل الزمام لتلك الناقصات عقلا ودينا مقهورا تحت

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٧/١

حكمهن قال : إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا وقال الرشيد الخليفة : ملك الثلاث من الإناث عناني وحللن من قلبي أعز مكان ما لي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصياني ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه غلبن أعز من سلطاني فعلى من ابتلي بالميل إليهن مصارعة الشيطان فإذا غلب باعث شهوة الوقاع المحرم بحيث لا يملك معها فرجه أو ملكه ولم يملك طرفه أو ملكه ولم يملك قلبه أن ينظر إلى مادة قوة الشهوة من الأطعمة فيقللها كما وكيفما ويحسم محرك الغضب وهو النظر ، ففي خبر أحمد " النظر إلى محاسن المرأة

سهم من سهام إبليس " وهذا السهم يسدده إبليس نحو القلب ولا طريق إلى رده إلا الغض والانحراف عن جهة المرمى فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوس الصورة فإذا لم تقف في طريقها أخطأك السهم وإن نصبت قلبك غرضا أصابك وأن تسلي النفس بالمباح المعوض عن الحرام فالدواء الأول يشبه قطع العلف عن الدابة الجموح والكلب الضاري لإضعاف قوتهما والثاني كتغييب الشعير عن." (١)

"بطول القامة ، الثاني أن يكون مقدودا قوي العصب طويل الأطراف ممتدها رحب الذراع عير مثقل بالشحم واللحم قال أعني الراغب ولا نعني بالجمال هنا ما تتعلق به شهوة الرجال والنساء فذلك أنوثة بل الهيئة التي لا تنبو الطباع عن النظر إليها وهو أدل شئ على فضيلة النفس لأن نورها إذا أشرق تأدى إلى البدن وكل إنسان له حكمان أحدهما من قبل جسمه وهو منظره والآخر من قبل نفسه وهو مخبره فكثيرا ما يتلازمان فلذلك فرع أهل الفراسة في معرفة أحوال النفس أولا إلى الهيئة البدنية حتى **قال بعض الحكماء** قل صورة حسنة تتبعها نفس رديئة فنقش الخاتم مفروش الطين (البزار) من عدة طرق عن بريدة) بضم الموحدة وفتح الراء تصغير بردة وهو ابن الحصيب بضم المهملة الأولى وفتح الثانية الأسلمي قال الهيتمي وطرق البزار كلها ضعيفة ورواه الطبراني باللفظ المزبور عن أبي هريرة فيه عمر بن راشد وثقه العجلي وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات انتهى وبه يعلم أن المؤلف لو عزاه للطبراني كان أولى وأن زعمه في الأصل أنه صحيح فيه ما فيه وإنما رمزه هنا لحسنه إنما هو لاعتضاده.

٣٣٨ - (إذا أبق) بفتح الموحدة أفصح من كسرها (العبد) يعني هرب القن من مالكه بغير إذن شرعي والآبق مملوك فر من مالكه قصدا (لم تقبل له صلاة) وإن لم يستحل الأباق بمعنى أنه لا يثاب عليها لكن تصح ولا تلازم بين القبول والصحة كما مر وقيل المنفي كمال القبول لا أصله والأصح كما قاله النووي الأول فصلاته غير مقبولة لاقترانها بمعصية وصحيحة لوجود شروطها وأركانها كما حققه النووي كابن الصلاح زاد ابن علي المازري وعياض تأويله بالمستحل وزاد في رواية حتى يرجع لمواليه.

قال العراقي : ونبه بالصلاة على غيرها انتهى وقد عظم في هذا الخبر وما أشبهه جرم الإباق وهو جدير بذلك لأن الحق تعالى وضع من الحقوق التي على الحر كثيرا عن العبد لأجل سيده وجعل سيده أحق به منه بنفسه في أمور كثيرة فإذا استعصى العبد على سيده فإنما يستعصي على ربه إذ هو الحاكم

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ١٧٣/١

عليه بالملك لسيده * (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) * أما لو أبق لعذر كفراره من لواطه به كما غلب في هذا الزمان وكما لو كلفه على الدوام ما لا يطيقه فلا ضير (م) في الإيمان (عن جرير) بن عبد الله وفي الباب غيره.

٣٣٩ - (إذا أتى أحدكم أهله) أي جامع حليلته (ثم أراد العود) للجماع وفي رواية بدا له أن يعود (فليتوضأ) بينهما أي الجماعين وضوءا تاما كوضوء الصلاة بدليل رواية البيهقي وابن عدي إذا أتيت أهلك فإن أردت أن تعود فتوضأ وضوءك للصلاة ولا ينافيه قوله في آخر فليغسل فرجه بدل فليتوضأ لأن كمال السنة إنما يحصل بكمال الوضوء الشرعي وأصلها يحصل بالوضوء اللغوي وهو تنظيف الفرج بالغسل ، والأمر للندب عند الأربعة وللوجوب عند الظاهرية.

(حم م ٤) في الطهارة (عن أبي سعيد) الخدري ولم يخرجه البخاري (وزاد حب ك) قال تفرد به شعبة (هق فإنه أنشط للعود) أي أكثر نشاطا له وأعون عليه مع ما فيه من تخفيف الحدة لأنه يرفعه عن أعضاء الوضوء والمبيت على." [1]

"الأكمل وانضمامها مع القدرة هو الاختيار (وإذا أراد الله بعبد شرا) أي خذلانا وهوانا (جعل صنائعه ومعروفه في غير أهل الحفاظ) أي جعل عطاياه وفعله الجميل في غير أهل الدين والأمانة وصرح بالثاني مع فهمه من الأول حثا للإنسان على أنه ينبغي له أن يقصد بمعروفه أهل المعروف ويتحرى إيقاعه فيهم **قال بعض الحكماء والمصطنع** إلى اللئيم كمن أعطى الخنزير درا وقرط الكلب تبرا وألبس الحمار وشيا وألقم الحية شهدا وقال ابن غزية : خمسة أشياء ضائعة سراج في شمس وحسناء تزف لأعمى ومطر في سبخة وطعام قدم لشبعان وصنيعة عند من لا يشكرها ، فينبغي للإنسان تحري اختيار المصرف حتى تقع العطية في المحل اللائق ويسلم من مخالفة الحكمة قال الشاعر : إنما الجود أن تجود على من * هو للفضل والكرامة أهلا

وقال المتنبي : ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى (فر عن جابر) ورواه عنه أيضا ابن لال وعنه في طريقه عنه خرجه الديلمي فلو عزاه له كان أولى ثم إن فيه خلف بن يحي قال الذهبي عن أبي حاتم كذاب فمن زعم صحته فقد غلط.

٣٧٦ - (إذا أراد الله بعبد خيرا جعل غناه في نفسه) أي جعله قانعا بالكفاف لئلا يتعب في طلب الزيادة وليس له إلا ما قدر له والنفس معدن الشهوات وشهواتها لا تنقطع فهي أبدا فقيرة لتراكم ظلمات الشهوات عليها فهي مفتونة بذلك وخلصت فتنتها إلى القلب فصار مفتونا فأصمته عن الله وأعمته لأن الشهوات ظلمة ذات رياح هفافة والريح إذا وقع في أذن أحد أصم والظلمة إذا وقعت في العين أعمت فلما صارت الشهوة من النفس إلى القلب حجبت النور فعميت وصمت فإذا أراد الله بعبد خيرا قذف في قلبه النور فأضاء ووجدت النفس لها حلاوة وروحا ولذة تلهي عن لذات الدنيا وشهواتها وتذهب مخاوفها وعجلتها وحرقتها وتلهبها فيطمئن القلب فيصير غنيا بالله والنفس جارة وشريكة ففي غنى الجار غنى وفي غنى الشريك غنى (وتقاه) بضم المثناة فوق وخفة القاف خوفه من ربه (في قلبه) بأن يقذف فيه نور اليقين فينخرق الحجاب ويضيء الصدر فذلك تقواه يتقي بها مساخط الله ويتقي بها حدوده.

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٣٠٧/١

وبه يؤدي فرائض ربه وبه يخشاه فيصير ذلك النور وقايته (وإذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه) كناية عن كونه يصير مستحضرا له أبدا ومشفقا من الوقوع فيه سرمدا فهو نصب عينيه على طول المدى فلا يزال فقير القلب حريصا على الدنيا متهافتا عليها منهمكا في تحصيلها وإن كان موسرا ممتد الطمع وإن طال الأمد فلا يزال بين طمع فارغ وأمل كاذب حتى توافيه المنية وهو على هذه الحالة الردية وذلك من علامات سوء الخاتمة ، والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث تحملها عليه وتقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما لا يتصور اتصاف الباري." (١)

"أثقالهم ويدافع الأغيار عنهم ، فما هو إلا كحمار الوحش يدجل به البلد فيطيف الناس به معجبين لتخطيط جلده وحمرهم بين أظهرهم تحمل أثقالهم لا يلتفتون إليها أولئك قوم لاخلاق لهم.

٩٦٢ - (أزهد الناس الأنبياء) أي الرسل ومثلهم خلفاؤهم العلماء العاملون (وأشدهم عليهم) في إيصال الأذى والإيلام بالبذاء (الأقربون) منهم بنسب أو مصاهرة أو جوار أو مصاحبة أو اشتراك في حرفة أو نحو ذلك ، ولهذا نص الله سبحانه وتعالى على تخصيصهم بالإنذار بقوله * (وأنذر عشيرتك الأقربين) * أي أنذرهم وإن لم يسمعوا قولك أو لم يقبلوا نصحك لكونهم أزهد الناس فإن ذلك ليس عذرا مسقطا للتبليغ عنك.

قال ابن عساكر : وقلما كان كبيرا في عصر قط إلا وله عدو من السفلة : فلآدم إبليس ، ولإبراهيم نمروذ ، ولموسى فرعون ، وللمصطفى صلى الله عليه وسلم أبو جهل.

قال المصنف : وللحسن مروان بن الحكم ، ولابن عباس نافع بن الأزرق.

وهكذا.

(ابن عساكر) في تاريخه (عن أبي الدرداء) وعزاه ابن الجوزي لجابر ثم حكم بوضعه وتعقبه المصنف بأن له عدة طرق منها حديث أبي الدرداء.

٩٦٣ - (أزهد الناس من لم ينس القبر) أي موته ونزوله القبر ووحدته ووحشته (والبلاء) أي الفناء والاضمحلال (وترك أفضل زينة) الحياة (الدنيا) مع إمكان تحليه بها (وآثر ما يبقى على ما يفنى)

أي آثر الآخرة وما يقرب منها من قول وعمل على الدنيا وما فيها.

قال بعض الحكماء : لو كانت الدنيا من ذهب فإن والآخرة من خزف باق لاختار العاقل الباقي على الفاني.

وقال : ترك أفضل زينة الدنيا ولم يقل ترك زينة توسعة في الأمر وإشارة إلى أن القليل من ذلك مع عدم شغل القلب به لا يخرج عن الزهد (ولم يعد غدا من أيامه) لجعله الموت نصب عينيه على توالي الأنفاس (وعد نفسه في الموتى) لأن التخلي عن زينة الدنيا والتحلي بقصر الأمل يوجب محبة لقاء الله ومحبة لقائه توجب محبة الخروج من الدنيا ، وهذا نهاية الزهد فيها والإعراض عنها.

ثم إن من اشتراطه الزهد به ترك زينة الدنيا يشمل النساء ، إذ هي أعلى اللذات وأعظمها باتفاق العقلاء ، وليس مراد ا فتعين جعل الخبر من قبيل العام المخصوص ، أو الذي أريد به الخصوص ، فمحبة النكاح وإيثاره ليس قادحا في الأزهدية

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٣٢٨/١

، كيف وهو أعظم المحبوبات لخير البرية مع أمره لأمته بإكثار التناكح لإكثار التناسل ؟ وقد كان أكابر الصحابة بأعلى درجات الزهد ولم يتركوا الإكثار منهن مع ما هم عليه من ضيق العيش وقلة الرفاهية والجهادين الأصغر والأكبر (فإن قلت) لم لم ينبه على استثنائه في هذا الخبر ؟ (قلت) اتكالا على ما ظهر واشتهر من أنه بعث برفض الرهبانية التي هي شعار النصارى ، فاكتفى بذلك عن التنبيه عليه.

فتدبر.

(هب عن الضحاك مرسلا) قال قيل يا رسول الله من أزهد الناس ؟ فذكره.

رمز لضعفه.." (١)

"وأباينه.

قال الزركشي : وانتصاب تفصيا على التميز كقوله تعالى * (وأحسن مقيلا) * (الفرقان : ٢٤) (من صدور الرجال) أي من قلوبهم التي في صدورهم (من النعم) أي الإبل (من عقلها) أي أشد نفارا من الإبل إذا انفلتت من العقال ، فإن من شأن الإبل طلب التفلت مهما أمكنها ، فمتى لم يتعاهد صاحبها رباطها تفلتت ، فكذلك حافظ القرآن إن لم يتعاهد تفلت ، بل هو أشد من ذلك ، وفي نص القرآن إشارة إلى ذلك حيث قال * (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) * وقال * (ولقد يسرنا القرآن للذكر) * فمن حافظ على تلاوته بشراشره يسره له ، ومن أعرض عنه تفلت منه.

وروي بعقلها ، والباء فيه بمعنى من.

والعقل جمع عقال ككتاب وكتب يقال عقلت

البعير أعقله عقلا ، وهو أن تنثني وظيفه على ذراعه فيشدان بحبل ، وذلك الحبل هو العقال.

قال التوربشتي : ويجوز تخفيف الحرف الوسط في الجميع مثل كتب وكتب.

قال والرواية فيه من غير تخفيف.

ونسيان القرآن كبيرة.

وفيه ندب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد.

(حم ق ن عن ابن مسعود) وفي الباب عن ابن عمر وغيره.

٩٧٥ - (استرشدوا) بكسر المعجمة (العاقل) أي الكامل العقل ، قال للكمال لا للحقيقة (ترشدوا) بفتح أوله وضم ثالثه كما ضبطه جمع.

أي اطلبوا منه ندبا مؤكدا الإرشاد وإلى إصابة الصواب يحصل لكم الإتصاف بالرشد والسداد ، ولكن يختلف الحال باختلاف الأمر المطلوب ، فتشاور في أمور الدين وشؤون الآخرة الذين عقلوا الأمر والنهي عن الله وعقلوا بالعقل النفوس عن موارد الهوى وكفوها بالخوف عن موارد الردى وألزموها طرق سبل الهدى.

وفي أمور الدنيا من جرب الأمور ومارس المحبوب والمحذور ، ولا تعكس ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٦١٧/١

مر بقوم يلقحون نخلا فقال لو لم تفعلوا كان لصلح ، فتركوا ، فخرج شيصا ، فقال أنتم أعلم بأمر دنياكم.

رواه مسلم ، وروى أحمد عن طلحة قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نخل فرأى قوما يلقحون نخلا فقال ما تصنعون ؟ قالوا كنا نضعه ، قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا ، فتركوه فنقصت ثمرته ، فقال إنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطئ ويصيب ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله.

اه.

وقد أمر الله نبيه بالاستشارة مع كونه أرجح الناس عقلا.

فقال تعالى * (وشاورهم في الأمر) * (آل عمران : ١٥٩) وأثنى تعالى على فاعليها في قوله * (وأمرهم شورى بينهم) * (الشورى : ٣٨) (ولا تعصوه) بفتح أوله (فتندموا) أي لا تخالفوه فيما يرشدكم إليه فتصبحوا على فعلتم نادمين.

والفاء لقوة ارتباط الطلب وتأكد طلب المنع من المخالفة والتحذير منها.

وأعظم به من حث على استشارة أولي الألباب والاقتداء بهم ، وفيه تنويه عظيم على شرف العقل.

قال بعض الحكماء من استعان بذوي العقول فاز بدرك المأمول.

وقال بعضهم لا تصلح الأمور إلا برأي أولي الألباب.

والرحى لا تدور إلا على الأقطاب.

قال البيهقي قيل لرجل من بني عبس : ما أكثر صوابكم ، فقال نحن ألف رجل فينا حازم ونحن نطيعه فكأننا ألف حازم.

وقال علي كرم الله وجهه : نعم الموازرة المشاورة ، وبئس." (١)

"شيطان وهامة ومن كل عين لامة " رواه البخاري (ه ك عن عائشة) قال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي.

٩٨٤ - (استعيذوا بالله من الفقر والعيلة) من أعال كثرت عياله والواو بمعنى مع أي الفقر مع كثرة العيال فإن ذلك هو البلاء الأعظم والموت الأحمر ولما كان الفقر قد يلجئ إلى أخذ مال الغير عدوانا ويجر إلى التظالم عقبه بقوله (ومن أن تظلموا) أنتم أحدا من الناس (أو تظلموا) أي أو يظلمكم أحد بمنع الحق الواجب فالأول مبني للفاعل والثاني للمفعول وذلك لأن الظالم هالك في الدارين والمظلوم قد يسخط ولا يصبر لقضاء الله فيهلك وقد كان من دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته قال اللهم إني أعوذ بك أن أظلم أو أظلم (طب عن عبادة بن الصامت) رمز المصنف لحسنه لكن فيه انقطاع فقد قال الهيتمي فيه يحي بن إسحاق بن عبادة ولم يسمع من عبادة وبقية رجاله رجال الصحيح.

٩٨٥ - (استعينوا على إنجاح الحوائج) لفظ رواية الطبراني استعينوا على قضاء حوائجكم (بالكتمان) بالكسر أي كونوا لها كاتمين عن الناس واستعينوا بالله على الظفر بها ثم علل طلب الكتمان لها بقوله (فإن كل ذي نعمة محسود) يعني إن أظهرتم حوائجكم للناس حسدوكم فعارضوكم في مرامكم وموضع الخبر الوارد في التحدث بالنعمة ما بعد وقوعها وأمن الحسد وأخذ منه أن على العقلاء إذا أرادوا التشاور في أمر إخفاء التحاور فيه ويجتهدوا في طي سرهم **قال بعض الحكماء** من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاه كان الخيار عليه وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من بلوغ مأربه ولو كتمه كان من

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٦٢٥/١

سطوته آمنا ومن عواقبه سالما وبنجاح حوئجه فائزا وقال بعضهم سرك من دمك فإذا تكلمت فقد أرقته وقال أنو شروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من

السطوات.

وفي منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزول ولا جاهلا فيحول لكن من الأسرار ما لا يستغني فيه عن مطالعة صديق ومشورة ناصح فيتحرى له من يأتمنه عليه ويستودعه إياه فليس كل من كان على الأموال أمينا كان على الأسرار أمينا.

والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار قال الراغب : وإذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدور ويوصف به ضعف الرجال والنساء والصبيان والسبب في صعوبة كتمان السر أن للإنسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوف إلى الفعل المختص بها ولولا أن الله وكل المعطية بإظهار ما عندها لما أتاك بالأخبار من لم تزوده فصارت هذه القوة تتشوف إلى فعلها الخاص بها فعلى الإنسان أن يمسكها ولا يطلقها إلا حيث يجب إطلاقها (عق عد." (١)

"شظف العيش.

قال الطيبي : والفرق بين قوله : إذا سئل به أعطى وبين قوله : إذا دعى به أجاب : أن الثاني أبلغ ، فإن إجابة الدعاء تدل على شرف الداعي ووجاهته عند المجيب فتتضمن أيضا قضاء حاجته بخلاف السؤال فقد يكون مذموما ولذلك ذم السائل في كثير من الأحاديث ومدح المتعفف ، على أن في الحديث دلالة على فضل الدعاء على السؤال (طب عن ابن عباس) قال الهيتمي : فيه جسر بن فرقد وهو ضعيف ، وأقول فيه أيضا محمد بن زكريا الغلابي أورده الذهبي في الضعفاء أيضا وقال وثقه ابن معين ، وقال أحمد ليس بقوي ، والنسائي والطبراني والدارقطني : ضعيف ، وأبو الجوزاء قال البخاري فيه نظر ، فتعصيب الهيتمي الجناية برأس جسر وحده لا يرتضى.

١٠٣٤ - (اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى : دعوة يونس بن متى) ابن جرير - الطبري الإمام المجتهد.

(عن سعد) بن أبي وقاص.

١٠٣٥ - (إسماع الأصم) أي إسماع الكلام للأصم (صدقة) عن المسمع أي يثاب عليه كما يثاب صدق (خط في) كتاب (الجامع) في آداب الشيخ والسامع (عن سهل بن سعد) رمز المصنف لضعفه.

١٠٣٦ - (أسمح أمتي جعفر) أي من أكثرهم جودا وأكرمهم نفسا جعفر بن أبي طالب ذو الجناحين وكان يسمى بحر الجود فعوتب في ذلك فقال إن الله عودني بعادة وعودت الناس عادة فأخشى إن قطعتها قطعت عني ، وأخباره في الجود عجيبة ؟ كيف لا وقد جاهد بنفسه في الله حتى قتل شهيدا يوم مؤتة والظاهر أنه المراد من أسمح ، فقد جاد الصديق بجميع ماله لله لكن جعفر زاد عليه بجوده بالحياة.

قال الزمخشري : أسمح من أسمحت فروته أي نفسه إذا سهلت وانقادت.

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٦٣٠/١

وعرف بعضهم السماح أخذا من كلام الغزالي بأنه بذل ما لا يجب بذله تفضلا أي بلا توقع مجازاة ، والمسامحة بأنها ترك ما لا يجب تركه تنزيها أي بلا توقع مجازاة كحط البائع بعض الثمن (المحاملي في أماليه وابن عساكر عن أبي هريرة) رمز لضعفه ولم يقف له الديلمي على سند فبيض له.

١٠٣٧ - (أسمح) أمر من السماح (يسمح لك) بالبناء للمفعول.

والفاعل الله : أي عامل الخلق الذين هم عيال الله وعبيده بالمسامحة والمساهلة يعاملك سيدهم بمثله في الدنيا والآخرة.

وفي الإنجيل :

إن غفرتم للناس خطاياهم غفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم وإن لم تغفروا للناس خطاياهم لم يغفر لكم وفيه لا تحبوا الحكم على أحد لئلا يحكم عليكم ، اغفروا يغفر لكم ، أعطوا تعطوا ، **وقال بعض الحكماء** : أحسن إن أحببت أن يحسن إليك ، ومن قل وفاؤه كثر أعداؤه.

وهذا من الإحسان المأمور به." (١)

"عن التشبه بهن انتهى.

وما ذكره تقدمه إليه الحليمي فخص حله بالنساء وقد أطال السبكي في رده فلا فرق بين ضربه من امرأة أو رجل على الأصح الذي اقتضاه قول الحديث اضربوا (ت) في النكاح من حديث عيسى بن ميمون عن القاسم (عن عائشة) قال : أعني الترمذي وعيسى هذا ضعيف انتهى وجزم البيهقي بصحته وقال ابن الجوزي ضعيف جدا وقال ابن حجر في الفتح سنده ضعيف وقال الديلمي : في تخريج أحاديث الهداية ضعيف لكن توبع ابن ماجه.

١١٩٩ - (أعمار أمتي) أمة الدعوة لا أمة الإجابة كما هو بين ، ولكل مقام مقال (ما بين الستين) من السنين (إلى السبعين) أي ما بين الستين والسبعين وإنما عبر بإلى التي للانتهاء ولم يقل والسبعين الذي هي حق التعبير ليبين أنها لا تدخل إلا على متعدد لأن التقدير ما بين الستين وفوقها إلى السبعين ، فإلى غاية الفوقية لدلالة الكلام عليه وقال بعضهم : معناه آخر عمر أمتي ابتداؤه إذا بلغ

سبعين (وأقلهم من يجوز ذلك) قال الطيبي : هذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال فإن منهم من لم يبلغ ستين وهذا من رحمة الله بهذه الأمة ورفقه بهم أخرهم في الأصلاب حتى أخرجهم إلى الأرحام بعد نفاد الدنيا ثم قصر أعمارهم لئلا يلتبسوا بالدنيا إلا قليلا ، فإن القرون السالفة كانت أعمارهم وأبدانهم وأرزاقهم أضعاف ذلك كان أحدهم يعمر ألف سنة وطوله ثمانون ذراعا وأكثر وأقل وحبة القمح ككلوة البقرة والرمانة يحملها عشرة فكانوا يتناولون الدنيا بمثل تلك الأجساد ، وفي تلك الأعمار فبطروا واستكبروا وأعرضوا عن الله * (فصب عليهم ربك سوط عذاب) * [الفجر : ١٣] فلم يزل الخلق ينقصون خلقا ورزقا وأجلا إلى أن صارت هذه الأمة آخر الأمم يأخذون أرزاقا قليلة بأبدان ضعيفة في مدة قصيرة كيلا يبطروا فذلك رحمة.

بهم **قال بعض الحكماء** الأسنان أربعة سن الطفولية ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان وغالب ما

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ١/٦٥٤

تكون بين الستين والسبعين ، فحينئذ يظهر بالنقص ضعف القوة والانحطاط فينبغي له الإقبال على الآخرة لاستحالة رجوعه للحالة الأولى من القوة والنشاط (ت عن أبي هريرة).

وقال حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه قال ابن حجر : وهو عجيب منه فقد رواه في الزهد أيضا من طريق أخرى عن أبي هريرة وإليه أشار المصنف بقوله (ع عن أنس) قال : وفيه عنده عبد الأعلى شيخ هشيم وبقية رجاله رجال الصحيح ورواه ابن حبان والحاكم بسند الترمذي الأول ومتنه وقال في الفتح سنده حسن.

١٢٠٠ - (اعمل لوجه واحد يكفيك) من الكفاية والفاعل المعمول له المدلول عليه بالفعل (الوجوه كلها) أي اعمل لله تعالى وحده خالصا لوجهه يكفيك جميع مهماتك في حياتك وبعد مماتك قال الغزالي اعمل لأجل من إذا عملت لأجله ووحدته بقصدك وطلبت رضاه بعملك أحبك وأكرمك وأغناك عن الكل ولا تشرك بعبادته عبدا حقيرا مهينا لا يغني عنك شيئا (عد فر عن أنس) وفيه أبو عبد الرحمن السلمي سبق أنه وضاع للصوفية ومحمد بن أحمد بن هارون قال الذهبي في الضعفاء ، متهم." (١)

"عني ونحيت عني.

قال القاضي : أصل الزي والجمع والقبض (مما أحب فاجعله فراغا لي فيما تحب)

يعني اجعل ما نحيته عني من محابي عونا على شغلي بمحابك وسببا لفراغي لطاعتك ولا تشغل به قلبي فيشغلني عن عبادتك وذلك لأن الفراغ خلاف الشغل فإذا زوى عنه الدنيا ليتفرغ لحساب ربه كان ذلك الفراغ عونا له على الاشتغال بطاعة الله وقد حرر الله أسرار نبينا كالأنبياء من رق الأغيار وصانهم بوجود عنايته من الركون إلى الأثار لا يحبون إلا إياه ولا يشغلون بسواه (تنبيه) قال ابن عربي : ألطف ما في الحب ما وجدته وهو أن تجد عشقا مفرطا وهوى وشوقا مقلقا وغراما ونحولا وسهر أو منع لذة طعام ولا تدري فيمن ولا بمن ولا يتعين لك محبوبك ثم بعد ذلك يبدو لك تجلي في كشف فيتعلق ذلك الحب به أو ترى شخصا فيتعلق ذلك الوجد به أو تذكر شخصا فتجد الميل إليه فتعلم أنه صاحبك وهذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغيب فلا تدري بمن هامت ولا فيمن هامت ولا ما هامها ويجد الناس ذلك في القبض والبسط الذي لا يعرف سببه فبعده يأتيه ما يحزنه أو يسره فيعرف أن ذلك له ، وذلك لاستشراف النفس على الأمور قبل تكوينها في تعلق الحواس الظاهرة وهي مقدمات التكوين (تتمة) قد انطوى تحت هذا الحديث عدة مقامات مقام الحب ومقام التوحيد ومقام الصبر ومقام الشكر ومقام الرضى ومقام التسليم ومقام الأنس ومقام البسط ومقام التمكين وغير ذلك ولم يجتمع مثلها في حديث قصير إلا قليلا (ت) في الدعوات (عن عبد الله بن يزيد) بمثناتين تحتيتين من الزيادة (الخطمي) بفتح المعجمة وسكون المهملة نسبة إلى بني خطمة قبيلة معروفة صحابي صغير شهيد الحديبية ابن سبع عشر وولى الكوفة لابن الزبير ، قال الترمذي : حسن غريب.

قال ابن القطان : ولم يصححه لأن رواته ثقات إلا سفيان بن وكيع فمتهم بالكذب وترك الرازياني حديثه بعد ما كتبناه ، وقيل لأبي زرعة أكان يكذب ؟ قال نعم.

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ١٥/٢

١٤٧٠ - (اللهم اغفر لي ذنبي) أي ما لا يليق أو المراد إن وقع والعبد لا يأتي بما هو اللائق بجلال كبرياء الله ، ومنه ما عبدناك حق عبادتك ، فسمى هذا القصور بالنسبة لكمال القرب ذنبا مجازا (ووسع لي في داري) محل سكني في الدنيا لأن ضيق مرافق الدار يضيق الصدر ويشتت الأمتعة ويجلب الهم ويشغل البال أو المراد القبر : إذ هو الدار الحقيقية ، وعلى الأول فالمراد التوسعة بما يقتضيه الحال لا الترفه والتبسط في الدنيا بل إنما يسأل حصول قدر الكفاية لا أزيد ولا أنقص.

ولهذا **قال بعض الحكماء** : إما أن تتخذ لك دارا على قدر نجواك وتخبر على قدر دارك وإلا فهو سرف أو تقتير (وبارك لي

في رزقي) أي اجعله مباركا محفوفا بالنماء والزيادة في الخير ووفقني للرضى بما قسمته منه وعدم التلفت إلى غيره مع أني لا أنال إلا ما رزقتني وإن جهدت وهذا كان يقوله بعد الوضوء عقب أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك (ت عن أبي هريرة) رمز المصنف لصحته ورواه أحمد والطبراني عن رجل من الصحابة وزاد فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنهن فقال وهل تركن من شئ ، ورواه النسائي وابن السني عن أبي موسى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ فسمعته يدعو يقول فذكره ، وترجم." (١)

"كل من مات منهم يفعل ذلك وقولهم ذلك ، يحتمل كونه ناشئا عن اجتهاد أو أن ثبوت الحكم للأصل يستتبع الفرع ويحتمل بأمر إلهي أو رأوه في اللوح المحفوظ أو في صحفهم أو في غير ذلك (ابن عساكر) في التاريخ (عن أبي) بن كعب ورواه عنه الديلمي.

١٥٧٤ - (الحقوا الفرائض) أي الأنصباء المقدرة في كتاب الله وهي النصف ونصفه ونصف نصفه والثلثان ونصفهما ونصف نصفهما (بأهلها) أي من يستحقها بنص التنزيل في رواية اقسموا المال بين

أهل الفرائض على كتاب الله على وفق ما أنزل الله في كتابه (فما بقي فهو الأولى) بفتح الهمزة واللام بينهما واو ساكنة أفعل تفضيل من الولي بالسكون القرب بأي فهو الأقرب (رجل) من عصبات الميت (ذكر) احتراز عن الخنثى فإنه لا يجعل عصبة ولا صاحب فرض جزما بل يعطى أقل النصيبين وقيل ذكر بعد رجل لسان أن العصبة ترث ولو صغارا ردا على الجاهلية حيث لم يعطوا إلا من في حد الرجولية والمحاربة وقيل ذكر وصف الأولى لا لرجل والأولى بمعنى القريب الأقرب فكأنه قال هو لقريب الميت ذكر من قبل رجل وصلب لا من بطن ورحم فالأولى من حيث المعنى مضاف إلى الميت فأفاد به نفي الإرث عن الأولى من قبل الأم كالخال ذكره السهيلي.

قال الطيبي : وأوقع الموصوف مع الصفة كأنه قيل فما بقي فهو لأقرب عصبة (حم ق ت عن ابن عباس) ظاهره أنه لم يروه من الستة إلا الثلاثة والأمر بخلافه فقد عزاه جمع منهم المناوي للجماعة إلا ابن ماجه.

١٥٧٥ - (الزم) بكسر فسكون ففتح (بيتك) أي محل سكنك بيتا أو خلوة أو غيرهما قاله لرجل استعمله على عمل فقال يا رسول الله خر لي ، فعلي هذا فالمراد بلزوم البيت الانجماع عن الناس والعزلة ، واحتج به من ذهب إلى ان العزلة أفضل من مخالطة الناس وذهب جمع إلى عكسه والمسألة مشهورة فيها كتب مفردة من الجانبين ورجح ابن أبي حمزة أفضلية العزلة

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ١٣٩/٢

لأهل البداية دون غيرهم أخذا من خلوة المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولا بغار حراء وتأويل البعض الزم بيتك قلبك - متكلف (فائدة) قال بعض الحكماء إذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه وإذا طلبهم فاهرب منه (طب عن ابن عمر) بن الخطاب فيه الفرات بن أبي الفرات قال في الميزان عن ابن معين ليس بشيء وعن ابن عدي الضعف بين على رواياته ثم أورد له هذا الخبر انتهى.

وذكر نحوه الحافظ العراقي.

١٥٧٦ - (الزم) ندبا (نعليك قدميك) بأن لا تخلعهما لإرادة الجلوس لنحو الصلاة (فإن خلعتهما) ولا بد (فاجعلهما) ندبا (بين رجليك ولا تجعلهما) أي ولا ينبغي أن تجعلهما (عن يمينك)." (١)

"على الميت بنحو واكهفاه واجبلاه من عادة الجاهلية وقد جاء الإسلام بتحريمه (والغلول) أي الخيانة الخفية (من جثا جهنم) جمع جثوة بالضم الشيء المجموع كذا في النهاية وفي التقريب الجثوة مثلثة الحجارة المجموعة وقيل معنى من جثاء جهنم من جماعتها وفي رواية للقضاعي من جمر جهنم قال شارحه لأن الغلول يصير على الغال جورا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الذي غل شملة إنها تضرم عليه نارا (والكنز) أي المال الذي لم تؤد زكاته (كي من النار) أي يكوي صاحبه في نار جهنم (والشعر) بكسر الشين الكلام المقفى الموزون قصدا (من مزامير إبليس) أي الشعر المحرم لا الجائز (والخمر جماع الإثم) أي مجمعه ومظنته والجماع اسم لما يجمع ويضم ، يقال هذا الباب جماع الأبواب من جمعت الشيء ضممته كالكفات من كفت الشيء إليه إذا ضمه وجمعه ذكره الكشاف وفي الفائق جماع كل شيء مجممتع أصله يقال لما اجتمع في الغصن من النور هذا جماع الثمر (والنساء حبالة الشيطان) أي مصائده وفخوخه واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد بها من أي شيء كأن دعى رجل إلى قتل نفس فأبى ثم إلى الزنا فأبى ثم إلى الخمر فشرب فزنا فقتل وقيل ما أيس الشيطان من آدمي من قبل النساء ومن ثم قال سليمان عليه الصلاة والسلام : امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة وسمع عمر رضي الله تعالى عنه امرأة تقول : إن النساء رياحين خلقن لكم * * وكلكم يشتهي شم الرياحين فقال : إن النساء شياطين خلقن لنا * * نعوذ بالله من شر الشياطين وقال بعض الحكماء إياك ومخالطة النساء فإن لحظات المرأة سهم ولفظها سم (والشباب شعبة من الجنون) لأن الجنون يزيل العقل وكذا الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه من كثرة الميل إلى الشهوات والإقبال على المضار لحداثة السن سيما مع الجدة : إن الشباب والفراغ والجده * * مفسدة للمرء أي مفسدة (وشر المكاسب كسب الربا) أي التكسب به لأن درهما منه أشد من ثلاث وثلاثين زينة كما يجئ في أخبار (وشر المآكل أكل مال اليتيم) ظلما * (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) * [النساء : ١٠] (١) ولذا كان من أكبر الكبائر (والسعيد من وعظ بغيره)

أي السعيد من تصفح أفعال غيره فاقتدى بأحسنها وانتهى عن سيئها قال : إن السعيد له من غيره عظة * وفي التجارب تحكيم معتبر وقال حجة الإسلام المراد أن الإنسان يشاهد من خبائث من اضطر إلى مرافقته وأحواله وصفاته

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٢٠١/٢

(١) قوله في بطونهم أي ملئتها نارا لانه يؤول إليها وسيصلون بالبناء للفاعل والمفعول أي يدخلون سعيرا أي نارا شديدة. (*)".(١)

"آت) من الموت والقيامة والحساب والوقوف (قريب) وأنت سائر على مراحل الأيام والليالي إليه * (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) * [المعارج : ٦ - ٧] فالجاهل يراه بعيدا لعمى قلبه والمؤمن الكامل يراه بنور إيمانه قريبا كأنه يعاينه فبذل دنياه لأخراه وسلم نفسه لمولاه فلا تغرنك الدنيا فجديدها عما قليل يبلى ونعيمها يفنى ومن لم يتركها اختيارا فعما قريب يتركها اضطرارا ومن لم تزل نعمته في حياته زالت بمماته قال ابن عطاء رضي الله عنه : لا بد لهذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو أبقى أوثق منه بما هو يفنى **وقال بعض الحكماء** : من كان يؤمل أن يعيش غدا فهو يؤمل أن يعيش أبدا قال الماوردي ولعمري إنه صحيح إذ كل يوم غدا فإذا يفضى به الأمل إلى الفوت من غير ويؤديه الرجاء إلى الإهمال بغير تلاف وقال الحكماء لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة فإن الدهر خائن وكل ما هو آت كائن (وسباب المؤمن) بكسر السين

المهملة أي سبه وشتمه (فسوق) أي فسق (وقتال المؤمن) بغير حق (كفر) إن استحل قتله بلا تأويل سائغ (وأكل لحمه من معصية الله) أي غيبته وهي ذكره بما يكرهه حرام * (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) * [الحجرات : ١٢] (وحرمة ماله كحرمة دمه) فكما يمتنع سفك دمه بغير حق يمتنع أخذ شئ من ماله بغير حق قال في الكشاف الحرمة ما لا يحل هتكه (ومن يتأل على الله) أي يحكم عليه ويحلف كقوله والله ليدخلن فلان النار من الألية وهي اليمين (يكذبه) بأن يفعل خلاف ما حلف عليه مجازاة له على جراءته وفضوله (ومن يغفر يغفر الله له) أي ومن يستر على أخيه فضيحة اطلع عليها يستر الله ذنوبه فلا يؤاخذه بها (ومن يعف) أي عن الجاني عليه (يعف الله عنه) أي ومن يمحو أثر جناية غيره يمحو الله سيئاته جزاءا وفاقا (ومن يكظم الغيظ) أي يرده ويكتمه مع قدرته على إنفاذه (يأجره الله) أي يثيبه الله لأنه محسن يحب المحسنين وكظم الغيظ إحسان قال الزمخشري كظم البعير جرته ازدردها وكف عن الاجترار وكظم القربة ملأها وشد كظم الباب سده ومن المجاز كظم الغيظ وعلى الغيظ انتهى (ومن يصبر على الرزية) أي المصيبة احتسابا لله (يعوضه الله) عنها خيرا مما فاته منها (ومن يتبع الشمعة يسمع الله به) قال في الفردوس : قال العسكري هكذا يروى من هذا الطريق الشمعة بشين معجمة وهي المزاح والضحك ومنه امرأة شموع كثيرة الضحك والمعنى أن من عبث بالناس واستهزأ بهم يعبث به ويستهزأ منه ومن رواه بسين مهملة أراد من يرائي بعمله يفضحه الله (ومن يصبر يضعف الله له) الثواب أي ثوابه جزاء صبره أي يؤته أجره مرتين (ومن يعص الله يعذبه الله) إن شاء وإن شاء عفى عنه فهو تحت المشيئة (اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي) المراد أمة الإجابة وكرره ثلاثا لأن الله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء (أستغفر الله لي ولكم) هذا الحديث قد عده العسكري وغيره من الحكم والأمثال وفيه أنه ينبغي للإنسان إذا دعا لغيره أن يبدأ بنفسه." (٢)

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٢٢٣/٢

(٢) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٢٢٥/٢

"طول سجن من اللسان ، قال حجة الإسلام رضي الله عنه معنى حفظ اللسان من الكذب فلا ينطق به في جد ولا هزل لأنه إن نطق به هزل تداعى إلى الجد والخلف بالوعد بل ينبغي أن يكون إحسانك فعلا

بلا قول والغيبة فإنها أشد من ثلاثين زنية والمراد الجدال والمنافسة وتزكية النفس واللعن والدعاء على الخلق والمزاح والسخرية والاستهزاء بالخلق ونحو ذلك انتهى.

قال بعض الحكماء لا شيء أحق بالسجن من اللسان وقد جعله خلف الشفتين والأسنان ومع ذلك يكثر القول ويفتح الأبواب (وليسعك بيتك) سيما في زمن الفتن.

قال الطيبي : الأمر في الظاهر وارد على البيت وفي الحقيقة على المخاطبة أي تعرض لما هو سبب لزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلو عن الأغيار (وابك على خطيئتك) أي ذنوبك ، ضمن بكى معنى الندامة وعداه بعلى أي اندم على خطيئتك باكيا فإن جميع أعضاءك تشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق ذلق تفضحك به على ملإ من الخلق * (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) * [النور : ٢٤] (تتمة) قال في الحكم ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل فيها ميدان فكره كيف يشرق القلب وصور الأكوان منطبع في مرآته كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع من يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته.

(فائدة) قال ابن الحاج عذل بعضهم عن الانعزال في خلوته فقال وجدت لساني كلبا عقورا قل أن يسلم منه من خالطه فحبست نفسي ليسلم المسلمون من آفاته (ت) في الزهد (عن عقبة بن عامر) الجهني قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقلت : ما النجاة فقال أملك إلخ وهذا الجواب من أسلوب الحكيم سأل عن حقيقة النجاة فأجابه عن سببه لأنه أهم بحاله وأولى وكان حق الظاهر أن يقول حفظ اللسان فأخرجه على سبيل الأمر المقتضي للوجوب مزيدا للتقرير والاهتمام كذا قاله المصنف تبعا لعبد الحق في أحكامه قال ابن القطان وهو خطأ إنما هو عن أبي أمامة وسكت عنه والترمذي إنما قال حسن وهو إلى الضعف أقرب فإنه من رواية يحي بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال في المنار وكلهم متكلم فيه.

١٦٥٤ - (املكوا العجين) أي أنعموا عجنه وأجيدوه (فإنه أعظم للبركة) أي أكثر لزيادة الخير والنمو فيه يقال ملكت العجين وأملكته إذا أنعمت عجنه وأجدته قال ابن الأثير أراد أن خيره يزيد بما يحتمل من الماء بجودة العجن انتهى.

وفي رواية ذكرها في النهاية املكوا العجين فإنه أحد الربيعين (عد

عن أنس) ظاهر كلام المصنف أن ابن عدي خرجه وأقره والأمر بخلافه فإنه أورده في ترجمة سلامة بن روح الأبلي وقال : قال أبو حاتم يكتب حديثه وقال أبو زرعة : منكر الحديث.

١٦٥٥ - (أمناء المسلمين على صلاتهم وسحورهم المؤذنون) أي هم حافظون عليهم دخول الوقت لأجل الصلاة والصوم فيه فمتى قصروا فيما عليهم من رعاية الوقت بتقدم أو تأخر فقد خانوا." (١)

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٢٤٩/٢

"الأمور الدنيوية فإن العلو فيها نزول (ويكره) في رواية البيهقي ويبغض (سفسافها) بفتح أوله أي حقيرها ورديئها فمن اتصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه ومن تحلى بالأوصاف الرديئة كرهه (١) وشرف النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال فيربأ بنفسه أن يلقيها في ذلك وليس المراد به التيه فإنه يتولد من أمرين خبيثين إعجاب بنفسه وازدراء بغيره والأول يتولد بين خلقين كريمتين إعزاز النفس وإكرامها وتعظيم مالكها فيتولد من ذلك شرف النفس وصيانتها وقد خلق سبحانه وتعالى لكل من القسمين أهلا لما مر أن بني آدم تابعون للتربة التي خلقهم منها فالتربة الطيبة نفوسها علية كريمة مطبوعة على الجود والسعة واللين والرفق لا كزازة ولا يبوسة فيها فالتربة الخبيثة نفوسها التي خلقت منها مطبوعة على الشقوة والصعوبة والشح والحقد وما أشبهه (تنبيه) علم مما تقرر أن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارق بها غيره من الحيوان والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلى معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة فحينئذ ترفع همته إلى العالم الرضواني وتنساق إلى الملأ الروحاني (تنبيه) **قال بعض الحكماء** بالهمم العالية والقرائح الزكية تصفو القلوب إلى نسيم العقل الروحاني وترقى في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الأبصار المحيطة بالأنظار وترتع في رياض الألباب المصفاة من الأدناس وبالأفكار تصفو كدر الأخلاق المحيطة بأقطار الهياكل الجسمانية فعند الصفو ومفارقة الكدر تعيش الأرواح التي لا يصل إليها انحلال ولا اضمحلال (طب عن الحسين بن علي) أمير المؤمنين قال الهيثمي فيه خالد بن إلياس ضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي وبقية رجاله ثقات وقال شيخه العراقي رواه البيهقي متصلا ومنفصلا ورجالهما ثقات اه.

١٨٩٠ - (إن الله تعالى يحب أبناء الثمانين) أي من بلغ من العمر ثمانين سنة من رجل وامرأة والمراد من المؤمنين كما هو بين (ابن عساكر) في تاريخه (عن ابن عمر) بن الخطاب.

١٨٩١ - (إن الله يحب أبناء السبعين) من السنين (ويستحيي من أبناء الثمانين) أي يعاملهم معاملة المستحيي فليس المراد هنا حقيقة الحياء الذي هو انقباض عن الرذائل لأنه سبحانه وتعالى منزه عن الوصف به بل ترك تعذيبهم (حل عن علي) أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه وفيه محمد بن خلف

القاضي قال الذهبي عن ابن المناوي فيه لين وأبان بن ثعلب قال ابن عدي غال في التشيع لا بأس به.

---

(١) والانسان يضارع الملك بقوة الفكر والتمييز ويضارع البهيمة بالشهوة والدناءة فمن صرف همته إلى اكتساب معاني الاخلاق أحبه الله فحقيق أن يلتحق بالملائكة لطهارة أخلاقه ومن صرفها إلى السفساف ورذائل الاخلاق التحق بالبهائم فيصير إما ضاربا ككلب أو شرها كخنزير أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو رواغا كثعلب أو جامعا لذلك كشيطان.

(*)".[١]

"٢١٤٠ - (إن الناس لا يرفعون شيئا) أي بغير حق أو فوق منزلته التي يستحقها (إلا وضعه الله تعالى) أي في الدنيا والآخرة هذا هو المتبادر من معنى الحديث مع قطع النظر عن ملاحظة سببه وهو أن ناقة المصطفى صلى الله عليه

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٢/٣٧٥

وسلم العضباء أو القصوى كانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فذكره فالملائم للسبب أن يقال في قوله لا يرفعون شيئا أي من أمر الدنيا وبه جاء التصريح في رواية (هب عن سعيد بن المسيب) بفتح التحتية على المشهور وقيل بكسرها المخزومي أحد الأعلام (مرسلا) أرسل عن عمر وغيره وجلالته معروفة وإسناده صحيح.

٢١٤١ - (إن الناس لم يعطوا) بالبناء للمفعول (شيئا) من الخصال الحميدة (خيرا من خلق) بالضم (حسن) فإن حسن الخلق يرفع صاحبه إلى درجات الأخيار في هذه الدار ودار القرار قال حجة الإسلام لا سبيل إلى السعادة الاخروية إلا بالايمان وحسن الخلق فليس للانسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وأفضل زادها بعد الإيمان حسن الخلق وبحسن الخلق ينال الإنسان خير الدنيا والآخرة **وقال بعض الحكماء** لحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة ولسيئ الخلق من نفسه في عناء والناس منه في بلاء وقال بعضهم عاشر أهلك بحسن الأخلاق فإن السوء فيهم قليل وإذا حسنت أخلاق المرء كثر مصادقوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب وقال الحكماء في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق قال الماوردي وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلام (طب عن أسامة بن شريك) الثعلبي بالمثلثة والمهملة الذبياني الصحابي قال ابن حجر تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة على الصحيح.

٢١٤٢ - (إن النبي) صلى الله عليه وسلم أل عهدية أو جنسية أراد به هنا الرسول بقرينة قوله (لا يموت حتى يؤمه بعض أمته) والنبي غير الرسول لا أمة له والمراد لا يموت حتى يصلي به بعض أمته إماما وقد أم

بالمصطفى صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق بل وعبد الرحمن بن عوف في تبوك في الصبح (حم ع عن أبي بكر) الصديق.

٢١٤٣ - (إن النذر) (١) بمعجمة وهو كما قال الراغب إيجاب ما ليس بواجب لحدوث أمر (لا

---

(١) النذر لغة الوعد بخير أو شر وشرعا قبل الوعد بخير خاصة وقيل التزام لم تكن واجبة عينا.

(*)".[1]

"* (دار الفاسقين) * مصيرهم فصحفت بمصر تتمة أخرج الطبراني عن ابن عمر مرفوعا أن إبليس دخل العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى بلغ بيسان ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقرية.

قال الهيثمي رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا انتهى.

وزعم ابن الجوزي وضعه ورده المؤلف (غريبة) قال العارف البسطامي مصر شأنها عجيب وسرها غريب خلقها أكثر من رزقها ومعيشتها أغزر من خلقها من لم يخرج منها لم يشسع.

قال بعض الحكماء : نيلها عجب وترابها ذهب ونساؤها لعب وصبيانها طرب وأمراؤها جلب وهي لمن غلب والداخل

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٢/٥٠٨

إليها مفقود والخارج منها مولود.
وقال تعالى * (أصلها ثابت وفرعها في السماء) * [إبراهيم : ٢٤] (تخ) يعني تاريخه الصغير كما في الإصابة وظاهر كلام المؤلف أن البخاري خرجه وأقره وليس كذلك بل قال عقبه لا يصح (والبارودي) في الصحابة (طب وابن السني وأبو نعيم في الطب) النبوي وابن السكن في الصحابة وابن شاهين وابن يونس كلهم من حديث موسى بن علي بن رباح عن أبيه (عن) جده (رباح) بفتح الراء والموحدة ابن قصير بفتح أوله اللخمي قال ابن يونس عقبة منكر جدا وقد أعاذ الله موسى أن يحدث بمثله فهو كان أتقى لله من ذلك وحكم ابن الجوزي بوضعه وقال البخاري لا يصح وقال ابن السكن في إسناده نظر ولما عزاه الهيثمي للطبراني قال فيه مظهر بن الهيثم وهو متروك وأقر السخاوي ابن الجوزي على دعواه وضعه.
وقال المؤلف في حسن المحاضرة في إسناده مظهر بن الهيثم قال فيه ابن يونس متروك والحديث منكر جدا وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات.
إلى هنا كلامه.
٢٤٥٠ - (إن مطعم) بفتح فسكون ففتح (ابن آدم) كنى به عن الطعام والشراب الذي يستحيل بولا وغائطا (ضرب مثلا الدنيا) أي لدناءتها وقذارتها (وإن قزحه) بقاف وزاي مشددة أي وضع فيه
القزح وهو النابل يعني وإن نوبله وكثر أبزاره وبالغ في تحسينه.
قال الزمخشري : قزح قدرك توبلها وطعام مليح قزيح.
وفي المصباح القزح كحمل الأبزار وقد يراد بقزحه هنا جعله ألوانا مليحة ، ففي المصباح أيضا القزح الطريق وهو خطوط من صفرة وخضرة وحمرة وما ذكر من أن قزحه مشددا هو ما ضبطه المصنف بخطه لكن إن كانت الرواية هكذا فمسلم وإلا فالمسموع جواز الأمرين ، ففي المصباح وغيره قزح قدره بالتخفيف والتثقيل جعل فيه القزح (وملحه) بفتح الحاء وشد اللام كذا رأيته بخط المصنف ، لكن قال المنذري هو بتخفيف اللام أي ألقى فيه الملح بقدر الإصلاح (فانظر إلى ما يصير) يعني ما يخرج منه : كان قبل ذلك ألوانا من الأطعمة طيبة ناعمة وشرابا سائغا فصارت عاقبته إلى ما ترى ، فالدنيا خضرة حلوة والنفس تميل إليها والجاهل بعاقبتها يتنافس في رتبتها ظانا أنها تبقى أو هو يبقى (تنبيه) ما في قوله إلى ما يصير موصولة وعائدها محذوف لأنه جر بمثل الحرف الذي جر الموصول به والتقدير إلى ما يصير إليه ونظر يتعدى (حم طب عن أبي) بن كعب قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير غني وهو ثقة وقال المنذري إسناده جيد قوي.." (١)
"من كون الرجال قوامين على النساء والقيم ما يقوم بأمرهن فكنى به عن اتيانهن له لطلب النكاح حلالا أو حراما وخص هذه الأمور الخمسة بالذكر لإشعارها باختلاف الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد وهي الدين لأن رفع العلم يخل به والعقل لأن شرب الخمر يخل به والنسب لأن الزنا يخل به والنفس والمال لأن كثرة الفتن تخل بهما.
قال الكرماني وإنما كان اختلاف هذه الأمور مؤذنا بخراب العالم لأن الخلق لا يتركون هملا ولا نبي يعد نبينا فتعين ذلك والمراد بشرب الخمر كثرته والتجاهر به لا أصل شربه فإنه في كل زمن وقد حد المصطفى صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه فيه ما لا

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٦٦٢/٢

يخفى على أن العلامة مجموع الأمور المذكورة وفيه الإخبار بما سيقع فوقع (حم ق ت ن هـ عن أنس) بن مالك قال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم أحد بعدي سمعه منه ؟ فذكره.

٢٤٧٥ - (إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر) قال الطبراني عن بعضهم يقال إن المراد الأصاغر من أهل البدع وأخرج الطبراني عن ابن مسعود لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا ، **وقال بعض الحكماء** : سودوا كباركم لتعزوا ، ولا تسودوا صغاركم فتذلوا وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق مكحول عن أنس قيل يا رسول الله متى ينزعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال : إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل إذا ظهر الادهان في خياركم والفحش في شراركم والملك في صغاركم والفقه في رذالكم وفي مصنف قاسم بن أصبغ بسند قال ابن حجر صحيح عن عمر : فساد الناس إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير ، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير ، وذكر أبو عبيدة أن المراد بالصغير في هذا صغير القدر لا السن (طب) وكذا في الأوسط (عن أبي أمية) بضم الهمزة وفتح الميم وشد المثناة تحت (الجمحي) وقيل اللخمي وقيل الجهني وقيل المخزومي صحابي له حديث.

قال الهيثمي فيه ابن لهيعة ضعيف.

٢٤٧٦ - (إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد) أي يدرأ كل من أهل المسجد الإمامة عن نفسه ويحيدها على غيره فكل من قدم إليها أبى وتأخر ويقول لست أهلا لها لتركه تعلم ما تصح الإمامة به (ولا يجدون إماما يصلي بهم) لقلة العلم وظهور الجهل فكل منهم يرى نفسه جاهلا بالإمامة وشروطها فلا يتقدم لذلك (حم د) في الصلاة وكذا ابن ماجه كلهم من حديث عقيلة امرأة من بني فزارة مولاة لهم (عن سلامة بنت الحر) الفزارية أخت خرشه الحر الفزاري صحابية لها حديث واحد.

قال الذهبي في المهذب وعقيلة مجهولة.." (١)

"٢٥٤١ - (إنكم لن تدركوا) أي تحصلوا (هذا الأمر بالمغالبة) المراد أمر الدين فإن الدين متين لا يغالبه أحد إلا غلبه فأوغلوا فيه برفق كما في الحديث السابق (ابن سعد) في الطبقات (حم هب عن ابن الأردع) بالدال المهملة واسمه سلم أو محجن وهو الذي قال المصطفى صلى الله عليه وسلم فيه ارموا وأنا مع ابن الأردع وهو ممن عرف بأبيه ويذكر باسمه قال كنت أحرس النبي صلى الله عليه وسلم فخرج ذات ليلة لحاجته فرآني فأخذ بيدي فمررنا على رجل يصلي فجهر بالقرآن فذكره قال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح.

٢٥٤٢ - (إنكم) أيها الصحب (في زمان) متصف بالأمن وعزة الإسلام (من ترك منكم) فيه (عشر ما أمر به) من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ لا يجوز صرف هذا القول إلى عموم المأمورات لما عرف أن مسلما لا يعذر فيما يهمل من فرض عيني (هلك) أي في ورطات الهلاك لأن الدين عزيز

وفي أنصاره كثرة فالترك تقصير منكم فلا عذر لأحد في التهاون حالتئذ (ثم يأتي زمان) يضعف فيه الإسلام وتكثر الظلمة

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٢/٦٧٦

ويعم الفسق ويكثر الدجالون وتقل أنصار الدين فيعذر المسلمون في الترك إذ ذاك لعدم القدرة وفقد التقصير وحينئذ (من عمل منهم) أي من أهل ذلك الزمن المحتوي على المحن والفتن (بعشر ما أمر به نجا) لأنه المقدور ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها * (فاتقوا الله ما استطعتم) * [التغابن : ١٩] قال الغزالي لولا بشارة المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه سيأتي زمان من تمسك فيه بعشر ذلك نجا لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا فنسأل الله أن يعاملنا بما هو أهله وأن يستر قبائح أعمالنا كما يقتضيه فضله وكرمه **وقال بعض الحكماء** معروف زمننا منكر زمان مضى ومنكر زمننا معروف زمان لم يأت (ت) في آخر الفتن (عن أبي هريرة) وقال غريب وأورده ابن الجوزي في الواهيات وقال قال النسائي حديث منكر رواه أبو نعيم بن حماد وليس بثقة.

٢٥٤٣ - (إنكم لا ترجعون إلى الله تعالى) أي لا تعاودون مأدبة كرمه المرة بعد الأخرى قال الزمخشري من المجاز خالفني ثم رجع إلى قوله وما رجع إليه في خطب إلا كفي (بشيء أفضل مما خرج منه يعني القرآن) كذا هو في خط المصنف قال البخاري خروجه منه ليس كخروجه منك إن كنت تفهم وقال ابن فورك الخروج خروج جسم من جسم بمفارقة محله واستبداله محلا آخر وذا محال هنا وظهور شئ من شئ يقال خرج لنا من كلامك نفع وهو المراد هنا أي ما أنزل الله على نبيه وقيل ضمير منه." (١)

"قال تعالى : * (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) * ومن ثم قالوا : الإنسان موسوم بسيما من يقارن ومنسوب إليه أفاعيل من صاحب.

وقال علي كرم الله وجهه : الصاحب مناسب ، ما شئ أدل على شئ ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب.

وقال بعض الحكماء : اعرف أخاك بأخيه قبلك وقال آخر : يظن بالمرء لا يظن بقرينه قال عدي : عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي فمقصود الحديث التحرز من أخلاء السوء وتجانب صحبة الريب ليكون موفور العرض سليم العيب فلا يلام بلائمة غيره (ابن عساكر) في التاريخ (عن أنس).

٢٨٩١ (إياك والسمر بعد هدأة) بفتح وسكون (الرجل) بكسر الراء وسكون الجيم وفي رواية الليل بدل الرجل ذكره المصنف على حاشية نسخته (١) (فإنكم لا تدرون ما يأتي الله تعالى في خلقه) (ك) في الأدب (عن جابر) وقال : على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(١) ومراده النهي عن التحدث بعد سكون الناس وأخذهم مضاجعهم ثم علل ذلك بقوله : فإنكم.

٢٨٩٢ (إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين) لأن التنعم بالمباح وإن كان جائزا لكنه يوجب الأنس به ثم إن هذا محمول على المبالغة في التنعم والمداومة على قصده فلا ينافيه ما ورد في المستدرك وغيره أن المصطفى صلى الله عليه وسلم أهديت له حلة اشتريت بثلاثة وثلاثين بعيرا وناقة فلبسها مرة على أنه

وإن داوم على ذلك فليس غيره مثله فإن المعصوم واقف على حدود المباح فلا يحمله ذلك على ما يخاف غائلته من نحو بطر وأشر ومداهنة وتجاوز إلى مكروه ونحو ذلك وأما غيره فعاجز عن ذلك فالتفريج على تنعمه بالمباح خطر عظيم لإبعاده

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٧٠٥/٢

عن الخوف قال العارف الجنيد : دخلت على العارف السري وهو يبكي فسألته فقال : جاءته البارحة الصبية فقالت : يا أبت هذا الكوز أعلقه لك يبرد فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق نزلت من السماء فقلت : لمن أنت قالت : لمن لا يشرب الماء المبرد فكسرت الكوز (حم هب عن معاذ) قال الهيثمي : رجال أحمد ثقات وقال المنذري بعد ما عزاه لأحمد والبيهقي : رواة أحمد ثقات.

٢٨٩٣ (إياك والحلوب) أي احذر ذبح شاة ذات لبن فعولة بمعنى مفعولة يقال : ناقة حلوب أي هي مما يحلب قاله لأبي التيهان الأنصاري لما أضافه فأخذ الشفرة وذهب ليذبح له وفيه قصة طويلة." (١)

"مخالفته ومن ثم قال بعض العارفين : العاصي الذليل الحقير خير من الطائع المتكبر المعجب بنفسه ومعصية أورثت ذلا واحتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (وإياكم والحرص) وهو كما قال الماوردي شدة الكد والاسراف في الطلب قال : وهو خلق يحدث عن البخل (فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة) فأخرج من الجنة فإنه حرص على الخلد في الجنة فأكل منها بغير إذن ربها طمعا فيها فالحرص على الخلد أظلم عليه فلو انكشفت عنه ظلمته لقال كيف أظفر بالخلد فيها مع أكلي منها بغير إذن ربي ففي ذلك الوقت حصلت الغفلة منه فهاجت من النفس شهوة الخلد فيها فوجد العدو فرصته فخدعه حتى صرعه فجرى ما جرى قال الخواص : الأنبياء قلوبهم صافية ساذجة لا تتوهم أن أحدا يكذب ولا يحلف كاذبا فلذلك صدق من قال له أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى حرصا على عدم خروجه من حضرة ربه الخاصة ونسي النهي السابق فانكشف له ستر تنفيذ احذار ربه فكانت السقطة في استعجاله
بالأكل من غير إذن صريح فلذلك وصفه الله تعالى بأنه كان ظلوما جهولا حيث اختار لنفسه حالة يكون عليها دون أن يتولى الحق تعالى ذلك ولذلك قال : * (خلق الإنسان من عجل) * * (وكان الإنسان عجولا) * اه قال العارف ابن أدهم : قلة الحرص والطمع يورث الصدق والورع وكثرة الحرص والطمع تورث الهم والجذع قال الماوردي : الحرص والشح أصلا كل ذم وسببا كل لوم لأن الشح يمنع من أداء الحقوق ويبعث على القطيعة والعقوق فأما الحرص فيسلب كل فضائل النفس لاستيلائه عليها ويمنع من العبادة لتشاغله عنها ويبعث على التورط في الشبهات لقلة تحرزه منها فهذه ثلاث خصال هن جامعات للرذائل مانعات للفضائل من ان الحريص لا يستزيد بحرصه على رزقه سوى إذلال نفسه وإسخاط خالقه.

وقال بعض الحكماء : الحرص مفسدة في الدين والمروءة والله ما عرفت في وجه رجل حرصا فرأيت أن فيه مصطنعا وقال آخر : المقادير الغالبة لا تنال بالمغالبة والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشدة والمكالبة وليس للحريص غاية مطلوبة يقف عنها ولا نهاية محدودة يقنع بها لأنه إن وصل بالحرص إلى ما أمله أغراه ذلك بزيادة الحرص والأمل وإلا رأى إضاعة العناء لوما والصبر عليه حزما وصار لما سلف من عني به أقوى رجاء وأبسط أملا ولو صدق الحريص نفسه واستنصح عقله لعلم أن من تمام السعادة وحسن التوفيق الرضا بالقضاء والقناعة بما قسم (وإياكم والحسد فإن ابني آدم) قابيل وهابيل (إنما قتل

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ١٥٣/٣

أحدهما صاحبه حسدا (١) فهو) أي الكبر والحرص والحسد (أصل كل خطيئة) فجميع الخطايا تنشأ عنها والكبر منازعة الذات المتعالية في الصفة." (١)

"بل تمامه عند أبي نعيم وثلاثة لا يرد دعاؤهم عند النداء للصلاة وعند الصف في سبيل الله وعند نزول القطر (حل عن سهيل بن سعد) الساعدي.

٣٢٥٢ (تحروا الصدق) أي قوله والعمل به (وإن رأيتم أن فيه الهلكة) في ظاهر الأمر (فإن فيه النجاة) في باطن الأمر باعتبار العاقبة والكذب بخلاف ذلك ومن ثم قال الحكماء : الصدق ينجيك وإن خفته والكذب يرديك وإن أمنته وقال الجاحظ : الصدق والوفاء توأمان والصبر والحلم توأمان فهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا وأضدادهن سبب كل فرقة وأصل كل فساد قال الماوردي وقد يظن بعض الناس أ في الكذب اجتلاب النفع واستدفاء الضر فيرى أن الكذب أسلم وأغنم فرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفاقا للطمع وربما كان الكذب أبعد لما يؤمن وأقرب لما يخاف لأن القبيح لا يكون حسنا والشر لا يكون خيرا وهل يجنى من الشوك العنب ومن الكرم الحنظل (ابن أبي الدنيا) أبو بكر القرشي (في الصمت) أي في كتاب فضل الصمت (عن منصور بن المعتمر) بن عبد الله السلمي أبو غياث بمثلثة ثقيلة ثم موحدة ثقة ثبت من طبقة الأعمش (مرسلا) قال المنذري رواه هكذا معضلا ورواته ثقات انتهى ومنصور كان من أئمة الكوفة قال : ما كتبت حديثا قط ومناقبه جمة.

٣٢٥٣ (تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة) ظاهرا (فإن فيه النجاة) باطنا وآخرا (واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة) ولهذا **قال بعض الحكماء** : ليكن مرجعك إلى الحق ومفزعك إلى الصدق فالحق أقوى معين والصدق أفضل قرين ومحل هذا وما قبله ما إذا لم يترتب على

الصدق وقوع محذور أو على الكذب مصلحة ظاهرة محققة وإلا ساغ الكذب بل قد يجب (هناد عن مجمع) بضم أوله وفتح الجيم وشد الميم مكسورة (بن يحيى) بن يزيد (مرسلا) هو الأنصاري الكوفي قال الذهبي : ثقة وفي التقريب صدوق.

٣٢٥٤ (تحريك الأصابع) وفي رواية الأصبع (في الصلاة) يعني في التشهد (مذعرة) أي مخوفة والذعر الخوف (للشيطان) أي أنه يفرق منه فيتباعد عن المصلي لذلك فعلى هذا فتحريك المصلي أصبعه فيه سنة وإليه ذهب جمع شافعية فسنوا تحريك السبابة لكن المصحح عندهم أنه لا يحركها بل يقتصر." (٢)

"٣٢٧٧ (تذهبون الخير فالخير) بالتشديد والنصب أي الأفضل فالأفضل (حتى لا يبقى منكم إلا مثل هذه) وأشار إلى حشف التمر أي لا يبقى إلا نخالة الناس وأشرارهم وأرذالهم ولا يزال الأمر في قهقرى حتى لا يقال في الأرض الله (تخ طب ك عن رويفع) بالفاء مصغر بن (ثابت) الأنصاري البخاري سكن مصر وولي إمرة المغرب له صحبة.

٣٢٧٨ (تربوا صحفكم) أي أمروا التراب عليها بعد كتابتها (فإنه أنجح لها) أي أكثر نجاحا ثم وجه ذلك بقوله (إن التراب مبارك) قال في مسند الفردوس : يعني يجفف المكتوب بالتراب بأن ينشر

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ١٦٩/٣

(٢) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٣٠٥/٣

عليه وقيل أراه يضع المكتوب إذا فرغ منه على التراب سواء جف أم لا ، فإن فيه نجاح الحاجة والبركة وفي رواية لابن قانع تربوا الكتاب فإنه أنجح له وجميع ما في الباب ضعيف كما سبق روى الخطيب في الجامع من حديث عبد الوهاب الحجي : كنت بمجلس بعض المحدثين وابن معين بجنبي فكتبت صحفا فذهبت لأتربها فقال : لا تفعل فإن الأرض تسرع إليه فسقت إليه هذا الحديث فقال : إسناد لا يساوي فلسا (هـ) من حديث أبي أحمد الدمشقي عن أبي الزبير (عن جابر) قال البيهقي : وأبو أحمد من مشايخ بقية المجهولين وروايته منكرة وقال أبو طالب : سألت أحمد عنه فقال : حديث منكر وأورده ابن الجوزي عن جابر من أربعة طرق وزيفها كلها وفي الميزان كاللسان ما حاصله أنه موضوع.

٣٢٧٩ (ترك الدنيا أمر من الصبر) أي أشد مرارة منه **قال بعض الحكماء** : الدنيا من نالها مات منها ومن لم ينلها مات عليها (وأشد من حطم السيوف في سبيل الله عز وجل) في الجهاد وحطم الشئ كسره وظاهر كلام المصنف أن هذا هو الحديث بتمامه وهو ذهول عجيب بل بقيته عند مخرجه الديلمي من حديث ابن مسعود هذا ولا يتركها أحد إلا أعطاه الله مثل ما يعطي الشهداء وتركها قلة الأكل والشبع وبغض الثناء من الناس فإنه من أحب الثناء من الناس أحب الدنيا ونعيمها ومن سره النعيم فليدع الدنيا والثناء من الناس اه.

بلفظه ، فاقتصار المصنف على الجملة الأولى منه من سوء التصرف وإن كان جائزا (تنبيه) طريق ترك الدنيا بعد إلفها والأنس بها ورسوخ القدم فيها بمباشرة العادة أن يهرب من موضع أسبابها ويكلف نفسه في أعماله أفعالا يخالف ما يعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذا كل هيئة وحال في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وما." (١)

"تفصيله (تعلق (١) بالشجر) أي تأكل منه والمراد شجر الجنة (حتى إذا كان يوم القيامة) يعني إذا نفخ في الصور النفخة الثانية (دخلت كل نفس في جسدها) الذي كانت فيه في الدنيا بأن يعيد الله الأجساد كما كانت عند الموت وتسكن أرواحها إليها قال الحكيم الترمذي : لعل هذا أي كونها في جوف الطيور في أرواح كمل المؤمنين اه (طب عن م هانئ) بنت أبي طالب أو امرأة أنصارية ذكر كل منهما الطبراني

من طريق قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضا فذكره ، وقضية كلام المصنف أنه لم يره مخرجا لأعلى من الطبراني وهو عجب فقد خرجه أحمد باللفظ المذكور عن أبي هريرة المزبور وقد سبق عن الحافظ ابن حجر وغيره أن الحديث إذا كان في غير الكتب الستة ورواه أحمد لا يعزى لغيره قال الهيثمي : وفيه ابن لهيعة.

(١) وهو في الأصل للإبل إذا أكلت العصاة ويقال علقت تعلق علوقا فنقل إلى الطير.

٣٣٦٠ (تمام البر) بالكسر (أن تعمل في السر عمل العلانية) فإن أبطن خلاف ما أظهر فهو منافق وإن اقتصر على العلانية فهو مرائي قال الماوردي : **قال بعض الحكماء** : من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر ، قال : فسري كإعلاني وتلك خليقتي * وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا ومن استوى سره وعلنه فقد كمل فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا (طب عن أبي عامر السكوني) بفتح المهملة

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٣١٥/٣

وضم الكاف وأخره نون الشامي قال : قلت : يا رسول الله ما تمام البر فذكره قال الهيثمي : فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ضعيف لم يتعمد الكذب وبقية رجاله وثقوا على ضعف فيهم ورواه الطبراني باللفظ المزبور من طريق آخر عن أبي مالك الأشعري ولو ضمه المصنف له لأحسن.

٣٣٦١ (تمام الرباط) أي المرابطة يعني مرابطة النفس بالإقامة على مجاهدتها لتستبدل أخلاقها الردية بالحميدة قال الراغب : المرابطة كالمحافظة وهي ضربان مرابطة في ثغور المسلمين ومرابطة النفس فإنها كمن أقيم في ثغر وفوض إليه مراعاته فيحتاج أن يراعيه غير مخل به كالمجاهدة بل هو الجهاد الأكبر كما في الحديث الآتي (أربعين يوما) لأنها مدة يصير المداومة فيها على الشئ خلقا كالخلق الأصلي الغريزي (ومن رابط أربعين يوما لم يبع ولم يشتر ولم يحدث حدثا) أي لم يفعل شيئا من الأمور الدنيوية." (١)

"عما يعرض لكم من الأحكام ومن كان بالصفة المقررة فهو من كبراء زمانه وعلماء أوانه فيجب أن يجالس بالتوقير والإحترام ويسائل بالتبجيل والإعظام وذم الجوارح ومراقبة الخواطر (وخالطوا) في رواية خاللوا (الحكماء) أي اختلطوا بهم في كل وقت فإنهم المصيبون في أقوالهم المتقنون لأفعالهم المحافظون في أحوالهم ففي مداخلتهم تهذيب للأخلاق وفي النص على مسائلة العلماء تنبيه على إيجاب تقديم العلم على العمل ولم يوقت إيذانا بملازمة السؤال إلى الترحال من دار الزوال فكأنه قال كن متعلما أبدا وإذا أطلق العلماء فالمراد العارفون بالحلال والحرام وغيرهم يعرفه أو يضاف كعلم الكلام فكأنه حث على تعلم الفقه لعموم البلوى ومس الحاجة (تنبيه) قال الراغب : **قال بعض الحكماء** : مجالسة العلماء ترغبك في الثواب ومجالسة الحكماء تقربك من الحمد وتبعدك عن الذم ومجالسة الكبراء تزهدك فيما عدا فضل الله الباري تعالى وقال بعضهم : إذا جالست أهل الدنيا فحاضرهم برفع الهمة عما بأيديهم مع تحقيرها وتعظيم الآخرة أو أهل الآخرة فحاضرهم بوعظ الكتاب والسنة وتعظيم دار البقاء وتحقير دار الفناء أو الملوك فبسيرة أهل العدل مع حفظ الأدب والعفاف أو العلماء فبالروايات الصحيحة والأقوال المشهورة مع الإنصاف وعدم الجدال المظهر حب العلو عليهم أو الصوفية فيما يشهد لأحوالهم ويقيم حجتهم على المنكر عليهم مع أدب الباطن قبل الظاهر والعارفين فيما شئت فإن لكل شئ عندهم وجه من وجوه المعرفة بشرط عدم المزج وحفظ الأسرار سيما من الأشرار.

(تتمة) من أمثالهم طأ أعتاب العالمين تطأ رقاب العالمين (طب عن ابن جحيفة) بالتصغير قال الهيثمي : رواه الطبراني من طريقين أحدهما هذه والأخرى موقوفة وفيه عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعي ضعفه أبو زرعة والدارقطني وساق له مناكير هذا منها.

٣٥٧٨ (جاهدوا) من المجاهدة مفاعلة من الجهد فتحا وضما وهو الإبلاغ في الطاقة والمشقة
وكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيل الله لكنه إذا أطلق عرفا لا يقع إلا على جهاد الكفار (المشركين) يعني الكفار وخص أهل الشرك لغلبتهم إذ ذاك (بأموالكم) أي في كل ما يحتاجه المسافر من سلاح ودواب وزاد (وأنفسكم)

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٣٥١/٣

أي بالقتال بالسلاح * (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم) * (وألسنتكم) بالمكافحة عن الدين وهجو الكافرين فلا تداهنهم بالقول بل جادلهم واغلظ عليهم ولا يعارض ذلك مطلق النهي عن سب المشركين لئلا يسبوا المسلمين لحمله على البذاءة به لا على من أجاب منتصرا (حم د ن حب ك) في الجهاد (عن أنس) بن مالك قال الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي وقال في الرياض بعد عزوه لأبي داود : إسناد صحيح.

٣٥٧٩ (جبل الخليل) أي الجبل المعروف بإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (مقدس) أي." (١)

"٣٨٦٢ (الحياء هو الدين كله) لأن مبدأه ومنتهاه يفضيان إلى ترك القبيح وترك القبيح خير لا محالة فكان لا يأتي إلا بخير ولأن من استحيا من الخلق قل شره وكثر خيره وغلب عليه السخاء والسماح الموصلان إلى ديار الأفراح وأشفق أن يرى أحد في دينه خللا أو في عمله زللا فمن ثم كان فيه كمال الدين لمصير من هو شعاره من المتقين (طب عن قرة) ابن إياس قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الحياء فقالوا : الحياء من الدين فقال : بل هو الدين كله وضعفه المنذري ولم يبين وبينه الهيثمي فقال فيه عبد الحميد بن سوار وهو ضعيف.

٣٨٦٣ (الحياء خير كله) لأن مبدأه انكسار يلحق الإنسان مخافة نسبته إلى القبيح ونهايته ترك القبيح وكلاهما خير ومن ثمراته مشهد النعمة والإحسان فإن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه

وإنما يفعله اللئيم فيمنعه مشهد إحسانه إليه ونعمته عليه من عصيانه حياء منه أن يكون خيره وإنعامه نازلا عليه ومخالفته صاعدة إليه فملك ينزل بهذا وملك يعرج بهذا فأقبح به من مقابلة (م د) من الإيمان (عن عمران بن الحصين) ورواه عنه أيضا أبو داود وفي الباب أنس وغيره.

٣٨٦٤ (الحياء لا يأتي إلا بخير) لأن من استحيا من الناس أن يروه يأتي بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة.

قال ابن عربي : الحياء أن لا يفعل الإنسان ما يخجله إذا عرف منه أنه فعله والمؤمن يعلم بأن الله يرى كل ما يفعله فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك وبأنه لا بد أن يقرره يوم القيامة على ما عمله فيخجل فيؤديه إلى ترك ما يخجل منه وذلك هو الحياء فمن ثم لا يأتي إلا بخير انتهى لا يقال صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يعظمه فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقد يحمله الحياء على إخلاله ببعض الحقوق كما هو معروف عادة لأنا نقول هذا ليس بحياء حقيقة بل عجز ومهانة وخور وإنما يطلق عليه أهل العرف حياء مجازا وحقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق الغير **وقال بعض الحكماء** : من كسى الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه (ق عن عمران بن الحصين) ورواه عنه أيضا أحمد وغيره.

٣٨٦٥ (الحياء من الإيمان) قال الزمخشري : جعل كالبعض منه لمناسبته له في أنه يمنع من المعاصي كما يمنع الإيمان وقال ابن الأثير : جعل الحياء وهو غريزة من الإيمان وهو اكتساب لأن." (٢)

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٤٥٢/٣

(٢) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٥٦٧/٣

"والأمثال وأهل الفضل والكمال وأنشد : فإذا أردت مودة تحظى بها * فعليك بالأكفاء والأمثال قال : ومودة الأراذل تورث ذلة ومودة العلماء تورث عزا (فائدة) قال العسكري : ما من حديث صحيح إلا أصله في القرآن فقيل له : فحديث رأس العقل إلخ أين هو في القرآن قال : * (واهجرهم هجرا جميلا) * (هب عن علي) أمير المؤمنين وفيه عبد الله بن أحمد بن عامر

عن أبيه عن أهل البيت أورده الذهبي في الضعفاء وقال : له نسخة باطلة وعلي بن موسى الرضي أورده الذهبي في الضعفاء وقال : له عجائب عن أبيه عن جده ورواه عن علي أيضا بالفظ المزبور الطبراني في الأوسط والجعاني في تاريخ الطالبين.

٤٣٦٧ (رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس) قالوا : معنى التودد في هذه الأخبار الإتيان بالأفعال التي تودك الناس ويحبونك لأجلها كما يشير إليه خبر ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس فمن فعل ذلك وده الناس لكن لا يريد بذلك محبتهم له بل يفعله لله لوجوب حق العباد لا لمطالبة الود منهم وإذا فعله لله أودع الله وده في قلوبهم بوده تعالى له * (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) * (وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة) أي منزلة عالية فيها معدة لهم (ومن كانت له في الجنة درجة فهو في الجنة) ولهذا قال علي كرم الله وجهه : إياكم ومعاداة الرجال فإنهم لا يخلون من ضربين عاقل يمكر بكم أجاهل يعجل عليكم بما ليس فيكم **وقال بعض الحكماء** : من سمع كلمة فسكت عنها سقط عنه ما بعدها ومن أجاب عنها سمع ما هو أغيظ منها وقال الماوردي : التودد يعطف القلوب على المحبة ويزيل البغضاء ويكون ذلك بصنوف من البر ويختلف باختلا ف الأحوال والأشخاص فإن ذلك من سمات الفضل وشروط التودد فإنه ما أحد يعدم عدوا ولا يفقد حاسدا وبحسب وفور النعمة تكثر الأعداء والحسدة ومن أغفل تألف الأعداء ووددادهم مع وفور النعمة وظهور الحسد توالي عليه من مكر حليمهم وبادره سفههم ما تصير به النعمة عذابا والدعة ملاما (ونصف العلم حسن المسألة) أي حسن سؤال الطالب للعلم فإنه إذا أحسن أن يسأله أقبل عليه العالم بشراشره وألقى إليه ما في سرائره ، فكأنه حاز نصف العلم من أول الطلب ، وكما أن حسن السؤال محمود في الأمور الدينية.

فكذا في الدنيوية قال عبد الملك بن صالح للرشيد : أسألك بالقرابة والخاصة ؟ أم بالخلافة والعامة ؟ فقال : بل الأولى.

قال : يدا ك بالعطية أطلق من لساني بالمسألة." (١)

"لم تعرفوا حقي وأنا فلان بن فلان وأنا الفاضل في العلوم فإن أشد الناس حماقة من يزكي نفسه ، (وما يستغني رجل عن مشورة) فإن من اكتفى برأسه ضل ومن استغنى بعقله ذل ومن ثم قال حكيم : المشورة باب رحمة ومفتاح بركة لا يضل معها رأي ولا يفقد معها حزم **وقال بعض الحكماء** : الخطأ مع الاسترشاد أجمل من الصواب مع الاستبداد (وإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة) فإن الدنيا مزرعة الآخرة وأحكام الآخرة مترتبة على أحكامها كما سبق

(تنبيه) قال ابن عربي : الناس أحوالهم بعد موتهم على قدر ما كانوا عليه في الدنيا للتفرغ لأمر ما معين أو مختلف على قدر ما تحققوا به وهم في الآخرة على قدر أحوالهم في الدنيا فمن كان في الدنيا عبدا محضا كان في الآخرة بقدر ما استوفاه في

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٣/٧٧١

الدنيا فلا أعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الذل في جناب الحق ولا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا عزا في نفسه وإما أن يكون في ظاهر الأمر ملكا أو غيره فلا يبالي في أي مقام وفي أي حال أقام عنده في ظاهره إنما المعتبر حاله في نفسه ، ذكر القشيري أن رجلا دفن رجلا ونزع الكفن عن خده ووضعه على التراب فقال له الميت : يا هذا أتذلني بين يدي من أعزني ورأيت أنا مثل ذلك أن صاحبي الحسن هاب غاسله أن يغسله ففتح عينه في المغسل وقال له : اغسل فلا فرق بين الحياة والموت (فائدة) أخرج العسكري عن سفيان بن عيينة قال : ما من حديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم صحيح إلا وأصله في القرآن فقيل : يا أبا محمد قوله رأس العقل بعد الإيمان المداراة أين المداراة في القرآن قال : قوله تعالى * (واهجرهم هجرا جميلا) * فهل الهجر الجميل إلا المداراة ومن ذلك * (ادفع بالتي هي أحسن) * (وقولوا للناس حسنا) * (ولمن صبر وغفر) * وغير ذلك.

(هب عن سعيد بن المسيب مرسلا) ظاهر صنيع المصنف أنه لا علة فيه غير الإرسال والأمر بخلافه فقد قال الذهبي في المهذب : مرسل وضعيف وقال ابن الجوزي : متن منكر وأقول فيه محمد بن عمرو وأبو جعفر قال الذهبي : مجهول ويحي بن جعفر أورده الذهبي في ذيل الضعفاء والمتروكين وقال : مجهول وزيد بن الحباب قال في الكاشف : لم يكن به بأس وقد يتهم والأشعث بن نزار ضعفوه وعلي بن زيد بن جذعان قال أحمد وغيره : ليس بشئ وبه يعرف أن إسناده عدم مع كونه مرسلا.

٤٣٧٠ - (رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس) أي أشرف ما دل عليه نور العقل بعد الإيمان بالله بمشاهدة عظمة الله وعزته وعقل نفسه عن السكون إلى غير الله مداراة الناس أي ملاينتهم وملاطفتهم ومن المداراة أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما ولا يطمع في تغيير شئ من جبلات الناس إلا." (١)

"خلقه وعمله وطبعه فمنهم من يكون على أخلاق السباع العادية ومنهم على أخلاق الكلاب والخنازير والحمير ومنهم من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاوس في ريشه ومنهم من يكون بليدا كالحمار ومن يألف ويؤلف كالحمام ومن يحقن كالجمل ومن يروع كالذئب والثعلب ومن هو خير كله كالغنم وتقوى المشابهة باطنا حتى تظهر في الصورة الظاهرة ظهورا خفيا ثم جليا تدركه أهل الفراسة وقوله : " واستحلت الخمر " قال ابن عربي : يحتمل أن معناه يعتقدونها حلالا ويحتمل أنه مجاز عن الاسترسال أي يسترسلون في شربها كالاسترسال في الحلال وقد سمعنا بل رأينا من يفعله.

(طب عن سهل بن سعد) الساعدي قال الهيثمي : وفيه عبد الله بن أبي الريان وهو ضعيف وبقية رجال أحد الطريقين رجال الصحيح.

٤٧٧٠ - (سيكون في آخر الزمان شرطة) في النهاية : الشرطي واحد الشرطة للسلطان وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على سائر الجند ، سموا بذلك لأن لهم علامة يعرفون بها ، وأشراط الساعة علاماتها (يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله) أي يغدون بكرة النهار ويروحون آخره وهم في غضبه وسخطه (فإياك أن تكون من بطانتهم) أي احذر أن تكون منهم وبطانة الرجل صاحب سره وداخلة أمره وصفيه الذي يقضي حوائجه ثقة به ، شبه ببطانة الثوب كما يقال

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٤/٤

فلان شعاري قال في الفردوس عقب سياق هذا الحديث : وفي رواية يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم أسواط مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله.

(طب عن أبي أمامة) وعزاه في الفردوس إلى مسلم وأحمد.

٤٧٧١ - (سيكون بعدي سلاطين : الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل) قال الزمخشري : أراد مبارك الإبل الجرباء يعني أن هذه الفتن تعدي من يقربهم أعداء هذه المبارك الإبل الملسى إذا أنيخت فيها قال : وقد تعدي الصحاح مبارك الجرب (لا يعطون أحدا شيئا إلا أخذوا من دينه مثله) لأن من قبل جوائزهم إما أن يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا أو يتكلف في كلامه لمرضاته وتحسين قالهم وذلك هو البهت الصريح.

أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا

يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي **وقال بعض الحكماء** : من رق ثوبه رق دينه ، ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان وهو على منبر الكوفة يعظ فقال : انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه زي الفساق وكان عليه ثياب رقاق ولهذا كانوا يتحامون مخالطة السلاطين ولما حج الرشيد قال لمالك : ألك دار قال : لا ؟ فأعطاه ثلاث آلاف دينار ثم أراد الشخوص قال : اخرج معنا فقال : لا أوثر الدنيا على جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذه دنانيركم.

وراود ابن هبيرة أبا حنيفة على ولاية بيت المال فأبى فضربه عشرين سوطا فاحتمل العذاب ولم يقبل.

- (طب ك) في المناقب (عن عبد الله بن الحرث) ويقال." (١)

"(زيادة في العمر وكل معروف) فعلته مع كبير أو صغير (صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة) يوم القيامة (أهل المعروف) قالوا : وهذا من جوامع الكلم قال الماوردي : وللمعروف شروط لا يتم إلا بها ولا يكمل إلا معها فمنها ستره عن إذاعته وإخفاؤه عن إشاعته **قال بعض الحكماء** : إذا اصطنعت المعروف فاستره وإذا اصطنع إليك فانشر لما جبلت عليه النفوس من إظهار ما أخفى وإعلان ما كتم ومن شروطه تصغيره عن أن تراه مستكبرا وتقليله عن أن يكون عنده مستكثرا لئلا يصير مذلا بطرا أو مستطيلا أشرا قال العباس : لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره وستره ، ومنها مجانبة الامتنان به وترك الإعجاب بفعله لما فيه من إسقاط الشكر وإحباط الأجر ومنها أن لا يحتقر منه شيئا وإن كان قليلا نزرا إذا كان الكثير معوزا وكنت عنه عاجزا.

(طس عن أم سلمة) قال الهيثمي : فيه

عبد الله بن الوليد ضعيف.

٥٠٤٢ - (صنفان) أي نوعان (من أمتي) أمة الإجابة ، ولفظ رواية ابن ماجه من هذه الأمة (ليس لهما في الإسلام نصيب) أي حظ كامل أو وافر (المرجئة) (١) بالهمز وبدونه وهم الجبرية القائلون بأن العبد لا يضره ذنب وأنه لا فعل له

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٤/١٦٩

البتة وإضافة الفعل إليه بمنزلة إضافته إلى الجماد (والقدرية) بالتحريك المنكرون للقدر القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة بقدرهم ودواعيهم لا يتعلق بها بخصوصها قدرة الله.

قال ابن العربي : عقب الحديث وهذا صحيح لأن القدرية أبطلت الشريعة.

وقال النوربشتي : سميت المجبرة مرجئة لأنهم يؤخرون أمر الله ويرتكبون الكبائر ذاهبين إلى الإفراط كما ذهبت القدرية إلى التفريط ، وكلا الفريقين على شفا جرف هار ، والقدرية إنما نسبوا إلى القدر وهو ما يقدره الله بزعمهم أن كل عبد خالق فعله من كفر ومعصية ونفوا أن ذلك بتقديره الله ، وربما تمسك بهذا الحديث ونحوه من يكفر الفريقين.

قال : والصواب عدم تكفير أهل الأهواء المتأولين لأنهم لم يقصدوا اختيار الكفر بل بذلوا وسعهم في إصابة الحق فلم يحصل لهم غير ما زعموه ، فهم كالمجتهد المخطئ هذا الذي عليه محققو علماء الأمة ، فيجري قوله لا نصيب لهم مجرى الاتساع في بيان سوء حظهم وقلة نصيبهم من الإسلام كقولك البخيل ليس له من ماله نصيب أو يحمل على من أتاه من البيان ما ينقطع العذر دونه فأفضت به." (١)

"حق الحق أو الخلق فإن القصد بالتواضع خفض الجناح للمؤمنين مع بقاء عزة الدين فالتواضع الذي يعود على الدين بالنقص ليس بمطلوب قال الخواص : إياك والإكثار من ذكر نقائصك لأن به يقل شكرك فما ربحت من جهة نظرك إلى عيوبك خسرته من جهة تعاميك عن محاسنك التي أودعها الحق فيك وقال : شهود المحاسن هو الأصل وأما نقائصك فإنما طلب النظر إليها بقدر الحاجة لئلا يقع في العجب وقال : إذا أغضبك أحد لغير شئ فلا تبدأه بالصلح لأنك تذل نفسك في غير محل وتكبر نفسه بغير حق ومن ثم قيل : الإفراط في التواضع يورث الذلة والإفراط في المؤانسة يورث المهانة قال ابن عربي : الخضوع واجب في كل حال إلى الله تعالى باطنا وظاهرا فإذا اتفق أن يقام العبد في موطن الأولى فيه ظهور عزة الإيمان وجبروته وعظمته لعز المؤمن وعظمته وجبروته ويظهر في المؤمن من الأنفة والجبروت ما يناقض الخضوع والذلة فالأولى إظهار ما يقتضيه ذلك الموطن قال تعالى * (ولو كنت فظا غليظ القلب) * الآية وقال * (واغلظ عليهم) * فهذا من باب

إظهار عزة الإيمان بعزة المؤمن وفي الحديث أن التبختر مشية يبغضها الله إلا بين الصفين فإذا علمت أن للمواطن أحكاما فافعل بمقتضاها تكن حكيما قال ابن القيم : والفرق بين التواضع والمهانة أن التواضع يتوالد من بين العلم بالله وصفاته ونعوت جلاله ومحبته وإجلاله وبين معرفته بنفسه ونقائصها وعيوب عمله وآفاتها فتولد من ذلك خلق هو التواضع وانكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة للخلق والمهانة الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها كتواضع الفاعل للمفعول به وقال الراغب : الفرق بين التواضع والضعة أن التواضع رضا الإنسان بمنزلة دون ما تستحقه منزلته والضعة وضع الإنسان نفسه بمحل يزرى به والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة والخشوع يقال باعتبار أفعال الجوارح ولذلك قيل : إذا تواضع القلب خشعت الجوارح **قال بعض الحكماء** : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد من الكبر مع الأدب فأنبل بحسنة غطت على سيئتين وأقبح بسيئة غطت على حسنتين والكبر ظن

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٤/٢٧٣

الإنسان بنفسه أنه أكبر من غيره والتكبر إظهار ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله وحده فمن ادعاها من المخلوقين فهو كاذب وفي أثر : الكبر على المتكبر صدقة لأن المتكبر إذا تواضعت له تمادى في تيهه وإذا تكبر عليه يمكن أن ينبه ومن ثم قال الشافعي : ما تكبر علي متكبر مرتين وقال الزهري : التجبر على أبناء الدنيا أوثق عرى الإسلام (وأذل نفسه في غير مسكنة) قال الغزالي : تشبث به طائفة الفقهاء فقلما ينفك أحدهم عن التكبر على الأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق ويتعللون بأنه ينبغي صيانة العالم عن الابتذال وأن المؤمن منهي عن إذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم وإضلالا للخلق.

(فائدة) روى العسكري أن رجلا مر على عمر وقد تخشع وتذلل وبالغ في الخضوع فقال عمر : ألست مسلما قال : بلى قال : فارفع رأسك وامدد عنقك فإن الإسلام عزيز منيع (وأنفق من مال." (١)

"لا يستحقها غيره فمن نازعه إياه فالنار مثواه فعقوبة المتكبر في الدنيا المقت من أولياء الله والذلة بين عباد الله.

(د ك عن أبي هريرة) ورواه يعلى عن ابن مسعود وهو في مسلم من جملة حديث.

٦٤٥٤ - (الكبر الكبر) بضم الكاف والباء ونصب آخره على الإغراء أي كبر الكبر أو ليبدأ الأكبر بالكلام أو قدموا الأكبر إرشادا إلى الأدب في تقديم الأسن قاله وقد حضر إليه جمع في شأن صاحب لهم وجدوه قتيلا في خيبر فلم يعرف قاتله فبدأ أصغرهم ليتكلم فذكره ثم طالبهم ببينة فقالوا : ما لنا بينة قال : فيحلفون قالوا : ما نرضى بأيمان اليهود فكره أن يبطل دمه فوداه بمائة من إبل الصدقة أي اشتراها من أصحابها بعد ما ملكوها قال القاضي : خبر القسامة أصل من أصول الشرع به أخذ العلماء كافة وإنما اختلفوا في كيفية الأخذ.

(ق د عن سهل بن أبي حثمة) الخزرجي صحابي مشهور.

٦٤٥٥ - (الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلم) محترم في نفس أو مال (أو دفع به عن دين) لأنه لغير ذلك غش وخيانة ومن ثم كان أشد الأشياء ضررا والصدق أشدها نفعا وقبح الكذب مشهور معروف إذ ترك الفواحش بتركه وفعلها بفعله فموضعه من القبح كموضع الصدق من الحسن ولهذا أجمع على حرمته إلا لضرورة أو مصلحة قال الغزالي : وهو من أمهات الكبائر قال : وإذا عرف الإنسان بالكذب سقطت الثقة بقوله وازدرته العيون واحتقرته النفوس وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب فانظر إلى قبح كذب غيرك ونفور نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك ما جاء به قال : ومن الكذب الذي لا إثم فيه ما اعتيد في المبالغة كجئت ألف مرة فلا يأثم وإن لم يبلغ ألفا قال : ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح وقال الراغب : الكذب عار لازم وذل دائم وحق الإنسان أن يتعود الصدق ولا

يترخص في أدنى الكذب فمن استحلاه عسر فطامه **وقال بعض الحكماء** : كل ذنب يرجى تركه بتوبة إلا الكذب فكم رأينا شارب خمر أقلع ولصا نزع ولم نر كذابا رجع ، وعوتب كذاب في كذبه فقال : لو تغرغرت به وتطعمت حلاوته ما

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٣٦٦/٤

صبرت عنه طرفة عين.
(الروياني) في مسنده (عن ثوبان) مولى النبي صلى الله عليه وسلم رمز لحسنه.
٦٤٥٦ - (الكذب يسود الوجه) لأن الإنسان إذا قال بلسانه ما لم يكن كذبه الله وكذبه إيمانه من قلبه فينظر أثر ذلك على وجهه * (يوم تبيض وتسود وجوه) * قال البيهقي : والكذب مراتب أعلاها في القبح والتحريم الكذب على الله ثم رسوله ثم كذب المرء على عينه فلسانه فجوارحه وكذبه على والديه ثم الأقرب فالأقرب أغلظ من غيره (والنميمة عذاب القبر) أي هي سبب." (١)

"إليه أمرهم من الاختلاف والتنازع وتفضي إليه أحوالهم من التباين والتقاطع ولو تصور هذا المختل التصور أن الدين ضرورة في العقل لقصر عن التقصير وأذعن للحق ولكن أهمل نفسه فضل وأضل.
تنبيه : هذا التقرير كله بناء على أن المراد بالفقه في الحديث العلم بالأحكام الشرعية الاجتهادية وذهب بعض الصوفية إلى أن المراد به هنا معناه اللغوي فقال : الفقه انكشاف الأمور والفهم هو العارض
الذي يعترض في القلب من النور فإذا عرض انفتح بصر القلب فرأى صورة الشئ في صدره حسنا كان أو قبيحا فالانفتاح هو الفقه والعارض هو الفهم وقد أعلم الله أن الفقه من فعل القلب بقوله * (لهم قلوب لا يفقهون بها) * وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم للأعرابي حيث قرأ عليه * (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) * الآية فقال : حسبي فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : فقه الرجل ، أي فهم الأمور وقد كلف الله عباده أن يعرفوه ثم بعد المعرفة أن يخضعوا ويدينوا له فشرع لهم الحلال والحرام ليدينوا له بمباشرته فذلك الدين هو الخضوع والدون مشتق من ذلك وكل شئ اتضع فهو دون فأمر المكلف بأمور ليضع نفسه لمن اعترف به ربا فسمى ذلك دينا فمن فقه أسباب هذه الأمور التي أمر بها لماذا أمر تعاظم ذلك عنده وكبر في صدره شأنه فكان أشد شارعا فيما أمر وهربا مما نهى فالفقه في الدين جند عظيم يؤيد الله به أهل اليقين الذين عاينوا محاسن الأمور ومشائنها وأقدار الأشياء وحسن تدبير الله في ذلك لهم بنور يقيهم ليعبدوه على بصيرة ويسر ومن حرم ذلك عبده على مكابدة وعسر لأن القلب وإن طاع وانقاد لأمر الله فالنفس إنما تخاف وتنقاد إذا رأت نفع شئ أو ضره والنفس جندها الشهوات ويحتاج صاحبها إلى أضدادها من الجنود لقهرها وهي الفقه لأنه تعالى أحل النكاح وحرم الزنا وإنما هو إتيان واحد لامرأة واحدة لكن ذا بنكاح فشأنه العفة وتحصين الفرج فإذا أتت بولد ثبت نسبه وجاء العطف من الوالد بالنفقة والتربية وإذا كان من زنا فإن كلا من الواطئين محيله على الآخر وحرم الله الدماء وأمر بالقصاص ليتحاجزوا ويحيوا وحرز المال وأمر بقطع السارق ليتمانعوا إلى غير ذلك من أسرار الشريعة التي إذا فهمها المكلف هانت عليه الكلف وعبد الله بانشراح ونشاط وانبساط وذلك فضل العبادة بلا ريب.
- (هب عن ابن عمر) بن الخطاب ظاهر صنيع المصنف أن مخرجه البيهقي خرجه وأقره والأمر بخلافه بل عقبه بالقدح في سنده فقال : تفرد به عيسى بن زياد وروي من وجه آخر ضعيف والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري اه بحروفه فاقتطاع المصنف ذلك من كلامه وحذفه من سوء التصرف ولهذا جزم جمع بضعف الحديث منهم الحافظ العراقي وكان ينبغي

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٥/٨٠

للمصنف استيعاب مخرجيه إشارة إلى تقويه فمنهم الطبراني في الأوسط والآجري في فضل العلم وأبو نعيم في رياض المتعلمين من حديث أبي هريرة ورواه الدارقطني عن أبي هريرة وفيه يزيد بن عياض قال النسائي : متروك
وقال ابن معين : لا يكتب حديثه وقال الشيخان : منكر الحديث وقال مالك : هو أكذب من ابن سمعان.

٧٩٤١ - (ما عدل وال اتجر في رعيته) لأنه يضيق عليهم **قال بعض الحكماء** : كيمياء الملوك الإغارة والعمارة ولا تحسن بهم التجارة.

- (الحاكم في) كتاب (الكنى) والألقاب (عن رجل) من الصحابة ورواه أيضا ابن منيع والديلمي.." [١]

"٨٨٥٢ - (من عشق) من يتصور حل نكاحه لها شرعا لا كأمرد (فعف ثم مات ، مات شهيدا) أي يكون من شهداء الآخرة لأن العشق وإن كان مبدأه النظر والسماع لكنهما غير موجبين له فهو فعل الله بالعبد بلا سبب ، ولهذا قال أفلاطون : ما أعلم الهوى غير أني أعلم أنه جنون إلهي لا محمود صاحبه ولا مذموم ، **وقال بعض الحكماء** : العشق طمع يحدث في القلب قهرا ، وكلما قوي زاد صاحبه قلقا وضجرا فيلتهب به الصدر فيحترق الدم فيصير مع الصفراء سوداء وطغيانه يفسد الفكر ويؤدي للجنون فربما مات وقتل نفسه ، وإذا كان فعل القلب وأكثر أفعاله ضروريات فلا يؤاخذ به بل يؤجر عليه ، والمراد بالعفة العفة عن إيتاء النفس حظها طلبا لراحة قلبه ومتابعة لهوى نفسه ، وإن كان في غير محرم وكان صاحبه يأثم ، لكن رتبة الشهادة سنية لا تنال إلا بفضيلة كاملة أو بلية شاملة وإنما قارب وصف من عف وصف القتيل في سبيل الله لتركه لذة نفسه فكما بذل المجاهد مهجته لإعلاء كلمة الله فهذا جاهد نفسه في مخالفة هواها بمحبته للقديم خوفا ورهبة وإيثارا على ما يحدث ، ذكره في البحر.

- (خط) في ترجمة عطية بن الفضل (عن عائشة) وفيه أحمد بن محمد بن مسروق أورده الذهبي في الضعفاء وقال : لينه الدارقطني وسويد بن سعيد فإن كان هو الدقاق فقد قال علي بن عاصم منكر الحديث وإن كان الذي خرج له مسلم فقد أورده الذهبي في الضعفاء وقال : قال أحمد : متروك وأبو حاتم : صدوق وفيه أيضا أبو يحي القتات.

[ص ١٨٠] ٨٨٥٣ - (من عشق فكتم وعف ومات مات شهيدا) قال ابن عربي : العشق التقاء الحب بالمحب حتى خالط جميع أجزائه واشتمل عليه اشتمال الصماء.

- (خط) في ترجمة عثمان المروزي (عن ابن عباس) وفيه سويد بن سعيد قال أحمد : متروك وقال ابن معين : لو كان لي فرس ورمح لغزوته قال ابن الجوزي : ومدار الحديث عليه فهو لا يصح لأجله ورواه الحاكم من عدة طرق كلها معلولة وهذا الطريق أمثلها فقد قال ابن حجر : عن بعضهم إنه أقواها حتى يقال إن أبا الوليد الباجي رحمه الله تعالى نظم فيه : إذا مات المحب جوى وعشقا * فتلك شهادة يا صاح حقا رواه لنا ثقات عن ثقات * عن الحبر ابن عباس يرقى وقد غلط في هذا الطريق بعض الرواة فأدخل إسنادا في إسناد اه.

وقال ابن القيم : هذا الحديث والذي قبله كله منهما موضوع ولا يجوز كونه من كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم وأطال لكن انتصر الزركشي لتقويته فقال : أنكره ابن معين وغيره على سويد لكنه لم ينفرد به فقد رواه الزبير بن بكار قال حدثنا

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٥/٥٨١

عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون عن عبد العزيز بن أبي حازم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وهو إسناد صحيح وقد ذكره ابن حزم في معرض الاحتجاج وقال : رواته ثقات.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم آت الحجر سمعته يقول لا تبكوا إلخ.

قال الهيثمي عقب عزوه لأحمد والطبراني : فيه كثير بن زيد وثقه أحمد وغيره وضعفه النسائي وغيره رواه سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب بدل داود اه ، وكثير بن زيد أورده الذهبي في الضعفاء وقال : ضعفه النسائي وقبله غيره وداود بن أبي صالح قال ابن حبان : يروي الموضوعات.

٩٧٢٩ - (لا تتبع) بضم أوله وفتح ثالثه خبر بمعنى النهي (الجنازة بصوت) أي مع صوت وهو النياحة (ولا نار) فيكره اتباعها بنار في مجمرة أو غيرها لأنه من شعائر الجاهلية ولما فيه من التفاؤل ومن ثم قيل يحرم (ولا يمشي) بضم أوله (بين يديها) أي بنار ولا صوت وقد يستدل بظاهره الحنفية على أن الماشي معها إنما يمشي خلفها وعرف من التقرير أن هذا كله إنما هو إذا حملت الجنازة لتقبر ، أما التبخير عند غسله وتكفينه فمندوب كما مر (هـ عن أبي هريرة) رمز لحسنه.

قال عبد الحق : وسنده منقطع.

قال ابن القطان : والحديث لا يصح وإن كان متصلا للجهل بحال ابن عمير راويه عن رجل عن أبيه عن أبي هريرة ، وقال ابن الجوزي : فيه رجلان مجهولان.

٩٧٣٠ - (لا تتخذوا المساجد طرقا إلا لذكر أو صلاة) أو اعتكاف أو نحو ذلك (طب عن ابن عمر) بن الخطاب ، ورواه ابن ماجه بدون إلا إلخ قال الهيثمي : ورجاله موثقون.

٩٧٣١ - (لا تتخذوا الضيعة) يعني القرية التي تزرع وتستغل وهذا وإن كان نهيا عن اتخاذ الضياع لكنه مجمل فسره بقوله (فترغبوا في الدنيا) يعني لا يتخذ الضياع من خاف على نفسه التوغل في الدنيا فيلهو عن ذكر الله ، فمن لم يخف ذلك لكونه يثق من نفسه بالقيام بالواجب عليه فيها فله الاتخاذ كما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم الأراضي واحتبس الضياع * (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) *

[النور : ٣٧] ومن وهم أن فعله ناسخ لقوله هنا فقد وهم كما بينه ابن جرير **قال بعض الحكماء** : الضياع مدارج الهموم وكتب الوكلاء مفاتيح العموم وقال : الضيعة إن تعهدتها صفت وإن لم تتعهدها ضاعت ووهب هشام للأبرش ضيعة فسأله عنها فقال : لا عهد لي بها فقال : لولا أن الراجع في هبته كالراجع في قيئه لأخذتها منك أما علمت أنها إنما سميت ضيعة لأنها تضيع إذا تركت ، وقال الغزالي : اتخاذ الضياع يلهي عن ذكر الله الذي هو السعادة الأخروية إذ يزدحم على القلب عصوبة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر في تدبير الحذر منه وتدبير استنماء المال وكيفية تحصيله أولا وحفظه ثانيا وإخراجه ثالثا وكل ذلك مما يسود القلب ويزيل صفاءه ويلهي عن الذكر كما قال تعالى * (ألهاكم التكاثر) * فمن انتفى في حقه ذلك ساغ له الاتخاذ (حم ت) في الزهد (ك) في الرقاق (عن." (٢)

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٢٣٣/٦

(٢) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٥٠٢/٦

"ابن رجب : المشروع عند وجود الأسباب المكروهة الاشتغال بما يرجى به دفع العذاب من أعمال الطاعة والدعاء وتحقيق التوكل والثقة بالله **قال بعض الحكماء** : صحيح الأصوات في هياكل العبادات بأفنان اللغات محلل ما عقدته الأفلاك الدائرات أي على زعمهم (تنبيه) قال ابن مالك في شرح التسهيل : أكثر ما يحذف الحجازيون خبر لا مع إلا نحو لا إله إلا الله ومن حذفه دون إلا نحو لا ضرر ولا ضرار ولا عدوى ولا طيرة (حم ق) في الطب (عن أبي هريرة حم م عن السائب) ابن يزيد ابن أخت عمران وفي مسلم عن أبي هريرة أنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا عدوى ولا صفر ولا هام ويحدث عنه أيضا أنه قال لا يورد ممرض على مصح قال الحارث بن أبي ذئاب وهو ابن عم أبي هريرة فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر.

٩٩٠٨ - (لا عدوى ولا طيرة) بكسر ففتح من التطير التشاؤم بالطيور (ولا هامة ولا صفر ولا غول) هو بالفتح مصدر معناه البعد والهلاك وبالضم الاسم وهو من السعالى وجمعه أغوال وغيلان كانوا يزعمون أن الغيلان في الفلاة وهر من جنس الشياطين تتراءى للناس وتتغول أي تتلون فتضلهم عن الطريق فتهلكهم فأبطل ذلك وقيل إنما أبطل ما زعموه من تلونه لا وجوده ومعنى لا غول أي لا يستطيع أحد إضلال أحد قال القاضي : والمراد بقوله لا عدوى إلخ أن مصاحبة المعلول ومؤاكلته لا توجب حصول تلك العلة ولا تؤثر فيها لتخلفه عن ذلك طردا وعكسا لكنها تكون من الأسباب المقدرة التي تعلقت المشيئة بترتب العلة عليها بالنسبة إلى بعض الأبدان إحداث الله تعالى فعلى العاقل التحرز عنها ما أمكن بتحرزه عن الأطعمة الضارة والأشياء المخوفة والطيرة التفاؤل بالطير وكانوا يتفاءلون بأسمائها وأصواتها والهامة الصداء وهو طائر كبير يضعف بصره بالنهار ويطير بالليل ويصوت فيه ويقال له يوم والناس يتشاءمون بصوته ومن زعمات العرب أن روح القتيل الذي

لا يدرك ثاره تصير هامة فتبدوا وتقول اسقوني فإذا أدرك ثأر طارت وقوله لا غول يحتمل أن المراد به نفيه رأسا وأن المراد نفيه على الوجه الذي يزعمونه فإنهم يقولون هو ضرب من الجن يتشخصون لمن يمشي وحده في ملاة أو في الليلة الليلاء ويمشي قدامه فيظن الماشي خلفه أنه إنسان فيتبعه فيوقعه في الهلاك اه.

وقال الطيبي : لا التي لنفي الجنس دخلت على المذكورات ونفت ذواتها وهي غير منفية فيوجه النفي إلى أوصافها وأحوالها التي هي مخالفة الشرع فإن العدوى وصفر والهامة موجودة والمنفي هو ما زعمت الجاهلية لا إثباتها فإن نفي الذات لإرادة نفي الصفات أبلغ في باب الكناية (حم م عن جابر) بن عبد الله.

٩٩٠٩ - (لا عقر في الإسلام) قال ابن الأثير : هذا نفي للعادة الجاهلية وتحذير منها كانوا في الجاهلية يعقرون الإبل أي ينحرونها على قبور الموتى ويقولون صاحب القبر كان يعقرها للأضياف في." (١)

" قال تعالى : ١٦ (﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾) [البقرة ٢١٦] . ثم يترقى بأن يرى أن لا يقع في الكون غير الخير ولذلك ورد : الخير بيديك والشر ليس إليك . ثم المستحب دعاء الإستخارة بعد تحقق المشاورة في الأمر المهم من الأمور الدينية والدنيوية وأقله أن يقول : (اللهم

---

(١) فيض القدير @ ط العلمية المناوي، عبد الرؤوف ٦/٥٦٢

خر لي واختر لي ولا تكلني إلى اختياري) . والأكمل أن يصلي ركعتين من غير الفريضة ثم يدعو بالدعاء المشهور في السنة على ما قدمناه في كتاب الصلاة . (رواه أحمد والترمذي وقال : هذا حديث غريب) تمامه ولا نعرفه إلا من حديث محمد بن حميد وليس هو بالقوي عند أهل الحديث . ورواه الحاكم في صحيحه وزاد فيه : من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن شقاوته تركه استخارة الله . رواه الحاكم والترمذي . قال ميرك : كلاهما من حديث سعد بن أبي وقاص وقال الترمذي : غريب ولفظه : من سعادة ابن آدم كثرة استخارته الله تعالى ورضاه بما قضى الله تعالى له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تعالى وسخطه بما قضى الله تعالى له . وفي الجامع أسند الحديث إلى الترمذي والحاكم عن سعد لكن لفظه : من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله . فهذا وما قبله مما يدل على أن لفظ المشكاة وقع فيه اختصار مخل والله سبحانه [وتعالى] أعلم . وروى الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعا : ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد . **وقال بعض الحكماء** : من أعطى أربعا لم يمنع أربعا . من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الإستخارة لم يمنع الخير ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب .

٣ ٣ (الفصل الثالث) ٣

(٥٣٠٤) (عن جابر أنه غزا مع النبي) وفي نسخة : رسول الله . (قبل نجد) بكسر

---

(١) ".

"فأنكرت ذلك بعينها، وأبطأت في الصب على قدر نظرها للمأمون وإشارتها إليه، فقال الرشيد: ما هذا؟ ضعي الإبريق من يدك، ففعلت، فقال لها (١): والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك، فقالت: يا سيدي، أشار إلي كأنه يقبلني (٢)، فأنكرت ذلك عليه، فالتفت إلى المأمون فنظر إليه كأنه ميت لما داخله من الجزع والخجل، فرحمه وضمه إليه، وقال: يا عبد الله، أتحبها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: هي لك فاخل (٣) بها في تلك القبة، ففعل، ثم قال له: هل قلت في هذا الأمر شيئا؟ فقال: نعم يا سيدي، وأنشد (٤): [المجتث]

ظبي كنيت بطرفي ... من الضمير إليه ...

قبلته من بعيد ... فاعتل من شفتيه ...

ورد أخبث رد ... بالكسر من حاجبيه ...

فما برحت مكاني ... حتى قدرت عليه

وفي هذا المعنى يقول بعض البلغاء: اللحظ، يعرب عن اللفظ، وقال آخر: رب كناية تغني عن إيضاح، ورب لفظ يدل على ضمير، ونظمه الشاعر فقال: [الطويل]

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح @ ط العلمية الملا على القاري ٩/٤٩٤

جعلنا علامات المودة بيننا ... دقائق لحظ هن أمضى من السحر ...
فأعرف منها الوصل في لين لحظها ... وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر (٥)

وفي هذا **قال بعض الحكماء**: العين باب القلب، فما في القلب ظهر في العين وقال الشاعر: [البسيط]
العين تبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغض إذا كانا ...
فالعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وأبو المغيرة بن حزم قال في حقه في المطمح ما نصه (٦): الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم، وبنو حزم فتية علم وأدب، وثنية مجد وحسب، وأبو المغيرة هذا في الكتابة أوحد، لا ينعت ولا يحد، وهو فارس المضمار، حامي ذلك الذمار، وبطل الرعيل (٧)، وأسد ذلك الغيل، نسق المعجزات، وسبق في المعضلات الموجزات، إذا كتب وشى المهارق ودبج، وركب من بحر البلاغة الثبج (٨)، وكان هو وأبو عامر بن شهيد خليلي صفاء، وحليفي

---

(١) لها: غير موجودة في ب.
(٢) في ب: أشار إلي عبد الله ..
(٣) في هـ: فأدخل بها.
(٤) في ب، هـ: ثم أنشد.
(٥) النظر الشزر: الشديد، المتلئ غضبا.
(٦) انظر المطمح ص ٢٢.
(٧) الرعيل: جماعة الرجال التي تتقدم غيرها.
(٨) الثبج من الشيء: معظمه، ومن الموج: أعلاه.." [١]

"فصل [في الأخذ على يد الظالم]**قال بعض الحكماء**: احفظ أربع خصال، تنج بها من كل شيء: فأولها عينيك، ولسانك، وقلبك، [وهواك]؛ فعينيك لا تنظر بهما إلى ما لا يحل لك، ولسانك لا تقل به شيئا تعلم أن الحق بخلافه، وقلبك لا يكن فيه غلة ولا عداوة لأحد من المسلمين، وهواك لا تنظر به إلى شيء من الشر، فإن لم يكن فيك شيء من هذه الخصال، وإلا فاجعل الرماد على رأسك، واعلم أنك هلكت.وفي كتاب ((الزهد)) للإمام أحمد: أن رجلا من إخوان فضيل

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت البقاعي @ ط الفكر (١٠٤١) ٢/١٢٦

بن عياض -من أهل خراسان- قدم مكة، فجلس إلى الفضيل في المسجد الحرام يحدثه، ثم قام الخراساني يطوف، فسرقت منه دنانير -ستين أو سبعين-، فخرج الخراساني يبكي، فقال له الفضيل: مالك؟ فقال: سرقت الدنانير، قال: عليها تبكي؟ قال: لا، مثلتني وإياه بين يدي الله -عز وجل-، فأشرف عقلي على إدحاض حجته، فبكيت رحمة له.." (١)

"الآخر، **وقال بعض الحكماء في** قوله تعالى: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان (١) قال: عند عدم البغي بين البحرين يخرج اللؤلؤ والمرجان فكذلك عند عدم البغي في القلب يخرج الدين والإيمان.واعلم أن وجه الاستدلال بهذه الأحوال على إثبات الصانع الحكيم ظاهر؛ وذلك لأنه سبحانه وتعالى دبر أجزاء الأرض على هذه الأحوال المحكمة المتقنة الموافقة لمصالح العباد، وذلك لا يمكن إلا بمشيئة نافذة وقدرة كاملة وحكمة بالغة.الصفة الخامسة للأرض قوله تعالى في سورة الملك: "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا".واعلم أن الذلول من كل شيء المنقاد المطيع لك، الذي يذل لك، ومصدره الذل وهو الانقياد واللين، ومنه يقال: دابة ذلول، وفي وصف الأرض بالذلول وجوه:الأول: أنه تعالى لم يجعلها صخرة خشنة يمتنع المشي عليها كما يمتنع المشي على وجوه الصخور الخشنة.والثاني: أنه جعلها لينة بحيث يمكن حفرها وبناء الأبنية منها كما يراد ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك.والثالث: أنك تطرح عليها كل قبيح وهو يخرج لك كل طعام لذيذ.والرابع: أنها كفات الأحياء والأموات، وهذه الوجوه قد شرحناها فيما تقدم، ثم قال تعالى: "فامشوا في مناكبها".____________(١) الرحمن: (١٩) - (٢٠).." (٢)

"أصحاب الفراسة من معرفة أحوال النفس أدلة إلى الهيئة البدنية حتى **قال بعض الحكماء**: قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة فنقش الخواتيم مفرد من الكنز وطالعه الوجه عنوان باقي النفس قال عليه السلام: اطلبوا الخير من حسان الوجوه. وقال عمر رضي الله عنه: إذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم.وحكى أن المأمون استعرض جيشا فمر به رجل قبيح الوجه فاستنطقه فوجده ألكن فأمر بإسقاطه وقال: إن الروح إذا وقع أثرها في الظاهر كانت صباحة وإذا وقع أثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن.الحجة الخامسة: في أن كمال الجسم من الفضائل قوله تعالى: وزاده بسطة في العلم والجسم (١) واعلم أن حسن الصورة وإن كان مرغوبا فيه إلا أن حسن السيرة أفضل منه ويدل عليه وجوه:الحجة الأولى: أن حسن الصورة من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك أن الحكمة أفضل من الشهوة وكان حسن السيرة أفضل لا محالة من حسن الصورة.الحجة الثانية: أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم أنه بسبب حسن الصورة وقع في أنواع من البلاء:منها أن أباه كان يحبه أكثر كما أخبر الله تعالى عن إخوته قولهم: إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا (٢) فلهذا قصدوا قتله كما أخبر الله تعالى حكاية عنهم قولهم: اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم (٣).____________(١) البقرة: (٢٤٧).(٢) يوسف: (٨).(٣) يوسف: (٩).." (٣)

---

(١) آداب الدعاء لابن عبدالهادي @ ط النوادر ابن المِبْرَد ص/٢٧٣

(٢) أسرار التنزيل وأنوار التأويل - فخر الدين الرازيغص/٣٤١

(٣) أسرار التنزيل وأنوار التأويل - فخر الدين الرازيص/٥٨٠

"[حديث: بينا أنا أمشي مع النبي في خرب المدينة]١٢٥# وبه قال: (حدثنا قيس بن حفص) بن القعقاع؛ بعين مهملة بين القافين، الدارمي أبو محمد البصري، المتوفى سنة سبع وعشرين ومئتين، (قال: حدثنا عبد الواحد): هو ابن زياد أبو بشر البصري، (قال: حدثنا الأعمش سليمان)، وفي رواية زاد: (ابن مهران) (عن إبراهيم): هو ابن يزيد النخعي، (عن علقمة): هو ابن قيس النخعي، (عن عبد الله): هو ابن مسعود رضي الله عنه.(قال بينا) أصلها: بين؛ فأشبعت الفتحة بالألف، والعامل فيها: جوابها وهو قوله: (فمر ...) إلخ: لا يقال: الفاء الجزائية تمنع عمل ما بعدها فيما قبلها، فلا يعمل مر في (بينا)؛ لأنا نقول: بين الفاء وإذا أخوة؛ حيث استعملت الفاء هنا موضع إذا، والغالب أن جواب (بينا) يكون بإذا أو إذا، وإن كان الأصمعي يستفصح تركهما، وتمامه في «عمدة القاري».(أنا أمشي مع النبي) الأعظم (صلى الله عليه وسلم)؛ أي: مصاحبا له (في خرب المدينة) المنورة؛ بكسر الخاء المعجمة، وفتح الراء، آخره موحدة، جمع: خربة، أو بفتح الخاء، وكسر الراء؛ جمع: خرب؛ مثل: كلمة وكلم يستوي فيه المفرد والجمع، وتحقيقه في «عمدة القاري»، وما زعمه ابن حجر مخالف لأهل اللغة، وعند المؤلف في غير هذا الموضع: (حرث بالمدينة)؛ بالحاء المهملة المفتوحة، وسكون الراء، والثاء المثلثة، وكذا رواه مسلم في جميع طرقه.(وهو) عليه السلام (يتوكأ)؛ أي: يعتمد، والجملة إسمية وقعت حالا (على عسيب)؛ بفتح العين، وكسر السين المهملتين، وسكون التحتية، وهو العصا من جريد النخل (معه): صفة لـ (عسيب)، (فمر بنفر)؛ بفتح الفاء: عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة (من اليهود)؛ باللام وبدونها معرفة، والمراد به: اليهوديون فحذفوا النسبة؛ للفرق بين المفرد والجمع، وسموا بذلك؛ لتهودهم؛ أي: تمايلهم في قراءة التوراة، وهذا بيان لـ (النفر).(فقال بعضهم لبعض سلوه)؛ أي: النبي الأعظم عليه السلام (عن الروح)، وعن فئة فقدوا في أول الزمان، وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها، (وقال) وفي رواية: (فقال) (بعضهم: لا تسألوه لا يجيء)؛ بالرفع على الاستئناف، والجزم على جواب النهي، والنصب على معنى: أن (بشيء تكرهونه)، فإنهم قالوا: إن فسر ذلك كله؛ فليس بنبي، وإن لم يفسر ذلك؛ فليس بنبي، وإن فسر البعض وأمسك عن البعض؛ فهو نبي، وذلك يكرهونه؛ لأنه مذكور عندهم في التوراة، وهو دليل على نبوته.(فقال بعضهم) لبعض والله: (لنسألنه) عن ذلك، فهو جواب قسم محذوف، (فقام رجل منهم) لم يسم، (فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟) وما الفئة التي فقدوا أول الزمان، وما الرجل الذي بلغ مشرق الأرض ومغربها، وسؤالهم عن الروح مشكل؛ لأن الروح جاء في القرآن على معان منها: القرآن، وجبريل، أو الملائكة، أو عيسى، أو ملك له أحد عشر ألف جناح وألف وجه يسبح الله إلى يوم القيامة، وكان ابن عباس يكتم أمر الروح، والتحقيق أن سؤالهم كان عن روح بني آدم وغيره من الحيوان؛ لأنه مذكور عندهم في التوراة أنه لا يعلمه إلا الله.(فسكت) عليه السلام لما سألوه، قال ابن عباس (فقلت) في نفسي: (إنه يوحى إليه) في ذلك؛ أي: أوحي إليه، وعبر بالمضارع عن الحال، (فقمت) عنه حتى لا أكون مشوشا عليه، أو فقمت حائلا بينه وبينهم، (فلما انجلى)؛ أي: انكشف وذهب (عنه) عليه السلام الغم الذي كان يغشاه حال الوحي على عادته عليه السلام.(فقال) وفي رواية: (قال: ﴿أم حسبت [١] أن أصحاب الكهف﴾ ... [الكهف: ٩]) إلى آخر القصة، و (قال: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ ... [الكهف: ٨٣]) إلى آخر القصة، وقال: (﴿ويسألونك﴾)؛ بإثبات الواو كالتنزيل، وفي رواية: بدونها (﴿عن الروح قل﴾) يا محمد لهم (﴿الروح من أمر ربي﴾)؛ أي: من الأمور التي اختص الله بعلمها.والأكثر على أن النبي الأعظم عليه السلام لم يكن عالما به، لكن قال جماعة: ليس في الآية دليل على أن الروح لا تعلم، ولا على أن النبي الأعظم

عليه السلام لم يكن يعلمها، فاختلفوا فيها فقيل: إنها جسم لطيف خلقه الله تعالى وأجرى العادة بأن الحياة لا تكون مع فقده، فإذا شاء موته؛ أعدم هذا الجسم منه عند إعدام الحياة، وهذا الجسم وإن كان حيا فلا يحيى إلا بحياة تختص به، وهو مما يصح عليه البلوغ إلى جسم ما من الجسم، وبكونه في مكان في العالم أو في حواصل طيور [٢] خضر.وقيل: إنه صورة لطيفة على صورة الجسم لها عينان، وأذنان، ويدان، ورجلان في داخل الجسم يقابل كل جزء منه وعضو نظيره من البدن، وهو خيال، وقيل: إنها جوهر محدث قائم بنفسه غير متحيز وإنه ليس بداخل الجسم ولا خارج عنه، وليس متصلا به، ولا منفصلا عنه، واعترض عليه بوجوه.والذي اعتمده أهل السنة من المتكلمين: أنها جسم لطيف في البدن سار فيه سريان ماء الورد فيه، وقد ذكر بعضهم في الروح سبعين قولا، واختلف هل الروح والنفس واحد أم لا؟ والأصح أنهما متغايران؛ لأن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل واحد منا بقوله: أنا، وأكثر الفلاسفة لم يفرقوا بينهما، **وقال بعض الحكماء والغزالي**: النفس المجردة؛ أي: غير جسم ولا جسماني.(«وما أوتوا»)؛ بصيغة الغائب في أكثر نسخ «الصحيحين»، وفي رواية: (﴿وما أوتيتم﴾)؛ بالخطاب؛ موافقة للمرسوم (﴿من العلم﴾)، وهو خطاب عام؛ لأنه عليه السلام لما قال لهم ذلك؛ قالوا: (نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه؛ فقال: «بل نحن وأنتم»)، وقيل: خطاب لليهود خاصة؛ لأنهم قالوا للنبي الأعظم عليه السلام: (قد أوتينا التوراة فيها، وقد تلوت ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ [البقرة: ٢٦٩])، فقيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى، ولذا قال (﴿إلا قليلا﴾ [الإسراء: ٨٥]): استثناء من (العلم)؛ أي: إلا علما قليلا، أو من الإيتاء؛ أي: إلا إيتاء قليلا، أو من الضمير؛ أي: إلا قليلا منكم.(قال الأعمش)؛ أي: سليمان بن مهران: (هكذا في)، وفي رواية: (كذا في)، وفي أخرى: (هكذا هي في) (قراءتنا)؛ يعني: (أوتوا)؛ بصيغة الغائب، قال في «عمدة القاري»: وليست هذه القراءة في السبعة، ولا في المشهور في غيرها، وقد أغفلها أبو عبيد في كتاب القراءة من قراءة الأعمش، وذكر مسلم الاختلاف في هذه اللفظة عن الأعمش، وهي مخالفة للثابت في المصحف؛ فهي قراءة شاذة.واختلف الأصوليون فيما نقل آحادا، ومنه: القراءة الشاذة؛ كمصحف ابن مسعود وغيره هل هو حجة أم لا؟فأثبته إمامنا الإمام الأعظم والجمهور، ونفاه الشافعي، وبنى عليه الإمام الأعظم وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين؛ بما نقل عن مصحف ابن مسعود من قوله: (ثلاثة أيام متتابعات)، فإذا لم يثبت كونه قرآنا؛ فلا أقل من كونه خبرا، وقال الشافعي: إن الراوي له إن ذكر أنه قرآن؛ فخطأ، وإلا فهو متردد بين أن يكون خبرا أو مذهبا له،[ص ٨٢]فلا يكون حجة بالاحتمال ولا خبرا.وقال الغزالي والرازي: خبر الواحد دليل على أنه كذب، وهو خطأ قطعا، وهو لا يجوز العمل به، ورد بأن هذا خبر صحابي أو خبر عنه، وقول الصحابي حجة عنده، وأي دليل قام على أنه خبر مقطوع بكذبه؛ فهو ممنوع؛ فليحفظ.وقال عياض: (القراءة الشاذة لا يحتج بها في حكم، ولا يقرأ بها في صلاة)، وكأنه مذهب مالك.أقول: والقرآن الذي تجوز فيه الصلاة اتفاقا: هو المضبوط في مصاحف [٣] الأئمة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار، وهو الذي أجمع عليها الأئمة العشرة، وهو المتواتر جملة وتفصيلا؛ فما فوق السبعة إلى العشرة غير شاذ، وإنما الشاذ ما وراء العشرة، وهو الصحيح، كذا قاله زين الدين قاسم في فتاويه، فإن قرأ في الصلاة بالشاذ؛ فإن كان المقروء من مكان القصص، والأمر، والنهي؛ تفسد صلاته، وإن كان ذكرا أو تنزيها؛ فلا تفسد ولا يجزئ لو اقتصر عليه، فإن قرأ بغيره؛ صحت وإلا فسدت، كذا حققه في

«البحر والنهر»، وسيأتي في محله إن شاء سبحانه.=========[١] في الأصل: (حسبتم).[٢] في الأصل: (صيور).[٣] في الأصل: (المصاحف).=================[١] في الأصل: (حسبتم).[٢] في الأصل: (صيور).[١] في الأصل: (حسبتم).[٢] في الأصل: (صيور).." (١)

"١٢٥ – وبالسند إلى المؤلف قال:(حدثنا قيس بن حفص) هو ابن القعقاع الدارمي أبو محمد البصري ثقة، انفرد البخاري بالإخراج عنه عن أئمة الكتب الخمسة، وليس في مشايخهم من اسمه قيس سواه، توفي سنة سبع وعشرين ومائتين.(قال: حدثنا عبد الواحد) ابن زياد أبو بشر البصري المتوفى سنة ست وسبعين ومائة (قال: حدثنا الأعمش سليمان) أي: ابن مهران، كما في رواية ابن عساكر (عن إبراهيم) ابن يزيد النخعي.(عن علقمة) ابن قيس النخعي (عن عبد الله) ابن مسعود رضي الله عنه (قال: بينا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء وبموحدة، وفي رواية أبي ذر عن الكشميهني: بكسر ثم فتح جمع خربة كسدرة وسدر وكلاهما في فرع اليونينية، ورواه البخاري في موضع آخر بمهملة وراء ساكنة ومثله في آخره.(وهو) صلى الله عليه وسلم (يتوكأ) جملة اسمية وقعت حالا مرتبطة بالواو والضمير (على عسيب) بفتح العين المهملة وكسر السين المهملة وسكون التحتية آخره موحدة؛ أي: عصى من جريد النخل (معه) في محل الصفة لعسيب.(فمر بنفر) بفتح الفاء عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة (من اليهود) هذا اللفظ مع اللام وبدون اللام معرفة، والمراد به اليهوديون، ولكنهم حذفوا ياء النسبة كما قالوا زنجي وزنج للفرق بين الواحد والجمع.(فقال بعضهم لبعض: سلوه) أمر من سأل يسأل بالألف فيهما كخاف يخاف؛ أي: اسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن الروح) الأكثر على أنه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته، فأخبر أنه من أمر الله؛ أي: استأثر الله تعالى بعلمه، وقيل: هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك، وقيل: خلق كهيئة الناس، وقيل: جبريل، وقيل: القرآن، وقيل: عيسى.(وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه) برفع يجيء على الاستئناف، وهو الذي في فرع اليونينية، وبجزمه على جواب النهي.قال ابن حجر: وهو الذي في روايتنا، والمعنى أن لا تسألوه لا يجيء بمكروه، وهو صحيح كلا تدن من الأسد لا يؤذك، ويجوز نصبه على معنى لا تسألوه خشية أن لا تجيء فيه، و ((لا)) زائدة.قال في ((المنحة)): وهذا ماش على مذهب الكوفيين، والمراد بما يكرهونه عدم الجواب عنها؛ لأنه دليل على نبوته وهم يكرهونها.(فقال بعضهم) لبعض والله (لنسألنه) عنها (فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم) بإثبات الهمزة، وفي نسخة: بحذفها تخفيفا (ما الروح) سؤالهم هذا فيه غموض وخفاء؛ لأن الروح مشترك بين عدة معان كما تقدم (فسكت) صلى الله عليه وسلم لما سألوه، قال ابن مسعود: ((فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت)) كيلا أشوش عليه لانصرافه بكليته إلى الوحي أو فقمت حائلا بينه وبينهم.(فلما انجلى) أي: انكشف (عنه) الكرب الذي كان يغشاه حال الوحي (قال) بإسقاط الفاء للأربعة، ولغيرهم: (٢)(﴿ويسألونك﴾) بإثبات الواو كالتنزيل، وفي رواية أبي ذر والأصيلي وابن عساكر:(٣).(﴿عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾) أي: من إبداعياته

(١) أصل الزراري شرح صحيح البخاريص/٢٢٧

(٢) فقال

(٣) يسألونك

الحاصلة بقول كن من غير مادة وتولد من أصل، واقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء:٢٣] بذكر بعض صفاته، إذ الروح لدقته لا يمكن معرفته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به، فلذلك اقتصر على هذا الجواب، ولم يبين الماهية لكونها مما استأثر الله بعلمها، ولأن في عدم بيانها تصديقا لنبوته عليه الصلاة والسلام، وقد كثر اختلاف العلماء والحكماء قديما وحديثا في الروح، وأطنب أرباب النظر في شرحه وخاضوا في غمرات الاختلاف في ماهيته إلى نحو ألف قول.قال المازري: الكلام على الروح مما يدق، وقد ألفت فيه التآليف، وأشهرها ما قاله الأشعري أنه النفس الداخل والخارج، وقال القاضي أبو بكر: هو متردد بين ما قاله الأشعري وبين الحياة، وقيل: جسم لطيف خلقه الباري سبحانه وأجرى العادة بأن الحياة لا تكون مع فقده، فإذا شاء الله أعدم هذا الجسم منه عند إعدام الحياة، وهذا الجسم وإن كان حيا فلا يحيا إلا بحياة تختص به وهو مما يصح عليه البلوغ إلى جسم ما من الأجسام، وبكونه في مكان من العالم أو في حواصلج ١ ص ٥٥٥طير خضر إلى غير ذلك مما وقع في الظواهر إلى غيره من جواهر القلب والجسم الحياة.وقال غيرهما: هو الدم، وقد ذكر بعضهم في الروح سبعين قولا، واختلف هل النفس والروح واحد أم لا؟ والأصح أنهما متغايران، فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل واحد منا بقوله أنا، وأكثر الفلاسفة لم يفرقوا بينهما، قالوا النفس هو الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، ويسمونها الروح الحيوانية وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة وبين البدن.**وقال بعض الحكماء والغزالي**: النفس المجرد؛ أي: غير جسم ولا جسماني.وقال الغزالي: الروح جوهر محدث قائم بنفسه غير متحيز وإنه ليس داخلا في الجسم ولا خارجا عنه، وليس متصلا به ولا منفصلا عنه، وذلك لعدم التحيز الذي هو شرط الكون في الجهات، واعترض عليه بوجوه ذكرت في موضعها، وقيل: الروح عرض؛ لأنه لو كان جوهرا والجواهر متساوية في الجوهرية للزم أن يكون للروح روح آخر وهو فاسد.وقيل: إنه جوهر فرد متحيز، وإنه خلاف الحياة القائمة بالجسم الحيواني، وإنه حامل للصفات المعنوية.وقيل: إنه صورة لطيفة على صورة الجسم لها عينان وأذنان ويدان ورجلان في داخل الجسم يقابل كل جزء منه وعضو نظيره من البدن.وقيل: إنه جسم لطيف في البدن سار فيه سريان ماء الورد في الورد، وعليه اعتمد عامة المتكلمين من أهل السنة، كذا في العيني.وفي ((معالم التنزيل)) للبغوي: واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه، فروي عن ابن عباس: ((أنه جبريل عليه السلام)) وهو قول الحسن وقتادة، وروي عن علي: ((أنه ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلها)).وقال مجاهد: خلق على صورة بني آدم لهم أرجل وأيد ورؤوس ليسو بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام.وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش، لو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرضين السبع بما فيها بلقمة واحدة لفعل، صورة خلقه على صورة الملائكة، وصورة وجهه على صورة الآدميين، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش، وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين، وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد لولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره.وقيل: الروح القرآن.وقيل: عيسى، فإنه روح الله وكلمته؛ أي: ليس كما يقول اليهود ولا كما يقول النصارى.وقال قوم: هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان وهو الأصح، ثم ذكر بعض ما تقدم عن العيني من الأقوال.(وما أوتوا) بصيغة الغائب المبني للمفعول في أكثر نسخ الصحيحين (من العلم إلا) علما أو

إيتاء (قليلا) أي: بالنسبة إلى معلومات الله تعالى (قال الأعمش) سليمان بن مهران (هي كذا في قراءتنا) وللكشميهني: [(١)]، وللحموي والمستملي: [(٢)]أي: قال الأعمش: إنها في قراءته بصيغة الغائب.قال في ((الفتح)): وليست هذه القراءة في السبعة، ولا في المشهور من غيرها، وقد أغفلها أبو عبيد في كتاب القراءات له من قراءة الأعمش.وقال القسطلاني: وليست في طرق مجموعي المفرد في فنون القراءات عن الأعمش وهي مخالفة لخط المصحف، وفي رواية: [(٣)]بالخطاب موافقة للمرسوم في الكتاب، ويأتي إن شاء الله تعالى تمام البحث في الروح في كتاب التفسير بعون الملك القدير.." [(٤)]

"إعراب القرآن الكريم، ج ١٠، ص: ٢٢١** قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير: هذا القول الكريم هو نص الآية الكريمة التاسعة و «نذير» بمعنى: منذر يخوفكم من مثل هذه العاقبة وهي بصيغة - فعيل بمعنى فاعل - أو بمعنى إنذار أو بمعنى: أهل نذير بدليل «إن أنتم» أي فكذبناه أو فكذبنا به وقلنا ما أنزل الله عليك شيئا ما أنتم أيها الرسل إلا في بعد شديد عن الصواب.** وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور: هذا القول الكريم هو نص الآية الكريمة الثالثة عشرة .. المعنى: واكتموه أو أخفوه أو أعلنوه وفي القول الكريم طباق وهو الجمع بين الشيء وضده.** سبب نزول الآية: نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين كانوا ينالون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخبره جبريل - عليه السلام - بما قالوا فيه ونالوا منه فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد.** ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير: هذا القول الكريم هو نص الآية الكريمة الثامنة عشرة بمعنى ولقد كذب الذين كانوا من قبلهم رسلهم فكيف كان إنكاري لهم وغضبي عليهم.و «كذب» خلاف صدق .. يقال: كذب - يكذب - كذبا .. بوزن «علم» فهو كاذب - اسم فاعل - وكذاب وكذوب - من صيغ المبالغة «فعال وفعول بمعنى فاعل» وقيل في الأمثال:الكذب داء والصدق شفاء. وقيل: من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه. وجاء في الصحاح: و «كذب» قد تكون بمعنى: وجب. عن عمر - رضي الله عنه-: كذب عليكم الحج: بمعنى: وجب. قال الأخفش: فالحج مرفوع بكذب بمعنى: كتب لأنه يريد أن يأمر بالحج كما يقال: أمكنك الصيد أي ارمه. وقيل في الأمثال: فلان أكذب من فاختة.لأن حكاية صوتها «هذا أوان الرطب» تقول ذلك والطلع لم يطلع بعد. وقال الشاعر:أكذب من فاختة ... تقول وسط الكربوالطلع لما يطلع ... هذا أوان الرطبو «الفاختة» نوع من الحمام البري المطوق جمعه: فواخت. سميت «فاختة» بسبب لونها لأنه يشبه الفخت: أي ظل القمر. وقالت العرب:دع الكذب حيث ترى أنه ... ينفعك فإنه يضركوعليك بالصدق حيث ترى ... أنه يضرك فإنه ينفعكيضرب هذا المثل في الحث على لزوم الصدق حتى يصير عادة وهو عادة حميدة بالتأكيد لأن الصدق -كما **قال بعض الحكماء** - عز والكذب خضوع.** أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن: ورد هذا القول الكريم في الآية الكريمة التاسعة عشرة .. المعنى: ألم ينظروا إلى الطير

---

(١) هكذا في قراءتنا

(٢) هكذا هي في قراءتنا

(٣) وما أوتيتم

(٤) إضاءة الدراري شرح صحيح البخاري/٢٢١

طائرات فوقهم في الجو باسطات أجنحتهن في الهواء ما يمسكهن في الجو من الوقوع إلا الرحمن بقدرته ويضممن أجنحتهن إذا ضربن بها جنوبهن ليواصلن الطيران ويقبضن: بمعنى: قابضات. ولم يقل:قابضات مع أنها بهذا المعنى لأنها معطوفة على «صافات» وهو صف الأجنحة ولم يقل قابضات لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة هو مد الأطراف وبسطها أما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى: أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما." (١)

"إعراب القرآن الكريم، ج ٧، ص: ٣٣٠** ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون: هذا القول الكريم هو نص الآية الكريمة السابعة والثلاثين .. وهو قول سليمان لرسول بلقيس: ارجع إلى قومك بهديتهم. فلنزحفن عليهم بجنود لا طاقة لهم على صدها أو دفعها أي على إيقاف الجنود وقال «بها» أي أنث «الجنود» على اللفظ لا على المعنى .. ولنخرجنهم من مدينتهم سبأ وهم أذلاء مهانون.** قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك: ورد هذا القول الكريم في الآية الكريمة الأربعين .. القائل هو وزير سليمان أو ملك أو هو نفسه أي يأتي بعرش بلقيس إليه – وقيل: هو أحد علماء الكتاب الإلهي وهو من الصلحاء واسمه آصف بن برخيا من بني إسرائيل. والمراد بعلم الكتاب: علم الأسرار الروحية – الروحانية – والتأثير في المواد بالقوى النفسية. و «يرتد» بمعنى يرجع .. ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد. والطرف: هو تحريك الأجفان عند النظر فوضع الطرف موضع «النظر» أي إنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت عرشها بين يديك. أي قبل أن تطبق جفن العين الأعلى على الأسفل وهو كناية عن السرعة الفائقة.وقيل: رب طرف أفصح من لسان .. وهو مثل قولهم: البغض تبديه لك العينان. **قال بعض الحكماء**: من أرسل طرفه استدعى حتفه. وقال الشاعر:تخفي العداوة وهي غير خافية ... نظر العدو بما أسر يبوح[سورة النمل (٢٧): آية ٣١](ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين (٣١)ألا تعلوا علي: أصلها: أن: حرف تفسير لا عمل له. و «لا»: ناهية جازمة. تعلوا: فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والألف فارقة. علي: جار ومجرور متعلق بتعلوا بمعنى: ألا تتكبروا. وجملة «لا تعلوا علي» جملة مفسرة لا محل لها ويجوز أن تكون «أن» مصدرية فتكون جملة «لا تعلوا علي» صلة حرف مصدري لا محل لها. و «أن» وما بعدها بتأويل مصدر في محل رفع خبر مبتدأ محذوف تقديره: المقصود هو ألا تعلوا علي أو بدل من «كتاب كريم» بمعنى: ألقي إلي ألا تعلوا علي ويجوز أن يكون المصدر المؤول في محل جر بحرف جر مقدر أي بأن لا تعلوا.وأتوني مسلمين: الواو عاطفة. ائتوني: فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة الواو ضمير متصل في محل رفع فاعل.النون نون الوقاية لا محل لها. والياء ضمير متصل – ضمير المتكلم – في محل نصب مفعول به. مسلمين: حال من ضمير المخاطبين منصوب." (٢)

---

(١) إعراب القرآن الكريم لبهجت الشيخلي ٢٢١/١٠

(٢) إعراب القرآن الكريم لبهجت الشيخلي ٣٣٠/٧

"٢٧٥/ ١٣٠٢ - قال أبو عبد الله: حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر [١]، قال: حدثنا شعبة، عن ثابت، قال:سمعت أنسا، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصبر عند [٢] الصدمة الأولى».يريد أن الصبر المحمود المأجور عليه صاحبه هو ما كان عند مفاجأة المصيبة، وهي الصدمة الأولى دون ما بعدها، فإنه إذا طالت الأيام عليها وقع السلو، وصار الصبر حينئذ طبعا، فلم يكن للأجر موضع.وقد **قال بعض الحكماء**: إن الإنسان لا يؤجر على شيء من المصائب التي تناله في نفسه [٣] من مرض وموت وحميم ورزء مال؛ لأجل ذوات هذه الأمور، فإن جميع ذلك طبع وجبلة، ولا صنع للإنسان فيه، وقدص ٢٢٢يصيب الكافر مثل ما يصيب المسلم فيصبر [٤]، إنما يؤجر الإنسان على قدر [٥] نيته واحتسابه الأجر فيها، وتلقي الأمر في ذلك بالرضا وجميل الصبر.__________[١] (قال حدثنا غندر) سقط من (ط).[٢] في (ر): (عن).[٣] في الفروع: (نفس).[٤] قوله: (فيصبر) زيادة من الفروع.[٥] قوله: (قدر) زيادة من الفروع.." (١)

" يعلم بالإستدلال قال والذي نقوله إن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا إستدلالا وكذلك من ليس ببليغ فأما البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله

الثالث

٥٣١٤ - اختلف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد إتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشد تناسبا ولا إعتدالا في إفادة ذلك المعنى منه فاختار القاضي المنع وأن كل كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا وإن كان بعض الناس أحسن إحساسا له من بعض

واختار أبو نصر القشيري وغيره التفاوت فقال لا ندعي أن كل ما في القرآن أرفع الدرجات في الفصاحة وكذا قال غيره في القرآن الأفصح والفصيح

وإلى هذا نحا الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم أورد سؤالا وهو أنه لم يأت القرآن جميعه بالأفصح وأجاب عنه الصدر موهوب الجزري بما حاصله أنه لو جاء القرآن على ذلك لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح فلا تتم الحجة في الإعجاز فجاء على نمط كلامهم المعتاد ليتم ظهور العجز عن معارضته ولا يقولوا مثلا أتيت بما لا قدرة لنا على جنسه كما لا يصح من البصير أن يقول للأعمى قد غلبتك بنظري لأنه يقول له إنما تتم لك الغلبة لو كنت قادرا على النظر وكان نظرك أقوى من نظري فأما إذ فقد أصل النظر فكيف يصح مني المعارضة

الرابع

٥٣١٥ - قيل الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره أن القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى أمر الشاعر التخييل بتصور الباطل في صورة الحق والإفراط في الإطراء والمبالغة في الذم والأيذاء دون إظهار الحق وإثبات الصدق ولهذا نزه الله نبيه عنه ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية

---

(١) أعلام الحديث في شرح معاني كتاب الجامع الصحيح الخطابي /٥٣٨

وقال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره ." [1]

"الثالث: اختلف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة «١»بعد اتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة، بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشد تناسبا ولا اعتدالا في إفادة ذلك المعنى منه.فاختار القاضي «٢» المنع، وأن كل كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا؛ وإن كان بعض الناس أحسن إحساسا له من بعض.واختار أبو نصر القشيري «٣» وغيره التفاوت، فقال: لا ندعي أن كل ما في القرآن أرفع الدرجات في الفصاحة، وكذا قال غيره: في القرآن الأفصح والفصيح.وإلى هذا نحا الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم أورد سؤالا، وهو أنه: لم لم يأت القرآن جميعه بالأفصح؟ وأجاب عنه الصدر موهوب الجزري بما حاصله: أنه لو جاء القرآن على ذلك؛ لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح، فلا تتم الحجة في الإعجاز، فجاء على نمط كلامهم المعتاد، ليتم ظهور العجز عن معارضته، ولا يقولوا مثلا: أتيت بما لا قدرة لنا على جنسه؛ كما لا يصح من البصير أن يقول للأعمى: قد غلبتك بنظري؛ لأنه يقول له: إنما تتم لك الغلبة؛ لو كنت قادرا على النظر، وكان نظرك أقوى من نظري، فأما إذ فقد أصل النظر، فكيف يصح مني المعارضة؟الرابع: [الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون]قيل: الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون «٤» - مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره- أن القرآن منبع الحق، ومجمع الصدق، وقصارى أمر الشاعر التخيل؛ بتصور الباطل في صورة الحق، والإفراط في الإطراء، والمبالغة في الذم والإيذاء، دون إظهار الحق وإثبات الصدق، ولهذا نزه الله نبيه عنه، ولأجل شهرة الشعر بالكذب، سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية. وقال بعض الحكماء: لم ير متدين صادق اللهجة، مفلقا في شعره.وأما ما وجد في القرآن مما صورته الموزون، فالجواب عنه:أن ذلك لا يسمى شعرا؛ لأن شرط الشعر القصد؛ ولو كان شعرا لكان كل م اتفق له__________(١) انظر البرهان ٢/ ١٢١.(٢) في كتاب الإعجاز ص ٥٤ - ٦٥، وانظر البرهان ٢/ ١٢١.(٣) نقله في البرهان ٢/ ١٢١، والقرطبي في تفسيره ٥/ ٤.(٤) انظر البرهان ٢/ ١١٣.." [2]

"الصدق ولهذا نزه الله نبيه عنه ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعريةوقال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعرهوأما ما وجد في القرآن مما صورته صورة الموزون فالجواب عنه أن ذلك لا يسمى شعرا لأن شرط الشعر القصد ولو كان شعرا لكان كل من اتفق له في كلامه شيء موزون شاعرا فكان الناس كلهم شعراء لأنه قل أن يخلو كلام أحد عن ذلك وقد ورد ذلك على ألسنة الفصحاء فلو اعتقدوه شعرا لبادروا إلى معارضته والطعن عليه لأنهم كانوا أحرص شيء على ذلك وإنما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القصوى في الإنسجاموقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعرا وأقل الشعر بيتان فصاعدا وقيل الرجز لا يسمى

---

(١) الإتقان في علوم القرآن @ ط الفكر الجَلَال السُّيُوطي ٢/٣٢٥

(٢) الإتقان في علوم القرآن @ ط الكتاب الجَلَال السُّيُوطي ٢/٢٥٣

شعرا أصلا وقيل أقل ما يكون من الرجز شعرا أربعة أبيات وليس ذلك في القرآن بحال الخامس٥٣١٦ قال بعضهم التحدي إنما وقع للإنس دون الجن لأنهم ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه وإنما ذكروا." (١)

"وقلب الإنسان للآفات قابل. مشيت يوما إلى سوق الرقيق، لأخذ حق فؤاد عتيق، فرأيت بها جارية عسجدية اللون، حديثة عهد بالصون، متمايلة القد، قائمة النهد، بلحظ قد أوتي من السحر أوفر حظ، وفم كشرطة رشحت بدم، داخله سمطان لولا هما ما عرف النظم، ولا حكم على الدر للعظم، في صدغها لامان ما خط شكلهما قلم، ولا قص مثلهما حلم. لها جيد تتمناه الغيد، وخصر هو قبضة الكف في الحصر، وردف يظلمه من يشبه به بالحقف، ويدان خلقا للوشي، وقدمان أهلتا للثم لا للمشي، فتطاولت إليه الأعناق، وبذلت فيها الأعلاق، والمياسير عليها مغرم في القوم، وتسوم أهل السوم، وكل فيها يزيد، ليبلغ ما يريد، إلى أن جاء فتى صادق في حبه، لا يبالي بفساد ماله في صلاح قلبه، فعد المال عدا، ولم يجد غيره من التسليم بدا. فلما فاتتني، تركت الأشواق وأتتني، وانتقضت عزائم صبري فما أتتني، فالله الله، تدارك أخاك سريعا، قبل أن تلفيه من الوجد صريعا، واستنزله خادما، قبل أن تصبح عليه نادما، ولن أحتاج أن أصفها إليك، مع ما قصصته عليك، وقد أهديتها دررا، فخذها على جهة الفكاهة والدعابة: [الوافر]ولا تطلع أخا جهل عليها ... فمن لم يدر قدر الشيء عابهفأجبته: نعم نعم، أنعم الله بالك، وسنى آمالك، أنا بحول الله أرتاد لك من نحو هاتيك، ما يسليك ويؤاتيك، وإلا فبيضا كاللجين، هل القلب والعين، زهرة غصن في روضة حسن، ذات ذوائب، كأنها الليل على نهار، أو بنفسج في بهار. لها وجه أبهى من الغنا، وأشهى من نيل المنى، فيه حاجبان كأنهما قوس صنعت من السبح، ورصعت بعاج من البلح، على عينين ساحرتين، بالعقل ساخرتين، بهما تصاب الكبود، وتشق القلوب قبل الجلود، إلى فم كأنه ختام مسك، على نظام سلك، سقاه الحسن رحيقه، فأنبتت درره وعقيقه، وجيد في الحسن وحيد على صدر كأنه من مرمر، فيه حقتا عاج طوقتا بعنبر، قد خلقتا للعض، في جسم غض، له خصر مدمج، وردفه يتموج، وأطراف كالعنم، رقمت رقم القلم، من اللائي شهدن ابن المؤمل، وقال في مثلها الأول، إن هي تاهت فمثلها تاها، أو هي باهت فمثلها باها، من أين للغصن مثل قامتها أو أين للبدر مثل مرآها، ما فعلت في العقول صابية ما فعلت في العقول عيناها، تملكني بالهوى وأملكها، فهأنا عبدها ومولاها، فأيهما لست بذلت فيه الجهد، وأرقيت للمجد والود إن شاء الله تعالى. وأنا فيما عرض لسيدي، حفظه الله، على ما يحب، أعذره ولا أعذله، وأنصره ولا أخذله، لكني أقول كما **قال بعض الحكماء**: لا ينبغي لمن قلبه رقيق، أن يدخل سوق الرقيق، إلا أن يكون قد جمع بين المال، والجمال يتنافس في العالي،." (٢)

"الوعد .أنشد محمود الوراق : اصدق حديثك إن في الصدق الخلاص من الدنس ودع الكذوب لشانه خير من الكذب الخرس وقال آخر : ما أقبح الكذب المذموم صاحبه وأحسن الصدق عند الله والناس وقال منصور الفقيه : الصدق أولى ما به دان امرؤ فاجعله دينا ودع النفاق فما رأيت منافقا إلا مهينا وقال الحسن البصري : لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه .وقال الفريابي كنت عند الأوزاعيإذ جاءه رجل فقال يا أبا عمرو ، هذا

---

(١) الإتقان في علوم القرآن @ ط المجمع الجَلَال السُّيُوطي ١٨٩٩/٥

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة @ط العلمية=حواشي لسان الدين بن الخطيب ٢٨٦/٤

كتاب صديقك وهو يقرأ عليك السلام فقال متى قدمت ؟ قال : أمس ، قال ضيعت أمانتك لا أكثر الله في المسلمين أمثالك قال الشاعر : إذا أنت حملت الأمانة خائنا فإنك قد أسندتها شر مسند **وقال بعض الحكماء من** عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه ، قالوا والصدق عز والكذب خضوع .وقال كعب بن زهير : ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر السائل@." (١)

"وقال لقمان لابنه : يا بني احذر الكذب فإنه شهي كلحم العصفور من أكل منه شيئا لم يصبر عنه .وقال الأصمعي : قيل لكذاب ما يحملك على الكذب ؟ فقال أما إنك لو تغرغرت ماءه ما نسيت حلاوته ، وقيل لكذاب هل صدقت قط قال أكره أن أقول لا فأصدق .وذكر ابن عبد البر الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ الحق ثقيل فمن قصر عنه سحر ، ومن جاوزه ظلم ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى ﴾ ويروى هذا لمجاشع بن نهشل .وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ الحق ثقيل رحم الله عمر بن الخطاب تركه الحق ليس له صديق ﴾ .لما استخلف أبو بكر عمر رضي الله تعالى عنهما قال لمعيقيب الدوسي ما يقول الناس في استخلافي عمر قال : كرهه قوم ، ورضيه قوم آخرون قال فالذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه ؟ قال : بل الذين كرهوه قال : إن الحق يبدو كرها وله تكون العاقبة ﴿ والعاقبة للتقوى ﴾ وقال : الحكمة تدعو إلى الحق ، والجهل يدعو إلى السفه ، كما أن الحجة تدعو إلى المذهب الصحيح ، والتشبيه يدعو إلى المذهب الباطل .**وقال بعض الحكماء** : من جهلك بالحق والباطل أن تريد إقامة الباطل بإبطال الحق **وقال بعض الحكماء** : لا يعد الرجل عاقلا حتى يستكمل ثلاثا : إعطاء الحق من نفسه في حال الرضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وأن لا يرى له زلة عند صحو وقال أبو العتاهية : ومن ضاق عنه الحق ضاقت مذاهبه لما احتضر أبو بكر أرسل إلى عمر رضي الله عنهما فقال : إن وليت على@." (٢)

"يزل عليه حتى مضى لسبيله .لما أراد عمرو المسير إلى مصر قال لمعاوية يا أمير المؤمنين إني أريد أن أوصيك قال أجل فأوصني قال انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها ، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها ، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان ، فإنما يصول الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .**قال بعض الحكماء** : الرعية للملك كالروح للجسد ، فإذا ذهب الروح فني الجسد قال الإسكندر لأرسطوطاليس أوصني قال انظر من كان له عبيد فأحسن سياستهم فوله الجند ، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله الخراج **وقال بعض الحكماء** : لا تصغر أمر من جاءك يحاربك ، فإنك إن ظفرت لم تحمد ، وإن عجزت لم تعذر .وقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس : الأمراء والعلماء ﴾ وفي خبر آخر عن موسى عليه السلام قال علامة رضا الله تعالى عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم ، وأن ينزل عليهم الغيث في أوانه ، وعلامة سخطه أن يولي عليهم شرارهم وينزل عليهم الغيث في غير أوانه .كتب عامل إلى عمر بن عبد العزيز : إن مدينتنا قد احتاجت إلى مرمة فكتب إليه عمر : حصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من المظالم .وقال

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ١/ ٧٠

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ١/ ٧١

محمد بن كعب القرظي قال لي عمر بن عبد العزيز صف لي العدل يا ابن كعب قلت بخ بخ سألت عن أمر عظيم كن لصغير الناس أبا ، ولكبيرهم ابنا ، وللمثل منهم أخا ، وللنساءكذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتكون من العادين .@." (١)

"وأعجب من هذا كريم أصابه قضاء فأضحى تحت حكم لئيم وذكر ابن عبد البر أن من كلام أبي الدرداء : معاتبة الأخأهون من فقده ، ومن لك بأخيك كله ، فأعط أخاك وهب له ، ولا تطع فيه كاشحا فتكون مثله .وقال موسى بن جعفر : من لك بأخيك كله ؟ لا تستقص عليه فتبقى بلا أخ ، وقال عمرو : رضي الله عنه أعقل الناس أعذرهم لهم .قال الأصمعي : قال أعرابي : عاتب من ترجو رجوعه .وقال بعض الحكماء : العتاب الوفاء ، وسلاح الأكفاء ، وحاصل الجفاء ، وقال (العتابي) : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وصرفة الناصح خير من تحية الشاني ، وقال بعض الحكماء : من كثر حقده قل عتابه ، وقال محمد بن داود : من لم يعاتب على الزلة ، فليس بحافظ للخلة وقال أسماء بن خارجة : الإكثار من العتاب داعية إلى الملال ، وسبق قريبا قول الشافعي " الكيس العاقل ، هو الفطن المتغافل " وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : أعاتب من يحلو بقلبي عتابه وأترك من لا أشتهي أن أعاتبه وليس عتاب المرء للمرء نافعا إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه وقال نصر بن أحمد : إن كان لفظي كريها فاصبرا فعلى كره العلاج يصح الله أبدانا لولا العوارض ما طاب الشباب كذا لولا قصارتنا للثوب ما لانا إني أعاتب إخواني وهم ثقتي طورا وقد يصقل السيف أحيانا هي الذنوب إذا ما كشفت درست من القلوب وإلا صرن أضغانا@." (٢)

"ومنها أنه قد يعزم على أمر يتبين له الصواب في قول غيره فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح ، قال علي رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه ، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم .وقال بعض الحكماء : ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .واعلم أنه إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما لم يأته به وحي وعمهم بالذكر والمقصود : أرباب الفضل والتجارب منهم وفي الذي أمر بمشاورتهم فيه قولان حكاهما القاضي أبو يعلى أحدهما : أمر الدنيا خاصة (والثاني) أمر الدنيا والدين وهو أصح .وقرأ ابن مسعود (وشاورهم في بعض الأمر) قال تعالى : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ .أي : لا على المشاورة ، والعزم عقد القلب على الشيء يريد أن يفعله ، وذكر أبو البقاء أن ابن عباس قرأ (في بعض الأمر) وأن الأمر هنا جنس وهو عام يراد به الخاص وقرأ جماعة (عزمت) بضم التاء أي : إذا أمرتك بفعل شيء فتوكل ، فوضع الظاهر موضع المضمر .وذكر ابن عبد البر الخبر المروي عنرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿ : ما تشاور قوم @." (٣)

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٢٠٢/١

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٣٢١/١

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٣٤٥/١

"بخير وقيل للعتابي فلان بعيد الهمة .فقال : إذا لا يكون له غاية دون الجنة .وقال بعض الأعراب إن الله عز وجل رفع درجة اللسان فأنطقه بتوحيده بين الجوارح وضحك المعتصم من عبد العزيز المكي وكان مفرط القبح فقال المكي للمأمون : مما يضحك هذا ؟ والله ما اصطفي يوسف لجماله ، وإنما اصطفاه لبيانه قال ﴿ فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ .فبياني أحسن من وجه هذا فضحك المأمون وأعجبه كلامه وقال بعضهم الكلام الجزل ، أغنى المعاني عن اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل فإذا اجتمعنا فذاك البلاغة **وقال بعض الحكماء** البلاغة أن يظهر المعنى صريحا والكلام صحيحا وقال غيره أفضل اللفظ بديهة امرئ وردت في مكان خوف .قال أبو جعفر النحاس يستحسن الكتاب أن تكون الألفاظ غير ناقصة عن المعاني في المقدار والكثرة فإذا كتبوا حسن عندهم أن تكون من الألفاظ غير ناقصة عن المعاني ولا زائدة عليها إلا في موضع يحتاج فيه إلى الإسهاب ويستحسن في هذا ما قاله جعفر بن يحيى إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا ، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا .ودخل عمر بن سعد على معاوية بعد موت أبيه فقال له يا عمر إلى من أوصى بك أبوك ؟ فقال : أوصى إلي ولم يوص بي .وقيل لعيسى بن عاصم ما البلاغة قال : الإيجاز .وقيل للأصمعي ما حد الاختصار ؟ قال حذف الفضول وتقريب البعيد وسئل رجل عن البلاغة ؟ فقال : سهولة اللفظ وحسن البديهة@." (١)

"فصل (في حسن الملكة وسوء الملكة) في الصحيحين أو في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ لا يدخل الجنة سيئ الملكة ﴾ وهو الذي يسيء إلى مماليكه وكان يقال التسلط على المملوك دناءة **وقال بعض الحكماء** : اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك ، وعند حكمك حكم الله فيك وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أكثروا شراء الرقيق فرب عبد يكون أكثر مالا من سيده **وقال بعض الحكماء** : أفضل المماليك الصغار ؛ لأنهم أحسن طاعة ، وأقل خلافا وأسرع قبولا ، كان يقال استخدم الصغير حتى يكبر ، والأعجمي حتى يفصح ، قالت ابنة الفتح : بطرتم فطرتم والعصا زجر من عصى وتقويم عبد الهون بالهون رادع كان يقال الحر حر وإن مسه الضر ، والعبد عبد وإن مشى على الدر وقال الشاعر : إن العبيد إذا ذللتهم صلحوا على الهوان وإن أكرمتهم فسدوا @." (٢)

"الجهد قطعتها .**وقال بعض الحكماء** : حادثوا هذه القلوب بالذكر فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد .وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قالوا فما جلاؤها يا رسول الله قال : تلاوة القرآن ﴾ وكان يقال : التفكر نور والغفلة ظلمة .وفي البخاري من حديث أبي جحيفة قول سلمان لأبي الدرداء : إنلربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه .وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " صدق سلمان " وروى الحاكم في تاريخه بإسناده عن سنيد قال : لا تنسى شيئا فتقول : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ .إلا ذكرته وكان مالك بن أنس إذا جلس مجلسه لا ينطق بشيء حتى يقولها .وروي أيضا عن الأعمش : جواب الأحمق السكوت عنه وقال الأعمش : السكوت جواب والتغافل يطفئ شرا كثيرا ، ورضى المتجني غاية

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٣٧٣/١

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٥/٢

لا تدرك ، واستعطاف المحب عون للظفر ، ومن غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه .فصل حكم اجتماع الناس للذكر والدعاء ورفع الصوت به ومتى يكون بدعة .قال : مهنا : سألت أبا عبد الله عن الرجل يجلس إلى القوم فيدعو هذا ويدعو هذا ، ويقولون له : ادع أنت .فقال : لا أدري ما هذا وقال ابن منصور لأبي عبد الله : يكره أن يجتمع القوم يدعون ويرفعون أيديهم ؟ فقال : ما أكرهه للإخوان إذا لم يجتمعوا على عمد إلا أن يكثروا .@." (١)

"قال ابن الجوزي : ومن تأمل دقائق حكمته ومحاسن صفاته أخرجه حبه إلى الهيمان فيه ، فإن المعاني المستحسنة تحب أكثر من الصور ، ولهذا تحب أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم لمعانيهم لا لصورهم ، فكيف لا تقع المحبة المختصة بالكمال المنزه عن نقص ؟ فوا أسفا للغافلين عنه ، ووا حسرتا للجاهلين به .وقال ابن الجوزي قبل ذلك : من نظر إلى أفعاله بمجرد العقل أنكر ، فأما من علم أنه مالك وحكيم ، وأن حكمته قد تخفى سلم لما لم يعلم علته بأفعاله مسلما إلى حكمته .وقد **قال بعض الحكماء** : من لم يحترز بعقله من عقله هلك بعقله .وهذا كلام في غاية الحسن ، فإنا إذا قلنا للعقل هو حكيم قال : لا شك في ذلك ؛ لأني قد رأيت عجائب أفعاله المحكمة فعلمت أنه حكيم ، فإذا رأيت ما يصدر ما ظاهره ينافي الحكمة ، نسبت العجز إلي ، ولو لم يكن في ذلك إلا أن المراد تسليم العقول لما ينافيها ، وذلك عبادة العقول قال : وصار هذا كما خفي عن موسى حكمة فعل الخضر ، وقد يخفى على العامي ما يفعله الملكفقد قال المتنبي : يدق عن الأفكار ما أنت فاعل وقال ابن عقيل في الفنون : الواحد من العوام إذا رأى مراكب مقلدة بالذهب والفضة ، ودورا مشيدة مملوءة بالخدم والزينة قال : انظر إلى ما أعطاهم مع سوء أفعالهم ، ولا يزال يلعنهم ويذم معطيهم ويسقف حتى يقول : فلان يصلي الجماعات والجمع ، ولا يذوق قطرة خمر ، ولا يؤذي الذر ، ولا يأخذ ما ليس له ، ويؤدي الزكاة إذا كان له مال ، ويحج ويجاهد ، ولا ينال خلة بقلة ، ويظهر الإعجاب كأنه ينطق عن تخايله أنه لو كانت الشرائع حقا لكان الأمر بخلاف ما نرى ، وكان الصالح غنيا والفاسق فقيرا .ما ذاك إلا لأنه لحظ أن الله أعطى هذا أموال الأيتام والوقوف ، بأن يأكل الربا ويفاسد العقود ، وهذا افتئات وتجوز وسخط في غير موضعه .فإن لله كتابا قد ملأه بالنهي وحرمان أخذ المال الحرام وأكله بغير حق ، فلو كان منصفا لقال له تدبر هذا كتاب الله مملوء بالنهي والوعيد ، فصار الفريقان ملعونين ، هذا بكفره@." (٢)

"سألزم نفسي الصبر عن كل مذنب وإن كثرت منه علي الجرائم وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم فأما الذي فوقي فأعرف فضله وألزم فيه الحق والحق لازم وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائم وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالعز حاكم وقال عبيد بن الأبرص : إذا أنت لم تعمل برأي ولم تطع أولي الرأي لم تركن إلى أمر مرشد ولم تجتنب ذم العشيرة كلها وتدفع عنها باللسان وباليد وتحلم عن جهالها وتحوطها وتقمع عنها نخوة المتهدد فلست ولو عللت نفسك بالمنى بذي سؤدد باد ولا قرب سؤدد وقال آخر : إذاهلكت أسد العرين ولم يكن لها خلف في الغيل ساد الثعالب كذا القمر الساري إذا غاب لم يكن له خلف في الجو إلا الكواكب

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ١٠٣/٢

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ١٨٦/٢

وقال بعض الحكماء من ابتغى المكارم ، فليجتنب المحارم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس ﴿ فيك خلتان يحبهما الله ورسوله أو قال يرضاهما الله ورسوله الحلم والأناة قال يا رسول الله : أشيء جبلني الله عليه أم شيء اخترعته من نفسي قال بل شيء جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على شيء أو على خلق يرضاه الله ورسوله ﴾ .والحديث صحيح في الصحيحين أو في الصحيح @." (١)

"قال عمر بن الخطاب من كثر ضحكه استخف به وذهب بهاؤه وقال بعض الحكماء إياك والمشي في غير أدب ، والضحك من غير سبب .وقال بعض الشعراء : الكبر ذل والتواضع رفعة والمزح والضحك الكثير سقوط والحرص فقر والقناعة عزة واليأس من صنع الإله قنوط وقال آخر :فإياك إياك المزاح فإنه يجرئ عليك الطفل والدنس النذلا ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ويورثه من بعد عزته ذلا وقال محمود الوراق : تلقى الفتى أخاه وخدنه في لحن منطقه بما لا يغفر ويقول كنت ممازحا وملاعبا هيهات نارك في الحشا تتسعر ألهبتها وطفقت تضحك لاهيا مما به وفؤاده يتفطر أوما علمت ومثل جهلك غالب أن المزاح هو السباب الأكبر قال الجوهري : المزاح الدعابة وقد مزح يمزح والاسم المزاح والمزاحة أيضا ، وأما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه .وهما يتمازحان قال ابن عبد البر قالوا من أراد أن يدوم له ود أخيه فلا يمازحه ولا يعده موعدا فيخلفه .وسبق الكلام في ضحكه عليه السلام حتى بدت نواجذه في فصول التوبة في أن سيئة التائب هل تبدل حسنة ، ﴿ وقد ضحك المقداد بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى ألقي إلى الأرض ﴾ رواه مسلم من حديث المقداد في قصة طويلة في آداب الأطعمة .وروى ابن الأخضر فيمن روى عن أحمد بإسناده عن أبي مسعود الأصبهاني أحمد@." (٢)

"وروى الترمذي وابن ماجه عنه عليه السلام ﴿ : أنه كان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر ، ويقول : ترك العشاء مهرمة ﴾ ورواه أيضا ابن ماجه من حديث جابر بإسناد ضعيف وروى أبو نعيم عنه عليه السلام أنه ﴿ نهى عن النوم على الأكل ﴾ ، وكذا قال الأطباء : حفظ الصحة الحركة باعتدال لا السكون الدائم ، وكذا النوم الكثير وإن كان يسرع الهضم ، وكذاالحركة العنيفة بعد الطعام ، وإن أسرع الهضم فإنه جالب لصنوف الأمراض .والامتلاء من الطعام يضر بالعين ، وكذا النوم على الامتلاء ، وذكر بعضهم : أن يمشي نحو خمسين خطوة وقال بعضهم : ويصلي أو نحو ذلك ليستقر الغذاء بقعر المعدة .قال بعض الحكماء : من أراد الصحة فليجود الغذاء ، وليأكل على نقاء ، وليشرب على ظمإ ، وليقلل من شرب الماء ، ويتمدد بعد الغداء ، ويتمشى بعد العشاء ، ولا ينام حتى يعرض نفسه على الخلاء ، وليحذر الحمام عقب الامتلاء ، ومرة في الصيف خير من عشرة في الشتاء ، وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء ، ومجامعة العجوز تهرم وتسقم .وهذا بعضه من كلام الحارث طبيب العرب ، وقال الحارث وهو ابن كلدة وقد قيل له : مرنا بأمر ننتهي إليه من بعدك ، فقال : لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أثر أوان نضجها ، ولا يتعالجن أحدكم ما احتمل

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٢٠٨/٢

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٢١٦/٢

بدنه الداء ، وعليكم بتنظيف المعدة في كل شهر فإنها مذيبة للبلغم ، مهلكة للمرة ، منبتة للحم ، وإذا تغذى أحدكم فلينم على أثر غدائه ، وإذا تعشى فليمش أربعين خطوة .@." (١)

"بها من الضرر ما لم يحصل بغيرها ، فنسألالله العافية وحسن العاقبة لنا ولإخواننا المسلمين ، وأن يصلح أحوالنا وأحوالهم آمين يا رب العالمين ، والله أعلم .قال وهب بن منبه : العقل ، والهوى يصطرعان فأيهما غلب مال بصاحبه قال ابن دريد : وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا قال عمر بن عبد العزيز : أفضل الجهاد جهاد الهوى وقال سفيان الثوري أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعا قال ومن المحقرات تنتج الموبقات ، ويقولون إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا البيت : إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال قال ابن عبد البر لو قال إلى كل ما فيه عليك مقال كان أبلغ وأحسن وما قال ابن عبد البر متوجه .وقال بعض الحكماء .إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي ، والتجربة إلى المشاورة ليتجرد له رأيه من هواه وقال بعضهم اعص النساء وهواك واصنع ما شئت قال ابن عبد البر لو قال اعص الهوى لاكتفى وصدق ابن عبد البر وكان أوجز قيل للمهلب بم ظفرت قال بطاعة الحزم وعصيان الهوى .قالوا ما ذكر الله تعالى الهوى في شيء من القرآن إلا ذمه وقال بزرجمهر الهوى غالب ، والقلب معلق به ، وقد امتدح بترك الهوى جماعة من الحكماء .وقال الزبير بن عبد المطلب : وأجتنب الكبائر حيث كانت وأترك ما هويت لما خشيت قال ابن عبد البر حدثنا عبد الوارث ثنا قاسم نصر بن محمد الأسدي الكوفي ثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي ثنا مخلد بن حسين ثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال بينما عمر بن الخطاب (رضي@." (٢)

"فنوم الصبحة مضر جدا بالبدن ؛ لأنه يرخيه ويفسد العضلات التي ينبغي تحليلها بالرياضة فتحدث تكسرا وعناء أو ضعفا ، وإن كان قبل البراز ، والرياضة وإشغال المعدة بشيء فهو الداء العضال المولد لأنواع من الأدواء وروي أن المسيح عليه السلام قال خلقان أكرههما : النوم من غير سهر ، والضحك من غير عجب .والثالثة وهي العظمى إعجاب الرجل بعمله نعوذ بالله من ذلك وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام : إياك وكثرة النوم فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم وقال لقمان لابنه يا بني إياك وكثرة النوم ، والكسل ، والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق وقال علي رضي الله عنه من الجهل النوم في أول النهار ، والضحك من غير عجب ، والقائلة تزيد في العقل وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : النوم على ثلاثة أوجه نوم خرق ، ونوم خلق ، ونوم حمق .فأما النوم الخرق فنومة الضحى يقضي الناس حوائجهم وهونائم ، وأما النوم الخلق فنوم القائلة نصف النهار ، وأما نوم الحمق فنوم حين تحضر الصلاة وقال عبد الله بن شبرمة نوم نصف النهار يعدل شربة دواء يعني في الصيف قال بعض الحكماء النعاس يذهب العقل ، والنوم يزيد فيه .قالوا تنام فقلت الشوق يمنعني من أن أنام وعيني حشوها السهد أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني للهوى

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٢/٣٦١

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٣/١١٩

رقدوا همو دعوني فلما قمت مقتضيا للحب نحوهم من قربهم بعدوا لأخرجن من الدنيا وحبهم بين الجوانح لم يعلم به أحد@." (١)

"فمن يكب عليها لا تساعده وعاجز نال دنياه بتقصير لم يدركوها بعقل عندما قسمت وإنما أدركوها بالمقادير لو كان عن قدرة أو عن مغالبة طار البزاة بأرزاق العصافير ولشريح بن يونس المحدث يا طالب الرزق يسعى وهو مجتهد أتعبت نفسك حتى شفك التعب تسعى لرزق كفاك الله مؤنته أقصر فرزقك لا يأتي به الطلب كم من سخيف ضعيف العقل تعرفه له الولاية والأرزاق والذهب ومن حصيف له عقل ومعرفة بادي الخصاصة لم يعرف له نسب فاسترزق الله مما في خزائنه فالله يرزق لا عقل ولا حسب وقال آخر : كممن قوي قوي في تقلبه مهذب الرأي عنه الرزق منحرف ومن ضعيف ضعيف الرأي تبصره كأنه من خليج البحر يغترف وقال آخر يا راكب الهول والآفات والهلكه لا تعجلن فليس الرزق بالحركه من غير ربك في السبع العلى ملك ومن أدار على أرجائها فلكه أما ترى البحر والصياد تضربه أمواجه ونجوم الليل مشتبكه يجر أذياله والموج يلطمه وعقله بين في كلكل الشبكه حتى إذا راح مسرورا بها فرحا والحوت قد شك منقود الردى حنكه أتي إليك برزق ما به تعب فصرت تملك منه مثل ما ملكه لطفا من الله يعطى ذا بحيلته هذا يصيد وهذا يأكل السمكه وقال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطرا ، والحرام يسيل سيلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ولا@." (٢)

"إن المطامع ما علمت مذلة للطامعين وأين من لا يطمع وقال بعض الحكماء : قلوب الجهال تستعبد بالأطماع وتسترق بالمنى وتعلل بالخدائع .وقال آخر : لا تجزعن على ما فات مطلبه ها قد جزعت فماذا ينفع الجزع إن السعادة يأس إن ظفرت به بعض المرار وإن الشقوة الطمع وقال آخر : الله أحمد شاكرا فبلاؤه حسن جميل أصبحت مسرورا معافى بين أنعمه أجول خلوا من الأحزان خف الظهر يغنيني القليل ونفيت باليأس المنى عني فطاب لي المقيل والناس كلهم لمن خفت مئونته خليل قالوا للمسيح يا روح الله أخبرنا عن المالفقال : المال لا يخلو صاحبه من ثلاث خلال ، إما أن يكسبه من غير حله ، وإما أن يمنعه من حقه ، وإما أن يشغله إصلاحه عن عبادة ربه .قال الحطيئة : ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد وقال آخر : إذا ما الفتى لم ينع إلا لباسه ومطعمه فالخير منه بعيد يذكرني صرف الزمان ولم أكن لأهرب مما ليس منه محيد فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي وقيل إذا أخطأت أنت رشيد وقال آخر : ذهاب المال في أجر وحمد ذهاب لا يقال له ذهاب@." (٣)

"وقال أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين الواعظ في آخر جزءجمعه في فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم : ثنا يحي بن صاعد ثنا محمد بن أحمد بن يزيد المدني ثنا هارون بن يحي الحاطبي ثنا عثمان بن عثمان بن خالد بن الزبير عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي قال : ﴿ التودد نصف الدين ﴾ هارون بن يحي وعثمان لم

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ١٤٨/٣

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٢٦٥/٣

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٣٠٧/٣

أجد لهما ترجمة ، وذكر ابن عبد البر قول رسول الله : صلى الله عليه وسلم ﴿ مداراة الناس صدقة ﴾ وقوله : عليه السلام ﴿ أمرني ربي بمداراة الناس ونهاني عن مداجاتهم ﴾ .وقوله : عليه السلام ﴿ رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس ﴾ قال عمر : رضي الله عنه إن مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه وأن توسع له في المجلس **قال بعض الحكماء** : رأس المداراة ترك المماراة ، وفي الحديث المرفوع ﴿ إذا أحب الله عبده ألقى عليه محبة الناس ﴾ .أخذه الشاعر : وإذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة في الناس وذكر ابن عبد البر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ألا أنبئكم بشراركم قالوا : بلى يا رسول الله قال : من لا يقبل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ألا أنبئكم بشر من ذلكم قالوا : بلى يا رسول الله قال : من يبغض الناس ويبغضونه ﴾ .وروي أن داود عليه السلام جلس كئيبا خاليا فأوحى الله إليه يا داود ما لي أراك خاليا قال : هجرت الناس فيك قال : أفلا أدلك على شيء تبلغ به رضائي ؟ خالق الناس بأخلاقهم واحتجر الإيمان فيما بيني وبينكقال أكثم بن صيفي : من شدد نفر ،ومن تراخى تألف ، والسرور في التغافل@." (١)

"ويقال مثل الإيمان كمثل بلدة لها خمسة حصون ، الأول من ذهب ، والثاني من فضة والثالث من حديد ، والرابع من آجر ، والخامس من لبن فما زال أهل الحصن متعاهدين الحصن من اللبن لا يطمع العدو في الثاني فإذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني ، ثم الثالث حتى تخرب الحصون كلها ، فكذلك الإيمان في خمسة حصون : اليقين .ثم الإخلاص ، ثم أداء الفرائض ، ثم أداء السنن ، ثم حفظ الآداب ، فما دام العبد يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه .فإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن ، ثم في الفرائض ، ثم في الإخلاص ، ثم في اليقين والله أعلم انتهى كلامه .وقال ابن المبارك لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين عمله بالأدب رواه الحاكم في تاريخه وروي عنه أيضا طلبت العلم فأصبت فيه شيئا ، وطلبت الأدب فإذا أهله قد ماتوا .**وقال بعض الحكماء** لا أدب إلا بعقل ، ولا عقل إلا بأدب ، كان يقال العون لمن لا عون له الأدب .وقال الأحنف الأدب نور العقل ، كما أن النار في الظلمة نور البصر .كان يقال الأدب منالآباء ، والصلاح من الله .كان يقال من أدب ابنه صغيرا ، قرت به عينه كبيرا ، وقال بعضهم من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار .وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ قال أدبوهم وعلموهم وقال بعضهم : قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع بعد الكبر الأدب@." (٢)

"روي بإسناده عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له ﴾ روى ذلك كله الخطابي في كتاب العزلة وغيره وفيه أيضا عن الشافعي قال رضى الناس غاية لا تدرك ليس إلى السلام من الناس سبيل فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه ودع الناس وما هم فيه وعنه أيضا رحمه الله قال : أصل كل عداوة الصنيعة إلى الأنذال .روى الحاكم في تاريخه قال إذا أخطأت الصنيعة إلى من يتقي الله فاصطنعها إلى من يتقي العار وعن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه يا بني لا تكن حلوا ولا تكن مرا فتلفظ ولأبي العتاهية من يكن للناس حلوا يثبت

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٣/٤٥٢

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٣/٥٢٣

الناس عليه .وذكر ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : إياك وكل جليس لا يفيدك علما .وقال ابن مسعود ثلاث من كن فيه ملأ الله قلبه إيمانا صحبة الفقيه ، وتلاوة القرآن ، والصيام .وتباعد كعب الأحبار يوما في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنكر ذلك عليه ، فقال يا أمير المؤمنين إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل فلعله يأتيه من هو آثر عنده منك فينحيك فيكون نقصا عليك .**وقال بعض الحكماء** رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما رجل وسع له في مجلس ضيق فتربع وانتفخ ، ورجل أهديت له نصيحة فجعلها ذنبا @." (١)

"وقال زياد يعجبني من الرجال من إذا أتى مجلسا يعرف أين يكون مجلسه وإني لآتي المجلس فأدع مالي مخافة أن أدفع عما ليس لي وكان الأحنف إذا أتاه رجل أوسع له فإن لم يكن له سعة أراه كأنه يوسع له .وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى لا تجالس عدوك فإنه يحفظ عليك سقطاتك ويماريك في صوابك وقال بعضهم : إن الجليس يقول القول تحسبه خيرا ، وهيهات ؛ فانظر ما به التمس .انتهى كلام ابن عبد البر .وقال الصاحب بن عباد : إذا أدناك سلطان فزده من التعظيم واحذره وراقب فما السلطان إلا البحر عظماوقرب البحر محذور العواقب وقيل إذا زادك الملك تأنيسا فزده إجلالا ، وقد كان عمر يعظم ابن عباس ويحضره مع المهاجرين الأولين رضي الله عن الجميع وامتنع عن القول بعدم العول زمن عمر وقيل له في ذلك فقال كان رجلا مهيبا فهبته **وقال بعض الحكماء** من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم .وقال الفضل بن الربيع من آداب صحبة الملوك أن لا يسأل الملك عن حاله ولا يشمت ولا يعلم ولا يسلم عليه ، كذا قال والصواب اتباع السنة وهذا يختلف بحسب الزمان وعادة الملوك وقد قال يحيى بن معاذ أخوك من ذكرك العيوب وصديقك من حذرك الذنوب .وقال الصاحب بن عباد : لقد صدقوا وللراقصات إلى منى بأن مودات العدى ليس تنفع ولو أنني داريت دهري حية إذا استمكنت يوما من اللسع تلسع وقال ابن وكيع : لاق بالبشر من لقيت من الناس وعاشر بأحسن الإنصاف لا تخالف وإن أتوا بمحال تستفد ودهم بترك الخلاف@." (٢)

"**وقال بعض الحكماء**: البطنة تذهب الفطنة (١) فمفهومه عكسه، ووفق ما سبق وحكى لي بعض أصحابنا البغداديين السالكين آثار القوم، قال:كنت ذات ليلة مضطجعا في بيت مظلم، وأنا أفكر في كيفية إدراك الكاشفين للغائبات. فبينا أنا كذلك، إذ رأيت دائرة نور في سقف البيت فجعلت أنظر بها إلى جميع ما في البيت فأحسه. قال: وسمعت هاتفا يقول، أو قال: وقع في روعي «هكذا يكون».وقد صنف الغزالي رحمه الله جزءا حسنا في العلم اللدني، وبين فيه شروط حصوله، وكيفية فيضانه، والله أعلم.ونحن إنما ذكرنا العلوم التي ينبغي للمفسر الاعتناء ببيانها، وغالب التفاسير المتأخرة يقتصر من هذه العلوم على اللفظي. ومن المعنوي على الأقاصيص والفقه، ويتفاوت بعضها على بعض في هذه العلوم قلة وكثرة.ومنهم من يقتصر على الأحاديث المتعلقة بأسباب النزول والتفسير ونحوها من النقليات: كعبيد بن حميد، وعبد الرزاق (٢) ونحوهما من مفسري المتقدمين.ومنهم من يقتصر على الأحكام اللغوية من إعراب وتصريف ونحوهما، وشيء

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٥٤٤/٣

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية@ ط الرسالة ابن مفلح، شمس الدين ٥٤٥/٣

من علم المعاني كالزجاج (٣)، والفراء (٤) والزمخشري (٥).ومنهم من استوفى كثيرا من علومه، كابن الجوزي (٦)، والرسعني.____________(١) مثل يضرب لمن أبطره غناه، وفي مجمع الأمثال: البطنة تأفن الفطنة.(٢) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع مولى لحمير ويكنى أبا بكر مات باليمن سنة ٢١٠هـ. المعارف ٢٢١.(٣) هو أبو إسحاق بن محمد بن السري الزجاج أقدم أصحاب المبرد وتوفي ٣١٠هـ. الفهرست ٦٠.(٤) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء توفي سنة ٢٠٧هـ. الفهرست ٦٦.(٥) هو محمود بن عمر جار الله صاحب تفسير الكشاف ولد سنة ٤٩٧هـ٥٣٨ البغية ٢/ ٢٧٩.(٦) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي أبو الفرج علامة عصره في التاريخ والحديث مولده ووفاته ببغداد وله نحو ٣٠٠مصنف توفي سنة ٥٩٧هـ. الأعلام ٤/ ٨٩.." (١)

"" صفحة رقم ٣٣٨ " أبو عمرو ، وقالون ، وأبو بكر : بكسر النون وإخفاء حركة العين ، وقد روي عنهم الإسكان ، والأول أقيس وأشهر ، ووجه الإخفاء طلب الخفة ، وأما الإسكان فاختاره أبو عبيد ، وقال : الإسكان ، فيما يروي ، لغة النبي (صلى الله عليه وسلم)) في هذا اللفظ ، قال لعمرو ابن العاص : (نعما المال الصالح للرجل الصالح) . وانكر الإسكان أبو العباس ، وأبو إسحاق ، وأبو علي لأن فيه جمعا بين ساكنين على غير حده .وقال أبو العباس لا يقدر أحد أن ينطق به ، وإنما يروم الجمع بين ساكنين ويحرك ولا يأتيه . وقال أبو إسحاق : لم تضبط الرواة اللفظ في الحديث ، وقال أبو علي : لعل أبا عمرو أخفى ، فظنه السامع إسكانا وقد أتى عن أكثر القراء ما أنكر ، فمن ذلك الإسكان في هذا الموضع ، وفي بعض تاءات البزي ، وفي : اسطاعوا وفي : يخصمون . إنتهى ما لخص من كلامهم .وإنكار هؤلاء فيه نظر ، لأن أئمة القراءة لم يقرؤوا إلا بنقل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) ، ومتى تطرق إليهم الغلط فيما نقلوه من مثل هذا ، تطرق إليهم فيما سواه ، والذي نختاره ونقوله : إن نقل القراءات السبع متواتر لا يمكن وقوع الغلط فيه .(وإن تخفوها (الضمير المنصوب في : تخفوها ، عائد على الصدقات ، لفظا ومعنى ، بأي تفسير فسرت الصدقات ، وقيل : الصدقات المبداة هي الفريضة ، والمخفاة هي التطوع ، فيكون الضمير قد عاد على الصدقات لفظا لا معنى ، فيصير نظير : عندي درهم ونصفه ، أي : نصف درهم آخر ، كذلك : وان تخفوها ، تقديره : وان تخفوا الصدقات غير الأولى ، وهي صدقة التطوع ، وهذا خلاف الظاهر ، والأكثر في لسان العرب ، وإنما احتجنا في : عندى درهم ونصفه ، إلى أن نقول : إن الضمير عائد على الدرهم لفظا لا معنى لأضطرار المعنى إلى ذلك ، لأن قائل ذلك لا يريد أن عنده درهما ونصف هذا الدرهم الذي عنده . وكذل قول الشاعر : كأن ثياب راكبه بريحخريق وهي ساكنة الهبوبيريد : ريحا أخرى ساكنة الهبوب .(أنتم الفقراء (فيه تنبيه على تطلب مصارفها وتحقق ذلك وهم الفقراء .(فهو خير لكم (الفاء جواب الشرط ، وهو ضمير عائد على المصدر المفهوم من قوله :) وإن تخفوها (التقدير : فالإخفاء خير لكم ، ويحتمل أن يكون : خير ، هنا أريد به خير من الخيور ، و : لكم ، في موضع الصفة ، فيتعلق بمحذوف .والظاهر انه أفعل التفضيل ، والمفضل عليه محذوف لدلالة المعنى عليه وهو الإبداء ، والتقدير : فهو خير لكم من إبدائها .وظاهر الآية : أن إخفاء الصدقات على الإطلاق أفضل ، سواء كانت فرضا أو نقلا ، وإنما كان ذلك أفضل لبعد المتصدق فيها عن الرياء والمن والأذى ، ولو لم يعلم الفقير

---

(١) الإكسير في علم التفسير @ ط الآداب (٧١٦)ص/٥٤

بنفسه ، وأخفى عنه الصدقة أن يعرف ، كان أحسن وأجمل بخلوص النية في ذلك .**قال بعض الحكماء** : إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا اصطنع إليك فانشره . وقال العباس بن عبد المطلب : لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال : تعجيله ، وتصغيره في نفسك ، وستره . فإذا عجلته هنيته ، وإذا صغرته عظمته ، وإذا استرته أتممته . وقال سهل بن هارون : يخفي صنائعه والله يظهرهاإن الجميل اذا أخفيته ظهراوفي الإبداء والإخفاء طباق لفظي ، وفي قوله : وتؤتوها الفقراء طباق معنوى ، لأنه لا يؤتى الصدقات إلا الأغنياء ، فكأنه قيل : إن يبد الصدقات الأغنياء وفي هذه الآية دلالة على أن الصدقة حق للفقير ، وفيها دلالة على أنه يجوز لرب المال أن يفرق الصدق بنفسه .(ويكفر عنكم من (قرأ بالواو الجمهور في : ويكفر ، وباسقاطها وبالياء والتاء والنون ، وبكسر الفاء وفتحها ، وبرفع الراء وجزمها ونصبها ، فاسقاط الواو رواه أبو حاتم عن الأعمش ، ونقل عنه أنه قرأ بالياء وجزم الراء ، ووجه أن بدل على الموضع من قوله : فهو خير لكم لأنه في جزم ، وكأن المعنى : يكن لكم الإخفاء خيرا من الإبداء ، أو على إضمار حرف العطف : أي ويكفر .وقرأ ابن عامر بالياء ورفع الراء . وقرأ الحسن بالياء وجزم الراء ، وروي عن الأعمش بالياء ونصب الراء . وقرأ ابن عباس بالتاء وجزم الراء ،." (١)

"" صفحة رقم ٤١٥ " أي بسطها ، فخلق الأرض ثم السماء ثم دحا الأرض . وقرأ الجمهور :) والارض (، (والجبال (بنصبهما ؛ والحسن وأبو حيوة وعمرو بن عبيد وابن أبي عبلة وأبو السمال : برفعهما ؛ وعيسى : برفع الأرض . وأضيف الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يظهران منها . والجمهور :) متاعا (بالنصب ، أي فعل ذلك تمتيعا لكم ؛ وابن أبي عبلة : بالرفع ، أي ذلك متاع . وقال الزمخشري : فإن قلت : فهلا أدخل حرف العطف على أخرج ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن يكون معنى) دحاها (: بسطها ومهدها للسكنى ، ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها . والثاني : أن يكون أخرج حالا بإضمار قد ، كقوله :) أو جاءوكم حصرت صدورهم). انتهى . وإضمار قد قول للبصريين ومذهب الكوفيين . والأخفش : أن الماضي يقع حالا ، ولا يحتاج إلى إضمار قد ، وهو الصحيح . ففي كلام العرب وقع ذلك كثيرا . انتهى .) ومرعاها (: مفعل من الرعي ، فيكون مكانا وزمانا ومصدرا ، وهو هنا مصدر يراد به اسم المفعول ، كأنه قيل : ومرعيها : أي النبات الذي يرعى . وقدم الماء على المرعى لأنه سبب في وجود المرعى ، وشمل) ومرعاها (ما يتقوت به الآدمي والحيوان غيره ، فهو في حق الآدمي استعارة ، ولهذا قيل : دل الله سبحانه وتعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الأرض حتى الملح ، لأنه من الماء .النازعات : (٣٤) فإذا جاءت الطامة . . . . .(فإذا جاءت الطامة (، قال ابن عباس والضحاك : القيامة . وقال ابن عباس أيضا والحسن : النفخة الثانية .النازعات : (٣٥) يوم يتذكر الإنسان . . . . .وقال القاسم : وقت سوق أهل الجنة إليها ، وأهل النار إليها ، وهو معنى قول مجاهد .) يوم يتذكر الإنسان ما سعى (: أي عمله الذي كان سعى فيه في الدنيا .النازعات : (٣٦ - ٣٧) وبرزت الجحيم لمن . . . . .وقرأ الجمهور :) وبرزت (مبني للمفعول مشدد الراء ، (لمن يرى (بياء الغيبة : أي لكل أحد ، فيشكر المؤمن نعمة الله . وقيل :) لمن يرى (هو الكافر

---

(١) البحر المحيط في التفسير @ط العلمية أبو حيّان الأندلسي ٢/٣٣٨

؛ وعائشة وزيد بن علي وعكرمة ومالك بن دينار : مبنيا للفاعل مخففا وبتاء ، يجوز أن يكون خطابا للرسول (صلى الله عليه وسلم)) ، أي لمن ترى من أهلها ، وأن يكون إخبار عن الجحيم ، فهي تاء التأنيث . قال تعالى :) إذا رأتهم من مكان بعيد). وقال أبو نهيك وأبو السمال وهارون عن أبي عمرو : وبرزت مبنيا ومخففا ، و) يوم يتذكر (: بدل من فإذا (؛ وجواب إذا ، قال الزمخشري : فإن الأمر كذلك . وقيل : عاينوا وعلموا . ويحتمل أن يكون التقدير : انقسم الراؤون قسمين ، والأولى أن يكون الجواب : فأما وما بعده ، كما تقول : إذا جاءك بنو تميم ، فأما العاصي فأهنه ، وأما الطائع فأكرمه .(طغى (: تجاوز الحد في عصيانه ،النازعات : (٣٨ – ٣٩) وآثر الحياة الدنيا) وءاثر الحيواة الدنيا (على الآخرة ، وهي مبتدأ أو فصل . والعائد على من من الخبر محذوف على رأي البصريين ، أي المأوى له ، وحسن حذفه وقوع المأوى فاصلة . وأما الكوفيون فمذهبهم أن أل عوض من الضمير . وقال الزمخشري : والمعنى فإن الجحيم مأواه ، كما تقول للرجل : غض الطرف ، تريد طرفك ؛ وليس الألف واللام بدلا من الإضافة ، ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى ، وأنه لا يغض الرجل طرف غيره ، تركت الإضافة . ودخول حرف التعريف في المأوى ، والطرف للتحريف لأنهما معرفان . انتهى . وهو كلام لا يتحصل منه الرابط العائد على المبتدأ ، إذ قد نفى مذهب الكوفيين ، ولم يقدر ضميرا محذوفا ، كما قدره البصريون ، فرام حصول الربط بلا رابط .النازعات : (٤٠) وأما من خاف . . . . .(وأما من خاف مقام ربه (: أي مقاما بين يدي ربه يوم القيامة للجزاء ؛ وفي إضافة المقام إلى الرب تفخيم للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعا عظيما . قال ابن عباس : خافه عندما هم بالمعصية فانتهى عنها .) ونهى النفس عن الهوى (: أي عن شهوات النفس ، وأكثر استعمال الهوى فيما ليس بمحمود . قال سهل : لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين . **وقال بعض الحكماء** : إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه . وقال عمران الميرتلي : فخالف هواها واعصها إن من يطعهوى نفسه تنزع به كل منزعومن يطع النفس اللجوجة ترده وترم به في مصرع أي مصرعوقال الفضيل : أفضل الأعمال خلاف الهوى ، وهذا التفضيل هو عام في أهل الجنة وأهل النار . وعن ابن عباس." (١)

"عباس: خافه عند ما هم بالمعصية فانتهى عنها. (ونهى النفس عن الهوى): أي عن شهوات النفس، وأكثر استعمال الهوى فيما ليس بمحمود. قال سهل: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين. **وقال بعض الحكماء**: إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه. وقال عمران الميرتلي:فخالف هواها واعصها إن من يطع ... هوى نفسه تنزع به كل منزع ...ومن يطع النفس اللجوجة ترده ... وترم به في مصرع أي مصرعوقال الفضيل: أفضل الأعمال خلاف الهوى، وهذا التفضيل هو عام في أهل الجنة وأهل النار. وعن ابن عباس: نزل ذلك في أبي جهل ومصعب بن عمير العبدري، رضي الله تعالى عنه. وعنه أيضا: (فأما من طغى)، فهو أخ لمصعب بن عمير، أسر فلم يشدوا وثاقه، وأكرموه وبيتوه عندهم؛ فلما أصبحوا حدثوا مصعبا، فقال: ما هو لي بأخ، شدوا أسيركم، فإن أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا فأوثقوه. (وأما من خاف مقام ربه) فمصعب بن عمير، وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه، وهي السهام. فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال: «عند الله أحتسبك»،

(١) البحر المحيط في التفسير @ط العلمية أبو حيّان الأندلسي ٨/٤١٥

وقال لأصحابه: «لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما، وإن شراك نعله من ذهب». قيل: واسم أخيه عامر. وفي الكشاف، وقيل: الآيتان نزلتا في أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير، وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد، ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه. انتهى.(يسئلونك): أي قريش، وكانوا يلحون في البحث عن وقت الساعة، إذ كان يتوعدهم بها ويكثر من ذلك، فنزلت هذه الآية. (أيان مرساها): متى إقامتها؟ أي متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها؟ وقيل: أيان منتهاها ومستقرها؟ كما أن مرسى السفينة ومستقرها حيث تنتهي إليه. (فيم أنت من ذكراها)، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيرا، فلما نزلت هذه الآية. انتهى. والمعنى: في أي شيء أنت من ذكر تحديدها ووقتها؟ أي لست من ذلك في شيء، (إنما أنت منذر). (إلى ربك منتهاها): أي انتهاء علم وقتها، لم يؤت علم ذلك أحدا من خلقه. وقيل: (فيم) إنكار لسؤالهم، أي فيم هذا السؤال؟ ثم قال: (أنت من ذكراها)، وعلامة من علاماتها، فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها، ولا معنى لسؤالهم عنها.." (١)

"والظاهر انه أفعل التفضيل، والمفضل عليه محذوف لدلالة المعنى عليه وهو الإبداء، والتقدير: فهو خير لكم من إبدائها.وظاهر الآية: أن إخفاء الصدقات على الإطلاق أفضل، سواء كانت فرضا أو نفلا، وإنما كان ذلك أفضل لبعد المتصدق فيها عن الرياء والمن والأذى، ولو لم يعلم الفقير بنفسه، وأخفى عنه الصدقة أن يعرف، كان أحسن وأجمل بخلوص النية في ذلك.**قال بعض الحكماء**: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره. وقال العباس بن عبد المطلب: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله، وتصغيره في نفسك، وستره. فإذا عجلته هنيته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته. وقال سهل بن هارون:يخفي صنائعه والله يظهرها ... إن الجميل إذا أخفيته ظهراوفي الإبداء والإخفاء طباق لفظي، وفي قوله: وتؤتوها الفقراء طباق معنوي، لأنه لا يؤتي الصدقات إلا الأغنياء، فكأنه قيل: إن يد الصدقات الأغنياء. وفي هذه الآية دلالة على أن الصدقة حق للفقير، وفيها دلالة على أنه يجوز لرب المال أن يفرق الصدق بنفسه.(ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ بالواو الجمهور في: ويكفر، وبإسقاطها وبالياء والتاء والنون، وبكسر الفاء وفتحها، وبرفع الراء وجزمها ونصبها، فاسقاط الواو رواه أبو حاتم عن الأعمش، ونقل عنه أنه قرأ بالياء وجزم الراء، ووجهه أنه بدل على الموضع من قوله: فهو خير لكم لأنه في موضع جزم، وكأن المعنى: يكن لكم الإخفاء خيرا من الإبداء، أو على إضمار حرف العطف: أي ويكفر.وقرأ ابن عامر بالياء ورفع الراء. وقرأ الحسن بالياء وجزم الراء، وروي عن الأعمش بالياء ونصب الراء. وقرأ ابن عباس بالتاء وجزم الراء، وكذلك قرأ عكرمة إلا أنه فتح الفاء وبنى الفعل للمفعول الذي لم يسم فاعله. وقرأ ابن هرمز، فيما حكى عنه المهدوي بالتاء ورفع الراء، وحكي عن عكرمة، وشهر بن حوشب: بالتاء ونصب الراء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر: بالنون ورفع الراء. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: بالنون والجزم، وروي الخفض عن الأعمش بالنون ونصب الراء فيمن قرأ بالياء.فالأظهر أن الفعل مسند إلى الله تعالى، كقراءة من قرأ: ونكفر، بالنون فإنه ضمير لله." (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير @ط الفكر=فهارس أبو حيّان الأندلسي ٤٠٢/١٠

(٢) البحر المحيط في التفسير @ط الفكر=فهارس أبو حيّان الأندلسي ٦٩١/٢

"وقال أبو إسحاق : لم تضبط الرواة اللفظ في الحديث ، وقال أبو علي : لعل أبا عمرو أخفى ، فظنه السامع إسكانا . وقد أتى عن أكثر القراء ما أنكر ، فمن ذلك الإسكان في هذا الموضع ، وفي بعض تاآت البزي ، وفي : اسطاعوا وفي : يخصمون . إنتهى ما لخص من كلامهم .وإنكار هؤلاء فيه نظر ، لأن أئمة القراءة لم يقرأوا إلا بنقل عن رسول الله A ، ومتى تطرق إليهم الغلط فيما نقلوه من مثل هذا ، تطرق إليهم فيما سواه ، والذي نختاره ونقوله : إن نقل القراآءات السبع متواتر لا يمكن وقوع الغلط فيه .﴿ وإن تخفوها ﴾ الضمير المنصوب في : تخفوها ، عائد على الصدقات ، لفظا ومعنى ، بأي تفسير فسرت الصدقات ، وقيل : الصدقات المبداة هي الفريضة ، والمخفاة هي التطوع ، فيكون الضمير قد عاد على الصدقات لفظا لا معنى ، فيصير نظير : عندي درهم ونصفه ، أي : نصف درهم آخر ، كذلك : وان تخفوها ، تقديره : وان تخفوا الصدقات غير الأولى ، وهي صدقة التطوع ، وهذا خلاف الظاهر ، والأكثر في لسان العرب ، وإنما احتجنا في : عندي درهم ونصفه ، إلى أن نقول : إن الضمير عائد على الدرهم لفظا لا معنى لاضطرار المعنى إلى ذلك ، لأن قائل ذلك لا يريد أن عنده درهما ونصف هذا الدرهم الذي عنده . وكذلك قول الشاعر :كأن ثياب راكبه بريح ... خريق وهي ساكنة الهبوبيريد : ريحا أخرى ساكنة الهبوب .﴿ وتؤتوها الفقراء ﴾ فيه تنبيه على تطلب مصارفها وتحقق ذلك وهم الفقراء .﴿ فهو خير لكم ﴾ الفاء جواب الشرط ، وهو ضمير عائد على المصدر المفهوم من قوله : ﴿ وإن تخفوها ﴾ التقدير : فالإخفاء خير لكم ، ويحتمل أن يكون : خير ، هنا أريد به خير من الخيور ، و : لكم ، في موضع الصفة ، فيتعلق بمحذوف .والظاهر انه أفعل التفضيل ، والمفضل عليه محذوف لدلالة المعنى عليه وهو الإبداء ، والتقدير : فهو خير لكم من إبدائها .وظاهر الآية : أن إخفاء الصدقات على الإطلاق أفضل ، سواء كانت فرضا أو نفلا ، وإنما كان ذلك أفضل لبعد المتصدق فيها عن الرياء والمن والأذى ، ولو لم يعلم الفقير بنفسه ، وأخفى عنه الصدقة أن يعرف ، كان أحسن وأجمل بخلوص النية في ذلك .**قال بعض الحكماء** : إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا اصطنع إليك فانشره . وقال العباس بن عبد المطلب : لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال : تعجيله ، وتصغيره في نفسك ، وستره . فإذا عجلته هنيته ، وإذا صغرته عظمته ، وإذا سترته أتممته . وقال سهل بن هارون :يخفي صنائعه والله يظهرها ... إن الجميل اذا أخفيته ظهراوفي الإبداء والإخفاء طباق لفظي ، وفي قوله : وتؤتوها الفقراء طباق معنوى ، لأنه لا يؤتي الصدقات إلا الأغنياء ، فكأنه قيل : إن يبد الصدقات الأغنياء . وفي هذه الآية دلالة على أن الصدقة حق للفقير ، وفيها دلالة على أنه يجوز لرب المال أن يفرق الصدق بنفسه .." (١)

"قال تعالى : ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد ﴾ وقال أبو نهيك وأبو السمال وهارون عن أبي عمرو : وبرزت مبنيا ومخففا ، و ﴿ يوم يتذكر ﴾ : بدل من ﴿ فإذا ﴾ ؛ وجواب إذا ، قال الزمخشري : فإن الأمر كذلك . وقيل : عاينوا وعلموا . ويحتمل أن يكون التقدير : انقسم الراؤون قسمين ، والأولى أن يكون الجواب : فأما وما بعده ، كما تقول : إذا جاءك بنو تميم ، فأما العاصي فأهنه ، وأما الطائع فأكرمه .﴿ طغى ﴾ : تجاوز الحد في عصيانه ، ﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾ على الآخرة ، وهي مبتدأ أو فصل . والعائد على من من الخبر محذوف على رأي البصريين ، أي المأوى له ، وحسن حذفه وقوع

(١) البحر المحيط في التفسير@ موقع التفاسير أبو حيّان الأندلسي ٧١/٣

المأوى فاصلة . وأما الكوفيون فمذهبهم أن أل عوض من الضمير . وقال الزمخشري : والمعنى فإن الجحيم مأواه ، كما تقول للرجل : غض الطرف ، تريد طرفك؛ وليس الألف واللام بدلا من الإضافة ، ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى ، وأنه لا يغض الرجل طرف غيره ، تركت الإضافة . ودخول حرف التعريف في المأوى ، والطرف للتحريف لأنهما معرفان . انتهى . وهو كلام لا يتحصل منه الرابط العائد على المبتدأ ، إذ قد نفى مذهب الكوفيين ، ولم يقدر ضميرا محذوفا ، كما قدره البصريون ، فرام حصول الربط بلا رابط .﴿ وأما من خاف مقام ربه ﴾ : أي مقاما بين يدي ربه يوم القيامة للجزاء؛ وفي إضافة المقام إلى الرب تفخيم للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعا عظيما . قال ابن عباس : خافه عندما هم بالمعصية فانتهى عنها . ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ : أي عن شهوات النفس ، وأكثر استعمال الهوى فيما ليس بمحمود . قال سهل : لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين . **وقال بعض الحكماء** : إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه . وقال عمران الميرتلي :فخالف هواها واعصها إن من يطع ... هوى نفسه تنزع به كل منزعومن يطع النفس اللجوجة ترده ... وترم به في مصرع أي مصرعوقال الفضيل : أفضل الأعمال خلاف الهوى ، وهذا التفضيل هو عام في أهل الجنة وأهل النار . وعن ابن عباس : نزل ذلك في أبي جهل ومصعب بن عمير العبدري ، رضي الله تعالى عنه . وعنه أيضا : ﴿ فأما من طغى ﴾ ، فهو أخ لمصعب بن عمير ، أسر فلم يشدوا وثاقه ، وأكرموه وبيتوه عندهم؛ فلما أصبحوا حدثوا مصعبا ، فقال : ما هو لي بأخ ، شدوا أسيركم ، فإن أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا فأوثقوه . ﴿ وأما من خاف مقام ربه ﴾ فمصعب بن عمير ، وقى رسول الله A بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه ، وهي السهام .." (١)

"الروح عرض (١)، ومثله حكى القلانسي (٢) من أصحابنا عن عبد الله ابن سعيد (٣).**وقال بعض الحكماء**: إن الله تعالى خلق الأرواح من ستة أشياء: من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو، ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا؛ تبصر العينان وتسمع الأذنان، ويكون طيبا فإذا خرج نتن الجسد، ويكون باقيا فإذا زايله الروح لم يعلم شيئا، ويكون الجسد علويا لطيفا مادام فيه الروح، فإذا خرج صار سفليا كثيفا (٤).وقال محمد بن موسى الواسطي (٥): خلق الله الأرواح_____________= والقول بخلق القرآن، وهم أكثر من عشر فرق بالري. انظر: "مقالات الإسلاميين" ١٣٥، و"الفرق بين الفرق" ٢٥، و"البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان" ٣٩.(١) ورد في "مقالات الإسلاميين" ص ٣٣٤ بلا نسبة، انظر: "تفسير البغوي" ٥/ ١٢٦ بلا نسبة، و"الروح" لابن القيم ٢/ ٥٧٣ بلا نسبة.(٢) أبو أحمد مصعب بن أحمد الغدادي القلانسي [نسبة إلى القلانس -جمع قلنسوة- وعملها]، شيخ الصوفية، صاحب أبي حمزة وعليه تخرج، وكان أبو حمزة والجنيد وجماعة المشايخ يكرمونه ويقدمونه على غيره، وكان أبو سعيد ابن الأعرابي ينتمي إليه في التصوف وصحبه إلى أن مات، حج سنة (٢٧٠ هـ) فمات بمكة. انظر: "حلية الأولياء" ١٠/ ٣٠٦، و"اللباب في تهذيب الإنساب" ٣/ ٦٧، و"سير أعلام النبلاء" ١٣/ ١٧٠.(٣) عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي المفسر، أبو سعيد الأشج، حدث عن هشيم وأبي بكر بن عياش، وعنه الأئمة الستة وابن خزيمة، قال الذهبي: رأيت تفسيره مجلد، مات سنة (٢٥٧

---

(١) البحر المحيط في التفسير@ موقع التفاسير أبو حيّان الأندلسي ٤٣٢/١٠

هـ) انظر: "الجرح والتعديل" ٥/ ٧٣، و"سيرأعلام النبلاء" ١٢/ ١٨٢، و"طبقات المفسرين" للداوودي ١/ ٢٣٥.(٤) انظر: "تفسير البغوي" ٥/ ١٢٦ مختصرا، و"الخازن" ٣/ ١٧٩ مختصرا.(٥) محمد بن موسى الواسطي، قاضي الرملة، قال ابن يونس -في تايخ مصر- كان =." (١)

"ما أحسن العقل والمحمود من عقلا ... وأقبح الجهل والمذموم من جهلا ...فليس يصلح نطق المرء فى جدل ... والجهل يفسده يوما إذا سئلا ...والعلم أشرف شئ ناله رجل ... من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا ...تعلم العلم واعمل يا أخى به ... فالعلم زين لمن بالعلم قد عملاوعن بعض الحكماء أنه قال: العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والرفق والده، والبر أخوه، والصبر أمير جنوده.وقال بعض الحكماء: لمثقال ذرة من العلم أفضل من جهاد الجاهل ألف عام، وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه وأعاد علينا من بركاته: الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة، وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.وقال بعض العلماء: العلم نور يهتدى به الحائر، وفى معناه أنشدوا:بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت ... من قبل ما الفرق بين الصدق والمين ...العلم للنفس نور تستدل به ... على الحقائق مثل النور للعينوقال آخر:كفى شرفا بالعلم دعواه جاهل ... ويفرح إن أمسى إلى العلم ينسب ...ويكفى خمولا بالجهالة أننى ... أراع متى أنسب إليها وأغضب." (٢)

"عاب التعلم قوم لا عقول لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضرر ...ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة ... أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصروقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم حاكم والمال محكوم عليه. والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص بالنفقة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: خير سليمان بن داود صلوات الله عليهما بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطى الملك والمال معه. وقال الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله فى قلب من يشاء.وقال بعض الحكماء: ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم. وما أحسن ما قيل:مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم ... وعنه فكاشف كل من عنده فهم ...ففيه جلاء للقلوب من العمى ... وعون على الدين الذى أمره حتم ...فخالط رواة العلم واصحب خيارهم ... فصحبتهم زين وخلطتهم غنم ...ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم ... نجوم هدى إن غاب نجم بدا نجم ...فو الله لو لا العلم ما اتضح الهدى ... ولا لاح من غيب الأمور لنا رسموعن ابن المبارك أنه قال: لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.وعن عثمان بن أبى شيبة قال: سمعت وكيعا يقول: لا يكون الرجل عالما حتى يسمع." (٣)

"ص -٢٦٣- وقال آخر: العشق حنان الجبان ويصفي ذهن الغبي ويسخ كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن نوافر الأخلاق وهو أنيس من لا أنيس له وجليس من لا جليس له.وقال آخر: العشق يزيل الأثقال ويلطف الروح ويصفي

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٦٧/١٣

(٢) الجامع اللطيف@ ط الثقافة (٩١٠)ص/١٨

(٣) الجامع اللطيف@ ط الثقافة (٩١٠)ص/٢٠

كدر القلب ويوجب الارتياح لأفعال الكرام كما قال الشاعر:سيهلك في الدنيا شفيق على كم إذا غاله من حادث الحب غائلهكريم يميت السر حتى كأنه إذا استفهموه عن حديثك جاهلهيود بأن يمسي سقيما لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تراسلهويهتز للمعروف في طلب العلا لتحمد يوما عند ليلي شمائلهفالعشق يحمل على مكارم الأخلاق.وقال بعض الحكماء: العشق يروض النفس ويهذب الأخلاق إظهاره طبعي وإضماره تكلفي.وقال آخر: من لم تبتهج نفسه بالصوت الشجي والوجه البهي فهو فاسد المزاج يحتاج إلى علاج وأنشد في ذلك:إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فما لك في طيب الحياة نصيبوقال آخر:إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فأنت وعير في الفلاة سواءوقال الآخر:إذا أنت لم تعشق ولم تدرى ما الهوى فقم فاعتلف تبنا فأنت حماروقال بعض العشاق أولو العفة والصيانة: إذ عفوا تشرفوا وإذا عشقوا تظرفوا.وقيل لبعض العشاق: ما كنت تصنع بمن تهوى به؟ فقال: كنت." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٥ """"""والكلب لا يطيع إلا صاحبه وتقدم في باب المحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حبب إلي من دنياكم هذه ثلاث).فإن قيل: كيف أمطر الله على أيوب عليه السلام جرادا من ذهب؟ قيل: جعله الله عوضا عن الدود الذي أكله، فالجراد خلعة الطائع وعقوبة العاصي لأنه مخلوق من الذنوب وذلك أن المريض تلقى ذنوبه في البحر فيخلق الله منها التمساح فإذا مات التمساح صار دودا ثم جرادا بإذن الله تعالى، وتقدم في فصل الأدب من كتاب الموت أنه مخلوق من طينة آدم عليه السلام. وقال بعض الحكماء: الدنيا ميراث الغرور، ومسكن البطالين، وسوق الراغبين، وميدان الفاسقين، وسجن المؤمنين، ومزبلة المتقين زاد مؤلفه رحمه الله ومزرعة للعالمين.فائدة: قال ابن عباس: التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء وكان النبي عليه السلام يتوكأ عليها، وعنه عليه السلام قال: (العصا علامة المؤمن وسنة الأنبياء ومن خرج في سفر ومعه عصا من لوز مر) أمنه الله من كل سبع ضار ولص عاص ومن كل ذات (حمة حتى يرجع إلى أهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها) وعن النبي عليه السلام قال: (من بلغ أربعين سنة ولم يأخذ العصا عدله من الكبر والعجب) وقال النبي عليه السلام: (ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه).لطيفة قال أنس: خرجت مع النبي عليه السلام فرأينا طيرا أعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبي عليه السلام: (أتدري ما يقول؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إنه يقول: اللهم أنت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت، فأقبلت جرادة فدخلت في فيه، ثم ضرب بمنقاره على الشجرة فقال النبي عليه السلام: أتدري ما يقول؟ قلت: لا، قال: إنه يقول: من توكل على الله كفاه وعن أبي هريرة عن النبي عليه السلام قال: من عمل فرقة بين امرأة وزوجها كان عليه لعنة الله في الدنيا والآخرة وحرم الله عليه النظر إلى وجهه الكريم).موعظة: عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيما امرأة خانت زوجها في الفراش فعليها نصف عذاب هذه الأمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث في قبره إلا ساعة واحدة ثم يرسل الله إليه ملكا يشبه الخطاف فيخطفه برجليه ويطرحه في بلاد قوم لوط ويكتب على جبينه آيس من رحمة الله) وعنه عليه السلام قال: (يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رؤوس فيقول الله تعالى: من أنتم؟ فيقولون: نحن المظلومون، فيقول: من ظلمكم؟

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء @ ط العلمية ابن القيم ص/٢٦٣

فيقولون: آباؤنا كانوا يأتون الذكران من العالمين فألقونا في الأدبار فيقول الله تعالى: سوقوهم إلى النار واكتبوا على جباههم آيسين من رحمة الله) وعنه عليه السلام قال: (يمسخ اللوطي في قبره خنزيرا وتدخل [النار] في منخريه وتخرج من دبره كل يوم سبعين مرة) وقال عليه السلام: (العفريت أخبرنا عن إبليس فتوجه معه إلى البحر فوجده على وجه الماء فقال: أخبرنا بأبغض الأعمال إلى الله وأحبها إليك قال: اللواط ولولا ممشاك." (١)

"تخرج عن هذه المعاني، ووافقه الثعالبي (١)، ففسره الزجاج بقوله: ولتغذى (٢)، ووضحه ابن قتيبة بقوله: ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي لتربى بمرأى مني " (٣)، ووافقه الرازي (٤).بينما جمع الثعلبي بين التربية والغذاء، حيث قال: " ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي ولتربى وتغذى بمرأى ومنظر مني" (٥)، ووافقه الواحدي، والسمعاني، وابن الجوزي، وغيرهم (٦).وزاد الزمخشري " لتربى ويحسن إليك، وأنا مراعيك ومراقبك " (٧)، ووافقه أبو حيان، والسمين الحلبي، وابن عادل (٨) وقريب منه قول البيضاوي (٩).وجاء في التهذيب " ولتربى بمرأى منى، يقال صنع فلان جاريته إذا رباها، وصنع فرسه إذا قام بعلفه وتسمينه .... وفلان صنيع فلان إذا رباه وأدبه وخرجه ويجوز صنيعته " (١٠).ومن خلال ما سبق يتضح أن جميع هذه المعاني متقاربة يجمعها تفقد الله للعبد، ومن مقتضيات التفقد الرعاية، والتربية، والإحسان، والمراقبة، **قال بعض الحكماء**: إن الله تعالى إذا أحب عبدا تفقده كما يتفقد الصديق صديقه (١١).______________(١) الجواهر الحسان (٤/ ٥٦).(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٥٦).(٣) غريب القرآن (٢٧٨).(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٢/ ٤٨).(٥) الكشف والبيان (٦/ ٢٤٤).(٦) ينظر: الوسيط للواحدي (٣/ ٢٠٦) وتفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٣٢٩) وزاد المسير (٣/ ١٥٨).(٧) الكشاف (٣/ ٦٣).(٨) ينظر: البحر المحيط (٦/ ٢٢٧)، والدر المصون (٥/ ٢٠)، واللباب (١٣/ ٢٣٨).(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٤/ ٥٠).(١٠) التهذيب (٢/ ٣٨) (صنع).(١١) ينظر: المفردات (٤٩٣) وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ٣٥٥).." (٢)

"والصالحين وأهل التصريف والخضر والياس والملائكة ورجال الغيب وبركة الجميع تنوب عن الجميع والله يستحي أن يرد جمعا فيه محبوبه أو يمقت أناسا فيم أهل وده ولذا رفع الله المسخ لوجود أهل الذكر فيهم وما دام ذكره في الأرض فلا مسخ فيها لقوله عز وجل: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فإذا علمت هذا فاعلم أن السروال محل صعب للعاقل (١) وغيره فيه سبعة أيام لا ماء فيها غير المرفوع أو الموجود بالفضل وفيه من التعب ما لا يمكن التعبير عنه إلا بالذوق غير أن الله يمن بفضله عليهم ويرحمهم ويرفق بهم بمحبته صلى الله عليه وسلم وأيام هذا الموضع مفازة في انعدام الماء مثل هذه ولذا **قال بعض الحكماء** لو لا السروال في برقة والعشاريات في الدرب لحج النساء والصبيان غير أن فضل الله يوصل ويبلغ ولا تعتقد أن كثرة الزاد مبلغة إذ ربما صاحبه هلك وغيره نجا وسلم والاعتماد إنما هو على الفضل والمنة من الله تعالى واستصحاب الزاد شريعة وسنة فالوقوف معها وقاية وجنة هذا وأن المخلص من صعب الزمان، وقساوة المكان، الاعتماد على مدد الرحمان، والتخلق في هذا الطريق بالرأفة والشفقة للضعفاء من أهل الإيمان، فان

---

(١) الحاوي للفتاوي @ ط العلمية الجَلَال السُّيُوطي ٢/٣٥

(٢) الدرس الصوتي والدلالي في كتاب (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاقص/٥٤٧

من رحم يرحم وان الله في عون العبد ما دام في عون أخيه وليس التخلص من سموم عقارب الزمان، وأفاعيه إلا بترياق التفضل والإيثار بحسب الاستطاعة والإمكان. ثم إن سعة الصدر وسلامته يحفظان من كل أذاية دينية ودنياوية وإن كانت سلامة الصدر ممدوحة في غير هذا الطريق غير إنها في هذا الطريق أنفع وأتم لا سيما مع وجود الرحمة والعفة وكف اللسان عن الخوض فيما لا يعني وعدم الاسترسال فيما لا يحتاج إليه فكما غاب الإنسان عن أهله وأحبابه يغيب عن مألوفاته إلا ما لا بد______________(١) في نسخة القوافل.." (١)

" لا شيء لك إن الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك الحديث وقد ذم غير واحد من السلف من يقول هذه لوجه الله ووجه فلان فإن الله تعالى لا شريك له وقال قتادة إذا راءى العبد يقول الله تعالى عبدي يستهزئ بي

وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ما صدق الله تعالى من أراد أن يشتهر

وقال الفضيل رضي الله عنه من أراد أن ينظر إلى مراء فلينظر إلي وقال أيضا ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما

وقال بعض الحكماء مثل من يعمل رياء وسمعة كمثل من ملأ كيسه حصى ثم دخل السوق ليشتري به فإذا فتحه بين يدي البائع افتضح وضرب به وجهه فلم يحصل له به منفعة سوى قول الناس ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئا فكذلك من عمل للرياء والسمعة لا منفعة له في عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة

قال تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أي الأعمال التي قصد بها غير الله تعالى يبطل ثوابها صارت كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس

تنبيهات منها الرياء مأخوذ من الرؤية والسمعة من السماع

وحد الرياء المذموم إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته وكماله حتى يحصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء

إما بإظهار نحول وصفرة ونحو تشعث شعر وبذاذة هيئة وخفض صوت وغمض جفن إيهاما لشدة اجتهاده في العبادة وحزنه وقلة أكله وعدم مبالاته بأمر نفسه لاشتغاله عنها بالأهم وتوالي صومه وسهره وإعراضه عن الدنيا وأهلها وما درى المخذول أنه حينئذ أقبح من أراذلهم كالمكاسين وقطاع السبيل

وأمثالهم لأنهم معترفون بذنوبهم لا غرور لهم في الدين بخلاف ذلك المخذول الممقوت

وإما بإظهار زي الصالحين كإطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه ولبس الصوف وخشن الثياب وتقصيرها وغير ذلك إيهاما أنه من العلماء والسادة الصوفية رضي الله عن محقيهم وخذل مبطليهم مع الإفلاس عن حقيقة العلم والتصوف بباطنه وما درى المخادع أن كل ما وصل إليه لأجل هذا التلبيس حرام عليه قبوله فإن قبله كان فاسقا لأكله أموال الناس بالباطل

---

(١) الرحلة الورثيلانية @ط الثقافة الدينية (١١٩٣)١/٢٧٤

وإما بالوعظ والتذكير وإظهار حفظ السنن ولقاء المشايخ وإتقان العلوم وغير ذلك من الطرق الكثيرة إذ الرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر

وإما بنحو تطويل أركان الصلاة وتحسينها وإظهار التخشع فيها وكذا الصوم والحج وغيرهما من العبادات

وأنواع الرياء بالأعمال لا تنحصر وربما أن المرائي من شدة حرصه على إحكام الرياء وإتقانه يتألف ذلك بفعله في خلواته ليكون ذلك خلقا له في الملإ لا للخوف من الله تعالى والحياء منه

وإما بالأصحاب والزائرين

". (١)

" وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال لمن شق عليه موت ابنه أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه فيفتحه لك فقال يا رسول الله هذا أحب إلي قال هو لك فقيل يا رسول الله هو له خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة

وفي خبر مسلم ما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفر بها عنه حتى الشوكة يشاكها

وفي حديث آخر من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب

وكأن القاضي حسينا من أكابر أئمتنا أخذ من هذا قوله الذي أقروه عليه يجب على كل مؤمن أن يكون حزنه على فراق النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا أكثر منه على فراق أبويه كما يجب عليه أن يكون صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه وأهله وماله

وفي حديث إن من حمد الله واسترجع عند موت ولده أمر الله ملائكته أن يبنوا له بيتا في الجنة ويسموه بيت الحمد

وفي أخرى عند البخاري ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة

وفي أخرى إنما الصبر عند الصدمة الأولى أي إنما يحمد الصبر عند مفاجأة المصيبة وأما فيما بعد فيقع السلو طبعا

ومن ثم **قال بعض الحكماء** ينبغي للعاقل أن يفعل بنفسه أول أيام المصيبة ما يفعله الأحمق بعد خمسة أيام

وفي حديث آخر من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار فقال أبو الدرداء قدمت اثنين قال واثنين قال آخر قدمت واحدا قال وواحدا ولكن ذلك في أول صدمة

وفي أخرى من كان له فرطان أي ولدان من أمتي دخل الجنة قالت عائشة ومن له فرط قال ومن له فرط الحديث

". (٢)

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر @ ط العصرية ابن حجر الهيتمي ٧٥/١

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر @ ط العصرية ابن حجر الهيتمي ٣١٢/١

"جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٣٨إنا﴾ أي : بما لنا من العظمة والقدرة ﴿كفيناك المستهزئين﴾ أي : شر الذين هم عريقون في الاستهزاء وهم خمسة نفر من رؤوساء قريش الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدي بن قيس ، والأسود بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، ووصف سبحانه وتعالى هؤلاء بقوله تعالى : ﴿الذين يجعلون مع الله إلها آخر﴾ وقيل : ليس بصفة بل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فسوف يعلمون﴾ أي : عاقبة أمرهم في الدارين. ولما ذكر سبحانه وتعالى أن قومه يسفهون عليه ولا سيما أولئك المقتسمون قال له تعالى : ﴿ولقد نعلم﴾ أي : نحقق وقوع علمنا ﴿أنك﴾ أي : على ما لم من الحلم وسعة البطان ﴿يضيق صدرك﴾ أي : يوجد ضيقه ويتجدد ﴿بما يقولون﴾ أي : من الاستهزاء والتكذيب بك وبالقرآن لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك فعند هذا قال تعالى : ﴿فسبح﴾ ملتبسا ﴿بحمد ربك﴾ أي : نزهه عن صفات النقص. وقال الضحاك : قل سبحان الله وبحمده. وقال ابن عباس : فصل بأمر ربك. ﴿وكن من الساجدين﴾ أي : من المصلين. روي أنه صلى الله عليه وسلم "كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة". وقدمت معناه في سورة البقرة. تنبيه : اختلف الناس كيف صار الإقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فقال العارفون المحققون : إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات يتنور باطنه ويشرق عليه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت إليها. **وقال بعض الحكماء** : إذا نزل بالإنسان بعض المكاره ففزع إلى الطاعات فكأنه يقول : يا رب يجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات فأنا عبدك بين يديك فافعل بي ما تشاء.٢٤٠﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ قال ابن عباس : يريد الموت ، وسمى الموت يقينا لأنه أمر متيقن وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم : ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾ (مريم ، ٣١). وروى البغوي بسنده عن ابن جبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما أوحى الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلي أن ﴿سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾". فإن قيل : أي : فائدة لهذا التوقيت مع أن كل أحد يعلم أنه إذا مات سقطت عنه العبادات ؟ أجيب : بأن المراد منه واعبد ربك في جميع زمان حياتك فلا تخل لحظة من لحظات الدنيا بهذه العبادات. وعن عمر رضي الله عنه قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون". وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال : "من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم . حديث موضوع.٢٤١جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٣٨." (١)

"يرجى له أن يغلب ويظفر بمراده في أن لا يميل إليه أحد وسكت ونسي ما كان يقول ، وهذا يدل على أنهم عارفون بأن من يسمعه مال إليه وأقبل بكليته عليه وقد فضحوا أنفسهم بهذا فضيحة لا مثل لها.﴿فلنذيقن الذين كفروا﴾ أظهر في موضع الإضمار إذ أصله فلنذيقنهم ، لكنه أظهر تعميما وتعليقا بالوصف ﴿عذابا شديدا﴾ في الدنيا بالحرمان وما يتبعه

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير @ ط العلمية الخطيب الشربيني ١٦٨/٢

من فنون الهوان ، وفي الآخرة بالنيران ﴿ولنجزينهم﴾ أي : بأعمالهم ﴿أسوأ﴾ أي : سوء العمل ﴿الذي كانوا يعملون﴾ أي : مواظبين عليه.﴿ذلك﴾ أي : الجزاء الأسوأ العظيم جدا ﴿جزاء أعداء الله﴾ أي : الملك الأعظم ، ثم بينه بقوله تعالى : ﴿النار﴾ وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو في الوصل بإبدال الهمزة الثانية المفتوحة واوا خالصة ، والباقون بتحقيقهما ، وأما الابتداء بالثانية فالجميع بالتحقيق ، ثم فصل بعض ما في النار بقوله تعالى : ﴿لهم فيها﴾ أي : النار ﴿دار الخلد﴾ أي : فإنها دار إقامة ، قال الزمخشري : فإن قلت ما معنى قوله : ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ قال : قلت : إن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب : ٢١)جزء : ٣ رقم الصفحة : ٦١١أي : الرسول هو نفس الأسوة.وقال البيضاوي : هو كقولك في هذه الدار دار سرور يعني بالدار عينها على أن المقصود هو الصفة قال ابن عادل : في هذا نظر إذ الظاهر وهو معنى صحيح منقول أن في النار دارا تسمى دار الخلد والنار محيطة بها وهذا أولى ، وقوله تعالى : ﴿جزاء﴾ منصوب بالمصدر الذي قبله وهو ﴿جزاء أعداء الله﴾ والمصدر ينصب بمثله كقوله تعالى : ﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا﴾ (الإسراء : ٦٣)﴿بما كانوا بآياتنا﴾ أي : على ما لنا من العظمة ﴿يجحدون﴾ أي : يلغون في القراءة وسماه جحدا لأنهم لما علموا أن القرآن بالغ إلى حد الإعجاز خافوا من أنه لو سمعه الناس لآمنوا فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة ، وذلك يدل على أنهم علموا كونه معجزا وأنهم جحدوا حسدا.ولما بين تعالى أن الذي حملهم على الكفر الموجب للعذاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين ما يقولون في النار بقوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي : غطوا أنوار عقولهم داعين بما لا يسمع لهم فهو زيادة في عقوبتهم وحكايته لها وعظ وتحذير ﴿ربنا﴾ أي : يا أيها الذي لم يقطع قط إحسانه عنا ﴿أرنا﴾ الصنفين ﴿اللذين أضلانا﴾ أي : عن المنهج الموصل إلى محل الرضوان ﴿من الجن والإنس﴾ لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي ، قال تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن﴾ (الأنعام : ١١٢)وقال تعالى : ﴿الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾ (الناس : ٥ ـ ٦)وقيل : هما إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه ، لأن الكفر سنه إبليس ، والقتل بغير حق سنه قابيل ، فهما سنا المعصية ، وقرأ ابن كثير والسوسي ، وابن عامر وشعبة بسكون الراء من أرنا ، واختلس الدوري كسر الراء ، وكسرها الباقون ، وشدد ابن كثير النون من اللذين ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ في النار إذلالا لهما كما جعلانا تحت أمرهما ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ قال مقاتل : أسفل منافي النار ، وقال الزجاج : ليكونا في الدرك الأسفل من النار أي : من أهل الدرك الأسفل وممن هودوننا كما جعلانا كذلك في الدنيا في حقيقة الحال باتباعنا لهما ، **وقال بعض الحكماء** : المراد باللذين أضلانا : الشهوة والغضب ، والمراد بجعلهما تحت أقدامهم : كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها وأن لا يكونا مستوليين عليها ظاهرين عليها.٦١٤جزء : ٣ رقم الصفحة : ٦١١ولما ذكر تعالى الوعيد أردفه بذكر الوعد كما هو الغالب فقال تعالى : ﴿إن الذين قالوا﴾ أي : قولا حقيقيا مذعنين به بالجنان وناطقين باللسان تصديقا لداعي الله تعالى في الدنيا ﴿ربنا﴾ أي : المحسن إلينا ﴿الله﴾ أي : المختص بالجلال والإكرام وحده لا شريك له ، وثم في قوله تعالى : ﴿ثم استقاموا﴾ لتراخي الرتبة في الفضيلة فإن الثبات على التوحيد ومصححاته إلى الممات أمر في علو رتبته لا يرام إلا بتوفيق ذي الجلال والإكرام.." (١)

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير @ ط العلمية الخطيب الشربيني ٤١١/٣

"وقيل قدم السائل لتجانس رؤوس الآي. وقيل : السائل هو الآدمي ، والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوانات المحترمة قال صلى الله عليه وسلم "في كل كبد حراء أجر" وهذا ترتيب حسن لأن الآدمي مقدم على البهائم ، وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب : السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء ، وقال قتادة والزهري : المحروم المتعفف الذي لا يسأل الناس وقال زيد بن أسلم : المحروم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال : المحروم صاحب الجائحة ثم قرأ ﴿إنا لمغرومون بل نحن محرومون﴾ (الواقعة : ٦٦ . ٦٧)﴿اسم الكتاب : تفسير السراج المنير الشربينيوفي الأرض﴾ أي من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيات﴾ أي دلالات على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿للموقنين﴾ أي الذين صار الإيقان لهم غريزة ثابتة فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها قال القشيري : من الآيات فيها أنها تحمل كل شيء ، فكذلك العارف يحمل كل أحد ومن استثقل أحدا أو تبرم برؤية أحد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة ، وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ، ومن الآيات فيها أنه يلقي عليها كل قذر وقمامة فتنبت كل زهر ونور فكذلك العارف بتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق حسن علي وشيمة زكية.﴿وفي أنفسكم﴾ آيات أيضا من مبدإ خلقكم إلى منتهاه ، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أفلا تبصرون﴾ أي : بأبصاركم وبصائركم فتتأملوا ما في ذلك من الآيات فمن تأملها علم أنه عبد ، ومتى علم ذلك علم أن له ربا غير محتاج إلى أحد.﴿وفي السماء﴾ أي : جهة العلو ﴿رزقكم﴾ بما يأتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتبه سبحانه وتعالى لمنافع العباد ، وقال ابن عباس يعني بالرزق المطر لأنه سبب الأرزاق ، وقيل : في السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير الأرزاق كلها من السماء ولولاه لما حصل في الأرض حبة قوت ﴿وما توعدون﴾ قال عطاء : من الثواب والعقاب وقال مجاهد : من الخير والشر وقال الضحاك : من الجنة والنار.ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال عز من قائل : ﴿فورب﴾ أي : مبدع ومدبر ﴿السماء والأرض﴾ أي : وما أودع فيهما مما علمتموه وما لم تعلموه ﴿إنه﴾ أي : الذي توعدونه من الخير٨٩والشر والجنة والنار وما ذكر من أمر الرزق وما تقدم الإقسام عليه ﴿لحق﴾ أي ثبات يطابقه الواقع ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي مثل نطقكم كما أنه لا شك في أنكم تنطقون ينبغي لكم أن لا تشكوا في تحقيق ذلك **وقال بعض الحكماء** : معناه أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن أن ينطق بلسان غيره ، كذلك كل أحد يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره وأنشدوا في المعنى : *ما لا يكون فلا يكون بحيلة ** أبدا وما هو كائن سيكون**سيكون ما هو كائن في وقته ** وأخو الجهالة مكمد مغبون*وقيل : معناه إن القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون ، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة برفع اللام على أنه نعت لحق ، وما مزيدة وأنكم مضاف إليه أي لحق مثل نطقكم ولا يضر تقدير إضافتها لمعرفة لأنها لا تتعرف بذلك لإبهامها ، والباقون بالنصب على أنه نعت لحق أيضا كما في القراءة الأولى : وإنما بني الاسم لإضافته إلى غير ممكن كما بناه القائل في قوله : *اسم الكتاب : تفسير السراج المنير الشربينيفتداعى منخراه بدم ** مثل ما أثمر حماض الجبل*يفتح مثل مع أنها نعت لدم وقيل أنها نعت لمصدر محذوف أي لحق حقا مثل نطقكم. وقوله تعالى : اسم الكتاب : تفسير السراج المنير الشربيني﴿هل أتاك﴾ أي يا أكمل الخلق ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا ؛ لأنه

حسبهم كذلك ويقع على الواحد والجمع لأنه مصدر ، وسماهم مكرمين عند الله تعالى ، أو لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بأن عجل قراهم وأجلسهم في أكرم المواضع واختيار إبراهيم لكونه شيخ المرسلين ، وكون النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بأن يتبع ملته وكان إبراهيم عليه السلام أكرم الخليقة ، وضيف الكرام مكرمون. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : لأن إبراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه ، وعن ابن عباس سماهم مكرمين لأنهم جاؤوا غير مدعوين ، وقال صلى الله عليه وسلم "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه".٩٠فإن قيل : إذا كان المراد من الآية التسلية والإنذار ، فأي فائدة في حكاية الضيافة ؟ أجيب : بأن في ذلك إشارة إلى أن الفرج في حق الأنبياء والبلاء على الجهلة يأتي من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى : ﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ (الزمر : ٢٥)فلم يكن عند إبراهيم عليه السلام خبر من إنزال العذاب مع ارتفاع منزلته قال القشيري : وقيل كان عددهم اثني عشر ملكا وقيل : جبريل عليه السلام وكان معه تسعة وقيل : كانوا ثلاثة ، وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها.." (١)

"ثانيها : ما روي عن ابن عباس : أن الغاسق الليل إذا وقب ، أي : أقبل بظلمته من المشرق ، وسمي الليل غاسقا لأنه أبرد من النهار. والغسق : البرد ، وإنما أمر بالتعوذ من الليل لأن فيه الآفات ويقل : الغوث ، ومنه قولهم : الليل أخفى للويل ، وقولهم : أعذر الليل لأنه إذا أظلم كثر فيه العدو ، وفيه يتم السحر ، وأسند الشر إليه لملابسته له من حدوثه فيه.ثالثها : إنه الثريا إذا سقطت وغابت ، ويقال : أن الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها ، فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها.رابعها : أنه الأسود من الحيات ، ووقبه : ضربه ونقبه والوقب الثقب ، ومنه : وقبت الثريد.ولما كان السحر أعظم ما يكون لما فيه من تفريق المرء من زوجه وأبيه وابنه ونحو ذلك عقب ذلك بقوله تعالى : ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ ، أي : النساء ، أو النفوس ، أو الجماعات السواحر اللواتي تعقد عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين عليها ، والنفث : النفخ مع ريق. وقال أبو عبيدة : النفاثات من بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم فإن قيل : ما معنى الاستعاذة من شرهن ؟ أجيب : بثلاثة أوجه : أحدها : أنه يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ، ومن إثمهن في ذلك. ثانيها : أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن. ثالثها : أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن. قال الزمخشري : ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله تعالى : ﴿إن كيدكن عظيم﴾ (يوسف : ٢٨)تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد ، أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك.تنبيه : اختلف في النفث في الرقي ، فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذتين". وروى محمد بن حاطب : "أن يده احترقت فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم أنه لم يحفظه". وروى "أن قوما لدغ رجل منهم فأتوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل فيكم من راق ؟ قالوا : لا حتى تجعلوا لنا شيئا ، فجعلوا لهم قطيعا من الغنم ، فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برئ ، فأخذوه ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : وما يدريك أنها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم". وأنكر جماعة النفث

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير @ ط العلمية الخطيب الشربيني ٤/٦٢

والتفل في الرقي ، وأجازوا النفخ بلا ريق. وقال عكرمة : لا ينبغي للراقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد. وقيل : إن النفث في العقد إنما يكون مذموما إذا كان سحرا مضرا بالأرواح والأبدان ، ٧١٩وإذا كان النفث لإصلاح الأرواح والأبدان فلا يضر ، وليس بمذموم ولا مكروه بل هو مندوب إليه.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٧١٧ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد ، وهو تمني زوال نعمة المحسود للحاسد ، أو غيره قال تعالى : ﴿ومن شر حاسد﴾ ، أي : ثابت الاتصاف بالحسد معروف فيه ، وأعظم الحساد الشيطان الذي ليس له دأب إلا السعي في إزالة نعم العبادات عن الإنسان بالغفلات ، ثم قيد ذلك بقوله تعالى : ﴿إذا حسد﴾ ، أي : إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود ، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمر فلا ضرر يعود منه على من حسده ، بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره.وعن عمر بن عبد العزيز : لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد ، وفي إشعار الآية إدعاء بما يحسد عليه من نعم الدارين لأن خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا. فإن قيل : لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه ؟ أجيب : بأن النفاثات عرفت لأنه كل نفاثة شريرة ، ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر.ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "لا حسد إلا في اثنتين" الحديث. وقال أبو تمام : وما حاسد في المكرمات بحاسد. وقال آخر : إن العلا حسن في مثلها الحسد.فائدة : **قال بعض الحكماء** : الحاسد بارز ربه من خمسة أوجه : أولها : أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. ثانيها : أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول : لم قسمت هذه القسمة. ثالثها : إنه ضاد فعل الله تعالى إن فضل ببره من شاء ، وهو يبخل بفضل الله تعالى. رابعها : أنه خذل أولياء الله تعالى ، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم. خامسها : أنه أعان عدو الله إبليس ، والحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة ، ولا ينال في الدنيا إلا جزعا وغما ، ولا ينال في الآخرة إلا حزنا واحتراقا ، ولا ينال من الله تعالى إلا بعدا ومقتا.وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم آكل الحرام ، ومكثر الغيبة ، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين". وقيل : المراد بالحاسد في الآية اليهود ، فإنهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم فإن قيل : قوله تعالى : ﴿من شر ما خلق﴾ تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد ؟ أجيب : بأنه قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمرهم ، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم ، كأنما يغتال به ، وقالوا : شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر وأخرج الإمام أحمد عن الزبير بن العوام أنه صلى الله عليه وسلم قال : "دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، ألا والبغضاء هي الحالقة". فنسأل الله تعالى أن يحفظنا ومحبينا منه إنه كريم جواد.٧٢٠وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : "لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما". وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال : "وإنك إن تقرأ سورتين لا أحب ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين". وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم قال : ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب

الناس﴾. وما رواه الزمخشري ولم يقله البيضاوي هنا لكن قال في آخر السورة الآتية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى" حديث موضوع.٧٢١جزء : ٤ رقم الصفحة : ٧١٧." (١)

"محبة واشتياقا إلى لقاء ربه: كتب في ديوان المحبين المخلصين.وفى مسند الإمام أحمد والترمذي . من حديث محمود بن لبيد يرفعه .: «إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط»، زاد أحمد: «ومن جزع فله الجزع».ومن (١) علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته، فآخر أمره إلى صبر الاضطرار. وهو غير محمود ولا مثاب.قال بعض الحكماء: «العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة، ما يفعله الجاهل بعد أيام. ومن لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم». وفى الصحيح مرفوعا: «الصبر عند الصدمة الأولى». وقال الأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا، وإلا سلوت سلو البهائم».ومن علاجها: أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له، وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب. فمن ادعى محبة محبوب، ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه (٢) .: فقد شهد على نفسه بكذبه، وتمقت إلى محبوبه.وقال أبو الدرداء: «إن الله إذا قضى قضاء، أحب أن يرضى به». وكان عمران ابن الحصين، يقول في علته: «أحبه إلي: أحبه إليه». وكذلك قال أبو العالية.وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين، ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به.ومن علاجها: أن يوازن بين أعظم اللذتين والتمتعين وأدومهما: لذة تمتعه بما أصيب به، ولذة تمتعه بثواب الله له. فإن ظهر له الرجحان، فآثر الراجح: فليحمد الله على توفيقه. وإن آثر المرجوح من كل وجه: فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه، أعظم من مصيبته التي أصيب بها؟؟ في دنياه.ومن علاجها: أن يعلم أن الذي ابتلاه بها: أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه________________________(١) بالزاد: من. والنقص من الناسخ أو الطابع.(٢) كذا بالزاد. وفى الأصل: يسخط. وهو مع صحته تحريف.." (٢)

"وقال بعض الحكماء: «من أراد الصحة: فليجود الغذاء، وليأكل على نقاء، وليشرب على ظمإ (١) وليقلل من شرب الماء، ويتمدد بعد الغداء، ويتمش (٢) بعد العشاء، ولا ينم (٣) حتى يعرض نفسه على الخلاء، وليحذر دخول الحمام عقيب الامتلاء. ومرة في الصيف خير من عشر (٤) في الشتاء، وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء، ومجامعة العجائز تهرم أعمار الاحياء، وتسقم أبدان الأصحاء». ويروى هذا عن علي كرم الله وجهه. ولا يصح عنه، وإنما بعضه من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، وكلام غيره (٥).وقال الحرث: «من سره البقاء .: ولا بقاء . فليباكر الغداء (٦)، وليعجل (٧) العشاء، وليخفف الرداء، وليقل (٨) غشيان النساء».وقال الحرث: «أربعة أشياء تهدم البدن: الجماع (٩) على البطنة، ودخول الحمام على الامتلاء، وأكل القديد، وجماع العجوز».ولما احتضر الحرث: اجتمع إليه الناس، فقالوا: مرنا بأمر ننتهي إليه من بعدك. فقال: «لا تتزوجوا من النساء إلا شابة، ولا تأكلوا من الفاكهة إلا في أوان نضجها، ولا يتعالجن أحدكم ما احتمل بدنه الداء. وعليكم بتنظيف المعدة في كل شهر: فإنها مذيبة للبلغم، مهلكة للمرة، منبتة للحم. وإذا تغدى (١٠) أحدكم: فلينم على إثر غدائه (١٠) ساعة. وإذا تعشى: فليمش أربعين

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير @ ط العلمية الخطيب الشربيني ٤/٤٤٩

(٢) الطب النبوي لابن القيم@ ط إحياء الكتب ابن القيم ص/١٥١

خطوة».______________________(١) كذا بالزاد وطبقات الأطباء ١/ ١١٢. وبالأصل: ظماء. وهو محرف عنه أو عن «إظماء». انظر: المصباح.(٢) كذا بالزاد وهو الصواب. وبالأصل: «الغذاء ويتمشى». وبالطبقات: «الغداء ويتمشى».(٣) بالطبقات: يبيت. وبالأصل والزاد: ينام. والملائم ما أثبتنا.(٤) كذا بالزاد والطبقات. وبالأصل: عشرة: وهو تحريف.(٥) راجع الطبقات.(٦) كذا بالطبقات. وصحف في الأصل والزاد بالذال.(٧) في رواية أخرى بالطبقات: «فليكر»، أي فليؤخر. وما هنا أصح.(٨) بالأصل زيادة «من». وحذفها أولى على ما في القاموس: ٤/ ٤٠.(٩) بالطبقات: الغشيان. والمعنى واحد.(١٠) كذا بالزاد ١٩٧. وصحف في الأصل بالذال.." [١]

"محبة واشتياقا إلى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين وفي مسند الإمام أحمد والترمذي من حديث محمود بن لبيد يرفعه إن الله إذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط زاد أحمد ومن جزع فله الجزع ومن علاجها أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته فآخر أمره إلى صبر الاضطرار وهو غير محمود ولا مثاب **قال بعض الحكماء العاقل** يفعل في أول يوم المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ومن لم يصبر صبر الكرام سلاسلو البهائم وفي الصحيح مرفوعا الصبر عند الصدمة الأولى وقال الأشعث بن قيس إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت سلو البهائم ومن علاجها أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن أدعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبة وتمقت إلى محبوبة وقال أبو الدرداء إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به وكان عمران ابن الحصين يقول في علته أحبه إلي أحبه إليه وكذلك قال أبو العالية وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به ومن علاجها أن يوازن بين أعظم اللذتين والتمتعين وأدومهما لذة تمتعه بما أصيب به ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه وإن آثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه ومن علاجها أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه

." [٢]

"**وقال بعض الحكماء** من أراد الصحة فليجود الغذاء وليأكل على نقاء وليشرب على ظمإ وليقلل من شرب الماء ويتمدد بعد الغذاء ويتمش بعد العشاء ولا ينم حتى يعرض نفسه على الخلاء وللحذر دخول الحمام عقيب الامتلاء ومرة في الصيف خير من عشر في الشتاء واكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء ومجامعة العجائز تهرم اعمار الأحياء وتسقم أبدان الأصحاء ويروى هذا عن علي كرم الله وجهه ولا يصح عنه وانما بعضه من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب وكلام غيره وقال الحرث من سره البقاء ولا بقاء فليباكر الغذاء وليعجل العشاء وليخفف الرداء وليقل غشيان النساء وقال الحرث أربعة اشياء تهدم البدن الجماع على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء واكل القديد وجماع العجوز ولما

---

(١) الطب النبوي لابن القيم@ ط إحياء الكتب ابن القيم ص/٣١٩

(٢) الطب النبوي لابن القيم@ ط الفكر ابن القيم ص/١٥١

احتضر الحرث اجتمع إليه الناس فقالوا مرنا بأمر ننتهى اليه من بعدك فقال لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ولا تأكلوا من الفاكهة إلا في أوان نضجها ولا يتعالجن احدكم ما احتمل بدنه الداء وعليكم بتنظيم المعدة في كل شهر فإنها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم وإذا تغذى أحدكم فلينم على أثر غدائه ساعة واذا تعشى فليمش اربعين خطوة

". (١)

"ومن علاجها: أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له، فمن رضى، فله الرضى، ومن سخط، فله السخط، فحظك منها ما أحدثته لك، فاختر خير الحظوظ أو شرها، فإن أحدثت له سخطا وكفرا، كتب فى ديوان الهالكين، وإن أحدثت له جزعا وتفريطا فى ترك واجب، أو فى فعل محرم، كتب فى ديوان المفرطين، وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر، كتب فى ديوان المغبونين، وإن أحدثت له اعتراضا على الله، وقدحا فى حكمته، فقد قرع باب الزندقة أو ولجه، وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله، كتب فى ديوان الصابرين، وإن أحدثت له الرضى عن الله، كتب فى ديوان الراضين، وإن أحدثت له الحمد والشكر، كتب فى ديوان الشاكرين، وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين، وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه، كتب فى ديوان المحبين المخلصين.وفى "مسند الإمام أحمد" والترمذى، من حديث محمود بن لبيد يرفعه: " إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضى، ومن سخط فله السخط ". زاد أحمد: " ومن جزع فله الجزع ".ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ فى الجزع غايته، فآخر أمره إلى صبر الاضطرار، وهو غير محمود ولا مثاب، **قال بعض الحكماء**: العاقل يفعل فى أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائموفى "الصحيح" مرفوعا: " الصبر عند الصدمة الأولى ".وقال الأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا، وإلا سلوت سلو البهائم.ومن علاجها: أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له، وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب، فمن ادعى محبة محبوب، ثم سخط ما يحبه، وأحب ما يسخطه، فقد شهد على نفسه بكذبه، وتمقت إلى محبوبه.وقال أبو الدرداء: إن الله إذا قضى قضاء، أحب أن يرضى به.وكان عمران بن حصين يقول فى علته: أحبه إلى أحبه إليه، وكذلك قال أبو العالية.." (٢)

"فصل: فى المحاذير، والوصايا الكلية النافعة لتتم منفعة الكتاب...فصل: فى المحاذر، والوصايا الكلية النافعة لتتم منفعة الكتابورأيت لابن ماسويه فصلا فى كتاب "المحاذير" نقلته بلفظه، قال:"من أكل البصل أربعين يوما وكلف، فلا يلومن إلا نفسه.ومن افتصد، فأكل مالحا فأصابه بهق أو جرب، فلا يلومن إلا نفسه.ومن جمع فى معدته البيض والسمك، فأصابه فالج أو لقوة، فلا يلومن إلا نفسه.ومن دخل الحمام وهو ممتلئ، فأصابه فالج، فلا يلومن إلا نفسه.ومن جمع فى معدته اللبن والسمك، فأصابه جذام، أو برص أو نقرس، فلا يلومن إلا نفسه.ومن جمع فى معدته اللبن والنبيذ، فأصابه برص أو نقرس، فلا يلومن إلا نفسه.ومن احتلم، فلم يغتسل حتى وطىء أهله، فولدت مجنونا أو مخبلا، فلا يلومن إلا نفسه.ومن أكل بيضا مسلوقا باردا، وامتلأ منه، فأصابه ربو، فلا يلومن إلا نفسه.ومن جامع، فلم يصبر حتى يفرغ، فأصابه حصاة، فلا يلومن

---

(١) الطب النبوي لابن القيم@ ط الفكر ابن القيم ص/٣١٩

(٢) الطب النبوي لابن القيم@ ط الكتاب العربي ابن القيم ص/١٦٢

إلا نفسه.ومن نظر فى المرآة ليلا، فأصابه لقوة، أو أصابه داء، فلا يلومن إلا نفسه".فصلفى التحذير من الجمع بين البيض والسمكوقال ابن بختيشوع: "احذر أن تجمع البيض والسمك، فإنهما يورثان القولنج والبواسير، ووجع الأضراس"وإدامة أكل البيض يولد الكلف فى الوجه، وأكل الملوحة والسمك المالح والافتصاد بعد الحمام يولد البهق والجرب.إدامة أكل كلى الغنم يعقر المثانة.الاغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك الطرى يولد الفالج.وطء المرأة الحائض يولد الجذام.الجماع من غير أن يهريق الماء عقيبه يولد الحصاة."طول المكث فى المخرج يولد الداء الدوى".وقال أبقراط: "الإقلال من الضار، خير من الإكثار من النافع"، وقال: "استديموا الصحة بترك التكاسل عن التعب، وبترك الامتلاء من الطعام والشراب".وقال بعض الحكماء: "من أراد الصحة، فليجود الغذاء، وليأكل على نقاء، وليشرب على ظمإ، وليقلل من شرب الماء، ويتمدد بعد الغداء، ويتمش بعد العشاء،." (١)

"الأنثى من الجانب الأيسر غالبا.﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾.فإذا وقع المني في الرحم انضم عليه، وذلك لما فيه من الاشتياق إلى المني.وقد أخبر الصادق المصدوق: (إن في الرحم ملكا يقول: يا رب نطفة يا رب نطفة).فإذا وقعت النطفة في الرحم انضم عليها فكرهت الأنثى الجماع، وذلك أحد علامات الحمل، أعني كراهة الأنثى للنكاح، وذلك في كل حيوان.وقد قال بعض الحكماء: إن الرحم كانت حيوانا مشتاقا، فإذا خالط مني الرجل ماء المرأة، امتزجا وانطبخا، وحدث منهما نفاخات بتوسط حرارة الطبخ، كما يحدث في الأشياء الغليظة المطبوخة، ثم تجتمع تلك النفاخات حتى تصير نفاخة واحدة، فيحدث منها تجويف عظيم، ويجتمع في ذلك التجويف الروح بإذن الله بارئها، ويصير لظاهر ذلك المني المنتفخ صلابة ويسمى ذلك الوقت علقة.وعند ذلك يقول الملك الموكل بالرحم: (يا رب ذكر أو أنثى) الحديث.ثم هذه العلقة يتخللها عروق دموية تغذيها، وتسمى عند ذلك الوقت مضغة، ثم يأذن الملك الحق الخالق البارئ تقدست أسماؤه وتعالى علاه وشأنه الملك فينفخ فيه الروح.ثم يأمر الملك بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، كما في الحديث.." (٢)

"ص -٣٣٣- وهو شهيد: أي حاضر القلب ليس بغائبه كما قال مجاهد: "أوتى العلم وكان له ذكرى".ويتبين قوله: ﴿ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون﴾ يونس: ٤٢ وقوله: ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾ الأنعام: ٢٥.ثم إذا كان حق القلب أن يعلم الحق فإن الله هو الحق المبين: ﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ يونس: ٣٢-٣٣. إذا كان كل ما يقع عليه لحة ناظر ويحول في لفتة خاطر فالله ربه ومنشئه وفاطره ومبدئه لا يحيط علما إلا بما هو من آياته البينة في أرضه وسمائه وأصدق كلمة قالها لبيد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل".ما من شيء من الأشياء إذا نظرت إليه من جهة نفسه وجدته إلى العدم ما هو فقير إلى الحي القيوم فإذا نظرت إليه وقد تولته يد العناية

---

(١) الطب النبوي لابن القيم@ ط الكتاب العربي ابن القيم ص/٢٩٨

(٢) الطب النبوي للذهبي @ط النفائس الذهبي، شمس الدين ص/٣٠٨

بتقدير من أعطى كل شيء خلقه هم هدى رأيته حينئذ موجودا مكسوا حلل الفضل والإحسان.فقد استبان القلب إنما خلق لذكر الله –سبحانه– ولذلك **قال بعض الحكماء المتقدمين** من أهل الشام –أظنه سليمان الخوا." (١)

"فلابد لصدر السهم من أن يرتفع كثيرا بالضرورة فارتفع صدره كثيرا هو الذي أكسبه ذلك الارتفاع الكثير في طريق سيره، وهذا واضح والله أعلم.فصلقال الله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال تعالى في حق المؤمنين: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح ٢٩] وقال فيهم: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾ [النساء: ١٠٤] أي لا تضعفوا، وقال: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٣٩].وفي الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» (١).وكان النبي يتعوذ بالله من الجبن، والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق وأهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله وأهل الشجاعة والجود هم أهل حسن الظن بالله كما **قال بعض الحكماء في** وصيته، عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنهم أهل حسن الظن بالله والشجاعة حصن للرجل من المكاره والجبن إعانة منه لعدوه على نفسه فهو جند وسلاح يعطيه عدوه ليحاربه به وقد قالت العرب الشجاعة وقاية والجبن مقتلة وقد أكذب الله سبحانه أطماع الجبناء في ظنهم أن جبنهم ينجيهم من القتل والموت فقال تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ [الأحزاب: ١٦] ولقد أحسن القائل هو قطري بن الفجاءة الساري: ___________(١) أخرجه مسلم في صحيحة (٢٦٦٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٥٧)، وابن ماجه (٤١٦٨)، وأحمد (٢/ ٣٦٦).." (٢)

"وللمرأة بيت وله فراش ولها فراش ولا يلقاها إلا في وقت معلوم بينهما لتتهيأ له فالبعد وقت النوم أصل عظيم لئلا يحدث ما ينفر وعلى قياسه اللقاء وقت الأوساخ

قال بعض الحكماء من نام إلى جانب محبوبه فرأى منه ما يكره سلاه وحكي أن كسرى نظر يوما إلى مطبخه وكيف تسلخ فيه الغنم فعافته نفسه وبقي أياما لا يأكل اللحم فشكا ذلك إلى بزر جمهر فقال أيها الملك الطعام (((العظام))) على الخوان والمرأة على الفراش وما أحسن ما قال فإن عيوب جسد الإنسان كثيرة ولهذا أقول لا ينبغي أن يتجرد أحد الزوجين ليراه الآخر وخصوصا العورات قال ابن عبد البر لما زوج أسماء بن خارجة ابنته دخل عليها ليلة بنائها فقال يا بنية إن كان النساء أحق بتأدبك فلا بد من تأديبك كوني لزوجك أمة يكن لك عبدا ولا تقربي منه جدا فيملك أو تملية ولا تباعدي منه فتثقلي (((فتنقلي))) عليه وكوني له كما قلت لأمك ٪ خذي العفو مني تستديمي مودتي ٪ ولا تنطقي في سورتي حين أغضب ٪ ٪ ولا تنقريني نقرة الدف مرة ٪ ٪ فإنك لا تدرين كيف المغيب ٪ ٪ فإني رأيت الحب في القلب والأذى ٪ إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب ٪

وليكن غيورا قال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والدخول على النساء قيل أفرأيت الحمو قال الحمو الموت

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية @ ط المعرفة ابن تيمية ٨٣/٣

(٢) الفروسية المحمدية @ ط الآثار ابن القيم ص/٢٤٧

".[1]

"والأصح: أنهما متغايران فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل واحد منا بقوله: أنا، وأكثر الفلاسفة لم يفرقوا بينهما، وقالوا: النفس هي الجوهري، البخاري، اللطيف، الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، يسمونها الروح الحيوانية، وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة، وبين البدن، **وقال بعض الحكماء والغزالي**: النفس: المجردة؛ أي: غير جسم ولا جسماني. وقال الغزالي: الروح: جوهر محدث، قائم بنفسه، غير متحيز، وإنه ليس بداخل الجسم، ولا خارجا عنه، وليس متصلا به، ولا منفصلا عنه، وذلك لعدم التحيز.وقوله: (﴿﴿وما أوتوا﴾﴾): بصيغة الغائب المبني للمفعول في غالب نسخ ((الصحيحين)) (﴿من العلم إلا قليلا﴾ [الأسراء:٨٥]): أي: بالنسبة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها (قال الأعمش): أي: سليمان بن مهران (هي كذا في قراءتنا): وللكشميهني: [2]، وللحموي والمستملي: [3]؛ أي: أي: قال الأعمش: إنها في قراءته بصيغة الغائب.قال في ((الفتح)): وليست هذه القراءة في السبعة، ولا في المشهور من غيرها، وقد أغفلها أبو عبيدة في كتاب ((القراءات)) له من قراءة الأعمش.وقال القسطلاني: وليست في طرق مجموعي ((المفرد في فنون القراءات)) عن الأعمش، وهي مخالفة لخط المصحف، وفي رواية: (﴿وما أوتيتم﴾): بالخطاب موافقة للمشهورة في الكتاب.موسوعة صحيح البخاريالفيض الجاري بشرح صحيح الإمام البخاري لإسماعيل العجلوني ١١٦٢ هكتاب العلمباب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس---." [4]

"والأصح: أنهما متغايران فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل واحد منا بقوله: أنا، وأكثر الفلاسفة لم يفرقوا بينهما، وقالوا: النفس هي الجوهري، البخاري، اللطيف، الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، يسمونها الروح الحيوانية، وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة، وبين البدن، **وقال بعض الحكماء والغزالي**: النفس: المجردة؛ أي: غير جسم ولا جسماني. وقال الغزالي: الروح: جوهر محدث، قائم بنفسه، غير متحيز، وإنه ليس بداخل الجسم، ولا خارجا عنه، وليس متصلا به، ولا منفصلا عنه، وذلك لعدم التحيز.وقوله: (﴿﴿وما أوتوا﴾﴾): بصيغة الغائب المبني للمفعول في غالب نسخ ((الصحيحين)) (﴿من العلم إلا قليلا﴾ [الأسراء:٨٥]): أي: بالنسبة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها (قال الأعمش): أي: سليمان بن مهران (هي كذا في قراءتنا): وللكشميهني: [5]، وللحموي والمستملي: [6]؛ أي: أي: قال الأعمش: إنها في قراءته بصيغة الغائب.قال في ((الفتح)): وليست هذه القراءة في السبعة، ولا في المشهور من غيرها، وقد أغفلها أبو عبيدة في كتاب ((القراءات)) له من قراءة الأعمش.وقال القسطلاني: وليست في طرق مجموعي

(١) الفروع وتصحيح الفروع @ ط العلمية ابن مفلح، شمس الدين ٥/٢٤٠

(٢) هكذا في قراءتنا

(٣) هكذا هي في قراءتنا

(٤) الفيض الجاري بشرح صحيح الإمام البخاري العجلوني ص/١٤٧٣

(٥) هكذا في قراءتنا

(٦) هكذا هي في قراءتنا

((المفرد في فنون القراءات)) عن الأعمش، وهي مخالفة لخط المصحف، وفي رواية: (﴿وما أوتيتم﴾): بالخطاب موافقة للمشهورة في الكتاب.موسوعة صحيح البخاريالفيض الجاري بشرح صحيح الإمام البخاري لإسماعيل العجلوني ١١٦٢ هكتاب العلمباب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس---." (١)

"انثال عليهم؛ فأهلكهم وطم منازلهم ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء : [الرجز]٢٨٣٥- وكر دهر على وبار ... فهلكت جهرة ووباروأما الثالث ، فكل لسان معرب عما في ضمير صاحبه ، وإنما يظهر ما قاله النسابون ، أن سام بن نوح أبو العرب ، وفارس ، والروم ، فدل على أن العرب موجودون من زمن سام بن نوح .قال بعضهم : والصحيح إن شاء الله تعالى – أن آدم نطق بالعربية ، وغيرها من الألسنة ، لقوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسمآء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] .ولا شك أن اللسان العربي مختص بأنواع الفصاحة والجزالة ، لا توجد في سائر الألسنة .**قال بعض الحكماء** : حكمة الروم في أدمغتهم؛ لأنهم يقدرون على التركيبات العجيبة ، وحكمة الهند في أوهامهم ، وحكمة اليونان في أفئدتهم لكثرة ما لهم من المباحث العقلية ، وحكمة العرب في ألسنتهم بحلاوة ألفاظهم ، وعذوبة عباراتهم .فصلاعلم أن الله تعالى حكم على الأعراب بحكمين :الأول : أنهم أشد كفرا ونفاقا ، والسبب فيه وجوه :أحدها : أن أهل البدو يشبهون الوحوش .وثانيها : استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم ، وذلك يزيد في التيه ، والتكبر ، والفخر ، والطيش عليهم .وثالثها : أنهم ما كانوا تحت سياسة سائس ، ولا تأديب مؤدب؛ فنشأوا كما شاءوا ، ومن كان كذلك؛ خرج على أشد الجهات فسادا .ورابعها : أن من أصبح وأمسى مشاهدا لوعظ رسول الله A ، وبياناته الشافية ، كيف يكون مساويا لمن لم يؤثر هذا الخير ، ولم يسمع خبره؟وخامسها : قابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ، لتعرف الفرق بين أهل الحضر والبادية . و « أشد » أصله : أشدد ، وقد تقدم . وقوله « كفرا » نصب على الحال ، و « نفاقا » عطف عليه ، و « أجدر » عطف على « أشد » .الحكم الثاني : قوله : ﴿ وأجدر ألا يعلموا . . ﴾ « أجدر » أي : أحق وأولى؛ يقال : هو جدير وأجدر ، وحقيق وأحق ، وخليق وأخلق ، وقمن بكذا ، كله بمعنى واحد ، قال الليث : جدر يجدر جدارة ، فهو جدير ، ويثنى ويجمع؛ قال الشاعر : [الطويل]٢٨٣٦- بخيل عليها جنة عبقرية ... جديرون يوما أن ينالوا فيستعلواوقد نبه الراغب على أصل اشتقاق هذه المادة ، وأنها من الجدار ، أي : الحائط ، فقال : « والجدير : المنتهى ، لانتهاء الأمر إليه ، انتهاء الشيء إلى الجدار » . والذي يظهر أن اشتقاقه من : « الجدر ، وهو أصل الشجرة؛ فكأنه ثابت كثبوت الجدر في قولك : جدير بكذا .وقوله : ﴿ ألا يعلموا ﴾ أي : بألا يعلموا ، فحذف حرف الجر؛ فجرى الخلاف المشهور بين الخليل والكسائي ، مع سيبويه والفراء . والمراد بالحدود : ما أنزل الله على رسوله ، وذلك لبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن . ﴿ والله عليم ﴾ بما في قلوب خلقه : » حكيم « فيما ف رض عليهم من فرائضه .قوله تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ﴾ .." (٢)

"قوله : (تعالى) : ﴿ واذكر عبدنآ أيوب ﴾ كقول « (واذكر) عبدنا داود » وفيه الثلاثة الأوجه ، و « إذ نادى » بدل منه بدل اشتمال أي بأني ، وقوله : ﴿ أني ﴾ جاء به على حكاية كلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحكه لقال : «

---

(١) الفيض الجاري بشرح صحيح الإمام البخاري@ ط الكمال المتحدة العجلوني ص/١٤٧٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب @ موقع التفاسير ابن عادل ٣٤٩/٨

إنه مسه » لأن غائب وقرأ العامة بفتح الهمزة على أنه هو المنادي بهذا اللفظ . وعيسى بن عمر بكسرها على إضمار القول أو على إجراء النداء مجراه .قوله : ﴿ بنصب ﴾ قرأ العامة بالضم والسكون ، فقيل : هو جمع نصب بفتحتين ، نحو : (وثن) ووثن وأسد وأسد وقيل : هو لغة في النصب نحو : رشد ورشد وحزن وحزن وعدم وعدم . وأبو جعفر وشيبة وحفص ونافع- في رواية - بضمتين - وهو تثقيل نصب بضمة وسكون ، قاله الزمخشري . وفيه بعد لما تقرر أن مقتضى اللغة تخفيف فعل كعنق لا تثقيل فعل كقفل . وفيه خلاف وقد تقدم في هذا العسر واليسر في البقرة .وقرأ أبو حيوة ويعقوب وحفص- في رواية- بفتح وسكون وكلها بمعنى واحد وهو التعب والشمقة .فصلالنصب المشقة والضر . قال قتادة ومقاتل : النصب في الجسد والعذاب في المال واعلم أن داود سليمان - عليهما (الصلاة و) السلام - كانا ممن أفاض الله عليهما أصناف الآلاء والنعماء ، وأيوب كان ممن خصه الله تعالى بأنواع البلاء . والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كأن الله تعالى قال : يا محمد اصرر على سفاهة قومك فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ومالا وجاها أكثر من داود وسليمان ، وما كان أكثر بلاء ولا محنة من أيوب . فتأمل في أحوال هؤلاء لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد وأن العاقل لا بد له من الصبر على المكاره .فصل**قال بعض الحكماء** : الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه إنما حصلت بفعل الشيطان ، وقيل : إنما حصلت بفعل الله تعالى . والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة وإلقاء الخواطر الفاسدة أما تقرير القول الأول فهو ما روي أن إبليس سأل فيه ربه فقال : هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني؟ فقال الله تعالى : نعم عبدي أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى إبليس عيانا ولا يلتفت إليه فقال : رب إنه قد امتنع علي فسلطني على ماله فكان يجيئه ويقول له : هلك من مالك كذا وكذا فيقول : الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله تعالى فقال : يا رب إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاءه وأخبره به فلم يلتفت إليه فقال : يا رب إنه لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد أيوب فحدث أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى استقدره أهل بلده فخرج إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان إلى امرأته ، وقال : إن زوجك إن استغاث إلي خلصته من هذه البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدها مائة جلده وعند هذه الواقعة قال : ﴿ أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴾ فأجاب الله دعاءه وأوحى إليه أن : « اركض برجلك » وأظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه ، ورد عليه أهله وماله .." (١)

"قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن ﴾ [الأنعام : ١١٢] وقال : ﴿ الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾ [الناس : ٥٦] وقيل : هما إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه؛ لأن الكفر سنة إبليس والقتل بغير حق سنة قابيل فهما سنة المعصية . ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ في النار ﴿ ليكونا من الأسفلين ﴾ قال مقاتل : يكونون أسفل منا في النار . وقال الزجاج : ليكونا في الدرك الأسفل . **وقال بعض الحكماء** : المراد باللذين يضلان الشهو والغضب والمراد بجعلهما تحت أقدامهم كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها ، وأن لا يكونا مستوليين عليها قاهرين لها .قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ الآية . لما ذكر الوعيد أردفه بذكر الوعد كما هو الغالب

---

(١) اللباب في علوم الكتاب @ موقع التفاسير ابن عادل ١٣/٣٧٣

. واعلم أن « ثم » لتراخي الرتبة في الفضيلة سئل أبو بكر الصديق Bه عن الاستقامة فقال : أن لا تشرك بالله شيئا . وقال عمر بن الخطاب Bه : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ، ولا تروغ روغات الثعلب . وقال عثمان Bه أخلصوا العمل . وقال علي Bه أدوا الفرائض . وقال ابن عباس Bه استقاموا على أداء الفرائض . وقال الحسن (Bه) استقاموا على أمر الله بطاعته واجتنبوا معصيته . وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله . وقال قتادة : كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال : « اللهم فارزقنا الاستقامة .قوله : ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ قال ابن عباس (Bهما) عند الموت . وقال مقاتل وقتادة : إذا قاموا من قبورهم . وقال وكيع بن الجراح : البشرى تكون في ثلاثة مواطن ، عند الموت وفي القبر وعند البعث .قوله : ﴿ ألا تخافوا ﴾ يجوز في » أن « أن تكون المخففة ، أو الفسرة ، أو الناصبة و » لا « ناهية على الوجهين الأولين ، ونافية على الثالث . وقد تقدم ما في ذلك من الإشكال . فالتقدير بأن لا تخافوا أي بانتفاء الخوف . وقال أبو البقاء : التقدير : بأن لا تخافوا ، أو قائلين أن لا تخافوا فعلى الأول : هو حال ، أي نزلوا بقولهم : لا تخافوا . وعلى الثاني : الحال محذوفة . قال شهاب الدين : يعني الباء المقدرة حالية ، فالحال غير محذوفة وعلى الثاني الحال هو القول المقدر وفيه تسامح ، وإلا فالحال محذوفة في الموضعين ، وكما قام المقول مقام الحال كذلك قام الجار مقامها . وقرأ عبد الله » لا تخافوا « بإسقاط » أن « وذلك على إضمار القول ، أي : يقولون لا تخافوا .فصل﴿ أن لا تخافوا ﴾ من الموت . قال مجاهد : لا تخافون على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من أهل وولد ، فإنا نخلفكم في ذلك كله .." (١)

"الثالث : أنه منصوب على الظرف ، وهو قول الكوفيين .ويجيزون : زيد مثلك بالفتح ، ونقله أبو البقاء عن أبي الحسن ولكن بعبارة مشكلة فقال : ويقرأ بالفتح ، وفيه وجهان :أحدهما : هو معرب ، ثم في نصبه أوجه ، ثم قال : أو على أنه مرفوع الموضع ، ولكنه فتح كما فتح الظرف في قوله : ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ [الأنعام : ٩٤] على قول الأخفش ، ثم قال : والوجه الثاني : هو مبني .وقال أبو عبيد : بعض العرب يجعل « مثل » نصبا أبدا ، فيقولون : هذا رجل مثلك .الرابع : أنه منصوب على إسقاط الجار وهو كاف التشبيه .وقال الفراء : العرب تنصبها إذا رفع بها الاسم يعني المبتدأ فيقولون : مثل من عبد الله؟ وعبد الله مثلك وأنت مثله لأن الكاف قد تكون داخلة عليها فتنصب إذا ألقيت الكاف .قال شهاب الدين : وفي هذا نظر ، أي حاجة إلى تقدير دخول الكاف و « مثل » تفيد فائدتها؟ وكأنه لما رأى أن الكاف قد دخلت عليها في قوله : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١] قال ذلك .الخامس : أنه نعت لمصدر محذوف ، أي لحق حقا مثل نطقكم .السادس : أنه حال من الضمير في « لحق » ؛ لأنه قد كثر الوصف بهذا المصدر حتى جرى مجرى الأوصاف المشتقة ، والعامل فيها « حق » .السابع : أنه حال من نفس « حق » وإن كان نكرة . وقد نص سيبويه في مواضع من كتابه على جوازه ، وتابعه أبو عمرو على ذلك .و « ما » هذه في مثل هذا التركيب نحو قولهم : « هذا حق » ، كما أنك ههنا لا تجوز حذفها ، فلا يقال : هذا حق كأنك ههنا . نص على ذلك الخليل – C – .فإذا جعلت « مثل » معربة كانت « ما » مزيدة و « أنكم » في محل خفض بالإضافة كما تقدم . وإذا جعلتها مبنية إما

---

(١) اللباب في علوم الكتاب @ موقع التفاسير ابن عادل ٤٨/١٤

للتركيب ، وإما لإضافتها إلى غير متمكن جاز في « ما » هذه وجهان : الزيادة وأن تكون نكرة موصوفة ، (كذا) قال أبو البقاء .وفيه نظر ، لعدم الوصف هنا ، فإن قال : هو محذوف فالأصل عدمه ، وأيضا فنصوا على أن هذه الصفة لا تحذف ، لإبهام موصوفها . وأما « أنكم تنطقون » فيجوز أن يكون مجرورا بالإضافة إن كانت (« ما ») مزيدة ، وإن كانت نكرة كان في موضع نصب بإضمار أعني ، أو رفع بإضمار مبتدأ .فصلالمعنى : ﴿ فورب السمآء والأرض إنه لحق ﴾ أي ما ذكرت من أمر الرزق لحق كمثل ما أنكم تنطقون فتقولون : لا إله إلا الله .وقيل : شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي كقولك : إنه لحق كما أنت ههنا وإنه لحق كما أنك تتكلم والمعنى أنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة . **قال بعض الحكماء** : كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له ، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره .وقيل : معناه إن القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون .." (١)

"قوله : ﴿ والسمآء بنيناها بأيد ﴾ العامة على النصب على الاشتغال ، وكذلك قوله : ﴿ والأرض فرشناها ﴾ والتقدير : وبنينا السماء بنيناها . وقال أبو البقاء : أي ورفعنا السماء بنيناها فقدر الناصب من غير لفظ الظاهر . وهذا إنما يصار إليه عند تعذر التقدير الموافق لفظا نحو : زيد مررت به ، وزيد ضربت غلامه وأما في نحو : زيدا ضربته ، فلا يقدر إلا ضربت زيدا .وقرأ أبو السمال وابن مقسم برفعهما؛ على الابتداء ، والخبر ما بعدهما . والنصب أرجح لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها .قوله : « بأيد » يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال وفيها وجهان :أحدهما : أنها حال من فاعل « بنيناها » أي ملتبسين بأيد أي بقوة؛ قال تعالى : ﴿ واذكر عبدنا داوود ذا الأيد ﴾ [ص : ١٧] .الثاني : أنه حال من مفعوله أي ملتبسة بقوة . ويجوز أن تكون الباء للسبب أي بسبب قدرتنا . ويجوز أن تكون الباء معدية مجازا على أن تجعل الأيدي كالآلة المبني بها ، كقولك : بنيت بيتك بالآجر .قوله : « وإنا لموسعون » يجوز أن تكون الجملة حالا من فاعل « بنيناها » . ويجوز أن تكون حالا من مفعوله ومفعول « موسعون » محذوف أي موسعون بناءها . ويجوز أن لا يقدر له مفعول؛ لأن معناه : لقادرون كقولك : ما في وسعي كذا أي ما في طاقتي وقوتي؛ كقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] قاله ابن عباس وعنه أيضا : لموسعون الرزق على خلقنا .وقيل : ذو سعة . وقال الضحاك : أغنياء ، دليله قوله تعالى : ﴿ على الموسع قدره ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .قال ابن الخطيب : ويجوز أن يكون من السعة أي أوسعناها بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إلى سعتها داخل فيها والبناء الواسع الفضاء عجيب ، فإن القبة الواسعة لا يقدر عليها البناؤون ، لأنهم محتاجون إلى إقامة آلة يصح بها استدارتها ، ويثبت بها تماسك أجزائها إلى أن يتصل بعضها ببعض . فقوله : « وإنا لموسعون » بيان للإعراب (في الفعل) .فصلوالحكمة في كثرة ذكر البناء في السموات كقوله تعالى : ﴿ والسمآء وما بناها ﴾ [الشمس : ٥] ، وقوله : ﴿ أم السمآء بناها ﴾ [النازعات : ٢٧] أن بناء السماء باق إلى قيام الساعة ، لم يسقط منها شيء ، ولم يعدم منها جزء . وأما الأرض فهي في التبدل والتغير كالفراش الذي يبسط ويطوى وينقل ، والسماء كالبناء المبني الثابت كما أشار إليه بقوله : ﴿ سبعا شدادا ﴾ [النبأ

---

(١) اللباب في علوم الكتاب @ موقع التفاسير ابن عادل ١٤/٣٨٥

: ١٢] وأما الأرض فكم صارت بحرا ، وعادت أرضا من وقت حدوثها ، وأيضا فالسماء ترى كالقبة المبنية فوق الرؤوس ، والأرض مبسوطة مدحوة ، وذكر البناء بالمرفوع أليق كقوله تعالى : ﴿ رفع سمكها ﴾ [النازعات : ٢٨] .**وقال بعض الحكماء** : السماء مسكن الأرواح ، والأرض موضع الأعمال والمسكن أليق بكونه بناء . والله أعلم .فإن قيل : ما الحكمة في تقديم المفعول على الفعل ولو قال : وبنينا السماء بأيد كان أوجز؟! .." (١)

"قوله : ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ ، الحسد : هو تمني زوال نعمة المحسود ، وإن لم يصر للحاسد مثلها ، والمنافسة : هي تمني مثلها وإن لم تزل من المحسود ، وهي الغبطة ، فالحسد : شر مذموم ، والمنافسة مباحة .قال A : « المؤمن يغبط والمنافق يحسد » وقال : « لا حسد إلا في اثنتين » يريد الغبطة .قال ابن عباس وعائشة – Bهما – : لما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله A قربت إليه اليهود ، فلم يزالوا حتى أخذوا مشاطة من أثر النبي A وعدة من أسنان مشطه ، فأعطاه اليهود؛ ليسحروه بها A وتولى ذلك ابن الأعصم ، رجل من اليهود .فصل في أن الله خلق الخير والشرهذه السورة دالة على أن الله خلق كل شر ، وأمر نبيه A أن يتعوذ من جميع الشرور ، فقال – D – : ﴿ من شر ما خلق ﴾ وذلك خاتمة ذلك الحسد تنبيها على عظمته ، وكثرة ضرره ، والحاسد عدو نعمة الله تعالى .**قال بعض الحكماء** : الحاسد بارز ربه من خمسة أوجه :أحدها : أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره .وثانيها : أنه ساخط لقسمة ربه ، كأنه يقول : لم قسمت إلي هذه القسمة .وثالثها : أنه ضاد الله ، أي : أن فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو يبخل بفضل الله .ورابعها : أنه خذل أولياء الله ، أو يريد خذلانهم ، وزوال النعمة عنهم .وخامسها : أنه أعان عدوه إبليس .وقيل : الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة ، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء ، ولا ينال في الخلوة إلا جزعا ، وغما ، ولا ينال في الآخرة إلا حزنا ، واحتراقا ، ولا ينال من الله إلا بعدا ومقتا .وروي أن رسول الله A قال : « ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم : آكل الحرام ، ومكثر الغيبة ، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين » .روى [الثعلبي عن أبي] – Bه – قال : قال رسول الله A : « من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها » وعن عقبة بن عامر أن رسول الله A قال : « ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون »؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ » والله أعلم .." (٢)

"بالجواز عليه، فأول من يجوز عليه أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – فيمر عليه أولهم كالبرق الخاطف، ثم كالريح، ثم كالطير، ثم كالخيل، ثم عدوا، ثم مشيا، ومن الناس من يزحف زحفا، ومن الناس من يسحب سحبا، فمنهم من يسلم، ومنهم من يزل فيقع في جهنم، ومنهم من تخطفه كلاليب، فتلقيه في النار، ويسمع للواقعين في النار جلبة عظيمة، وصياح شديد يدهش العقول، والملائكة والأنبياء كلهم يقولون: الله سلم سلم، ولا ينطق حينئذ إلا الرسل.وقد قيل في المعنى:إذا مد الصراط على جحيم ÷ تصول على العصاة وتستطيلفقوم في الجحيم لهم ثبور ÷ وقوم في الجنان لهم مقيلوبان الحق وانكشف المغطى ÷ وطال الويل واتصل العويلفإذا وقع الذين وجبت عليهم العذاب في النار، وجاز الفائزون الناجون كلهم وردوا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب @ موقع التفاسير ابن عادل ١٤/٤٠٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب @ موقع التفاسير ابن عادل ٣/١٧

حوض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على نهاية ما هم فيه من العطش، وما عاينوه من الأهوال، ثم يذهب المؤمنون إلى الجنة، فأول من يدخلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ثم الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –، ثم يدخل الذين لا حساب عليهم من هذه الأمة من الباب الأيمن.**قال بعض الحكماء**: إذا سيق أهل الجنة إلى الجنة، قال الله تعالى: يا رضوان، لا تنزلهم أنت في الجنان، ولا تدعهم ينزلون بأنفسهم، فإنهم لو نزلوا بأنفسهم نزلوا كما تنزل الغرباء، وإذا أنزلتهم أنت نزلوا كما تنزل العبيد، فلا تدعهم ينزلوا نزلة الغرباء، ولا تنزلهم أنت منزلة العبيد، بل دعهم لأنزلهم أنا في مكان أقرهم فيه كما ينزل الأرباب، ليعلموا كرامتهم علي.فإذا أتوا باب الجنة، تسلم عليهم الملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ [الزمر: ٧٣].٢٤ – وجاء: أن أهل الجنة على قامة آدم – عليه السلام – ستين ذراعا، على سن عيسى بن مريم – عليه السلام –، ثلاث وثلاثين سنة، على حسن يوسف – عليه السلام –، على نغمة داود – عليه السلام –، على خلق محمد – عليه الصلاة والسلام – وعليهم أجمعين.٢٥ – وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إذا سكن أهل الجنة في الجنة، بعث الله الروح الأمين يقول: يا أهل الجنة، إن ربكم يقرئكم السلام، ويأمركم أن تزوروا ربكم على فناء الجنة التي ترابها المسك، وحصباؤها الياقوت والدر، وشجرها الذهب، وورقها الزمرد، فيخرجون، ثم يأمر الله تعالى داود – عليه السلام – فيرفع صوته يذكر الزبور، ثم توضع مائدة الخلد أوسع ما بين المشرق والمغرب، فيقول الله تعالى: ﴿أطعموا أوليائي﴾، ويلقي عليهم شهوة سبعين طعاما، فيأكلون، ثم يقول الله تعالى: ﴿فكهوهم﴾، فيتفكهون بما لم يخطر على بالهم، ثم يقول: ﴿اسقوا أوليائي﴾، فيؤتون بالرحيق المختوم، فيشربون، ثم يقول: ﴿اكسوهم﴾، فترفع شجرة ورقها الحلل، فيكسى كل واحد منهم سبعمائة حلة لا يشبه بعضها بعضا، ثم ينادى: يا أولياء الله، هل بقي مما وعدكم ربكم شيء؟ فيقولون: لا، إلا النظر إلى وجه الله تعالى، فيتجلى لهم الرب سبحانه وتعالى، فيخرون له سجدا، فيقول الله تعالى: ﴿ارفعوا رؤوسكم، فإنها ليست بدار العمل، إنما هي دار الثواب﴾، فينظرون إلى الله تعالى ويقولون: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك، فيقول الله تعالى: ﴿أسكنتكم داري، ومكنتكم من وجهي﴾، فيأذن الله للجنة أن: تكلمي، فتقول: طوبى لمن سكنني، وطوبى لمن خلد في، فذلك قوله تعالى: ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ [الرعد: ٢٩]، ثم يقال لهم: تمنوا، فيقولون: نتمنى رضاك» (١)وقال أبو محمد الهروي: إذا كان يوم القيامة، ودخل أهل الجنة الجنة، فيوم السبت الأولاد يزورون الآباء، ويوم الأحد الآباء يزورون الأولاد، ويوم الاثنين تزور التلامذة العلماء، ويوم الثلاثاء تزور العلماء التلامذة، ويوم الأربعاء تزور الأمم الأنبياء، ويوم الخميس تزور الأنبياء الأمم، ويوم الجمعة تزور الخلائق الرب جل جلاله________________(١)
ا." (١)

" أبدى إليه شيئا من عيوبه لنفر منه وذب عن نفسه وأبطل ما نسبه إليه فصار عدوا مشاحنا وأقل ما يقول للعارف بعيوبه حسدتني فلما علم الحكيم أهل زمانه وأن زمانه زمان غلبة الهوى وإعجاب كل ذي رأي برأيه اعتزل بنفسه ونفر عن العامة وعلم أنه زمان قد صار المعروف فيه عند أهله منكرا وأن الشر قد أحاط بالخير واعتزل أهل زمانه بصدق الإرادة فلما تبين له الصدق وما فيه وأن العمل لا يصفو إلا بالصدق اتقي الكذب وفنونه كلها وتشوقت عند ذلك نفسه إلى الكذب

---

(١) المجالس السنية في الكلام على الأربعين النوويةص/١١٦

والرياء لحلاوة فنونه عندها فأخذها بالجد والاجتهاد في ترك ذلك فلما رأت ذلك منه رجعت منقادة فلما صارت إلى تلك الحالة ورأى العبد ذلك منها ازداد إلى الصدق تشوقا وازداد للكذب مقتا وإنما كان ينفر الصدق وفنونه من قلبه لغلبة الكذب وفنونه عليه وهو الرياء والعجب وحب الرياسة واتخاذ المنزلة عند المخلوقين والمحمدة والعزة والتعظيم والتخيير في الأعمال الكاذبة فمن عمل بالصدق واتقى الكذب برئ من الرياء والعجب ودواعي الشر كله فإذا خلا من ذلك ثبت الصدق وفنونه في قلبه **قال بعض الحكماء** إن الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه فلا يزال به حتى يلقيه في بدعة فإن امتنع عليه أتاه من جهة الحرج والشدة ليحرم حلالا أو يحل حراما فإن امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه في وضوئه وصلاته وصيامه حتى يعتقد بهواه أمرا يضل به عن السبيل ويدع العلم فإذا قدر منه على شيء من ذلك خلى بينه وبين العبادة والزهد وقيام الليل والصدقة وكل أعمال البر ويخفف ذلك عليه وربما كايده الشيطان من المردة فيقول له إبليس دعه لا تصده عما يريد فإنما بأمري يعمل فإذا نظر إليه الناس في عبادته وزهده وصبره ورضاه بالذل قالت العامة ومن لا علم له هذا عالم مصيب صابر فيتبعونه على ضلالته ويمد له إبليس الصوت فيعجب بعمله فيكون فتنة لكل مفتون وعلامته

". (١)

" عن بعض العلماء بالله أنه قال لست آمن على نفسي الفتنة وأن يحال بيني وبين الإسلام فهؤلاء يخافون هذا وهم الصفوة الذين اختارهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خافوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجم عليهم أقل مما أنت فيه من الفتنة فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون من حلاوة الإيمان فكيف بك يا مسكين ولا سابقة لك إلا في الشر ولا حلاوة عرفتها قديما من الإسلام إلا حلاوة المعاصي وأنت بارك في دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعا في الزيادة وأنت مع ذلك لا تنقم عليها حبها فخدعتك وأنت لا تعلم أنك مخدوع واعلم أن المطيع إذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة في عبادة ربه ولا عارف بمكايدة عدوه هانت على إبليس صرعته لأنه ليس نوع من العبادة إلا ولها ضد من الفتنة فمن لم يعرف الخير وضده من الشر ولا سيما في العبادة خاصة ثم اجتهد خلاه إبليس وإياها لما يعلم من قلة علمه بعبادته وما يجب عليه فيها ولم يتعرض له في نفس عبادته بشيء ويقصد له جهة آفاتها التي تبطل عبادته من شهوة النفوس التي تسارع في قبول ذلك فيتزين عنده أن ذلك خير من عندها وأنه سيجزى ويثاب فيصدقها بما تلقي إليه من ذلك فتزهو النفس لرضى صاحبها عنها ويحقق إبليس ظنه به وبالخدع له فإذن قد صرع وخذل ولجأ إلى نفسه بميله عن طريق الشكر ويظهر له من فتنة عدوه ما يستصغر به المخلوقين وتكون نفسه عنده أنه لا عدل لها زكاء وطيبا وهي أخبث الأنفس وأنتنها وأسقطها من عين الله تعالى فكلما سولت له نفسه من عمل احتمل فيه الأذى مع مساعدته إياها وشدة رضاه عنها من تحمل لبس الخشن وأكل الطعام الجشيم وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة بما يفتتن به ويستميل

---

(١) المدخل لابن الحاج @ط الفكر ابن الحاج ٤٢/٣

به إبليس قلوب الجهال ولقد **قال بعض الحكماء** إني لأعد كلامي فيما لا بد لي منه مصيبة واقعة أستعين بالله على السلامة منها وإني لأعد صمتي عما لا يعنيني

---

(١) ".

" خيار الكلام كما تنتقى أطايب الثمر وروي عن بلال بن سعد أنه قال زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر **وقال بعض الحكماء** جاهد نفسك بأصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات فليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر عند الأذى وقال عيسى عليه الصلاة والسلام طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وقال الفربري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وقال كعب الأحبار رحمه الله والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعي على خدي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب وقال وهب بن منبه فقد زكريا ابنه يحي عليهما الصلاة والسلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا على قبر وهو يبكي فقال له ما هذا يا بني فقال أخبرتني أن جبريل أخبرك أن بين الجنة والنار مفازة لا يطفئ حرها إلا الدموع فقال ابك يا بني وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار وقال إبراهيم بن أدهم إن للذنوب ضعفا في القوة وظلمة في القلب وإن للحسنات قوة في البدن ونورا في القلب وقيل لسفيان الثوري رحمه الله لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء وأنشدوا خلقت من التراب فصرت حيا وعلمت الفصيح من الخطاب

---

(٢) ".

" أحدهما بصاحبه وقال عبد الله بن دينار قال لقمان لابنه يا بني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن إلى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يا بني لا شك في الموت فإنك كما تنام كذلك تموت ولا شك في البعث فإنك كما تستيقظ كذلك تبعث يا بني إن الإنسان لثلاثة فمنه لله ومنه لنفسه ومنه للدود والتراب فأما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خيرا كان أو شرا وأما ما كان للدود والتراب فجسده وقال سفيان الثوري ما أمن أحد على دينه إلا سلبه وقال أبو حنيفة أكثر ما يسلب الناس الإيمان عند الموت وقال إبليس لعنه الله إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث

---

(١) المدخل لابن الحاج @ط الفكر ابن الحاج ٣/٨٢

(٢) المدخل لابن الحاج @ط الفكر ابن الحاج ٣/١٦٠

لم أطلبه بغيرها إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه وقال ابن القاسم قال مالك بلغني أن عيسى ابن مريم قال له رجل من أصحابه إنك تمشي على الماء فقال له عيسى وأنت إن كنت لم تخطئ خطيئة مشيت على الماء فقال له الرجل ما أخطأت خطيئة قط فقال له عيسى فامش على الماء فمشى ذاهبا وراجعا حتى إذا كان في بعض البحر وإذا هو قد غرق فدعا عيسى ابن مريم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبت ورجعت ثم غرقت أليس زعمت أنك لم تخطئ خطيئة قط قال ما أخطأت خطيئة قط إلا أني وقع في نفسي أني مثلك وروي عن عاصم قال أم أبو عبيدة بن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال ما زال بي الشيطان آنفا حتى رأيت أن لي فضلا على من خلفي لا أؤم أبدا ويروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك عناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا ينفد لأواه وأمل لا ينقطع منتهاه وقال الأصمعي قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه **وقال بعض الحكماء إن** كان شيء فوق الحياة فالصحة وإن كان شيء فوق الموت فالمرض وإن كان شيء يعدل الحياة فالغنى وإن كان شيء يعدل الموت فالفقر

---

(١) ".

" منه بالرخاء وقال بعض البلغاء الخطأ مع الاسترشاد أحمد من الصواب مع الاستبداد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال نقحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على أموركم بالمشاورة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من حق المسلم على المسلم إذا استنصحه أن ينصحه وعن عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال المستشير معان والمستشار مؤتمن وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لقمان لابنه يا بني إذا استعنت فأعن وإذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا فإذا عزم على المشاورة ارتاد لها من أهلها من استكملت فيه خمس خصال إحداهن عقل كامل مع تجربة سابقة فإنه بكثرة التجارب تصح الروية وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر عداوة العاقل إذا كان عدوا فإنه يوشك أن يورطك بمشورته فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل وكان يقال إياك ومشاورة رجلين شاب معجب بنفسه قليل التجارب في غرة وكبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه وقيل في منثور الحكم كل شيء محتاج إلى العقل والعقل محتاج إلى التجارب وقال الشاعر ألم تر أن العقل زين لأهله ولكن تمام العقل طول التجارب والخصلة الثانية أن يكون ذا دين وتقى فإن ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أمرا فشاور فيه امرأ مسلما وفقه الله لأرشد أموره والخصلة الثالثة أن يكون ناصحا ودودا فإن النصح والمودة يصرفان الفكرة ويمحصان الرأي **وقال بعض الحكماء لا** تشاور

---

(١) المدخل لابن الحاج @ط الفكر ابن الحاج ١٦٢/٣

". (١)

" وعشرين كان له شفاء من كل داء رواه أبو داود في سننه وقال عليه الصلاة والسلام إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شربة عسل أو شرطة محجم أو لذعة بنار وما أحب أن أكتوي أخرجه البخاري ومسلم قال علماؤنا يحتمل أن يكون قصد إلى نوع من الكي مكروه بدليل كي النبي صلى الله عليه وسلم أبيا يوم الأحزاب على أكحله لما رمي وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم كوى نفسه حكاه الطبري والحليمي وكوى سعد بن معاذ الذي اهتز له عرش الرحمن وقد اكتوى عمران بن حصين وقد كانت عائشة رضي الله عنها أعرف الناس بالطب فسئلت عن موجب ذلك فقالت من كثرة أمراض النبي صلى الله عليه وسلم قال الإمام أبو عبد الله القرطبي في شرح أسماء الله الحسنى له وحكي أن طبيبا عارفا نصرانيا قال لعلي بن الحسين ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان فقال له علي جمع الله الطب في نصف آية من كتابنا فقال ما هي قال قوله عز وجل وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب فقال علي رسولنا صلى الله عليه وسلم جمع الطب في ألفاظ يسيرة فقال ما هي قال المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل جسم ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قال علماؤنا يقال إن معالجة الطبيب نصفان نصف دواء ونصف حمية فإن اجتمعا فكأنك بالمريض وقد برئ وصح وإلا فالحمية به أولى إذ لا ينفع دواء مع ترك الحمية وقد تنفع الحمية مع ترك الدواء ولقد قال صلى الله عليه وسلم أصل كل دواء الحمية والمعنى بها والله أعلم أنها تغني عن كل دواء ولذلك يقال إن أهل الهند جل معالجتهم الحمية يمنع المريض عن الأكل والشرب والكلام عدة أيام فيبرأ ويصح **وقال بعض الحكماء** أكبر الدواء تقدير الغذاء وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بيانا شافيا يغني عن كل كلام الأطباء فقال ما ملأ

". (٢)

" بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه أنه كان ينشد هذه الأبيات ويترنم بها

(إن المكارم أخلاق مطهرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها)

(والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والعرف ساديها)

(والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين عاشيها)

(والعين تعلم من عيني محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها)

(والنفس تعلم أني لا أصدقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها)

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في إرشاد ورأيه في إمداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في إغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكتفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة

(١) المدخل لابن الحاج @ط الفكر ابن الحاج ٤/ ٤٢

(٢) المدخل لابن الحاج @ط الفكر ابن الحاج ٤/ ١١٨

صلفته ونظافة بزته إذ كم من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الأصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فأردت أن اختبر عقله فسلمت عليه وقلت ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الأصمعي فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غرارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله وقيل إن إياس بن معاوية القاضي كان من أكابر العقلاء وكان عقله يهديه إلى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد إليها فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح أنه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالأمانة فاتفق أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الأمين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء إلى ذلك الرجل وطلب ." (١)

" (ولا تعد إصلاح اللسان فإنه ... يخبر عما عنده ويبين)

(ويعجبني زي الفتى وجماله ... فيسقط من عيني ساعة يلحن)

ودخل أعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال لم لا تنظر في العربية فقال بلغني أن من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لأن يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطأ وكان يقال مجالسة الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الأسود الدؤلي إذا أردت أن تعذب عالما فافرق به جاهلا وقال الشاعر

(جهلت ولا تدري بأنك جاهل ... ومن لي بأن تدري بأنك لا تدري)

وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ علي كلمة واحدة قال هذه واحدة قال أبو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم فقال حسان رضي الله تعالى عنه

(الناس كنوه أبا حكم ... والله كناه أبا جهل)

واما ما جاء في الأدب فقد **قال بعض الحكماء العقل** يحتاج إلى مادة من الأدب كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الطعام وقال علي كرم الله وجهه الأدب كنز عند الحاجة عون على المروءة صاحب في المجلس أنيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الألباب الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح

وحكي أن رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال ابن من أنت قال ابن الأدب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت إليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر ." (٢)

" (كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب)

(إن الفتى من يقول ها أناذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي)

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٣٨/١

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٥٦/١

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا وساد وإن كان غريبا وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرا قال بعض الشعراء

(لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدب)

(قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع الأدب)

وقال بعض الأعاجم مفتخرا

(مالي عقلي وهمتي حسبي ... ما أنا مولى وما أنا عربي)

(إذا انتمى منتم إلى أحد ... فإنني منتم إلى أدبي)

وقيل الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الأدب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الأدب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب به له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضي الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم إليه وحموضة وجوههم فقال ما لكم تنظرون إلي نظر الشحيح إلى الغريم المفلس هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الأسرة وقال جالينوس إن ابن الوضيع إذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا في منزلته وابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا في سقوطه وقيل أحسن الأدب أن لا يفتخر المرء بأدبه وسمع معاوية رجلا يقول ." (١)

" أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال إذا فاتك الأدب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

(في الناس قوم أضاعوا مجد أولهم ... ما في المكارم والتقوى لهم أرب)

(سوء التأدب أرداهم وأرذلهم ... وقد يزين صحيح المنصب الأدب)

وقيل أربعة تسود العبد الأدب والعلم والصدق والأمانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم إلا بخمسة لا يتم الحسب إلا بالأدب ولا يتم الجمال إلا بالحلاوة ولا يتم الغنى إلا بالجود ولا يتم البطش إلا بالجرأة ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق والله تعالى أعلم ." (٢)

" ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) وسعى رجل إلى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فإذا هو ابن بغي يعني ولد زنا قال أبو موسى الأشعري

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٥٧/١

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٥٨/١

رضي الله عنه لا ينم على الناس إلا ولد بغي وروى أن النبي قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة والباغون العيوب

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به وأما السعاية الى السلطان وإلى كل ذي قدرة فهي المهلكة والحالقة التي تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس وألأموال في النوازل والأحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المسكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افتراقا وكم من إلفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز و جل رجل ساعدته الأيام وتراخت عنه الأقدار وأن يصغي لساع أو يستمع لنمام ووجد في حكم القدماء أبغض الناس إلى الله المثلث قال الأصمعي هو الرجل يسعى بأخيه الى الإمام فيهلك نفسه وأخاه وأمامه **وقال بعض الحكماء** احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون إذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفي المثل السائر من أطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ودفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن ." (١)

" الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته

أما صحبة السلطان

فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي أبي يا بني إني أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيريك ويقدمك على الأكابر من أصحاب محمد وإني أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجرين عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبي رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال أي والله ومن عشرة آلاف

وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك أخا فاجعله أبا واذا زادك إحسانا فزده فعل العبد مع سيده وإذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك تنبيه بالوحشة والغربة

وقال مسلم بن عمر لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان إذا أدناك ولا تتغير منه إذا أقصاك

وروى أن بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فماذا لي عليك قال لا أفشي لك سرا ولا أدخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب للمستصحب أنت ." (٢)

" عمل الرجال ويسأل عن دينه فإن قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وإن قيل ليس عليه دين صلى عليه فأتي بجنازة فلما قام ليكبر هل على صاحبكم من دين فقالوا ديناران يا رسول الله فعدل النبي عنه وقال صلوا على صاحبكم

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ١٩٢/١

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٢٠٢/١

فقال علي كرم الله وجهه هما علي يا رسول الله وهو بريء منهما فتقدم رسول الله فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه أجزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك إنه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينة ومن فك رهان ميت فك رهانة يوم القيامة

وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في أرضه فإذا أراد الله أن يذل عبدا جعله طوقا في عنقه وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقاضي دينا له على رجل فقالوا خرج إلى الغزو فقال أشهد أن رسول الله قال لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضي دينه وعن الزهري قال لم يكن رسول الله يصلي على احد عليه دين ثم قال بعد أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلي قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لا هم إلا هم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال من تزوج امرأة بصداق ينوي أن لا يؤديه إليها فهو زان ومن استدان دينا ينوى أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب ابن ثابت ما احتجت إلى شيء استقرضه الا استقرضته من نفسي أراد أنه يصبر إلى أن تمكن الميسرة ونظيرة قول القائل

(وإذا غلا شيء علي تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا وقال بعضهم أيضا

(لقد كان القريض سمير قلبي ... فالهتني القروض عن القريض)

وقال غيلان بن مرة التميمي

(وإني لأقضي الدين بالدين بعدما ... يرى طالبي بالدين أن لست قاضيا) ." (١)

" هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون إي والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين وقال ابن مسعود رضي الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يوسف عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الحجر في البنيان من غير حلة عربون على خرابة وقال غيره لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لأوشك أن تخرب **وقال بعض الحكماء** اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فإن له قاتلا لا يموت وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم يقول ما هبت شيئا قط هيبتي من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له ألا الله فيقول حسبك الله بيني وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له إلا الله وبكى علي بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكي على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة وروى أن النبي قال يقول الله تعالى اشتد غضبي علي من ظلم من لا يجد له ناصر غيري ونادى رجل سليمان ابن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الأذان فقال قال الله تعالى (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله عللى الظالمين) قال فما ظلامتك قال أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك فكتب إلى وكيله ادفع إليه أرضه وأرضا مع أرضه وروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٢٢٤/١

فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشران عليه فلما ولي الملك قال للمعلم ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه

وقال محمد بن سويد وزير المأمون ." (١)

" فلم يأمره بقطعهم وإنما أمره بالبراءة من عملهم السيء وقال الأرواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنكر منها اختلف وقال عليه الصلاة و السلام إن روحي المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم ما رأى أحدهما صاحبه وفي ذلك قال بعضهم

(هويتكم بالسمع قبل لقائكم ... وسمع الفتي يهوى لعمرى كطرفة)

(وخبرت عنكم كل جود ورفعة ... فلما التقينا كنتم فوق وصفه)

وقال آخر

(تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا ... من طيب ذكركم نشرا فأحيانا)

(فمن هناك عشقناكم ولم نركم ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا)

ما تحاب اثنان في الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه ما زار أخ أخا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا نادته ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الإخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل في الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا إن من الوفاء أن تكون لصديق صديقك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الأشياء ود من يهودي وحفظ من نصراني ورياضة من دهري وكرم من أعجمي والحذر من الكريم إذا أهنته واللئيم إذا أكرمته والعاقل إذا أحرجته وألأحمق إذا مازحته والفاجر إذا عاشرته وقالوا صحب من الإخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسي جمائله وبقي شاكرا ناشرا ذاكرا لجميلتك يوليك عليها الإحسان الكثير الجزيل ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل **وقال بعض الحكماء إذا** وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

(خليلي للبغضاء حال مبينة ... وللحب آثار ترى ومعارف)

(فما تنكر العينان فالقلب منكر ... وما تعرف العينان فالقلب عارف) ." (٢)

" الباب السابع والعشرون

العجب والكبر والخيلاء وما أشبه

اعلم أن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيله تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التألف قال رسول الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٢٣٥/١

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٢٦٧/١

من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الأحنف بن قيس ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامي الكبر وتأنف منه ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال في مشيه فقال جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي وقال الأحنف عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر ومر بعض أو لاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر في مشيه فقال له مالك يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك فقال أو ما تعرفني قال أعرفك معرفة أكيده أولك نطفة مذره وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فأرخي الفتى رأسة وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة واعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا) فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) **قال بعض الحكماء ما** رأيت متكبرا إلا ما تحول ما به بي يعني اتكبر عليه ." (١)

" المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليس لي ام فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتي وتخلص هذا الرجل

وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخي منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له إنه نزل بنا ضيفان فجاءنا بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا القليل فقال إني لا أطعم ضيفاني البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة أعتذري لنا إليه ومضينا فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا ثم أنه لحقنا وقال خذوها وإلا طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا

وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرام نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر ابن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال ما سئل رسول الله شيئا قط فقال لا وعنه أنه قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخي أحب إلي الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود تلا قوله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) ." (٢)

" ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فإن ذكرها شكر وأما الشكر الذي في الجوارح فقد قال الله تعالى (اعملوا آل داود شكرا) الآية فجعل العمل شكرا وروي ان

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ١/٢٨٤

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ١/٣٤٤

النبي قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا لله شكورا وقال أبو هرون دخلت على ابي حازم فقلت له يرحمك الله ما شكر العينين قال إذا رأيت بهما خيرا ذكرته وإذا رأيت بهما شرا سترته قلت فما شكر الأذنين قال إذا سمعت بهما خيرا حفظته وإذا سمعت بهما شرا نسيته وفي حكمه إدريس عليه الصلاة و السلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمة بمثل الأنعام على خلقه ليكون صانعا إلى الخلق مثل ما صنع الخالق إليه فإذا أردت تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقد جعل لعبادة علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا أنه لم يشكر فإذا رأينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا أنه قد خل بالشكر إما أنه لا يزكى ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان أو إطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل في قول النبي لو صدق السائل ماأفلح من رده قال الله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) وإذا غيروا مابهم من الطاعات غير الله ما بهم من الإحسان **وقال بعض الحكماء من** أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لا يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لا يمنع القبول ومن أعطى الإستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا بقاء ." (١)

" الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الأموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون إلى أبواب الملوك على صفة التهاني بالأعياد وربما يأتي معه بأحد من الأولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما إلى الدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الأموال وتفوض إليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك إلى الوصايا والأموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو إلى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم

قال الشاعر

(صلى وصام لأمر كان أمله ... حتى حواه فما صلى ولا صاما) وقيل لا فقير أفقر من غني يأمن الفقر قال الشاعر

(ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى ... وأن الغنى يخشى عليه من الفقر) وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال فإن الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال **وقال بعض الحكماء إذا** افتقر الرجل اتهمه من كان به موثقا وأساء به الظن من كان ظنه حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغنى مدح إلا وهي للفقير عيب فإن كان شجاعا سمي أهوج وإن كان مؤثرا سمي مفسدا وإن كان حليما سمي ضعيفا وإن كان وقورا سمي بليدا وإن كان لسنا سمي مهذارا وإن كان صموتا سمي عييا قال ابن كثير

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ١/٥٠٤

(الناس أتباع من دامت له نعم ... والويل للمرء إن زلت به القدم)

(المال زين ومن قلت دراهمه ... حي كمن مات إلا أنه صنم)

(لما رأيت إخلائي وخالصتي ... والكل مستتر عني ومحتشم)

(أبدوا جفاء وإعراضا فقلت لهم ... أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم) ." (١)

" وقال بعض الحكماء لا شيء أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على إبراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظني فقال له الولي بلغني رحمك الله أن الأعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله من عملك

فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه وقيل من جد وجد وأنشدوا في المعنى

(إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر)

(وقل من جد في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر) وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

(وإني إذا باشرت أمرا أريده ... تدانت أقاصيه وهان أشده) وعن أنس رضي الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع إثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله

وقال بعضهم العمل سعي الأركان إلى الله والنية سعي القلوب إلى الله والقلب ملك والأركان جنود ولا يحارب الملك إلا بالجنود ولا الجنود إلا بالملك وقيل الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم والعلم كله هباء إلا موضع العمل والعمل كله هباء إلا موضع الاخلاص هذا هو العمل

وأما الكسب فقد جاء في تفسير قوله تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة و السلام كان يدور في الصحاري فإذا رأى من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود فإذا سمعه عابه بشيء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول إني لا أجد في داود عيبا إلا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة ." (٢)

" وأما ما جاء في العجز والتواني فقد روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التواني ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه

قال الشاعر

(على المرء أن يسعى ويبذل جهده ... ويقضي إله الخلق ما كان قاضيا) ومثله قوله

(على المرء أن يسعى ويبذل نفعه ... وليس عليه أن يساعده الدهر) وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن إلى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما في العواقب وليس للعجز ضد إلا الحزم

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ١٠١/٢

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ١٢٥/٢

وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الأماني ومن التوفيق بغض التواني وروي عن رسول الله أنه قال " باكروا في طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح " وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل إلى السلامة من ألسنة الناس وقال علي رضي الله تعالى عنه التواني مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وأفضى إلى الفساد وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير **وقال بعض الحكماء** الحركة بركة والتواني هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف

وقيل من العجز والتواني تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرفاء هذين البيتين من جملة أبيات

(كأن التواني أنكح العجز بنته ... وساق إليها حين زوجها مهرا)

(فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي ... فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا) وقال آخر

(توكل على الرحمن في الأمر كله ... ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب) ." (١)

" وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الأفعال

وأما التأني فانه خلاف التواني وهو الرفق ورفض العجلة والنظر في العواقب وقد قيل من نظر في عواقب الأمور سلم من آفات الدهور

ومما جاء في ذلك قوله تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) وقال رسول الله " من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة " وقال عليه الصلاة و السلام لعائشة " عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيئا إلا زانه ولا يفارق شيئا إلا شانه " وفي التوراة الرفق رأس الحكمة وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة

ووجد على سيف مكتوبا التأني فيما لا يخاف الفوت أفضل من العجلة في إدراك الأمل **وقال بعض الحكماء** إذا شككت فاجزم وإذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجني ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا في ذلك

(قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل) وقالوا التأني حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأني فبماذا يدرك ؟ وقال المهلب أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح **وقال بعض الحكماء** إياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب وإن تصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة وجانب السلامة

وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها فقد روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله " عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل " ." (٢)

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ١٢٧/٢

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ١٢٩/٢

" فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وإن كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

(تمتع بها ملسا عفتك ولا تكن ... جزوعا إذا بانت فسوف تبين)

(وخنها وإن كانت تفي لك إنها ... على قدم الأيام سوف تخون)

(وإن هي أعطتك الليان فانها ... لغيرك من طلابها ستلين)

(وإن حلفت أن ليس تنقض عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين)

(وإن سكبت يوم الفراق دموعها ... فليس لعمر الله ذاك يقين) وقال ابن بشار

(رأيت مواعيد النساء كأنها ... سراب لمرتاد المناهل حافل)

(ومنتظر الموعود منهن كالذي ... يؤمل يوما أن تلين الجنادل) **قال بعض الحكماء** لم تنه عن شيء قط إلا فعلته وقال الغنوي

(إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واقع لا بد مفعول) وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال علي رضي الله تعالى عنه إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فإن استطعت أن لا يعرفهن غيرك فافعل قال السمعاني

(لا تأمنن على النساء ولو أخا ... ما في الرجال على النساء أمين)

(إن الأمين وإن تحفظ جهده ... لا بد أن بنظرة سيخون) وقال غيره

(لا تركنن إلى النساء ... ولا تثق بعهودهن) ." (١)

" الباب الخامس والسبعون في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول

الفصل الأول في النهي عن المزاح

قال رسول الله " المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى " وعن علي ما مزح أحد مزحة إلا مج الله من عقله مجة وعنه إياك أن تذكر من الكلام منا يكون مضحكا وإن حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضي الله تعالى عنه إلى عماله أمنعوا الناس من المزاح فإنه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور **وقال بعض الحكماء** تجنب سوء المزاح ونكد الهزل فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد غم وقال آخر لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لي أمي لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج أعرابي بالليل فإذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما لك زاجر من عقلك إذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا إلا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها إنما كنت مازحا فقالت

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٤٩٣/٢

(فإياك إياك المزاح فإنه يجري ... عليك الطفل والرجل النذلا) ." (١)

" المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقال لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن إخراجه وقال الإمام رضي الله عنه

(توق مدى الأيام ادخال مطعم ... على مطعم من قبل هضم المطاعم)

(وكل طعام يعجز السن مضغة ... فلا تقربنه فهو شر لطاعم)

(ووفر على الجسم الدماء فإنها ... لقوة جسم المرء خير الدعائم)

(وإياك أن تنكح طواعن سنهم ... فإن لها سما كسم الأراقم)

(وفي كل أسبوع عليك بقيئة ... تكن آمنا من شر كل البلاغم) ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر في المرآة وكثرة الضحك والنظر إلى النجوم وفي الحديث احتجم رسول الله في أم مغيث وهي وسط الرأس وكان يحتجم في الأخدعين ونهى عن الحجامة في نقرة القفا فإنها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فإنه أما من الباسور وخبط المأمون بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكون السعال فقال في آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل ففعلوا فعافاهم الله **وقال بعض الحكماء إياك** أن تطيل النظر في عين أمرد وإياك أن تسجد على حضير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الأدوية تنبت في محراب سليمان عليه الصلاة و السلام ويقول كل دواء يا نبي الهل أنا دواء لكذا وكذا وقال لجالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والإسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة في العينين والضربان في الأذنين والقولنج في البدن فعليك أيها الإنسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال ." (٢)

" الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالأجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والأعوان أين أصحاب الإمرة والسلطان أين أصحاب الأعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤوسهم الألوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر في موطن الحروب والمواقف أين الذين آمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملأوا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ذكرا أفناهم الله مفني الأمم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الأحباء والأولياء وهجرهم الإخوان الأصفياء ونسيهم الأقرباء والبعداء لو نطقوا لأنشدوا

(مقيم بالحجون رهين رمس ... وأهلي راحلون بكل واد)

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٢/٥٠٣

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٢/٥٦٧

(كأني لم أكن لهمو حبيبا ... ولا كانوا الأحبة في السواد)

(فعوجوا بالسلام فإن أبيتم ... فأوموا بالسلام على البعاد) وقالوا لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا إلا كما **قال بعض الحكماء** المتقدمين قدر يغلي وكيف يملي وفي هذا المعنى قال الشاعر

(ولقد سألت الدار عن أخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبدي)

(حتى مررت على الكنيف فقال لي ... أموالهم ونوالهم عندي) ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظني وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له ." (١)

" من تأكلون يا هؤلاء ؟ قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم إلى تلك الساعة فإذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة إليك يا نبي الله لم أعرفك زرعي ومالي حلال لك فبكى عيسى عليه الصلاة و السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولا حق بهم ليس لك أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال ارسطاليس أيها الملك قلد حركتنا بسكوتك **وقال بعض الحكماء** من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

(كفى حزنا بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك من يديا)

(وكانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا) وقال عبد الله بن المعتز

(نسير إلى الآجال في كل ساعة ... فأيامنا تطوى وهن مراحل)

(ولم أر مثل الموت حتى كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل)

(وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فيكف به والشيب في الرأس شاعل)

(ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام تعد قلائل) وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فإذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتني وإياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك أن تعادلني فإن معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس إلي فجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير و مخدة بورد نثير ففعل فإني لنائم إذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت ." (٢)

" للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا ؟ فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فإذا البحر قد غاض ماؤه وإذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا ؟ فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا أنه كان ههنا بحر

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٦٠١/٢

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٦٠٤/٢

فغبت خمسمائة عام ثم جئت إلى ذلك فإذا هو مدينة على الحالة الأولى والحصون والقصور والأسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة ؟ فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت إليها فإذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة ؟ قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذا المكان هكذا منذ كان

فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي

فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الأرض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده إليها

ولبعضهم

(قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقا)

(كم قد وقفت بها اسائل أهلها ... عن حالها مترحما أو مشفقا)

(فأجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى وعز الملتقى) ولبعضهم

(أيها الربع الذي قد دثرا ... وكان عينا ثم أضحى أثرا)

(أين سكانك ماذا فعلوا ... خبرن عنهم سقيت المطرا)

(فلقد نادى منادي دارهم ... رحلوا واستودعوني عبرا) وقال عيسى عليه الصلاة و السلام أوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم **وقال بعض الحكماء** الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شرابا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فللذائق منه ." (١)

"المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ج ١، ص: ٦١١مكان ولا زمان.مكاشفة:الأولية قد يكون بمعنى كون الشي ء فاعلا، والآخرية: بمعنى كونه غاية مترتبة على وجود الفعل في العين، وإن كانت الغاية بحسب وجوده في العلم متقدمة أيضا، فالله سبحانه أول كل شي ء بمعنى أن وجوده حصل منه، وبمعنى أن الغرض في حصول ذلك الشي ء منه هو علمه بالمصلحة، وكونه تماما في الجود والرحمة، فياضا على الأشياء بلا عوض، وآخر كل شي ء بمعنى أنه الغاية التي تطلبه الأشياء وتقصده طبعا وإرادة.والعرفاء المتألهون حكموا بسريان نور المحبة له والشوق إليه في جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم فالكائنات السفلية كالمبدعات العلوية على اقتراف شوق من هذا البحر الخضيم، واعتراف شاهد مقر بوحدانية الحق العليم، ولكل وجهة هو موليها البقرة: ١٤٨، فهو الحق الأول الذي منه ابتدأ أمر العالم، وهو الآخر الذي إليه ينساق وجود الأشياء سيما بني آدم؛ إذ منه صدر الوجود ولأجله وقع الكون.وهو الآخر أيضا بالإضافة إلى سير المسافرين إليه، فإنهم لا يزالون مترقين من رتبة إلى رتبة حتى يقع الرجوع إلى تلك الحضرة بفنائهم عن ذاتهم وهويتهم واندكاك جبل وجودهم وإنيتهم، فهو أول في الوجود وآخر في المشاهدة، والله عز اسمه حيث أنبأنا عن غاية وجود العالم قال: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون الذاريات: ٥٦، أي ليعرفون، وقوله: "كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف ".

(١) المستطرف في كل فن مستطرف @ط العلمية شهاب الدين الأبشيهي ٢/٦٠٩

فدلنا على أنه الغاية القصوى لوجود العالم معروفا كما أنه الفاعل له موجودا، ودلنا أيضا على بعض الغايات المتوسطة الضرورية بقوله: "لولاك لما خلقت الأفلاك".فالمبدأ والغاية لوجود العالم ولقاء الآخرة هو الله سبحانه، ولذلك بنى العالم، ولأجله نظم النظام.**قال بعض الحكماء**: ولو أن أحدا من الخلق عرف الكمال الذي هو الخير الأقصى، ثم كان ينظم الأمور التي صدرت منه على الوجه الذي صدرت هي عليه وعلى مثاله حتى كانت الأمور على غاية من النظام والتمام، لكان غرضه بالحقيقة هو ذات البارئ، فهو الأول والآخر بهذا المعنى أيضا. (٦: ١٥٣)الكاشاني: (هو الاول) قبل كل شي ء، و (الاخر) بعد كل شي ء، و (الظاهر) على كل شي ء بالقهر له، و (الباطن) الخبير بباطن كل شي ء، و (هو الاول والاخر) أيضا، تبتدئ منه الأسباب وينتهي إليه المسببات، (و الظاهر والباطن) الظاهر وجوده من كل شي ء، والباطن حقيقة ذاته فلا يكتنهها العقول.(٥: ١٣٢)البروسوي: (هو الاول) السابق على سائر الموجودات بالذات والصفات، لما أنه مبدؤها ومبدعها، فالمراد بالسبق والأولية هو الذاتي لا الزماني، فإن الزمان من جملة الحوادث أيضا. و (الاخر) الباقي بعد." (١)

"المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ج ١٠، ص: ٥٥٨ باعتبار معنى (من) كما أن إفراده باعتبار لفظها كحب الله: مصدر تشبيهي أو نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق، ومن قضية كونه مبنيا للفاعل كونه أيضا كذلك، والظاهر اتحاد فاعلهما، فإنهم كانوا يقرون به تعالى أيضا ويتقربون إليه. فالمعنى حبا كائنا كحبهم لله تعالى، أي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم.وقيل: فاعل الحب المذكور هم المؤمنون، فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى، فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في أصل الحب لا في وصفه كما أو كيفا، لما سيأتي من التفاوت البين.وقيل: مصدر من المبني للمفعول، أي كما يحب الله تعالى ويعظم، وإنما استغني عن ذكر من يحبه لأنه غير ملبس، وأنت خبير بأنه لا مشابهة بين محبتهم لأندادهم وبين محبوبيته تعالى، فالمصير حينئذ ما أسلفناه في تفسير قوله عز قائلا: كما سئل موسى من قبل البقرة:١٠٨، وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لتربية المهابة، وتفخيم المضاف، وإبانة كمال قبح ما ارتكبوه.والذين آمنوا أشد حبا لله جملة مبتدأة جي ء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم، والمفضل عليه محذوف، أي المؤمنون أشد حبا له تعالى منهم لأندادهم، ومآله أن حب أولئك له تعالى أشد من حب هؤلاء لأندادهم. فيه من الدلالة على كون "الحب" مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى، وإنما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى، لما أن المقصود بيان انقطاعه ولانقلابه بغضا، وذلك إنما يتصور في حبهم لأندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة ومبادئ موهومة يزول بزوالها.قيل: ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد إلى الله سبحانه، وكانوا يعبدون صنما أياما فإذا وجدوا آخر رفضوه إليه. وقد أكلت "باهلة" إلها عام المجاعة وكان من حيس.وأنت خبير بأن مدار ذلك باعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا، وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الأهوال، كما سيأتي. بل اعتباره مخل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه، وغاية عظم ما اقترفوه. وإيثار الإظهار في موضع الإضمار، لتفخيم الحب والإشعار بعلته.(١: ٢٢٧)نحوه البروسوي. (١: ٢٧٠)صدر المتألهين: في توضيح الفرق بين محبة الله ومحبة الشيطان:اعلم أن المحبة نوعان بحسب المحب

---

(١) المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته١/٦١١

والمحبوب: محبة هي من صفات الإنسان بحسب طبيعته البشرية- وهي من هوى النفس الأمارة بالسوء- ومحبة هي من صفات الحق- وهي من آثار الإرادة القديمة الإلهية التي اقتضت خلق العالم بما فيه- كما قال تعالى: "كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف".**وقال بعض الحكماء**: "لو لا عشق العالي لا نطمس السافل" فمن وكل إلى محبته النفسانية تعلقت بما يلائم هوى النفس من أصناف الأصنام التي ينحتها الشيطان، ليسخر بها النفوس ويجعلها من جنوده المعادية المنازعة (المتنازعة- ن) لجنود الرحمان، وجنوده أهل الدنيا المحبين لشهواتها وزهراتها سواء كانوا متسمين بالإسلام." (١)

"المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ج ١١، ص: ٨٧٤وضر. وقد جاء في الحديث: "إن العين حق". (٥: ٥٦٩)الفخر الرازي: من المعلوم أن الحاسد هو الذي تشتد محبته لإزالة نعمة الغير إليه، ولا يكاد يكون كذلك إلا ولو تمكن من ذلك بالحيل لفعل، فلذلك أمر الله بالتعوذ منه. وقد دخل في هذه السورة كل شر يتوقى ويتحرز منه دينا ودنيا، فلذلك لما نزلت فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولها، لكونها مع ما يليها جامعة في التعوذ لكل أمر.ويجوز أن يراد بشر الحاسد: إثمه وسماجة حاله في وقت حسده، وإظهار أثره. بقي هنا سؤالان:السؤال الأول: قوله: من شر ما خلق عام في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ الجواب تنبيها على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشر.السؤال الثاني: لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ الجواب [ذكر نحو الزمخشري] (٣٢: ١٩٦)البيضاوي: إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه، فإنه لا يعود ضرر منه قبل ذلك إلى المحسود، بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه، لأنه العمدة في إضرار الإنسان بل الحيوان غيره.ويجوز أن يراد بالغاسق: ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى، وبالنفاثات: النباتات، فإن قواها النباتية، من حيث إنها تزيد في طولها وعرضها وعمقها، كأنها تنفث في العقد الثلاث، وبالحاسد: الحيوان، فإنه إنما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده. ولعل إفرادها من عالم الخلق، لأنها الأسباب القريبة المضرة. (٢: ٥٨٣)نحوه شبر. (٦: ٤٦٨)النسفي: أي إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه، لأنه إذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره، وهو الأسف على الخير عند الغير.والاستعاذة من شر هذه الأشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد. وختم بالحسد ليعلم أنه شرها، وهو أول ذنب عصي الله به في السماء من إبليس، وفي الأرض من قابيل.وإنما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه [ذكر نحو الزمخشري] (٤: ٣٨٦)النيسابوري: [نحو الفخر الرازي وأضاف:]وفائدة الظرف، وهو قوله: (اذا حسد) أنه لا يستعاذ من الحاسد من جهات أخرى، ولكن من هذه الجهة. ولو جعل الحاسد بمعنى الغابط أو بمعنى أعم، وقوله: (حسد) بالمعنى المذموم كان له وجه. (٣٠: ٢٢٩)الشربيني: [نحو الزمخشري وأضاف:]**قال بعض الحكماء**: الحاسد بارز ربه من خمسة أوجه:أولها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.ثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت هذه القسمة.ثالثها: أنه ضاد فعل

---

(١) المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته ١٠/٥٥٨

الله تعالى أن فضل ببره من شاء، وهو يبخل بفضل الله تعالى.رابعها: أنه خذل أولياء الله تعالى، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم.." (١)

"المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ج ١٣، ص: ٤٥٦أو أراد أن يشتغل العلماء برد المتشابه إلى المحكم بالنظر والاستدلال والبحث والاجتهاد فيثابون على هذه العبادة، ولو كان كله ظاهرا جليا لاستوى فيه العلماء والجهال، ولماتت الخواطر بعدم البحث والاستنباط، فإن نار الفكر إنما تقدح بزناد المشكلات، ولهذا **قال بعض الحكماء**: عيب الغنى أنه يورث البلادة ويميت الخاطر، وفضيلة الفقر أنه يبعث على إعمال الفكر واستنباط الحيل في الكسب. (مسائل الرازي: ٢٦)القرطبي: اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة. [ثم نقل قول جابر بن عبد الله، وقال:]قلت: هذا أحسن ما قيل في المتشابه ...وقد قيل: القرآن كله محكم لقوله تعالى: كتاب أحكمت آياته هود: ١. وقيل: كله متشابه لقوله: كتابا متشابها. قلت: وليس هذا من معنى الآية في شي ء، فإن قوله تعالى: كتاب أحكمت آياته، أي في النظم والرصف، وإنه حق من عند الله. ومعنى كتابا متشابها، أي يشبه بعضه بعضا. ويصدق بعضه بعضا، وليس المراد بقوله: آيات محكمات ... وأخر متشابهات آل عمران: ٧، هذا المعنى، وإنما المتشابه في هذه الآية من باب الاحتمال والاشتباه من قوله: إن البقر تشابه علينا، أي التبس علينا، أي يحتمل أنواعا كثيرة من البقر. والمراد بالمحكم: ما في مقابلة هذا، وهو ما لا التباس فيه، ولا يحتمل إلا وجها واحدا.وقيل: إن المتشابه: ما يحتمل وجوها، ثم إذا ردت الوجوه إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكما. فالمحكم أبدا أصل ترد إليه الفروع، والمتشابه هو الفرع. [ثم نقل قول النحاس وأضاف:]قلت: ما قاله النحاس يبين ما اختاره ابن عطية، وهو الجاري على وضع اللسان، وذلك أن المحكم اسم مفعول من أحكم، والإحكام: الإتقان، ولا شك في أن ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه ولا تردد، إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته. وإتقان تركيبها، ومتى اختل أحد الأمرين جاء التشابه والإشكال، والله أعلم.(٤: ٩)البيضاوي: أحكمت عبارتها بأن حفظت من الإجمال والاحتمال ... وأخر متشابهات محتملات، لا يتضح مقصودها لإجمال أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص والنظر، ليظهر فيها فضل العلماء، ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها، وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها، فينالوا بها وبإتعاب القرائح في استخراج معانيها، والتوفيق بينها وبين المحكمات، معالي الدرجات.وأما قوله تعالى: الر كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ، وقوله:كتابا متشابها فمعناه أنه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ. (١: ١٤٩)النسفي: أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه، هن أم الكتاب: أصل الكتاب، تحمل." (٢)

"المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ج ٢، ص: ٦٩٣أردد علينا شيخنا مسلما.قال الرماني: لا يفسد قول الخليل بما قاله، لأنها عوض من حرفين فشددت، كما قيل: قمتن وضربتن، لما كانت النون عوضا من حرفين في: قمتم، وذهبتم، فأما قمن وذهبن فعوض من حرف واحد، وأما البيت فإنما جاز فيه لضرورة الشعر، وأما "هل"، فلا تدخل على

(١) المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته١١/٨٧٤

(٢) المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته١٣/٤٥٦

"أم" بوجه من الوجوه. والأصل في "ها" أنها للتنبيه دخلت على "لم" في قول الخليل. (٢: ٤٢٨)نحوه الطبرسي. (١: ٤٢٧)والميم في "اللهم" بمعنى "يا" كأنه قال يا الله، ولم يجعل في موضع "يا" لئلا يكون كحروف النداء التي تجري في كل اسم. (٥: ٣٩٦)الراغب: "الله" قيل: أصله "إله" فحذفت همزته، وأدخل عليه الألف واللام، فخص بالباري تعالى.ولتخصصه به قال تعالى: هل تعلم له سميا. مريم: ٦٥و"إله" جعلوه اسما لكل معبود لهم، وكذا الذات.وسموا الشمس إلاهة، لاتخاذهم إياها معبودا. وأله فلان يأله: عبد، وقيل: تأله، فالإله على هذا هو المعبود.وقيل: هو من أله، أي تحير، وتسميته بذلك إشارة إلى ما قال أمير المؤمنين: "كل دون صفاته تحبير الصفات، وضل هناك تصاريف اللغات" وذلك أن العبد إذا تفكر في صفاته تحير فيها، ولهذا روي: "تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله".وقيل: أصله "ولاه" فأبدل من الواو همزة. وتسميته بذلك لكون كل مخلوق والها نحوه، إما بالتسخير فقط كالجمادات والحيوانات، وإما بالتسخير والإرادة معا كبعض الناس. ومن هذا الوجه **قال بعض الحكماء**: الله محبوب الأشياء كلها، وعليه دل قوله تعالى: وإن من شي ء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الإسراء: ٤٤.وقيل: أصله من لاه يلوه لياها، أي احتجب. قالوا:وذلك إشارة إلى ما قال تعالى: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار الأنعام: ١٠٣، والمشار إليه بالباطن في قوله: والظاهر والباطن الحديد: ٣.وإله حقه أن لا يجمع؛ إذ لا معبود سواه، لكن العرب لاعتقادهم أن هاهنا معبودات جمعوه، فقالوا: الآلهة، قال تعالى: أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الأنبياء: ٤٣، وقال: ويذرك وآلهتك الأعراف: ١٢٧.ولاه أنت، أي لله، وحذف إحدى اللامين."اللهم" قيل: معناه يا ألله، فأبدل من الياء في أوله الميمان في آخره، وخص بدعاء الله، وقيل: تقديره: يا ألله أمنا بخير، مركب تركيب حيهلا. (٢١)البغوي: قال الخليل وجماعة: هو اسم علم خاص لله عز وجل، لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد، مثل زيد وعمرو.وقال جماعة: هو مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه، فقيل: من أله إلاهة، أي عبد عبادة، معناه أنه المستحق للعبادة من دون غيره.وقيل: أصله "إله" قال الله عز وجل: وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق المؤمنون: ٩١، قال المبرد: هو قول العرب: ألهت إلى فلان، أي سكنت إليه، فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، يقال ألهت." (١)

"[٤٤/١١] من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا(١) الآن على ما كنت عليه أنا وأصحابي أو كما قال عليه السلام، إلى غير ذلك مما جاء في هذا الباب، ولا يحصي كثرة. وإنما حمل هذه الطائفة على ارتكاب هذه الطرق المهلكة في الدين أنهم لما احتاجوا إلى ما يحتاج إليه الناس من المأكل والمشرب والملبس وسائر المآرب التي يحتاج الإنسان إليها، ولم تكن لهم لا صناعة ولا حرفة يتعيشون بها، أو كانت وصعب عليهم الكد في طلب المعاش، وتكلف الخدمة لخسة همتهم بركونهم إلى الدعة والراحة، فسول لهم الشيطان، وزين لهم هذه الطريقة التي هي لهو ولعب، ولبسوا فيها على الجهال بالذكر الذي يفتتحون به مجالسهم ولبسوا المرقعات ونصبوها شبكة إذ كانت لباس الخيار من أهل هذه الطريقة قبل أن تدخلها البدع والضلالات. وقالوا لهم :هذه طريقة الأولياء وهي أقرب الطرق إلى الله وإلى نيل رضاه، والكون في جواره في الآخرة. فتهافت الجهال عليهم، وأوصلوهم إلى ما شاءوا من نيل شهواتهم إلى أقصى الغايات فالإنسان إذا قيل له كل واشرب واشطح وتلذذ

(١) المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته٢/٦٩٣

بالغنا واله والعب طول عمرك ولا تتعب في عبادة ولا غيرها، ثم مصيرك في الآخرة إلى أعلى الدرجات، مع الأولياء والصالحين، فيرى أن هذه الجنة معجلة، قبل الموعود بها، وأنه قد حصل على ما لا غاية بعده من السعادة. فأي مصيبة أعظم من هذه في إضلال عباد الله؟ فالواجب على من قدر على هؤلاء الذين هم كالأكلة في جنب الدين ان يمنعهم ويحول بينهم وبين ما هم بسبيله وأن يجيلهم عن موضعه، فهو في ذلك مجاهد مأجور، فمفاسدهم متعددة دينا ودنيا. **قال بعض الحكماء** لتلامذته: كونوا كالنحل في الخلايا. قالوا كيف النحل في الخلايا؟ قال: إنها لا تترك عندها بطالا إلا نفته وأقصته عن الخلية. لأنه يضيق عليها المكان، ويأكل العسل، ويعلم الكسل.______________(١) في نسخة أخرى: ما أنا عليه وأصحابي.." (١)

"١١٩ - **وقال بعض الحكماء**: «جميع العبادات (من العبودية) أربعة (١): الوفاء بالعهود، والمخافة بالحدود، والصبر على المفقود (٢)، والرضى بالموجود».______________(١) أربعة: (كذا في الأصل) والصحيح: أربيع.(٢) المفقود: أي الميت من الأهل والولد.." (٢)

"«أيها المناجي ربه بأنواع الكلام ... والطالب مسكنه في دار السلام (١)والمتسوف للتوبة عاما بعد عام ... وما أراك منصفا لنفسك بين الأنامإنك لو رافقت يومك يا غافل بالصيام ... وأحييت طول ليلك بالقياماوقتصرت بالقليل من الماء والطعام ... لكنت أحرى أن تنال شرف المقاموالكرامة العظيمة من رب الأنام ... والرضوان الأكبر من ذي الجلال والإكرام».١٩١ - **وقال بعض الحكماء**: «عشرة خصال يبغضها الله سبحانه وتعالى من عشرة أنفس: البخل من الأغنياء، والكبر من الفقراء، والطمع من العلماء، وقلة الحياء من النساء، وحب الدنيا من الشيوخ، والكسل من______________(١) والشعر مكسور التفعيلات .. وهو إلى المناجات أقرب منه إلى النظم.." (٣)

"لأهل الشرف شرفا وللسيد سؤددا. وهي أفضل من المال، وحرز من الخوف، وعدة في الحرب، وبضاعة حين يربح. وهي شفيعة (١) حين يعتريه (العبد) الهول، وهي دليلة حين ينتهي به اليقين إلى النفس، وهي سترة حين لا يستره ثوب».١٩٥ - **وقال بعض الحكماء**: «ينبغي للعاقل إذا تاب أن يفعل عشر خصال: أحدها: استغفار باللسان، وندم بالقلب، وإقلاع (٢) بالبدن، والعزم على أن لا يعود [إلى المعصية] أبدا، وحب الآخرة، وبغض الدنيا، وقلة الكلام، وقلة الأكل والشرب حتى يتفرغ للعلم وللعبادة، وقلة النوم. وقال الله تعالى: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون﴾ (٣)».______________(١) شفيعة: (كذا في الأصل، بالتاء المنقوطة) والأصح أن تكون شفيعه بالهاء، العائدة إلى العبد.(٢) إقلاع: أي إقلاع عن المعاصي، ومجانفتها.(٣) كانوا قليلا من الليل .. الآيتان ١٧، ١٨ من سورة الذاريات.." (٤)

---

(١) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب @ ط الغرب الوَنْشَرِيسي ص/٥٠

(٢) المنبهات على الاستعداد ليوم الميعاد @ ط المعارف ابن حجر العسقلاني /٥٣

(٣) المنبهات على الاستعداد ليوم الميعاد @ ط المعارف ابن حجر العسقلاني /٩٩

(٤) المنبهات على الاستعداد ليوم الميعاد @ ط المعارف ابن حجر العسقلاني /١٠٢

"وتقبيضها باليبوسة لتتمكن من التحريك ثم الدافعة وذلك لأن فعلها أيضا التحريك واليبوسة تفيد زيادة تمكن للروح وآلتها من الاعتماد الذي لا بد منه في الحركة ولو كان في جوهر الروح أو الآلة استرخاء بسبب الرطوبة لتعسر الحركة وحيث كانت الحركة في الجاذبة أقوى كانت حاجتها إلى اليبوسة أشد والهاضمة لا حاجة لها إلى اليبس بل إلى الرطوبة المعينة إياه في التفريق والجمع والطبخ والإنضاج والبرودة مع كونها منافية بالذات لأفعال هذه تخدم بالعرض الماسكة بإعانتها على حبس الليف المورب على هيئة الاشتمال الصالح للإمساك وتخدم كذلك الدافعة بأنها تمنع تحليل الريح المعينة على الدفع وأيضا تغلظها وكلما كانت الريح أغلظ كانت أعون وأيضا تجمع الليف العاصر وتكثفه فتكون أقوى في الدفع فظهر مما ذكر أن الحرارة تخدم جميع هذه القوى والبرودة لا تخدم إلا الماسكة والدافعة وأن اليبوسة تخدم ما سوى الهاضمة والرطوبة تخدمها فقطالتنبيه الثاني قد تتضاعف هذه القوى في بعض الأعضاء فالمعدة فيها جاذبة إليها ما يصلح لها وجاذبة أيضا لغذاء البدن من خارج وبالجملة فقد تفعل المعدة تارة للإعداد وتهيئة الغذاء لسائر الأعضاء وتارة للاغتذاء وكذا كثير من الأعضاء كالكبد وسائر أدوات الغذاءوفي المباحث المشرقية **قال بعض الحكماء إن** هذه القوى الأربع توجد في المعدة مضاعفة أحدهما التي تجذب غذاء البدن من خارج إلى تجويف المعدة والتي تمسكه هناك والتي تغيره إلى ما يصلح أن يكون دما والتي تدفعه إلى الكبد والثانية التي تجذب إلى المعدة غذاءها على الخصوص وتمسكه هناك وتغيره إلى جوهرها وتدفع الفضلات عنها وكذا الحال في الكبد لأن التغيير إلى الدم غير التغيير إلى جوهر الكبد كما أن." (١)

"عليه السلام! إني لأجد في كتاب الله عز وجل أن الله يوحي إليه في كل عام مرتين:يوحي إليه عند جريه: إن الله يأمرك أن تجري، فيجري ما كتب الله؛ ثم يوحي إليه بعد ذلك: يا نيل عد حميدا.وروى بن يونس من طريق حفص بن عاصم عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة» .وعن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله عز وجل في الدنيا، فالنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة.وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: نيل مصر سيد الأنهار، وسخر الله له كل نهر من المشرق إلى المغرب، فإذا أراد الله تعالى أن يجري نيل مصر أمر الله كل نهر أن يمده فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله له الأرض عيونا، فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله عز وجل أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره. وقد ورد أن مصر كنانة الله في أرضه.وعن أبي جنادة الضبي: أنه سمع عليا يقول: النيل في الآخرة عسل أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل؛ ودجلة (يعني جيحان) في الآخرة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل؛ والفرات خمر أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل؛ وسيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل.**وقال بعض الحكماء**: مصر ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، فإن في شهر أبيب (وهو تموز) ومسرى (وهو آب) وتوت (وهو أيلول) يركبها الماء فيها فترى الدنيا بيضاء." (٢)

---

(١) المواقف @ ط الجيل عَضُد الدين الإيجي ٢/٥٥٧

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة @ ط دار الكتب =تراجم ابن تغري بردي ١/٣٤

"وقال غيره: هي مسافة شهر طولا في شهر عرضا. وطولها من الشجرتين اللتين ما بين رفح والعريش إلى مدينة أسوان من صعيد مصر الأعلى؛ وعرضها من آيلة إلى برقة، ويكتنفها جبلان متقاربان من مدينة أسوان المذكورة إلى أن ينتهيا إلى الفسطاط (يعني إلى مصر) ، ثم يتسع بعد ذلك ما بينهما وينفرج قليلا، ويأخذ الجبل المقطم منهما مشرقا والآخر مغربا على وراب متسع من مصر إلى ساحل البحر الرومي، وهناك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة ما بين أوغلها فى الجنوب وأوغلها في الشمال.**وقال بعض الحكماء**: ليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين والهند غير النيل. وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال غير النيل. وليس فى الدنيا نهر يزيد فى أشد ما يكون من الحر غير النيل. وليس في الدنيا نهر يزيد وينقص على ترتيب فيهما غير النيل. وليس في الدنيا نهر يزيد إذا نقص مياه الدنيا غير النيل.وبهذا النيل أشياء لم تكن في غيره من الأنهار، من ذلك: السمكة الرعادة التي إذا وضع الشخص يده عليها اضطرب جسمه جميعه حتى يرفع يده عنها، ومنها التمساح ولم يكن في غيره من المياه؛ وفي مصر أعاجيب كثيرة.وقال الكندي في حق مصر وأعمالها: جبلها مقدس، ونيلها مبارك، وبها الطور حيث كلم الله تعالى نبيه موسى، وبها الوادي المقدس، وبها ألقى موسى عصاه وبها فلق الله البحر لموسى، وبها ولد موسى وهارون عليهما السلام ويوشع بن نون ودانيال وأرميا ولقمان وعيسى بن مريم، ولدته أمه بأهناس، وبها النخلة التي ذكرها الله تعالى لمريم؛ ولما سار عيسى إلى الشأم وأخذ على سفح المقطم ماشيا، عليه جبة صوف مربوط الوسط بشريط وأمه تمشي خلفه، فالتفت إليها وقال: يا أماه،." (١)

"بحرحر لا يعلم عظمه الا الله فاستقرت تلك الياقوتة الخضراء عليها ولما لم يكن للصخرة قرار أهبط الله تعالى اليهالا يعلم عظمه الا الله فاستقرت تلك الياقوتة الخضراء عليها ولما لم يكن للصخرة قرار أهبط الله تعالى اليها حوتاعظيما من البحر السابع الذى تحت العرش ويقال اسم الحوت بهموت وقيل بلهوت فاستقرت تلك الصخرة على ظهر الحوت وقيل لا يقدر أحد أن ينظر الى ذلك الحوت من بريق عينيه ولو وضعت بحار الدنيا كلها فى احدى منخريه لكانت كالخردلة فى أرض فلاة فاستقر الحوت على الماء وصار واقفا مكانه لا يتحرك فقال اللهم لك الحمد بك قويت وبحولك استطعت ولولا ذلك لما كان لى قوة على حمل ما استحملتنى اياه فائذن لى يارب بالسجود شكرا لك على ذلك فأذن الله تعالى له بأن يسجد فأدخل رأسه فى الماء حتى غاب ثم أخرجه من الماء فهو يسجد فى كل يوم الى يوم القيامة ثم جعل الله تعالى تحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة ومن هناك ينقطع على الخلائق ويروى فى بعض الاخبار أن الله تعالى وكل بذلك الحوت ملائكة يأتونه بغذائه فى كل يوم على قدر شعبه فيأتونه من البحر المسجور بألف حوت كل حوت طوله مسيرة يوم وليلة أما الثور فوكل الله تعالى ملائكة بغذائه فى كل يوم بألف شجرة من بساتين القدرة طول كل شجرة مسيرة يوم وليلة فسبحان القادر على كل شئ ويروى فى بعض الأخبار أن ابليس اللعين لا زال يغوص الى الأرض السابعة حتى وصل الى الحوت المسمى بهموت فتقدم اليه وقال له يابهموت ان الثور يقول لك انه هو حامل الصخرة التى عليها الارضون وانك لا حمل لك مع حمله ولو كلفت أنت بحمل ذلك لم تطق وأنت الذى حملته وحملتها ولو كلفت الثور بحمل ذلك لم يطق فأعجب الحوت فى نفسه وبقوته فظن ابليس اللعين أنه قد أغوى الحوت وأنه سيفسد ما عليه فاضطرب الحوت من تحت قوائم الثور

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة @ ط دار الكتب =تراجم ابن تغري بردي ٣٧/١

فسلط الله تعالى على الحوت دابة لطيفة قدر فراشة واسمها الآمة فأوقفها بين عينى الحوت فصارت تنقره على دماغه حتى وصلت الى عظم دماغه فذل ووقف مكانه ولم يتحرك واشتغل بما ناله من الالم من تلك الدابة ثم ان ابليس اللعين مضى الىالثور وأغواه كما أغوى الحوت فسلط الله على الثور دابة لطيفة وأجلسها عند منخره فذل ووقف كما وقف الحوت ولم يتم لابليس اللعين ما دبره من الحيلة للفساد أورد ذلك الثعلبى قال ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الأرض يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الاشجار يوم الاثنين وخلق الكروم يوم الثلاثاء وخلق الظلمة والنور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة وقد اختلف جماعة من العلماء فى اليوم الذى ابتدأ الله تعالى فيه المخلوقات وهو على ثلاثة أقوال فقال ابن اسحق هو يوم السبت وقال كعب الاحبار هو يوم الاحد. قال أهل الانجيل هو يوم الاثنين وقال النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى فى يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة الى ثلاث ساعات مضين من يوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر يوم الجمعة وأهبط من الجنة عند غروب الشمس من يوم الجمعة. وقال وهب بن منبه انما سمى يوم الجمعة لان طينة آدم عليه السلام جمعت فيه فلذلك سمى الجمعة قال حذيفة اليمانى روى فى بعض الأخبار ان الدنيا مسيرة خمسمائة عام منها ثلثمائة عام بحار وجبال ومائة عام عمار ومائة عام خراب وقال بعض علماء الهيئة ان الجهات ست الشرق وهو حيث تطلع الشمس أى تشرق والقمر والنجوم والغرب وهو حيث يغربن فيه والشمال وهو حيث مدار الجدى وقد أفرط هناك البرد والجنوب وهو حيث مدار سهيل وهو ما يلى كرة السماء والتحت وهو ما يلى كرة الأرض والفوق وهو ما يلى الافلاك **قال بعض الحكماء** فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدى وقد أفرط هناك البرد فيصير ستة أشهر ليلا دائما مستمرا وهذه مدة الشتاء لا يرى هناك النهار وتجمد فى هذه الجهة المياه لقوة البرد فلا ينبت فيها شئ من النبات ولا يقيم فيها حيوان وأما جهة الجنوب فحيث مدار سهيل فيصير هناك ستة أشهر نهارا دائما مستمرا بغير ليل وهذه مدة الصيف فيفرط هناك الحر والسموم فلا ينبت فيها نبات ولا يقيم فيها حيوان لشدة الحر هناك فلا تسكن تلك الجهات.ذكر أخبار أجزاء الأرض." (١)

"الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلمصار والله سبحانه وتعالى أعلمذكر أخبار الانهار والبحيراتفأما البحيرات المشهورة فهى بحيرة السودان ببلاد المغرب وبحيرة الفيوم وبحيرة مسترة وهى بين الاسكندرية ورشيد وبحيرة دمياط وتنيس وبحيرة زعر التى ماؤها منتن وخيم منها نهر الأردن وهو نهر الشريعة وبحيرة طبرية المنسوبة الى بلد هناك وهى خراب على شاطئها الغربى وفيها حمام ماؤه حار بصنع الله تعالى قال الثعلبى فى قصص الأنبياء ان هذا الحمام بناه سليمان بن داود عليهما السلام وكان من عجائب الدنيا حتى قيل ان من جملة عجائب الدنيا ثلاثة منارة الاسكندرية وحمام طبرية وجامع بنى أمية وكان ماء هذا الحمام يخرج من اثنتى عشرة عينا. فكان ماء كل عين منها مخصوصا بمرض من الأمراض فاذا اغتسل منه صاحب ذلك المرض عوفى باذن الله تعالى وكان ماؤها شديد الحرارة صافى اللون ولم يزل هذا الحمام عامرا على ما ذكرناه حتى خربه بختنصر لما استولى على البلاد كما سيأتى. وبحيرة بانياس الكبيرة التى تخرج منها عدة أنهار وبحيرة البقاع بالقرب من بعلبك ودمشق وبحيرة القدس الشريف وبحيرة حمص وانطاكية وبحيرة دست أرزن بالقرب من شيراز وبحيرة خوارزم وماؤها

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور @ ط أخرى (٩٣٠)ص/٧

مالح وبحيرة أرجيس وهو شرقى أخلاط وماؤها مالح أيضا وهى بحيرة كبيرة دورها مسيرة أربعة أيام وهذه البحيرة يصاد منها السمك المعروف الذى يخرج منه البطارخ الذى يحمل منه الى سائر البلاد قال أبو يعقوب الصياد كنت أصطاد يوما فى بحيرة أرجيس فاصطدت منها سمكة فرأيت على جنبها الأيمن مكتوبا بقلم القدرة لا إله الا الله وعلى جنبها الأيسر محمد رسول الله فلما رأيت ذلك قذفتها فى الماء احتراما لما رأيته عليها من الكتابةذكر أخبار الانهارالمشهور منها الدجلة ونهر سيحان ونهر جيحان والفرات والنيل. فأما الدجلة فيقال ان الذي حفرها وأجرى اليها الماء من الفرات هو دانيال عليه السلام قال بعض الحكماء ان الشرب من ماء الدجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد شهوة النساء ويقطع نسل الخيل حتي ان جماعة من العرب كانوا لا يسقون منها خيلهم واما جريانها فانها تجرى من بلاد آمد الى ديار بكر وهى أعين من بلاد خالد ومقدار جريانها على وجه الارض ثلثمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك. ومن عجائب الدجلة المد والجزر وهو دائم فيها مع الريح كل يوم صيفا وشتاء. وأما الفرات فمبدؤه من بلاد قاليقلا من ثغور أرض نحو أرمينية من جبال هناك تدعى أثودخس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه على وجه الارض خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك. وأما الآن فجريانه من شمالى الاردن من بلاد الروم من جهه الشرق ولا يزال يجرى على وجه الارض حتى يخرج الى فضاء العراق ثم يصب فى بطائح كبار فيجرى منها انهار كثيرة معروفة في تلك الجهات قال ابن الورديان للشام فراتا ... لم تصل مصر اليهاكم بمصر من وجوه ... فضل النيل عليهاوأما نهر سيحان وجيحان فهما غير سيحون وجيحون قال النووى فى شرح مسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة. قال كعب الاحبار ان النيل هو نهر العسل فى الجنة والفرات هو نهر الخمر فى الجنة وسيحان هو نهر الماء فى الجنة وجيحان هو نهر اللبن فى الجنة وقيل ان عناصر هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس والله أعلم فائدة بذلك وهى أن الدابة اذا أصابها المغل يكتب على قوائمها الاربعة على كل قائمة اسم نهر وهى سيحان وجيحان والنيل والفرات فانها تبرأ من ساعتها سريعا وقد جرب ذلك وصح وأما نهر مهران بأرض الهند فقيل انه فرقة من النيل وقد أستدلوا على ذلك بأن فيه التماسيح والضفادع .ذكر البحار." (١)

"ومن هناك قل نسل الأفيالوالله أعلم بحقيقة الحال ويوجد فى هذه الجزائر شجر حصى اللبان وشجر الآبنوس وفيها أحجار اذا نقعت فى الزيت تضئ مثل الفتيلة ولا يطفأ ذلك. وأما البحر الغربي وهو البحر الرابع فامتداده من البحر المحيط أيضا وهذا البحر لا يعرف منه الا ما ظهر من جهة الغرب وينتهى الى بلاد الحبشة والى خلف بلاد رومية وهو صعب المسلك لا يعرف له منتهى وفى بعض جزائره أشخاص متوحشة تسمى الغيلان وهى تقرب من شكل بنى آدم ولا تظهر الا بالليل وتهلك كل من تراه واذا جرى الواحد منهم فلا تلحقه الخيل الغائرة ولا يؤثر فيه وقع السهام ويتناثر من فمه مثل شرار النار واذا طلع عليه النهار يختفى فى مغارة هناك الى ان يدخل الليل وفى بعض جزائره يقطين عظيم الخلقة قيل انه يعمل من نصف اليقطينة مركب صغير يعدون فيها الى البر وفى هذه الجزيرة حيات عظيمة الخلقة لها ذوائب شعر وهى تسبح فى البحر وتسد ما بين البرين فاذا أشرقت الشمس وثبت عليها لكى تبتلعها وكذلك اذا غربت وفى هذا البحر أمم على صور مختلفة

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور @ ط أخرى (٩٣٠)ص/١٢

ما على شكل بنى آدم من رجال ونساء فمنهم من رأسه أقرع وله ذقن بيضاء يسمونه شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلب والخنزير والقط والفرس والحمار والبقر والغنم وغير ذلك كما في البر من الحيوانات وتزيد على البر من الأجناس. **قال بعض الحكماء ان** حيوان البحر اذا أقام فى البر هلك وحيوان البراذا اقام في البحر هلك. وسبب ذلك أن الله تعالى خلق حيوان البحر لا رئة له لان بها يقع النفس فلا اقامة له فى البر . قال كعب الاحبار خلق الله ثمانين ألف أمة وجعل نصفها فى البحر ونصفها فى البر وهم على صور مختلفة وفى هذا البحر جزائر ينبت فيها قضبان لها لون كلون الذهب فاذا طلعت عليه الشمس صار له لمعان فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه. وأما البحر الرومي وهو البحر الخامس ومادته من البحر المحيط أيضا، ويمتد من أعلى افريقية والشام و يتصل بطرطوس وهو خمسة آلاف ميل . وعرضه سبعمائة وستون ميلا وفيه جزائر عامرة يسكنها أمم من بنى الأصفر وغيرهم وفيه كثير من العجائب. قيل ان فى بعض جزائره تطلع دابة فى كل سنه من البحر تشبه البقرة وفيها روح تقيم ساعة فى البر ثم تموت فتصير قطعة زفت فيبيعها أهل تلك الجزيرة للافرنج فيطلون بها تلك المراكب. ونقل الباشورى فى بعض مصنفاته أن ملكا من ملوك اليونان قصد أن يحفر خليجا من البحر الغربي الى البحر الشرقي ويرفع البرزخ من بينهما . وكانت جزيرة الاندلس وبلاد البرابرة ينبت فيها شجر الجميز وكانت تلك الأرض وخمة يسكنها أقوام من اليونان وكان بتلك الأرض الطائر المعروف بالفقعس وهو طائر حسن الصوت اذا سمعه انسان غلب عليه شدة الطرب فيموت السامع من وقته : وكان هذا الطائر اذا حان موته حسن صوته قبل أن يموت بسبعة أيام فلا يمكن أحدا أن يسمع صوته الا يموت ويقال ان عامل الموسيقا كان من الفلاسفة فأراد أن يسمع صوت الفقعس وهو فى شدة صياحه فخشى على نفسه أن يموت من الطرب فسد أذنيه سدا محكما ثم قرب اليه وجعل يفتح اذنيه شيئا فشيئا ثم استكمل فتح الاذنين فى ثلاثة أيام الى أن وصل الى سماعه رتبة بعد رتبة . وقيل ان ذلك الطائر هو وأفراخه غرقوا لمهاجم الماء على تلك الأرض فلم يبق له وجود بعد ذلك. ويقال ان الملك الذى أجرى ماء هذا الخليج حفرزقاقا طوله ثمانية عشر ميلا فى عرض اثنى عشر ميلا وبنى بجانبه عضادتين وعقد عليهما قنطرة فلما فتح البرزخ من البحر الغربي فتح منه قدرا يسيرا من ثقب فى جبل كان حاجزا بين تلك الأرض والبحر فلما دخل الماء فى ذلك الثقب كان ماء البحر الغربي أعلى من تلك الارض فلما ساح الماء غطى تلك العضادتين والقنطرة وساق قدامه بلادا كثيرة . وأما نهر العرجاء ويسمى أيضا نهر أبى بطرس وهو شمال مدينة الرملة ومجراه نحو اثنى عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهى حتى يصب فى البحر الرومي. وأما نهر الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة وينتهى الى بحيرة طبرية وقد عد الدجلة أيضا من جملة الأنهار وأنها تجري من بلاد الروم الى أعلى آمد وحصن كيفا والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة وتنتهى الى بحر فارس. وأما نهر حماة وحمص المسمى بالعاصى فانه يجحر من جهه الجنوب الى الشمال وهو بخلاف غيره من الانهار فأنه لا يسقى منه الارض الا بالنواعير ومنه فرقة." (١)

"تمضى الى بعلبك وينتهى فى مصبه الى البحر الرومى وقد قالت الشعراء فيه. فمن ذلك ما قيل فيه الى بعلبك وينتهى فى مصبه الى البحر الرومى وقد قالت الشعراء فيه. فمن ذلك ما قيل فيهناعورة فى النهر أبصرتها ... تشوق الدانى

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور @ ط أخرى (٩٣٠)ص/١٥

والقاصدقد نبهتنا للهدى والتقى ... لأنها تبكى على العاصأضحكت حماة للورى جنة ... يدخلها الدانى مع القاصولم يكن يسمع من قبل ذا ... بجنة فى وسطها عاصى**قال بعض الحكماء وكان** من تمام حكم الله تعالى أن جعل الانهار الحلوة جارية والبحار المالحة راكدة لأن ركودها نعمة ودفع مضرة وأيضا البحار المالحة يصب فيها جميع الانهار وماء السيول والعيون وهى لا تزيد بقدرة الله تعالى فلو زادت لأغرقت الأرض وهذا من رحمة الله تعالى كما أخبر فى القرآن العظيم (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان).ذكر أخبار النيلقال الواقدى ان معاوية بن أبي سفيان قال يوما لكعب الأحبار هل تجد للنيل ذكرا فى كتاب الله تعالى يعنى فى التواراة والانجيل والزبور والفرقان قال والذى فرق البحر لموسى انى لأجد فى التوراة أن الله يوحى اليه عند ابتدائه ويأمره أن يجرى حيثما شاء الله تعالى ثم يوحى له عند انتهائه ويأمره أن يرجع راشدا حيث شاء الله تعالى يعنى أن الله تعالى يوحى اليه عند زيادته ونقصانهفصل فى بيان المكان الذى يخرج منه النيلوفى المكان الذى يذهب اليه." (١)

"قال المسعودى فى مروج الذهب. نقل صاحب الاقاليم السبعة أن أصل النيل من جبل القمر من عشرة أعين فتجتمع كل خمسة أعين فى بطيحة هناك ثم يجريان. وذكر أن صفة جبل القمر أنه منقوش وعلى رأسه شراريف كباروذكر أن جبل القمر خلف خط الاستواء الذى يستوى فيه الليل والنهار دائما وأن القمر يطلع عليه. وقال المسعودى أن النيل يجرى على وجه الأرض ألف فرسخ فى عمار وخراب حتى يأتى الى بلاد السودان فالى صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من الفسطاط وعلى أميال من أسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين مواضع سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف هذذا الموضع بالجنادل والضخور ثم أن النيل ينتهى الى بحر دمياط ورشيد والاسكندرية فيصب فى البحر المالح من هناك انتهى كلام المسعودى. وقال الكندى ان النيل يخرج من قبة من الزبرجد ويمر على أرض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق من هناك نهران. أحدهما يجرى ألى أرض الهند ويسمى نهر مهران والآخر يجرى نحو أرض الزنج وقال هرمس يخرج من هذه القبة أربعة انهار هى سيحان وجيحان والفرات والنيل وما يحكى أن ملك نقراواش الجبار ابن مصرايم توجهه الى منبع النيل فحفره وأصلح مجراه وكان يسبح فى الارض ويتفرق من غير حاجز فهندسه وساق منه عدة أنهار الى أماكن كثيرة لينتفع بها الناس وعمل هناك تماثيل من نحاس عدتها خمسة وثمانون تمثالا جامعه للماء حتى لا يخرج ماء النيل عنها وجعل لها منافذ مستديرة يخرج الماء من حلوق تلك التماثيل وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع أذرع معلومة فتخرج تلك الانهار ثم تصب فى بطيحتين فيخرج منهما المياه الى بطيحة كبيرة جامعة للمياه وجعل للتماثيل مقادير بين المياه ليكون فيها الصلاح لارض مصر دون الفساد وقدر تلك على سته عشر ذراعا وكان الذراع يومئذ اثنين وثلاثين اصبعا ثم جعل فضلات تلك المياه تخرج الى مسارب عن يمين التماثيل وعن شمالها ثم تصب الى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لأغرق ماء النيل ما كان يمر عليه من البلدان قاطبة وقال لولا أن ماء النيل يمر فى البحر المالح ويكتسب من ملحه لشرب من مائه ما هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن **وقال**

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور @ ط أخرى (٩٣٠)ص/١٦

بعض الحكماء لولا الليمون بمصر لوخم أهلها من حلاوة النيل ولماتوا ولكن حموضة ماء الليمون تمنع الصفراء. وقال الكندي ان النيل يمر على ستين مملكة من ممالك الحبشة والزنج وقال ابن زولاق فى تاريخه ان بعض الملوك أمر أقواما بالسير الى حيث يجرى النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عال والماء ينزل من أعلاه وله دوى وهدير حتى لا يكاد يسمع صوت من فى جانبه من اصحابه من دوى الماء ثم ان أحد القوم تسبب فى الصعودالى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك فلما وصل الى اعلاه ضحك وصفق بيديه ثم مضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ما شأنه ثم أن رجلا أخر منهم صعد بعده ليرى ما وراء ذلك الجبل وما كان من أمر صاحبه ففعل مثل صاحبه وصفق ومضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ما شأنه فطلع ثالث وقال لأصحابه أربطونى من وسطى بحبل فاذا أنا وصلت الى ما وصل اليه أصحابى وفعلت كما فعلوا فاجذبونى بالحبل فلا أبرح من مكانى ففعلوا ذلك فلما صار فى أعلى الجبل صفق وأراد أن يمضى فى الجبل فجذبوا الحبل اليهم ونزل عندهم فلما وصل خرس لسانه ولم يرد جوابا وأقام ساعة ومات فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك من أخبار النيل. قال الامام الليث بن سعد رضى الله عنه بلغنى أن رجلا يقال له حامد بن أبي سالم وهو من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام خرج هاربا من بعض الملوك الجبابرة فدخل الى مصر فلما رآي نيلها تعجب منه وحلف على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل حتى يبلغ منتهاه ومن أين يخرج أو يموت قبل ذلك فسارعلى ساحل النيل نحوا من ثلاثين سنة حتى وصل الى جبل القمر فاذا هو برجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح فلما رآه سلم عليه وأستأنس به فقال ذلك الرجل الذى تحت الشجرة من أنت أيها الرجل فقال له حامد أنا من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم قال له حامد من أنت فقال أنا أبو العباس الخضر فما مجيئك الى هنا قال فى طلب معرفة النيل فقال له الخضر عليه السلام ستمر عليك حية ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يولنك أمرها وهى دابة معادية للشمس اذا طلعت." (١)

"الشمس هوت اليها لتلتقمها فاركب على ظهرها فانها تذهب بك الى جانب البحر الزفتى فسرفى بره فانك تقع فى أرض من ذهب وبها جبال وأشجار فلما مضى حامد فعل ما قاله الخضر فلما وصل الى أرض الذهب نظر الى قبة من الذهب ولها أربعة أبواب فنظر الى النيل وهو ينحدر من جوف تلك القبة من كل باب نهريجرى الى جهة من الأرض وهى سيحان وجحيان والفرات والنيل فأراد حامد أن يمضى الى ما وراء تلك القبة فأتاه ملك وقال له قف ياحامد مكانك فقد انتهى اليك علم النيل وما وراء ذلك الا الجنة فقال حامد أريد أن أنظر الى الجنة فقال له الملك انك لن تستطيع دخولها اليوم فجلس حامد على شاطئ النيل وشرب منه فاذا هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وقيل فى المعنس هوت اليها لتلتقمها فاركب على ظهرها فانها تذهب بك الى جانب البحر الزفتى فسرفى بره فانك تقع فى أرض من ذهب وبها جبال وأشجار فلما مضى حامد فعل ما قاله الخضر فلما وصل الى أرض الذهب نظر الى قبة من الذهب ولها أربعة أبواب فنظر الى النيل وهو ينحدر من جوف تلك القبة من كل باب نهريجرى الى جهة من الأرض وهى سيحان وجحيان والفرات والنيل فأراد حامد أن يمضى الى ما وراء تلك القبة فأتاه ملك وقال له قف ياحامد مكانك فقد انتهى اليك علم النيل وما وراء ذلك الا الجنة فقال حامد أريد أن أنظر الى الجنة فقال له الملك انك لن تستطيع دخولها اليوم فجلس حامد

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور @ ط أخرى (٩٣٠)ص/١٧

على شاطئ النيل وشرب منه فاذا هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وقيل فى المعنونيل مصر من الجنان ... وماؤه يحيي الغصونفبالعيون ان قايسوه ... قل ما ترى مثله العيونويقال ان حامدا رأى الفلك الذى يدور بالشمس والقمر والنجوم وهو شبه الرحا فقيل انه ركب الفلك ودار فى الدنيا كلها وقيل انه لم يركبه وقيل ان ذلك الملك أتى حامدا بعنقود من العنب من الجنة وهو على ثلاثة ألوان أخضر كالزبدجد وأحمر كالياقوت وأبيض كاللؤلؤ وقال له هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها ثم ان حامدا رجع من هناك الى شاطئ البحر والزفتى ركب على تلك الحية لما هوت الى الشمس عند الغروب لتلتقمها فقذفت به الى جانب البحر الزفتى الى المكان الذى ذهب منه فأتى الى الخضر عليه السلام وسلم عليه وحكى له ما جرى له وقيل ان حامدا لم يأكل من أكل الدنيا لانه أكل من ذلك العنب ومات بعد ذلك بمدة يسيرة ﴿فصل فى بيان زيادة النيل ونقصانه﴾ قال المسعودى ان زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الأمطار. وقالت الروم زيادته من عيون فى شاطئه تفور من أوله الى آخره وهذا هو السبب فى تكديره عند الزيادة لان العيون اذا نبعت من الأرض اختلطت بالطين عند نبعها فتكدره وقال الكندى انه فى أيام الزيادة يستمر فى بلاد الحبشة المطر ليلا ونهارا لا ينقطع فى هذه المدة ويتنفس النيل بالزيادة قال المهدوى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الارض من المشرق الى المغرب فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر على وجه الارض أن يمده بالمياه فاذا انتهى جريانه الى حيث شاء الله تعالى يأمر كل نهرأن يرجع الى عنصره ومصداق هذا الخبر أن النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت الانهار كلها واذا زادت نقص هو فصح أنه يمتد بمياهها والله أعلم . **وقال بعض الحكماء** ان النيل اذا زاد يصب فى البحر المالح فيجتمع بخاره ويرتفع فى الجو فتحمله الريح الى الغمام فيذهب به الى حيث شاء الله فينزل حيث يريد الله تعالى والى هذا أشار الزمخشرى فى تفسيرقوله (والسماء ذات الرجع) والمراد بالسماء الغمام والرجع المطر لان ماء المطر من البحر ثم يرجع اليه بعد أخذه منه ثم يعود به وفى قوله تعالى (وأرسلن الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء) قال البغوى اللواقح من الرياح التى تحمل الندى ثم تمجه فى السحاب فاذا اجتمع صار مطرا فان السحاب تلقح كما تلقح البقر باللبن. وقال المسعودى ليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل وفى ذلك يقولكأن النيل ذو فهم ولب ... لما يبدو لعين الناس منهفيأتى عند حاجتهم اليه ... ويمضى حين يستغنون عنهوقال أيضا:." (١)

"حديث: كان النبي يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله٢٨ - عن عائشة رضي الله عنها [١] قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله ... [٢]) الحديث. [خ¦٤٢٦]ظاهر الحديث حب النبي صلى الله عليه وسلمج ١ ص ٣١٧التيمن في شأنه كله، والكلام عليه من وجوه:منها: قولها [٣] (كان) فيه دليل على أن إخبارها بهذا الحديث كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.وفيه دليل على أن عدم الاستطاعة عذر في ترك المستحب، وكذلك هو [٤] في الفرائض، فإذا كان في الفرائض فمن باب أولى.وهنا بحث: إذا [٥] كان الأمر معلوما في الفرائض هكذا، فلم ذكرت [٦] هذا في المستحب؟ فالجواب: أن إخبارها باستصحاب ذلك [٧] في كل الوجوه حتى توفي عليه [٨]، إنما هو

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور @ ط أخرى (٩٣٠)ص/١٨

[٩] تأكيد [١٠] في فعل المستحب [١١]؛ لأنه لا يمنعه منه إلا ما يمنعه من الفرض، لأن الدين مطلوب فرضه ونفله وندبه على حد سواء، كل منه على جهته [١٢]، وأنه [١٣] لا يترك ذلك اختيارا وهو أصل كبير في الفقه، وقد تقدم الكلام [١٤] مثله. وقولها: (في شأنه) هذا أمر مجمل، ثم ذكرت ثلاثة وجوه، فما الفائدة في ذلك؟ فالجواب: هو أنها [١٥] لما ذكرت الشأن، وهو أمر مجمل كما ذكرنا، فلو [١٦] سكتت واكتفت بذلك لاختلفت [١٧] التقديرات فيه، فلما [١٨] أتت رضي الله عنها بذكر تلك [١٩] الثلاثة كان فيه دليل على فقهها. وفيه زوال الإلباس [٢٠]؛ لأنها ذكرت الطهور [٢١]، وهو أعلى [٢٢] المفروضات؛ لأنه عليه السلام قال فيه: ((إنه شطر [٢٣] الإيمان))، وذكرت الترجل، وهو من آكد السنن، وذكرت التنعل وهو من أرفع المباحات [٢٤]، فبينت أنه صلى الله عليه وسلم كان على ذلك الشأن في جميع المفروضات والمستحبات والمباحات، فحصرت [٢٥] أفعاله عليه السلام في [٢٦] كل الأشياء. ويترتب عليه من الفقه أن منج ١ ص ٣١٨الأحسن [٢٧] في الإخبار والتعليم [٢٨] الإجمال أولا من أجل الحفظ، والتقسيم بعد من أجل التفهيم. وهنا بحث: في قولها: (وكان [٢٩] يحب) لم عبرت بهذا؟ وما الحكمة في حبه؟ فالجواب عن كونها عبرت بذلك؛ لأنها تشعر أن ذلك ليس مما أمر به من أجل أن لا يعتقد [٣٠] أحد [٣١] أنها مما فرض، واحتمل أن يكون [٣٢] مما سن، فأزالت بقولها (يحب) كل الاحتمالات. وأما ما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم يحبه؟ فإنما كان ذلك إيثارا لما آثره الحكيم بحكمته، والله أعلم، وذلك لما رأى عليه السلام ما فضل الله تعالى اليمين وأهله وما أثنى عليهم فأحب هو [٣٣] عليه السلام [٣٤] ما آثره العليم الحكيم، فيكون من [٣٥] باب التناهي في تعظيم الشعائر حتى يجد ذلك ولوعا في فؤاده [٣٦] المبارك، فيكون ذلك دالا على قوة الإيمان، فمن وجد حبا لذلك كما وجده [٣٧] صلى الله عليه وسلم [٣٨] فليشكر الله على ما منحه من ذلك، وإن لم يجد فيتبع ويستعمل أسبابه ويتشبه بالمحبين، ولذلك **قال بعض الحكماء**: فإن [٣٩] التشبه بالكرام فلاح. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رأى شخصا قرأ سجدة ﴿كهيعص﴾ وسجد، فقال له: هذا [٤٠] السجود فأين البكاء؟ إذا لم تبكوا فتباكوا. ويترتب على ذلك من الفقه أن التشبه [٤١] بأهل الخير من الخير إذا كان حبا فيهم من أجل الله عز وجل، وأن التشبه [٤٢] بأهل الشر من الشر، يعضد ذلك ما نهى صلى الله عليه وسلم عنه [٤٣] من التشبه [٤٤] بأهل الكتاب، وقد ورد عنه عليه السلام: ((من تشبه بقوم فهو منهم)). من الله علينا بأحوالهم حالا ومقالا.

____

[١] قوله: ((رضي الله عنه)) ليس في (ف). .[٢] زاد في (ج) و (ل) و (ف): ((في طهوره وترجله وتنعله)).[٣] في (م): ((قوله)).[٤] قوله: ((هو)) ليس في (م).[٥] في (ل) و (ف): ((فإذا)).[٦] في (م): ((ذكرنا)). وقوله بعدها: ((هذا)) ليس في (ل) و (ف).[٧] في (ج) و (ل) و (ف): ((الأعذار)).[٨] زاد في (ل): ((السلام)).[٩] قوله: ((هو)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٠] في (م): ((تأكيدا)).[١١] في (م): ((المستصحب)).[١٢] في (م): ((على حد سواء)).[١٣] في (ج): ((فإنه))، وفي (ف): ((أن)).[١٤] زاد في (ج): ((في))، وقوله: ((الكلام)) ليس في (م) و (ل) و (ف).[١٥] قوله: ((هو أنها)) ليس في (م).[١٦] في (ل): ((لو)).[١٧] في (م): ((لاختلف)).[١٨] في (ج): ((لما)).[١٩] قوله: ((تلك)) ليس في (م).[٢٠] في (ف): ((الالتباس)).[٢١] في (ف): ((الظهور)).[٢٢] في (ل): ((على)).[٢٣] في الأصل: ((شرط)) والصواب

المثبت من النسخ الأخرى.[٢٤] في (م): ((التنفل وهو من أرفع المناجات)).[٢٥] في (م) و (ل): ((فحضرت)).[٢٦] قوله: ((في)) ليس في (م).[٢٧] في (ف): ((الإحسان)).[٢٨] في (ج): ((والتعظيم)).[٢٩] في (م) و (ل) و (ف): ((كان)).[٣٠] في (ل): ((يعتقدها)).[٣١] في (م): ((أحدا)).[٣٢] في (ج) و (ل): ((تكون)).[٣٣] قوله: ((هو)) ليس في (م).[٣٤] قوله: ((عليه السلام)) ليس في (ف). .[٣٥] في (ج): ((زمن)).[٣٦] في (م): ((كيانه)) وعلقها في الهامش: ((فؤاده)).[٣٧] في (م) و (ف): ((وجد))، وزاد في (ل) و (ف): ((هو)).[٣٨] في (ف): ((عليه السلام)).[٣٩] في (ج): ((إن)). وبعدها في (م): ((التشبيه)).[٤٠] زاد في (ج): ((هو)).[٤١] في (ل): ((التشبيه)).[٤٢] في (ل): ((التشبيه)).[٤٣] في (م) و (ف): ((عنه صلى الله عليه وسلم)).[٤٤] في (ل): ((التشبيه)).." (١)

"٦٨ - (عن أسامة بن زيد قال: أرسلت [١] ابنة [٢] النبي صلى الله عليه وسلم [٣] ...) [٤] الحديث. [خ¦١٢٨٤]ظاهر الحديث يدل على جواز بكاء الرحمة، وهو أيضا دال عليها، والكلام عليه [٥] من وجوه:منها: استحضار ذوي الفضل عند معالجة الموت، يؤخذ ذلك من توجيه ابنته صلى الله عليه وسلم ليحضر [٦] صلى الله عليه وسلم موت ابنها، وهو عليه الصلاة والسلام في وقته وفي كل وقت أفضل العباد.وفيه دليل على مراجعة صاحب المصيبة بالتصبر والتعزي. يؤخذ ذلك من مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم لها رضي الله عنها وقوله عليه السلام: ((فلتصبر، ولتحتسب))فيه [٧] دليل على جواز الكناية عن الشيء بما يدل عليه. يؤخذ ذلك من قولها رضي الله عنها: (إن ابنا لي قبض) وهو في قيد الحياة بعد [٨]، لكن لما [٩] كان يعالج [١٠] سكرات الموت كنت عنه بالموت.وفيه دليل على أن من السنة أن يخبر [١١] الذي يستدعى لماذا يراد؟ يؤخذ ذلك من قولها: (إن ابنا لي قبض فائتنا)، لأنها لم تطلب منه عليه الصلاة والسلام الإتيان [١٢] إلا بعد ما أخبرته بموت ابنها.وفيه دليل على جواز القسم على الأفضل [١٣]، ويكون من باب الرغبة لا من باب الحلف واليمين. يؤخذ ذلك من قوله: (تقسم عليه ليأتينها [١٤]).وهنا بحث: هل كان مشيه عليه الصلاة والسلام في ثاني مرة منج ٢ ص ١٣٠أجل القسم، أو من أجل غيره، أو من أجله ومن أجل غيره معا [١٥]؟ وكيف امتنع عليه الصلاة والسلام أولا من المشي مع ما طبع عليه [١٦] من حسن الشيم والرحمة [١٧] للأباعد؟ فكيف للأقارب [١٨]؟فأما [١٩] سبب امتناعه عليه الصلاة والسلام أولا فلوجهين:(أحدهما): ما [٢٠] يبين أن هذه الدعوة ليست مما هي واجبة الإجابة [٢١] بخلاف دعوة النكاح.و (الثاني): من أجل ممكن أن يتعلق قلبها لمكانته عليه الصلاة والسلام عند الله تعالى [٢٢] أنه يدفع عن الطفل شيئا فأخبرها عليه الصلاة والسلام أن هذا أمر ما لأحد فيه حيلة. يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: ((إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى))، وهذا من المؤخر في اللفظ، المقدم في المعنى، كأنه عليه الصلاة والسلام يقول: ما أعطاك الله من الولد فهو له، وأخذه أيضا هو [٢٣] له، فإنه لم يأخذ حتى أعطى، فلما لم يكن في المعنى إلباس جاز التقديم والتأخير، كما قال عز وجل في كتابه العزيز: ﴿الذي أخرج المرعى * فجعله غثاء أحوى﴾ [الأعلى: ٤، ٥].ولا يكون غثاء حتى يكون أحوى، والغثاء هو اليابس فلما علم أنه لا يكون يابسا حتى

(١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها ولها/٢٧

يكون أخضرا [٢٤]، جاز التقديم لعدم الإلباس، وهذا في لسان العرب من الفصيح، ثم أخبرها بحكم الله عليها في ذلك وهو الصبر والاحتساب [٢٥].ويذكر [٢٦] أن بعض [٢٧] العلماء كانت له زوجة يحبها فلما ماتت وجد عليها حتى احتجب عن الناس، وكان الناس محتاجين [٢٨] إليه لعلمه وفضله فتأتيه المسائل فيدخل بها الخديم، ويخرج بالجواب عليها، فلما طال ذلك به بلغ إحدى [٢٩] المتعبدات حاله فأتت الباب [٣٠] وقالت للخديم: لي [٣١] ضرورة [٣٢] ولا يمكن الكلام معه إلا [٣٣] مشافهة، فأبى الخديم من الدخول بها إليه،ج ٢ ص ١٣١فذهب الناس وبقيت المرأة لم تبرح من مكانها، فطمع الخديم أن يصرفها عن [٣٤] الباب فلم تفعل، وزعمت [٣٥] أنها لا بد لها من رؤيته.فلما طال جلوسها أخبر الخديم الشيخ بأمرها فأذن لها في الدخول، [٣٦] فقالت: يا سيدي إن جيرانا لي استعرت منهم حليا أن أحضر به عرسا فأعاروه لي، ثم تركوه لي بعد زمانا أتزين به ثم الآن قد طلبوه، ونفسي تأبى رده فقال لها: لا يحل لك حبسه، فإنه عارية والعارية مؤداة، حكم من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، قالت: يا سيدي كان عن يوم وتركوه عندي [٣٧] سنين، فقال: أحق وأجدر أن تسارعي في رده؛ لأنهم زادوك على المعروف معروفا، فرامت به أن يفسح لها في ذلك في [٣٨] شيء وهو يغلظ عليها، فقالت له [٣٩]: يا سيدي أوليس زوجتك أنت من جملة ما استعاركها الله وأخذ متاعه؟ فحزنك أنت واحتجابك عن الناس مماذا [٤٠]؟ فارتجع إلى نفسه، وشكر ذلك لها [٤١] وخرج من حينه.فكان جلوسه [٤٢] صلى الله عليه وسلم أولا ليقعد الأحكام الشرعية مع القريب ومع البعيد [٤٣] على حد سواء، وأما مشيه عليه الصلاة والسلام في ثاني مرة فإبرار للقسم [٤٤] وشفقة ورحمة كما جبل عليها وجبر [٤٥] لخاطرها لما أمن التوقع الأول، وفي هذا دليل لأهل الطريق الذين يقولون بجبر [٤٦] القلوب.وفيه دليل على أن الأجل لا يزيد ولا ينقص لقوله عليه السلام: (بأجل مسمى)ج ٢ ص ١٣٢وهنا إشارة وهي أن أهل الفضل لا يقطع الإياس من فضلهم وإن ردوا يؤخذ ذلك من ردها الرسول ثانية بعدما امتنع عليه الصلاة والسلام من المشي أولا هذا طمع في فضل مخلوق فكيف في فضل من ليس كمثله شيء؟ولذلك جاء عنه جل جلاله أنه يدعوه العبد المذنب فيعرض الله عنه، ويدعوه فيعرض الله عنه، فيدعوه [٤٧] فيقول جل جلاله: ((ملائكتي أما ترون عبدي؟ يعلم أنه ليس له من يدعو غيري، أشهدكم أني [٤٨] غفرت له، وقبلت [٤٩] دعاءه)).وقوله: (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجال) فيه من الفقه جواز المشي إلى المآتم بغير إذن بخلاف الوليمة يؤخذ ذلك من مشي هؤلاء معه صلى الله عليه وسلم ولم يستدعهم ولا استأذنوا هم أيضا [٥٠].وفيه دليل على تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم [٥١] له صلى الله عليه وسلم يؤخذ ذلك من كونه لما قام هو [٥٢] صلى الله عليه وسلم قام معه من كان [٥٣] هناك تعظيما له عليه الصلاة والسلام.ويؤخذ منه أنه لا يسمى من الجمع [٥٤] إلا أعيانه وذلك من الاختصار والإبلاغ في الفصاحة يؤخذ ذلك من كونه سمى الأربعة لمكانتهم وأجمل الباقي [٥٥] بلفظ: (رجال).وقوله: (ورفع الصبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) الرفع [٥٦] هنا احتمل معنيين:(أحدهما): أن يكون [٥٧] بمعنى كشف له عنه كقولهج ٢ ص ١٣٣عليه السلام: ((ورفع لي البيت المعمور)) أي: أظهر [٥٨] لي. و (الثاني): أن يكون بمعنى وضع في حجره، ومن [٥٩] قولهم: رفعت زيدا إلى الفراش أي: جعلته عليه واحتملا معا [٦٠].وقوله: (ونفسه تتقعقع [٦١] كأنها شن) الشن هو الزق البالي إذا بلي يتقشر [٦٢] ويتشقق فمن يأخذه يجد له صوتا من كل نواحيه فشبه ذلك السياق الذي كان يسوق [٦٣] الصبي لشدته وكثرته

بصوت هذه [٦٤] القرب البوالي التي [٦٥] لا ينفصل عنها ذلك الحال [٦٦].وفيه دليل على أن شدة الموت وخفته ليس فيه علامة على السعادة ولا على الشقاوة يؤخذ ذلك من كون هذا الطفل [٦٧] لا تكليف عليه وهو يشدد [٦٨] عليه، بل هذه حكمة استأثر بها الله تعالى، وقد قال صلى الله عليه وسلم في موت الفجاة: ((إنها [٦٩] تعجيل لأحد الدارين)) وقد قال [٧٠] عليه السلام: ((أن المؤمن تبقى له منزلة لم يبلغها بعمله، فيشدد عليه الموت حتى يبلغ تلك المنزلة [٧١])).وقوله: (وفاضت عيناه) يريد: عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدموعه [٧٢] المباركة بغير صوت وتلك الدمعة هي دمعة الرحمة كما أخبر هو [٧٣] صلى الله عليه وسلم.وقوله: (فقال له سعد: يا رسول الله، ما هذا؟) هنا من الفقه وجوه:منها: أن من أدب الدين أن يكون كبير القوم هو الذي يستفتح الكلام أولا يؤخذ ذلك من أن هذا لمكانته [٧٤] في الصحابة رضي الله عنه وعنهم هو الذي ابتدأ الكلام [٧٥]، والكل رأوا ما رأى هو فالتزموا الأدب بعضهم مع بعض وهو المعلومج ٢ ص ١٣٤منهم أن يتكلم الذي هو أولى [٧٦] أولا.ومنها: أن الأدب مطلوب في السؤال يؤخذ ذلك من قول سعد: (ما هذا؟) سؤال إرشاد لا إنكار، ويؤخذ منه أن الأدب مع الأكابر أن يقدم [٧٧] ذكر أسمائهم أول الكلام، يؤخذ ذلك من قوله: (يا رسول الله، ما هذا؟) فقدم اسمه عليه الصلاة والسلام أولا، ويؤخذ منه أن من حسن السؤال الإيجاز فيه، يؤخذ ذلك من قوله: (ما هذا؟) سؤال استرشاد [٧٨] ولم يزد على ذلك شيئا.وقوله صلى الله عليه وسلم: (هذه) يعني الدمعة؛ لأنها خرجت بغير صوت.وقوله عليه السلام: (رحمة [٧٩] جعلها الله في قلوب عباده) هنا من الفقه أن الذي تكلم الناس فيه في شأن الدموع وما يوجبها [٨٠] أنه باطل؛ لأنهم ذكروا فيها [٨١] نحو الخمسة أو الستة أقاويل، أو ما [٨٢] يقرب من ذلك، فمما [٨٣] استحسن منها أنه [٨٤]: عرق القلب من خجل الذنوب وبه يطرزون تلك الأقاويل، وقد أخبر هنا الصادق عليه الصلاة والسلام (أنها خلق من خلق الله استودعها قلوب عباده الرحماء) [٨٥].وقوله عليه السلام: ((إنما [٨٦] يرحم الله من عباده الرحماء)) [٨٧] دل بهذا أن هذه الدموع صادرة عن الرحمة التي في قلوب [٨٨] الذين جعلت الرحمة في قلوبهم، فكما الفهم في العلوم صادرة عن [٨٩] النور الذي في قلوب العلماء فكذلك هذه الدمعة صادرة عن المرحومين الذين جعلت الرحمة في قلوبهم حكمة حكيم.وقوله عليه السلام: (فإنما يرحم الله من عباده الرحماء) هذا اللفظ محتمل معنيين: (أحدهما): أن يكون على ظاهره وهو منعج ٢ ص ١٣٥الرحمة مما سوى الراحمين [٩٠] فتكون [٩١] (إنما) على بابها لحصر الحكم في [٩٢] المذكور ونفيه عن غيره، و (احتمل) أن تكون بمعنى [٩٣] ثبوت الحكم المذكور ولا ينتفي عن غيره [٩٤] كقولهم [٩٥]: إنما الجميل يوسف أثبتوا له الجمال ولم ينفوه عن غيره، وقد تكون [٩٦] بمعنى الاستحقاق لهم بما فيهم من الأهلية كمعنى قوله [٩٧] تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت [٩٨] الله﴾ [البقرة: ٢١٨] أي: يحق لهم الرجاء لما وعدوا، والآخرون يرجون لكن على غير سبب، احتمل الوجهين معا.والأظهر أنها لتخصيص الحكم بالمذكورين ولا ينفي [٩٩] ذلك عن غيرهم بدليل أنه قد جاء: ((إن لله نفحات من الرحمة يصيب بها من يشاء ممن فيه رحمة وغيره))، وقد جاء: ((أنه تشفع الرسل والأنبياء والملائكة عليهم السلام والعلماء والصالحون، ثم يقول عز وجل: شفعت الأنبياء، شفعت الملائكة، شفعت [١٠٠] الصالحون، وبقيت [١٠١] شفاعة أرحم الراحمين، فيخرج من النار قبضة ممن قد حبسهم القرآن)).اللهم إلا إن جعلنا هذه الرحمة بمعنى الإيمان، ويكون المراد به الإيمان الكامل فهؤلاء هم أهل الرحمة حقيقة فيكون [١٠٢] فيه دليل على [١٠٣]

أن هذه الرحمة لا يخص بها إلا أهل الإيمان المذكورين وهي [١٠٤] سبب الخشوع، وقد أثنى عز وجل عليهم [١٠٥] في كتابه حيث قال: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢] فتكون على بابها لتعلق الحكم بالمذكورينج ٢ ص ١٣٦ونفيها عن غيرهم ممن خالف الإيمان على عمومه لا على خصوصه إلا [١٠٦] في إيجاب الرحمة لهم لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨].وهنا بحث: وهو أنه يعارضنا في حديث غير هذا قوله عليه السلام [١٠٧]: ((إذا استكمل نفاق المرء كانت عيناه بحكم يده يرسلهما [١٠٨] متى شاء)) فهل بينهما فرق أم لا؟فالجواب: أما الظاهر فالتعارض فيه موجود؛ لأن هذه دمعة خارجة من [١٠٩] عالم الحس وهذه مثلها، وإذا نظرنا إلى الشروط بان الحق وظهر، ولم يبق بينهما تعارض.والشرط الذي بينهما أن التي هي صادرة عن استكمال النفاق يكون خروجها باختيار النفس بغير موجب.وقد يمسكها عند الموجب كما يشاهد هذا [١١٠] الناس على مرور الزمان من هؤلاء الغرباء الذين يقعدون [١١١] ويطلبون الناس ويصفون عن أنفسهم أنهم كانوا وكانوا وذلك [١١٢] كله كذب يعلم ذلك منهم من يعرفهم أصلا وفرعا، فإذا جاءوا عند معظم وصفهم ذلك [١١٣] الكذب يبكون وتجري الدموع من أعينهم مثل القطر يظن الرائي لهم أن ذلك حق فتشفق النفوس لهم ويتصدق [١١٤] عليهم، وهذا مروي [١١٥] عنهم كثيرا [١١٦] ولو لم يكن في هذا إلا الكتاب الذي ينسب إلى بني ساسان ووصف أحوالهم لكان كافيا فكيف [١١٧] والناس يرون ذلك منهم معاينة؟وأما الدمعة التي هي كما أخبر الصادق عليه الصلاة والسلام فتخرج كما خرجتج ٢ ص ١٣٧منه صلى الله عليه وسلم وذلك عند الموجب مثل [١١٨] تذكار الموت أو الشفقة مثل مارأى عليه الصلاة والسلام من تلك النسمة وما كانت تعالج من سكرات الموت مع صغرها، أو من خشية من الله عز وجل، أو ما يكون مثل ذلك من فكرة فيه كما روي عنه صلى الله عليه وسلم (أنه دخل يوما على فاطمة رضي الله عنها وهي تبكي [١١٩] بكاء كثيرا فسألها صلى الله عليه وسلم فقالت في معنى كلامها: أنه ما أبكاها شيء إلا فكرها في القبر وما فيه)، فهذا كله نوع واحد يقتضيه حقيقة الإيمان الكامل.ومما يدل على أنه إنما عنى هو [١٢٠] صلى الله عليه وسلم النوع لا الجنس بقوله: (هذه) وأشار إلى الدمعة كونه عليه الصلاة والسلام قسم الإيمان [١٢١] في غير هذا الحديث على قسمين [١٢٢] فقال: ((الإيمان إيمانان: إيمان لا يدخل صاحبه النار ــوهو الإيمان مع [١٢٣] الأمر والنهي وهو الإيمان الكامل [١٢٤]ــوإيمان لا يخلد [١٢٥] صاحبه في النارــ وهو الإيمان [١٢٦] الذي معه بعض المعاصي)).ومما يقوي ذلك أن المتكلم وهو سعد ومن كان حاضرا معه [١٢٧] لم تدمع لأحد منهم عين إلا عينه صلى الله عليه وسلم وذلك لكمال [١٢٨] الإيمان هناك؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بالإجماع أكمل الناس إيمانا، ولذلك قال عند موت ابنه إبراهيم: ((تدمع العين، ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب)) لأن الدمع والحزن هما عند الموجبات من الإيمان كما أن ترك ما يسخط الرب من الإيمان أيضا [١٢٩].وفيه دليل لأهل الطريق [١٣٠] في كثرة بكائهم؛ لأن النبيج ٢ ص ١٣٨صلى الله عليه وسلم قد جعل ذلك علما على الرحمة التي في القلوب، وقد روي عن بعضهم أنه كان كثير [١٣١] البكاء فرمدت عيناه فأتوا له بالطبيب [١٣٢] فقال [١٣٣] له: نداويك على شرط [١٣٤] أنك لا تبكي مادام بعينيك رمد، فقال رضي الله عنه: وأي فائدة في عين لا يبكى [١٣٥] بها؟ والله لا ألتزم هذا الشرط ولا حاجة لي بدوائكم، بل أموت في البكاء، وهل راحة الشجي إلا في أدمعه؟وفائدة هذا الحديث [١٣٦] في [١٣٧] تذكار هذا [١٣٨] الأمر العظيم الحتم [١٣٩] الذي لا هرب لأحد منه

والأخذ [١٤٠] في الاستعداد لذلك قبل هجومه إذ وهذا السيد عليه أفضل الصلاة [١٤١] والسلام لا يقدر في دفع هذا الأمر عن أحد من أهله ولا عن نفسه المكرمة فما بالك بالغير؟ تصديقا [١٤٢] لقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقد قال بعض الحكماء في شعر له [١٤٣]: ولو [١٤٤] كانت الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول الله حيا وباقيافحسبك إن كنت عاقلا فيها مقبلا [١٤٥] وكن فيها [١٤٦] لزادك واعيا [١٤٧]واحذر هجمات الحمام بلا زاد ويدك [١٤٨] من التقوى خالية [١٤٩]وكن عبدا مطيعا، فالحمام لا بد لك [١٥٠] مفاجئا [١٥١].

____

[١] في (ج) و (م) و (ل): ((الموجود .. قوله أرسلت)).[٢] في (ج) و (م): ((بنت)).[٣] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((تسأله)).[٤] لم يذكر في (ج) و (م) و (ل) راوي الحديث وابتدأ بقوله: ((قوله: أرسلت))، ثم زاد في النسخ المذكورة كلمة: ((تسأله)) في هذا الموضع، وقد ذكر في حاشية (ل) تتمة الحديث: ((إن ابنا قبض فأتنا فأرسل يقرأ السلام ويقول إنا لله مل أخذ وله ما أعطا وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تتقعقع قال حسبت أنه قال كأنها شن وفاضت عيناه، فقال سعد يارسول الله ماهذا؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)).[٥] قوله: ((عليه)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[٦] قوله: ((ليحضر)) ليس في (ج).[٧] زاد (ل): ((وفيه)).[٨] في (ج): ((بقدر)).[٩] في (م) و (ل): ((لما)).[١٠] في (ج): ((لما كان معالج)).[١١] في (ج): ((نخبر)).[١٢] في (ج): ((الإتيان عليه السلام)).[١٣] في (ج) و (م): ((الفاضل)).[١٤] في (ج): ((ليأتيها)).[١٥] قوله: ((أو من أجل غيره أو من أجله ومن أجل غيره معا)) ليس في (ط) و (م) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٦] زاد في (ج): ((السلام)).[١٧] في (ج) و (م) و (ل): ((الرحمة)).[١٨] في (م): ((الأقارب)).[١٩] في (ج) و (م) و (ل): ((أما)).[٢٠] في (ج) (م) و (ل): ((أن)).[٢١] قوله: ((الإجابة)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٢] قوله: ((عند الله تعالى)) ليس في (ج).[٢٣] في (ج): ((فهو)).[٢٤] في (ج) و (ل): ((أخضر)).[٢٥] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((ويذكر)).[٢٦] في المطبوع: ((وروى مالك في موطئه)).[٢٧] زاد (ل): ((عن بعض)).[٢٨] زاد (ل): ((محتاجون)).[٢٩] في النسخ: ((أحد)) ولعل المثبت هو الصواب وهو مطابق للمطبوع.[٣٠] في (م): ((للباب)).[٣١] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((إليه)).[٣٢] في (ج) صورتها: ((ضاجووره)) ولعله تصحيف.[٣٣] في (ج): ((إلا معه)).[٣٤] في (م): ((من)).[٣٥] في (م) و (ل): ((وعزمت)).[٣٦] قوله: ((الدخول)) ليس في (ج).[٣٧] قوله: ((عندي)) ليس في (م).[٣٨] قوله: ((في)) ليس في (م).[٣٩] قوله: ((له)) ليس في (ج).[٤٠] زاد (ل): ((فماذا)).[٤١] في (م): ((لها ذلك)).[٤٢] في (ج) و (م) و ل): ((جلوس النبي)).[٤٣] في (ج): ((مع القرب والبعد)).[٤٤] في (م) و (ل): ((القسم)).[٤٥] في (م): ((وجبل)).[٤٦] في (ج): ((يحيي)).[٤٧] العبارة في (ج) و (م) و (ل): ((المذنب فيعرض عنه ثم يدعوه فيعرض عنه ثم يدعوه)).[٤٨] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((قد)).[٤٩] في (م): ((وأجبت)).[٥٠] في (ج) و (م) و (ل): ((ولا هم أيضا استأذنوا)).[٥١] في (ج): ((رضي الله تعالى عنهم)).[٥٢] قوله: ((هو)) ليس في (ج) و (م).[٥٣] زاد في (ج):

((معه)).[٥٤] في (م): ((الجميع)).[٥٥] في (م): ((الباقين)).[٥٦] في (ل): ((الرفوع)).[٥٧] قوله: ((يكون)) ليس في (ط)، وقوله: ((أحدهما أن يكون)) ليس في (م) والمثبت من النسخ الأخرى.[٥٨] في (م): ((ظهر)).[٥٩] في (ج) و (م) و (ل): ((من)) بلا واو.[٦٠] في (م): ((معان)).[٦١] في (ج) و (م) و (ل): ((تقعقع)).[٦٢] في (م): ((يتقشقر)).[٦٣] في (ج) و (م) و (ل): ((يسوقه)).[٦٤] في (م): ((هذا)).[٦٥] في (ط): ((الذي)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٦٦] قوله: ((الحال)) ليس في (ج).[٦٧] في (ج) و (م) و (ل): ((طفل)).[٦٨] في (ج): ((شدة)).[٦٩] في (ل): ((وأنها)).[٧٠] في (ج) و (م) و (ل): ((أخبر)).[٧١] قوله: ((حتى يبلغ تلك المنزلة)) ليس في (م).[٧٢] في (ج): ((دموعه)).[٧٣] قوله: ((هو)) ليس في (ج) و (م).[٧٤] في (ج): ((المكاتبة)).[٧٥] في (ج): ((بالكلام)).[٧٦] قوله: ((أولى)) ليس في (ج).[٧٧] في (ج): ((تقدم)).[٧٨] في (ط) و (ل): ((إرشاد)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٧٩] قوله: ((رحمة)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[٨٠] في (ج) و (م) و (ل): ((موجبها)).[٨١] في (ج): ((منها)).[٨٢] في (م): ((وما)).[٨٣] في (ج): ((فمنها))، وفي (م): ((فمتى)).[٨٤] في (ل): ((أنه)) مكرر.[٨٥] قوله: ((الرحماء)) ليس في (ج) و (م).[٨٦] في (م) و (ل): ((فإنما)).[٨٧] قوله: ((وقوله عليه السلام: إنما يرحم الله من عباده الرحماء)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[٨٨] زاد في (ج) و (م): ((المؤمنين)).[٨٩] في (ج): ((صادر على))، وفي (م) و (ل): ((صادر عن)).[٩٠] في (ط) و (ل): ((المرحومين)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٩١] في (م): ((فيكون)).[٩٢] قوله: ((في)) ليس في (ج).[٩٣] في (م): ((معنى)).[٩٤] قوله: ((واحتمل أن تكون بمعنى ثبوت الحكم المذكور ولا ينتفي عن غيره)) ليس في (ط). وقوله: ((ونفيه عن غيره، واحتمل أن تكون بمعنى ثبوت الحكم المذكور ولا ينتفي عن غيره)) ليس في (ج). والمثبت من النسخ الأخرى.[٩٥] في (ج): ((كقوله)).[٩٦] في (ج): ((يكون)).[٩٧] في (م): ((الأهلية كقوله)).[٩٨] في (م): ((رحمة)).[٩٩] في (م) و (ل): ((ينتفي)).[١٠٠] في (ج) و (ل): ((شفع)).[١٠١] في (ج): ((وبقي)).[١٠٢] في (م): ((فيكون حقيقة)).[١٠٣] قوله: ((فيه دليل على)) ليس في (م).[١٠٤] في (ج): ((وهو)).[١٠٥] في (ط): ((عليه)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٠٦] قوله: ((إلا)) ليس في (م) و (ل).[١٠٧] في (ج) و (م) و (ل): ((يعارضنا قوله عليه الصلاة والسلام في حديث غير هذا)).[١٠٨] في (ج): ((يرسلها)).[١٠٩] في (ج) و (م): ((في)).[١١٠] قوله: ((هذا)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[١١١] زاد في (ج): ((الخلق))، وفي (م) و (ل): ((يعقدون الحلق)).[١١٢] في (ج): ((وكذلك)).[١١٣] في (م) و (ل): ((لذلك)).[١١٤] في (ج) و (م) و (ل): ((فيتصدق)).[١١٥] في (م): ((يروى)).[١١٦] في (ج): ((كثير)).[١١٧] قوله: ((فكيف)) ليس في (م).[١١٨] قوله: ((مثل)) ليس في (ج).[١١٩] قوله: ((تبكي)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٢٠] قوله: ((هو)) ليس في (ج) و (م)، وفي (ل): ((ومما يدل عليه أنه عنى)).[١٢١] في (ج) و (ل): ((كونه عليه الصلاة والسلام قسم الإيمان)).[١٢٢] في (ج): ((الحديث إيمان)).[١٢٣] زاد في (ج): ((الإيمان اتباع))، وزاد في (م): ((اتباع)).[١٢٤] في (ج): ((وهو على قسمين الكامل)).[١٢٥] في (ج): ((يدخل)).[١٢٦] قوله: ((الإيمان)) ليس في (ج) و (م).[١٢٧] في (ل): ((كان معه حاضرا)).[١٢٨] في (ل): ((إكمال)).[١٢٩] قوله: ((ومما يقوي ذلك أن المتكلم ... من الإيمان أيضا)) ليس في (ج)

و (م).[١٣٠] في (ج) و (م) و (ل): ((الصوفة)).[١٣١] في (م): ((يكثر)).[١٣٢] في (ج) و (م): ((بالطبيب)).[١٣٣] في (م): ((فقالوا)).[١٣٤] في (م): ((نداويك بشرط)).[١٣٥] في (م) و (ل): ((يبكى)).[١٣٦] زاد في (م) و (ل): ((هي)).[١٣٧] قوله: ((في)) ليس في (ج)، وفي (م) و (ل): ((هي)).[١٣٨] قوله: ((هذا)) ليس في (م).[١٣٩] في (م): ((الجسيم)).[١٤٠] في (ج): ((والأصل)).[١٤١] قوله: ((الصلاة)) ليس في (ج).[١٤٢] في (ج): ((قصد))، وفي (م) و (ل): ((وهذا تصديق)).[١٤٣] في (ج): ((في شعرا)).[١٤٤] في (م) و (ل): ((لو)) بلا واو.[١٤٥] في (ج) و (ل): ((مقبل)).[١٤٦] قوله: ((فيها)) ليس في (م) و (ل).[١٤٧] في (ج) و (ل): ((مقبل ..))، وقوله: ((فيها)) ليس في (م) و (ل)، وفي (المطبوع): ((فحسبك يا هذا إذا كنت عاقلا ... مقيل وكن فيها لزادك واعيا)).[١٤٨] في (ج): ((ويديك))، وفي (م): ((ويداك)).[١٤٩] في (ط) و (م): ((خاليا)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٥٠] قوله: ((لك)) ليس في (م).[١٥١] في (ج) و (ل): ((مفاجئ))، وقوله: ((لك)) ليس في (م).." [(١)]

"حديث: إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى...٦٨ - (عن أسامة بن زيد قال: أرسلت (١) ابنة (٢) النبي صلعم (٣) ...) (٤) الحديث. [خ¦١٢٨٤]...ظاهر الحديث يدل على جواز بكاء الرحمة، وهو أيضا دال عليها، والكلام عليه (٥) من وجوه:...منها: استحضار ذوي الفضل عند معالجة الموت، يؤخذ ذلك من توجيه ابنته صلعم ليحضر (٦) صلعم موت ابنها، وهو ؟ في وقته وفي كل وقت أفضل العباد....وفيه دليل على مراجعة صاحب المصيبة بالتصبر والتعزي. يؤخذ ذلك من مراجعة النبي صلعم لها ؟ وقوله ؟: «فلتصبر، ولتحتسب»...وفيه دليل على جواز الكناية عن الشيء بما يدل عليه. يؤخذ ذلك من قولها ؟: (إن ابنا لي قبض) وهو في قيد الحياة بعد (٧)، لكن لما (٨) كان يعالج (٩) سكرات الموت كنت عنه بالموت....وفيه دليل على أن من السنة أن يخبر (١٠) الذي يستدعى لماذا يراد؟ يؤخذ ذلك من قولها: (إن ابنا لي قبض فائتنا)، لأنها لم تطلب منه ؟ الإتيان (١١) إلا بعد ما أخبرته بموت ابنها....وفيه دليل على جواز القسم على الأفضل (١٢)، ويكون من باب الرغبة لا من باب الحلف واليمين. يؤخذ ذلك من قوله: (تقسم عليه ليأتينها (١٣))....وهنا بحث: هل كان مشيه ؟ في ثاني مرة من / أجل القسم، أو من أجل غيره، أو من أجله ومن أجل غيره معا (١٤)؟ وكيف امتنع ؟ أولا من المشي مع ما طبع عليه (١٥) من حسن الشيم والرحمة (١٦) للأباعد؟ فكيف للأقارب (١٧)؟...فأما (١٨) سبب امتناعه ؟ أولا فلوجهين:... (أحدهما): ما (١٩) يبين أن هذه الدعوة ليست مما هي واجبة الإجابة (٢٠) بخلاف دعوة النكاح....و (الثاني): من أجل ممكن أن يتعلق قلبها لمكانته ؟ عند الله تعالى (٢١) أنه يدفع عن الطفل شيئا فأخبرها ؟ أن هذا أمر ما لأحد فيه حيلة. يؤخذ ذلك من قوله ؟: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى»، وهذا من المؤخر في اللفظ، المقدم في المعنى، كأنه ؟ يقول: ما أعطاك الله من الولد فهو له، وأخذه أيضا هو (٢٢) له، فإنه لم يأخذ حتى أعطى، فلما لم يكن في المعنى إلباس جاز التقديم والتأخير، كما قال ؟ في كتابه العزيز: ﴿الذي أخرج المرعى. فجعله غثاء أحوى﴾ [الأعلى:٤ - ٥]....ولا يكون غثاء حتى يكون أحوى، والغثاء هو اليابس، فلما علم أنه لا يكون يابسا حتى يكون أخضرا (٢٣)، جاز التقديم لعدم الإلباس،

---

(١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها ولها/٦٧

وهذا في لسان العرب من الفصيح، ثم أخبرها بحكم الله عليها في ذلك وهو الصبر والاحتساب (٢٤)....ويذكر (٢٥) أن بعض (٢٦) العلماء كانت له زوجة يحبها فلما ماتت وجد عليها حتى احتجب عن الناس، وكان الناس محتاجين (٢٧) إليه لعلمه وفضله فتأتيه المسائل فيدخل بها الخديم، ويخرج بالجواب عليها، فلما طال ذلك به بلغ إحدى (٢٨) المتعبدات حاله فأتت الباب (٢٩) وقالت للخديم: لي (٣٠) ضرورة (٣١) ولا يمكن الكلام معه إلا (٣٢) مشافهة، فأبى الخديم من الدخول بها إليه، / فذهب الناس وبقيت المرأة لم تبرح من مكانها، فطمع الخديم أن يصرفها عن (٣٣) الباب فلم تفعل، وزعمت (٣٤) أنها لا بد لها من رؤيته....فلما طال جلوسها أخبر الخديم الشيخ بأمرها فأذن لها في الدخول، (٣٥) فقالت: يا سيدي إن جيرانا لي استعرت منهم حليا أن أحضر به عرسا فأعاروه لي، ثم تركوه لي بعد زمانا أتزين به ثم الآن قد طلبوه، ونفسي تأبى رده فقال لها: لا يحل لك حبسه، فإنه عارية والعارية مؤداة، حكم من الله ؟ ورسوله صلعم، قالت: يا سيدي كان عن يوم وتركوه عندي (٣٦) سنين، فقال: أحق وأجدر أن تسارعي في رده؛ لأنهم زادوك على المعروف معروفا، فرامت به أن يفسح لها في ذلك في (٣٧) شيء وهو يغلظ عليها، فقالت له (٣٨): يا سيدي أوليس زوجتك أنت من جملة ما استعاركها الله وأخذ متاعه؟ فحزنك أنت واحتجابك عن الناس مماذا (٣٩)؟ فارتجع إلى نفسه، وشكر ذلك لها (٤٠) وخرج من حينه....فكان جلوسه (٤١) صلعم أولا ليقعد الأحكام الشرعية مع القريب ومع البعيد (٤٢) على حد سواء، وأما مشيه ؟ في ثاني مرة فإبرار للقسم (٤٣) وشفقة ورحمة كما جبل عليها وجبر (٤٤) لخاطرها لما أمن التوقع الأول، وفي هذا دليل لأهل الطريق الذين يقولون بجبر (٤٥) القلوب....وفيه دليل على أن الأجل لا يزيد ولا ينقص لقوله ؟: «بأجل مسمى» / وهنا إشارة وهي أن أهل الفضل لا يقطع الإياس من فضلهم وإن ردوا، يؤخذ ذلك من ردها الرسول ثانية بعدما امتنع ؟ من المشي أولا هذا طمع في فضل مخلوق فكيف في فضل من ليس كمثله شيء؟...ولذلك جاء عنه جل جلاله أنه يدعوه العبد المذنب فيعرض الله عنه، ويدعوه فيعرض الله عنه، فيدعوه (٤٦) فيقول جل جلاله: «ملائكتي أما ترون عبدي؟ يعلم أنه ليس له من يدعو غيري، أشهدكم أني (٤٧) غفرت له، وقبلت (٤٨) دعاءه»....وقوله: (فقام رسول الله صلعم ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجال) فيه من الفقه جواز المشي إلى المآتم بغير إذن بخلاف الوليمة، يؤخذ ذلك من مشي هؤلاء معه صلعم ولم يستدعهم ولا استأذنوا هم أيضا (٤٩)....وفيه دليل على تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم (٥٠) له صلعم، يؤخذ ذلك من كونه لما قام هو (٥١) صلعم قام معه من كان (٥٢) هناك تعظيما له ؟....ويؤخذ منه أنه لا يسمى من الجمع (٥٣) إلا أعيانه، وذلك من الاختصار والإبلاغ في الفصاحة، يؤخذ ذلك من كونه سمى الأربعة لمكانتهم وأجمل الباقي (٥٤) بلفظ: (رجال)....وقوله: (ورفع الصبي إلى رسول الله صلعم) الرفع (٥٥) هنا احتمل معنيين:... (أحدهما): أن يكون (٥٦) بمعنى كشف له عنه كقوله / ؟: «ورفع لي البيت المعمور» أي: أظهر (٥٧) لي. و (الثاني): أن يكون بمعنى وضع في حجره، ومن (٥٨) قولهم: رفعت زيدا إلى الفراش أي: جعلته عليه، واحتملا معا (٥٩)....وقوله: (ونفسه تتقعقع (٦٠) كأنها شن) الشن هو الزق البالي إذا بلي يتقشر (٦١) ويتشقق فمن يأخذه يجد له صوتا من كل نواحيه فشبه ذلك السياق الذي كان يسوق (٦٢) الصبي لشدته وكثرته بصوت هذه (٦٣) القرب البوالي التي (٦٤) لا ينفصل عنها ذلك الحال (٦٥)....وفيه دليل على أن شدة الموت وخفته ليس فيه علامة على السعادة ولا على الشقاوة، يؤخذ ذلك من كون هذا

الطفل (٦٦) لا تكليف عليه وهو يشدد (٦٧) عليه، بل هذه حكمة استأثر بها الله تعالى، وقد قال صلعم في موت الفجاة: «إنها (٦٨) تعجيل لأحد الدارين» وقد قال (٦٩) ؟: «أن المؤمن تبقى له منزلة لم يبلغها بعمله، فيشدد عليه الموت حتى يبلغ تلك المنزلة (٧٠)»....وقوله: (وفاضت عيناه) يريد: عينا رسول الله صلعم بدموعه (٧١) المباركة بغير صوت وتلك الدمعة هي دمعة الرحمة كما أخبر هو (٧٢) صلعم....وقوله: (فقال له سعد: يا رسول الله، ما هذا؟) هنا من الفقه وجوه:...منها: أن من أدب الدين أن يكون كبير القوم هو الذي يستفتح الكلام أولا، يؤخذ ذلك من أن هذا لمكانته (٧٣) في الصحابة ؟ وعنهم هو الذي ابتدأ الكلام (٧٤)، والكل رأوا ما رأى هو فالتزموا الأدب بعضهم مع بعض وهو المعلوم / منهم أن يتكلم الذي هو أولى (٧٥) أولا....ومنها: أن الأدب مطلوب في السؤال، يؤخذ ذلك من قول سعد: (ما هذا؟) سؤال إرشاد لا إنكار، ويؤخذ منه أن الأدب مع الأكابر أن يقدم (٧٦) ذكر أسمائهم أول الكلام، يؤخذ ذلك من قوله: (يا رسول الله، ما هذا؟) فقدم اسمه ؟ أولا، ويؤخذ منه أن من حسن السؤال الإيجاز فيه، يؤخذ ذلك من قوله: (ما هذا؟) سؤال استرشاد (٧٧) ولم يزد على ذلك شيئا....وقوله صلعم: (هذه) يعني الدمعة؛ لأنها خرجت بغير صوت....وقوله ؟: (رحمة (٧٨) جعلها الله في قلوب عباده) هنا من الفقه أن الذي تكلم الناس فيه في شأن الدموع وما يوجبها (٧٩) أنه باطل؛ لأنهم ذكروا فيها (٨٠) نحو الخمسة أو الستة أقاويل، أو ما (٨١) يقرب من ذلك، فمما (٨٢) استحسن منها أنه (٨٣): عرق القلب من خجل الذنوب وبه يطرزون تلك الأقاويل، وقد أخبر هنا الصادق ؟ (أنها خلق من خلق الله استودعها قلوب عباده الرحماء) (٨٤)....وقوله ؟: «إنما (٨٥) يرحم الله من عباده الرحماء» (٨٦) دل بهذا أن هذه الدموع صادرة عن الرحمة التي في قلوب (٨٧) الذين جعلت الرحمة في قلوبهم، فكما الفهم في العلوم صادرة عن (٨٨) النور الذي في قلوب العلماء، فكذلك هذه الدمعة صادرة عن المرحومين الذين جعلت الرحمة في قلوبهم حكمة حكيم....وقوله ؟: (فإنما يرحم الله من عباده الرحماء) هذا اللفظ محتمل معنيين: (أحدهما): أن يكون على ظاهره وهو منع / الرحمة مما سوى الراحمين (٨٩) فتكون (٩٠) (إنما) على بابها لحصر الحكم في (٩١) المذكور ونفيه عن غيره، و (احتمل) أن تكون بمعنى (٩٢) ثبوت الحكم المذكور ولا ينتفي عن غيره (٩٣) كقولهم (٩٤): إنما الجميل يوسف أثبتوا له الجمال ولم ينفوه عن غيره، وقد تكون (٩٥) بمعنى الاستحقاق لهم بما فيهم من الأهلية كمعنى قوله (٩٦) تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت (٩٧) الله﴾ [البقرة:٢١٨] أي: يحق لهم الرجاء لما وعدوا، والآخرون يرجون لكن على غير سبب، احتمل الوجهين معا....والأظهر أنها لتخصيص الحكم بالمذكورين ولا ينفي (٩٨) ذلك عن غيرهم بدليل أنه قد جاء: «إن لله نفحات من الرحمة يصيب بها من يشاء ممن فيه رحمة وغيره»، وقد جاء: «أنه تشفع الرسل والأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام والعلماء والصالحون، ثم يقول ؟: شفعت الأنبياء، شفعت الملائكة، شفعت (٩٩) الصالحون، وبقيت (١٠٠) شفاعة أرحم الراحمين، فيخرج من النار قبضة ممن قد حبسهم القرآن»....اللهم إلا إن جعلنا هذه الرحمة بمعنى الإيمان، ويكون المراد به الإيمان الكامل فهؤلاء هم أهل الرحمة حقيقة فيكون (١٠١) فيه دليل على (١٠٢) أن هذه الرحمة لا يخص بها إلا أهل الإيمان المذكورين وهي (١٠٣) سبب الخشوع، وقد أثنى ؟ عليهم (١٠٤) في كتابه حيث قال: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون:٢] فتكون على بابها لتعلق الحكم بالمذكورين / ونفيها عن غيرهم ممن خالف الإيمان على عمومه لا على خصوصه إلا (١٠٥) في إيجاب الرحمة لهم لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن

يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨]....وهنا بحث: وهو أنه يعارضنا في حديث غير هذا قوله ؟ (١٠٦): «إذا استكمل نفاق المرء كانت عيناه بحكم يده يرسلهما (١٠٧) متى شاء» فهل بينهما فرق أم لا؟...فالجواب: أما الظاهر فالتعارض فيه موجود؛ لأن هذه دمعة خارجة من (١٠٨) عالم الحس وهذه مثلها، وإذا نظرنا إلى الشروط بان الحق وظهر، ولم يبق بينهما تعارض....والشرط الذي بينهما أن التي هي صادرة عن استكمال النفاق يكون خروجها باختيار النفس بغير موجب....وقد يمسكها عند الموجب كما يشاهد هذا (١٠٩) الناس على مرور الزمان من هؤلاء الغرباء الذين يقعدون (١١٠) ويطلبون الناس ويصفون عن أنفسهم أنهم كانوا وكانوا، وذلك (١١١) كله كذب يعلم ذلك منهم من يعرفهم أصلا وفرعا، فإذا جاءوا عند معظم وصفهم ذلك (١١٢) الكذب يبكون وتجري الدموع من أعينهم مثل القطر يظن الرائي لهم أن ذلك حق فتشفق النفوس لهم ويتصدق (١١٣) عليهم، وهذا مروي (١١٤) عنهم كثيرا (١١٥) ولو لم يكن في هذا إلا الكتاب الذي ينسب إلى بني ساسان ووصف أحوالهم لكان كافيا فكيف (١١٦) والناس يرون ذلك منهم معاينة؟...وأما الدمعة التي هي كما أخبر الصادق ؟ فتخرج كما خرجت / منه صلعم وذلك عند الموجب مثل (١١٧) تذكار الموت أو الشفقة مثل مارأى ؟ من تلك النسمة وما كانت تعالج من سكرات الموت مع صغرها، أو من خشية من الله ؟، أو ما يكون مثل ذلك من فكرة فيه كما روي عنه صلعم (أنه دخل يوما على فاطمة ؟ وهي تبكي (١١٨) بكاء كثيرا فسألها صلعم فقالت في معنى كلامها: أنه ما أبكاها شيء إلا فكرها في القبر وما فيه)، فهذا كله نوع واحد يقتضيه حقيقة الإيمان الكامل....ومما يدل على أنه إنما عنى هو (١١٩) صلعم النوع لا الجنس بقوله: (هذه) وأشار إلى الدمعة كونه ؟ قسم الإيمان (١٢٠) في غير هذا الحديث على قسمين (١٢١) فقال: «الإيمان إيمانان: إيمان لا يدخل صاحبه النار ــ وهو الإيمان مع (١٢٢) الأمر والنهي وهو الإيمان الكامل (١٢٣) ــ وإيمان لا يخلد (١٢٤) صاحبه في النار، وهو الإيمان (١٢٥) الذي معه بعض المعاصي»....ومما يقوي ذلك أن المتكلم وهو سعد ومن كان حاضرا معه (١٢٦) لم تدمع لأحد منهم عين إلا عينه صلعم وذلك لكمال (١٢٧) الإيمان هناك؛ لأنه ؟ بالإجماع أكمل الناس إيمانا، ولذلك قال عند موت ابنه إبراهيم: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب» لأن الدمع والحزن هما عند الموجبات من الإيمان كما أن ترك ما يسخط الرب من الإيمان أيضا (١٢٨)....وفيه دليل لأهل الطريق (١٢٩) في كثرة بكائهم؛ لأن النبي صلعم / قد جعل ذلك علما على الرحمة التي في القلوب، وقد روي عن بعضهم أنه كان كثير (١٣٠) البكاء فرمدت عيناه فأتوا له بالطبيب (١٣١) فقال (١٣٢) له: نداويك على شرط (١٣٣) أنك لا تبكي مادام بعينيك رمد، فقال ؟: وأي فائدة في عين لا يبكى (١٣٤) بها؟ والله لا ألتزم هذا الشرط ولا حاجة لي بدوائكم، بل أموت في البكاء، وهل راحة الشجي إلا في أدمعه؟!...وفائدة هذا الحديث (١٣٥) هي تذكار هذا (١٣٦) الأمر العظيم الحتم (١٣٧) الذي لا هرب لأحد منه، والأخذ (١٣٨) في الاستعداد لذلك قبل هجومه إذ وهذا السيد عليه أفضل الصلاة (١٣٩) والسلام لا يقدر في دفع هذا الأمر عن أحد من أهله ولا عن نفسه المكرمة فما بالك بالغير؟ تصديقا (١٤٠) لقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران:١٨٥]. وقد قال بعض الحكماء في شعر له (١٤١):ولو (١٤٢) كانت الدنيا تدوم لأهلها...لكان رسول الله حيا وباقيافحسبك [يا هذا] إذا كنت عاقلا...مقيل (١٤٣) وكن فيها

(١٤٤) لزادك واعياواحذر هجمات الحمام بلا زاد...ويدك (١٤٥) من التقوى خالية (١٤٦)وكن عبدا مطيعا، فالحمام...لا بد لك (١٤٧) مفاجيا (١٤٨)[١] في (ج) و (م) و (ل): ((الموجود .. قوله أرسلت)).[٢] في (ج) و (م): ((بنت)).[٣] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((تسأله)).[٤] لم يذكر في (ج) و (م) و (ل) راوي الحديث وابتدأ بقوله: ((قوله: أرسلت))، ثم زاد في النسخ المذكورة كلمة: ((تسأله)) في هذا الموضع، وقد ذكر في حاشية (ل) تتمة الحديث: ((إن ابنا قبض فأتنا فأرسل يقرأ السلام ويقول إنا لله ما أخذ وله ما أعطا وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إلى رسول الله صلعم الصبي ونفسه تتقعقع قال حسبت أنه قال كأنها شن وفاضت عيناه، فقال سعد: يارسول الله ماهذا؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)).[٥] قوله: ((عليه)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[٦] قوله: ((ليحضر)) ليس في (ج).[٧] في (ج): ((بقدر)).[٨] في (م) و (ل): ((لما)).[٩] في (ج): ((لما كان معالج)).[١٠] في (ج): ((نخبر)).[١١] في (ج): ((الإتيان ؟)).[١٢] في (ج) و (م): ((الفاضل)).[١٣] في (ج): ((ليأتيها)).[١٤] قوله: ((أو من أجل غيره أو من أجله ومن أجل غيره معا)) ليس في (ط) و (م) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٥] زاد في (ج): ((السلام)).[١٦] في (ج) و (م) و (ل): ((الرحمة)).[١٧] في (م): ((الأقارب)).[١٨] في (ج) و (م) و (ل): ((أما)).[١٩] في (ج) (م) و (ل): ((أن)).[٢٠] قوله: ((الإجابة)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢١] قوله: ((عند الله تعالى)) ليس في (ج).[٢٢] في (ج): ((فهو)).[٢٣] في (ج) و (ل): ((أخضر)).[٢٤] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((ويذكر)).[٢٥] في المطبوع: ((وروى مالك في موطئه)).[٢٦] زاد (ل): ((عن بعض)).[٢٧] زاد (ل): ((محتاجون)).[٢٨] في النسخ: ((أحد)) ولعل المثبت هو الصواب وهو مطابق للمطبوع.[٢٩] في (م): ((للباب)).[٣٠] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((إليه)).[٣١] في (ج) صورتها: ((ضاجووره)) ولعله تصحيف.[٣٢] في (ج): ((إلا معه)).[٣٣] في (م): ((من)).[٣٤] في (م) و (ل): ((وعزمت)).[٣٥] قوله: ((الدخول)) ليس في (ج).[٣٦] قوله: ((عندي)) ليس في (م).[٣٧] قوله: ((في)) ليس في (م).[٣٨] قوله: ((له)) ليس في (ج).[٣٩] زاد (ل): ((فماذا)).[٤٠] في (م): ((لها ذلك)).[٤١] في (ج) و (م) و (ل): ((جلوس النبي)).[٤٢] في (ج): ((مع القرب والبعد)).[٤٣] في (م) و (ل): ((القسم)).[٤٤] في (م): ((وجبل)).[٤٥] في (ج): ((يحيي)).[٤٦] العبارة في (ج) و (م) و (ل): ((المذنب فيعرض عنه ثم يدعوه فيعرض عنه ثم يدعوه)).[٤٧] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((قد)).[٤٨] في (م): ((وأجبت)).[٤٩] في (ج) و (م) و (ل): ((ولا هم أيضا استأذنوا)).[٥٠] في (ج): ((؟)).[٥١] قوله: ((هو)) ليس في (ج) و (م).[٥٢] زاد في (ج): ((معه)).[٥٣] في (م): ((الجميع)).[٥٤] في (م): ((الباقين)).[٥٥] في (ل): ((الرفوع)).[٥٦] قوله: ((يكون)) ليس في (ط)، وقوله: ((أحدهما أن يكون)) ليس في (م) والمثبت من النسخ الأخرى.[٥٧] في (م): ((ظهر)).[٥٨] في (ج) و (م) و (ل): ((من)) بلا واو.[٥٩] في (م): ((معان)).[٦٠] في (ج) و (م) و (ل): ((تقعقع)).[٦١] في (م): ((يتقشقر)).[٦٢] في (ج) و (م) و (ل): ((يسوقه)).[٦٣] في (م): ((هذا)).[٦٤] في (ط): ((الذي)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٦٥] قوله: ((الحال)) ليس في (ج).[٦٦] في (ج) و (م) و (ل): ((طفل)).[٦٧] في (ج): ((شدة)).[٦٨] في (ل): ((وأنها)).[٦٩] في (ج) و

(م) و (ل): ((أخبر)).[٧٠] قوله: ((حتى يبلغ تلك المنزلة)) ليس في (م).[٧١] في (ج): ((دموعه)).[٧٢] قوله: ((هو)) ليس في (ج) و (م).[٧٣] في (ج): ((المكاتبة)).[٧٤] في (ج): ((بالكلام)).[٧٥] قوله: ((أولى)) ليس في (ج).[٧٦] في (ج): ((تقدم)).[٧٧] في (ط) و (ل): ((إرشاد)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٧٨] قوله: ((رحمة)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[٧٩] في (ج) و (م) و (ل): ((موجبها)).[٨٠] في (ج): ((منها)).[٨١] في (م): ((وما)).[٨٢] في (ج): ((فمنها))، وفي (م): ((فمتى)).[٨٣] في (ل): ((أنه)) مكرر.[٨٤] قوله: ((الرحماء)) ليس في (ج) و (م).[٨٥] في (م) و (ل): ((فإنما)).[٨٦] قوله: ((وقوله ؟: إنما يرحم الله من عباده الرحماء)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[٨٧] زاد في (ج) و (م): ((المؤمنين)).[٨٨] في (ج): ((صادر على))، وفي (م) و (ل): ((صادر عن)).[٨٩] في (ط) و (ل): ((المرحومين)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٩٠] في (م): ((فيكون)).[٩١] قوله: ((في)) ليس في (ج).[٩٢] في (م): ((معنى)).[٩٣] قوله: ((واحتمل أن تكون بمعنى ثبوت الحكم المذكور ولا ينتفي عن غيره)) ليس في (ط). وقوله: ((ونفيه عن غيره، واحتمل أن تكون بمعنى ثبوت الحكم المذكور ولا ينتفي عن غيره)) ليس في (ج). والمثبت من النسخ الأخرى.[٩٤] في (ج): ((كقوله)).[٩٥] في (ج): ((يكون)).[٩٦] في (م): ((الأهلية كقوله)).[٩٧] في (م): ((رحمة)).[٩٨] في (م) و (ل): ((ينتفي)).[٩٩] في (ج) و (ل): ((شفع)).[١٠٠] في (ج): ((وبقي)).[١٠١] في (م): ((فيكون حقيقة)).[١٠٢] قوله: ((فيه دليل على)) ليس في (م).[١٠٣] في (ج): ((وهو)).[١٠٤] في (ط): ((عليه)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٠٥] قوله: ((إلا)) ليس في (م) و (ل).[١٠٦] في (ج) و (م) و (ل): ((يعارضنا قوله ؟ في حديث غير هذا)).[١٠٧] في (ج): ((يرسلها)).[١٠٨] في (ج) و (م): ((في)).[١٠٩] قوله: ((هذا)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[١١٠] زاد في (ج): ((الخلق))، وفي (م) و (ل): ((يعقدون الحلق)).[١١١] في (ج): ((وكذلك)).[١١٢] في (م) و (ل): ((لذلك)).[١١٣] في (ج) و (م) و (ل): ((فيتصدق)).[١١٤] في (م): ((يروى)).[١١٥] في (ج): ((كثير)).[١١٦] قوله: ((فكيف)) ليس في (م).[١١٧] قوله: ((مثل)) ليس في (ج).[١١٨] قوله: ((تبكي)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[١١٩] قوله: ((هو)) ليس في (ج) و (م)، وفي (ل): ((ومما يدل عليه أنه عنى)).[١٢٠] في (ج) و (ل): ((كونه ؟ قسم الإيمان)).[١٢١] في (ج): ((الحديث إيمان)).[١٢٢] زاد في (ج): ((الإيمان اتباع))، وزاد في (م): ((اتباع)).[١٢٣] في (ج): ((وهو على قسمين الكامل)).[١٢٤] في (ج): ((يدخل)).[١٢٥] قوله: ((الإيمان)) ليس في (ج) و (م).[١٢٦] في (ل): ((كان معه حاضرا)).[١٢٧] في (ل): ((إكمال)).[١٢٨] قوله: ((ومما يقوي ذلك أن المتكلم ... من الإيمان أيضا)) ليس في (ج) و (م).[١٢٩] في (ج) و (م) و (ل): ((الصوفة)).[١٣٠] في (م): ((يكثر)).[١٣١] في (ج) و (م): ((بالطبيب)).[١٣٢] في (م): ((فقالوا)).[١٣٣] في (م): ((نداويك بشرط)).[١٣٤] في (م) و (ل): ((يبكى)).[١٣٥] زاد في (م) و (ل): ((هي)).[١٣٦] قوله: ((هذا)) ليس في (م).[١٣٧] في (م): ((الجسيم)).[١٣٨] في (ج): ((والأصل)).[١٣٩] قوله: ((الصلاة)) ليس في (ج).[١٤٠] في (ج): ((قصد))، وفي (م) و (ل): ((وهذا تصديق)).[١٤١] في (ج): ((في شعرا)).[١٤٢] في (م) و (ل): ((لو)) بلا واو.[١٤٣] في (ج) و (ل): ((مقبل)).[١٤٤] قوله: ((فيها)) ليس في (م) و (ل).[١٤٥] في (ج): ((ويديك))، وفي (م): ((ويداك)).[١٤٦] في (ط) و (م): ((خاليا)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٤٧] قوله: ((لك)) ليس في

(م).[١٤٨] في (ج) و (ل): ((مفاجئ))، وقوله: ((لك)) ليس في (م).ــــــحديث: من رأى منكم الليلة رؤيا٦٩ – (عن سمرة بن جندب، قال [١]:كان النبي [٢] صلى الله عليه وسلم إذا صلى [٣] صلاة أقبل علينا بوجهه [٤]) الحديث. [خ¦١٣٨٦]ظاهر الحديث يدل على دوام سؤال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم إثر الصلاة عن من رأى منهم رؤيا، وعلى دوام تعبيرها [٥] لهم، وأنه صلى الله عليه وسلم أخبرهم في هذا اليوم الذي لم ير أحد منهم ما [٦] رأى هو [٧] عليه الصلاةج ٢ ص ١٣٩والسلام في نومه، والكلام عليه من وجوه:منها قوله: (صلاة) هل المراد بها العموم وهي الخمس [٨] أو واحدة منها وهي الصبح؟ وما الحكمة في دوامه عليه السلام على ذلك؟ ولم أخبرهم عليه السلام بهذه الرؤيا؟.فالجواب: أن الظاهر [٩] من قوله: (صلاة) أنها [١٠] صلاة الصبح، بدليل قوله عليه السلام: ((من رأى منكم الليلة رؤيا؟)) فهذا ما يكون إلا إثر صلاة الصبح.وفيه من الفقه جواز جلوس الإمام في مصلاه إذا أدار وجهه إلى الجماعة، وأن ذلك يقوم [١١] مقام القيام، وأن ذلك [١٢] هو السنة ردا على من يقول: إنه لابد أن يقوم من موضعه [١٣]، حتى إن بعض من ينسب إلى التشديد في الدين من الأئمة يقوم من حين فراغه من صلاته كأنما ضرب بشيء يؤلمه، ويجعل ذلك من الدين، ويفوته بذلك خيران عظيمان:(أحدهما): استغفار الملائكة له مادام في مصلاه الذي صلى فيه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الملائكة تصلي على أحدكم [١٤] ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه)).و (الثاني): مخالفته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي نص في هذا الحديث حيث قال: (كان [١٥] إذا صلى [١٦] صلاة أقبل علينا بوجهه) ليس إلا، ولم يذكر أنه قام، ولو كان لم يقبل بوجهه عليهم إلا بعد القيام لأخبر بذلك؛ لأنهم رضي الله عنهم بأقل من هذا من فعله عليه السلام يخبرون به ليقتدى به، وعلى هذا أدركتج ٢ ص ١٤٠بالأندلس كل من لقيت [١٧] من الأئمة المقتدى بهم في غالب الأمر يقبلون بوجوههم على الجماعة من غير قيام.وأما دوامه عليه السلام على ذلك فلأنها من النبوة فيحض الناس على الاعتناء بها؛ لأنه إذا كان هو [١٨] صلى الله عليه وسلم يعتني بها [١٩] وجب علينا [٢٠] اتباعه في ذلك لو لم تكن من النبوة، فكيف وهي من النبوة؟ولوجه آخر؛ لأنها كانت بداية [٢١] الخير له عليه السلام وللمسلمين؛ لأنه: ((أول ما بدئ به الرؤيا الصالحة في النوم)) كما هو [٢٢] الحديث أول الكتاب [خ¦٣]، وحسن العهد من [٢٣] الإيمان، ومن أولى بحسن العهد منه عليه السلام لقوة إيمانه وكماله [٢٤]؟وأما كونه عليه السلام يفسرها لهم فذلك تعليم [٢٥] وإرشاد لكيفية التعبير وهو لمن يعرفه من جملة المنن [٢٦] عليه [٢٧] كما قال يوسف عليه السلام: ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ [يوسف: ٣٧] وكلما علمه الآدمي مما لم يكن يعلمه [٢٨] فهو من جملة النعم عليه.وأما إخباره عليه السلام لهم برؤيته [٢٩] تلك الرؤيا فلأنها [٣٠] وحي؛ لأن رؤيا الأنبياء عليهم السلام كلها وحي بإجماع [٣١] العلماء [٣٢]، وما يكون وحيا فلا يجوز له كتمه لأنه [٣٣] حكم من الله تعالى لعباده، ولأن [٣٤] تلك الأحكام المذكورة فيها _ على ما نبين بعد إن شاء الله _ أحكام ثابتة وفوائد جملة [٣٥] لمن فهم، فأراد الإخبار بتلك الأحكام والفوائد [٣٦].وقوله عليه السلام: (رأيت الليلة رجلين) زيادة تأكيد أيضا [٣٧] لما قدمناه [٣٨]ج ٢ ص ١٤١من أنها صلاة الصبح.وقوله عليه السلام: (أتياني) أي: جاءاني [٣٩] لموضعي الذي كنت فيه.وقوله عليه السلام: (فأخذا بيدي، فأخرجاني [٤٠] إلى الأرض المقدسة) الأرض المقدسة: هي بيت المقدس.وهنا بحث في إخراجه عليه السلام في النوم إلى الأرض المقدسة؛ لم خصت من بين الأرض بأن أري له عليه السلام فيها تلك الأمور

التي في الرؤيا ولم يكن [٤١] في غيرها من الأرض؟.فالجواب: أن الحكيم [٤٢] كما قدمنا [٤٣] أولا لا يعمل [٤٤] شيئا من الأشياء [٤٥] بحكم الوفاق، وإنما يعمله [٤٦] لحكمة عقلها من عقلها وجهلها من جهلها، والحكمة هنا تظهر من وجهين [٤٧]:(أحدهما): لأنها هي موضع المحشر كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم فأري له عليه السلام الأمر في موضعه الذي فيه يكون.و (الوجه الآخر) [٤٨]: نسبة إسرائه عليه السلام في اليقظة كنسبة [٤٩] إسرائه في النوم؛ لأنه حق والحق لا يتبدل، فأول ما أسري به عليه السلام [٥٠] ليلة الإسراء إلى بيت المقدس، وهذه إلى بيت المقدس، فإن [٥١] كانت هذه أولا فهي [٥٢] تدريج، وهو حاله عليه السلام في سلوكه، وهو أجل الأحوال على ما تقدم الكلام فيه، وإن كانت هي الآخرة فتكون إبقاء [٥٣] لأثر القرب والإيناس كما يأتي في موضعه من حديث الإسراء إن شاء الله تعالى.وقوله عليه السلام: (فإذا رجل جالس، ورجل قائم بيده كلوب من حديد، قال بعض أصحابنا عن [٥٤] موسى: إنه يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتج ٢ ص ١٤٢يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه [٥٥] الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق). الكلوب: حديدة ذات فخذين معوجة الأطراف.وفيه دليل على عظم قدرة الله عز وجل إذ إن أمور الآخرة ليست كأمور الدنيا في الغالب، يؤخذ ذلك من كون الشدق الواحد يلتئم بينما [٥٦] يدخل الكلوب في الآخر، ولو خرق الشدق في هذه الدار ما التأم إلا بعد أيام عديدة.ويترتب على هذا من الفقه أن عذاب تلك الدار أضعاف مضاعفة من عذاب [٥٧] هذه الدار كما قال تعالى [٥٨]: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ [إبراهيم: ١٧] وكون تلك الحديدة معوجة الطرفين؛ فلأنها أكثر في الإيلام [٥٩]، وكونه جالسا [٦٠] بين يديه فلأنه [٦١] أمكن له في التمكن من عذابه.وفيه دليل على أن العذاب يكون في الجارحة التي كانت بها المعصية في الدنيا كما قال تعالى [٦٢]: ﴿جزاء وفاقا﴾ [النبأ: ٢٦]، يؤخذ ذلك من إخباره [٦٣] بعد في الحديث أنه يفعل بالكذاب [٦٤].وهنا بحث وهو: هل هذا الذي رآه صلى الله عليه وسلم مع كونه حقا [٦٥] هل ذلك مثال يعرف به [٦٦] الحكم وترى له الكيفية؟ أو ذلك حقيقة أري له بعض أهل تلك المعصية على ما هم فيه [٦٧]؟ محتمل، فإنه [٦٨] عليه السلام لم يخبر أنه رأى من أهل هذا الحال إلا واحدا [٦٩]، وبالقطع إن أهل ذلك الذنب عدد كثير، فالقدرة [٧٠] صالحة للوجهين معا.وهل الموضع الذي رآه فيهج ٢ ص ١٤٣عليه السلام [٧١] أيضا بالأرض المقدسة [٧٢] هو موضعه الذي كان دفنه [٧٣] فيه؟ أو فسح [٧٤] له عليه السلام من الأرض المقدسة حتى رآه في موضعه على حاله ذلك؟ فالقدرة [٧٥] أيضا صالحة للوجهين معا.وفيه أيضا دليل على عظيم [٧٦] قدرة القادر.وفيه دليل على أن من [٧٧] الفصيح في الكلام الحذف والاختصار إذا لم ينقص ذلك من المعنى شيئا، يؤخذ ذلك من قوله: (يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه) ولم يذكر كونه يشقه بعد، فحذف ذلك للدلالة عليه بقوله: (فيلتئم [٧٨] شدقه هذا) فلو كان ثقبا دون شق ما احتاج [٧٩] أن يبين أنه لا يرجع إلى الآخر إلا وهو قد التأم؛ لأنه إذا ثقب موضع من الشدق الواحد بقي منه مواضع غير ذلك [٨٠] فيرجع فيثقب فيها فيكون أكثر في تألمه لكونه [٨١] يبقى له جرح ويجرح جرحا [٨٢] آخر في جنب الجرح الأول، لكن لما كان شق لم يبق له فيه لما يرجع إلا أن يلتئم، فكذلك [٨٣] بين بقوله: (فيلتئم).وقوله: (فانطلقنا) أي: سرنا. وقوله: (حتى أتينا) أي: بلغنا.وقوله صلى الله عليه وسلم [٨٤]: (رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة).الفهر: الحجر المدور [٨٥]، والصخرة حجر مبسوط.وقوله: (فيشدخ به رأسه) أي: يكسره ويبالغ في كسره.وقوله عليه السلام: (فإذا

ضربه تدهده [٨٦] الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا [٨٧] حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه، فضربه) هذه الصفة كناية عن شدة الضربة بالحجر؛ لأنه إذا ضرب به حتى زال عن [٨٨]ج ٢ ص ١٤٤يده وذهب إلى بعد منه من حيث يحتاج أن يمشي [٨٩] إليه وحينئذ يأخذه، فهذه الصفة عندنا في هذه الدار معلومة أنه إذا كان الذي يضرب بالحجر ذو قوة بعد ضرب الحجر في الشيء الذي يضرب به ويذهب [٩٠] عنه إلى بعد، وربما إن [٩١] أصابت شيئا آخر كان تأثيرها فيه كثيرا [٩٢].وفيه من الكلام مثل الذي قبله من [٩٣] أمور الآخرة وعظمها، وعظم [٩٤] القدرة الربانية الجليلة.وفي هذا الفصل وفي الذي قبله دليل على أن أمور الآخرة ليست كأمور الدنيا، ويؤخذ [٩٥] ذلك من كون هذا مضطجعا [٩٦] لا يقدر أن يتحرك بلا شيء يحبسه، والآخر [٩٧] قاعد أيضا بلا شيء يحبسه. كلاهما مستسلمان لهذا الأمر العظيم، وفي هذه الدار لا يمكن [٩٨] أن يحبس [٩٩] أحد لبعض ما هو أقل من هذا إلا بحابس [١٠٠] شديد من وثاق أو [١٠١] غيره هذا من عجائب القدرة.وفيه أيضا دليل يتبين [١٠٢] به معنى قوله تعالى: ﴿غلاظ شداد﴾ [التحريم: ٦]، لأن قوة [١٠٣] تلك الضربة لا تكون إلا عن تلك الصفات المذكورة، وهي من جملة التخويفات.وهنا بحث وهو: لم خص هذا العضو من بين [١٠٤] سائر الأعضاء بالعذاب؟.فالجواب: أنه هو الذي ترك السهر بالتهجد بالقرآن كما يذكر في [١٠٥] آخر الحديث، وهناك يكون البحث عليه.وقوله عليه السلام: (قلت: ما هذا؟ قالا [١٠٦]: انطلق، فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور، أعلاه [١٠٧] ضيق وأسفله واسع يتوقد [١٠٨] تحته نار إذا [١٠٩] اقترب) اقترب: بمعنى قرب كقوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر: ١] أي: قربت، فإذا قربتج ٢ ص ١٤٥منهم تلك بحرها [١١٠] وهذا كناية [١١١] عن عظيم [١١٢] تأججها.وقوله: (ارتفعوا حتى كاد أن [١١٣] يخرجوا منها) هكذا تفعل القدر [١١٤] هنا إذا كانت على النار واشتدت [١١٥] النار تحتها غلت فارتفع ما فيها إلى أعلاها، حتى إنه [١١٦] إن غفل عنها رمت [١١٧] بعضه خارج [١١٨] القدر، فدل بهذه الصفة على عظم حرها [١١٩]، والحكمة في أنه [١٢٠] مثل التنور أعلاه ضيق؛ لأنه أبلغ في حرارة النار؛ لأنه تنعكس [١٢١] حرارتها إلى داخل.وقوله: (حتى كاد أن يخرجوا منها [١٢٢]) أي: قربوا من الخروج.وقوله: (فإذا خمدت) أي: سكن حرها.وقوله: (رجعوا [١٢٣]) إلى الحالة الأولى.وقوله: (وفيه رجال ونساء عراة) الكلام عليه كالذي تقدم [١٢٤] من إظهار القدرة وعظمها.وهنا بحث: وهو [١٢٥] لم كان من تقدم من المعذبين [١٢٦] منفردين وهؤلاء مجتمعين؟.فالجواب: هكذا أخبر [١٢٧] عز وجل في كتابه بقوله [١٢٨]: ﴿جزاء وفاقا﴾ [النبأ: ٢٦]، لما لم تكن هذه المعصية في هذه الدار إلا في جمع ـ والجمع ينطلق في اللغة على الاثنين [١٢٩] فصاعدا_ وهتكا [١٣٠] ما أمروا [١٣١] به من ستر العورة كانوا [١٣٢] هنالك كذلك، حكمة حكيم، وهؤلاء هم الزناة كما يخبر [١٣٣] بعد.وفيه فائدة [١٣٤] كبرى لمن رزق التصديق به والإيمان، وأعني بالتصديق الذي يكون حقيقيا، إن تحرك [١٣٥] من النفس أو من الشيطان باعث لمثل هذا يذكرها [١٣٦] هذه الحالة المهلكة فترجع عن غيها [١٣٧].ولهذا وما أشبهه أعلمنا [١٣٨] به؛ لأنه ليس من يخاف عقابا على الجملةج ٢ ص ١٤٦لا يدري قدره مثل من يخاف عقابا معلوما وهذا [١٣٩] في الخوف أبلغ كما ذكر عن بعض المتعبدين أنه حسده ناس من شياطين الإنس في حاله المبارك [١٤٠] فأرادوا أن يوقعوه، فأخذوا امرأة في غاية الحسن والجمال بعدما علموها ما تقول له وكيف تستدرجه؟وزينوها ثم تلاحوا [١٤١] بينهم حتى أظهروا كأنهم يقتتلون من [١٤٢] شأنها وكأنها ابنة أحدهم ثم جاؤوه

يرغبون منه لعله [١٤٣] يمسكها الليلة في بعض زوايا بيته حتى يعودوا [١٤٤] إليه أو ما يشبه [١٤٥] هذا المعنى، فامتنع فما زالوا في المكر به حتى أنعم لهم في ذلك وهو لا يعرف لها صورة.فلما جن الليل وهو مشتغل بعبادته وإذا بها قد أتته على تلك الحالة بصورة خوف لحقها تستجير به لتريه وجهها وتجلس معه بادية الوجه بالقرب منه، فلم تزل تكيد عليه حتى راودته وعزمت عليه بالفاحشة، فلما رأى جدها [١٤٦] قال لها: أمهلي [١٤٧] يسيرا وأخذ دهنا وألقاه في المصباح وزاده فتيلا، فلما قويت شمعته جعل عليها أصبعه وتركها ساعة والنار تتقد فيها حتى اشتد عليه ألم النار، صاح صيحة وغشي عليه وأدركها هي الرعب من حاله وصدقه مع الله فكفت، فلما أصبح وأتوها وأخذوها وسألوها أخبرتهم بما جرى فارتجعوا عنه، وقال بعضهم: نفسي على الحر [١٤٨] ليس تقوى ... ولا على أيسر الحرارة [١٤٩]فكيف تقوى على جحيم [١٥٠] ... وقودها الناس والحجارة [١٥١]؟ج ٢ ص ١٤٧وقوله عليه السلام: (فقلت [١٥٢]: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا) الكلام على هذه [١٥٣] الألفاظ كما تقدم أولا، وكذلك تلك البحوث: هل ما رآه عليه السلام [١٥٤] حقيقة أو تمثيلا في كل وجه يتكرر [١٥٥] البحث فيه [١٥٦]؟ والجواب عليه على حد واحد: فإن القدرة لا تعجز عن شيء.وقوله: (على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر ــ قال يزيد ووهب بن جرير: وفي غير هذا ابن جرير ثم يزيد بن حازم [١٥٧]ــ وعلى شط [١٥٨] النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل [١٥٩] الرجل الذي في النهر، فإذا أراد [١٦٠] أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان).الكلام على ما فيه من أمر عظيم القدرة كما تقدم.وما فيه من حذف بعض الألفاظ للدلالة عليه كالكلام على ما كان قبل، والحذف [١٦١] الذي هنا قوله: (رمى الرجل في فيه) ولم يذكر الذي على حافة النهر.وقوله: (كلما جاء ليخرج رمى في فيه) وسكت عن ذكر الرجل وموضعه [١٦٢]،وإنما حذفه لدلالة الكلام عليه قبل؛ ولأن فيه الألف واللام وهي للعهد أي: الرجل المعهود وهو المذكور قبل، وفيه حذف آخر وهو [١٦٣] لما دل عليه الكلام أولا [١٦٤]؛ لأنه [١٦٥] لم يذكر في القضية إلا رجلين لا ثالث، وبين موضع كل واحد فإذا ذكر ما فعل بالواحد لم يفهم أنه فعله إلا الثاني.وهنا بحث [١٦٦]: لم كان من تقدم قعودا [١٦٧] لا يتحركون وهذا يخوض في هذا النهر [١٦٨] ويرجع؟فالجواب: أنه لما كان [١٦٩] الذنب الذي أوجب هذا وهو [١٧٠] أكل الربا، والربا في هذه الدار لاج ٢ ص ١٤٨يكتسب به في هذه الدار [١٧١] في الغالب لا يكون إلا بالذهاب [١٧٢] والرجوع، فكان عذابه من ذلك الجنس.وكونه دما: إنما كان ذلك كذلك؛ لأن الدم ثخين ثقيل [١٧٣] والخوض في الشيء الثخين الثقيل من أتعب الأشياء، ثم زيد لذلك: التألم بريحه [١٧٤]، ثم زيد لذلك: رمي الحجر في فيه؛ لأنه [١٧٥] به كان يأكل الربا فكان [١٧٦] عذابا على عذاب مضاعف.ثم انظر إلى قدرة القادر كيف تزيده [١٧٧] الآلام إذا أراد الخروج، ثم إنه مع ذلك لا يقدر أن يقف في ذلك الموضع حيث هو لشدة ما هو فيه فيروم لعل راحة فيزيده [١٧٨] بلاء على بلاء كما قال:بالبعد أشقى وبالقرب لا أستريح ... فما هي إلا الآلام تتأكد وتفيحوقوله عليه السلام: (قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان ورجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها).الروضة الخضراء: هي أحسن الروضات، وهنا تحققنا أن هذا تمثيل لا حقيقة الموضع؛ لأنه [١٧٩] ذكر بعد: [١٨٠] أن الشيخ إبراهيم عليه السلام، والصبيان أولاد الناس، وذكر عن الرجل الذي يوقد النار مالك. والكلام على توجيه البقعة والشجرة ما معناهما عند ذكره [١٨١] صلى

الله عليه وسلم ذلك في آخر الحديث.وقوله عليه السلام: (فصعدا بي [١٨٢] الشجرة، فأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها) هذا من أكبر الدلائل [١٨٣] على أن أمور الآخرة لا تطيق العقول فهمها إلا بعد علم [١٨٤] أشياء عديدة وتوفيق، ونظر في مثل [١٨٥] هذا المثال الذي جعل [١٨٦] فيه الشجرة طريقا إلى الدار لا يقبله العقل بديهة،ج ٢ ص ١٤٩فإذا بين له على ما [١٨٧] أذكره بعد إن شاء الله زاد إيمانه وقويت عظمة الله تعالى في قلبه.وقوله عليه السلام: (فيها شيوخ وشباب، ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا [١٨٨] بي الشجرة) فيه دليل أن هذه الدار الأولى كانت في بعض الشجرة يؤخذ ذلك من كونهم [١٨٩] حين خرجوا من الدار صعدوا في الشجرة.وقوله: (فأدخلاني دارا [١٩٠] هي أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب، قلت: طوفتماني الليلة، فأخبراني عما رأيت، قالا: نعم، أما [١٩١] الذي رأيته يشق شدقه) قد تقدم الكلام عليه [١٩٢] أولا غير أنه ماذكرناه هناك من الشق وكان مضمرا عاد هنا ظاهرا، وعاد الإدخال [١٩٣] الذي كان هناك ظاهرا هنا [١٩٤] مضمرا.وقوله: (فكذاب يحدث [١٩٥] بالكذبة) تتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة، يعني: يصنع به هكذا لا يفتر، زائد [١٩٦] على ما له يوم القيامة من العذاب الأليم.ونحتاج هنا أن [١٩٧] نعرف الكذب [١٩٨] الذي هو هذا عذابه فنقول والله المستعان: إن الكذب يقسم [١٩٩] على خمسة أقسام: فمنه واجب وصاحبه مأجور [٢٠٠]، ومنه مندوب وصاحبه مأجور أيضا على ما أبينه بعد، ومنه مباح ولا أجر فيه ولا إثم على قائله، ومنه حرام وهو الذي عليه [٢٠١] هذا الوعيد العظيم، ومنه مكروه.فأما الواجب منه: فهو أن تعرف شخصا في موضع ويسألك [٢٠٢] عنه من تعلم قطعا [٢٠٣] أنه يسفك دمه ظلما وعدوانا، فتعين عليك [٢٠٤] بأن تقول _ أعني تقول: لا أعلم _ وإن حلفك تحلف وتواري في قلبك [٢٠٥]ج ٢ ص ١٥٠في هذا الموضع الكذب، أن تقول [٢٠٦]: لا أعلم [٢٠٧] موضع قعوده، أو هل [٢٠٨] هو واقف أو مضجع [٢٠٩]؟ فإنك بالقطع لا تعرف [٢١٠] أي موضع هو الآن من البيت الذي هو فيه، هل في الزاوية اليمنى أو اليسرى أو وسط البيت أو في موضع الحاجة؟ لأنه من يحلف على غير حق عليه اختلف العلماء فيه [٢١١]: هل اليمين على نية الحالف أو على نية المحلوف له [٢١٢]؟.على ثلاثة أقوال: على نية الحالف، على نية المحلوف [٢١٣]، على نية الذي أرادها أولا، ولم يختلف أحد منهم على أنها إذا كانت على حق عليه أنها على نية المحلوف له لقوله صلى الله عليه وسلم: ((اليمين على نية المحلوف له))، فإن صدق هنا ودله عليه كان قد شارك في قتل مسلم بغير حق، وقال [٢١٤] صلى الله عليه وسلم: ((من شارك في قتل مسلم ولو بشطر [٢١٥] كلمة جاء يوم القيامة وبين عينيه: آيس من رحمة الله)). وما أشبه هذا النوع فالكذب فيه واجب، ومن فعل واجبا كان مأجورا.وأما المستحب فالكذب في الحرب مع نزيله؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((الحرب خدعة)). فيكون مأجورا لاتباعه السنة، ونحتاج أن نبين [٢١٦] هذا الكذب بالمثال من أجل أن [٢١٧] تعطيه العهد ثم تقتله، وتظن أن ذلك هو الكذب الجائز في الحرب، وهو أن فعلته [٢١٨] نقض عهد، ونقض العهد حرام لا يجوز.وقد كان عمر رضي الله عنه يكتب إلى جيوشه بالأمصار: من بلغني عنه أنه قال للعلج: (مطرس)، ثم قتله قتلته به، و (مطرس): بلغتهم: الأمان [٢١٩].فمثال الكذب الذي يجوز في الحرب أن يقول لنزيله: من ذلك [٢٢٠] الشخص الذي خلفك؟ وليسج ٢ ص ١٥١وراءه أحد من أجل أن يلتفت فيتمكن منه، أو يقول له [٢٢١]: ما بال حزام سرجك محلولا؟ تريد أن تريني حسن ركوبك؟ فإما أن [٢٢٢] يلتفت إلى حزام سرجه فيتمكن منه، وإما أن [٢٢٣] يدخله الشك فيبقى يشتغل [٢٢٤] بحبس

نفسه في سرجه فتقل شطارته لذلك فيكون أمكن منه، وما يشبه هذا النوع.وأما الكذب المباح مثل [٢٢٥] أن يكون الشخص قد فعل شيئا ونسي [٢٢٦] أنه فعله فيسأل عنه، فيقول: لم أفعله، فهذا من قبيل المباح؛ لأنه قال صلى الله عليه وسلم [٢٢٧]: ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان)) [٢٢٨]. فإذا تجاوز عنه فلا إثم عليه، ولا هو أيضا فيه مأجور، فهذه صفة المباح، أعني في عدم الإثم وعدم الأجر فما [٢٢٩] كان هذا سبيله من جميع الأشياء فهو مباح [٢٣٠].وأما المكروه فهو ما يعد [٢٣١] به الرجل امرأته من الإحسان ولا يفي [٢٣٢] لها به لقول سيدنا صلى الله عليه وسلم للسائل الذي سأله: أأكذب [٢٣٣] لامرأتي؟ فكره ذلك، فقال له: أعدها؟ [٢٣٤]، قال [٢٣٥]: افعل.وقد ذكر بعض الناس أنه إن اشترى حاجة لامرأته ليست بواجبة عليه إلا من طريق الإحسان لها، ويخبرها عن ثمنها أنه بأزيد مما دفع فيها أنه من قبيل المكروه؛ لأنه لا يترتب عليه إلا مصلحة نفسانية، وهي كونها تطاوعه فيما يريد، ولا تترتب عليه أيضا مفسدة [٢٣٦] كما أخبر [٢٣٧] في الحديث: ((من فتح [٢٣٨] باب ضرر للمسلمين بكذبه))وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر [٢٣٩]: ((من ضار بمسلم ضر الله به)).مثال ذلك: أن يسأل شخص قد [٢٤٠] جاء من بلد إلى بلد آخر يخبر [٢٤١] عن سعر ذلكج ٢ ص ١٥٢البلد الذي جاء منه فيخبر أنه أرفع مما هو فيخطر [٢٤٢] لأحد أهل ذلك الموضع [٢٤٣] أن يجلب إليه الطعام [٢٤٤] لما يرى من الفائدة في ذلك السوم الذي أخبر به الكذاب، فإذا أتعب نفسه وغرر بها وبماله وبلغ البلد وجد السعر ناقصا عما قيل له فخسر في ماله وتغير حاله وخاطره [٢٤٥] وكثرت عليه المفاسد، وسبب ذلك تلك الكذبة، هذا وما يشبهه هو الممنوع.وأما الحرام الذي عليه هذا الوعيد العظيم فهو العامد للكذب [٢٤٦] بلا عذر مما تقدم ولا مما [٢٤٧] يشبهه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يزال الرجل يتحرى الكذب حتى يسمى [٢٤٨] عند الله كاذبا [٢٤٩])).وهو الذي يقول ضد الحق عامدا لذلك، وقد جاء أن الرجل يحاسب على الكذيبة وهي [٢٥٠] أن تنفلت منه دابته فيروم أخذها فلا يطيق ذلك [٢٥١] فيخرج لها التعليقة التي كانت تأكل فيها العلف ليريها أن بها علفا وليس فيها شيء فتأتيه فيأخذها، فإذا كان السؤال عن مثل [٢٥٢] هذه فما بالك بغيرها.وقوله: (فيفعل [٢٥٣] به إلى يوم القيامة) فإذا [٢٥٤] كان هذا من حين موته إلى يوم القيامة، فكيف حاله يوم القيامة؟ لو لم يكن إلا ذاك [٢٥٥] لكان أمرا عظيما.وفيه دليل على أن لأصحاب المعاصي عذابين: عذاب في قبورهم، وعذاب آخر يوم القيامة.وقوله: (والذي رأيته يشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه [٢٥٦] بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة).وفيه دليل لأهل السنة الذين يقولون: إن أفعال العبد كسب له وخلق لربه، يؤخذ ذلكج ٢ ص ١٥٣من قوله: (علمه الله القرآن [٢٥٧]) فأضاف حقيقة التعليم إليه [٢٥٨] عز وجل، وإن كان العبد قد تسبب فيه بالدرس والاجتهاد.وهنا بحث، وهو: كيف يقع العذاب [٢٥٩] على ترك [٢٦٠] القيام بالليل وهو من جملة المندوبات، والمندوب لا يعذب عليه تاركه؟.فالجواب أن نقول [٢٦١]: قد اختلف العلماء في وجوب قيام الليل، فمنهم من قال بوجوبه، والذي قال بوجوبه قال: هو قدر فواق ناقة، أي: قدر ما تحلب الناقة، فعلى هذا القول فالحديث فيه له [٢٦٢] دليل فلا يجب [٢٦٣] على هذا الوجه، ومنهم من قال: إنه [٢٦٤] مندوب، وهم الجمهور، وعلى هذا يقع البحث، والجواب عنه من وجهين:(أحدهما): لما كان يعذب على الكبائر اتبعتها الصغائر لقوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١] فدل [٢٦٥] أنه إن لم يجتنب الكبائر يعذب على الجميع، وليس ترك مندوب متفق عليه كمندوب مختلف في فريضته

[٢٦٦] أو ندبيته، فبهذا نلحقه [٢٦٧] بالصغائر [٢٦٨]، وإن كان عند الأكثر مندوبا [٢٦٩] من أجل خلاف بعض العلماء في وجوبه كما تقدم.و (الوجه الآخر): هو أنه لما [٢٧٠] جاء: ((أن العبد ينظر يوم القيامة في صلاته، فإن أتى بها فحسن، وإن كانت ناقصة قال الله تعالى: ((انظروا إلى عمل عبدي، إن كان له نوافل أكملوا منها صلاته)). ومثل ذلك في كل الأعمال إذا لم يكملها وله نافلة من جنسها جبرت منها فضلا من الله ورحمة [٢٧١]، فلما ترك هذا قيام الليل الذي يجبر به ما ضيعه من صلاة نهاره عذب [٢٧٢] عليهج ٢ ص ١٥٤لكونه لم يفعل بما [٢٧٣] يجبر فرضه، فيكون تسميته بالعذاب [٢٧٤] ليس من أجل نفسه وإنما هو من أجل ما نقصه من فرضه ولم يفعل ما يجبره به [٢٧٥].فالعذاب في الحقيقة إنما هو على ما نقص من فرضه، وقد قال جل جلاله: ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا﴾ بعد قوله عز وجل: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا﴾ [المزمل: ٦] [٢٧٦]. وهذا الوجه هو الأظهر والله أعلم [٢٧٧].ولذلك استحب [٢٧٨] العلماء كثرة النوافل من جميع أنواع المفروضات من أجل ما يتوقع من نقص الفرض.وقد يحتمل أن يكون المراد بقوله: (نام عنه بالليل) أنه ترك صلاة الليل، فيكون اللفظ عاما والمراد به الخصوص، لكن بشرط أن لا يكون نومه غلبة، فإنه إذا غلبه النوم معذور لقوله [٢٧٩] عليه السلام: ((من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، فذلك وقت [٢٨٠] لها))، لكن هذا الشرط لا يسوغ [٢٨١] أن يشترط إلا إن كان هذا الحديث الذي نحن بسبيله بعد حديث الرخصة في النوم عن الصلاة، وهو حديث الوادي، وإن كان قبله فهو على العموم إن [٢٨٢] كان النوم بغلبة أو غيرها، فالانفصال عنه من [٢٨٣] ثلاثة أوجه كما ذكرنا، والأظهر [٢٨٤] الثاني منها.واحتمل وجها رابعا [٢٨٥]؛ وهو أن يكون كنى عن تضييع عمل النهار بقوله: (لم يعمل فيه بالنهار) وكنى عن ترك العمل فيه بالليل [٢٨٦] بالنوم؛ لأنه أبلغ في الترك.وقوله: (والذي رأيته في الثقب فهم الزناة) قد تقدم الكلام عليهم.وبقي فيه بحث وهو: لم كان العذاب لمن [٢٨٧] تقدم ذكرهم في بعض الجوارح دون بعض، والزناة في البدن كله؟.فالجواب: ج ٢ ص ١٥٥لما كان من تقدم [٢٨٨] معصيتهم بعضو دون عضو [٢٨٩] كان العذاب كذلك، ولما كان الزنا يتلذذ به جميع البدن كان العذاب لجميع البدن، ولوجه آخر [٢٩٠]: لأنه من أكبر الكبائر؛ لأنه قد جاء أنه [٢٩١]: ((لا يهتز العرش إلا لنطفة [٢٩٢] مني حرام، أو قطرة دم حرام)). وقد يكون مجموعهما [٢٩٣] وهو الأظهر والله أعلم.وقوله: (والذي رأيته في النهر آكل الربا) قد تقدم الكلام عليه أيضا، لكن بقي هنا بحث وهو: كون المساق واحدا، ومن محتملاته الحقيقة والمجاز، فلم سكت عنهما؟ هل اختصارا أو ليس؟فالجواب: إن قلنا: أن الكل تمثيلات فالحكم واحد ويكون سكوته [٢٩٤] اختصارا، وإن قلنا: إن الكل وما فعل [٢٩٥] بهم حقيقة فالمتقدم ذكرهم ما عدا الزناة وأصحاب الربا قد يكون يفعل بهم ما قدر عليهم من العذاب وهم في قبورهم، وأن هذين المذكورين يكون مثالهم كمثل آل فرعون لعظيم [٢٩٦] ما أتوا به، وقد قال تعالى في آل فرعون: ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر: ٤٦] والقدرة صالحة، فيكون سكوته على هذا الوجه مستدعيا للفكرة [٢٩٧] والاعتبار [٢٩٨].وقوله: (وشيخ [٢٩٩] في أصل الشجرة إبراهيم) فيه بحث، وهو: ما هذه الشجرة التي الدور في أعلاها وإبراهيم عليه السلام في أصلها؟فالجواب: أما [٣٠٠] الشجرة هي شجرة الإيمان والإسلام لقوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا [٣٠١] كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ [إبراهيم: ٢٥ - ٢٤].وكون إبراهيم عليه السلام في أصلها؛ لأنه [٣٠٢] الأب لجميع

المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين﴾ [الحج: ٧٨]، والأبج ٢ ص ١٥٦هو الأصل فكان ذلك [٣٠٣] تمثيلا حسنا جدا.وقوله: (الصبيان حوله، فأولاد الناس [٣٠٤]) احتمل الألف واللام هنا أن تكون للجنس فيكون المراد [٣٠٥] أولاد المؤمنين والكافرين، لأنه قد جاء أن أولاد الكفار يكونون في الجنة خدما للمؤمنين [٣٠٦]؛ لأنهم على فطرة الإسلام فيكونون معه في أصل الإسلام؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قد قال: ((ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه [٣٠٧]))، واحتمل أن تكون الألف واللام للعهد فيكون المراد [٣٠٨] أولاد المؤمنين ليس إلا؛ لأنه قد جاء في أولاد الكفار أنهم من آبائهم.وأما كونهم في أصل الشجرة والدور من [٣٠٩] فوقهم فلأن [٣١٠] تلك الدور هي دور الأعمال، أي: درجات الأعمال كما يذكر بعد، والصبيان ماتوا وهم دون التكليف، وليس لهم ما [٣١١] يدخلون تلك المنازل حتى يتفضل الله عز وجل عليهم بما شاء.وفيه دليل على أن أولاد المؤمنين مؤمنون [٣١٢] لكونهم مع آبائهم.وقد اختلف العلماء فيهم هل مقطوع [٣١٣] لهم بالجنة أو هم في حكم المشيئة؟ على قولين.وسبب اختلافهم اختلاف الأحاديث؛ فإنه قد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في حقهم: ((عصفور من عصافير الجنة))، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [٣١٤]: ((الله أعلم بما كانوا عاملين)).وأما الـ: (روضة) فهي كناية عن أصل الخلقة؛ لأنه قد جاء (أن آدم عليه السلام كانت طينته من جميع بقع الأرض طيبها وخبيثها وسهلهاج ٢ ص ١٥٧ووعرها)، فالمؤمنون من الأرض الطيبة التي تلك الشجرة فيها، وهي شجرة الإيمان، وبها نباتها فلا ينبت الطيب إلا في الطيب [٣١٥] كما قال تعالى: ﴿والطيبات للطيبين﴾ [النور: ٢٦].والكافر من الأرض الخبيثة [٣١٦] لا تنبت إلا خبيثا مثل الحنظل وما أشبهه كما قال تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ [إبراهيم: ٢٦].وقوله: (والدار الأولى التي دخلت الجنة دار عامة المؤمنين) لأجل أنها دار عامة المؤمنين، كان فيها الرجال والنساء والشيوخ والشباب [٣١٧]؛ لأن هذه الأربع صفات احتوت على جميع أنواع المؤمنين.وفيه أيضا تحقيق لما ذكرنا أن الشجرة هي عبارة عن الإيمان؛ لأن الإيمان هو الطريق إلى الجنة بلا خلاف [٣١٨].وقوله: (وأما هذه الدار [٣١٩] فدار الشهداء) فلذلك لم يكن في هذه الدار [٣٢٠] إلا شيوخ وشباب.وهنا بحث، وهو: لم لم يكن في هذه [٣٢١] الدار التي للشهداء إلا نوعان [٣٢٢]: شيوخ وشباب؟ ولم يكن فيها نساء؟ وقد عد صلى الله عليه وسلم في الشهداء المرأة تموت حاملا شهيدا [٣٢٣]، والمرأة تموت بجمع شهيد؟.فالجواب: أنه لم يختلف أحد أن أعلى الشهداء القتيل [٣٢٤] في سبيل الله، وإن كان الشهداء سبعة كما جاء في الحديث: ((المبطون، والمطعون، والمحترق، والغريق، وصاحب الهدم [٣٢٥]، والمرأة تموت حاملا، والشهيد في سبيل الله)).فالمراد [٣٢٦] هنا تبيين [٣٢٧] فضل الشهداء في سبيل الله عز وجل من أجل التحضيض عليه والله أعلم [٣٢٨].وهنا بحث، وهو: لم أخر الإخبار لهج ٢ ص ١٥٨عليه السلام بما رأى حتى إلى آخر الرؤيا ولم يخبراه [٣٢٩] عند كل قضية بها؟فالجواب [٣٣٠]: أن تأخيرهما بالإخبار [٣٣١] إلى آخر الرؤيا فيه من الحكمة التيسير لجميع [٣٣٢] الفائدة؛ لأنه إذا رأى شخص شيئا ويخبر بما هو معناه [٣٣٣]، ثم الآخر بعده ويخبر بمعناه أيضا، ويكون في ذلك [٣٣٤] أشياء عديدة، في الجائز أن ينسى بعض ما قيل له، وإذا أريت له الأشياء ولم يخبر إلا آخرا بقي الخاطر بجميعها مشغولا وإلى ما يلقى إليه متشوفا، فيكون ذلك آكد في التحصيل ولحفظ ما به أخبر، ولذلك كان عليه السلام إذا كان شيء [٣٣٥] له بال يسأل ثلاث مرات للشخص أو يناديه ثلاثا وحينئذ يعلمه، وما ذاك إلا لجمع الخاطر إلى ما يلقى إليه،

ونفي الالتفات للغير [٣٣٦] كما قال عليه السلام: ((يا معاذ)) ثلاثا، ومعاذ في كل مرة يقول: لبيك رسول الله وسعديك، فلم يخبره بالذي أخبره به إلا بعد الثلاث لتلك الحكمة المشار إليها.وفيه أيضا سؤال ثالث، وهو: لم لا أخبراه بأنفسهما أولا وتركا الإخبار بأنفسهما إلى آخر؟فالجواب: لو أخبراه أولا لوقع الاستئناس بهما والإدلال عليهما حتى يسألهما عما رأى أولا [٣٣٧]، ولا يمكنهما إلا جوابه [٣٣٨] عليه السلام لما يلزمهم [٣٣٩] من الأدب معه والاحترام إليه [٣٤٠]، وعند التنكير تبقى النفس مجموعة بما ترى ومشغولة بحالها، وأخبرا له آخرا بأنفسهما ليعلم أن ما رأى حقا لأن [٣٤١] هذين لا يشكج ٢ ص ١٥٩فيهما [٣٤٢] وإن كانت رؤيته [٣٤٣] عليه السلام كلها حقا، فليس الحق كله في القوة الواقعة في النفوس على حد واحد، والقوة في ذلك وجوه؛ فمنها [٣٤٤] بحسب قوة سياسة المبلغ إليه، ومنها بحسب معرفتك بحال مبلغها إليك [٣٤٥].وفيه دليل على أن الملائكة تتطور؛ لأن سيدنا صلى الله عليه وسلم قد كان يعرف هذين الملكين، فلما رآهما على صورة لم يرهما عليها لم يعرفهما.وقوله: (فارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا [٣٤٦] فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك [٣٤٧] منزلك، فقلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته [٣٤٨] أتيت منزلك).وفيه بحث [٣٤٩]: أليس هاتان الداران من الجنة وتراه عليه السلام قد دخلهما وخرج منهما [٣٥٠]، فلم منع عليه السلام من منزله، وهو أيضا من الجنة حتى يستكمل عمره؟فالجواب [٣٥١]: إنما دخل عليه السلام هاتين الدارين وإن كانتا [٣٥٢] من الجنة؛ لأنه [٣٥٣] ليس له فيهما أهل لنفسه ولا لأهلهما أيضا تعلق به كتعلقهم بمن هم له، ودخوله عليه السلام الجنة حق للنص عليه بقولهم [٣٥٤]: (التي دخلت الجنة)، وقد رأى عليه السلام ما بين الدارين من التفاوت وما بينهما من [٣٥٥] المسافة إلا القدر القليل والنذر اليسير بالنسبة لما بين الدارين، ولما رأى عليه السلام من [٣٥٦] بعد المسافة [٣٥٧] بين منزله وبين المنازل التي عاين ودخل [٣٥٨] حصل له [٣٥٩] العلم بعظيم المنزلة وكيفيتها [٣٦٠]، وهناك أهله من [٣٦١] الحور والولدان وهم موعودون به،ج ٢ ص ١٦٠والوعد حق لا خلف فيه، فلو وقع الاجتماع لم تمكن الفرقة للوعد الحق، وكذلك جميع القصور والأشجار التي هناك والأنهار منتظرة له عليه السلام، فهذا والله أعلم لمقتضى [٣٦٢] الحكمة أوجب منع الدخول إلا بعد توفية العمر.وفيه بحث ثان أيضا: لم أخرا [٣٦٣] رؤية منزله عليه السلام آخرا ولم يكن ذلك أولا؟.فالجواب: أنه قد جرت الحكمة أن الأشياء لا يتبين [٣٦٤] قدرها إلا بمعاينة أضدادها، فأخرا الإخبار له حتى عاين الضد، فكبرت [٣٦٥] النعمة إذ ذاك وعظمت [٣٦٦]، وأما [٣٦٧] كونه عاين منازل المؤمنين وحيئنذ عاين منزله [٣٦٨]؛ ولأن [٣٦٩] الختام إنما يكون بأجل الأشياء، ولذلك قال عز وجل: ﴿ختامه مسك﴾ [المطففين: ٢٦] وقد قال بعضهم: (ساقي [٣٧٠] القوم آخرهم شربا)، وهو عليه السلام المخبر لنا فأخر [٣٧١] الإخبار بخبره [٣٧٢] الخاص.وفائدة هذا الحديث الإيمان بما فيه من الوعد والوعيد، والعمل على طريق النجاة فهي الفائدة التي من أجلها أخبرنا بما تضمن، ومن هنا فضل أهل الطريق غيرهم؛ لأنهم صيروا العلم حالا حتى إنه يذكر عن بعض التلامذة أنه غاب عن شيخه أياما كثيرة، فلما أتاه قال له: يا بني ما حبسك عني؟قال له: يا سيدي، سمعت منك آيتين فعملت عليهما؛ لأن أتخذهما حالا، فجاهدت النفس على ذلك حتى من الله علي [٣٧٣] به _ أو ما هو [٣٧٤] في معناه _ فقال له الشيخ: وما هما يا بني؟ قال: الواحدة قوله تعالى:ج ٢ ص ١٦١﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]، والثانية: قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾

[هود: ٦]، فجاهدت النفس على التزام عمل الخير ولا نترك [٣٧٥] منه ذرة، وترك الشر [٣٧٦] ولا نقع [٣٧٧] فيه بذرة، وعلمت أني من أحد دواب الأرض ورزقي [٣٧٨] عليه ويعلمني وحيث مستقري فأزلت تعلق القلب من الرزق لوعده الجميل؛ لأنه لا يخلف الميعاد، ولعلمه بي وأين مستقري، فهو عز وجل ييسره لي بحسن لطفه ووفاء وعده، فقال له الشيخ: هنيئا لك يا بني فقد فقت العابدين [٣٧٩]، ولذلك قال من قال: إذا كان وعدك بالرزق لا يخلف، وطلبك الأمر من [٣٨٠] غيره لا يعرف، فحسبي تصديق وعد لا يخلف [٣٨١]، واشتغالي بأمر غيره لا أعرف [٣٨٢].

____

[١] قوله: ((عن سمرة بن جندب، قال)) ليس في (ج) و (م). وبدله قوله: ((قوله)).[٢] في (ج) و (م) و (ل): ((رسول الله)).[٣] قوله: ((صلى)) ليس في (ج).[٤] زاد في (ل): ((فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول: ما شاء الله فسألنا يوما فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين)).[٥] في (ج): ((على دوام وتغييرها لهم))، وفي (م): ((على دوام وتعبير بالهم)).[٦] في (ج) و (م) و (ل): ((منهم شيئا بما)).[٧] قوله: ((هو)) ليس في (ج) و (م).[٨] في (ج): ((الخصوص)) وفي (م): ((الجنس)).[٩] قوله: ((أن الظاهر)) ليس في (م).[١٠] قوله: ((صلاة أنها)) ليس في (ج).[١١] العبارة في (م): ((وأن يقوم ذلك)).[١٢] في (ج) و (م) و (ل): ((هذا)).[١٣] في (م): ((من مجلسه)).[١٤] قوله: ((له مادام في مصلاه الذي ... تصلي على أحدكم)) ليس في (ج).[١٥] قوله: ((كان)) ليس في (م).[١٦] قوله: ((صلى)) ليس في (ج).[١٧] في (ج) و (ل): ((أدركت كل من لقيت بالأندلس)) وفي (م): ((أدركت كل من لقيت من الأندلس)).[١٨] قوله ((هو)) ليس في (م).[١٩] في (ج): ((بما)).[٢٠] قوله: ((علينا)) ليس في (ج).[٢١] في (ج) و (م) و (ل): ((بداة)).[٢٢] زاد في (ج): ((في)).[٢٣] في (ج): ((مع)).[٢٤] قوله: ((لقوة إيمانه وكماله)) ليس في (م).[٢٥] في (ج) و (م) و (ل): ((فذلك منه تعليم لهم)).[٢٦] في (ج): ((المن)).[٢٧] قوله: ((عليه)) ليس في (م).[٢٨] في (ج): ((يمكن تعلمه)).[٢٩] في (ج) و (م): ((برؤياه)).[٣٠] في (ج): ((فإنها)).[٣١] في (ج): ((عند)).[٣٢] قوله: ((بإجماع العلماء)) ليس في (م).[٣٣] العبارة في (م): ((وما يكون وحيا فلا كتم فيه لأنه))، و في (ج): ((وحيا فلا كبر فيه لأنه)).[٣٤] في (ج): ((وكذلك لأن)).[٣٥] في (المطبوع): ((فوائد جمة)).[٣٦] قوله: ((فأراد الإخبار بتلك الأحكام والفوائد)) ليس في (م).[٣٧] قوله: ((أيضا)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[٣٨] في (ج) و (ل): ((قدمنا)).[٣٩] في (ط): ((أخرجاني)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٤٠] في (ج) و (م) و (ل): ((وأخرجاني)).[٤١] في (ج): ((تكن)).[٤٢] في (ط) و (ج): ((الحكم)) والمثبت من (م) و (ل).[٤٣] في (ج) و (م) و (ل): ((قدمناه)).[٤٤] في (م): ((لايفعل)).[٤٥] في (ج): ((لا يفعل شيئا من هذا)).[٤٦] في (ج) و (م): ((يفعله)).[٤٧] زاد في (ط): ((من الحكمة والله أعلم)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٤٨] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((هو أن)).[٤٩] في الأصل (ط): ((نسبة)).[٥٠] زاد في (ج): ((في)).[٥١] في (م): ((فإذا)).[٥٢] قوله: ((فهي)) ليس في (ج).[٥٣] في (ج): ((أنها)).[٥٤] في (ج): ((على)).[٥٥] في (ج): ((شدقه)).[٥٦] في (ج): ((بينا)).[٥٧] قوله: ((من عذاب)) ليس في (م).[٥٨] زاد في (ج) و (م): ((في جهنم))، وزاد في (ل): ((في حقهم)).[٥٩] في الأصل (ط) و (ج) و (م) و (ل): ((الآلام)).[٦٠] في النسخ بالرفع، ولعل المثبت هو الصواب وهو مطابق للمطبوع.[٦١] قوله: ((فلأنه)) ليس في

(م).[٦٢] العبارة في (م) و (ج): ((وفيه دليل على أن العذاب كما قال تعالى في الجارحة التي كانت بها المعصية في الدنيا تكون:)).[٦٣] في (ج): ((إخبار له)).[٦٤] في (ط): ((أنه الكذاب)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٦٥] في النسخ بالرفع، ولعل المثبت هو الصواب وهو مطابق للمطبوع.[٦٦] في (م): ((له)).[٦٧] قوله: ((على ماهم فيه)) ليس في (م).[٦٨] في (ج) و (م) و (ل): ((لأنه)).[٦٩] العبارة في (م): ((لأنه عليه السلام لم يخبر أنه رأى أيضا بالأرض المقدسة إلا واحدا)).[٧٠] في (ج) و (م) و (ل): ((والقدرة)).[٧١] في (م): ((عليه السلام فيه)).[٧٢] قوله: ((أيضا بالأرض المقدسة)) ليس في (ج) و (م)، وزاد في (ط): ((أو)) والمثبت من (ل).[٧٣] في (م): ((دفن)).[٧٤] في (م): ((أو فتح)).[٧٥] في (ج): ((والقدرة)).[٧٦] في (ج) و (ل): ((عظم)).[٧٧] قوله: ((من)) ليس في (م).[٧٨] في الأصل (ط): ((فيلتحم)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٧٩] زاد في (ج): ((إلى)).[٨٠] قوله: ((غير ذلك)) ليس في (م).[٨١] في (م): ((لأنه)).[٨٢] قوله: ((جرحا)) ليس في (م)، وفي (ج): ((جرح))، وفي (ل): ((ويخرج جرح)).[٨٣] في (ج) و (م) و (ل): ((فلذلك)).[٨٤] قول: ((وقوله صلى الله عليه وسلم)) ليس في (م)، و زاد في (ج) و (م) و (ل): ((إلى)).[٨٥] في (م): ((المدورة)).[٨٦] في الأصل (ط) و (ل): ((تدهدت))، وفي (ج): ((بدهده)) والمثبت من (م).[٨٧] قوله: ((إلى هذا)) ليس في (ج) و (م) و (ل)، والعبارة في (م): ((إليه)).[٨٨] قوله: ((عن)) ليس في (ج).[٨٩] في (ج): ((يحتاج إلى مشي)).[٩٠] في (ج): ((يضر به يذهب)) وفي (م): ((يضربه ويذهب)).[٩١] قوله: ((إن)) ليس في (ج).[٩٢] في (ط): ((كبير)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٩٣] في (ج) و (م): ((الذي قبل من الدليل على أن))، وفي (ل): ((الذي قبل من الدليل على أمور)).[٩٤] في (ج): ((وعظيم)).[٩٥] في (ج) و (م) و (ل): ((يؤخذ)).[٩٦] في النسخ: ((مضطجع)) ولعل الصواب المثبت كما في المطبوع.[٩٧] زاد في (ج) و (م): ((المنتقم منه)).[٩٨] في (م): ((لا يقدر)).[٩٩] في (ط) و (ل) و (م): ((يجلس)) والمثبت من (ج).[١٠٠] في (ج): ((بحبس)).[١٠١] في (م): ((و)).[١٠٢] في (م): ((بين)).[١٠٣] قوله: ((قوة)) ليس في الأصل (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٠٤] قوله: ((بين)) ليس في (ج).[١٠٥] قوله: ((في)) ليس في (م).[١٠٦] في (ج): ((فلا)).[١٠٧] في (ج): ((أعلا)).[١٠٨] في (ج): ((وأسفله متوقد)).[١٠٩] في (ج) و (م) و (ل): ((فإذا)).[١١٠] في (ج) و (م): ((بجرمها)).[١١١] في (م): ((تأكيد)).[١١٢] في (ج): ((عظم)).[١١٣] في (ج): ((كادوا)).[١١٤] في (م) و (ل): ((القدرة)).[١١٥] في (ج) و (م) و (ل): ((واشتد)).[١١٦] في (م): ((كأنه)).[١١٧] في (ط): ((أرمت)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١١٨] في (ج): ((بخارج)).[١١٩] قوله: ((فدل بهذه الصفة على عظم حرها)) ليس في (ج) و (م).[١٢٠] في (ج) و (م) و (ل): ((كونه)).[١٢١] في (م): ((لا تنعكس)) وليس ((لأنه تنعكس)).[١٢٢] قوله: ((منها)) ليس في (ج) و (م).[١٢٣] الذي في (م): ((حرها، رجعوا فيها أي: رجعوا))، و زاد في (ل): ((فيها) أي: رجعوا)).[١٢٤] قوله: ((تقدم)) ليس في (ج).[١٢٥] قوله: ((وهو)) ليس في (ج).[١٢٦] قوله: ((من المعذبين)) ليس في الأصل (ط). والمثبت من النسخ الأخرى.[١٢٧] في (ج) و (م) و (ل): ((فالجواب أن نقول هذا كما أخبر)).[١٢٨] في (ج): ((لقوله)).[١٢٩] في (م): ((يطلق من اللغة على وجهين)).[١٣٠] في (م): ((وهناك)).[١٣١] في (ج) و (م) و (ل): ((ما أمرا)).[١٣٢] في (ج) و (م) و (ل): ((كانا)).[١٣٣] قوله: ((يخبر))

ليس في (ج) و (م)، وبدله في (م): ((يأتي)).[١٣٤] زاد في (ج) و (م): ((وهي)).[١٣٥] في (ج) و (م): ((حقيقا وهي أن يحرك))، وفي (ل): ((حقيقيا وهي تحرك)).[١٣٦] في (ج) و (م): ((بذكر ما)).[١٣٧] في (ط): ((ترجع عنها)) وفي (ل): ((ترجع عن غيرها))، والمثبت من النسخ الأخرى.[١٣٨] في (م): ((علمنا)).[١٣٩] في (ج) و (م) و (ل): ((هذا)).[١٤٠] في (م): ((المنكر)).[١٤١] في (ج): ((تلاحقوا)).[١٤٢] في (المطبوع): ((في)).[١٤٣] في (ج): ((لعلمه)).[١٤٤] في الأصل (ط): ((يعودون)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٤٥] في (ج): ((يشبهوا)).[١٤٦] قوله: ((جدها)) ليس في (ط) وهو مثبت من باقي النسخ.[١٤٧] في (م): ((أمهليني)).[١٤٨] في (ج): ((النار))، وفي (م): ((البرد)).[١٤٩] في (م): ((الحر))، و قوله: ((ولا على أيسر الحرارة)) ليس في (ج).[١٥٠] في (ج): ((فكيف تقوى بحر نار))، وفي (م): ((فكيف تقوى لحر نار)).[١٥١] في (ل): ((نفسي على الحر لا تقوى ... فكيف على نار وقودها الناس والحجارة)).[١٥٢] في (م): ((قلت)).[١٥٣] في الأصل (ط): ((هذا)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٥٤] قوله: ((ما رآه عليه السلام)) ليس في (م)، وبدلها في (م): ((فيه)).[١٥٥] في (ج): ((ينكر)).[١٥٦] قوله: ((فيه)) ليس في (م).[١٥٧] العبارة في (ج) و (م): ((قال يزيد ووهب بن جرير عن جرير بن حزام))، وفي (ل): ((قال يزيد ووهب بن جرير بن حزام)).[١٥٨] في (ج) و (م): ((وعلى وسط)).[١٥٩] في (ج): ((فإذا أقبل)).[١٦٠] في (ج): ((النهر فأراد)).[١٦١] في (ج): ((وللحذف)).[١٦٢] قوله: ((وقوله: (كلما جاء ليخرج رمى في فيه) وسكت عن ذكر الرجل وموضعه)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[١٦٣] زاد في (م) و (ل): ((قوله: (كلما جاء ليخرج رمى في فيه) وسكت عن ذكر الرجل وموضعه وإنما سكت هنا أيضا عنه)).[١٦٤] قوله: ((أولا)) ليس في (ج).[١٦٥] قوله: ((لأنه)) ليس في (م).[١٦٦] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((وهو)).[١٦٧] في الأصل (ط): ((قعود)).[١٦٨] في (م): ((في النهر)). قوله: ((قعودا لا يتحركون وهذا يخوض في هذا النهر)) ليس في (ج).[١٦٩] قوله: ((كان)) ليس في الأصل (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٧٠] في (ج) و (م) و (ل): ((هو)).[١٧١] قوله: ((به في هذه الدار)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[١٧٢] في (ج): ((في الغالب إلا في الذهاب))، وفي (م): ((غالبا إلا في الذهاب))، وفي (ل): ((في الغالب إلا بالذهاب)).[١٧٣] في (م): ((ثقيل ثخين)).[١٧٤] في (ج): ((المتألم ريحه)).[١٧٥] في (ج) و (م): ((لأن)).[١٧٦] زاد في (ج) و (م): ((ذلك)).[١٧٧] في (م): ((يزيد))، وفي (ط) و (ج): ((يزيده)) والمثبت من (ل).[١٧٨] في (ج): ((فتزيده)).[١٧٩] في الأصل (ط): ((لا)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٨٠] في (ج): ((بعض)).[١٨١] في (ج): ((ذكر النبي)).[١٨٢] في (ج): ((في)).[١٨٣] في (ج) و (م) و (ل): ((الأدلة)).[١٨٤] قوله: ((علم)) ليس في (م).[١٨٥] قوله: ((ونظر في)) ليس في (ط) و (م) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٨٦] صورتها في (م): ((فعل)).[١٨٧] قوله: ((ما)) ليس في (ج).[١٨٨] رسمها في (ج): ((قصد)).[١٨٩] قوله: ((فيه دليل على أن هذه الشجرة كانت الأولى في بعض الشجرة من كونهم)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٩٠] في (ج): ((دار)).[١٩١] قوله: ((أما)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[١٩٢] في (ج) و (م) و (ل): ((على هذا)).[١٩٣] قوله: ((وعاد الإدخال)) ليس في (ج) وقوله ((عاد)): ليس في (م).[١٩٤] زاد في (ج) و (م): ((عاد)).[١٩٥] في (م): ((يتحدث)).[١٩٦] في (ج) و (م): ((زائدا)).[١٩٧] قوله: ((أن)) ليس في (م).[١٩٨] في (م): ((بالكذب)).[١٩٩] في (ج) و (م): ((ينقسم)).[٢٠٠]

قوله: ((مأجور)) ليس في الأصل (ط) وفي (م): ((مندوب)). والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٠١] في (ج): ((على)).[٢٠٢] في (ج): ((وتتملك)).[٢٠٣] قوله: ((قطعا)) ليس في (ج) و (م).[٢٠٤] في (ج) و (م): ((فيتعين)).[٢٠٥] قوله: ((بأن تقول أعني تقول لا أعلم، وإن حلفك تحلف وتواري في قلبك)) ليس في (ج) و (م) و (ل).، وفي (المطبوع): ((توري)).[٢٠٦] في (ج) و (م) و (ل): ((الكذب وتقول)).[٢٠٧] زاد في (ج) و (م): ((وإن حلفك تحلف وتواري في قلبك بأن تقول أعني بأن هذا))، وزاد في (ل): ((وإن أحلفك تحلف وتواري في قلبك بأن تقول أعني)).[٢٠٨] قوله: ((هل)) ليس في (م).[٢٠٩] في (ج): ((مضطجع)).[٢١٠] في (ج) و (م) و (ل): ((فإنك لا تعرف في)).[٢١١] في (ج): ((اختلف فيه العلماء)).[٢١٢] في (ط): ((عليه))، وفي (م): ((المستحلف له)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢١٣] زاد في (ل): ((له))، وقوله: ((على نية المحلوف)) ليس في (ج).[٢١٤] في (ج) و (م): ((وقد قال)).[٢١٥] في الأصل (ط): ((مسلم بشرط)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢١٦] في (ج): ((السنة في ذلك الموطن وإن احتاجوا تبين)) وفي (م) و (ل): ((السنة في ذلك الموطن ويحتاج تبين)).[٢١٧] زاد في (ط): ((لا)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢١٨] في (م): ((فعله)).[٢١٩] في (ج) و (م) و (ل): ((الأمان)) تكرر.[٢٢٠] في (م): ((هذا)).[٢٢١] قوله: ((له)) ليس في (م).[٢٢٢] قوله: ((أن يلتف فيتمكن منه، أو يقول له: ما بال حزام سرجك محلولا، تريد أن تريني حسن ركوبك، فإما أن)) ليس في (ج).[٢٢٣] قوله: ((أن)) ليس في (ج) و (م).[٢٢٤] في (ج): ((يشغل)).[٢٢٥] في (ج) و (م) و (ل): ((فمثل)).[٢٢٦] في (ط): ((وينسى)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٢٧] في (ج): ((صلى الله عليه وسلم قال)).[٢٢٨] العبارة في (م): ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)).[٢٢٩] في المطبوع: ((ما)).[٢٣٠] قوله: ((أعني في عدم الإثم وعدم الأجر فما كان هذا سبيله من جميع الأشياء فهو مباح)) ليس في (ط) و (ل) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٣١] في (ط) و (ل): ((يوعد)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٣٢] في (ج): ((يأتي)).[٢٣٣] في (ج): ((الكذب)).[٢٣٤] في (ط) و (ل): ((أوعدها)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٣٥] في (ج): ((فقال)).[٢٣٦] في (ج) و (م): ((وما يترتب عليه مفسدة))، وفي (م): ((ولا يترتب عليه مفسدة))، وفي (ط): ((ولا تترتب عليها أيضا مفسدة)) والمثبت من (ل).[٢٣٧] في (م): ((قال)).[٢٣٨] في (ل): ((افتتح)).[٢٣٩] قوله: ((في حديث آخر)) ليس في (ج) و (م).[٢٤٠] قوله: ((قد)) ليس في (م).[٢٤١] قوله: ((يخبر)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[٢٤٢] في (ج): ((يخطر)).[٢٤٣] العبارة في (م): ((فيحظر لأهل ذلك الموضع)).[٢٤٤] في (م): ((طعام)).[٢٤٥] قوله: ((وبلغ البلد وجد السعر ناقصا عما قيل له فخسر في ماله وتغير حاله وخاطره)) ليس في الأصل (ط).[٢٤٦] في (م) و (ج): ((المتعمد للكذب))، وفي (المطبوع): ((المتعهد للكذب)).[٢٤٧] في (م): ((بما)).[٢٤٨] في (م): ((يكتب)).[٢٤٩] في (ج): ((يكتب عند الله كذابا)).[٢٥٠] في (ج): ((الكذبة وهو))، وفي (م): ((الكذبة وهي)).[٢٥١] قوله: ((ذلك)) ليس في (م).[٢٥٢] قوله: ((مثل)) ليس في (م).[٢٥٣] في (ج) و (م) و (ل): ((يفعل)).[٢٥٤] في (ج) و (م): ((إذا)).[٢٥٥] في (ج) و (م): ((ذلك)).[٢٥٦] في (م): ((به)).[٢٥٧] في (ج): ((علمه القرآن)).[٢٥٨] في (م): ((العلم إلى الله)).[٢٥٩] قوله: ((العذاب)) مكرر في (ج).[٢٦٠] قوله: ((ترك)) ليس في (م).[٢٦١] في (م): ((فالجواب نقول)).[٢٦٢] في (ج) و (م) و (ل): ((له فيه)).[٢٦٣] قوله: ((فلا يجب))

ليس في الأصل و (ج) والمثبت من (م)، وفي (ل): ((فلا بحث)).[٢٦٤] في (ج) و (م): ((بأنه)).[٢٦٥] زاد في (م): ((على)).[٢٦٦] في (م): ((فرضيته)).[٢٦٧] في (ج): ((يخلفه))، وفي (م): ((فهذا نلحقه)).[٢٦٨] في (م): ((به الصغائر)).[٢٦٩] زاد في (ط): ((بالصغائر)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٧٠] في (م): ((قد)).[٢٧١] في (م): ((ورحمته)).[٢٧٢] في (ج) و (م): ((صلاته عذب)).[٢٧٣] في (م): ((ما)).[٢٧٤] في (ط) و (ل): ((تسمية العذاب)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٧٥] قوله: ((به)) ليس في (ج).[٢٧٦] قوله: ((وقد قال جل جلاله ... وأقوم قيلا)) ليس في (م).[٢٧٧] قوله: ((وقد قال جل جلاله .... والله أعلم)) ليس في (ج).[٢٧٨] زاد في (م): ((بعض)).[٢٧٩] في (ج) و (ل): ((النوم كان معذورا لقوله))، وفي (م): ((النوم كان كقوله)).[٢٨٠] في (ج): ((قدر)).[٢٨١] زاد في (ج): ((إلا)).[٢٨٢] قوله: ((إن)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[٢٨٣] في (ج) و (م): ((والانفصال عنه والله أعلم من))، وفي (ل): ((والانفصال عنه من))، و قوله: ((من)) ليس في (ط) وهي مثبتة من باقي النسخ.[٢٨٤] في (ج) و (م) و (ل): ((وأظهرها)).[٢٨٥] وتمام العبارة في (م): ((الثاني منها، وقد تقدم الكلام عليهم وبقي وجها رابعا)).[٢٨٦] في (ج): ((العمل به الليل)) وفي (م) و (ل): ((العمل في الليل)).[٢٨٧] في (ط): ((العذاب على من)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٨٨] زاد في (م) و (ل): ((ذكرهم)).[٢٨٩] في (م): ((بعض)).[٢٩٠] زاد في (م): ((أيضا)).[٢٩١] قوله: ((أنه)) ليس في (م).[٢٩٢] في (ج): ((من نطفة)).[٢٩٣] في (ج): ((لمجموعهما))، وفي (م): ((بمجموعهما)).[٢٩٤] قوله: ((سكوته)) ليس في (ج).[٢٩٥] زاد في (ج): ((سكوته)).[٢٩٦] في (ج) و (م) و (ل): ((يكونان مثلهم مثل آل فرعون لعظم)).[٢٩٧] في (ج): ((الفكرة)).[٢٩٨] قوله: ((فيكون سكوته على هذا الوجه مستدعيا للفكرة والاعتبار)) ليس في (م).[٢٩٩] في (ج) و (م): ((والشيخ)).[٣٠٠] في (ج) و (م): ((أن)).[٣٠١] في الأصل (ط) و (ج) و (م) و (ل): ((ومثل كلمة)) والصواب المثبت.[٣٠٢] في (م): ((فلأنه)).[٣٠٣] قوله: ((فكان ذلك)) ليس في الأصل (ط)، و هو مثبت من باقي النسخ.[٣٠٤] قوله: ((حوله، فأولاد الناس)) ليس في (م).[٣٠٥] زاد في (ج) و (م): ((به)).[٣٠٦] في (م): ((يكونو خدما للمؤمنين)).[٣٠٧] في (ج) و (م) و (ل): ((أو ينصرانه)).[٣٠٨] زاد في (م): ((به)).[٣٠٩] قوله: ((من)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[٣١٠] في (ج): ((لأن)).[٣١١] في (م) و (ل): ((بما)).[٣١٢] في الأصل (ط): ((مؤمنين)) وفي (م) و (ل): ((يؤمنوون)).[٣١٣] في (ج) و (م): ((هل هم من المقطوع)).[٣١٤] قوله: ((في حقهم عصفور .... قال)) ليس في (ج).[٣١٥] في (م): ((طيب)).[٣١٦] زاد في (ج) و (م): ((والأرض الخبيثة)).[٣١٧] في (ج) و (م) و (ل): ((والشباب والشيوخ)).[٣١٨] قوله: ((بلا خلاف)) ليس في (ج) و (م).[٣١٩] قوله: ((الدار)) ليس في (ج).[٣٢٠] في (ج) و (م) و (ل): ((لأجل أنها دار الشهداء لم يكن فيها)) بدل قوله: ((فلذلك لم يكن في هذه الدار)).[٣٢١] قوله: ((هذه)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[٣٢٢] في الأصل (ط) و (ج): ((نوعين)).[٣٢٣] في (م): ((شهيدة)) وكذا في الموضع الذي بعده.[٣٢٤] في (ج): ((أحد في أن الشهادة القتل)) وفي (م) و (ل): ((أحد في أن أعلى الشهادة [وفي (ل): ((الشهداء))] القتل)).[٣٢٥] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((وصاحب ذات الجنب)).[٣٢٦] في (م) و (ل): ((فإنما المراد)).[٣٢٧] في (ج): ((فأما المرأة هما تبين)).[٣٢٨] قوله: ((والله أعلم)) ليس في (ج).[٣٢٩] في (ج):

((يخبرا)).[٣٣٠] زاد في (ج): ((والله أعلم)).[٣٣١] في (ج) و (م): ((الإخبار)).[٣٣٢] في (ج): ((الجمع)).[٣٣٣] في (ج) و (م) و (ل): ((ويخبر بمعناه)).[٣٣٤] في (م) و (ل): ((ويكون ذلك في)).[٣٣٥] في (ج): (شيئا)).[٣٣٦] في (ج): ((وتغير الإلتفات إلى الغير)).[٣٣٧] زاد في (ل): ((بأول)).[٣٣٨] في (ج): ((أولا ولايمكنهما إلاالجواب له)) وفي (م): ((أولا بأول يمكنهما إلا الجواب له عليهم و)).[٣٣٩] في (ج) و (م) و (ل): ((يلزمهما)).[٣٤٠] قوله: ((إليه)) ليس في (م).[٣٤١] في (ج) و (م): ((ما رأى كان كله بواسطة الملك الذي نزل بالقرآن لأن)).[٣٤٢] في (ج): ((لا يدخلهما تأويل)) بدل قوله: ((لا يشك فيهما))، وقوله: ((لايشك فيهما)) ليس في (م).[٣٤٣] في (ج) و (م) و (ل): ((مرائيه)).[٣٤٤] قوله: ((في ذلك وجوه فمنها)) ليس في (م)[٣٤٥] قوله: ((ومنها بحسب معرفتك ... إليك)) ليس في (ج).[٣٤٦] زاد في (م): ((هو)).[٣٤٧] في (ج) و (م): ((ذلك)).[٣٤٨] في (ج) و (م): ((استكملت)).[٣٤٩] في (ج): ((فيه بحث وهو أن يقال)) وبدون الواو أولها، وفي (ل): ((فيه بحث)).[٣٥٠] قوله: ((منهما)) ليس في (م).[٣٥١] زاد في (ج): ((أنه)).[٣٥٢] في (م): ((كانت)).[٣٥٣] في الأصل (ط): ((فإنه)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٣٥٤] في (م) و (ل): ((بقولهما)).[٣٥٥] في (ج) و (م) و (ل): ((في)).[٣٥٦] قوله: ((من)) ليس في (م) و (ل).[٣٥٧] قوله: ((إلا القدر القليل والنذر ... المسافة)) ليس في (ج)، و زاد في (ج) و (م) و (ل) قوله: ((التي)).[٣٥٨] في (ج) و (م) و (ل): ((دخل وعاين)).[٣٥٩] قوله: ((له)) ليس في (م)، وزاد في (ج): ((المسافة إلا القدر القليل والنذر اليسير بالنسبة لما بين الدارين ولما رأى عليه السلام)).[٣٦٠] في (ج): ((بعظم المنزلة وكيفيتها بعد)).[٣٦١] قوله: ((من)) ليس في (م).[٣٦٢] في (ج) و (م) و (ل): ((بمقتضى)).[٣٦٣] في (ج): ((أخر)).[٣٦٤] في (م): ((لاينتشر)).[٣٦٥] قوله: ((أضدادها فأخرا الإخبار ... فكبرت)) ليس في (ج) و (م).[٣٦٦] زاد في (ج): ((ما هو أقل منها تأخر الإخبار له عاين ذلك فكبرت)).[٣٦٧] قوله: ((أما)) ليس في (م).[٣٦٨] زاد في (م): ((فأخر الأخبار له حتى عاين ذلك فكثرت)).[٣٦٩] في (ل) و (ج): ((فلأن)).[٣٧٠] في (ج) و (م) و (ل): ((وساقي)).[٣٧١] في (ج): ((بآخر)).[٣٧٢] في النسخ: ((خبره)) والمثبت من (ج).[٣٧٣] قوله: ((علي)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[٣٧٤] قوله: ((هو)) ليس في (ج) و (م).[٣٧٥] في (ج) و (م): ((ولا يترك)).[٣٧٦] في (ج): ((الشيء)).[٣٧٧] في (ج) و (م): ((ولايقع)).[٣٧٨] في (ج): ((ورزقني)).[٣٧٩] زاد في (ج) و (م) و (ل): ((هذا مقصود الموالي من العبيد)).[٣٨٠] في (ج): ((شيء)).[٣٨١] في (ج): ((وهو لا يخلف الميعاد)) بدل قوله: ((وعد لا يخلف)).[٣٨٢] في (ج) و (م) و (ل): ((غيره مني لا يعرف))..." (١)

"حديث: ما رأيت النبي صلى صلاة بغير ميقاتها إلا صلاتين٨١ - (عن عبد الله قال [١]:ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة بغير [٢] ميقاتها [٣] ...) الحديث. [خ¦ ١٦٨٢]ظاهره يدل على [٤] إيقاع هاتين الصلاتين في غير وقتهما، وليس على ظاهره، بدليل أن أوقات الصلوات [٥] قد حدها جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم وقال: ((ما بين هذين [٦] وقت))، ولكن لما كانت عادته عليه السلام في صلاة الصبح ما يصليها إلا بعد الفجر بهنيهة

---

(١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها ولها/٦٨

[٧]، كما جاء أنه عليه السلام كان يصليها بغلس، والغلس: بقية من ظلمة الليل، وفي المزدلفة عند أول انشقاق الفجر فأخرجها ــ يعني: وقوع الصلاة نفسها ــ عن الوقت الذي كان يوقعها فيه كما تقدم.ولذلك ذكر أنه [٨] حجت ميمونة رضي الله عنها زوجة [٩] النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته مع عثمان رضي الله عنه فلما كان في الصبح من ليلة المزدلفة عند أول انشقاق الفجر. قالت: إن كان عثمان موافق السنة فنصلي [١٠] الآن، فلم تتم الكلام إلا والمؤذن [١١] يقيم الصلاة.وأما [١٢] صلاة المغرب فكانت عادته عليه السلام يصليها أول الوقت، وكذلك صلاها جبريل عليهج ٢ ص ٢٥٢السلام به [١٣] عليه السلام في اليومين.وكانت عادته صلى الله عليه وسلم في السفر إذا جد به السير جمع [١٤] بين الصلاتين المشتركتين؛ الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، وكانت سنته عليه السلام في الجمع لو كان [١٥] رحيله قبل وقت الأولى أخرها حتى يصليها مع الأخرى، ولو [١٦] كان رحيله بعد دخول وقت الأولى صلاهما معا في أول وقت الأولى.فجاء عند نفوره [١٧] عليه السلام من عرفة بعد دخول الوقت، فنفر بالناس صلى الله عليه وسلم، فقال له أسامة: الصلاة يا رسول الله! فقال [١٨]: ((الصلاة أمامك)) [خ¦ ١٣٩] يعني: وقت وقوعها [١٩] موضعه أمامك، حتى وصل المزدلفة فصلى المغرب والرواحل قائمة، ثم حط [٢٠] الرحال وصلى [٢١] العشاء، فجاء في هذه الصلاة [٢٢] تغييران [٢٣] مما كانت عادته عليه السلام؛ أنه [٢٤] يصلي إذا جمع في السفر وقد دخل وقت الأولى الصلاتين معا كما ذكرنا فصدق ما قاله الراوي؛ لأنه صلاها في غير وقتها وزيادة على غير الصفة المعهودة كما ذكرنا.وهنا بحث: وهو [٢٥] هل هذه الصفة التي جعلها صلى الله عليه وسلم في هاتين الصلاتين تعبد [٢٦] لا يعقل ما [٢٧] حكمته أو الحكمة فيه معقولة؟بل [٢٨] الحكمة والله أعلم معقولة؛ لأنا إذا علمنا ما الحكمة [٢٩] في كونه عليه السلام كان يجمع إذا جد به السير علمنا ما الحكمة هنا، وقد ثبت أنه عليه السلام لم يكن يجمع إلا إذا جد به السير لأمر يخاف فواته، فهو من قبيل الرفق بأمته.ولوجه آخر وهو من أجل جمعية الباطنج ٢ ص ٢٥٣في الصلاة؛ لأنه من يكون قلبه متعلقا بأمر [٣٠] يفوته قل ما يكون مع ذلك حضور هذا في حق غيره؛ لأنه عليه السلام فيما يخصه إذ [٣١] عند رؤية [٣٢] تلك الآيات العظام في [٣٣] عالم الملكوت الأعلى كان كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله [٣٤]: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ [النجم: ١٧] فكيف هنا؟ فنجد في هذا الموطن [٣٥] إذا تأملناه التشويش بالنسبة للغير [٣٦] لكثرة الناس وما هم فيه من الدهشة.وفيه أيضا استدراك أمر يخاف فواته وهو تمام هذا الركن العظيم الذي مدار الحج كله عليه؛ لقوله عليه السلام: ((الحج عرفة)). أي: معظم الحج عرفة [٣٧]، وباقي الليلة له [٣٨] فلا يتم المقصود فيه بتمامه إلا بالخروج عن محله [٣٩] وبقعته فتسكن النفس عند فوزها بهذا الخير العظيم، وتستقبل ذلك [٤٠] الركن الذي يليه وهو المبيت بالمزدلفة بعبادتين وهما [٤١]: أداء فرضين في وقت واحد.وتوسعه أيضا كما قلنا في الجمع بين الصلاتين عند جد [٤٢] السير لكون [٤٣] الناس في ذلك الوقت قد تتعذر [٤٤] عليهم الطهارة أيضا إلى غير ذلك من الضرورات، وكان عليه السلام بالمؤمنين رحيما.وتأمل ذلك [٤٥] المعنى الذي أشرنا إليه تجده؛ لأنه ترفيع أيضا للركن الذي يلي [٤٦] عرفة وهي [٤٧] المزدلفة؛ لكونه [٤٨] أول عمل يعمل فيها صلاة المغرب قبل حط الرواحل ليكون استفتاح الشغل بها عبادة كبرى وهي أداء صلاة المغرب، وقد جاء في فضلها ماجاء.وفيه دليل على اشتراك وقتج ٢ ص ٢٥٤المغرب مع العشاء.وفيه دليل على ما [٤٩] يقوله العلماء: أن القاعدة الشرعية إذا جاء ما يعارضها يتأول، يؤخذ ذلك من أن الصحابي لما قد ثبتت [٥٠] أوقات

الصلوات ولا يدخلها نسخ بعد وفاته صلى الله عليه وسلم أطلق اللفظ بأن قال: (صلى الصلاة لغير وقتها)؛ لعلمه بأن القاعدة لايدخلها نسخ فلا يقع إشكال على أحد [٥١] بإطلاق لفظه.وفيه دليل على أن من دام على شيء عرف به، وإن خالفه [٥٢] يجوز الإخبار عنه أنه [٥٣] قد خرج عما كان عليه، وإن كانت اللغة أو الشريعة لم تخرجه عن ذلك بمدلولاتها، يؤخذ ذلك من [٥٤] كون النبي صلى الله عليه وسلم كانت له عادة في صلاة الصبح لم يكن يخرج عنها، وكذلك في الجمع في السفر، فلما خرج هنا عن تلك [٥٥] العادتين كما ذكرنا، وإن كان دلالة الشرع لم تخرجه حقيقة عنها أطلق الصحابي أنه صلاها في غير وقتها.وفيه دليل على جواز الإخبار باللفظ المحتمل ولا يبين ماذا أراد منهما [٥٦] بصيغة ما، يؤخذ ذلك من قول الصحابي: (صلاها لغير وقتها)، وهو لفظ محتمل [٥٧] أن يريد وقتها المفروض لها، أو وقتها على جري العادة في إيقاعها، ولم يأت في اللفظ بما يدل على واحد منهما [٥٨].وفيه دليل على أن [٥٩] ثبوت العمل يستغنى به عن تخصيص المحتمل، يؤخذ ذلك من أنه لما كان فعله صلى الله عليه وسلم في الحج معروفا عندهم وعلته لا تخفى عليهم أجمل لهم اللفظ بقوله: (صلى الصلاة [٦٠]ج ٢ ص ٢٥٥لغير ميقاتها). وذكر الموضع بقوله: (في الحج) [٦١].وفيه دليل [٦٢] أن من الدين ذكر الحكم في الدين والتحدث به وإن كان شائعا بحيث لا يخفى، يؤخذ ذلك من كون هذه الصلاة عن سيدنا صلى الله عليه وسلم مشهورة والعمل عليها لم [٦٣] ينقطع إلى هلم جرا، وعبد الله بن عمر يتحدث فيها.وقد كنت لقيت بعض السادة في العلم والعمل إذا كان [٦٤] اجتماعهم يوما ما عند بعضهم بعضا لم يكن [٦٥] حديثهم إلا في مسائل الدين وليست بالغوامض أو في أحوال القوم ليس إلا.ومثل ذلك كان المروي عن الصحابة والسلف رضي الله عنهم أنهم إذا تلاقوا يقولون: (تعال [٦٦] نؤمن)، أي: نتحدث في مسائل الإيمان؛ لأن كل شيء إذا كثر الكلام فيه قد يحصل فيه ملل في بعض الأوقات أو ضيق صدر في وقت ما إلا [٦٧] الكلام في الإيمان وفروعه وأحوال أهله، فإن ذلك عند أهل التحقيق منهم فإنه [٦٨] يزيد به إيمانهم [٦٩] مثل العلم إذا أنفق منه زاد، وغيره إذا أنفق منه نقص، فعليك برأس مال إذا أنفقت منه زاد لك ونما وترفه به غيرك واستغنى [٧٠] ولم ينقصك شيئا.ولذلك **قال بعض الحكماء**: أعطية العالم ربانية؛ يعطيك الشيء [٧١] برمته ولا ينقص له [٧٢] مما عنده شيء؛ لأنه إذا علمك العلم قد حصل عندك جميع ما كان هو يعرف [٧٣] ولم ينقص له مما عنده شيء [٧٤] بل زاده تجديدا [٧٥]، فإن ذكر العلم زيادة تنبيه له مع زيادة الأجر الذي هو خيرج ٢ ص ٢٥٦من الكل.وفيه من الفقه أن روايته وإن كان العمل ثابتا ظاهرا [٧٦] قطع لحجة [٧٧] الخصم، وثبت بأنه [٧٨] ذلك كان [٧٩] حكم الله على لسان رسوله صلى اله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل، فلو لم يكن هذا الإمام يتحدث [٨٠] بهذا الحديث وإن كان العمل باقيا [٨١] عليه من أي طريق كنا نحن نقطع [٨٢] بأن هذه هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم للخصم إذا جاءه [٨٣] أو للنفس إذا أرادت [٨٤] الوقوف على حقيقة أديانه، وقد [٨٥] قال: في الدين فكن [٨٦] مجتهدا ولا تأخذه إلا عن أصل [٨٧] كتاب الله وسنة نبيه [٨٨]، وإجماع، ونقل عن عدل [٨٩]، وقياس إن عرفت شرطه، وخامس: ليس طريقه بالعدل [٩٠].__________[١] في (ج): ((قوله)) بدل قوله: ((عن عبد الله قال))، وفي (ل): ((قوله: (عن عبد الله قال:).[٢] في النسخ: ((لغير)) والمثبت من (ج).[٣] زاد في (ل): ((إلا صلاتين: جمع بين المغرب والعشاء، وصلاة الفجر قبل ميقاتها)).[٤] قوله: ((يدل على))

ليس في الأصل (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[٥] في (ج): ((الصلاة)).[٦] في (ل): ((هاتين)).[٧] في النيخ: ((بهنياة)) ولعل المثبت هو الصواب، وهو مطابق للمطبوع.[٨] في (م): ((ذكروا أنه))، وزاد في (ج) و (م): ((لما)).[٩] في (ج) و (م): ((زوج)).[١٠] في (ج): ((يوافق السنة فيوافق)) وفي (م): ((يوافق السنة فليصلي))، وفي (ل): ((فيصلي)).[١١] في الأصل (ط): ((والمدن))، والمثبت من النسخ الأخرى.[١٢] قوله: ((وأما)) ليس في (ج).[١٣] قوله: ((به)) ليس في (ل).[١٤] في (ج) و (م): ((يجمع)).[١٥] في (م): ((إن كان قبل))، وفي (ج): ((إن كان)).[١٦] في (ج) و (م): ((وإن)).[١٧] في (ج) و (م): ((نفره)).[١٨] زاد في (ج) و (م): ((له)).[١٩] في (م): ((إيقاعها)).[٢٠] في (م): ((حطوا)).[٢١] في (ج) و (م): ((وصلوا)).[٢٢] في الأصل (ط): ((فجاءت هذه الصلاة)) والمثبت من (م) و (ل)، وفي (ج): ((فجاءت في هذه الصلاة تغيير أو مما)).[٢٣] في (المطبوع): ((تغييرات)).[٢٤] في (ل): ((أن)).[٢٥] قوله: ((وهو)) ليس في (ج).[٢٦] في (ج): ((تعبدا)).[٢٧] قوله: ((ما)) ليس في (م).[٢٨] في (ج) و (م): ((فالجواب أن)).[٢٩] في (ط): ((ما العلة)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٣٠] في (م): ((متعلق بشيء)).[٣١] قوله: ((فيما يخصه إذ)) ليس في (ج) و (م).[٣٢] في (ل): ((رؤيته)).[٣٣] في (م): ((عند)).[٣٤] قوله: ((بقوله)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[٣٥] في (ج): ((هنا في هذا الموضع)).[٣٦] في (ج): ((التشويش أكثر بالنسبة للغير))، وفي (م): ((التشويش أكثر للغير))، وفي (ل): ((بالنسبة للغير أكثر)).[٣٧] قوله: ((أي معظم الحج عرفة)) ليس في (ج).[٣٨] قوله: ((له)) ليس في (ج).[٣٩] في (م) و (ل): ((من محله))، وفي (ج): ((في محلته)).[٤٠] قوله: ((ذلك)) ليس في (م).[٤١] في الأصل (ط) وفي (ل): ((وهي)).[٤٢] في الأصل (ط): ((جدب)).[٤٣] في (ج): ((الكل)).[٤٤] في (ج): ((تعذر)).[٤٥] قوله: ((ذلك)) ليس في (ج).[٤٦] في (ج): ((يكنى)).[٤٧] في (ل): ((وهو)).[٤٨] في (ج) و (م): ((لكون)).[٤٩] في (ج) و (م): ((دليل لما)).[٥٠] في (ج): ((ثبت)).[٥١] قوله: ((أحد)) ليس في (ج).[٥٢] في (ل): ((خالف)).[٥٣] في (ل): ((بأنه)).[٥٤] قوله: ((من)) ليس في (ج).[٥٥] في (ل): ((عن تينك)).[٥٦] في (م): ((منها)).[٥٧] في (ل): ((وهو وقت محتمل)).[٥٨] في (ج): ((منها)).[٥٩] قوله: ((أن)) ليس في (ط) والمثبت من النسخ الأخرى.[٦٠] في (ج) و (م): ((صلاة)).[٦١] قوله: ((وذكر الموضع بقوله في الحج)) ليس في (ج) و (م).[٦٢] زاد في (ج) و (ل): ((على)).[٦٣] زاد في (ل): ((مالم)).[٦٤] في (ج) و (م): ((اتفق)).[٦٥] قوله: ((يكن)) ليس في الأصل (ط) وهو مثبت من باقي النسخ، وقوله: ((بعضا)) ليس في (ج) و (م).[٦٦] في (م): ((تعالوا)).[٦٧] في (ل): ((أما)).[٦٨] في (ل): ((فإنهم)).[٦٩] في (ج): ((التحقيق يزيد إيمانهم))، وفي (م): ((التحقيق يزيد به إيمانهم)).[٧٠] في (ج): ((وقر به واستغنى غيرك)).[٧١] قوله: ((الشيء)) ليس في (ل).[٧٢] قوله: ((له)) ليس في (ج) و (م) و (ل).[٧٣] في (ج): ((كان يعرفه)).[٧٤] قوله: ((لأنه إذا علمك العلم قد ... عنده شيء)) ليس في (م).[٧٥] في (ج) و (م): ((تجديد)).[٧٦] في الأصل (ط): ((ثابت ظاهر))، وفي (م): ((ثابتا ظاهر)).[٧٧] في (ج): ((بحجة)).[٧٨] في (ج) و (م): ((وثبت إذ أن)).[٧٩] قوله: ((كان)) ليس في (ج).[٨٠] في (م): ((يحدث)).[٨١] قوله: ((باقيا)) ليس في (م).[٨٢] في (م): ((كنا نقطع))، وفي (ج): ((كان قطع)).[٨٣] في (ج): ((جاد)).[٨٤] في (ل): ((أراد)).[٨٥] في (ج) و (م): ((دينها وقد))، وفي

(ل): ((أديانها فقد)).[٨٦] في (م): ((كن)).[٨٧] قوله: ((أصل)) ليس في (م).[٨٨] قوله: ((نبيه)) ليس في الأصل (ط) و (م) والمثبت من (ج)، وفي (ل): ((سنته)).[٨٩] قوله: ((ونقل عن عدل)) ليس في (ج) و (م).[٩٠] في (المطبوع): ((ليس طريقه العدول عن القياس إلى الاستحسان، وإنما طريقه (المصالح المرسلة) كما هو مذهب المالكية)).." (١)

"حديث: ابن أخت القوم منهم٢٧٥ – قوله صلى الله عليه وسلم: (ابن أخت القوم منهم ــ أو: من أنفسهم ــ [١]. [خ¦٦٧٦٢]ظاهر الحديث يدل على أن ابن أخت القوم منهم، وأنه يضاف إليهم. والكلام عليه من وجوه:منها أن يقال: ما معنى (منهم)؟ هل ذلك على العموم في كل من انقطع عن نسبة [٢] أبيه، أو ذلك في [٣] وجه خاص؟ وما الحكمةج ٤ ص ٢٦٥في أن أتى [٤] بصيغة (القوم)؟ وما أراد بها، هل [٥] القبيلة أو غير ذلك [٦] من الرجال دون النساء؟ وهل هذه النسبة أمر لا يعقل معناه، فيكون تعبدا، أو لحكمة تعرف؟.أما قولنا: ما معنى (منهم)؟ وهل ذلك على العموم، أو في أمر خاص؟ اللفظ محتمل. وتخصيصه يؤخذ من غير هذا الحديث [٧] من [٨] قواعد الشريعة. فأما تخصيصه من جهة قواعد الشريعة فقد [٩] قال صلى الله عليه وسلم: ((من انتسب إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)) أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فلا يكون على عمومه حتى يقطع الابن من أبيه ونسبه. وأما تخصيصه من غير هذا الحديث فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((الخال أحد الأبوين)) معناه فيما يجب من بره وتوقيره، لا أنه اشترك هو والأبوان في الصبي، ولا له معهما من [١٠] ميراثه نصيب، فكذلك: ابن الأخت من القوم، أي: مثل بنيهم، لأنه ما يكون من القوم إلا بنيهم [١١]، فهو كبنيهم في الشفقة عليه، ولذلك قدم [١٢] في الحضانة الأم وأهلها من بعدها على الأب وأهله. ويلزم الصبي من البر لهم والإكرام مثل ما يلزم من جهة الأب. وقد **قال بعض الحكماء [١٣]**: إذا أردت النصرة فائت العمومة والقبيلة فهم أشد في الحماية لك، وإن [١٤] أردت الأكل والحاجة [١٥] من جهة بذل المال أو ما في معناه فائت الخؤولة فهم أحن عليك وأشفق. ومما يبين ما ذكرناه: ((أنه صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة رضي الله عنها وهيج ٤ ص ٢٦٦تبكي فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: ليس لي بما أكنى، وعادة العرب يكنون [١٦] بالأكبر من بنيهم. فقال لها: تكني بابن أختك [١٧])) فجعل ابن أختها مثل ابنها.وأما قولنا: ماذا أراد بقوله: (القوم) هل الرجال دون النساء أو الجمع [١٨]؟.فالجواب: أنه لما كان الحكم في هذا للرجال والنساء سواء، وعادة العرب إذا كان مذكر ومؤنث، وأرادوا جمعهما [١٩] غلبوا المذكر وإن كان هو الأقل وجمعوهما [٢٠] جمع المذكر، فلذلك جمع هنا صلى الله عليه وسلم بصيغة جمع المذكر [٢١].وأما قولنا: هل هذا تعبد أو لحكمة تعرف؟ فالحكمة ــ والله أعلم ــ ظاهرة لأن العرب [٢٢] كانوا لا يلتفتون لجهة النساء ولا يعنون بهن، وكانوا [٢٣] يقولون في ابن البنت الذي هو أقرب منه – أعني من [٢٤] ابن الأخت: أبناء أبنائنا أبناؤنا وأبناء بناتنا أبناء الناس الأباعد [٢٥]فأراد صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث وما هو في معناه نسخ أحكام الجاهلية، والألفة بين الأهل والأقارب، والله أعلم.وفيه دليل على جواز المخاطبة باللفظ العام والمراد منه الخصوص، إذا علمت من فهم المخاطب أنه فهم [٢٦] ما ألقي إليه. يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: (ابن

---

(١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها ولها/٨٠

أخت القوم منهم) والمقصود بقوله: (منهم) ما أشرنا إليه باللفظ الخاص.وفي هذا دليل لمالك [٢٧] حيث يقول: بالمعاني استعبدنا لا بالألفاظ، إشارة منه إلى هذا المعنى فلا تشاحح في الألفاظ [٢٨].وفيه دليل على فضل الصحابة رضي الله عنهم وتحريهم في النقل. يؤخذ ذلك من قول الراوي: (منهم ــ أو: منج ٤ ص ٢٦٧أنفسهم ــ) وهذا دأبهم في النقل [٢٩].وفيه دليل [٣٠] لمن يقول: إن الحديث إنما ينقل مثل القرآن بالواو والفاء. يؤخذ ذلك من قوله: (منهم ــ أو: من أنفسهم ــ) لأن المعنى في اللفظتين [٣١] سواء، فلو لم [٣٢] يكن الأمر [٣٣] عندهم أنه ينقل بالفاء والواو ما [٣٤] فعل هذا.وفيه دليل لمن يقول: إن [٣٥] للعالم أن يعلم قبل أن يسأل. يؤخذ ذلك من أن سيدنا صلى الله عليه وسلم أخبرهم بهذا الحديث من غير سؤال تقدم، ولو تقدمه سؤال لذكره الراوي، فإن هذا هو المعروف من عادتهم رضي الله عنهم.وفيه دليل على أن لسيدنا [٣٦] صلى الله عليه وسلم أن يقرر من الأحكام ما شاء بغير وحي في ذلك. يؤخذ ذلك من أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بهذا الحديث ولم يذكر أنه بوحي، وبأي طريق [٣٧] أمرنا من هذين الوجهين يلزمنا العمل بذلك، لقول الله عز وجل في كتابه: ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ [النساء: ١٠٥] وإن كانت المسألة مختلفا فيها. لكن هذا هو الظاهر [٣٨] والذي عليه الجمهور، وهو المستقر أيضا من أحكام الشريعة لمن تتبعها غالبا [٣٩].ــــــــــــــ[١] في (ب): ((عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ابن أخت القوم منهم أو من أنفسهم)).[٢] في (ج) و (ب): ((نسب)).[٣] في (ب): ((من)).[٤] في (م): ((في أنه)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٥] قوله: ((هل)) ليس في (ج).[٦] في (ج): ((بها، القبيلة أو ذلك)).[٧] قوله: ((ويتبين أيضا تخصيصه)) ليس في (م) و (ت) والمثبت من (ج) و (ب). وبعدها في (ج) و (ب): ((من جهة قواعد ..)).[٨] زاد في (ج): ((جهة)).[٩] في (ج) و (ب): ((الحديث، ويتبين أيضا تخصيصه من جهة قواعد السريعة فقد)).[١٠] في (ت) و (ب): ((في)).[١١] في (ج) صورتها: ((بينهم)).[١٢] في (م): ((قدمه)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٣] في (ب): ((العلماء)).[١٤] كذا في (م)، وفي باقي النسخ: ((وإذا)).[١٥] قوله: ((والحاجة)) ليس في (م) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٦] في (م): ((مكنون)) والمثبت من النسخ الأخرى.[١٧] زاد في (ب): ((عبد)).[١٨] في (ج) و (ب): ((الجميع)).[١٩] في (م): ((جميعا)) و في (ب): ((جمعها))، والمثبت من (ج) و (ت).[٢٠] في (ب): ((وجمعوها)).[٢١] قوله: ((فلذلك جمع هنا صلى الله عليه وسلم بصيغة جمع المذكر)) ليس في (ج) و (ب).[٢٢] قوله: ((العرب)) ليس في (ج).[٢٣] قوله: ((كانوا لا يلتفتون لجهة النساء ولا يعنون بهن، وكانوا)) ليس في (م) والمثبت من النسخ الأخرى. لكن في (ج): ((وكان))، وفي (ب): ((لا يعبؤون))، والمثبت هو الصواب والله أعلم.[٢٤] قوله: ((من)) ليس في (ج).[٢٥] في المطبوع: ((بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد)).[٢٦] قوله: ((المخاطب أنه فهم)) ليس في (ج).[٢٧] في (ب): ((لمذهب مالك)).[٢٨] قوله: ((إشارة منه إلى هذا المعنى فلا تشاحح في الألفاظ)) ليس في (م) والمثبت من النسخ الأخرى.[٢٩] قوله: ((وفيه دليل على فضل الصحابة ... وهذا دأبهم في النقل)) ليس في (ب).[٣٠] في (ب): ((وفي هذا دليل)).[٣١] في (م): ((اللفظين)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٣٢] في (م): ((سواء فلم)) والمثبت من النسخ الأخرى.[٣٣] في (ت): ((الأمن)).[٣٤] في (م) و (ج): ((وما)) والمثبت من النسخ

الأخرى.[٣٥] قوله: ((إن)) ليس في (ب).[٣٦] في (ج): ((سيدنا)).[٣٧] في (ب): ((بأنه وحي وبأي وجه)).[٣٨] في (ج): ((الأظهر)).[٣٩] في (ج): ((من أحكام أيضا غالبا لمن تتبعها)).." (١)

"الفوائد المسطرة في علم البيطرة أو الأبواب:طبع في مدريد سنة ١٩٣٥ م وقد علق ناشر كتاب عين الأدب في طبعة دار الكتب العلمية على هذا الكتاب بقوله: هناك بعض الشكوك حول نسبة كتاب الفوائد المسطرة في علم البيطرة. وأجدر بهذا أن يكون من تأليف يحيى بن أحمد بن هذيل الطبيب.كمال البغية والنيل:ذكر مرسيه أن ابن هذيل ذكره في كتابه عين الأدب والسياسة.مقالات الأدباء:ذكره في كتابه عين الأدب والسياسة ص ٢٦٢.وهكذا نرى أن هذا الرجل المجهول في كتب التراجم قد ترك تراثا أدبيا جيدا يعتمد الجمع والاصطفاء والترتيب كما لاحظنا في كتبه التي تيسر لنا الاطلاع عليها، وقد صرح بذلك في غير ما موضع من كتبه، قال في مقدمته لكتاب «عين الأدب والسياسة»:«فإن التأليف غير موقوف على زمان، والتصنيف ليس بمقصور على أوان، لكنها صناعة ربما قصرت فيها سوابق الأفهام، وسبيل ربما حادت عنها أقدام الأوهام، **قال بعض الحكماء**: لكل شيء صناعة، وصناعة التأليف صناعة العقل .. والذي عليه في التأليف المدار، وهو حسن الانتقاء والاختيار، مع الترتيب والتبويب والتهذيب والتقريب .. وفضيلة هذا التأليف هي في جمع ما افترق، مما تناسب واتسق، واختيار عيون وترتيب فنون، من أحاديث نبوية، ومكارم أدبية، وحكم باهرة، وأبيات نادرة، وأمثال شاردة، وأخبار واردة، ووصايا نافعة، ومواعظ جامعة،." (٢)

"من الرأيين نتيجة تحمل عنكم معرة الجبناء وتهور الشجعان، فتكون أنفذ من السهم الوالج ومن الحسام الدالج (١).قال عمرو بن العاصي لمعاوية: والله - يا أمير المؤمنين - ما أدري أشجاع أنت أم جبان؟!! فقال:شجاع إذا ما أمكنتني فرصة ... وإن لم تكن لي فرصة فجبان (٢)**قال بعض الحكماء**: انتهز الفرصة فإنها خلسة وثب عند رأس الأمر، ولا تثب عند / [س ٨٧] ذنبه، وإياك والعجز فإنه أوطأ مركب (٣).وقال شبيب الحروري: الليل يكفيك الجبان ونصف الشجاع، وكان إذا أمسى يقول لأصحابه: أتاكم المدد (٤).وقيل لبعضهم: أي المكيدة في الحرب أحزم؟قال: إذكاء العيون، وإفشاء الغلبة واستطلاع الأخبار، وإظهار السرور وإماتة الفرق، والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمستنصح ولا استنصاح لمستغش، وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره (٥).قال حبيب بن أوس (٦):________________________(١) العقد: ١: ١٢٣.(٢) الخبر والشعر في العقد ١: ٩٩.(٣) العقد ١: ٩٨.(٤) العقد ١: ٩٧.(٥) عيون الأخبار ١: ١١٢ والعقد ١: ١٢٢. والفرق: الخوف.(٦) حبيب بن أوس ١٨٨ - ٢٣١ هـ - ٨٠٤ - ٨٤٦ م: هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان، ولد في جاسم من قرى حوران بسورية ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته، فأقام في

---

(١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها ولها/٢٦٩

(٢) تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس @ ط البارودي (بعد ٧٦٣) ابن هذيل ص/١٢

العراق، ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي فيها، كان يحفظ كثيرا من الشعر وترك تصانيف منها كتاب الحماسة والوحشيات ونقائض جرير والأخطل إضافة إلى ديوانه.." (١)

"أن يتأدب مع حاضري مجلس الشيخ فإنه أدب معه واحترام لمجلسه وهم رفقاؤه فيوقر أصحابه ويحترم كبراءه وأقرانه، ولا يجلس وسط الحلقة ولا قدام أحد إلا لضرورة كما في مجالس التحديث ولا يفرق بين رفيقين ولا بين متصاحبين إلا بإذنهما معا ولا فوق من هو أولى منه.وينبغي للحاضرين إذا جاء القادم أن يرحبوا به ويوسعوا له ويتوسعوا لأجله، ويكرموه بما يكرم به مثله، وإذا فسح له في المجلس وكان حرجا ضم نفسه.ولا يتوسع ولا يعطي أحدا منهم جنبه ولا ظهره، ويتحفظ من ذلك ويتعهده عند بحث الشيخ له، ولا يجنح على جاره أو يجعل مرفقه قائما في جنبه أو يخرج عن نسق الحلقة بتقدم أو تأخر.ولا يتكلم في أثناء درس غيره أو درسه بما لا يتعلق به أو بما يقطع عليه بحثه، وإذا شرع بعضهم في درس فلا يتكلم بكلام يتعلق بدرس فرغ ولا بغيره مما لا تفوت فائدة إلا بإذن من الشيخ وصاحب الدرس.وإن أساء بعض الطلبة أدبا على غيره لم ينهره غير الشيخ إلا بإشارته أو سرا بينهما على سبيل النصيحة، وإن أساء أحد أدبه على الشيخ تعين على الجماعة انتهاره ورده والانتصار للشيخ بقدر الإمكان وفاء لحقه، ولا يشارك أحد من الجماعة أحدا في حديثه ولا سيما الشيخ. **قال بعض الحكماء**: من الأدب أن لا يشارك الرجل في حديثه وإن كان أعلم به منه، وأنشد الخطيب في هذا المكان:وإن عرفت فرعه وأصلهولا تشارك في الحديث أهلهفإن علم إيثار الشيخ ذلك أو المتكلم فلا بأس، وقد تقدم ذلك مفصلا في الفصل قبله.التاسع:(١/٥٥)." (٢)

"قوله تعالى: " والله يعدكم مغفرة منه وفضلا "؛ أي " مغفرة " لذنوبكم بالإنفاق من خيار الأموال، " وفضلا " أي خلفا في الدنيا والآخرة، " والله واسع عليم "؛ يوسع الرزق والخلف والمثوبة، ويعلم حيث ينبغي أن تكون السعة، قال ابن عباس وابن مسعود: (ثنتان من الله وثنتان من الشيطان؛ فمن الله المغفرة والفضل، ومن الشيطان الفقر والفحشاء). ووعد الشيطان وساوس وتخيل؛ أي يخيل إليك أنك إن أمسكت مالك استغنيت، وإن تصدقت به افتقرت.قوله تعالى: " يؤتي الحكمة من يشآء "؛ اختلفوا في تفسير الحكمة؛ قال ابن مسعود: (هي القرآن). وقال ابن عباس وقتادة: (علم ناسخ القرآن ومنسوخه؛ ومحكمه ومتشابهه؛ ومقدمه ومؤخره؛ وحلاله وحرامه؛ وأمثاله؛ وغيره). وقال السدي: (هي النبوة). وقال أبو العالية: (هي الفقه). وقال مجاهد وإبراهيم: (هي الإصابة والفهم). وقال الربيع: (هي خشية الله تعالى). وقال سهل بن عبدالله: (هي السنة). وقيل: هي سرعة الجواب مع إصابة الصواب، والله أعلم.وقوله تعالى: " ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا "؛ أي من يعط العلم فقد أعطي خيرا كثيرا يصل به إلى رحمة الله تعالى. **قال بعض الحكماء**: سمى الله العلم خيرا كثيرا، والدنيا متاعا قليلا، فينبغي لمن أوتي العلم أن يعرف قدر نفسه ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لدنياهم. وقال الحسن: (ومن يؤت الحكمة؛ يعني الورع في دين الله).." (٣)

---

(١) تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس @ ط البارودي (بعد ٧٦٣) ابن هذيل ص/٢٧٩

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم @ ابن جماعة، بدر الدين ص/٥٦

(٣) تفسير أبي بكر الحداد -كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل الحدادي ص/٣٤٧

"قوله تعالى: " وفي السمآء رزقكم "؛ يعني المطر الذي هو سبب النبات، والنبات هو مما قسمه الله تعالى للعباد وكتبه في السماء، أخبر الله تعالى أن أرزاق العباد حيث لا يأكله السوس ولا تناله اللصوص، فقال تعالى: " وفي السمآء رزقكم ".وعن واصل الأحدب أنه قرأ هذه الآية فقال: (إني أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فدخل خربة فمكث فيها ليالي لا يصيب شيئا، فلما كان يوم الرابع إذ هو خوص صرة من دوخلة رطب، فلم يزل كذلك حتى مات).قوله تعالى: " وما توعدون "؛ قال عطاء: (معناه: وفي السماء ما توعدون من الثواب والعقاب مكتوب)، وقال الكلبي: (وما توعدون من الخير والشر). وقال مجاهد: (الجنة والنار).قوله تعالى: " فورب السمآء والأرض إنه لحق مثل مآ أنكم تنطقون " أقسم الله تعالى بنفسه، والذي بينه من أمر الرزق وغيره (لصدق) كان نطقكم الذي هو الصدق من كلمة التوحيد ونحوها حق قرأه أهل الكوفة (مثل ما أنكم) برفع (مثل) على أنه صفة لقوله (لحق). وقرأ الباقون بالنصب على الترك على معنى إنه يحق حقا " مثل مآ أنكم تنطقون "، وقيل: تقديره: كمثل ما أنكم تنطقون.**وقال بعض الحكماء**: معنى قوله: " مثل مآ أنكم تنطقون " أي كما أن كل إنسان لا ينطق بلسان غيره، كذلك لا يأكل إنسان رزق غيره والذي قدر له، ولا يأكل إلا رزق نفسه، كما لا يتكلم إلا بلسان نفسه.." (١)

" محذوف والآخرة هي دار الآخرة والأولى الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق وقيل الآخرة قوله أنا ربكم الأعلى والأولى قوله ما علمت لكم من إله غيري وقيل بالعكس فالمعنى أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى (٢) ﴾ ٢ (٣) ٢ ! هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها (٤) ﴾ ٢ (٥) ٢ ! السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام وقيل السمك السقف ! ٢ (٦) ٢ ! أي أتقن خلقتها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض (٧) ﴾ ٢ (٨) ٢ ! أي جعله مظلما يقال غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله ! ٢ (٩) ٢ ! أي أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أنهما ظاهران منها وفيها (١٠) ﴾ ٢ (١١) ٢ ! أي بسطها واستدل بها من قال إن الأرض بسيطة غير كروية وقد ذكرنا في فصلت الجمع

---

(١) تفسير أبي بكر الحداد -كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل الحدادي ص/٢٨٢٥

(٢)< النازعات : (٢٦) إن في ذلك . . . . .

(٣) أأنتم أشد خلقا أم السماء

(٤)< النازعات : (٢٨) رفع سمكها فسواها

(٥) رفع سمكها

(٦) فسواها

(٧)< النازعات : (٢٩) وأغطش ليلها وأخرج . . . . .

(٨) وأغطش ليلها

(٩) وأخرج ضحاها

(١٠)< النازعات : (٣٠) والأرض بعد ذلك . . . . .

(١١) والأرض بعد ذلك دحاها

بين هذا وبين قوله ثم استوى إلى السماء [1] ﴾ ٢ [2] ٢ ! ومرعاها نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها فإن قيل لما قال أخرج بغير حرف العطف فالجواب أن هذه الجملة في موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشري [3] ﴾ ٢ [4] ٢ ! أي أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض [5] ﴾ ٢ [6] ٢ ! تقديره فعل ذلك كله تمتيعا لكم منه ! ٢ [7] ٢ ! لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر [8] ﴾ ٢ [9] ٢ ! هي القيامة وقيل النفخة الثانية واشتقاقها من قولك لهم الأمر إذا علا وغلب [10] ﴾ ٢ [11] ٢ ! أي أظهرت لكل من يرى فهي لا تخفى على أحد [12] ﴾ ٢ [13] ٢ ! ذكر في سورة الرحمن ! ٢ [14] ٢ ! أي ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة قال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه وقال سهل التستري لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين [15] ﴾ ٢ [16] ٢ ! ذكر في الأعراف [17] ﴾ ٢ [18] ٢ ! أي من ذكر زمانها فالمعنى لست في شئ من ذكر ذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الآية انتهى [19] ﴾ ٢ [20] ٢ ! أي منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده [21] > ^ إنما أنت منذر من يغشاها ^ أي إنما بعثت لتنذر بها وليس

---

(١)> النازعات : (٣١) أخرج منها ماءها . . . . .

(٢) أخرج منها ماءها

(٣)> النازعات : (٣٢) والجبال أرساها

(٤) والجبال أرساها

(٥)> النازعات : (٣٣) متاعا لكم ولأنعامكم

(٦) متاعا لكم

(٧) ولأنعامكم

(٨)> النازعات : (٣٤) فإذا جاءت الطامة . . . . .

(٩) الطامة

(١٠)> النازعات : (٣٦) وبرزت الجحيم لمن . . . . .

(١١) وبرزت الجحيم لمن يرى

(١٢)> النازعات : (٤٠) وأما من خاف . . . . .

(١٣) مقام ربه

(١٤) ونهى النفس عن الهوى

(١٥)> النازعات : (٤٢) يسألونك عن الساعة . . . . .

(١٦) أيان مرساها

(١٧)> النازعات : (٤٣) فيم أنت من . . . . .

(١٨) فيم أنت من ذكراها

(١٩)> النازعات : (٤٤) إلى ربك منتهاها

(٢٠) إلى ربك منتهاها

(٢١)> النازعات : (٤٥) إنما أنت منذر . . . . .

عليك الإخبار بوقتها وخص الإنذار بمن يخشاها لأنه هو الذي ينفعه الإنذار (١) ﴾ ٢ (٢) ٢ ! أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم وأضاف الضحى كذلك إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما في يوم واحد

---

(٣) ".

"السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ فليتفكروا فيها، وهذا مشكل فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبا كان بمكة، والله أعلم، ومعنى الآية أن الله تعالى يقول: ﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾ أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها و كثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات، وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والروائح والطعوم والخواص، ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرا، ويقصر الذي كان طويلا. وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالى: ﴿لآيات لأولي الألباب﴾ أي العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم ﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ثم وصف تعالى أولي الألباب، فقال: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ . كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنبك" أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم، ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ أي يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته. وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل والاعتبار وعن الحسن البصري أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وقال الفضيل قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك، وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت:إذا المرء كانت له فكرة ... ففي كل شيء له عبرةوعن عيسى عليه السلام أنه قال: طوبى لمن كان قيله تذكرا وصمته تفكرا، ونظره عبرا، قال لقمان الحكيم: أن طول الوحدة ألهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة، وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرىء إلا فهم ولا فهم امرؤ قط إلا علم، ولا علم امرؤ قط إلا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة. وقال مغيث الأسود: زوروا القبور كل يوم تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها

---

(١)< النازعات : (٤٦) كأنهم يوم يرونها . . . . .

(٢) لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها

(٣) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل @ ط الكتاب العربي ابن جزي الكلبي ١٧٧/٤

وأطباقها. وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه قد ذهب عقله. وقال عبد الله بن المبارك: مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة، فناداه فقال: يا راهب، أن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر: كنز الرجال، وكنز الأموال. وعن ابن عمر: أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين، فيقول: أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ وعن ابن عباس أنه قال: ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه. وقال الحسن البصري: يا ابن آدم، كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه، ودع ثلثه الآخر تتنفس للفكرة. **وقال بعض الحكماء**: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة، انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة. وقال بشر بن الحارث الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه. وقال الحسن عن عامر بن عبد قيس، قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون:." (١)

"مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾يقول تعالى مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من خالفه من قومه: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح – إلى أن قال – وكذب موسى﴾ أي مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات ﴿فأمليت للكافرين﴾ أي أنظرتهم وأخرتهم، ﴿ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾ أي فيكف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم ؟! وذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه: أنا ربكم الأعلى، وبين إهلاك الله له أربعون سنة. وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ ثم قال تعالى: ﴿فكأين من قرية أهلكناها﴾ أي كم من قرية أهلكتها ﴿وهي ظالمة﴾ أي مكذبة لرسلها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ قال الضحاك: سقوفها، أي قد خربت وتعطلت حواضرها ﴿وبئر معطلة﴾ أي لا يستقى منها، ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والإزدحام عليها ﴿وقصر مشيد﴾ قال عكرمة يعني المبيض بالجص، وروي عن علي بن أبي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي المليح والضحاك نحو ذلك. وقال آخرون: هو المنيف المرتفع. وقال آخرون: المشيد المنيع الحصين، وكل هذه الأقوال متقاربة ولا منافاة بينها، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾.وقوله: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي بأبدانهم وبفكرهم أيضا، وذلك كاف كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار قال: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سح في الأرض، ثم اطلب الآثار والعبر، حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا. وقال ابن أبي الدنيا: **قال بعض الحكماء**: أحي قلبك بالمواعظ، ونوره بالتفكر، وموته بالزهد، وقوه باليقين، وذلله بالموت، وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من كان قبله، وسيره في

(١) تفسير ابن كثير @ط الفكر ابن كثير ٥٣٩/١

ديارهم وآثارهم، وانظر ما فعلوا وأين حلوا وعم انقلبوا، أي فانظروا ما حل بالأمم المكذبة من النقم والنكال ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بهآ أو آذان يسمعون بها﴾ أي فيعتبرون بها ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أي ليس العمى عمى البصر، وإنما العمى عمى البصرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدري ما الخبر، وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنى، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة الأندلسي الشنتريني، وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة:يا من يصيخ إلى داعي الشقاء وقد ... نادى به الناعيان الشيب والكبرإن كنت لا تسمع الذكرى ففيم ترى ... في رأسك الواعيان السمع والبصر." [١]

"قال " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد " .فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥)فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيدثم قال تعالى" فكأين من قرية أهلكناها " أي كم من قرية أهلكتها وهي ظالمة " أي مكذبة لرسله " فهي خاوية على عروشها " قال الضحاك سقوفها أي قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها " وبئر معطلة " أي لا يستقى منها ويردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها " وقصر مشيد " قال عكرمة يعني المبيض بالجص وروي عن علي بن أبي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي المليح والضحاك نحو ذلك وقال آخرون هو المنيف المرتفع وقال آخرون المشيد المنيع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة.ولا منافاة بينها فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى " أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة " .أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦)أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدوروقوله " أفلم يسيروا في الأرض " أي بأبدانهم وبفكرهم أيضا وذلك كاف كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار : قال أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن : يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح في الأرض ثم اطلب الآثار والعبر حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا وقال ابن أبي الدنيا **قال بعض الحكماء أحي** قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكر وموته بالزهد وقوه باليقين وذلله بالموت وقدره بالفناء وبصره فجائع الدنيا٨٠@@@." [٢]

"الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك .وقال سفيان بن عيينة : الفكر نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت :إذا المرء كانت له فكرة ... ففي كل شيء له عبرةوعن عيسى عليه السلام أنه قال : طوبى لمن كان قيله تذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرا.قال لقمان الحكيم : إن طول الوحدة ألهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة .قال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ولا فهم امرؤ قط إلا علم ولا علم امرؤ قط إلا عمل.وقال عمر بن عبد العزيز : الكلام بذكر الله عز وجل حسن والفكرة في نعم الله أفضل العبادة .وقال مغيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكركم وشاهدوا

---

(١) تفسير ابن كثير @ط الفكر ابن كثير ٢٧٨/٣

(٢) تفسير ابن كثير @ط قرطبة ابن كثير ٧٩/١٠

الموقف بقلوبكم وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامها وأطباقها وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه قد ذهب عقله .وقال عبد الله بن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة فناداه فقال : يا راهب إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر .كنز الرجال وكنز الأموال .وعن ابن عمر : أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : "كل شيء هالك إلا وجهه " وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه .وقال الحسن البصري : يا ابن آدم كل في ثلث بطنك واشرب في ثلثه ودع ثلثه الآخر تتنفس للفكرة .وقال بعض الحكماء : من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة .٢٩٧@@@." (١)

"وقال الحسن قد علم الله تعالى أن ما به إلى مشاورتهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده من أمته ، وقيل إنما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة أنها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله A اتفق العلماء على أن كل ما نزل فيه وحي من الله تعالى لم يجز لرسول الله A . أن يشاور فيه الأمة وإنما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم في أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شيء لأن النبي A شاورهم في أسارى بدر وهو من أمر الدين قال علي بن أبي طالب Bه : الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم . وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة أنه قد يعزم الإنسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الأحاطة بفنون المصالح ومنها أنه إذا لم ينجح أمره علم أن امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة :وشاور إذا شاورت كل مهذب ... لبيب أخي حزم لترشد في الأمرولا تك ممن يستبد برأيه ... فتعجز أو لا تستريح من الفكرألم تر أن الله قال لعبده ... وشاورهم في الأمر حتما بلا نكرقوله تعالى : ﴿ فإذا عزمت ﴾ يعني على المشاورة ﴿ فتوكل على الله ﴾ أي فاستعن بالله في أمورك كلها وثق به ولا تعتمد إلا عليه فإنه ولي الإعانة والعصمة والتسديد والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماد على شيء إلا على الله تعالى في جميع أموره وأن المشاورة لا تنافي التوكل ﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾ يعني المتوكلين عليه في جميع أمورهم .." (٢)

"قوله D : ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ﴾ قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك إنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله A في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله A لأصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي . فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي A وصدقوه . وقيل نزلت في

---

(١) تفسير ابن كثير @ط قرطبة ابن كثير ٢٩٦/٣

(٢) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ موقع التفاسير الخازن ٤٨٣/١

عبدالله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي A وقيل نزلت في جميع مؤمني أهل الكتاب وهذا القول أولى لأنه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى الجنة فقال تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب ﴾ يعني بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما أنزل إليكم يعني ويؤمن بما أنزل إليكم أيها المؤمنون يعني القرآن وما أنزل إليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والزبور ﴿ خاشعين لله ﴾ يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين ﴿ لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد A لأجل الرياسة والمأكل والرشى كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود ﴿ أولئك ﴾ إشارة إلى أن من هذه صفته من أهل الكتاب ﴿ لهم أجرهم عند ربهم ﴾ يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه إليهم يوم القيامة ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ يعني إنه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لأنه سريع الحساب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴾ يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل . والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني **قال بعض الحكماء** : الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا . وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة ﴿ وصابروا ﴾ يعني الكفار والأعداء وجاهدوهم .." (١)

"قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أكان للناس عجبا ﴾ قال ابن عباس : سبب نزول هذه الآية أن الله D لما بعث محمدا A رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قال : الله أعظم من أن يكون له رسول بشر مثل محمد فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ﴾ الآية والهمزة في أكان همزة استفهام ومعناه الإنكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ﴿ أن أوحينا إلى رجل منهم ﴾ والعجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة . وقيل : العجب حالة تعتري الإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا **قال بعض الحكماء** : العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد A منهم يعني من أهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وأمانته ﴿ أن أنذر الناس ﴾ يعني خوفهم بعقاب الله تعالى إن أصروا على الكفر والمخالفة والإنذار إخبار مع تخويف كما أن البشارة إخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ اختلفت عبارات المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق . فقال ابن عباس : أجرا حسنا بما قدموا من أعمالم . وقال الضحاك : ثواب صدق . وقال مجاهد : الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم . وقال الحسن : عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه . وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال : سبقت لهم السعادة في الذكر الأول يعني في اللوح المحفوظ . وقال زيد بن اسلم : هو شفاعة محمد A وهو قول قتادة . وقيل : لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الأولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الإضافة التنبيه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ موقع التفاسير الخازن ٢/٢٥

على زيادة الفضل ومدح القدم لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ، وقال أبو عبيدة : كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم . يقال : لفلان قدم في الإسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء . قال حسان بن ثابت :لنا القدم العليا إليك وخلفنا ... لأولنا في طاعة الله تابعوقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة :وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة ... لهم قدم معروفة ومفاخروالسبب في إطلاق لفظ القدم على هذه المعاني أن السعي والسبق لا يحصل إلا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد . وقال ذو الرمة :لكم قدم لا ينكر الناس أنها ... مع الحسب العادي طمت على البحر." (١)

"عن أبي هريرة Bه عن النبي A « في قوله تعالى : ﴿ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾ قال : الدقل والنرسيان والحلو والحامض » أخرجه الترمذي ، وقال : حديث حسن غريب . قال مجاهد : هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد ، وقال الحسن : هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات ، وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها ، وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا . قيل : إنما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ، ولا تسمع . وقال الحسن : والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزياده أو نقصان قال الله تعالى ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ وقوله تعالى ﴿ إن في ذلك ﴾ يعني الذي ذكر ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته . قوله تعالى ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم ﴾ العجب تبعيد النفس رؤية المستبعد في العادة ، وقيل : العجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب ولهذا **قال بعض الحكماء** : العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل : العجب في حق الله محال لأنه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية ، والخطاب في الآية للنبي A ومعناه وإنك يا محمد إن تعجب من تكذيبهم إياك بعد أن كنت عندهم تعرف بالصادق الأمين فعجب أمرهم ، وقيل : معناه وإن تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع إقرارهم بأن الله تعالى خالق السماوات والأرض ، وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الأمثال ما رأوا فعجب قولهم . وقيل وإنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم وذلك أن المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس أن الإعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم ﴿ أئذا كنا ترابا ﴾ يعني بعد الموت ﴿ أئنا لفي خلق جديد ﴾ يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ثم إن الله تعالى قال في حقهم ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم ﴾ وفيه دليل على أن كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ موقع التفاسير الخازن ٣٧٦/٣

تعالى ، لأن من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وأن الله على كل شيء قدير ، ومن أنكر ذلك فهو كافر ﴿ وأولئك الأغلال في أعناقهم ﴾ يعني يوم القيامة ، والأغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق .." (١)

"﴿ وفي أموالهم حق ﴾ أي نصيب قيل إنه ما يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس . وقيل : إنه الزكاة المفروضة ﴿ للسائل ﴾ أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم ﴿ والمحروم ﴾ قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء قال ابن عباس Bهما : المحروم الذي ليس له في فيء الإسلام سهم . وقيل : معناه الذي حرم الخير والعطاء ، وقيل : المحروم ، المتعفف الذي لا يسأل . وقيل : هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه وثمره أو نسل ماشيته وقيل : هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل : هو المملوك وقيل : هو المكاتب ، وأظهر الأقوال ، أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل إنما يفطن له متيقظ ﴿ وفي الأرض آيات ﴾ أي عبر من البحار والجبال والأشجار والثماؤ وأنواع النبات ﴿ للموقنين ﴾ أي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه ﴿ وفي أنفسكم ﴾ أي آيات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن تنفخ الروح .وقال ابن عباس Bهما : يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع وقيل : يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل : يعني تقويم الأدوات السمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم ﴿ أفلا تبصرون ﴾ يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث ﴿ وفي السماء رزقكم ﴾ قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الأرزاق ﴿ وما توعدون ﴾ يعني من الثواب والعقاب . وقيل : من الخير والشر . وقيل : الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق ﴾ أي ما ذكر من الرزق وغيره ﴿ مثل ما أنكم تنطقون ﴾ أي بلا إله إلا الله .وقيل : شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ومعناه إنه لحق كما أنك تتكلم . وقيل : إن معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة **وقال بعض الحكماء معناه** كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل من رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره .قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم ﴾ يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤوا إبراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود ﴿ المكرمين ﴾ قيل : سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله . وقيل : لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون .وقيل : لأن إبراهيم E أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم .وقال ابن عباس Bهما : سماهم مكرمين لأنهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبي شريح العدوي قال : قال رسول الله A « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .." (٢)

" صفحة رقم ٤٣٩ بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم فإن سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمور شق ذلك عليهم. وقال الحسن قد علم الله تعالى أن ما به إلى مشاورتهم حاجة ولكن أراد أن يستن

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ موقع التفاسير الخازن ٦٨/٤

(٢) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ موقع التفاسير الخازن ٤٨٢/٥

به من بعده من أمته ، وقيل إنما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة أنها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اتفق العلماء على أن كل ما نزل فيه وحي من الله تعالى لم يجز لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) . أن يشاور فيه الأمة وإنما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم في أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شيء لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) شاورهم في أسارى بدر وهو من أمر الدين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم. **وقال بعض الحكماء ما** استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة أنه قد يعزم الإنسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الأحاطة بفنون المصالح ومنها أنه إذا لم ينجح أمره علم أن امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة :وشاور إذا شاورت كل مهذبلبيب أخي حزم لترشد في الأمرولا تك ممن يستبد برأيهفتعجز أو لا تستريح من الفكرألم تر أن الله قال لعبدهوشاورهم في الأمر حتما بلا نكرقوله تعالى : (فإذا عزمت (يعني على المشاورة) فتوكل على الله (أي فاستعن بالله في أمورك كلها وثق به ولا تعتمد إلا عليه فإنه ولي الإعانة والعصمة والتسديد والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماد على شيء إلا على الله تعالى في جميع أموره وأن المشاورة لا تنافي التوكل) إن الله يحب المتوكلين (يعني المتوكلين عليه في جميع أمورهم.)آل عمران : (١٦٠ - ١٦١) إن ينصركم الله..." إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون " (قوله عز وجل : (إن ينصركم الله (يعني إن يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر) فلا غالب لكم (يعني من الناس لأن الله تعالى هو المتولي نصركم) وإن يخذلكم (كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ووكلكم إلى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم)) فمن ذا الذي ينصركم من بعده (أي من بعد خذلانه) وعلى الله فليتوكل المؤمنون (لا على غيره لأن الأمر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد في كل الأمور على الله تعالى لا على غيره. وقيل التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله صلى الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة) عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا." (١)

" صفحة رقم ٤٧١ فقال : ما يبكيك ؟ قلت : يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هم وأنت رسول الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة. لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي.)آل عمران : (١٩٩ - ٢٠٠) وإن من أهل..." وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ط الفكر الخازن ٤٣٩/١

ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " (قوله عز وجل : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم (قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك إنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي. فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وصدقوه. وقيل نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وقيل نزلت في جميع مؤمني أهل الكتاب وهذا القول أولى لأنه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى الجنة فقال تعالى : (وإن من أهل الكتاب (يعني بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما أنزل إليكم يعني ويؤمن بما أنزل إليكم أيها المؤمنون يعني القرآن وما أنزل إليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والزبور) خاشعين لله (يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين) لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا (يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد (صلى الله عليه وسلم) لأجل الرياسة والمأكل والرشى كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود) أولئك (إشارة إلى أن من هذه صفته من أهل الكتاب) لهم أجرهم عند ربهم (يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه إليهم يوم القيامة) إن الله سريع الحساب (يعني إنه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لأنه سريع الحساب قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا (يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل. والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني **قال بعض الحكماء** : الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا. وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة) وصابروا (يعني الكفار والأعداء وجاهدوهم.) ورابطوا (يعني وداموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه. وأصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم. وهؤلاء خيولهم ، بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال الآخر. ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط ، وإن لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد أن." (١)

" صفحة رقم ١٧٣ والحدود والأحكام. فعيل : بمعنى مفعول. وقيل : الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لأن القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام. وقيل : حكيم بمعنى المحكوم فيه فيعمل بمعنى مفعول. قال الحسن : حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى. وقيل : إن الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ط الفكر الخازن ٤٧١/١

إنه يدل على الأحكام صار كأنه هو الحكيم في نفسه.)يونس : (٢ – ٤) أكان للناس عجبا..." أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون " (قوله سبحانه وتعالى : (أكان للناس عجبا (قال ابن عباس : سبب نزول هذه الآية أن الله عز وجل لما بعث محمدا (صلى الله عليه وسلم) رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قال : الله أعظم من أن يكون له رسول بشر مثل محمد فقال الله سبحانه وتعالى : (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم (وقال سبحانه وتعالى : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا (" الآية والهمزة في أكان همزة استفهام ومعناه الإنكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا) أن أوحينا إلى رجل منهم (والعجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة. وقيل : العجب حالة تعتري الإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا **قال بعض الحكماء** : العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد (صلى الله عليه وسلم) منهم يعني من أهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وأمانته) أن أنذر الناس (يعني خوفهم بعقاب الله تعالى إن أصروا على الكفر والمخالفة والإنذار إخبار مع تخويف كما أن البشارة إخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى : (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (اختلفت عبارات المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق. فقال ابن عباس : أجرا حسنا بما قدموا من أعمالم. وقال الضحاك : ثواب صدق. وقال مجاهد : الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم. وقال الحسن : عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال : سبقت لهم السعادة في الذكر الأول يعني في اللوح المحفوظ. وقال زيد بن اسلم : هو شفاعة محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو قول قتادة. وقيل : لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الأولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الإضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ، وقال أبو عبيدة : كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم. يقال : لفلان قدم في الإسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء. قال حسان بن ثابت :لنا القدم العليا إليك وخلفنالأولنا في طاعة الله تابعوقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة :وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابةلهم قدم معروفة ومفاخروالسبب في إطلاق لفظ القدم على هذه المعاني أن السعي والسبق لا يحصل إلا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد. وقال ذو الرمة :لكم قدم لا ينكر الناس أنها مع الحسب العادي طمت على البحرمعناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر.صل لذي العرش واتخذ قدماتنجيك يوم العثار والزللوقوله سبحانه وتعالى : (قال الكافرون إن هذا لساحر مبين (وقرئ : لساحر مبين وفيه." [١]

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ط الفكر الخازن ١٧٣/٣

" صفحة رقم ٥ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا (وقوله تعالى) إن في ذلك (يعني الذي ذكر) لآيات لقوم يعقلون (يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته. قوله تعالى) وإن تعجب فعجب قولهم (العجب تبعيد النفس رؤية المستبعد في العادة ، وقيل : العجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب ولهذا **قال بعض الحكماء** : العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل : العجب في حق الله محال لأنه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية ، والخطاب في الآية للنبي (صلى الله عليه وسلم) ومعناه وإنك يا محمد إن تعجب من تكذيبهم إياك بعد أن كنت عندهم تعرف بالصادق الأمين فعجب أمرهم ، وقيل : معناه وإن تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع إقرارهم بأن الله تعالى خالق السماوات والأرض ، وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الأمثال ما رأوا فعجب قولهم. وقيل وإنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم ، وذلك أن المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله ، وقد تقرر في النفوس أن الإعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم) أئذا كنا ترابا (يعني بعد الموت) أئنا لفي خلق جديد (يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ثم إن الله تعالى قال في حقهم) أولئك الذين كفروا بربهم (وفيه دليل على أن كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى ، لأن من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة ، وأن الله على كل شيء قدير ، ومن أنكر ذلك فهو كافر) وأولئك الأغلال في أعناقهم (يعني يوم القيامة ، والأغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق. وقيل أراد بالأغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الأسير ذليلا بالغل) وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (يعني أنهم مقيمون فيها ولا يخرجون منها ولا يموتون.) ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة (الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته ، والمراد بالسيئة هنا هي العقوبة وبالحسنة العافية ، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم ، وهو قولهم) اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ( ) وقد خلت من قبلهم المثلات (يعني وقد مضت في الأمم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم ، والمثلة بفتح الميم وضم الثاء المثلثة نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلا ليرتدع غيره به ، وذلك كالنكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان) وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قال ابن عباس : معناه إنه لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا) وإن ربك لشديد العقاب (يعني للمصرين على الشرك الذي ماتوا عليه. وقال مجاهد : إنه لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم ، وإنه لشديد العقاب إذا عاقب. قوله تعالى." (١)

" صفحة رقم ٢٤٤ هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه وثمره أو نسل ماشيته وقيل : هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل : هو المملوك وقيل : هو المكاتب ، وأظهر الأقوال ، أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل إنما يفطن له متيقظ) وفي الأرض آيات (أي عبر من البحار والجبال والأشجار والثماؤ وأنواع النبات) للموقنين (أي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه) وفي أنفسكم (أي آيات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن تنفخ الروح.وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ط الفكر الخازن ٤/٥

والطبائع وقيل : يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل : يعني تقويم الأدوات السمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم) أفلا تبصرون (يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث) وفي السماء رزقكم (قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الأرزاق) وما توعدون (يعني من الثواب والعقاب. وقيل : من الخير والشر. وقيل : الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال) فورب السماء والأرض إنه لحق (أي ما ذكر من الرزق وغيره) مثل ما أنكم تنطقون (أي بلا إله إلا الله.وقيل : شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ومعناه إنه لحق كما أنك تتكلم. وقيل : إن معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة **وقال بعض الحكماء معناه** كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل من رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره.قوله تعالى : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم (يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤوا إبراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود) المكرمين (قيل : سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله. وقيل : لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون.وقيل : لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم.وقال ابن عباس رضي الله عنهما : سماهم مكرمين لأنهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبي شريح العدوي قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))الذاريات : (٢٥ - ٣٤) إذ دخلوا عليه..." إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين " ( ) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (أي غرباء لا نعرفكم.قال ابن عباس : قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل : إنما أنكر أمرهم ، لأنهم دخلوا بغير استئذان وقيل : أنكر." (١)

"تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ج ١، ص: ٦٣٥(ولا خوف) بمعنى ليس. انتهى. قرطبي. وقد ذكرت لك: أنها إذا تكررت؛ أهملت، أي: لا تعمل عمل «ليس»، تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.[سورة البقرة (٢): آية ٢٦٣]قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم (٢٦٣)الشرح: قول معروف: كلام حسن، ورد على السائل جميل، وقيل: عدة حسنة تعده بها. ومغفرة أي: تستر عليه خلته، وفقره، ولا تهتك ستره، وقيل: هو أن يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه حال رده، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الكلمة الطيبة صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق». أخرجه مسلم، فيتلقى السائل بالبشر، والترحيب، ويقابله بالطلاقة، والتقريب؛ ليكون مشكورا؛ إن أعطى، ومعذورا؛ إن منع. وقد **قال بعض الحكماء**: الق صاحب الحاجة بالبشر، فإن عدمت شكره؛ لم تعدم عوزه، وحكى ابن لنكك: أن أبا بكر بن دريد قصد بعض الوزراء في حاجة لم يقضها، وظهر له ضجر، فقال: [الكامل]لا تدخلنك ضجرة من سائل ... فلخير دهرك أن ترى مسؤولالا تجبهن بالرد وجه مؤمل ... فبقاء عزك أن ترى مأمولاتلقى الكريم

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل @ط الفكر الخازن ٢٤٤/٦

فتستدل ببشره ... وترى العبوس على اللئيم دليلاواعلم بأنك عن قليل صائر ... خبرا فكن خبرا يروق جميلاومغفرة: المغفرة هنا الستر للخلة، وسوء حالة المحتاج، ومن هذا قول الأعرابي، وقد سأل قوما بكلام فصيح، فقال له قائل: ممن الرجل؟ فقال له: اللهم غفرا، سوء الاكتساب يمنع من الانتساب. وقيل: المعنى: تجاوز عن السائل إذا ألح، وأغلظ، وجفى خير من التصدق عليه مع المن والأذى، ويجوز أن يكون المعنى: وغفران الله خير من صدقتكم هذه التي تمنون بها على الناس.يتبعها أذى: بالمن، والتعيير، أو بالكلام الجافي القاسي، والله غني أي: مستغن عن صدقة العباد، وهو الغني الكامل الغنى الذي لا يحتاج إلى أحد. حليم: أي: يحلم، ويغفر، ويصفح، ويتجاوز عن المنان بعطيته، والمؤذي للسائل بقوله، وفعله، حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، قال الحليمي- رحمه الله تعالى- في معنى (الحليم): إنه الذي لا يحبس إنعامه وإفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكنه يرزق العاصي، كما يرزق المطيع، ويبقيه وهو منهمك في معاصيه، كما يبقي البر المتقي، وقد يقيه الآفات، والبلايا، وهو غافل، لا يذكره، فضلا عن أن يدعوه، كما يقيها الناسك الذي يدعوه، ويسأله، وقال أبو سليمان الخطابي: (الحليم): ذو الصفح، والأناة؛ الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص، ولا." (١)

"تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ج ١، ص: ٦٥٤على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وهناك من يجيز اعتبار أنصار فاعلا بالجار والمجرور قبله لاعتماده على النفي، ولم يذكر تعليق الجار والمجرور، فهما متعلقان بفعل محذوف، تقديره: وما يوجد للظالمين أنصار. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) نافية حجازية تعمل عمل ليس، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبرها مقدما، وأنصار اسمها مؤخر، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي في محل نصب حال من الضمير الواقع مفعولا به، والرابط: الواو فقط، أو هي مستأنفة، أو معترضة اعتراضا تذييليا في آخر الكلام، لا محل لها على الوجهين.[سورة البقرة (٢): آية ٢٧١]إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير (٢٧١)الشرح: إن تبدوا الصدقات أي: تجهروا بها، وتظهروها، والصدقة: ما يخرجه المسلم من ماله على وجه القربة، فيدخل فيه الزكاة الواجبة، وصدقة التطوع. فنعما هي أي: فنعمت الخصلة هي، فهذا ثناء على الجهر بها، وإظهارها. وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم: فهذا حكم على أن الإخفاء خير من الجهر بها، ولذلك **قال بعض الحكماء**: إذا اصطنعت المعروف؛ فاستره، وإذا اصطنع إليكم فانشروه. قال دعبل الخزاعي في ممدوحيه: [المتقارب]إذا انتقموا أعلنوا أمرهم ... وإن أنعموا أنعموا باكتتاموقال سهل بن هارون: [البسيط]خل إذا جئته يوما لتسأله ... أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرايخفي صنائعه، والله يظهرها ... إن الجميل إذا أخفيته ظهراوقال العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم- رضي الله عنه-: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله، وتصغيره، وستره، فإذا عجلته؛ هنيته، وإذا صغرته؛ عظمته، وإذا سترته؛ أتممته، وقال بعض الشعراء، فأحسن: [الرمل]زاد معروفك عندي عظما ... أنه عندك مستور حقيرتتناساه كأن لم تأته ... وهو عند الناس مشهور خطيرقال ابن عباس- رضي الله عنهما-: جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها، يقال:بسبعين ضعفا، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من

---

(١) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه للدره محمد علي طه الدرة ٦٣٥/١

سرها، يقال: بخمسة وعشرين ضعفا، قال: وكذلك جميع الفرائض، والنوافل في الأشياء كلها، أي: في الصلاة، والصوم، وغيرهما.." (١)

"تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ج ٢، ص: ٢٨٩فاعف عنهم أي: تجاوز عن زلاتهم، وما فعلوا يوم أحد من الهزيمة. واستغفر لهم أي: واسأل الله المغفرة لهم؛ حتى يشفعك فيهم. وقيل: فاعف ما كان منهم يوم أحد مما يختص بك، واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله، وذلك من إتمام الشفقة عليهم، والرأفة بهم.وشاورهم في الأمر أي: في أمر الحرب ونحوه، مما لم ينزل عليك فيه وحي، تطييبا لنفوسهم، وترويحا لقلوبهم، ورفعا لأقدارهم، أو لتقتدي بك أمتك فيها، جاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم». ومن قوله صلى الله عليه وسلم: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد». وقال الحسن البصري، والضحاك: ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده.ولقد روى البغوي- رحمه الله تعالى- بسنده عن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه في كثير من أمور الدنيا، مما لم ينزل عليه فيها وحي، فقد شاورهم حين خرج إلى بدر، واستشارهم في النزول في مكان في بدر، فأشار عليه الحباب بن المنذر بغير المكان الذي أراد النزول فيه، واستشارهم في أسرى بدر، وفي غزوة الخندق، وفي الخروج إلى أحد كما رأيت فيما سبق، وغير ذلك كثير.هذا؛ الاستشارة دعامة تقوم عليها أمور الدنيا، والآخرة، قال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم. وقال بعض الحكماء: ما استنبط الصواب بمثل المشاورة. ومن فوائدها: أنه قد يعزم الإنسان على أمر، فيشاور فيه، فيتبين له الصواب في قول غيره، فيعلم بذلك عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح. ومنها: أنه إذا لم ينجح أمره؛ علم: أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يلم نفسه. وقال بعضهم في مدح المشاورة: [الطويل]وشاور إذا شاورت كل مهذب ... لبيب أخي حزم لترشد في الأمرولا تك ممن يستبد برأيه ... وشاورهم في الأمر حتما بلا نكرقال العلماء: وصفة المستشار في الأحكام الدينية: أن يكون عالما دينا. وفي أمور الدنيا:أن يكون عاقلا مجربا وادا في المستشير، قال الشاعر: [المتقارب]إذا كنت في حاجة مرسلا ... فأرسل حكيما ولا توصهوإن باب أمر عليك التوى ... فشاور لبيبا ولا تعصهوأكتفي بما تقدم هنا. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٨]: من سورة (الشورى) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. فإذا عزمت أي: على أمر من الأمور؛ فامض وتوكل على الله، وثق به، ولا تعتمد." (٢)

"لذلك قال علماء القلوب: ربما معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا، هنا في استهزاء، أين الاستهزاء؟﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية﴾هي عندهم ليست بآية، هي عندهم نوع من السحر، والدليل:﴿لتسحرنا بها﴾قالوا كلمة آية استهزاء، يعني على حد زعمك، أنت تدعي أن معك آيات، مهما تأتي به من آية لتسحرنا بها﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾لذلك قال بعض الحكماء: لم أجد أشد صمما من الذي يريد ألا يسمع، في إنسان له موقف، وبالمناسبة:

---

(١) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه للدره محمد علي طه الدرة ١/ ٦٥٤

(٢) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه للدره محمد علي طه الدرة ٢/ ٢٨٩

هل تعتقد أن إنسانا عاقلا تأتيه رسالة يمزقها ولا يقرأها؟ اقرأها، مزقها بعد قراءتها، يتأبى أن يقرأها، في حالات كثيرة، يرفض أن يستمع إلى شريط، يرفض أن يأتي إلى مسجد، يرفض أن يتابع حديثا عن الله عز وجل، ما دام الحديث في الدنيا جالس، فإذا ما جعلت موضوع الحديث عن الآخرة، وعن هذا الدين العظيم اعتذر.من انطوى على واحد بالمليون من الخير أسمعه الله الحق:أذكر مرة التقيت مع مندوب شركة، حدثناه بكلمات معدودة عن خالق السماوات والأرض، لم يسمح لنا أن نتابع الحديث، قال: هذه الموضوعات لا تهمني أبدا، ولا أعبأ بها ولا ألقي لها بالا، أنا يعنيني في الحياة كلها امرأة جميلة، ومركبة فارهة، وبيت كبير، فقط أغلق، بحياتي ما تذوقت الآية الكريمة:﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾(سورة الأنفال الآية: ٢٣)ما فيهم خير، أنا أطمئنكم، إذا شخص ينطوي على واحد بالمليون من الخير الله عز وجل يسمعه الحق، الدليل:﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾أما إذا أسمعهم وهم رافضون للحق:﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾(سورة الأنفال الآية: ٢٣)." (١)

"هؤلاء دعاهم نبي كريم وجاء بالمعجزات والبينات، وكان في دعوته صادقا، وفي أخلاقه كاملا، ومع ذلك لم يصغوا إلى هذه الدعوة لأنهم أرادوا الدنيا، **قال بعض الحكماء**: " لم أجد أشد صمما من الذي يريد أن لا يسمع ". فالذي يعرض عن الشيء لا يفهم منه شيئا، فمتى يستفيد الإنسان؟ إذا كان هناك شخص يمشي في الطريق وفي ذهنه أن يشتري حاجة معينة، فإنه يقف عند أي محل ويفتش: هل هذه الحاجة موجودة؟ فهو يبحث عنها، أما إذا كان هناك حاجة لا يحتاج إليها ولا يهتم بها فإنه لو رآها أمام عينه فهو لا يراها حقيقة، فالعبرة أن تكون أنت طالبا للحق .. فهؤلاء دعاهم نبي كريم ..﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا﴾(سورة نوح)هناك من الناس من تتكلم معه كلمة حق واحدة .. فتجده يتثاءب، أو يقول لك: عندي موعد، فيعتذر ويقوم، فحدثه في أمر من أمور الدنيا تجده يجلس أربع ساعات وينسى مواعيده كلها، و ينسى أنه متعب، لقد قال قبل أربع ساعات: أنا مستعجل وعندي موعد، ... تروى قصة عن الحجاج أنه قد مر في السوق فرأى رجلا له دكان وكان يصلي قاعدا وهو بائع أواني، ودكانه عالية وفيها سلم، فقال له: أريد هذا الإناء الذي تضعه في أعلى مكان، فوضع السلم وصعد إليه، فقال له: أصلحك الله إنني أريد الذي إلى جانبه، فصعد مرة ثانية وأتى بالذي طلبه، فقال له: إنك لم تفهم علي إلى جانبه من الطرف الأيسر، فصعد مرة ثالثة، فجعله يصعد وينزل أربعين مرة، وبعد هذه علاه وضربه وقال: تصلي قاعدا؟! من أجل أنة تبيع هذا الإناء صعدت ونزلت عشرات المرات؟ .. فالإنسان حينما يبتغي شيئا يضع كل طاقته فيه ..." (٢)

"سبحانك إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، مستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تعصيه وتربح، العبرة بالنهايات.أخواننا الكرام، العبرة من يضحك آخرا، **قال بعض الحكماء**: من يضحك أولا يضحك قليلا ويبكي كثيرا، ومن يضحك آخرا يضحك كثيرا إلى ما شاء الله.﴿إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين*فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون*إني

---

(١) تفسير النابلسي النابلسي، محمد راتب ص/٢

(٢) تفسير النابلسي النابلسي، محمد راتب ص/١١

جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾[سورة المؤمنون: ١٠٩ - ١١١]وفي آية القرآن آية أخرى، قال تعالى:﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾[سورة المطففين: ٣٤]فملخص الملخص: الإنسان حينما يولد كل من حوله يضحك، وهو يبكي وحده، فإذا جاء أجله كل من حوله يبكي، فإذا كان بطلا فليضحك وحده، قال تعالى:﴿قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون* بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾[سورة يس: ٢٦ - ٢٧]الحمد لله رب العالمين." (١)

"فلما خرج النبي A يوم الأحزاب قال عبادة : يا نبي الله ، إن معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معي فأستظهر بهم على العدو فنزلت . وقال الكلبي : نزلت في المنافقين - عبد الله بن أبي وأصحابه - كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله A فأنزل الله تعالى هذه الآية ، ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم . وقد كرر ذلك في آيات أخر كثيرة ﴿ لا تتخذوا بطانة من دونكم ﴾ [آل عمران : ١١٨] ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ [المائدة : ٥١] ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ [المجادلة : ٢٢] وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل أن يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الآية لقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه والثالث كالمتوسط بين القسمين وهو الركون إليهم والمعونة والمظاهرة لقرابة أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك ، ولهذا قال مقاتل : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره ، وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد أن دينهم باطل ، فهذا لا يوجب الكفر إلا أنه منهي عنه حذرا من أن يجره إلى استحسان طريقته والرضا بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين ، فلا جرم هدد فقال : ﴿ من يفعل ذلك فليس من الله ﴾ أي من ولايته أو من دينه ﴿ في شيء ﴾ يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ عن ولاية الله رأسا ، وهذا كالبيان لقوله : ﴿ من دون المؤمنين ﴾ ليعلم أن الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة غير متصور وهذا أمر معقول ، فإن موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال :تود عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك ليس النوك عنك بعازب**قال بعض الحكماء** : هذا ليس بكلي فإنه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الآخر كالملك العادل فإنه محب لهما ، فإن أراد أحد أن يعم الحكم لا بد له أن يزيد عليه إذا كانوا في مرتبة واحدة ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ قال الجوهري : يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة ، وفاؤها واو كتراث . فالتقاة اسم وضع موضع المصدر . قال الواحدي : ويجوز أن يجعل « تقاة » ههنا مثل « دعاة » و « رماة » فيكون حالا مؤكدة ، وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا أو تخافوا ولذا عدي ب « من » . ويحتمل أن يكون التقاة أو التقية بمعنى المتقي مثل : ضرب الأمير لمضروبه ، فالمعنى إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه . رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم ، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا وإظهار الطوية كقول عيسى عليه السلام : كن وسطا وامش جانبا أي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله .." (٢)

---

(١) تفسير النابلسي النابلسي، محمد راتب ص/١٧

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان @ موقع التفاسير النيسابوري، نظام الدين القمي ٢/٢٣٨

"« ألا إنما خلقت النار للسفهاء » يقولها ثلاثا . وإن السفهاء النساء إلا امرأة أطاعت قيمها . وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء . وقال الزهري وابن زيد : هم الأولاد الخفاف العقول . وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير : إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله . والصحيح أن المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفي بحفظ المال ولا يد له بإصلاحه وتثميره والتصرف فيه ، ويدخل فيه النساء والصبيان والأيتام والفساق وغيرهم مما لا وزن لهم عند أهل الدين والعلم بمصالح الدارين ، فيضع المال فيما لا ينبغي ويفسده . ومعنى ﴿ جعل الله لكم قياما ﴾ أنه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم إلا به . سماه بالقيام إطلاقا لاسم المسبب على السبب . ومن قرأ ﴿ قيما ﴾ فعلى حذف الألف من ﴿ قياما ﴾ وهو مصدر قام وأصله قوام قلبت الواو ياء لإعلال فعله . فإن لم يكن مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به . وكان السلف يقولون : المال سلاح المؤمن ، ولأن أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من أحتاج إلى الناس . وقال عبد الله بن عباس : الدراهم والدنيانير خواتيم الله في الأرض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك . وقال قيس بن سعد : اللهم ارزقني حمدا ومجدا فإنه لا حمد إلا بفعال ، ولا مجد إلا بمال . وقيل لأبي الزناد : لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ قال : هي وإن أدنتني فقد صانتني عنها . وكانوا يقولون : اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه . وربما رأوا رجلا في تشييع جنازة فقالوا له : اذهب إلى مكانك . **وقال بعض الحكماء** : من أضاع ماله فقد ضار الأكرمين : الدين العرض . وفي منثور الحكم : من استغنى كرم على أهله . وفيه : الفقر مخذلة ، والغنى مجدلة ، والبؤس مرذلة ، والسؤال مبذلة . وكان يقال : الدراهم مراهم لأنها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح . وقال أبو العتاهية :أجلك قوم حين صرت إلى الغنى ... وكل غني في العيون جليلإذا مالت الدنيا على المرء رغبت ... إليه ومال الناس حيث تميلوليس الغنى إلا غنى زين الفتى ... عشية يقرى أو غداة ينيلوقد اختلف أقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم أن ما أحوج من الفقر مكروه ، وما أبطر من الغنى مذموم . فذهب قوم إلى تفضيل الغنى على الفقر ، لأن الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز . وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة . وذهب آخرون إلى تفضيل الفقر على الغنى ، لأن الفقير تارك والغنى ملابس ، وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة . وقال الباقون : خير الأمر أوساطها ، اولفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل إلى فضيلة الأمرين ، ويسلم من مذمة الحالين .." (١)

"وقال الحسن : جند الله . أبو روق : أولياء الله . أبو العالية : شيعة الله . وقيل : أنصار الله . الأخفش : هم الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم . صاحب الكشاف : يحتمل أن يراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أي ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب . ثم عمم النهي عن موالاة جميع الكفار فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا ﴾ عن ابن عباس : كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا ، فكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت ، يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا ينافي اتخاذكم إياهم أولياء بل يجب أن يقابل ذلك بالشنآن والبغضاء . وإنما عطف الكفار على أهل الكتاب مع أن أهل الكتاب أيضا كفار والعطف يقتضي المغايرة ، لأنه أراد بالكفار المشركين الوثنيين

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان @ موقع التفاسير النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٣٦/٢

خاصة لما أن كفرهم أغلظ فكانوا أحق باسم الكفر . ومعنى تلاعبهم بالدين واستهزائهم به إظهارهم ذلك باللسان دون مواطأة الجنان . ﴿ واتقوا الله ﴾ في موالاة الكفار ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ حقا لأن الإيمان الحقيقي يأبى موالاة أعداء الدين . قال الكلبي : كان منادي رسول الله A إذا نادى إلى الصلاة فقام المسلمون إليها قالت اليهود : قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فنزل ﴿ وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها ﴾ أي الصلاة والمناداة . وهذا بعض ما اتخذوه من هذا الدين هزوا ولعبا ، فلهذا أردفه بالآية المقدمة الكلية . وقال السدي : نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول : أشهد أن محمدا رسول الله . قال : حرق الكاذب . فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله . وقال آخرون : إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا رسول الله والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله A فقالوا : يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية . فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الأذان الأنبياء قبلك ، ولو كان في هذا الأمر خير كان أولى الناس به الأنبياء والرسل قبلك ، فمن أين لك صياح كصياح العنز؟ فما أقبح من صوت وما أسمج من أمر . فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وأنزل : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله ﴾ قال بعض العلماء : فيه دليل على ثبوت الآذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده . وأقول : لو قيل إن أصل الأذان بالمنام والتفرير بنص الكتاب كان اصوب ذلك الاتخاذ . ﴿ بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ ما في الصلاة من المنافع لأنها التوجه إلى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود ، أو لا يفهمون ما في اللعب والهزء من السفه والجهل . **قال بعض الحكماء** : أشرف الحركات الصلاة وأنفع السكنات الصيام .التأويل : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾ أي بالحقيقة لأنه أنزل على قلبه وأنزل سائر الكتب في الألواح والصحف فلهذا كان خلقه القرآن .." (١)

"ومنها التعبد فعلى المكلف أن يؤمن بكل ما ورد به الشرع وإن لم يعرف وجه الحكمة في بعض ذلك . **وقال بعض الحكماء** : الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الأركان مع طبائعها المتضادة على امتزاجها . وقال بعض القدماء : منهم النفوس البشرية والأرواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها ، فبعضها خيرة وبعضها شريرة ، وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ، ولكل طائفة من هذه الأرواح السفلية روح سماوي هو لها كالأب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة ، وعلى سبيل الإلهامات أخرى . فالأرواح الخيرة لها مباد من عالم الأفلاك وكذا الأرواح الشريرة وتلك المبادىء في مصطلحهم تسمى بالطباع التام لأن تلك الأرواح في تلك الطبائع والأخلاق تامة كلها وهذه الأرواح السفلية المتولدة منها أضعف منها لأن المعلول في كل باب أضعف من علته ، لأصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير . وقيل : إن النفوس المفارقة تميل إلى ما يناسبها ويساويها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالأبدان فتحفظها وتعينها ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت ﴾ أي وقته أو أماراته ﴿ توفته رسلنا ﴾ أي بإذننا وتفويضنا فالمتوفى بالحقيقة هو الله تعالى كما قال الله ﴿ يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ [

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان @ موقع التفاسير النيسابوري، نظام الدين القمي ٣/١٨٠

الزمر : ٤٢] . وهؤلاء الرسل أتباع ملك الموت في قوله ﴿ يتوفاكم ملك الموت ﴾ [السجدة : ١١] وهل هم الحفظة بأعيانهم أم غيرهم فيه قولان : أشهرهما الثاني لكون ملائكة الروح والريحان وهم الريحانيون غير ملائكة الكرب والأحزان وهم الكروبيون . وعن مجاهد : جعلت الأرض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله ، وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين . ﴿ وهم لا يفرطون ﴾ لا يقصرون فيما أمرهم الله تعالى به وفيه مدح لهم بالعصمة ﴿ ثم ردوا إلى الله ﴾ أي إلى حكمه وجزائه ﴿ مولاهم الحق ﴾ صفتان والضمير في ﴿ ردوا ﴾ إما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت أولئك الملائكة ، أو إلى البشر أي أنهم بعد موتهم يردون إلى الله تعالى والمعنى أنهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب ، فإذا ماتوا انتقلوا إلى تصرف المولى الحق . وفيه إشعار بأن الإنسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فإن هذا الهيكل يبقى ميتا والإنسان مردود إليه تعالى . وفي لفظ الرد إشارة إلى أن الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد إلى موضعه الأصلي وهو عالم الأرواح بجذبة ﴿ ارجعي إلى ربك ﴾ [الفجر : ٢٨] ﴿ ألا له الحكم ﴾ كقوله : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ [الأنعام : ٥٧] ﴿ وهو أسرع الحاسبين ﴾ حسابا قيل : إنه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام . وقيل : يحاسب كل إنسان واحد من الملائكة بإذن الله تعالى لأنه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله." (١)

"﴿ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴾ [نوح : ٢٠] والاهتداء إما حسي أي تهتدون إلى البلاد ، وإما عقلي وهو الاهتداء إلى وحدانية الله تعالى . ومنهم من زعم أن الضمير في قوله ﴿ وجعلنا ﴾ فيها عائد إلى الجبال وهذا قول مقاتل والضحاك ورواية عطاء عن ابن عباس وروي عن ابن عمر أنه قال : كانت الجبال منضمة فلما أغرق قوم نوح فرقها فجاجا وجعل فيها طرقا . قال علماء الإسلام : ليس في قوله ﴿ وجعلنا السماء سقفا ﴾ إن السماء للأرض كالسقف للبيت لأنها فوق لا يقابله مثله ، ولكنه أطلق عليها اسم السيقف لأنها كذلك في النظر بالنسبة إلى سكان كل بقعة . وفي المحفوظ وجهان : أي ﴿ محفوظا ﴾ بقدرته من أن يقع على الأرض أو محفوظ بالشهب عن الشياطين . ﴿ وهم عن آياتها معرضون ﴾ فلا يتدبرون في ترتيبها ومسيراتها وطلوع أجرامها وغروبها واتصالاتها وانصرافاتها وتأثيراتها فيما دونها بإذن خالقها ومبدعها . قوله ﴿ كل في فلك ﴾ من مقلوب الكل . والفلك في اللغة كل شيء دائر وجمعه أفلاك . وزعم الضحاك أنه ليس بجسم وإنما هو مدار هذه النجوم . والأكثرون على أن الفلك جسم تدور النجوم عليه . ثم اختلفوا في حقيقته فقال الكلبي : ماء مكفوف أي مجموع تجري فيه الكواكب بدليل قوله ﴿ يسبحون ﴾ والسباحة لا تكون إلا في الماء . ورد بأنه يقال فرس سابح إذا امتد في الجري . وقالت الحكماء : هو جسم كروي لا ثقيل ولا خفيف غير قابل للخرق والالتئام والنمو والذبول ، ولذلك منعوا من كون الفلك ساكنا ، والكواكب متحركة فيه كالسمك في الماء واعتذروا عن السباحة بأنها في النظر كذلك .قال صاحب الكشاف : التنوين في كل عوض من المضاف إليه أي كلهم فورد عليه إشكالان : أحدهما أنه لم يسبق إلا ذكر الشمس والقمر فكيف يعود ضمير الجمع إليهما؟ وأجاب بأن ذلك باعتبار كثرة مطالعهما كما يجمع بالشموس والقمار لذلك . ويمكن أن يقال : أقل الجمع اثنان أو أنه جعل النجوم تبعا لذكرهما . الثاني أن كلهم ليسوا في

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان @ موقع التفاسير النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٨٧/٣

فلك ولكن كل منهم في فلك آخر على ما يشهد به علم الهيئة ، وأجاب بأنه اراد جنس الفلك كقولك « كسانا الأمير حلة » ، أو اراد كل واحد . قلت : لو صح هذا التقدير الثاني لم يرد الإشكال الأول ولكنه ينافي قوله ﴿ يسبحون ﴾ مجموعا . **قال بعض الحكماء في** هذا الجمع دلالة على أن الكواكب أحياء ناطقة . وأجيب بأنه إنما جمع جمع العقلاء لأن السباحة من فعلهم . قلت : قد يسبح كثير من الحيوانات ، فلعل المختص بالعقلاء هو السباحة الصناعية المكتسبة . وههنا بحث وهو أن الإمام فخر الدين الرازي استحسن قول بعض الأوائل أن الحركة السماوية صنف واحد وهي الآخذة من المشرق إلى المغرب إلا أن بعضها أبطأ من البعض كالحركات الغربية ، وكذا اختلافات تلك الحركات بسبب تلك المختلفات .." (١)

"**قال بعض الحكماء**: هذا ليس بكلي فإنه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الآخر كالملك العادل فإنه محب لهما، فإن أراد أحد أن يعم الحكم لا بد له أن يزيد عليه إذا كانوا في مرتبة واحدة (إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال الجوهري: يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة، وفاؤها واو كتراث. فالتقاة اسم وضع موضع المصدر. قال الواحدي: ويجوز أن يجعل «تقاة» هاهنا مثل «دعاة» و «رماة» فيكون حالا مؤكدة، وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا أو تخافوا ولذا عدي ب «من». ويحتمل أن يكون التقاة أو التقية بمعنى المتقي مثل: ضرب الأمير لمضروبه، فالمعنى إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه. رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا وإظهار الطوية كقول عيسى عليه السلام: كن وسطا وامش جانبا أي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله. وللتقية عند العلماء أحكام منها: إذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط أن يضمر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما أمكن، فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلب. ومنها أنها رخصة فلو تركها كان أفضل لما روى الحسن أنه أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم. . وكان مسيلمة يزعم أنه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش. فتركه ودعا الآخر وقال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فقال: نعم نعم نعم. فقال: أتشهد أني رسول الله؟ فقال: إني أصم ثلاثا، فقدمه وقتله. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيأ له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه. ونظير هذه الآية (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) [النحل: ١٠٦] ومنها أنها إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة. وقد يجوز أن تكون أيضا فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما الذي يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال وشهادة الزور وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة. ومنها أن الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس. ومنها أنها جائزة لصون المال على الأصح كما أنها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» (١) و «من قتل دون ماله فهو شهيد»

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان @ موقع التفاسير النيسابوري، نظام الدين القمي ٥/٣٤٤

(٢) ولأن الحاجة إلى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على_________________________(١)

رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٤٦).(٢) رواه الترمذي في كتاب الديات باب ٢١. أبو داود في كتاب السنة باب ٢٩.." [١]

"أنه لا يحرم عليه أن يهب من أولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله. وأجمعوا على أنه يحرم على الولي أن يدفع إلى السفهاء أموالهم، وأيضا قوله: (وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) هذه الأوامر تناسب حال الأولياء لا الآباء. وأقول: لا يبعد حمل الآية على كلا القولين، لأن الإضافة في أموالكم لا تفيد إلا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية أو اختصاص التصرف. واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك أنها النساء أزواجا كن أو أمهات أو بنات، وهو مذهب ابن عمرو يدل عليه ما روى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم «ألا إنما خلقت النار للسفهاء» يقولها ثلاثا. وإن السفهاء النساء إلا امرأة أطاعت قيمها. وقد جمع فعلية على فعلاء كفقيرة وفقراء. وقال الزهري وابن زيد: هم الأولاد الخفاف العقول. وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير: إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله. والصحيح أن المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفي بحفظ المال ولا يد له بإصلاحه وتثميره والتصرف فيه، ويدخل فيه النساء والصبيان والأيتام والفساق وغيرهم مما لا وزن لهم عند أهل الدين والعلم بمصالح الدارين، فيضع المال فيما لا ينبغي ويفسده. ومعنى (جعل الله لكم قياما) أنه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم إلا به. سماه بالقيام إطلاقا لاسم المسبب على السبب. ومن قرأ قيما فعلى حذف الألف من (قياما) وهو مصدر قام وأصله قوام قلبت الواو ياء لإعلال فعله. فإن لم يكن مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به. وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن، ولأن أترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من أحتاج إلى الناس. وقال عبد الله بن عباس: الدراهم والدنانير خواتيم الله في الأرض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك. وقال قيس بن سعد: اللهم ارزقني حمدا ومجدا فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال. وقيل لأبي الزناد: لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ قال: هي وإن أدنتني فقد صانتني عنها. وكانوا يقولون: اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه. وربما رأوا رجلا في تشييع جنازة فقالوا له: اذهب إلى مكانك. **وقال بعض الحكماء**: من أضاع ماله فقد ضار الأكرمين: الدين والعرض. وفي منثور الحكم: من استغنى كرم على أهله. وفيه: الفقر مخذلة، والغنى مجدلة، والبؤس مرذلة، والسؤال مبذلة. وكان يقال: الدراهم مراهم لأنها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح. وقال أبو العتاهية:أجلك قوم حين صرت إلى الغنى ... وكل غني في العيون جليل ...إذا مالت الدنيا على المرء رغبت ... إليه ومال الناس حيث تميل." [٢]

"والجهل. **قال بعض الحكماء**: أشرف الحركات الصلاة وأنفع السكنات الصيام.التأويل: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق) أي بالحقيقة لأنه أنزل على قلبه وأنزل سائر الكتب في الألواح والصحف فلهذا كان خلقه القرآن. وكان مهيمنا على جميع الكتب تصديقا عيانيا لا بيانيا بحيث يشاهد قلب المنزل عليه بنوره حقائق جميع الكتب وأسرارها بخلاف ما أنزل في الألواح فإن الألواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها. (لكل جعلنا منكم) معاشر الأنبياء (شرعة) يشرع

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان@ط العلمية النيسابوري، نظام الدين القمي ٢/١٤٤

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان@ط العلمية النيسابوري، نظام الدين القمي ٢/٣٦٥

فيها بالبيان (ومنهاجا) يسلك فيه بالعيان (ولكن ليبلوكم) أيها الأمم (في ما آتاكم) من البيان والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان، فابتلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى ونيل المنى والرفعة بين الورى والنجاة في العقبى ليهتدي التائبون بالبيان، ويستفيد العاملون بالبرهان، ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد الزاهدون برفض الدنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى، ويسلك المشتاقون بنفي المنى، ويجذب العارفون بترك الورى، ويسلب الواصلون بالسلو عن الدنيا والعقبى (فاستبقوا الخيرات) من هذه المقامات (إلى الله مرجعكم جميعا) اختيارا بقدم الصدق أو اضطرارا بحلول الأجل (فإن تولوا) عن قبول الحق (فاعلم) بمطالعة القضاء (أنما يريد الله) في حكم القدر (أن يصيبهم) مصيبة الإعراض (ببعض ذنوبهم) وهو الاعتراض، فإن الحق سبحانه يلزم بشرط التكاليف ويقدمهم ويؤخرهم بعين التصريف. فالتكليف فيما أوجب والتصريف فيما أوجدوا العبرة بالإيجاد لا بالإيجاب (لفاسقون) لخارجون عن جذبات العناية (أفحكم الجاهلية يبغون) أيطلبون منك أن تحيد عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس الدنيا وسطعت براهين اليقين وانهتكت أستار الريب واستنار القلب بأنوار الغيب (يسارعون فيهم) لأن شبيه الشيء منجذب إليه (أن يأتي بالفتح) فتح عيون القلوب (أو أمر من عنده) وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين (ويقول الذين آمنوا) بأنوار الغيوب في أستار القلوب (فأصبحوا خاسرين) بإبطال الاستعداد الفطري. (بقوم يحبهم ويحبونه) هم أرباب السلوك أفناهم عنهم بسطوات يحبهم ثم أبقاهم به عند هبوب نفحات يحبونه، فإن محبة الله للعبد إفناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية، ومحبة العبد لله إبقاء اللاهوتية في فناء الناسوتية. والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية رضي الله عنه قد عكس القضية، فلعله فهم غير ما فهمنا. ثم قال إنه تعالى يحب العبد بصفته ذاته أزلا وهي الإرادة القديمة المخصوصة بالغاية، والعبد يحب الله بذات تلك الصفة أبدا (أذلة على المؤمنين) لارتفاع الأنانية (أعزة على الكافرين) ببقاء اللاهوتية وإثبات الوحدانية (يجاهدون في سبيل الله) في طلب الحق في البداية ببذل الوجود (ولا يخافون لومة لائم) عند غلبات الوجد في." (١)

"في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة كان ذلك زجرا له عن القبائح. ومنها أن توزن تلك الصحائف يوم القيامة فإن وزن الأعمال غير ممكن. ومنها التعبد فعلى المكلف أن يؤمن بكل ما ورد به الشرع وإن لم يعرف وجه الحكمة في بعض ذلك. **وقال بعض الحكماء**: الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الأركان مع طبائعها المتضادة على امتزاجها. وقال بعض القدماء: منهم النفوس البشرية والأرواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها، فبعضها خيرة وبعضها شريرة، وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة، ولكل طائفة من هذه الأرواح السفلية روح سماوي هو لها كالأب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة، وعلى سبيل الإلهامات أخرى. فالأرواح الخيرة لها مباد من عالم الأفلاك وكذا الأرواح الشريرة وتلك المبادئ في مصطلحهم تسمى بالطباع التام لأن تلك الأرواح في تلك الطبائع والأخلاق تامة كلها وهذه الأرواح السفلية المتولدة منها أضعف منها لأن المعلول في كل باب أضعف من علته، لأصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير. وقيل: إن النفوس المفارقة تميل إلى ما يناسبها ويساويها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالأبدان فتحفظها وتعينها (حتى إذا جاء

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان@ط العلمية النيسابوري، نظام الدين القمي ٦٢٧/٢

أحدكم الموت) أي وقته أو أماراته (توفته رسلنا) أي بإذننا وتفويضنا فالمتوفى بالحقيقة هو الله تعالى كما قال الله (يتوفى الأنفس حين موتها) [الزمر: ٤٢]. وهؤلاء الرسل أتباع ملك الموت في قوله (يتوفاكم ملك الموت) [السجدة: ١١] وهل هم الحفظة بأعيانهم أم غيرهم فيه قولان: أشهرهما الثاني لكون ملائكة الروح والريحان وهم الريحانيون غير ملائكة الكرب والأحزان وهم الكروبيون. وعن مجاهد: جعلت الأرض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله، وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين. (وهم لا يفرطون) لا يقصرون فيما أمرهم الله تعالى به وفيه مدح لهم بالعصمة (ثم ردوا إلى الله) أي إلى حكمه وجزائه (مولاهم الحق) صفتان والضمير في (ردوا) إما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت أولئك الملائكة، أو إلى البشر أي أنهم بعد موتهم يردون إلى الله تعالى والمعنى أنهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب، فإذا ماتوا انتقلوا إلى تصرف المولى الحق. وفيه إشعار بأن الإنسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فإن هذا الهيكل يبقى ميتا والإنسان مردود إليه تعالى. وفي لفظ الرد إشارة إلى أن الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد إلى موضعه الأصلي وهو عالم الأرواح بجذبة (ارجعي إلى ربك) [الفجر: ٢٨] (ألا له الحكم) كقوله: (إن الحكم إلا لله) [الأنعام: ٥٧] (وهو أسرع الحاسبين) حسابا قيل: إنه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام. وقيل: يحاسب كل إنسان واحد من الملائكة بإذن الله." (١)

"والسباحة لا تكون إلا في الماء. ورد بأنه يقال فرس سابح إذا امتد في الجري. وقالت الحكماء: هو جسم كروي لا ثقيل ولا خفيف غير قابل للخرق والالتئام والنمو والذبول، ولذلك منعوا من كون الفلك ساكنا، والكواكب متحركة فيه كالسمك في الماء واعتذروا عن السباحة بأنها في النظر كذلك.قال صاحب الكشاف: التنوين في كل عوض من المضاف إليه أي كلهم فورد عليه إشكالان: أحدهما أنه لم يسبق إلا ذكر الشمس والقمر فكيف يعود ضمير الجمع إليهما؟ وأجاب بأن ذلك باعتبار كثرة مطالعهما كما يجمع بالشموس والأقمار لذلك. ويمكن أن يقال: أقل الجمع اثنان أو أنه جعل النجوم تبعا لذكرهما. الثاني أن كلهم ليسوا في فلك ولكن كل منهم في فلك آخر على ما يشهد به علم الهيئة، وأجاب بأنه أراد جنس الفلك كقولك «كسانا الأمير حلة»، أو أراد كل واحد. قلت: لو صح هذا التقدير الثاني لم يرد الإشكال الأول ولكنه ينافي قوله (يسبحون) مجموعا. **قال بعض الحكماء في** هذا الجمع دلالة على أن الكواكب أحياء ناطقة. وأجيب بأنه إنما جمع جمع العقلاء لأن السباحة من فعلهم. قلت: قد يسبح كثير من الحيوانات، فلعل المختص بالعقلاء هو السباحة الصناعية المكتسبة. وهاهنا بحث وهو أن الإمام فخر الدين الرازي استحسن قول بعض الأوائل أن الحركة السماوية صنف واحد وهي الآخذة من المشرق إلى المغرب إلا أن بعضها أبطأ من البعض كالحركات الغربية، وكذا اختلافات تلك الحركات بسبب تلك المختلفات. قال: وهذا أقرب ليكون غاية سرعة الحركة للفلك الأعظم وغاية السكون للجرم الذي هو أبعد عن المحيط وهو الأرض، ولئلا يلزم بسبب حركة ما دون الفلك الأعظم بحركته وبحركاتها الخاصة تحرك الجرم الواحد في زمان واحد بحركتين مختلفتين إلى جهتين فإنه يستلزم كون الجسم دفعة واحدة في مكانين. قلت: أما حديث كون ما هو أبعد عن المركز أسرع حركة فإقناعي، وأما لزوم كون الجسم دفعة واحدة في مكانين فممنوع لأن التي تظهر في المتحرك هي الحركة

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان@ط العلمية النيسابوري، نظام الدين القمي ٩٥/٣

المركبة الحاصلة من فضل الأسرع على الأبطأ لا كل من الحركتين، وهذا مشاهد من حركة النملة إلى خلاف جهة حركة الرحى، ومن حركة راكب السفينة فيها إلى خلاف جهة حركتها. وأما الذي استحسنه من كلام الأوائل فباطل لأنه لو كان كذلك لحصلت الاظلال اللائقة بكل جزء من أجزاء فلك البروج في يوم بليلة، وكذا الارتفاعات المناسبة لها في البلاد المتفقة العرض وليس كذلك، وقد ذكرنا هذا المعنى في كتبنا النجومية أيضا. وحين فرغ من بيان طرف من هيئة الأجرام السماوية ومنافعها الدنيوية نبه بقوله (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) على أن هذه الآثار لا تدوم ولا تخلق للبقاء وإنما." (١)

"فالصديق أعان ، وأبو لهب عارض ، أين الصديق وأين أبو لهب ؟ سيدنا عمر آمن ودعم ، وأبو جهل عارض ، أين عمر وأين أبو جهل ؟ أين الثرى من الثريا ؟ .أيها الإخوة ... قصص القرآن الكريم حقائق مبرهن عليها ، هذا دليل ، وكل إنسان يسلك طريق فرعون مصيره معروف ، وكل إنسان يسلك طريق سيدنا الصديق مصيره معروف ..ألم نشرح لك صدرك(١)ووضعنا عنك وزرك(٢)الذي أنقض ظهرك(٣)دقق .. ورفعنا لك ذكرك(٤)(سورة الشرح)" سبحانك إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت " ، مستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر ، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تعصيه وتربح ، العبرة بالنهايات .إخواننا الكرام ... العبرة من يضحك آخرا ، **قال بعض الحكماء** : " من يضحك أولا يضحك قليلا ويبكي كثيرا ، ومن يضحك آخرا يضحك كثيرا إلى ما شاء الله " .قال تعالى :إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين(١٠٩)فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون(١١٠)إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون(١١١)(سورة المؤمنون)وفي آية القرآن آية أخرى ، قال تعالى : فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون(٣٤)(سورة المطففين)فملخص الملخص : الإنسان حينما يولد كل من حوله يضحك ، وهو يبكي وحده ، فإذا جاء أجله كل من حوله يبكي ، فإذا كان بطلا فليضحك وحده .قال تعالى : قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون(٢٦)بما غفر لي ربي(سورة يس)والحمد لله رب العالمين* * *." (٢)

"بالجوهر الفرد.[المراد بالتوحيد]والتوحيد: أن تثبت ذاتا موصوفة بالصفات، منزهة عن النقائص، مخالفة للحوادث.**قال بعض الحكماء**: أصول التوحيد أربعة:أولها: العلم بوحدانية الله تعالى.والثاني: أن تعلم أنه منزه عن الكيفية.والثالث: أن تعلم أنه متعال عن الكمية.والرابع: أن تعلم أنه متعال عن الأينية.(قد هذبتها) نقحتها وخلصتها مما يعيبها، وهو باعتبار المعنى كذلك، أما باعتبار النظم ففيها كثير من الأبيات ما يخلو عن شيء.(والله) لا غيره (أرجو في القبول) لها ليثيبني عليها، أو يكسيها حلة القبول ليكثر النفع بها، ويحتمل أن الناظم أرادهما معا، أي: أرجوه أن يتقبلها مني، ويحببها إلى خلقه.(نافعا) حال من الإسم الكريم، أو من فاعل "أرجو"، أي قاصد النفع (بها) أي بالأرجوزة (مريدا) لها حفظا أو فهما أو لهما معا، و"مريدا" مفعول بـ "نافعا"، وقوله (في الثواب) يتعلق بقوله (طامعا)، أي: طامعا في نواله تعالى وإحسانه.." (٣)

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان@ط العلمية النيسابوري، نظام الدين القمي ١٩/٥

(٢) تفسير محمد راتب النابلسي النابلسي، محمد راتب ٩٥/٩

(٣) تقريب البعيد إلى جوهرة التوحيد @ ط المعارف أبو الحسن الصفاقسي ص/٣٨

" ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ثم يقول لأهل النار كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فيقول بئسما اتجرتم في يوم أو بعض يوم سخطي ومعصيتي وناري امكثوا فيها خالدين مخلدين وخرج الحاكم من حديث عبد الجبار بن وهب أنبأنا سعيد بن طارق عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى يرضي ربه وبئست الدار لمن صدته عن آخرته وقصرت به عن رضا ربه وإذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله أعصانا لربه وقال صحيح الإسناد وخرجه العقيلي وقال عبد الجبار بن وهب مجهول وحديثه غير محفوظ قال وهذا الكلام يروي عن علي من قوله وقول علي خرجه ابن أبي الدنيا عنه بإسناد فيه نظر أن عليا سمع رجلا يسب الدنيا فقال إنها لدار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غني لمن تزود منها مسجد أحباب الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذم الدنيا وقد آذنت بفراقها ونادت بعيبها نعت نفسها وأهلها فمثلت ببلائها البلاء وشوقت بسرورها إلى أهل السرور فذمها قوم عند الندامة ومدحها آخرون حدثتهم فصدقوا وذكرتهم فذكروا فيا أيها المغتر بالدنيا المغتر بغرورها متى استلأمت إليك الدنيا بل متى غرتك بمضاجع آبائك تحت الثرى أم بمصارع أمهاتك من البلى كم قلبت بكفيك ومرضت بيديك تطلب له الشفاء وتسأل له الأطباء فلم تظفر بحاجتك ولم تسعف بطلبتك قد مثلت لك الدنيا بمصرعه مصرعك غدا ولا يغني عنك بكاؤك ولا ينفعك أحباؤك فبين أمير المؤمنين رضي الله عنه أن الدنيا لا تذم مطلقا وأنها تحمد بالنسبة إلى من تزود منها الأعمال الصالحة وأن فيها مساجد الأنبياء ومهبط الوحي وهي دار التجارة للمؤمنين اكتسبوا منها الرحمة وربحوا بها الجنة فهي نعم الدار لمن كانت هذه صفته وأما ما ذكر من أنها تغر وتخدع فإنها تنادي بمواعظها وتنصح بعبرها وتبدي عيوبها بما ترى من أهلها من مصارع الهلكى وتقلب الأحوال من الصحة إلى السقم ومن الشيبة إلى الهرم ومن الغنى إلى الفقر ومن العز إلى الذل لكن محبها قد أصمه وأعماه حبها فهو لا يسمع نداءها كما قيل وقد نادت الدنيا على نفسها لو كان في العالم من يسمع كم واثق بالعمر أفنيته وجامع بددت ما يجمع وقال يحيى بن معاذ رحمه الله لو يسمع الخلائق صوت النياحة على الدنيا في المغيب من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حزنا **وقال بعض الحكماء** الدنيا أمثال تضربها الأيام للأنام وعلم الزمان لا يحتاج إلى ترجمان وبحب الدنيا صمت أسماع القلوب عن المواعظ ." (١)

" وصايا المسيح عليه السلام لأصحابه أنه قال لهم اعبروها ولا تعمروها وروى عنه أنه قال من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر أين متاعكم فقال إن لنا بيتا نتوجه إليه فقال إنه لا بد لك من متاع مادمت هاهنا فقال إن صاحب المنزل لا يدعنا هاهنا ودخلوا على بعض الصالحين فقلبوا بصرهم في بيته فقالوا إنا نري بيتك بيت رجل مرتحل فقال لا أرتحل ولكن أطرد طردا وكان على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولاحساب وغدا حساب ولا عمل **قال بعض الحكماء**

---

(١) جامع العلوم والحكم @ ط المعرفة ابن رجب الحنبلي ص/٢٩٦

عجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة إليه يشغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة وقال عمر بن عبدالعزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قراركم كتب الله عليها الفناء وكتب الله على أهلها منها الظعن فكم من عامر موثق عن قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن مابحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوي وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولاوطنا فينبغي للمؤمن أن يكون حاله فيها على أحد حالين إما أن يكون كأنه غريب مقم في بلد غربة همه التزود للرجوع إلى وطنه أو يكون كأنه مسافر غير مقيم البتة بل هو ليله ونهاره يسير إلى بلد الإقامة فلهذا وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمر أن يكون في الدنيا على أحد هذين الحالين فأحدهما أن يترك المؤمن نفسه كأنه غريب في الدنيا يتخيل الإقامة لكن في بلد غربة فهو غير متعلق القلب ببلد الغربة بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه وإنما هو مقيم في الدنيا ليقضي مرمة جهازه إلى الرجوع إلى وطنه قال الفضيل بن عياض المؤمن في الدنيا مهموم حزين همه مرمة جهازه ومن كان في الدنيا كذلك فلا هم له إلا التزود بما ينفعه عند العود إلى وطنه فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزهم ولا يجزع من الذل عندهم قال الحسن المؤمن كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها له شأن وللناس شأن لما خلق الله آدم عليه السلام أسكن هو وزوجته الجنة ثم أهبط منها ووعد بالرجوع إليها وصالحوا ذريتهما فالمؤمن أبدا يحن إلى وطنه الأول وحب الوطن من الإيمان كما قيل كم منزل للمرء يألفه الفتي وحنينه أبدا لأول منزل ولبعض شيوخنا فحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولي وفيها المخيم ولكننا سبي العدو فهل تري نعود إلى أوطاننا ونسلم ." (١)

" وقال بعض الحكماء كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله وتقوده حياته إلى موته وقال الفضيل بن عياض لرجل كم أتت عليك قال ستون سنة قال فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ فقال الرجل إنا لله وإنا إليه راجعون فقال الفضيل أتعرف تفسيره تقول إنا لله وإنا إليه راجعون فمن عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابا فقال الرجل فما الحيلة قال يسيرة قال ما هي قال تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضي فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضي وما بقي وفي هذا المعنى قال بعضهم وإن المرء قد سار ستين حجة إلى منهل من ورده لقريب قال بعض الحكماء من كانت الأيام والليالي مطاياه سارت به وإن لم يسر وفي هذا قال بعضهم وما هذه الأيام إلا مراحل يحث بها داع إلى الموت قاصد وأعجب شيء لو تأملت أنها منازل تطوي والمسافر قاعد وقال آخر و يا ويح نفس من نهار يقودها إلى عسكر الموتي وليل يذودها قال الحسن لم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الأعمار وتقريب الآجال هيهات قد صحبا نوحا وعادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا فأصبحوا قد أقدموا على ربهم ووردوا على أعمالهم وأصبح الليل والنهار غضين جديدين لم يبلهما ما مرا به مستعدين لمن بقي بمثل ما أصاب به من مضي وكتب الأوزاعي إلى أخ له أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه وأن يكون آخر

---

(١) جامع العلوم والحكم @ ط المعرفة ابن رجب الحنبلي ص/٣٨٠

عهدك به والسلام نسير إلى الآجال في كل لحظة وأيامنا تطوي وهن مراحل ولم أر مثل الموت حقا كأنه إذا ما تخطته الأماني باطل وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب للرأس شاعل ترحل من الدنيا بزاد من التقي فعمرك أيام وهن قلائل وأما وصية ابن عمر فهي مأخوذه من هذا الحديث الذي رواه وهي متضمنة لنهاية قصر الأمل وإن الإنسان إذا أمسي لم ينتظر الصباح وإذا أصبح لم ينتظر المساء بل يظن أن أجله يدرك قبل ذلك وبهذا فسر غير واحد من العلماء الزهد في الدنيا قال المروزي قيل لأبي عبدالله يعني أحمد أي شيء الزهد في الدنيا قال قصر الأمل من إذا أصبح قال لا أمسي قال وهكذا قال سفيان قيل لأبي عبدالله بأي شيء نستعين على قصر الأمل قال ما ندري إنما هو توفيق قال الحسن اجتمع ثلاثة من العلماء فقالوا لأحدهم ما أملك قال ما أتي على شهر إلا ظننت أني سأموت فيه قال فقال صاحباه إن هذا هو الأمل فقالا لأحدهم فما أملك قال ما أتت على جمعة إلا ظننت أني سأموت فيها قال فقال صاحباه إن هذا هو الأمل فقالا للآخر فما أملك قال ما أمل من نفسه في يد غيره قال داود الطائي سألت عطوان بن عمرو التيمي قلت ما قصر الأمل قال ما بين تردد النفس فحدث بذلك الفضيل بن عياض فبكي وقال يقول يتنفس فيخاف أن يموت قبل أن ينقطع نفسه لقد كان عطوان من الموت على حذر وقال بعض السلف مانمت نوما قط فحدثت نفسي أني أستيقظ منه وكان ." (١)

"الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، ج ٧، ص: ٢٨١ما توعدون لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣) برفع مثل صفة، وما مزيدة، وبفتح اللام مركبة مع ما، المعنى: مثل نطقكم في حقيته أي معلوميته عندكم، ضرورة صدوره عنكمهل أتاك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) وهم ملائكة، اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم تحقق ما أخبر به عنه بتحقق نطق الآدمي، ومعناه إنه لحق كما أنت تتكلم، وقيل: إن معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفونه ضرورة، **وقال بعض الحكماء**: معناه كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره اه خازن.قوله: (أي ما توعدون) عبارة غيره: أي: رزقكم وما توعدون وهي أحسن اه.قوله: (برفع مثل صفة) أي: حال كونه صفة أي: لحق، وقوله: مركبة مع ما أي: حال كونها مركبة مع ما تركيب مزج ككلما وطالما وأينما وقلما، فيقال في الإعراب: مثلما مبني على السكون في محل رفع على أنه صفة لحق، ومثلما مضاف، وجملة أنكم تنطقون مضاف إليه في محل جر، فقوله:المعنى أي: معنى القراءتين مثل بالرفع، ولو على قراءة الفتح لأنها في محل رفع هذا ما أشار إليه ابن جزي خلافا لما ذكره الحواشي من أن المراد التركيب الإضافي على أن مثل مضاف وما مضاف إليه على أنها نكرة موصوفة، وجملة أنكم تنطقون خبر مبتدأ محذوف أي هو أنكم الخ، والجملة صفة ما وحركة مثل على هذا بنائية وبنيت لإضافتها إلى المبنى، وهذا وإن كان صحيحا في نفسه كما ذكره البيضاوي وغيره، لكنه غير متبادر من عبارة الشارح، فالأولى في فهمها ما تقدم الذي أشار له ابن جزي اه شيخنا.وفي البيضاوي: ونصبه على الحال من المستكن في لحق أو الوصف لمصدر محذوف، أي: أنه لحق حقا مثل نطقكم، وقيل: إنه مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو ما إن كانت بمعنى شيء وإن بما في حيزها إن جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة

---

(١) جامع العلوم والحكم @ ط المعرفة ابن رجب الحنبلي ص/٣٨٣

لحق اه.قوله: (المعنى مثل نطقكم الخ) عبارة أبي السعود: أي: كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في أحقيته اه.وقال يزيد بن مرثد: إن رجلا جاع بمكان وليس فيه شيء فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فأتني به، فشبع وروي من غير طعام ولا شراب. وعن أبي سعيد الخدري قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت» أسنده الثعلبي اه قرطبي.قوله: هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين أي: ألم يأتك حديث الخ، وقيل: هل بمعنى قد كما في قوله تعالى: هل أتى على الإنسان حين من الدهر اه قرطبي.وهذا تفخيم لشأن الحديث أي: القصة، وتنبيه على أنه مما لا يعلمه رسول الله إلا بالوحي، والضيف في الأصل مصدر ضاف، ولذلك يطلق على الواحد والجماعة اه أبو السعود.قوله: (و هم) أي: الضيف ملائكة، وقوله: منهم جبريل أي: على جميع الأقوال اه.." (١)

"عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٣، ص: ٤٨٦للعهد، والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتاب بحفظه عن التغيير، ويشهد لها بالصحة والثبات، وقرئ على بنية المفعول أي هو من عليه وحوفظ من التحريف، والحافظ له هو الله سبحانه وتعالى، أو الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما أنزل الله أي بما أنزل الله إليك ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه فعن صلة للا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف، أو حال من فاعله أي لا تتبع أهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة شريعة، وهي الطريق إلى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية، وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الأمر إذا وضح، واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائعإن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق بعرفه ذوو الألبابوالحافظ قال:مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجدوالشاهد أيضا وهاؤه أصلية وفعله هيمن وله نظائر ببطر وحيمر وسيطر، وزاد الزجاجي بيقر، ولا سادس لها، وقيل إنها مبدلة من الهمزة، ومادته من الأمن كهراق، وقال المبرد وابن قتيبة أن المهيمن أصله مؤمن، وهو من أسمائه تعالى فصغر، وأبدلت همزته هاء، وخطئ فيه حتى نسب إلى الكفر لأن أسماء الله تعالى لا تصغر، وكذا كل اسم معظم شرعا. قوله: (وقرئ على بنية المفعول) أي بفتح الميم وهي شاذة رويت عن مجاهد وابن محيصن، وعلى هذه القراءة لا يكون فيه ضمير، وضمير عليه يعود إلى الكتاب الأول، وعلى قراءة كسر الميم فيه ضمير يعود إلى الكتاب الثاني، ومحافظة الحفاظ بتوفيق الله لهم فهي محافظة من الله أيضا، وقوله: بحفظه عن التغيير أي بسبب أن القرآن محفوظ عن التغيير، وهو شاهد على صحة غيره من الكتاب السماوية فكان رقيبا عليها دالا على ما فيها من الأحكام والتوحيد، وليس المعنى أنه حفظ الكتاب عن التغيير حتى يعترض بأنه وقع فيها ذلك كما نطق به القرآن فلا وجه لكونه حفظها منه كما توهم. قوله: (فعن صلة لا تتبع الخ) لأن أهواءهم مائلة وزائغة عن السبيل المستقيم فاتباعها انحراف وميل أو هو حال متعلق بمائلا أو عادلا أو حال من أهواءهم أي منحرفة، وتقديره التضمين بما ذكر أحد الطرق فيه، وقد مر تفصيله في سورة البقرة فارجع إليه وقوله أيها الناس إشارة إلى عموم الخطاب الشامل لما مضى، ومن بعدهم. قوله: (وهي الطريق إلى الماء) وجه الشبه بينها وبين الدين ظاهر فهو استعارة تحقيقية، وقوله الأبدية إن كان من وجه الشبه يكون وجهه في المشبه أقوى، وقال الراغب سميت الشريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة والصدقة روي، وتطهر، وأعني بالري ما

(١) حاشية الجمل على الجلالين المسماة الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية الجمل ٧/٢٨١

قال بعض الحكماء كنت أشرب فلا أروي فلما عرفت الله رويت بلا شرب، وبالتطهير ما قال تعالى:ويطهركم تطهيرا [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣] والمنهاج الطريق الواضح، والعطف باعتبار." (١)

"﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ * ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾قوله: (وسألهم عن أبيه) أي حين وقع التعارف وهو تمهيد لقوله: ﴿اذهبوا بقميصي﴾.قوله: (وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار) أي لأنه لما ألقي فيها عريانا، أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم، فلما مات ورثه إسحاق، فلما مات ورثه يعقوب، وجعله في قصبة من فضة، وسد رأسها وعلقها في عنق يوسف حفظا من العين، فلما ألقي في الجب عريانا، أتاه جبريل، وأخرج له ذلك القميص من القصبة وألبسه إياه.قوله: (وقال) أي جبريل.قوله: ﴿يأت بصيرا﴾ يحتمل أن يأت بمعنى يصير، فبصيرا مفعول ثان، وهو الذي درج عليه المفسر، ويحتمل أنها بمعنى يجيء فبصيرا حال.قوله: ﴿بأهلكم أجمعين﴾ أي وكانوا اثنين وسبعين، ما بين رجل وامرأة، وقيل ثلاثا وسبعين، فأرسل لهم مائتي راحلة، وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى، ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا، سوى الذراري والضعفاء، وكانت الذرية إذ ذاك ألف ألف ومائتي ألف، فقد بورك فيهم حتى بلغوا هذا العدد في تلك المدة اليسيرة، لأنه كان بين يعقوب وموسى أربعمائة سنة.قوله: (خرجت من عريش مصر) أي متوجهة إلى أرض كنعان، والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر، وأول بلاد الشام، وما ذكره المفسر أحد قولين، والآخر أن المراد خرجت من نفس مصر.قوله: (لم حضر من بنيه وأولادهم) إلخ، مقتضى هذا أن الأولاد لم يذهبوا جميعا لمصر، بل بقي بعضهم، وقال غيره: إن الأولاد ذهبوا جميعا، وهذا الخطاب لأولادهم.قوله: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ أي ريح الجنة من قميص يوسف، فالإضافة لأدنى ملابسة، وهذا دليل على أن كل سهل فهو في مدة المحنة صعب، وكل صعب فهو في زمان الإقبال سهل، حيث وصل إليه ريح القميص من المكان البعيد، عند انقضاء مدة الفراق، ومنع من وصول خبره إليه، مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى، في تلك المدة العظيمة، ومن ذلك قول العارف بن الفارض رضي الله عنه:أعوام إقباله كاليوم في قصر...ويوم إعراضه في الطول كالحججقوله: (أوصلته إليه الصبا) هي ريح تهب من مطلع الشمس. إن قلت: إن ريح الصبا تقابل الذاهب من مصر إلى الشام، فإذا كانت تقابله، فكيف تحمل الريح من القميص الذي معه إلى جهة الشام، فمقتضى العادة أن التي حملت هي الدبور، لأنها هي التي تذهب من جهة مصر إلى الشام؟ أجيب: بأن هذا خرق عادة، أو يقال إن هذا ظاهر إذا كانت حملته لمقابلتها فقط، وأما ما حصل، فقد فاح شذاه على جميع الدنيا، ولذا قال مجاهد: هبت ريح فصفقت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنة في ذلك القميص، وحينئذ فحمل الصبا لريحه ظاهر، لأنها لم تحمل ريحه ليعقوب فقط، بل حملته لأهل الدنيا، وقد بالغ الناس في مدح الصبا، حتى قال بعض الحكماء: لو توالت على الأرض سبعة أيام لأنبتت الزعفران، وقال بعضهم مادحا لها:." (٢)

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي ط-أخرى الشهاب الخفاجي ٤٨٦/٣

(٢) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين أحمد الصاوي ص/٩١١

"قوله: (وغير ذلك) أي كالإحراق بالنار والإغراق في البحار.قوله: ﴿ومن شر غاسق﴾ نكر ﴿غاسق﴾ و ﴿حاسد﴾ لإفادة التبعيض، لأن الضرر قد يتخلف فيهما، وعرف ﴿النفاثات﴾ لأنهن معهودات، فقيل: بنات لبيد، وقيل: إخواته.قوله: (أي الليل إذا أظلم) سمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه، واستعيذ من الليل لشدة الآفات فيه، و ﴿إذا﴾ منصوبة بـ ﴿شر﴾ أي أعوذ بالله من الشر في وقت كذا.قوله: (أو القمر) سمي غاسقا لذهاب ضوئه بالكسوف، أو المحاق في آخر الشهر واسوداده، وقوله: (إذا غاب) أي استتر بالكسوف، أو أخذ في المحاق أو النقص، وذلك آخر الشهر، وفيه تتوفر أسباب السحر المصححة له، ويسميه المنجمون إذ ذاك نحسا، وهو أنسب بسبب النزول، وهذان قولان من جملة أقوال كثيرة، وقيل: الثريا وذلك لأنها إذا سقطت كثرت الأقسام والطواعين؛ وإذا طلعت ارتفع ذلك، وقيل: هو الشمس إذا غربت، وقيل: هو الحية إذا لدغت، وقيل: كل هاجم يضر كائنا ما كان.قوله: (السواحر) صفة لموصوف محذوف أي النساء السواحر، وخص النساء بالذكر، لأن سحرهن أشد من سحر الرجال، لما ورد: أنه بعد إغراق فرعون وقومه، وتوجه موسى وقومه لقتال الجبارين، ملك نساء القبط مصر، وأقمن فيها ستمائة سنة، كلما قصدهن عسكر صورن صورته، وفعلن بالصورة ما شئن من قلع الأعين وقطع الأعضاء، فيتفق نظيره للعسكر القاصد لهن فتخافهن العسكر.قوله: (بشيء) أي مع شيء أي قول تقوله.قوله: (من غير ريق) متعلق بـ (تنفخ)، واختلف في النفث عند الرقية والمسح باليد، فمنعه قوم لما فيه من التشبه بالسحر، وأجازها آخرون وهو الصحيح، لما ورد عن عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم ينفث في الركية، ورد عنها أيضا أنها رقت ونفثت، وقال علي كرم الله وجهه: " اشتكيت فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وانا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحمني، وإن كان متأخرا فاشفني وعافني، وإن كان بلاء فصبرني، فقال صلى الله عليه وسلم: كيف قلت؟ فقلت له، فمسحني بيده ثم قال: اللهم اشفه، فما عاد ذلك الوجع بعد " اهـ.قوله: (وقال الزمخشري: معه) أي الريق، ففي النفث قولان.قوله: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ الحسد تمني زوال نعمة المحسود عنه، وإن لم يصر للحاسد مثلها، والغبطة تمني مثلها، فالحسد مذموم دون الغبطة، وعليها حمل حديث: " لا حسد إلا في اثنتين " والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فحسد إبليس آدم وقابيل هابيل، والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون، **قال بعض الحكماء**: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه، أولها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. ثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول: لم قسمت لي هذه القسمة؟ ثالثها: أنه يعاند فعل الله تعالى، رابعها: أنه يرى خذلان أولياء الله.." (١)

"حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ج ٢، ص: ٥٠١وإذا تولى أدبر وانصرف عنك. وقيل: إذا غلب وصار واليا سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف، أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل. والله لا يحب الفساد (٢٠٥) لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه.وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك: أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه.فحسبه جهنم كفته

---

(١) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين أحمد الصاوي ص/٢٢٢٨

جزاء وعذابا. وجهنم علم لدار العقاب وهو في الأصل مرادف للنار. وقيل: معرب. ولبئس المهاد (٢٠٦) جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به. والمهاد الفراش. وقيل: ما يوطأ للجنب.________________________________منهما. قال صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله أسباب المعيشة جعل البركة في الحرث والنسل فظهر به أن إهلاكهما غاية الإفساد». قوله: (إذ بيتهم) أي أتاهم ليلا وفي الوسيط أن أخنس بن شريق انصرف من بدر ببني زهرة راجعا إلى مكة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأهلك زرعهم. وقيل: مر بزرع المسلمين وحمرهم فأحرق الزرع وعقر الحمر فيكون المراد بالنسل تلك المواشي أو الحمر. قوله: (أو كما يفعله ولاة السوء) ناظر إلى قوله وقيل: إذا غلب وصار واليا كما أن قوله: «كما فعله الأخنس» ناظر إلى قوله: «ادبر وانصرف عنك» فإن قيل: كيف حكم تعالى بأنه لا يحب الفساد وهو بنفسه مفسد للأشياء؟ أجيب بأن الإفساد في الحقيقة إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ولا هو آمر به ولا محب له وما نراه من فعله ونظنه بظاهره فسادا فهو بالإضافة إلينا واعتبارنا له كذلك، وأما بالنظر الإلهي فكله صلاح وحكمة. ولهذا قال بعض الحكماء: يا من إفساده إصلاح يعني أن ما نظنه إفسادا فإنما هو لقصور نظرنا ومعرفتنا وهو في الحقيقة إصلاح محض. وقوله تعالى: وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة جملة شرطية تحتمل الوجهين المذكورين في نظيرتها أي كونها مستأنفة أو معطوفة على يعجبك. قوله: (من قولك أخذته بكذا) إشارة إلى أن الباء في قوله: «بالإثم» للتعدية بناء على أنه لا فرق بين قولك: «أخذته بكذا» أو «حملته على كذا» فكما أن كلمة «على» صلة الفعل الذي قبلها فكذلك الباء. قوله: (كفته جزاء) إشارة إلى أن حسب اسم فعل ماض وجهنم فاعله. وقيل: حسب مبتدأ بمعنى اسم الفاعل وجهنم خبره أي كافيه جهنم. قوله: (والمهاد الفراش)." (١)

"حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ج ٢، ص: ٥٠١ وإذا تولى أدبر وانصرف عنك. وقيل: إذا غلب وصار واليا سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف، أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل. والله لا يحب الفساد (٢٠٥) لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك: أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه. فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا. وجهنم علم لدار العقاب وهو في الأصل مرادف للنار. وقيل: معرب. ولبئس المهاد (٢٠٦) جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به. والمهاد الفراش. وقيل: ما يوطأ للجنب. منهما. قال صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله أسباب المعيشة جعل البركة في الحرث والنسل فظهر به أن إهلاكهما غاية الإفساد». قوله: (إذ بيتهم) أي أتاهم ليلا وفي الوسيط أن أخنس بن شريق انصرف من بدر ببني زهرة راجعا إلى مكة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأهلك زرعهم. وقيل: مر بزرع المسلمين وحمرهم فأحرق الزرع وعقر الحمر فيكون المراد بالنسل تلك المواشي أو الحمر. قوله: (أو كما يفعله ولاة السوء) ناظر إلى قوله وقيل: إذا غلب وصار واليا كما أن قوله: «كما فعله الأخنس»

---

(١) حاشية محي الدين زاده على تفسير القاضي البيضاوي شَيْخ زَادَهْ ٢/٥٠١

ناظر إلى قوله: «ادبر وانصرف عنك» فإن قيل: كيف حكم تعالى بأنه لا يحب الفساد وهو بنفسه مفسد للأشياء؟ أجيب بأن الإفساد في الحقيقة إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ولا هو آمر به ولا محب له وما نراه من فعله ونظنه بظاهره فسادا فهو بالإضافة إلينا واعتبارنا له كذلك، وأما بالنظر الإلهي فكله صلاح وحكمة. ولهذا **قال بعض الحكماء**: يا من إفساده إصلاح يعني أن ما نظنه إفسادا فإنما هو لقصور نظرنا ومعرفتنا وهو في الحقيقة إصلاح محض. وقوله تعالى:وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة جملة شرطية تحتمل الوجهين المذكورين في نظيرتها أي كونها مستأنفة أو معطوفة على يعجبك.قوله: (من قولك أخذته بكذا) إشارة إلى أن الباء في قوله: «بالإثم» للتعدية بناء على أنه لا فرق بين قولك: «أخذته بكذا» أو «حملته على كذا» فكما أن كلمة «على» صلة الفعل الذي قبلها فكذلك الباء. قوله: (كفته جزاء) إشارة إلى أن حسب اسم فعل ماض وجهنم فاعله.وقيل: حسب مبتدأ بمعنى اسم الفاعل وجهنم خبره أي كافيه جهنم. قوله: (والمهاد الفراش)." (١)

"الإسكندرية فعقل بها، ولم يزل بها إلى أن استقرطظر (١) في المملكة، فأرسل في إطلاقه وأذن له في المجيء إلى القاهرة فاختار الإقامة في الاسكندرية، لأنها لاقت بحاله، واستطابها وحصل له بها مال جزيل، من التجارة فاستمر إلى أن مات فيها شهيدا بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.فصل: فيما يجب على من يصحب الخلفاء الراشدين، وأمراء المؤمنين، والملوك والسلاطين.قال الشعبي: قال لي عبد الله بن عباس، قال لي العباس: اي بني إني أرى هذا الرجل، يعني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، يقدمك على كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني أوصيك بكلمات أربع لا تفشين لهم سرا، ولا تحدثنهم كذبا، ولا تطرين عندهم نصيحة، ولا تغتابن لديهم أحدا. قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدة منهن خير من ألف، قال: إي والله، ومن عشرة آلاف. **قال بعض الحكماء**: إذا زادك السلطان إكراما، فزده إعظاما وإذا جعلك ولدا فاجعله سيدا، وإذا جعلك أخا فاجعله والدا، ولا تديمن النظر إليه، ولا تكاسر من الدعاء له، ولا تتغير منه إذا سخط، ولا تغتر به إذا رضي ولا تلح في مسألته وقد قيل في المعنى:قرب الملوك يا أخا البدر السني ... حظ جزيل بين شدقي ضيغمقال الفضل بن الربيع (٢): من كلم الملوك في حاجة في غير وقتها، جهل مقامه وضاع كلامه، وما أشبه ذلك إلا بأوقات الصلاة، التي لا تقبل إلا في وقتها. قال خالد بن صفوان (٣): من صحب السلطان بالنصيحة والأمانة، كان أكبر عدو له، ممن صحبه بالفسق والخيانة، لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه، بالعداوة والحسد، فعدو السلطان يبغضه لنصيحته، وصديقه ينافسه في مرتبته. قال أفلاطون (٤) الحكيم: إذا خدمت ملكا، فلا تطعه في معصية ربك، فإن إحسانه إليك أفضل من إحسانه إليك، وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه بك. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«من تواضع لغني لأجل غناه، ذهب ثلثا دينه». رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود وأنس بلفظ: «من أصبح حزينا على الدنيا، أصبح ساخطا على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبته فإنما يشكو ربه، ومن دخل لغني فتضعضع له، ذهب ثلث دينه».وأخرج الديلمي، من حديث أبي ذر: «لعن الله فقيرا يتواضع لغني من أجل ماله. من فعل ذلك فقد ذهب ثلثا دينه». وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه».وروى

---

(١) حاشية محي الدين زاده على تفسير القاضي البيضاوي@ ط العلمية شَيْخ زَادَهْ ٢/٥٠١

(٥) أحمد عن بعض الصحابة مرفوعا «إنك لا تدع شيئا اتقاء الله إلا أعطاك الله خيرا منه».______________(١) ططر: الظاهري الجركسي أبو سعيد، من ملوك الجراكسة في مصر، تقلد السلطنة سنة ٨٢٤هـ، ومات في السنة ذاتها. وكان دينا لينا كريما.(٢) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس، وزير أديب، على عهد الرشيد العباسي واستقر على الوزارة أيام الأمين. مات سنة ٢٠٨هـ.(٣) خالد بن صفوان.(٤) افلاطون: فيلسوف اليونان الأول، صاحب الجمهورية الفاضلة.(٥) رواه أحمد: ٥/ ٧٨، ٧٩.." [1]

"وقال افلاطون الحكيم: من لم يعتبر بالتجارب، أوقعه الله في المهالك. وقال: كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الأيام عظة. وقال: الملك كالنهر الأعظم تستمد منه الأنهار الصغار، فإن كان عذبا عذبت، وإن كان مالحا ملحت. وسئل عن الرجل العاقل فقال: من اجتمعت فيه خصال الأدب، ولا يقهره الغضب، لأن العقل أصله التثبت في الأمور، وثمرته السلامة. وقال:السلطان كالسوق ما راج فيه حمل إليه، وصاحب الملك كراكب الأسد تهابه الناس، وهو لمركوبه أهيب. وقال: من عرف ما يطلب، هان عليه ما يبذل. ومن أطلق بصره، طال أسفه، ومن طال أمله ساء عمله. ومن أطلق لسانه، قيد نفسه. ومن أصلح فاسده أرغم حاسده. ومن قاسى الأمور، فهم المستور. ومن أحب المكارم اجتنب المحارم. ومن حسنت به الظنون، رمقته الرجال بالعيون. وقال الأدب ينوب عن الحسب. العفو يفسد اللئيم، بقدر ما يصلح الكريم. من شاور ذوي الألباب، دل على الصواب. من أمل إنسانا هابه، ومن قصر عن شيء عابه. من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر عنها ظلم. ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم. من فرط في الأمانة ضدها عمل. من عرض نفسه لما قصر عنه فعله، فقد نقص في عين غيره. من جاد ساد، ومن ساد قاد، ومن قاد بلغ المراد. ظلم الأيامى واليتامى مفتاح العقر. لا يصلح للصدر إلا من يكون واسع الصدر. ما تاه إلا وضيع، ولا فاخر إلا لقيط، ولا تعصب إلا بخيل، ولا أنصف إلا كريم. الحاجة إلى الأخ المعين، كالحاجة إلى الماء المعين. الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا لوطف. أقرب الناس إلى الله، أكثرهم عفوا عند القدرة. وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه. من لم يكن له من نفسه واعظ، لم تنفعه المواعظ. من رضي بالقضاء، صبر على البلاء.من عمر دنياه ضيع ماله. ومن عمر آخرته بلغ آماله. القناعة عز المعسر، والصدقة كنز الموسر.من سره فساده ساء معاده. الشقي من جمع لغيره، وبخل على نفسه. الخير أجل بضاعة، والإحسان أفضل صناعة. من استغنى عن الناس، أمن من عوارض الإفلاس. من رفع حاجة إلى الله، استظهر في أمره. ومن رفعها إلى الناس وضع من قدره. من أبدى سر أخيه أبدى الله أسرار مساويه. أعص الجاهل تسلم، وأطع العاقل تغنم. ازدياد الأدب عند الأحمق، كازدياد الماء العذب في أصول الحنظلة، لا يزيدها إلا مرارة. مكتوب في الإنجيل: كما تدين تدان، بالكيل الذي تكيل تكال.وكان بعض الخلفاء يتلطف في ادخال السرور على إخوانه، فيضع عندهم الصرة فيها ألف درهم، ويقول لبعضهم: امسكها حتى أعود إليك، ثم يرسل إليه بعض غلمانه فيقول له: أنت في حل من ذلك. **وقال بعض الحكماء**: أحزم الناس: من وقي نفسه بماله، ووفي دينه بنفسه، وأجود الناس: من عاش الناس في فضله. وأفضل اللذات التفضل على الإخوان. وقال: المعروف ذخيرة الأدب، والبر غنيمة الحازم، والخير عطر الأخيار من بذل ماله، استعبد أمثاله. ومن أذل فلسه، أعز نفسه. وإن صاحب المعروف لا

---

(١) حياة الحيوان الكبرى @ ط العلمية=حواشي الدَّمِيري ١/ ١٤٧

يقع وإن وقع وجد متكأ. وقال: إمام عادل خير من مطر وإبل.وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم. وقال: فضل الملوك في الإعطاء، وشرفهم في العفو، وعزهم في العدل. والعدل هو نظام العالم.وقال (١) صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل». فبدأ بالعدل، وقال عليه الصلاة والسلام: «عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنة». وقال عليه الصلاة والسلام: «عدل ساعة في الحكومة خير من عبادة ستين سنة». وقال صلى الله عليه وسلم: «السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإن جار كان عليه الإثم وعلى الرعية الصبر».." (١)

"وكان بين شرف الدين بن عنين (١) والملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق مؤانسة ومصاحبة، وكان يجري بينهما أمور تدل على حسن إدراك الملك المعظم منها أن ابن عنين حصل له توعك فكتب إليه:انظر إلي بعين مولى لم يزل ... يولي الندى وتلاف قبل تلافي (٢)... أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه ... فاغنم ثنائي والثواب الوافي (٣)فجاء إليه بنفسه ومعه ثلاثمائة دينار، فقال: هذه الصلة وأنا العائد، وهذه لو وقعت من أكابر النحاة لاستعظمت منه، فضلا عن ملك. قوله هذه الصلة أنا العائد، لأن الذي اسم موصول يحتاج إلى صلة وعائد فالصلة ما وصله به من المال، والعائد يحتمل معنيين: أحدهما: وأنا العائد لك بالصلة مرة بعد أخرى فطب نفسا، والآخر من عاد يعود عيادة وهي عيادة المريض.وكان الملك المعظم فاضلا حازما شجاعا حنفي المذهب وكانت له رغبة في فن الأدب حتى إنه شرط لكل من حفظ مفصل الزمخشري مائة دينار وخلعة. فحفظه خلق كثير لهذا السبب. توفي سنة أربع وعشرين وستمائة وتوفي الإمام فخر الدين الرازي المتقدم ذكره يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة بهراة رحمهما الله تعالى.فائدة:**قال بعض الحكماء**: كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه، وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق إثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر، فإن أشكال الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان منه في طيران إلا لمناسبة بينهما، فرأى يوما حمامة مع غراب، فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد فلما مشيا إذا هما أعرجان، فقال: من ههنا اتفقا. وكل إنسان يأنس إلى شكله، كما أن كل طير يأنس إلى جنسه، فإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان وليس بينهما مناسبة ما، فلا بد أن يتفرقا كما قال بعض الشعراء:وقائل كيف تفرقتما ... فقلت قولا فيه إنصاف ... لم يك من شكلي ففارقته ... والناس أشكال وألافوسيأتي عنه في الصعوة شيء من هذا. روى أحمد في الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه: إن استطعتم أن تكونوا بلها في الله تعالى مثل الحمام فافعلوا قال: وكان يقال إنه ليس شيء أبله من الحمام وذلك أنك تأخذ فراخه من تحته فتذبحها، ثم يعود إلى مكانه ذلك فيفرخ فيه.الحكم:يحل أكله بالإجماع بجميع أنواعه لأنه من الطيبات، ولأن الشارع أوجب فيه على المحرم، إذا قتله، شاة. وفي مستند ذلك وجهان: أحدهما أن ذلك لما بينهما من الشبه، فإن كلا______________(١) ابن عنين: أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عنين،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى @ ط العلمية=حواشي الدَّمِيري ١٤٨/١

شاعر مجيد هجاء، نفاه السلطان صلاح الدين من دمشق. مات سنة ٦٣٠هـ بدمشق.(٢) البيتان في وفيات الأعيان: ٣/ ٤٩٦.(٣) في الوفيات: «ما تحتاجه ... ثوابي والثناء الواقي».." (١)

"على أعدائه وأغناه ورزقه من حيث لا يحتسب، ويسر عليه معيشته، وقضى عنه دينه ولو كان عليه مثل الجبال دينا، أداه الله تعالى عنه بمنه وكرمه.وروى ابن عدي عن عبد الرحمن القرشي، قال: حدثنا محمد بن زياد بن معروف حدثنا جعفر بن حسن عن أبيه قال: حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سألت الله تعالى الإسم الأعظم فجاءني جبريل عليه السلام به مخزونا مختوما، وهو: اللهم إني أسألك باسمك الأعظم المكنون الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحي القيوم» (١). فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: بأبي أنت وأمي يا نبي الله علمنيه. فقال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء.فائدة أخرى: روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه قال: بينما عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام، سائران إذ رأيا شاة وحشية ماخضا، فقال عيسى ليحيى: قل تلك الكلمات: حنة ولدت يحيى، ومريم ولدت عيسى، الأرض تدعوك يا ولد، أخرج يا ولد. قال حماد بن زيد: فما يكون في الحي امرأة ماخض، فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع بإذن الله تعالى. ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكانا ابني خالة، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليه السلام.وعن يونس بن عبيد أنه قال: ما قال العبد: اللهم أنت عدتي في كربتي، وأنت صاحبي في غربتي، وأنت حفيظي عند شدتي، وأنت ولي نعمتي، عند النفساء أو البهيمة الماخض، إلا يسر الله عليها وضع الولد.**قال بعض الحكماء**: من خصائص الزبد البحري، أنه إذا علق على ذات طلق، سهل الله عليها الولادة. وكذلك قشر البيض إذا سحق ناعما، وشرب بماء فإنه يسهل الولادة، وقد جرب مرارا عديدة فصح. وقد ورد في الحديث «مثل المؤمن كالشاة المأبورة»، أي التي أكلت الإبرة في علفها فنشبت في جوفها، فهي لا تأكل شيئا وإن أكلت لم ينجع فيها. وفيه أيضا «مثل المنافق كالشاة الرابضة بين غنمين» أراد أنها مذبذبة بين قطيعين من الغنم، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.والرابضة أيضا ملائكة أهبطوا مع آدم عليه الصلاة والسلام يهدون الضال ولعله من الإقامة وقال الجوهري: الرابضة حملة الحجة لا تخلو منهم الأرض.الحكم: يحل أكلها بالإجماع، وإن أوصى بشاة تناول صغيرة الجثة وكبيرتها، سليمة ومعيبة، ضأنا ومعزا، لصدق الاسم على الجميع.فرع: ومن أحكامها في الأضحية، أن الأضحية سنة غير واجبة ولا تصح إلا من النعم، ولا يجزىء من الضأن إلا الجذعة وهي ما لها سنة تامة وشرعت في الثانية على الأصح عند أصحابنا كما تقدم، في باب الجيم، في الجذعة. ومن المعز إلا الثنية، وهي التي شرعت في السنة الثالثة. ويشترط أن تكون سليمة من كل عيب يضر باللحم، فلا تجزىء العجفاء، ولا العوراء،____________(١) الكامل لابن عدي: ٢/ ٥٩١.." (٢)

"مقتولا في بلدة، مات ملكها، أو يقتل رجل مذكور. ومن قتل فيلا قهر رجلا أعجميا، ومن ألقاه الفيل تحته ولم يفارقه، فإنه يموت، وإذا رؤي الفيل في غير بلاد النوبة، فإنه يدل على فتنة، وذلك لقبح لونه وسماجته. وإن رؤي في البلاد

---

(١) حياة الحيوان الكبرى @ ط العلمية=حواشي الدَّمِيري ٣٦٩/١

(٢) حياة الحيوان الكبرى @ ط العلمية=حواشي الدَّمِيري ٦٣/٢

التي يوجد فيها فهو رجل من أشراف الناس. والمرأة إذا رأت الفيل فلا يحمد لها ذلك، على أي صفة رآته. وتعبر الفيلة بالسنين كالبقر، وخروج الفيل من بلد فيه طاعون دليل خير لهم وزوال الطاعون عنهم، وإذا ركب الفيل في بلد فيه بحيرة فهو ركوب سفينة، والله تعالى أعلم.فصل في فضل العقل وزينه، وقبح الجهل وشينه:**قال بعض الحكماء**: العقل ما عقل به عن السيئات، وحض القلب على الحسنات، والعقل معقل عن الدنيات، ونجاة من المهلكات، والنظر في العواقب قبل حلول المصائب، والوقوف عند مقادير الأشياء، قولا وفعلا، لقوله (١) صلى الله عليه وسلم: «أعقلها وتوكل». وقد أجمع الحكماء والعلماء والفقهاء، أن جميع الأمور كلها، قليلها وجليلها، محتاجة إلى العقل، والعقل محتاج إلى التجربة، وقالوا: العقل سلطان وله جنود، فرأس جنوده التجربة، ثم التمييز ثم الفكر ثم الفهم ثم الحفظ ثم سرور الروح، لأن به ثبات الجسم والروح سراج نوره العقل.وفي الحديث: «ما قسم الله لعباده خيرا من العقل» وروي أن جبريل عليه الصلاة والسلام، أتى آدم عليه السلام فقال: إني أتيتك بثلاث: فاختر واحدة منها، فقال: وما هي؟فقال: الحياء والعقل والدين. فقال آدم عليه السلام: قد اخترت العقل. فخرج جبريل عليه الصلاة والسلام إلى الحياء والدين، فقال: ارجعا فقد اختار العقل عليكما. فقالا: إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان. وقال بعضهم: من استرشد إلى طريق الحزم بغير دليل العقل فقد أخطأ منهاج الصواب. والعقل مصباح يكشف به عن الجهالة، ويبصر به الفضل من الضلالة، ولو صور العقل لأظلمت معه الشمس، ولو صور الجهل لأضاء معه الليل، وما شيء أحسن من عقل زانه أدب، ومن علم زانه ورع، ومن حلم زانه رفق، ومن رفق زانه تقوى.وروي أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أتيتك بمكارم الأخلاق كلها في الدنيا والآخرة. فقال: «وما هي»؟ فقال (٢): ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾، وهو يا محمد عفوك عمن ظلمك، واعطاء من حرمك، وصلة من قطعك، وإحسانك إلى من أساء إليك، واستغفارك لمن اغتابك، ونصحك لمن غشك، وحلمك عمن أغضبك. فهذه الخصال قد تضمنت مكارم الأخلاق، في الدنيا والآخرة. وأنشد بعضهم في معنى ذلك فقال:خذ العفو وأمر بعرف كما ... أمرت وأعرض عن الجاهلينولن في الكلام لكل الأنام ... فمستحسن من ذوي الجاه لين (٣)______________(١) رواه الترمذي: قيامة ٦٠. وجمهرة الأمثال: ٢/ ٤٢.(٢) سورة الأعراف: آية ١٩٩.(٣) الأنام: الناس.." (١)

"الزرقاء فقالت: إني أرى الشجر قد أقبلت إليكم! فقال لها قومها: قد خرفت، وذهب عقلك، ورق بصرك، كيف تأتي الشجر؟ قالت: هو ما أقول لكم. فكذبوها فصبحتهم الخيل، وأغاروا عليهم، وقتلوا الزرقاء، وقوروا عينيها، فوجدوا عروق عينيها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما تكتحل به.وأما البسوس فيقال: «أشأم من البسوس» (١)، وهي خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان، ولها كانت الناقة التي قتل من أجلها كليب بن وائل، وبها ثارت حرب بكر وتغلب التي يقال لها حرب البسوس.وأما دغة فيقال: «أحمق من دغة» (٢) وهي امرأة من بني عجل تزوجت من بني العنبر.وأما ظلمة فيقال: «أزنى من ظلمة» وهي امرأة من هذيل زنت أربعين سنة، وقادت أربعين عاما، فلما عجزت عن الزنا والقيادة، اتخذت تيسا وعنزا، فكانت تنزي التيس على العنزة، فقيل لها: لم تفعلين ذلك؟ قالت: لأسمع أنفاس الجماع بينهما.وأما أم قرفة، فيقال:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى @ ط العلمية=حواشي الدَّمِيري ٢/ ٣٢٠

«أمنع من أم قرفة» (٣)، وهي امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكانت تعلق في بيتها خمسين سيفا، كل سيف منها لذي محرم لها.وقد سئل ابن سيرين عن النساء فقال: مفاتيح أبواب الفتن ومخازن الحزن، إن أحسنت المرأة إليك منت عليك، تفشي سرك وتهمل أمرك، وتميل إلى غيرك. وقيل: النساء ريحان بالليل شوك بالنهار. وقيل لبعض الحكماء: مات عدوك! فقال: وودت أنكم قلتم تزوج. وقيل: العجز في ثلاث خصال: قلة اكتراثه في مصلحته، وقلة مخالفته لشهوته، وقبوله من امرأته فيما لا يعلمه.**وقال بعض الحكماء**: لا تأمنن قارئا على صحيفة، ولا شابا على امرأة. وقال غيره: لا مصيبة أعظم من الجهل، ولا شر أشر من النساء انتهى.الحكم: يحل أكل اليمام وبيضه بالاتفاق، وقد تقدم في باب الحاء المهملة في الحمام.الأمثال: قالوا: «كن مع الناس يمامة» يعني ارفق بهم ولا تنفرهم. وخواصه وتعبيره كالحمام.اليهودي:حوت في البحر، وقد تقدم الكلام عليه في باب الشين المعجمة.اليوصي:بفتح الياء والواو وكسر الصاد المهملة المشددة، طائر بالعراق أطول جناحا من الباشق، وأخبث صيدا وهو الحر.وحكمه: الحرمة كما تقدم، في باب الحاء المهملة.____________(١) جمهرة الأمثال: ١/ ٤٥٤.(٢) جمهرة الأمثال: ١/ ٣١٣.(٣) مجمع الأمثال: ٢/ ٣٢٣. وأم قرفة هي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، قتلت سنة ٦هـ، لها خبر في تاريخ الطبري ٢/ ٦٤٣.." (١)

"واستفاض من مخاطبات الجمادات له صلى الله عليه وسلم وسلامها عليه وحنينها اليه ومخاطبة الأنعام والوحوش والطير والصغار قي المهود وغير ذلك

قال صلى الله عليه وسلم

أن البهائم ابهمت إلا عن ثلاث فذكر معرفة بارئها

وهذه الاشياء مما لا يصح فيها الاستدلال والنظر ولا عقول ولا اختيار ولا كسب وقد عقل معرفتها لبارئها عز وجل وثبت بالكتاب والسنة وهذا ظاهر جلى ينفي وجود هذه المعرفة بالوسائط لانها حق له عز وجل ينفي عن نفسه ما شمل سائر البرية من المعلوم والمجهول لانه سبحانه خلق الاشياء مجهولة ثم جلاها بالاسماء فعرفت من بعد جهلها وذلك دليل الحدث فعز عن أن يكون كالحوادث التي عرفت بغيرها

وقال بعض الحكماء كلمات لا سبيل الى نقضها وهو أن كل معروف بغير نفسه مجهول وكل تام بغيره معلول ولقد احسن فيما قال واصاب إذ معرفته بغيره شهادة قاطعة على وجود علة المجهول فيه الذي ارتفعت عنه بغيره الذي لولاه لم يعرف فصارت معرفته بغيره صارخة بفقره إلى من ارتفعت عنه به علة المجهول والغير علة والعلة لا تصحب إلا معلولا

." (٢)

"إذا علمت ذلك فلنشرع في مقصود الكتاب في ذكر رسالة جامعة لجميع موازين القاصرين فأمنحه لهم عند الخلق كما عند الله تعالى بحسب ما يفتح الله على به حال الكتابة وأرجو من الله الكريم أن كل من نظر فيها بالأدب من مشايخ

---

(١) حياة الحيوان الكبرى @ ط العلمية=حواشي الدَّميري ٢/٥٦٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل @ ط العلمية ابن تيمية ٥٠٦/٨

هذا الزمان علم يقينا أنه لم يشم رائحة الولاية فضلا عن حصولها فيستريح من عليه السلام------------------------------------عليه السلام= وسأل رجل الإمام على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه عن معنى الإيمان؟فأجاب: الإيمان على أربع دعائم: الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد.ويقول سهل رضى الله تعالى عنه: كمال الإيمان بالعلم، وكمال العلم بالخوف.ومن أقوال السيدة نفيسة*: الدنيا كلها مرة. فإن كان بها حلاوة فهى حلاوة الإيمان.(محمد شاهين حمزة: السيدة نفيسة. القاهرة: شركة الشمرلى الفنية المتحدة، سنة ١٣٩٢ هـ١٩٧٢ / م، ص: ١٧٤).لقد سأل الصحابى عمرو بن عتبة رضى الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلا: أى الإيمان أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الهجرة. فقال الصحابي: وما الهجرة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن تهجر السوء.**وقال بعض الحكماء**: شعائر الإيمان أربعة: التقوى، والحياء، والشكر، والصبر.(ابن حجر العسقلانى: الاستعداد ليوم الميعاد، ص ٤٥). =." (١)

"وإن تكلموا تكلم، وإن سكتوا فاسكت، وهذا من أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم.عليه السلام------------------------------------عليه السلام= (أبو الحسن البصرى: أدب الدنيا والدين، ص: ٣١٣).وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «المزاح استدراج من الشيطان واختداع من الهوى».وقال: عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه: «اتقوا المزاح فإنه حمقى تورث الضغينة».**وقال بعض الحكماء**: إنما المزاح سباب إلا أن صاحبه يضحك.وقيل: سمى المزاح مزاحا لأنه يزيح عن الحق.وقال إبراهيم النخعى: المزاح من سخف أو بطر.**وقال بعض الحكماء**: من كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر خلاقه طابت غيبته.وقال بعض البلغاء: من قل عقله كثر هزله.واعلم أنه قلما يعرى من المزاح من كان سهلا. فالعاقل يتوخى بمزاحه إحدى حالتين لا ثالث لهما:إحداهما: إيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين. وهذا يكون بما أنس من جميل القول وبسط من مستحسن الفعل.والحالة الثانية: أن ينفى بالمزاح ما طرأ عليه من سأم وأحدث به من هم. فقد قيل: لابد للمصدود أن ينفث.وكان صلى الله عليه وآله وسلم يمزح على هذا الوجه. روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إنى لأمزح ولا أقول إلا حقا». =." (٢)

"عليه السلام------------------------------------عليه السلام= فمن مزاحه صلى الله عليه وآله وسلم ما روى أن عجوزا من الأنصار أتته فقالت يا رسول الله ادع لى بالمغفرة. فقال: أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز فصرخت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «أما قرأت من القرآن قول الله عز وجل: «إنا أنشأناهن إنشاء ٣٥ فجعلناهن أبكارا ٣٦ عربا أترابا «سورة الواقعة: الآيات: ٣٥ – ٣٧».وأتته أخرى في حاجة لزوجها فقال لها: ومن زوجك؟ فقالت: فلان.فقال لها: الذى في عينيه بياض. فقالت: لا. فقال: بلى. فانصرفت عجلى إلى زوجها وجعلت تتأمل عينيه. فقال لها: ما شأنك؟ فقالت:أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن في عينك بياضا. فقال:أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها.وقد **قال بعض الحكماء**: إذا مازحت عدوك ظهرت عيوبك.وقد قيل: إذا أردت أن توفق

---

(١) ردع الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى@ ط العلمية الشَّعْراني، عبد الوهاب ص/٢٠٣

(٢) ردع الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى@ ط العلمية الشَّعْراني، عبد الوهاب ص/٢٧٤

للهيبة فاترك المزاح والضحك فإنهما يسقطان الهيبة.وكان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه معنيا بأهل الحديث، ناصحا لهم، موجها لسلوكهم. لقد رأى مرة قوما من أصحاب الحديث، يمزحون ويضحكون بصورة تتنافى مع وضع الأئمة. فناداهم: مهلا يا ورثة الأنبياء، مهلا. ثلاثا. إنكم أئمة يقتدى بكم.(عبد الحليم محمود: الفضيل بن عياض، ص: ٥٤).لذلك يقال: الأخلاق الرديئة التى تعد نقائص ومعايب التبذل، وهو إطراح الحشمة، وترك التحفظ عن الهزل واللهو، ومخالطة السفهاء، وحضور مجالس السخف والهزل والفواحش، والتفوه بالخنا، وذكر الأعراض والمزح، والجلوس في الأسواق، وعلى قوارع الطرق، =". (١)

"كما قال جل ذكره ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ (الإسراء : ٤٤) وقال : ﴿والطير صافاتا كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ (النور : ٢١) فيجب على المرء الإيمان به ويحيل علمه إلى الله تعالى روي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فإني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء إلي إلي يا رسول الله. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية من فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ونزل رسول الله عليه السلام فاعتنقها فسكنت. قال في "المثنوي" : جزء : ١ رقم الصفحة : ١٦٣آنكه اورا نبود ازاسرار دادكى كند تصديق او ناله جمادوبينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه أي : استخلصها فالتفت إليه الذئب فقال : من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري فقال الناس : سبحان الله ذئب تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا أومن به" وأبو بكر وعمر وعلى هذا إنطاق الله جلود الكفار يوم القيامة. وتسبيح الحصى في كفه عليه السلام. وكلام الشاة المسمومة. ومجيء الشجرتين إليه صلى الله عليه وسلم حتى يستتر بهما في قضاء حاجته ثم رجوعهما إلى مكانهما وأمثال ذلك كثيرة. ذكر الشيخ قطب وقته الهدائي الإسكداري في "واقعاته" أنه كان يسمع في أثناء سلوكه من الماء الجاري ذكر يا دائم يا دائم ، وفي "المثنوي" : نطق آب ونطق خاك ونطق كلهست محسوس حواس أهل دلفلسفي كومنكر حنانه استاز حواس أوليا بيكانه استهر كرا دردل شك ويانيستدرجهان أو فلسفي نمانيست**قال بعض الحكماء معنى** قوله : ﴿ثم قست قلوبكم﴾ يبست وييس القلب أن ييبس عن ماءين أحدهما ماء خشية الله تعالى والثاني ماء شفقة الخلق وكل قلب لا يكون فيه خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة أو أشد قسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي" وقال أيضا : "أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا".جزء : ١ رقم الصفحة : ١٦٣والإشارة في تحقيق الآية أن اليهود وإن شاهدوا عظيم الآيات فحين لم تساعدهم العناية لم يزدهم كثرة الآيات إلا قسوة على قسوة فإن الله أراهم الآيات الظاهرة فرأوها بنظر الحسن ولم يرهم البرهان الذي يراه القلب فيحجزهم عن التكذيب والإنكار يدل عليه قوله تعالى : ﴿وهم بها لولا أن رءا برهان ربه﴾ (يوسف : ٢٤) وهكذا حال بعض الممكورين حين يشرعون في الرياضات يلوح لهم من صفاء الروحانية ظهور بعض الآيات وخرق العادات

---

(١) ردع الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى@ ط العلمية الشَّعْراني، عبد الوهاب ص/٢٧٥

فإذا لم يكن مقارنا برؤية البرهان ليكون مؤيدا بالتأييدات الإلهية لم يزدهم إلا العجب والغرور وأكثر ما يقع هذا للرهابين والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لا يعلمون وإنما تشبه قلوبهم بالحجارة لعدم اللين إلى الذكر الحقيقي وما يتداركه الحق بذكره كقوله : ﴿فاذكروني أذكركم﴾ (البقرة : ١٥٢) ومراتب القلوب في القسوة متفاوتة فبعضها بمرتبة الحجارة التي يتفجر منها الأنهار١٦٥." (١)

"وهم أهل الكتاب والمشركون فبين أن الذين كفروا باق على عمومه وأن المراد كلا نوعيه جميعا والمعنى أن الكفار جميعا لم يحبوا ﴿أن ينزل عليكم﴾ أي : على نبيكم لأن المنزل عليه منزل على أمته ﴿من خير﴾ هو قائم مقام فاعله ومن مزيدة لاستغراق الخير والخير الوحي والقرآن والنصرة ﴿من ربكم﴾ من لابتداء الغاية والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم ويكرهون أن ينزل عليكم شيء من الوحي أما اليهود فبناء على أنهم أهل الكتاب وأبناء الأنبياء الناشئون في مهابط الوحي وأنتم أميون وأما المشركون فإدلالا بما كان لهم من الجاه والماء زعما منهم أن رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالأسباب الظاهرة ولذا قالوا : ﴿لولا نزل هاذا القرءان على رجل من القريتين عظيم﴾ (الزخرف : ٣١) وهم كانوا يتمنون أن تكون النبوة في أحد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفي بالطائف والوليد بن المغيرة بمكة ثم أجاب عن قول من يقول : لم لم ينزل عليهم بقوله : ﴿والله يختص برحمته من يشآء﴾ يقال خصه بالشيء واختصه به إذا أفرده به دون غيره ومفعول من يشاء محذوف. والرحمة النبوة والوحي والحكمة والنصرة والمعنى يفرد برحمته من يشاء إفراده بها ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب إرادته عز وجل لا تتعداه إلى غيره لا يجب عليه شيء وليس لأحد عليه حق وما وقع في عبارة مشايخنا في حق بعض الأشياء أنه واجب في الحكمة يعنون به أنه ثابت متحقق لا محالة في الوجود لا يتصور أن لا يكون لا أنه يجب ذلك بإيجاب موجب ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ أي : على من يختاره بالنبوة والوحي لابتدائه بالإحسان بلا علة وهو حجة لنا على المعتزلة فإن المفضل عند الخلق هو الذي يعطي ويبذل ما ليس عليه لأن الذي يعطي ما عليه يكون قاضيا لا مفضلا ولو كان يجب عليه فعل الأصلح لكان المناسب أن يكون ذو العدل بدل قوله ذو الفضل ثم فيه إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته فمن تعرض لرد ما من الله به على عباده المؤمنين فقد جهل بحقيقة الأمر. وعباد الله المخلصون قسمان : قوم أقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد وأهل الأعمال والأوراد وقوم اختصهم بمحبته وهم أهل المحبة والوداد وكل من خدمته وتحت طاعته إذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه إليه والعبودية صفة العبد لا تفارقه ما دام حيا ومن حقائق العبودية إخراج الحسد من القلب.جزء : ١ رقم الصفحة : ١٩٧**قال بعض الحكماء** : بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه : أولها : أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.والثاني : أنه يتسخط قسمته تعالى ويقول لربه : لو قسمت هكذا.والثالث : أن فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضله.والرابع : أنه خذل ولي الله لأنه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه.والخامس : أنه أعان عدوه يعني إبليس.واعلم أن حسدك لا ينفذ على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي حجرا إلى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ١٣١/١

فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه أشد من الأولى فيرجع على عينه اليسرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثا فيعود ويرميه فيرجع الحجر على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع كرة بعد أخرى وأعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين وقال١٩٩." (١)

"ما موصولة عامة لجميع ما يكتسب بالجوارح الظاهرة والقوى الباطنة ويدخل فيه كتمان شهادة الله دخولا أوليا أي : هو محيط بجميع ما تأتون وما تدرون فيعاقبكم بذلك أشد عقاب ﴿تلك أمة﴾ أي : الأنبياء جماعة ﴿قد خلت﴾ أي : مضت بالموت ﴿لها ما كسبت﴾ من الأعمال ﴿ولكم ما كسبتم﴾ منها ﴿ولا تسالون عما كانوا يعملون﴾ أي : لا يسأل أحد عن عمل غيره بل يسأل عن عمله ويجزى به وهذا تكرير للآية السابقة بعينها للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم قال الله تعالى ﴿فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب﴾ (المؤمنون : ١٠١) . قيل . لما انصرف هارون الرشيد من الحج أقام بالكوفة أياما فلما خرج وقف بهلول المجنون على طريقه٢٤٥وناداه بأعلى صوته يا هارون ثلاثا فقال هارون : من الذي يناديني تعجبا؟ فقيل له : بهلول المجنون فوقف هارون وأمر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له : ألم تعرفني؟ قال : بلى أعرفك فقال : من أنا؟ قال : أنت الذي لو ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون وقال : كيف ترى حالي؟ قال : اعرضه على كتاب الله وهي الجزء الثاني إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وقال : أين أعمالنا؟ قال : إنما يتقبل الله من المتقين قال : وأين قرابتنا من رسول الله تعالى عليه وسلم؟ قال : فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم قال : وأين شفاعة رسول الله لنا؟ قال : يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا فلا بد من الأعمال الصالحة والإخلاص فيها فإن الله يتقبلها لا غيرها. قال الجنيد : الإخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله. قال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك عنهما. وفي "التتارخانية" لو افتتح للصلاة خالصاتعالى ثم دخل في قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء على أنه لو خلا عن الناس لا يصلي ولو كان مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب أصل الصلاة دون الإحسان. **قال بعض الحكماء** : مثل من يعمل الطاعة للرياء والسمعة كمثل رجل يخرج إلى السوق وقد ملأ كيسه حصى فيقول الناس : ما أملأ كيس فلان ولا منفعة له سوى مقالة الناس وفي الحديث "أخلصوا أعمالكمتعالى فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له ولا تقولوا هذاوللرحم وليستعالى منه شيء" ومن أحاديث المشارق "لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله" قال النووي المراد الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم أو لموسى أو غيرهما. ذكر الشيخ إبراهيم المراودي : إن ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل به لغير الله. وقال الرافعي : هذا غير محرم لأنهم إنما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم انتهى كلامه وعليه تحمل أفعال المسلمين صيانة لهم عن الكفر وضياع

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ١٥٨/١

الأعمال فإن الموحد مطمح نظره رضى مولاه والتعبد إليه بما تيسر له من القربات اللهم اعصمنا من الزلات.جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٤." (١)

"خانه أو برون ز در وازه**قال بعض الحكماء** : مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس : ما املأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو أراد أن يشتري به شيئا لا يعطى له شيء كذلك الذي عمل للرياء والسمعة. قال حامد اللفاف : إذا أراد الله هلاك امرىء عاقبه بثلاثة أشياء : أولها يرزقه العلم ويمنعه عن عمل العلماء ، والثاني يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه عن معرفة حقوقهم ، والثالث يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الإخلاص وإنما يكون ذلك المذكور لخبث نيته وسوء سريرته لأن النية لو كانت صحيحة لرزقه الله منفعة العلم ومعرفة حقوقهم وإخلاص العمل : عبادت بإخلاص نيت نكوستوكرنه هـ آيد زبى مغز وسته زنار مغ درميانت هـ دلقكه دروشى ازبهر ندار خلقفعلى الفتى أن يتخلص من الرياء في إنفاقه وفي كل أعماله ويكون سخيا لا شحيحا فإن شكر المال إنفاقه في سبيل الله ، قال الشيخ العطار قدس سره : توانكر كه ندارد اس درويشزدست غير تش برجان رسدنيشويناسبه ما قال الحافظ : كنج قارون كه فروميرود از فكر هنوزخوانده باشى كه هم از غيرت درويشانستوإذا كان بخيلا ومع هذا أمر الناس بالبخل يكون ذلك وزرا على وزر. قال صاحب "الكشاف" ولقد رأينا ممن بلى ببلاء البخل من إذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد شخص بصره وحل حبوته واضطرب وزاغت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزائنه ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده انتهى وهذا مشاهد في كل زمان لا يعطون ويمنعون من يعطي إن قدروا. والحاصل أنهم يجتهدون في منع من قصد خيرا كبناء القناطر ولجسور وحفر الآبار وسائر الخيرات٢٠٨وذلك لكمال دناءتهم وقصور نظرهم وعدم شكرهم واللئيم لا يفعل إلا ما يناسب طبعه : و منعم كند سفله را روزكارنهد بردل تنك درويش بارو بام بلندش بود خود رستكندبول وخاشاك بربام ستقال بشير بن الحارث النظر إلى البخيل يقسي القلب فلا بد من مجانبة مجالسته وصحبته : ونكه باشد مجاورت لازمهمجوار كريم بايد بودكركنى باكسى مشاورهآن مشاور حكيم بايد بودففي السخاء بركات في الدين والدنيا والآخرة. قيل : إن مجوسيا تصدق بمائة دينار فرأى الشبلى ذلك فقال : ما تنفعك هذه الصدقة؟ فبكى المجوسي ونظر إلى السماء فإذا رقعة وقعت عليه مكتوب فيها بخط أخضر : جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٠٧مكافأة السماحة دار خلدوأمن من مخافة يوم بوسوما نار بمحرقة جواداولو كان الجواد من المجوسيعني : أن الله تعالى يوفق السخي للإيمان إن كان كافرا ولزيادة الطاعة والإخلاص فيها إن كان مؤمنا فيترقى إلى الدرجات العلى ويليق بمشاهدة ربه الأعلى.جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٠٧﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة الحمراء التي لا تكاد ترى من صغرها أو الصغير جدا من أجزاء التراب أو ما يظهر من أجزاء الهباء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس وهو الأنسب بمقام المبالغة وهذا نفي للظلم لأنه إذا نفى القليل نفى الكثير لأن القليل داخل في الكثير ﴿وإن تك حسنة﴾ أي وإن يك مثقال الذرة حسنة أنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال إلى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال ﴿يضاعفها﴾ أي يضاعف

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ١٩٧/١

ثوابها لأن تضاعف نفس الحسنة بأن يجعل الصلاة الواحدة صلاتين مما لا يعقل ﴿ويؤت من لدنه﴾ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضيل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل ﴿أجرا عظيما﴾ عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لكونه تابعا للأجر مزيدا عليه. قال في "التيسير" : وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره؟ مع أنه سمى الدنيا وما فيها قليلا وسمي هذا الفضل عظيما. . روي . أنه يؤتى يوم القيامة بالعبد وينادي مناد على رؤوس الأولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه ثم يقال له : اعط هؤلاء حقوقهم فيقول : يا رب من أين وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول الله لملائكته : انظروا في أعماله الصالحة فأعطوهم منها فإن بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضله ورحمته والظاهر أن ذلك التضعيف يكون من جنس اللذات الموعود بها في الجنة وأما هذا الأجر العظيم الذي يؤتيه من لدنه فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية وعند الاستغراق في المحبة والمعرفة وإنما خص هذا النوع بقوله من لدنه لأن هذا النوع من الغبطة والسعادة والكمال لا ينال بالأعمال الجسدية بل إنما ينال مما يودع الله في جوهر النفس المقدسة من الإشراق والصفاء والنور وبالجملة فذلك التضعيف إشارة إلى السعادات٢٠٩." (١)

"در معنى بيشوا ومقدم محمد استكره هدايي رسالت مكرم استمحبوب حق محمد وخاتم محمد استقال بعض الحكماء : إن الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء وأذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الإخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة فلما أكمله بهذه الصفة أرسله إلى هذه الأمة فقال : هذا هديتي إليكم فاعرفوا قدر هديتي وعظموه كذا في "زهرة الرياض". وقيل في وجه عدم ارتحال جسده الشريف النظيف من الدنيا مع أن عيسى عليه السلام قد عرج إلى السماء بجسده أنه إنما بقي جسمه الطاهر هنا لإصلاح عالم الأجساد وانتظامه فإنه مظهر الذات وطلسم الكائنات فجميع الانتظام بوجوده الشريف كذا في "الواقعات المحمودية" نقلا عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده افنده قدس الله سره آمين آمين يا رب العالمين ﴿فقاتل فى سبيل الله﴾ الفاء جزائية والجملة جواب لشرط مقدر أي إن تثبط المنافقون وقصر الآخرون وتركوك وحدك ، فقاتل أنت يا محمد وحدك في الطريق الموصل إلى رضى الله وهو الجهاد ولا تبال مما فعلوا ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ مفعول٢٤٧ثان للفعل المخاطب المجهول أي إلا فعل نفسك لا يضرك لمخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك لا الجنود. والتكلف اسم لما يفعل بمشقة أو بتصنع فالمحمود منه ما فعل بمشقة حتى ألف ففعل بمحبة كالعبادات والمذموم منه ما يتعاطى تصنعا ورياء ﴿وحرض المؤمنين﴾ على القتال أي : رغبتهم فيه بذكر الثواب والعقاب أو بوعد النصرة والغنيمة وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم. . روي . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة وهي سوق من المدينة على ثمانية أميال ويقال لها حمراء الأسد أيضا فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فأنزل الله هذه الآية فخرج صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا فكفاهم الله القتال كما قال : ﴿عسى الله أن يكف﴾ أي : يمنع ﴿بأس الذين كفروا﴾ البأس في الأصل المكروه ثم وقع موضع الحرب والقتال قال تعالى : ﴿ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٢/١٦٥

(الأحزاب : ١٨) وعسى من الله واجب لأنه في اللغة الإطماع والكريم إذا أطمع أنجز وقد فعل حيث ألقى في قلوب الكفرة الرعب حتى رجعوا من مر الظهران.جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٤٦ . ويروى . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا وقام بها ثماني ليال وكان معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران ﴿والله أشد بأسا﴾ أي من قريش ﴿وأشد تنكيلا﴾ أي تعذيبا وعقوبة ينكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي إليها ويجوز أن يكونا جميعا في الدنيا وأن يكون أحدهما في الدنيا والآخر في العقبى. ثم له ثلاثة أوجه : أحدها أن معناه أن عذاب الله تعالى أشد من جميع ما ينالكم بقتالهم لأن مكروههم ينقطع ثم تصيرون إلى الجنة وما يصل إلى الكفار والمنافقين من عذاب الله يدوم ولا ينقطع.والثاني لما كان عذاب الله أشد فهو أولى أن يخاف ولا يجري في أمره بالقتال منكم خلاف وهذا وعيد.والثالث لما كان عذاب الله أشد فهو يدفعهم عنكم ويكفيكم أمرهم وهذا وعد وإنما جبن المتقاعدون لشدة بأس الكفار وصولتهم ولكن الله قاهر فوق عباده وقوة اليقين رأس مال الدين والموت تحفة المؤمن الكامل خصوصا إذا كان في طريق الجهاد والدنيا سريعة الزوال ولا تبقى على كل حال وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرا ما ينشد هذه الأبيات : لا شيء مما نرى تبقى بشاشتهيبقى الإله ويردى المال والولدلم تغن عن هرمز يوما خزائنهوالخلد قد حاولت عاد فما خلدواولا سليمان إذ تجري الرياح لهوالإنس والجن فيما بينها تردااين الملوك التي كانت لعزتهامن كل أوب إليها وافد يفدحوض هنالك مورود بلا كذبلا بد من ورده يوما كما وردوا"وفي التأويلات النجمية" ﴿فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك﴾ المعنى فجاهد في طلب الحق نفسك فإن في طلب الحق لا تكلف نفسا أخرى إلا نفسك وفيه معنى آخر لا تكلف نفس أخرى بالجهاد لأجل نفسك لأن حجابك من نفسك لا من نفس أخرى فدع نفسك وتعال فإنك صاحب يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم اختص بهذا المقام٢٤٨." (١)

"ومنها : أن من سنة الله أن يرى النبي عليه السلام حقائق الأشياء حقا وصدقا ، وهو يخبر بها ثم يراها أرباب الصورة في الظاهر بضدها ابتلاء واختبارا للمؤمن والمنافق ، فالمؤمن يثبت على إيمانه بتصديق النبي عليه السلام وتسليمه في أقواله وأعماله وأحواله من غير اعتراض ، فيزيده الله إيمانا مع إيمانه ، والمنافق تزل قدمه وتشوش حاله بالاعتراض ويزيد نفاقه على النفاق وعماه على العمى وإلى الله ترجع الأمور فحال المؤمن وأمره يرجع إلى رضاه وحال المنافق وأمره يرجع إلى سخطه والرضى والسخط من آثار لطفه وقهره يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وقس على هذا إلهامات الأولياء وأحوالهم مع معتقديهم ومنكريهم ، فإن الاختبار والابتلاء سنة قديمة وكم ترى من الصوفية من يزعم أنه يحب فلانا ويعتقده وطريقته حقا فإذا جاء سطوة القهر بإراءة ما هو غير ملائم لطبعه نكص على عقبيه واتخذه غرضا لطعنه وتشنيعه وأين هو من المحبة وهو مقام عال يجتمع عنده اللطف والقهر والجمال والجلال فلا يتشوش صاحبه من الأحوال العارضة المرئية في صورة التنزل والتدلي ، ولذا كثر أرباب الصورة وقل أصحاب المعنى ويكفي لكل مرشد كامل واحد ممن يلزم طريقته وينبع هداه.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٧يا اأيها الذين ءامنوا إذا لقيتم فئة﴾ أي : حاربتم جماعة كافرة لأن اللقاء مما غلب في الحرب والقتال وهم ما كانوا يحاربون إلا الكفار. ﴿فاثبتوا﴾ وقت لقائهم وقتالهم ولا تنهزموا وفي الحديث : "لا تتمنوا لقاء العدو فإذا

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ١٩٦/٢

لقيتموهم فاصبروا" وإنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والوثوق بالقوة ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو وتحقيرهم وهذا يخالف الاحتياط ، كما قالوا في آداب المناظرة إنه ينبغي أن لا يحسب المناظر الخصم حقيرا ، ٣٥١أي : صغيرا ذليلا لأن استحقار الخصم ربما يؤدي إلى صدور الكلام الضعيف من المناظر لعدم المبالاة فيكون سببا لغلبة الخصم الضعيف عليه فيكون الضعيف قويا والقوي ضعيفا والشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أعم.فعلى العاقل أن يسأل العفو والعافية فإنه لا يدري ما يفعل به.أول شكسته باش كه اوج سرير ملكيوسف س ازمجاورت قعر اه افت﴿واذكروا الله كثيرا﴾ أي في تضاعيف القتال ومواطن الشدة بالتكبير والتهليل وغيرهما ، وادعوه بنصر المؤمنين وخذلان الكافرين كالذين ﴿قالوا ربنآ أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ (البقرة : ٢٥٠) ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي : تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة ، وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يلتجىء إليه عند الشدائد ويقبل إليه بالكلية فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال ، وعلى أن ذكر الله تعالى له تأثير عظيم في دفع المضار وجلب المنافع.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٥١توبهر حالي كه باشى روز وشبيك نفس غافل مباش ازذكربدرخوشى ذكرتوشكر نعمتستدر بلاها التجا باحضر تست**قال بعض الحكماء** : إنجنة في الدنيا من دخلها يطيب عيشه وهي مجالس الذكر ، وفي الحديث : "إنسيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى غشوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم".قال في "أنوار المشارق" : وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله والعادة جرت في حلق الذكر بالعلانية إذ لم يعرف في كر الدهور حلقة ذكر اجتمع عليها قوم ذاكرون في أنفسهم فالذكر برفع الصوت أشد تأثيرا في قمع الخواطر الراسخة على قلب المبتدىء ، وأيضا يغتنم الناس بإظهار الدين بركة الذكر من السامعين في الدور والبيوت ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته خصوصا في مواضع الازدحام بين الغافلين من العوام لتنبيه الغافلين وتوفيق الفاسقين.." (١)

"قال في "التأويلات النجمية" : ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ لتربيتهم في الدين المتين بالرفق كما قال عليه السلام : "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه بالرفق" وبالرحمة يعفو عنهم سيئاتهم كما أمره الله تعالى بقوله : ﴿فاعف عنهم واصفح﴾ (المائدة : ١٣) وفي قوله : ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ في حق نبيه عليه السلام ، وفي قوله لنفسه تعالى : ﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ (الحج : ٦٥) دقيقة لطيفة شريفة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان مخلوقا كانت رأفته ورحمته مخلوقة فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف الخلقة وإن الله تعالى لما كان خالقا كانت رأفته ورحمته قديمة فكانت عامة للناس لقوة خالقيته كما قال : ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فمن تداركته الرأفة والرحمة الخالقية من الناس كان قابلا للرأفة والرحمة النبوية ، لأنها كانت من نتائج الرأفة والرحمة الخالقية كما قال : ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ (آل عمران : ١٥٩) انتهى كلام "التأويلات".جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٢١**قال بعض الحكماء** : إن الله تعالى خلق محمدا أي روحه وجعل له صورة

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٢٦٨/٣

روحانية كهيئته في الدنيا فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء وأذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الإخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة ألا ترى أنه تفل في بئر رومة في المدينة وكان ماؤها زعاقا٤٤٥فصار عذبا ولما أكمله بهذه الصفات أرسله إلى هذه الأمة. روي أنه لما مات أبو طالب ونالت قريش من النبي عليه السلام ما لم تكن نالته منه في حياته خرج إلى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش من قرابته وعترته خصوصا من عمه أبي لهب وزوجته أم جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب يقولون له أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا فجعل أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وكان خروجه في شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل : معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الإسلام رجاء أن يسلموا وأن يناصروه على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه وكان ثقيف أخواله عليه السلام فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى أشراف ثقيف وكانوا إخوة ثلاثة فجلس إليهم وكلمهم فيما جاءهم به فقال أحدهم هو يقطع ثياب الكعبة ولا يسرقها وقال آخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لأنت أعظم خطرا أي قدرا من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك فقام عليه السلام من عندهم مأيوسا وقال لهم اكتموا علي وكره أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه وقالوا له عليه السلام اخرج من بلدنا وسلطوا عليه سفهاءهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر عليه السلام بين الصفين دقوا رجليه بالحجارة حتى أدموهما وشجوا رأس زيد فلما خلص ورجلاه يسيلان دما عمد إلى بستان فاستظل في شجرة كرم ودعا بقوله : "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إن لم يكن لك غضب علي فلا أبالي" ثم انطلق عليه السلام وهو مهموم حتى أتى بقرن الثعالب وهو ميقات أهل نجد أو اليمن وبينه وبين مكة يوم وليلة فأرسل الله تعالى جبريل ومعه ملك الجبال فقال إن شئت أطبقت على ثقيف هذين الجبلين فقال عليه السلام : "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئا" وعند ذلك قال له عليه السلام ملك الجبالة أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم. وفي "المثنوي" : جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٢١بندكان حق رحيم وبر دبارخوى حق دارنددر اصلاح كارمهربان بى رشوتان يا رى كراندر مقام سخت ودر روز كراناي سليمان درميان زاغ وبازحلم حق شو باهمه مرغان بسازاي دوصد بلقيس حلمت رازبونكه اهد قومي إنهم لا يعلمونصد هزاران كيميا حق آفريدكيميائي همو صبر آدم نديد نسأل الله سبحانه أن يلحقنا بأهل الحلم والكرم ويزكينا من سوء الأخلاق والشيم.﴿فإن تولوا﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي إن أعرضوا عن الإيمان بك وقبول نصحك ولم يتبعوك ﴿فقل حسبى الله﴾ كافيني فإنه يكفيك معرتهم أي المساءة التي تلحقك من قبلهم ويعينك عليهم. وفيه إشارة إلى أن تبليغ الرسالة من النبي عليه السلام كان موجبا لقربه إلى الله وقبوله إياه فلما بلغ رسالته فقد حصل على القبول من الله وقربته إن قبلواه٤٥٥وإن أعرضوا ﴿لا إله إلا هو﴾ كالدليل على ما قبله.." (١)

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٤١١/٣

"قال ابن الكمال : الأهل خاصة الشيء وما ينسب إليه ، ومنه قوله تعالى : إن ابني من أهلي وإن وعدك ذلك والوعد عبارة عن الأخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها. الحق الثابت الذي لا يتطرق إليه الخلف ولا يشك في إنجازه والوفاء به ، والظاهر أن هذا النداء كان قبل غرق ابنه فإن الواو لا تدل على الترتيب ، والمقصود منه طلب نجاته لا طلب الحكمة في عدم نجاته حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد إما بتقريبه إلى الفلك بتلاطم الأمواج أو بتقريبها إليه ، ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور إمكان عصمة الله إياه برحمته والله على كل شيء قدير ، ويؤيده ما في بحر الكلام أن ذكر المسألة أي : في قوله تعالى : فلا تسألن كما يستأتى دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حتى يخاف عليه وأنت أحكم الحاكمين أي : أعلم الحكام وأعدلهم ، إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل ، ورب جاهل ظالم من متقلدي الحكومة في زمانك لقد لقب أقضى القضاة ، ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر قال جار الله : قضاة زماننا صاروا لصوصاعموما في القضايا لا خصوصاخشينا منهمو لو صافحونااللصوا من خواتمنا فصوصاوفي الحديث : القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به وأما الآخران فرجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار أي : لا يعرف الحق فيخلط الحلال بالحرام. قال الشيخ السعدي : جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٣٨مها زور مندى مكن بر كهانكه بر يك نمط مى نماند جهان١٣٨لب خشك مظلوم را كو بخندكه دندان ظالم بخواهند كندقال الله تعالى يا نوح إنه أي : ابنك ليس من أهلك الذين عمهم الوعد بالإنجاء لخروجه منهم بالاستثناء فإن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر.وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة إنه ابنه غير أنه خالفه في العمل.**قال بعض الحكماء** : الابن إذا لم يفعل ما فعل الأب انقطع عنه ، والأمة إذا لم يفعلوا ما فعل نبيهم أخاف أن ينقطعوا عنه ، فظهر أن لا فائدة في نسب من غير علم وعمل وفي فخر بمجرد الآباء. قال السعدي قدس سره : و كنعا نرا طبيعت بى هنر بوديمبر زاده كي قدرش نيفزودهنر بنماى اكر داري نه كوهركل از خارست وإبراهيم از آزروفي الحديث : يا بني هاشم لا يأتني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم والغرض تقبيح الافتخار لديه عليه السلام بالأنساب حين يأتي الناس بالأعمال : وما ينفع الأصل من هاشمإذا كانت النفس من باهلهوهي قبيلة معروفة بالدناءة لأنهم كانوا يأكلون نقي عظام الميتة إنه عمل غير صالح أصله إنه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة في مداومته على العمل الفاسد ، ولم يقل عمل فاسد مع أنهما متلازمان للإيذان بأن النجاة إنما كانت بسبب الصلاح.يقول الفقير : لاح لي حين المطالعة معنى آخر وهو أن العمل بمعنى الكسب والفعل ، ولا يبعد أن يكون المعنى إنه كسب غير صالح من غير احتياج إلى تقدير مضاف وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسبا في قوله : إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه وفي قوله : أنت ومالك لأبيك.قيل لحكيم وهو يواقع زوجته : ما تعمل؟ قال : إن تم فإنسانا فلا تسألن سمي نداؤه سؤالا لما فيه من السؤال والطلب ، أي : إذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني. ما ليس لك به علم أي : مطلبا لا تعلم يقينا أن حصوله صواب وموافق للحكمة إني أعظك (ندميدهم ترا) أن تكون أي : كراهة أن تكون من الجاهلين عبر عن ترك الأولى بالجهل ؛ لأن استثناء من سبق عليه القول قد دله على الحال وأغناه عن السؤال أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الأمر عليه ، فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه.جزء : ٤ رقم

الصفحة : ١٣٨﴿قال﴾ عند ذلك قبلت يا ربي هذا التكليف فلا أعود إليه إلا إني لا أقدر على الاحتراز منه إلا بإعانتك وهدايتك فلهذا بدأ أولا بقوله رب إني أعوذ بك أن أسألك أي : من أن أطلب منك من بعد ما ليس لي به علم أي : مطلوبا لا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة ، يعني : احفظني بعد اليوم من المعاودة إلى مثل السؤال ، وكان على قدم الاستغفار إلى أن توفي ، وهذه عادة الصالحين أنهم إذا وعظوا اتعظوا وإذا نبهوا للخطأ استغفروا وتعوذوا ، وحكى تعالى ما كان من الأنبياء عليهم السلام ليقتدى بهم في الاستغفار وأن لا يقطع الرجاء من رحمة الله تعالى ، وقد قبل الله تعالى توبة نوح عليه السلام كما يدل عليه قوله تعالى : قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات ، ثم حقيقة التوبة تقتضي أمرين ، أحدهما : العزم على ترك الفعل في المستقبل وإليه لإشارة بقوله : إني أعوذ بك الخ ، والآخر : الندم والاستغفار لما مضى وإليه الإشارة بقوله : وإلا مركب من أن ولا ، ثم أدغم أحدهما١٣٩." (١)

"فعلى العاقل أن يصبر على مشاق الطاعات والعبادات فإن له فيها أنوارا وحياة باقية : مده براحت فاني حيات باقي رابمحنت دوسه روز ازغم ابدبكريزذلك أي : المذكور من الاستقامة والإقامة وغيرهما ذكرى للذاكرين أي : موعظة للمتعظين ، فمن امتثل إلى أمر الله تعالى فاستقام وأقام فقد تحقق بحقيقة الحال والمقام.**قال بعض الحكماء** : علامة الذي استقام أن يكون مثله كمثل الجبل ؛ لأن الجبل له أربع علامات ، أحداها : أن لا يذيبه الحر ، والثانية : أن لا يجمده البرد ، والثالثة : أن لا تحركه الريح ، والرابعة : أن لا يذهب به السيل ، فكذا المستقيم إذا أحسن إليه إنسان لا يحمله إحسانه على أن يميل إليه بغير الحق كما يفعله أرباب الجاه والمناصب في هذا الزمان فإنهم بالشيء اليسير من الدنيا الواصل إليهم من يد رجل١٩٨أو امرأة يتخطون الحد ويتركون الاستقامة وليس الاتعاظ وقبول النصيحة من شأنهم. والثاني : إذا أساء إليه إنسان لا يحمله ذلك على أن يقول بغير الحق. والثالث : أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى. والرابع : أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله. فقال الحافظ : جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٩٧ببال ورمر وازره كه تير رتابهوا كرفت زماني ولى بخاك نشستيعني : لا تخرج بالقدرة الدنيوية والمكنة المالية عن حد الطريق المستقيم ، فإن لكل ترق تنزلا ألا ترى إلى حال السهم كيف صعد إلى جو السماء زمانا ثم سقط على الأرض فالإنسان لا بد وأن يسقط على الأرض في آخر أمره ونهاية عمره.واصبر يا محمد على مشاق الأوامر ويدخل فيه الأمة بالتبعية وقد كانت العادة القرآنية على إجراء أكثر خطابات الأوامر على النبي عليه السلام ، وأكثر خطابات النهي على الأمة اعتبارا للأصالة في الاتصاف والتنزه والاجتناب فافهم فإن الله لا يضيع أجر المحسنين في أعمالهم صلاة كانت أو صبرا أو غيرهما من فرائض الإسلام ومندوبات الأعمال ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، أي : يوفيهم أجور أعمالهم من غير بخس أصلا ، وإنما عبر عن ذلك بنفي الإضاعة مع أن عدم إعطاء الأجر ليس بإضاعة حقيقة كيف لا والأعمال غيرم موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها ، لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة ، وهو تعليل للأمر بالصبر ، وفيه إيماء إلى أن الصبر من باب الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه لأنه إذا قدر المرء على هذه المشاهدة هان عليه الصبر وغيره من مر الأحكام ولا يكون هذا الإحسان إلا بالإخلاص وإخلاص السريرة.كر نباشد

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٨٥/٤

نيت خالص هـ حاصل از عملوكان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث كلمات ، من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.واعلم : أن الله تعالى أمر ونهى ومراده إطاعة عباده له في كل ما يأتون وما يذرون فإن فلاحهم في ذلك ولا يرضى الله منهم إلا بالطاعة والتسليم والقبول. قال الحافظ : مزن زون ورا دمكه بنده مقبولقبول كرد بجان هر سخن كه جانان كفتوعن أبي بكر الوراق قال : طلبنا أربعة أشياء سنين فوجدناها في أربعة. طلبنا رضى الله تعالى فوجدناه في طاعته ، وطلبنا السعة في المعيشة فوجدناها في صلاة الضحى ، وطلبنا سلامة الدين فوجدناها في حفظ اللسان ، وطلبنا نور القبر فوجدناه في صلاة الليل ، فعلى العاقل السعي في طريق الطاعات وتنوير القلب بنور العبادات.وفي التأويلات النجمية : واصبر أيها الطالب الصادق والعاشق الوامق على صرف الأوقات في طلب المحبوب بدوام الذكر ومراقبة القلب وترك الشهوات ومخالفة الهوى والطبيعة فإن الله لا يضيع أجر المحسنين أي سعي الطالبين كما قال : ألا من طلبني وجدني لأن من سنة كرمه قوله : من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا والمقصود من الحديث القدسي بيان سعة فيضه وجوده على عباده ، والتقرب إلى الله تعالى إنما يكون بقطع التعينات ، ورفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة الذاتية إلا أن ذلك مشروط١٩٩بشرائط ومربوط بالأسباب في الصورة الظاهرة ، ولا تقيد تلك الشرائط والأسباب إلا بالجذبة الإلهية والدعوة الربانية ، فمن دعاه وأزال الموانع عن طريقه فقد وصل وإلا فقد انقطع دونه الطرق وبقى متحيرا مبهوتا.جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٩٧داد حق را قابليت شرط نيستبلكه شرط قابليت داد اوستااللهم ارحمنا فإن ذنوبنا قد جلت وحجبنا قد كثفت وحيلنا قد انقطعت وما بقي إلا التوفيق منك والعفو والغفران واللطف والكرم والإحسان إنك أنت المحسن في كل زمان ومكان.جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٩٧﴿فلولا﴾ كان لولا بمعنى هلا وكان بمعنى وجد. والمعنى بالفارسية (س را نبود) من القرون الهالكة الكائنة من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كائنة من قبلكم على أن يكون حالا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم.." (١)

"(از آن جماعت رسيدم كه اين جوان كيست وحال اويست كفتند او بدان دختركه دران خانه كه تو نزول كرده عاشقست وبا آنكه بنت عم اوست ده سالست تا يكديكر را نديده اند اصمعي ميكويدكه بخانه باز كشتم وخال آن جوان با اين دختر تقرير كردم وكفتم شك نيست كه مهمان غريب را درعرب حرمتي هره تمامترست التماس آنست كه امروز جمال خود را بدو نمايي دختر كفت صلاح او درين نيست اصمعي كفت نداشتم كه بخل ميكند ودفع ميدهد كفتم ازبراي دل مهمان يك دو قدم بردار تا از مشاهده جمال راحتي يابد كفت مرا رحمت وشفقت درح ق عم زاده بيش از آنست اميد داري٢٥٠وليك ميدانم كه مصلحت او در ديدن من نيست أما ون باور نمى داري)تو برر دربيت برايم منأصمعي ميكويدكه برفتم ويش آن جوان بنشستم وكفتم حاضر باش مشاهده دلدار راكه بالتماس من مي آيد تا بحضور خود مسكن ترا رنور كرداند درين سخن بوديم كه دختر ازدور بيدا شدودامن درزمين ميكشيدو كردآن برهوا ميرفت جوان ون آن كردبديد نعره بزد وبرزمين افتاد آندام او نه جا سوخته شد ون بخانه مراجعت كردم دختر بامن عتاب كرد وكفت)آنه

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ١٢٧/٤

امروز يافت او زتو يافتوانه ديد او رهكذار توديدإنه لا يطيق مشاهدة غبار من آثار ذيلنا فكيف يطيق مشاهدة جمالنا ولقائنا. ثم بعد ما أقامت زليخا عليهن الحجة ، وأوضحت لديهن عذرها ، وقد أصابهن من قبله عليه السلام ما أصابها ، باحت لهن ببقية سرها ، لأن شان العشاق أن يظهر بعضهم لبعض ما في قلوبهم ، غير ملتفت إلى تعيير أحد ، ولا خائف لومة لائم ، ولا مبال بزجر وسفاهة من جهل ولم يعلم حالهم فقالت : ولقد راودته عن نفسه طلبت منه أن يمكنني من نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم (س خويش را نكاداشت وسر بمن نياورد) أي طلب العصمة من الله مبالغا في الامتناع لأنه يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو مجتهد في الاستذادة منها ، وفيه برهان نير على أنه لم يصدر عنه شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره. ولئن لم يفعل ما آمره من حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير أي ما آمر به من موافقتي فالضمير للموصول. ليسجنن بالنون الثقيلة آثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك. والمعنى بالفارسية (هرآينه بزندان كرده شود) وليكونا بالنون الخفيفة وإنما كتبت بالألف اتباعا لخط المصحف مثل لنسفعا على حكم الوقف يعني أن النون الخفيفة يبدل منها في الوقف الألف وذلك إنما يكون في الخفيفة لشبهها بالتنوين من الصاغرين أي : الأذلاء في السبحن وهو من صغر بالكسر والصغير من صغر بالضم. قال الجامي : جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٥٠اكر ننهد بكام من ذكر ايازين س كنج زندان سازمش جاينكردد مرغ وحشي جزبدان رامكه كيرد در قفس يك ند آرامولقد أتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف أنها ليست في أمرها على خفية ولا خيفة من أحد فتضيق عليه الحيل ، وينصحن له ويرشدن إلى موافقتها.قال الجامي : بدو كفتند اي عمر كراميدريده يرهن درنيك ناميدرين بستان كه كل باخار جفت استكل بي خار ون توكم شكفت استزليخا خاك شد درراهت اي اكهمي كش كه كهي دامن برين خاكحذر كن زانكه ون مضطر شوددوستبخوارى دوست را از سركشد وست٢٥١و از سر بكذرد سيل خطر مندنهد ما در بزير اي فرزنددهد هر لحظه تهديدت بزندانكه هست آرامكاه نا سندانكجا شابد نين محنت سراييكه باشد اي ون تو دلربابيخدارا بر وجود خود ببخشايبروى أو دري از مهر بكشايوكر باشد ترا ازوى ملاليكه ندانش نمى بيني جماليو زو ايمن شوى دمساز ما باشنهاني همدم وهمراز ما باشكه ماهريك بخوبي بي نظيريمسهر حسن را ماه منيريمو بكشاييم لبهاي شكرخازخجلت لب فروبندد زليخانين شيرين وشكرخا كه ما بيمزليخارا هـ قدر آنجاكه ما بيمو يوسف كوش كردافسون كزايشاني كام زليخا ياوريشانكذشتند ازره دين وخردنيزنه تنها بهروي از بهر خود نيزقال مناجيا لربه رب السجن الذي أوعدتني بالإلقاء فيه وهوه بالفارسية (زتدان) أحب إلي مما يدعونني إليه أي : آثر عندي من موافقتها لأن للأول حسن العاقبة دون الثاني : عجب درمانده ام دركار اينانمرازندان به از ديدار اينانبه از صد سال درزندان نشينمكه يكدم طلعت اينان به بينمبنا محرم نظر دلرا كند كورزدولخانه قرب افكند دوروعند ذلك بكت الملائكة رحمة له وهبط إليه جبريل فقال له : يا يوسف ربك يقرئك السلام ويقول لك اصبر فإن الصبر مفتاح الفرج وعاقبته محمودة ، وإسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن تنصحن له ، وخوفنه من مخالفتها ، أو لأنهن جميعا دعونه إلى أنفسهن كما ذكر. **قال بعض الحكماء** لو قال : رب العافية أحب إلي لعافاه الله ، ولكن لما نجا بدينه لم يبال ما أصابه في الله ، والبلاء موكل

بالمنطق.وعن معاذ سمع النبي رجلا يقول : اللهم إني أسألك الصبر قال : سألت البلاء فاسأله العافية.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٥٠." [١]

"قال القزويني ويختص بعض النفوس من الفطرة بأمر غريب لا يوجب مثله لغيرها ، كما ذكر أن في الهند قوما إذا اهتموا بشيء اعتزلوا عن الناس وصرفوا همتهم إلى ذلك الشيء فيقع على وفق اهتمامهم. ومن هذا القبيل ما ذكر أن السلطان محمود غزا بلاد الهند وكان فيها مدينة كلما قصدها مرض ، فسأل عن ذلك فقيل له إن عندهم جمعا من الهند إذا صرفوا همتهم إلى ذلك يقع المرض على وفق ما اهتموا ، فأشار إليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة لتشويش همتهم ففعل ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة فهذا تأثير الهمة ، وأما تأثير المحبة فقد حكى أن بعض الناس كان يهوى شابا يلقب ببدر الدين فاتفق أنه توفي ليلة البدر فلما أقبل الليل وتكمل البدر لم يتمالك محبه رؤيته من شدة الحزن وأنشد يخاطب البدر.شقيقك غيب في لحدهوتطلع يا بدر من بعدهفهلا خسفت وكان الخسوفلباس الحداد على فقدهفخسف القمر من ساعته ، فانظر إلى صدق هذه المحبة وتأثيرها في القمر وصدق من قال إن المحبة مغناطيس القلوب ، وتأثير الأرواح في الأجسام أمر مشاهد محسوس فالتأثير للأرواح ولشدة ارتباطها بالعين نسبت إليها.قال بعض الحكماء : ودليل ذلك أن ذوات السموم إذا قتلت بعد لسعها خف أثر لسعها لأن الجسد تكيف بكيفية السم وصار قابلا للانحراف ، فما دامت حية فإن نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها وانتشاق اللمسوع به وهذا مشاهد ، ولا أقول إن خاصية قتلها منحصرة فيها فقط بل هي إحدى فوائدها المنقولة عنها ، وأصل ذلك كله من إعجاب العائن بالشيء فيتبعه كيفية نفسه الخبيثة فيستعين على تنفيذ سميتها بعينه وقد يعين الرجل نفسه بغير إرادة منه وهذا أردى ما يكون.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٩١وينبغي أن يعلم أن ذلك لا يختص بالإنس بل قد يكون في الجن أيضا وقيل عيونهم أنفذ من اسنة الرماح.وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام رأى في بيتها جارية وفي وجهها صفرة فقال : استرقوا لها فإن بها النظرة وأراد بها العين أصابتها من الجن.قال الفقهاء : من عرف بذلك حبسه الإمام وأجرى له النفقة إلى الموت فلما كان أصل ذلك استحسانه.قال عثمان رضي الله عنه : لما رأى صبيا مليحا ، دسموا نونته لئلا تصيبه العين أي سودوا نقرة ذقنه.قالوا : ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤوس في المزارع والكروم ووجهه أن النظر الشؤم يقع عليه أولا فتنكسر سورته فلا يظهر أثره ، وقد جعل الله لكل داء دواء ولكل شي ضدا فالدعوات والأنفاس الطيبة تقابل الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة ، والحواس الفاسدة فتزيله وروى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله في أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت إليه آخر النهار فرأيته معافي فقال إن جبريل عليه السلام أتاني فرقاني وقال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فأفقت وفيه وفيما ذكر٢٩٤من حديث أم سلمة دلالة على جواز الاسترقاء وعليه عامة العلماء هذا إذا كانت الرقى من القرآن أو الاذكار المعروفة أما الرقى التي لا يعرف معناه فمكروهة.وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت له هلا تنشرت أي تعلمت النشرة وهي الرقية.قال بعضهم : وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر عليه السلام ذلك عليها ، وكرهها جمع ، واستدلوا بحديث في سنن أبي داود

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٤/١٦٢

مرفوعا النشرة من عمل الشيطان وحمل ذلك على النشرة التي تصحبها العزائم المشتملة على الأسماء التي لا تفهم كما قال المطرزي في المغرب إنما تكره الرقية إذا كانت بغير لسان العرب ولا يدرى ما هو ولعله يدخل فيه سحرا وكفرا.وأما ما كان من القرآن وشيء من الدعوات فلا بأس به.وأما تعليق التعويذ وهو الدعاء المجرب أو الآية المجربة أو بعض أسماء الله لدفع البلاء فلا بأس به ولكن ينزعه عند الخلاء والقربان إلى النساء كذا في التتارخانية وعند البعض يجوز عدم النزع ، إذا كان مستورا بشيء والأولى النزع. وكان عليه السلام يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فعوذوا بها أولادكم فإن إبراهيم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق رواه البخاري في صحيحه. وكلمات الله كتبه المنزلة على أنبيائه أو صفات الله كالعزة والقدرة وغيرهما وكونها تامة لعرائها عن النقص والانفصام. وكان أحمد بن حنبل يستدل بقوله بكلمات الله التامة على أن القرآن غير مخلوق ويقول إن رسول الله لا يستعيذ بمخلوق وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص فالموصوف منه بالتمام غير مخلوق وهو كلام الله تعالى.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٩١." (١)

"وفي الآية : إشارة إلى نعمة ألوهية وخالقية ورازقية عليهم بدلوها بالكفر والانكار والجحود وأحلوا أرواحهم وقلوبهم ونفوسهم وأبدانهم دار الهلاك وأنزلوا أبدانهم جهنم يصلونها وبئس القرار وهي غاية البعد عن الحضرة ، والحرمان عن الجنان وانزلوا نفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصمم والجهل وأرواحهم العلوية أسفل سافلين الطبيعة بتبديل نعم الأخلاق الملكية الحميدة بالأخلاق الشيطانية السبعية الذميمة ، وجعلواأندادا من الهوى والدنيا وشهواتها ليضلوا الناس بالاستتباع عن طلب الحق تعالى والسير إليه على أقدام الشريعة والطريقة الموصل إلى الحقيقة قل تمتعوا بالشهوات الدنيا ونعيمها فإن مصيركم نار جهنم للأبدان ونار الحرمان للنفوس ونار الحسرة للقلوب ونار القطيعة للأرواح كما في التأويلات النجمية.قل لعبادي الذي آمنوا **قال بعض الحكماء** : شرف الله عباده بهذه الياء وهي خير لهم من الدنيا وما فيها لأن فيها إضافة إلى نفسه والاضافة تدل على العتق لأن رجلا لو قال لعبده يا ابن أو ولد لا يعتق ولو قال يا بني أو ولدي يعتق بالاضافة إلى نفسه كذلك إذا أضاف العباد إلى نفسه فيه دليل أن يعتقهم من النار ولا شرف فوق العبودية.قال الجامي :كسوت خواجكى وخلعت شاهى هـ كندهركرا غاشيه بندكيت بر دوشستوكان سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي قدس سره يقول : الخلق يفرون من الحساب وأنا أطلبه فإن الله تعالى لو قال لي أثناء الحساب عبدي لكفاني شرفا ، والمقول هنا محذوف دل عليه الجواب أي قل لهم أقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم أي يداوموا على ذلك.وبالفارسية (بكو أي محمد يعني أمركن مربندكان مراكه ايمان٤١٩آورده اندبرين وجه كه نماز كزاريد ونفقه كنيد تا يشان بامرتونماز كزارند ونفقه دهند از آنه عطاداده با يشان ازاوموال) ويجوز أن يكون المقول يقيموا وينفقوا على أن يكونا بمعنى الأمر وإنما أخرجا عن صورة الخبر للدلالة على التحقق بمضمونهما والمسارعة إلى العمل بهما.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤١٨فإن قيل : لو كان كذلك لبقي إعرابه بالنون.قلنا : يجوز أن يبني على حذف النون لما كان بمعنى الأمر.سرا وعلانية منتصبان على المصدر من الأمر المقدر أي أنفقوا إنفاق سر وعلانية ، أو على الحال أي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ١٩١/٤

وعلانية.والأحب في الإنفاق إخفاء المتطوع وإعلان الواجب وكذا الصلوات والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون إليها كما هو صنيع الكفرة.من قبل أن يأتي قال في الإرشاد : الظاهر أن من متعلقة بأنفقوا يوم وهو يوم القيامة لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى تقصيره به وتخصيص البيع بالذكر لاستلزام نفيه نفي الشراء ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل والمراد المخالة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس فلا يخالف قوله تعالى : الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾(الزخرف : ٦٧) لأن الواقع فيما بينهم المخالةأو من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا انتفاع في بمبايعة ولا مخالة وإنما ينتفع فيه بالطاعة التي من جملتها إقامة الصلاة والانفاق لوجه الله تعالى ، وادخار المال وترك إنفاقه إنما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره إلى وقت الموت.وفي الآية إشارة إلى الأعمال الباطنة القلبية كالإيمان وإلى الأعمال الظاهرة القالبية كإقامة الصلاة والانفاق.قال أبو سعيد الخراساني قدس سره : خزائن الله في السماء وخزائنه في الأرض القلوب لأنه تعالى خلق قلب المؤمن بيت خزائنه ، ثم أرسل ريحا فهبت فيه فكنسته من الكفر والشرك والنفاق والغش ثم أنشأ سحابة فأمطرت فيه ثم أنبت شجرة فأثمرت الرضى والمحبة والشكر والصفوة والإخلاص والطاعة ثم طاب الظاهر بحسب طيب الباطن.وعن مكحول الشامي رحمه الله : إذا تصدق المؤمن بصدقة ورضي عنه ربه تقول جهنم يا رب ائذن لي بالسجود شكرا لك فقد اعتقت أحدا من أمة محمد من عذابي ببركة صدقته لأني استحيي من محمد أن أعذب أمته مع أن طاعتك واجبة علي.قال المولى الجامي :هره دارى ون شكوفه برفشان زيراكه سنكبهرميوه ميخور دهردم زدست سفله شاخ." (١)

"وفضله الله بكثرة الاتباع أيضا كما قال عليه السلام : "أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها أمتي". وفي "جامع الأصول" : عن الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه فخرج حتى دنا منهم فسمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجبا إن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمة تكليما وقال آخر ماذا بأعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه فقال آخر : ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وقال : "قد سمعت كلامكم وأعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وأن موسى نجى الله وهو كذلك وأن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وأن آدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله فأدخلها ومعي فقراء المهاجرين ولا فخر" وفي الحديث "إن الله اختارني على الأنبياء واختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابي أربعا : أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليا" . رضي الله عنهم . كما في "بحر العلوم" ، قال المولى الجامي قدس سره : خدا بر سروران سرداريش دادز خيل انبيا سا لا ريش دادى ديوار ايمان بود كارششد اورا ار ركن از ار يا رشفكما أن البيت يقوم بالأركان الأربعة فكذا الذين يقوم بالخلفاء الأربعة ولذلك قال عليه السلام : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي" لأنهم أصول بالنسبة إلى من عداهم من المؤمنين.جزء : ٥ رقم

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٢٧٨/٤

الصفحة : ١٦٢ ﴿قل ادعوا﴾ (بخوانيد اي مشركان مكه) ﴿الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ أي : متجاوزين الله تعالى كالملائكة والمسيح وأمه وعزير ﴿فلا يملكون﴾ فلا يستطيعون ﴿كشف الضر عنكم﴾ إزالة نحو المرض والفقر والقحط ﴿ولا تحويلا﴾ ولا تحويله ونقله منكم إلى غيركم من القبائل. ﴿أولئك الذين يدعون﴾ أولئك مبتدأ صفته الذين وخبره يبتغون أي : أولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين ﴿يبتغون﴾ يطلبون لأنفسهم ﴿إلى ربهم﴾ ومالك أمورهم ﴿الوسيلة﴾ أي : القربة بالطاعة والعبادة. قال الكاشفي : (وسيلتي ودست آويزى يعني تقرب ميكنند بطاعت وعبادت او بحضرت او جل جلاله) ﴿أيهم أقرب﴾ بدل من واو يبتغون وأي موصولة أي : يبتغي من هو أقرب إلى الله منهم الوسيلة فكيف بمن دونه من غير الأقرب (يعني آنهاكه مقربان دذر كاهند از ملائكة وغير ايشان توسل ميكنند بحق سبحانه س غير مقرب خود بطريق اولى كه وجه توجه بدان حضرت آورد). قال في "الكواشي" : أو أيهم استفهام مبتدأ خبره أقرب والجملة١٧٤ نصب بيدعون. والمعنى يطلبون القرب إليه تعالى لينظروا أي : معبوديهم أقرب إليه فيتوسلوا به تلخيصه آلهتهم أيضا يطلبون القرب إليه تعالى ﴿ويرجون رحمته﴾ بالوسيلة ﴿ويخافون عذابه﴾ بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فضلا عن الإلهية ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيقيا بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة وإن لم يحذره العصاة لكمال غفلتهم بل يتعرضون له وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب. فعلى العاقل أن يترك الاعتذار ويحذر من بطش القهار. عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لعمر رضي الله عنه حين طعن يعني : (نيزه زده) يا أمير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس وتوفي رسول الله وهو عنك راض ولم يختلف عليك اثنان وقتلت شهيدا قال عمر رضي الله عنه : المغرور من غررتموه والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع أي : القيامة وما بعد الموت لأن المرء يطلع فيه على عمله ويلقى أمورا هائلة. **قال بعض الحكماء** : الحزن يمنع الطعام والخوف يمنع الذنوب والرجاء يقوي على الطاعات وذكر الموت يزهد عن الفضول والخوف والرجاء إنما يكونان من الله تعالى لأن المعبود مفيض الخير والجود. وأما الأنبياء وورثتهم الكمل فوسائط بين الله تعالى وبين الخلق ولا بد من طاعتهم من حيث نبوتهم ووراثتهم ومن التقرب إليهم لتحصيل الزلفى ، وفي "المثنوي" : جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٧٤از انس فرزند مالك آمده استكه بمهماني او شخصى شده استاو حكايت كرد كز بعد طعامديد انس دستار خوانرا زرد فامركن وآلوده كفت اي خادمهاندر افكن در تنورش يكدمهدر تنور رز آتش در فكندآن زمان دستار خوانرا هو شمندجمله مهمانان دران حيران شدندانتظار دور كندورى بدندبعد يكساعت در آورد از تنوراك واسيد وازان اوساخ دورقوم كفتند اي صحابي عزيزون نه سوزيد ومنقى كشت نيز." (١)

"﴿قال﴾ الرسول عليه السلام بعدما أوحى إليه أقوالهم وأحوالهم بيانا لظهور أمرهم وانكشاف سرهم ﴿ربى يعلم القول﴾ سرا كان أو جهرا حال كون ذلك القول ﴿فى السمآء والارض﴾ فضلا عما أسروا به وإذا علم القول علم الفعل ﴿وهو السميع العليم﴾ أي : المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم. ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ الضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس وأضغاث أحلام رؤيا

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٥/١٣٤

لا يصح تأويلها لاختلاطها كما في "القاموس". والحلم بضم الحاء وسكون اللام الرؤيا وضم اللام أيضا لغة فيه فالأحلام بمعنى المنامات سواء كانت باطلة أو حقة وأضيفت الأضغاث بمعنى الأباطيل إليها على طريق إضافة الخاص إلى العام إضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما في قوله عليه السلام : "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان" ثم إن هذا إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قول إلى آخر أي : لم يقتصروا على أن يقولوا في حقه عليه السلام ﴿هل هاذآ إلا بشر﴾ وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم إنه سحر بل قالوا تخاليط أحلام أي : أخلاط أحلام كاذبة رآها في المنام ﴿بل افتراه﴾ من تلقاء نفسه من غير٤٥٣أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم قالوا : ﴿بل هو شاعر﴾ وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها وهذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم. قال الراغب شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي : علمت علما في الدقة كإصابة الشعر قيل وسمي الشاعر لفطنته ودقة معرفته فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري وصار في التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام والشاعر للمختص بصناعته وقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿بل هو شاعر﴾ كثير من المفسرين حملوه على أنهم رموه بكونه آتيا بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا عليه ما جاء في القرآن من كل لفظة تشبه الموزون من نحو قوله : "وجفان كالجواب وقدور راسيات" وقوله تعالى : ﴿تبت يدآ أبى لهب﴾ . وقال بعض المحققين لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الاغتام من العجم فضلا عن بلغاء العرب وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سموا الأدلة الكاذبة بالشعر ولكون الشعر مقر الكذب. قيل : أحسن الشعر أكذبه. **وقال بعض الحكماء** لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره : جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٥١در قيامت نرسد شعر بفرياد كسكر سراسر سخنش حكمت يونان كردوأما قول صاحب "المثنوي" : از كرامات بلند اولياءاولا شعرست وآخر كيميافالمراد به القدرة على إنشاء الكلام الموزون وليس من مقتضاها التكلم ﴿بل قالوا﴾ جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا بآية جليلة ﴿كمآ أرسل الاولون﴾ أي : مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا وإحياء الموتى والناقة ونظائرها حتى نؤمن به فما موصولة وعائدها محذوف ومحل الكاف الجر على أنها صفة الآية.جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٥١﴿مآ ءامنت قبلهم﴾ قبل مشركي مكة ﴿من قرية﴾ اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس أي : من أهل قرية وهو في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم ﴿أهلكناهآ﴾ أي : بإهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيىء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية ﴿أفهم يؤمنون﴾ الهمزة لإنكار الوقوع والفاء للعطف على مقدر. والمعنى أنه لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أنهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سئلوا وأعطوا ما اقترحوا مع كونهم أعتى منهم وأطغى كما قال تعالى : ٤٥أكفاركم خير من أولائكم (القمر : ٤٣) يعني أن كفاركم مثل أولئك الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون فهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه ، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه : ولا تك كالشاة التي كان حتفهابحفر ذراعيها فلم ترض محفرا وأصله أن رجلا وجد شاة وأراد ذبحها فلم يظفر بسكين وكانت مربوطة فلم تزل تبحث٤٥٤برجليها حتى أبرزت سكينا كانت مدفونة

فذبحها بما يضرب في مادة تؤدي صاحبها إلى التلف وما يورط الرجل فيه نفسه كهذا المستعمق وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للترحم بهم إذ لو أتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وقد سبق وعده تعالى في حق هذه الأمة أن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة.." (١)

"واعلم أن الدار الآخرة وثوابها إنما ينال إليها بترك الدنيا وزخارفها كما أن وصلة المولى لا تحصل إلا بترك الكونين فمن كان مشتهاه الجنة ونعيمها فليترك اللذة في الدنيا ومن كان مشتهاه المشاهدات فليقطع نظره عن غير الله تعالى.قال في الفتوحات الملكية : اجمع أهل كل ملة على أن الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا إن الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التي حذرها الله منها بقوله : ﴿إنمآ أموالكم وأولادكم فتنة﴾ (التغابن : ١٥) انتهى كلامه.قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي٥٢٥رحمه الله : ومن فوائد الرهبان أنهم لا يدخرون قوتا لغد لا يكنزون فضة ولا ذهبا قال ورأيت شخصا قال لراهب انظر لي هذا الدينار هو من ضرب أي : الملوك فلم يرض وقال النظر إلى الدنيا منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا : رأوا على عمامته نصفا مربوطا فقلت لهم : ربط الدرهم مذموم فقالوا : نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم **قال بعض الحكماء إن** في الجنة راحة لا يجدها إلا من لم يكن له في الدنيا راحة وفيها غنى لا يجده إلا من ترك الفضول في الدنيا واقتصر على اليسير منها وفيها أمن لا يجده إلا أهل الخوف والفزع في الدنيا :لا تخافوا هست نزل خائفانهست درخو رازبر اى خائف آنوفيها ما تشتهي الأنفس لا يجده إلا أهل الزهد.وعن بعض الزهاد أنه كان يأكل بقلا وملحا من غير خبز فقال له رجل : اقتصرت على هذا قال : نعم لأني إنما جعلت الدنيا للجنة وأنت جعلت الدنيا للمزبلة يعني تأكل الطيبات فتصير إلى المزبلة وإني آكل لإقامة الطاعات لعلي أصير إلى الجنة نسأل الله الفيض والجود والتوفيق بطريق الشهود.جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٢٥﴿يوم نطوى السمآء﴾ منصوب باذكر والطي ضد النشر ﴿كطى السجل﴾ وهي الصحيفة أي : طيا كطي الطومار ﴿للكتب﴾ متعلقة بمحذوف هو حال من السجل أي : كائنا للكتب عبارة عن الصحائف وما كتبت فيها فسجلها بعض أجزائها وبه يتعلق الطي الحقيق.وقال الإمام السهيلي ذكر محمد بن حسن المقري عن جماعة من المفسرين أن السجل ملك في السماء الثالثة ترفع إليه أعمال العباد ترفعها إليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين وكان من أعوانه فيما ذكروا هاروت وماروت.وفي السنن لأبي داود : السجل كاتب كان للنبي عليه السلام وهذا لا يعرف في كتاب النبي ولا في أصحابه من اسمه السجل ولا وجد إلا في هذا الخبر انتهى كلام السهيلي رحمه الله.قال في "إنسان العيون" : لم يذكر في القرآن من الصحابة رضي الله عنهم أحد باسمه إلا زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم يذكر امرأة باسمها إلا مريم.قال ابن الجوزي إلا ما يرى في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى : ﴿يوم نطوى السمآء﴾ إلى آخره اسم رجل كان يكتب لرسول الله عليه السلام انتهى.وفي "القاموس" السجل اسم كاتب للنبي عليه السلام واسم ملك ﴿كما بدأنآ أول خلق نعيده﴾ ما كافة تكف الكاف عن العمل وأول مفعول لبدأنا أي : نعبد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونها إيجادا بعد العدم وهو لا ينافي الإعادة من عجب

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٣٤٨/٥

الذنب.قال في "البحر" أي : نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للإعادة بالإبداء في تناول القدرة القديمة لهما على السواء ﴿وعدا﴾ أي : وعدنا الإعادة وعدا ﴿علينآ﴾ أي : علينا إنجازه وبالفارسية (برماست وفاكردن بدان) ﴿إنا كنا فاعلين﴾ ذلك لا محالة.جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٢٦وفي "التأويلات النجمية" يشير إلى طي سماء الوجود الإنساني بتجلي صفة الجلال في إفناء مراتب الوجود من الانتهاء إلى الابتداء كما بدأنا أول خلق من ابتداء النطفة بالتدريج من خلق النطفة علقة ومن خلق العلقة مضغة ومن خلق المضغة عظاما إلى انتهاء خلق الإنسان ومن وصف النباتية إلى وصف المركبية ومن وصف المركبية إلى وصف مفردات العنصرية ومن وصف المفردية إلى وصف الملكوتية ومن وصف الملكوتية إلى وصف الروحانية٥٢٦ومن وصف الروحانية إلى وصف الربوبية بجذوة ارجعي إلى ربك وعدا علينا في الأزل إنا كنا فاعلين إلى الأبد.." (١)

"**قال بعض الحكماء** : إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة له دونك. وإن افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لها دونك. وإن افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيك ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت هذه محاسننا فمالك من الحسن شيء. فإن افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك. قال الحافظ : جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦٢قلندران حقيقت بنيم جو نخرندقباى اطلس آنكس كه از هنر عاريستوإذا أعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه أو بقاءك وزواله أو فناءكما جميعا فإذا راقك ما هو لك فانظر إلى قرب خروجه من يدك وبعد رجوعه إليك وطول حسابه عليك إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر. . حكي . أنه حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح به الملك فرحا شديدا فقال لمن عنده من الحكماء : كيف ترى هذا؟ فقال : أراه فقرا حاضرا ومصيبة عاجلة قال : وكيف ذلك؟ قال : إن انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيرا إليه وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوما فعظمت المصيبة على الملك وقال : صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا.إنما الدنيا كرؤيا فرحتمن رآها ساعة ثم انقضت﴿واقصد فى مشيك﴾ القصد ضد الإفراط والتفريط. والمعنى واعدل في المشي بعد الاجتناب عن المرح فيه ، وبالفارسية : (وميانه باش دررفتن خود) اى توسد بين الدبيب والإسراع فلا تمشي كمشي الزهاد المظهرين الضعف في المشي من كثرة العبادات والرياضات فكأنهم أموات وهم المراؤون الذين ضل سعيهم ولا كمشي الشطار ووثوبهم وعليك بالسكينة والوقار وفي الحديث "سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن" وقول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان إذا مشى أسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت. قال بعضهم إن للشيطان من ابن آدم٨٥نزغتين بأيتهما ظفر قنع الإفراط والتفريط وذلك في كل شيء يتصور ذلك فيه ﴿واغضض من صوتك﴾ يقال غض صوته وغض بصره إذا خفض صوته وغمض بصره. قال في "المفردات" : الغض النقص من الطرف والصوت ، وبالفارسية : (فرو خوابانيدن شم وفرداشتن اواز) والصوت هو الهواء المنضغط عند قرع جسمين. قال بعضهم : الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نفسا بفتح الفاء وإن خرج بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتا وإذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بأسباب معلومة يسمى حروفا. والمعنى وانقص من صوتك واقصر واخفض في محل الخطاب والكلام خصوصا عند الأمر بالمعروف

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٤٠٢/٥

والنهي عن المنكر وعند الدعاء والمناجاة. وكذلك وصية الله في الإنجيل لعيسى ابن مريم مر عبادي إذا دعوني يخفضوا أصواتهم فإني أسمع وأعلم ما في قلوبهم ، وبالفارسية : (فرو آور وكم كن آوز خويش يعنى فرياد كننده ونعره زننده ودراز زبان وسخت كوى مباش) واستثنى منه الجهر لإرهاب العدو ونحوه. وقال محمد بن طلحة في "العقد الفريد" : قد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم انتهى. وفي "الخلاصة" لا يجهر الإمام فوق حاجة الناس وإلا فهو مسيء كما في "الكشف". والفرق بين الكراهة والإساءة هو أن الكراهة أفحش من الإساءة.جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦٢وفي "إنسان العيون" : لا بأس برفع المؤذنين أصواتهم لتبليغ التكبير لمن بعد عن الإمام من المقتدين لما فيه من النفع بخلاف ما إذا بلغهم صوت الإمام فإن التبليغ حينئذ بدعة منكرة باتفاق الأئمة الأربعة ومعنى منكرة مكروهة. وفي "أنوار المشارق" المختار عند الأخيار أن المبالغة والاستقصاء في رفع الصوت بالتكبير في الصلاة ونحوه مكروه والحالة الوسطى بين الجهر والإخفاء مع التضرع والتذلل والاستكانة الخالية عن الرياء جائز عير مكروه باتفاق العلماء. وقد جمع النووي بين الأحاديث الواردة في استحباب الجهر بالذكر والواردة في استحباب الإسرار به بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى المصلون أو النائمون والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ولأنه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همة الفكر ويشنف سمعه ويطرد النوم ويزيد في النشاط وكان عليه السلام إذا سلم من صلاته قال بصوته الأعلى "لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير".." (١)

"وفي "كشف الأسرار" : (ون آسمان وزمين وكوهها وبترسيدند ازذير فتن امانت وبازنشستند ازبرداشتن آن رب العزة آدم راكفت "إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها وأنت آخذها بما فيها قال : يا رب وما فيها : قال : إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت قال بين أذني وعاتقي" يعني آدم بطاعت وخدمت بنده وار درآمد وكفت برداشتم ميان كوش ودوش خويش رب العالمين كفت اكهون كه برداشت ترادران معونت وقوت دهم) اجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فارخ حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فإذا خشيت أن تتكلم بما لا يحل فاغقله واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك. شيخ جنيد قدس سره (فرموده كه نظر آدم بر عرض حق بود نه برامانت لذت عرض ثقل امانت را بروفراموش كردانيد لا جرم لطف رباني بزبان عنايت فرموده كه برداشتن ازتو ونكاه داشتن از من ون تو بطوع بارمرا برداشتى من هم ازميان همة تر برداشتم)﴿وحملناهم فى البر والبحر﴾ (الإسراء : ٧٠). . وروي . أن آدم عليه السلام قال : أحمل الأمانة بقوتي أم بالحق؟ فقيل : من يحملها يحمل بنا فإن ما هو منا لا يحمل الا بنا فحملها : را اورا بدو توان يمودبار اورا بدو توان برداشتقال بعضهم : آن باركه ازبردن آن عرش ابا كردباقوت او حامل آن بارتوان بود٢٥٣ . القصة . (خلعت حمل امانت جز برقامت با استقامت انسان كه منشور ﴿إني جاعل فى الارض خليفة﴾ (البقرة : ٣٠) او برنام نامى نوشته اند راست نيامد وون كارى بدين عظمت وفهمى بدين ابهت نامزد اوشدجهت دفع شم زخم حسود آن شياطين كه دشمن ديرينه اند سند ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾) بر آتش غيرت افكندند تا كورشود هرآنكه نتوانند يد كما قال : ﴿أنه﴾ أي : الإنسان ﴿كان ظلوما﴾ لنفسه بمعصية ربه حيث لم يف بالأمانة ولم يراع حقها

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٦٤/٧

﴿جهولا﴾ بكنه عاقبتها يعني : (نادان بعقوبت خيانت اكر واقع شود) والظلم وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه ومن هذا ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته ويسمى ذلك اللبن الظلم وظلمت الأرض إذا حفرتها ولم تكن موضعا للحفر وتلك الأرض يقال لها المظلومة والتراب الذي يخرج منها ظليم والظلم يقال في مجاوزة الحد الذي يجري مجرى النقطة في الدائرة ويقال فيما يكثر ويقل من التجاوز ولذا يستعمل في الذنب الصغير والكبير ولذا قيل لآدم في تقدمه ظالم وفي إبليس ظالم وإن كان بين الظلمين بون بعيد.جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١قال بعض الحكماء : الظلم ثلاثة : أحدها : بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق. والثاني : ظلم بينه وبين الناس. والثالث : ظلم بينه وبين نفسه وهذه الثلاثة في الحقيقة للنفس فإن الإنسان أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه.اول بظالمان اثر ظلم ميرسديش ازهدف هميشه كمان تارميكندوالجهل خلو النفس من العلم وهو على قسمين ضعيف وهو الجهل البسيط وقوي وهو الجهل المركب الذي لا يدري صاحبه إنه لا يدري فيكون محروما من التعلم ولذا كان قويا.قال في "الإرشاد" وقوله : ﴿أنه﴾ الخ اعتراض وسط بين الحمل وغايته للإيذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده وتحمله أي : إنه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل أي بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو عهودهم يوم الأرواح دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله وجروا على ما اعترفوا بقولهم بلى. وقال بعضهم : الإنسان ظلوم وجهول أي : من شأنه الظلم والجهل كما يقال الماء طهور أي : من شأنه الطهارة.واعلم أن الظلومية والجهولية صفتا ذم عند أهل الظاهر لأنهما في حق الخائنين في الأمانة فمن وضع الغدر والخيانة موضع الوفاء والأداء فقد ظلم وجهل. قال في "كشف الأسرار" : (عادت خلق آنست كه ون امانتى عزيز بنزديك كسى نهند مهرى بروى نهند وآن روز كه باز خواهند مهررا مطالعت كنند اكر مهر برجاى بود اورا ثناها كويند امانتى بنزديك تونهادند از عهد ربو بيت ﴿ألست بربكم﴾ (الأعراف : ١٧٢) ومهرى كه بروى نهادند ون عمر بآخر رسد وترا بمنزل خاك برند آن فرشته درآيد وكويد "من ربك" آن مطالعت كه ميكند تا مهر روز اول برجاى هست يانه) قال الحافظ : از دم صبح ازل تا آخر شام ابدودستي ومهر بريك عهدويك ميثاق بودوقال أهل الحقيقة : هما صفتا مدح أي : في حق مؤدي الأمانة فإن الإنسان ظلم نفسه بحمل الأمانة لأنه وضع شيئا في غير موضعه فأفنى نفسه وأزال حجبها الوجودية وهي المعروفة بالأنانية٢٥٤." (١)

"جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٨نه ابليس در حق ما طعنه زدكز اينان نيايد بجز كار بدفغان از بديها كه در نفس ماستكه ترسم شود ظن ابليس راستو ملعون سند آمدش قهرماخدايش برانداخت از بهر ماكجا سر برآ ريم ازين عارونككه با او بصلحيم وباحق بجنكنظر دوست نادر كند سوى توودر روى دشمن بود روى تونداني كه كمتر نهد دوست ابو بيندكه دشمن بود درسراى﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين * وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شكا وربك على كل شىء حفيظ * قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون﴾.﴿وما كان له﴾ أي : لإبليس ﴿عليهم من سلطان﴾ السلطان القهر والغلبة ومنه السلطان لمن له ذلك أي : تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وإلا فهو ما سل سيفا ولا ضرب بعصا ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك﴾

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ١٩٧/٧

استثناء مفرغ من أعم العلل ومن موصولة منصوبة بنعلم. والعلم إدراك الشيء بحقيقته والعالم في وصف الله تعالى هو الذي لا يخفى عليه شيء والشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما وفي نظم الصلة الأولى بالفعلية دلالة على الحدوث كما أن في نظم الثانية بالإسمية إشعارا بالدوام وفي مقابلة الإيمان بالشك إيذان بأن أدنى مرتبة الكفر يوقع في الورطة وجعل الشك محيطا وتقديم صلته والعدول إلى كلمة من مع أنه يتعدى بفي للمبالغة والإشعار بشدته وأنه لا يرجى زواله فإنه إذا كان منشأ الشك متعلقه لا أمرا غيره كيف يزول وأن من كان حاله على خلاف هذا يكون مرجو الفلاح.والمعنى : وما كان تسلطه عليهم إلا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء فعلم الله قديم وتعلقه حادث إذ هو موقوف على وجود المكلف في عالم الشهادة فلا يظن ظان بالله ظن السوء أن الله جل جلاله لم يكن عالما بأهل الكفر وأهل الإيمان وإنما سلط عليهم إبليس ليعلم به المؤمن من الكافر فإن الله بكمال قدرته وحكمته خلق أهل الكفر مستعدا للكفر وخلق أهل الإيمان مستعدا للإيمان كما قال عليه السلام : "خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا" وقال تعالى : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس﴾ فالله تعالى كان عالما بحال الفريقين قبل خلقهم وهو الذي خلقهم على ما هم به وإنما سلط الله الشيطان على بني آدم لاستخراج٢٨٨جواهرهم من معادن الإنسانية كما تسلط النار على المعادن لتخليص جوهرها فإن كان الجوهر ذهبا فيخرج منه الذهب وإن كان الجوهر نحاسا فيخرج منه النحاس فلا تقدر النار أن تخرج من معدن النحاس الذهب ولا من معدن الذهب النحاس فسلط عليهم لأنهم معادن كمعادن الذهب والفضة وهو ناري يستخرج جواهرهم من معادنهم بنفخة الوساوس فلا يقدر أن يخرج من كل معدن إلا ما هو جوهره : جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٨درزمين كرنيشكر ورخودنى استترجمان هرزمين بنت وى استوقال بعضهم : العلم هنا مجاز عن التمييز والمعنى إلا لتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها فعلل التسلط بالعلم والمراد ما يلزمه ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ محافظ عليه بالفارسية : (نكهبانست) فإن فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان. وقال بعضهم : هو الذي يحفظ كل شيء على ما هو به. والحفيظ من العباد من يحفظ ما أمر بحفظه من الجوارح والشرائع والأمانات والودائع ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وخلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فإنه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه الملكات المفضية إلى البوار.**قال بعض الحكماء الإلهية** أسباب الحفظ الجد والمواظبة وترك المعاصي واستعمال السواك وتقليل النوم وصلاة الليل وقراءة القرآن نظرا وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق. ومن خاصية هذا الاسم وهو الحفيظ أن من علقه عليه لو نام بين السباع ما ضرته ومن حفظ الله تعالى ما قال ذو النون رضي الله عنه وقعت ولولة في قلبي فخرجت إلى شط النيل فرأيت عقربا يعدو فتبعته فوصل إلى ضفدع على الشط فركب ظهره وعبر به النيل فركبت السفينة واتبعته فنزل وعدا إلى شاب نائم وإذا بأفعى بقربه تقصده فتواثبا وتلادغا وماتا وسلم النائم.قال إبراهيم الخواص قدس سره : كنت في طريق مكة فدخلت إلى خربة بالليلة وإذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بي هاتف اثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك وهذا من لطف الله بأوليائه فواحد يحفظ عليه أعماله

ليجازيه وآخر يحفظه فيدفع عنه الآفات اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا برأفتك التي لا ترام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين.." (١)

"سورة يسثلاث وثمانون آية مكيةجزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٦٣جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٦٤﴿يس﴾ أما مسرود على نمط التعديل فلا حظ له من الإعراب أو اسم للسورة وعليه الأكثر فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي : هذه يس أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمر أي : اقرأ يس ويؤيد كونه اسم السورة قوله عليه السلام : "إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن خلق آدم بألفي عام فإذا سمعت الملائكة قالوا : طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لألسن تتكلم بهذا وطوبى لأجواف تحمل هذا" (ودر خبرست كه ون دوستان حق در بهشت رسند از جناب جبروت ندا آيدكه از ديكران بسيار بشنيديد وقت آن آمدكه از ما شنويد "فيسمعهم سورة الفاتحة وطه ويس" مصطفى عليه السلام كفت) "كأن الناس لم يسمعوا القرآن حين سمعوا الرحمن يتلوه عليهم" كما في "كشف الأسرار".وقال بعضهم : إن الحروف المقطعة أسماء الله تعالى ويدل عليه أن عليا رضي الله عنه كان يقول : "يا كهيعص يا حمعسق" فيكون مقسما به مجرورا أو منصوبا بإضمار حرف القسم وحذفه والمراد بحذفه أن لا يكون أثره باقيا وبإضماره أن يبقى أثره مع عدم ذكره ففي نحو الله لأفعلن يجوز النصب بنزع الخافض وأعمال فعل القسم المقدر ويجوز الجر أيضا بإضمار حرف الجر أي : اقسم بيس أي : الله تعالى.وفي "الإرشاد" : لا مساغ للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين القسمين على شيء واحد قبل انقضاء الأول.**وقال بعض الحكماء الإلهية** : إنها أسماء ملائكة هم أربعة عشر كما سبق بيانه في طسم.وعن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول كثير منهم أن معنى ﴿يس﴾ يا إنسان في لغة طي على أن المراد به رسول عليه السلام ولعل أصله يا أنيسين تصغير إنسان للتكبير فإن صيغة التصغير قد تكون لإظهار العطف والتعظيم ولا سيما أن المتكلم بصيغة التصغير هو الله تعالى وهو لا يقول ولا يفعل إلا ما هو صواب وحكمة فتكون "يا" من يس حرف نداء و"سين" شطر انيسين فلما كثر النداء به في ألسنتهم اقتصروا على شطره الثاني للتخفيف كما قالوا في القسم من الله أصله أيمن الله (واين خطاب باصورت رد بشريت مصطفاست عليه السلام نانكه جاى ديكر كفت ﴿قل إنمآ أنا بشر مثلكم﴾ (الكهف : ١١٠) ازانجاكه انسانيست وجنسيت آنست او مشاكل خلق است واين خطاب با نسان بروفق آنست وازآنجاكه٣٦٤شرف نبوتست وتخصيص رسالت خطاب باوى اينست كه يا أيها النبي﴾ يا أيها الرسول﴾ واين خطاب كه باصورت وبشريت ازبهر آن رفت كه تانقاب غيرت سازند وهر نامحرما برجمال وكمال وى اطلاع ندهند اين نانست كه كويند) :جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٦٤ارسلانم خوان تاكس نه بداندكه كيموعن ابن الحنفية معناه يا محمد دليله قوله بعده إنك لمن المرسلين وفي الحديد : "إن الله سماني بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله" ويؤيده أنه يقال لأهل البيت آل يس كما قيل سلام على آل طه ويس وسلام على آل خير النبيين.دركمو يا آل ياسينايقول الفقير : يحتمل أن يكون المراد بآل يس أول من عظمه الله تعالى بما في سورة يس فلا يحصل التأييد.وقال الكاشفي : (حقيقت آنست كه دركلام عرب از كلمه بحر في تعبير ميكنند نانه.قد قلت لها قفي فقالت قأي وقفت س ميشايدكه حرف سين

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٢٢٥/٧

اشارت بكلمه ياسيد البشر أو يا سيد الأولين والآخرين وحديث "أنا سيد ولد آدم" تفسير اين حرف بود) كما قال في "لعرائس" : لم يمدح عليه السلام بذلك نفسه ولكن أخبر عن معنى مخاطبة الحق إياه بقوله يس انتهى (وديكر ببايد دانست كه ازميان حروف سين را سويت اعتداليه هست كه ميان زبر وبينات او توافق وتساوى هست وهي حرفى ديكر آن حال ندارد لا جرم مخصوص بحضرت ختميه است صلى الله عليه وسلم كه عدالت حقيقى خواه در طريق توحيد وخواه دراحكام شرع بدو اختصاص دارد.تراست مرتبه اعتدال درهمه حالكه در خصائص توحيد اعدل ازهمهتمكن است ترا در مقام جمع الجمعبدين فضيلت مخصوص افضلى ازهمه." (١)

"﴿ولو نشآء لمسخناهم﴾ المسخ تحويل الصورة إلى ما هو أقبح منها سواء كان ذلك التحويل بقلبها إلى صورة البهيمية مع بقاء الصورة الحيوانية أو بقلبها حجرا ونحوه من الجمادات بإبطال القوى الحيوانية. والمعنى ولو نشاء نسقطهم عن رتبة التكليف ودرجة الاعتبار لغيرنا صورهم بأن جعلناهم قردة وخنازير كما فعلنا بقوم موسى أي : بني إسرائيل في زمان داود عليه السلام أو بأن جعلناهم حجارة ومدرة وهذا أشد من الأول وأقبح لأن الأول خروج عن رتبة الإنسانية إلى الحيوانية وهذا عن الحيوانية إلى الجمادية التي ليس فيها شعور أصلا وقطعا ﴿على مكانتهم﴾ بمعنى المكان إلا أن المكانة أخص كالمقامة والمقام أي : مكانهم ومنزلهم الذي هم فيه قعود وبالفارسية : (برجاى خويش تاهم آنجا افسرده شوند) وقال بعضهم : لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم ﴿فما استطاعوا مضيا﴾ ذهابا وإقبالا إلى جانب أمامهم أي : لم يقدروا أن يبرحوا مكانهم بإقبال. أصله مضوي قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وكسرت الضاد قبل الياء لتسلم الياء ومن قرأ مضيا بكسر الميم فإنما كسرها اتباعا للضاد ﴿ولا يرجعون﴾ أي : ولا رجوعا وإدبارا إلى جهة خلفهم فوضع موضع الفعل لمراعاة الفاصلة وليس مساق الشرطين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقص العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دثار امثالهم أحقاء بأن يفعل بهم في الدنيا لتلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس إلا عدم تعلق المشيئة الإلهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ لفعلناها لكنا لم نفعل جريا على سنن الرحمة العامة والحكمة التامة الداعيتين إلى إمهالهم زمانا إلى أن يتوبوا ويؤمنوا ويشكروا النعمة أو إلى أن يتولد منهم من يتصف بذلك.جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٦٤**قال بعض الحكماء** : المسخ ضربان خاص وهو تشويه الخلق بالفتح وعام في كل زمان وهو تبديل الخلق بالضم وذلك أن يصير الإنسان متخلقا بخلق ذميم من أخلاق بعض الحيوانات نحو أن يصير في شدة الحرص كالكلب أو الشره كالخنزير أو الغمارة كالثور. فعبارة الآية في تحويل الصورة وإشارتها في تحويل الصفات الإنسانية بالصفات السبعية والشيطانية فلا يقدرون على إزالة هذه الصفات ولا يقدرون على رجوعهم إلى صفاتهم الإنسانية فمن مسخه الله في الدنيا بصفات حشره في صورة صفته الممسوخة كما جاء في الحديث الصحيح "إن آزر يحشر على صفة ضبع". قال في "حياة الحيوان" : في الحديث : "يلقي إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعص فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزي من أن يكون أبي في النار فيقول الله تعالى :

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٧/٢٨٥

إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا٤٢٧هو بذيح متلطخ وهو بكسر الذال والخاء المعجمتين ذكر الضباع الكثيرة الشعر فيؤخذ بقوائمه ويلقى في النار والحكمة في كون آزر مسخ ضبعا دون غيره من الحيوان أن الضبع تغفل عما يجب التيقظ له وتوصف بالحمق فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه وقبل خديعة عدوه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في حجرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ولأن آزر لو مسخ كلبا أو خنزيرا كان فيه تشويه لخلقه فأراد الله تعالى إكرام إبراهيم عليه السلام بجعل أبيه على هيئة متوسطة". قال في "المحكم" : يقال خزيته أي : ذللته فلما خفض إبراهيم عليه السلام له جناح الذل من الرحمة لم يخز بصفة الذل يوم القيامة فإذا كان حال إبراهيم فما ظنك بغيره ممن لم يأت الله بقلب سليم فينبغي أن لا يلتفت إلى الاكتساب بل يؤخذ بصالحات الأعمال وخالصات الأحوال نرجو من الله المتعال أن لا يفضحنا يوم السؤال.﴿ولو نشآء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون * ومن نعمره ننكسه فى الخلقا أفلا يعقلون * وما علمناه الشعر وما ينابغى له ا إن هو إلا ذكر وقرءان مبين * لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين﴾ .جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٦٤." (١)

"قال قتادة : جعل الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به ، فعلى طالب الحق أن يرجم شيطانه بنور التوحيد والعرفان كيلا يحوم حول جنانه ويكون كالملأ الأعلى في الاشتغال بشأنه : كاه كوبي اعوذوكه لا حولليك فعلت بود مكذب قولبحقيقت بسوز شيطانراساز از نور حال درمانرا﴿فاستفتهم﴾ خطاب للنبي عليه السلام والضمير لمشركي مكة (والاستفتاء : فتواى خواستن) والفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الأحكام يقال استفيته فأفتاني بكذا.قال بعضهم : الفتوى من الفتى وهو الشاب القوي وسمي الفتوى فتوى لأن المفتي يقوي السائل في جواب الحادثة وجمعه فتاوي بالفتح والمراد بالاستفتاء هنا الاستخبار كما في قوله تعالى في قصة أهل٤٥٠الكهف ﴿ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ (الكهف : ٢٢) وليس المراد سؤال الاستفهام بل التوبيخ. والمعنى فاستخبر يا محمد مشركي مكة توبيخا واسألهم سؤال محاجة ﴿أهم﴾ (آيا ايشان) ﴿أشد خلقا﴾ أقوى خلقة وأمتن بنية أو أصعب على الخالق خلقا أو أشق إيجادا ﴿أم من﴾ أي : أم الذي ﴿خلقنا﴾ من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ﴿إنا خلقناهم﴾ أي : خلقنا أصلهم وهو آدم وهم من نسله ﴿من طين لازب﴾ لاصق يلصق ويعلق باليد لا رمل فيه. قال في ا"المفردات" : اللازب الثابت الشديد الثبوت ويعبر بالازب عن الواجب فيقال ضربة لازب اه والباء بدل من الميم والأصل لازم مثل مكة وبكة كما في "كشف الأسرار".والمراد إثبات المعاد ورد استحالتهم وتقريره أن استحالة المعاد إما لعدم قابلية المادة ومادتهم الأصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأرضي وهما باقيان قابلان الإنضمام بعد وإما لعدم قدرة الفاعل وهو باطل فإن من قدر على خلق هذه الأشياء العظيمة قادر على ما يعتد به بالإضافة إليها وهو خلق الإنسان وإعادته سيما ومن الطين اللازب بدأهم وقدرته ذاتية لا تتغير فهي بالنسبة إلى جميع المخلوقات على السواء (س هركاه خورشيد

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٣٣٤/٧

قدرت ازافق ارادت طلوع نمايد ذرات مقدورات در هواى ابداع وفضاى اختراع بجلوه در آيند) قدس سره : جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٤ كاينك زعدم سوى وجود آمده ايمﷺقال الشيخ سعدي قدس سره : بامرش وجود از عدم نقش بستكه داند جزاو كردن ازنيست هستدكره بكتم عدم در بردواز آنجا بصحراى محشر بردوفي الآية إشارة إلى أنه تعالى أودع في الطينة الإنسانية خصوصية لزوب ولصوق يلصق بكل شيء صادفه فصادف قوما الدنيا فلصقوا بها وصادف قوما الآخرة فلصقوا بها وصادف قوما نفحات ألطاف الحق فلصقوا بها فأذابتهم وجذبتهم عن أنانيتهم بهويتها كما تذيب الشمس الثلج وتجذبه إليها فطوبى لعبد لم يتعلق بغير الله تعالى.قال الحافظ : غلام همت آنم كه زير رخ كبودزهره رنك تعلق ذيرد آزادست﴿بل عجبت ويسخرون﴾ . قال سعدي المفتي إضراب عن الأمر بالاستفتاء أي : لا تستفتهم فإنهم معاندون ومكابرون لا ينفع فيهم الاستفتاء وانظر إلى تفاوت حالك وحالهم أنت تعجب من قدرة الله تعالى على خلق هذه الخلائق العظيمة ومن قدرته على الإعادة وإنكارهم للبعث وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث. وقال قتادة : عجب نبي الله من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك أن النبي عليه السلام كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولم يؤمنوا عجب من ذلك النبي عليه السلام فقال الله تعالى : ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ والسخرية الاستهزاء والعجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا **قال بعض الحكماء العجب** ما لا يعرف سببه ولهذا قيل : ٤٥١لا يصح على الله التعجب إذ هو علام الغيوب لا يخفى عليه خافية. والعجب في صفة الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار الشديد والذم كما في قراءة بل عجبت بضم التاء وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما في حديث "عجب ربكم من شاب ليست له صبوة ونخوة".وفي "فتح الرحمن" هي عبارة عما يظهره الله في جانب المتعجب منه من التعظيم والتحقير حتى يصير الناس متعجب منه انتهى. وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال : إن الله تعالى لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله فقال : ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ (الرعد : ٥) أي : هو كما تقوله.جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٤." (١)

"وقال المولى محمد الرومي في "المجالس" : ومما يجب الإيمان به الرسل. والمراد من الإيمان بهم العلم بكونهم صادقين فيما أخبروا به عن الله ؛ فإنه تعالى بعثهم إلى عباده ليبلغوهم أمره ونهيه ووعده ووعيده ، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم أولهم آدم وآخرهم محمد عليه السلام ، فإذا آمن بالأنبياء السابقة ، فالظاهر أنه يؤمن بأنهم كانوا أنبياء في الزمان الماضي لا في الحال إذ ليست شرائعهم بباقية ، وأما الإيمان بسيدنا محمد عليه السلام ، فيجب بأنه رسولنا في الحال ، وخاتم الأنبياء والرسل فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمنا ، ومن قال : آمنت بجميع الأنبياء ، ولا أعلم آدم نبي أم لا ، فقد كفر ثم إنه لم يبين في القرآن عدد الأنبياء ، كم هم ، وإنما المذكور فيه باسم العلم على ما ذكر بعض المفسرين ثمانية وعشرون وهم : آدم ونوح وإدريس وصالح وهود وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويوسف ولوط ويعقوب وموسى وهارون وشعيب وزكريا ويحي وعيسى وداود وسليمان وإلياس واليسع وذو الكفل وأيوب ويونس ومحمد وذو القرنين وعزير ولقمان على القول بنبوة هذه الثلاثة الأخيرة. وفي "الأمالي" : ()جزء : ٨ رقم

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٣٥٢/٧

الصفحة : ١٤٨وذو القرنين لم يعرف نبياكذا لقمان فاحذر عن جدالوذلك لأن ظاهر الأدلة يشير إلى نفي النبوة عن الأنثى وعن ذي القرنين ولقمان ونحوهما ، كتبع فإنه عليه السلام : قال : "لا أدري أهو نبي أم ملك" ، وكالخضر فإنه قيل : نبي ، وقيل : ولي ، وقيل : رسول. فلا ينبغي أن يقطع بنفي أو إثبات ؛ فإن اعتقاد نبوة من ليس بنبي كفر كاعتقاد نفي نبوة٢١٥نبي من الأنبياء ، يعني : إذا كان متفقا على نبوته ، أو عدم نبوته. وأما إذا كان فيه خلاف ، فلا يكفر ؛ لأنه كالدليل الظني والكفر في القطعي.وفي "فتح الرحمن" : في سورة البقرة والمذكورون في القرآن باسم العلم ستة وعشرون نبيا ، وهم : آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وذو الكفل وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وعزير ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس واليسع صلوات الله عليهم أجمعين. وأشير إلى أشمويل بقوله تعالى : ﴿وقال لهم نبيهم﴾ (البقرة : ٢٤٧) ، وأشير إلى أرميا بقوله : ﴿أو كالذى مر على قرية﴾ (البقرة : ٢٥٩) وأشير إلى يوشع بقوله : ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ (الكهف : ٦٠).وأشير إلى أخوة يوسف بقوله : ﴿لقد كان فى يوسف وإخوته﴾ (يوسف : ٧).والأسباط ذكروا إجمالا وهم من ذرية أولاد يعقوب الاثني عشر نبيا ، وكان فيهم أنبياء ، وفي لقمان وذي القرنين خلاف كالخضر ، انتهى.**قال بعض الحكماء** : يجب على المؤمن أن يعلم صبيانه ونساءه وخدمه أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه حتى يؤمنوا بهم ، ويصدقوا بجميعهم ، ولا يظنوا أن الواجب عليهم الإيمان بمحمد عليه السلام فقط لا غير ، فإن الإيمان بجميع الأنبياء سواء ذكر اسمه في القرآن ، أو لم يذكر واجب على المكلف ، فمن ثبت تعينه باسمه يجب الإيمان به تفصيلا ، ومن لم يعرف اسمه يجب الإيمان به إجمالا.وحكى ابن قتيبة في "المعارف" أن الأنبياء مائة ألف أوأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر ، منهم خمسة عبرانيون ، وهم : آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم. وخمسة من العرب : هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليه السلام.قال في "التكملة" : هذا الذي ذكر ابن قتيبة لا يصح ؛ لأنه قد روي : أنه كان من العرب نبي آخر ، وهو خالد بن سنان بن غيث ، وهو من عبس بن بغيض. روي : عن النبي عليه السلام أنه قال فيه : "ذلك نبي أضاعه قومه". وردت ابنته على رسول الله عليه السلام ، فسمعته يقرأ : ﴿قل هو الله أحد﴾ . فقالت : كان أبي يقول هذا.جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٤٨قال ابن قتيبة : وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى.قال في "التكملة" : صاحبها ، وهذا عندي غير صحيح ؛ لأنه إن أراد أول الرسل فقد قال الله تعالى حكاية عن قول الرجل المؤمن من آل فرعون : ﴿ولقد جآءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ (غافر : ٣٤) ، فقد أخبر أنه أرسل إليهم يوسف ، وهو إما ابن يعقوب ، أو ابن إفراييم بن يوسف بن يعقوب على الخلاف المتقدم ، وإن أراد النبوة خاصة ، فيوسف وإخوته أنبياء ، وهم : بنو إسرائيل ؛ لأن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل ، وأول الأنبياء آدم وآخرهم محمد عليهم السلام.وروى ابن سلام وغيره عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : "لا تقولوا : لانبي بعد محمد. وقولوا : خاتم النبيين" ؛ لأنه ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا ، فيقتل الدجال ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها.." (١)

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ١٦٤/٨

"﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ قال في بحر العلوم في قوله أكثر دلالة على أنه كان فيهم من قصد بالمحاشاة وهو بالفارسية استثنا كردن. وعلى قلة العقلاء فيهم قصدا إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل إذا القلة تجري مجرى النفي في كلامهم ويؤيده الحديث السابق فيكون المعنى كلهم لا يعقلون إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب بل تأدبوا معه بأن يجلسوا على بابه حتى يخرج إليهم كما قال تعالى الفا : ﴿ولو أنهم صبروا﴾ الصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها ﴿حتى تخرج إليهم﴾ لو مختص بالفعل على ما ذهب إليه المبرد والزجاج والكوفيون فما بعد لو مرفوع على فاعلية لا على الابتداء على ما قاله سيبويه والمعنى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغيا بخروجه عليه السلام فإنها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول : أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها وثلثها بخلاف إلى فإنها عامة وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم ﴿لكان﴾ أي الصبر المذكور ﴿خيرا لهم﴾ من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثواب والثناء والإسعاف بالمسئول إذ روى أنهم وفدوا شافعين في أساري بني العنبر قال في القاموس : العنبر أبو حي من تميم قال ابن عباس رضي الله عنهما : بعث رسول الله عليه السلام سرية إلى حي بني العنبر وأمر عليهم عينية بن حصين فلما علموا أنه توجه نحوهم هبروا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله قائلا في أهله فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون والإجهاش كريستن راساختن. يقال : اجهش إليه إذا فزع إليه وهو يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمه وكان لكل امرأة من نساء رسول الله بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم فقالوا : يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبرائيل فقال : إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال عليه السلام لهم : أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا : نعم قال سبرة : أنا لا أحكم بينهم وعمى شاهد وهو أعور بن بشامة بن ضرار فرضوا به فقال الأعور : فأنا أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال عليه السلام : قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم وقال مقاتل : لكان خيرا لهم لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء ﴿والله غفور رحيم﴾ بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن تضيق ساحتهما عن هؤلاء المسيئين للأدب إن تابوا وأصلحوا قال الكاشفي : والله غفور وخداى تعالى آمرزنده است كسى راكه توبه كند ازبى ادبى رحيم مهربانست باهل ادب كه تعظيم سيد اولوا الألباب ميكنند هـ ادب جاذب رحمتست وحرمت جالب نعمت : جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦١ سرمايه ادب بكف آوركه اين متاعآنراكه هست سوء ادب نايدش بكف٦٨وفي هذا المقام أمور : الأول : أن في هذها لآية تنبيها على قدره قدره عليه السلام والتأدت معه بكل حال فهم إنما نادوه لعدم عقل يعرفون به قدره ولو عرفوا قدره لكانوا كما في الخبر يقرعون بابه بالأظافير وفي المناداة إشارة إلى أنهم رأوا من ورأوه من وراء الحجاب ولو كانوا من أهل الحضور والشهود لما نادوه كما قال بعضهم : كارنادان كوته انديش استيا دكردن كسى كه دريش استقال أبو عثمان المغربي قدس سره : الأدب عند الأكابر وفي مجلس السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلي والخير في الأولى والعقبى فكما لا بد من التأدب معه عليه السلام فكذا مع من استن بسنته كالعلما العالمين وكان جماعة من العلماء يجلسون على باب غيرهم ولا يدقون عليه بابه حتى يخرج لقضاء حاجته احتراما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام : ما دققت الباب على عالم قد كنت أصبر حتى يخرج إلي لقوله تعالى : ولو أنهم الخ وفي

الحديث أدبني ربي فأحسن تأديبي إلى أدبني أحسن تأديب فالفاء تفسير لما قبله قال بعض الكبار من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير ومخاطبة الناس باللين وقال إن كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة وإن كان كفؤك ونظيرك فاصحبه بالوفاء وإن كان دونك فاصحبه بالمرحمة وإن كان عالما فاحسبه بالخدمة والتعظيم وإن كان جاهلا فاحصبه بالسياسة وإن كان غنيا فاحصبه بالزهد وإن كان فقيرا فاحصبه بالجود وإن صحبت صوفيا فاحسبه بالتسليم **قال بعض الحكماء** عاشروا الناي معاشرة إن متم بكوا عليكم وإن غبتم حنوا إليكم.." (١)

"وفي التأويلات النجمية كما نطقكم الله فتنطقون بقدرته بلا شك كذلك حق على الله أن يرزقكم ما وعدكم وإنما اختص التمثيل بالنطق لأنه مخصوص بالإنسان وهو أخص صفاته انتهى وفي الآية دليل للتوكل على الله وحث على طلب الحوائج منه وأحوالهم على رؤية الوسائط ولو كانوا على محل التحقيق لما أحالهم على السماء ولا على الأرض فإنه لو كانه السماء من حديد والأرض من نحاس فلم تمطر ولم تنبت وكان رزق جميع العباد على رقبة ولي من أولياء الله الكمل ما يبالي لأنه خرج من عالم الوسائط ووصل إلى صاحب الوسائط والله تعالى إنما يفعل عند الأسباب لا بالأسباب ولو رفع الأسباب لكان قادرا على إيصال الرزق فإنه إنما يفعل بأمركن وبيده الملكوت وهذا مقام عظيم فلما سلمت النفوس فيه من الاضطراب والقلق لعل الفتاح أدخلنا في دائرة الفتوح آمين وعن الأصمعي أقبلت في البصرة من الجامع بعد الجمعة فطلع أعرابي على قعود وهو بالفتح من الإبل ما يقتعده الراعي في كل حاجة فقال : من الرجل؟ قلت : من بني أصمع قال : من أين أقبل؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمن أي من بيت الله الحرام قال : اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال : حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم فاستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح فقال : قد وجدنا ما وعد ربنا حقا ثم قال : وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق فصاح وقال : يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الخليل حتى حلف لم يصدقوه بالقول حتى ألجأوه اليمين قالها ثلاثا وخرجت معه نفسه نسأل الله التوكل والاعتماد ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم﴾ تفخيم لشأن الحديث لأنه استفهام معناه التعجب والتشويق إلى استماعه ومثله لا يكون إلا فيما فيه فخامة وعظيم شأن وتنبيه على أنه ليس مما علمه رسول الله عليه السلام بغير طريق الوحي إذ هو أمي لم يمارس الخط وقراءته ولم يصاحب أصحاب التواريخ ففيه إثبات نبوته وقال ابن الشيخ الاستفهام للتقرير أي قد أتاك وقيل إن لم يأتك نحن نخبرك والضيف في الأصل مصدر ضافه إذا نزل به ضيفا ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان قال الراغب أصل الضيف الميل يقال ضفت إلى كذا وأضفت كذا إلى كذا والضيف من مال إليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى كانوا اثني عشر ملكا منهم جبرائيل وميكائيل وزقائيل١٦٠جزء : ٩ رقم الصفحة : ١٤٥وتسميتهم ضعيفا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم أو لأنهم كانوا في حسبانه كذلك ﴿المكرمين﴾ صفة للضيف أي المكرمين عند الله بالعضمة والتأييد والاصطفاء والقربة والسفارة بين الأنبياء كما قال بل عباد مكرمون أو عند ابراهيم بالخدمة حيث

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٥٧/٩

خدمه بنفسه وبزوجته وأيضا بطلاقة الوجه وتعجيل الطعام وبأنهم ضيف كريم لأن ابراهيم أكرم الخليقة وضيف الكريم لا يكون إلا كريما وفي الحديث من آمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه قيل إكرامه تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قراه والقيام بنفسه في خدمته وقد جاء في الرواية أن الله تعالى أوحى إلى ابراهيم عليه السلام أكرم أضيافك فأعد لكل منهم شاة مشوية فأوحى إليه أكرم فجعله ثورا فأوحى إليه أكرم فجعله جملا فأوحى إليه أكرم فتحير فيه فعلم أن إكرام الضيف ليس في كثرة الطعام فخدمهم بنفسه فأوحى إليه الآن أكرمت الضيف **وقال بعض الحكماء** لا عار للرجل ولو كان سلطانا أن يخدم ضيفه وأيام ومعلمه ولا تعتبر الخدمة بالإطعام. قال الشيخ سعدي : شنيدم كه مرديست اكيزه يومشناسا ورهرو دراقصاى رومن وند سالوك صحرا نوردبرفتيم قاصد بديدار مردسروشم هريك ببوسيد ودستبتميكن وعزت نشاند ونشستزرش ديدم وزرع وشاكر دورختولي بي مروت وبى بردرختبخلق ولطف كرم رومرد بودولي ديكدانش قوي سرد بودهمه شب نبودش قرار وهجوعزتسبيح وتهليل ومار از جوعسحر كه ميان بست ودر باز كردهمان لطف دوشنيه آغاز كرديكى بدكه شيرين وخوش طبع بودكه باما مسافر دران ربع بودمرا بوسه كفته بتصحيف دهكه درويش را توشه ازبوسه بهبخدمت منه دست بر كفش منمرا نان ده وكفش بر سربزجزء : ٩ رقم الصفحة : ١٤٥." (١)

"لاشتمال النبي عليه السلام على أمته كما قال إن إبراهيم كان أمته قانتا انتهى ومعنى الآية إذا عرفت يا محمد هذه المذكورات فبأي نعمة من نعم ربك تتشكك بأنها ليست من عند الله أو في كونها نعمة وبافراسية س بكدامين ازنعمتهاى آفريدكار خودشك مى آرى وجدال ميكنى. فكما نصرت إخوانك من الأنبياء الماضين ونصرت أولياءهم وأهلكت أعدائهم فكذلك افعل بك فلا يكن قلبك في ضيق وحرج مما رأيت من إصرار هؤلاء القوم وعنادهم واستكبارهم ﴿هاذا نذير من النذر الاولى﴾ هذا إما إشارة إلى القرآن والنذير مصدر أي هذا القرآن الذي تشاهدونه إنذار كائن من قبيل الإنذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها أو إلى الرسول والنذير بمعنى المنذر أي هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين.جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٠٨وفي التأويلات النجمية يشير إلى القرآن أو إلى الرسول وشبه إنذارهما بإنذار الكبت الماضية والرسول المتقدمة.يقول الفقير : فيه إشارة إلى نذارة كمل ورثته عليه السلام فإن كل نذير متأخر فهو من قبيل النذر الأولى لاتحاد كلمتهم ودعوتهم إلى الله على بصيرة وكذا ما ألهموا به من الإنذارات بحسب الإعصار والمشارب فطوبى لأهل المتابعة وويل لأهل المخالفة.بكوى آنه دانى سخن سودمندوكر هي كس را نيايد سندكه فردا شيمان بر آرد خروشكه آوخ راحق نكردم بكوشبكمراه كفتن نكو ميروبكناه بزركست وجور قومكو شهد شيرين شكر فايقستكسى راكه سقمونيا لا يقسته خوش كفت يكروزدار وفروششفا بايدت داروى تلخ نوش﴿أزفت الازفة﴾ في آيراده عقيب المذكورات إشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة تعظيما للنبي عليه السلام وإن كانوا معذبين في الدنيا أيضا في الجملة واللام للعهد فلذا صح الإخبار بدونها ولو كانت للجنس لما صح لأنه لا فائدة في الإخبار بقرب آزفة ما فان قلت : الإخبار بقرب الآزفة المعهودة لا فائدة فيه أيضا قلت : فيه فائدة وهو التأكيد وتقرير الإنذار والأزف ضيق الوقت لقرب وقت الساعة وعلى ذلك عبر عن القيامة بالساعة يقال : أزف الترحل

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ١٣٠/٩

كفرح ازفا وازوفا دنا والأزف محركة الضيق كما في القاموس والمعنى دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة أي في الدلالة على كمال قربها لما في صيغة الافتعال من المبالغة ففي الآية إشارة إلى كمال قربها حيث نسب القرب إلى الموصوف به ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ أي ليس لها أنفس قادرة على كشفها أي إزالتها وردها عند وقوعها في وقتها المقدر لها إلا الله لكنه لا يكشفها من كشف الضر أي أزاله بالكلية فالكاشفة اسم فاعل والتاء للتأنيث والموصوف مقدر أوليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها إلا الله فإنه المؤخر لها يعني لو وقت الآن لم يردها إلى وقتها أحد إلا الله فالكشف بمعنى الإزالة لا بالكلية بل بالتأخير إلى وقتها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله أي عالمة به من كشف الشيء إذا عرف حقيقته أو مبينة له متى تقوم وفي القرآن لا يجليها لوقتها إلا هو أوليس لها من غير الله كشف٢٥٩على أن كاشفة مصدر كالعاقبة والخائنة وأما جعل التاء للمبالغة كتاء علامة فالمقام يأباه لإيهامه ثبوت أصل الكشف لغيره وفي الآية إشارة إلى قرب القيامة الكبرى ووقوع الطامة العظمى وهي ظهور الحقيقة المثلى لأهل الفناء عن نفوسهم والإقبال على الله بجميع الهمة وقوة العزيمة ليس لها من دون الله كاشفة بالنسبة إلى أهل الحجاب لأنهم مستغرقون في بحر الغفلة مستهلكون في أسر الشهوة والإنسان فإن في كل آن وزمان وماله شعور بذلك فيا ليته كشف عن غطائه وتشرف برؤية الله ولقائه وقد قالوا قيامة العارفين دائمة أي لأنهم في شهود امر على ما كان عليه ولا يتوقف شهودهم على وقوع القيامة الظاهرة ومن هنا قال الإمام علي كرم الله وجهه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فطوبى لمن زاد يقينه ووصل إلى حق اليقين وتمكن في مقام التحقيق والله المعينجزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٠٨﴿أفمن هاذا الحديث﴾ آيا ازين سخن كه قرأنست ﴿تعجبون﴾ إنكارا قال الراغب العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا **قال بعض الحكماء** العجب ما لا يعرف سببه ﴿وتضحكون﴾ استهزاء مع كونه أبعد شيء من ذلك قال الراغب واستعير الضحك للسخرية فقيل ضحكت منه ﴿ولا تبكون﴾ حزنا على ما فرطتم في شأنه وخوفا من أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المذكورة.." (١)

"﴿أفرءيتم﴾ خبر نمايد ﴿المآء الذى تشربون﴾ عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به ﴿ءأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أي من السحاب واحده مزنة وقيل : هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب ﴿أم نحن المنزلون﴾ له بقدرتنا والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام وإن كانت بمعنى الابصار أو المعرفة فالجملة الاستفهامية استئناف وهذا هو اختيار الرضى ﴿لو نشآء جعلناه أجاجا﴾ ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام في الشرطية الأولى للفرق بين المطعوم والمشروب في الأهمية وصعوبة الفقد يعني أن أمر المطعوم ههنا مع إثباتها مقدم على أمر المشروب وإن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ﴿فلولا تشكرون﴾ فهلا تشكرون ما ذكر جميعا من المطعوم والمشروب بتوحيد منعمه وإطاعة أمره أو فلولا تشكرون على أن جعلناه عذبا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن تحت العرش بحرا تنزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا ويوحي إلى السماء أن غربليه فتغربله فليس من قطرة تقطر إلا معها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الإبكيل معلوم ووزن معلوم إلا ما كان من يوم الطوفان فإنه نزل بغير كيل ولا وزن **وقال بعض الحكماء** :

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٩/٢١٢

إن المطر يأخذه قوس الله من البحر إلى السحاب ثم ينزل من السحاب إلى الأرض قال بعضهم : هو أدخل في القدرة لأن ماء البحر مر فيصعد ملحا وينزل عذبا وفي الآية إشارة إلى أن بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا أنهار جارية فلا يشرب أهلها إلا من المطر في المصانع فمنها القدس الشريف وينبع وجدة المحروسة ونحوها وللماء العذب مزيد فضل في هذه البلاد ولذا امتن الله به على العباد وفيها إشارة إلى ماء معرفة والعلم الإلهي فإنه ليس بالكسب والاجتهاد بل بمحض عطاء الله تعالى ولو شاء الله لجعل الماء العذب الجاري من مشرب الكشف والشهود ماء ملحا جاريا من مشرب الحجاب والاحتجاب والجهالة والضلالة فلا بد من الشكر على نعم المعارف والحقائق والحكم.جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣١٦واعلم أن من حفر بئرا فإما أن يصل إلى الماء أو لا فإن وصل فإما أن يكون ذلك الماء مالحا أو عذبا فعلى تقدير كونه عذبا ليس كالمطر الحاصل بلا أسباب فإه طيب طاهر خالص فهذا مثل علم علماء الرسوم ومثل علم علماء الحقيقة فإن الأنبياء والأولياء ملهمون من عند الله تعالى ولا خطأ في لوحي والإلهام أصلا ولذا نقول : إن علم الصوفية هو العلم الصواب كله فعلمهم تذكري ليس لهم احتياج إلى ترتيب المقدمات بخلاف علماء الرسوم فإن علمهم تفكري هتاج إلى ذلك ولا بد لطالب الفيض من تهيئة المحل قبل وروده ألا ترى إلى صاحب الحرث فإنه يشتغل بتهيئة الأرض وإلقاء البذر ولا يدري من ينزل المطر فإذا نزل أصاب محزه.ثم اعلم أن الروح ينزل بالمطر وله تعين في كل نشأة بما يناسبه فعند تمام الخلقة في الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره لكن عبر عنه بالنفخ لأن العقل قاصر عن دركه وكان عليه السلام يكشف رأسه عند نزول المطر ويقول حديث عهد بربه فالروح أي روح كان سبب للحياة مطلقا٣٣٤فينبغي تلقي التجليات الواردة من قبل الحق بهيئة المحل كما أن النبي عليه السلام كشف رأسه وهيأ محل نزول المطر وذلك لأن المطر ينزل من العلو فلقي على أعلى شيء في الإنسان وهو الرأس ﴿أفرءيتم النار التى تورون﴾ الإيراء آتش از آتش زنه بيرون كردن. أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة يقال ناقة طروقة أي بلغت أن يضربها الفحل لأن الطرق الضرب ﴿ءأنتم أنشأتم شجرتهآ﴾ التي منها الزناد وهي المرخ والعفار كما مر في صورة يس ﴿أم نحن المنشاون﴾ لها بقدرتنا ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ استئناف مبين لمنافعها أي جعلنا نار الزناد تذكير النار جهنم من حيث عقلنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أوعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وموعظة وأنموذجا من جهنم لما روى عن النبي عليه السلام : "ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم" وقيل تبصرة في أمر البعث فإنه ليس أبدع من إخراج النار من الشيء الرطب وفي عين المعاني وهو حجة على منكري عذاب القبر حيث تضمن النار ما لا يحرق ظاهرهجزء : ٩ رقم الصفحة : ٣١٦." (١)

"يترتب عليه غيره ويستعمل على أوجه أولها المتقدم بالزمان كقولك عبد الملك أولا ثم منصور والثاني المتقدم بالرياسة في الشيء وكون غيره محتذيا به نحو الأمير أولا ثم الوزير والثالث المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق القادسية أولا ثم فيد وهي قرية في البادية على طريق الحاج وللخارج من مكة فيد أولا ثم القادسية والرابع المتقدم بالنظام الصناعي نحو أن يقال الأساس أولا ثم البناء وإذا قيل في صفة الله هو الأول فمعناه الذي لم يسبقه في الوجود شيء وإلى هذا يرجع

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٢٧٣/٩

قول من قال هو الذي لا يحتاج إلى غيره ومن قال هو المستغني بنفسه والظاهر والباطن في صفة الله لا يقال مزدوجين كالأول والآخر فالظاهر قيل إشارة إلى معرفتنا البديهية فإن الفطرة تفضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى موجود كما قال تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ولذلك **قال بعض الحكماء مثل** طالب معرفته مثل من طوف الآفاق في طلب ما هو معه والباطن إشارة إلى معرفته الحقيقية وهي التي أشار إليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقوله : يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل ظاهر بأنه محيط بالأشياء مدرك لها باطن في أن يحاط به كما قال لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وقد روي عن أمير المؤمنين ما دل على تفسير اللفظين حيث قال تجلى لعباده من غير أن رأوه وأراهم نفسه من غير أن تجلى لهم ومعرفة ذلك تحتاج إلى فهم ثاقب وعقل واقد كما في المفردات وأيضا هو الأول في عين آخريته والآخر في عين أوليته والظاهر في عين باطنيته والباطن في عين ظاهريته من حيثية واحدة وباعتبار واحد في آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة والحيثيات المتنافرة المتباينة لإحاطته بالكل واستغنائه عن الكل قيل للعارف الرباني أبي سعيد الخراز قدس سره : بم عرفت الله؟ قال : بجمعه بين الأضداد فتلا هو الأول والآخر والظاهر والباطن ولا يتصور الجمع بين الأضداد إلا من حيثية واحدة واعتبار واحد في آن واحد وهو بكل شيء من الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية عليم إذ علمه عين ذاته وذاته حيط باوشياء كما قال والله بكل شيء محيط كما في التأويلات النجمية وقال الواسطي رحمه الله : لم يدع للخلق نفساف بعدما أخبر عن نفسه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وقال أيضا : من كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مربوطا بما يستقبل ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السر من أنواره وقال أيضا : حظوظ الأنبياء عليهم السلام مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها فمن جمعها كلها فهو أوسطهجزء : ٩ رقم الصفحة : ٣٤٤م ومن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام وهي قوله هو الأول الخ وقال أيضا : من ألبسه الأولية فالتجلي له في الآخرية محال لأنه لا يتجلى إلا لمن فقده أو كان بعيدا عنه فقربه وقال الجنيد قدس سره : نفي القدم عن كل أول بأوليته ونفي البقاء عن كل آخر بآخريته واضطر الخلق إلى الإقرار بربوبيته بظاهريته وحجب الإفهام عن إدراك كنهه وكيفيته بباطنيته وقال السدي هو الأول ببره إذ عرفك بتوحيده والآخر بجوده إذ عرفك التوبة عن ما جنيت والظاهر٣٤٨بتوفيقه إذ وفقك للسجود له والباطن بستره إذا عصيته يستر عليك وقال ابن عمر رضي الله عنه : هو الأول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالاحياء والباطن بالإماتة وأيضا الأول بلا تأويل أحد والآخر بلا تأخير أحد والظاهر بلا إظهار أحد والباطن بلا إبطال أحد والأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم والأول يكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والآخر يكشف أحوال العقبى حتى لا يشكوا فيها والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكروه والأول بالأزلية والآخر بالأبدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية والأول بالهيبة والآخر بالرحمة والظاهر بالحجة والباطن بالنعمة واوول بالعطاء والآخر بالجزاء والظاهر بالثناء والباطن بالوفاء والأول بالهداية والآخرة بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية. صاحب كشف الأسرار فرموده كه زبان رحمت ازروى اشارت ميكويد اى فرزند آدم خلق درحق توهارك كروه اند اول كروهى كه در اول حال ترابكار آيند ون در ومادر دوم

جمعى كه در آخر زندكانى دست كيرند ون اولاد وأحفاد سوم زمره كه آشكارا باتو باشند ون دوستان وياران. هارم فرفه كه نهان باتو معاش كنند ون زنان وكنيزان. رب العالمين ميفرمايد كه اعتماد برينها مكن وكار ساز خود ايشانرا منداركه اول منم كه ترا از عدم بوجود آردم آخر منم كه باز كشت توبمن خواهد بود ظاهر منم كه صورت توبخوبتر وجهي بيار استم باطن منم كه اسرار وحقايق درسينه تووديعت نهادم : اول وآخر تويى كيست حدوث وقدمظاهر وباطن تويى يست وجود وعدم." (١)

"قال الراغب : التكبر يقال على وجهين أحدهما أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالمتكبر وهو ممدوح والثاني أن يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك في وصف عامة الناس والموصوف به مذموم وفي الحديث : "الكبرياء ودائي والعظمة ازاري فمن نازعني في شيء منهما قصمته" قال بعضهم : الفرق بين المتكبر والمستكبر أن المتكبر عام لإظهار الكبر الحق كما في أوصاف الحق تعالى ولإظهار الكبر الباطل كما في قوله سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق والكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك كما في العوارف والاستكبار باطلا كما في قوله تعالى في حق إبليس استكبر وغير ذلك كما تجده في موارد استعمالاته في القرآن والحديث وقال في الأسئلة المقحمة ما معنى المتكبر من أسماء الله فإن التكبر مذموم في حق الخلق والجواب معناه هو المتعظم عما لا يليق به سبحانه وهو من الكبرياء لا من التكبر ومعناه المبالغة في العظمة والكبرياء في الله وهو الامتناع عن الإنقياد فلهذا كان مذموما في حق الخلق وهو صفة مدح في حق الله تعالى انتهى فإن قلت ما تقول في قوله عليه السلام حين قال له عمه أبو طالب ما أطوعك ربك يا محمد وأنت يا عم لو أطعته أطاعك قلت هذه الإطاعة والانقياد للمطيع لا للخارج عن أمره فلا ينافي عدم انقياده لغيره فهو المتكبر للمتكبر كما أنه المطيع للمطيع قال بعضهم : المتكبر هو الذي يرى غيره حقيرا بالإضافة إلى ذاته فينظر إلى الغير نظر المالك إلى عبده وهو على الإطلاق لا يتصور إلا تعالى فإنه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة إلى كل شيء من كل وجه ولذلك لا يطلق على غيره تعالى إلا في معرض الذم لما أنه يفيد التكلف في إظهار ما لا يكون قال عليه السلام : تحاجت النار والجنة فقالت : هذه يدخلني الجبارون المتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها ومن عرف علوه تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل قيل الفقير في خلقه أحسن منه في جديد غيره فلا شيء أحسن على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة قال بعض الحكماء ما أعز الله عبدا بمثل ما يدل على ذل نفسه وما أذله بمثل ما يدل على عز نفسه.جزء : ٩ رقم الصفحة : ٤١٥ . حكي . أن بعضهم قال : رأيت رجلا في الطواف وبين يديه خادمان يطردان الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال : إني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس وعبد المتكبر هو الذي فنى تكبره بتذلله للحق حتى قام كبرياء الله مقام كبره فيتكبر بالحق على ما سواه فلا يتذلل للغير قال الإمام الغزالي قدس سره المتكبر من العباد هو الزاهد ومعنى زهد العارف أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتكبر في كل شيء سوء الله تعالى فيكون مستقرا للدنيا

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٢٨٥/٩

والآخرة مرتفعا عن أن يشغله كلتاهما عن الحق وزهد العارف معاملة ومعارضة فهو إنما يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة فيترك الشيء عاجلا طمعا في إضعافه آجلا وإنما هو سلم ومبايعة ومن استبعدته٤٦٥ شهوته المطعم والمنكح فهو حقير وإنما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ بتصور أن تشاركه فيها البهائم وخاصية هذا الاسم الجلالة ظهور الخير والبركة حتى أن من ذكره ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقرأه قبل جماعها عشرا رزق منها ولدا صالحا ذكرا وفي الأربعين الإدريسية يا جليل المتكبر على كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده قال السهر وردي رحمه الله مداومه بلا فترة يجل قدره ويعز أمره ولا يقدر أحد على معارضته بوجه ولا بحال ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى أو عن إشراكهم به أثر تعداد صفات لا يمكن أن يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلا أي سبحوا الله تسبيحا ونزهوه تنزيها عما يشركه الكفار به من المخلوقات فالله تعالى أورده لإظهار كمال كبريائه وللتعجب من إثبات الشرك بعدما عاينوا آثار اتصافه بجلال الكبرياء وكمال العظمة.جزء : ٩ رقم الصفحة : ٤١٥." (١)

"آروزى كل بود كل خواره راكلشكر نكوارد آن بياره را﴿الذى يصلى النار الكبرى﴾ أي يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار.وآتش آن از آتش دركات ديكر تيز تروسوزنده تراست وآن جاي آل فرعون ومنافقان ومنكران مائده عيسى عليه السلام اشد ونار صغرى رر طبقه علياكه اي كنهكاران امت محمد مصطفاست عليه السلام.جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٠٢ فالكبرى اسم تفصيل لأنه تأنيث الأكبر والمفضل هو ما في أسفل دركات جهنم من النار التي هي نصيب الكفار كما قال تعالى : ﴿إن المنافقين فى الدرك الاسفل من النار﴾ والمفضل عليه مافي الدكرات التي فوقها فإن لجهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما أن في الدنيا ذنوبا ومعاصي متفاضلة فكما أن الكفار أشقى العصاة كذلك يصلون أعظم النيران وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا يعني إن المفضل نار الآخرة والمفصل عليه نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم وقد غمست ف يماء البحر مرتين ليدنى منها وينتفع بها ولولا ذلك ما دنوتم منها ويقال إنها تتعوذ بالله من جهنم وإن ترد إليها.يقول الفقير : الظهر إن المراد بالنار الكبرى هو العذاب الأكبر في قوله تعالى فيعذبه الله العذاب٤٠٨ الأكبر وهو عذاب الآخرة وأما العذاب الأصغر فهو عذاب الدنيا وعذاب البرزخ فإنه يصغر بالنسبة إلى عذاب الآخرة **قال بعض الحكماء** علامة الشقاوة أشياء كثيرة الأكل والشرب والنوم والإصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان الرب والوقوف بين يدي املك الجبار فهذا هو الأشقى الذي يدخل النار الكبرى.وفي التأويلات النجمية : النار ناران نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات والذات وهي الصغرى ونار حجاب الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخران والطرد والهجران كما قال تعالى ومن كان ف يهذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاف لفوات الاستعداد. وقال القاشاني : النار الكبرى هي نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر في مقام الصفات ونار الغضب والسخط في مقام الأفعال ونار جهنم الأثار في المواقف الأربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت أبد الآيدين فما أكبر ناره ثم لا يموت فيها﴾ حتى يستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه كما يقال لمن ابتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت وثم للتراخي من مراتب الشدة لأن التدد بي الموت والحياة أفضع من نفس الصلى وقال

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٣٧٦/٩

ابن عطاء لا يموت فيستريح من غم القطعية ولا يحيي فيصل إلى روح الوصلة.وفي التأويلات النجمية : لا يموت نفسه بالكلية ليستريح من عقوبات الحجاب والاحتجاب ولا يحيى قلبه بحياة الإيمان لكونه في دار الجزاء لا في دار التكليف. وقال القاشاني : لا يموت لامتناع انعدامه ولا يحيي بالحقيقة لهلاكه الروحاني أي يتعذب دائما سرمدا في حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك أعيد إلى الحياة وعذب فلا يكون ميتا مطلقا ولا حيا مطلقا.جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٠٢يقول الفقير لا يموت لأن الموت يذبح فلا موت ولا يحيى لأن المموم كالميت فيبقى في العذاب الروحاني كما يبقى في العذاب الجسماني قال بعض الكبار لا حياة إلا عن موت ولا موت إلا عن رؤية حي فمن مات غير هذا الموت فلا يحيى ومن حي غير هذهالحياة فهي حياة حيوانية لا حياة إنسانية ﴿قد أفلح﴾ أي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه ﴿من تزكى﴾ أي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وكلمة قد لما أن عند ابار بسوء حال المتجنب عن الذكرى ف يالآخرة يتوقع السامع الأخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره ﴿وذكر اسم ربه﴾ بقلبه ولسانه ﴿فصلى﴾ أقام الصلوات الخمس كقوله أقم الصلاة لذكرى أي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى فالمراد بالذكر تكبيرة الافتتاح لكن لا يختص الذكر عند الحنفية بأن يقول الله أكبر لعموم الذكر ودل العطف بالفاء التعقيبية عل عدم دخول الكبير في الأركان لأن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوفين قال الامام مراتب أعمال المكلف ثلاث فأولاها إزالة العقائد الفاسدة عن القلب وهي المرادة بالتزكى والثانية استحصار معرفة الله بذاته وصفاته وأسمائه وهي المرادة بالذكر لأن الذكر بالقلب ليس إلا المعرفة والثالثة الاشتغال بالخدمة والطاعة وهي المرادة بالصلاة فإنها عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لا بد وإن ظهر في جوارحه وأعضائه أثر الخضوع والخشوع. قال بعضهم خلق الله وجها يصلح للسجدة وعينا تصلح للعبرة ودنا صلح للخدمة وقلبا يصلح للمعرفة وسرا يصلح للمحبة فاذكروا نعمة الله٤٠٩عليكم حيث زين ألستكم بالشهادة وقلوبكم بالمعرفة وأبدانكم بالعبادة.." (١)

"أحدهما عن الآخر ويجوز أن يكون المعنى والليل إذا يسر يعني يسرى فيه الساري ويسير فيه السائر فإسناد السرى إلى الليل مجاز كما في نهاره صائم أي هو صائم في نهاره فالتقيد بذلك لأن السير في الليل حافظ للسائر من حر الشمس فإن السفر مع مقاساة حر النهار أشد على النفس وقد قال النبي عليه السلام عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى في الليل وكذا هو حافظ من شر قطاع الطريق غالبا لأنهم مشغولون بالنوم في الليل وحذفت الياء اكتفاء بالكسر ولسقوطها في خط المصحف ولموافقة رؤوس الآي وإن كان وصل إثباتها لأنها لام فعل مضارع مرفوع وسئل الأخفش عن حذفها فقال أخذ مني سنة فسأله بعد سنة فقال الليل يسرى فيه ولا يسرى فعدل به عن معناه فوجب يعدل عن لظفه يعني إن سقوط الياء ليدل على أن أصل الفعل منفى عن الليل وإن كان مسندا إلى ضميره كما أن حركة العين في الحيوان تدل على وجود معنى الحركة في معنى لحيون لأن للتراكيب خواص بها تختلف وفيه إشارة إلى ظلمة الدن إذا ذهبت وزالت بتجرد الروح وإلى القسم بسريانه ليل الهوية المطلقة في نهار الحقائق المقيدة كما قال يولج اليل في النهار ويولج النهار في الليل برفع المقيدات بسطوات أنوار المطلق وإلى القسم بليلة المعراج التي أسرى الله بعبده فيها فكانت أشرف جميع الليالي لأنها ليلة القدر والشرف والقرب

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٣١٧/١٠

والوصال والخطاب ورؤية الجمال المطلق ﴿هل فى ذالك﴾ الخ تقرير وتحقيق لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول وتنبيه على الإقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الأخبار على طريقة قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم كما يقول من ذكر حجة باهرة هل فيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الأشياء المقسم بها ﴿قسم﴾ أي مقسم به وفي "فتح الرحمن" مقنع ومكتفى ﴿لذى حجر﴾ لذي عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حيقا بأن يقسم به إجلالا وتعظيما والمراد تحقيق إن الكل كذلك وإنما أوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وإيذانا بظهور الأمر أو هل في الأقسام بتلك الأشياء أقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه وبالفارسية آيادرين سوكندكه ياد كردم سوكندى سنديده مرخداوند عقل را تا اعتبار كند ودندكه سوكنديست.جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٢٠محقق ومؤكد والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمى عقلا ونهيه بضم النون لأنه يعقل وينهى وحصاة أيضا من الإحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال إنه لذ وحجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والتنوين في الحجر للتعظيم **قال بعض الحكماء** : العقل للقلب بمنزلة الروح للسجد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب الهائم والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن أي الكفار كما ينبيء عنه قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ الهمزة للإنكار وهو في قوة النفيو نفي النفي إثبات أي ألم تعلم يا محمد علما يقينيا اريا مجرى الرؤية في الجلاء أي قد علمت بأعلام الله تعالى وبالتواتر أيضا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب كفار قومك أيضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام٤٢٢." (١)

"﴿ لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ وقلب الكافر مع وجود اسباب الفهم والعقل وسعة هيئة القبول لا يخضع ولا يلينقالت المعتزلة خشية الحجر على وجه المثل يعنى لو كان له عقل لفعل ذلك ومذهب اهل السنة ان الحجر وان كان جمادا لكن الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه فان لله تعالى علما فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره ﴿ وان من شيء الا يسبح بحمده ﴾ وقال ﴿ والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ فيجب على المرء الايمان به ويحيل علمه الى الله تعالروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عنى فانى اخاف ان تؤخذ على فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء الى الى يا رسول اللهوكان النبي A اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية من فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحنت كحنين الناقة حتى سمعها اهل المسجد ونزل رسول الله عليه السلام فاعتنقها فسكنت : قال فى المثنوآنكه اوراد نبود ازاسرار داد ... كى كند تصديق اوناله جمادوبينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فاخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى استنقذها منه اى استخلصها فالتفت اليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى فقال الناس سبحان الله ذئب تكلم فقال رسول الله A إنا أومن به وابو بكر وعمر وعلى هذا انطاق الله جلود الكفار يوم القيامةذكر الشيخ قطب وقته الهدائى الاسكدارى فى واقعاته انه كان يسمع فى اثناء سلوكه من الماء الجارى ذكر يا دائم يا دائم : وفى المثنونطق آب ونطق خاك ونطق كل ... هست

---

(١) روح البيان @ ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٣٢٧/١٠

محسوس حواس اهل دلفلسفى كومنكر حنانه است ... از حواس اوليا بيكانه استهر كرا دردل شك وبيجانيست ... درجهان او فلسفى بنهانيستقال بعض الحكماء معنى قوله ﴿ ثم قست قلوبكم ﴾ يبست وييس القلب ان ييبس عن ماءين احدهما ماء خشية الله تعالى والثانى ماء شفقة الخلق وكل قلب لا يكون فيه خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة او اشد قسوة قال رسول الله A « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسى »." (١)

"قال بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة اوجه اولها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره والثانى انه يتسخط قسمته تعالى ويقول لربه لو قسمت هكذا والثالث ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضله والرابع انه خذل ولى الله لانه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه والخامس انه اعان عدوه يعنى ابليسواعلم ان حسدك لا ينفذ على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة او منام لرأيت نفسك ايها الحاسد فى صورة من يرمى حجرا الى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه اشد من الاولى فيرجع على عينه اليسرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثا فيعود ويرميه فيرجع الحجر على رأسه فيشجه وعدوه سالم فى كل حال وهو اليه راجع كرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين وقال بكر بن بن عبد الله كان رجل يأتى بعض الملوك فيقوم بحذائه ويقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسيئ سيكفيه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك وقال ان هذا الرجل يزعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندى قال ندعو به اليك فانظر فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه ان لا يشم ريح البخر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثؤم فخرج الرجل من عنده فقام بحذاء الملك فقال على عادته مثل ما قال فقال له الملك ادن منى فدنا منه واضعا يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثؤم فصدق الملك فى نفسه قول الساعى قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا لجائزة فكتب له كتابا بخطه الى عامل له اذا اتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب فاخذه منه بانواع التضرع والامتنان ومضى الى العامل فقال له العامل ان فى كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى امرى حتى اراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل كعادته فتعجب منه الملك فقال ما فعلت بالكتاب قال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته قال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى ابخر فقال كلا قال فلم وضعت يدك على انفك قال كان اطعمنى طعاما فيه ثؤم فكرهت ان تشمه قال ارجع الى مكانك فقد كفى المسيئ اساءته ونعم ما قيلهركه او نيك ميكند يابد ... نيك وبد هرجه ميكند يابداللهم احفظنا من مساوى الاخلاق." (٢)

"﴿ تلك امة ﴾ اى الانبياء جماعة ﴿ قد خلت ﴾ اى مضت بالموت ﴿ لها ما كسبت ﴾ من الاعمال ﴿ ولكم ما كسبتم ﴾ منها ﴿ ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ اى لا يسأل احد عن عمل غيره بل يسأل عن عمله ويجزى به وهذا

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١/٢٠٧

(٢) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١/٢٦٠

تكرير للآية السابقة بعينها للمبالغة فى الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء و الاتكال على اعمالهم قال الله تعالى ﴿ فاذا نفخ فى الصور فلا انساب ﴾ قيل لما انصرف هارون الرشيد من الحج اقام بالكوفة اياما فلما خرج وقف بهلول المجنون على طريقه وناداه بأعلى صوته يا هارون ثلاثا فقال هارون من الذى ينادينى تعجبا فقيل له بهلول المجنون فوقف هارون وامر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له ألم تعرفنى قال بلى اعرفك فقال من انا قال انت الذى لو ظلم احد فى المشرق وانت فى المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون وقال كيف ترى حالى قال اعرضه على كتاب الله وهى الجزء الثانى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقال اين اعمالنا قال انما يتقبل الله من المتقين قال واين قرابتنا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم قال واين شفاعة رسول الله لنا قال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا فلا بد من الاعمال الصالحة والاخلاص فيها فان الله يتقبلها لا غيرهاقال الجنيد الاخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميلهقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك عنهماوفى التتارخانئية لو افتتح للصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء على انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الاحسان**قال بعض الحكماء مثل** من يعمل الطاعة للرياء والسمعة كمثل رجل يخرج الى السوق وقد ملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس فلان ولا منفعة له سوى مقالة الناس وفى الحديث « اخلصوا اعمالكم لله تعالى فان الله لا يقبل الا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم وليس لله تعالى منه شيء » ومن احاديث المشارق « لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله » قال النووى المراد الذبح باسم غير الله كم ذبح للصنم او لموسى او غيرهماذكر الشيخ ابراهيم المراودى ان ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير اللهوقال الرافعى هذا غير محرم لانهم انما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم انتهى كلامه وعليه تحمل افعال المسلمين صيانة لهم عن الكفر وضياع الاعمال فان الموحد مطمح نظره رضى مولاه والتعبد اليه بما تيسر له من القربات اللهم اعصمنا من الزلات." (١)

"﴿ وماذا عليهم ﴾ اى على من ذكر من الطوائف ﴿ لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله ﴾ ابتغاء لوجه الله لان ذكر الايمان بالله واليوم الآخر يقتضى ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم فى الايمان بالله تعالى والانفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى ﴿ وكان الله بهم ﴾ وباحوالهم المحققة ﴿ عليما ﴾ فهو وعيد لهم بالعقاب فقد اخبر الله تعالى بدناءه همة الاشقياء وقصور نظرهم وانهم يقنعون بقليل من الدنيا الدنية ويحرمون من كثير من المقامات الاخروية السنية ولا ينفقونه فى طلب الحق ورضاه بل ينفقونه فيما لا ينبغىهركه مقصودش ازكرم آنست ... كه بر آرد بعالم آوازهباشد از مصر فضل وجود وكرم ... خانه او برون ز در وازه**قال بعض الحكماء مثل** من يعمل

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١/٣٢٦

الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو اراد ان يشترى به شيأ لا يعطى له شيء كذلك الذى عمل للرياء والسمعةقال حامد اللفاف اذا اراد الله هلاك امرىء عاقبه بثلاثة اشياء . اولها يرزقه العلم ويمنعه عن عمل العلماء . والثانى يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه عن معرفة حقوقهم . والثالث يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الاخلاص وانما يكون ذلك المذكور لخبث نيته وسوء سريرته لان النية لو كانت صحيحة لرزقه الله منفعة العلم ومعرفة حقوقهم واخلاص العملعبادت باخلاص نيت نكوست ... وكرنه جه آيد زبى مغز بوستجه زنار مغ درميانت جه دلق ... كه دبوشى ازبهر بندار خلقفعلى الفتى ان يتخلص من الرياء فى انفاقه وفى كل اعماله ويكون سخيا لا شحيحا فان شكر المال انفاقه فى سبيل الله : قال الشيخ العطار قدس سرهتوانكر كه ندارد باس درويش ... زدست غيرتش برجان رسدنيشويناسبه ما قال الحافظكنج قارون فروميرود از فكر هنوز ... خوانده باشى كه هم از غيرت درويشانستواذا كان بخيلا ومع هذا امر الناس بالبخل يكون ذلك وزرا على وزرقال صاحب الكشاف ولقد رأينا ممن بلى بلاء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص بصره وحل حبوته واضطرب وزاغت عيناه فى رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزائنه ضجرا من ذلك وحشرة على وجوده انتهى وهذا فى كل زمان لا يعطون ويمنعون من يعطى ان قدروا." (١)

"وقال الشيخ نجم الدين قدس سره فى تأويلاته لعل الاستثناء راجع الى الصديق رضى الله عنه فانه كان قبل مبعث النبي عليه السلام يوافقه فى طلب الحق قالت عائشة رضى الله عنها لم اعقل ابوى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله A طرفى النهار بكرة وعشيا وروى عن النبي عليه السلام « كنت وابو بكر كفرسى رهان سبقته فتبعنى ولو سبقنى لتبعته » وفى الحقيقة كان النبي عليه السلام فضل الله ورحمته يدل عليه قوله تعالى { هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو } الى قوله { ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء } وقوله تعالى { وما ارسلناك الا رحمة للعالمين } فلولا وجود النبي عليه السلام وبعثته لبقوا فى تيه الضلالة تائهين كما قال تعالى { ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين } يعنى قبل بعثته وكانوا قد اتبعوا الشيطان الى شفا حفرة من النار وكان وكان عليه السلام فضلا ورحمة عليهم فانقذهم منها كما قال تعالى { وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها } قال الشيخ العطار قدس سرهخويشتن راخواجه عرصات كفت ... انما انا رحمة مهدات كفتوقال حضرة الهدايي قدس سرهسرمايه سعادت عالم محمداست ... مقصود ازين طينت آدم محمد استدرصورت آدم آمد اكرجه مقدما ... درمعنى بيشواومقدم محمد استكرجه هدايي رسالت مكرم است ... محبوب حق محمد وخاتم محمد است**قال بعض الحكماء** ان الله تعالى خلق محمدا A فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء واذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الاخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة فلما اكمله بهذه الصفة ارسله الى هذه الامة فقال هذا هديتى اليكم فاعرفوا قدر هديتى وعظموه كذا فى زهرة الرياضوقيل فى وجه عدم ارتحال جسده الشريف النظيف من الدنيا ان عيسى عليه السلام قد عرج الى السماء بجسده انما بقى جسمه الطاهر

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٤٦٨/٢

هنا لاصلاح عالم الاجساد وانتظامه فانه مظهر الذات وطلسم الكائنات فجميع الانتظام بوجوده الشريف كذا فى الواقعات المحمودية نقلا عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس الله سره آمين آمين يا رب العالمين." (١)

"﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة ﴾ اى حاربتم جماعة كافة لان اللقاء مما غلب فى الحرب والقتال وهم ما كانوا يحاربون الا الكفار ﴿ فاثبتوا ﴾ وقت لقائهم وقتالهم ولا تنهزموا وفى الحديث « لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا » وانما نهى عن تمنى لقاء العدو لما فيه من صورة الاعجاب والوثوق بلقوة ولانه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو وتحقيرهم وهذا يخالف الاحتياط كما قالوا فى آداب المناظرة انه ينبغى ان لا يحسب المناظر الخصم حقيرا اى صغيرا ذليلا لان استحقار الخصم ربما يؤدى الى صدور الكلام الضعيف من المناظر لعدم المبالاة فيكون سببا لغلبة الخصم الضعيف عليه فيكون الضعيف قويا والقوى ضعيفا واشلر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اعمفعلى العاقل ان يسال العفو والعافية فانه لا يدرى ما يفعل بهاول شكسته باش كه اوج سرير ملك ... يوسف بس ازمجاورت قعر جاه يافت﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ اى فى تضاعيف القتال ومواطن الشدة بالتكبير والتهليل وغيرهما وادعوه بنصر المؤمنين وخذلان الكافرين ﴿ كالذين قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة . وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بالكلية فارغ البال واثقا بانه لطفه لا ينفعك عنه فى حال من الاحوال وعلى ان ذكر الله تعالى له تأثير عظيم فى دفع المضار وجلب المنافعتوبهر حالى كه باشى روز وشب ... يك نفس غافل مباش ازذكرربدرخوشى ذكر توشكر نعمتست ... دربلاها التجا باحضر تستقال بعض الحكماء ان لله جنة فى الدنيا من دخلها يطيب عيشه وهو مجالس الذكر وفى الحديث « ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم الى السماء الى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا آتينا على عباد من عبادك يعظمون آلامك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد A ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى غشوهم رحمتى فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم »قال فى انوار المشارق وكما يستحب لذكر يستحب الجلوس فى حلق اهله والعادة جرت فى حلق الذكر بالعلانية اذ لم يعرف فى كر الدهور حلقة ذكر اجتمع عليها قوم ذاكرون فى انفسهم فالذكر برفع الصوت اشد تأثيرا فى قمع الخواطر الراسخة على قلب المبتدى وايضا يغتنم الناس باظهار الدين بركة الذكر من السامعين فى الدور والبيوت ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته خصوصا فى مواضع الازدحام بين الغافلين من العوام لتنبيه الغافلين وتوفيق الفاسقين." (٢)

"خويشتن راخواجه عرصات كفت ... انما انا رحمة مهداة كفت﴿ عزيز عليه ما عنتم ﴾ العزيز الغالب الشديد وكلمة ما مصدرية والعنت الوقوع فى امر شاق واشق الامور دخول النار والجملة من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر صفة رسول . والمعنى شديد عليه عنتكم اى ما يلحقكم من المشقة والألم بترم الايمان فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسةقال الكاشفى [وبعضى برلفظ عزيز وقف كرده اند وبنرا صفة رسول دانند ومعنى عليه

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٣/٣٤

(٢) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٤/٤٣٥

ما عنتم برين فرود آرندكه براست آنجه بكيند ازكناه يعنى اعتذار آن برويست در روز قيامت بشفاعت تدارك آن خواهد نمود ودرين معنى كفته اند]نماند بعصيان كسى دركرو ... كه دارد جنين سيدى بيش رواكر دفترت ازكنه باك نيست ... جو او عذر خواهت بودباك نيست﴿ حريص عليكم ﴾ اى على ايمانكم وصلاح احوالكم اذ من البين انه عليه السلام ليس حريصا على ذواتهم والحرص شدة الطلب للشيء مع اجتهاد فيه كما فى تفسير الحدادى ﴿ بالمؤمنين ﴾ متعلق بقوله ﴿ رؤوف رحيم ﴾ قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة مع ان مقام المدح يقتضى الترقى من الفاضل الى الافضل محافظة على الفواصل وقدم بالمؤمنين على متعلقه وهو رؤف ليفيد الاختصاص اى لا رأفة ولا رحمة الا بالمؤمنين واما الكفار فليس له عليهم رأفة ولا رحمةقال فى التأويلات النجمية ﴿ بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ لتربيتهم فى الدين المتين بالرفق كما قال عليه السلام « ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه بالرفق وبالرحمة يعفو عن سيآتهم » كما امره الله تعالى بقوله ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ وفى قوله ﴿ ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ دقيقة لطيفة شسريفة وهى ان النبى A لما كان مخلوقا كانت رأفته ورحمته مخلوقة فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف الخلقة وان الله تعالى لما كان خالقا كانت رأفته ورحمته قديمة فكانت عامة للناس لقوة خالقيته كما قال ﴿ ورحمتى وسعت كل شيء ﴾ فمن تداركته الرافة والرحمة الخالقية من الناس قابلا للرأفة والرحمة النبوية لانها كانت من نتائج الرأفة والرحمة الخالقية ما قال ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ انتهى كلام التأويلات**قال بعض الحكماء** ان الله تعالى خلق محمدا اى روحه وجعل له صورة روحانية كهيئته فى الدنيا فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء واذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الاخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة ألا ترى انه تفل فى بئر رومة فى المدينة وكان ماؤها زعاقا فصار عذبا ولما اكمله بهذه الصفات ارسله الى هذه الامة -روى- انه لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبى عليه السلام ما لم تكن نالته منه فى حياته خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش من قرابته وعترته خصوصا من عمه ابى لهب وزوجته ام جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب يقولون له انت الذى جعلت الآلهة الها واحدا فجعل ابو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وكان خروجه فى شوال سنة عشرة من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا وان يناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه وكان ثقيف اخواله عليه السلام فلما انتهى الى الطائف عمد الى اشراف ثقيف وكانوا اخوة ثلاثة فجلس اليهم وكلهم فيما جاءهم به فقال احدهم هو يقطع ثياب الكعبة ولا يسرقها وقال آخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لانت اعظم خطرا اى قدرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى ان اكلمك فقام عليه السلام من عندهم مأيوسا وقال لهم اكتموا على وكره ان يبلغ قومه ذلك فيشتد امرهم عليه وقالوا عليه السلام اخرج من بلدنا وسلطوا عليه سفهاءهم يسبونه ويصيحون ب حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر عليه

السلام بين الصفين دقوا رجليه بالحجارة حتى ادموهما وشجوا رأس زيد فلما خلص ورجلاه يسيلان دما عمد الى بستان فاستظل فى شجرة كرم ودعا بقوله." (١)

"﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ يا نوح انه ﴾ اى ابنك ﴿ ليس من اهلك ﴾ الذين غمهم الوعد بالانجاء لخروجه منهم بالاستثناء فان مدار الاهلي هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافروعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة انه ابنه غير انه خالفه فى العمل**قال بعض الحكماء** الابن اذا لم يفعل ما فعل الاب انقطع عنه والامة اذا لم يفعلوا ما فعل نبيهم اخاف ان ينقطعوا عنه فظهر ان لا فائدة فى نسب من غير علم وعمل وفى فخر بمجرد الآباء : قال السعدى قدس سرهجو كنعانرا طبيعت بى هنر بود ... بميبر زاده كى قدرش نيفزودهنر بنماى اكر دارى نه كوهر ... كل از خارست وابراهيم از آزروفى الحديث « يا بنى هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتونى بانسابكم » والغرض تقبيح الافتخار لديه عليه السلام بالانساب حيث يأتى الناس بالاعمالوما ينفع الاصل من هاشم ... اذا كانت النفس من باهلهوهي تقبيلة معروفة بالدناءة لانهم كانوا يأكلون نقى العظام الميتة ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ اصله انهما متلازمان للايذان بان النجاة انما كانت بسبب الصلاحيقول الفقير لاح لى حين المطالعة معنى آخر وهو ان العمل بمعنى الكشب والفعل ولا يبعد ان يكون المعنى انه كسب غير صالح من غير احتياج الى تقدير مضاف وقد ورد فى الحديث تسمية الولد كسبا فى قوله « ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه » وفى قوله « انت ومالك لابيك »قيل لحكيم وهو يواقع زوجته ما تعمل قال ان تم فانسانا ﴿ فلا تسألن ﴾ سمى نداؤه سؤالا لما فيه من السؤال والطلب اى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب منى ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ اى مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة ﴿ انى اعظك ﴾ [بندميدهم ترا] ﴿ ان تكون ﴾ اى كراهة ان تكون ﴿ من الجاهلين ﴾ عبر عن ترك الاولى بالجهل لان استثناء من سبق عليه القول قد دله على الحال واغناء عن السؤال اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه." (٢)

"﴿ قال ﴾ مناجيا لربه ﴿ رب السجن ﴾ الذى اوعدتنى بالالقاء فيه وهو بالفارسية [زندان] ﴿ احب الى مما يدعوننى اليه ﴾ اى آثر عندى من موافقتها لان للاول حسن العاقبة دون الثانىعجب درمانده ام دركار اينان ... مرازنداد به از ديدار اينان به از صد سال در زندان نشينمكه يكدم طلعت اينان به بينم ... بنا محرم نظر دلرا كند كورزدو لتخانه قرب افكند دور ... وعند ذلك بكت الملائكة رحمة له وهبط اليه جبريل فقال له يا يوسف يقرئك السلام ويقول لك اصبر فان الصبر مفتاح الفرج وعاقبته محمودة واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وخوفنه من مخالفتها او لانهن جميعا دعونه الى انفسهن كما ذكر**قال بعض الحكماء** لو قال رب العافية احب الى لعافاه الله ولكن لما نجا بدينه لم يبال ما اصابه فى الله والبلاء موكل بالمنطقوعن معاذ سمع النبى A رجلا يقول اللهم انى اسألك الصبر قال « سألت البلاء فاسأل العافية »قال الشيخ سعدى [فى كتاب الكلستان بارسايى را ديدم كه بركنار دريا زحم بلنك داشت وبه هيج دارو به نمى شد ومدتها دارن رنجورى بودومدام شكر خدا مى كزاريد برسيدندش كه جه شكر كنى كفت شكر آنكه بمصيبتى كرفتارم

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٥/٢١٠

(٢) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٥/٤٣٢

نه بمعصيتي بل مردان خدا مصيبت بر معصيت اختيار كنند نه بيني كه يوسف صديق دران حالت جه كفت قال رب السجن الآية]كرمى بكشتن دهد آن يار عزيز ... تانكويي كه دران دم غم جانم باشدكويم از بنده مسكين جه كنه صادر شد ... كودل أزرده شد ازمن غم آنم باشد﴿ والا ﴾ وان لم ﴿ تصرف عنى كيدهن ﴾ [واكر نكردانى از من مكر وفريب ايشانرا يعنى مرا در بناه عصمت نكيرى] ﴿ اصب اليهن ﴾ امل الى جانبهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية اى ميلا اختياريا قصديا والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب تسميتها وروحها . وهذا فزع منه الى الطاف الله جريا على سنن الانبياء والصالحين فى قسر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركنى والا هلكت لانه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفى نفسه داعية تدعوه الى هواهن ﴿ واكن من الجاهلين ﴾ اى الذين لا يعلمون بما يعلمون لان من لم يعمل بعلمه هو الجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعوننى اليه لان الحكيم لا يفعل القبيحوفيه دلالة بينة على ان ارتكاب الذنب والمعصية على جهل وسفاهة وان من زنى فقد دخل من جملة الكاذبين فى الجهل." (١)

"ومن هذا القبيل ذكر ان السلطان محمود غزا بلاد الهند اذا صرفوا همتهم الى ذلك يقع المرض على وفق ماهتموا فاشار اليه بعض اصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة لتشويش همتهم ففعل ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة فهذا تاثير الهمة . واما تأثير المحبة فقد حكى ان بعض الناس كان يهوى شابا يلقب ببدر الدين فاتفق انه توفى فى ليلة البدر فلما اقبل الليل وتكمل البدر لم يتمالك محبة رؤيته من شدة الحزن وانشد يخاطب البدر شقيقك غيب فى لحجه وتطلع يا بدر من بعده فهلا خسفت وكان الخسوف لباس الحداد على فقده فخسف القمر من ساعته لانظر على صدق هذه المحبة وتأثيرها فى القمر وصدق من قال ان المحبة معناطيس القلوب وتأثير الارواح فى الاجسام امر مشاهد محسوس فالتأثير للارواح ولشدة الاتباطها بالعين نسبت اليها **قال بعض الحكماء ودليل** ذلك ان ذوات السموم اذا اقتلت بعد لسعها خف اثر لسعها لان الجسد تكيف بكيفية السم وصار قابلا للانحراف فما دامت حلة فان نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها وانتشاق الملسوع به وهذا مشاهد ولا اقول ان خاصية قتلها منحصرة فيها فقط بل هى احدى فوائدها المنقولة عنها واصل ذلك كله من اعجاب العائن بالشئ فيتبعه كيفية نفسه الخبيثة فيستعين على تنفيذ سميتها بعينه وقد يعين الرجل نفسه بغير ارادة منه وهذا ارجى ما يكون وينبغى ان يعلم ان ذلك لا يختص بالانس بل قد يكون فى الجن ايضا وقيل عيونهم انفذ من اسنة الرماح وعن ام سلمة رضى الله عنها ان النبى عليه السلام رأى فى بيتها جارية وفى وجهها صفرة فقال استرقوا لها فان بها النظرة واراد بها العين اصابتها من الجن قال الفقهاء من عرف بذلك حبسه الامام واجرى له النفقة الى الموت لما كان اصل ذلك استحسانه قال عثمان رضى الله عنه لما رأى صبيا مليحا دسموا نونته لئلا تصيبه العين اى سودوا نقرة ذقته قالوا ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤس فى الموارع والكرو ووجهه ان النظر الشؤم يقع عليه اولا فتكسر سورته فلا يظهر اثره وقد جعل الله لكل داء دواء ولكل شيء ضدا فالدعوات والانفاس الطيبة تقابل الاثر الذى حصل من النفوس الخبيثة

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٩١/٦

والحواس الفاسدة فتزيله – وروى – عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله غليه وسلم فى اول النهار فرايته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فرأيته معافى فقال « ان جبريل عليه السلام اتانى فرقانى وقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فافقت » وفيه فيما ذكر من حديث ام سلمة دلالة على جواز الاسترقاء وعليه عامة العلماء هذا عذا كانت الرقى من القرآن او الاذكار المعروفة اما الرقى التي لا يعرف معناها فمكروهة وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت له A « هلا تنشرت » اى تعلمت النشرة وهى الرقية قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهية استعمال النشرة حيث لم ينكر عليه السلام ذلك عليها وكرهها جمع واستدلوا بحديث فى سنن ابى داود مرفوعا « النشرة من عمل الشيطان » وحمل ذلك على النشرة التي تصحبها العزائم المشتملة على الاسماء التي لا تفهم كما قال المطرزى فى المغرب انما تكره الرقية اذا كانت بغير لسان العرب ولا يدرى ما هو ولعله يدخل فيه سحرا وكفرا واما ما كان من القرآن وشئ من الدعوات فلا بأس به واما تعليق التعويذ وهو الدعاء المجرب والآية المجربة ار بعض اسماء الله لدفع البلاء فلا باس به ولكن ينزعه عند الخلاء والقربان الى النساء كذا في التتار خانية وعند البعض يجوز عدم النزع اذا كان مستورا بشئ والاولى النزع .." (١)

"﴿ قل لعبادى الذى آمنوا ﴾ **قال بعض الحكماء** شرف الله عباده بهذه الياء وهى خير لهم من الدنيا وما فيها لان فيها اضافة الى نفسه والاضافة تدل على العتق لان رجلا لو قال لعبده يا ابن او ولد لا يعتق ولو قال يا ابنى او ولدى يعتق بالاضافة الى نفسه كذلك اذا اضاف العباد الى نفسه فيه دليل ان يعتقهم من النار ولا شرف فوق العبودية : قال الجامكسوت خواجكى وخلعت شاهى جه كند ... هركرا غاشية بندكيت بردوشستوكان سلطان العارفين ابو يزيد البسطامى قدس سره يقول الخلق يفرون من الحساب وانا اطلبه فان الله تعالى لو قال لى اثناء الحساب عبدى لكفانى شرفا والمقول هنا محذوف دل عليه الجواب اى قل لهم اقيموا وانفقوا ﴿ يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم ﴾ اى يداوموا على ذلك . وبالفارسية [بكو اى محمد A يعنى امركن مربندكان مراكه ايمان آورده اندبرين وجه كه نماز كزاريد ونفقه كنيد تايشان بامر تونماز كزارند ونفقه دهند از آنجه عطاداده يابشان ازامول] ويجوز ان يكون المقول يقيموا وينفقوا على ان يكونا بمعنى الامر وانما اخرجا عن صورة الخبر للدلالة على التحقيق بمضمونها والمسارعة الى العمل بمما فان قيل لو كان كذلك لبقى اعرابه بالنونقلنا يجوز ان يبنى على حذف النون لما كان بمعنى الامر ﴿ سرا وعلانية ﴾ منتصبان على المصدر من الامر المقدور اى نفقوا انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اى وقتى سر وعلانيةوالاحب فى الانفاق اخفاء المتطوع واعلان الواجب وكذا الصلوات والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة ﴿ من قبل ان يأتى ﴾ قال فى الارشاد الظاهر ان من متعلقة لانفقوا ﴿ يوم ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ لا بيع فيه ﴾ فيبتاع المقصر ما تيلافى تقصيره به وتخصيص البيع بالذكر لاستلزام نفيه نفى الشراء ﴿ ولا خلال ﴾ ولا مخالة فيشفع له خليل والمراد لمخالة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس فلا يخالف قوله تعالى ﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾ لان الواقع فيما بينهم المخالة لله ام

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٦/١٤٦

من قبل ان يأتى يوم القيامة الذى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالطاعة التى من جملتها اقامة الصلاة والانفاق لوجه الله تعالى وادخار المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك فى الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموتوفى الآية اشارة الى الاعمال الباطنة القلبية كالايمان والى الاعمال الظاهرة القالبية كاقامة الصلاة والانفاقال ابو سعيد الخراسانى قدس سره خزائن الله فى السماء وخزائنه فى الارض القلوب لنه تعالى خلق قلب المؤمن بيت خزائنه ثم ارسل ريحا فهبت فيه فكنسته من الكفر والشرك والنفاق والغش ثم انشأ سحابة فامطرت فيه ثم انبت شجرة فاثمرت الرضى والمحبة والشكر والصفوة والاخلاص والطاعة ثم كاب الظاهر بحسب طيب الباطن." (١)

"﴿ اولئك الذين يدعون ﴾ اولئك مبتدأ صفته الذين وخبره يبتغون اى اولئك الآلهة الذين يدعونهم المشركون من المذكورين ﴿ يبتغون ﴾ يطلبون لانفسهم ﴿ الى ربهم ﴾ ومالك امورهم ﴿ الوسيلة ﴾ اى لاقربة بالطاعة والعبادة .قال الكاشفى [وسيلتى ودست آويزى يعنى تقرب ميكنند بطاعت وعبادت او بحضرت او جل جلاله] ﴿ ايهم اقرب ﴾ بدل من واو يبتغون واى موصولة اى يبتغى من هو اقرب الى الله منهم الوسيلة فكيف بمن دونه من غير الاقرب [يعنى آنها كه مقربان در كاهند از ملائكه وغير ايشان توسل ميكنند بحق سبحانه بس غير مقرب خود بطريق اولى كه وجه توجه بدان حضرت آورد] .قال فى الكواشى او أيهم استفهام متبدأ خبره اقرب والجملة نصب بيدعون . والمعنى يطلبون القرب اليه تعالى لينظروا اىمعبوديهم اقرب اليه فيتوسلوا به تلخيصه آلهتهم ايضا يطلبون القرب اليه تعالى ﴿ ويرجون رحمته ﴾ بالوسيلة ﴿ ويخافون عذابه ﴾ بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية ﴿ ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان لم يحذره العصاة لكمال غفلتهم بل يتعرضون له وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب .فعلى العاقل ان يترك الاعتذار ويحذر من بطش القهار .عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لعمر رضى الله عنه حين طعن يعنى [نيزه زده] يا امير المؤمنين اسلمت حين كفر الناس وجاهدت مع رسول الله A حين خذله الناس وتوفى رسول الله وهو عنك راض ولم يختلف عليك اثنان وقتلت شهيدا قال عمر رضى الله عنه المغرور من غررتموه والله لو ان لى ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلق اى القيامة وما بعد الموت لان المرء يطلع فيه على عمله ويلقى امورا هائلة .**قال بعض الحكماء** الحزن يمنع الطعام والخوف يمنع الذنوب والرجاء يقوى على الطاعات وذكر الموت يزهد عن الفضول والخوف والرجاء انما يكونان من الله تعالى لان المعبود مفيض الخير والجود . واما الانبياء وورثتهم الكمل فوسائط بين الله تعالى وبين الخلق ولا بد من طاعتهم من حيث نبوتهم ووراثتهم ومن التقرب اليهم لتحصيل الزلفى : وفى المثنوباز انس فرزند مالك آمده است ... كه بمهمانئ او شخصى شده استاو حكايت كرد كز بعد طعام ... ديد انس دستار خوانرا زرد فامجركن وآ لوده كفت اى خادمه ... اندر افكن در تنورش يكدمهدر تنور بر ز آتش در فكند ... آن زمان دستار خوانرا هو شمتدجمله مهمانان دران حيران شدند ... انتظار دور كندورى بدندبعد يكاسعت در آورد از تنور ... باك واسبيد وازان اوساخ دورقوم كفتند اى صحابئ عزيز ... جون نه سوزيد ومنقى كشت نيزكفت زانكه مصطفى دست ودهان بس بماليد اندرين دستار خوان ... اى دل ترسنده از نار وعذاباجنان

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٣٣٧/٦

دست ولبى كن اقتراب ... جون جمادى را جنين تشريف دادجان عاشق را جها خواهد كشاد ... مركلوخ كعبه را جون قبله كردخاك مردان باش اى جان درنبرد ...." (١)

"﴿ بل قالوا اضغاث احلام ﴾ لاختلاطها كما فى القاموس . والحلم بضم الحاء وسكون اللام الرؤيا وضم اللام ايضا لغة فيه طريق اضافة الخاص الى العام اضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما فى قوله عليه السلام « لرؤيا من الله والحلم من الشيطان » ثم ان هذا اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قول الى آخر اى لم يقتصروا على ان يقولا فى حقه عليه السلام ﴿ هل هذا الا بشر ﴾ وفى حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط احلام اى اخلاط احلام كاذبة رآها فى المنام ﴿ بل افتراه ﴾ من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبه اصل ثم قالوا ﴿ بل هو شاعر ﴾ وما اتى به شعر يخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها وهذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثانى والثالث من قبلهم .قال الراغب شعرت اصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا اى علمت علما فى الدقة كاصابة الشعر قيل وسمى الشاعر لفظنته ودقة معرفته فالشعر فى الاصل اسم للعلم الدقيق فى قولهم ليت شعرى وصار فى التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام والشاعر للمختص بصناعته وقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿ بل هو شاعر ﴾ كثير من المفسرين حملوه على انهم رموه بكونه آتيا بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا عليه ما جاء فى القرآن من كل لفظة تشبه الموزون من نحو قوله ﴿ وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ وقوله تعالى ﴿ تبت يدا ابى لهب ﴾ وقال بعض المحققين لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك انه ظاهر من هذا الكلام انه ليس على اساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الاغتام من العجم فضلا عن بلغاء العرب وانما رموه بالكذب فان الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سمعوا الادلة الكاذبة بالشعر ولكون الشعر مقر الكذب . قيل احسن الشعر أكذبه . **وقال بعض الحكماء** لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا فى شعرهدر قيامت نرسد شعر بفرياد كسى ... كرسراسر سخنش حكمت يونان كرددواما قول صاحب المثنوباز كرامات بلند اولياء ... اولا شعرست وآخر كيميافالمراد به القدرة على انساء الكلام الموزون وليس من مقتصاها التكلم ﴿ فليأتنا بآية ﴾ جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا بآية جليلة ﴿ كما ارسل الاولون ﴾ اى مثل الآية التى ارسل بها الاولون كاليد والعصا واحياء الموتى والناقة ونظائرها حتى نؤمن به فما موصولة وعائدها محذوفة ومحل الكافر الجر على انها صفة الآية." (٢)

"﴿ لا يحزنهم الفزع الاكبر ﴾ بيان لنجاتهم من الافزاع بالكية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة والفزع انقباض ونفار يعترى الانسان من الشئ المخيف وهو من جنس الجزع ولا يقال فزعت من الله كما يقال خفت منه .قال الراغب الفزع الاكبر هو الفزع من دخول النار .وقال بعضهم ذبح الموت بمرأى من الفريقين واطباق جهنم على اهلها اى وضع الطبق عليها بعدما اخرج منها من اخرج فيفزع اهلها حينئذ فزعا شديدا لم

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٢٤٢/٧

(٢) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٢٣٠/٨

يفزعوا فزعا اشد منه .وقال بعض ارباب الحقيقة هو قوله تعالى فى الازل (هؤلاء فى الجنة ولا ابالى) وذلك لان نفوسهم المطمئنة فى الجنة المضافة الى الحضرة كما قال تعالى ﴿ وادخلى جنتى ﴾ فافهم جدا ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ اى تستقبلهم ملائكة الرحمة مهنيئن لهم ﴿ هذا يومك ﴾ على ارادة القول اى قائلين هذا اليوم يومكم ﴿ الذى كنتم توعدون ﴾ فى الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعة .قال الكاشفى [عابدانرا كويند ابن روز جزاى شماست عارفانرا خطاب رسدكه اين روز تماشى شماست]نيك مردانرا نعيم اندر نعيم ... عشق بازانرا لقا اندر لقاءحصه آنها وصال حور عين ... بهرة اينها جمال كبريافليجتهد العاقل فى الطاعات حتى يصل الى القربات وليبعد نفسه عن المخالفات ليأمن من العقوبات .واعلم الدار الآخرة وثوابها انما ينال اليها بترك الدنيا وزخارفها كما ان وصلة امولى لا تحصل الا تبرك الكونين فمن يكان مشتهاه الجنة ونعيمها فليترك اللذة فى الدنيا ومن كان مشتهاه المشاهدات فليقطع نظره عن غير الله تعالى .قال فى الفتوحات الملكية اجمع اهل كل ملة على ان الزهد فى الدنيا مطلوب قالوا ان الفراغ من الدنيا احب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التى حذرنا الله منها بقوله ﴿ انما اموالكم واولادكم فتنة ﴾ انتهى كلامه .قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوى C ومن فوائد الرهبان انهم لا يدخرون قوتا لغد لا يكنزون فضة ولا ذهبا قال ورايت شخصا قال لراهب انظر لى هذا الدينار هو من ضرب أى الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدنيا منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه منالكنيسة ويقولون له اتلفت علينا الرهابن فسألت عن ذلك فقالوا رأوا على عمامته نصفا مربوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم A .**قال بعض الحكماء** ان فى الجنة راحة لا يجدها الا من لم يكن له فى الدنيا راحة وفيها غنى لا يجده الا من ترك الفضول فى الدنيا واقتصر على اليسير منها وفيها امن لا يجده الا اهل الخوف والفزع فى الدنيالا تخافوا هست نزل خائفان ... هست درخورازبراى خائف آنوفيها ما تشتهى الانفس لا يجده الا اهل الزهد .وعن بعض الزهاد انه كان يأكل بقلا وملحا من غير خبز فقال له رجل اقتصرت على هذا قال نعم لانى انما جعلت الدنيا للجنة وانت جعلت الدنيا للمزبلة يعنى تأكل الطيبات فتصير الى المزبلة وانى آكل لاقامة الطاعات لعلى اصير الى الجنة نسأل الله الفيض والجود والتوفيق بطريق الشهود .." (١)

"﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾ التصعر التواء وميل فى العنق من خلقة او داء او من كبر فى الانسان وفى الابل . والتصعير امالته عن كبرا كما قال فى تاج المصادر [التصعير : روى بكردانيدن از كبر] . وخد الانسان ما اكتنف الانف عن اليمين والشمال او ما جاوز مؤخر العينين الى منتهى الشدق او من لدن المحجر الى اللحى كما فى القاموس . والمعنى اقبل على الناس بجملة وجهك عند السلام والكلام واللقاء تواضعا ولا تحول وجهك عنهم ولا ولا تعظ شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون استحقارا للناس خصوصا الفقراء وليكن الغنى والفقير عندك على السوية فى حسن المعاملةوالاشارة لا تمل خدك تكبرا او تجبرا معجبا بما فتح الله عليك فتكون بهذا مفسدا فى لحظة ما اصلحته فى مدة : قال الحافظببال وبر مرو ازره كه تير برتابى ... هوا كرفت زمانى ولى بخاك نشت﴿ ولا تمش فى الارض مرحا ﴾ المرح اشد الفرح والخفة الحاصلة من النعمة كالاشر والبطر اى حال كونك ذا فرح شديد ونشاط وعجب وخفة اى مشيا كمشى المرح من الناس كما يرى

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٣٤٦/٨

من كثيرهم لا سيما اذا لم يتضمن مصلحة دينية او دنيوية : وبالفارسية [مخرام جون جاهلان ومانند دنيا برستان] ﴿ ان الله لا يحب كل مختال ﴾ الاختيال والخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة ومنه لفظ الخيل كما قيل انه لا يركب احد فرسا الاوجد فى نفسه نخوة اى لا يرضى عن المتكبر المتبختر فى مشيته بل يسخط عليه : وبالفارسية [هرخرا مند كه متكبرا انه رود] وهو بمقابلة الماشى مرحا ﴿ فخور ﴾ هو بمقابلة المصعر خده وتأخيره لرعاية الفواصل . والفخر المباهاة فى الاشياء الخارجة عن الانسان كالمال والجاه والفخور الذى يعدد مناقبه تطاولا بها واحتقارا لمن عدم مثلها . والمعنى بالفارسية [نازش كنندة كه باسباب تنعم بر مردمان تطاول نمايد]وفى الحديث « خرج رجل يتبختر فى الجاهلية عليه حلة فامر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة »جو صبيان مباز ... وجوصنوان مناز برو مرد حق شو زروى نيازقال بعض الحكماء ان افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة له دونك . وان افتحرت بثيابك وآلاتك فالجمال لها دونك . وان افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لافيك ولو تكلمت هذه الاشياء لقالت هذه محاسننا فما لك من الحسن شئ . فان افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك : قال الحافظقلندران حقيقت بنيم جو نخرند قباى اطلس آنكس كه ازهنز عار يستواذا اعجبك من الدنيا شئ فاذكر فناءك وبقاءه او بقاءك وزواله او فناء كما جميعا فاذا راقك ما هو لك فانظر الى قرب خروجه من يدك وبعد رجوعه اليك وطول حسابه عليك ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر حكى انه حمل الى بعض الملوك قد من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح به الملك فرحا شديدا فقال لمن عنده من الحكماء كيف ترى هذا فقال اراه فقرا حاضرا ومصيبة عاجلة قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه وقد كنت قبل ان يحمل اليك فى امن من المصيبة والفقر فاتفق انه انكسر القدح يوما فعظمت المصيبة على الملك وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل اليناانما الدنيا كرؤيا فرحت ... من رآها ساعة ثم انقضت." (١)

"القصة [خلعت حمل امانت جز برقامت باستقامت انسان كه منشور ﴿ انى جاعل فى الارض خليفة ﴾ اوبرنام نامى نوشته اند راست نيامد وجون كارى بدين عظمت وفهمى بدين ابهت نامزد اوشد جهت دفع جشم زخم حسود آن شياطين كه دشمن ديرينه اند سپند ﴿ انه كان ظلوما جهولا ﴾ برآتش غيرت افكندند تاكورشود هر آنكه نتواندديد] قال ﴿ انه ﴾ اى الانسان ﴿ كان ظلوما ﴾ لنفسه بمعصية ربه حيث لم يف بالامانة ولم يراع حقها ﴿ جهولا ﴾ بكنه عاقبتها يعنى [نادان بعقوبت خيانت اكر واقع شود] والظلم وضع الشئ فى غير موضعه المختص به اما بنقصان او بزيادة واما بعدول عن وقته او مكانه ومن هذا ظلمت السقاء اذا تناولته فى غير وقته ويسمى ذلك اللبن الظلم وظلمت الارض اذا حفرتها ولم تكن موضعا للحفر تلك الارض يقال لها المظلومة والتراب الذى يخرج منها ظليم والظلم يقال فى مجاوزة الحد الذى يجرى مجرى النقطة فى الدائرة ويقال فيما يكثر ويقل من التجاوز ولذا يستعمل فى الذنب الصغير والكبير ولذا قيل لآدم فى تقدمه ظالم وفى ابليس ظالم وان كان بين الظلمين بون بعيدقال بعض الحكماء الظلم ثلاثة . احدها بين الانسان وبين الله واعظمه الكفر والشرك والنفاق . والثانى ظلم بينه وبين الناس . والثالث ظلم بينه وبين نفسه وهذه الثلاثة فى

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١٠/٤١٩

الحقيقة للنفس فان الانسان اول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسهاول بظالمان اثر ظلم ميرسد ... بيش ازهدف هميشه كمان تارميكندوالجهل خلو النفس من العلم وهو على قسمين ضعيف وهو الجهل البسيط وقوى وهو الجهل المركب الذى لا يدرى فيكون محروما من التعلم ولذا كان قوياقال فى الارشاد وقوله انه الخ اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اى انه كان مفرطا فى الظلم مبالغا فى الجهل اى بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او عهودهم بقولهم بلىوقال بعضهم الانسان ظلوم وجهول اى من شأنه الظلم والجهل كما يقال الماء طهور اى من شأنه الطهارةواعلم ان الظلومية والجهولية صفتا ذم عند اهل الظاهر لانهما فى حق الخائنين فى الامانة فمن وضع الغدر والخيانة موضع الوفاء والاداء فقد ظلم وجهلقال فى كشف الاسرار [عادت خلق آنست كه جون امانتى عزيز بنزديك كسى نهند مهرى بروى نهند وآن روز كه باز خواهند مهررا مطالعت كنندا اكر مهر برجاى بود اورا ثناها كويند امانتى بنزديك تونهادند از عهد ربوبيت ﴿ ألست بربكم ﴾ ومهرى كه بروى نهادند جون عمر بآخر رسد وترا بمنزل خاك برند آن فرشته در آيد وكويد « من ربك » آن مطالعت كه ميكند تامهرروز برجاى هست يانه] قال الحافظاز دم صبح ازل تا آخر شام ابد ... دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود." (١)

"﴿ يس ﴾ اما مسرود على نمط التعديل فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه يس او النصب على انه مفعول لفعل مضمر اى اقرأ يس ويؤيد كونه اسم السورة قوله عليه السلام « ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل ان خلق آدم بالفى عام فاذا سمعت الملائكة قالوا طوبى لامى ينزل عليهم هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا وطوبى لا جواف تحمل هذا » [ودر خبرست كه جون دوستان حق در بهشت رسند از جناب جبروت ندا آيدكه از ديكران بسيار بشنيديد وقت آن آمدكه از ما شنويد « فيسمعهم سورة الفاتحة وطه ويس » مصطفى عليه السلام كفت] « كأن الناس لم يسمعوا القرآن حين سمعوا الرحمن يتلوه عليهم » كما فى كشف الاسراروقال بعضهم ان الحروف المقطعة اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضى الله عنه كان يقول « يا كهيعص يا حمعسق » فيكون مقسما به مجرورا او منصوبا باضمار حرف القسم وحذفه والمراد بحذفه ان لا يكون اثره باقيا وباضماره ان يبقى اثره مع عدم ذكره ففى نحو الله لافعلن يجوز النصب بنزع الخافض واعمال فعل القسم المقدر ويجوز الجر ايضا باضمار حرف الجر اى اقسم بيس اى الله تعالىوفى الارشاد لامساغ للنصب باضمار فعل لاقسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين القسمين على شئ واحد قبل انقضاء الاول**وقال بعض الحكماء الالهية** انها اسماء ملائكة هم اربعة عشر كما سبق بيان فى طسموعن ابن عباس رضى الله عنهما ولعل اصله يا انيسين تصغير هو الله تعالى وهو لا يقول ولا يفعل الا ما هو صواب وحكمة فتكون « يا » من يس حرف نداء و « سين » شطر انيسين فلما كثر النداء به فى ألسنتهم اقتصروا على شطره الثانى للتخفيف كما قالوا فى القسم من الله اصله ايمن الله [واين خطاب باصورت رد بشريت مصطفاست عليه السلام جنانكه جاى ديكر كفت ﴿ قل انما انا بشر مثلكم ﴾ ازانجا كه انسانيت وجنسيت آنست او مشاكل خلق است واين خطاب بانسان بروفق آنست واز آنجاكه شرف نبوتست وتخصيص رسالت خطاب باوى اينست كه (يا ايها النبى : يا ايها الرسول

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١٥٣/١١

) واين خطاب كه باصورت وبشري ازبهر آن رفت كه تانقاب غيرت سازند وهر نامحر مرا برجمال وكمال وى اطلاع ندهند اين جنانست كه كويند]ارسلانم خوان تاكس نه بداندكه كيم ... وعن ابن الحنفية معناه يا محمد دليله قوله بعده انك لمن المرسلين وفى الحديث « ان الله سمانى بسبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله ».".[1]

"﴿ ولو نشاء لمسخناهم ﴾ المسخ تحويل الصورة الى ما هو اقبح منها سواء كان ذلك التحويل بقبلها الى صورة البهيمية مع بقاء الصورة الحيوانية او بقلبها حجرا ونحوه من الجمادات بابطال القوى الحيوانية . والمعنى ولو نشاء نسقطهم عن رتبة التكليف ودرجة الاعتبار لغيرنا صورهم بان جعلناهم قردة وخنازير كما فعلنا بقوم موسى اى بنى اسرائيل فى زمان داود عليه السلام اوبان جعلناهم حجارة ومدرة وهذا اشد من الاول واقبح لان الاول خروج عن رتبة الانسانية الى الحيوانية وهذا عن الحيوانية الى الجمادية التى ليس فيها شعور اصلا وقطعا ﴿ عل مكانتهم ﴾ بمعنى المكان الا ان المكانة اخص كالمقامة والمقام اى مكانهم ومنزلهم الذى هم فيه قعود : وبالفارسية [برجاى خويش تاهم آنجا افسرده شوند] قال بعضهم لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم ﴿ فما استطاعوا مضيا ﴾ ذهابا واقبالا الى جانب امامهم اى لم يقدروا ان يبرحوا مكانهم باقبال . اصله مضوى قلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء وكسرت الضاد قبل الياد لتسلم الياء ومن قرأ مضيا بكسر الميم فانما كسرها اتباعا للضاد ﴿ ولا يرجعون ﴾ اى ولا رجوعا وادبارا الى جة خلفهم فوضع موضع الفعل لمراعاة الفاصلة وليس مساق الشرطين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دثار امثالهم احقاء بان يفعل بهم فى الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم فى الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ لفعلناها لكنا لم نفعل جريا على سنن الرحمة العامة والحكمة التامة الداعيتين الى امهالهم زمانا الى ان يتوبوا ويؤمنوا ويشكروا النعمة اوالى ان يتولد منهم من يتصف بذلك**قال بعض الحكماء** المسخ ضربان خاص وهو تشويه الخلق بالفتح وعام فى كل زمان وهو تبديل الخلق بالضم وذلك ان يصير الانسان متخلقا بخلق ذميم من اخلاق بعض الحيوانات نحو ان يصير فى شدة الحرص كالكلب او الشره كالخنزير او الغمارة كالثور . فعبارة الآية فى تحويل الصورة واشارتها فى تحويل الصفات الانسانية بالصفات السبعية والشيطانية فلا يقدرون على ازالة هذه الصفات ولا يقدرون على رجوعهم الى صفاتهم الانسانية فمن مسخه الله فى الدنيا بصفات حشره فى صورة صفته الممسوخة كما جاء فى الحديث الصحيح « ان آزر يحشر على صفة ضبع »قال فى حياة الحيوان فى الحديث يلقى ابراهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم اقل لك لا تعص فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتنى ان لا تخزينى يوم يبعثون فأى خزى اخزى من ان يكون ابى فى النار فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذبح متلطخ وهو بكسر الذال والخاء المعجمتين ذكر الضباع الكثيرة الشعر فيؤخذ بقوائمة ويلقى فى النار والحكمة فى كون آزر مسخ ضبعا دون غيره من الحيوان ان الضبع تغفل عما يجب التيقظ له وتوصف بالحمق فلما لم يقبل آزر النصيحة من اشفق الناس عليه وقبل خديعة عدوه الشيطان اشبه الضبع الموصوفة بالحمق لان الصياد اذا اراد ان

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٣٠٧/١١

يصيدها رمى فى حجرها بحجر فتحسبه شيأ تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ولان آزر لو مسخ كلبا او خنزيرا كان فيه تشويه لخلقه فاراد الله تعالى اكرام ابراهيم عليه السلام بجعل ابيه على هيئة متوسطة." (١)

"﴿ بل عجبت ويسخرون ﴾قال سعدى المفتى اضاب عن الامر بالاستفتاء اى لا تستفتهم فانهم معاندون ومكابرون لا ينفع فيهم الاستفتاء وانظر الى تفاوت حالك وحالهم انت تعجب من قدرة الله تعالى على خلق هذه الخلائق العظيمة ومن قدرته على الاعادة وانكارهم للبعث وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعثوقال قتادة عجب نبى الله من هذا القرآن حين انزل وضلال بنى آدم وذلك ان النبى عليه السلام كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولم يؤمنوا عجب من ذلك النبى عليه السلام فقال الله تعالى ﴿ بل عجبت ويسخرون ﴾ والسخرية الاستهزاء والعجب والتعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لايعرف سببه ولهذا قيل لا يصح على الله التعجب اذهو علام الغيوب لا يخفى عليه خافية . فى صفة الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار الشديد والذم كما فى قراءة بل عجبت بضم التاء وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما فى حديث « عجب ربكم من شاب ليست له صبوة ونخوة »وفى فتح الرحمن هى عبارة عما يظهره الله فى جانب المتعجب منه من التعظيم والتحقير حتى يصير الناس متعجب منه انتهوسئل الجنيد عن هذه الآية فقال ان الله تعالى لا يعجب من شئ ولكن الله وافق رسوله فقال ﴿ وان تعجب فعجب قولهم ﴾ اى هو كما تقولهوفى المفردات بل عجبت ويسخرون اى عجبت من انكارهم البعث لشدة تحققك بمعرفته ويسخرون بجهلهم . وقرأ بعضهم بل عجبت بضم التاء وليس ذلك اضافة التعجب الى نفسه فى الحقيقة بل معناه انه مما يقال عنده عجبت او تكون عجبت مستعارة لمعنى انكرت نحو ﴿ أتعجبين من امر الله ﴾ انتهى." (٢)

"وذو القرنين لم يعرف نبيا ... كذا لقمان فاحذر عن جدالوذلك لان ظاهر الادلة يشير الى نفى النبوة عن الانثى وعن ذى القرنين ولقمان ونحوهما كتبع فانه عليه السلام « قال لا ادرى أهو نبى ام ملك » وكالخضر فانه قيل نبى وقيل ولى وقيل رسول فلا ينبغى لاحد ان يقطع بنفى او اثبات فان اعتقاد نبوة من ليس بنبى كفر كاعتقاد نفى نبوة نبى من الانبياء يعنى اذا كان متفقا على نبوته او عدم نبوته واما اذا كان فيه خلاف فلا يكفر لانه كالدليل الظنى والكفر فى القطعوفى فتح الرحمن فى سورة البقرة والمذكورون فى القرآن باسم العلم ستة وعشرون نبيا وهم محمد وآدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وايوب وذو الكفل وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وعزير ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس واليسع صلوات الله عليهم اجمعين واشير الى اشمويل بقوله تعالى ﴿ وقال لهم نبيهم ﴾ واشير الى ارميا بقوله ﴿ أو كالذى مر على قرية ﴾ واشير الى يوشع بقوله ﴿ واذ قال موسى لفتاه ﴾ واشير الى اخوة يوسف بقوله ﴿ لقد كان فى يوسف واخوته ﴾ والاسباط ذكروا اجمالا وهم من ذرية اولاد يعقوب الاثنى عشر نبيا وكان فيهم انبياء وفى لقمان وذى القرنين خلاف كالخضر انتهىقال بعض الحكماء يجب على المؤمن ان يعلم صبيانه ونساءه وخدمه اسماء الانبياء

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١١/٣٩٩

(٢) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١١/٤٣٨

الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بجميعهم ولا يظنوا ان الواجب عليهم الايمان بمحمد عليه السلام فقط لا غير فان الايمان بجميع الانبياء سواء ذكر اسمه فى القرآن او لم يذكر واجب على المكلف فمن ثبت تعينه باسمه يجب الايمان به تفصيلا ومن لم يعرف اسمه يجب الايمان به اجمالا وحكى ابن قتيبة فى المعارف ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر منهم خمسة عبرانيون وهم آدم وشيث وادريس ونوح وابراهيم وخمسة من العرب هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام." (١)

"كارناداں كوته انديش است ... يادكردن كسى كه دربيش استقال ابو عثمان المغربى قدس سرة الادب عند الاكابر وفى مجلس السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير فى الاول والعقبى فكما لا بد من التأدب معه عليه السلام فكذا مع من استن بسنته كالعلما العالمين وكان جماعة من العلماء يجلسون على باب غيرهم ولا يدقون عليه بابه حتى يخرج لقضاء حاجته احتراما قال ابو عبيدة القاسم بن سلام ما دققت الباب على عالم قط كنت اصبر حتى يخرج الى لقوله تعالى ولو انهم الخ وفى الحديث « ادبنى ربى فأحسن تأديبى » اى ادبنى احسن تاديب فالفاء تفسير لما قبله قال بعض الكبار من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير ومخاطبة الناس باللين وقال ان كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة وان كان كفؤك ونظيرك فاصحبه بالوفاء وان كان دونك فاصحبه بالزهد وان كان فقيرا فاصحبه بالجود وان صحبت صوفيا فاصحبه بالتسليم **قال بعض الحكماء** عاشروا الناس معاشرة ان متم بكوا عليكم وان غبتم حنوا اليكم . والثانى ذم الجهل ومدح العقل والعلم فان شرف العقل مدرك بضرورة العقل والعلم والحسن حتى ان اكبر الحيوانات شخصا واقواها ابد اذا رأى الانسان احتشمه وخاف منه لاحساسه بأنه مستول عليه بحيلته واقرب الناس لى بارجة بهائم أجلاف العرب والترك تراهم بالطبع يبالغون فى توقير شيوخهم لان التجربة دميزتهم عنهم بمزيد علم ولذلك روى فى الاثر « الشيخ فى قومه كالنبى فى امته » نظرا الى قوة علمه وعقله لا بقوة سخضه وجماله وشوكته وثروته (وفى المثنوى)كشتى بى لنكر آمد مردشر ... كه زباد كزنيابد او حذرلنكر عقلست عاقل را امان ... لنكرى دريوزه كن از عاقلانقال بعض الكبار العاقل كلامه ورآء قلبه فاذا اراد ان يتكلم به امره على قلبه فينظر فيه فان كان له اى لنفعه امضاه وان كان عليه اى لضره امسكه والاحمق كلامه على طرف لسانه وعقله فى حجره اذا قام سقط قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لسان العاقل فى قلبه وقلب الاحمق فى فمه والادب صورة العقل ولا شرف مع سوء الادب ولا دآء اعيي من الجهل واذا تم العقل نقص الكلامهر كرا اندكست مايه عقل ... بيهده كفتنش بودبسيارمردرا عقل جون بيفزايد ... درمجامع بكا هدش كفتاروفى الحديث « كل كلام ابن آدم عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر »." (٢)

"﴿ هل اتاك حديث ضيف ابرهيم ﴾ تفخيم لشأن الحديث لانه استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه ومثله لايكون الا فيما فيه فخامة وعظيم شأن وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله عليه السلام بغير طريق الوحى اذ هو امى لم يمارس الخط وقرآءته ولم يصاحب اصحاب التواريخ ففيه اثبات نبوته قال ابن الشيخ الاستفهام للتقرير اى قد اتاك

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٤٤٦/١٢

(٢) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٥٧/١٤

وقيل ان لم يأتك نحن نخبرك والضيف فى الاصل مصدر ضافه اذا نزل به ضيفا ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وقد يجمع فيقال اضياف وضيوف وضيفان قال الراغب اصل الضيف الميل يقل ضفت الى كذا واضفت كذا الى كذا والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى كانوا اثنى عشر ملكا منهم جبرآئيل وميكائيل وزقائيل وتسميتهم ضعيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم اولانهم كانوا فى حسبانه كذلك ﴿ المكرمين ﴾ صفة للضيف اى المكرمين عند الله بالعصمة والتأييد والاصطفاء والقربة والسفارة بين الانبياء كما قال ﴿ بل عباد مكرمون ﴾ او عند ابراهيم بالخدمة حيث خدمهم بنفسه وبزوجته وايضا بطلاقة الوجه وتعجيل الطعام وبأنهم ضيف كريم لان ابراهيم اكرم الخليقة وضيف الكريم لايكون الا كريما وفى الحديث « من آمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » قيل اكرامه تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قراه والقيام بنفسه فى خدمته وقد جاء فى الرواية ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم عليه السلام اكرم اضيافك فأعد لكل منهم شاة مشوية فأوحى اليه اكرم فجعله ثورا فأوحى اليه اكرم فجعله جملا فأوحى اليه اكرم فتحير فيه فعلم ان اكرام الضيف ليس فى كثرة الطعام فخدمهم بنفسه فأوحى اليه الآن اكرمت الضيف **وقال بعض الحكماء** لاعار للرجل ولو كان سلطانا ان يخدم ضيفه واباه ومعلمه ولا تعتبر الخدمة بالاطعام (قال الشيخ سعدى)شنيدم كه مرديست باكيزه بوم ... شناسا ورهرو در اقصاى رومن وجند سالوك صحرا نورد ... برفتيم قاصد بديدار مردسروجشم هريك ببوسيد ودست ... بتمكين وعزت نشاند ونشستزرش ديدم وزرع وشاكردورخت ... ولى بى مروت جوبى بردرختبخلق ولطف كرم رومرد بود ... ولى ديكدانش قوى سرد بودهمه شب نبودش قرار وهجوع ... زتسبيح وتهليل ومار از جوعسحر كه ميان بست ودرباز كرد ... همان لطف دوشينه آغاز كرديكى بدكه شيرين وخوش طبع بود ... كه باما مسافر دران ربع بودمرا بوسه كفته بتصحيف ده ... كه درويش را توشه ازبوسه بهبخدمت منه دست بر كفش من ... مرا نان ده وكفش بر سربزن." (١)

"﴿ أفمن هذا الحديث ﴾ آيا ازين سخن كه قرأنست ﴿ تعجبون ﴾ انكارا قال الراغب العجب والتعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا **قال بعض الحكماء** العجب مالا يعرف سببه." (٢)

"﴿ لو نشاء جعلناه اجاجا ﴾ ملحا زعاقا لايمكن شربه وحذف اللام فى الشرطية الاولى للفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد يعنى ان امر المطعوم ههنا مع اثباتها مقدم على المشروب وان الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ﴿ فلولا تشكرون ﴾ فهلا تشكرون ماذكر جميعا من المطعوم والمشروب بتوحيد منعمه واطاعة امره او فلولا تشكرون على ان جعلناه عذبا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان تحت العرش بحرا تنزل منه ارزاق الحيوانات يوحى الله اليه فيمطر ماشاء من سمء الى سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا ويوحى الى السماء ان غربليه فتغربله فليس من قطرة تقطر الا معها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزم معلوم الا ماكان من يوم الطوفان فانه نزل بغير كيل ولا وزن **وقال بعض الحكماء** ان المطر يأخذه قوس الله من البحر الى السحاب

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١٩٢/١٤

(٢) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٣٧٠/١٤

ثم ينزل من السحاب الى الارض قال بعضهم هو أدخل فى القدرة لان ماء البحر مر فيصعد ملحا وينزل عذبا وفى الآية اشارة الى ان بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا انهار جارية فلا يشرب اهلها الا من المطر فى المصانع فمنها القدس الشريف وينبع وجدة المحروسة ونحوهما وللماء العذب مزيد فضل فى هذه البلاد ولذا امتهن الله به على العباد وفيها اشارة الى ماء معرفة والعلم الالهى فانه ليس بالكسب والاجتهاد بل بمحض عطاء الله تعالى ولو شاء الله لجهل الماء العذب الجارى من شمرب الكشف والشهود ماء ملحا جاريا من مشرب الحجاب والجهالة والضلالة فلا بد من الشرك على نعم المعارف والحقائق والحكم .واعلم ان من حفر بئر فما أن يصل الى الماء او لا فان وصل فاما أن يكون ذلك الماء مالحا او عذبا فعلى تقدير كونه عذبا ليس كالمطر الحاصل بلا اسباب فانه طيب طاهر خالص فهذا مثل علم علماء الرسوم ومثل علم علماء الحقيقة فان الانبياء والاولياء ملهمون من عند الله تعالى ولا خطأ فى لوحى والالهام اصلا ولذا تقول ان علم الصوفية هو العلم الصواب كله فعلمهم تذكرى ليس لهم احتياج الى ترتيب المقدمات بخلاف علماء الرسوم فان علمهم تفكرى هتاج الى ذلك ولا بد لطالب الفيض من تهيئة المحل قبل وروده ألا ترى الى صاحب الحرث فانه يشتغل بتهيئة الارض والقاء البذر ولا يدرى من ينزل المطر فاذا نزل أصاب محزه ، ثم اعلم ان الورح ينزل بالمطر وله تعين فى كل نشأ بما يناسبه فعند تمام الخلقة فى الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره لكن عبر عنه بالنفخ لان العقل قاصر عن دركه وكان عليه السلام يكشف رأسه عند نزول المطر ويقول حديث عهد بربه فالروح روح كان سبب للحياة مطلقا فينبغى تلقى التجليات الواردة من قبل الحق بهيئة المحل كما ان النبى عليه السلام كشف رأسه وهيأ محل نزول المطر وذلك لان المطر ينزل من العلو فلقى على أعلى شيء فى الانسان وهو الرأس." (١)

"﴿ وهو الذى فى السماء إله وفى الارض إله ﴾ ولذلك **قال بعض الحكماء مثل** طالب معرفته مثل من طوف الآفاق فى طلب ماهو معه والباطن اشارة الى معرفته الحقيقية وهى التى أشار اليها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بقوله يامن غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل ظاهر بأنه محيط بالاشياء مدرك لها باطن فى أن يحاط به كما قال ﴿ لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾ وقد روى عن أمير المؤمنين ما دل على تفسير اللفظين حيث قال تجلى لعباده من غير أن رأوه واراهم نفسه من غير أن تجلى لهم ومعرفته ذلك تحتاج الى فهم ثاقب وعقل اقد كما فى المفردات وايضا هو الاول فى عين آخريته والآخر فى عين اوليته والظاهر فى عين باطنيته والباطن فى عين ظاهريته من حيثية واحدة وباعتبار واحد فى آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة والحيثيات المتنافرة المتابينة لاحاطته بالكل واستغنائه عن الكل قيل للعارف الربانى أبى سعيد الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بجمعه بين الاضداد فتلا ﴿ هو الاول والآخر والظاهر والباطن ﴾ ولا يتصور الجمع بين الاضداد الا من حيثية واحدة واعتبار واحد فآن واحد وهو بكل شيء من الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية عليم اذا علمه عين ذاته وذاته محيط بالاشياء كما قال ﴿ والله بكل شيء محيط ﴾ كما فى التأويلات النجميةقال الواسطى C لم يدع للخلق نفسا بعد ما أخبر عن نفسه ﴿ هو الاول والآخر والظاهر والباطن ﴾ وقال ايضا من كان حظه من اسمه الاول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مربوطا بما

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٧٣/١٥

يستقبل ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ماجرى فى السر من انواره وقال ايضا حظوظ الانبياء عليهم السلام مع تباينها من اربعة اسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها فمن جمعها كلها فهو أوسطهم ومن فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام وهى قوله ﴿ هو الاول ﴾ الخ وقال ايضا من ألبسه الاولية فالتجلى له فى الآخرية محال لانه لا يتجلى الا لمن فقده او كان بعيدا عنه فقر به وقال الجنيد قدس سره نفى القدم عن كل اول باوليته ونفى البقاء عن كل آخر بآخريته واضطر الخلق الى الاقرار بربوبيته بظاهريته وحجب الافهام عن ادراك كنهه وكيفية بباطنيته وقال السدى هو الاول ببره اذ عرفك بتوحيده والآخر بجوده اذ عرفك التوبة عن ماجنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيته يستر عليك وقال ابن عمر رضى الله عنه هو الاول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالاحياء والباطن بالاماتة وايضا الاول بلا تأويل أحد والآخر بلا تأخير أحد والظاهر بلا اظهار أحد والباطن بلا ابطال أحد والاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم والاول يكشف أحوال الدنيا حتى لايرغبوا فيها والآخر يكشف أحوال العقبى حتى لايشكوا فيها والظاهر على قلوب اوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب اعدآئه حتى ينكروه والاول بالازلية والآخر بالأبدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية والاول بالهيبة والآخر بالرحمة والظاهر بالحجة والباطن بالنعمة والاول بالعطاء والآخر بالجزآء والظاهر بالثناء والباطن بالوفاء والاول بالهداية والآخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية." (١)

"« تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون المتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال لهذه أنت عذابى اعذب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتى أرحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها » من عرف علوه تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل قيل الفقير فى خلقه احسن منه فى جديد غيره فلا شىء احسن على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة **قال بعض الحكماء** ماعز الله عبدا بمثل مايدل على ذل نفسه ما اذله بمثل مايدل على عز نفسه (حكى) ان بعضهم قال رأيت رجلا فى الطوف وبين يديه خادمان يطردان الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال انى تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه فوضعناى الله فى موضع يترفع فيه الناس وعبد المتكبر هو الذى فنى تكبره بتذلله للحق حتى قام كبرياء الله مقام كبره فيتكبر بالحق على ما سواه فلا يتذلل للغير قال الامام الغزالى قدس سره المتكبر من العباد هو الزاهد ومعنى زهد العارف ان يتنزه عما يغشل سره عن الحق ويتكبر فى كل شىء سوى الله تعالى فيكون مستحقرا للدنيا والآخرة مرتفعا عن أن يشغله كلتاهما عن الحق وزهد العارف معاملة ومعاوضة فهو انما يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة فتيرك الشىء عاجلا طمعا فى اضعافه آجلا وانما هو مسلم ومبايعة ومن استعبدته شهوته المطعم والمنكح فهو حقير وانما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ بتصور أن تشاركه فيها البهائم وخاصية هذا الاسم الجلالة ظهور الخير والبركة حتى ان من ذكره ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقرأه قبل جماعها عشرا رزق منها ولدا صالحا ذكرا وفى الاربعين الادريسية ياجليل المتكبر على كل شىء فالعدل امره والصدق وعده قال السهر وردى c مداومه بلا فترة يجل قدره ويعز أمره ولايقدر أحد على معارضته بوجه ولا بحال ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ تنزيه له تعالى عما

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١٥/١٠٧

يشركون به تعالى او عن اشراكهم به اثر تعداد صفات لايمكن أن يشاركه تعالى فى شىء منها شىء ما اصلا اى سبحوا الله تسبيحا ونزهوه تنزيها عما يشركه الكفار به من المخلوقات فالله تعالى اورده لاظهر كمال كبريائه او للعجب من اثبات الشريك بعد ماعينوا آثار اتصافه بجلال الكبرياء وكمال العظمة." (١)

"﴿ الذى يصلى النار الكبرى ﴾ اى يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار .وآتش آن از آتش دركات ديكر تيز تروسوزنده تراست وآن جاى آل فرعون ومنافقان ومنكران مائده عيسى عليه السلام باشد ونار صغرى رر طبقه عليا كه جاى كنهكاران امت محمد مصطفاست عليه السلام .فالكبرى اسم تفصيل لانه تأنيث الاكبر والمفضل هو ما فى اسفل دركات جهنم من النار التى هى نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والمفضل عليه ما فى الدركات التى فوقها فان لجهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما ان فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاضلة فكما ان الكفار أشقى العصاة كذلك يصلون أعظم النيران وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا يعنى ان المفضل نار الآخرة والمفصل عليه نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وقد غمست فى ماء البحر مرتين ليدنى منها وينتفع بها ولولا ذلك ما دنوتم منها ويقال انها تتعوذ بالله من جهنم وان ترد اليها .يقول الفقير الظاهر ان المراد بالنار الكبرى هو العذاب الاكبر فى قوله تعالى فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو عذاب الآخرة واما العذاب لاصغر فهو عذاب الدنيا وعذاب البرزخ فانه يصغر بالنسبة الى عذاب الآخرة **قال بعض الحكماء** علامة الشقاوة اشياء كثيرة الاكل والشرب النوم والاصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان الرب والوقوف بين يدى الملك الجبار فهذا هو الاشقى الذى يدخل النار الكبرى وفى التأويلات النجمية النار ناران نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات والذات وهى الصغرى ونار حجار الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخسران والطرد والهجران كام قال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا لفوات الاستعداد وقال القاشانى النار الكبرى هى نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير نار القهر فى مقام الصفات ونار الغضب والسخط فى مقام الافعال ونار جهنم الآثار فى المواقف الاربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت أبدا الآبدين فما اكبر ناره .." (٢)

"﴿ هل فى ذلك ﴾ الخ تقرير وتحقيق لفخامة شأن المقسم بها وكونه امور جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم كما يقول من ذكر حجة باهرة هل يقيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الاشياء المقسم بها ﴿ قسم ﴾ اى مقسم به وفى فتح الرحمن مقنع ومكتفى ﴿ لذى حجر ﴾ لذى عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل فى الاقسام بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتمد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه وبالفارسية آبادرين سوكندكه ياد كردم سوكندى بسنديده مرخداوند عقل را تا اعتبار كند ودانده سوكنديست . محقق ومؤكد والحجر العقل لانه يحجر

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١٥/٢٥٠

(٢) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ١٧/١٩٠

صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمى عقلا ونهيه بضم النون لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفرآء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والتنوين فى الحجر للتعظيم **قال بعض الحكماء العقل** للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب البهائم والمقسم عليه محذوف وهو لعذبن اى الكفار كما ينبئ عنه قوله تعالى .." (١)

"وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب (١) أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» اه (٢).وهو أيضا أعني المثل مقتبس من معنى قوله تعالى: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه﴾ (٣) فقد قيل فيه من حيث الاعتبار العام: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه﴾، أي ضالا، فهديناه، أو جاهلا، فعلمناه، في نظائر لذلك، لا تخفى على متأمل.ومن هنالك **قال بعض الحكماء**: «القلب ميت، وحياته بالعلم، والعلم ميت، وحياته بالطلب، والطلب ضعيف، وقوته بالمدارسة، فإذا قوي بالمدارسة فهو محتجب، وإظهاره بالمناظرة، وإذا ظهر بالمناظرة فهو علم، ونتاجه العمل، فإذا زوج العلم بالعمل توالد، وتناسل، ملكا أبديا لا آخر له» اه. ومثله في كلام الناس كثير.نظائر:قال السمرقندي: من جلس مع ثمانية أصناف من الناس، زاده الله تعالى ثمانية أشياء:من جلس مع الأغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبة فيها.ومن جلس مع الفقراء حصل له الشكر والرضا بقسمة الله.ومن جلس مع السلطان زاده الله القسوة والكبر.ومن جلس مع النساء زاده الله الشهوة والجهل.__________(١) أجادب: قد يكون جمع أجدب الذي هو جمع: جدب والأجادب، صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعا، وقيل: هي الأرض لا نبات بها. اللسان جدب.(٢) الترغيب: ١/ ٩٩. وصحيح البخاري: ٢/ ٥٦٥٥.(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.." (٢)

"فقال الماوردي: «اعلم أن للمتعلم في إبان تعلمه ملقا وتذللا، إن استعملهما غنم، وإن تركهما ندم وحرم، لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه، والتذلل له سبب لإدامة صبره، وبإظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار.قال: وقد روى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم».وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «ذللت طالبا فعززت مطلوبا».**وقال بعض الحكماء**: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا.وقال بعض حكماء الفرس: إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب، قعدت وأنت كبير حيث لا تحب. قال بعد كلام: ولا يمنعه من ذلك علو منزلته إن كانت له، وإن كان العالم خاملا، فإن العلماء بعلمهم قد استحقوا التعظيم، لا بالقدرة ولا بالمال.ثم أنشد لابن دريد:لا تحقرن عالما وإن خلقت ... أثوابه في عيون رامقهوانظر إليه بعين ذي خطر (١) ... مهذب الرأي في خلائقه (٢)فالمسك بينا تراه مهتهنا ... بفهر (٣) عطاره وساحقهحتى تراه في عارضي ملك ... أو موضع التاج من مفارقه» (٤) ٢١٤ظ / /وقال الغزالي: «لا ينبغي للطالب أن يتكبر على المعلم قال:

---

(١) روح البيان @ موقع التفاسير إسماعيل حقي ٢٢٨/١٧

(٢) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام @ت العلمي ابن الأزرق ٢٥٦/١

ومن____________(١) في أدب الدنيا: ص ٤١: أدب، والخطر: الشرف وارتفاع القدر.(٢) في م. س: ص ٤١: في طرائقه.(٣) الفهر: ج أفهار، حجر صغير تسحق به الأدوية.(٤) أدب الدنيا: ٤١.." (١)

"وأصل ذلك في الجملة: الرغبة والرهبة، إذ لا بد لكل مطلب من باعث عليه، وذلك الباعث واحد منهما أو كلاهما.وكذا قال الماوردي: «فليكن طالب العلم راغبا، راهبا، قال: أما الرغبة، ففي ثواب الله جل وعز لطالبي مرضاته، وحافظي مفروضاته، وأما الرهبة فمن عقاب الله عز وجل لتاركي أوامره، ومهملي زواجره» (١).قلت: وقد تقدم من فضيلة هذه الصناعة، ومنزلة رتبتها في نظر الشارع، ما يرغب في تعلمها، ويحذر على الجملة من مفسدة الجهل بها، وعند ذلك فليكن طالبها راغبا وراهبا لينهض في اجتهاده، ويشمر عن ساعد الجد في حرصه، وليستعن هو وغيره من طلاب العلوم على تقوية هذين الباعثين، على الاجتهاد والحرص بملاحظة أمور:أحدها: حذره من التقصير والتواني: فيلازم التعلم، والمواظبة عليه، لما خرجه أبو نعيم ٢٤١ظ / / عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «ولا أعلمه إلا ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأناة في كل شيء خير إلا في أمر الآخرة» إذ العلوم النافعة من أمر الآخرة على الجملة، فالأناة في طلبها معرض للخيبة، كما قال بعض الحكماء: العجز مع الواني، والفوت مع التواني، وإذا فات من أمر الآخرة شيء، فهي الخيبة التي يستعاذ بالله منها» (٢).الثاني: علمه أن التقصير في التعلم، والثبات على الجهل، لا يقوم له بعذر، لما خرجه أيضا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه، ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله، فإن الله قال: ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ *».الثالث: علمه أيضا أنه إن لم يجد ويجتهد، فإنه لا يتعلم. لما رواه أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما العلم بالتعلم، وإنما____________(١) أدب الدنيا: ٢٦.(٢) م. س: ٤٠.." (٢)

"يلازمه إلى الفراغ من درس رفقائه، لا كما تراه من ذوي الفتور في التحصيل، لا يجلس إلا بما يخص قراءته، وإذا فرغ منها بادر بالقيام كأنما «أنشط من عقال»، لا جرم، يفوته نفع كثير، ويحرم فوائد عديدة. نعم، حيث يكون انصرافه لأمر ضروري، فهناك لا تقصير يلحقه، ولا يعد لأجله غير حريص على العلم، ولا مجتهد في تحصيله.والثالث: ألا يؤثر بنوبته ٢٤٤و / / غيره، لأن ذلك خلاف الحزم.وأيضا قال النووي: «لأن الإيثار بالقرب مكروه، بخلاف الإيثار بحظوظ النفس، فإنه محبوب.قال: فإن رأى الشيخ المصلحة في الإيثار في بعض الأوقات لمعنى شرعي، فأشار عليه بذلك، امتثل أمره» (١).الرابع: «ألا يقنع بالقليل، وهو قادر على الكثير» (٢)، نبه عليه النووي لوضوح المعنى فيه حسبما بسطه من تنزل لبيان ما يلزم القانع باليسير، مع تمكنه من إحراز الكثير.ففي كلام الماوردي: «وليكن مستقلا للفضيلة منه ليزداد منها، ومستكثرا للنقيصة فيه لينتهي عنها، ولا يقنع في العلم بما أدرك منه، لأن القناعة فيه زهد، والزهد فيه ترك، والترك له جهل.قال: وقد قال بعض الحكماء: عليك بالعلم والإكثار منه، فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير، وكثيره أشبه شيء بكثيره، ولن يعيب الخير إلا القلة وأما كثرته فإنه أمنية.قال: وقال بعض البلغاء: من فضل علمك، استقلالك لعلمك، ومن

---

(١) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام @ت العلمي ابن الأزرق ٦٩٥/٢

(٢) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام @ت العلمي ابن الأزرق ٧٥٩/٢

كمال عقلك، استظهارك على عقلك» (٣) انتهى المراد منه.ـــــــــــــــــ(١) التبيان: ٥٢٥١.(٢) م. س: ٥٠.(٣) أدب الدنيا: ٤٧٤٦.." [(١)]

"فإن ذلك محال، وفي الحديث على ما ذكر الماوردي: «من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حقه، ووضعه في غير منزلته التي وصفه الله بها حيث يقول: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾.قال: **وقال بعض الحكماء** (١): لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته، كنا قد بدأنا بالنقيصة، ولكنا نطلبه لننتقص في كل يوم من الجهل، ونزداد في كل يوم من العلم».وقال بعض العلماء: المتعمق في العلم كالسابح في البحر، ليس يرى أرضا، ولا يعرف طولا ولا عرضا.وقيل لحماد الراوية (٢): ألا تشبع من هذه العلوم؟ قال: استفرغنا فيها المجهود، [فلم نبلغ منها المحدود] (٣)، فنحن كما قال الشاعر:[«إذا قطعنا علما بدا علم»] (٤)قال: وأنشد الرشيد عن المهدي [بيتين] (٥)، وقال: أراهما (٦) له:يا نفس خوضي بحار العلم أو غوصي ... فالناس ما بين معموم ومخصوصلا شيء في هذه الدنيا نحيط به ... إلا إحاطة منقوص بمنقوص» (٧)توضيح:إنما كان العلم يقصد به تكميل النفس لأن به تعرف الفضائل والرذائل، وإذا عرفت تهيأت النفس بعد ذلك للتحلي بمقتضى ما هو فضيلة، والتخلي عنــــــــــــــــــ(١) في أدب الدنيا: ١٨: العلماء.(٢) حماد بن سابور أبو القاسم، ت: ١٥٥هـ ٧٧٢م، أول من لقب بالراوية، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها، وأخبارها، وأنسابها، ولغاتها، وهو الذي جمع «المعلقات السبع» انظر النزهة: ٤٣، والوفيات: ٢/ ٢١٠٢٠٦.(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من «ج» و «د».(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من «ج» و «د».(٥) ساقط من «أ».(٦) في أدب الدنيا: ١٨: أظنهما.(٧) م. س: ١٨.." [(٢)]

"قال عن بعضهم: يعني بقوله: أدسه: أتحفظه» (١).ونقل عن الخليل: «كن على مدارسة ما في صدرك، أحرص منك على مدارسة ما في كتبك» (٢).قلت: ٢٥٦ظ / / ولذلك قال النووي: «وينبغي أن يحافظ على قراءة محفوظه» (٣)، وهو أمر يضيعه كثير ممن سبق له حفظ الكتاب، فيمر بعد ذلك حفظه بعدم المراجعة له، حتى يصير كأنه لم يحفظه قط، وهو خلاف ما كان عليه المجتهدون في التحصيل.فقد حكى عياض عن «محمد بن عبدوس (٤) فيما رواه عن ابن اللباد (٥) أنه صلى الصبح بوضوء العتمة ثلاثين سنة، خمس عشرة من دراسة، وخمس عشر من عبادة» (٦).وحكى الماوردي: «أنه قيل: لن يدرك العلم من لا يطيل درسه، ويكد نفسه، قال: وكثرة الدرس كد لا يصبر عليه إلا من يرى العلم مغنما، والجهل مغرما، فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم، وينفي عنه معرة الجهل، فإن نيل العظيم بأمر عظيم، وعلى قدر الرغبة يكون الطلب، وبحسب الراحة يكون التعب. وقد قيل: طلب الراحة بقلة الاستراحة.**وقال بعض الحكماء**: أكمل الراحة ما كان عن كد التعب، وأعز العلم ما كان عن ذل الطلب، قال: وربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ، واتكل بعدـــــــــــــــــ(١) جامع العلم: ١/ ١٠٣.(٢) م. س: ١/ ١٠٢.(٣) التبيان: ٥١.(٤) محمد بن إبراهيم بن عبدوس المالكي، ت: (٢٦٠هـ ٨٧٣م) ثقة، فقيه، زاهد، من كبار أصحاب سحنون، له كتاب: «التفاسير»، وكتاب: «المجموعة»، على مذهب مالك وأصحابه.انظر المدارك: ٤/ ٢٢٨٢٢٢.(٥) محمد بن محمد بن وشاح اللخمي بالولاء،

---

(١) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام @ت العلمي ابن الأزرق ٢/٧٦٥

(٢) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام @ت العلمي ابن الأزرق ٢/٧٧٦

المالكي أبو بكر ابن اللباد، ت: (٣٣٣هـ ٩٤٤م).فقيه، مفسر، لغوي، له كتاب «الطهارة»، وكتاب «عصمة النبيين» وكتاب «فضائل مالك بن أنس» وكتاب «الآثار والفوائد». انظر الديباج: ٢/ ١٩٧١٩٦، والمدارك: ٥/ ٢٩٥٢٨٦.(٦) انظر الإلماع: ٢٣٥.." [1]

"لنفسه، استبنت عليه وجمة، [فقلت] (١): إنه صاحب الشعر. قال عباس: ثم أتممت الشعر، فقال: هذا أشعر العرب، ثم نقلني إلى نفسه: فكنت في ضيافته عاما، ثم قدم عباس الأندلس، فتكرر على الحكم بن هشام (٢) بالمديح. ثم تعرض للخدمة، فاستقضاه على بلده (٣)» (٤) اهـ.الأدب العاشر: ألا يطلب ما يبعد عنه من العلم باعتبار التشوف إلى ما صعب منه، وشهوة الانتقال إلى غير معلمه القريب على غير تحقيق لمزيد النفع به.نبه على ذلك الماوردي رحمه الله قال ما نصه:«إذا قرب منك العلم، فلا تطلب ما بعد، وإذا سهل عليك من وجه، فلا تطلب ما صعب، وإذا حمدت من خبرته، فلا تطلب من لم تخبره، فإن العدول عن القريب إلى البعيد عناء، وترك الأسهل بالأصعب بلاء، والانتقال عن [المخبور] (٥) إلى غيره خطر.وقال علي رضي الله عنه: عقبى الأخرق مضرة، والمتعسف لا تدوم له مسرة.وقال بعض الحكماء: القصد أسهل من التعسف، والكف أورع من التكلف.قال: وربما تشوف الإنسان إلى من بعد عنه استهانة بمن قرب منه، وطلب ما صعب احتقارا لما سهل، وانتقل إلى من لم يخبره مللا منه لمن خبره، فلا يدرك محبوبا، ولا يظفر بطائل، وقد قالت العرب في «أمثالها»: «إن العالم______________(١) في «أ»: فقست. وفي «ج»: بياض.(٢) الحكم بن هشام الداخل الأموي الربضي، أبو العاص، ت: ٢٠٦هـ ٨٢٢انظر جذوة الحميدي: ١٠. والنفح: ١/ ٣٤٤٣٣٩.(٣) في طبقات الزبيدي: ٢٦٣: الجزيرة.(٤) م. س: ٢٦٣٢٦٢.(٥) في «أ»: المجنون. وفي «د»: المخبر.." [2]

"وقال أعرابي أيضا: «ما رأيت ظالما أشبه مظلوما من حاسد، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه».وقال بعض الحكماء: «الحسد جرح لا يبرأ، وبحسب الحسود ما يلقى».ثانيهما: أن هذا المرض القلبي بتعذيب الجسد ربما أوقع في أمراض بدنية لانفعال البدن، الناتج عن الانفعالات النفسية.قال الإمام فخر الدين: «وربما أزال الصحة عنك، وأوقعك في الوسواس، ونغص عليك لذة المطعم والمشرب».مزيد عظة:قال الغزالي: «ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته (١) مع عدم ٣٣٣و / / النفع، فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة؟! فما أعجب من العاقل أن يعترض لسخط الله من غير نفع يناله، مع ضرر يحتمله، وألم يقاسيه، فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة؟!» (٢).الثالث: أن حسده لا يضر المحسود لا في دينه، ولا في دنياه.«وذلك لأن النعمة لا تزول عنه بالحسد، بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة، لا بد وأن يدوم إلى أجله المقدر له، فإن كل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا، ولا عليه إثم في الآخرة» (٣).قلت: ومن كلام «ابن المقفع» (٤) في هذا المعنى مع التوطئة له بتقرير ما______________(١) المساءة: ج مساوىء: القبيح من الفعل أو القول.(٢) الإحياء: ٣/ ١٩٦.(٣) انظر: م. س:

---

[1] روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام @ت العلمي ابن الأزرق ٢/٧٩٤

[2] روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام @ت العلمي ابن الأزرق ٢/٨٨٤

٣/ ١٩٧١٩٦.(٤) عبد الله ابن المقفع، ت: ١٤٢هـ ٧٥٩م، من أئمة الكتاب، وأول من قام بترجمة كتب المنطق إلى العربية، له «الأدب الصغير»، و «الدرة اليتيمة»، و «كليلة ودمنة»، و «الجوهرة الثمينة» في طاعة السلطان. انظر الفهرست: ١٧٨، والخزانة: ٣/ ٤٦٠٤٥٩.." [(١)]

"أبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال: «تزاوروا، وتذاكروا هذا الحديث ألا تفعلوه يدرس» (١). وذكر أبو عمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:«تذاكروا الحديث فإنه يهيج بعضه بعضا. وعن علقمة قال: تذاكروا الحديث فإن إحياءه ذكره. وعن إسماعيل بن رجاء (٢) أنه كان يأتي الصبيان في المكتب، فيعرض عليهم حديثه كي لا ينسى. وعن النخعي أنه كان يقول: إذا سمعت حديثا فحدث به حين تسمعه، ولو أن تحدث به من لا يشتهيه فإنه يكون كالكتاب في صدرك» (٣).الفائدة الثالثة: زيادة العلم، ونماء بضاعة الفهم فيه، والإدراك لحقائقه.فقد **قال بعض الحكماء** فيما حكاه الماوردي: «من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم. وقال الشاعر:إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه ... ولم يستفد علما نسي ما تعلمافكم جامع للكتب في كل مذهب ... يزيد مع الأيام في جمعهماقال: وقيل للخليل: بم أدركت هذا العلم؟ قال: كنت إذا لقيت عالما أخذت منه وأعطيته» (٤).قلت: ويذكر عن الغزالي رحمه الله أنه كان ينشد هذا البيت في مجلسه كثيرا:إذا اجتمعوا جاءوا بكل طريفة ... ويزداد بعض القوم من بعضهم علما ٣٣٧و / /__________(١) ورد ذكره أيضا في جامع العلم: ١/ ١٠١.(٢) إسماعيل بن رجاء الزبيدي أبو إسحاق الكوفي، روى عن أبيه، وأوس، وعبد الله بن أبي الهذيل، وغيرهم، وروى عنه الأعمش، وهو من أقرانه، وشعبة، والمسعودي، وغيرهم، ثقة.كان يجمع صبيان المكاتب، ويحدثهم لكي لا ينسى حديثه، انظر طبقات ابن سعد: ٦/ ٣٩١، والتهذيب: ١/ ٢٩٦.(٣) انظر جامع العلم: ١/ ١٠١.(٤) أدب الدنيا: ٢٩.." [(٢)]

"وقال الحسن (١): لا يتم دين الرجل حتى يتم عقله، وما ودع اللهامرأ عقلا إلا استنقذه به يوماه**وقال بعض الحكماء** (٢): من لم يكن عقله أغلب الاشياء عليه كانحتفه وهلاكه في أحب الاشياء إليه.وقال يوسف بن أسباط (٣): العقل سراج ما بطن، وزينة ما ظهر،وسائس ا لجسد، وملاك أمر العبد، ولا تصلح ا لحياة إلا به، ولا تدورالامور إ لا عليه.وقيل لعبد الله بن المبارك (٤): ما فضل ما عطي الرجل بعدالاسلام؟ قال: غريزة عقل. قيل: فان لم يكن؟ قال: ادب حسن. قيل:فان لم يكن؟ قال: أخ صالح يستشيره. قيل: فان لم يكن؟ فال: صمت(١) " ذم ا لهوى " (ص ٩). وأخرج ا لجزء الاول عنه ابن ابي الدنيا في كتاب " العقل"(ص ١٧)، وابن حبان في " روضة العقلاء) " (ص ٩ ١)، وانظر: " بهجة المجالس) "(١/ ٤٣ ٥) ٥ وأخرج ا لجزء الثاني عن حاتم بن إسماعيل في " روضة العقلاء"(ص ١٨). وهو عن الحسن في " العقد الفريد) " (٢/ ٢٤٧).(٢) هو أردشير كما في " الكامل " للمبرد (١/ ٤ ٠ ١)، و"التذكرة الحمدونية" (٣/ ٢٣٣).وانظر: " روضة العقلاء" (ص ٢ ٢)، و" ربيع الابرار" (٣/ ١ ٤ ١)، و" المستطرف "(١/ ٤ ٥).(٣) " ذم الهوى

---

(١) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام @ت العلمي ابن الأزرق ٢/ ٩٧٠

(٢) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام @ت العلمي ابن الأزرق ٢/ ٩٧٩

" (ص ٠ ١). وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب " العقل " (ص ٣٠) عنعبد الله بن خبيق الانطاكي.(٤) أخرجه عنه ابن حبان في " روضة العقلاء" (ص ١٧). وانظر " ذم الهوى " (ص ٠ ١).١٦." [1]

"لها، حتى هامت وسعت على وجهها، ومزقت ثيابها، و فضت إلى أمرعطيم. فلما رأى ما صارت إليه عا لجها فلم ينجع فيها العلاج، وكانتتدور في السكك بالليل، وتقول:الحب أول ما يكون لجاجة تأتي به وتسوقه الاقدارحتى إذا اقتحم الفتى لجح الهوى جاءت أمور لا تطاق كبارمن ذا يطيق كما أطيق من الهوى غلب العزاء وباحت الاسرارقال الخرائطي (١): و نشدني بعض أصحابنا:الحب أوله شيء يهيم به قلب المحب فيلقى الموت كاللعبيكون مبدؤه من نظرة عرضت ومزحة اشعلت في القلب كاللهبكالنار مبدوها من قدحة فإذا تضرمت أحرقت مستجمع الحطبقالوا: وكيف يمدح أمر يمنع القرار، ويسلب المنام، ويوله العقل،ويحدث الجنون، بل هو نفسه جنون، كما قال بعض الحكماء: ا لجنونفنون، والعشق فن من فنونه، كما قال بعض العشاق (٢):(١) " اعتلال القلوب " (ص ٤ ٣٢ - ٥ ٣٢). والابيات في " الواضح المبين " (ص ٩ ٥)،و" تزيين الاسواق " (١/ ٥٧).(٢) البيتان بلا نسبة في " اعتلال القلوب " (ص ٣٢٦)، و"ذم ا لهوى " (ص ٣١٧)، وبهجة المجالس (١/ ٤ ٥٥). وللمجنون في " ديو ١ نه " (ص ٢٨١)، و" مصارع العشاق "(١/ ٢٦ ١، ٢/ ١٨١)، و" ديوان الصبابة " (ص ٥ ٢)، " وتزيين الاسواق " (١/ ٤ ٦ ١).وقد تقدم البيتان في اول الكتاب.٢٧٣." [2]

"فصلوكما أن ا لجمال الباطن من أعظم نعم الله على عبده؛ فا لجمالالظاهر نعمة منه أيضا على عبده، يوجب شكرا، فإن شكره بتقواهوصيانته؛ ازداد جمالا على جماله، وإن استعمل جماله في معاصيهسبحانه؛ قلبه له شينا ظاهرا في الدنيا قبل الاخرة، فتعود تلك المحاسنوحشة، وقبحا، وشينا، وينفر عنه من راه، فكل من لم يتق الله في حسنهوجماله؛ انقلب قبحا وشينا يشينه به بين الناس، فحسن الباطن يعلو قبحالظاهر ويستره، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره.وكان النبي! يم يدعو الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر، كماقال جرير بن عبد الله، وكان عمر بن الخطاب يسميه: يوسف هذه الامة،قال: قال لي رسول الله! سيم: " انت امرؤ قد أحسن الله خلقك، فاحسنخلقك " (١).وقال بعض الحكماء (٢): ينبغي للعبد أن ينظر كل يوم في المراة،فان ر ى صورته حسنة؛ لم يشنها بقبيح فعله، وإلى راها قبيحة؛ لم يجمعبين قبح الصورة، وقبح الفعل.ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس، معظما في القلوب؛(١) اخرجه الخرائطي (ص ٠ ٦ ١).(٢) انظر اعتلال القلوب (ع ١٦٥).٣٢٢." [3]

"الاسلمي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ع! يم: " أخوف ما أخافعليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الهوى ".وفي نسخة كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه، عنجده - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله لجي!: " إن أخوف ما أخاف علىأمتي حكم جائر، وزلة عالم، وهوى متبع " (١).وقيل لبعض الحكماء (٢): اي الاصحاب ابر؟ قال: العمل الصالح،قيل: فاي شيء أضر؟ قال: النفس والهوى.وقال بعض الحكماء (٣):

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين @ط عالم الفوائد ابن القيم ص/١٦

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين @ط عالم الفوائد ابن القيم ص/٢٧٣

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين @ط عالم الفوائد ابن القيم ص/٣٢٢

إذا اشتبه عليك أمران؛ فانظر اقربهما منهواك؛ فاجتنبه.و تي بعض الملوك (٤) باسير عظيم الجرم، فقال: لو كان هواي فيالعفو عنك لخالفت [١٥٣ ب] الهوى إلى قتلك، ولكن لما كان هواي فيقتلك خالفته إلى العفو عنك.(١) أخرجه بهذا اللفظ الخرائطي (ص ٦٧ - ٦٨). ورواه ايضا [لبزار كما في كشفالاستار (١٨٢)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٧)، والقضاعي في مسند الشهاب(٢٧ ١ ١)، وابن ا لجوزي في ذم الهوى (ص ٩ ١). وفي إسناده كثير بن عبد الله،وهو متروك.(٢) أخرجه الخرائطي (ص ٦٨).(٣) كما عند الخرائطي (ص ٦٨).(٤) ا لخبر عند الخرائطي (ص ٦٨).٥٤٦."
(١)

"فى ديوان الهالكين، وإن أحدثت له جزعا وتفريطا فى ترك واجب، أو فى فعل محرم، كتب فى ديوان المفرطين، وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر، كتب فى ديوان المغبونين، وإن أحدثت له اعتراضا على الله، وقدحا فى حكمته، فقد قرع باب الزندقة أو ولجه، وإن أحدثت له صبرا وثباتا لله، كتب فى ديوان الصابرين، وإن أحدثت له الرضى عن الله، كتب فى ديوان الراضين، وإن أحدثت له الحمد والشكر، كتب فى ديوان الشاكرين، وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين، وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقاء ربه، كتب فى ديوان المحبين المخلصين.

وفى "مسند الإمام أحمد" والترمذى، من حديث محمود بن لبيد يرفعه: "إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضى، ومن سخط فله السخط". زاد أحمد: "ومن جزع فله الجزع".

ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ فى الجزع غايته، فآخر أمره إلى صبر الاضطرار، وهو غير محمود ولا مثاب، **قال بعض الحكماء**: العاقل يفعل فى أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم

وفى "الصحيح" مرفوعا: "الصبر عند الصدمة الأولى".

وقال الأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا، وإلا سلوت سلو البهائم.." (٢)

"فصل [فى التحذير من الجمع بين البيض والسمك]

وقال ابن بختيشوع: "احذر أن تجمع البيض والسمك، فإنهما يورثان القولنج والبواسير، ووجع الأضراس"

وإدامة أكل البيض يولد الكلف فى الوجه، وأكل المملوحة والسمك المالح والافتصاد بعد الحمام يولد البهق والجرب.

إدامة أكل كلى الغنم يعقر المثانة.

الاغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك الطرى يولد الفالج.

وطء المرأة الحائض يولد الجذام.

الجماع من غير أن يهريق الماء عقيبه يولد الحصاة.

"طول المكث فى المخرج يولد الداء الدوى".

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين @ط عالم الفوائد ابن القيم ص/٥٤٦

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد @ط الرسالة= مقابلة ابن القيم ١٩٣/٤

وقال أبقراط: "الإقلال من الضار، خير من الإكثار من النافع"، وقال: "استديموا الصحة بترك التكاسل عن التعب، وبترك الامتلاء من الطعام والشراب".

وقال بعض الحكماء: "من أراد الصحة، فليجود الغذاء، وليأكل على نقاء، وليشرب على ظمإ، وليقلل من شرب الماء، ويتمدد بعد الغداء، ويتمش بعد العشاء، ولا ينم حتى يعرض نفسه على الخلاء، وليحذر دخول الحمام عقيب الامتلاء، ومرة فى الصيف خير من عشر فى الشتاء، وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء، ومجامعة العجائز تهرم أعمار الأحياء، وتسقم أبدان الأصحاء".

ويروى هذا عن على رضى الله عنه، ولا يصح عنه، وإنما بعضه من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، وكلام غيره.." (١)

"وينبغي لمن يريد أن يتحقق بتسبيحه أيضا أن ينزه مطعمه من الحرام والشهوات، فإنه قد ورد الخبر بأن لحما نبت من حرام فالنار أولى به.وقال بعض الحكماء: عجبت لمن يترك الحلال مخافة الداء، ولا يترك الحرام مخافة النار.وحكى عن بعضهم أنه قال: رأيت شابا عليه عباءة وبيده ركوة فقال لى: إنى إنسان أقصد الورع فلا آكل إلا ما ألقاه الناس، فربما أجد قشرة شيء سبقنى إليه النمل فألقيه ولا أتناوله، فهل علي من ذلك شيء؟ قال: فقلت فى نفسى: بقى على وجه الأرض من يتورع فى مثل هذا؟ كالمنكر له غير المصدق بمقامه، قال: فنظرت فإذا الرجل واقف على أرض من فضة صافية، فقال لى: الغيبة حرام، وغاب عن بصرى.ومعنى الحكاية أنه لما ترك ما حجب الخلق عن الله أكرمه الله بنور الإشراق، حتى نطق عما خطر بقلبه من الإنكار، ثم أخفاه الله تعالى عنه بشؤم الاعتراض، وهكذا سنة الله فى أوليائه أن يسترهم عمن لا يبلغ مرتبتهم.فصلتقديس الأعمال عن الرياءوينبغى له أن يقدس أعماله عن الرياء والمصانعات والتزين للمخلوقين بإظهار الطاعات، فإن الله تعالى لا يقبل من الأعمال، إلا ما كان بوصف الإخلاص لله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (البينة: ٥).وحكى عن بعضهم عن سهل بن عبد الله أنه قال: هل لك أن تحضر الجمعة؟ قال: فقلت: وكيف وبيننا وبين الجامع مسيرة يوم وليلة، قال فأخذ بيدى، فلم يكن إلا قليلا حتى رأيت الجامع، فدخلنا وصلينا، فلما خرجنا نظر إلى الناس يجرون فقال: أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل.وفى الخبر: «أخلص العمل يكفك القليل منه».١٠٤." (٢)

"

(مالك عن أبي النضر) سالم بن أبي أمية تابعي صغير ثقة ثبت

(مولى عمر بن عبيد الله) بضم العين بن معمر التيمي القرشي

(عن بسر) بضم الموحدة وإسكان المهملة (ابن سعيد) بكسر العين المدني العابد ثقة حافظ

(أن زيد بن ثابت) بن الضحاك الأنصاري النجاري أحد كتاب الوحي من الراسخين في العلم

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد @ط الرسالة= مقابلة ابن القيم ٤/٤٠٧

(٢) شرح أسماء الله الحسنى للقشيريص/٤٦

(قال أفضل الصلاة صلاتكم في بيوتكم) لبعدها عن الرياء ولتحصل البركة في البيوت فتنزل فيها الرحمة ويخرج منها الشيطان وعليه فيمكن أن يخرج بقوله في بيوتكم بيت غيره ولو أمن الرياء كذا في الفتح

(إلا صلاة المكتوبة) أي المفروضة فليست في البيوت أفضل بل في المسجد أفضل لأن الجماعة تشرع لها فمحلها أولى وظاهره يشمل كل نفل لكنه محول على ما لا يشرع له التجميع كالتراويح والعيدين وما تشرع له الجماعة أو ما يفوت إذا رجع المصلي إلى بيته ولم يفعله وما لا يخص المسجد كالتحية

قال الحافظ ويحتمل أنه أراد بالصلاة ما يشرع في البيت وفي المسجد معا فلا تدخله التحية أو أنه لم يرد بالمكتوبة المفروضة بل ما تشرع له الجماعة وفيما وجب لعارض كمنذورة احتمال

قال ابن عبد البر هذا الحديث موقوف في جميع الموطآت على زيد وهو مرفوع عنه من وجوه صحاح ويستحيل أن يكون رأيا لأن الفضائل لا مدخل للرأي فيها انتهى

وأخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من طرق عن أبي النضر عن بسر بن سعيد عن زيد بن ثابت مرفوعا به وفيه قصة هي سبب الحديث

وروى الخطيب من طريق إسماعيل بن أبان حدثنا عبد الأعلى بن مسهر حدثنا مالك عن أنس عن أبي النضر عن بسر بن سعيد عن زيد بن ثابت قال قال خير صلاتكم صلاتكم في بيوتكم إلا صلاة الفريضة قال ابن حوصا لم يتابع أحد إسماعيل بن أبان على رفع هذا الحديث أي عن مالك لكن لم يذكر إسماعيل بجرح لا في اللسان ولا في الميزان

قال ابن عبد البر وفي هذا الحديث دليل على أن لا جماعة إلا في الفريضة وأن أعمال البر في السر أفضل

وقال بعض الحكماء إخفاء العلم هلكة وإخفاء العمل نجاة

وقال تعالى في الصدقات ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ سورة البقرة الآية ٢٧١

٦٩ ما جاء في العتمة والصبح (مالك عن عبد الرحمن بن حرملة) بن عمرو بن سنة بفتح المهملة وتثقيل النون (الأسلمي)

---

(١) ".

"شرح الشاطبية، ص: ٣٧وقد قيل كن كالكلب يقصيه أهله ... وما يأتلي فى نصحهم متبذلا(وقد قيل) أي: **قال بعض الحكماء** (كن) مع الله (كالكلب) مع أهله فإنه (يقصيه أهله) أي: يبعدونه، ويضربونه «١» (وما يأتلي) أي: يقيم «٢» (فى نصحهم متبذلا) بالمعجمة، أي: [فاعلا لجليل] «٣» النصح، وحقيره، فكذلك لا تقصر في خدمة مولاك،

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ @ط العلمية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٨٣/١

ونصحه بطريقه، وإن أدبك بمرض أو فقر أو جوع أو غير ذلك من وجوه المحن، وهذا البيت مأخوذ من أثر أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: «عن وهب بن منبه: أن رجلا قال لراهب: أوصني، فقال: انصح لله نصح الكلب لأهله، فإنهم يجيعونه ويضربونه ويطردونه، ويأبى إلا «٤» أن ينصح لهم» «٥».لعل إله العرش يا إخوتى يقي ... جماعتنا كل المكاره هولا(لعل إله العرش يا إخوتى يقي جماعتنا كل المكاره) الدنيوية والأخروية (هولا) حال، أي: مفزعة، جمع: هائل وهائلة، من: هالني «٦» الشيء أفزعني.ويجعلنا ممن يكون كتابه ... شفيعا لهم إذ ما نسوه فيمحلا(ويجعلنا ممن يكون كتابه شفيعا لهم إذ ما نسوه) بترك العمل به (فيمحلا) أي: يشين بهم، ويبلغ أفعالهم القبيحة.وبالله حولى واعتصامى وقوتى ... ومالى إلا ستره متجللا(وبالله) لا غيره (حولي) أي: امتناعي عن الشر (واعتصامي) أي:تحولي عن المعصية (وقوتي) على الطاعة والخير (وما لى إلا ستره) حال كوني «٧» (متجللا) به، أي: متغطيا.____(١) في ز: ويضربونه.(٢) في ك: ينقم.(٣) في ك: فاعل الجليل.(٤) سقط من ز.(٥) حلية الأولياء (٤٧٠٤، ٤٧٥٠، ٩٧٩٣). والزهد لأحمد (٥٠٩)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٤٥٠٠).(٦) في د: أهالني.(٧) في ز: كونه.." [1]

"شرح الشاطبية، ص: ٣٧وقد قيل كن كالكلب يقصيه أهله ... وما يأتلي فى نصحهم متبذلا(وقد قيل) أي: قال بعض الحكماء (كن) مع الله (كالكلب) مع أهله فإنه (يقصيه أهله) أي: يبعدونه، ويضربونه «١» (وما يأتلي) أي: يقيم «٢» (فى نصحهم متبذلا) بالمعجمة، أي: [فاعلا لجليل] «٣» النصح، وحقيره، فكذلك لا تقصر في خدمة مولاك، ونصحه بطريقه، وإن أدبك بمرض أو فقر أو جوع أو غير ذلك من وجوه المحن، وهذا البيت مأخوذ من أثر أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: «عن وهب بن منبه: أن رجلا قال لراهب: أوصني، فقال: انصح لله نصح الكلب لأهله، فإنهم يجيعونه ويضربونه ويطردونه، ويأبى إلا «٤» أن ينصح لهم» «٥».لعل إله العرش يا إخوتى يقي ... جماعتنا كل المكاره هولا(لعل إله العرش يا إخوتى يقي جماعتنا كل المكاره) الدنيوية والأخروية (هولا) حال، أي: مفزعة، جمع: هائل وهائلة، من: هالني «٦» الشيء أفزعني.ويجعلنا ممن يكون كتابه ... شفيعا لهم إذ ما نسوه فيمحلا(ويجعلنا ممن يكون كتابه شفيعا لهم إذ ما نسوه) بترك العمل به (فيمحلا) أي: يشين بهم، ويبلغ أفعالهم القبيحة.وبالله حولى واعتصامى وقوتى ... ومالى إلا ستره متجللا(وبالله) لا غيره (حولي) أي: امتناعي عن الشر (واعتصامي) أي:تحولي عن المعصية (وقوتي) على الطاعة والخير (وما لى إلا ستره) حال كوني «٧» (متجللا) به، أي: متغطيا.____(١) في ز: ويضربونه.(٢) في ك: ينقم.(٣) في ك: فاعل الجليل.(٤) سقط من ز.(٥) حلية الأولياء (٤٧٠٤، ٤٧٥٠، ٩٧٩٣). والزهد لأحمد (٥٠٩)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٤٥٠٠).(٦) في د: أهالني.(٧) في ز: كونه.." [2]

"..عليه السلام------------------------

---------عليه السلامأن إيجاد الشيء بالقدرة والاختيار لا يكون إلا كذلك، واللازم باطل (١)؛ فإن المشي من موضع إلى موضع قد يشتمل على سكنات متخللة (٢) وعلى حركات بعضها أسرع وبعضها أبطأ، ولاشعور للماشي بذلك؛

---

(١) شرح الشاطبية للسيوطي الجَلَال السُّيُوطي ص/٣٧

(٢) شرح الشاطبية للسيوطي@ ط قرطبة الجَلَال السُّيُوطي ص/٣٧

وليس هذا (٣) ذهولا عن العلم، بل لو سئل لم يعلم، وهذا في أظهر أفعاله؛ وأما إذا تأملت في حركات أعضائه في المشي والأخذ والبطش ونحو ذلك، وما يحتاج إليه من تحريك العضلات وتمديد الأعصاب ونحو ذلك، فالأمر أظهر (٤).______________= لا يستدل العقلاء على علمه تعالى بإيجاده، بل باشتمال مصنوعاته على حكم ومصالح ونظام عجيب؛ ولو سلم: أن الإيجاد بالقصد يستلزم العلم بالموجد، فنقول: العلم الإجمالي كاف، وهو حاصل للعبد في أفعاله؛ ودفع الشارح جوابهم بدعوى الضرورة في وجوب العلم التفصيلي. (النبراس)(١) قوله: (واللازم باطل) وهو علم العبد بتفاصيل أفعاله. (النبراس)(٢) قوله: (على سكنات متخللة) أي: واقعة في خلال حركاته. (النبراس)(٣) قوله: (وليس هذا ذهولا إلخ): هذا جواب عن سوال مقدر، وهو أن يقال: لانسلم أن العبد ليس بعالم بتفاصيل أفعال، بل هو عالم إلا أنه ذاهل عن العلم.والفرق بين الجهل والذهول: أن الجهل عدم العلم، والذهول عدم التوجه إلى المعلوم الحاضر في الذهن، كذهول الحافظ عن تفصيل ألفاظ القرآن؛ فدفع الشارح الاعتراض بقوله: وليس هذا – أي: عدم الشعور – ذهولا عن العلم؛ بل لو سئل عن التفاصيل لم يعلم، يعني: أن الذاهل إذا سئل عن المذهول عنه أجاب عنه؛ والماشي إذا سئل عن تفصيل حركاته وسكناته لم يعرفها.(النبراس، رمضان آفندي)(٤) قوله: (فالأمر أظهر إلخ): للقطع بأن أحدا منا لا يعرف ذلك، بل لا شعور بوجود العضلات والأعصاب، وتوقف الحركة على تمديدها إلا لعلماء التشريح، ولذا **قال بعض الحكماء**: من أعجب العجائب: أن الحركة المخصوصة في العضو لا تحصل إلا بحركة عضلة مخصوصة، ولا علم لصاحب العضو بتلك العضلة؛ ولكنه إذا أراد حركة العضو تحرك تلك العضلة، لا غيرها من العضلات؛ فسبحان الله الخفي بذاته والظاهر بصفاته وآياته؛وقد استدل بعض المشائخ بالنائم يتقلب باختياره من جنب إلى جنب، ولا يشعر بكمية ذلك الفعل وكيفيته؛ ولكن أعرض الشارح عن هذا الإمكان، ودفعه بأن الشعور يضمحل بالنوم. (نب)." (١)

"و إما بالحرارة كما في السراج وإن كان هذا الأخير راجعا في الحقيقة الى ذلك الاضطرار فاذا كان مع الجاذبة معاونة حرارة كان الجذب أقوى (ثم الدافعة) لان فعلها تحريك محض (ثم الماسكة) لما مر من أن فعلها لا يحصل إلا بتحريك الليف لكن لما كانت مدة تسكين الماسكة للغذاء أكثر من مدة تحريكها لليف كان احتياجها أقل (وأشد القوى حاجة الى اليبوسة الماسكة) لان فعلها بالذات هو الإمساك والتسكين واليبوسة نافعة في ذلك جدا (ثم الجاذبة) لان حاجتها الى التحريك أمس من حاجتها الى تسكين أجزاء آلتها وتقبيضها باليبوسة لتتمكن من التحريك (ثم الدافعة) وذلك لان فعلها أيضا التحريك واليبوسة تفيد زيادة تمكن للروح وآلتها من الاعتماد الذي لا بد منه في الحركة ولو كان في جوهر الروح أو الآلة استرخاء بسبب الرطوبة لتعسر الحركة وحيث كانت الحركة في الجاذبة أقوى كانت حاجتها الى اليبوسة أشد (والهاضمة لا حاجة لها الى اليبس بل الى الرطوبة) المعينة إياه في التفريق والجمع والطبخ والإنضاج والبرودة مع كونها منافية بالذات لأفعال هذه تخدم بالعرض الماسكة بإعانتها على حبس الليف المورب على هيئة الاشتمال الصالح للامساك وتخدم كذلك الدافعة بأنها تمنع تحليل الريح المعينة على الدفع وأيضا تغلظها وكلما كانت الريح أغلظ كانت أعون وأيضا تجمع الليف العاصر وتكثفه فتكون أقوى في الدفع فظهر مما ذكر أن الحرارة تخدم جميع هذه القوى والبرودة لا تخدم إلا الماسكة والدافعة وأن

____

(١) شرح العقائد النسفية @ ط الهند التفتازاني /٢٧١

اليبوسة تخدم ما سوى الهاضمة والرطوبة تخدمها فقط* التنبيه (الثاني قد تتضاعف هذه القوى في بعض الأعضاء فالمعدة فيها جاذبة إليها ما يصلح لها وجاذبة) أيضا (لغذاء البدن من خارج وبالجملة فقد تفعل) المعدة (تارة للأعداد) وتهيئة الغذاء لسائر الأعضاء (وتارة للاغتذاء وكذا كثير من الأعضاء) كالكبد وسائر أدوات الغذاء وفي المباحث المشرقية **قال بعض الحكماء أن** هذه القوى الأربع توجد في المعدة مضاعفة احدهما التي تجذب غذاء البدن من خارج الى تجويف المعدة والتي تمسكه هناك والتي تغيره الى عليه السلام------------------------------عليه السلام حاجتها الى تسكين الأغذية (قوله وحيث كانت الحركة في الجاذبة أقوى) هذا إشارة الى وجه الترتيب بين الجاذبة والدافعة كما دل عليه بكلمة ثم وحاصله أن حاجة كل منهما الى اليبوسة إنما هو لأجل التسكين الممكن للتحريك فما كان تحريكه اقوى كان حاجته الى اليبوسة أكثر وقوله وتخدم أي تخدم البرودة وقوله كذلك أي بالعرض وقوله تغلظها من التغليظ أي تغلظ البرودة الريح المنحنية وهذا من الإعانة (قوله إحداهما) أي احدى الجملتين وهما وإن لم تكونا مذكورتين صريحا لكنهما كانتا مفهومتين من وقوع قوله مضاعفة حالا مقيدة لما قبلها ولكل واحدة من الجملتين أجزاء أربعة كما ذكره @." (١)

"**وقال بعض الحكماء**: «أطول الناس غما الحسود، وأهنأهم عيشا القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص، وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم القنوط».ولبعضهم في هذا المعنى:الحرص داء قد أضر بمن ترى إلا قليلاكم من عزيز قد رأيتصيره الحرص ذليلاوغيره:كم أنت للحرص والأماني يعبدليس يجدي في الحرصوالسعي إذا لم يكن جدما لما قدره اللهمن الأمر بدولأبي العتاهية يخاطب سلمان الخاسر:تعالى الله يا سلم بن عمروأذل الحرص أعناق الرجالومن كلام المأمون: «الحرص مفسدة للدين والمروءة».وأنشد بعضهم:." (٢)

" استعمالها أو حذا حذو رسوم المبرزين الذين ينتحلون الكلام ويوقعونه مواقعه مع مراعاة رشاقة اللفظ وحلاوة المعنى وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع المعاني الأبكار للأمور الحادثة التي لم يقع مثلها ولا سبق سابق إلى كتابتها لأن الحوادث والوقائع لا تتناهى ولا تقف عند حد

ومن هنا تنقص الوزير ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر المقامات الحريرية وازدراها جانحا إلى أنها صور موضوعة في قوالب حكايات مبينة على مبدإ ومقطع بخلاف الكتابة فإن أهوالها غير متناهية ولو روعي حال ما يكتبه الكاتب في أدنى مدة لكان مثل المقامات مرات

ومنها اختصاص كاتب الإنشاء بالسلطان وقربه منه وإعظام خواصه واعتمادهم في المهمات عليه مع كونه أحرز بالسلامة من أرباب الأقلام المتصرفين في الأموال وقد **قال بعض الحكماء** الكتاب كالجوارح كل جارحة منها ترفد الأخرى في عملها بما به يكون فعلها وكاتب الإنشاء بمنزلة الروح الممازجة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواسه

قال في مواد البيان ولا شك في صحة هذا التمثيل لأن كاتب الإنشاء هو الذي يمثل لكل عامل في تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه بالأمر والنهي على ما يؤدي إلى استقامة ما عدق به وهو حلية المملكة وزينتها لما يصدر

---

(١) شرح المواقف للجرجاني مع حاشيتي السيالكوتي والفناري @ط السعادة الجرجاني، الشريف ٦/١٩١

(٢) شرح حديث "ما ذئبان جائعان"=ذم المال والجاه @ ط القاسم ابن رجب الحنبلي ص/١٠

عنه من البيان الذي يرفع قدرها ويعلي ذكرها ويعظم خطرها ويدل على فضل ملكها وهو المتصرف عن السلطان في الوعيد والترغيب والإحماد والإذمام واقتضاب المعاني التي تقر الوالي على ولايته وطاعته وتعطف العدو العاصي عن عداوته ومعصيته على أن بعض ." (١)

" الصافي من كل شيء قال ابن أحمر يذكر امرأة

(تتيه بفاحم جعد ... وأبيض ناصع الحبر)

يريد سواد شعرها وبياض لونها وفي الخبر يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره بكسر الحاء المهملة والسين فيهما

قال ابن الأعرابي حبره حسنه وسبره هيئته وقال المبرد قال التوزي سألت الفراء عن المداد لم سمي حبرا فقال يقال للمعلم حبر وحبر يعني بفتح الحاء وكسرها فأرادوا مداد حبر أي مداد عالم فحذفوا مداد وجعلوا مكانه حبرا

قال فذكرت ذلك للأصمعي فقال ليس هذا بشيء إنما هو لتأثيره يقال على أسنانه حبر إذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب إلى السواد والحبر الأثر يبقى في الجلد وأنشد

(لقد أشمتت بي آل فيد وغادرت ... بجلدي حبرا بنت مصان باديا)

أراد بالحبر الأثر يعني أثر الكتابة في القرطاس قال المبرد وأنا أحسب أنه سمي بذلك لأن الكتاب يحبر به أي يحسن أخذا من قولهم حبرت الشيء تحبيرا إذا حسنته

الوجه الثاني في شرف المداد والحبر واختيار السواد لذلك

في الخبر يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة فيوضع أحدهما في كفة الميزان والآخر في الكفة الأخرى فلا يرجح أحدهما على الآخر **قال بعض الحكماء** صورة المداد في الأبصار سوداء وفي البصائر بيضاء

وقد قيل كواكب الحكم في ظلم المداد

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره منه فقال له يا هذا إن المداد من المروءة

وأنشد أبو زيد ." (٢)

" وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا صاحب شهادة تزجر طير الأشراك بهذه الأشرك من كل جانب وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي قربه فكان قاب قوسين أو أدنى وهذه أعلى المراتب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين رقوا في العلياء لمراق لم يسم إليها طير مراقب صلاة يسبق بها المصلي إلى بقاع شرف يشرق سناه في المشارق والمغارب ويرجع طائرا بالسرور ولا رجوع الطائر الشارد إلى المشارب

وبعد فإن الصيد من أحل الأشياء وأحلاها وأجلها وأجلاها وأبهاها وأشهرها وأشهاها وأفخر قيمة وأغزرها ديمة بورود الطير فيه إلى المناهل تنشرح الصدور وبوقوعه في شرور الشرك يتم السرور يحصل عند متعاطيه نشاطا ويزيده انبساطا

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا@ ط الفكر القلقشندي ١/٨٦

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا@ ط الفكر القلقشندي ٢/٥٠١

ويشرح خاطره ويسرح ناظره ويملأ عينه قرة وقلبه مسرة يشجع الجبان ويثبت الجنان ويقوي الشهوة ويسوي الخطوة ويسوق الظفر ويشوق النظر ويروق منه الورد والصدر ويفوق فيه الخبر على الخبر

قال بعض الحكماء قلما يغمش ناظر زهرة أو يزمن مريع طريدة ويعني بذلك من أدمن الحركة في الصيد ونظر إلى البساتين فاستمتع طرفه بنضرتها وأنيق منظرها

ومن ذا الذي ينكر لذة الاصطياد والطرب بالقنص على الإطراد ولله در القائل

(لولا طراد الصيد لم تك لذة ... فتطاردي لي بالوصال قليلا)

(هذا الشراب أخو الحياة وما له ... من لذة حتى يصيب عليلا)

يا حسنه من فعل اعتلت بالنسيم موارده ومصادره وفاقت أوائله في اللذاذة أواخره ولله القائل

(إنما الصيد همة ونشاط ... يعقب الجسم صحة وصلاحا)

(ورجاء ينال فيه سرور ... حين يلقى إصابة ونجاحا) ." (١)

"فروجهم﴾ (النور: ٣٦) وقال تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ (الإسراء: ٣٦) وفي الحديث عنه: «ثلاثة أعين لا تأكلها النار يوم القيامة عين غضت عن محارم الله وعين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله» والإجماع على وجوب غض البصر من النظر إلى المحارم وقال ذو النون المصري: حاجب الشهوة غض البصر. وقال ابن سيرين: إياكم وفضول النظر، فإنه يؤدي إلى فضول الشهوة. **وقال بعض الحكماء**: من كثرت لحظاته دامت حسراته، فإذا أنعم الله عليك بنعمة البصر فلا تستعمله---فيما هو كفران للنعمة فيفوتك ما أعد الله للشاكرين، واعلم أن مفسدات الدين العين، لأن مدار الدين والدنيا على القلب، وفساد القلب في الأكثر يكون من العين، ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من لم يملك عينيه فليس للقلب عنده قيمة، وقال في الرسالة: وليس في النظرة الأولى بغير تعمد حرج، وفي الحديث: «إياكم ومتابعة النظر فإنه يزرع في القلب الشهوة» ومعنى ذلك أن النظرة الأولى لك لا إثم عليك فيها، لأنكرقم الجزء: ١ رقم الصفحة: ٢---لم تقصدها، وأما النظرة الثانية فعليك، لأنك قصدتها بالضرورة قال تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ (غافر: ١٩) ومعنى خائنة الأعين هي سرقة العين النظرة الثانية للشهوة، وكفى بذلك تحذيرا لمن خاف مقام ربه، وبالجملة، فإن الله تعالى قد أنعم عليك بجوارحك، وجعلها أمانة عندك ومن شر الطغيان وغاية الخسران، خيانتك الأمانة واستعانتك على معشيته بنعمته، نسأل الله تعالى أن يعاملنا بلطفه ومنه وكرمه، قوله: ولا يحل له أن ينظر إلى مسلم بنظرة تؤذيه، أي يحرم عليه أن ينظر إلى أخيه المؤمن بنظرة يتأذى بها، إذ الواجب على كل مسلم أن لا يؤذي أخاه ظاهرا أو باطنا، لأن ذلك من الذنب الذي لا يتركه الله. قوله: إلا أن يكون فاسقا فيجب هجرانه يريد أنه إذا كان فاسقا، أي بدعيا أو مجاهرا بالكبائر لا يستتر بالمعاصي. ولم يقدر على عقوبته ولا على موعظته، أو كان لا يقبل الموعظة، فإنه حينئذ يجب هجرانه ردعا بذلك وزجرا لأمثاله، ولا غيبة في ذكر حاله، وبالله تعالى التوفيق. ص (ويجب عليه حفظ جميع جوارحه ما استطاع). ش يعني أنه يجب على كل إنسان أن يحفظ جوارحه كلها بقدر الإمكان،

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا@ ط الفكر القلقشندي ٣٢٢/١٤

وهي اللسان والعينان والأذنان واليدان والرجلان والبطن والفرج، إذ قد أودعه الله تعالى جميعها، وأمره بالمحافظة عليها من جميع المعاصي والمخالفات، وأن يستعملها في الطاعات ويتفقدها في كل الأوقات، وذلك بأن ينظر إلى جوارحه تلك اكتسبت خيرا شكر الله، وإن اكتسبت شرا تاب واستغفر الله، وهذا لا يقدر عليه إلا أهل المراقبة، وقد." (١)

"واختلف هل الروح والنفس واحد أم لا والأصح أنهما متغايران فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل واحد منا بقوله أنا وأكثر الفلاسفة لم يفرقوا بينهما قالوا النفس هو الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية ويسمونها الروح الحيوانية وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة وبين البدن وقال بعض الحكماء والغزالي النفس مجردة أي غير جسم ولا جسماني وقال الغزالي الروح جوهر محدث قائم بنفسه غير متحيز وإنه ليس بداخل الجسم ولا خارجا عنه وليس متصلا به ولا منفصلا عنه وذلك لعدم التحيز الذي هو شرط الكون في الجهات واعترض عليه بوجوه قد عرفت في موضعها وقيل الروح عرض لأنه لو كان جوهرا والجواهر متساوية في الجوهرية للزم أن يكون للروح روح آخر وهو فاسد وقيل إنه جوهر فرد متحيز وإنه خلاف الحياة القائمة بالجسم الحيواني وإنه حامل للصفات المعنوية وقيل إنه صورة لطيفة على صورة الجسم لها عينان وأذنان ويدان ورجلان في داخل الجسم يقابل كل جزء منه عضو نظيره من البدن وهو خيال وقيل إنه جسم لطيف في البدن سار فيه سريان ماء الورد فيه وعليه اعتمد عامة المتكلمين من أهل السنةوقد كثر الاختلاف في أمر الروح بين الحكماء والعلماء المتقدمين قديما وحديثا وأطلقوا أعنة النظر في شرحه وخاضوا في غمرات ماهيته فأكثرهم تاهوا في التيه فالأكثرون منهم على أن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثره لنفسه حتى قالوا إن النبي لم يكن عالما به قلت جل منصب النبي وهو حبيب الله وسيد خلقه أن يكون غير عالم بالروح وكيف وقد من الله عليه بقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (النساء ١١٣) وقد قال أكثر العلماء ليس في الآية دليل على أن الروح لا يعلم ولا على أن النبي لم يكن يعلمها." (٢)

"٣ -(باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)أي هذا باب في بيان قول النبي كن في الدنيا إلى آخره وهذه ترجمة ببعض حديث الباب قيل أشار به إلى أن حديث الباب مرفوع وأن من رواه موقوفا قصر فيه٤ -(باب في الأمل وطوله)أي هذا باب في بيان الهاء الأمل عن العمل والأمل مذموم لجميع الناس إلا العلماء فلولا أملهم وطوله لما صنفوا ولما ألفوا وقد نبه عليه ابن الجوزي بقوله(وآمال الرجال لهم فضوح *** سوى أمل المصنف ذي العلوم)والفرق بين الأمل والتمني أن الأمل ما يقوم بسبب والتمني بخلافه وقال بعض الحكماء إن الإنسان لا ينفك عن الأمل فإن فاته الأمل عول على التمني وقيل كثرة التمني تخلق العقل وتفسد الدين وتطرد القناعة وقال الشاعرالله أصدق والآمال كاذبةوجل هذا المنى في الصدر وسواسوقول الله تعالى (٣) فمن زحزح عن النار وادخل الجنةمتاع الغرور (آل عمران١٨٥) إلى قوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون (الحجر٣)هاتان الآيتان الأولى مسوقة بتمامها في رواية كريمة وفي رواية النسفي هكذا فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز الآية والثانية في رواية كريمة وغيرها

---

(١) عمدة البيان في معرفة فروض العيان @ ط الفكر (٩٨٠)ص/١١

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري@ ط أخرى بدر الدين العيني ٤٠٨/٣

مسوقة إلى آخرها وفي رواية أبي ذر هكذا ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية وبين الآيتين سقط لفظ قوله في رواية النسفي وقال الكرماني وجه مناسبة الآية الأولى بالترجمة صدرها وهو قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت أو عجزها وهو وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور وهذا يبين أن متعلق الأمل ليس بشيء قوله فمن زحزح أي أبعد قوله فاز أي نجا قوله ذرهم الأمر فيه للتهديد أي ذر المشركين يا محمد يأكلوا في هذه الدنيا ويتمتعوا من لذاتها إلى أجلهم الذي أجل لهم وفيه زجر عن الانهماك في ملاذ الدنيا قوله ويلههم الأمل أي يشغلهم عن عمل الآخرة." (١)

"٥٠٩٦ - قوله: (فتنة أضر) قال بعض الحكماء: النساء شر كلهن، وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن، ومع أنهن ناقصات عقل ودين يحملن [١] الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين؛ كشغله عن طلب أمور الدين، وحمله على التهالك على طلب الدنيا [٢]، وذلك أشد الفساد.ــــــــــــــــ[١] في الأصل: (يحملوا)، والمثبت من المصادر.[٢] في الأصل: (الدين)، والمثبت من المصادر.." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٧ """""""والذي حسن تقديره فيما قدر ، والمراد بالمرشد هنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإنه خير من دعا إلى الله وهدى إلى سواء سبيله بقاله وحاله .واعلم أن تعلم الآداب وحسن السمت والقصد والحياء والسيرة مطلوب شرعا وعرفا .وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (إن الهدي الصالح والسمت والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة) .وقال النخعي : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وصلاته وإلى حاله ، ثم يأخذون عنه .وقال عمر رضي الله عنه : تأدبوا ثم تعلموا .وقال ابن عباس : اطلب الأدب فإنه زيادة في العقل ، ودليل على المروءة مؤنس في الوحدة ، وصاحب في الغربة ، ومال عند القلة .رواه الأصبهاني في منتخبه .وقال أبو عبد الله البلخي : أدب العلم أكثر من العلم .وقال الإمام عبد الله بن المبارك : لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه بالأدب .ذكره الحاكم في تاريخه .ويروى عنه أيضا أنه قال : طلبت العلم فأصبت منه شيئا ، وطلبت الأدب فإذا أهله قد بادوا .وقال بعض الحكماء : لا أدب إلا بعقل ، ولا عقل إلا بأدب .وكان يقال : العون لمن لا عون له الأدب .وقال الأحنف بن قيس : الأدب نور العقل كما أن النار نور البصر .٣ (مطلب مثل الإيمان كبلدة لها خمس حصون) ٣وقال الحجاوي في شرحه : يقال مثل الإيمان كمثل بلدة لها خمس حصون ، الأول من ذهب ، والثاني من فضة ، والثالث من حديد ، والرابع من آجر ، والخامس من لبن ، فما زال أهل الحصن متعاهدين حصن اللبن لا يطمع العدو في الثاني ، فإذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني ثم الثالث حتى تخرب الحصون كلها ، فكذلك الإيمان في خمس حصون اليقين ، ثم الإخلاص ، ثم أداء الفرائض ، ثم السنن ، ثم حفظ الآداب ، فما دام يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه ، وإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن ، ثم في الفرائض ، ثم في الإخلاص

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري@ ط أخرى بدر الدين العيني ١٧٥/٣٣

(٢) غاية التوضيح/٥٩٣٢

، ثم في اليقينومن السنة الغراء أو من كتاب منتقدس عن قول الغواة وجحدومن قول اهل العلم من علمائنائمة اهل السلم من كل أمجد." (١)

"""""""" صفحة رقم ٩١ """"""المؤمنين يدنيك ، يعني عمر رضي الله عنهم ، فاحفظ عني ثلاثا : لا تفشين له سرا ، ولا تغتابن أحدا ، ولا يطلعن منك على كذبة .وقال الحكماء : ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يقدم عليها : شرب السم للتجربة ، وإفشاء السر إلى القرابة والحاسد وإن كان ثقة ، وركوب البحر وإن كان فيه غنى .ويروى : أصبر الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة التقلب يوما ما .وقال بعض الحكماء : القلوب أوعية الأسرار ، والشفاه أقفالها ، والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل منكم مفاتيح سره .وقال أكثم بن صيفي : إن سرك من دمك ، فانظر أين تريقه .وكان يقال : أكثر ما يتم تدبير الكتمان .وقال الشاعر :وسرك ما كان عند امرئوسر الثلاثة غير الخفيوقال آخر :فلا تخبر بسرك كل سرإذا ما جاوز الاثنين فاشوقالت طائفة : إنما السر ما أسررته في نفسك لم تبده إلى أحد .قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته لأني كنت به أضيق صدرا حيث استودعته إياه .وإلى ذا ذهب القائل :إذا المرء أفشى سره بلسانهولام عليه غيره فهو أحمقوقال آخر :إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسهفصدر الذي يستودع السر أضيقوقال آخر :إذا ما ضاق صدرك عن حديثفأفشته الرجال فمن تلوموإذا عاتبت من أفشى حديثيوسري عنده فأنا الظلومفإني حين أسأم حمل سريوقد ضمنته صدري مشومولست محدثا سري خليلاولا عرسي إذا خطرت همومأطوي السر دون الناس إنيلما استودعت من سر كتوموقد ذكر من أضجره كتم الأسرار وأنها تغلي في قلبه غليان النار ، ما ذاع وشاع في النثر والأشعار ، فمنه :ولا أكتم الأسرار لكن أبثهاولا أدع الأسرار تقتلني عما." (٢)

"""""""" صفحة رقم ١١٤ """"""ودع النفاق فما رأيت منافقا إلا مهيناوقال الحسن البصري : لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه .وقال بعض الحكماء : من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه .وقالوا : الصدق عز ، والكذب خضوع .وقال لقمان لابنه : يا بني احذر الكذب فإنه شهي كلحم العصفور ، من أكل منه شيئا لم يصبر عنه .والله أعلم .(خاتمة) الكذب من حيث هو حرام إلا فيما تقدم ، ولكنه من الصغائر في المعتمد ، ما لم يكن كذبا على الله أو رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، أو رمى بفتنة فكبيرة .وقد أوضحت ذلك في كتابي شرح منظومة الكبائر إيضاحا تاما .والله الموفق .ويحرم مزمار وشبابة ومايضاهيهما من آلة اللهو والردي(ويحرم) لثبوت النهي الصريح بالنقل الصحيح (مزمار) وهو ما يزمر به ، يقال زمر يزمر ويزمر زمرا وزميرا وزمر تزميرا غنى في القصب ، وهي زامرة وهو زمار وزامر قليل ، وفعلهما الزمارة كالكتابة ، ومزامير داود ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء ، وجمع مزمار ومزمور والزمارة كجبانة ما يزمر به كالمزمار ، والمزمار مؤذن الشيطان وصوته .٣ (مطلب المزمار مؤذن الشيطان) ٣فقد قال قتادة لما أهبط إبليس قال رب لعنتني فما عملي ؟ قال السحر ، قال فما قرآني ؟ قال الشعر ، قال فما كتابي ؟ قال الوشم ، قال فما طعامي ؟ قال كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه ، قال فما شرابي ؟ قال كل مسكر ،

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ٢٧/١

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ٩١/١

قال فأين مسكني ؟ قال الأسواق ، قال فما صوتي ؟ قال المزامير .قال فما مصائدي ؟ قال النساء .قال الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان : المعروف في هذا وقفه .وقد رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة مرفوعا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) .وقال ابن أبي الدنيا في كتاب مصائد الشيطان وحيله : حدثنا أبو بكر التميمي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا ابن زعر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال (إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا ، قال الحمام ، قال فاجعل لي مجلسا ، قال الأسواق ومجامع الطرق .قال فاجعل لي طعاما ، قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه ، قال فاجعل لي شرابا ، قال." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٨٧ """""""وفي لغة الاقناع قال ابن يعيش : ولا يستثنى بسيما إلا ومعها جحد . وقال ثعلب : من قاله بغير اللفظ الذي جاء به امرؤ القيس فقد أخطأ . ووجه ذلك أن لا سيما تساق لترجيح ما بعدها على ما قبلها فيكون كالمخرج عن مساواته إلى التفضيل وقال ابن الحاجب : لا يستثنى بها إلا ما يراد تعظيمه وبعضهم يستثنى بسيما . انتهى .قلت : وقد ولع به جماعة من المتأخرين فتحصل أن الأرجح أن يقال : ولا سيما بالواو ولا تشديد الياء كما في كلام امرىء القيس والناظم هنا ، ويقال : لا سيما من غير وأو بالتشديد وعدمه ، ويقال سيما من غير واو ولا لا . والظاهر أن عدم التشديد يجيء في الثلاجات حالات وأنه ضرورة والله سبحانه وتعالى أعلم .(للوالد) المعروف في الذهن يعني جنس الوالد فيشمل الأم والأب وإن علوا (المتأكد) في القرب والمستحق للبر ، كما أخبر الرب .فبر الوالدين من أعظم القربات ، وعقوقهما من أكبر الموبقات كما سنذكره من الآيات المحكمات والآثار المسندات .ورأيت في عدة نسخ مكان هذا البيت بدله ما لفظه (وإن عقوق) أي إيذاء (الوالدين) تثنية والد ، يقال عق والده .يعقه عقوقا فهو عاق إذا آذاه وعصاه وخرج عليه وهو ضد البر به ، وأصله من العق الذي هو الشق والقطع (كبيرة) الكبيرة من الذنوب ما فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة ، وزاد شيخ الإسلام أو نفي إيمان أو لعن مبعد .وفي منظومة الكبائر :فما فيه حد في الدنيا أو توعدبأخرى فسم كبرى على نص أحمدوزاد حفيد المجد أو جا وعيدهبنفي لإيمان ولعن مبعد(فبرهما) أي الوالدين والبر الصلة والحسنة والخير والإشباع في الإحسان ، فهو ضد العقوق .قاله في القاموس .وفي المطالع في قوله (صلى الله عليه وسلم) (وإن الصدق يهدي إلى البر) البر اسم جامع للخير .قال وبر الأبوين كله من الصلة وفعل الخير والتوسع فيه واللطف والطاعة (تبرر) أي يبرك أولادك أو أعم من ذلك جزاء لبرك والديك ، فإن من بر والديه بره أولاده كما يأتي في الخبر ، ومن عقهما عقه أولاده جزاء وفاقا .قال بعض الحكماء : من عصى والديه لم ينل السرور من ولده .وعن ثابت البناني قال : رأيت رجلا يضرب أباه في موضع فقيل له ما هذا ؟ فقال الأب : خلوا عنه فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع .(وتحمد) مجزوم في جواب الطلب وكسر للقافية ، يعني تحمد في الدنيا بحسن الثناء من الخلق والملأ الأعلى ، وتحمد في الآخرة لدى رب السموات العلى ، وتحمد عاقبة برك لهما في الدار الآخرة كما حصلت لك بركته في الأولى .قال جل شأنه) وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ١١٤/١

أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)) الإسراء : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٨٠ """""""رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين ومن تكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين (زاد ابن حبان) ولو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس عليها باب ولا كوة لخرج ما غيبه للناس كائنا ما كان (. أخرج الإمام أحمد والبزار ورواتهما محتج بهم في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا أعلمه إلا رفعه قال) يقول الله تبارك وتعالى : من تواضع لي هكذا ، وجعل يزيد باطن كفه إلى الأرض وأدناها رفعته هكذا ، وجعل باطن كفه إلى السماء ورفعها نحو السماء (. ورواه الطبراني بلفظ) قال عمر بن الخطاب على المنبر أيها الناس تواضعوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من تواضع لله رفعه الله قال انتعش نعشك الله فهو في أعين الناس عظيم وفي نفسه صغير ، ومن تكبر قصمه الله وقال اخسأ فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير (. والطبراني والبزار بنحوه وإسنادهما حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك ، فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته ، وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته (وقال الحافظ المنذري : الحكمة بفتح الحاء المهملة والكاف هي ما يجعل في رأس الدابة كاللجام ونحوه . والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة مرفوعا) من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله . ومن ارتفع عليه وضعه الله (. وذكر ابن عبد البر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) لا حسب إلا في التواضع ، ولا نسب إلا بالتقوى ، ولا عمل إلا بالنية ، ولا عبادة إلا باليقين (. وفي الآداب الكبرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) من عظمت نعمة الله عليه فليطلب بالتواضع شكرها ، فإنه لا يكون شكورا حتى يكون متواضعا (. وقال ابن مسعود رضي الله عنه ' إن من التواضع الرضا بالدون من شرف المجلس ، وأن تسلم على من لقيت . وقال ابن المبارك 'كان يقال : الغنى في النفس ، والكرم في التقوى ، والشرف في التواضع ' . وكان سليمان بن داود عليه السلام يجلس في أوضع مجالس بني إسرائيل ويقول : مسكين بين ظهراني مساكين . وكان يقال : ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة التواضع المحبة . وقال لقمان لابنه : يا بني تواضع للحق تكن أعقل الناس . **وقال بعض الحكماء** : إذا سئل الشريف تواضع ، وإذا سئل الوضيع تكبر .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٨١ """""""وقال عبد الله بن شبرمة : نوم نصف النهار يعدل شربة دواء ، يعني في الصيف انتهى . (الثاني) : النوم أخو الموت ، ولذا لا ينام أهل الجنة ، ولكنه جعل لأجل راحة البدن لينهض الإنسان بعده إلى طاعة ربه . فقليله خير من كثيره . ويروى أن المسيح عليه السلام قال : خلقان أكرههما النوم من غير سهر ، والضحك من غير عجب ، والثالثة العظمى : إعجاب المرء بعمله . وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام : إياك وكثرة النوم فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم . وقال لقمان لابنه : يا بني إياك وكثرة النوم والكسل والضجر ، فإنك إذا كسلت لم

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ٢٨٧/١

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ١٨٠/٢

تؤد حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق . وقالت أم سليمان عليه السلام له : يا بني لا تكثر من النوم فإن النوام يجيء يوم القيامة مفلسا .مطلب : في آفات كثرة النوم. قال في شرح أوراد أبي داود : وأما كثرة النوم فله آفات : منها أنه دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة ، مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته ، والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الأمم والحكماء السالفين وأشعار العرب وصحيح الأحاديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على شهرته . انتهى .مطلب : في أن مدافعة النوم تورث الآفات ، وأن اليقظة أفضل من النوم لمن يقظته طاعة. (الثالث) : لا ينبغي مدافعة النوم كثيرا ، وإدمان السهر ، فإن مدافعة النوم وهجره مورث لآفات أخر من سوء المزاج ويبسه . وانحراف النفس ، وجفاف الرطوبات المعينة على الفهم والعمل ، وتورث أمراضا متلفة . وما قام الوجود إلا بالعدل . فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجامع الخير . وفي الآداب الكبرى **قال بعض الحكماء** : النعاس يذهب العقل ، والنوم يزيد فيه . فالنوم من نعم الله جل شأنه على عباده ، ولهذا امتن عليهم في كتابه . (الرابع) اليقظة أفضل من النوم لا مطلقا ، بل لمن تكون يقظته طاعة لا لمن تكون." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣١١ """"""رضي الله عنه وذم من كان بخلافه ، فروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : إن الله يبغض الذواق المطلاق الذي أراه لا يأكل ما وجد ، ويسأل عما فقد ، وهو عند أهله كالأسد ، وكان خارجا كالثعلب ، لكن علي لفاطمة يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد ، وهو عندها كالثعلب ، وخارجا كالأسد .قال القاضي عياض : والأولى أن يكون ذكر فهد هذا على معنى الاستعارة ، جعلت كثرة تغافله كالنوم ، والله أعلم .ولا سيما وقد وصف الفهد بالحياء وقلة الشره ، وهذه كلها خلق مدح وهي راجعة إلى ما أشار إليه أبو عبيد .ومما يبينه قولها ، ولا يسأل عما عهد .وتلمح الناظم رحمه الله هذا المعنى مع أمثاله وأضعافه من كلام النبوة والعلماء .٣ (مطلب في غض الطرف والتغافل عن زلة الإخوان) ٣قال متمما لما قدمه (وغض) طرفك وتغافل (عن عوار) بتثليث العين العيب ، لأن تأمل العيب عيب فالأولى التغافل .**قال بعض الحكماء** : العاقل هو الحكيم المتغافل .وقيل لبعض العارفين : ما المروءة ؟ قال التغافل عن زلة الإخوان .وفي فروع الإمام ابن مفلح : حدث رجل للإمام أحمد ما قيل : العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل ، فقال الإمام أحمد رضي الله عنه : العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل .وكثيرا ما وصفت العرب الكرماء والسادة بالتغافل والحياء في بيوتها وأنديتها .قال الشاعر :نزر الكلام من الحياء تخالهصمتا وليس بجسمه سقموقال آخر :كريم يغض الطرف دون خبائهويدنو وأطراف الرماح دوانيوقال كثير :ومن لم يغمض عينه عن صديقهوعن بعض ما فيه يمت وهو عاتبومن يتطلب جاهدا كل عثرةيجدها ولا يسلم له الدهر صاحبولما كان إطلاق نظامه يشمل ما يمدحه الشرع ويذمه بين الناظم بأنه إنما يحسن عدم السؤال والتغافل وغض الطرف عن العوار فقال (إذا لم يذمم) أي يعب ويشن (الشرع) ذلك وإلا وجب السؤال والتفتيش ، فإن التغافل إنما يمدح في أمر المعاش وفي المسامحة في كلمة ، وإهمال أدب من آداب الزوجة مع

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ٢/٢٨١

زوجها ونحو ذلك ، وأما في أمر الدين والعرض فلا يحسن التغافل لا سيما عن الواجبات .وفي الحديث (الغفلة في ثلاث : عن ذكر الله ، وحين يصلي الصبح إلى طلوع." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٣٥ """"""قال وسمعت شيخ الإسلام ابن غذاء – قدس الله روحه – يقول : إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أتدري لم اتخذتك خليلا ؟ قال لا ، قال : لأني رأيت العطاء أحب إليك من الأخذ .قال وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله ، فإنه يعطي ولا يأخذ ، ويطعم ولا يطعم ، وهو أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين ، وأحب الخلق إليه من اتصف بصفاته ، فإنه كريم يحب الكريم من عباده ، وعالم يحب العلماء ، وقادر يحب الشجعان ، وجميل يحب الجمال ، انتهى .قال في الإقناع : ويستحب نكاح دينه ولود بكر ، إلا أن تكون مصلحة في نكاح الثيب أرجح ، من بيت معروف الدين والقناعة ، حسيبة وهي النسيبة ، أي طيبة الأصل لا بنت زنا ولقيطة ومن يعرف أبوها . قال في شرح المنتهى وغيره : لنجابة ولدها فإنه ربما أشبه أهلها ونزع إليهم ، انتهى .وروى ابن عدي عن أنس رضي الله عنه : ' تزوجوا في الحجز الصالح فإن العرق دساس ' قلت هذا حديث ضعيف . قال السيوطي في أول كتابه الجامع الكبير : جميع ما أعزوه للعقيلي وابن عدي وابن عساكر والخطيب والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والحاكم وابن النجار في تاريخهما والديلمي في مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغني بالعزو إلى هذه الكتب عن بيان الضعف وقد عزاه لابن عدي . قال في النهاية وفيه : ' تزوجوا في الحجز الصالح فإن العرق دساس ' الحجز بالضم والكسر الأصل ، وقيل : ' بالضم الأصل والمنبت وبالكسر هو بمعنى الحجزة وهي هيئة المتحجز كناية عن العفة وطيب الإزار ، وقيل هو العشيرة لأنه يحتجز بهم أي يمتنع ، وقوله فأن العرق دساس أي دخال بالتشديد لأنه نزع في خفاء ولطف ، ومعناه أن الرجل إذا تزوج من منبت صالح جاء الولد يشبه أهل الزوجة في الأعمال والأخلاق وعكسه . فمن ثم قال رحمه الله فإن تفعل بأن تزوجت حسيبة من كرام (تفز) أي تظفر (إذا) يعنى بنكاحها (بولد) بضم الواو وإسكان اللام . قال في القاموس : الولد محركة وبالضم والكسر والفتح واحد وجمع ، وقد يجمع على أولاد وولدة بالكسر وولد بالضم . ومراد الناظم هنا الجمع بشهادة قوله (الإكرام) جمع كريم وتقدم تعريفه . وقد قال بعض الحكماء : أصل المحاسن كلها الإكرام ، والتفضل على الخاص والعام . وما أحسن قول الشاعر :لا تنكحن سوى كريمة معشرفالعرق دساس من الطرفينأو ما ترى أن النتائج كلهاتبع الأخس من المقدمتينثم قال الناظم رحمه الله تعالى (والبكارة) بالفتح . قال في القاموس : والبكر بالكسر العذراء جمعها أبكار ، والمصدر البكارة بالفتح ، والمرأة والناقة إذا ولدتا بطنا واحدا ، انتهى .وفي لغة الإقناع : البكر بكسر الباء الموحدة وسكون الكاف من النساء العذراء وهي." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٤٠٦ """"""تعالى :) سبحان الذي أسرى بعبده ليلا (فذكر الليل تأكيدا ، أو معناه سيره .وقال المحققون : فائدة ذكر الليل الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدته .والسرى في كلام الناظم مضاف و (السير) وهو الذهاب كالمسير مضاف إليه أي تحمد سرى سيرك (في غد) عند كشف الغطاء وظهور الصواب من الخطأ ، فهناك تحمد

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ٣١١/٢

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ٣٣٥/٢

جدك واجتهادك ، اللذين بلغاك مرادك ، في دار الروح والراحة ، وقيام الروح وكرع الراحة .وذلك ؛ لأن العلم كما قال سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه : تعلمه لله حسنة ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة .وهو الأنس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة .وقال كعب الأحبار : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن تعلم يا موسى الخير وعلمه للناس ، فإني منور لمعلم الخير ومتعلمه في قبورهم حتى لا يستوحشوا مكانهم .وقال عيسى عليه الصلاة والسلام : من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء .**وقال بعض الحكماء** : ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم ، وأي شيء فات من أدرك العلم .وقال ابن الجوزي روح الله روحه : لا يخفى فضل العلم ببديهة العقل ؛ لأنه الوسيلة إلى معرفة الخالق ، وسبب الخلود في النعيم الدائم ، ولا يعرف التقرب إلى المعبود إلا به ، فهو سبب لمصالح الدارين ، والله أعلم .ولما كان طلب العلم إنما ينفع حيث خلصت فيه النية وكان لله تعالى لا لدنيا يصيبها ، حذر الناظم من طلبه لأجل المال ، أو الرياء والسمعة فقال :٣ (مطلب في النهي عن طلب العلم للرياء وإخلاص النية فيه لله تعالى) ٣ولا تطلبن العلم للمال غذاء فإن ملاك الأمر في حسن مقصد (ولا تطلبن) أنت (العلم) الذي هو أرفع غذاء ، وأسنى المناقب ، وهو سلم المعرفة ، وطريق التوفيق لنيل الخلود في دار الكرامة (ل) نيل (المال) الذي مآله إلى التراب ، ولطلب عمارة الدنيا التي سبيلها إلى الخراب وقد وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه الدنيا فقال : دار من صح فيها أمن ، ومن أمن غبن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن .في حلالها الحساب ، وفي حرامها النار .وكان مالك بن دينار يقول : اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤٣٤ """"""وقال الإمام الحافظ ابن الجوزي في صيد الخاطر : رأيت جمهور العلماء يشغلهم طلبهم للعلم في زمن الصبا عن المعاش ، فيحتاجون إلى ما لا بد منه ، فلا يصلهم عن بيت المال شيء ، ولا من صلات الإخوان ما يكفي ، فيحتاجون إلى التعرض بالإذلال ، فلم أر في ذلك من الحكمة إلا سببين ، أحدهما : قمع إعجابهم بهذا الإذلال ، والثاني : نفع أولئك بثوابهم .ثم أمعنت الفكر فتلمحت نكتة لطيفة ، وهي أن النفس الأبية إذا رأت حال الدنيا كذلك لم تساكنها بالقلب ، ونبت عنها بالعزم ، ورأت أقرب الأشياء شبها بها مزبلة عليها الكلاب ، وإنما تؤتى لضرورة ، فإذا نزل الموت بالرحلة عن مثل هذه لم يكن للقلب بها متعلق يتمكن فتهون حينئذ .وقد أكثر الناس من القول في ذلك نثرا ونظما ، ويسندون ذلك للزمان والدهر والدنيا على ضرب من المجاز وإلا فالفاعل هو الله جل شأنه لا غيره سبحانه ، فمن ذلك قول ابن الوردي في لاميته : قاطع الدنيا فمن عاداتهاتخفض العالي وتعلي من غذاءعيشة الزاهد في تحصيلهاعيشة الجاهل بل هذا أذلكم جهول وهو مثر غذاءوعليل مات منها غذاءكم شجاع لم ينل منها المنوجبان نال غايات الأملوقول غذاء في لامية العجم :أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاوالحظ عني بالجهال في شغللعله إن بدا فضلي ونقصهملعينه نام عنهم أو تنبه لي**قال بعض الحكماء** : قال الحظ للعقل : إن شئت سر أو أقم فإني مستغن عنك .وقال القاضي الفاضل :ما ضر جهل الجاهلينولا انتفعت أنا بحذقيوزيادتي في الحذق فهيزيادتي في نقص رزقيوقال شمس الدين الحكيم بن دانيال :قد عقلنا والعقل أي وثاقوصبرنا والصبر مر المذاقكل من كان فاضلا كان مثليفاضلا عند قسمة الأرزاقوقال

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ٢/٤٠٦

الإمام الشافعي رضي الله عنه في ذلك :لو أن بالحيل الغنى لوجدتنيبنجوم أفلاك السماء تعلقيلكن من رزق الحجا حرم الغنضدان مفترقان أي تفرق." (١)

"صلى الله عليه وسلم: " الليل والنهار مطيتان يقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود ". هذا كلام النبوة المشرق بنور المعرفة.١٩ - وقال بعض الحكماء: الليل والنهار فرسان يركضان بالبشر إلى إنقضاء الأعمار وقال آخر: الليل والنهار رحيان (١) لطحن الأعمار.٢٠ - وللشيخ المصنف في ذلك:يا سائلي في شيب رأسي شيبه ... اسمع جوابي فيه غير معرضطحنت رحى الملوين عمري فانثنى ... في مفرقي أثر الغبار الأبيض٢١ - وللشريف ابن دفتر خوان (٢):جيشان مختلفان جيش دجنة ... يتغالبان معا وجيش نهاروالليل يكسو الجو مسحا أسودا ... متحرقا عند الشروق بناروالصبح مد على النجوم ملاءة ... بيضاء يمنعها عن الإبصار٢٢ - وفي كتاب كليلة ودمنة (٣) تمثل أيام العمر بغصنين نابتين على فم بئر، وإنسان قائم عليها، والليل والنهار كجرذين أبيض وأسود مجدين في قطع الغصنين، وهو لاه عنهما.٢٣ - شاعر في الأيام (٤):ما سبعة كلهم إخوان ... ليس يموتون وهم شبان لم يرهم في موضع إنسان ...______________(١) ص: رحاتان.(٢) هو الأمير علي بن محمد بن الرضى الحسيني الموسوي الطوسي الشريف دفتر خوان (- ٦٥٤) انظر تاريخ بروكلمان ١: ٣٥٢ وله ترجمة في حرف العين من الوافي. ومن الضروري أن يميز المرء بينه وبين دفتر خوان آخر واسمه المنتجب أحمد بن عبد الكريم كان يقرأ الدفاتر للملك العادل ابن أيوب وتوفي ٦١٥ (راجع الوافي ٧: ٧٨ ونفح الطيب ٢: ٣٠٠) وللأول منهما يشير التيفاشي باسم الشريف الموسوي والشريف الطوسي في ما يلي.(٣) كليلة ودمنة: ٤١.(٤) انظر محاضرات الراغب ٤: ٥٣٦ (٢: ٢٤٠) وربيع الأبرار، الورقة: ٣/أوالبصائر ٣: ٤٧٢.." (٢)

"قوله تعالى: " والله يعدكم مغفرة منه وفضلا "؛ أي " مغفرة " لذنوبكم بالإنفاق من خيار الأموال، " وفضلا " أي خلفا في الدنيا والآخرة، " والله واسع عليم "؛ يوسع الرزق والخلف والمثوبة، ويعلم حيث ينبغي أن تكون السعة، قال ابن عباس وابن مسعود: (ثنتان من الله وثنتان من الشيطان؛ فمن الله المغفرة والفضل، ومن الشيطان الفقر والفحشاء). ووعد الشيطان وساوس وتخيل؛ أي يخيل إليك أنك إن أمسكت مالك استغنيت، وإن تصدقت به افتقرت.قوله تعالى: " يؤتي الحكمة من يشآء "؛ اختلفوا في تفسير الحكمة؛ قال ابن مسعود: (هي القرآن). وقال ابن عباس وقتادة: (علم ناسخ القرآن ومنسوخه؛ ومحكمه ومتشابهه؛ ومقدمه ومؤخره؛ وحلاله وحرامه؛ وأمثاله؛ وغيره). وقال السدي: (هي النبوة). وقال أبو العالية: (هي الفقه). وقال مجاهد وإبراهيم: (هي الإصابة والفهم). وقال الربيع: (هي خشية الله تعالى). وقال سهل بن عبدالله: (هي السنة). وقيل: هي سرعة الجواب مع إصابة الصواب، والله أعلم.وقوله تعالى: " ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا "؛ أي من يعط العلم فقد أعطي خيرا كثيرا يصل به إلى رحمة الله تعالى. قال بعض الحكماء: سمى الله العلم خيرا

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب@ ط العلمية السفاريني ٢/٤٣٤

(٢) فوائد منتقاة من كتاب (سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، للتيفاشي) (مرتبا بالآيات والسور) أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٣٧

كثيرا، والدنيا متاعا قليلا، فينبغي لمن أوتي العلم أن يعرف قدر نفسه ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لدنياهم. وقال الحسن: (ومن يؤت الحكمة؛ يعني الورع في دين الله).." (١)

"قوله تعالى: " وفي السمآء رزقكم "؛ يعني المطر الذي هو سبب النبات، والنبات هو مما قسمه الله تعالى للعباد وكتبه في السماء، أخبر الله تعالى أن أرزاق العباد حيث لا يأكله السوس ولا تناله اللصوص، فقال تعالى: " وفي السمآء رزقكم ".وعن واصل الأحدب أنه قرأ هذه الآية فقال: (إني أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فدخل خربة فمكث فيها ليالي لا يصيب شيئا، فلما كان يوم الرابع إذ هو خوص صرة من دوخلة رطب، فلم يزل كذلك حتى مات).قوله تعالى: " وما توعدون "؛ قال عطاء: (معناه: وفي السماء ما توعدون من الثواب والعقاب مكتوب)، وقال الكلبي: (وما توعدون من الخير والشر). وقال مجاهد: (الجنة والنار).قوله تعالى: " فورب السمآء والأرض إنه لحق مثل مآ أنكم تنطقون " أقسم الله تعالى بنفسه، والذي بينه من أمر الرزق وغيره (لصدق) كان نطقكم الذي هو الصدق من كلمة التوحيد ونحوها حق قرأه أهل الكوفة (مثل ما أنكم) برفع (مثل) على أنه صفة لقوله (لحق). وقرأ الباقون بالنصب على الترك على معنى إنه يحق حقا " مثل مآ أنكم تنطقون "، وقيل: تقديره: كمثل ما أنكم تنطقون.**وقال بعض الحكماء**: معنى قوله: " مثل مآ أنكم تنطقون " أي كما أن كل إنسان لا ينطق بلسان غيره، كذلك لا يأكل إنسان رزق غيره والذي قدر له، ولا يأكل إلا رزق نفسه، كما لا يتكلم إلا بلسان نفسه.." (٢)

"

قوله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشآء ﴾ ؛ اختلفوا في تفسير الحكمة ؛ قال ابن مسعود : (هي القرآن). وقال ابن عباس وقتادة : (علم ناسخ القرآن ومنسوخه ؛ ومحكمه ومتشابهه ؛ ومقدمه ومؤخره ؛ وحلاله وحرامه ؛ وأمثاله ؛ وغيره). وقال السدي : (هي النبوة). وقال أبو العالية : (هي الفقه). وقال مجاهد وإبراهيم : (هي الإصابة والفهم). وقال الربيع : (هي خشية الله تعالى). وقال سهل بن عبدالله : (هي السنة). وقيل : هي سرعة الجواب مع إصابة الصواب ، والله أعلم.

وقوله تعالى : ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ ؛ أي من يعط العلم فقد أعطي خيرا كثيرا يصل به إلى رحمة الله تعالى. **قال بعض الحكماء** : سمى الله العلم خيرا كثيرا ، والدنيا متاعا قليلا ، فينبغي لمن أوتي العلم أن يعرف قدر نفسه ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لدنياهم. وقال الحسن : (ومن يؤت الحكمة ؛ يعني الورع في دين الله).

قرأ الربيع : (تؤتي الحكمة ومن يؤت الحكمة) بالتاء ، وقرأ يعقوب : (ومن يؤت الحكمة) بكسر التاء ، أراد ومن يؤته الله ؛ فحذف الهاء.

قوله تعالى : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ ؛ وما يتعظ إلا ذوو العقول ؛ واللب من العقل ما صفي عن دواعي الهوى ، وسمي العقل لبا لأنه أنفس ما في الإنسان كما أن لب الثمرة أنفس ما فيها.

---

(١) كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل=تفسير الحداد@ ط المدار (٨٠٠)ص/٣٤٧

(٢) كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل=تفسير الحداد@ ط المدار (٨٠٠)ص/٢٨٢٥

". (١)

"

قوله تعالى : ﴿ فورب السمآء والأرض إنه لحق مثل مآ أنكم تنطقون ﴾ أقسم الله تعالى بنفسه ، والذي بينه من أمر الرزق وغيره (لصدق) كان نطقكم الذي هو الصدق من كلمة التوحيد ونحوها حق قرأه أهل الكوفة (مثل ما أنكم برفع (مثل) على أنه صفة لقوله (لحق). وقرأ الباقون بالنصب على الترك على معنى إنه يحق حقا ﴿ مثل مآ أنكم تنطقون ﴾ ، وقيل : تقديره : كمثل ما أنكم **تنطقون.**

وقال بعض الحكماء : معنى قوله : ﴿ مثل مآ أنكم تنطقون ﴾ أي كما أن كل إنسان لا ينطق بلسان غيره ، كذلك لا يأكل إنسان رزق غيره والذي قدر له ، ولا يأكل إلا رزق نفسه ، كما لا يتكلم إلا بلسان نفسه.

قال الحسن : (بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه " ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت " ، قال الشاعر : أسعى لأطلبه والرزق يطلبني والرزق أكثر لي مني له طلبا

". (٢)

"وكان أوتي بسطة في لسانه وبيانا عذبا في خطابه ومجالا واسعا في فنونه غير أن أهل العلم والمعرفة ذموه وعن الصدق دفعوه والجاحظتان حدقتا العين وجحظ إليه عمله نظر في عمله فرأى سوء ما صنع قال الأزهري يراد نظر في وجهه فذكره سوء صنيعه قال والعرب تقول لأجحظن إليك أثر يدك يعنون به لأرينك سوء أثر يدك قال ابن السكيت الدعظاية وقال أبو عمرو الدعكاية وهما الكثيرا اللحم طالا أو قصرا وقال في موضع الجعظاية بهذا المعنى قال الأزهري وفي نسخة الجحاظ حرف الكمرة(جحظم) رجل جحظم عظيم العينين من الجحظ والميم زائدة وهو الجحظم الكسائي جحظمت الغلام جحظمة إذا شددت يديه على ركبتيه ثم ضربته ثم سألت ابن الأعرابي عن قوله جحظمت فقال أخبرني به الدبيري ههنا وأشار إلى دكان جحظمه بالحبل أوثقه كيفما كان(جحف) جحف الشيء يجحفه جحفا قشره والجحف والمجاحفة أخذ الشيء واجترافه والجحف شدة الجرف إلا أن الجرف للشيء الكثير والجحف للماء والكرة ونحوهما تقول اجتحفنا ماء البئر إلا جحفة واحدة بالكف أو بالإناء يقال جحفت الكرة من وجه الأرض واجتحفتها وسيل جراف وجحاف يجرف كل شيء ويذهب به قال ابن سيده وسيل جحاف بالضم يذهب بكل شيء ويجحفه أي يقشره وقد اجتحفه وأنشد الأزهري لامرئ القيس لها كفل كصفاة المسي ل أبرز عنها جحاف مضر وأجحف به أي ذهب به وأجحف به أي قاربه ودنا منه وجاحف به أي زاحمه وداناه ويقال مر الشيء مضرا ومجحفا أي مقاربا وفي حديث عمار أنه دخل على أم سلمة وكان أخاها من الرضاعة فاجتحف ابنتها زينب من حجرها أي استلبها والجحفة موضع بالحجاز بين مكة والمدينة وفي الصحاح جحفة بغير ألف ولام وهي ميقات أهل الشام زعم ابن الكلبي أن العماليق أخرجوا بني عبيل وهم إخوة عاد من يثرب فنزلوا

---

(١) كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل=تفسير الحداد@ ن موقع التفاسير (٨٠٠)١/٢٤٨

(٢) كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل=تفسير الحداد@ ن موقع التفاسير (٨٠٠)٨/٧٥

الجحفة وكان اسمها مهيعة فجاءهم سيل فاجتحفهم فسميت جحفة وقيل الجحفة قرية تقرب من سيف البحر أجحف السيل بأهلها فسميت جحفة واجتحفنا ماء البئر نزفناه بالكف أو بالإناء والجحفة ما اجتحف منها أو بقي فيها بعد الاجتحاف والجحفة والجحفة بقية الماء في جوانب الحوض الأخيرة عن كراع والجحف أكل الثريد والجحف الضرب بالسيف وأنشد ولا يستوي الجحفان جحف ثريدة وجحف حروري بأبيض صارم يعني أكل الزبد بالتمر والضرب بالسيف والجحفة اليسير من الثريد يكون في الإناء ليس يملؤه والجحوف الثريد يبقى في وسط الجفنة قال ابن سيده والجحفة أيضا ملء اليد وجمعها جحف وجحف لهم غرف وتجاحفوا الكرة بينهم دحرجوها بالصوالجة وتجاحف القوم في القتال تناول بعضهم بعضا بالعصي والسيوف قال العجاج وكان ما اهتض الجحاف بهرجا يعني ما كسره التجاحف بينهم يريد به القتل وفي الحديث خذوا العطاء ما كان عطاء فإذا تجاحفت قريش الملك بينهم فارفضوه وقيل فاتركوا العطاء أي تناول بعضهم بعضا بالسيوف يريد إذا تقاتلوا على الملك والجحاف مزاحمة الحرب والجحوف الدلو التي تجحف الماء أي تأخذه وتذهب به والجحاف بالكسر أن يستقي الرجل فتصيب الدلو فم البئر فتنخرق وينصب ماؤها قال قد علمت دلو بني مناف تقويم فرغيها عن الجحاف والجحاف المزاولة في الأمر وجاحف عنه كجاحش وموت جحاف شديد يذهب بكل شيء قال ذو الرمة وكائن تخطت ناقتي من مفازة وكم زل عنها من جحاف المقادر وقيل الجحاف الموت فجعلوه اسما له والمجاحفة الدنو ومنه قول الأحنف إنما أنا لبني تميم كعلبة الراعي يجاحفون بها يوم الورد وأجحف بالطريق دنا منه ولم يخالطه وأجحف بالأمر قارب الإخلال به وسنة مجحفة مضرة بالمال وأجحف بهم الدهر استأصلهم والسنة المجحفة التي تجحف بالقوم قتلا وإفسادا للأموال وفي حديث عمر أنه قال لعدي إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة أي أذهبت أموالهم وأفقرتهم الحاجة **وقال بعض الحكماء من** آثر الدنيا أجحفت بآخرته ويقال أجحف العدو بهم أو السماء أو الغيث أو السيل دنا منهم وأخطأهم والجحفة النقطة من المرتع في قرن الفلاة وقرنها رأسها وقلتها التي تشتبه المياه من جوانبها جمعاء فلا يدري القارب أي المياه منه أقرب بطرفها وجحف الشيء برجله يجحفه جحفا إذا رفسه حتى يرمي به والجحاف وجع في البطن يأخذ من." (١)

"قال فإذا أرادوا اشتقاق الفعل منه لم ينفك لكثرة الدالات فيفصلون بين حرفي الصدر بهمزة فيقولون دأدد يدأدد دأددة وإنما اختاروا الهمزة لأنها أقوى الحروف ونحو ذلك كذلك أبو عمرو الدادي المولع باللهو الذي لا يكاد يبرحه (دذن) الداذين مناور من خشب الأرز يستصبح بها وهو يتخذ ببلاد العرب من شجر المظ والله أعلم (درأ) الدرء الدفع درأه يدرؤه درءا ودرأة دفعه وتدارأ القوم تدافعوا في الخصومة ونحوها واختلفوا وادارأت بالهمز دافعت وكل من دفعته عنك فقد درأته قال أبو زبيدكان عني يرد درؤك بعد ... الله شغب المستصعب المريديعني كان دفعك وفي التنزيل العزيز « فادارأتم فيها » وتقول تدارأتم أي اختلفتم وتدافعتم وكذلك ادارأتم وأصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت الألف ليصح الابتداء بها وفي الحديث إذا تدارأتم في الطريق أي تدافعتم واختلفتم والمدارأة المخالفة والمدافعة يقال فلان لا يدارئ ولا يماري وفي الحديث كان لا يداري ولا يماري أي لا يشاغب ولا يخالف وهو مهموز وروي في الحديث غير مهموز ليزاوج يماري وأما المدارأة في حسن الخلق والمعاشرة فإن ابن الأحمر يقول فيه انه يهمز ولا يهمز يقال دارأته مدارأة وداريته إذا اتقيته ولاينته

---

(١) لسان العرب @ط المعارف ابن منظور ١/٥٥١

قال أبو منصور من همز فمعناه الاتقاء لشره ومن لم يهمز جعله من دريت بمعنى ختلت وفي حديث قيس بن السائب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يدارئ ولا يماري قال أبو عبيد المدارأة ههنا مهموزة من دارأت وهي المشاغبة والمخالفة على صاحبك ومنه قوله تعالى فادارأتم فيها يعني اختلافهم في القتيل وقال الزجاج معنى فادارأتم فتدارأتم أي تدافعتم أي ألقى بعضكم إلى بعض يقال دارأت فلانا أي دافعته ومن ذلك حديث الشعبي في المختلعة إذا كان الدرء من قبلها فلا بأس أن يأخذ منها يعني بالدرء النشوز والاعوجاج والاختلاف وقال بعض الحكماء لا تتعلموا العلم لثلاث ولا تتركوه لثلاث لا تتعلموه للتداري ولا للتماري ولا للتباهي ولا تدعوه رغبة عنه ولا رضا بالجهل ولا استحياء من الفعل له ودارأت الرجل إذا دافعته بالهمز والأصل في التداري التدارؤ فترك الهمز ونقل الحرف إلى التشبيه بالتقاضي والتداعي [ص ٧٢] وإنه لذو تدرإ أي حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة يكون ذلك في الحرب والخصومة وهو اسم موضوع للدفع تاؤه زائدة لأنه من درأت ولأنه ليس في الكلام مثل جعفر ودرأت عنه الحد وغيره أدرؤه درءا إذا أخرته عنه ودرأته عني أدرؤه درءا دفعته وتقول اللهم إني أدرأ بك في نحر عدوي لتكفيني شره وفي الحديث ادرؤوا الحدود بالشبهات أي ادفعوا وفي الحديث اللهم إني أدرأ بك في نحورهم أي أدفع بك لتكفيني أمرهم وانما خص النحور لأنه أسرع وأقوى في الدفع والتمكن من المدفوع وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي فجاءت بهمة تمر بين يديه فما زال يدارئها أي يدافعها وروي بغير همز من المداراة قال الخطابي وليس منها وقولهم السلطان ذو تدرإ بضم التاء أي ذو عدة وقوة على دفع أعدائه عن نفسه وهو اسم موضوع للدفع والتاء زائدة كما زيدت في ترتب وتنضب وتتفل قال ابن الأثير ذو تدرإ أي ذو هجوم لا يتوقى ولا يهاب ففيه قوة على دفع أعدائه ومنه حديث العباس بن مرداس رضي الله عنهوقد كنت في القوم ذا تدرإ ... فلم أعط شيئا ولم أمنعواندرأت عليه اندراء والعامة تقول اندريت ويقال درأ علينا فلان دروءا إذا خرج مفاجأة وجاء السيل درءا ظهرا ودرأ فلان علينا وطرأ إذا طلع من حيث لا ندري غيره واندرأ علينا بشر وتدرأ اندفع ودرأ السيل واندرأ اندفع وجاء السيل درءا ودرءا إذا اندرأ من مكان لا يعلم به فيه وقيل جاء الوادي درءا بالضم إذا سال بمطر واد آخر وقيل جاء درءا أي من بلد بعيد فان سال بمطر نفسه قيل سال ظهرا حكاه ابن الأعرابي واستعار بعض الرجاز الدرء لسيلان الماء من أفواه الإبل في أجوافها لأن الماء انما يسيل هنالك غريبا أيضا إذ أجواف الإبل ليست من منابع الماءولا من مناقعه فقالجاب لها لقمان في قلاتها ... ماء نقوعا لصدى هاماتهاتلهمه لهما بجحفلاتها ... يسيل درءا بين جانحاتهافاستعار للإبل جحافل وانما هي لذوات الحوافر وسنذكره في موضعه ودرأ الوادي بالسيل دفع وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه ." (١)

"قليلة لحم الناظرين يزينها شباب ومخفوض من العيش بارد تناهى إلى لهو الحديث كأنها أخو سقطة قد أسلمته العوائد وصف محبوبته بأسالة الخد وقلة لحمه وهو المستحب والعيش البارد هو الهني الرغد والعرب تكني بالبرد عن النعيم وبالحر عن البؤس وعلى هذا سمي النوم بردا لأنه راحة وتنعم قال الله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا قيل نوما وقوله تناهى أي تنتهي في مشيها إلى جاراتها لتلهو معهن وشبهها في انتهارها عند المشي بعليل ساقط لا يطيق النهوض قد أسلمته العوائد لشدة ضعفه وتناظرت النخلتان نظرت الأنثى منهما إلى الفحال فلم ينفعهما تلقيح حتى تلقح منه قال ابن

---

(١) لسان العرب @ط المعارف ابن منظور ١٣٤٧/٢

سيده حكى ذلك أبو حنيفة والتنظار النظر قال الحطيئة فما لك غير تنظار إليها كما نظر اليتيم إلى الوصي والنظر الانتظار ويقال نظرت فلانا وانتظرته بمعنى واحد فإذا قلت انتظرت فلم يجاوزك فعلك فمعناه وقفت وتمهلت ومنه قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قرئ انظرونا وأنظرونا بقطع الألف فمن قرأ انظرونا بضم الألف فمعناه انتظرونا ومن قرأ أنظرونا فمعناه أخرونا وقال الزجاج قيل معنى أنظرونا انتظرونا أيضا ومنه قول عمرو بن كلثوم أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا وقال الفراء تقول العرب أنظرني أي انتظرني قليلا ويقول المتكلم لمن يعجله أنظرني أبتلع ريقي أي أمهلني وقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة الأولى بالضاد والأخرى بالظاء قال أبو إسحق يقول نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها وقال الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم قال أبو منصور ومن قال إن معنى قوله إلى ربها ناظرة يعني منتظرة فقد أخطأ لأن العرب لا تقول نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته إنما تقول نظرت فلانا أي انتظرته ومنه قول الحطيئة نظرتكم أبناء صادرة للورد طال بها حوزي وتنساسي وإذا قلت نظرت إليه لم يكن إلا بالعين وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب وفرس نظار إذا كان شهما طامح الطرف حديد القلب قال الراجز أبو نخيلة يتبعن نظارية لم تهجم نظارية ناقة نجيبة من نتاج النظار وهو فحل من فحول العرب قال جرير والأرحبي وجدها النظار لم تهجم لم تحلب والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه والمنظر والمنظرة ما نظرت إليه فأعجبك أو ساءك وفي التهذيب المنظرة منظر الرجل إذا نظرت إليه فأعجبك وامرأة حسنة المنظر والمنظرة أيضا ويقال إنه لذو منظرة بلا مخبرة والمنظر الشيء الذي يعجب الناظر إذا نظر إليه ويسره ويقال منظره خير من مخبره ورجل منظري ومنظراني الأخيرة على غير قياس حسن المنظر ورجل منظراني مخبراني ويقال إن فلانا لفي منظر ومستمع وفي ري ومشبع أي فيما أحب النظر إليه والاستماع ويقال لقد كنت عن هذا المقام بمنظر أي بمعزل فيما أحببت وقال أبو زيد يخاطب غلاما قد أبق فقتل قد كنت في منظر ومستمع عن نصر بهراء غير ذي فرس وإنه لسديد الناظر أي بريء من التهمة ينظر بملء عينيه وبنو نظرى ونظرى أهل النظر إلى النساء والتغزل بهن ومنه قول الأعرابية لبعلها مر بي على بني نظرى ولا تمر بي على بنات نقرى أي مر بي على الرجال الذين ينظرون إلي فأعجبهم وأروقهم ولا يعيبونني من ورائي ولا تمر بي على النساء اللائي ينظرنني فيعبنني حسدا وينقرن عن عيوب من مر بهن وامرأة سمعنة نظرنة وسمعنة نظرنة كلاهما بالتخفيف حكاهما يعقوب وحده وهي التي إذا تسمعت أو تنظرت فلم تر شيئا فظنت والنظر الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك والنظرة اللمحة بالعجلة ومنه الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة والنظرة الهيئة **وقال بعض الحكماء من** لم يعمل نظره لم يعمل لسانه ومعناه أن النظرة إذا خرجت بإبكار القلب عملت في القلب وإذا خرجت بإنكار العين دون القلب لم تعمل ومعناه أن من لم يرتدع بالنظر إليه من ذنب أذنبه لم يرتدع بالقول الجوهري وغيره ونظر الدهر إلى بني فلان فأهلكهم قال ابن سيده هو على المثل قال ولست منه على ثقة والمنظرة موضع الربيئة غيره والمنظرة موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو يحرسه الجوهري والمنظرة المرقبة ورجل نظور ونظورة وناظورة ونظيرة سيد ينظر إليه الواحد والجمع والمذكر ." (١)

(١) لسان العرب @ط المعارف ابن منظور ٤٤٦٦/٦

"والوراء الخلف والوراء القدام والوراء ابن الابن وقوله عز وجل فمن ابتغى وراء ذلك أي سوى ذلك وقول ساعدة بن جؤيةحتى يقال وراء الدار منتبذا ... قم لا أبا لك سار الناس فاحتزمقال الأصمعي قال وراء الدار لأنه ملقى لا يحتاج إليه متنح مع النساء من الكبر والهرم قال اللحياني وراء مؤنثة وإن ذكرت جاز قال سيبويه وقالوا وراءك إذا قلت انظر لما خلفك والوراء ولد الولد وفي التنزيل العزيز ومن وراء إسحق يعقوب قال الشعبي الوراء ولد الولد وورأت الرجل دفعته وورأ من الطعام امتلأ والوراء الضخم الغليظ الألواح عن الفارسي وما أورئت بالشيء أي لم أشعر به قال [ص ١٩٤] من حيث زارتني ولم أور بهااضطر فأبدل وأما قول لبيدتسلب الكانس لم يوأر بها ... شعبة الساق إذا الظل عقل (١)(١ قوله « شعبة » ضبط بالنصب في مادة وأر من الصحاح وقع ضبطه بالرفع في مادة ورى من اللسان)قال وقد روي لم يورأ بها قال وريته وأورأته إذا أعلمته وأصله من ورى الزند إذا ظهرت ناره كأن ناقته لم تضئ للظبي الكانس ولم تبن له فيشعر بها لسرعتها حتى انتهت إلى كناسه فند منها جافلا قال وقول الشاعردعاني فلم أورأ به فأجبته ... فمد بثدي بيننا غير أقطعاأي دعاني ولم أشعر به الأصمعي استورأت الإبل إذا ترابعت على نفار واحد وقال أبو زيد ذلك إذا نفرت فصعدت الجبل فإذا كان نفارها في السهل قيل استأورت قال وهذا كلام بني عقيل(ورب) الورب وجار الوحشي والورب العضو وقيل هو ما بين الأصابع (١)(١ قوله « وقيل هو ما بين الأصابع » الذي في القاموس ما بين الضلعين قال شارحه ولعله ما بين اصبعين بدليل ما في اللسان فصحف الكاتب اه لكن الذي في القاموس هو بعينه في التكملة بخط مؤلفها وكفى به حجة فإن لم يكن ما في اللسان تحريفا فهما فائدتان ولا نصحف باللسان)يقال عضو مورب أي موفر قال أبو منصور المعروف في كلامهم الإرب العضو قال ولا أنكر أن يكون الورب لغة كما يقولون للميراث ورث وإرث الليث المواربة المداهاة والمخاتلة وقال بعض الحكماء مواربة الأريب جهل وعناء لأن الأريب لا يخدع عن عقله قال أبو منصور المواربة مأخوذة من الإرب وهو الدهاء فحولت الهمزة واوا والورب الفتر والجمع أوراب والوربة الحفرة التي في أسفل الجنب يعني الخاصرة والوربة الاست والورب الفساد وورب جوفه وربا فسد وعرق ورب فاسد قال أبو ذرة الهذليإن ينتسب ينسب إلى عرق ورب ... أهل خزومات وشحاج صخبوإنه لذو عرق ورب أي فاسد ويقال ورب العرق يورب أي فسد وفي الحديث وإن بايعتهم واربوك ابن الأثير أي خادعوك من الورب وهو الفساد قال ويجوز أن يكون من الإرب وهو الدهاء وقلب الهمزة واوا ويقال سحاب ورب واه مسترخ قال أبو وجزة صابت به دفعات اللامع الورب صابت تصوب وقعت التهذيب التوريب أن توري عن الشيء بالمعارضات والمباحات (ورث) الوارث صفة من صفات الله عز وجل وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين أي يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له وقوله تعالى أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس قال ثعلب يقال إنه ليس في الأرض إنسان إلا وله منزل في الجنة فإذا لم يدخله هو ورثه غيره قال وهذا قول ضعيف ورثه ماله ومجده وورثه عنه ورثا ورثة ووراثة وإراثة أبو زيد ورث فلان أباه يرثه وراثة وميراثا وميراثا وأورث الرجل ولده مالا إيراثا حسنا ويقال ورثت فلانا مالا أرثه ورثا وورثا إذا مات مورثك فصار ميراثه لك وقال الله تعالى إخبارا عن زكريا ودعائه إياه هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي قال ابن سيده إنما أراد يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة ولا

يجوز أن يكون خاف أن يرثه أقرباؤه المال لقول النبي صلى الله عليه وسلم إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة وقوله عز جل وورث سليمان داود قال الزجاج جاء في التفسير أنه ورثه نبوته وملكه وروي أنه كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدا فورثه سليمان عليه السلام من بينهم النبوة والملك وتقول ورثت أبي وورثت الشيء من أبي أرثه بالكسر فيهما ورثا ووراثة وإرثا الألف منقلبة من الواو ورثة الهاء عوض من الواو وإنما سقطت الواو من المستقبل لوقوعها بين ياء وكسرة وهما متجانسان والواو مضادتهما فحذفت لاكتنافهما إياها." (١)

"للجوهر والمسطح للجسم وقد يكون لدايتهما بان يمتنع انفكاكه عن الملزوم نظرا الى كل منهما كالمتعجب والضاحك للإنسان واياما كان فهو اما بوسط او بغير وسط وقد يكون لأمر منفصل كالوجود للعقل والفلك وعلى التقادير فالملزوم اما بسيط او مركب فالأقسام منحصرة فى اربعة عشر **قال بعض الحكماء** لا يجوز ان يكون اللزوم لأمر منفصل لأن نسبته الى المتلازمين كنسبته الى غيرهما فاقتضاؤه اللزوم بينهما دون غيرهما ترجيح بلا مرجح وجوابه منع تساوى النسبتين لجواز ان يكون له نسبته خاصة اليهما بها يقتضى الملازمة بينهما دون غيرهما كاقتضاء للفارقات الملازمة بين معلولاتها وقال بعضهم البسيط لا يجوز ان يكون له لازم والا لكان مقتضيا له فيكون فاعلا له وقابلا ومنهم من اعترف به ومنع ان يلزمه لازمان والا لكان مقتضيا لهما فيكون مصدرا لاثرين والجواب منع الملازمة فى الدليلين وانما يثبت لو وجب ان يكون البسيط فاعلا للازمه وهو ممنوع لجواز استناد اللزوم الى اللازم او الى امر منفصل وبتقدير تسليمها منع انتفاء التالى فيهما لعدم تمام الاستدلال المذكور فى الحكمة على القاعدتين والمصنف ذكر المتعين على العكس فاخل بترتيب البحث هذا هو الكلام فى العرض اللازم واما غير اللازم فاما ان لا يزول بل يدوم بدوام الموضوع او يزول والأول المفارق بالقوة لكون الشخص اميا والثاني المفارق بالفعل وهو اما سهل الزوال كالقيام او عسره كالعشق وايضا اما سريع الزوال كالخجل او بطيئه كالشباب فقد ظهر مما ذكرنا ان الكليات منحصرة فى الخمس الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام وذلك لأن الكلى اما ان يكون تمام ماهية ما تحته من الجزئيات التي لا بتكثر الا بالعدد فهو النوع او يكون جزء منها فان كان مقولا فى جواب ما هو بحسب الشركة فهو الجنس والا فهو الفصل او خارجا عنها فان اختص بطبيعة واحدة فهو الخاصة والا فهو العرض العام والشيخ استدل على الحصر فى الشفاء بأنه اما ان يكون ذاتيا او عرضيا فان كان ذاتيا فاما ان يدل على الماهية او لا يدل فان دل على الماهية فان كان دالا على الماهية المشتركة فهو جنس وان كان دالا على الماهية المختصة فهو نوع وان لم يدل على الماهية فلا يجوز ان يكون اعم الذاتيات المشتركة والا لدل على الماهية المشتركة فيكون اخص منه فهو فصل لأنه صالح للتميز عن بعض المشاركات فى اعم الذاتيات وان كان عرضيا فاما ان لا يكون مشتركا فيه فهو الخاصة او يكون فهو العرض العام واذ قد وقع الفراغ من اقسام الكليات اجمالا فقد حان ان نشرع فى مباحثها التفصيلية وقد جرت العادة بتقديم الجنس لتقدمه على بواقيها اما على النوع فلكونه جزء منه." (٢)

---

(١) لسان العرب @ط المعارف ابن منظور ٤٨٠٨/٦

(٢) لوامع الأسرار = شرح مطالع الأنوار في المنطق @ ط قم (٧٦٦)ص/٧٦

"قال تعالى «قم فأنذر، وربك فكبر» (١) وقال «بلغ ما أنزل إليك من ربك» (٢)الحجة السادسة عشرة: قال الله سبحانه «الرحمن علم القرآن. خلق الإنسان.علمه البيان» (٣) ابتدأ في ذكر فضائل الإنسان بالعلم وهو قوله: علم القرآن، وختم فضائله بالبيان والذكر وهو قوله علمه البيان، فكانت الفكرة والعلم كآدم عليه الصلاة والسلام، وكان البيان كمحمد صلى الله عليه وسلم.الحجة السابعة عشرة: **قال بعض الحكماء** مراتب الإدراك ثلاث. إما أن يدرك ولا يدرك أنه يدرك وهو حال النبات، وإما أن يدرك ويدرك أنه يدرك ولكنه لا يمكنه أن يفهم غيره شيئا وهو الحيوان، وإما أن يدرك ويدرك أنه يدرك ويمكنه أن يفهم غيره ما أدركه وعلمه وذلك هو الإنسان، ولا شك أن كونه يفهم غيره ما علمه هو النطق والبيان فإذا النطق هو الأمر الذي به تميز الإنسانية وهو فصله المقوم وصورته الذاتية، وأما أصل الفهم فهو قدر مشترك بينه وبين غيره فثبت أن الذكر أفضل من الفكر.الحجة الثامنة عشرة: من تفكر في صفات المدح لملك فإنه لا يستحق بذلك صلة ولا إكراما أما من ذكرها باللسان فإنه هو يستوجب الصلة والكرامة، والإنسان إذا كان عالما بصفات الله وأسمائه ثم لم يذكرها كان حاله قريبا من الكفر، أما إذا ذكرها وواظب على ذكرها كان مستوجبا للثواب والثناء والفوز بالدرجات العالية عند الله، فثبت أن الذكر أفضل من الفكر.الحجة التاسعة عشرة: الذكر ظاهر والفكر خفى والعبادة الظاهرة أشرف من العبادة الخفية لأن العبادة الظاهرة قد تصير مرغبة في أن يقتدى بها ويأتي بها أو______________(١) الآيتان (٣)، (٤) من سورة المدثر.(٢) جزء من الآية (٦٧) من سورة المائدة.(٣) الآيات (١)، (٢)، (٣)، (٤) من سورة الرحمن.." [(١)]

"يعني: بحق علمك (١)،وكذا في قوله ((وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم)) أي: إن كان ثابتا في علمك (٢)((أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أوقال عاجل أمري وآجله)) بمد الهمزة هذا شك من الراوي يعني في دنياه وآخرته ((فاقدره)) بضم الدال وكسرها أي قدره ((لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أوقال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به)) أي: اجعلني راضيا بما قدرته.قال الراوي: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة (٣).**قال بعض الحكماء**: من أعطى الاستخارة لم يمنع الخير، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب، ومن أعطى الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول.((ق عبد الله بن زمعة (٤) رضي الله عنه)) بالزاي المعجمة وبالفتحات وبالعين المهملة، إتفقا على الرواية عنه، قيل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وحده (٥)((إذ انبعث أشقاها)) أي: ذهب ومضى، الضمير في أشقاها للأمة ((انبعث إليها)) أي: إلى الناقة ((رجل عزيز عارم (٦))) بالعين والراء المهملتين، أي: شرير ((منيع (٧) في رهطه)) أي: ممتنع على من يريده ((مثل أبي زمعة)) هذا متعلق بمنيع.______________(١) ينظر: المصدر نفسه(٢) ينظر: فتح الباري (١١/ ١٨٤)(٣) ينظر: فتح الباري (٨/ ٧٠٥)(٤) هو عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى القرشي الاسدي ، ابن أخت أم سلمة زوج النبي عليه السلام كان يسكن المدينة له حديث واحد في الصحيح ، قتل في يوم الدار سنة (٣٥) للهجرة. ينظر: الاصابة (٢/ ١٠٥٠).(٥) رواه البخاري (٤٩٤٢)

---

(١) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات – فخر الدين الرازيص/٧١

(ص١٢٧٧) كتاب التفسير باب (سورة (والشمس وضحاها)،ومسلم (٤٩ - (٢٨٥٥) (ص١٢٨٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب ((النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء))(٦) ينظر: النهاية في غريب الأثر: ٣/ ٢٢٣، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٩٢)(٧) ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (١/ ٨٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٨)." [١]

"٢٢ - باب فضل العشاءذكر فيه حديثينأحدهما حديث عائشة أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الحديث.الكلام عليه من وجوه١ هذا الحديث يأتي بعد باب بعد هذا، وفي باب وضوء الصبيان، وأخرجه (م، ن) من طريقين.وفي أحدهما ((إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي)).ثانيها قوله ((أعتم ليلة)) يدل على أن غالب أحواله التقديم رفقا بأمته، وأخرها في بعض الأحيان؛ لبيان الجواز أو لشغل.ثالثها العتمة ظلمة أول الليل.وقال الخليل هي الثلث الأول بعد مغيب الشفق، وقيل التأخير والإبطاء.الحديث الثانيحديث أبي موسى كنت أنا وأصحابي .. الحديث.هذا الحديث أخرجه (م) أيضا.والبقيع بالموحدة. وبطحان، بضم الموحدة وسكون الطاء وفتحها مع كسر الطاء.قال صاحب ((المطالع)) هو بضم الباء يرويه المحدثون. وحكى أهل فتح الباء وكسر الطاء، وهو موضع واد بالمدينة.وقول ((بعض الشغل)) قد جاء بيانه، وأنه كان لتجهيز جيش.و ((ابهار الليل)) أي انتصف، والبهرة الوسط من الإنسان.وعن سيبويه كثرت ظلمته، وابهار القمر كثر ضوؤه. وفي ((الصحاح)) ذهب معظمه.وفي بعض الروايات إذا كان قريبا من نصف الليل. و ((على رسلكم)) كسر الراء فيه أفصح من فتحها. أي تأنوا.قوله ((أن من نعمة الله)) هو بفتح ((أن)) وكذا ((أنه ليس من أحد)).وفيه إباحة تأخير العشاء إذا علم أن بالقوم قوة على انتظارها ليحصلوا على فضل الانتظار ثم الصلاة؛ لأن المنتظر للصلاة في صلاة.قال ابن بطال هذا لا يصلح اليوم لأئمتنا؛ لأنه عليه السلام لما أمر الأئمة بالتخفيف.وقال ((إن فيهم الضعيف، وذا الحاجة)) كان ترك التطويل عليهم في انتظارها أولى.قال وتأخيره إنما كان لأجل الشغل الذي منعه منها، ولم يكن ص ٨٦٣ ذلك من فعله عادة، وقد جاء في بعض طرق هذا الحديث معنى شغله عنها ما كان روى الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة جيشا حتى قرب نصف الليل أو بلغه خرج إلينا الحديث.**وقال بعض الحكماء** النوم المحمود مقدار ثماني ساعات، ومنها إباحة الكلام بعد العشاء والنهي عنه في غير الخير. [١]قال والدي رحمه الله تعالىقوله ((ما ينتظرها)) أي الصلاة في هذه الساعة، وذلك إما لأنه لا يصلي حينئذ إلا بالمدينة وإما لأن سائر الأقوام ليس في أديانهم صلاة في هذا الوقت.ولفظ ((غيركم)) بالرفع صفة لأحد ووقع صفة للنكرة؛ لأنه لا يتعرف بالإضافة إلى المعرفة لتوغله في الإبهام اللهم إلا إذا أضيف إلى المشتهر بالمغايرة أو هو بدل منه وجاز النصب على الاستثناء.و ((البقيع)) بالموحدة المفتوحة وكسر القاف وسكون التحتانية وبالمهملة و ((بطحان)) بضم الموحدة وسكون المهملة وبإهمال الحاء غير منصرف واد بالمدينة.الجوهري البقيع موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى والبطيحة مسيل واسع فيه دقاق الحصى.و ((النفر)) عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة.قوله ((فوافقنا)) بلفظ المتكلم و ((ابهار)) بإسكان الموحدة وشدة الراء يقال ابهار الليل ابهيرارا انتصف، ويقال ذهب معظمه وبهرة الليل بالضم وسطه.((ومن)) في من نعمة الله للتبعيض، وهو

---

(١) مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار ﴿قسم منه﴾ @ ت البرزنجي (٨٠١)ص/٢٦٣

اسم إن.أقولقال ياقوت بطحان واد بالمدينة أحد أوديتها الثلاثة العتيق وبطحان وقناة قال وبقيع الغرقد أصل البقيع في اللغة الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى، والغرقد كنار العوسج وهو مقبرة أهل المدينة قيل أعلى أودية العقيق البقيع وبقيع الزبير بالمدينة أيضا فيه دور وبقيع الخيل بها أيضا عند دار زيد بن ثابت وبقيع الخبجبة بفتح المعجمة والموحدة وفتح الجيم وباء أخرى ذكره في سنن أبي داود.والخبجب شحر غرف به هذا الموضع ذكره السهيلي، والرواية على أنه بجيمين وبقيع بلفظ التصغير موضع من ديار بني عقيل وراء اليمامة متاخم لبلاد اليمن والبقيع أيضا ماء لبني عجل.ـــــــــــــــــــ[١] في هامش المخطوط ((فائدة))..." (١)

"٧ - باب قول الرجل للمرأة عند القبر اصبريفيه حديث أنس مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة عند قبر وهي تبكي ... الحديث صحيح.أخرجه (م) والأربعة ويأتي في الأحكام، وإنما أمرها عليه السلام بالصبر لعظيم ما وعد الله عليه من جزيل الأجر.قال ابن عون كل عمل له ثواب إلا الصبر، قال تعالى ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ الاية [الزمر١٠] فأراد عليه السلام أن لا يجتمع عليها مصيبتان مصيبة الهلاك، ومصيبة فقد الأجر الذي يبطله الجزع، فأمرها بالصبر الذي لا بد للجازع عن الرجوع إليه بعد سقوط أجره [١].وقد أحسن الحسن بن أبي الحسن البصري في البيان عن هذا المعنى فقال الحمد لله الذي آجرنا على ما لا بد لنا منه، وأثابنا على ما لو تكلفنا سواه صرنا إلى معصيته؛ فلذلك قال لها عليه السلام ((اتقي الله واصبري)) أي اتقي معصيته بلزوم الجزع الذي يحبط الأجر واستشعري الصبر على المصيبة بما وعد الله على ذلك.وفيه دلالة على جواز زيارة القبور؛ لأنه لو لم يجز لأنكر على المرأة خلوتها عند القبر.وفيه دلالة على تواضعه وكونه لم ينهرها لما ردت عليه قوله، بل عذرها بمصيبتها.وفيه النهي عن البكاء بعد الموت.قال والدي رحمه الله تعالىقوله ((اتقي الله)) أي بأن لا تجزعي، فإن الجزع محبط الأجر واصبري فإن الصبر مجزل الأجر.قوله ((لم تعرفه)) أي لم تعرف المرأة رسول الله فهو مقول أنس لا مقولها، والصدم ضرب الشيء الصب بمثله، ثم استعمل مجازا في كل مكروه حصل بغتة.وهذا الكلام يحتمل وجهين أن يكون معناه لا تنفعك هذه المعذرة حيث ما سمعت النصيحة أولا، وكان الواجب عليك أن تصبري عند مفاجأة النصيحة، أو معناه إن الصبر عند قوة المصيبة أشد، فالثواب عليه أكثر لأنه إذا طالت الأيام تسلى المصائب فيصير الصبر طبعا فلا يؤجر عليه مثل ذلك، وكأنه قال صلى الله عليه وسلم على طريقة الأسلوب الحكيم وعن الاعتذار مني فإن شيمتي أن لا أغضب إلا لله فانظري إلى تفويتك من نفسك الثواب الجزيل بعدم الصبر عند فجأة المصيبة.**وقال بعض الحكماء لرجل** عزاه إن كل مصيبة لم يذهب فرح ثوابها ألم حزنها لهي المصيبة الدائمة والحزن الثاني.ـــــــــــــــــــ[١] في هامش المخطوط ((أقول ذكر الله الصبر في القرآن في تسع وتسعين موضعا))..." (٢)

"٤٢ - باب الصبر عند الصدمة الأولىوقال عمر نعم العدلان ... إلى آخره.فيه حديث أنس ((الصبر عند الصدمة الأولى)). أما حديث أنس فسلف في الباب، وأما أثر عمر فأخرجه البيهقي من حديث سعيد بن المسيب عنه. والعدلان الصلوات والرحمة، والعلاوة ﴿أولئك هم المهتدون﴾ [البقرة١٥٧] وقيل ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [البقرة١٥٦]. والعلاوة

---

(١) مجمع البحرين وجواهر الحبرين/٣٨١

(٢) مجمع البحرين وجواهر الحبرين/٧٧٦

التي يثاب عليها.وقال ابن التين عن أبي الحسن العدل الواحد قول المصاب إنا لله .. إلى آخرها، والعدل الثاني الصلوات التي عليهن من الله تعالى، والعلاوة ﴿أولئك هم المهتدون﴾ [البقرة١٥٧]، وهو ثناء من الله تعالى عليهم.فقال الداودي إنما هو مثل ضربة للجزاء، فالعدلان عدلا البعير أو الدابة، والعلاوة الغرارة التي توضع في وسط العدلين مملوءة. يقول وكما حملت هذه الراحلة وسعها، فإنها لم يبق موضع تحمل عليه، فذلك أعطي هذا الأجر وافرا، فعلى قول الداودي يكون العدلان والعلاوة ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ إلى ﴿المهتدون﴾ [البقرة١٥٧].وقال صاحب ((المطالع)) العدل هنا نصف العمل على أحد شقي الدابة، والحمل عدلان، والعلاوة ما جعل فيهما. وقيل ما علق على البعير، ضرب ذلك مثلا لقوله ﴿صلوات من ربهم ورحمة﴾ قال فالصلوات عدل، والرحمة عدل، ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ العلاوة.وأحسن ما جاء في التعزية حديث أم سلمة الثابت ((من أصابته مصيبة، فقال كما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها، إلا فعل الله به ذلك)). قالت أم سلمة قلت ذلك عند موت أبي سلمة، ثم قلت في نفسي فمن خير من أبي سلمة؟ فأعقبها الله برسول الله صلى الله عليه وسلم، فتزوجها.فيقول المعزي آجركم الله في مصيبتكم، وعوضكم خيرا منها ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. ومعنى ﴿إنا لله﴾ نحن وأموالنا وعبيدنا لله يبتلينا بما شاء، ونحن إليه نرجع، فيجزينا على صبرنا، وبين ذلك بقوله ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم﴾ وهي الغفران والثناء الحسن، ومنه الصلاة على الميت إنما في الدعاء.قوله تعالى ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة١٤٥] في الصبر قولان أحدهما الصوم، قاله مجاهد. والثاني عن المعاصي. والصلاة أي عند المصائب، كما قال ابن عباس إنها الاستعانة بالصلاة عند المصائب. فكان إذا دهمه أمر صلى. والضمير في قوله ﴿وإنها لكبيرة﴾ [البقرة٤٥] إما عائد إلى الصلاة أو إن فعلتم ذلك، والخاشعون المؤمنون حقا. والخشوع التواضع، فالمؤمن حقا متواضع.وإنما كان الصبر عند الصدمة الأولى؛ لأنها أعظم حرارة وأشد مضاضة، يريد الصبر المحمود عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة؛ لأنه يسلو على مر الأيام، فيصير الصبر طبعا.قال والدي رحمه الله تعالىقوله ((العدلان)) قال الفراء العدل بالفتح ما عادل الشيء من غير جنسه وبالكسر المثل و ((العلاوة)) بكسر العين، ما علقت على البعير بعد تمام الوقر نحو السقاء وغيره وهي فاعل نعم و ((الذين)) هو المخصوص بالمدح.والظاهر أن المراد بالعدلين القول وجزاؤه أي قول الكلمتين ونوعا الثواب وهما متلازمان في أن العدل الأول مركب من كلمتين، والثاني من النوعين من الثواب.فإن قلت ما معنى الصلاة من الله؟ قلت المغفرة.الخطابي يريد أن الصبر المحمود هو ما كان عند مفاجأة المصيبة فإنه إذا طالت الأيام عليها وقع السلو وصار الصبر حينئذ طبعا، **قال بعض الحكماء** إن الإنسان لا يؤجر على المصائب لأجل ذواتها لأنه لا صنع للإنسان فيها وقد تصيب الكافر مثل ما تصيب المسلم إنما يؤجر ص ١٣٤٧ على نيته والاحتساب فيها والصبر الجميل.." (١)

"١٣ - قوله ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء ٨٥]فيه حديث ابن مسعود بينا أنا مع النبي في حرث وهو الحديث سلف في العلم، إلى آخره. حديث بإسناد صحيح عن ابن عباس قال قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل. فقالوا سلوه عن الروح، فنزلت، وعند ابن منده من حديث السدي عن أبي مالك، عن ابن

---

(١) مجمع البحرين وجواهر الحبرين/٨٠٧

عباس رضي الله عنهما قال بعثت قريش عقبة بن أبي معيط وعبد الله بن أمية بن المغيرة إلى يهود المدينة، يسألونهم عن رسول الله الحديث. وفيه هو من أمر الله بقول الله، هو خلق من خلق الله، ليس هو شيء من الله، والحرث بحاء مهملة وثاء مثلثة، وهو موضع الزرع، وذكره في كتاب العلم وبخاء معجمة وباء موحدة، والخاء مكسورة والراء مفتوحة كما ضبطه بهما القاضي عياض وصححهما، وتميم تقول بفتح الخاء والأول أصوب كما نقله النووي عن العلماء، ويجوز أن يكون الموضع فيه الوصفان والعسيب لعله أراد القضيب، قال ابن فارس عسبان النخل كالقضبان لغيره.وقوله (ما رابكم إليه) قال الخطابي كذا تقوله العامة، وإنما هو ما إربكم إليه. أي ما حاجتكم. ووقع في رواية أبي الحسن بالمثناة تحت بدل الباء الموحدة، وقد أسلفنا فيما مضى أن العلماء اختلفوا في الروح اختلافا منتشرا، قال الأشعري هو النفس الداخل، وقيل هو جسم لطيف مشارك الأجسام الظاهرة والأعضاء الظاهرة، وقال بعضهم لا يعلمها إلا الله. والجمهور على أنها معلومة، فقيل الدم وليس في الآية دليل على أنها لا تعلم ولا أنه عليه السلام لم يكن يعلمها، وإنما أجاب بما في الآية الكريمة؛ لأنه كان عند اليهود إن أجاب بتفسير الروح فليس بشيء.وأفرد ابن منده الحافظ كتابا في معرفة الروح والنفس وقال اختلف في معرفة الأرواح ومحلها من النفس، فمذهب أهل السنة والجماعة أن الأرواح كلها مخلوقة قال عليه وسلم – ((الأرواح جنود مجندة)) والجنود المجندة مخلوقة، وقال بعضهم إنها من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن خلقه، قال تعالى ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ وقيل إنها نور من نوره، وحياة من حياته، ثم اختلف في فناء الأرواح بموت الأبدان والأنفس على قولين ألا تموت ولا تبلى قال عليه السلام ((أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في الجنة تأكل وتشرب))، وقال ((يعرج بروح المؤمن إلى السماء فتسجد)). تموت ولا تبلى، وتبلى الأبدان.واحتجوا بحديث الصور قالت جماعة الأرواح على صور الخلق لها أيد وأرجل وسمع وبصر.وقال بعضهم الأرواح تعذب كالأجسام لأخبار فيه. قال تعالى ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ [المطففين ٧] فيعذبان جميعا كما ينعمان، لأخبار ثابتة فيه عن الصحابة والتابعين. وغلط من ادعى بعثها مجردة من غير بدن؛ لأنه ترابي، ثم قيل ينشئ الله لها أجساما من الجنة، وما أبعده...وقيل للمؤمن ثلاثة أرواح، وللكافر والمنافق واحد. وقيل للأنبياء والصديقين خمسة أرواح، وكله بحكم. وقيل الروح روحان اللاهوتية والناسوتية. وقيل روحانية خلقت من الملكوت، فإذا فنت رجعت إليه. وقيل إنما تكون نورية روحانية ملكوتية إذا كانت صافية، وقيل الروح لاهوتية ص ٣٥٣٧ والنفس أرضية طينية نارية.وشر الأقوال تناسخها وانتقالها من جسم إلى جسم، ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس، فقالت طائفة النفس طيفية نارية، والروح نورية روحانية. وقال بعضهم الروح لاهوتية والنفس ناسوتية. وقال أهل الأثر الروح غير النفس. وقولهم النفس بالروح والنفس لا تريد إلا الدنيا والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها، وقد جعل الهوى تبعا للنفس، فالشيطان مع النفس والهوى، والملك مع العقل والروح.وفي "التمهيد" من طريق وهب قال إن الله خلق آدم وجعل نفسا وروحا، فمن الروح عفافه وفهمه وحلمه وسخاؤه، ومن النفس شهوته وغضبه ونحو هذا.قال السهيلي هذا معناه صحيح، وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولا لا إلى الأحاديث التي تنقل مرة على اللفظ ومرة على المعنى، فيقول قال تعالى ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر ٢٩] ولم يقل من نفسي، فلا يجوز أن يقال هذا، ولا خفاء فإنه من الفرق في الكلام، وذلك يدل على أن بينهما فرقا في المعنى. وبعكس هذا ﴿تعلم ما في نفسي﴾ [المائدة ١١٦] ولم يقل ما في روحي، فلو كانت النفس والروح اسمين بمعنى واحد كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما لصاحبه في أي كثيرة، فأين إذن كون الروح والنفس بمعنى واحد

لقوله عليه السلام ((أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك)) وأخذ بروحي ذكره أول "محلاه".وقال ابن العربي في "عواصمه" الروح معقولة، واختلف في النفس فمنهم من جعلها الدم، ومنهم من جعلها معقولة بمنزلة الروح، والحياة بهما، وقد تتعدى هذه الألفاظ إلى غير العقلاء بل إلى غير الأحياء فتجعل في كل شيء، فيقال لكل شيء قلب ونفس وروح وحياة، واستجازة، وزعم قوم أن الروح استنشاق الهواء، وقال عامة المعتزلة إنها عرض، وأغرب ابن الراوندي فقال إنها جسم لطيف يسكن البدن، **وقال بعض الحكماء** إن الله خلقها من ستة أشياء من جوهر النور والطب والبقاء والحياة والعلم والعلو، ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان نوريا، قال الواحدي والمختار أنه جسم لطيف توجد به الحياة.الروح في كتاب الله تنطلق على معان سلفت هناك، ونبه عليها ابن منده ﴿وأيدهم بروح منه﴾ [المجادلة ٢٢] ملك من الملائكة السماء السابعة على صورة الإنسان وجسده كجسد الملائكة ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ [النبأ ٣٨] جبريل ﴿نزل به الروح الأمين﴾[الشعراء ١٩٣] الوحي. ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره﴾ [النحل ٢] عيسى وروح منه.جمع ابن التين في الروح في الآية أحد عشر قولا، فعن ابن عباس له أحد عشر ألف جناح، وألف وجه يسبح الله إلى يوم القيامة، وقيل هو ملك له تسعون ألف لسان يسبح الله بها ويقدسه، وقيل هو جبريل، وقيل هو ملك رجلاه في الأرض السفلى ورأسه عند قائمة العرش، وقيل هو خلق كخلق بني آدم، له أيد وأرجل، وقيل عيسى، وقيل القرآن، وقيل هو الوحي، وقيل هو الروح التي تحيا بلا جسد. فسألوه عن كيفية امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به، وقيل هو خلق من خلق الله، لا ينزل ملك إلى الأرض إلا نزل معه، وقيل كما في الأصل لا يعلمه إلا الله، قال وقيل هو ملك عظيم، تقوم روحه فتكون صفا، وتقوم الملائكة ص ٣٥٣٨ صفا، قال تعالى ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ [النبأ ٣٨].." (١)

"٤ – باب الأمل وطولهوقوله عز وجل ﴿فمن زحزح عن النار﴾ الآية إلى قوله ﴿ذرهم يأكلوا﴾ الآية [الحجر ٣]. وقال علي بن أبي طالب ارتحلت الدنيا مدبرة، إلى آخره.ثم ساق حديث عبد الله وهو ابن مسعود رضي الله عنه قال خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا، الحيث.ثم ساق حديث أنس بن مالك أيضا قال خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطا فقال ((هذا الأمل)) إلى آخره.حديث أنس أخرجه النسائي، وليس في السماع، ولم يذكره ابن عساكر، (وأخرجه الترمذي من حديث حماد بن سلمة ص ٤٦٠٢، عن عبد الله بن أبي بكر بن أنس، عن أنس بلفظ ((هذا ابن آدم وهذا أجله)) ووضع يده عند قفاه، ثم بسطه، فقال وثم أمله؟).ومعنى ﴿زحزح﴾ بوعد ونحي.وقوله ﴿ويلههم الأمل﴾ [الحجر ٣] يعني عن عمل الآخرة، وأثر علي أخرجه ابن المبارك في ((رقائقه))،والأمل مذموم لجميع الناس إلا العلماء. فلولا أملهم وطوله لما صنفوا، ولما ألفوا، وقد نبه عليه ابن الجوزي.وآمال الرجال لهم وضوح ... سوى أمل المصنف ذي العلوموالفرق بينه وبين الأماني أن الأمل ما أملته عن سبب، والتمني ما تمنيته من غير سبب. قيل لعبد الرحمن بن أبي بكر أي شيء أطول إمتاعا؟ قال المنى، ذكره الجاحظ في ((كتاب النساء)). **وقال بعض الحكماء** الإنسان لا ينفك من أمل، فإن فاته الأمل عول على المنى. وقال يزيد بن معاوية كثرة المنى تخلق العقل، وتفسد الدين، وتطرد القناعة.وقال الشاعرالله أصدق والآمال كاذبة ... وجل هذي المنى في الصدر وسواسوهذا صفة ما في الحديث وقوله (خط خططا صغارا)، قال ابن التين

---

(١) مجمع البحرين وجواهر الحبرين/٢٣٩٨

رويناه بضم الحاء وكسرها. قال الجوهري الخط واحد الخطوط، والخطة أيضا من الخطط، كالنقطة من النقط.وقوله ((نهشه)) هو بالمعجمة، والمهملة، (قال ابن التين رويناه بهما)، ومعناه أخذ الشيء بمقدم الأسنان، وسبقه إليه ابن بطال قال والنهش تناول بالفم كالنهس، والحية تنهش إذا عضت، والنهس أيضا نثر اللحم، ونهش ينهش من كتاب ((العين))، قال ومثل الشارع أمل ابن آدم وأجله، وأعراض الدنيا التي لا تفارقه بالخطوط، فجعل أجله الخط المحيط، وجعل أمله وأعراضه خارجا من ذلك الخط، ومعلوم في العقول أن ذلك الخط المحيط به الذي هو أجله، أقرب إليه من الخطوط الخارجة منه.ألا ترى قوله في حديث أنس ((فبينا هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب))؟ يريد أجله، وفي هذا تنبيه منه لأمته على تقصير الأمل، واستشعار الأجل خوف تغيبه، ومن غيب عنه أجله فهو حري بتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة ونعوذ بالله من ذلك، فليرض المؤمن نفسه على استعمال ما نبه عليه، ويجاهد أمله وهواه، كما قال عليه السلام في الباب بعد هذا ((لا يزال قلب الكبير شابا في حب الدنيا وطول الأمل)).وقال الطبري في قوله ﴿ذرهم﴾ [الحجر ٣] الآية يعني ذر المشركين يا محمد يأكلوا في هذه الدنيا، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتها إلى أجلهم الذي أجلت لهم، ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من الطاعة فيها، وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم، فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه وقد هلكوا بكفرهم بالله حين يعاينون عذابه؛ أنهم كانوا في تمتعهم بلذات الدنيا في خراب وتباب.وروينا له مثالا آخر من طريق أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ إلى أبي هريرة الصيرفي، حدثنا حرمي، عن عمارة، عن علي بن أبي علي الرفاعي، حدثنا أبو المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري أخذ النبي صلى الله عليه وسلم أعوادا فغرز عودا بين يديه، وآخر إلى جنبه، وأما الثالث فأبعده، فقال ((هل تدرون ما هذا؟)) قالوا الله ورسوله أعلم، فقال ((هذا الإنسان، وهذا الأجل، وهذا الأمل يتعاطاه ابن آدم يختلجه الأجل دون الأمل)).وروينا في كتاب أبي الليث السمرقندي، قال عليه السلام ((صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك أخرها بالبخل والأمل))، ثم قال من قصر أمله أكرمه الله بأربع كراماتأحدها أنه يقويه على طاعته؛ لأنه إذا علم أنه يموت عن قريب، لا يهتم لما يستقبله من المكروه، ويجتهد في الطاعة؛ فكثر علمه.ثانيها تقل همومه؛ لأنه إذا علم أنه يموت عن قريبص ٤٦٠٣ فإنه لا يهتم بما يستقبله.ثالثها يجعله راضيا بالقليل.رابعها ينور قلبه، فينبغي للمسلم أن يقصر أمله، فإنه لا يدري في أي نفس، أو في أي قدم يموت، وينبغي للمسلم أن يكثر ذكر الموت، فإنه لا غنى به عن ست خصالعلم يدله على الآخرة، ورفيق يعينه على الطاعة، والحذر من عدوه، وعبرة يعتبر بها من آيات الله في اختلاف الليل والنهار، وإنصاف (الحق) من نفسه، والاستعداد للموت قبل نزوله.قال والدي رحمه الله تعالىكتاب الرقائق جمع الرقيقة وهي مشتقة من الرقة ضد الغلظة أي كتاب الكلمات المرقة للقلوب وقيل من الرقة بمعنى الرحمة وفي بعضها كتاب الرقاق وهو جمع الرقيق، قوله (المكي) بلفظ المنسوب إلى مكة المشرفة ابن إبراهيم التميمي البلخي و (عبد الله بن سعيد) بن أبي هند الشمجي بفتح المعجمة وسكون الميم وبالمعجمة مر في التهجد و (مغبوب) هو خبر و (كثير) هو المبتدأ أو هو مشتق إما من الغبن بإسكان الموحدة وهو النقص في البيع وإما من الغبن بفتحها وهو النقص في الرأي فكأنه قال هذان الأمران إذا لم يستعملا فيما ينبغي فقد غبن صاحبهما فيهما أي باعهما ببخس لا تحمد عاقبته أو ليس له في ذلك رأي البتة فإن الإنسان إذا لم يعمل الطاعة في زمن صحته ففي زمن المرض بالطريق الأولى وعلى ذلك حكم الفراغ أيضا فيبقى بلا عمل خاسرا مغبونا هذا وقد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا للعبادة لاشتغاله بأسباب المعاش وبالعكس

فإذا اجتمعا للعبد وقصر في نيل الفضائل فذلك هو الغبن له وكيف لا والدنيا هي سوق الأرباح وتجارات الآخرة، قال بن بطال فيه تنبيه على عظم نعمة الله تعالى على عباده في الصحة والكفاية لأن المرء لا يكون فارغا حتى يكون مكفيا مؤنة العيش فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يغبنهما لا سيما وهو يعلم أنه خلقه من غير ضرورة إليه وبدأه بالنعم الجليلة كالصحة ونحوها من غير استحقاق منه لها وضمن أرزاقه ووعده بجزاء الحسنات أضعافا مضاعفة وأمره أن يعبده شكرا عليها وتحصيلا لجزاء أعماله فمن لم يفعل فقد غبن أيامه وتندم حين لا ينفعه الندم، قوله (عباس) بالمهملتين وشدة الموحدة ابن عبد العظيم العنبري بفتح المهملة والموحدة وسكون النون بينهما وبالراء و (صفوان) ابن عيسى الزهري مات سنة ثمان وتسعين ومائة، قوله (معاوية بن قرة) بضم القاف وشدة الراء المدني البصري و (أحمد بن المقداد العجلي) بكسر المهملة وسكون الجيم و (الفضيل) مصغر الفضل بالمهملة ابن سليمان النميري مصغر النمر بالنون و (أبو حازم) بالمهملة والزاي سلمة بن دينار، قوله (يمر بنا) في بعضها بصر بنا ومر الحديث، قوله (غدوة) بفتح المعجمة وسكون المهملة و (سبيل الله) أعم من الجهاد وتقدم ثمة و (أو) للتنويع لا لشك الراوي، قوله (محمد بن عبد الرحمن) الطفاوي بضم المهملة وخفة الفاء وبالواو أبو المنذر بكسر المعجمة و (كأنك غريب) كلمة جامعة لأنواع النصائح إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والنزاع وسائر الرذائل التي منشأها الاختلاط بالخلائق ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق، فإن قلت الغريب هو عابر سبيل فما وجه العطف عليه، قوله (العبور) لا يستلزم الغربة والمبالغة فيه أكثر لأن تعلقاته أقل من تعلقات الغريب فهو من باب عطف العام الخاص وفيه نوع من الترقي والترغيب إلى الآخرة والتوجه إليها وأنها المرجع ودار القرار والزهد في الدنيا والموت ونحو ذلك، قوله (خذ) أي خذ بعض أوقات صحتك لوقت مرضك يعني اشتغل في الصحة بالطاعة بقدر مالو وقع في المرض تقصير تدرك بها، قوله (في الأمل) فإن قلت ما وجه مناسبة الآية الأولى للترجمة قلت صدرها وهو قوله تعالى ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أو عجزها وهو ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ أو ذكر لمناسبة قوله تعالى ﴿وما هو بمزحزحه﴾ إذ في تلك الآية ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ قوله (عمل) فإن قلت اليوم ليس عملا بل فيه العمل ولا يمكن تقدير في وإلا وجب نصب عمل قلت جعله نفس العمل ص ٤٦٠٤ مبالغة كقولهم أبو حنيفة فقه ونهاره صائم، قوله (لا حساب) بالفتح أي لا حساب فيه وبالرفع أي ليس في اليوم حساب ومثله شاذ عند النحاة وهذا حجة عليهم، قوله (صدفة) أخت الزكاة (ابن الفضل) بسكون المعجمة و (سفيان) أي ابن سعيد بن مسروق الثوري و (منذر) بفاعل الإنذار ابن يعلي بوزن بفتح الياء و (الربيع) ضد الخريف ابن خثيم مصغر الختم بالمعجمة والمثلثة وهما أيضا ثوريان والأربعة ثوريون و (الخطط) بضم الخاء وكسرها جمع الخطة، قوله (هذا الإنسان) مبتدأ وخبر أي هذا الخط هو الإنسان وهذا على سبيل التمثيل فإن قلت الخطوط ثلاثة لأن الصغار كلها في حكم واحد والمشار إليه أربعة فكيف ذلك قلت الداخلاني له اعتباران إذ نصفه داخل ونصفه مثلا خارج فالمقدار الداخل فيه هو الإنسان فرضا والخارج أمله والأعراض أي الآفات العارضة له وهذا أي أن تجاوز عنه هذا العرض لدغه العرض الأخر وإن تجاوز عنه أي هذه الآفات جميعها من الأمراض المهلكة ونحوها (نهشه) أي لدغه (هذا) أي الأصل يعني لم يمت الأخير أي لابد أن يموت بالموت الطبيعي وحاصله أن ابن آدم يتعاطى الأمل ويختلجه الأجل دون الأمل قوله (مسلم) ابن إبراهيم و (همام) أي ابن يحي فإن قلت قال خطوطا في مجمله وذكر اثنين في مفصله قلت فيه

اختصار عن مطوله والخط الآخر الإنسان والخطوط الأخر الآفات والخط الأقرب يعني الأجل إذ لا شك أن الخط المحيط هو أقرب من الخط الخارج منه قالوا الأمل مذموم لجميع الناس إلا للعلماء فإنه لولا أملهم وطوله لما صنفوا والفرق وبينه وبين الأمنية أن الأمل ما أملته عن سبب والتمني ما تمنيته عن غير سبب **قال بعض الحكماء الإنسان** لا ينفعك عن أمل فإن فاته الأمل عول على التمني وقالوا من قصر من أمله كرمه وأربع كرامات لأنه إذا ظن أنه يموت عن قريب يجتهد في الطاعة ويقل همومه فإنه لا يهتم لما يستقبلة من المكروه ويرضي بالقليل وينور قلبه.الزركشي(ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة؟ قلت بلى. قال لا حول ولا قوة إلا بالله) يحتمل أن يكون موضع ((لا حول)) الجر بدلا من ((كنز))، والنصب بتقدير هو.(لله تسعة وتسعون اسما) ارتفع مائة على البدلية، أو خبر مبتدأ محذوف، وانتصب ((إلا واحدا)) على الاستثناء، ويجوز رفعه على جعل ((إلا)) بمعنى غير فتكون صفة لمائة، كقوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (كتاب الرقاق وفي نسخة ((الرقائق))، افتتحه بحديث(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس) وكأنه اقتدى بعبد الله بن المبارك فإنه بدأ به في كتابه في الرقاق.(قال عباس العنبري) بموحدة وآخره سين مهملة.(حدثنا محمد بن بشار) بموحدة وشين معجمة.(وهذه الخطط الصغار) بضم الخاء والطاء، ويروى ((الخطوط)).(الأعراض) جمع عرض ما ينتفع به في الدنيا.." (١)

"١٧ - باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتخليهم من الدنيافيه أحاديث ص ٤٦٢٢أحدها حدثني أبو نعيم بنحو من نصف هذا الحديث، ثنا عمر بن ذر، إلى آخره.فذكر حديث اللبن وأهل الصفة مطولا.وسلف في الاستئذان مختصرا فقال حدثنا أبو نعيم إلى آخره ولعله النصف المشار إليه هاهنا.وأخرجه النسائي من حديث محمد بن يحيى، بسنده ثم قال صحيح.ثم ساق البخاري بعده أحاديثأحدهاحديث سعد رضي الله عنه إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، الحديث.ثانيهاحديث عائشة رضي الله عنها ما شبع آل محمد الحديث.ثالثهاوعنها ما أكل آل محمد صلى الله عليه وسلم أكلتين في يوم.رابعهاوعنها قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدم حشوه ليف.خامسهاحديث قتادة قال كنا نأتي أنس بن مالك رضي الله عنه الحديث.سادسهاحديث عائشة رضي الله عنها قالت كان يأتي علينا الشهر الحديث.سابعهاحديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة الحديث.ثامنهاحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ((اللهم ارزق آل محمد قوتا)).قوله في الحديث الأول (إن أبا هريرة كان يقول آلله الذي لا إله إلا هو) يجوز في الله الخفض والنصب. قال ابن التين ورويناه بالنصب. قال ابن جني إذا حذفت حرف القسم نصبت الاسم بعده بالفعل المقدر تقول الله لأذهبن.ومن العرب من يجر اسم الله وحده مع حذف حرف الجر، فيقول الله لأقومن؛ وذلك لكثرة ما يستعملون هذا الاسم، وتقول أي هالله ذا، فتجر الاسم بها؛ لأنها صارت بدلا من الواو، وكذلك قولهم في الاستفهام آلله لتذهبن؟ صارت همزة الاستفهام عوضا من الواو فجررت الاسم، وتقول في التعجب لله لأقومن!وقوله (إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض) الكبد بكسر الباء وسكونها مثل فخذ وفخذ.وقوله (وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع) قال الخطابيأشكل الأمر في شد الحجر على البطن من الجوع على قوم، حتى توهموا أنه تصحيف، فزعموا (أنما هو) الحجز جمع الحجزة التي يشد بها المرء وسطه، قال ومن أقام بالحجاز، وعرف عاداتهم علم أن

---

(١) مجمع البحرين وجواهر الحبرين/٣٣٧٩

الحجر واحد الحجارة؛ وذلك أن المجاعة تصيبهم دهرا، فلما خوى البطن هزم فلم (يمكن معه) الانتصاب؛ فيعمد حينئذ إلى صفائح رقاق من طول الكف فتربط على البطن، وتشد (بحجزه) فوقها فتعتدل قامة الإنسان بعض الاعتدال.وقوله (إلا ليشبعني) أي ليأمرني أن أتبعه.وقوله (قال ((الحق)) ومضى) أي اتبعني.قوله (وأشركهم فيها) قال ابن القوطية شركك في الأمر شركا وشركه ضرب له شريكا، وفي المال كذلك، وأشرك الكافر بالله جعل له شريكا، والنعل جعلت له شراكا.وقوله (فيشرب حتى يروى) هو بفتح الواو في مستقبله، وبكسرها في ماضيه.الحبلة بالضم، وسكون الباء ثمر العضاه قاله الجوهري وابن فارسوقال أبو (عبيد) الحبلة وورق السمر ضربان من الشجر أو النبات. وقال ابن الأعرابي الحبلة ثمر السمر يشبه اللوبياء. وقال الجوهري السمرة بضم الميم من شجر الطلح، والجمع سمر وسمرات وأسمر في أدنى الجمع، والتعزير التأديب، والبر جمع برة من القمح. وجوز المبرد أن يجمع على أبرار خلافا لسيبويه.وقوله (حدثني ابن أبي حازم عن أبيه) هو عبد العزيز بن أبي حازم سلمة بن دينار، (ويزيد بن رومان) هو أبو روح مولى آل الزبير بن العوام، مات سنة ثلاثين ومائة.وحديث سعد رضي الله عنه سلف في الأطعمة، في باب ما كان عليه السلام وأصحابه يأكلون، وتقدم فيه أيضا الكلام في حديث عائشة وأنس وأبي هريرة رضي الله عنه مع الأحاديث المعارضة لها. ص ٤٦٢٣قال الطبري في اختيار الشارع وخيار السلف من الصحابة والتابعين (شظف) العيش، والصبر على مرارة الفقر والفاقة، ومقاساة خشونة (خشن) الملابس والمطاعم، على خفض ذلك ودعته حلاوة الغنى ونعيمه، ما أبان عن فضل الزهد في الدنيا وأخذ البلغة والقوت خاصة، وكان نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام يطوي الأيام، ويعصب على بطنه الحجر من الجوع، إيثارا منه شظف العيش والصبر عليه، مع علمه بأنه لو سأل ربه أن يسير له جبال تهامة ذهبا وفضة لفعل، وعلى هذه الطريقة جرى الصالحون.ألا ترى قول أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يشد الحجر على بطنه من الجوع، إلى آخره.وفيه أن كتمان الحاجة خير من إظهارها، وأشبه بإخلاص الصالحين والصابرين، وإن كان جائزا له الإخبار بباطن أمره وحاجته لمن يرجوه لكشف فاقته.وهذا الحديث علم عظيم من أعلام النبوة؛ وذلك أنه عليه السلام عرف ما في نفس أبي هريرة، ولم يعلم ذلك أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما وفيه شرب العدد الكثير من اللبن القليل حتى شبعوا ببركة النبوة، وذلك من أعلامها أيضا.وفيه أيضا ما كان عليه عليه السلام من إيثار البلغة، وأجود العرب في كرم نفسه؛ وأنه لم يستأثر بشيء من الدنيا دون أمته.وقوله ((اللهم ارزق آل محمد قوتا)) فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفيره نعيم الآخرة، وإيثارا لما يبقى على ما يفنى لتقتدي بذلك أمته، ويرغبوا فيما رغب فيه نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام.روى الطبري بإسناده، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حبذا المكروهان الموت والفقر، والله ما هو إلا الغنى والفقر، ولا أبالي بأيهما ابتليت، إن حق الله في كل واحد منهما.قال الطبري فمحنة الصابر أشد من محنة الشاكر، وإن كانا شريفي المنزلة غير أني أقول كما قال مطرف بن عبد الله لأن أعافى فأشكر، أحب إلى من أبتلى فأصبر.ومن فضل قلة الأكل ما روى يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه ((إن أهل البيت ليقل طعمهم فتستنير بيوتهم)).وروى إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن محمد بن علي، عن أبيه أنه عليه السلام قال ((من سره أن يكون حكيما فليقل طعمه، فإنه يغشى جوفه بنور الحكمة)).وقال مالك بن دينار سمعت عبد الله الرازي يقول كان أهل العلم بالله والقبول عنه يقولون إن الشبع يقسي القلب، ويفتر البدن.روينا في كتاب ((الجوع)) لابن أبي الدنيا من حديث خالد بن معدان عن المقدام بن معدي كرب مرفوعا ((ما ملأ

ابن آدم وعاء شرا من بطن))ومن حديث المحبر بن هارون، بسنده عن زيد بن وهب مثله مرفوعا.وروينا في كتاب (الجوزي) من حديث شقيق البلخي، عن إبراهيم بن أدهم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جالسا فسألته، فقال ((من الجوع)). فبكيت، فقال ((لا تبك فإن شدة الحساب لا تصيب الجائع إذا احتسب)).وكان بشر بن الحارث يقول الجوع يصفي الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق.ورأى يحيى بن طاهر العلوي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول يا طاهر أطعم هؤلاء المتصوفة يعني الذين شكوا الجوع وقيل لهم من لم يصبر على الجوع (فليخرج) من جواري.قال والدي رحمه الله تعالى(باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم) قوله (أبو نعيم) مصغرا هو الفضل الكوفي و (عمر بن ذر) بفتح المعجمة وشدة الراء الهمداني، فإن قلت هذا مشكل لأن نصف الحديث يبقى بدون الإسناد ثم أن النصف مبهم أهو الأول أم الآخر قلت اعتمد على ما ذكر في كتاب الأطعمة من طريق يوسف بن على المروزي وهو قريب من نصف هذا الحديث فلعل البخاري أراد بالنصف المذكور بأبي نعيم ما لم يذكره ثمة فيصير الكل مسندا ص ٤٦٢٤ ببعضه بطريق يوسف والبعض الآخر بطريق أبي نعيم قال صاحب التلويح ذكر الحديث في الاستئذان مختصرا وكان هذا هو النصف المشار إليه هاهنا أقول ليس ما ذكره ثمة نصفه ولا ثلثه ولا ربعه ثم أن المحذور وهو خلو البعض بلا إسناد لازم كما أن نعم أفاد تقريره أن بعضه مكرر الإسناد ولا كلام فيه، قوله (والله) في بعضها الله بالنصب قسم حذف منه حرف الجر و (إن كنت) مخففة من الثقيلة، فإن قلت ما فائدة الحجر على البطن قلت الفائدة المساعدة على الاعتدال والانتصاب على القيام أو المنع من كثرة التحلل من الغذاء الذي في البطن لكونها حجارة رقاقا ربما تشد طرف الأمعاء فيكون الضعف أقل أو تقليل حرارة الجوع ببرودة الحجر أو الإشارة إلى كسر النفس وإلقامها الحجر ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب **وقال بعض الحكماء** الشد يقوي المعدة، الخطابي أشكل الأمر في شد الحجر على قوم حتى توهموا أنه تصحيف من الحجر بالزاي جمع الحجزة التي يشد بها الإنسان وسطه لكن من أقام بالحجاز عرف عادة أهله في أن المجاعة تصيبهم فإذا خوي البطن لم يكن معه الانتصاب فيعمد حينئذ إلى صفائح رقاق في طول الكف تربط على البطن فتعدل القامة بعض الاعتدال، قوله (ليشبعني) من الإشباع و (ما في نفسي) أي من الجوع وطلب الطعام و (ما في وجهي) من صفرة اللون ورثاثة الهيئة و (الحق) أي اتبعني وكلمة (لي) مما تنازع فيه الفعلان و (دخل) الثاني تكرار للأول أو دخل الأول بمعنى أراد الدخول و (الاستئذان) يكون لنفسه صلى الله عليه وسلم و (فلانة) في بعضها أهداه فلان و (ما عسى) أي قائلا في نفسي وما عسى والظاهر أن كلمة عسى مقحمة، فإن قلت فأتيتهم فدعوتهم مشعر بأن الإتيان والدعوة بعد الإعطاء لكن الأمر بالعكس قلت فكنت أنا أعطيهم عطف على جزاء فإذا جاؤا فهو بمعنى الاستقبال داخلا تحت القول والتقدير عند نفسه، قوله (يروي) بفتح الواو نحو رضي يرضى، فإن قلت الرجل الثاني معرفة معادة فيكون هو الأول بعينه على القاعدة النحوية لكن المراد غيره قلت ذلك حيث لا قرينة ولفظ (حتى انتهيت) قرينة المغايرة كما في قوله تعالى ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾، قوله (فحمد الله) أي على البركة وظهور المعجزة و (سمي) أي بسمل وفيه أن كتمان الحاجة أولى من إظهارها وإن جاز بباطن أمره لمن يرجو كشف ما فيه واستحباب الاستئذان وإن كان في بيت أهله والسؤال من الوارد إلى البيت وتشريك الفقراء فيه وشرب الساقي وصاحب

الشراب أخيرا والحمد على الخير والتسمية عند الشرب وامتناعه صلى الله عليه وسلم من الصدقة وأكله من الهدية قوله (سعد) أي ابن أبي وقاص و (أول العرب) لأنه كان في أول قتال جرى في الكلام وهو أول من رمي إلى الكفار و (الحبلة) بضم المهملة وسكون الموحدة وقيل بفتحها أيضا ثمر السلم أو ثمر عامة العضاه أو بقلة و (السمر) بضم الميم شجر و (ماله خلط) أي ما يخرج منهم مثل البعر لا يختلط بعضه ببعض لجفافه و (بنو أسد) قبيلة و (تعزرني) أي تؤدبني على أحكام الدين وتعلمني وتوقفني عليها وذلك أنهم كانوا قالوا لعمر رضي الله عنه أنه لا يحسن يصلي فقال إن كنت محتاجا إلى تعليمهم فقد خبت وضل عملي وضاع سعي فيما مضى وفيما صليت مع رسول الله عليه وسلم حاشاه من ذلك مر في كتاب الأطعمة، قوله (عثمان) هو ابن محمد بن أبي شيبة بفتح المعجمة وسكون التحتانية وبالموحدة الكوفي و (جرير) بفتح الجيم و (تباعا) بكسر الفوقانية وخفة الموحدة أي متابعة متوالية و (إسحاق بن إبراهيم) يقال له لؤلؤ سكن بغداد مر في سورة آل عمران و (إسحاق بن يوسف الأزرق) بتقديم الزاي على الراء الواسطي و (مسعر) بكسر الميم وسكون المهملة الأولى وفتح الثانية وبالراء ابن كدام بكسر الكاف وخفة المهملة العامري مر في الوضوء و (هلال الوزان) في الجنائز و (أكلتين) بضم الهمزة وفتحها، قوله (أحمد بن أبي رجاء) ص ٤٦٢٥ ضد الخوف الهروي و (النضر) بسكون المعجمة ابن شميل مصغرا بالمعجمة و (هدبة) بضم الهاء وإسكان المهملة وبالموحدة ابن خالد و (السميط) بالمهملتين من سمط الشاة إذا نتف صوفها بعد إدخاله في الماء الحار، فإن قلت الشاة سميطة، قلت لا إذ الفرق في الشاة ونحوها بين المذكر والمؤنث نحو شاة وحشي وحشية أو أن الفعيل بمعنى المفعول كثيرا يستوي فيه التذكير والتأنيث وغرضه أنه صلى الله عليه وسلم ما كان متنعما في المأكولات ومر في الأطعمة، قوله (محمد بن المثنى) ضد المفرد و (إنما هو) أي طعامنا و (يؤتي) بلفظ الجمع و (باللحم) في بعضها باللحيم قوله (محمد بن نفيل) بالمعجمة الضبي و (عمارة) بضم المهملة وتخفيف الميم وبالراء ابن القعقاع بالقافين وتسكين المهملة الأولى و (أبو زرعة) بضم الزاي وسكون الراء وبالمهملة هرم بفتح الهاء البجلي بالموحدة والجيم و (القوت) المسكة من الرزق وفيه فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفير نعم الآخرة.الزركشي(باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم).(حدثنا أبو نعيم بنحو من نصف هذا الحديث) هذا الموضع من عقد الكتاب فإنه لم يذكر من حدثه بالنصف الآخر، ويمكن أن يقال اعتمد على السند الآخر الذي تقدم له في كتاب الاستئذان.(آلله الذي لا إله إلا هو) بالجر حذف منه حرف القسم، وجوز فيه النصب والجر، قال ابن جني إذا حذفت حرف القسم نصبت الاسم بعده بالفعل المقدر، تقول الله لأذهبن، ومن العرب من يجر اسم الله وحده مع حذف حرف الجر، فيقول الله لأقومن؛ لكثرة استعمالهم.(إلا ليشبعني) ولأبي الهيثم ((إلا ليستتبعني)).(أبا هر) يروى بتخفيف الراء وتشديدها منادى مضاف، والهر الذكر، وإنما كناه بأبي هر لأنه وجد هرة في الطريق فأخذها فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنت أبو هر.(الحبلة) بضمتين، ومنهم من يسكن الباء ثمر السمر يشبه اللوبيا.(ما كان يعيشكم) بضم أوله، قال في ((المحكم)) أعاشه الله، قال ابن أبي داود وسأله أبوه ما الذي أعاشك؟ فأجابه أعاشني بعدك واد مبقل آكل من حوذانه وأنسلانتهى كلام الزركشي.أقول قوله يقول الله الذي لا إله إلا هو قل اللهم يجبر له وارد القسم قاله أبو ذر وأن حين قوله أسحاق أتى أهل الصفة قيل كانوا مائه ... وقال في عوارف المعارف كانوا .. قوله أي لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله كان ذلك في بعث عبيده بن الحرث وكان عليه السلام بعثه في ثمانين راكبا من المهاجرين فسار حتى بلغ

بالحجاز بأسفل ثنيه المرة فلقي جمعا عظيما من يونس فلم يكن عليهم فقال إلا أن سعد بن أبي وقاص رمي بسهم في سبيل الله فكان أول سهم رمي في سبيل الله وأول من أراده ما في سبيل الله وذلك لأنت سعد كان في ... يصلحون في سعد من شعاب مكة أو ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلحون فقاموا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد ... رجلا نجلى حمل فشيخه مكان أول دم ... في سبيل الله قوله ثن أصبحت هو سعد فعززني الذي وكذا صاحب المطالع وغير مشيخه.." (١)

"ولو بأقل عدد، فالصلاة حينئذ في البيت أفضل))، وانتهى كلام ابن عبد البر.وقال –أيضا– في موضع آخر من هذا الكتاب: ((وفيه أيضا –يعني حديث زيد بن ثابت المذكور– دليل على أن الانفراد بكل ما يعمله المؤمن من أعمال البر ويسره ويخفيه أفضل، ولذلك قال بعض الحكماء: إخفاء العلم هلكة، وإخفاء العمل نجاة، قال الله عز وجل: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾.وإذا كانت النافلة في البيوت أفضل منها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ظنك بها في غير ذلك الموضع؟ إلى ما في صلاة المرء في بيته من اقتداء أهله به من بنين وعيال، والصلاة في البيت نور)).وقال القاضي الماوردي في كتابه ((الحاوي)): ((قال الشافعي رضي الله عنه: ((وأما قيام شهر رمضان، فصلاة المنفرد أحب إلي منه)).وفيه تأويلان لأصحابنا:أحدهما: أنه أراد بذلك أن قيام شهر رمضان وإن كان في جماعة، ففي النوافل التي تفعل فرادى ما هو أوكد منه، وذلك الوتر وركعتا الفجر، وهذا قول أبي العباس ابن سريج.." (٢)

"وفيه أيضا – يعني حديث زيد بن ثابت المذكور – دليل على أن الانفراد بكل ما يعمله المؤمن من أعمال البر ويسره ويخفيه أفضل ، ولذلك قال بعض الحكماء : إخفاء العلم هلكة ، وإخفاء العمل نجاة . [و](١) قال الله عز وجل [في الصدقات](٢) : ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ (٣) وإذا كانت النافلة في البيوت أفضل منها في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فما ظنك بها في غير ذلك الموضع ، [إضافة](٤) إلى ما في صلاة المرء في بيته من اقتداء أهله به من بنين وعيال ، والصلاة في البيت نور [له](٥) .وقال الماوردي في كتابه الحاوي :قال الشافعي – رضي الله عنه – [٧/أ] : ((وأما قيام شهر رمضان فصلاة المنفرد أحب إلي(٦) منه)) وفيه تأويلان لأصحابنا :أحدها : أنه أراد بذلك أن قيام شهر رمضان وإن كان في جماعة ففي النوافل التي تفعل فرادى ما هو أوكد منه ، وذلك الوتر وركعتا الفجر . وهذا قول أبي العباس ابن سريج(٧) .____________(١) الزيادة من الاستذكار .(٢) الزيادة من الاستذكار .(٣) البقرة : آية ٢٧١ .(٤) الزيادة من الاستذكار ٥/٣٣٠ .(٥) الاستذكار ٥/٣٣٠ والزيادة منه .(٦) في الأصل : ((إليه)) . والتصويب من الحاوي .(٧) أحمد بن عمر بن سريج القاضي ، من عظماء الشافعيين ، كان يقال له : الباز الأشهب ، وهو صاحب المناظرات مع أبي بكر محمد بن داود الظاهري ، وعنه انتشر فقه الشافعي في أكثر الآفاق ، مات سنة ٣٠٦هـ . طبقات الفقهاء ١٠٨ ، السير ١٤/٢٠١ .." (٣)

---

(١) مجمع البحرين وجواهر الحبرين/٣٣٩٢

(٢) مسألة في التطوع في المساجد الثلاثة للعلائي @ ط البشائر صلاح الدين العلائي ص/٣٦

(٣) مسألة مضاعفة الصلوات في المساجد الثلاثة هل تقع في النوافل أم لا؟ @ ت العمير صلاح الدين العلائي ص/٣٧

"(٤٢) [باب الصبر عند الصدمة الأولى](العدلان) الفراء «العدل» بالفتح ما عادل الشيء من غير جنسه، وبالكسر المثل.و (العلاوة) بكسر العين ما علقت على البعير بعد تمام الوقر نحو السقاء وغيره، وهي فاعل (نعم).و (الذين) هو المخصوص بالمدح، والظاهر أن المراد بـ (العدلين) القول وجزاؤه؛ أي قول الكلمتين، وبدعاء الثواب وهما مثلان في أن العدل الأول مركب من كلمتين، والثاني من النوعين من الثواب.إن قلت ما معنى الصلاة من الله تعالى؛ قلت المغفرة.المهلب «العدلان» هما إنا لله وإنا إليه راجعون، والثواب عليهما هي العلاوة.وقيل العدلان الصلاة والرحمة، والعلاوة الاهتداء.الخطابي يريد أن الصبر المحمود هو ما كان عند مفاجأة المصيبة، فإنه إذا طالت الأيام عليها؛ وقع السلو وصار الصبر حينئذ طبعا.**قال بعض الحكماء** أن الإنسان لا يؤجر على المصائب لأجل ذواتها؛ لأنه لا صنع للإنسان فيها، وقد يصيب الكافر مثل ما يصيب المسلم، إنما يؤجر على نيته والاحتساب فيها والصبر الجميل.." (١)

"٦٤١٨ - إن قلت قال (خطوطا) في مجمله، وذكر الاثنين في مفصله.قلت فيه اختصار عن المطولة، والخط الآخر الإنسان، والخطوط الأخر الآفات، والخط الأقرب يعني الأجل؛ إذ لا شك أن الخط المحيط هو أقرب من الخط الخارج منه [١].قالوا الأمل مذموم لجميع الناس إلا للعلماء؛ فإنه لولا أملهم وطوله؛ لما صنفوا [٢].والفرق بينه وبين الأمنية أن الأمل ما أملته [٣] عن سبب، والتمني ما تمنيته عن غير سبب.**قال بعض الحكماء** الإنسان لا ينفك من أمله، فإن فاته الأمل؛ عول على التمني.وقالوا من قصر أمله؛ أكرمه الله تعالى بأربع كرامات؛ لأنه إذا ظن أنه يموت عن قريب؛ يجتهد في الطاعة، وتقل همومه، فإنه لا يهتم لما يستقبله من المكروه، ويرضى بالقليل، ويتنور قلبه [٤].ج ٢ ص ٤٢٣ــــــــــــــــــ[١] انظر «الكواكب الدراري» (٢٢/ ١٩٥ - ١٩٦).[٢] انظر «منهاج القاصدين» (٣/ ١٤٤١).[٣] قال في «المصباح المنير» (و «أملته» «تأميلا» مبالغة وتكثيرا، وهو أكثر من استعمال المخفف). مادة (أمل).[٤] القائل هو أبو الليث السمرقندي، انظر «تنبيه الغافلين» (ص ٢٢٥)، والكلام بتمامه في «الكواكب الدراري» (٢٢/ ١٩٦).." (٢)

"تابعه ابن وهب ورواه حبيب بن صالح وأبو سلمة سليمان الحمصيان عن يحيى بن جابر. حسنه الترمذي وأخرجه هو والنسائي. ويقع لي عاليا بإجازتين.(٥١٧) [علي بن أحمد، ابن البقال]علي بن أحمد بن أبي الفهم بن ناصر بن سالم الأنصاري الدمشقي، الأجل المعمر علاء الدين أبو الحسن، ابن البقال.كان له ملك يقوم به. ولد في حدود سنة أربع وعشرين وستمائة [٦٢٤هـ-١٢٢٧م].وسمع من إبراهيم بن الخشوعي وعتيق السلماني والسخاوي. وسافر تاجرا إلى بغداد فأخذتها التتار فذهب ماله ونجا هو، وكان لأبيه حانوت بقيسارية الشرب.وكان شيخنا يشهد على القضاة ثم أسقطه ابن الحريري، ثم عجز ولزم المنزل وضعف وبقي كالفرخ.مات في شوال سنة اثنتي عشرة وسبعمائة [٧١٢هـ-١٣١٣م].أخبرنا علي بن أحمد، أنا عتيق السلماني، أنا أبو القاسم الحافظ.(ح) قال: وأنا إبراهيم بن الخشوعي أنا أبو المعالي بن صابر.وأنا أبو القاسم وأنبأنا أخوه الصائن هبة الله قال: أنا أبو القاسم النسيب، أنا رشا بن نظيف أنا الحسن بن إسماعيل الضراب.(ح)

---

(١) مصابيح الجامع الصحيح سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين /١٥١٩

(٢) مصابيح الجامع الصحيح سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين /٥٥٧٧

قال: وأنا السخاوي وابن الحاجب قالا: أنا الأرتاحي، أنبأنا علي بن الحسين الفراء، أنا عبد العزيز بن الحسن الضراب، أنا أبي، ثنا أحمد بن مروان الدينوري، ثنا أحمد بن محمد النيسابوري، نا الحسين بن عيسى، سمعت ابن المبارك يقول: **قال بعض الحكماء**: من كان منطقه في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها.." (١)

"وأكثر خضوعا للتغير عبر العصور، ولو بتدرج بطيء في الغالب.... ويرجع الماوردي تشكل الأخلاق وانبثاقها إلى أصلين هما الطبع والتطبع؛ فالأخلاق "بعضها خلق مطبوع، وبعضها خلق مصنوع؛ لأن الخلق طبع وغريزة، والتخلق تطبع وتكلف ... فتصير الأخلاق نوعين: غريزية طبع عليها، ومكتسبة تطبع بها " [١]... على أن الأخلاق بنوعيها لا تستغني عن المعالجة والرعاية والصيانة. "**قال بعض الحكماء**: ليس شيء عولج إلا نفع وإن كان ضارا، ولا شيء أهمل إلا ضر وإن كان نافعا" [٢]. مكانة الأخلاق في الإسلام:المكانة العظمى للأخلاق في الإسلام، تعد من أظهر معالمه وأبرز خصائصه.فهي – أولا– مكانة أساسية، بمعنى أن الأخلاق هي من جملة الأسس الأولى التي بني عليها الإسلام وشريعته.وهي – ثانيا – تحتل مساحة شاسعة من مصدري الإسلام: القرآن والسنة. فحين نصنف الآيات والأحاديث حسب موضوعاتها، سنجد للموضوعات الأخلاقية نصيبا وافرا، إن لم يكن النصيب الأوفر.وهي – ثالثا – ذات حضور وتأثير بليغين في كافة الجوانب الأخرى من الدين عقيدة وشريعة. فحتى الآيات والأحاديث المتعلقة بالعقائد أو بالأحكام أو بالقصص، نجدها مشبعة بالمعاني والتوجيهات الخلقية.ـــــــــــــ[١] تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك لأبي الحسن الماوردي ص ٤، نشر دار النهضة العربية ببيروت – ١٩٨١، تحقيق محي هلال السرحان وحسن الساعاتي.[٢] تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك لأبي الحسن الماوردي ص ٤.." (٢)

"وقال حكيم: القلب ميت، وحياته بالعلم؛ والعلم ميت، وحياته الطلب؛ والطلب ضعيف، وقوته بالمدارسة، ومحتجب بعد المدارسة وإظهاره بالمناظرة، وإذا ظهر بالمناظرة، فهو عقيم، ونتاجه بالعمل. فإذا زوج العلم بالعمل، توالد وتناسل ملكا أبديا لا آخر له.وقال أبو الأسود: ليس شيء أعز من العلم. الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.وقال ابن عباس: خير سليمان بن داود عليهما السلام، بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأعطى المال والملك معه.وقال أيضا: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من احيائها.وكذا روي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وأحمد بن حنبل.قال الشافعي رحمه الله: من شرف العلم، أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح، ومن دفع عنه حزن.قال الأحنف: كاد العلماء أن يكونوا أربابا، وكل عز لم يوجد بعلم فإلى ذل مصيره.وقال علي، رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم الساجد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه.**وقال بعض الحكماء إذا** مات العالم بكاه الحوت في الماء، والطير في الهواء، ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره.فضيلة التعلمأما الكتاب – فقوله تعالى: (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين)؛ وقوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون).." (٣)

---

(١) معجم الشيوخ الكبير للذهبي @ ط الصديق= مقابلة الذهبي، شمس الدين ١٨/٢

(٢) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية٢٠/٣

(٣) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم @ط العلمية طاشْكُبْري زَادَهْ ١١/١

"بهذا العلم، أنهم يفرقون ببين أثر قدم الرجل وأثر قدم المرأة، و بين أثر قدم الشيخ والشاب. والله أعلم بالصواب.علم قيافة البشروهو علم باحث عن كيفية الإستدلال بهيئات الأعضاء في الإنسان، على الإشتراك بينهما في النسب والولاء، وفي سائر الأخلاق والأحوال. ويختص هذا الإستدلال بقوم من العرب يقال لهم (بنو مدلج)، وآخرين يقال لهم (بنو لهب)، وذلك بمناسبة طبعية حاصلة فيهم لا يمكن تعلمه. **قال بعض الحكماء**: خص الله تعالى بذلك العرب، ليكون سببا لإرتداع نسائهم عما يورث شوب نسبهم، وخبث حسبهم، وفساد بذورهم وزرعهم، صيانة للنسبة النبوية، وليكون ذلك شرفا لنبيه، صلى الله عليه وسلم.وهذا العلم والذي قبله حاصلان بالحدس والتخمين لا بالإستدلال واليقين.حكي: أن الإمام محمد بن الحسن، والإمام الشافعي، رضي الله عنهما، رأيا رجلا، فقال محمد: إنه نجار، والشافعي أنه حداد، فسألا عن صنعته، فقال: كنت حدادا والآن نجار.وإنما سميت بقيافة البشر، لكون صاحبه يتتبع بشرات الإنسان وجلوده، وما يتبع ذلك من هيئات سائر الأعضاء، خصوصا الأقدام. ومبنى هذا العلم، ما ثبت في المباحث الطبية من وجود المناسبة والمشابهة بين الولد ووالديه. وقد تكون تلك المناسبة في الأمور الظاهرة بحيث يدركها كل أحد، وقد تكون في أمور خفية لا يدركها إلا أرباب الكمال. وتدرك هذه المشابهة بمعونة القوة الباصرة والقوة الحافظة، ولهذا اختلفت أحوال الناس في هذا العلم، كمالا وضعفا، إلى حيث لا يشتبه عليه شيء أصلا، بسبب كماله في القوتين. وهذا العلم موجود في قبائل العرب، ويندرفي غيرهم، إذ لا يمكن تحصيل هذا العلم وكسبه وتعليمه، بل هومتوارث في اعراق مخصوصة من العرب لا يشاركهم فيه غيرهم ولهذا لهم يقع في هذا العلم تصنيف قل أو جل.." (١)

"ثم الحكمة في تنزيهه عن الشعر، أن القرآن منبع الحق ومجمع الصدق، والشعر مبناه على تخييل الباطل في صورة الحق، حتى **قال بعض الحكماء**: لم ير متدين صادق اللهجة، مغلقا في شعره، وما وقع فيه منظوما فليس على وجه القصد. وشرط الشعر أن يقع قصدا، وقيل: البيت الواحد ليس بشعر، وأقله بيتان. وأما الرجز، فليس بشعر أصلا. وقيل: أقله أربعة أبيات، وليس ذلك في القران بحال.وقيل: التحدي بالأنس دون الجن، لأنهم ليسوا من أهل اللسان العربي، وقوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الأنس والجن) لتهويل أمر الأعجاز، اذ في اجتماعهم قوة لا تخفى. قال الكرماني: لم يذكر الملائكة معهم، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلى الملائكة.علم معرفة العلوم المستنبطة من القرانقال تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، وقال تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ستكون فتن، قيل: وما المخرج منها، قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم). وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأ ولين (والآخرين) قال البيهقي: يعني أصول العلم. وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه، الا وجدت مصداقه في كتاب الله. وقال ابن مسعود: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله. وقال الشافعي مرة بمكة: سلوني عما شئتم، أخبركم عنه من كتاب الله،

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم @ط العلمية طاشْكُبْري زَادَهْ ٣٢٩/١

فقيل له: ما تقول في المحرم يقتل الزنبور، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن." (١)

"معجوزه تحت القدرة لا يلام عليه.قال بعض الحكماء في وصيته: "إياك والكسل و لضجر؛ فإن الكسل لاينهض لمكرمة، والضجر إذا نهض إليها لا يصبر عليها" (١).والضجر متولد عن الكسل والعجز، فلم يفرده في الحديث بلفظ.* ثم ذكر الجبن والبخل.فان الاحسان المتوقع من العبد إما بماله واما ببدنه، فالبخيل مانع لنفعماله، وا لجبان مانع لنفع بدنه.و لمشهور عند الناس أن البخل يستلزم الجبن، من غير عكس؛ لأن منبخل بماله فهو بنفسه أبخل، و لشجاعة تستلزم الكرم، من غير عكس!؛ لانمن جاد بنفسه فهو بماله أسمح وأجود.وهذا الذي قالوه ليس بلازم وان كان أكثريا؛ فإن الشجاعة والكرمو ضدادها أخلاق وغرائز قد تجتمع في الرجل، وقد يعطى بعضها دون٢)بعص (.وقد شاهد الناس من أهل الاقدام والشجاعة والبأس من هو أبخلالناس، وهذا كثيرا ما يوجد في أمة الترك؛ يكون أشجع من ليث وأبخل منكلب (٣).فالرجل قد يسمح بنفسه ويضن بماله، ولهذا يقاتل عليه حتى يقتل،(١) انظر: " الميان والتبين " (٢/ ٥٢ ٢)، و" محاضرات الأدباء" (١/ ٢٧٥).(٢) انظر: " الجليس والانيس " (٢/ ٠ ٥ ٤).(٣) نظر: " جمهرة الامثال " (١/ ٤٧ ٢، ٥٣٨).٤ ١ ٣." (٢)

"﴿وإن من الحجارة﴾ بيان لفضل قلوبهم على الحجارة من شدة القسوة وتقرير لقوله ﴿أو أشد قسوة﴾﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أي: الذي تعملونه وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الأعمال السيئة فقلب الكافر أشد في القساوة من الحجارة وإنها مع فقد أسباب الفهم والعقل منها وزوال الخطاب عنها تخضع له وتتصدع قال تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ (الحشر: ٢١)وقلب الكافر مع وجود أسباب الفهم والعقل وسعة هيئة القبول لا يخضع ولا يلين.[فائدة]قال بعض الحكماء معنى قوله: ﴿ثم قست قلوبكم﴾ يبست وييس القلب أن ييبس عن ماءين أحدهما ماء خشية الله تعالى والثاني ماء شفقة الخلق وكل قلب لا يكون فيه خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة أو أشد قسوة.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي»وقال أيضا: «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا»..." (٣)

"قال بعض الحكماء:بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه:أولها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.والثاني: أنه يتسخط قسمته تعالى ويقول لربه: لو قسمت هكذا.والثالث: أن فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضله.والرابع: أنه خذل ولي الله لأنه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه.والخامس: أنه أعان عدوه يعني إبليس.واعلم أن حسدك لا ينفذ على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي حجرا إلى

---

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم @ط العلمية طاشْكُبْري زَادَهْ ٤٨٧/٢

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة@ ط الفوائد ابن القيم ٣١٤/١

(٣) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/١٨٣

عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه أشد من الأولى فيرجع على عينه اليسرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثا فيعود ويرميه فيرجع الحجر على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع كرة بعد أخرى وأعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون وهذا حال الحسود وسخرية الشياطين.." (١)

"**قال بعض الحكماء**: إن الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء وأذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الإخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة [١] فلما أكمله بهذه الصفة أرسله إلى هذه الأمة فقال: هذا هديتي إليكم فاعرفوا قدر هديتي وعظموه كذا في «زهرة الرياض».وقيل في وجه عدم ارتحال جسده الشريف النظيف من الدنيا مع أن عيسى عليه السلام قد عرج إلى السماء بجسده أنه إنما بقي جسمه الطاهر هنا لإصلاح عالم الأجساد وانتظامه، فإنه مظهر الذات وطلسم الكائنات فجميع الانتظام بوجوده الشريف كذا في «الواقعات المحمودية» نقلا عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس الله سره آمين آمين يا رب العالمين.______________[١] قد يحمل هذا الكلام وما شابهه على التشبيه والتمثيل، وإلا فإنه يفتقر إلى سند صحيح، وإن كانت كل عبارات الدنيا مدحا لا تفي بقدره الشريف – صلى الله عليه وسلم – ولا يعلم قدره العلي إلا الله العلي العظيم، والله أعلم.." (٢)

"﴿يأأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٤٥)﴾﴿فاثبتوا﴾ وقت لقائهم وقتالهم ولا تنهزموا وفي الحديث: «لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا»وإنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والوثوق بالقوة ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو وتحقيرهم، وهذا يخالف الاحتياط، كما قالوا في آداب المناظرة إنه ينبغي أن لا يحسب المناظر الخصم حقيرا،أي: صغيرا ذليلا؛ لأن استحقار الخصم ربما يؤدي إلى صدور الكلام الضعيف من المناظر لعدم المبالاة فيكون سببا لغلبة الخصم الضعيف عليه، فيكون الضعيف قويا، والقوي ضعيفا، والشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أعم.فعلى العاقل أن يسأل العفو والعافية فإنه لا يدري ما يفعل به.**قال بعض الحكماء**: إن لله جنة في الدنيا من دخلها يطيب عيشه وهي مجالس الذكر.وفي الحديث: «إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى غشوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».قال في «أنوار المشارق»:وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله والعادة جرت في حلق الذكر بالعلانية إذ لم يعرف في كر الدهور حلقة ذكر اجتمع عليها قوم ذاكرون في أنفسهم، فالذكر برفع الصوت أشد تأثيرا في قمع الخواطر الراسخة على قلب المبتدئ، وأيضا يغتنم الناس بإظهار الدين بركة الذكر من

(١) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/٢١٨

(٢) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/٦٣٤

السامعين في الدور والبيوت ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته خصوصا في مواضع الازدحام بين الغافلين من العوام لتنبيه الغافلين وتوفيق الفاسقين.." (١)

"﴿قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين (٤٦)﴾أي: ابنك ليس من أهلك الذين عمهم الوعد بالإنجاء لخروجه منهم بالاستثناء، فإن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر.**قال بعض الحكماء**: الابن إذا لم يفعل ما فعل الأب انقطع عنه، والأمة إذا لم يفعلوا ما فعل نبيهم أخاف أن ينقطعوا عنه، فظهر أن لا فائدة في نسب من غير علم وعمل، وفي فخر بمجرد الآباء.وفي الحديث: "يا بني هاشم لا يأتني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم"والغرض تقبيح الافتخار لديه عليه السلام بالأنساب حين يأتي الناس بالأعمال:وما ينفع الأصل من هاشم ... إذا كانت النفس من باهلهوهي قبيلة معروفة بالدناءة لأنهم كانوا يأكلون نقي عظام الميتة.﴿إنه عمل غير صالح﴾ أصله إنه ذو عمل غير صالح، فجعل نفس العمل مبالغة في مداومته على العمل الفاسد، ولم يقل عمل فاسد مع أنهما متلازمان للإيذان بأن النجاة إنما كانت بسبب الصلاح.﴿إني أعظك أن تكون﴾ أي: كراهة أن تكون ﴿من الجاهلين﴾ عبر عن ترك الأولى بالجهل؛ لأن استثناء من سبق عليه القول قد دله على الحال وأغناه عن السؤال أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الأمر عليه، فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه.." (٢)

"يقول الفقير أصلحه الله القدير:وتحقيق المقام أن الركون في الآية أسند إلى المخاطبين، والمخالطة وإتيان الباب والممالأة إلى العلماء والقراء فكل منها إنما يكون مذموما إذا كان من قبل العلماء.وأما إذا كان من جانب السلاطين والأمراء بأن يكونوا مجبورين في ذلك مطالبين بالاختلاط لأجل الانتفاع الديني فلا بأس حينئذ بالمخالطة؛ لأن المجبور المطالب مؤيد من عند الله تعالى خال عن الأغراض النفسانية بخلاف ما إذا كان مقارنا بالأغراض النفسانية فيكون موكولا إلى نفسه فتختطفه الشياطين نعوذ بالله تعالى.[لطيفة]**قال بعض الحكماء**: علامة الذي استقام أن يكون مثله كمثل الجبل؛ لأن الجبل له أربع علامات:أحداها: أن لا يذيبه الحر، والثانية: أن لا يجمده البرد، والثالثة: أن لا تحركه الريح، والرابعة: أن لا يذهب به السيل، فكذا المستقيم إذا أحسن إليه إنسان لا يحمله إحسانه على أن يميل إليه بغير الحق كما يفعله أرباب الجاه والمناصب في هذا الزمان فإنهم بالشيء اليسير من الدنيا الواصل إليهم من يد رجل أو امرأة يتخطون الحد ويتركون الاستقامة وليس الاتعاظ وقبول النصيحة من شأنهم.والثاني: إذا أساء إليه إنسان لا يحمله ذلك على أن يقول بغير الحق.والثالث: أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى.والرابع: أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله.." (٣)

"﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين (٣٣) فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم (٣٤)﴾وإسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن تنصحن له، وخوفنه

---

(١) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/١٠٢٩

(٢) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/١٢٠٦

(٣) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/١٢٣٥

من مخالفتها، أو لأنهن جميعا دعونه إلى أنفسهن كما ذكر.قال بعض الحكماء لو قال: رب العافية أحب إلي لعافاه الله، ولكن لما نجا بدينه لم يبال ما أصابه في الله، والبلاء موكل بالمنطق.وعن معاذ سمع النبي رجلا يقول: اللهم إني أسألك الصبر قال: سألت البلاء فاسأله العافية.﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾وهذا فزع منه إلى ألطاف الله جريا على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله، وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث أدركني وإلا هلكت؛ لأنه يطلب الإجبار والإلجاء إلى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه إلى هواهن.﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن﴾ حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة حتى وطن نفسه على مقاساة السجن ومحنته واختارها على اللذة المتضمنة للمعصية.." (١)

"﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا (٥٦) أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا (٥٧)﴾﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة وإن لم يحذره العصاة لكمال غفلتهم بل يتعرضون له وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب.فعلى العاقل أن يترك الاعتذار ويحذر من بطش القهار.عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لعمر رضي الله عنه حين طعن يا أمير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس وتوفي رسول الله وهو عنك راض ولم يختلف عليك اثنان وقتلت شهيدا قال عمر رضي الله عنه: المغرور من غررتموه والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع. أي: القيامة وما بعد الموت لأن المرء يطلع فيه على عمله ويلقى أمورا هائلة.قال بعض الحكماء: الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب والرجاء يقوي على الطاعات، وذكر الموت يزهد عن الفضول، والخوف والرجاء إنما يكونان من الله تعالى؛ لأن المعبود مفيض الخير والجود.." (٢)

"﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور (١٨)﴾قال بعض الحكماء:إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة له دونك، وإن افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لها دونك، وإن افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيك، ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت هذه محاسننا فمالك من الحسن شيء، فإن افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك.وإذا أعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه، أو بقاءك وزواله، أو فناءكما جميعا، فإذا راقك ما هو لك فانظر إلى قرب خروجه من يدك، وبعد رجوعه إليك، وطول حسابه عليك إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر.[لطيفة]- حكي - أنه حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح به الملك فرحا شديدا فقال لمن عنده من الحكماء: كيف ترى هذا؟ فقال: أراه فقرا حاضرا، ومصيبة عاجلة، قال: وكيف ذلك؟ قال: إن انكسر كانت مصيبة لا جبر لها، وإن سرق صرت فقيرا إليه، وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر، فاتفق أنه انكسر القدح

---

(١) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/١٢٧٧

(٢) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/١٤٥٧

يوما فعظمت المصيبة على الملك وقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا.إنما الدنيا كرؤيا فرحت ... من رآها ساعة ثم انقضت.." (١)

"﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون (٦٧)﴾**قال بعض الحكماء**: المسخ ضربان: خاص وهو تشويه الخلق بالفتح، وعام في كل زمان، وهو تبديل الخلق بالضم وذلك أن يصير الإنسان متخلقا بخلق ذميم من أخلاق بعض الحيوانات نحو أن يصير في شدة الحرص كالكلب أو الشره كالخنزير أو الغمارة كالثور.فعبارة الآية في تحويل الصورة وإشارتها في تحويل الصفات الإنسانية بالصفات السبعية والشيطانية فلا يقدرون على إزالة هذه الصفات، ولا يقدرون على رجوعهم إلى صفاتهم الإنسانية، فمن مسخه الله في الدنيا بصفات حشره في صورة صفته الممسوخة كما جاء في الحديث الصحيح «إن آزر يحشر على صفة ضبع».والحكمة في كون آزر مسخ ضبعا دون غيره من الحيوان أن الضبع تغفل عما يجب التيقظ له وتوصف بالحمق، فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه، وقبل خديعة عدوه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق؛ لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في حجرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك، ولأن آزر لو مسخ كلبا أو خنزيرا كان فيه تشويه لخلقه، فأراد الله تعالى إكرام إبراهيم عليه السلام بجعل أبيه على هيئة متوسطة».." (٢)

"﴿بل عجبت ويسخرون (١٢)﴾قال سعدي المفتي إضراب عن الأمر بالاستفتاء أي: لا تستفتهم فإنهم معاندون ومكابرون لا ينفع فيهم الاستفتاء وانظر إلى تفاوت حالك وحالهم أنت تعجب من قدرة الله تعالى على خلق هذه الخلائق العظيمة، ومن قدرته على الإعادة وإنكارهم للبعث، وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث.وقال قتادة: عجب نبي الله من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم، وذلك أن النبي عليه السلام كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولم يؤمنوا عجب من ذلك النبي عليه السلام فقال الله تعالى: ﴿بل عجبت ويسخرون﴾والعجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، ولهذا **قال بعض الحكماء** العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل:لا يصح على الله التعجب؛ إذ هو علام الغيوب لا يخفى عليه خافية.والعجب في صفة الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار الشديد والذم كما في قراءة بل عجبت بضم التاء وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما في حديث «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة ونخوة».وفي «فتح الرحمن» هي عبارة عما يظهره الله في جانب المتعجب منه من التعظيم والتحقير حتى يصير الناس متعجب منه انتهى.وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال: إن الله تعالى لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله فقال: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ (الرعد: ٥) أي: هو كما تقوله.وفي «المفردات»:بل عجبت ويسخرون أي: عجبت من إنكارهم البعث لشدة تحققك بمعرفته ويسخرون بجهلهم.وقرأ بعضهم بل عجبت بضم

---

(١) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/٢٠٥٩

(٢) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/٢٢٣٣

التاء وليس ذلك إضافة التعجب إلى نفسه في الحقيقة بل معناه إنه مما يقال عنده عجبت أو تكون عجبت مستعارة لمعنى أنكرت نحو: ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ (هود: ٧٣) انتهى.." (١)

"﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨)﴾وقال المولى محمد الرومي في «المجالس»:ومما يجب الإيمان به الرسل.والمراد من الإيمان بهم العلم بكونهم صادقين فيما أخبروا به عن الله؛ فإنه تعالى بعثهم إلى عباده ليبلغوهم أمره ونهيه ووعده ووعيده، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم أولهم آدم وآخرهم محمد عليه السلام، فإذا آمن بالأنبياء السابقة، فالظاهر أنه يؤمن بأنهم كانوا أنبياء في الزمان الماضي لا في الحال إذ ليست شرائعهم بباقية.وأما الإيمان بسيدنا محمد عليه السلام، فيجب بأنه رسولنا في الحال، وخاتم الأنبياء والرسل فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمنا، ومن قال: آمنت بجميع الأنبياء، ولا أعلم آدم نبي أم لا، فقد كفر ثم إنه لم يبين في القرآن عدد الأنبياء، كم هم، وإنما المذكور فيه باسم العلم على ما ذكر بعض المفسرين ثمانية وعشرون وهم: آدم ونوح وإدريس وصالح وهود وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويوسف ولوط ويعقوب وموسى وهارون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان وإلياس واليسع وذو الكفل وأيوب ويونس ومحمد وذو القرنين وعزير ولقمان على القول بنبوة هذه الثلاثة الأخيرة. وفي «الأمالي»:وذو القرنين لم يعرف نبيا كذا لقمان فاحذر عن جدالوذلك لأن ظاهر الأدلة يشير إلى نفي النبوة عن الأنثى وعن ذي القرنين ولقمان ونحوهما، كتبع فإنه عليه السلام: قال: «لا أدري أهو نبي أم ملك»، وكالخضر فإنه قيل: نبي.وقيل: ولي، وقيل: رسول.فلا ينبغي أن يقطع بنفي أو إثبات؛ فإن اعتقاد نبوة من ليس بنبي كفر كاعتقاد نفي نبوة نبي من الأنبياء، يعني: إذا كان متفقا على نبوته، أو عدم نبوته.وأما إذا كان فيه خلاف، فلا يكفر؛ لأنه كالدليل الظني والكفر في القطعي.وفي «فتح الرحمن»:في سورة البقرة والمذكورون في القرآن باسم العلم ستة وعشرون نبيا، وهم: آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وذو الكفل وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وعزير ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس واليسع صلوات الله عليهم أجمعين. وأشير إلى أشمويل بقوله تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم﴾ (البقرة: ٢٤٧)، وأشير إلى أرميا بقوله: ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ (البقرة: ٢٥٩) وأشير إلى يوشع بقوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ (الكهف: ٦٠).وأشير إلى إخوة يوسف [١] بقوله: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ (يوسف: ٧).والأسباط ذكروا إجمالا وهم من ذرية أولاد يعقوب الاثني عشر نبيا، وكان فيهم أنبياء، وفي لقمان وذي القرنين خلاف كالخضر، انتهى.**قال بعض الحكماء**: يجب على المؤمن أن يعلم صبيانه ونساءه وخدمه أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه حتى يؤمنوا بهم، ويصدقوا بجميعهم، ولا يظنوا أن الواجب عليهم الإيمان بمحمد عليه السلام فقط لا غير، فإن الإيمان بجميع الأنبياء سواء ذكر اسمه في القرآن، أو لم يذكر واجب على المكلف، فمن ثبت تعينه باسمه يجب الإيمان به تفصيلا، ومن لم يعرف اسمه يجب الإيمان به إجمالا.وحكى ابن قتيبة في «المعارف» أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر، منهم خمسة عبرانيون، وهم: آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم. وخمسة من العرب:

---

(١) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/٢٢٤٣

هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليه السلام.قال في «التكملة»:هذا الذي ذكر ابن قتيبة لا يصح؛ لأنه قد روي: أنه كان من العرب نبي آخر، وهو خالد بن سنان بن غيث، وهو من عبس بن بغيض.روي: عن النبي عليه السلام أنه قال فيه: «ذلك نبي أضاعه قومه».وردت ابنته على رسول الله عليه السلام، فسمعته يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾. فقالت: كان أبي يقول هذا.ــــــــــــــــــ[١] الراجح عند المحققين أن إخوة يوسف – عليه السلام – ليسوا بأنبياء لمنافاة ما فعلوه بيوسف – عليه السلام – مع منصب النبوة، والله أعلم.." (١)

"﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤) ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم (٥)﴾وفي هذا المقام أمور:الأول: أن في هذه الآية تنبيها على قدره قدره عليه السلام، والتأدب معه بكل حال، فهم إنما نادوه لعدم عقل يعرفون به قدره، ولو عرفوا قدره لكانوا كما في الخبر يقرعون بابه بالأظافير، وفي المناداة إشارة إلى أنهم رأوه من من وراء الحجاب، ولو كانوا من أهل الحضور والشهود لما نادوه.قال أبو عثمان المغربي قدس سره:الأدب عند الأكابر وفي مجلس السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى، والخير في الأولى والعقبى فكما لا بد من التأدب معه عليه السلام، فكذا مع من استن بسنته كالعلماء العاملين، وكان جماعة من العلماء يجلسون على باب غيرهم ولا يدقون عليه بابه حتى يخرج لقضاء حاجته احتراما.قال أبو عبيدة القاسم بن سلام:ما دققت الباب على عالم، قد كنت أصبر حتى يخرج إلي لقوله تعالى: ﴿ولو أنهم﴾ الخ.قال بعض الكبار:من الحكمة توقير الكبير، ورحمة الصغير، ومخاطبة الناس باللين.وقال إن كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة، وإن كان كفؤك ونظيرك فاصحبه بالوفاء، وإن كان دونك فاصحبه بالمرحمة، وإن كان عالما فاصحبه بالخدمة والتعظيم، وإن كان جاهلا فاصحبه بالسياسة، وإن كان غنيا فاصحبه بالزهد، وإن كان فقيرا فاصحبه بالجود.قال بعض الحكماء:عاشروا الناس معاشرة إن متم بكوا عليكم، وإن غبتم حنوا إليكم.والثاني ذم الجهل ومدح العقل والعلم، فإن شرف العقل مدرك بضرورة العقل والعلم والحسن حتى إن أكبر الحيوانات شخصا وأقواها أبدا إذا رأى الإنسان احتشمه وخاف منه لإحساسه بأنه مستول عليه بحيلته.قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:لسان العاقل في قلبه، وقلب الأحمق في فمه، والأدب صورة العقل، ولا شرف مع سوء الأدب، ولا داء أعيى من الجهل، وإذا تم العقل نقص الكلام.." (٢)

"﴿والليل إذا يسر (٤) هل في ذلك قسم لذي حجر (٥)﴾فإن قيل القسم بالليل إذا يسر يغني عن القسم بليال عشر؟قلنا المقسم به في قوله ﴿والليل إذا يسر﴾ هو الليل باعتبار سيره ومضيه، وفي قوله ﴿وليال عشر﴾ هو الليالي بلا اعتبار مضيها، بل اعتبار خصوصية أخرى فلا يغني أحدهما عن الآخر.ويجوز أن يكون المعنى والليل إذا يسر يعني يسرى فيه الساري ويسير فيه السائر، فإسناد السرى إلى الليل مجاز كما في: نهاره صائم، أي هو صائم في نهاره، فالتقيد بذلك لأن السير في الليل حافظ للسائر من حر الشمس، فإن السفر مع مقاساة حر النهار أشد على النفس، وقد قال النبي عليه السلام "عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى في الليل"وكذا هو حافظ من شر قطاع الطريق غالبا؛ لأنهم مشغولون بالنوم في

---

(١) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/٢٤٠٥

(٢) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/٢٦٢٥

الليل.وحذفت الياء اكتفاء بالكسر، ولسقوطها في خط المصحف، ولموافقة رؤوس الآي، وإن كان الأصل إثباتها؛ لأنها لام فعل مضارع مرفوع.وسئل الأخفش عن حذفها فقال اخدمني سنة، فسأله بعد سنة فقال: الليل يسرى فيه ولا يسري، فعدل به عن معناه فوجب يعدل عن لفظه، يعني أن سقوط الياء ليدل على أن أصل الفعل منفي عن الليل، وإن كان مسندا إلى ضميره، كما أن حركة العين في الحيوان تدل على وجود معنى الحركة في معنى الحيوان؛ لأن للتراكيب خواص بها تختلف.﴿هل في ذلك﴾ الخ تقرير وتحقيق لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول، وتنبيه على الإقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الأخبار على طريقة قوله تعالى ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ كما يقول من ذكر حجة باهرة هل فيما ذكرته حجة، والمعنى هل فيما ذكر من الأشياء المقسم بها ﴿قسم﴾ أي مقسم به وفي «فتح الرحمن» مقنع ومكتفى ﴿لذى حجر﴾ لذي عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقا بأن يقسم به إجلالا وتعظيما.والمراد تحقيق أن الكل كذلك وإنما أوثرت هذه الطريقة هضما للخلق، وإيذانا بظهور الأمر.والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمى عقلا ونهيه بضم النون لأنه يعقل وينهى.والتنوين في الحجر للتعظيم.**قال بعض الحكماء**: العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد، فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب البهائم.والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن أي الكفار كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾.." (١)

"وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة.وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال: كنت بحلب واشتهيت شبعة من الخبز والعدس، فاتفق ذلك فأكلت حتى شبعت، فرأيت على باب المسجد حانوت خمار عليه قوارير معلقة تشبه أنموذجات فتوهمتها خلا، فقال لي قائل: ما لك تنظر إليها! إنها خمر، فقلت: لزمنى فرض، فدخلت الحانوت فلم أزل أصب دنانا حتى أتيت على الجميع، فأخذونى وضربونى مائتى خشبة وطرحونى في السجن أربعة أشهر، حتى دخل أستاذى أبو عبد الله المغربى البلد فسمع بحالى فتشفع في، فلما وقع بصره علي قال: ما شأنك؟ قلت: شبعة خبز وعدس وضرب مائتى خشبة وسجن أربعة أشهر، فقال: نجوت مجانا إذ وردت عقوبة هذه الأكلة على ظاهرك ولم تقدح فيما كنت به من أسر أمرك، فكان ذلك رفقا من الله بك ونجاة ولطفا.وما أصدق ما قال، فإن من أدب في دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه، بل طهر بالتأديب جوهره ومعناه.وقد حكى عن إبراهيم الخواص: أنه قال: كنت عقدت أن لا آكل شيئا من الشهوات إلا الرمان، فاجتزت برجل به علة شديدة، وإذا الزنابير تقع عليه وتأخذ من لحمه، فسلمت عليه فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، وعرفني من غير تقدمة معرفة، فقلت له: أرى لك حالا مع الله، فلو دعوت الله حتى يخلصك من هذه الزنابير، فقال: وأرى لك حالا مع الله يا إبراهيم، فلو دعوت الله حتى يخلصك من شهوة الرمان، فإن لسع الزنابير على النفوس أهون من لدغ الشهوات على القلوب.وينبغى لمن يريد أن يتحقق بتسبيحه أيضا أن ينزه مطعمه من الحرام والشهوات، فإنه قد ورد الخبر بأن لحما نبت من حرام فالنار أولى به.**وقال بعض الحكماء**: عجبت لمن يترك الحلال مخافة الداء، ولا يترك الحرام مخافة النار.وحكى عن بعضهم أنه قال: رأيت شابا عليه عباءة وبيده ركوة فقال لي: إنى إنسان أقصد الورع فلا آكل

---

(١) من لطائف وأسرار (تفسير روح البيان من جواهر المعاني) إسماعيل حقي ص/٣٠٧٠

إلا ما ألقاه الناس، فربما أجد قشرة شيء سبقني إليه النمل فألقيه ولا أتناوله، فهل علي من ذلك شيء؟ قال: فقلت في نفسي: بقي على وجه الأرض من يتورع في مثل هذا؟ كالمنكر له غير المصدق بمقامه، قال: فنظرت فإذا الرجل واقف على أرض من فضة صافية، فقال لي: الغيبة حرام، وغاب عن بصري.ومعنى الحكاية أنه لما ترك ما حجب الخلق عن الله أكرمه الله بنور الإشراق، حتى نطق عما خطر بقلبه من الإنكار، ثم أخفاه الله تعالى عنه بشؤم الاعتراض، وهكذا سنة الله في أوليائه أن يسترهم عمن لا يبلغ مرتبتهم.فصلتقديس الأعمال عن الرياءوينبغي له أن يقدس أعماله عن الرياء والمصانعات والتزين للمخلوقين بإظهار الطاعات، فإن الله تعالى لا يقبل من الأعمال، إلا ما كان بوصف الإخلاص لله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (البينة: ٥).وحكى عن بعضهم عن سهل بن عبد الله أنه قال: هل لك أن تحضر الجمعة؟ قال: فقلت: وكيف وبيننا وبين الجامع مسيرة يوم وليلة، قال فأخذ بيدى، فلم يكن إلا قليلا حتى رأيت الجامع، فدخلنا وصلينا، فلما خرجنا نظر إلى الناس يجرون فقال: أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل.وفي الخبر: "أخلص العمل يكفك القليل منه".." (١)

"واختلف: هل الروح والنفس واحد أم لا؟والأصح: أنهما متغايران فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل واحد منا بقوله: أنا، وأكثر الفلاسفة لم يفرقوا بينهما، وقالوا: النفس هي الجوهري، البخاري، اللطيف، الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، يسمونها الروح الحيوانية، وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة، وبين البدن، وقال بعض الحكماء والغزالي: النفس: المجردة؛ أي: غير جسم ولا جسماني. وقال الغزالي: الروح: جوهر محدث، قائم بنفسه، غير متحيز، وإنه ليس بداخل الجسم، ولا خارجا عنه، وليس متصلا به، ولا منفصلا عنه، وذلك لعدم التحيز.." (٢)

"وهنا بحث: في قولها: (وكان يحب) لم عبرت بهذا؟ وما الحكمة في حبه؟ فالجواب عن كونها عبرت بذلك؛ لأنها تشعر أن ذلك ليس مما أمر به من أجل أن لا يعتقد أحد أنها مما فرض، واحتمل أن يكون مما سن، فأزالت بقولها (يحب) كل الاحتمالات.وأما ما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم يحبه؟ فإنما كان ذلك إيثارا لما آثره الحكيم بحكمته، والله أعلم، وذلك لما رأى عليه السلام ما فضل الله تعالى اليمين وأهله وما أثنى عليهم فأحب هو عليه السلام ما آثره العليم الحكيم، فيكون من باب التناهي في تعظيم الشعائر حتى يجد ذلك ولوعا في فؤاده المبارك، فيكون ذلك دالا على قوة الإيمان، فمن وجد حبا لذلك كما وجده صلى الله عليه وسلم فليشكر الله على ما منحه من ذلك، وإن لم يجد فيتبع ويستعمل أسبابه ويتشبه بالمحبين، ولذلك قال بعض الحكماء: فإن التشبه بالكرام فلاح.وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رأى شخصا قرأ سجدة ﴿كهيعص﴾ وسجد، فقال له: هذا السجود فأين البكاء؟ إذا لم تبكوا فتباكوا.ويترتب على ذلك من الفقه أن التشبه بأهل الخير من الخير إذا كان حبا فيهم من أجل الله عز وجل، وأن التشبه بأهل الشر من الشر،

---

(١) من لطائف وأسرار (شرح أسماء الله الحسنى، للقشيري) (مرتبا بالآيات والسور)ص/٣٣٦

(٢) من لطائف ونكات (الفيض الجاري بشرح صحيح الإمام البخاري) (مرتبا بالآيات والسور)ص/٦٢٦

يعضد ذلك ما نهى صلى الله عليه وسلم عنه من التشبه بأهل الكتاب، وقد ورد عنه عليه السلام: ((من تشبه بقوم فهو منهم)). من الله علينا بأحوالهم حالا ومقالا.." (١)

"١٢٥ – (حدثنا قيس) بفتح القاف وسكون التحتية وبالمهملة (بن حفص) بن القعقاع الدارمي أبو محمد البصري، روى عنه أحمد بن سعيد الدارمي، وأبو زرعة، وأبو حاتم، قال يحيى بن معين ثقة، وقال أحمد بن عبد الله لا بأس به، وقال أبو حاتم شيخ وهو شيخ البخاري، انفرد بالإخراج عنه عن أئمة الكتب الخمسة، وليس في مشايخهم من اسمه قيس سواه، توفي سنة سبع وعشرين ومائتين.(قال حدثنا عبد الواحد)؛ بن زياد أبو بشر بكسر الموحدة وبالمعجمة البصري توفي سنة ست وسبعين ومائة (قال حدثنا الأعمش سليمان)؛ أيج ١ ص ٧٠٩ابن مهران كما في رواية ابن عساكر (عن إبراهيم) هو ابن يزيد النخعي (عن علقمة) هو ابن قيس النخعي عم والدة إبراهيم، وهذه الثلاثة كوفيون، تابعيون، حفاظ، متقنون رحمهم الله، وقد مر ذكرهم في باب «ظلم دون ظلم» [خ¦ ٣٢].(عن عبد الله) هو ابن مسعود الصحابي المشهور الجليل رضي الله عنه، وفي هذا الإسناد على ما قيل أصح الأسانيد، وهي رواية الأعمش عن إبراهيم عن علقمة، وقد أخرج متنه المؤلف في «التوحيد» [خ¦ ٧٤٥٦]، وفي «التفسير» [خ¦ ٤٧٢١]، وفي «الاعتصام» أيضا [خ¦ ٧٢٩٧]، وأخرجه مسلم في «الرقاق»، والترمذي والنسائي في «التفسير»، وقال الترمذي حسن صحيح.(قال) أي إنه قال (بينا) بإشباع فتحة النون وقد مر غير مرة بيان إعرابه، وأن العامل فيه جوابه وهو هاهنا قوله «فمر» والفاء فيه قائم مقام «إذا» لأن بينهما أخوة، والغالب دخولها في جواب «بينا»، وإن كان الأصمعي يستفصح ترك «إذ وإذا» في جوابه كما مر فيما قبل.(أنا أمشي) جملة اسمية أضيف إليها لفظة «بينا»؛ أي بين أوقات مشيي مصاحبا (مع النبي صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء آخره موحدة، تارة يكون مفردا يقال مكان خرب، تارة يكون جمعا يقال أماكن خرب جمع خربة وهي ضد المعمور، ويروى بكسر الخاء وفتح الراء على أنه جمع خربة.وفيه أن جمع خربة خرب _ بفتح فكسر _ كما ذكر ككلمة وكلم لا خرب _ بكسر ففتح _ كما زعم بعض الشارحين، وروى البخاري في غير هذا الموضع «حرث» [خ¦ ٤٧٢١]_ بالحاء المهملة والثاء المثلثة _ وكذا رواه مسلم في جميع طرقه قيل وهو الصواب والله أعلم.(وهو) صلى الله عليه وسلم (يتوكأ) أي يعتمد، من وكاء، ومنه رجل تكأة مثل تؤدة بمعنى كثير الاتكاء وأصلها وكأة، والتكأة أيضا ما يتكأ عليه؛ أي المتكأ قال الله تعالى ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾ [يوسف ٣١] والجملة الاسمية حالية (على عسيب) بفتح المهملة وكسر المهملة أيضا آخره موحدة، ما لم ينبت عليه الخوص من شجر النخل، وما نبت عليه الخوص [١] فهو السعف والجمع عسب، كذا قال الصغاني.وقال غيره العسيب جريد النخل، وهو عود قضبان النخل، كانوا يكشطون خوصها ويتخذونها عصيا، وكانوا يكتبون في طرفه العريض منه، ومنه قوله في الحديث ((فجعلت أتتبعهج ١ ص ٧١٠في العسيب يريد القرآن))، والمراد هنا عصا من جريد النخل وقوله(معه) صفة لـ «عسيب» (فمر بنفر) أي عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة، والنفر مثله وكذلك النفر بالإسكان، قال الحافظ العسقلاني (لم أقف على أسمائهم)، (من اليهود) هذا اللفظ مع اللام وبدونها معرفة، والفارق بين المفرد والجماعة ياء النسبة كما قالوا زنجي وزنج.(فقال بعضهم لبعض سلوه) أي النبي صلى

---

(١) من لطائف ونكات (بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها ولها) (مرتبا بالآيات والسور)ص/١٣٤

الله عليه وسلم (عن الروح وقال) وفي رواية [١] (بعضهم لا تسلوه) أصله لا تسألوه (لا يجيء) يجوز فيه ثلاثة أوجه الجزم على جواب النهي، قال الحافظ العسقلاني (وهو الذي في روايتنا)، والنصب على معنى «لا تسلوه» إرادة أن لا يجيء أو خشية أن يجيء، على أن «لا» زائدة، وهذا على مذهب الكوفيين، والرفع على الاستئناف.(بشيء تكرهونه) مما يدل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم (فقال بعضهم) لبعض والله (لنسألنه) عنها (فقام رجل منهم فقال يا با القاسم) أصله يا أبا القاسم حذفت الهمزة تخفيفا (ما الروح؟ فسكت) رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقلت) أي في نفسي (إنه يوحى إليه) فلذلك سكت (فقمت) من عنده حتى لا أكون مشوشا عليه أو فقمت حائلا بينه وبينهم.(فلما انجلى عنه) أي انكشف عنه صلى الله عليه وسلم الكرب الذي كان يتغشاه حال الوحي، أو انجلى صلى الله عليه وسلم عن الوحي؛ أي عن أثره (قال) وفي رواية [٢] أي قرأ قوله تعالى (﴿ويسألونك﴾) بإثبات الواو كما في التنزيل، وفي رواية [٣] بلا واو.(﴿عن الروح﴾ [الإسراء ٨٥]) قيل سؤالهم عن الروح مشكل إذ لا يعلم مرادهم؛ لأن الروح جاء في القرآن على معان، قال تعالى ﴿نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء ١٩٣] وقال ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ [القدر ٤] وقال و ﴿روحا من أمرنا﴾ [الشورى ٥٢] وقال ﴿يوم يقوم الروح﴾ [النبأ ٣٨] فلو عينوا سؤالهم لأمكنه أن يجيبهم.وقال ذلك القائل أيضا ويمكن أن يكون سؤالهم عن روح بني آدم؛ لأنه مذكور في التوراة أنه لا يعلمه إلا الله، وقالت اليهود إن فسر الروح فليس بنبي، فلذلك قال تعالى له ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء ٨٥].(﴿قل الروح من أمر ربي﴾) أي من الإبداعيات الكائنة بـ ﴿كن﴾ من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء جسده أو هو مما استأثر الله تعالى بعلمه، واقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلامج ١ ص ٧١١في جواب ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء ٢٣] بذكر بعض صفاته تعالى، إذ الروح لدقته لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به.وقال القاضي عياض وغيره اختلف المفسرون في الروح المسؤول عنها، فقيل سألوه عن عيسى عليه السلام فقال لهم الروح من أمر الله؛ يعني إنما هو شيء من أمر الله لا كما يقول النصارى، وعن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم هو ملك من الملائكة يقوم صفا وتقوم الملائكة صفا قال تعالى ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ [النبأ ٣٨]، وقيل جبريل عليه السلام، وقيل القرآن لقوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ [الشورى ٥٢]، وحينئذ يكون معنى قوله ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء ٨٥] من وحيه وكلامه، وقال أبو صالح (هو خلق مثل بني آدم ليسوا ببني آدم لهم أيد وأرجل)، وقيل طائفة من الخلق لا ينزل ملك الأرض إلا نزل معه أحدهم، وقيل ملك له ألف جناح وألف وجه يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة.وذكر ابن إسحاق أن نفرا من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن وذكر الحديث وفيه فقالوا يا محمد فأخبرنا عن الروح؟ قال ((أنشدكم بالله هل تعلمون جبريل عليه السلام الذي يأتيني؟)) قالوا نعم، ولكنه يا محمد هو لنا عدو، وهو ملك يأتي بالشدة وسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك، فأنزل الله تعالى ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ [البقرة ٩٧] الآية، فقال بعضهم هذا يدل على أن سؤالهم عن الروح الذي هو

---

(١) فقال

(٢) فقال

(٣) يسألونك

جبريل عليه السلام، والأكثر على أن سؤالهم عن حقيقة الروح الذي يحيي به بدن الإنسان ويديره.قال المازري (الكلام على الروح مما يدق وقد ألفت فيه التواليف وأشهرها ما قاله الأشعري أنه النفس الداخل الخارج)، وقال القاضي أبو بكر (هو متردد بين ما قاله الأشعري وبين الحياة)، وقيل جسم مشارك للأجسام الظاهرة، وقيل جسم لطيف خلقه البارئ سبحانه وأجرى العادة بأن الحياة لا تكون مع فقده، فإذا شاء الله موت أحد أعدم هذا الجسم منه، وهذا الجسم وإن كان حيا فلا يحيى إلا بحياة تختص به، وهو مما يصح عليه البلوغ إلى جسم، ما من الأجسام، ويكون في مكان في العالم، أو في حواصل طير خضر إلى غير ذلك وقيل هو الدم.وقال الغزاليج ١ ص ٧١٢الروح جوهر محدث قائم بنفسه غير متحيز، وأنه ليس بداخل الجسم ولا خارجا عنه، وليس متصلا به، ولا منفصلا عنه، وذلك لعدم التحيز الذي هو شرط الكون في الجهات)، واعترض عليه بوجوه قد عرفت في موضعها. وقيل الروح عرض؛ لأنه لو كان جوهرا والجواهر متساوية في الجوهرية للزم أن يكون للروح روح آخر وهو فاسد ووجه دفعه ظاهر، وقيل إنه جوهر فرد متحيز، وأنه خلاف الحياة القائمة بالجسم الحيواني وأنه حامل للصفات المعنوية، وقيل إنه صورة لطيفة على صورة الجسم لها عينان وأذنان ويدان ورجلان في داخل الجسم يقابل كل جزء منه نظيره من البدن، وقيل إنه جسم لطيف في البدن سار فيه سريان ماء الورد فيه، وعليه اعتمد عامة المتكلمين من أهل السنة، وقد كثر الاختلاف في أمر الروح بين الحكماء والعلماء المتقدمين قديما وحديثا، وأطلقوا أعنة النظر في شرحه، وخاضوا في غمرات ماهيته حتى ذكر بعضهم فيه سبعين قولا فأكثرهم تاهوا في تيه الحيرة وقالوا إن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثره لنفسه حتى قالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عالما به.هذا وقال محمود العيني (جل منصب النبي صلى الله عليه وسلم وهو نبي الله وسيد خلقه أن يكون غير عالم بالروح، وكيف وقد من الله عليه بقوله ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ [النساء ١١٣]، وقد قال أكثر العلماء ليس في الآية دليل على أن الروح لا تعلم، ولا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلمها والله أعلم).واختلف أيضا هل الروح والنفس واحد أم لا؟والأصح أنهما متغايران، فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل أحد بقوله أنا، وأكثر الفلاسفة لم يفرقوا بينهما وقالوا النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية ويسمونها الروح الحيوانية، وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة وبين البدن، **وقال بعض الحكماء** النفس مجردة؛ أي غير جسم ولا جسماني وتحقيقه في موضعه.(﴿وما أوتوا﴾) بصيغة الغائب (﴿من العلم إلا قليلا﴾ [الإسراء ٨٥])؛ استثناء من العلم؛ أي إلا علما قليلا أو من الإيتاء؛ أي الإيتاء قليلا أو من الضمير؛ أي إلا قليلا منهم.(قال الأعمش) سليمان بن مهران (هي كذا) وفي رواية [1] (في قراءتنا) أي أوتوا بصيغة الغائب، وليست هذه القراءة في السبعة ولا في المشهور من غيرها، وقد أغفلها أبو عبيد في «كتاب القراءات» له من قراءة الأعمش وهي مخالفة لخط المصحف.وقال النووي أكثر نسخ «الصحيحين» «وما أوتوا»، وذكر مسلم الاختلاف في هذه اللفظة عن الأعمش فرواه وكيع على القراءة المشهورة، ورواه عيسى بن يونس عنه ﴿وما أوتوا﴾، وقال القاضي عياضج ١ ص ٧١٣(اختلف المحدثون فيما وقع من ذلك، فذهب بعضهم إلى الإصلاح على الصواب، واحتج بأنه إنما قصد به الاستدلال، والاحتجاج على ما سبق من الترجمة ولا حجة إلا في الصحيح الثابت في

---

(١) هكذا

المصحف)، وقال قوم تترك على حالها وينبه عليها؛ لأن من البعيد خفاء ذلك على المؤلف ومن نقل عنه وهلم جرا، فلعلها قرئت شاذة، وهذا ليس بشيء؛ لأنه لا يحتج بها في حكم ولا يقرأ بها في صلاة.واختلف أصحاب الأصول فيما نقل آحادا، ومنه القراءة الشاذة كمصحف ابن مسعود وغيره هل هو حجة أم لا؟ فنفاه الشافعي رحمه الله، وأثبته إمامنا أبو حنيفة رحمه الله وبني عليه وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بما نقل عن مصحف ابن مسعود رضي الله عنه من قوله ﴿ثلاثة أيام متتابعات﴾، وأدلتهما مذكورة في الأصول.وقد وقع في بعض نسخ «الصحيحين» «وما أوتيتم» بالخطاب كما في المصحف والخطاب عام؛ لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه؟ فقال «بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا» فقالوا ما أعجب شأنك! ساعة تقول ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ [البقرة ٢٦٩] وساعة تقول هذا فنزلت ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام﴾؛ أي ولو ثبت كون الأشجار أقلاما ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ أي والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة أبحر، فأغنى عن ذكر المداد «يمده» لأنه من مد الدواة وأمدها ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ [لقمان ٢٧] بكتبها بتلك الأقلام وما قالوه لسوء فهمهم، فإن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا إلى ما تحته، فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهي أقل قليل.وقيل هو خطاب اليهود خاصة؛ لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة فيها الحكمة وقد تلوت ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ [البقرة ٢٦٩] فقيل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى.________________________________[١] في هامش الأصل الخوص بالضم ورق النخل. منه.." (١)

"١١٦٢ - (حدثنا قتيبة) هو ابن سعيد (قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي) بفتح الميم، أبو محمد مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفي «تهذيب الكمال» أن أبا الموالي اسمه زيد (عن محمد بن المنكدر)ج ٥ ص ٦٣٢بن عبد الله (عن جابر بن عبد الله) الأنصاري رضي الله عنه.(قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة) أي صلاة الاستخارة ودعاؤها، وهي طلب الخيرة، على وزن العنبة، اسم من قولك اختاره الله، وفي «النهاية» أخار الله لك؛ أي أعطاك ما هو خير لك.قال والخيرة ــ بسكون الياء ــ الاسم منه، وأما بالفتح فهو الاسم من قولك اختاره الله، ومحمد صلى الله عليه وسلم خيرة الله من خلقه يقال بالفتح والسكون، وهي من باب الاستفعال، وهو في «لسان العرب» يطلق على معان مشهورة منها طلب الفعل، ومعنى أستخيرك أطلب منك الخير فيما هممت به، والخير هو كل معنى زاد نفعه على ضره.(في الأمور) وزيد في رواية (٢) ففيه أن المرء لا يتحقر الأمر الصغير فيترك الاستخارة فيه، فرب امرئ يستخف بأمر صغير، فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم، وكذا في تركه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ((ليسأل أحدكم ربه حتى شسع نعله)).(كما يعلمنا السورة من القرآن) اهتماما بشأن الاستخارة، وإيذانا بأنه متأكد مرغب فيه. فإن قيل كان ينبغي أن يجب الاستخارة استدلالا بتشبيه ذلك بتعليم السورة من القرآن، كما استدل بعضهم على وجوب التشهد في الصلاة بقول

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري/٢٢٠

(٢) كلها جليلها وحقيرها، كثيرها وقليلها

ابن مسعود رضي الله عنه وكان يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن.فالجواب أن الذي يدل على وجوب التشهد هو الأمر بقوله «فليقل التحيات لله» لا التشبيه. فإن قيل هو مشترك الورود، فإن فيه أيضا أمرا، وهو قوله «فليركع ركعتين ثم ليقل».فالجواب أن الأمر في هذا معلق بالشرط، وهو قوله «إذا هم أحدكم بالأمر». فإن قلت إن الأمر في ذلك أيضا معلق بالشرط، وهو قوله ((وإذا صلى أحدكم فليقل)).فالجواب أن التشهد جزء من الصلاة المفروضة، فيؤخذ الوجوب في قوله ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) [خ¦ ٦٣١] فأما الاستخارة فيدل على عدم وجوبها الأحاديث الصحيحة الدالة على انحصار فرض الصلاة في الخمس.فإن قلت فعلى هذا ينبغي أن لا يكون الوتر، ومع هذا هو واجب، بل المنقول عن أبي حنيفة أنه فرض.فالجواب أنه قد قامت الأدلة الدالة على وجوب الوتر كما عرف في موضعه، وقد تقدم الكلام فيه في باب «ما جاء في الوتر» [خ¦ ٩٩٠ وما بعده].(يقول إذا هم أحدكم بالأمر) أي قصد أمرا مما لا يعلم وجهج ٥ ص ٦٣٣الصواب فيه، أما ما هو معروف خيره كالعبادات وصنائع المعروف فلا حاجة إلى الاستخارة فيه. نعم قد يستخار في الإتيان بالعبادة في وقت مخصوص كالحج مثلا في هذه السنة؛ لاحتمال عدو أو فتنة أو حصر عن الحج، وكذلك يحسن أن يستخار في النهي عن المنكر لشخص متمرد عات يخشى بنهيه حصول ضرر عظيم عام أو خاص، وإن كان جاء في الحديث «إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، لكن إن خشي ضررا عاما للمسلمين فلا ينكر، وإن خشي على نفسه فله الإنكار، ولكن يسقط الوجوب.(فليركع ركعتين) أي فليصل ركعتين ندبا في غير وقت كراهة، وكذا عند الشافعية في الأصح، ويقرأ فيهما الكافرون وسورة الإخلاص أو آية ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ [القصص ٦٨] وآية ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ [الأحزاب ٣٦].وقال الشيخ زين الدين العراقي لم أجد في شيء من طرق أحاديث الاستخارة تعيين ما يقرأ فيهما. واحترز بالركعتين عن الواحدة فإنها لا تصح عندنا، ولا تجزئ عند الشافعية، وأما إذا صلى أربعا أو أكثر بتسليمة، فيحتمل أن يقال تجزئ لحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه المروي في «صحيح ابن حبان» وغيره ((ثم صل ما كتب الله لك)) فإنه دال على أن الزيادة على الركعتين لا تضر، وهذا هو موضع الترجمة.(من غير الفريضة) بالتعريف، وفي رواية [1] فلا تحصل سنة الاستخارة بوقوع الدعاء بعد فرض بخلاف تحية المسجد، وشكر [و] الوضوء فإنهما يؤديان بكل صلاة، والأظهر أن المراد به الوجه الأكمل، وهو أن تكون صلاته على حدة من غير فريضة أو سنة مؤكدة، والله أعلم.(ثم ليقل) بكسر اللام أو إسكانها، وذلك الأمر أيضا للندب، وفيه إشارة إلى أنه لا يضر تأخير دعاء الاستخارة عن الصلاة ما لم يطل الفصل.(اللهم إني أستخيرك) أي أطلب منك بيان ما هو خير لي (بعلمك وأستقدرك) أي أطلب منك أن تجعل لي قدرة على ما هممت به (بقدرتك) والباء في «بعلمك» و «بقدرتك» للتعليل؛ أي بأنك أعلم وأقدر أو للاستعانة؛ أي مستعينا بعلمك، فإني لا أعلم فيهم خيري، ومستعينا بقدرتك فإني لا قدرة لي ولا حول ولا قوة إلا بك، أو للاستعطاف كما في قوله تعالى ﴿رب بما أنعمت علي﴾ [القصص ١٧]؛ أي بحق علمك وقدرتك الشاملين (وأسألك من فضلك العظيم) أي بعض فضلك العظيم.وفيه إشارة إلى أن كل ما أعطاه الله للعبد فهو فضل منه

(١) من غير فريضة

ليس لأحد عليه حق في نعمة، فكل ما يهب مبتدأ من عنده لم يقابلها عوض فيما مضى، ولا يقابلها فيما يستقبل، فإن وفق للشكر والحمد فهو أيضا نعمة منه، وفضل يفتقر إلى حمد وشكر، هكذا إلى غير النهاية. ولله در من قالإذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثله يجب الشكروكيف بلوغي الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمرإذا مس بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجربخلاف ماج ٥ ص ٦٣٤ يعتقده المبتدعة المعتزلة من أنه يجب على الله تعالى أن يبتدئ العبد بالنعمة.والمعنى أسألك من فضلك العظيم من غير تعلق بعمل، وتوهم علم أو قدرة لي.(فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب) استأثرت بها لا يعلمها غيرك إلا من ارتضيته، والغيب كل ما غاب عن العيون سواء كان محصلا في القلوب أو لا، كذا في «النهاية».وأنت على كل شيء قدير، فهو من باب الاكتفاء أو الظهور، والمعنى أنا أطلب منك فيما يستقبل ما لا يعلمه إلا أنت، فهب لي منه ما ترى إنه خير لي في ديني ومعاشي وعاجل أمري وآجله. وفيه دليل على أن العبد لا قدرة [١] له إلا مع الفعل لا قبله كما يقول القدرية.وقال ابن بطال القدرة من صفات الذات، وهي والقوة بمعنى واحد، فالباري تعالى لم يزل قادرا قويا ذا قدرة وقوة. قال وذكر الأشعري أن القدرة والقوة والاستطاعة بمعنى، ولا يجوز أن يوصف بأنه مستطيع على طريقة التسمية بناء على أن أسماء الله تعالى توقيفية، وما جاء في القرآن من قوله تعالى ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا﴾ [المائدة ١١٢] فهو إنما خبر عنهم، ولا يقتضي ثبوته صفة له تعالى.(اللهم إن كنت تعلم) قيل معناه أنك تعلم، فأوقع الكلام موقع الشك على معنى التفويض إليه، والرضا بعلمه فيه، وهذا النوع يسميه علماء البلاغة تجاهل العارف ومزج الشك باليقين.هذا وقال المولى علي القاري لا خفاء في أنه غير مناسب للترديد الذي بنى أمره على معرفة الله تعالى، وجهل العبد به، فالظاهر أن الشك بالنظر إلى المستخير؛ لأنه ليس بمتيقن عنده، بل هو متردد في أن علمه سبحانه هل تعلق بكون هذا الأمر خيرا أو شرا لا في أصل العلم؛ لأنه المعلوم بالضرورة من الدين.(أن هذا الأمر) أي الأمر المتردد فيه من جهة كونه خيرا أو شرا كالسفر والنكاح ونحوهما، ويسميه المستخير في أثناء دعائه (خير لي في ديني) قدمه؛ لأنه أهم المهمات وأتم المرادات وأقصى الغايات (ومعاشي) يحتمل أن يكون المراد به الحياة، وأن يكون ما يعاش فيه.وفي «الصحاح» العيش الحياة، وقد عاش الرجل معاشا ومعيشا وكل واحد منهما يصلح أن يكون مصدرا، وأن يكون اسما مثل معاب ومعيب.(وعاقبة أمري) أي عند مماتي وخاتمتي (أو قال عاجل أمري) أي أمري العاجل، وهو أمر الدنيا (وآجله) أي أمري الآجل؛ أي المتأخر من أمر الآخرة، شك من الراويج ٥ ص ٦٣٥ في أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «معاشي وعاقبة أمري ــ أو قال عاجل أمري ــ وآجله». وقيل في أنه صلى الله عليه وسلم قال «عاقبة أمري ــ أو قال بدله عاجل أمري ــ وآجله».ويحتمل أن يكون الشك في أنه صلى الله عليه وسلم قال ((في ديني ومعاشي وعاقبة أمري)). أو قال بدل الألفاظ الثلاثة «في عاجل أمري وآجله»، وربما يؤيده إعادة «في» قوله أو قال «في عاجل أمري وآجله» على ما في بعض النسخ، وعاجل الأمر يشمل الديني والدنيوي، والآجل يشملهما والعاقبة، كذا قال الحافظ العسقلاني، فليتأمل.قالوا إن الخير أربعة أقسام خير يكون للعبد في دينه دون دنياه، وخير يكون له في دنياه فقط، وهو حظ قليل حقير، وخير يكون له في العاجل دون الآجل وبالعكس وهو أولى، والجميع هو الأفضل، فالذي ينبغي للعبد أن يسأل ذلك كله.ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ((اللهم أصلح ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة

لي من كل شر، إنك على كل شيء قدير)).فهذا ربما يؤيد الاحتمال الثاني؛ أعني أن الشك في أنه صلى الله عليه وسلم قال «عاقبة أمري» أو قال بدله «عاجل أمري وآجله». وعلى كل حال فلا شك أن كلمة «أو» في الحديث ليس من كلام النبوة، وإنما استفيد التخيير في القول من وقوع الشك من الراوي في التعبير.(فاقدره لي) بوصل الهمزة وضم الدال؛ أي اقض لي به وهيئه، كذا في «النهاية». وقيل بكسر الدال أو ضمها، وهو المفهوم من «القاموس» حيث قال القدر محركة القضاء والحكم، وقدر الله ذلك عليه يقدره ويقدره قدرا وقدرا وقدره عليه وله، انتهى. وقيل معناه اجعله مقدورا لي، وأدخله تحت قدرتي.وقال ابن المعلى في «منسكه» قال شهاب الدين العراقي في كتابه «القواعد» من الدعاء المحرم الدعاء المرتب على استئناف المشيئة كمن يقول اقدر لي الخير؛ لأن الدعاء بوضعه اللغوي إنما يتناول المستقبل دون الماضي؛ لأنه طلب، والطلب في الماضي محال، فيكون مقتضى هذا الدعاء أن يقع تقدير الله تعالى في المستقبل من الزمان، والله تعالى يستحيل عليه استئناف التقدير، بل وقع جميعه في الأزل، فيكون هذا الدعاء يقتضي مذهب من يرى أنه لا قضاء، وأن الأمر أنف، كما خرجهج ٥ ص ٦٣٦مسلم عن الخوارج، وذلك فسق بالإجماع، فحينئذ يكون المراد بالتقدير هاهنا هو التيسير مجازا، فالداعي إذا أراد هذا المجاز جاز، وإنما يحرم عند عدم النية، أو يقال إنما يحرم إذا أراد تغيير التقدير، أو استئنافه لا عند عدم النية إذ قد ورد هذا الدعاء في السنة.وقد يقال معناه فأظهر تقديرك إياه لي، وبين لي وجه الصواب فيه، ولا يبعد أن يكون مثل هذا الأمر معلقا بدعاء العبد فيقع على مقتضاه، فإن القدر جزئيات لكليات القضاء أو بالعكس على خلاف فيه، كما حقق في زيادة العمر، ورد القضاء بالدعاء، وفي قوله تعالى ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد ٣٩].(وبسره لي) أي سهله لي ووفقني له، وعلى تقدير أن يكون المراد من التقدير هو التيسير فيكون قوله «ويسره لي» عطفا تفسيريا لقوله «فاقدره لي» (ثم بارك) أي أوقع البركة (لي فيه) يعني أدمه وضاعفه (وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري _ أو قال) شك من الراوي أيضا (عاجل أمري _ وآجله فاصرفه) أي ادفع ذلك الأمر (عني واصرفني عنه) أي لا تعلق بالي به وبطلبه.ومن دعاء بعض العارفين اللهم لا تتعب بدني في طلب ما لم تقدره لي. ولم يكتف بقوله «فاصرفه عني»؛ لأنه قد يصرف الله تعالى عن المستخير ذلك الأمر، ولا يصرف قلبه عنه، بل يبقى متطلعا متشوقا إلى حصوله فلا يطيب له خاطره، وكذا لم يكتف بقوله «واصرفني عنه»؛ لأنه ربما يصرف الله المستخير عن ذلك الأمر بأن ينقطع طلبه له، وذلك الأمر الذي ليس فيه خيره يطلبه، فربما أدركه فإذا صرف كل منهما عن الآخر كان ذلك أكمل، ولذلك قال في آخره(واقدر لي الخير حيث كان) أي وجد الخير (ثم أرضني به) بهمزة قطع، من الإرضاء، وفي نسخة [(١)] من الترضية، وهما بمعنى واحد؛ أي اجعلني راضيا به، وإنما قال ذلك؛ لأنه إذا قدر له الخير ولم يرض به كان منكد العيش آثما بعدم رضاه بما قدر الله له مع كونه خيرا له، والرضا سكون النفس إلى القدر والقضاء.(قال) صلى الله عليه وسلم (ويسمي حاجته) أي في أثناء الدعاء عند ذكرها بالكناية عنها بقوله «هذا الأمر».وفي الحديث الاعتراف بأن العلم لله تعالى، وكذاج ٥ ص ٦٣٧القدرة، وليس للعبد من ذلك شيء إلا ما خلق له، فكأنه قال يا رب تقدر أنت قبل أن تخلق في القدرة ومع خلقها وبعد خلقها، وأنت القادر على الحقيقة في الأحوال كلها، وكذلك في العلم.وفيه أيضا أنه يجب على

---

(١) ثم رضني به

المؤمن رد الأمور كلها إلى الله تعالى، وصرف أزمتها إليه، والتبري من الحول والقوة، وأن لا يروم شيئا من دقيق الأمور وجليلها حتى يسأل الله تعالى فيه أن يحمله على الخير، ويصرف عنه الشر إذعانا بالافتقار إليه في كل أمره، والتزاما لذلة العبودية له، وتبركا باتباع سنة سيد المرسلين في الاستخارة، قال الله تعالى ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم﴾ [البقرة ٢١٦].وفيه أيضا رد على القدرية الذين زعموا أن الله لا يخلق الشر، تعالى الله عما يفترون، فقد بان في هذا الحديث أن الله تعالى هو المالك للشر، والخالق له وهو المدعو لصرفه عن العبد، ولا يقدر العبد على اختراعه دون أن يقدر الله عليه.وفي «الجامع الصغير» برواية الترمذي والحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ((من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له)).وفي «الجامع» أيضا ((ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد)). رواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس رضي الله عنه.**وقال بعض الحكماء من** أعطي أربعا لم يمنع أربعا من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخير، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب.ثم الاستخارة المختصرة ما ورد في حديث ((اللهم خر لي واختر لي ولا تكلني إلى اختياري)) أخرجه الترمذي في «الدعوات» عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أمرا قال اللهم خر لي واختر لي)). وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث زنفل بن عبد الله، وهو ضعيف عند أهل الحديث.ونقل عن شيخ الإسلام خواجه عبد الله الأنصاري ويقال له نديم الباري، هذه الاستخارة المنظومة [٢]يا خائرا لعبيده لا تتركن أحدا سدىخر لي إليك طريقة بيديك أسباب الهدىوهل يستحب تكرار الاستخارة في الأمر الواحد إذا لم يظهر له وجه الصواب في الفعل أو الترك، ولم ينشرح صدره؟ قيل بلى يستحب تكرار الصلاة، والدعاء لذلك، وقد ورد في حديث تكرار الاستخارة سبعا في «عمل اليوم والليلة» للنسائي من رواية إبراهيم بن البراءج ٥ ص ٦٣٨قال حدثني أبي، عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى الذي يسبق إلى قلبك، فإن الخير فيه)).قال النووي في «الأذكار» إسناده غريب، وفيه من لا أعرفهم.قال الشيخ زين الدين العراقي كلهم معروفون، ولكن بعضهم معروف بالضعف الشديد، وهو إبراهيم بن البراء، والبراء هو ابن النضر بن الحسن بن مالك رضي الله عنه. وقد ذكره في «الضعفاء» العقيلي، وابن حبان وابن عدي والأزدي. قال العقيلي يحدث عن الثقات بالبواطيل. وقال ابن حبان شيخ كان يدور بالشام يحدث عن الثقات بالموضوعات، لا يجوز ذكره إلا على سبيل القدح فيه. وقال ابن عدي ضعيف جدا حدث بالبواطيل، فعلى هذا فالحديث ساقط لا حجة فيه.نعم. قد يستدل للتكرار بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعى دعا ثلاثا.ورجال إسناد حديث الباب ما بين بلخي ومدني، وقد أخرج متنه المؤلف في «التوحيد» [خ¦٧٣٩٠]، و «الدعوات» أيضا [خ¦٦٣٨٢]. وأخرجه أبو داود في «الصلاة»، وكذا الترمذي وابن ماجه فيه، والنسائي في «النكاح»، وفي «النعوت»، وفي «اليوم والليلة».____[١] في هامش الأصل والمراد من قدرة العبد صفة يخلقها الله تعالى عند قصد اكتساب الفعل بعد سلامة الأسباب والآلات، فإن قصد العبد فعل الخير خلق الله تعالى قدرة فعل الخير، وإن قصد فعل الشر خلق الله تعالى قدرة فعل الشر، فكان هو المضيع لقدرة فعل الخير، فيستحق

الذم والعقاب، ولهذا ذم الكافرين بأنهم لا يستطيعون السمع، وهي مع الفعل؛ لأنها عرض، فوجب أن تكون مقارنة للفعل بالزمان لا بالذات لا سابقة عليه، وإلا لزم وقوع الفعل بلا استطاعة وقدرة عليه لامتناع بقاء الأعراض في زمانين، وأما قدرة الله تعالى فهي صفة أزلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها. منه.[٢] في هامش الأصل ذكره المولى علي القاري في ((شرح الحصن)). منه.." (١)

"١٢٣٩ - (حدثنا أبو الوليد) هشام بن عبد الملك الطيالسي (قال حدثنا شعبة) أي ابن الحجاج (عن الأشعث) بفتح الهمزة وسكون المعجمة وفتح المهملة وبالمثلثة، هو ابن الشعثاء المحاربي، وقد مر في باب «التيمن في الوضوء» [خ¦٤٢٦].(قال سمعت معاوية بن سويد) بضم المهملة وفتح الواو وسكون المثناة التحتية (ابن مقرن) بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المشددة وبالنون، الكوفي (عن البراء) وفي رواية (٢) (رضي الله عنه)، ولمسلم من طريق زهير بن معاوية عن الأشعث عن معاوية بن سويد قال ((دخلت على البراء بن عازب رضي الله عنه فسمعته يقول أمرنا. ..)) الحديث.ورجال إسناد هذا الحديث ما بين بصري وواسطي وكوفي. وقد أخرج متنه المؤلف في «المظالم» [خ¦٢٤٤٥]، و «اللباس» [خ¦٥٨٣٨]، و «الطب» [خ¦٥٦٥٠] و «النذور» [خ¦٦٦٥٤]، و «النكاح» [خ¦٥١٧٥]، و «الاستئذان» [خ¦٦٢٣٥]، و «الأشربة» [خ¦٥٦٣٥]. وأخرجه مسلم في «الأطعمة»، والترمذي في «الاستئذان»، و «اللباس»،ج ٦ ص ١٥٤والنسائي في «الجنائز»، و «الأيمان والنذور»، و «الزينة»، وابن ماجه في «الكفارات» و «اللباس».(قال أمرنا النبي) وفي رواية (٣) (صلى الله عليه وسلم بسبع) أي بسبع خصال (ونهانا عن سبع؛ أمرنا باتباع الجنائز) والمشي معها إلى حين دفنها بعد الصلاة عليها، أما الصلاة فهي فروض الكفاية عند الجمهور. وقال أصبغ من المالكية الصلاة على الميت سنة.وقال الداودي اتباع الجنائز حملها بعض الناس عن بعض قال وهو واجب على ذي القرابة الحاضر والجار، ويراه للتأكيد لا للوجوب الحقيقي. ثم الاتباع على ثلاثة أقسامالأول أن يصلي فقط فله قيراط، والثاني أن يذهب فيشهد دفنها فله قيراطان، والثالث أن يلقنه.قال العيني والتلقين عندنا عند الاحتضار، وقد عرف في الفروع، وكذلك المشي خلف الجنازة أفضل عندنا. وفي «التوضيح» المشي أمامها بقربها أفضل عندنا من الاتباع، وبه قال أحمد لأنه شفيع وحق الشفيع أن يتقدم. وعند المالكية ثلاثة أقوال التقدم والتأخر، وتقدم الماشي وتأخر الراكب. وأما النساء فيتأخرون بلا خلاف، ومشهور مذهبهم كمذهبنا.واحتجت الشافعية فيما ذهبوا إليه بحديث أخرجه الأربعة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما يمشون أمام الجنازة، وبه قال القاسم وسالم بن عبد الله والزهري وشريح وخارجة بن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعلقمة والأسود وعطاء ومالك.ويحكى ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن عمر وأبي هريرة والحسن بن علي وابن الزبير وأبي قتادة وأبي أسيد.وذهب إبراهيم النخعي وسفيان الثوري والأوزاعي وسويد بن غفلة ومسروق وأبو قلابة وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وإسحاق وأهل الظاهر إلى

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري/١٨٣٨

(٢) عن البراء بن عازب

(٣) رسول الله

أن المشي خلف الجنازة أفضل.ويروى ذلك عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وأبي أمامة وعمرو بن العاص رضي الله عنهم. واحتجوا في ذلك بما رواه أبو داود بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار)). وزاد هارون شيخ أبي داود ((ولا مشي بين يديها)). واحتجوا أيضا بحديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي خلف الجنازة.رواه ابن عدي في «الكامل»، وبحديث أبي أمامة رضي الله عنه قال سأل أبو سعيد الخدري علي بن أبي طالب رضي الله عنهماج ٦ ص ١٥٥المشي خلف الجنازة أفضل أم أمامها، فقال علي رضي الله عنه والذي بعث محمدا بالحق إن فضل الماشي خلفها على الماشي أمامها كفضل الصلاة المكتوبة على التطوع.فقال أبو سعيد رضي الله عنه أبرأيك تقول أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فغضب وقال لا والله بل سمعت غير مرة ولا اثنين ولا ثلاث حتى سبعا، فقال أبو سعيد رضي الله عنه إني رأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يمشيان أمامها، فقال يغفر الله لهما لقد سمعا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سمعته، وإنهما والله لخير هذه الأمة، ولكنهما كرها أن يجمع الناس ويتضايقوا فأحبا أن يسهلا على الناس، رواه عبد الرزاق في «مصنفه».وروى عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال ما مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات إلا خلف الجنازة.وروى ابن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس، عن ثور، عن شريح، عن مسروق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن لكل أمة قربانا، وإن قربان هذه الأمة موتاها، فاجعلوا موتاكم بين أيديكم)).وروى الدارقطني من حديث عبيد الله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك قال جاء ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أمه توفيت وهي نصرانية، وهو يحب أن يحضرها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ((اركب دابتك وسر أمامها، فإنك إذا كنت أمامها لم تكن معها)).وروى ابن أبي شيبة بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن أباه قال له كن خلف الجنازة، فإن مقدمها للملائكة، ومؤخرها لبني آدم.وهذه الأحاديث المذكورة وإن كانت ضعيفة، لكنها تتقوى بكثرتها فتصلح للاحتجاج مع أن لنا فيه حديثا رواه البخاري [خ¦٤٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا، وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين)) والاتباع لا يكون إلا إذا مشى خلفها، فدل ذلك على أن الجنازة متبوعة.وقد جاء هذا اللفظ صريحا في حديث رواه أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا ((الجنازة متبوعة)). ورواه الترمذيج ٦ ص ١٥٦وابن ماجه وأحمد وإسحاق وأبو يعلى وابن أبي شيبة.وأما أثر طاوس فإنه وإن كان مرسلا فهو حجة عندنا، وحديثهم الذي احتجوا وهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما قد اختلف فيه أئمة الحديث بحسب الصحة والضعف، وقد روي متصلا ومرسلا. فذهب ابن المبارك إلى ترجيح الرواية المرسلة على المتصلة رواه الترمذي وغيره عنه.وقال النسائي بعد تخريجه للرواية المتصلة هذا خطأ، والصواب أنه مرسل. وقال الترمذي وأهل الحديث كلهم يرون أن الحديث المرسل في ذلك أصح.فإن قيل روى الترمذي حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن بكر حدثنا يونس بن يزيد، عن الزهري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي أمام الجنازة وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.فالجواب أنه قال الترمذي سألت محمدا عن هذا الحديث فقال هذا أخطأ فيه محمد بن بكر، وإنما يروى هذا عن يونس عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يمشون أمام الجنازة، فإذا صح الأمر على ذلك فلا يبقى لهم حجة فيه؛

لأن المرسل ليس بحجة عندهم.وتأويلهم الاتباع بالأخذ في طريق الجنازة، والسعي لأجلها، كما يقال الجيش يتبع السلطان؛ أي يتوخى موافقته، وإن تقدم كثير منهم في المشي والركوب فصرف اللفظ عن ظاهره بلا داع إليه، والله أعلم.(وعيادة المريض) بالجر عطفا على الاتباع؛ أي زيارته، من عدت المريض أعوده عيادة، إذا زرته وسألت عن حاله، وعاد إلى فلان يعود عودة وعودا، إذا رجع، وفي المثل العود أحمد. وهي سنة، وقيل واجبة بظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه الآتي [خ¦١٢٤٠].وقد روي في ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وهم أبو موسى وثوبان وأبو هريرة وعلي بن أبي طالب وأبو أمامة وجابر بن عبد الله وجابر بن عتيك وأبو مسعود وأبو سعيد وعبد الله بن عمر وأنس وأسامة بن زيد وزيد بن أرقم وسعد بن أبي وقاص وابن عباس وابن عمرو وأبو أيوب وعثمان وكعب بن مالك وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده، وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح والمسيب بن حزن وسلمان وعثمان بن أبي العاصج ٦ ص ١٥٧وعوف بن مالك وأبو الدرداء وصفوان بن عسال ومعاذ بن جبل وجبير بن مطعم وعائشة وفاطمة الخزاعية وأم سليم وأم العلاء رضي الله عنهم.فحديث أبي موسى عند «البخاري» [خ¦٣٠٤٦] ((عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العاني)).وحديث ثوبان عند مسلم ((إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في مخرفة الجنة حتى يرجع قيل يا رسول الله وما مخرفة الجنة؟ قال جناها)). والمخرفة البستان يعني يستوجب الجنة ومخارفها.وحديث أبي هريرة رضي الله عنه سيأتي في هذا الباب إن شاء الله تعالى [خ¦١٢٤٠].وحديث علي بن أبي طالب عند الترمذي ((ما من عبد يعود مسلما إلا أتبعه الله سبعين ألف ملك يصلون عليه أي ساعة من النهار كانت حتى يمسي، وأي ساعة من الليل كانت حتى يصبح)).وحديث أبي أمامة عند أحمد ((من تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو يده ويسأله كيف هو)).وحديث جابر بن عبد الله عند أحمد أيضا ((من عاد مريضا لم يزل يخوض الرحمة حتى يجلس، فإذا جلس اغتمس فيها)).وحديث جابر بن عتيك عند أبي داود ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد عبد الله بن ثابت ...)) فذكر الحديث مطولا.وحديث أبي مسعود عند الحاكم ((للمسلم على المسلم أربع خلال يشمته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويشهده إذا مات، ويعوده إذا مرض)).وحديث أبي سعيد عند ابن حبان ((عودوا المريض واتبعوا الجنائز)).وحديث عبد الله بن عمر عند مسلم ((من يعود منكم سعد بن عبادة فقام فقمنا معه ونحن بضعة عشر)).وحديث أنس عند البخاري قال ((كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم، فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار)) [خ¦١٣٥٦].وحديث أسامة بن زيد عند الحاكم قال ((خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد الله بن أبي في مرضه الذي مات فيه)).وحديث زيد بن أرقم عنده أيضا ((عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان بعيني))ج ٦ ص ١٥٨وقال الحاكم صحيح على شرطهما.وحديث سعد بن أبي وقاص عند الحاكم أيضا قال ((اشتكيت بمكة فجاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني، ووضع يده على جبهتي)).وحديث ابن عباس عنده أيضا ((من عاد أخاه المسلم فليقعد عند رأسه)) الحديث وقال صحيح على شرط البخاري.وحديث ابن عمرو عنده أيضا ((إذا عاد أحدكم مريضا فليقل اللهم اشف عبدك)) وقال صحيح على شرط مسلم.وحديث أبي أيوب عند ابن أبي الدنيا قال ((عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأنصار فأكب عليه يسأله فقال يا رسول الله ما غمضت منذ سبع ليال،

ولا أحد يحضرني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أخي اصبر تخرج من ذنوبك، كما دخلت فيها)).وحديث عثمان عند. .. [١] قال دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض فقال ((أعيذك بالله الأحد الصمد)) الحديث وسنده جيد.وحديث كعب بن مالك عند الطبراني في «الكبير» ((من عاد مريضا خاض في الرحمة، فإذا جلس استنقع فيها)).وحديث عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده عند الطبراني أيضا ((من عاد مريضا فلا يزال في الرحمة حتى إذا قعد عنده استنقع فيها، ثم إذا خرج من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يروح من حيث خرج)).وحديث عمر بن الخطاب عند ابن مردويه قال يا رسول الله ما لنا من الأجر في عيادة المريض؟ فقال ((إن العبد إذا عاد المريض خاض في الرحمة إلى حقوه)).وحديث أبي عبيدة بن الجراح عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من عاد مريضا أو أماط أذى من الطريق فحسنة بعشر أمثالها)).وحديث سلمان عند الطبراني قال دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني، فلما أراد أن يخرج قال ((يا سلمان كشف الله ضرك، وغفر ذنبك، وعافاك في دينك وجسدك إلى أجلك)).وحديث عثمان بن أبي العاص عند الحاكم في «المستدرك» جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني من وجع اشتد بي.وحديث عوف بن مالك عند الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((عودوا المريض واتبعوا الجنازة)).وحديثج ٦ ص ١٥٩أبي الدرداء عند الطبراني أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إن الرجل إذا خرج يعود أخا له مؤمنا خاض في الرحمة إلى حقويه، فإذا جلس عند المريض فاستوى جالسا غمرته الرحمة)).وحديث صفوان بن عسال عند الطبراني أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من زار أخاه المؤمن خاض في الرحمة حتى يرجع، ومن زار أخاه المريض خاض في رياض الجنة حتى يرجع)).وحديث معاذ بن جبل عند الطبراني أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنا على الله عز وجل، من عاد مريضا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيا، أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس)).وحديث جبير بن مطعم عنده أيضا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سعيد بن العاص فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يكمده بخرقة.وحديث عائشة رضي الله عنها عند سيف في كتاب «الردة» قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((العيادة سنة عودوا غبا، فإن أغمي على مريض فحتى يفيق)).وحديث فاطمة الخزاعية عند ابن أبي الدنيا قالت ((عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من الأنصار فقال كيف تجدك؟ قالت بخير يا رسول الله)) الحديث.وحديث أم سليم عند ابن أبي الدنيا في كتاب «المرض والكفارات» قالت مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ((يا أم سليم أتعرفين النار والحديد وخبث الحديد)) قلت نعم يا رسول الله فقال ((يا أم سليم فإنك إن تخلصي من وجعك هذا تخلصي منه كما تخلص الحديد من النار من خبثه)).وحديث أم العلاء عند أبي داود قالت عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريضة. الحديث.ثم إن عيادة المريض سنة كما تقدم سواء كان المرض الرمد وغيره من الأمراض، وسواء الصديق والعدو ومن يعرفه ومن لا يعرفه ولو ذميا، وإذا كان قريبا أو جارا يتأكد ذلك وفاء بصلة الرحم، وحق الجوار؛ لعموم الأخبار.والظاهر أن المعاهد والمستأمن كالذمي، وفي استحباب عيادة أهل البدع المنكرة وأهل الفجور والمكوس إذا لم يكن قرابة ولا جوار ولا رجاء توبة نظر، فإنا مأمورون بمهاجرتهم،ج ٦ ص ١٦٠ولتكن العيادة غبا فلا يواصلها كل يوم إلا أن يكون مغلوبا، وهذا في غير القريب والصديق ونحوهما ممن يستأنس به المريض، أو يتبرك به، أو يشق عليه عدم رؤيته كل

يوم أما هؤلاء فيواصلونها ما لم ينهوا أو لم يعلموا كراهته.وقول الغزالي إنما يعاد بعد ثلاث؛ لخبر ورد فيه، [و] رد بأنه موضوع ذكره القسطلاني، ويدعو له وينصرف. ويستحب في دعائه أن يقول ((أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك)) سبع مرات رواه الترمذي وحسنه.ويخفف المكث عنده، بل تكره إطالته لما فيه إضجاره ومنعه من بعض تصرفاته، والله أعلم.(وإجابة الداعي) بالجر أيضا، الإجابة مصدر، والاسم الجابة بمنزلة الطاعة، يقال أجابه وأجاب عن سؤاله، والاستجابة بمعنى الإجابة ومنه الجواب، والداعي من دعا يدعو دعوة.والدعوة ــ بالفتح ــ إلى الطعام، وبالكسر في النسب، وبالضم في الحرب، يقال دعوت الله له وعليه دعاء.وفي «التوضيح» إن كانت الدعوة إلى وليمة النكاح، فجمهور العلماء على الوجوب قالوا والأكل واجب على الصائم انتهى. وعندنا مستحب.وقال الطيبي إذا دعا المسلم المسلم إلى ضيافة وجب عليه طاعته إذا لم يكن ثمة ما يتضرر بدينه من الملاهي ومفارش الحرير.وقال الفقيه أبو الليث إذا دعيت إلى وليمة، فإن لم يكن ماله حراما ولم يكن فيها فسق فلا بأس بالإجابة، وإن كان ماله حراما فلا يجيب، وكذلك إذا كان فاسقا معلنا فلا يجيبه ليعلم أنك غير راض بفسقه.وإذا أتيت وليمة فيها منكر فانههم عن ذلك، فإن لم ينتهوا فارجع لأنك إن جالستهم ظنوا أنك راض بفعلهم، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((من تشبه بقوم فهو منهم)).وقال بعضهم إجابة الدعوة واجبة لا يسع تركها، واحتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((من لم يجب الدعوة فقد عصى أبا القاسم)).وقالت عامة العلماء ليست بواجبة ولكنها سنة، والأفضل أن يجيب إذا كانت وليمة يدعى فيها الغني والفقير، وإذا دعيت إلى وليمة وأنت صائم فأخبره بذلك، فإن قال لا بد من الحضور فأجبه، فإذا دخلت المنزل فإن كان صومك تطوعا وتعلم أنه لا يشق عليه ذلك فلا تفطر،ج ٦ ص ١٦١وإن علمت أنه يشق عليه امتناعك من الطعام فإن شئت فأفطر واقض يوما مكانه، وإن شئت فلا تفطر والإفطار أفضل؛ لأن فيه إدخال السرور على المؤمن.**وقال بعض الحكماء**من دعانا فأبينا فله الفضل علينا وإذا نحن أجبنا رجع الفضل إلينا وقيل وإياك أن تمتنع بعد الإجابة من الحضور إلا بعذر ظاهر؛ لأن في الامتناع عن الإجابة جفاء، وفيه أيضا خلاف الوعد.وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا أضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحبه، وكان فيهم رجل صائم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أجب أخاك وأفطر واقض يوما مكانه)).وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب، فإن كان مفطرا فليأكل، وإن كان صائما فليصل له؛ يعني يدعو له بالبركة)).وروي عن عمر رضي الله عنه أنه دعي إلى طعام فجلس ووضع الطعام فمد يده، فقال خذوا بسم الله ثم قبض يده فقال إني صائم، كذا في «بستان العارفين».(ونصر المظلوم) بالجر أيضا، مسلما كان أو ذميا بالقول والفعل، وهو فرض على من قدر عليه ويطاع أمره. وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال تحجزه أو تمنعه عن الظلم، فإن ذلك نصره)) رواه البخاري [خ ¦ ٦٩٥٢] والترمذي.وفي رواية مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه، فإن له نصرة، وإن كان مظلوما فلينصره)).وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((من حمى مؤمنا عن منافق أراه قال بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم)) رواه أبو داود.وعن ابن عباس رضي الله عنهما

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمن من رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل)) رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب «التوبيخ».(وإبرار القسم) بالجر أيضا، والإبرار ــ بكسر الهمزة ــ إفعال من البر، خلاف الحنث، يقال أبر القسم إذا صدقه، ويروى [1] بضم الميم وسكون القاف وكسر السين، قيل هو تصديق من أقسم عليك، وهو أن يفعل ما سأله الملتمس وأقسم عليه أن يفعله.وقال الطيبي المراد من المقسم الحالف، ويكون المعنى أنه لو حلف أحد على أمر يستقبل وأنت تقدر على تصديق يمينه كما لو أقسم أن لا يفارقك حتى تفعل كذا، وأنت تستطيع فعله فافعل لئلا يحنث في يمينه، وهو خاص فيما يحل وهو من مكارم الأخلاق، فإن ترتب على تركه مصلحة فلا، ولذا قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه في قصة تعبير الرؤيا ((لا تقسم)) حين قال أقسمت عليك يا رسول الله لتخبرني بالذي أصبت [خ¦ ٧٠٤٦].(ورد السلام) وهو فرض على الكفاية. وفي «التوضيح» رد السلام فرض على الكفاية عند مالك والشافعي، وعند الكوفيين فرض عين على كل أحد من الجماعة.وقال صاحب «المعونة» الابتداء بالسلامج ٦ ص ١٦٢ سنة، ورده آكد من ابتدائه، وأقله السلام عليكم. وقال أصحابنا رد السلام فريضة على كل من سمع السلام إذا قام به البعض سقط عن الباقين، والتسليم سنة، وثواب المسلم أكثر، ولا يصح الرد حتى يسمعه المسلم إلا أن يكون أصم، فينبغي أن يرد عليه بتحريك شفتيه، وكذلك تشميت العاطس.ولو سلم على جماعة وفيهم صبي فرد الصبي إن كان لا يعقل لا يصح، وإن يعقل هل يصح؟ فيه اختلاف، ويجب على المرأة رد سلام الرجل، ولا ترفع صوتها لأن صوتها عورة، وإن سلمت عليه فإن كانت عجوزا رد عليها، وإن كانت شابة رد في نفسه، وعلى هذا التفصيل تشميت الرجل المرأة وبالعكس، ولا يجب رد سلام السائل، ولا ينبغي أن يسلم على من يقرأ القرآن، فإن سلم عليه يجب الرد عليه.(وتشميت العاطس) بالجر أيضا، وتشميت العاطس دعاء له بخير، وكل داع لأحد بخير فهو مشمت، ويقال أيضا بالسين المهملة.وقال ابن الأثير التشميت ــ بالشين والسين ــ الدعاء بالخير والبركة، والمعجمة أعلاهما، يقال شمت فلانا، وشمت عليه تشميتا فهو مشمت، واشتقاقه من الشوامت وهي القوائم كأنه دعا للعاطس بالثبات على طاعة الله عز وجل، وقيل معناه أبعدك الله عن الشماتة، وجنبك ما يشمت به عليك.والشماتة فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه، يقال شمت به يشمت فهو شامت، وأشمته غيره، والمراد به أن يقول يرحمك الله، إذا حمد العاطس، ويرد العاطس بقوله يهديكم الله ويصلح بالكم.وروي عن الأوزاعي أن رجلا عطس بحضرته فلم يحمد، فقال كيف تقول إذا عطست؟ قال الحمد لله، فقال له يرحمك الله، وهو وجوابه سنة على الكفاية خلافا لبعض المالكية.قال مالك ومن عطس في الصلاة حمد في نفسه، وخالفه سحنون فقال ولا في نفسه، وقد ذكر بعض ما يتعلق به في رد السلام.(ونهانا عن سبع) وقد سقط في رواية لفظ «سبع» (آنية الفضة) وعلى تقدير وجود «سبع» يجوز في «آنية» الجر والرفع، أما الجر فعلى أنه بدل من «سبع»، وأما الرفع فعلى أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي أحدها آنية الفضة. والنهي فيه نهي تحريم، وكذلك آنية الذهب بل هي أشد.قال أصحابنا لا يجوز استعمال آنية الذهب والفضة للرجال والنساء؛ لما في حديث حذيفةج ٦ ص ١٦٣رضي الله عنه عند الجماعة ((ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها ...)) الحديث [خ¦ ٥٤٢٦]. وقالوا وعلى هذا المجمرة والمعلقة والمدهن

(١) إبرار المقسم

والمكحلة والميل والمرآة ونحو ذلك فيستوي في ذلك الرجال والنساء؛ لعموم النهي، والحكمة مشتركة وهي السرف والخيلاء، وعليه الإجماع.ويجوز الشرب في الإناء المفضض، والجلوس على السرير المفضض إذا كان يتقي موضع الفضة؛ أي يتقي فمه، وقيل يتقي أخذه باليد.وقال أبو يوسف يكره، وقول محمد مضطرب، ويجوز التجمل بالأواني من الذهب والفضة بشرط أن لا يريد به التفاخر والتكاثر؛ لأن فيه إظهار نعم الله تعالى.(و) عن (خاتم الذهب) الخاتم ــ بفتح التاء وكسرها ــ والخيتام والخاتام كله بمعنى، والجمع الخواتيم، وهو حرام على الرجال، ومن الناس من أباح التختم بالذهب؛ لما روى الطحاوي في «شرح الآثار» بإسناده إلى محمد بن مالك قال رأيت على البراء خاتما من ذهب، فقيل له فقال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فألبسنيه وقال ((البس ما كساك الله عز وجل ورسوله)) والجواب أن الترجيح للمحرم.وما روي من ذلك كان قبل النهي، وأما التختم بالفضة، فإنه يجوز لما روي عن أنس رضي الله عنه ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة، له فص حبشي ونقش فيه محمد رسول الله)). رواه الجماعة [خ¦٦٥].والسنة أن يكون قدر مثقال فما دونه، والتختم سنة لمن يحتاج إليه كالسلطان والقاضي ومن في معناهما، ومن لا حاجة إليه فتركه أفضل.(و) عن (الحرير) وهو حرام على الرجال دون النساء كسابقه؛ لما روى أبو داود وابن ماجه من حديث علي رضي الله عنه ((أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبا فجعله في شماله، ثم قال إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثها)).وروي عن جماعة من الصحابة أنهم رووا حل الحرير للنساء وهم عمر وحديثه عند البزار، وأبو موسى الأشعري وحديثه عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو وحديثه عند إسحاق، والبزار وأبي يعلى، وعبد الله بن عباس وحديثه عند البزار، وزيد بن أرقم وحديثه عند ابن أبي شيبة، وواثلة بن الأسقع وحديثه عند الطبراني، وعقبة بن عامر الجهني وحديثه عند أبي سعيد بن يونس،ج ٦ ص ١٦٤فأحاديثهم خصت أحاديث التحريم على الإطلاق، وقال بعضهم حرام على النساء أيضا لعموم النهي.(و) عن (الديباج) بكسر الدال، فارسي معرب. وقال ابن الأثير الديباج الثياب المتخذة من الإبريسم، وقد يفتح داله ويجمع على ديابيج ودبابيج بالياء والباء؛ لأن أصله دباج.(و) عن (القسي) بفتح القاف وكسر السين المهملة المشددة. وقال ابن الأثير هو ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر نسبت إلى قرية على ساحل البحر قريبا من تنيس يقال لها القس ــ بفتح القاف ــ، وبعض أهل الحديث بكسرها، وقيل أصل القسي القزي ــ بالزاي ــ منسوب إلى القز، وهو ضرب من الإبريسم، وقيل هو رديء الحرير، فأبدل من الزاي سين، وقيل هو منسوب إلى القس، وهو الصقيع لبياضه.وقال العيني القس وتنيس وقز كانت مدنا على ساحل بحر دمياط غلب عليها البحر فاندثرت، وكانت تخرج منها ثياب مفتخرة، ويتاجر بها في البلاد.ثم القسي إن كان حريره أكثر من الكتان فالنهي عنه للتحريم وإلا فللكراهة، كذا قيل، والظاهر أنه إن كان تمامه بالحرير يحرم، وإن كان بالكتان لا يحرم.(و) عن (الإستبرق) بكسر الهمزة، ثخين الديباج على الأشهر، وقيل رقيقه. وقال النسفي في قوله تعالى ﴿يلبسون من سندس وإستبرق﴾ [الدخان ٥٣] السندس ما رق من الحرير والديباج، والاستبرق ما غلظ منه.ثم إن الحرير يتناول الثلاثة الأخيرة، وفائدة ذكرها بعده الاهتمام بحكمها، أو دفع وهم أن تخصيصها بأسماء لا ينافي دخولها تحت حكم العام، أو الإشعار بأن هذه الثلاثة غير الحرير نظرا إلى العرف، وكونها ذوات أسماء مختلفة مقتضيا لاختلاف مسمياتها.وسقط من هذا الحديث الخصلة السابعة وهي «ركوب المياثر» ــ بالمثلثة ــ، وقد ذكرها في «الأشربة» [خ¦٥٦٣٥]، و «اللباس» [خ¦٥٨٤٩] وهي جمع الميثرة، وهي وطاء يكون على السرج من حرير أو صوف

أو غيره، وقيل الميثرة جلود السباع.وقال النووي الميثرة ـ بكسر الميم ـ من الوثارة بالمثلثة، يقال هو وثير؛ أي لين، وهو وطاء كانت النساء تصنعه لأزواجهن على السروج، ويكون من الحرير والصوف وغيرهما.فإن قيل فهذا السابع إذا كان من غير الحرير مما يحل فما وجه النهي عنه؟فالجواب أن النهي عنه ليس للحرمة بل للكراهة، والنهي المذكور في الحديث أعم من أن يكون للحرمة، وأن يكون للكراهة، وكذا الأمر المذكور فيهج ٦ ص ١٦٥أعم من أن يكون للوجوب، وأن يكون للندب ففي بعض الأمور المذكورة للوجوب، وفي بعضها للندب كما عرفت.فإن قيل فعلى هذا يلزم استعمال اللفظ في معنييه الحقيقي والمجازي وذلك ممتنع.فالجواب أنه ليس ممتنعا عند الشافعي، وأما عند غيره فالمراد منه معنى مجازي أعم من الحقيقي والمجازي، وهذا المجاز هو المجاز الذي يسمى بعموم المجاز.فإن قيل كيف جوز الشافعي الجمع بينهما، وشرط المجاز أن يكون معه قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي.فالجواب أن المجاز عند الأصوليين أعم مما عند أهل المعاني، فكما جاز عندهم في الكناية إرادة المعنى الحقيقي [٢]، وإرادة غيره أيضا في استعمال واحد كذلك المجاز عنده، وحاصله أنه لا بد في المجاز من قرينة دالة على إرادة المعنى المجازي أعم من أن تكون صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي أو لا، كذا قال الكرماني، فليتأمل.فإن قيل إن بعض الأحكام المذكورة في الحديث عام للرجال والنساء كآنية الفضة، وبعضها خاص للرجال كحرمة خاتم الذهب، ولفظ الحديث يقتضي التساوي.فالجواب أن التفصيل علم من غير هذا الحديث كما سبق الإشارة إليه، فإن الأحاديث يفسر بعضها بعضا.____[١] بياض في الأصل.[٢] من قوله ((فالجواب أن. .. إلى قوله المعنى الحقيقي)) ليس في (خ).." (١)

"٥٠٩٦ – (حدثنا آدم) أي ابن أبي إياس، قال (حدثنا شعبة) أي ابن الحجاج (عن سليمان) أي ابن طرخان (التيمي) البصري، أنه (قال سمعت أبا عثمان) عبد الرحمن بن مل (النهدي) بفتح النون وسكون الهاء (عن أسامة بن زيد) رضي الله عنهما، زاد مسلم من طريق معتمر بن سليمان، عن أبيه مع أسامة سعيد بن زيد، وقد قال الترمذي لا نعلم أحدا قال فيه عن سعيد بن زيد غير معتمر بن سليمان.(عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه (قال ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) فالفتنة بهن أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ [آل عمران ١٤]، فجعل الأعيان التي ذكرها شهوات حين أوقع الشهوات أولا مبهمة، ثم بينها بالمذكورات، فعلم أن الأعيان المذكورة هي عين الشهوات، فكأنه قيل زين حب الشهوات التي هي النساء فجرد من النساء شيء يسمى شهوة، وهي نفس الشهوة، كأنه قيل هذه الأشياء خلقت للشهوة وللاستمتاع بها لا غير، لكن المقام يقتضي الذم، ولفظ الشهوة عند العارفين مسترذل، والتمتع بالشهوة نصيب البهائم.وبدأ بالنساء قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك، وأن المحنة بهن أعظم المحن. وقد أخبر الله عز وجل أن منهن لنا أعداء فقال ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ [التغابن ١٤]. وقد يقع في المشاهدة حب الرجل ولده من امرأته التي هي عنده أكثر من حبه ولده الذي فارق أمه بطلاق أو وفاة غالبا. وقد قال مجاهد في قوله تعالى ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ قال تحمل الرجل على قطيعة الرحمج ٢٢ ص ٢٩٥أو معصية ربه فلا يستطيع مع حبه إلا الطاعة.ويروى أن الله عز وجل لما خلق المرأة فرح

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري/١٩٥٧

الشيطان فرحا شديدا، وقال هذه حبالتي التي لا تكاد تخطئني من نصبتها له. وجاء في الحديث ((النساء حبائل الشيطان))، وروي ((استعيذوا من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر)). وروي أيضا ((أوثق سلاح إبليس النساء)). وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه في أثناء حديث ((واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)).وقد **قال بعض الحكماء** النساء شر كلهن، وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ومع أنهن ناقصات عقل ودين يحملن الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين، وحمله على التهالك على طلب الدنيا، وأي فساد أضر من ذلك.ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن الشؤم أشد فيهن، وقد أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.." (١)

"٦٤١٩ - (حدثني) بالإفراد، وفي رواية أبي ذر (٢) بالجمع (عبد السلام بن مطهر) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الهاء المفتوحة، ابن حسام أبو ظفر الأزدي البصري قال (حدثنا عمر بن علي) بضم العين وفتح الميم، ابن عطاء بن مقدم المقدمي، أبو حفص البصري (عن معن بن محمد) بفتح الميم وسكون العين المهملة وبالنون (الغفاري) بكسر الغين المعجمة وتخفيف الفاء، نسبة إلى غفار قبيلة منهم أبو ذر الغفاري، وعمر بن علي مدلس، وإنه أورده بالعنعنة لكن هذا الحديث أخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن رجل من بني غفار عن سعيد المقبري، وهذا الرجل المبهم هو معن بن محمد الغفاري فهي متابعة قوية لعمر بن علي.(عن سعيد بن أبي سعيد) ذكوان (المقبري) نسبة إلى مقبرة بالمدينة كان يسكن عندها، وسقط في رواية أبي ذر «المقبري» (عن أبي هريرة) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه (قال) كذا في رواية أبي ذر، وفي رواية غيره (٣) بفاء قبل القاف (أعذر الله) قد سبق تفسيره [خ¦٦٤١٨ قبل] (إلى امرئ أخر أجله) أي أطال حياته (حتى بلغه ستين سنة) أي لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله إلى طول هذه المدة ولم يعتذر، يقال أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العذر.وقال التوربشتي ومنه قولهم أعذر من أنذر؛ أي أتى بالعذر وأظهره، وهذا مجاز من القول فإن العذر لا يتوجه على الله، وإنما يتوجه له على العبيد، وحقيقة المعنى ــ كما مر ــ أن الله لم يترك له شيئاج ٢٧ ص ٦٧في الاعتذار يتمسك به.قال ابن بطال إنما كان الستون حدا لهذا؛ لأنها قريبة من معترك المنايا وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية فهذا إعذار بعد إعذار لطفا من الله تعالى بعباده حين نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة، وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية.وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل.**قال بعض الحكماء** الأسنان أربعة سن الطفولية ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة، وهو آخر الأسنان، وغالبا ما يكون بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط وجاءه نذير الموت، فهو وقت الإنابة إلى الله عز وجل، فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري/٧٥٣٨

(٢) حدثنا

(٣) فقال

والقوة.وقد استنبط منه بعض الشافعية أن من استكمل ستين سنة فلم يحج مع القدرة فإنه يكون مقصرا ويأثم إن مات قبل أن يحج بخلاف ما دون ذلك، وفيه كلام.وفي «تنبيه الغمر بمواسم العمر» لأبي الفرج ابن الجوزي أن الأسنان خمسةالأول من وقت الولاد إلى زمان البلوغ.والثاني إلى نهاية شبابه خمس وثلاثين.والثالث إلى تمام الخمسين وهو الكهولة قال، وقد يقال له كهل لما قبل ذلك.والرابع إلى تمام السبعين وذلك زمان الشيخوخة.والخامس إلى آخر العمر قال وقد يتقدم ما ذكرنا من الستين ويتأخر.والحديث من أفراده. وهذا الإسناد بعينه قد مضى في «كتاب الإيمان» بحديث آخر [خ¦٣٩].(تابعه) أي تابع معن بن محمد (أبو حازم) بالحاء المهملة والزاي، سلمة بن دينار (و) تابع معنا أيضا (ابن عجلان) محمد كلاهما (عن المقبري) أبي سعيد ذكوان عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ ((من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه في العمر)).أما متابعة أبي حازم فأخرجها النسائي وأحمد عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمنج ٢٧ ص ٦٨عن أبي حازم عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجها الإسماعيلي من طريق عبد العزيز بن أبي حازم حدثني أبي عن سعيد بن أبي سعيد المقبري.وأما متابعة محمد بن عجلان فأخرجها أحمد من رواية سعيد بن أبي أيوب عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجها الطبراني أيضا في «الأوسط» عن عبد الرزاق عن معمر عن منصور بن المعتمر عن محمد بن عجلان.." (١)

"هذا وقال محمود العيني: (جل منصب النبي صلى الله عليه وسلم وهو نبي الله وسيد خلقه أن يكون غير عالم بالروح، وكيف وقد من الله عليه بقوله: ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ [النساء: ١١٣]، وقد قال أكثر العلماء: ليس في الآية دليل على أن الروح لا تعلم، ولا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلمها والله أعلم).واختلف أيضا هل الروح والنفس واحد أم لا؟والأصح أنهما متغايران، فإن النفس الإنسانية هي الأمر الذي يشير إليه كل أحد بقوله: أنا، وأكثر الفلاسفة لم يفرقوا بينهما وقالوا: النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية ويسمونها الروح الحيوانية، وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة وبين البدن، **وقال بعض الحكماء**: النفس مجردة؛ أي: غير جسم ولا جسماني وتحقيقه في موضعه.(﴿وما أوتوا﴾) بصيغة الغائب (﴿من العلم إلا قليلا﴾ [الإسراء: ٨٥])؛ استثناء من العلم؛ أي: إلا علما قليلا أو من الإيتاء؛ أي: الإيتاء قليلا أو من الضمير؛ أي: إلا قليلا منهم.(قال الأعمش) سليمان بن مهران (هي كذا) وفي رواية: (٢)(في قراءتنا) أي: أوتوا بصيغة الغائب، وليست هذه القراءة في السبعة ولا في المشهور من غيرها، وقد أغفلها أبو عبيد في «كتاب القراءات» له من قراءة الأعمش وهي مخالفة لخط المصحف.وقال النووي: أكثر نسخ «الصحيحين»: «وما أوتوا»، وذكر مسلم: الاختلاف في هذه اللفظة عن الأعمش فرواه وكيع على القراءة المشهورة، ورواه عيسى بن يونس عنه: ﴿وما أوتوا﴾، وقال القاضي عياض:[ج ١ ص ٧١٣](اختلف المحدثون فيما وقع من ذلك، فذهب بعضهم إلى الإصلاح على الصواب، واحتج بأنه إنما قصد به الاستدلال، والاحتجاج على ما سبق من الترجمة ولا حجة إلا في الصحيح الثابت في المصحف)، وقال قوم: تترك على حالها وينبه عليها؛ لأن من البعيد خفاء

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري/٩٥٧٠

(٢) هكذا

ذلك على المؤلف ومن نقل عنه وهلم جرا، فلعلها قرئت شاذة، وهذا ليس بشيء؛ لأنه لا يحتج بها في حكم ولا يقرأ بها في صلاة.." (١)

"(قال) صلى الله عليه وسلم: (ويسمي حاجته) أي: في أثناء الدعاء عند ذكرها بالكناية عنها بقوله: «هذا الأمر».وفي الحديث: الاعتراف بأن العلم لله تعالى، وكذا[ج ٥ ص ٦٣٧]القدرة، وليس للعبد من ذلك شيء إلا ما خلق له، فكأنه قال: يا رب تقدر أنت قبل أن تخلق في القدرة ومع خلقها وبعد خلقها، وأنت القادر على الحقيقة في الأحوال كلها، وكذلك في العلم.وفيه أيضا: أنه يجب على المؤمن رد الأمور كلها إلى الله تعالى، وصرف أزمتها إليه، والتبري من الحول والقوة، وأن لا يروم شيئا من دقيق الأمور وجليلها حتى يسأل الله تعالى فيه أن يحمله على الخير، ويصرف عنه الشر إذعانا بالافتقار إليه في كل أمره، والتزاما لذلة العبودية له، وتبركا باتباع سنة سيد المرسلين في الاستخارة، قال الله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم﴾ [البقرة: ٢١٦].وفيه أيضا رد على القدرية الذين زعموا أن الله لا يخلق الشر، تعالى الله عما يفترون، فقد بان في هذا الحديث أن الله تعالى هو المالك للشر، والخالق له وهو المدعو لصرفه عن العبد، ولا يقدر العبد على اختراعه دون أن يقدر الله عليه.وفي «الجامع الصغير» برواية الترمذي والحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له)).وفي «الجامع» أيضا: ((ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد)). رواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس رضي الله عنه.**وقال بعض الحكماء**: من أعطي أربعا لم يمنع أربعا: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخير، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب.ثم الاستخارة المختصرة ما ورد في حديث: ((اللهم خر لي واختر لي ولا تكلني إلى اختياري)) أخرجه الترمذي في «الدعوات» عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أمرا قال: اللهم خر لي واختر لي)). وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث زنفل بن عبد الله، وهو ضعيف عند أهل الحديث.." (٢)

"وقال الفقيه أبو الليث: إذا دعيت إلى وليمة، فإن لم يكن ماله حراما ولم يكن فيها فسق فلا بأس بالإجابة، وإن كان ماله حراما فلا يجيب، وكذلك إذا كان فاسقا معلنا فلا يجيبه ليعلم أنك غير راض بفسقه.وإذا أتيت وليمة فيها منكر فانههم عن ذلك، فإن لم ينتهوا فارجع لأنك إن جالستهم ظنوا أنك راض بفعلهم، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من تشبه بقوم فهو منهم)).وقال بعضهم: إجابة الدعوة واجبة لا يسع تركها، واحتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من لم يجب الدعوة فقد عصى أبا القاسم)).وقالت عامة العلماء: ليست بواجبة ولكنها سنة، والأفضل أن يجيب إذا كانت وليمة يدعى فيها الغني والفقير، وإذا دعيت إلى وليمة وأنت صائم فأخبره بذلك، فإن قال: لا بد من الحضور فأجبه، فإذا دخلت المنزل فإن كان صومك تطوعا وتعلم أنه لا يشق عليه ذلك فلا تفطر،[ج ٦ ص

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري@ ط الكمال (١١٦٧)ص/٩٣٨

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري@ ط الكمال (١١٦٧)ص/٤٧٩٠

١٦١]وإن علمت أنه يشق عليه امتناعك من الطعام فإن شئت فأفطر واقض يوما مكانه، وإن شئت فلا تفطر والإفطار أفضل؛ لأن فيه إدخال السرور على المؤمن.**وقال بعض الحكماء:**من دعانا فأبينا ... فله الفضل عليناوإذا نحن أجبنا ... رجع الفضل إليناقيل: وإياك أن تمتنع بعد الإجابة من الحضور إلا بعذر ظاهر؛ لأن في الامتناع عن الإجابة جفاء، وفيه أيضا خلاف الوعد.وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلا أضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحبه، وكان فيهم رجل صائم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أجب أخاك وأفطر واقض يوما مكانه)).وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب، فإن كان مفطرا فليأكل، وإن كان صائما فليصل له؛ يعني: يدعو له بالبركة)).وروي عن عمر رضي الله عنه: أنه دعي إلى طعام فجلس ووضع الطعام فمد يده، فقال: خذوا بسم الله ثم قبض يده فقال: إني صائم، كذا في «بستان العارفين».." (١)

"ويروى: أن الله عز وجل لما خلق المرأة فرح الشيطان فرحا شديدا، وقال: هذه حبالتي التي لا تكاد تخطئني من نصبتها له. وجاء في الحديث: ((النساء حبائل الشيطان))، وروي: ((استعيذوا من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر)). وروي أيضا: ((أوثق سلاح إبليس النساء)). وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه في أثناء حديث: ((واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)).وقد **قال بعض الحكماء**: النساء شر كلهن، وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ومع أنهن ناقصات عقل ودين يحملن الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين، وحمله على التهالك على طلب الدنيا، وأي فساد أضر من ذلك.ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن الشؤم أشد فيهن، وقد أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.==================." (٢)

"**قال بعض الحكماء**: الأسنان أربعة: سن الطفولية ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة، وهو آخر الأسنان، وغالبا ما يكون بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط وجاءه نذير الموت، فهو وقت الإنابة إلى الله عز وجل، فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة.وقد استنبط منه بعض الشافعية أن من استكمل ستين سنة فلم يحج مع القدرة فإنه يكون مقصرا ويأثم إن مات قبل أن يحج بخلاف ما دون ذلك، وفيه كلام.وفي «تنبيه الغمر بمواسم العمر» لأبي الفرج ابن الجوزي أن الأسنان خمسة:الأول: من وقت الولاد إلى زمان البلوغ.والثاني: إلى نهاية شبابه خمس وثلاثين.والثالث: إلى تمام الخمسين وهو الكهولة قال، وقد يقال له كهل لما قبل ذلك.والرابع: إلى تمام السبعين وذلك زمان الشيخوخة.والخامس: إلى آخر العمر قال: وقد يتقدم ما ذكرنا من الستين ويتأخر.والحديث من أفراده. وهذا الإسناد بعينه قد مضى في «كتاب الإيمان» بحديث آخر [خ ¦ ٣٩].(تابعه) أي: تابع معن بن محمد (أبو حازم) بالحاء المهملة والزاي، سلمة بن دينار (و) تابع معنا أيضا (ابن عجلان) محمد كلاهما (عن المقبري) أبي سعيد ذكوان عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: ((من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه في العمر)).أما متابعة أبي حازم فأخرجها النسائي وأحمد عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن[ج ٢٧ ص ٦٨]عن أبي حازم عن سعيد

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري@ ط الكمال (١١٦٧)ص/٥٠٥٩

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري@ ط الكمال (١١٦٧)ص/١٨٠٩٨

عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجها الإسماعيلي من طريق عبد العزيز بن أبي حازم: حدثني أبي عن سعيد بن أبي سعيد المقبري.وأما متابعة محمد بن عجلان فأخرجها أحمد من رواية سعيد بن أبي أيوب عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجها الطبراني أيضا في «الأوسط» عن عبد الرزاق عن معمر عن منصور بن المعتمر عن محمد بن عجلان.==================." (١)

"ذكر أخلاق أهل مصروطبايعهم وأمزجتهمعلى سبيل الاختصارأعلم أن طبائع أهل مصر وأخلاقهم فبعضها شيهها ببعض، لأن قوي النفس تابعة لمزاج البدن، فإن أبدانهم سخيفة سريعة التغيير قليلة الصبر والجلد، وكذلك أخلاقهم [ق ٢١ ب] تقلب عليهم الاستحالة والتنقل من شيء إلى شيء والدعة والجبن، القنوط والشح وقلة الصبر، والرغبة في العلم وسرعة الخوف وقلة الغيرة والحسد والكذب والسعى إلي السلطان وذم الناس. وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنية التي تكون من دناءة النفس وليس هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في أكثرهم ومنهم من خصه الله تعالى بالفضل وحسن الخلق وبرأة من الشرور. ومن أجل توليد أرض مصر الجن والشرور الدنيئة في النفس بأرض مصر لم تسكنها الأسد، وإذا دخلت ذلت ولم تتناسل ولذلك كلابها أقل جراءة من كلاب غيرها من سائر البلدان، وكذلك سائر ما فيها أضعف من نظيره في البلدان الأخر ما خلا ما كان منها في طبعه ملائمة لهذا الحال كالحمار والأرنب.**وقال بعض الحكماء** فمزاج أرض مصر حار رطب بالرطوبة الفضلية، وما قرب من الجنوب بأرض مصر كان أسخن وأقل عفنا، وأما ما كان منها في جهة الشمال ولا سيما من كان في شمال الفسطاط فإن طباعهم أغلظ واليه عليهم أغلب، وذلك أنهم يستعملون [ق ٢٢ أ] أغذية غليظة جدا ويشربون من الماء الردي، وأما ما كان بالأسكندرية وتنيس وأمثالها هذه فما قرب من البحر وسكون الحرارة والبرد عندهم وظهور الصبا فيهم، مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع هممهم، ولا يعرض لهم ما يعرض لغيرهم من غلظ الطبع والجمادية، واحاطة البحر بمدينة تنيس توجب غلبة الرطوبة عليها وما يسر أخلاق أهلها.وقال بعضهم: لما كانت أرض مصر وبجميع ما فيها سخيفة الأجسام سريعا إليها النفير والعفن وجب على الطبيب أن نختار من الأغذية والأدوية ما كان قريب العهد حديثا، لأن قوته بعد باقية عليه لم تتغير كل التغير، وأن يجعل علاجه ملائما لما عليه الأبدان بأرض مصر ويجتهد في أن يجعل ذلك إلى الجهة المضاد أميل وتجنب الأدوية القوية الأسهال وكل ما له قوة مفرطة فإن نكاية هذه الأبدان سريعة لا سيما وأبدان المصريين سريعة الوقوع في النكايات.." (٢)

"**وقال بعض الحكماء**: أن منطقة الجوزاء تسامت رؤوس أهل مصر، فلذلك يتحدثون بالأشياء قبل كونها، ويخبرون بما يكون، وينذرون بالأمور المستقبلة، ولهم في هذا الباب أخبار مشهورة.وقال جامع السيرة الناصرية: كنت مع الأمير علم الدين الخازن في العربية، وقد خرج إليها كاشفا. فلما صليت أنا وهو صلاة الجمعة وعدنا إلي البيت، قدم بعض غلمانه من القاهرة فأخبرنا أنه أشيع بأن فتنة كانت بمكة قتل فيها جماعة من الأجناد، وقتل بها أمير الدمر أمير جندار.فقال له الأمير علم الدين: هل حضر أحد من الحجاز بهذا الخبر؟.قال: لا. فقال: ويحك، الناس ما تحضر من منى إلي مكة إلا بعد ثلاثة

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري@ ط الكمال (١١٦٧)ص/٢٢١١٢

(٢) نزهة الأمم في العجائب والحكم @ ط مدبولي (٩٣٠)ص/٣٣

أيام من عيد النحر، فكيف صنفتهم هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل؟.فقال: قد استفيض ذلك بين الناس، وكان الأمر كما أشيع.وذكر الشيخ شهاب الدين المقريزى رحمه نظير [ق ٢٣ ب] ذلك قال: كنت في شهر رمضان سنة إحدي وتسعين وسبعمائة مارا بين القصرين بالقاهرة بعد العتمة (١) فإذا العامة تتحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك (٢) واجتمع عليه الناس فضبطت ذلك، فكان اليوم الذي خرج فيه من السجن، ومن هذا الباب في الأتفاقيات شيء كثير وغير ذلك.ومن أخلاق أهل مصر قلة الغيرة، وكفاك ما قصه الله تعالي من خبر يوسف عليه السلام ومراودة امرأة العزيز له عن نفسه، وشهد شاهد من أهلها عليها بما بين لزوجها منها السوء، فلم يعاقبها علي ذلك سوي بقوله (استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين).وحكى الأمير ناصر الدين محمد بن محمد الغرابيلي الكركي عن نفسه أنه منذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في أخلاقه، وترخصا لأهله ولينا ورقة طبع من قلة الغيرة، ومما لم نزل نسمعه دائما بين الناس أن شرب ماء النيل ينسي الغريب وطنه.ومن أخلاق أهل مصر الأعراض عن النظر في العواقب فلا تجزهم يدخرون عندهم رادا______________________(١) وردت فى الأصل «العشاء».(٢) بفتح أوله وثانيه وكاف أخرى كلمة عجيبة اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم والبيت المقدس، وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض.." (١)

"قال يزيد بن أبي حبيب: أن نساء القبط على ذلك [ق ٤٣] إلى اليوم أتباعا لمن مضى منهم، لا يبيع أحدهم ولا يشترى إلا قال استأمر امرأتي حتي بلغ صبي من أكابرهم وأشرافهم، يقال له دركون بن بلوطس فملكوه عليهم.فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحوا من أربعمائة سنة. وكلما انهدم من ذلك البربا شيء من الذى فيه الصور، لم يقدر أحد على إصلاحه إلا تلك العجوز وولدها وولد ولدها، وكانوا أهل بيت لا يعرفون ذلك غيرهم، فانقطع أهل ذلك البيت، وانهدم من البربا موضع في زمان لقاس بن مرنيوس فلم يقدر أحد علي إصلاحه ومعرفة علمه وبقى على حاله وانقطع ما كتانوا يقهرون به الناس.فلما قدم بختنصر بيت المقدس وظهر علي بنى إسرائيل وسباهم، وخرج [بهم] من أرض بابل، قصد مصر وخرب مدائنها وقراها، وسبي جميع أهلها ولم يترك بها شيئا حتى بقيت مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها مساكن ويجري نيلها ويذهب لا ينتفع، ثم رد أهل مصر إليها بعد أربعين نسة فعمروها.**وقال بعض الحكماء**: رأيت البرابي وأخذت أتأملها فوجدتها مشتملة على جميع أشكال الفلك والذى ظهر أنه لم [ق ٤٤ أ] يعملها حكيم واحد ولا ملك واحد، بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور كامل وكانوا يجعلون الكتاب حفرا نقرا في الصخور ونقشا في الحجارة وحلقته مركبة في البنيان يريدون بذلك تخليد ذكرهم.وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلي باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المقشر وعلى الأبلق المفرد وعلى باب الرها فكانوا يعمدون إلى الأماكن المشهورة والمواضع المذكورة فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس.قال المسعودى: وأتخذت دلوكة بمصر البرابي والصور، وأحكمت آلات السحر، وجعلت في البرابي صور من يرد من كل ناحية ودوابهم أبلا كانت أو خيلا، وصورت فيها من يرد من البحر من المراكب من بحر الغرب والشرق وجمعت فى هذا البرابي العظيمة المشيدة البنيان أسرار

---

(١) نزهة الأمم في العجائب والحكم @ ط مدبولي (٩٣٠)ص/٣٥

الطبيعة وخواص الأحجار وجعلت ذلك فى أوقات فلكية، وأيضا لأنها بالمؤثرات العلوية فكانوا إذا أورد إليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التى في البربا من الإبل." (١)

"الخامس: بعد مبدأ خروجه من مصبه إلى البحر الملح وقد تقدم من طول مسافته ما لا نجده فى نهر غيره.السادس: انحداره من علو، فإن الجنوب مرتفع على الشمال لا سيما وإذا صار إلى الجنادل انحط من أعلى جبل مرتفع إلى وادى مصر.وذكر ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث جرير بن عبد الله البجلى (١) حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منزله ببلنسة فذكره إلى أن قال: وماؤنا [ق ٨٤ ب] يمتنع أن يجرى من علو، فقال النبى صلى الله عليه وسلم «خير الماء السنم» (٢) أى ما كان ظاهرا على الأرض.وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى (ومزاجه من تسنيم]) (٣) أى يمزج بما ينزل من علو لمصر.السابع: أنه يمر من الجنوب إلى الشمال فتستقبله ريح الشمال الطيبة دائما.الثامن: خفته فى الوزن، وقد اعتبر ذلك غير مرة مع غيره من المياه فخف عنها فى الوزن.التاسع: عذوبة طعمه وحسن أثره فى هضم الغذاء، واحداره عن المعدة بحيث أنه يحدث بعد شربه جشاء.وهذه صفات ممن قد مارس العلم الطبيعى وعرف الطب، فإنه يعظم عنده قدر ماء النيل وتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه.ويقال أن ذا القرنين كتب كتابا فيه ذكر ما شاهده من عجائب الدنيا، فضمنه كل عجيبة، ثم قال فى آخره: وليس ذلك يعجب ولكن [٨٥ أ] العجب نيل مصر.**وقال بعض الحكماء**: لو لا ما جعل الله فى نيل مصر من حكمه الزيادة فى زمن الصيف_______________(١) سبق التحدث عنه.(٢) ورد فى صحيح البخارى وسنن ابن ماجه والترمذى.(٣) ٢٧ ك المطففين ٨٣.." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٥٥ """"""ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم . . . حكاية : قال بعض الصالحين رأيت في المنام رجلا يطلب غزالة وخلفه أسد فقتله قبل لمن يلحق الغزالة وهكذا إلى تمام المائة وكلما قتل الأسد واحدا وقفت الغزالة عند رأسه فتعجب من ذلك فقال الأسد لا تعجب أنا ملك الموت والغزالة هي الدنيا وهؤلاء طلابها أقتلهم واحدا بعد واحد فإن قيل كيف أمطر الله على أيوب جرادا من ذهب قيل جعله الله عوضا من الدود فالجراد نعمة للطائع وعقوبة للعاصي لأنه مخلوق من الذنوب وذلك أن المريض تلقى ذنوبه في البحر فيخلق الله منها التمساح فإذا مات صار دودا ثم جرادا بإذن الله تعالى . . . موعظة : ذكر العلائي في سورة النحل أن إبليس يعرض الدنيا على من يريدها كل يوم فيقول من يشتري شيئا يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فيقول عشاقها وأصحابها نحن فيقول إنها معيوبة فيقولون لا بأس فيقول ثمنها ليس بالدرهم ولا بالدينار ولكن بنصيبكم من الجنة فإن اشتريتها بأربعة أشياء بلعنة الله وغضبه وسخطه وعذابة وبعت الجنة بها فيقولون نعم فيبيعهم إياها على ذلك ثم يقول بئست التجارة ورأيت في سفينة الأبرار أن الله تعالى خلق الدارين ونصب لهما دلالين فدلال الجنة محمد (صلى الله عليه وسلم) وبائعها المولى وثمنها التوحيد وبذل المال والنفس ودلال الدنيا إبليس ومشتريها الراغبون وثمنها ترك الدنيا **وقال بعض الحكماء الدنيا** ميراث المغرورين ومسكن البطالين وسوق الراغبين وميدان الفاسقين ومراح الكافرين وسجن المؤمنين ومزبلة المتين زاد مؤلفه ومزرعة للعالمين . . .

---

(١) نزهة الأمم في العجائب والحكم @ ط مدبولي (٩٣٠)ص/٥٨

(٢) نزهة الأمم في العجائب والحكم @ ط مدبولي (٩٣٠)ص/١٠٣

لطيفة : لما مر سليمان بوادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وإنما قالت ذلك خوفا على قلوبهم أن تميل إلى الدنيا فلما سلم عليها سليمان قالت وعليك السلام أيها الفاني المشتغل بملكك فأنت تظن يا سليمان أن ذلك أمرا ونهيا فأنا نملة ضعيفة لي أربعون ألف مقدم تحت يد كل مقدم أربعون صنفا من النمل كل صنف من المشرق والمغرب فقال كيف تلبسون السواد قالت لأن الدنيا دار مصيبة ولباس أهل المصائب السواد قال فما هذا الحز الذي في وسطك قالت هذه منطقة الخدمة للعبودية قال فما بالكم تبعدون عن الخلق قالت لأنهم في غفلة فالبعد عنهم أولى قال فما بالكم عراة قالت هكذا ولدنا إلى الدنيا وهكذا نخرج منها قال فكم تأكلين قالت حبة أو حبتين قال ولم قالت لأنا على سفر والمسافر كلما خف حمله خف ظهره قال اطلبي مني حاجة قالت أنت عاجز والطلب منك غير جائز قال لابد من الطلب قالت زد في رزقي وفي عمري قال اطلبي شيئا يكون في يدي قالت إن الله يقضي حوائج المحتاجين قال ما اسمك قالت منذرة أنذر أصحابي من الدنيا الساحرة وأرغبهم في الآخرة وفي رواية اسمها طاحية وفي رواية أخرى حرمن ثم قالت يا سليمان ما أفخر ما أوتيت في ملكك قال الخاتم لأنه من الجنة قالت تعلم معناه يعني الذي أعطيناك من الدنيا في يدك بقدر فص الخاتم ثم قالت على غير هذا قال نعم بساط من الجنة على ظهر الريح قالت هذا تنبيه على أن جميع ما معك كمثل الريح اليوم وغدا." (١)

" صفحة رقم ٥٨٢ صفات : الأحد المسلوب عنه النظير ، وقال في الشرح المذكور : الواحد هو الذي لا يتجزى ولا يتثنى ، أما الذي لا يتجزى فكالجوهر الواحد الذي لا نقسم فقال : إنه واحد – بمعنى أنه لا جزء له ، ولذلك النقطة لا جزء لها ، والله تعالى واحد – بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته ، وأما الذي لا يتثنى فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلا فإنها وإن كانت قابلة للانقسام بالوهم متحيزة في ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهي لا نظير لها إلا أنه يمكان أن يكون لها نظير ، وليس في الوجود موجود يتفرد بخصوص وجوده تفردا لا يتصور أن يشاركه فيه غيره أصلا إلا الواحد المطلق أزلا وأبدا ، والعبد إنما يكون واحدا إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظير في خصلة من خصال الخير ، وذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه وبالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يكون في وقت آخر مثله ، وبالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع ، فلا وحدة على الإطلاق إلا لله تعالى ، وقال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه الملل والنحل : واختلفوا في الواحد أهو من العدد أم هو مبدأ العدد وليس داخلا في العدد ، وهذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد ، فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد ، فإن الاثنين لا معنى له إلا واحد ، تكرر أول تكرير ، وكذا الثلاثة والأربعة ، ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد ، أي هو علته ولا يدخل في العد أي لا يتركب منه العدد ، وقد تلازم الواحدية جميع الأعداد لا على أن العدد تركب منها بل وكل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد يقال : إنسان واحد ، وشخص واحد ، وفي العدد كذلك فإن الثلاثة في أنها ثلاثة واحدة ، فالواحدة بالمعنى الأول داخلة في العدد ، وبالمعنى الثاني علة العدد ، وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد ، وليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على البارئ تعالى معناه : فهو واحد لا كالأحاد أي هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويتسحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة – انتهى ،

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس @ط المحبة الصفوري ٢/٢٥٥

وهو واحد أيضا بنفسه لا بالنسبة إلى ثان بوجه من الوجوه ، وقال بعضهم : الواحد يدل على الأزلية والأولية ، لأن الواحد في الأعداد ركنها وإظهار مبدئها ، والأحد يدل على بينونته من خلقه في جميع صفاته ونفي أبواب الشرك عنه ، فالأحد بني لنفي ما ذكر معه من العدد ، والواحد اسم لمفتتح العدد ، وقال الإمام بأو حاتم محمد بن مهران الرازي في كتابه الزينة ، قال بعض الحكماء : إنما قيل له سبحانه (واحد) لأنه عز وجل لم يزل قبل الخلائق متوحدا بالأزل لا ثاني معه ولا خلق ، ثم أبدع الحق ، فكان الخلق كله مع احتياجه إليه سبحانه محتاجا بعضه إلى بعض ممسكا بعضه بعضا متعاديا ومتضادا ومتشاكلا ومزدوجا ومتصلا ومنفصلا ، واستغنى عز وجل عن الخلائق فلم يحتج إلى." (١)

"وأن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك كان الأكمل في الوحدة الذي لا يمكن أن يكون شيء آخر أقوى منه فيها ، وإلا لم يكن بالغا أقصى المرام ، والأحد جامع لذلك دال على الواحدية من جميع الوجوه ، وأنه لا كثرة هناك أصلا ، لا معنوية من المقومات من الأجناس والفصول ولا بالأجزاء العقلية كالمادة والصورة ، ولا حسية بقوة ولا فعل كما في الأجسام ، وذلك لكونه سبحانه منزها عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والأبعاض والأعضاء والأشكال والألوان وسائر وجوه التثنية التي تثلم الوحدة الكاملة الحقة اللائقة بكرم وجهه وعز جلاله أن يشبهه شيء أو يساويه لأن كل ما كانت هويته إنما تحصل من اجتماع أجزاء كانت هويته موقوفة على حصول تلك الأجزاء ، فلا يكون هو هو لذاته بل لغيره ، فلذا كان منزها عن الكثرة بكل اعتبار ، ومتصفا بالوحدة من كل الوجوه ، فقد بلغ هذا النظم من البيان أعظم شأن ، فسبحان من أنزل هذا الكلام ما أعظم شأنه وأقهر سلطانه ، فهو منتهى الحاجات ، ومن عنده نيل الطلبات ، ولا يبلغ أدنى ما استأثره من الجلال والعظم والبهج أقصى نعوت الناعتين وأعظم وصف الواصفين ، بل القدر الممكن منه الممتنع أزيد منه هو الذي ذكره في كتابه العزيز ، وأودعه وحيه المقدس الحكيم ، وبالكلام على معناه ومعنى الواحد تحقق ما تقدم ، قال الإمام أبو العبا الإقليشي في شرح الأسماء : فمن أهل اللسان من ساوى بينهما جعلهما مترادفين ، فمنهم من قال : أصل أحد واحد سقطت منه الألف ثم أبدلت الهمزة من الواو المفتوحة ، ومنهم من قال : ليس أصله واحد وإن كانا بمعنى واحد ، بل أصله وحد - من الوحدة - يحد فهو وحد - مثل حسن يحسن فهو حسن - من الحسن ، أبدلت الواو همزة ، وأما من فرق بينهما فمنهم من قال : أحد اسم على حياله لا إبدال فيه ولا تغيير ، ومنهم من قال : أصله وحد ، أبدلت الواو همزة - انتهى ، وقد استخلصت الكلام على الاسمين الشريفين من عدة شروح للأسماء الحسنى وغيرها منها شرح الفخر الرازي والفخر الحرالي وغيرهما ، قالوا : الواحد الذي لا كثرة فيه بوجه لا بقسمة ولا بغيرها مع اتصافه بالعظمة ليخرج الجوهر الفرد وهو أيضا الذي لا يتثنى ، أي لا ضد له ولا شبيه ، فهو سبحانه واحد بالمعنيين على الإطلاق لا بالنظر على حال ولا شيء ، قال الإمام أبو العباس الاقليشي في شرح الأسماء : هذه حقيقة الوحدة عند المحققين ، فلا يصح أن يوصف شيء مركب بها إلا مجازا ، كما تقول : رجل واحد ، ودرهم واحد ، وإنما يوصف بها حقيقة ما لا جزء له كالجوهر الفرد عند الأشعرية غير أنك إذا نظرت فوجدت وجوده من غيره علمت أن استحقاقه لهذا الوصف ليس كاستحقاق موجده له ، وهو أيضا إنما يوصف به لحقارته ، وموجده سبحانه موصوف به مع الاتصاف بالعظمة ، فاتصافه

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور @ط العلمية برهان الدين البقاعي ٥٨٢/٨

بالوحدة على الإطلاق ، واتصاف الجوهر بالنظر إلى عدم التركب من الجسم مع أن صحة اتصافه بأنه جزء يزيل عنه حقيقة ذلك ، والوحدة أيضا بالنظر إلى المعنى الثاني وهو ما لا نظير له لا تصح بالحقيقة إلا له سبحانه ، وكل ما نوعيته في شخصيته كالعرش والكرسي والشمس والقمر يصح أن يقدر لها نظائر ، وله معنى ثالث وهو التوحد بالفعل والإيجاد ، فيفعل كل ما يريد من غير توقف على شيء ، والفرق بين هذا الوجه والذي قبله أن الأول ناظر إلى نفي إله ثان ، وهذا ناف لمعين ووزير ، وكلاهما وصف ذاتي سلبي ، والحاصل أن النظر الصحيح دل على أن لنا موجدا واحدا بمعنى أنه لا يصح أن يلحقه نقص القسمة بوجه من الوجوه وبمعنى أنه معدوم النظير بكل اعتبار ، وبمعنى أنه مستبد بالفعل مستقل بالإيجاد ومتوحد بالنصع متفرد بالتدبير ، قضى بهذا شاهد العقل المعصوم من ظلمة الهوى وكثافة الطبع ، وورد به قواطع النقل ونواطق السمع ، ولهذا كان من أعظم الحق دعاؤه سبحانه لجميع الخلق ، وكانت دعوة رسوله الخاتم A للخلق كافة ، وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في آخر شرحه للأسماء في بيان رد الأسماء الكثيرة إلى ذات واحدة وسبع صفات : الأحد المسلوب عنه النظير ، وقال في الشرح المذكور : الواحد هو الذي لا يتجرى ولا يتثنى ، أما الذي لا يتجزى فكالجوهر الواحد الذي لا ينقسم فقال : إنه واحد – بمعنى أنه لا جزء له ، ولذلك النقطة لا جزء لها ، والله تعالى واحد – بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته ، وأما الذي لا يتثنى فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلا فإنها وإن كانت قابلة للانقسام بالوهم متحيزة في ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهي لا نظير لها إلا أنه يمكن أن يكون لها نظير ، وليس في الوجود موجود يتفرد بخصوص وجوده تفردا لا يتصور أن يشاركه فيه غيره أصلا إلا الواحد المطلق أزلا وأبدا ، والعبد إنما يكون واحدا إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظير في خصلة من خصال الخير ، وذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه وبالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يكون في وقت آخر مثله ، وبالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع ، فلا وحدة على الإطلاق إلا لله تعالى ، وقال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه الملل والنحل : واختلفوا في الواحد أهو من العدد أم هو مبدأ العدد وليس داخلا في العدد ، وهذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد ، فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد ، فإن الاثنين لا معنى له إلا واحد ، تكرر أول تكرير ، وكذا الثلاثة والأربعة ، ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد ، أي هو علته ولا يدخل في العد أي لا يتركب منه العدد ، وقد تلازم الواحدية جميع الأعداد لا على أن العدد تركب منها بل وكل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد يقال : إنسان واحد ، وشخص واحد ، وفي العدد كذلك فإن الثلاثة في أنها ثلاثة واحدة ، فالواحدة بالمعنى الأول داخلة في العدد ، وبالمعنى الثاني علة العدد ، وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد ، وليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على البارىء تعالى معناه : فهو واحد لا كالأحاد أي هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة – انتهى ، وهو واحد أيضا بنفسه لا بالنسبة إلى ثان بوجه من الوجوه ، وقال بعضهم : الواحد يدل على الأزلية والأولية ، لأن الواحد في الأعداد ركنها وإظهار مبدئها ، والأحد يدل على بينونته من خلقه في جميع صفاته ونفي أبواب الشرك عنه ، فالأحد بني لنفي ما ذكر معه من العدد ، والواحد اسم لمفتتح العدد ، وقال الإمام أبو حاتم محمد بن مهران الرازي في كتابه الزينة ، قال بعض الحكماء : إنما قيل له سبحانه « واحد » لأنه D لم يزل قبل الخلائق متوحدا بالأزل لا ثاني معه ولا خلق ، ثم أبدع الحق ، فكان الخلق كله مع احتياجه إليه سبحانه

محتاجا بعضه إلى بعض ممسكا بعضه بعضا متعاديا ومتضادا ومتشاكلا ومزدوجا ومتصلا ومنفصلا ، واستغنى D عن الخلائق فلم يحتج إلى شيء فيكون ذلك الشيء مقرونا به لحاجته إليه ولا ناواه شيء فيكون ذلك الشيء ضدا له نصرا به ، فيكون ذلك الضد والقرين له ثانيا ، بل توحد بالغنى عن جميع خلقه لأنه كان قبل كل شيء ، والأولية دلت على الوحدانية ، فالواحد اسم يدل على نظام واحد يعلم باسمه أنه واحد ليس قبله شيء .:" (١)

""""""""" صفحة رقم ١٤٤ """""""فيصير ولها ، ويسمى ذو الوله مدلها ، ومستهاما ، ومستهترا ، وحيران ؛ ثم بعدها التتيم فيدعى متيما ، والتتيم نهاية الهوى ، وآخر العشق ؛ ومن التتيم يكون الداء الدوي ، والجنون الشاغل .وقال بعض الحكماء : أول الحب العلاقة وهو شيء يحدثه النظر أو السمع فيخطر للبال ، ويعرض للفكر ، ويرتاح له القلب ، ثم ينمى بالطمع ، واللجاج ، وإدمان الذكر ، ثم يقوى فيصير حبا ، ثم يصير هوى ، ثم يصير خلة ، ثم عشقا ، ثم ولها ، فيسمى صاحبه مدلها ، ومستهاما ، وهائما ، وحيران ، ثم يصير متيما ، وهو أرفع منازل الحب ، لأن التتيم التعبد ؛ والوجد ألم الحب ، والهيمان الذهاب في طلب غرض لا غاية له ؛ والكلف والشغف اللهج بطلب الغرض .وقال الفراء : اللوعة ، وحرقة القلب من الحب . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : العلاقة الحب اللازم للقلب ؛ والجوى الهوى الباطن ؛ واللوعة حرقة الهوى ؛ واللاعج الهوى المحرق ؛ والشغف أن يبلغ الحب شغاف القلب وهو جلد دونه ؛ والتتيم أن يستعبده الهوى ؛ والتبل أن يسقمه الهوى ، يقال : رجل متبول ؛ والتدليه ، ذهاب العقل من الهوى ، يقال : رجل مدله ؛ والهيوم أن يذهب على وجهه ؛ والشغف إحراق القلب مع لذة يجدها وهو شبيه باللوعة .وقال أبو عبد الله بن عرفة : الإرادة قبل المحبة ، ثم المحبة ، ثم الهوى ، ثم العشق .وقال ابن دريد : الصبابة رقة الهوى . واشتقاق الحب من أحب البعير ، إذا برك من الإعياء .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٦١ """""""وقال العباس :لا عار في الحب إن الحب ؛ مكرمة . . . لكنه ربما أزرى بذي الخطروأما القسم المذموم منه ، وهو الذي ثنينا بذكره في صدر هذا الفصل فقد أكثر الناس القول في ذمه ، وبينوا أسبابه .فقال ابن الجوزي : بيان ذمه أن الشيء إنما يعرف مذموما أو ممدوحا بتأمل ذاته وفوائده وعواقبه ، وذات العشق لهج بصورة ، وهذا ليس فيه فضيلة فتمدح ، ولا فائدة في العشق للنفس الناطقة ، إنما هو أثر غلبة النفس الشهوانية .وقال بعض الحكماء : ليس العشق من أدواء الحصفاء الحكماء ، إنما هو من أمراض الخلعاء الذين جعلوا دأبهم ولهجهم متابعة النفس وإرخاء عنان الشهوة وإمراح النظر في المستحسنات من الصور . فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس ، ثم تألف ، ثم تتوق ، ثم تلهج ، فيقال " عشق " . وليس هذا من صفة الحكماء : لأن الحكيم من استطال رأيه على هواه ، وتسلطت حكمته على شهوته . فرعونات طبعه مقيدة أبدا كصبي بين يدي معلمه أو عبد بمرأى سيده ؛ وما كان العشق قط إلا لأرعن بطال . وقل أن يكون لمشغول بصناعة أو بتجارة ، فكيف لمشغول بالعلوم والحكم ، فإنها تصرفه عن ذلك

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور@ موقع التفاسير برهان الدين البقاعي ٥٠/١٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ١٤٤/٢

. ولهذا لا تكاد تجده في الحكماء .وقال ابن عقيل : العشق مرض يعتري النفوس العاطلة ، والقلوب الفارغة المتلمحة للصور لدواع من النفس ، ويساعدها إدمان المخالطة ، فيتأكد الإلف ويتمكن الأنس ، فيصير بالإدمان شغفا . وما عشق قط إلا فارغ . فهو من علل البطالين وأمراض." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٩٣ """"""وسلبن تاجي ملك قيصر بالقنا . . . واجترن باب الدرب لابن الأصفركم قد ولدنا من كريم ماجد . . . دامي الأظافر أو ربيع ممطرخلقت أنامله لقائم مرهف . . . ولبذل مكرمة وذروة منبريلقي الرماح بوجهه وبصدره . . . ويقيم هامته مقام المغفرويقول للطرف اصطبر لشبا القنا . . . فهدمت ركن المجد إن لم تصبرواإذا تأمل شخص ضيف مقبل . . . متسربل سربال ثوب أغبرأوما إلى الكوماء هذا طارق . . . نحرتني الأعداء إذ لم تنحرذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرامحقيقة الجود بذل المال ، قال الله عز وجل : " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " وقال تعالى : " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما " وقال (صلى الله عليه وسلم) : " تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله عز وجل آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر " وقال (صلى الله عليه وسلم) : " الجود من جود الله تعالى فجودوا يجود الله عليكم " . " ألا أن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدلية في الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة " . " ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة " . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس في الدنيا الأسخياء . **وقال بعض الحكماء** : الجواد من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره . وقيل لعمرو بن عبيد : ما الكرم ؟ فقال : أن تكون بمالك متبرعا ، وعن مال غيرك متورعا . ويقال : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجود وإيثار ، فالسخاء إعطاء الأقل وإمساك الأكثر ، والجود إعطاء الأكثر." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٠٨ """"""وقال حبيب الطائي :لئن حجدتك ما أوليت من كرم . . . إني لفي اللؤم أمضي منك في الكرمأنسى ابتسامك والألوان كاسفة . . . تبسم الصبح في داج من الظلمرددت رونق وجهي في صفيحته . . . رد الصقال صفاء الصارم الخذموما أبالي وخير القول أصدقه . . . حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دميذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقداموروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده ، إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية " .وقالوا : حد الشجاعة سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة .وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : جبلة نفس أبية ، قيل له : فما النجدة ؟ قال : ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت ، حتى تحمد بفعلها دون خوف .وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة . وقال بعض أهل التجارب : الرجال ثلاثة : فارس ، وشجاع ، وبطل ، فالفارس : الذي يشد إذا شدوا ، والشجاع : الداعي إلى البراز والمجيب داعيه ، والبطل : الحامي لظهور القوم إذا ولوا .قال يعقوب بن السكيت في كتابالألفاظ : العرب تجعل الشجاعة في أربع طبقات ، تقول

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٢/١٦١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣/١٩٣

: رجل شجاع ، فإذا كان فوق ذلك ، قالوا : بطل ، فإذا كان فوق ذلك ، قالوا : بهمة ، فإذا كان فوق ذلك ، قالوا : اليس .**وقال بعض الحكماء** : جسم الحرب : الشجاعة ، وقلبها ، التدبير ، ولسانها : المكيدة ، وجناحها : الطاعة ، وقائدها : الرفق ، وسائقها : النصر .قالوا : لما ظفر المهلب بن أبي صفرة بالخوارج ، وجه كعب بن معدان إلى الحجاج ، فسأله عن بني المهلب ، فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، وجوادهم وشيخهم : قبيصة ، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك ، وعبد." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٠ """""""**وقال بعض الحكماء** : كل شيء يعز إذا قل ، والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأغلى ، ولو بيع ، لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله ، وأول شرف العقل أنه لا يشتري بالمال .قال أبو عطاء السندي :فإن العقل ليس له إذا ما . . . تذكرت الفضائل من كفاءوقالوا : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس بينهما حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا ، فإذا اجتمعا أجابت طوعا أو كرها .ذكر ما قيل في حد العقل وما هيته وما وصف بهوقد اختلف الحكماء ، في حد العقل ، فقيل : حده الوقوف عند مقادير الأشياء قولا وفعلا ، وقيل : النظر في العواقب ، وقال المتكلمون : هو اسم لعلوم إذا حصلت للإنسان صح تكليفه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهواته ، وقيل : هو من عقل نفسه عن المحارم ، وقال عمرو بن العاص : أن يعرف خير الخيرين ، وشر الشرين . قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال ، بأقوام جعلوهم أعلاما فيها ، فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة ، فقالوا : أحلم من الأحنف ، ومن قيس بن عاصم ، وأجود من حاتم ، ومن كعب بن مامة ، وأشجع من بسطام ، وأبي من سحبان ، وأرمي من ابن تقن ، وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا : أعقل من فلان ، فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد ، على حسب ما قال الأعرابي ، وقد قيل له : حد لا العقل ، فقال : كيف أحده ولم أره كاملا في أحد قط .وقيل لحكيم : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيته مجتمعا في أحد فأصفه ، وما لا يوجد كاملا فلا حد له .وقالوا : لكل شيء غاية وحده ، والعقل لا غاية له ولا حد ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٢ """""""وإن تكلم صدقه ، وإن أقام بين أظهر قوم اغتبطوا به ، وإن غاب عنهم أسفوا عليه ، وإن بسط يده قالوا : وإن قبضها قالوا : مقتصد ، وإن أشار قالوا : عالم ، وإن صام قالوا : مجتهد ، وإن أفطر قالوا : معذور .قال بعض الشعراء :يعد رفيع القوم من كان عاقلا . . . وإن لم يكن في قومه بحسيبوإن حل أرضا عاش فيها بعقله . . . وما عاقل في بلدة بغريب**وقال بعض الحكماء** : إذا غلب العقل الهوى ، صرف المساويء إلى المحاسن ، فجعل البلادة حلما ، والحدة ذكاء ، والمكر فطنة ، والهذر بلاغة ، والعي صمتا ، والعقوبة أدبا ، والجبن حذرا ، والإسراف جودا .وقيل : لو صور العقل ، لأضاء معه الليل ، ولو صور الجهل ، لأظلم معه النهار ، قال المتنبي :لولا العقول لكان أدنى ضيغم . . . أدنى إلى شرف من الإنسانوقد ندب إلى صحبة العقلاء :قال الزهري : إذا أنكرت عقلك ، فاقدحه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣/٢٠٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣/٢٢٠

بعاقل . قال ابن زرارة : جالس العقلاء أعداء كانوا أم أصدقاء ، فإن العقل يقع على العقل .قال بعض الشعراء :عدوك ذو العقل أبقى عليك . . . وأبقى من الوامق الأحمقوقال آخر :لله در العقل من راشد . . . وصاحب في اليسر والعسروحاكم يقضي على غائب . . . قضية الشاهد للأمروإن شيئا بعض أحواله . . . أن يفصل الخير من الشرله قوى قد خصه ربه . . . بخالص التقديس والطهروقال آخر :إذا لم يكن للمرء عقل فإنه . . . وإن ان ذا قدر على الناس هين وإن كان ذا عقل أجل لعقله . . . وأفضل عقل عقل من يتبين." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٢٤ """"""وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، بم يعرف المؤمن ؟ قال : بوقاره ، ولين كلامه ، وصدق حديثه . ومن كلام علي رضي الله عنه : " الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك ، على الكذب حيث ينفعك " .**وقال بعض الحكماء** : الصدق أزين حلية ، والمعروف أربح تجارة ، والشكر أدوم نعمة ، وقال بعضهم : رأيت أرسطاطليس في المنام ، فقلت : أي الكلام أحسن ؟ فقال : ما صدق قائله ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما استحسنه سامعه ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونهيق الحمار بمنزلة .وقال الأحنف لابنه : يا بني ، يكفيك من شرف الصدق ، أن الصادق يقبل قوله في عدوهن ومن دناءة الكذب ، أن الكاذب لا يقبل قوله في صديقه ولا عدوه ، لكل شيء حلية ، وحلية المنطق الصدق يدل على اعتدال وزن العقل .قال عامر بن الظرب العدواني في وصيته : إني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا ، من لزم الصدق وعوده لسانه ، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه إلا جاء على ظنه .وقالوا : ما السيف الصارم . في كف الشجاع ، بأعز من الصدق .وقيل : مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعجوز تبيع اللبن ، فقال لها : يا عجوز ، لا تغشي المسلمين ، ولا تشوبي لبنك بالماء ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم مر بها بعد ذل ، فقال يا عجوز ، ألم أعهد إليك أن لا تشوبي لبنك بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلت يا أمير المؤمنين ، فتكلمت بنت لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أماهن أغشا وحنثا جمعت على نفسك ؟ فسمعها عمر فأعجبته ، فقال لولده : أيكم يتزوجها ؟ فلعل الله أن يخرج منها نسمة طيبة ، فقال ابنه عاصم : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه ، فأولدها أم عاصم ، تزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر ابن عبد العزيز .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٣٢ """"""وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " القناعة مال لا ينفد " . وقال عليه السلام : " ما عال من افتصد " . ومن كلام علي رضي الله عنه : كفى بالقناعة ملكا ، وبحسن الخلق نعيما .وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .وقال علي بن موسى : القناعة تجمع إلى صيانة النفس ، وعز القدرة طرح مؤونة الاستكثار والتعبد لأهل الدنيا ، ولا ملك طريق القناعة إلا رجلان ، إما متقلل يريد أجر الآخرة ، أو كريم يتنزه عن آثام الدنيا .وقال الراضي : القانع يعيش آمنا مطمئنا مستريحا مريحا ، والشره لا يعيش إلا تعبا نصبا في خوف وأذى .**وقال بعض الحكماء** : عز النزاهة أحب إلي من فرح الفائدة ، والصبر على العسرة أحب إلي من احتمال المنة . وقال أبو ذؤيب الهذلي :والنفس

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣/٢٢٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣/٢٢٤

راغبة إذا رغبتها . . . وإذا ترد إلى قليل تقنعوقال سالم بن وامضة :غنى النفس ما يكفيك في سد فاقة . . . فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقراوقال أبو هلال العسكري :ألا إن القناعة خير مال . . . لذي كرم يروح بغير مالوإن يصبر فإن الصبر أولى . . . بمن عثرت به نوب اللياليتجمل إن بليت بسوء حال . . . فإن من التجمل حسن حالذكر ما قيل في الشكر والثناءقال الله تبارك وتعالى : " وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم " فالشكر مما يوجب الزيادة .وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا يزهدك في المعروف من لا يشكرك عليه ، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه ، وقد يدرك من شكر الشاكر ، أكثر مما أضاع الكافر ، " والله يحب المحسنين " .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٤٩ """"""هجوت محمدا فأجبت عنه . . . وعند الله في ذاك الجزاءأتهجوه ولست له بكفء . . . فشركما لخيركما الفداءلنا في كل يوم من معد . . . سباب أو قتال أو هجاءلساني صارم لا عيب فيه . . . وبحري لا تكدره الدلاءفإن أبي ووالدتي وعرضي . . . لعرض محمد منكم وقاءويستحق الهجاء من اتصف بسوء الخصال ، واتسم بأخلاق الأرذال والأنذال ، وجعل اللؤم جلبانه وشعاره ، والبخل وطاءه ودثاره ، وسأذكر جماع ما اتصفوا به من سوء الفعال ، وأسسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر ، واعتقاد الغدر ، وغيبة الأحرار ، وإساءة الجوار .وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه ، فتلكأ عليه وأبى أن يخبره فأقسم عليه فقال : حسود ، كنود ، حقود ، فقال عبد الملك : ما في إبليس شر من هذه الخلال ، فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشر بحذافيره ، ومرق من جميع خلال الخير ، وتأنق في ذم نفسه ، وتجرد في الدلالة على لؤم طبعه ، وأفرط في إقامة الحجة على كفره ، وخرج من الخلال الموجبة رضي ربه .قال أبو تمام :تأنست بذميم الفعل طلعته . . . تأنس المقلة الرمداء بالظلموعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " أربعة ، من كن فيه فهو منافق ، من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا أؤتمن خان " .وقالوا : اللئيم كذوب الوعد ، خؤون العهد ، قليل الرفد . وقالوا : اللئيم إذا استغنى بطر ، وإذا افتقر قنط ، وإذا قال أفحش ، وإذا سئل بخل ، وإن سأل ألح ، وإن أسدي إليه صنيع أخفاه ، وإناستكتم سرا أفشاه ، فصديقه منه على حذر ، وعدوه منه على غرر .وإن للشعراء والبلغاء في الذم والهجاء نظما ونثرا سنورد منه طرفا ، ونشرح ما يجل ضوء النهار على المقول فيه سدفا .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٧٢ """"""وقال رجل لعمرو بن عبيد : إن الأساوري لم يزل يذكرك ، ويقول : الضال ، فقال عمرو : يا هذا والله ما راعيت حق مجالسته ، حتى نقلت إلينا حديثه ، ولا راعيت حقي ، حين أبلغتني عن أخي ما أكرهه ، اعلم أن الموت يعمنا ، والبعث يحشرنا ، والقيامة تجمعنا ، والله يحكم بيننا .وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه ، فأنكره الأحنف : بلغني عنك الثقة ، فقال الأحنف : إن الثقة لا يبلغ .قال بعض الشعراء :لعمرك ما سب الأمير عدوه . . . ولكنما سب الأمير المبلغوقال ابن المعتز : الساعي كاذب لمن سعى إليه ، خائن لمن سعى عليه .وقالوا : النمام ، شر من الساحر ، فإن النمام ، يفسد في الساعة الواحدة ، ما لا يفسد الساحر في المدة الطويلة .وقالوا : النميمة ، من الخلال

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣/٢٣٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣/٢٤٩

الذميمة ، تدل على نفس سقيمة ، وطبيعة لئيمة ، مشغوفة بهتك الأستار ، وإفشاء الأسرار .وقال بعض الحكماء : الأشرار يتتبعون مساوئ الناس ، ويتركون محاسنهم ، كما يتتبع الذباب المواضع الألمة من الجسد ، ويترك الصحيحة .وقالوا : لم يمش ماش ، شر من واش . والساعي بالنميمة ، كشاهد الزور ، يهلك نفسه ، ومن سعى به ، ومن سعى إليه .وقالوا : حسبك من شر سماعه . وقد لهج الشعراء بذم النمام ، وجعلوه من أهاجيهم .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٧ """"""بعضهم عن بعض ، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، والفقراء باتخاذ الدجاج ، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إني لأبغض أهل البيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد ، وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بسط الله لك في الرزق فابسط ، وإذا قبض فاقبض ، وعبتموني حين قلت : إن فضل الغنى عن القوت ، إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت ، إن احتيج إليها استعملت ، وإن استغنى عنها كانت عدة ، وقد قال الحصين بن المنذر : وددت أن لي مثل أحد ذهبا لا أنتفع منه بشيء ، قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمني عليه ، لأن المال مخدوم ، وقال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى ، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك ، وذل في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيما ، والنفع عظيما ، ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتأدب الخلفاء ، وتعليم الحكماء ، لأصحاب الهوى ، فلستم علي تردون ، ولا رأيي تفندون ، فقدموا النظر قبل العزم ، وأدركوا ما عليكم من قبل أن تدركوا مالكم ، والسلام .ومن نوادر البخلاء ، قال رجل لبعض البخلاء : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟ قال : لأنك جيد المضغ سريع البلع ، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى ، قال : يا أخي أتريد إذا أكلت عندك أن أصلي ركعتين بين كل لقمتين ؟ وقال آخر لبخيل : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟ قال : لأنك تعلق ، وتشدق ، وتحدق ، أي تحمل واحدة في يدك ، وأخرى في شدقك ، وتنظر إلى الأخرى بعينك .وقال بعض البخلاء : أنا لا آكل إلا نصف الليل ، قيل له : ولم ؟ قال يبرد الماء ، وينقمع الذباب ، وآمن فجأة الداخل ، وصرخة السائل .وطبخ بعض البخلاء قدرا ، وجلس يأكل مع زوجته فقال : ما أطيب هذا الطعام لولا كثرة الزحام ، فقالت : وأي زحام وما ثم إلا أنا وأنت ؟ قال : كنت أحب أن أكون أنا والقدر .وقال بعض البخلاء لغلامه : هات الطعام ، وأغلق الباب ، فقال : يا مولاي ، ليس هذا بحزم ، وإنما أغلق الباب ، وأقدم الطعام ، فقال له : أنت حر لوجه الله .وعزم بعض إخوان أشعب عليه ليأكل عنده ، فقال : إني أخاف من ثقيل يأكل معنا فينغص لذتنا ، فقال : ليس عندي إلا ما تحب فمضى معه فبينما هما يأكلان ، إذا بالباب قد طرق ، فقال أشعب : ما أرانا إلا صرنا لما نكره ، فقال صاحب المنزل : إنه." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٣٣٠ """"""وقالوا : لو لم يكن من فضيلة الجهل ، غير الإقدام ، وورود الحمام ، إذ هما من الشجاعة والبسالة ، وسبب تحصيل المهابة والجلالة ، لكفاه ، قال أبو هلال العسكري : سألني بعض الأدباء أي الشعراء أشد حمقا ، قلت الذي يقول :أتيه على إنس البلاد وجنها . . . ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسيأتيه فلا أدري من التيه من أنا . . . سوى ما يقول الناس في وفي جنسيفإن صدقوا أني من الإنس مثلهم . . . فما في عيب غير أني من الإنسذكر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣/٢٧٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣/٢٩٧

ما قيل في الكذبقال الله عز وجل : " ويل لكل أفاك أثيم " . وقال : " إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون " . وقال في الكاذبين : " لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون " . وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار " . وقال (صلى الله عليه وسلم) : " الكذب مجانب الإيمان " . وقال (صلى الله عليه وسلم) : " ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان " . وقال (صلى الله عليه وسلم) : " لا يجوز الكذب في جد ولا هزل " . وقال : " لا يكون المؤمن كذابا " .وقالت الحكماء : ليس لكاذب مروءة .وقالوا : من عرف بالكذب لم يحسن صدقه .وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : خلف الوعد ثلث النفاق .**وقال بعض الحكماء** : الصدق منجيك وإن خفته ، والكذب مرديك وإن أمنته . قال عمرو بن العلاء القاريء : ساد عتبة بن ربيعة وكان مملقا ، وساد أبو جهل وكان حدثا ، وساد أبو سفيان وكان بخالا ، وساد عامر بن الطفيل وكان عاهرا ، وساد كليب بن وائل وكان ظلوما ، وساد عيينة وكان محمقا ، ولم يسد قط كذاب ، فصلح السؤدد مع الفقر والحداثة والبخل والعهر والظلم والحمق ، ولم يصلح مع الكذب ، لأن الكذب يعم الأخلاق كلها بالفساد .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٣١ """"""وقال يحيى بن خالد : رأيت شريب خمر نزع ولصا أقلع ، وصاحب فواحش رجع ، ولم أر كذابا رجع .ويقال : الكذب مفتاح كل كبيرة ، والخمر جماع كل شر .وقيل : لا تأمنن من يكذب لك أن يكذب عليك .وقيل : الكذب والنفاق والحسد أثافي الذل .وقال ابن عباس : حقيق على الله أن لا يرفع للكاذب درجة ، ولا يثبت له حجة ، وقال سليمان بن سعد : لو صحبني رجل وقال : لا تشترط علي إلا شرطا واحدا لقلت : لا تكذبني .وقال أبو حيان التوحيدي : الكذب شعار خلق ، ومورد رنق ، وأدب سيء ، وعادة فاحشة ، وقل من استرسل فيه إلا ألفه ، وقل من ألفه إلا أتلفه .وقال غيره : الكذب أوضع الرذائل خطة ، وأجمعها للمذمة والمحطة ، وأكبرها ذلا في الدنيا ، وأكثرها خزيا في الآخرة ، وهو من أعظم علامات النفاق ، وأقوى الدلائل على دناءة الأخلاق والأعراق ، لا يؤتمن حامله على حال ، ولا يصدق إذا قال .وقيل : لكل شيء آفة ، والكذب آفة النطق .وقال بعض الكرماء : لو لم أدع الكذب تأثما ، لتركته تكرما .وقال أرسطاطاليس : فضل الناطق على الأخرس بالنطق ، وزين النطق الصدق ، فإذا كان الناطق كاذبا ، فالأخرس خير منه .**وقال بعض الحكماء** لولده : يا بني إياك والكذب ، فإنه يزري بقائله ، وإن كان شريفا في أصله ، ويذله وإن كان عزيزا في أهله .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٤٢ """"""أهل المعاصي . قال : وكيف كان حبكم للدنيا ؟ قال : حب الصبي لأمه ، إذا أقبلت فرح بها ، وإذا أدبرت حزن وبكى عليها . قال : فما بال أصحابك لا يجيبونني ؟ قال : لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد . قال : فكيف أجبتني من بينهم ؟ قال : لأني كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم ، فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكب فيها . فقال المسيح للحواريين : " لأكل

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣٣٠/٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣٣١/٣

الخبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة .قيل : وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يا موسى لا تركنن إلى حب الدنيا فلن تأتني بكبيرة هي أشد منها .وقال لقمان لابنه : يا بني ، إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فبه ناس كثير ، فلتكن فيها سفينتك تقوى الله عز وجل ، وحشوها الإيمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله عز وجل ، لعلك تنجو وما أراك ناجيا .وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل بعدك ، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم ، فلا تهلك في أكلة ، وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة ، وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار .وقيل لبعضهم :كيف ترى الدهر ؟ قال : يخلق الأبدان ، ويجدد الآمال ، ويقرب المنية ، ويبعد الأمنية . قيل : فما حال أهله ؟ قال : من ظفر به تعب ، ومن فاته نصب . وفي ذلك قيل :ومن يحمد الدنيا لعيش يسره . . . فسوف لعمري عن قريب يلومهاإذا أدبرت كانت على المرء حسرة . . . وإن أقبلت كانت كثيرا همومها." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٤٣ """"""وقال بعض الحكماء :كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها ، فلا أسكن إليها ، فإن عيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل ، إما بنعمة زائلة ، أو بلية نازلة ، أو منية قاضية .وقال أبو حازم : إياكم والدنيا ، فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال : هذا عظم ما حقره الله .وقال ابن مسعود : ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية ، فالضيف يرتحل والعارية مردودة . وفي ذلك قيل :وما المال والأهلون إلا وديعة . . . ولا بد يوما أن ترد الودائعوزار رابعة العدوية أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها ، فقالت : أمسكوا عن ذكرها ، فلو لا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ، ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره .وقال رجل لعلي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ، صف لنا الدنيا ، فقال : وما أصف لكم من دار من صح فيها ما أمن ، ومن سقم فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها العذاب . وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى " فلا تغرنكم الحياة الدنيا " : من قال ذا ؟ من خلقها من هو أعلم بها . إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال ، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا : مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، إن أخذه من حله حوسب به ، وإن أخذه من حرام عذب به . ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله ، يفرح في مصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٥٠ """"""وحيها يموت ، وخيرها يفوت . فاستيقظوا من غفلتكم ، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال : فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل على الدواء من دليل ، أو على الطبيب من سبيل ، فيدعى لك الأطباء ، ولا يرجى لك الشفاء ، ثم يقال : فلان أوصى ، ولماله أحصى ، ثم يقال : قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه ، وعرق عند ذلك جبينك ، وتتابع أنينك ، وثبت يقينك ، وطمحت جفونك ، وصدقت ظنونك ، وتلجلج لسانك

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٥/٢٤٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٥/٢٤٣

، وبكى إخوانك ، وقيل لك : هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ، ومنعت الكلام فلا تنطق ، ثم حل بك القضاء ، وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك ، وأحضرت أكفانك ، فغسلوك وكفنوك ، فانقطع عوادك ، واستراح حسادك ، وانصرف أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتهنا بأعمالك .**وقال بعض الحكماء** : الأيام سهام ، والناس أغراض ، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ، ويتخرمك بلياليه وأيامه ، حتى يستغرق جميع أجزائك ، فكم بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك ، وسرعة الليالي في بدنك لو كشفت لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك ، واستثقلت ممر الساعات بك ، ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار ، وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها ، وإنها لأمر من العلقم إذا عجمها الحكيم ، وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها ، وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ . أللهم أرشدنا للصواب .وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال : أيها الناس ، إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى ، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى ، إنما خلقتم للأبد ، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون . عباد الله ، إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق ، لا تصفو نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها ، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه خالدون فيه . ثم غلبه البكاء ونزل .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""والإفاضة في أمور ولايتك ورعيتك ، فإنه لا يوثق بصحة رأيهم ، ولا يؤمن الانتشار فيما أفضي من السر إليهم . وقال ابن المقفع : عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة ، والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ، ولا تسهلن سبيل ذلك إلا لأهل الفضل والعقل والسن والمروءة في ستر ، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترىء به سفيه أو يستخف به شانئ . واعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه لمهم ما يعنيك ، وأن مالك لا يتسع للناس فاخصص به أهل الحق ، وأن كرامتك لا تطيق العامة فتوخ بها أهل الفضل ، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وإن دأبت فيهما ، فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك . واعلم أن ما شغلت من رأيك بغير المهم أزرى بك ، وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحق ، وما عدلت به من كرامتك إلى أهل النقص أضر بك في العجز عن أهل الفضل .وكتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي لما ولاه الناس أمرهم بعد علي رضي الله عنهما : أن شمر للحرب ، وجاهد عدوك ، واشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك ، ووال أهل البيوتات تستصلح به عشائرهم .وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يجب على الوالي أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء ، فإنه إذا ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء ، وفسد الأمر وضاع العمل .**وقال بعض الحكماء** : الملك المنعم إذا أفاض المكارم واغتفر الجرائم ارتبط بذلك خلوص نية من قرب منه وهم الأقل ، وانفساح الأمل ممن بعد عنه وهم الأكثر ، فيستخلص حينئذ ضمائر الكل من حيث لم يصل معروفه إلا إلى البعض .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٣٢ """""""وقالت الحكماء : إمام عادل خير من مطر وابل ، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم .يقال : إن جمشيد أحد ملوك الفرس الأول ، لما ملك الأقاليم عمل أربعة خواتيم : خاتما للحرب والشرطة وكتب عليه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٢٥٠/٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٢٠/٦

الأناة ، وخاتما للخراج وكتب عليه العمارة ، وخاتما للبريد وكتب عليه الوحا ، وخاتما للمظالم وكتب عليه العدل ، فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس إلى أن جاء الإسلام .وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : إذا كان الإمام عادلا فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائرا فله الوزر وعليك الصبر .وقال أردشير لابنه : يا بني إن الملك والعدل أخوان لا غنى لأحدهما عن صاحبه ، فالملك أس والعدل حارس ، فما لم يكن له أس فمهدوم ، وما لم يكن له حارس فضائع ، يا بني اجعل حديثك مع أهل المراتب ، وعطيتك لأهل الجهاد ، وبشرك لأهل الدين ، وبرك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول . **وقال بعض الحكماء** : يجب على السلطان أن يلتزم العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه ، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه ، فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان ؛ ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف ، فلا يقوم السلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما ، ولا يدور إلا عليهما .وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كلكم يترشح لهذا الأمر ، ولا يصلح له منكم إلا من له سيف مسلول ، ومال مبذول ؛ وعدل تطمئن إليه القلوب .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٦٥ """""""وقال العتبي لرجل من عبس : ما أكثر صوابكم فقال : نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره فكأنا ألف حازم .وسئل بعض الحكماء : أي الأمور أشد تأييدا للعقل ، وأيها أشد إضرارا به ؟ فقال : أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت ؛ وأشدها إضرارا به ثلاثة أشياء : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة .**وقال بعض الحكماء** : إذا استبد الرجل برأيه عميت عليه المراشد .وقال الفضل بن سهل : الرأي يسد ثلم السيف ، والسيف لا يسد ثلم الرأي .وقالوا : من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه .وقال بعض البلغاء : إذا أشكلت عليك الأمور ، وتغير لك الجمهور ، فارجع إلى رأي العقلاء ، وافزع إلى استشارة العلماء ؛ ولا تأنف من الاسترشاد ، ولا تستنكف من الاستمداد ؛ فلأن تسأل وتسلم خير من أن تستبد وتندم .وقال حكيم لابنه : يا بني ، إن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائما ووجدت هواك يقظان ، فإياك أن تستبد برأيك ، فإنه حينئذ هواك .ويقال : تعوذ من سكرات الاستبداد بصحوات الاستشارة ، ومن عثرات البغي باستقالة الاستخارة .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٦٩ """""""ذكر ما قيل فيمن يعتمد على مشورته وبديهته ، ويعتضد بفكرته ورويته.**قال بعض الحكماء** : عليك بمشورة من حلب أشطر دهره ، ومرت عليه ضروب خيره وشره ؛ وبلغ من العمر أشده ، وأورت التجربة زنده .وقيل : استشار زياد رجلا ؛ فقال الرجل : حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر ، واختبار متظاهر ، ولا أراني كذلك .قال إبراهيم بن العباس :يمضي الأمور على بديهته . . . وتريه فكرته عواقبهافيظل يصدرها ويوردها . . . فيعم حاضرها وغائبهاوإذا الحروب علت بعثت لها . . . رأيا تفل به كتائبهارأيا إذا نبت السيوف مضى . . . قدما بها فسقى مضاربهاوقال آخر :ألمعي يرى بأول رأي . . . آخر الأمر من وراء المغيبلا يروي ولا يقلب كفا . . . وأكف الرجال في تقليبوقال آخر :الألمعي الذي يظن بك الظن . . . كأن قد رأى وقد سمعا." (٣)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٣٢/٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٦٥/٦

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٦٩/٦

"""""""" صفحة رقم ٩٠ """"""""الأقوال ألا يخاطب الفاضل بخطاب المفضول ، ولا العالم بخطاب الجهول ؛ ويقف في الحمد والذم على حسب الإحسان والإساءة ، ليكون إرغابه وإرهابه وفق أسبابهما من غير سرف ولا تقصير ؛ فلسانه ميزانه ، فليحفظه من رجحان أو نقصان .وعدله في الأفعال ألا يعاقب إلا على ذنب ، ولا يعفو إلا عن إنابة ، ولا يبعثه السخط على اطراح المحاسن ، ولا يحمله الرضا على العفو عن المساوئ .وليكن وفاؤه بالوعد حتما ، وبالوعيد حزما ، لأن العد حق عليه لغيره يسقط فيه اختياره ، والوعيد حق له على غيره فهو فيه خياره .فمن أجل ذلك لم يجز إخلاف الوعد وإن جاز إخلاف الوعيد .قال بعض الشعراء :وإني إذا أوعدته أو وعدته . . . لمخلف إيعادي ومنجز موعديلكن ينبغي أن يقرن بخلف الوعيد عذرا حتى لا يهون وعيده ؛ ليكون نظام الهيبة محفوظا ، وقانون السياسة فيه مضبوطا ؛ وليظهره إن خفي ليكون بإخلاف وعيد معذورا ، وبعفوه عنه مشكورا .ولتكن أفعاله أكثر من أقواله ، فإن زيادة القول على الفعل دناءة وشين ، وزيادة الفعل على القول مكرمة وزين .ولا يجعل لغضبه سلطانا على نفسه يخرجه عن الاعتدال إلى الاختلال ؛ فلن يسلم بالغضب رأي من زلل ، ولا كلام من خطل ؛ لأن ثورته طيش معر ، ونفرته بطش مضر ؛ لأنه يخرج عن التأدب إلى الانتقام ، وعن التقويم إلى الاصطلام .قال ابن عباس : لم يمل إلى الغضب إلا من أعياه سلطان الحجة .وقال بعض السلف : إياك وعزة الغضب ، فإنها تفضي بك إلى ذل الاعتذار .وقال بعض الحكماء : من كثر شططه ، كثر غلطه .قال بعض الشعراء :ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم . . . عدوا لعقل المرء أعدى من الغضبوليكن غضبه تغاضبا يملك به عزمه ، ويقوم به خصمه ، فيسلم من جور غضبه ويقف على اعتدال تغاضبه .فقد قيل في بعض صحف بني إسرائيل : إذا كان الرجل ذا غضب تواترت عليه الوضائع ، فكلما اشتد غضبه ازداد بلاء . وقد يقترن بالغضب." (١)

"""""""" صفحة رقم ٩١ """"""""لجاج يساويه في معرته ، ويشاركه في مضرته ؛ لأن في اللجاج التزام الخطأ واطراح الصواب .فليدع عنه لجاج الخصم الألد ، وليتجنب عواقب المدل الفدم .وليتابع الرأي فيما اقتضاه ؛ فلأن ينتف بالرأي خير من أن يستضر باللجاج .فقد قال بعض الحكماء : من استعان بالرأي ملك ، ومن كابر الأمور هلك .وقال ابن المقفع : دع اللجاج فإنه يكسر عزائم العقول .وقيل الظفر لمن احتج ، لا لمن لج .وليأخذ الوزير أموره بالجد دون الهزل .فالجد والهزل ضدان متنافران ؛ لأن الجد من قواعد الحق الباعث على الصلاح ، والهزل من مرح الباطل الداعي إلى الفساد ؛ فصار فرق ما بين الجد والهزل هو فرق ما بين الحق والباطل .وتنافر الأضداد يمنع من الجمع بينهما ؛ فمتى انفرد بأحدهما كان للآخر تاركا .وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : العقل حسام قاطع ، والحلم غطاء ساتر ، فقابل هواك بعقلك ، واستر خلل خلقك بحلمك ، واستعمل الجد ينقد إليك الحق ويفارقك الباطل .ولا تعدل إلى الهزل فيتبعك الباطل وينافرك الحق .وقلما انثلمت هيبة الجد أو تكاملت هيبة الهزل ؛ والهيبة أس السلطنة .حكي عن عمر بن مرة أن رجلا من قريش قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : لن لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة ؛ فقال عمر : أ في ذلك ظلم ؟ قال : لا ؛ قال : فزادني الله في صدوركم مهابة .وقال حكيم الهند : ليكن فيك مع طلاقتك تشدد ، لئلا يجترأ عليك بالطلاقة وينفر منك بالتشدد .والهزل إنما يكون مع سخف أو بطر يجل عنهما من ساس الرعايا ودبر الممالك .وسأل ملك

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٩٠/٦

الهند الإسكندر وقد دخل بلاده : ما علامة دوام الملك ؟ قال : الجد في كل الأمور ؛ قال : فما علامة زواله ؟ قال : الهزل فيها .وليس الكبر والعنف جدا ، ولا التواضع واللطف هزلا .قالوا : وإن استكد الجد خاطره فلا بأس أن يستروح ببعض الهزل ليستعين به على مصابرة الجد ، لكن يكون في زمان راحته وأوقات خلوته بمقدار دوائه من دائه ،." (١)

""""""""" صفحة رقم ٩٨ """""""عبد الملك بن مروان : احذروا الجديدين ، فللأقدار أوقات تغضي عنها الأبصار .فإذا صادفت طوارق الدهر غرا مسترسلا صار هدفا لسهامه الصوائب ، وغرضا لمنافرة الحوادث والنوائب .وقد **قال بعض الحكماء** : من أعرض عن الحذر والاحتراس ، وبنى أمره على غير أساس ، زال عنه العز واستولى عليه العجز ؛ وإن قدم لطوارقه حذر المتيقظ ، وتلقاها بعدة المتحفظ ، رد بادرتها بعزم ذي حزم قد حلب أشطر دهره ، وقام بواضح عذره .قال بعض الشعراء :إن للدهر صولة فاحذرها . . . لا تبيتن قد أمنت الدهوراثم هو بعد حذره مستسلم لقضاء لا يرد ، وقدر لا يصد .وقد روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت " .وقبل لبعض الحكماء : من السعيد ؟ قال : من اعتبر بأمسه ، واستظهر لنفسه .وقال بعض الشعراء :وحذرت من أمر فمر بجانبي . . . لم يبكني ولقيت ما لم أحذروللحذر حد يقف عنده إن زاد عليه صار خورا ، كما أن للإقدام حدا إن زاد عليه صار تهورا .والزيادة على الحدود ، نقص في المحدود .ولهما زمان إن خرجا عنه صار الحذر فشلا ، والإقدام خرقا .وعيارهما معتبر بحزم العاقل ويقظة الفطن .**قال بعض الحكماء** : ليعرفك السلطان عند افتتاح التدبير بالحذر ، وعند وقوع الأمر بالجد .والحذر يلزم من أربعة أوجه : أحدها الحذر من الله تعالى فيما فرض .والثاني الحذر من السلطان فيما فوض .والثالث الحذر من الزمان فيما اعترض .والرابع من غلبة الأعداء ومكر الدهاة .الحذر من الله تعالى :فهو عماد الدين الباعث على الطاعة . والحذر منه هو الوقوف عند أوامره ، والانتهاء عن زواجره ؛ فيعمل بطاعته فيما أمر ، وينتهي عن." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٩٩ """""""معصيته فيما حظر .فلن يرى قليل الحذر إلا متجوزا في دينه طائحا في غلوائه ، لا يرى رشدا في العاجل ، وهو على وعيد في الآجل ؛ مع نفور النفوس منه وسراية الذم فيه .وقد قيل في بعض الصحف الأولى : العزة والقوة يعظمان القلب ، وأفضل منهما خوف الله تعالى ؛ لأن من لزم خشية الله لم يخف الوضيعة ولم يحتج إلى ناصر .وقال علي رضي الله عنه : من حاول أمرا بمعصية الله كان أبعد لما رجا ، وأقرب لمجيء ما اتقى .الحذر من السلطان فهو وثاب بقدرته ، متحكم بسطوته ، يميل به الهوى فيقطع بالظن ويؤاخذ بالارتياب ؛ فالثقة به عجز ، والاسترسال معه خطر .والحذر منه في حالتي السخط والرضا أسلم ؛ لأنه يستذنب إذا مل حتى يصير المحسن عنده كالمسيء .فليستخلص رأيه بالنصح ، ويستدفع تنكره بالحذر .**وقال بعض الحكماء** : اصحب السلطان بثلاث : الحذر ، ورفض الدولة ، والاجتهاد في النصح .والحذر منه يكون بثلاثة أمور : أحدها ألا يعول على الثقة به في الإدلال والاسترسال ، فما

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٩١/٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٩٨/٦

جرت الثقة إلا ندما .وقد قيل : الخرق الدالة على السلطان ، والوثبة قبل الإمكان .فاقبض نفسك إذا قدمك ، وتواضع له إذا عظمك ، واحتشمه إذا آنسك ، ولن له إذا خاشنك ، واصبر على تجنيه إذا غالظك ؛ فهو على التجني أقدر ، فكن على احتماله أصبر ؛ فربما كانت مجاملته لك مكرا وتجنيه عليك غدرا .فقد قيل في بعض الصحف الأولى : حب الملك وهواه يشبه الطل على العشب .فلا تجعل له في إظهار تنكره عذرا ؛ فربما اعترف بالحق فوفى ، ورق بالصبر فكف .وقد قيل في أمثال " كليلة ودمنة " : صاحب السلطان كراكب الأسد يخافه الناس وهو لمركوبه أشد خوفا .والثاني من حذره منه أن يساعده على مطالبه ، ويوافقه على محابه ومآربه ، ولا يصده عن غرض إذا لم يقدح في دين ولا عرض ، ولا يتوقف عن إجابته وإن شغله ما هو أهم ؛ فإن الملك لا يقيم لوزيره عذرا إذا وجده في أغراضه مقصرا ، وإن كان على مصالح ملكه متوفرا ؛ فإنه اتخذه لنفسه ثم لملكه ؛ وقد يقدم حظ نفسه على مصلحة ملكه ، لغلبة الهوى ونازع الشهوة .فليكن متوفرا على مراده ليسلم اعتقاده له .فإن قدحت أغراضه في دين أو عرض سل الوزير نفسه من وزرها وتحفظ من شينها بالتلطف في كفه عنها بما يعتاضه بدلا منها ، ليسهل عليه إقلاعه عنها .فإن ساعده الملك عليها سلم دينهما ، وزال شينهما .فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " إن لله خزائن للخير والشر مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر وويل لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير " .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٠٠ """"""وقال الشاعر :ستلقى الذي قدمت للشر محضرا . . . وأنت بما تأتي من الخير أسعدوإن أصر الملك عليها فليلن الوزير في متاركته ، ويحجم عن مساعدته ؛ وهو خداع يتدلس بالمغالطة ويخفى بالحزم ؛ فليستنجد فيه عقله ، ويستعمل فيه حزمه ؛ ليسلم من تنكره ، ويخلص من وزره .فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " إن من شرار الناس عند الله يوم القيامة عبدا أذهب آخرته بدنيا غيره " .والثالث من حذره منه أن يذب عن نفسه وملكه بما استطاع من مال ونفس ؛ فإنه عن نفسه يذب ، ولها يرب ؛ فإنه لا يصلح حاله مع فساد حال ملكه وهو فرع من أصله .وهو يسترسل لثقته به ، ويستسلم لتعويله عليه ؛ فليقابل ثقته بأمانته ، واستسلامه بكفايته ، ولا يلجئه أن يباشر دفع الخوف والحذر ، فيلجئه إلى ما هو أخوف وأحذر ؛ لأن الوزير يخاف الملك ويخاف ما يخافه ، فيتوالى عليه خوفان ، ويتمالأ عليه خطران .قال شاعر :إن البلاء يطاق غير مضاعف . . . فإذا تضاعف صار غير مطاقوأما حذره من زمانهفلأنه يتقلب بألوانه ، ويخشن بعد ليانه ، فيسلب ما أعطى ويفرق ما جمع .وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " أنظروا دور من تسكنون وأرض من تزرعون وفي طرق من تمشون " .وقال بعض الحكماء : الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها .وقال بعض البلغاء : إن الدنيا تقبل إقبال الطالب ، وتدبر إدبار الهارب ؛ لا تبقى على حالة ، ولا تخلو من استحالة ؛ تصلح جانبا بإفساد جانب ، وتسر صاحبا بمساءة صاحب ؛ فالكون فيها على خطر ، والثقة بها على غرر .وقال قيس بن الخطيم :ومن عادة الأيام أن خطوبها . . . إذا سر منها

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٦/٩٩

جانب ساء جانبوالحذر من الزمان يكون من أربعة أوجه : أحدها : ألا يثق بمساعدته ، ولا يركن إلى مياسرته ، فيغفل عن الحذر والاستعداد ، فربما انعكس فافترس ، وغافص فاختلس .وقد قيل : للدهر صروف ،." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٠٤ """""""ببعضها ، لقصوره عن حقها ، وخروجه من أهلها ؛ وإنما يختلف ما سواها باختلاف الولايات ، وإن كانت هذه مستحقة في جميعها .وقد قال كسرى أبرويز : من اعتمد على كفاة السوء لم يخل من رأي فاسد وظن كاذب وعدو غالب .وقد **قال بعض الحكماء** : لا تستكفين مخدوعا عن عقله ؛ والمخدوع من بلغ به قدرا لا يستحقه ، أو أثيب ثوابا لا يستوجبه .وأما تقليد التدبير ،فهو النظر فيما استقرت رسومه ، وتمهدت قواعده .وهو مشترك بين الوزير وبين الناظر فيه ؛ لكن يختص الوزير بمراعاته ، والناظر بمباشرته ؛ ليستظهر الوزير بالمراعاة ، ولا يتبذل بالمباشرة .وهو ضربان : أحدهما تدبير الأجناد .والثاني تدبير الأموال .فأما تدبير الأجناد ، فلا يستغني الوزير عن تقليد سفير فيه وإن كانوا يلاقونه ؛ ليحفظ بالسفير حشمة وزارته ولا يقف أغراض أجناده ، وقد انصان عن لغط كلامهم ، وجفوة طباعهم .والأغلب على تدبيرهم الرأي والسياسة .فيعتبر في الثاني : أن يكون من ذوي الرأي والسياسة ، ليقودهم برأيه إلى الصواب ويقفهم بسياسته على الاستقامة .والثالث : أن يكون متوصلا إلى استعطاف القلوب ، واجتماع الكلمة ، ليسلموا من اختلاف أو منافرة .والرابع : أن يكون بينه وبين الأجناد مناسبة في الطباع ومشاكلة في الأخلاق يمتزجون بها في الموافقة ولا يختلفون فيها في المباينة .والخامس : أن يكون سليم الباطن صحيح المعتقد ؛ لأنه يصير أخص بهم ، ويصيرون أطوع له .والسادس : ما اختلف باختلاف الحال ، فإن كان في زمان السلم اعتبر فيه الأناة والسكون ؛ وإن كان في زمان الحرب اعتبر فيه الإقدام والسطوة ، ليكون مطبوعا على." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١١٧ """""""أكديت ، وهما معرة ذي الفضل ومضرة أولي الحزم .روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " اقتربت الساعة ولا يزداد الناس في الدنيا إلا حرصا ولا تزداد منهم إلا بعدا " .رض نفسك عن الطمع يتنزه جميع عمالك ، وتنتظم بك جميع أعمالك .ولا تكل إلى غيرك ما تختص بمباشرته طلبا للدعة ، فتعزل عنه نفسك وتؤثر به غيرك ؛ فتكون من وفائه على غدر ، ومن نفسك على تقصير .قال بزرجمهر : إن يكن الشغل مجهدة ، فإن الفراغ مفسدة .وقال عبد الحميد : ما زانك ما أضاع زمانك ، ولا شانك ما أصلح شانك .اجعل زمان فراغك مصروفا إلى حالتين : إحداهما راحة جسدك وإجمام خاطرك ، ليكونا عونا لك على نظرك .والثانية أن تفكر بعد راحة جسدك وإجمام خاطرك فيما قدمته من أفعالك ، وتصرفت فيه من أعمالك : هل وافقت الصواب فيه فتقويه وتجعله مثالا تحتذيه ، أو نالك فيها زلل فتستدرك منه ما أمكن ، وتنتهي عن مثله في المستقبل .فقد قيل : من فكر أبصر .وقال بعض البلغاء : من لم يكن له من نفسه واعظ ، لم تنفعه المواعظ .اخفض جناحك لمن علا ، ووطئ كنفك لمن دنا ، وتجاف عن الكبر تملك من القلوب مودتها ، ومن النفوس مساعدتها .فقد قيل لحكيم الروم : من أضيق الناس طريقا ، وأقلهم صديقا ؟ قال : من عاشر الناس بعبوس وجهه ، واستطال عليهم بنفسه .ولذلك قيل : التواضع في الشرف ، أشرف من الشرف .كن

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٦/١٠٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٦/١٠٤

شكورا في النعمة ، صبورا في الشدة ، لا تبطرك السراء ، ولا تدهشك الضراء ؛ لتكافأ أحوالك ، وتعتدل خصالك ؛ فتسلم من طيش البطر وحيرة الدهش .فقد قال بعض الحكماء : اشتغل بشكر النعمة عن البطر بها .وقيل في أمثال الهند : العاقل لا يبطر بمنزلة أصابها ولا شرف وإن عظم ، كالجبل الذي لا يتزلزل وإن اشتدت الرياح ، والسخيف تبطره أدنى منزلة كالحشيش الذي تحركه أدنى ريح .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٩ """""""الرأي أن زل ، فما عليه إلا الاجتهاد وإن حجزته الأقدار عن الظفر .وقد قيل في منثور الحكم : من كثر صوابه لم يطرح لقليل الخطأ .اختر لأسرارك من تثق بدينه وكتمانه ، وتسلم من إذاعته وإدلاله ، ولو قدرت ألا تودع سرك غيرك ، وكان أولى بك وأسلم لك ؛ لأنك فيها بين خطر أو حذر .وقد قيل في منثور الحكم : انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ، ولا جاهلا فيخون .تثبت فيما لا تقدر على استدراكه ؛ فقلما تعقب العجلة إلا ندما .روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " من تأنى أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد " .وقيل في حكمة آل داود : من كان ذا تؤدة وصف بالحكمة .وقدم ما قدرت عليه من المعروف ، فقلما يعقب الريث إلا فواتا ؛ فإن للقدرة غاية ، ولنفوذ الأمر نهاية ، فاغتنمها في مكنتك تسعد بما قدمته ، ويسعد بك من أعنته .قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : انتهزوا الفرصة فإنها تمر مر السحاب .وقال بعض الحكماء : من أخر الفرصة عن وقتها ، فليكن على ثقة من فوقها .واحذر قبول المدح من المتملقين ، فإن النفاق مركوز في طباعهم ، ويدا جونك بهين عليهم ؛ فإن نفقوا عليك غششت نفسك ، وداهنت حسك ؛ وأنت أعرف بنفسك من غيرك فيما تستحق به حمدا أو ذما .فناصح نفسك بما فيها ، فإنك أعلم بمحاسنها ومساويها .فقد قيل فيما أنزل الله تعالى من الكتب السالفة : " عجب لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح وعجب لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب " .وقال بعض البلغاء : من أظهر شكرك فيما لم تأت إليه فاحذره أن يكفر نعمك فيما أسديت إليه .ففوض مدحك إلى أفعالك ، فإنها تمدحك بصدق إن أحسنت ، وتذمك بحق إن أسأت .ولا تغتر بمخادعة اللسان الكذوب .فقد قيل : أبصر الناس من أحاط بذنوبه ، ووقف على عيوبه .وكتب حكيم الروم إلى الإسكندر : لا ترغب في الكرامة التي تنالها من الناس كرها ، ولكن في التي تستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير .اعتمد بنظرك إحماد سلطانك وشكر رعيتك ، تكن أيامك سعيدة ، وأفعالك محمودة ، والناس بك مسرورين ، ولك أعوانا مساعدين ؛ ويبقى بعدك في الدنيا جميل." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٢٢ """""""

كن عن الشهوات عزوفا تنفك من أسرها ، فإن من قهرته الشهوة كان لها عبدا ، ومن استعبدته ذل بها .

وقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات " .

وقيل لبعض حكماء الروم : ما الملك الأعظم ؟ قال : أن يغلب الإنسان شهوته .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٦/١١٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ٦/١١٩

وكن بالزمان خبيرا تسلم من عثرته ؛ فإن الاغترار به مرد .

وقدم لمعادك ليبقى عليك ما ذخرته ، فلن تجد إلا ما قدمته ؛ وإنك لتجازى بما صنعت .

واستقل الدنيا تجد في نفسك عزا ، فترضى إذا سخطت ، وتسر إذا حزنت ، فلن يذل إلا طالبها ، ولن يحزن إلا صاحبها .

فقد قال بعض الحكماء : ليكن طلبك الدنيا اضطرارا ، وفكرك فيها اعتبارا ، وسعيك لمعادك ابتدارا .

وقال عبد الحميد : طالب الدنيا عليل ، ليس يروى له غليل .

اجعل صالح عملك ذخرا لك عند ربك ، وجميل سيرتك أثرا مشكورا في الناس بعدك ، ليقتدي بك الأخيار ، ويزدجر بك الأشرار ، تكن بالثواب حقيقا ، وبالحمد جديرا .

فقد قيل : الاغترار بالأعمار من شيم الأغمار .

فلن يبقى بعدك إلا ذكرك في الدنيا ، وثوابك في الآخرة ، فاظفر بهما تكن سعيدا فيهما ؛ فإن الدنيا كأحلام النائم يستحليها في غفوته ، ويلفظها بعد يقظته .

وقد قيل في بعض الصحف الأولى : احرص على العمل الصالح لأنه لا يصحبك غيره .

انتهى كلام الماوردي .

وقد بالغ – رحمه الله – في عهده ، وجاد بعظيم بره وجزيل رفده ؛ وأوضح ما إن استمسك به الوزير كفاه ، وإن حذا على مثاله كان ذخيرة لدينه ومعونة لدنياه .

فليتمسك به من رفل من الوزارة في حللها ، وارتقى من الرياسة إلى شواهقها المنيعة وقللها ؛ وأفاضت عليه السياسة برودها ، وطوقته السعادة عقودها .

وليأخذ نفسه به ويرضها عليه ؛ ويجعله نصب عينه فيما فوض من أمور العالم إليه ؛ ليفوز بسعادة الدنيا وثواب الآخرة ، ويلتحق غدا بذوي الوجوه الناضرة ، التي هي إلى ربها ناظرة .

وإن عدل عنه وعمل بضده فوا خيبة مسعاه ، وسوء منقلبه ومثواه ، " يوم ينظر المرء ما قدمت يداه " .." (١)

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب @ط العلمية النويري ١٢٢/٦